٣١

٣١ ٤٦٠

كتاب
بدايع الزهور في وقايع الدهور تاليف
الامام العالم العلامة محمد بن احمد
بن اياس الحنفي عامله بلطفه
الخفي آمين بجاه سيد
الاولين والاخرين
آمين

٨٢٢

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ	
Kısmı	Yeni Cami
Yeni	
Eski	822
Tasnif	9(53.02)

بسم الله الرحمن الرحيم • وبه نستعين •

الحمد لله القديم الاول • الازلى الذى لا يتحول • لا تغيره الدهور والاعصار • ولا يفنيه الحدثان الليل والنهار • هو الذى انشا الوجود من العدم • وقدر ما كان قبل ان يكون فى اللوح والقلم • وخلق آدم وجعل من نسله العرب والعجم • واصطفى منهم نبينا محمدا وكمل به ديوان الانبيا وختم • ونسخ بشريعته جميع الشرايع • واوجب طاعته على الخلايق من عاص وطايع • احمده حمدا يقتضى المزيد من النعما • واشكره شكر من علم انه لا اله لا يعبد الا اياه • ولا خالق للخلق سواه • وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله • الذى كان نبيا وادم بين الماء والطين • ورقم اسمه من الازل فى عليين • ثم نقل بعد ذلك من الاصلاب الزكيه • الى الارحام الطاهرة المرضيه • حتى بعثه الله تعالى الى الخلايق اجمعين • فهو امام الانبيا والمرسلين • صلى الله عليه وعلى اله واصحابه والتابعين • وسلم تسليما الى يوم الدين • ما اشرق نور الحق واضا اليقين **وبعد** فقد التقطت هذا التاريخ من المنقول • واستجادته العقول لما فيه من الفوايد التى هى جواهر الغرايب ومن الغرايب ما حارت به الالسن العجايب وذكرت فيه ما ذكر من الوقايع الحميدة واقتصرت فى ذلك على الاشيا المفيدة وابتدات فيه بذكر السما والارضين وما كان قبل وجود الوجود ومبتدا خلق آدم عليه السلام وما جاء من نسله الكرام عليهم افضل الصلاة والسلام وسميته بدايع الزهور فى وقايع الدهور • وقيل فيه •

• انظر بدايع ازهار حوت دررا • نفايسا قد اضاءت فى معانيه •
• فاستجلى بسمعك واثنى بها طربا • من كل معنى غريب جاد منشيه •

والمستعان بالله ذى الاكرام فى البداية والختام **ذكر ما كان من بدء المخلوقات**

روى الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه فى مسنده عن عامر العقيلى رضى الله عنه انه قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض قال كان فى عما ما فوقه هوى وما تحته هوى ثم خلق عرشه على الماء واختلف العلما فيما خلق الله تعالى قبل العرش روى الترمذى عن عبادة

ابن الصامت

ابن الصامت رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول شى خلقه الله تعالى القلم وهو من نور وقيل من لولوة بيضا وطوله ما بين السما والارض وقيل طوله مسيرة خمسماية عام خلق بعده اللوح وهو من درة بيضا صفايحه من الياقوت الاحمر وطوله ما بين السما والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وقيل طوله ما بين السما والارض وقيل طوله مسيرة خمسماية عام وهو اللوح المحفوظ وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله لوحا احد وجهيه ياقوتة حمرا والوجه الثانى زمردة خضرا اقلامه من نور وقال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى القلم قبل ان يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر اليه نظرة الهيبة فانشق وقطر منه المداد الى يوم القيامة ثم قال للقلم اكتب فقال القلم يا رب وما اكتب قال اكتب علمى فى خلقى بما هو كاين الى يوم القيامة واخرج سعيد بن منصور ان اول ما كتب القلم انا التواب اتوب على من تاب واخرج ابن ابى حاتم ان اول ما كتب القلم ان رحمتى سبقت غضبى والاقوال فى ذلك كثير والاصح ما قاله ابن عباس رضى الله عنه ان القلم جرى فى تلك الساعة بما هو كاين الى يوم القيامة وما قدر من خير وشر وسعد وشقا وهو قوله تعالى وكل شى احصيناه فى امام مبين اى فى اللوح المحفوظ وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله تعالى مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف عام وهذا الحديث يدل على تقديم القلم على العرش وانه اول المخلوقات ثم خلق اللوح بعده وقال ابن عباس رضى الله عنه ان لله لوحا من درة بيضا ينظر فيه كل يوم وليلة ثلثماية وستين نظرة مع كل نظرة يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعز ويذل ويولى ويعزل ويفعل ما يشاء وهو قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير **ذكر خلق العرش** اخرج ابن ابى حاتم فى تفسيره ان الله تعالى خلق العرش من نوره والكرسى ملتصق بالعرش وحول العرش اربعة انهار نهر من نور يتلالا ونهر من نار يتلظى ونهر من ثلج ابيض ونهر من ماء والملايكة قيام يسبحون فى تلك الانهار وعن ابن ابى حاتم قال خلق الله تعالى العرش من زمردة خضرا وخلق له اربعة قوايم من ياقوت احمر ما بين القايمة الى القايمة مسيرة ثمانين الف عام واتساعه مثل ذلك وهو كهيئة السرير تحمله اربعة من الملايكة وهو كالقبة على العالم وعن ابى حاتم عن انس بن مالك رضى الله عنه قال ان العرش كان على الماء فلما خلق الله تعالى السموات والارض وهو مثال الغربال للمطر ولولا ذلك لغرقت الارض من شدة المطر وقيل ارتفاع السحاب عن الارض اثنى عشر ميلا قال عكرمة ان الله تعالى ينزل المطر من السما قدر الجبير وان السحاب يفرقه ولولا السحاب لافسد ما كان يقع عليه من البهايم والنبات وغير ذلك قال الله تعالى الله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا الاية **ذكر اخبار المطر** قال ابن عباس رضى الله عنه ان الله تعالى وكل بالمطر ملايكة تنزل من السما قطرة الا ومعها ملك من الملايكة يضعها حيث شا الله اما فى البر او فى البحر فان كان فى البر فينبت الله تعالى منه الاعشاب والزروع وهو قوله تعالى وهو الذى انزل من السماء ماء

فاخرج نبات كل شي وان كان في البحر فيخلق الله تعالى منه اللولو الكبار والصغار قال
ارسطاطاليس ان المطر يقع في البحر المحيط بالدنيا وقت هبوب ريح الشمالي فاذا هاج
البحر بالامواج تولى من السماء مطر عظيم فيصعد من ذلك البحر صدف يعلو على وجه الماء ويفتح
فاه فيلتقم القطرة من الماء المطر كما يلتقم الفرج النطفة من المني فيجف القطرة في الصدفة
فتنعقد درة وتغوص الى اسفل البحر وتغرس هناك وتصير على الطول كالعروق مثل
اصول الشجر وتصير نباتا بعد ان كانت حيوانا فيهتدي اليها الغاطسون في اماكن معروفة فيلتقطونها
في اوانها فاذا كان قبل اوانها لم ينتفع واذا زاد عن اوانها فسدت **وحكي** ان اعرابيا دخل
الى البصرة ومعه درة نفيسة فاتى بها الى عطار هناك وساله ان يشتريها منه فاشتراها
منه بابخس الاثمان ثم ان العطار سال الاعرابي من اين وصلت اليك هذه الدرة قال مررت
يوما ببعض سواحل البحر الملح من ارض الصين فرايت ثعلبا ميتا وعلى فمه صدفة في جوفها
بياض يلمع ووجدت هذه الخرزة الى جانبه فاخذتها وهنيت والذي يظهر لي من هذه
الواقعة ان صدف البحر الذي فيه اللولو خرج من الماء الى ساحل البحر ليستنشق الهوى
وذلك عادة الصدف فلما مر ذلك الثعلب بساحل البحر راى لحما احمر في جوف الصدفة
وهي فاتحة فيها فوثب عليها ليلتقطها فادخل فاه في الصدفة فانطبقت عليه ومن شانها
اذا انطبقت على شي فلا يفتح فاها ابدا حتى يشق عليها بالحديد فلما طبقت على فم الثعلب
اخذ يعالج بها في الارض لتنفتح عنه فسقطت منها تلك الدرة فمرمها ذلك الاعرابي فاخذها
وكانت من رزق ذلك العطار فقيل انه باعها بالف دينار وكانت قدر بيضة الدجاجة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان ماء المطر من بحر بين السماء والارض وهو كثيف المياه
وفيه السمك والضفادع وقد نزل في بعض السنين في اماكن من الارض مع المطر ضفادع وسمك
صغار ومصداق ذلك ما **حكي** ان ملكا من الملوك اطلق بازا له في الفضاء على طاير
فصعد البازي الى اعلا الجو حتى غاب عن الاعين ثم رجع وفي رجله سمكة فلما راها الملك اراد ان
ياكلها فاحضر الحكما واستشارهم في اكل تلك السمكة فاشاروا عليه في اكلها فقام من بين
الحاضرين شاب صغير السن وكان له اشتغال بالعلم فقال ايها الملك ان لحم هذه السمكة
مسموم فقال له الملك ومن اين لك هذا العلم فقال ان الله تعالى خلق بحرا بين السماء
والارض وقد ورد فيه من الاخبار بان فيه من الاسماك وهو سم قاتل فيجرب للملك
ويطعمها لشخص وجب عليه القتل ففعل الملك فمات المطعوم من وقته وساعته فتعجب
الملك وانعم على ذلك الشاب بالف دينار وصار من خواص الملك **ذكر اخبار الثلج
والبرد** قال ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى خلق في السما جبالا من ثلج وبرد كما في الارض
جبال من حجر وهو قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد الاية وفي بعض الاخبار
ان الله تعالى خلق ملايكة نصف ابدانهم من ثلج ونصفها من نار فاذا اراد ان ينزل الثلج على مكان
امر تلك الملايكة ان ترفرف باجنحتها الثلج فما يسقط الثلج الا من رفرفة اجنحة تلك الملايكة

وقال ابن الجوزي في بعض مصنفاته ان الله في القرن الخامس من الهجرة وقع من
السماء بردة وهي قطعة عظيمة في بعض جهات الغرب فاهتزت لها الارض وقتلت
ما لا يحصى عددهم من البهايم والناس وكان امرا مهولا **ذكر اخبار ما بين السماء
والارض قال** كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه ان بين السماء والارض سحابا
لطيفا وفيه طيور بيض رووسها كرووس الخيل ولها شعور كذوايب النسا ولها اجنحة
وانها تبيض وتفرخ على السحاب وتغوص عليه كما يغوص السمك في الماء باذن الله تعالى ويقرب
من ذلك ان الطير المسمى بالحجل يعيش في الهوى وانه يبلغ من الهوى كما تبلغ النخلة من
الجبال وانه ياتي الى عشاش من الطير فياخذ من بيضها ويحضنه فاذا انحرك الفراخ في
البيضة وصار لها قوة على الطيران طارت فتلحق بامها التي باضتها في الاصل ولا تقيم
في الهوى ويقال ان العقاب لا ابا قد انشاه وان الذي بيا فقدها من غير حد في الطيور
ونقل ذلك صاحب السكرداني وقيل ان الحجل يكون في سفال الريح والطير المسمى باليعسوب
يكون في اعالي الريح فيلتقط منه وقد قال الشاعر في المعنى
ما انت الا كالعقاب فامه ۞ معلومة وله اب مجهول
ومن العجايب ان في بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها جبل يرى فيه نار من غير موقد وكانت
يظهر ذلك من حين خلق الله تعالى الدنيا ويقال ان بذلك الجبل طايرا يسمى السمندل وهو
قدر طير الرخم وانه يفرخ في ذلك الجبل الذي يرى فيه النار ويقرب من تلك النار ولا يحترق
ويقال ان ريشه يعمل منه مناشف فاذا اتسخت ترمى في النار فتنقى من وسخها ويعمل من
ريشه ايضا فتايل للسراج فاذا فرغ الزيت منه تنطفي الفتيلة ولا تاكلها النار ولو اقامت
الى الابد ويقال ان دهن هذا الطير اذا اطلى به الانسان بدنه ودخل النار لا تضره ولو
اقام فيها يوما وليلة فاذا اراد الانسان ان يفسد ذلك الدهن يطلي فوقه بالخل فانه
يفسد في الحال **ومن العجايب** ايضا ان طايرا يسمى السمرمر وهو قدر الزرزور ومن شانه
انه يهلك به الجراد وقيل انه ياوي الى عين ماء في اقصى بلاد العجم فاذا نزل في بلادهم الجراد
ارسلوا فارسين الى تلك العين فيحضران لهم من ماء تلك العين في اناء ويعلقونه بين
السماء والارض فاذا اتى الماء الى الارض التي فيها الجراد فيتبعه الطاير المعروف بالسمرمر
فيقتل الجراد ويفنيه الى اخره ويقال ما دام ذلك الماء في الارض لا يدخل فيها الجراد ومن
شان هذا الماء اذا كان في اناء ووضع على الارض بطل السر الذي كان فيه واما قولهم في ارسال
فارسين الى تلك العين التي ياوي اليها السمرمر فان الفارسين خشية ان يموت احدهما
فيبقى الاخر فيحضر الماء ويقال ان العين الماء هي التي تسمى السمرمر واليها ينسب ذلك الطاير
ومما يويد هذا الخبر ان في سنة اثنين وخمسين وثمانمائة احضر بعض الاعاجم الى الملك الظاهر
جقمق قمقما نحاسا مختوما وزعم ان فيه ماء السمرمر فانعم عليه السلطان بالف دينار في مقابلة
تعبه فعلق الملك الظاهر ذلك القمقم في سقف القصر الكبير فلم يزل معلقا مدة طويلة

فی یومئذ امتنع الجراد عن مصر **وفی بعض الاخبار** ما رواه ابن عباس رضی الله عنه ان بین
السماء والارض بحر من نار ولیس لها دخان فیقال ان الجان خلقوا من ذلك البحر الذی کهیئة
النار **ومن الفوائد** اللطیفة ما نقله الثعلبی فی کتاب العرایس ان الهدهد یری الماء
تحت الارض کما یری احدکم اناه فیعرف مواضع الماء فیستخرجه للشیاطین **ویروی** ان الغراب
باعرز اعور وانما سمی بذلك لانه یغمض احد عینیه من قوة بصره فیقتصر علی احد عینیه
وقد قیل فی المعنی ٭ وقد ظلموه حین سموه سیدا ٭ کما ظلم الناس الغراب باعور ٭

ذکر اخبار الریاح قال ابن عباس رضی الله عنه خلق الله تعالی ریاحا اربعا وهی الجنوب
والشمال والصبا والدبور وقیل ان الریاح ثمانیة اربعة منها فی الجهات الاربع واربعة منها
تسمی النکب لمیلها عن الجهات الاربع فریح الجنوب تجمع السحاب وقیل منها خلق الخیل وقیل
انها سیدة الریاح واسمها عند الله الاریب واما ریح الشمال فانها من جهة الشمال وهبوبها
من ناحیة القطب وهی باردة یابسة ویقال لها ریح الجنوب واما ریح الصبا وتسمی ایضا
ریح القبلة وهی من ناحیة الشرق واذا هبت علی الابدان انعشتها ونفست عن المکروب
کربته ویکون هبوبها عند الاسحار واما ریح الدبور ویسمی ایضا العاصف والصرصر والعقیم
وهی التی تهدم البنا وتقلع الاشجار **قال** اهل اللغة الریح العقیم لاماء فیه سمیت
عقیما لانها لاتلقح ولا تنتج کالمراة العقیم التی لا تلد فلذلك تسمی عقیما **وفی الحدیث**
عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلکت عاد بالدبور وقد جعل
الله تعالی اقتران الدبور بالریح العقیم واقتران الجنوب بالریح المنشا وجعل ریح الشمال
والصبا معقبات وجعل لکل ریح من هولاء اوقات معلومة لا تتجاوزها فاذا اراد الله تعالی
ان یعذب قوما بالریح اخذ الریح العقیم من الدبور وسلطها علی من تشا من عباده **ذکر
مبتدا خلق الارض** قال الله تعالی هو الذی خلق السموات والارض فی ستة ایام ثم
استوی علی العرش قوله تعالی فی ستة ایام اختلف العلما فی مقدار هذه الایام هل هی من ایام
الدنیا ام من ایام الاخرة قال ابن عباس رضی الله عنه ومجاهد والضحاك واخرون من العلما
انها من ایام الدنیا وقال کعب الاحبار وابن جریر انها من ایام الاخرة التی یوم مقداره الف
سنة مما تعدون وکلام ما قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك **قال** ابن عباس لما
اراد الله تعالی ان یخلق الارض امر الریاح ان تثیر جمیعا فثارت حتی هیجت المیاه واثارت
الامواج فصار یضرب بعضها بعضا فعند ذلك اضطرب العرش وکان علی وجه الماء
فلم تزل الریاح تصفق الماء وهو یضطرب فازبد الماء وثارت منه امواج کبار فتراکم
ذلك الزبد فاجتمع منه حشفة بیضا فصارت ربوة کهیئة التل العظیم فجعل الماء یهرب
والزبد یتبط فی اثره کما امر الله تعالی حتی بلغ فی مدة واحدة به الماء من حوله وکان امتداد
ذلك الزبد من مکة موضع الکعبة ولذلك سمیت مکة ام القری فلما بلغ ذلك الزبد
غایة امتداده واحدق به الماء من حوله فصارت الارض کالکرة البارکة فی الماء مخوا من

سبعة الاف سنة **قال** وهب بن منبه لما خلق الله تعالی الارض کانت طبقة واحدة
ففتقها بامره فصارت سبعا کما فعل فی السموات وجعل من الطبقة الی الطبقة مسیرة
خمسمایة عام وذلك قوله تعالی ان السموات والارض کانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء
کل شی حی **قال** ابن عباس رضی الله عنه فی قوله تعالی ثم استوی علی العرش ای امره لقضا
المقادیر الخلق وتدبیر الامور وهو الفعال لما یرید **قال** وهب بن منبه لما فتق الله
الارض وجعلها سبعا فکان اسم الطبقة الاولی ادیما والثانیة بسیطا والثالثة ثقیلا
والرابعة بطحا والخامسة جثا والسادسة ماسکة والسابعة الثری وفی بعض الروایا
تختلف اسماوها **قال** الثعلبی ان الارض الثانیة یخرج منها الریاح وسکانها امم
یقال لهم الطمس وطعامهم من لحومهم وشرابهم من دمائهم والطبقة الثالثة سکانها امم
وجوههم کوجوه بنی ادم ولکن افواههم کافواه الکلاب وایدیهم کایدی بنی ادم ولکن
ارجلهم کارجل البقر وعلی اجسادهم شعر کصوف الغنم وهی لهم کامثال الثیاب ویقال
ان لیلنا نهارهم ونهارنا لیلهم والطبقة الرابعة سکانها امم یقال لهم الحلهام ولیس لهم
اعین ولا اقدام بل لهم اجنحة مثل اجنحة القطا والطبقة الخامسة بها امم یقال لهم
الخشن وهم کامثال البغال ولهم اذناب فی غایة الطول وفی هذه الارض حیات کامثال
النخل الطوال ولهم انیاب عظام والطبقة السادسة بها امم یقال لهم الخشوم وهم سود
الالوان ولهم مخالیب کمخالیب السباع ویقال ان الله تعالی یسلطهم علی یاجوج وماجوج
اذا خرجوا من السد فیهلکونهم والطبقة السابعة هی مسکن ابلیس وجنوده من المردة
والشیاطین **وقال** بعض العلما الهیئة ان الارض مبسوطة وقال اخرون منهم انها
کالمدورة واقفة فی الهوی والافلاك دایرة حولها من جمیع جهاتها کالمح فی البیضة وهی موضوعة
فی جوف الفلك فی وسطه وبعدها فی الفلك من جمیع الجوانب علی التساوی وسبب رکونها
فی الوسط سرعة دوران الفلك ودفعه ایاها من کل جهة الی الوسط کما اذا وضعت ترابا
فی قارورة وادرتها بقوة فان التراب یقوم فی الوسط ومن قال ان الارض مبسوطة قال ان
البحر المحیط الذی هو اربعة وعشرون الف فرسخ محیط بها کما یحیط الخاتم بالاصبع **قال**
ابن عباس ان حول الدنیا ظلمة ثم وراء تلك الظلمة جبل قاف ویروی ان الله تعالی لما
خلق الارض صارت واقفة فی الهوی تحرکها الریح فاضطربت ومادت فشکت الی ربها
وقالت یا رب انخفضت فوقی واستخفنی الریح وحرکتنی فاوحی الله الیها انی سوف یدلك بالاوتاد
وهی الجبال فاستقرت بعد ذلك الاضطراب **وقال** وهب بن منبه ان الجبال خلقت
من امواج البحر قال الله تعالی والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال
ارساها الایة وهذا یدل علی ان الله تعالی خلق السموات قبل الارض بمدة طویلة **قال**
الثعلبی لما خلق الله تعالی الارض بعث الیها ملکا من تحت العرش فدخل من تحت الارضین السبع
واخرج احدی یدیه من المشرق والاخری من المغرب وقبض علی اطراف الارض فلم یکن لقدمیه

ثوراً فاهبط الله تعالى له ثوراً من الجنة اسمه ليوثا له اربعون الف قرن واربعون الف
قايمة فمن القرن الى القرن ومن القايمة الى القايمة خمسماية عام فاستقر قدم الملك على ذلك
الثور فلم يكن لقدم الثور قرار فاتى الله تعالى بياقوتة خضراء من يواقيت الجنة غلظها خمسماية
عام فاستقر قوايم الثور على تلك الياقوتة الحمراء ثم خلق الله تعالى صخرة عظيمة وهي الصخرة
قال لقمان لابنه انها ان تك حبة من خردل فتكن في صخرة الاية واسم هذه الصخرة صيخور
وروي ان في هذه الصخرة تسعة الاف ثقبا في كل ثقب منها بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى
فدخلت تلك الصخرة تحت تلك الياقوتة فلم يكن لتلك الصخرة قرار فاهبط الله تعالى اليها
حوتاً عظيماً من البحر السابع تحت العرش ويقال اسم هذا الحوت بهموت وقيل بلهوت فاستقرت
على ظهر الحوت ولو وضعت البحار كلها في احد منخريه لكانت كالخردلة في ارض فلاة واستقر
الحوت على الماء واتقى لا يتحرك فقال اللهم لك الحمد بك ثوبت وبحولك استطعت ولولا
ذلك لما كانت لي قوة على حمل ما حملتني فاذن لي يا رب بالسجود شكراً لك على ذلك فاذن الله له
بالسجود فادخل راسه في الماء حتى غاب ثم اخرجه من الماء فهو يسجد كذلك في كل يوم الى
يوم القيامة ثم جعل الله تحت الماء الهوى وتحت الهوى الظلمة ومن هنا انقطع علم الخلايق
ويروى في بعض الاخبار ان الله تعالى وكل بذلك الحوت ملايكة ياتونه بغذايه في كل يوم
على قدر شبعه فياتون من البحار السبعة بالف حوت كل حوت طوله مسيرة يوم وليلة
واما الثور فوكل الله تعالى به ملايكة ياتونه بغذايه في كل يوم بالف شجرة من بساتين الفردوس
طول كل شجرة مسيرة يوم وليلة فسبحان القادر على كل شي وروي في بعض الاخبار ان ابليس
اللعين لم يزل يغوص حتى وصل الى الارضين السابعة حتى وصل الى الحوت المسمى بهموت
فتقدم اليه وقال يا بهموت ان الثور يقول انه هو حامل الصخرة التي عليها الارضين
وانك لا تحملك مع حمله فاعجب الحوت في نفسه فظن ابليس اللعين انه يغوي كما الحوت
ويبدد ما عليه فاضطرب الحوت فسلط الله تعالى على الحوت دابة لطيفة قدر لا انسان
واسمها الاده واوقفها بين عيني الحوت فصارت تنقره على دماغه حتى وصلت الى عظم
فذل ووقف مكانه واشتغل بما ناله من الالم ولولا ذلك لكان في اضطراب الى يوم القيامة
ثم ان ابليس مضى من بعد ذلك الى الثور واغواه كما اغوى الحوت فسلط الله على الثور ايضاً
دابة لطيفة واجلسها عند منخره فذل ووقف كما وقف الحوت ولم يتم لابليس ما دبر
من الحيلة اورد ذلك الثعلبي قال ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال خلق الله تعالى الارض يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق
الاشجار يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق الظلمة والنور يوم الاربعا
وخلق الدواب يوم الخميس وخلق ادم عليه السلام يوم الجمعة وقد اختلف جماعة
من العلماء في اليوم الذي ابتدا الله تعالى فيه بالمخلوقات فهو على ثلاثة اقوال
فقال ابن اسحاق هو يوم السبت وقال كعب الاحبار ومجاهد والضحاك هو يوم الاحد

غذاء الحوت وكل يوم الف حوت
غذاء الثور في كل يوم الف شجرة
ابتداء الله الخلق يوم الاحد على قول

وقال اهل الانجيل

وقال اهل الانجيل هو يوم الاثنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى في يوم
الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملايكة الى ثلاث ساعات مضين من يوم الجمعة وخلق آدم
عليه السلام في اخر يوم الجمعة واهبط من الجنة عند غروب الشمس في يوم الجمعة وقال
وهب بن منبه انما سمي يوم الجمعة لان طينة آدم جمعت فيه فلذلك سميت الجمعة
وقال حذيفة اليماني روي في بعض الاخبار ان الدنيا مسيرة خمسماية عام منها ثلاثماية
عام بحار وجبال وماية عام عمار وماية عام خراب قال بعض علماء الهيئة ان الجهات
ستة وهي الشرق حيث تطلع الشمس والقمر والنجوم والغرب وهي حيث تغرب فيه والشمال
وهو حيث مدار الجدي والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار سهيل وهو ما يلي كرة
السماء وتحت وهو ما يلي كرة الارض وفوق وهو الافلاك قال بعض الحكما في جهة
الشمال وانه تحت مدار الجدي وقد افرط هناك البرد فيصير ستة اشهر ليلاً دايماً
مستمراً وهي مدار الشتا لا يرى هناك النهار ويجمد في هذه الجهة الانهار لقوة البرد فلا
ينبت فيها شي من النبات ولا يقيم فيها حيوان واما جهة الجنوب حيث مدار سهيل
فيصير هناك ستة اشهر نهاراً دايماً مستمراً بغير ليل وهي مدة الصيف فيفرط هناك
الحر والسموم فلا ينبت في تلك الجهة نبات ولا يقيم فيها حيوان لشدة الحر هناك
فلا تسكن تلك الجهات لشدة البرد والحر فيها انتهى ذلك ذكر اخبار اجزا الارض
قال الحكيم هرمس الدنيا سبعة اجزا فجزو منها للترك وجزو منها للعرب وجزو منها
للفرس وجزو منها للسودان وثلاثة اجزا منها ليأجوج ومأجوج وقال ان الاقاليم
سبعة وهي اقليم الصين واقليم الحجاز واقليم الهند واقليم الروم واقليم بابل
واقليم يأجوج ومأجوج واقليم الغرب وقال اطراف الدنيا اربعة والنواحي خمسة
واربعون والمداين والحصون احد وعشرون الف وستماية مدينة ففي الاقليم الاول
ثلاثة الاف وماية مدينة وفي الاقليم الثاني الف وسبعماية وثلاثة عشر مدينة وفي
الاقليم الثالث ثمانون مدينة وفي الاقليم الرابع وهو اقليم بابل الف وتسعماية واربعة
وسبعون مدينة وفي الاقليم الخامس ثلاثة الاف وست مداين وفي الاقليم السادس
ثلاثة الاف واربعماية مدينة وفي الاقليم السابع ثلاثة الاف وثلاثماية مدينة ولم يذكر
هرمس غير المذكور منها وترك ما ليس بمشهور منها كالقرى والرساتيق ذكر البحار
قال الشيخ ابو الفرج بن الجوزي ان الذي عرف من البحار في الدنيا تسعة وعشرون بحراً
غير ما ظهر من الانهار والعيون فايدة لطيفة في الفرق بين البحر والنهر قال الجوهري
في الصحاح انما سمي البحر بحراً لاستبحاره وانبساطه وسعته وفي كلام العرب الشق هو
البحر لعمقه واتساعه حتى ينال للناظر اذا شق انه بحير وقال الزجاج كل نهر ذي ماء
جار فهو نهر اذا كان صغيراً واذا كان كبيراً جداً كدجلة والفرات والنيل فيطلق عليه بحر
قال ابن الجوزي ان الذي عرف من البحار في الدنيا تسعة وعشرون بحراً في جزيرة الشرق

في بعض اللغات الاثنين سمي بجمعة لاجتماع
البحار المعروفة في الدنيا تسعة وعشرون بحرا

منها ثمانية وفي جزيرة الغرب منها ثمانية وفي جزيرة الشمال منها احد عشر وفي جزيرة الجنوب
منها اثنان وفيهم من الجزاير المعروفة احد وسبعون جزيرة وفي جزيرة الشرق ثمان
جزاير وفي جزيرة الغرب ستة عشر جزيرة وفي جزيرة الشمال احد وثلاثون جزيرة وفي
جزر الجنوب ستة عشر جزيرة **واما البحار الكبار المشهورة** سبعة وهو البحر المحيط
بالدنيا وهو اولها ويقال ان مسافته اربعة وعشرون الف فرسخ وجميع البحار تاخذ من
مادة هذا البحر قال بعض العلماء انما سمي البحر المحيط لاحاطته بالدنيا ولهذا كان الحكيم
ارسطاطاليس يسميه الاكليل لانه حول الارض بمنزلة الاكليل على الراس وقال ارسطاطاليس
ويخرج من هذا البحر المحيط ستة بحار كبار اعظمها اثنان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى في
القران وهو قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فاحدهما يخرج من جهة
الشرق والاخر يخرج من جهة الغرب فالذي يخرج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني و
الهندي والبحر الفارسي والبحر اليمني والبحر الحبشي يحسب ما يمر عليه من البلدان
واما البحر الذي يخرج من جهة الغرب يقال له البحر الرومي **واما ما ذكر** من عجايب
البحر المحيط قال ابن الجوزي ان به جزاير بها غنم لا يحصى عددهم ولحمها مر لا يوكل فيذبحها
اهل هذه الجزاير ويصنعون منها الانطاع وبهذه الجزاير شجر يطرح شيا مثل التين ومن
شانه اذا اكله المسموم يبرا من وقته وفي هذه الجزاير حيات عظيمة تبلع الفيل
والجاموس من عظم خلقتها وفي هذا البحر اسماك كل سمكة مسيرة ثلاثة ايام وكل
سرطان قدر الجبل وفيه حجر البهت ومن خواصه اذا حمل الانسان شيا من ذلك الحجر
ودخل على سلطان قضيت حاجته وهو بحر مظلم صعب المسالك ولم يقف احد على
صحة اخباره من هيجان امواجه سوى ما عرف من بعض سواحله **ذكر** اخبار البحر الثالث
وهو بحر الصين ومخرجه من الشرق وهو كدر اللون ومخرجه من البحر المحيط ومن عجايبه
ان به مغايص اللولو ومعدن المرجان فيقال انه ينبت في قاع هذا البحر كما تنبت الاشجار
في الارض وهي لينة مثل عروق الشجر فاذا اقلعت تجف في الهوى وتتحجر وتصير جمادا
وقيل ان الغايصين عليه يعمدون الى شباك من القنب الغليظ ويثقلونها بالحجارة
ويرمونها ويديرونها في قعر البحر فتتشبث باصول الشجر ويجذبونها جذبا قويا
فينقطع بها ويخرجونها ويلقونها حتى تتحجر ويفصلونها قطعا قطعا ويجلبونها الى البيع
واما اخبار اللولو قيل ان الذين يغوصون على اللولو يعتمدون على اخشاب من شجر
المقل ويدلونها باحبال من ليف المقل في اماكن معروفة بينهم ويجعلون في تلك
الاخشاب حجارة سود كبار نحوا من ستين رطل وينزلون الغواصون مع الحجارة
وسبب هذه الحجارة انها تنفر الحيوانات في البحر عن الغواصين ليلا يبتلعونهم فعند
ذلك يلتقطون صدف اللولو من قعر البحر بمناجل من حديد ويضعونها في اقفاص من حديد
ويخرجون اللولو على هذه الصفة **ومن الحكايات** ما يحكى ان بعض التجار ساق الى مغاص

اللولو

اللولو فانفق جميع ما يملكه للغواصين فلم يطلع له شي من اللولو فلم يبق معه شي من المال
فعند ذلك احتشم له التجار وجمعوا منهم شيا من المال واعطوه للغطاسين ليخرجوا
له شيا يعود نفعه عليه فلما غطسوا غابوا زمانا ثم طلعوا له بنبت من نبات البحر
لها ذوايب شعر مثل شعر النسا وهي حسنة الصورة فاخذها ذلك التاجر ومضى بها
منزله فقعدت عنده ثلاثة ايام وهي لا تاكل ولا تشرب ولا تتكلم فقال التاجر انجي
ان اتفكي موضع اخرجوكي الغطاسين فاو مات واشارت بنعم فعند ذلك اخذها
ووضعها في مركب ودخل بها الى المكان الذي اخرجت منه فالقت نفسها هناك في
الماء فتسمع في الماء ضجة عظيمة في اسفل البحر فاراد صاحب المركب ان ينهزم بمركبه
فوجد المركب ممسوكا لم يتحرك فما شعر الا والصدف يلقح في البحر الى المركب حتى وسق
المركب من صدف اللولو فرجع التاجر وهو اغنى تجار اللولو بما صار له بسبب رجوع
تلك البحرية **واما اخبار** البحر الهندي وهو البحر الثالث ومخرجه من البحر المحيط ايضا
ثم يمتد من الغرب الى الشرق ويخرج منه اربعة خلجان وخليج يمتد خلف ارض الهند ويسمى
من نحو الف وسبعماية ميل وخليج يمتد الى ابله ويقال ان بهذا الخليج الف وثلاثماية
وسبعون جزيرة عامرة بالسكان ومقداره ثمانية الاف ميل وقيل اكثر وعرض القنا
وسبعماية ميل وبه من العجايب ما لا يحصى **قيل** ان في بعض جزايره جزيرة بها سكان مثل
الوحوش ووجوههم مثل وجوه البغال وجسدهم مثل جسد بني ادم وبها يوجد ابن
التي منها عنبر الخام **وقد روي** في بعض الاخبار ان دابة العنبر كانت من اعظم دواب
الارض وكان طولها نحو ماية ذراع فصارت تفسد الاشجار وتاكل الزروع فساقها
جبريل عليه السلام حتى قذفها في البحر المحيط فصارت من دواب البحر فتطلع الى الجزاير
وترعى من الاعشاب فتقذف من بطنها عنبر الخام فيوجد في هذه الجزاير **وقيل** انها
تقذف من بطنها في كل يوم قدر خمسماية رطل ويوجد في هذه الجزاير دابة الزباد وهي مثل
الهرة والزباد من عرق ابطها **ويوجد** في هذه الجزيرة العود القماري وهو من اخشاب تلك
الجزاير وليس له هناك رايحة طيبة **ويوجد** في هذه الجزاير احجار براقة لها لمعان نور
يتلالا ومن شان هذه الاحجار اذا نظر اليها انسان اخذه الضحك فلا يزال يضحك حتى يموت
او يكاد من شدة ضحكه وهذه الجزاير صعبة المسالك لما فيها من السباع والنمور والفهود
والوحوش الكواسر وفيها ليوث كثيرة وضررها شديد قيل ان الله تعالى قلل من نسلها
فكانت اللبوة تحمل في كل سبع سنين مرة واحدة واذا حملت اقامت سبع سنين حتى
تضع **ومما نقل** ان الفيل اذا طلب النكاح لا يعلو فيلته بل يحك جنبها بجنبه فاذا امنى
ياخذ منيه بزلومته ويضعها في فرج الفيلة فتارة تحمل وتارة لا تحمل ومنهم من قال غير ذلك
ايضا والله اعلم بحقيقة ذلك **ويوجد** في هذه الجزاير شجر الخيزران وشجر الابنوس
وفيها احجار اذا نقعت في الزيت فتتقد مثل الفتيلة ولا تطفى واما البحر الزنجي وهو

البحر الرابع فماده من البحر المحيط ايضا وهذا البحر ينتهي الى بلاد الحبشة والى خلف بلاد رومية
وهو صعب المسالك لا يعرف له منتهى الى بلاد الحبشة وفي احدى جزايره اشخاص متوحشة
تسمى الغيلان وهي تقرب من شكل بني ادم ولا تظهر الا بالليل وتكسر كل من تراه واذا جرى
لا تلحقه الخيل الغايرة ولا يؤثر فيه وقع السهام ويتناثر من فيه شرار النار واذا اطلع عليه
النهار يختفي في مغاير هناك الى الليل **وفي بعض** جزايره ينطين عظيم الخلقة حتى قيل انهم يعملوا
من صنف البنطينة مركب صغار يتطوفون فيه الى البر وفي هذا البحر امم على صور مختلفة
ما بين رجال ونساء وفيهم من هو اقرع وله لحية بيضا يسمو شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلب
والخنزير والقط والدب والحمار والبقر والغنم وغير ذلك مما في البر **واما البحر الرومي**
وهو البحر الخامس وماده من البحر المحيط ايضا وتمتد من افرنجيه والشام وينفصل بطرطوس
وهي خمسة الاف ميل وعرضه سبعماية وستون جزيرة عامره يسكنها امم من بني الاصفر
وغيرهم **ومن عجايبه** ان في بعض جزايره تطلع في كل سنة دابة من البحر تشبه البقرة
وفيها روح الى البر فتمكث ساعة ثم تضطرب فتموت فتصير فطعة زفت فيبيعونها
اهل تلك الجزيرة العزيزة فيطلوا بها المراكب **وقال** ابن عبد الحكيم في اخبار مصر ان
الذي خرق خليج هذا البحر واجرا منه الماء هو الاسكندر والقرنين لما غزا البربر وغيرهم
من الجبابرة وكانوا قاطنين مكان هذا البحر **وقال** علماء التفسير ان هذا المكان الذي فيه
النقب هو مجمع البحرين الذي تلاقا فيه موسى والخضر عليهما السلام كما ذكر في القران العظيم
اقول وقد كانت ملوك الافرنج تسمع باخبار هذا النقب قديما وانه ينفذ الى بحر
الهند فكانوا يوصون اولادهم ان لا يغفلوا عن النقب بهذا النقب حتى يتسع فكانوا
يتوارثون العمل فيه جيل بعد جيل وامم بعد امم حتى اتسع هذا النقب وصار يدخل
منه المراكب الكبار وذلك في اوايل قرن الماية العاشرة فصادت طايفة من الفرنج يقال لهم
البرتغال يدخلون الى بحر الهند في مراكب كثيرة نحو من ثلاثين مركب وهي مشحونة بالمدافع
والسلاح والمقاتلين وصاروا يحاربون على المسافرين في البحر من التجار ويأخذون ما معهم
من البضايع واستطالوا على ملوك الهند وملكوا منهم عدة ضياع من بلاد الهند فارسل
الملك الاشرف قانصوه الغوري تجريده في مراكب صحبة الامير حسين فكسرهم العسكر
المصري وكسبوا منهم مراكب مشحونة بالمال والسلاح والقماش وغرق منهم مراكب كثيرة
بعد ان كسرت بالمدافع **واما البحر السادس** وهو بحر طبرستان وطوله من المشرق الى المغرب
ثمانماية ميل وعرضه ستماية ميل ومادته من البحر المحيط وفيه عشرين جزيرة منها ما هو
مسكون ومنها ما هو خراب **ومن عجايب** هذا البحر في بعض جزايره جزيرة فيها شجرة
تثمر شبه اللوز وله قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضرا وهي مطوية مكتوب فيها
بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله وهي كتابة واضحة جيدة وبها شجر لها اوراق
كبار قدر ورق القلقاس مكتوب على كل ورقة بخط شديد الخضرة اشد من لون الورق

لا اله الا الله محمد رسول الله **وقيل** ان عبدة الاوثان من قديم الزمان قطعوا اهل الشجرة
فنبتت من ليلتها ثم عمدوا الى رصاص وذوبوه واقلبوه في جذرها فانزع من حولة ذلك
الرصاص اربع جذوع من تلك الشجرة فعجزوا فتركوها **وفي بعض** جزايره وحش يشبه خلق
ابن ادم الى القامه وطوله عظيمة واحدة وان اهل تلك الجزيرة يرمون عليه بالنشاب
ليصيدوه فلا يؤثر فيه النشاب ويولي عنهم ويشتمهم بالفارسية واذا جرى لا تلحقه الخيل
الغايرة وفي بعض الكتب انهم ثلاثة اعين فالله اعلم بين حواجبهم انتهى ذلك **واما البحر السابع**
المسمى بالزفتي لتكدير ماية وماده من البحر المحيط وهو كره الرايحه وخيم الهوى وقيل ان
النيل يخرج من هنا على الجبل القمر ويشق على هذا البحر الزفتي فيصير لونه كالحبر لا يبقى على
اللون الاسود وهذا البحر قليل المسالك ولا يرى فيه شمس ولا قمر بل يظهر منه بعض
شعاع عند استوى الشمس وبه جزاير يطلع فيها قصب فارسي يدخل في جوفها الجمل
بحمله وبهذا البحر اسماك كبيرة تبلع المراكب انتهى ما اوردناه من اخبار البحار السبع
وذلك على سبيل الاختصار قال ابن عباس رضي الله عنه ان البحار كلها كانت حلوة عذبة
وانما ملح ماؤها من حين بعث الله تعالى الطوفان الى الارض في زمن نوح عليه السلام **ذكر
اخبار الانهار والبحيرات** فاما البحيرات المشهورة فمنها بحيرة السودان
ببلاد المغرب وبحيرة الفيوم وبحيرة نستراوه وهي بين الاسكندرية ورشيد وبحيرة
دمياط وتنيس وبحيرة زغر التي ماؤها منتن وخيم ومنها الى نهر الاردن وهو نهر
الشريعة وبحيرة طبرية المنسوبة الى البلدة هناك وهي خراب على شاطيها الغربي وفيها
حمام ماؤها حار من عند الله تعالى **قال** الثعلبي في قصص الانبيا ان هذه الحمام
بناها سليمان بن داود عليه السلام وكانت من جملة عجايب الدنيا حتى من عجايب الدنيا
ثلاثة منارة الاسكندرية وحمام طبرية وجامع بني امية وكان ماء هذه الحمام يخرج من
اثني عشر عينا فكان كل عين مخصوص بمرض من الامراض فاذا اغتسل منها صاحب ذلك
المرض عوفي باذن الله تعالى وكان ماؤها شديد الحرارة وصافي اللون ولم تزل هذه الحمام
عامره على ما ذكرناه حتى خربها بخت نصر لما استولى على البلاد وبحيرة بانياس الكبيرة التي
يخرج منها عدة انهار وبحيرة البقاع قريبا من بعلبك ودمشق وبحيرة القدس وبحيرة
حمص وانطاكيه وبحيرة دست ارزن بالقرب من شيراز وبحيرة خوارزم وماؤها مالح
وبحيرة ارجيس وهي تعرف باخلاط وماؤها مالح ايضا وهي بحيرة كبيرة دورها مسيرة
اربعة ايام وهذه البحيرة يصاد منها السمك المعروف بالطاريخ الذي يحمل منه الى ساير البلاد
قال ابو يعقوب الصياد كنت اصطاد يوما في بحيرة ارجيس فطلعت منها
سمكة فرايت على جنبها الايمن مكتوب لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر مكتوب محمد رسول
الله فلما رايتها كذلك قذفتها في الماء قبل ان تموت احتراما لها انتهى **ذكر اخبار
الانهار** والمشهور منها وهي الدجلة وسيحان وجيحان والفرات والنيل فاما الدجلة

جزايره جو

فيقال ان الذى احتفرها واجرى اليها الماء من الفراة هود النبى عليه السلام **قال** بعض الحكما ان الشرب من ماء الدجلة يضعف قوة الرجال ويزيد فى شهوة النسا ويقطع نسل الجمل حتى ان جماعة من العرب كانوا لا يسقون منها جمالهم واما مجراها فانها تجرى من بلاد امد الى ديار بكر وهى اعين من بلاد خلاط ومقدار جريانها على وجه الارض ثلاثماية فرسخ وقيل اكثر ومن عجايب الدجلة المد والجزر الذى يكون دايما مع الريح كل يوم **واما اخبار** الفراة فيذرها من بلاد قالى قلا من ثغور ارمينيه من جبال هناك تدعى ابو دخس على يوم من بلاد قال قلا ومقدار جريانها على وجه الارض نحو خمسماية فرسخ وقيل اكثر والانجربانها من شمالى الارزن من بلاد الروم من جهة الشرق ولا تزال تجرى على وجه الارض حتى تخرج الى فضاء العراق ثم يصب فى بطايح بحار فيخرج منها انهار كثيرة معروفة فى تلك الجهات

قال ابن الوردى رحمه الله تعالى ٥ ان للشام فراتا ٥ لم تفضل مصر اليها ٥ كم بمصر فى وجود نقص النيل عليها ٥ وقد فضل الفراة على النيل واما نهر سيحان وجيحان اعلم ان سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون قال النورى فى شرح مسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفراة والنيل كل من انهار الجنة - **قال** كعب الاحبار ان النيل يصير نهر العسل فى الجنة والفراة يصير نهر الخمر فى الجنة وسيحان يصير نهر الماء فى الجنة وجيحان يصير نهر اللبن فى الجنة وقيل ان عناصر هذه الانهار الاربعة تجرى من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس والله اعلم بذلك **فايدة** وهى ان الدابة اذا اصابها المغل يكتب على قوايمها الاربعة سيحان جيحان النيل الفراة فانها تبرا من ساعتها وقد جرب ذلك وصح **واما نهر المهران** بارض الهند قيل انه فرخة من النيل وقد استدلوا على ذلك بان فيه التماسيح والضفادع والبجاة يعنى الزنبور وهى لا توجد الا فى بحر النيل **واما نهر العوجا** ويسمى ايضا بنهر ابى فطرس وهو من شمال مدينة الرمله ومجراه نحو اثنى عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهى حتى يصب فى البحر الرومى **واما نهر الاردن** وهو نهر الغور نهر الشريعة وينتهى الى بحيرة طبريا وقد عد الدجلة ايضا من جملة الانهار وانها تجرى من بلاد الروم الى ان تمر من على امد وحصن كيف والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة وتنتهى الى بحر فارس وقد تقدم **واما نهر حماه** المسمى بالعاصى فانه يجرى من جهة الجنوب الى الشمال بخلاف غيره من الانهار وانه لا يسقى الا بالنواعير بخلاف غيره ومنه فرقة تمضى الى بعلبك وينتهى مصبه الى البحر الرومى وقد قالت الشعرا فيه ومن ذلك قول القايل ٥

٥ ناعورة فى النهر ابصرتها ٥ تشوق الدانى والقاصى ٥
٥ قد نبهتنا للهدى والتقى ٥ لانها تبكى على العاصى ٥
٥ اضحت حماه للورى جنة ٥ يدخلها الدانى مع القاصى ٥
٥ ولم يكن يسمع من قبل ذا ٥ بجنة فى وسطها عاصى ٥

قال بعض

قال بعض الحكما وكان من تمام حكمة الله تعالى حيث جعل الانهار الحلوة جارية والبحار المالحة راكدة لان ركودها لا يضر فهذه حكمة لا تدرك قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان **ذكر اخبار النيل المبارك** قال الواقدى ان معاوية بن ابى سفيان قال يوما لكعب الاحبار هل تجد للنيل ذكرا فى كتاب الله تعالى يعنى فى التوراة فقال اى والذى فلق البحر لموسى انى لاجد فى التوراة ان الله تعالى اوحى للنيل عند ابتدا ان الله يامرك ان تجرى حيث شاء الله تعالى ثم يوحى اليه عند انتهائه ان الله يامرك ان ترجع راشدا حيث شا الله يعنى يوحى اليه عند ابتداء زيادته وعند نقصانه **فصل** فى بيان المكان الذى يخرج منه النيل **قال** المسعودى فى مروج الذهب نقل صاحب الاقاليم السبعة ان اصل خروج النيل من جبل القمر من عشرة اعين فتجتمع كل خمسة اعين فى بطيحة هناك فتمتلى كل بطيحة وذكر ان ضفة جبل القمر خلف خط الاستوى الذى يستوى فيه الليل والنهار دايما **وقال** المسعودى ان النيل يجرى على وجه الارض الف فرسخ فى عمار وخراب حتى ياتى الى بلاد اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تنتهى المراكب من فسطاط على اميال من اسوان جبال واحجار يجرى النيل فى وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع فارق بين سفن الحبشة وبين سفن المسلمين ويعرف هذا الموضع بالجنادل والصخور ثم ان النيل ينتهى فيصب فى البحر المالح عند دمياط ورشيد والاسكندرية **وقال** الكندى ان النيل يخرج من قبة من الزبرجد ويمر على ارض ينبت فيها قضبان الذهب فيفترق من هناك نهرين احدهما يجرى الى ارض الهند ويسمى نهر مهران والاخر يجرى الى ارض الزنج **وقال** هو مما يخرج من اصل هذه القبة الزبرجد اربعة انهار وهى سيحان وجيحان والفراة والنيل **ومما حكى** ان ملك نتروايش الجبار بن مصرايم توجه الى منبع النيل لحفره واصلح مجراه وكان ينبطح فى الارض ويتفرق سيحه فهندسه وساق اليه عدة انهار وعمل هناك تماثيل كثيرة من نحاس عدتها خمسة وثمانون تمثالا جامعة يخرج من افواهها ماء النيل وجعلها قياسا معلوما بمقاطع واذرع ودبرها ليكون فيها الصلاح ولولا ذلك لاغرق النيل بلاد كثيرة وقيل لولا ان البحر الزفتى الذى يمر ٥ فيه بحر النيل فيكتسب من ملحه لشرب الناس من النيل ماء احلى من العسل وابيض من اللبن وقال بعض الحكما لولا بمصر الليمون لوم اهلها من حلاوة النيل لان حموضة الليمون تمنع تميع الصفرا **وقال** الكندى ان النيل يمر على ستين مملكة من ممالك الحبشة والزنج **وقال** ابن زولاق فى تاريخه ان بعض الملوك امر اقواما بالمسير الى حيث يجرى النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عالى والماء ينزل من اعلاه وله دوى لا يكاد احد يسمع صوت صاحبه من دوى الماء ثم ان احد القوم تسبب فى الصعود الى اعلا الجبل لينظر ما وراء ذلك فلما وصل الى اعلاه ضحك وصفق ثم مضى فى الجبل ولم يعد ولم يعلم ما شانه ثم ان رجلا اخر منهم صعد فصار له مثل الاول فصعد رجل ثالث وربط نفسه وقال لاصحابه ان انا فعلت كما فعل اصحابى ومضيت فى الجبل فاجذبونى فلما وصل الى اعلا الجبل

داراد ان يفعل مثل اصحابه الذين مضوا اجذبوه بالحبل فرده مفقود اللسان فمكث ساعة
ومات فرجعوا القوم ولم يعلموا اما وراء ذلك الجبل وقال الامام الليث بن سعد
رضى الله عنه بلغنى ان رجلا يقال له حامد بن ابى سالم من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم خرج هاربا من بعض الملوك الجابرة فلما وصل الى مصر ورأى النيل
وحلف على نفسه لا يفارق حافة النيل حتى ينتهى الى مبتداه او يموت فسار نحو ثلاثين سنة
حتى وصل الى جبل القمر فاذا هو برجل قائم هناك يصلى تحت شجرة تفاح فدنا منه وسلم عليه
واستأنس به وقال له من انت فقال انا ابو العباس الخضر ثم ان الخضر قال له وانت ما
اسمك وما حاجتك فقال له اسمى حامد من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل جئت فى
طلب معرفة منتهى النيل فقال له الخضر عليه السلام ستمر على حية ترى اخرها ولا ترى اولها
فلا يهولك امرها فهى دائرة معادية للشمس اذا اطلعت الشمس اهوت اليها لتبلعها فاذا
هوت فاركب ظهرها فانها تلقيك الى جانب البحر الزفتى فسر فى بريه فتنتهى الى ارض
من ذهب وبها جبال واشجار فلما فعل حامد ما قال له الخضر عليه السلام حتى انتهى الى ارض
الذهب فوجد قبة من ذهب ولها اربعة ابواب والماء ينسكب من اعلا الى تلك القبة
والماء يتحدر راجعا من تلك القبة متوجها الى الاربعة وهم سيحان وجيحان والفراة والنيل
فاراد حامد ان ينتهى الى ما وراء تلك القبة فاتاه ملك وقال له قف يا حامد مكانك
فقد انتهى اليك علم هذا النيل ولم يبق وراء ذلك الا الجنة فقال له حامد اريد ان انظر
الى الجنة فقال له الملك انك لا تستطيع ذلك فجلس حامد على شاطئ النيل وشرب من مائه
فوجده احلا من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج كما قيل فى المعنى

نيل مصر من باب الجنان ۞ يجرى وماؤه يحيى القصون
فيا لعيون اذا ابيسر ۞ قلما ترى مثل العيون

ويقال ان حامد راى الفلك تدور وفيه الشمس والقمر والنجوم وهو شبه الرحا وقيل
ان ذلك الملك اتى الى حامد بعنقود من العنب من الجنة وهو على ثلاث الوان اخضر كالزبرجد
واحمر كالياقوت وابيض كاللؤلؤ وقال له هذا من حصرم الجنة ثم ان حامد رجع من هنالك
الى شاطئ البحر الزفتى وركب على تلك الحية لما اهوت الى الغرب لتلتقم الشمس كما هو من
دابها فى كل يوم فنفذ منه الى جانب النيل فاقبل على الخضر عليه السلام واخبره بجميع ما رأى
قيل ان حامد بعد ذلك لم ياكل من اكل الدنيا لانه اكل من ذلك العنقود فصل فى
فى بيان زيادة النيل ونقصانه قال المسعودى زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الامطار
قال الكندى يستمر فى بلاد الحبشة المطر ليلا ونهارا لا ينقطع فى مدة زيادة النيل
قال المهتدى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ان الله تعالى سخر كل نهر يجرى على وجه
الارض من المشرق والمغرب ان يعطى من مايه للنيل ايام زيادته فيمتد من مياه الانهار
فاذا انقضى ايام زيادته امر الله تعالى كل نهر ان يرجع الى عنصره ومصداق هذا الخبر ان النيل تحت العنـ

لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا انقصت الانهار كلها واذا زادت نقص هو فصح انه
يمتد بمياهها والله اعلم وقال المسعودى ليس فى الدنيا نهر يزيد بترتيب وينقص
بترتيب غير النيل وفى ذلك يقول القائل

كان النيل ذو فهم ولب ۞ لما يبدو لعين الناس منه
فياتى عند حاجتهم اليه ۞ ويمضى حين يستغنون عنه

وقال ايضا

انظر الى النيل السعيد وتداقى ۞ فى عسكر الموج المديد معصيا
حصر البلاد فسلمته ارمتها ۞ فكسى ثراها جنة ولى سندسا

ذكر اخبار الجبال

قال الشيخ ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ان الذى عرف من الجبال
فى سائر اقاليم الدنيا مائة وثمانية وتسعون جبلا فالمشهور منها ما سنذكره اخرج بن ابى الدنيا
فى كتاب الورع ان اول جبل وضع على وجه الارض جبل ابى قبيس الذى بمكة وقال الواقدى ان
جبل قاف ام الجبال وقد جعل الله تعالى لكل جبل من جبال الدنيا عروقا متصلة به وروى فى بعض
الاخبار ان الله تعالى وكل بجبل قاف ملكا عظيما يقال له قاف فاذا اراد الله تعالى يزلزل الارض
او يخسف امر ذلك الملك الموكل بهذا الجبل ان يحرك عرقا من عروقه المتصل بتلك الارض
فتتزلزل او تخسف باهلها قال كعب الاحبار رضى الله عنه ان خلف جبل قاف سبعون الف
ارض من فضة ومثلها من حديد ومثلها من مسك وهى مسرجة بالنور وسكانها ملائكة ولا يرى
فيها شمس ولا قمر ولا حر ولا برد وطول كل ارض عشرة الاف سنة وخلف ذلك كله بحار
مظلمة وخلف ذلك بحار من ريح وخلف ذلك حية عظيمة محيطة بجميع الدنيا تسبح الله
الى يوم القيامة وروى فى بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله
تعالى ارضا بيضاء من الفضة وهى قدر الدنيا ثلاثين مرة وبها امم لا يعصون الله تعالى
طرفة عين قالوا الصحابة يا رسول الله امن ولد ادم قال لا يعلمون ان الله تعالى خلق ادم قالوا
يا رسول الله اين ابليس منهم فقال ولا يعلمون بابليس ثم تلا قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
قال وهب بن منبه ان بالمغرب من جبل قاف ارض رجراجيه لا تستقر عليها الاقدام
وبها صنم من نحاس وهو مارد يده الى وراءه كان يقول ليس ورائى مسلك لاحد واما
جبال الجودى الذى رست عليه سفينة نوح عليه السلام فانه من جبال الموصل وروى فى بعض
الاخبار ان الله تعالى اوحى الى الجبال انى مرسى السفينة على جبل منكم فتشامخت الجبال
كلها الا جبل الجودى فانه تواضع وخر ساجدا لله تعالى فبذلك نال ان ارسى الله السفينة
عليه ويقال ان حجارة الكعبة نقلت من جبل الجودى واما جبل الراهون وهو الذى اهبط
عليه ادم عليه السلام لما اخرج من الجنة ويرى فى هذا الجبل اثر اقدام ادم عليه السلام وهى
مغروسة فى الحجر وطولها نحو من عشرين ذراعا ويرى فى ذلك المكان نور ساطع لا يذهب
ليلا ولا نهارا وهذا الجبل محيط بارض الهند مشرف على وادى سرنديب وان اهل تلك
النواحى اقوام يقال لهم البرهمة يقرون لله تعالى بالوحدانية ويجحدون الانبيا

وهم عراة الاجسام ولهم شعور تغطي عوراتهم وطعامهم من اشجار تلك الناحية وشرابهم
من عيون هناك وبهذا الجبل دابة تسمى الكركند مشهورة هناك وهذا الجبل معدن
الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وبه حجر الماس وحجر السنباذج وغير ذلك من المعادن
الفاخرة وبتلك الارض انواع الطيب والسنبل والقرنفل ويقال ان الياقوت حصى في ذلك
الجبل تحدره مع السيول او يذبح اهل تلك النواحي شيا من الحيوان ويقطعون لحمه
قطعا قطعا ويتركونه للنسور فتاخذه وتطير به الى ذلك الجبل فيضعونه على الحصى فتاتي
اليه نسورا قد رمن الاولين فيخطفونه فربما يتعلق بذلك اللحم شيء من الياقوت
فيرقبونه وياخذونه بهذه الحيلة وهذا الجبل لا يقدر احد من الناس يصعد اليه لصعوبته
وبه حيات عظيمة تبلع الادمي فلم يكن لها الغرم وقال ارسطاطاليس ان السفن في بحر الهند
اذا قربت من هذا الجبل تتاثر ما بها من مسامير الحديد بجميعها وتاتي حتى تلصق بهذا الجبل
لان حجره المغناطيس **واما جبل القمر** فقد تقدم ذكره في خبر النيل وقال ارسطاطاليس بناحية
المشرق الصيني جبل عالي شاهق في الهوى لا تغيب عنه الشمس الا بعد مضي ثلاث ساعات
من الليل وتطلع عليه الشمس ايضا قبل طلوعها على غيره بثلاث ساعات **واما جبل الفتح**
ببلاد التتر فيسكنه امم من قبائل التتر نحوا من سبعين امه وكل امه لهم لسان غير الاخرين
ومن العجايب انه ببلاد سمرقند
وهو جبل عالي وفيه مغاير ومغار وزوايا وبه شي كثير شيد
جبل فيه اعجوبة وهي مغار تدخلها الناس ويمشون تحت الارض ساعة من نهار ثم يخرجون
من تلك الظلمة فيجدون الفضا وفي ذلك المكان بحيرة عذبة المياه وحول تلك البحيرة
بيوت اناس وهم قاطنون هناك وفي ذلك المكان مسجد وكنيسة فان كان الداخل اليهم
مسلما اتوا به الى المسجد وان كان نصرانيا اتوا به الى الكنيسة وفي ذلك المكان مغارة
فيها موتى وقد بقوا جلودا وعظاما وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شي وعليهم
اثيابا من قطن وكفونهم مفتوحة كانهم يصافحون من ناسهم وعلى رؤسهم عمايم وهم واقفون
على ارجلهم وظهورهم الى حايط تلك المغارة فمنهم على وجوههم اثر ضرب السيوف وفي
اجسادهم اثر الطعن بالرماح ومنهم من قطعت اصابعه ومنهم من راحت احد شفتيه
ومنهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهناك تابوت فيه امراة وعلى صدرها
صبي صغير وحلمة ثديها في فمه وهناك سرير عليه اثنى عشر رجلا نيام على ظهورهم وبينهم
صبي مخضب بالحنا يديه ورجليه ولم يثبت لهولاء القوم خبر فمن الناس من يقول
انهم من شهداء المسلمين قتلوا في زمن عيسى عليه السلام ومنهم من يقول قتلوا في زمن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذكر اهل تلك الناحية ان في كل سنة يكسونهم الاثواب
ويقلمون اظفارهم ويحلقون رؤسهم وهم عظام عليها جلود لا ارواح فيهم وهذا
من العجايب انتهى **واما** جبل كورة رستم من اعمال المشرق فيه اعجوبتان وهو ان فيه غار
اذا دخل اليه الانسان وجد فيه حزمة من الحطب عددها خمسة عشر قضيبا لا يدري

مناي بجرهم

مناي بجرهم فاذا اخذها وذهب بها سقطت مكانها حزمة غيرها مثلها في الحال ولو
تكرر اخذها في اليوم الف مرة سقط غيرها دايما ابدا لا ينقطع ذلك على ممر الدهور
وفيه مغارة ايضا فيها عظم ميت وهو واقف في المغارة فياتي اليه الانسان فيقلبه على
الارض ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان اولا وربما اخذ الفارس وساق به فاذا وضعه
على الارض لم يجده فيسوق فرسه نحو المغار ويدخل فيجد العظم قد سبقه الى مكانه واهل
تلك الناحية يسمونه الشهيد **واما** جبال مكة فيها جبل حرى وجبل ثور الذي به الغار
وجبل ثبير وجبل مقوح الذي بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المخنا وغير ذلك
من الجبال **ومن العجايب** ان جبلا بمدينة امد فيه صدع فمن اولج سيفه في ذلك الصدع
ثم يقبض عليه بجميع يديه فيضطرب السيف في يده ولو كان اشد الناس قوة لم يقدر
على امساكه **واما** جبل قاف فابتداه من كتف السد الذي على ياجوج وماجوج وينتهي
الى ارض الصين **واما** جبل الجرد عند بحر الظلمات ومن عجايبه ان به اناسا اعينهم في
مناكبهم وافواههم في صدورهم وليس لهم اكل سوى السمك دايما ويقال ان عندهم
بدلا فابد روه في نسخ ذلك الجبل ينبت ظهر نبات كالخروف وليس فيه دسم
ولا طعم لحم واما جبل العروف بكرستان ومبتداه من وراء بلاد الكرد وهذا الجبل تاوي
اليه الوحوش الضارية مثل السباع والكركند **وَامّا** جبل اللكام بارض دمشق فمبتداه
من مكة ومدينة يثرب ويسمى هناك بجبل مقوح ثم يمتد هناك حتى يصل الى دمشق
ويسمى هناك جبل لبنان وجبل الثلج ويتصل هذا الجبل بانطاكيه والمصيصه ويتصل
ببحيرة طبرستان عند باب الابواب ويمتد الى صعيد والمتصل منه الى دمشق المطل
عليها يسمى بجبل قاسيون ثم يمتد الى بعلبك ويسمى هناك جبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس
والى حصن الاكراد ويتصل الى حمص من غربيها ويسمى في هذه الاماكن بجبل اللكام
ولا يزل هذا الجبل يمتد الى ان يتصل بجبال الروم ويقال ان هذا الجبل ياوي اليه نوع
القاقم وهو شي يشبه الفيران يترباني البر فيصيدونه ويبيعونه بالشرك ونقل صاحب
البداه ان بنواحي دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف به انسان
ونظر اليه وانشد عنده هذين البيتين وهما

ياساكنا بالجبل البلقعي ❁ ويا دبا رالظاعنين اسمعي
ماهج بارى و كمنها ❁ دباد من اهوى فتوحي معي

فاذا انشد ذلك يتمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب بذكر حبيبه وقيل ان
الناس يقصدونه وقت القايلة في شدة الحر وليس ثم هوى ويشد ون عنده هذين البيتين
فيرون عنده ذلك التمايل وان لم ينشد وهم فهو ساكن لا يتحرك وهذا من العجايب
ويقرب من هذه الحكاية ما حكاه ابن وصيف شاه في اخبار مصر ان في نواحي الصعيد
شجرة اذا وضع احد يده عليها وقال يا شجرة العباس جاءك الناس فتجتمع اوراقها وتذبل

فاذا قال لها بعد ذلك عفونا عنك فتتراجع الى ما كانت عليه من النضارة و البهجة
وهذه الشجرة تشبه شجرة الصنط وهي مستديرة الاوراق بهية المنظر **واما جبل**
طورسينا فقيل هو جبل بالقرب من عقبة ايلا وقيل ان به قبر هارون اخي موسى عليهما
السلام **واما** في جهات الصعيد جبل فيه عدة جبال صغار وكبار ويوجد فيه مقاطع
الرخام السماقي و الزرزوري و البنتقي والابيض الصعيدي وقيل ان في البهنسا
جبل فيه مغاير ويوجد فيه الزمرد الذبابي ولم يزل يوجد هناك الى القرن السابع
ثم انقطع وجوده **واما جبل الطير** فهو بصعيد مصر بالقرب من قرية يقال لها اشمون
مطل على النيل وقيل ان العجب بذلك انه في اواخر فصل الربيع في يوم معلوم من
السنة تاتي اليه طيور كثيرة بلق سود الارقاب مطوقات بالبياض وفي اصواتها
بحاحة اذا طارت تسد الافاق يقال لها طير البح فيقصدون مكانا في هذا الجبل فيبرز
منها طاير فيضرب بمنقاره في مكان مخصوص في اعالي الجبل فان تعلق بمنقاره تفرقت الطيور
وان لم يتعلق جاء طاير غيره وضرب بمنقاره في ذلك المكان فان تعلق تفرقت الطيور
فلا يزال يضرب واحد بعد واحد حتى يتعلق واحد فتتفرق الطيور ولا تعود الى السنة
القابلة وهذا مشهور عند اهل تلك الناحية وقيل ان كانت السنة مخصبة تعلق طيرين
وثلاث وان كانت مجدبة لم يتعلق شي **واما جبل المقطم** فاوله بالمشرق من نواحي
الصين ويمر على بلاد التتر حتى يصل الى مدينة فرغانة والى جبال البتم ويتصل بجبال
القلزم قال بعض العلما انما سمي بالمقطم لان القطم في اللغة هو القطع وهذا الجبل مقطوعا
من الاشجار و النبات وروي عن امام الليث بن سعد رضي الله عنه انه قال لما قدم
عمرو بن العاص الى فتح مصر فتحها وسار الى الجبل المقطم وكان صحبته المقوقس عظيم
القبط صاحب مصر فقال عمرو بن العاص ما بال جبلكم هذا اقرع ليس به نبات ولا اشجار
فقال له المقوقس انا راينا في كتبنا القديمة انه كان اكثر الجبال نباتا واشجارا فلما
كانت الليلة التي كلم الله تعالى فيها نبيه موسى عليه السلام اوحى الى الجبال اني مكلم
نبيا من الانبيا على جبل منكم فتشمخت الجبال كلها الا جبل بيت المقدس فانه هبط وتصاغر
فاوحى الله اليه لم فعلت ذلك فقال اعظاما واجلالا لك يارب فامر الله تعالى
كل جبل على وجه الارض بان يمده بما عليه من الاشجار فجاد له الجبل المقطم بكل ما كان
عليه من الاشجار و النبات وكان اكثر الجبال اشجارا ونباتا فاوحى الله تعالى اليه اني
معوضك على فعالك هذا بغراس الجنة وهم المومنون من امة محمد صلى الله عليه وسلم
ويروى ان كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه قال لرجل من اصحابه يريد التوجه الى مصر
اذا جيت الى بيت المقدس فاصحب لي معك شيا من تراب جبلها المقطم ففعل الرجل ذلك
فلما دفع اليه تراب المقطم اودعه عنده في جراب واوصاه اذا مات يفرش ذلك التراب
في قبره للتبرك به فلما مات فعل ما امر به **واما الجبل الاحمر** فانه متصل بالجبل المقطم

مطل على القاهرة من شرقيها ويعرف بالجبل اليحموم واليحموم عند العرب هو الاسود وقد
قال الله تعالى عن اصحاب النار في ظل من يحموم وقال الكندي ان بمصر ثلاث جبال صغار
احدها يسمى الشرف وهو الذي وضعت عليه القلعة وسميت قلعة الجبل وهو من
جملة جبل المقطم والثاني وهو جبل وضع عليه جامع احمد بن طولون ويسمى جبل يشكر
قيل ان موسى ناجا ربه عليه واما الجبل الثالث وهو المطل على بركة الحبش الذي وضع
عليه الرصد يعرف به **واما جبل** الكبش فهو الذي عند الجسر الاعظم وكان قديما
يشرف على بحر النيل وهو متصل بجبل يشكر وانما سمي بجبل الكبش لان الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم لما نزلوا بمصر انزل كبشر رضي الله عنه باصحابه ونزل على هذا الجبل فسمي
باسمه **واما** جبل لوقا وهو غربي مصر قليل الارتفاع وبعضه متصل ببعض وهذا الجبل
ايضا اقرع لا نبات فيه وقاوه مالحة انتهى على سبيل الاختصار **ذكر عجايب
البلدان وما فيها من الحكم قال** القضاعي ان من المباني العجيب مدينة دوميه
قيل ان دورها عشرون فرسخا وعليها ثمانية اسوار من حجارة الصوان الصلد وهي على جبل
داخل البحر المالح وهو محيط بها وقيل ان الجن بنتها لسليمان بن داود عليه السلام وحول
هذه المدينة خندق من النحاس عمقه اربعون ذراعا وعرضه مثل ذلك وعليه الواح من
نحاس كهيئة الطوارق طول كل لوح خمسون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وغلظه ذراعين
وجعلوا في اول هذه المدينة الى اخرها اعمدة من النحاس الاصفر وعلى تلك الاعمدة مجراه
من النحاس قدر الخليج يجري فيه ما من البحر المالح وتدخل فيه السفن بما فيها من البضايع
وبهذه المدينة اربعماية منارة من الذهب الاحمر طول كل منارة ماية ذراع وهي حول
الكنيسة الكبيرة وبها مكان مربع وعليه درابزون من ذهب ويقولون ان به ملكا من
الملايكة مقيم لا يبرح ابدا وبها جثة بطرس وبولص من حواري عيسى عليه السلام وهم
في توابيت من ذهب معلقين بسلاسل من فضة في هذه الكنيسة وكان حولها الف وماتين
كنيسة يسكنها الرهبان وهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا مصفحة بصفايح الذهب
والفضة وفي داير المدينة الف باب من النحاس الاصفر والابنوس وفيها مايدة سليمان
ابن داود عليه السلام وهي من الزمرد الاخضر وطولها ذراعين وعرضها ذراعا محمولة
على اثني عشر تمثالا من الذهب باعين من الياقوت وهي تضي كالسراج واما صنعة
مدينة رومية فاسواقها وشوارعها مبلطة بالرخام الابيض وبها من العجايب ان
في ليلة الشعانين يفتح في الكنيسة الكبرى كوة فيخرج منها تراب ابيض كثير فيذخره
الرهبان ويفرقونه في جميع سنتهم وانه ينفع للسموم ولسع الحية والعقرب ومن
خاصية هذا التراب اذا ذهب نفع واذا بيع بطل نفعه وكان بهذه المدينة صخرة من
رخام ابيض ولحضر عليها كتابة بالقلم القديم ومن خصايص هذه الصخرة من ضاع له
ضايع او سرق له متاع او ابق له آبق فياتي هذه الصخرة وينام عليها فيرى في منامه

كالماسرق او ابق او ضاع وبها من العجايب ايضا حجرا اذا وضع الانسان يده
عليها تقايا جميع ما فى جوفه واذا لم يرفع يده يموت من القى وبها ايضا من العجايب
شجرة من نحاس اصفر وهى ذات فروع وعليها هيئة طاير من نحاس كصفة الزرزور
فاذا كان اوان الزيتون صفر ذلك الطير النحاس صفيرا عاليا فياتى اليه كل زرزور
فى الدنيا ومعه ثلاث زيتونات ثنتان فى رجليه وواحدة فى منقاره فيلقون ذلك
على سطح الكنيسة الكبرى فيجمع الرهبان من ذلك الزيتون شيا كثيرا فيعصرونه
فيكفيهم زيته طول سنتهم اكلا وشعلا للعام القابل فيعملون كذلك وقيل اذا ادخلوا
الغلال فيها لا تتغير ولا تفسد ابدا **وقيل** بنيت مدينة رومية فى اربعين سنة
فى مكان معتدل غير وخيم

ذكر اخبار مدينة الاسكندرية

وما فيها من العجايب **قال** المسعودى هذه المدينة من اعظم مداين الدنيا واجلها وقد بنيت
بعد وقوع الطوفان على يد مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ثم خربت
من بعد ذلك فبنتها الملكة دلوكة ثم خربت من بعد ذلك فبناها الاسكندر ذو القرنين
وعرفت به **قال** ابن عبد الحكم فى اخبار مصر انما بناها الاسكندر بن فلبش
المجدونى وكان من اليونان **قيل** بناها شداد بن عاد **قال** بعض المفسرين ان الاسكندرية
هى ارم ذات العماد التى ذكرها الله تعالى فى القرآن **وقيل** ان الاسكندرية بنيت فى
ثلثماية سنة وسكنت فى ثلثماية سنة وخربت فى ثلثماية سنة **قال** ابن وصيف
شاة بنيت الاسكندرية ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وهى اثنى عشر فرسخ فى مثله
واقام لبنايها الف الف صانع وعمل فيها مسارب بقناطر تتصل الى بحر النيل **قال**
ابن عبد الحكيم لما اراد وان يبنوا اساس مدينة الاسكندرية كانت تخرج اليهم من البحر
صور على صفة السباع والدواب والكلاب والخنازير وغير ذلك فتهدم تحت الليل
ما تبنيه الرجال بالنهار فاعياهم ذلك فحضر اليهم بعض الحكما فعمل صورا من نحاس
كامثال ما يخرج من البحر ومثل بنى ادم من نحاس ورصاص ونصبها على شاطى البحر
فلما رات دواب البحر انتهت عن افساد العمارة ولم تعد تفعل شيا وهربت عن ذلك
المكان **قال** ابن عبد الحكيم اقامت الاسكندرية سبعين سنة لا يقدر احد ان يدخلها
الا وعلى عينيه شعرية او خرقة زرقا من شدة بياض حيطانها فانها كانت تخطف الابصار
وكان لا يوقد فيها سراج فى الليالى المقمرة وكانوا يخيطون ويصنعون فى تلك الليالى
بغير سراج وكانت عمارتها ممتدة من رمال رشيد الى برقة فيسير الراكب فى ظل
اشجار تستره من حر الشمس دايما وكان خليجها مفروشا بالبلاط الرخام الابيض
من اوله الى اخره واهلها فى صحة وسلامة وطول عمر من صحة هوايها واعتدالها
ولم تزل كذلك حتى فتحها عمرو بن العاص فى الاسلام

ذكر اخبار منارة الاسكندرية

قال المسعودى اختلف جماعة كثيرة من المورخين فى من بنا هذه المنارة

فمنهم

فمنهم من قال بناها الاسكندر بن فلبش الرومى وهو الاصح والله اعلم **قال** ابن
وصيف شاة كان فلبس الرومى من اليونان وكان راسه قدر القبة العظيمة وكان طوله
اثنى عشر ذراع ولما بنا هذه المنارة جعلها على كرسى من الزجاج كهيئة الجبل فى جوف
البحر وكان طول هذه المنارة اولا الف ذراع وكان فى اعلاها تماثيلا من نحاس منها تمثال
يدور مع الشمس حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر فاذا صار العدو قريبا من
البلد نحو يوم وليلة يسمع لذلك التمثال صوتا عاليا فيعلم اهل تلك المدينة ان العدو
قرب اليهم فيستعدون ويحضرون لقتالهم وكان هذا المنار مبنيا من الحجر
الصوان الصلد وبينها شى من الرصاص المذاب واساس المنار من قناطر من زجاج محكم
وهذه القناطر على سرطانات من الحديد وكان فى هذه المنارة ثلاثماية بيت بعضها فوق بعض
وكانت الدابة تصعد الى تلك البيوت وهى حاملة الماء وغيره وكان لهذه البيوت طاقات
تشرف على البحر الرومى وربما اتاه من يدخلها لكثرة بيوتها وطبقاتها حتى قيل ان دخل اليها
جماعة فتاهوا بها وفقد منهم واحد فهلك بالجوع والعطش وكان بها مجاهدون مرابطون
دايما لا يبرحون عنها وكان لهذه المنارة يوما يسمونه خميس العدس يخرج وزعيما
يخرج فيه سائر اهل الاسكندرية ويأكلون عند المنارة العدس ويقيمون عندها الى اخر النهار
وكان يوقد بها النار طول الليل ليهتدى السالكون اليها وكانت هذه المنارة على ثلاثة
هيات الطبقة الاولى مربعة وهى مايتين ذراع واحد وعشرون ذراعا والطبقة الثانية
مثمنة وهى احد وثمانون ذراعا والطبقة الثالثة مدورة وهى احد وثمانون ذراعا
والقطب الذى هو اعلاها ذراعا فكان جملة ذلك مايتين وثلاثة وثلاثين ذراعا وقيل
لما بناها الاسكندر الرومى كان طولها الف ذراع بالذراع القديم وفى ذلك يقول ابن عبد زمر

لله در منار الاسكندرية كم	يسموا اليه على بعد من الحدق
من شاهق الانف فى اوصافه شمم	كانه باهت فى ذروة الافق
للمنشيات الجوارى عند رؤيته	كوقع النوم فى اجفان ذى ارق

قال ابن وصيف شاة وكان فى اعلا هذه المنارة قبة من نحاس اصفر منصوب فوقها
مراية من معادن شتى وقيل كانت من الحديد الصينى وقيل كانت من زجاج مدبر بالحكمة
وكان قدرها خمسة اشبار وقيل سبعة اشبار وهى على كرسى من نحاس اصفر وكانوا يلوحون
بها ينظرون فيها كل ساعة من النهار الى من يخرج من بلاد الروم من مسافة تعجز عنها الابصار
وكان اذا قرب منهم العدو اداروا تلك المراة فيستقبلون بها الشمس فيقع شعاعها
على السفن فتحترق بمن فيها **وقال** ابن وصيف شاة كان تحت هذه المنارة مغاص يوجد
فيه قطع من الياقوت الاحمر والحبشى والبلور فيقال ان هذا من اوانى الاسكندر الرومى ولا
زالت المراة منصوبة اعلا المنار حتى فتح عمرو بن العاص مصر فجاء اليه جماعة من الروم
المستعربة واخرجوا له كتابا مكتوب فيه ان ذخاير اموال الاسكندر الرومى تحت هذه

المنار لياخذ ما تحتها من الاموال والدخاير ثم يعيدها كما كانت فانصاع لذلك وقطع المراة وهدم المنار ولم يزل الى ان هدم منه ثلث المنار فلم يجد شيا من الاموال فطلب الذين اشاروا عليه بذلك فلم يجدهم وتمت حيلتهم عليه فعلم عمرو انها حيلة وخديعة من الروم ثم انه رمم ما هدم من المنار ورد المراة على ما كانت عليه فبطل فعلها وما كانت عليه من الرويا والشعاع وغير ذلك فندم المسلمون ندما شديدا واستمر المنار قايما بغير مراة الى سنة تسعة وسبعين ومايه من الهجرة فوقعت زلزلة عظيمة فسقط منها راس المنار فلما استولى احمد بن طولون على مصر بنا في اعلا المنار قبة من الخشب واستمرت على ذلك الى ايام الظاهر بيبرس البندقداري فسقطت القبة الخشب فبنا موضعها مسجدا وذلك في سنة ثلاث وسبعين وستماية واستمر على ذلك الى اثنين وسبعماية مدة دولة الناصر محمد بن قلاوون فوقعت في ايامه زلزلة عظيمة فسقط منها المنار عن اخره وتلاشت اثاره ذكر اخبار عمود السواري قال القضاعي ومن العجايب عمود السواري الذي بثغر اسكندرية وهو من الحجر الصوان المانع وارتفاعه سبعون ذراعا ودوره خمسة اذرع ونصف وكان هذا العامود من جملة سبعة اعمدة تحمل فوقها رواقا يقال له بيت الحكمة فلما كان ايام سليمان بن داود هدم ذلك البيت وجعله مسجدا للعبادة وكان حول ذلك الرواق اربعماية عمود دون ذلك المذهب وكانوا يجتمعون تحت ذلك العمد في يوم معلوم من السنة ويرمون بينهم الكرة فلا تقع في حجر احد الا وملك مصر ولو بعد حين فحضر في بعض اعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة في حجره فملك بعد ذلك مصر في الاسلام وكان يحضر في ذلك الملعب نحو الف الف انسان من الانباط وغيرهم من الاجناس فلا يكون فيهم احد الا وهو ينظر في وجه صاحبه عند وقع الكرة وكانوا يتلقونها باكمامهم فلما وقعت في كم عمرو بن العاص تعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبنا هذه الكرة قط الا في هذه المرة انرى هذا الاعرابي يملكنا فهذا ما يكون ابدا فلا زال عمرو حتى ملك مصر والاسكندرية قال المسعودي ان هذه الاسكندرية يتشبون الخ وبخل زايد وتطول فيها الاعمار وكذلك ناحية فرنوط ووادي فرغانة بالغرب وسبب ذلك قربها من بحر النيل وظهور ريح الصبا فيها وذلك مما يعالج ابدانهم ويروق طبايعهم ويرفع هممهم واما صنم الاهرام بالجيزة ويعرف بابا الهول عند اهل مصر قيل انه طلسم لدفع الرمل لئلا يغلب على اهل الجيزة وهذا الصنم من الحجر الكدان لا يظهر منه غير راسه وبقيته مدفون في الارض وقيل ان طوله سبعون ذراعا قيل ان وجه هذا الصنم مدهون بدهان مصنوع فلذلك له بريق يلمع كانه يضحك وكان مقابله صنم مثله يقال له سرية ابي الهول وضع لمنع الماء عن بر مصر ولما تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون اخذ هذا الصنم بعد ان كسره ووضع منه اعتابا وقواعد بجامع النيل واما ابو الهول فهو باقي الى يومنا هذا وقيل ان الصابير الذين

كانوا يسجدون لهذين الصنمين ويبخرون لهما الديوك البيض ويبخرون لهما بالصندروس ومن العجايب ان ببلاد الغرب ضيعة وبها شجرة زيتون كبيرة ولا تزال بطول السنة يابسة ليس عليها ورق الى يوم معلوم في السنة يقال له عيد الزيتون فيجتمع من الناس خلق كثير حول تلك الشجرة اليابسة فيصلون عندها الفجر فيخرج ورقها ويتكامل الى الظهر ثم يبدوا ثمرها وينعقد ويصير زيتونا الى العصر فيقطعونه الناس ويمضون به للتبرك فاذا انصرفوا عادت تلك الشجرة يابسة كما كانت ويذبل ورقها فلا تزال كذلك الى العام القابل وهذا من حكمة الله تعالى انتهى ومن العجايب قيل انه كان بالواحات الداخلة شجرة نارنج كبيرة قدر الجميزة تنطعم في كل سنة عشرة الف نارنجة غير ما يتناثر من الريح وهذه الحكاية متفق على صحتها ومن العجايب ايضا ان في بلاد بابل مدينة وفي وسطها قبة عظيمة قايمة باذن الله تعالى على غير اعمدة وليس لها ظل واذا انعقد تحتها انسان وجد ظلا على قدره وان كان اكثر وجد واظلا على قدرهم حتى لو كانوا الفا واكثر وجد واظلا على قدرهم واذا لم يكن تحتها احد لم يكن لها ظل وهي من نحاس لها لمعان كشعاع الشمس وهذا من العجايب ومن العجايب ان قرية من اعمال اسوان وهي شرقي النيل ولها سور وابواب وعلى احدى ابوابها جميزة كبيرة وهي خالية من السكان فاذا كان اوان الشتا وجدوا في كل يوم قبل طلوع الشمس اناسا غير جنس بني ادم يدخلون تلك القرية ويخرجون ويدخلون فيظنوا الناس انها عامرة بتلك السكان فاذا اتوها لم يجدوا بها احدا وذلك في زمن الشتا غير زمن الصيف وهذه الحكاية مشهورة عند اهل تلك الناحية ومن العجايب ان في بعض مداين بابل صنع بعض الحكما حوضا من رخام احضر وعليه كتابة بالقلم القديم فيجتمع عنده الناس ويأتوا بشراب او طعام فيصبونه في ذلك الحوض حتى ينتهي فيختلط ذلك في الحوض ويمتزج بعضه في بعض ثم يغرف احد الناس ويفرق ما في الحوض على الناس في اوعيتهم فلا يخرج لاحد الا مثل ما جابه وصبه في الحوض وبهذه المدينة شجرة كبيرة تظل تحتها الف انسان فاذا زاد عن الالف ولو واحد ذهب الظل عن الكل وبقوا في الشمس اجمعين وكان ببيت المقدس كلب من خشب مرصود اذا مر به ساحر نبح عليه ذلك الكلب الخشب فيسلبه ما كان يعلم من السحر وقيل ان بعض السحرة نشب الكلب الخشب بنشاب فرجع النشاب الى الساحر فقتله في ساعته ومن العجايب ان قيس بن الضحاك بنا قبة بمدينة بابل وجعل نصفها ابيض ونصفها اسود فاذا مات انسان واتوا به الى تلك القبة فان كان من اهل الخير ظهر خياله في البياض وان كان من اهل الشر ظهر خياله في السواد ومن العجايب انه كان بمدينة ابهر طلسم للبعوض فلا يدخلها قط بعوض فاذا اخرج انسان يده الى خارج السور تعلق بها البعوض فان ردها الى داخل هرب عنها البعوض ومن العجايب ان في بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها اقوام يعبدون النار ففي يوم معلوم في السنة يوقدون نارا عظيمة في خندق عظيم فبعض الناس يقرب نفسه لذلك النار

فيلبس اثوابا حسنة ويزفونه اهله ويتمسحون به ويأتون به الى تلك النار فيطرح نفسه فيها فيموت وفي اليوم الثاني يأتي اهله واصحابه نحو تلك النار فيجدون شخصا فيها على هيئة المحروق فيظنون انه هو فيسلمون عليه ويسألونه عن مصيره فيقول في الجنة كذب وانما هو شيطان متمثل **ومن العجائب** ان في مدينة اذربيجان وادي فيه دود احمر يظهر في زمن الربيع فيسمونه القرمز فيلقطونه ويطحنونه ويصبغون منه اللون الارجواني وكان ابتدا وجود هذا الدود في اول قرن المائة الرابعة وذلك ان راعيا كان يرعى غنمه في الوادي فاكل كلبه من ذلك الدود فتنبه الراعي واخذ من صوف الغنم ومسح به فم الكلب فانصبغت الصوفة بالحمرة صبغا احمر عجيبا فاراه لاهل تلك المدينة فشاع خبره فجمعوا من الدود وطحنوه وصبغوا به فجاءت من احسن الالوان **ومن العجائب** ان حجر طلسم العقرب وهو حجر ابيض وعليه صورة عقرب فاذا اخذ انسان طينا ولصق به على ذلك العقرب المصور ثم اخذه وادخره فاذا ديف ذلك التراب في الماء وشربه الملسوع برئ لوقته **ومن العجائب** ان ببلاد الصين كنيسة كبيرة لها سبعة ابواب فيها قبة عالية وفي وسط تلك القبة جوهرة معلقة تضيء منها القبة وهي قدر بيضة الدجاج وقد عجز عن اخذها ناس كثيرة حتى الملوك وكل من اراد اخذها وقدم اليها وقرب خرميت فلا يزال كذلك حتى يحرزه الناس عن مكانه فيعود الى خوفه واذا عمل حيلة على اخذها انعكست حيلته وليس اليها سبيل **ومن العجائب** ان اهل قزوينين تفانوا بالسيف عن اخرهم بسبب قطرة من العسل وسبب ذلك ان نحالا حمل عسلا من قريته الى حانوت بجانبه ليبيعه فلما فتحه للمشتري سقطت منه قطرة على الارض فجاء زنبور فقعد على تلك القطرة فوثب عليه قط المشتري وكان الحانوت لحانوتي لمنع الفار وكان مع النحال كلب فوثب الكلب على قط المشتري فقتله ثم ان المشتري ضرب الكلب فقتله ثم ان النحال ضرب المشتري فقتله ثم ان ابن المشتري قتل النحال فتسامع اهل القزوينين بذلك فاشتد الحرب ولم يزالوا يقتتلوا حتى تفانوا بالسيف عن اخرهم كما قيل ومعظم النار من مستصغر الشرر **وقيل** اربع من المنتزهات من عجائب الدنيا سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق اما سغد سمرقند فهو نهر محفوف باشجار مثمرة بالفواكه والازهار مشتبكة بعضها ببعض ممتدة مقدار اثني عشر فرسخا واما شعب بوان فهي من نواحي سابور وهي مقدار فرسخين فيها انهار جارية واشجار مثمرة كثيرة واما نهر الابلة فهو من اعمال البصرة وهو على مقدار اربع فراسخ وعلى جانبيه بساتين ممتدة كانها بستان واحد واما غوطة دمشق فطولها مقدار ثلاثين ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا لا تقع الشمس على الارض فيها الا القليل وهذا كله اشجار مثمرة وانهار وفي الشام يقول ابن خطيب داريا في دمشق

سالتكما ان جئتما الشام بكرة ... وعاينتما الشقرا والغوطة الخضرا

فغدا وتولا متى كتابا كتبته ... يدمى لكم فغدا ولا تنسيا شطرا

قوله فغدا وشطرا اسما قريتين من قرى دمشق وقال القيراطي

ما فيه الا روضة او جوسق ... او جدول او بلبل او ربرب

فكان ذاك النهر فيه معصم ... بيد النسيم منقش ومكتب

واذا انكسر ماؤه ابصرته ... في الحال بين رياضه يتشعب

رشفت على العيدان ورق اطربت ... بغنائها من غاب عنه المطرب

فالورق تنشد والنسيم مشبب ... والنهر يسقي والجداول تشرب

وضياعها ضاع النسيم بها فكم ... اضحى له من بينها متطلب

ذكر طربت على السماع بذكرها ... وغدا بربوتها اللسان يشبب

اشتاق من وادي دمشق غوطة ... كل الجمال الى حماها ينسب

انتهى ما اوردناه من عجائب البلدان وذلك على سبيل الاختصار

ذكر ما كان من مبتدا خلق العالم وذلك من قبل وجود ادم عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنه لما اكمل الله تعالى خلق السموات والارض واجرى على ظهرها البحار وثبتها بالجبال ونشر فيها الرياح وبث فيها الدواب والوحوش والطير فصارت الثمار تجف وتقع ولم يكن احد يلتقطها ونبت العشب في الارض وركب بعضه بعضا وتنطلق الانهار على الارض ولم يكن احد يصلحها فعند ذلك شكت الارض الى ربها جل وعلا من هذا الامر فعند ذلك خلق الله تعالى امما كثيرة مختلفة واجناسا مجنسة يقال لهم الحن والنام وخلق بعد ذلك كذلك الجن وخلقهم منهم من الريح ومنهم من البرق ومنهم من السحاب وهم ذو نفس وحركة فانتشروا وكان الدر لكثرتهم فاحتلا منهم السهل والجبل وسائر اقطار الارض فمنهم الابيض والاسود والاحمر والاصفر ومنهم السميع والاطرش والبصير والاعمى والحسن والقبيح والقوي والضعيف والانثى والذكر فتناكحوا وتناسلوا وحن كل جنس الى جنسه فسموا الحن وضاقت بهم الدنيا لكثرتهم فقطعوا الصخور وبنوا البيوت واصطادوا من الطير والوحش واستمروا على ذلك دهرا طويلا فبغى بعضهم على بعض بغير سلاح بل كانوا يحصرون بعضهم بعضا في البيوت والجبال فيهلكوا جوعا وعطشا فاظهر الله لهم امما يقال لهم الجن اعظم منهم اجسادا وقوة فحاربوهم فقتلوهم عن اخرهم ذلك الجن الارض بعدهم وحفروا الانهار والابار وهم اول من صنع الدواليب وعمر القناطر فتزايد امرهم بالفساد فعند ذلك خلق الله تعالى الجن من النار فسلطهم على الجن فاهلكوهم عن اخرهم وتناكح الجن وتناسلوا فوقع بينهم البغي فشكت الارض منهم الى ربها عز وجل فعند ذلك ارسل الله تعالى اليهم الملائكة وامر عليهم عزازيل وهو ابليس فغزاهم وصار يعبد الله في الارض كما كان يعبده في السما فلما اراد الله تعالى خلق ادم عليه السلام قال للملائكة وهو قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الايات **ذكر قصة ادم عليه السلام** قال الثعلبي لما اراد الله تعالى ان يخلق ادم عليه

السلام اوحى الى الارض انى خالق منك خلقا فمن اطاعني منهم ادخلته الجنة ومن عصاني
ادخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام لياتي بقبضة منها فلما اتاها جبريل اقسمت
عليه وقالت انى اعوذ بعزة الله ان لا تاخذ مني شيئا يكون غداء للنار فرجع جبرائيل
الى ربه ولم ياخذ منها شيئا فاخبر الله تعالى فقال الهي انت اعلم انها اقسمت علي بعزتك
فكرهت ان اخذ منها شيئا فامر الله تعالى ميكائيل ان يمضي اليها فياخذ منها فاقسمت
عليه كما اقسمت على جبرائيل فبر قسمها ورجع ولم ياخذ منها شيئا فارسل الله اليها
عزرائيل فلما هبط اليها ذكرها بجبروت كانت بيده فاضطربت منه ثم مد يده اليها ليقبض
منها فاستدركت واقسمت عليه كما اقسمت على من اتى قبله فقال لها امر الله خير من
قسمك وقبض من زوايا الارض قبضة من ابيضها واسودها واحمرها وسهلها وجبلها
واعاليها واسفلها ثم اتى بتلك القبضة الى حضرة الحق جل وعلا فقال الله تعالى لم
تركتها وقد اقسمت عليك بي فقال يارب امرك اوجب وغضبك ارهب
فقال له اذا انت ملك الموت فلما قبض منها بكت الارض على ما انتقص منها فاوحى
الله تعالى اليها انى سارد ما انتقص منك اليك وهو قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى فامر الله تعالى رضوان ان اعجن هذه الطينة على باب الجنان
فعجنها بماء التسنيم وقيل في المعنى

يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجا ۞ ودار وقتك من حين الى حين
ولا تغاندا اذا اضجيت في كدر ۞ فانما انت من ماء ومن طين

فلما عجنها تركها اربعين سنة حتى صارت طينا لازبا ثم تركها اربعين سنة اخرى
حتى صارت صلصالا كالفخار ثم جعل من تلك العجنة جسدا مصورا والقاه على طرق
الملائكة اربعين سنة اخرى قال الثعلبي لما عجنت طينة ادم امطر الله تعالى عليها
الهموم اربعين سنة ثم امطر عليها السرور والفرح سنة واحدة وقد قيل في المعنى

اي شيء اعجب من ذا ۞ لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا ۞ والبلايا تكال في الصيعان

قال ثم ان الله تعالى جعل طول ادم ستين ذراعا وجعل فيه ثلاثمائة وستين عرقا
ومائتين واربعين عصبا واثني عشر مفصلا وجعل له في راسه سبع منافذ وجعل فيه
حكما كثيرة كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال ابن عباس رضي الله
عنه ان الله تعالى خلق ثلاثة اشياء بيده اي بيد قدرته خلق ادم وخلق شجرة طوبى وكتب
الالواح التي انزلت على موسى كل ذلك بيد قدرته تعالى الله عن مشابهة المخلوقين
فلما مر ابليس على طينة ادم تعجب وتفكر فيها فضرب بيده على بطنه فاتى الضرب
مكان السرة فدخل في جوفه وعرفه واراد ان يدخل الى قلبه فمنع من ذلك فلما تمت
هيئة ادم ارسل الله تعالى بان ينفخ بادم الروح ويروى بان الروح امتنعت من الدخول

وقالت

وقالت يارب كيف ادخل في مكان مظلم فقال الله تعالى ادخلي كرها واخرجي كرها فلما
دخلت الى دماغه مكثت فيه مائتي عام حتى استدارت فلا زالت تنتقل من عضو الى
عضو فلما نزلت الى منخره عطس فلما نزلت الى لسانه قال الحمد لله رب العالمين
فقال الله تعالى يرحمك الله فلما وصلت الروح الى ركبتيه اخذ يعالج القيام فقال
الله تعالى وخلق الانسان عجولا فلما دخلت الروح الى سائر جسده قام ادم ومشى
وتمايل فتبارك الله احسن الخالقين فعند ذلك كساه الله من حلل الجنة وتوجه
بتاج الكرامة ثم ظهر بين عينيه نور ساطع وهو نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثم امر الله تعالى الملائكة ان يحملوا ادم ويطوفوا به السموات جميعها فطافوا به
مائتي عام فراى جميع ما في السموات وعلم الله تعالى الاسماء ثم ان ادم صعد المنبر وقد
جمع الله له الملائكة وذلك كان يوم الجمعة فقال ادم السلام عليكم يا ملائكة ربي
ورحمة الله وبركاته فقالت الملائكة وعليك السلام يا صفوة الله فقال الله تعالى
يا ادم هذه تحية لك ولاولادك الى يوم القيامة فلما خطب ادم قال الحمد لله
فصارت سنة في الخطبة قال وهب بن منبه اول من افشى السلام ادم
وفي بعض الاخبار ما افشى السلام قوم بينهم الا وامنوا من العذاب والنقم وقالت
الملائكة هل خلقت خلقا افضل منا فقال الله تعالى ليس من خلقته بيدي كمن قلت له
كن فكان ثم امر الله تعالى الملائكة ان يسجدوا لادم فكان اول من سجد جبرائيل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل ثم سجدت له الملائكة المقربين والباقي اجمعين الا ابليس فامره
الله تعالى بالسجود فابى وامتنع فقال له الله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقته بيدي
فقال ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وانا الذي عبدتك قبله
دهرا طويلا قبل ان تخلقه فقال له الله تعالى لقد علمت في سابق علمي منك المعصية
فلم تنفعك العبادة اخرج من رحمتي مذموما مدحورا فقال ابليس عند ذلك رب
انظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين فعند ذلك تغيرت خلقته وصار
شيطانا رجيما سوال لطيف لم امهل الله تعالى اعداء الانبياء وابقى ابليس وهو عدو
ادم عليه السلام الجواب ان الله تعالى ابقى ابليس امتحانا للخلق جواب اخر
بقاؤه عقوبة للكافرين ورحمة للمؤمنين جواب اخر وهو انه طلب من الله الانظار وهو
قوله تعالى رب انظرني الى يوم يبعثون الاية فاستجاب دعاه في مقابلة عبادته السابقة
فلما نزل ادم من منبره القى الله تعالى عليه النوم فنام فراى حوا في منامه قبل ان يخلقها
الله تعالى فمال اليها ثم ان الله تعالى خلقها من ضلعه الايسر قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه يروى ان الله تعالى خلق حوى حسنة فلم يكن احد من بناتها الى يوم القيامة
احسن منها وكانت تتلالا نورا فلما انتبه ادم من منامه راى حوا بجانبه فهم بها
فاوحى الله تعالى يا ادم لا تفعل حتى تعطيها صداقها قال يارب وما املك صداقا

فقال الله تعالى يا آدم صل على محمد ثلاث مرات فقال يا رب وما محمد فقال الله يا آدم
محمد نبي وحبيبي ولولاه ما خلقت الوجود وهو من اولادك من ذرية الانبياء
فزوجه الله تعالى بها واشهد ملائكته بذلك فصار سنة في اولاده وكان آدم احسن
من حوى لانه خلق بيده وحوى الطف جسدا ثم اوحى الله تعالى الى رضوان ان يزخرف
الجنان لآدم وقدم له فرسا ولحوى ناقة وتزفهما الملائكة الى الجنة وزفوها وبيتوهما
في القصور فلما وصل آدم وحوى الى باب الجنة اوقفه الله تعالى وقال له يا آدم
هذه جنتي ودار كرامتي فادخلاها وكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
فتكونا من الظالمين فدخل آدم وحوى على ذلك العهد واكلا وشربا وتعانقا الرياحين
وكان اذا اراد آدم ان يجامع حوى دخل الى قبة من الزبرجد وارخت الستور **قال**
ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان اول شيء اكله آدم في الجنة العنب وآخر شيء اكله
الحنطة وكان يشرب الخمر في الجنة بغير تغيير الذهن والسرور وقد قيل في المعنى

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها   لو مسها حجر مسته سراء

وزارع الحنطة بغير الكدح والتعب دائما في زرعها فهذه حكمة الله **وقال** ان المؤمنين
اذا دخلوا الجنة اول ما يأكلون من خبزها **قال** النيسابوري اول اكل اهل الجنة من كبد
الحوت ليعلموا بانقراض الدنيا وان هذا من كبد الحوت المسمى بهموت الذي كان
حامل الدنيا انتهى **فلما استقر آدم** في الجنة صار يطوف بها فيأتي الى شجرة الحنطة
اعظم شجر الجنة ويرجع عنها مرتابا ويتذكر العهد وكانت شجرة الحنطة اعظم شجر
الجنة وفيها كل حبة قدر راس البعير وهي احلى من العسل والزبد فلما علم ابليس
بدخول آدم الى الجنة وانه قد منع من شجرة الحنطة سر بذلك وفرح فاتى ووقف
على باب الجنة ولم يزل واقفا ثلثمائة سنة وهي ساعة من ساعات الآخرة فكان
ينتظر الى من يخرج من باب الجنة فجاء الطاوس وكان من سيد طيور الجنة فلما رآه
ابليس تقدم اليه وقال له ايها الطائر المبارك من اين جئت فقال له من بعض بساتين آدم
فقال له ابليس ان لآدم عندي نصيحة واريد ان تدخلني معك فقال الطاوس ولم
لا تدخل انت بنفسك قال ابليس انما اريد الدخول سرا فقال الطاوس اذهب
الى رضوان فانه يحب النصيحة قال ابليس اريد ان لا يطلع على هذه النصيحة غير آدم
فقال الطاوس لا سبيل الى ذلك ولكني آتيك بمن يدخلك الجنة فذهب الطاوس
الى الحية ولم يكن في الجنة دابة احسن منها فقال لها ان على باب الجنة ملكا من المقربين
ومعه نصيحة لآدم فخرجت اليه الحية مسرعة فقال لها ابليس هل لك ان تدخليني
الجنة وتطرحيني عند شجرة الحنطة فقالت له وكيف ادخلك الجنة ورضوان
لا يمكنني من ذلك فقال ابليس افتحي فاك وانا ادخل جوفك ففتحت فاها فدخل
ابليس ودخلت به فطرحته عند شجرة الحنطة فلما استقر هنالك اخرج من فمه مزمارا

وزمر

وزمر به فاطرب فلما سمع آدم وحوى تقدما بالقرب من ابليس ودنيا فقال ابليس تقدم
يا آدم فقال آدم اني ممنوع من هذه الشجرة فدخل ابليس في جوف الحية فنفخت الحية في
وجه آدم فانجذب بنفختها الى عند الشجرة وهذا ان الحية الكبيرة اذا نفخت وكان بين
يديها بعير اجتذبته اليها من قوة نفختها فقال ابليس يا آدم كل من هذه الشجرة فانك لا تشيب
ولا تهرم وتكون انت وحوى من الخالدين في الجنة ولو اراد الله تعالى خلودكما لما منعكما
من اكلها واقسم بالله العظيم انه من الصادقين فيما يقوله فظن آدم ان احدا لا يجسر
ان يقسم بالله كاذبا وانه من الناصحين فكان كما يقال

كذلك من يستنصح الاعادي   يردونه بالغش والفساد

قال فحرصت حوى على الخلود في الجنة اكلت من شجرة الحنطة قبل آدم فلما نظر
آدم الى حوى بعد ان اكلت ومكثت ساعة بعد اكلها وهي قدر مائة سنة من سني الدنيا
وهي سالمة طمع فاكل منها فلما وصلت الى جوفه طار التاج من على راسه وطارت
الحلل عن بدنه وزال الضياء عن وجهه ولم يزل لحواشي حتى اكل آدم كما يقال الدية
على العاقلة وايضا لو نزل بحوى قبل آدم لما اخرج آدم ولكن حتى ينفذ قضاء الله وقدره
فلما اكل آدم وحوى اوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام بان يقبض على ناصيتهما ويخرجهما
من الجنة فاخرجهما عاريين مكشوفين الراس ونودي عليهما بالمعصية وهما ان ياخذا
ويستترا باوراق الجنة فمنعت الاشجار اوراقها وكانت تقول له اليك عني يا عاصي
وهو كقوله تعالى فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة **قيل** ان شجرة التين اعطته من ورقها
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان التي اعطته شجرة الحناء حنت عليه فسميت شجرة الحنا
قال كعب الاحبار لما صار آدم عريانا اوحى الله تعالى اليه يا آدم كيف قابلتني بالمعصية
فقال آدم يا رب واحيائي منك واخجلي على ما وقع مني وقيل في معنى ذلك

بفرد خطية وبفرد ذنب   من الجنات اخرجت البرايا
فكيف وانت تطمع في دخول   اليها بالالوف من الخطايا

ثم ان جبريل اخذ بيد آدم وهو عريان وهبط به الى الارض على جبل من جبال الهند يقال له
الراهون وقيل ان اثر قدميه باقي هناك الى الآن وطول قدميه نحو عشرين ذراعا واما
حوى فقد ذهب عنها حسنها وجمالها وابتليت بالحيض كما قيل

وكم من اكلة منعت اخاها   بلذة ساعة اكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشيء   وفيه هلاكه لو كان يدري

ثم اخذ جبريل بيد حوى واهبط بها الى الارض عند ساحل البحر المالح بجدة واما ابليس
اللعين فانه خرج على طور الملائكة وصار شيطانا رجيما وغير الله اسمه وسماه ابليس
لانه ابلس من الرحمة فاهبط بارض العراق نحو البصرة **قال ابن عباس** رضي الله عنه

لما اهبط ابليس الى الارض نكح نفسه بنفسه فباض اربع بيضات ففرس في كل قطر
من اقطار الارض بيضة فجميع ما في الارض من الشياطين من تلك البيضات واما الطاوس
فانه ذهب عنه الجواهر وجميع الحسن الا قليلا يسيرا وهبط به بارض بابل وقيل بارض
انطاكيه واما الحية فانها مسخت وصمت وترك بها السم واخفت وصارت تمشي
على بطنها واهبط بها بارض اصبهان قال ابن عباس رضي الله عنه كانت مدة
اقامة ادم وحوى في الجنة نصف يوم من ايام الاخرة مقدار خمسمائة عام من اعوام الدنيا
وكان هبوط ادم يوم الجمعة عند غروب الشمس فلما دخل عليه الليل القى الله تعالى عليه النوم
فنام وكذلك حوى فالقى الله النوم على جميع المخلوقات من كل ذي روح ولم يكن قبل ذلك
شي ينام وانما خلق الله النوم عند نوم ادم في الارض عند اول ليلة باتها ادم فلما اصبح
ادم وراى الشمس تعجب من ذلك فلما علت الشمس احرقت ظهره لانه كان عريانا
فشكى ذلك الى جبرايل فمضى جبرايل واتى بكبش من الجنة فنفض من صوفه واعطاه لحوى
وعلمها كيف تغزله وتنسجه فعملت منه عباءة فاخذها جبريل ومضى الى ادم والبسه
اياها قيل ان ادم شكى الى جبريل من الجوع فانه اقام اربعين سنة لم ياكل ولم يشرب
فمضى جبريل الى الجنة واتاه بثورين احدهما اسود والاخر احمر وعلمه كيف يحرث
فحرث ثم اتاه بحنطة من الجنة وعلمه كيف يزرع فزرع ومن النكت اللطيفة قيل
بينما ادم يحرث في الارض اذ وقف احد الثورين فضربه بعصاة كانت معه فانطق الله
ذلك الثور فقال يا ادم لم ضربتني فقال لانك خالفتني فقال ان الله تعالى لطف بك
حيث لم يضربك لمخالفتك اياه بل تاب عليك لم لم تعامل خلق الله بما عاملك الله
فبكى ادم عند ذلك وقال الهي صار كل شي يوبخني حتى البهايم فامر الله تعالى جبرايل ان يختم
على لسان البهايم فختم ولم تعد تتكلم قيل انها كانت تتكلم قبل ذلك فلما صارت الحنطة
واستوت علمه كيف يحصد ويدرس ويذرى ثم ان جبرايل قطع له حجرين من الجبل فطحن
بهما ادم وعجن واتاه جبرايل بشرارة من نار جهنم بعد ان غمسها بالماء سبع مرات
ولولا ذلك لاحرقت الارض وما عليها فخبز رغيفا ثم وضعه على الارض فتدحرج
وسقط من اعلا الجبل فلحقه ادم فقال له جبرايل لو صبرت لما اتاك الرغيف ولكن صار
ذلك سنة بين نسلك فاكل ادم نصف الرغيف وادخر نصفه لغد فصار الادخار
ايضا سنة لاولاده قيل ان ادم لما اكل الخبز شرب عليه وبعد ذلك وجد تشكيا
في بطنه لم يجده قبل ذلك فشكى ذلك لجبرايل ففتق عن دبره فتغوط وبال فوجد
راحة وهذا سبب في الاخراج من الجنة ايضا لان الجنة مكان كريم كرمه الله وصانه
عن القاذورات قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كان ادم اذا جاع نسي حوى
واذا شبع تذكرها وكان يسال جبريل عنها ويقول هل هي في الحياة ام لا فيقول له هي
على الصحة وفي حال اصلح من حالك لانها على جانب البحر فتاخذ الاسماك وتاكل حتى تها

فقال

فقال ادم هل عندها من خبز قال لا فبكى ادم وقيل ان جبريل قال لادم ان حوى لم يقربها
وحش ولا طير حتى تجتمع بك ومن النكت اللطيفة قال الثعلبي لما اهبط ادم الى
الارض اتاه جبريل عليه السلام بثلاثة اشيا العقل والحيا والايمان وقال له ان الله
تعالى يقول لك اختر من هذه الثلاثة واحدا فبهت ادم ساعة فالهمه الله تعالى
بان قال للحيا والايمان اختار عليكما العقل فقال الحيا انا تبع للعقل وقال الايمان
انا تبع للحيا كما يقال الحيا من الايمان فاجتمع في ادم هذه الثلاثة العقل والحيا والايمان
وقيل في المعنى ۞ اوجده الله فما مثله ۞ لجاحد فيه ولا ناشد ۞
۞ وليس على الله بمستنكر ۞ ان يجمع العالم في واحد ۞
وروى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احتج ادم
وموسى عليهما السلام فقال موسى لادم انت الذي خلقك الله تعالى بيده واسجد
لك ملايكته واسكنك جنته فاهبطتنا واهبطت الى الارض بخطيتك فقال وانت
موسى الذي قربك الله نجيا ورسولا وانزل عليه التوراة فهل وجدت فيها وعصى
ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه فقال موسى نعم وجدت فقال ادم هل تعلم
منذ كتبت التوراة فقال موسى كتبت قبل ان يخلق الخلق باربعين عام وقيل بمائة
الف عام فقال ادم اتلومني على ذنب فعلته وقد كتبه الله علي قبل ان يخلقني بمائة
الف عام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى في الجواب وهذا الحديث
قدسي انتهى قيل ان ادم راى حوى في منامه وقد اصطادت سمكة واصلحتها على
النار فلما جاء جبريل اخبره بالمنام فقال له جبريل يا آدم حيث رايتها في النام فان الله
يجمع بينكما عن قريب قال ابن عباس رضي الله عنه لما اراد الله ان يتوب على ادم
لقنه كلمات وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين وقيل انه قال يا رب اسالك بحق محمد الا ما غفرت لي خطيتي فاوحى الله
اليه وكيف عرفت محمد ولم اخلقه بعد فقال الهي رايت مكتوب على قوائم العرش
لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لا تقرن اسمك الا باسم احب الخلق اليك
فغفر له ويروى انه لما هبط الى الارض فبعد مدة طال شعر راسه واظفاره فاتاه
جبريل فاخذ شعره واظفاره ودفنها في تلك الارض فانبت الله تعالى منها نخيل
البلح ولهذا قيل عمتكم النخلة قال الثعلبي اوحى الله تعالى الى ادم بان يرحل من ارض
الهند الى مكة ويطوف مكان البيت سبعا ويبني المعتزم فاعزله وقيل ان الله تعالى
انزل ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة على قدر الكعبة وجعلها مكان الكعبة على الحشفة
البيضا التي خلقت قبل الارض كما مر وجعل داخل هذه الياقوتة قنديلا يضي بالنور
ثم ارسل الله ملكا يرشد ادم الى طريق مكة وانزل على ادم عصاة من خشب الآس
طولها عشرون ذراعا وهي من خشب الجنة ليتوكا عليها وكانت الارض تطوى له

فكان موضع يضع قدمه من الارض يصير قرية عامرة وما بين خطاه يصير مفاوز فلما
وصل ادم الى البيت نزل مكان البيت طاف سبعا واستغفر فغفر له وكان سببا
للحج وسببا لتكفير الذنوب وفي المعنى قيل

حزبا لابليس فقد … نلنا الخلاص من يديه
وان فى طوافنا … دايرة السوء عليه

ومن الاخبار العجيبة ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خرج ابليس
اللعين في بعض اوقات السحر ونادى ايا هو ما يهوانه عبادك اجولك ويعصونك ويطيعوني
واطاعوني فاوحى الله اليه حبهم لى كفارة لعصيانى وبغضهم لك كفارة لاطاعتهم
اياك وقال ابليس وعزتك لاغوينهم اجمعين ما دامت الروح فيهم فاوحى الله تعالى
اليه لاغفرن لهم ما استغفرونى وقيل لما صار ادم قريبا من مكان البيت الشريف
اوحى الله اليه ان ياتى جبل عرفات فاتى ووقف واذا بحوى فعرفها واخذ بيدها
وتوجه بها الى منى وقيل فى المعنى

ورد الكتاب من الحبيب فسرني … احلى من الماء الزلال على ظما
ولقد سررت به سرورا زايدا … كسرور حوى حين لاقت آدم

ثم ان ادم اقام بمكة اياما وارتحل بحوى الى ارض الهند ويروى انه كانت الفرقة
بين ادم وحوى خمسماية عام وقيل لابن عباس هل كان ادم يركب شيئا من الدواب
فقال واي دابة كانت تحمله وقد كانت خطوته مسيرة ثلاثة ايام وقيل ان ادم
لما هبط الى الارض بارض الهند تيبست وتناثرت عنه الاوراق التى تسترت بها
من الجنة فلما صارت فى الارض انبت الله منها جميع الشجر الذى له رايحة طيبة
قال ابن عباس رضي الله عنه حج ادم عليه السلام اربعين حجة على قدامه
من ارض الهند ويروى انه خرج من الجنة ومعه الحجر الاسود وكان من لولوة بيضاء
وكان ادم يضعه على قلبه ويتسلى به ثم انزل الله اليه ثمانية ازواج من الضان اثنين
ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وامره ان ياكل من البانها ويكتسى
من اصوافها فكانت حوى تغزل وادم ينسج وكان ادم يبكى على فراق الجنة ومعصيته
وما صار له فانبت الله من دموعه الحمص والفول وانزل الله عليه قطعة من الذهب
وقال له تعامل بها انت واولادك الى يوم القيامة ويروى ان ادم قال يا رب
لست اعلم اوقات العبادة فارسل الله له ديكا من الجنة قدر الثور العظيم ابيض
فكان الديك اذا سمع تسبيح الملايكة فى السما يسبح فى الارض فيعلم آدم ميقات
العبادات ويروى ان الله تعالى انزل على ادم مراة من الجنة فكان يرى فيها ساير
الارض والبلاد والبحار والجبال والعامر من الارض وغير ذلك فلما مات آدم
سرقها بعض الجن فقال له قطرش فلما سرقها دفنها فى جزيرة فى البحر المحيط

فلما كان

فلما كان ايام سليمان كان عنده بها علم فسال عن مكانها لبعض الجان فقال احدهم انا اعرف
مكانها فقال سليمان قم وآتنى بها الساعة فمضى واتاه بها فى تلك الساعة فوجدها
سليمان مكسورة نصفين فكان سليمان ينشدها وينظر فيها فيرى شيئا يسيرا مما
كان يراه ادم وقد بطل فعلها بكسرها ثم ان ادم حفر الابيار وغرس الاشجار وصنع
الدواليب وعمر الدور قال الثعلبي انزل الله تعالى على ادم احدى وعشرين صحيفة
فيها تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وانزل عليه حروف الهجا تسعة وعشرون حرفا
قال الثعلبي لما اراد الله تعالى بان يكثر من نسل آدم فحملت حوى من آدم فتحرك الجنين
فى بطنها لوقته ففزعت من ذلك وصارت متحيرة وبعد ذلك اصابها شدة عظيمة
عند وضعه فوضعت توما ذكرا وانثى فسمى الذكر هابيل والانثى ليوثا فلما طهرت
من نفاسها اراد آدم ان يواقعها فابت لما نالها من الم الولاده فلا زال بها حتى واقعها
سوال لطيف فى بعض الروايات ان النسا اغلب فى الشهوة وان الرجال تطلب الوقاع
من النسا الجواب الحيا فيهن اغلب وفى الحديث الشريف يتمنعن وهن راغبات
فحملت حوى فى البطن الثانى توما ايضا ذكرا وانثى فسمى الذكر قابيل والانثى اقليما
ووجدت الولادة الثانيه اخف الما من الاولى ويروى ان حوى كانت تلد فى كل تسعة
اشهر توما فجميع ما ولدت حوى اربعين ذكورا واناثا فى عشرين بطن وقال الشيخ ابو الفرج
ابن الجوزي ان حوى ولدت ماية وعشرين بطن ولم تلد واحدا فى بطن غير
شيث عليه السلام وكان فى جبهته نور محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى
ان اولاد ادم لم يزالوا يتناسلون فى ايام حيوته حتى بلغ عددهم نحو اربعين الفا
ذكورا واناثا وهو قوله تعالى الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وروى ان ادم لما كثرت اولاده فكانوا يتشاجرون
فانزل الله له عصاة من الجنة وامره ان يوديب بها اولاده فلذلك قيل ان العصاه
من الجنة قال الثعلبي لما كبر قابيل بن ادم فوض اليه امر الحرث والزرع
وكان اخوه هابيل لا يفارق الغنم ليلا ولا نهارا فحب هابيل ابوه واخوه محبة عظيمة
فحسده اخوه قابيل على تلك المحبة ثم اوحى الله تعالى الى ادم ان زوج اقليما بهابيل
وزوج ليوثا بقابيل فامتنع قابيل من ذلك وقال انا احق باختى التى ولدت معى
فقال له ادم يا قابيل ان الله تعالى اوحى الى ان ازوج الانثى من اولادى بالذكر الذى
ولد فى غير بطنها لا انتقض امر الله فاقسم قابيل ان لا يتزوج الا باخته اقليما فعند ذلك
قال ادم اذهب انت واخوك هابيل فتقربا الى الله تعالى كل منكم قربانا فمن تقبل قربانه
فهو احق بزواج اقليما فرضيا بذلك وخرجا من الهند وتوجها نحو مكة فصعدا
على جبل عال فقرب هابيل قربانا من خيار غنمه وقرب قابيل قمحا من ردى قمحه ثم
وقفا ينتظران ما يكون من امرهما فنزلت من السماء نار بيضا فاحتملت قربان

هابيل وصعدت به الى السما فعند ذلك قال قابيل لهابيل كيف تتزوج باختي الحسنا
وانا اتزوج باختك القبيحة وكيف يتحدث الناس بانك خير مني حيث تقبل قربانك
لاقتلنك فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين فبقي قابيل متحيرا كيف يقتل اخاه
هابيل فعند ذلك اتاه ابليس اللعين وهو في صورة بعض اخوته فاخذ حجرين من
الارض وضرب احدهما في الاخر فانفلقت نصفين وقابيل ينظر فقال مثل هذا اقتل
هابيل ونهض واتى الى اخيه هابيل فوجده نايما تحت جبل من الجبال قيل انه جبل
قاسون بارض الشام وهناك مغارة تسمى مغارة الدم وهي تزار الى الان وفي يوم
معلوم يجدون الدم ينقط فيها قيل انه دم هابيل فاخذ قابيل حجرا كبيرا والقاها
على راس اخيه هابيل فسال دمه واضطرب ومات وهو اول من قتل على وجه الارض
من ذرية ادم وكان له من العمر عشرين سنة ثم ان قابيل بقي متحيرا كيف يصنع بجثة
اخيه ثم جعله في جراب وحمله على ظهره وبقي يطوف به سنة كاملة والسباع والذيا
والطيور تتبعه اينما سار لرايحة المقتول معه وهو خايف على جثة اخيه فبعث الله
غرابين فاقتتلا بين يديه فقتل احدهما الاخر فحفر القاتل بمنقاره وبيديه حفرة
فواراه بها فعند ذلك قال قابيل يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري
سوءة اخي فاصبح من النادمين قال صاحب مراة الزمان ان كوكب الذنب
لم تظهر الا من مدة قتل هابيل وعند القا ابرهيم الخليل في النار وظهر عند هلاك
قوم عاد وعند غرق فرعون واستمر من يوميذ لا يظهر الا عند هلاك امر كبير وظهر
عند قتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكذلك عند وفاة علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه قال الثعلبي لما قتل هابيل تزلزلت الارض وكسفت الشمس وكانت تلك
اول زلزلة وكسوف وقعا على وجه الارض ولما قتل ظهر الشوك في الاشجار وتغيرت
طعم الفواكه وملح الما وكان ادم بارض الهند فراى امورا قد تغيرت فقال لقد حدث
شي عظيم قال ابن عباس رضي الله عنه لما قتل هابيل شربت الارض دمه فاوحى
الى قابيل اين اخوك فقال لا ادري فقال له ان صوت دم اخيك ينادي في الارض انك
قد قتلته فقال يا رب واين دمه فمن يوميذ حرم الله على الارض ان تشرب دما ثم ان ادم
اخذ يطوف في الارض ليرى ما حدث فظهر له ان قابيل قتل اخاه هابيل وتزوج
باخته اقليما واخذها ووجد قابيل قد انهزم خوفا من ابيه ادم وقيل في المعنى

من فتنة النسوان كم يعصي الفتى ❊ امر الاله بطاعة الشيطان
واللص لولاهن لم يك بايتا ❊ للروح منه بايخس الاثمان
قابيل لولاهن لم يقتل اخاه ❊ ولا رضي بالذنب والعصيان
وبهن فرع ادم مع يوسف ❊ فيما حكاه الله في القران
وكذاك هاروت بابل منكس ❊ ومعلق بالرجل في الجدعان

مجنون

مجنون ليلى جن من حب النسا ❊ كل الاذى ياتي من النسوان
فترى البلا منهن ياتي والوفا ❊ منهن لا ياتي مدى الازمان
كن ما استطعت عن النسا بمعزل ❊ ان النسا حبايل الشيطان

ومن النكت اللطيفة ما حكي ان ملكا من الملوك كان مغرما بحب النسا وكان لا يقدر
ان يصبر عنهن حتى انه كان شديد الغرام بجارية وكانت جميلة في غاية الادب والجمال
وكان وزيره دايما ينهاه عن ذلك فامتنع شيئا قليلا فقالت له بعض السرايا ما سبب
تعودك عنا فقال ان الوزير ينهاني فقالت للملك لو وجهتني اليه اريك ما دبرت من حاله
عجبا ولم ادعه يصل الي فادرها الوزير فلما صارت في منزله اخذت بمجامع قلبه فلما
خلا بها واراد منها فامتنعت وقالت له بعد جهد ان كان ولا بد حتى امتنع على
ظهرك سرجا وفي حلقك لجاما ثم اركبك وتمشي بي فاجابها الى ما طلبت وركبته
واعطيت الاشارة الى الملك فحضر في الحال ولم يقدر احد ان يمنعه من الدخول ودخل
على الوزير فوجده مركوبا بالجارية على المراد فقال للوزير كيف كنت تنهاني ولم تنه نفسك
حتى صرت في هذه الحالة فقال له الوزير ايها الملك من مثل هذا كنت اخاف عليك
فانهن موقعات للرجال في اعظم من ذلك فاستحسن منه الملك هذا الجواب وعفى
عنه قال ابن عباس رضي الله عنه لما تحقق ادم قتل ولده هابيل وضع يده على
خاصرته وصاح واولداه ولما بلغ ذلك حوى وضعت يدها على راسها وصرخت
فصار هذا سنة في نسله ثم انشد ادم هذه الابيات قيل انها اول شعر قيل في الارض

تغيرت البلاد ومن عليها ❊ فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون ❊ وقل بشاشة الوجه الصبيح
فمالي لا اجود بسكب دمع ❊ واجفاني مسهدة قروح
قتل قابيل هابيل اخاه ❊ فوا اسفا على الوجه المليح

ويقال ان هذه الابيات اول شعر قيل على وجه الارض وقد نسبوها لادم وانكره الشيخ
ابو الفرج بن الجوزي وقال ان الانبيا معصومين عن قول الشعر وان ادم كان لسانه سريانيا
قال الثعلبي اقام ادم سنة بعد قتل ولده لا يتبسم ولا يفتر عن البكا فاوحى الله
اليه يا ادم اني معوضك عن ولدك هابيل بولد يكون ابو الانبيا فولد وحده وسميه
شيثا ومعناه هبة الله فلما حملت به حوى لم تجد مشقة ولما وضعته وكبر وبلغ مبالغ
الرجال وقرا الصحف اعتزل ادم الى عبادة الله تعالى وتولى شيث امر اخوته وصار يقضي
بين الناس بما انزل الله تعالى فبينما ادم في خلوته يعبد الله اوحى الله اليه ان اوصي ولدك
شيث بما اوصيتك به فاني مذيقك الموت ففرغ ادم من هذا القال ثم ان ادم احضر
شيثا واوصاه كثيرا واعلمه بوقوع الطوفان وهلاك العالم واعلمه باوقات الصلوة
والعبادات في الليل والنهار واخرج اليه غطا من حرير ابيض كان فيه صور جميع الانبيا

ومن يملك من الملوك الى يوم القيمة وكان مع ادم من الجنة واعطاه الى شيث وامره ان
يحترص عليه ويجعله فى تابوت ثم ان ادم عمد الى شعرات من لحيته واعطاه لشيث وقال
ضمهم فى التابوت ايضا فاذا وهمك امر فاحملهن معك فانك تظفر باعداءك واذا
رايتهن قد ابيضوا فاعلم ان اجلك قد قرب وتموت فى ذلك اليوم ثم نزع خاتمه
ودفعه الى شيث وسلم التابوت والصحف التى انزلت عليه وقال له يابنى حارب اخاك
قابيل فان الله ينصرك عليه انتهى ذلك **ومن الاخبار** الغريبة ما روى ان ابليس اللعين
اتى الى موسى عليه السلام وقال له اذا ناجيت ربك فاشفع لى عنده وسله هل يقبل توبتى
اذا انا تبت فلما صعد موسى الى الجبل وناجى ربه قال يارب هل تقبل توبة عبدك ابليس
اذا تاب فاوحى الله اليه ياموسى قل له ان مضى الى قبر ادم وسجد فاتوب عليه فلما نزل
واتاه ابليس قال له فى السجود فقال ابليس انا ما سجدت له وهو حى كيف اسجد له وهو
ميت ثم ولى وانصرف ويروى ان الله تعالى لما اخرج ادم من الجنة وابليس من النار ثم امر
ابليس ان يسجد لادم ليتوب عليه فابى ابليس فرده الله الى النار ورد ادم عليه السلام
الى الجنة انتهى ما اوردناه من قصة ادم على سبيل الاختصار **ذكر قصة شيث
عليه السلام** قال وهب بن منبه لما توفى ادم كان لشيث من العمر اربعماية سنة واخذ
سيف ابيه وفرسه المسمى بالميمون اول على ادم من الجنة وكان اذا صهل اجابته دواب
الارض جميعها بالتسبيح فخرج شيث الى قتال اخيه فقاتله وهو اول حرب جرى فى بنى ادم
فانتصر شيث واخذ قابيل اسيرا فلما مثل بين يديه قال قابيل احفظ ما بيننا
من الرحم قال شيث لماذا لم تحفظ حق الرحم وقتلت هابيل ثم امر ان يجعل برج مغلولة الى
عنقه واوقفه فى الحر حتى مات فاراد اولاده ان يدفنوه فجاء اليهم ابليس اللعين
فى صورة ملك من الملائكة وقال لاولاده لا تدفنوه فى الارض واتاهم بحجر من البلور
وجوهرا وامرهم بان يجعلوه بين الحجر البلور بعد ان يلبسوه الفاخر الثياب ويطلوا
جسده بالدهن حتى لا يجيف ويدفنوه فى بيت على كرسى وكل من دخل اليه يسجد
له ثلاث سجدات وامرهم ان يتخذوا له فى كل سنة عيدا ويجمعون حوله ثم ان ابليس
وكل به شيطانا فكان يخاطب الناس على لسان قابيل وكان يقضى بين الناس كما كان يقضى
حيا فاقام الناس يسجدون لقابيل ثم رجع شيث الى الهند ويقضى بين الناس بالحق
قال وهب بن منبه توفيت حوى بعد ادم بسنة وقيل انها دفنت بجانب ادم
ثم انزل الله على شيث خمسين صحيفة وهو اول من نطق بالحكمة واول من اتخذ البيع
والشرا واول من اتخذ الكيل والموازين واستخرج معادن الارض وولد لشيث ولدا
ذكرا سماه انوش ورأى به نورا عظيما فعلم انه نور خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم
ثم راى شعرات ابيه قد ابيضت فعلم بنزاع اجله ولما مات كان له من العمر تسعماية سنة
انتهى **ذكر قصة انوش** بن شيث قال وهب بن منبه لما مات شيث استخلف ابنه

انوش

انوش وسلم التابوت والسفط والخاتم فسار فى الناس احسن سيرة وقضى بين الناس بالحق
ثم تزوج انوش بامراة واتاه ولد ذكر فسماه قينان وصار ذلك النور فى وجهه فمات
انوش وسلم التابوت والصحف لابنه قينان واستخلفه بعده وسار سيرة حسنة
وتزوج واتاه ولد ذكر وفى وجهه ذلك النور فسماه مهلاييل فمات مهلاييل فاستخلف
ولده برد ثم مات برد واستخلف ولده اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وذلك النور
فى وجهه **قال** وهب بن منبه انما سمى ادريس لكثرة درسه فى الصحف **ذكر ادريس
عليه السلام** قال ابن عباس رضى الله عنه بعث الله ادريس الى بنى قابيل وكانوا يعبدون
الاصنام وحاد داعى توحيد الله واتخذوا لهم خمسة اصنام وهى ود وسواع ويغوث
ويعوق ونسرا وهى التى ذكرها الله تعالى فى القران العظيم فكان ادريس يدعوهم فى
الجمعة ثلاثة ايام وكان ادريس عنده شدة باس فى امره ونهيه وهو اول من خط بالقلم
وكتب الصحف واتخذ علم الحساب واول من خاط الثياب وكان كلما خرز زنابورتر سبح الله
وكان اذا خيط شيئا بغير تسبيح فتقه وخاطه بالتسبيح وكان لا ياكل الا من خياطته بيده
وهو اول من لبس المخيط فاستحسنه الناس ولبسوا امثاله وكانوا قبل ذلك يلبسون الثوب
كالاردية وانزل عليه ثلاثون صحيفة ولا يفتر عن قراتها ليلا ولا نهارا وكانت الملائكة
تتعجب من كثرة عبادته وحسده ابليس اللعين ولم ير اليه سبيلا **ويروى** ان ملك الموت
استاذن ربه بان يزور ادريس عليه السلام فاذن له فاتى اليه بصورة ادمى فقال له
ادريس من انت ايها الرجل فقال انا ملك الموت استاذنت الله تعالى فى زيارتك
فاذن لى فى ذلك فقال له ادريس ان لى اليك حاجة فقال ملك الموت وما هى فقال
ادريس ان تقبض روحى فى هذه الساعة فاوحى الله تعالى الى ملك الموت ان اقبض روح
عبدى ادريس فانى علمت ما فى قلبه فقبضها فى الحال فقال ادريس ياملك الموت
قد بقى لى حاجة اخرى وهى ان تمضى بى الى جهنم لانظر فيها فاذن الله بذلك فحمله
ملك الموت واتى به الى مالك خازن النار فاوحى الله الى مالك خازن النار بان اوقف
عبدى ادريس على شفير جهنم لينظر ما فيها فوقف به فلما نظر اليها غشى عليه
فاحتمله ملك الموت واتى به الى المكان الذى اخذه منه فصار ادريس بعد ذلك لم
يكتحل بمنام ولم يتهنا بطعام من خوف من النار ثم ان ادريس انعكف على عبادة ربه
فتزوج واتاه ولد ذكر فسماه متوشلخ وصار النور فى وجهه وعلمه القراءة وسلم
الصحف والسفط والتابوت واوصاه الصلاة ثم قال له يابنى انى صاعد الى السما ولا
اعلم هل ارجع الى الارض ام لا فاقبل منى ما اوصيتك ثم ان ادريس دخل المحراب وسال
الله بان يريه الجنة كما اراه النار فاوحى الله الى رضوان خازن الجنان بان يدلى الى ادريس
غصنا من اغصان الجنة بشجرة طوبى فتدلى الغصن فتعلق به ادريس وارتفع الغصن
فصار ادريس فى الجنة وراى ما فيها من النعيم المقيم فلما طال ادريس المكث فى الجنة

فقال له رضوان اخرج الآن فقد حصلت لك الروية فقال ادريس لست بخارج منها
وقد قال تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد
وردتها وقال تعالى وما هم بمخرجين منها فانا لا اخرج منها فاوحى الله تعالى الى رضوان
قل لعبدي ادريس لا يخرج منها ابدا قال وهب بن منبه رواه الثعلبي ان ادريس لما
رفع الى السما كان عمره ثلثماية واثنين وستين سنة قال الكسائي لما رفع الله
ادريس الى الجنة قالت الملائكة الهنا وسيدنا ما كان لهذا العبد ان يصير في السما الرابعة
وفي مقام الملائكة المقربين فاوحى الله اليهم انكم افتخرتم على بني ادم فلو ركبت فيكم ما ركبت
فيهم من الشهوة وقدرت عليكم ما قدرت عليهم من الخطايا لفعلتم اعظم من فعلهم وعصيتموني
اعظم من عصيانهم فقالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك فاوحى الله تعالى اليهم
ان يختاروا منهم ملكين من خيارهم فيهبطهما الى الارض ويركب فيهم الشهوة كما ركبها
في الانسان ويختبرهما فاختارت الملائكة منهم هاروت وماروت وكانا من خيار الملائكة
فركب الله تعالى فيهما الشهوة كبني آدم واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس
بالحق ونهاهما عن الشرك بالله وعن قتل النفس بغير حق وعن الزنا وشرب الخمر فكانا
يقضيان بين الناس بالحق في النهار فاذا جاء المسا قرا الاسم الاعظم فعرجا الى السما
يعبدان الله فاستمرا على ذلك شهرا فاتت اليهما امراة جميلة من اجمل النسا في اثواب
فاخرة واسمها الزهرة وكانت من اهل فارس وتحكم على عدة من المدن فدخلت على هاروت
وماروت في زينة واسفرت عن وجهها وشكت من خصم لها فلما راياها الملكان
افتتنا في حسنها وانصرفت واتت في اليوم الثاني فصار كل من الملكين يحدث صاحبه
بما صار عنده من الشغف بها فلما زاد بهما الشغف راوداها عن نفسها فابت من
ذلك وانصرفت واتت اليهما في اليوم الثالث واشتكت فراوداها فقالت لا امكنكما
من نفسي حتى تدخلا في ديني وتشربا الخمر وتسجدان لصنمي وتقتلان خصمي فقالا
لا سبيل الى ذلك فان الله تعالى قد نهانا عن ذلك فانصرفت فزاد بهما الوجد والقلق
فتوجها اليها وطرقا عليها الباب ففتحت لهما وفرحت بهما واحضرت لهما طعاما
فاكلا منه واعرضت عليهما شرطها كله فقالا لها اما الشرك بالله فهو جرم عظيم لا يغفر
وكذلك السجود للصنم واما قتل النفس بغير حق فهو من اعظم الذنوب واهون من ذلك
شرب الخمر فلنشرب ثم نستغفر الله فاحضرت لهما الخمر فشربا وزنيا بها فراهما انسان
فقتلاه مخافة ان ينم عليهما فزاد بهما السكر فسجدا للصنم فلحكمة ذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخمرة مفتاح كل شر وقيل في المعنى

تركت المدام وشرابها ۞ وصرت صديقا لمن عابه
شراب يضل سبيل الهدى ۞ ويفتح للشر ابوابه
وقال اخر
الخمر ام الخطايا وهي جالبة ۞ لكل شر فكن منها على حذر
اذا ظفرت بشي من لذاتها ۞ وقعت في الف مكروه من الضرر

قال فلما ذهب عنهما السكر واتى الليل اراد الصعود الى السما فلم يستطيعا وسقطت
اجنحتهما فعلما انهما اخذا بذنبهما فسالا الله ان يقاصصهما في الدنيا لان عذاب الدنيا
اهون من عذاب الاخرة قال الكسائي انهما هاروت وماروت بارض بابل في جب من نار
معلقان بشعورهما منكسان على روسهما في سلاسل وهما معذبان بالعطش وبينهما وبين
الما مقدار يسير كالاصبع وجميع دخان الدنيا ياتي اليهما ويدخل في مناخرهما واعينهما
شاخصة واسودت جلودهما وهما معذبان بذلك الى يوم القيامة قيل ان رجلا
اتى اليهما ليتعلم السحر فلما دخل عليهما راهما على الوصف المذكور فقال الرجل اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فلما سمعا كلامه قالا له من امة من انت قال من امة محمد صلى الله
عليه وسلم فقالا او بعث محمد قال الرجل نعم فقالا الحمد لله واظهرا الفرح فقال الرجل بماذا
فرحتما فقالا ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الساعة وقد قرب فرجنا بقرب الساعة
قال السدي انه لما قال الله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدما الاية فهما هاروت وماروت ما وقع والله اعلم
انتهى قيل لما رفع ادريس تولى بعده ولده متوشلخ فلما توفي متوشلخ سلم الصحف
والتخت والتابوت الى ولده لامك وكان لامك شديد الباس وكان يقلب الصخرة العظيمة
بيده او يقلعها من الجبل بيده ومما وقع له انه خرج ذات يوم الى الصحرا فراى امراة ذات حسن
وجمال تو على غنما فتعلق حبها في قلبه فسالها عن نسبها فقالت انا من نسل قابيل بن ادم فقال
لها الك بعل قالت لا قال فما سنك قالت له ماية وثمانون سنة فقال انت صغيرة
ولو كنت بالغة لتزوجتك وكان حد البلوغ يومئذ مايتي سنة فقالت ان اردت تتزوجني
فانطلق الى ابي واخطبني منه فخطبها وتزوجها فرزقه الله منها ولدا ذكرا فسماه شاكر
وقيل عبد الغفار وهو نوح عليه السلام قال وهب بن منبه فلما كان وقت ولادتها
ذهبت الى مغارة ووضعته فيها خوفا عليه من ملك ذلك الزمان فانه امر بقتل الصغار
فكانت تنوح عليه خوفا فناداها يا اماه لا تخافي علي فان الذي خلقني يحفظني من الاعدا
فتركته وانصرفت وغابت عنه اربعين يوما ففي هذه المدة مات الملك فحملت نوح الملائكة
ووضعته في حجر امه فوجدت في وجهه نورا ساطعا عظيما فلما كبر وانتشا تعلم صنعة
النجارة وكان يرعى الغنم لقومه بالاجرة فلما توفي ابوه لامك عهد اليه وسلم الصحف
والتخت والتابوت انتهى

ذكر قصة نوح عليه السلام

قال الكسائي انما سمي نوح
لانه راى كلبا له اربعة اعين فقال نوح ان هذا الكلب شنيع المنظر ذي الهيئة فانطق الله
ذلك الكلب فقال يا عبد الغفار اعبت النقش ام النقاش فان كان العيب في النقش لم يكن لي
من الامر شي انما انا مخلوق وان عبت النقاش فهو لا يلحقه عيب يفعل ما يشا ويحكم
ما يريد فكان نوح كلما تذكر ذلك يبكي وينوح فسمي نوح رواه السدي قال وهب

اذا ظفرت

ابن منبه لما اتى على نوح اربعمائة سنة وثمانون سنة اتاه جبرائيل عليه السلام وقال له
يا نوح ان الله بعثني اليك بالرسالة وقد بعثك الله الى قومك وذلك قوله تعالى
انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم ثم ان جبريل البسه
لباس المجاهدين وعممه بعمامة النصر وقلده بسيف العزم ثم قال له امض الى عدو الله
دوشيل بن عويل بن قابيل وكان دوشيل جبارا عنيدا وهو اول من اعتصر الخمر وشربها واول
من اتخذ القمار وكان قد اتخذ للاصنام بيوتا مزخرفة ورتب لها الخدام والذبائح والاعياد
وكانوا يزنون بالنساء جهارا ويركبونهن بين الناس كالبهائم من غير ستر فلما جاءهم نوح
وقف على تل عال في يوم عيدهم ورفع راسه وقال الهي بعزتك ان تنصرني عليهم ثم نادى
باعلا صوته ايها القوم اني قد جئتكم من عند رب العالمين ادعوكم الى طاعته وانهاكم عن
معصيته فارجعوا عن عبادة الاصنام فبلغ صوته المشرق والمغرب فسقطت الاصنام
عن كراسيها وفزع من كان حولها وغشي على الملك دوشيل فلما افاق من غشيته قال
لمن كان حوله ما هذا الصوت العظيم فقالوا هذا صوت رجل مجنون يقال له نوح
فقال الملك ايتوني به فاتت به اعوان الملك الى بين يديه فقال له من انت قال انا نوح
رسول رب العالمين قد جئتكم بالرسالة لتؤمنوا بالله وحده وتتركوا عبادة هذه الاصنام
فقال له الملك ان كنت مجنونا داويناك وان كنت فقيرا واسيناك وان كنت مديونا
قضينا دينك فقال نوح ما بي شيء من ذلك وانما انا رسول رب العالمين اليكم لتؤمنوا
بالله وحده لا شريك له فقال الملك لولا انه يوم عيد لقتلته اشر قتلة **ويروى**
ان في ذلك اليوم امن بنوح امراة فتزوجها فولدت له سام وحام ويافث كلهم
ذكور وولدت له ثلاث بنات حصوره وساره وبجيوره وامن به في ذلك اليوم
سبعون انسانا وهو في كل يوم ينادي بهم يا قوم اعبدوا الله الذي خلقكم والقوم
يضربونه بالحجارة والنعال حتى يغشى عليه ويجرونه من رجله على وجهه ويرمونه
على المزابل فلما يفيق ياتي ويدعوهم ويفعلون به اكثر من ذلك ويقول اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون فاستمر نوح على ذلك حتى مات الملك وتولى مكانه ابنه
فكان اطغى وابقى الى اربعمائة سنة ونوح يدعوهم فلا يفيدهم وكانوا يتسلطون عليه
من الاسطحة بالحجارة حتى استكمل ستمائة سنة وهم على طغيانهم فعند ذلك قال نوح
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا فاستجاب الله دعاءه واوحى الى السماء ان تمنع المطر والى الارض ان تمنع
النبات واوحى الى نوح ان اصنع السفينة فقال نوح يا رب وما السفينة قال هو بيت
من الخشب يجري على وجه الماء فامره الله ان يغرس الساج وقيل الابنوس بارض الكوفة
فتوجه وغرس الى اربعين سنة حتى ادرك ففي هذه المدة لم تنزل من السماء قطرة
ولم يخرج من الارض نبات ولم تلد فيها امراة ولا بهيمة ولم يفرخ طير فاوحى الله

الى نوح ان ينقل الخشب فبقي نوح متحيرا بنقله فاوحى الله اليه ان عوج بن عنق يحمل لك
الخشب **قال** الكسائي ان عوق ام عوج كانت من اولاد ادم وكانت ساحرة شنيعة
المنظر وكان طول عوج ستمائة ذراع بالذراع القديم وهو ذراع ونصف وعرضه
مثل ذلك ولما جاء الطوفان لم يتجاوز الى ركبته وكان اذا غضب على قوم ياتي ويبول
عليهم فيفسد حالهم **وقيل** انه تسلط على اهل قرية فقالوا له نحن نكسو لك قميصا ونصبر
عليك بثمنه سنة فتخارجوا وصنعوا له قميصا من القطن والبسوه اياه فمضى عنهم وكان
كلما قصد ان يمر عليهم تذكر دينهم فيرجع عنهم خوفا من المطالبة بالدين **ويروى** انه عاش
من العمر اربعة الاف سنة وخمسمائة سنة حتى ادرك ايام موسى عليه السلام **قيل**
لما دخل موسى وقومه الى التيه فقصد عوج ان يهلكهم فجاء الى عسكر موسى ونظر كم لم
فوجدهم فرسخا في فرسخ فمضى الى الجبل واقتلع منه جانبا عظيما ووضعه على راسه واتى
ليلقيه على قوم موسى فارسل الله اليه هدهدا وجعل له منقارا من حديد محكم فنزل
الهدهد على تلك الحجر فنقرها وساعده القدر فانخرقت ونزلت في عنقه فصار واقفا
لا يستطيع الحركة فمضى اليه موسى ومعه عصاه وكان طولها عشرين ذراعا ووثبة
موسى عشرون ذراعا عن الارض وكان طول موسى عشرين ذراعا فوثب موسى عن الارض
وضربه فاصابه بكعبه فوقع على الارض ميتا فكان على الارض كالجبل العظيم **ويروى**
ان ببلاد التتر نهر عظيم يسمى الطاء وعليه قنطرة عظيمة فيقال ان تلك القنطرة من
ضلع عوج وكان من جملة عجائب الدنيا فلما جاء نوح عليه السلام الى عوج ليحمل له الخشب
من الكوفة الى الارض الحيرة بالقرب من بغداد فقال عوج لا احمل حتى تشبعني خبزا وكان
مع نوح ثلاث اقرصة من خبز الشعير فقدم اليه قرصا واحدا وقال له كل فضحك عوج
وقال لو ان معك خبزا قدر هذا الجبل ما اشبعني فقال نوح قل بسم الله الرحمن الرحيم
وكل فاكل رغيفا ونصف فشبع فقال لم اشبع من الخبز الا في هذا اليوم ثم مضى عوج
وحمل الخشب من الكوفة الى الحيرة في نقلة واحدة فاوحى الله تعالى الى جبريل بان يعلمه
كيف يصنع السفينة فكان نوح ينشر الخشب ويضع الدسر ويسمر الالواح ويلصق بعضها
ببعض ويسمرها بالمسامير فجعلها ثلاث طبقات وقيل سبع طبقات **قال** ابن عباس
رضي الله عنه كان طولها الف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وارتفاعها ثلاثمائة ذراع
ويروى انه قام بعملها اربعين سنة فكان القوم يسخرون منه ويقولون له يا نوح
تركت الرسالة وصرت نجارا **قال** الكسائي كان القوم اذا اتى الليل يطلقون النار في خشب
السفينة فلم تعمل النار شيئا فيقولون هذا من سحر نوح فلما فرغ السفينة طلاها
بالزفت والقار ثم اوحى الله تعالى اليه بان يسمر في جوانبها اربع مسامير وينقش على
كل مسمار منها عينا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهم عتيق وعمر وعثمان وعلي رضي
الله عنهم فلا تصح سفينة حتى تنقل بها ذلك ثم انطق الله السفينة فقالت جهارا

والناس يسمعون لا اله الا الله اله الاولين والاخرين انا السفينة التى من ركبنى نجا
ومن تخلف عنى هلك فقال نوح اتسمعون ماتقول السفينة قالوا نعم وكله متحير لك
يانوح ثم ان الله تعالى امر نوحا بان يحمل معه قوت ستة اشهر وان يحمل فى السفينة
صهريجا للماء العذب ثم انزل الله تعالى جوهرة من الجنة تضى كالشمس لتضى على اهل السفينة
ويعلم منها مواقيت الصلوة ثم ان الله تعالى اذن لنوح ان يحج فلما مضى بحجه هم القوم ان
يحرقوا السفينة فامر الله تعالى الملايكة ان يرفعوها بين السماء والارض الى ان ياتى نوح
من حجه فلما اذن الله فى ركوب السفينة اوحى الى نوح ان يصعد على جبل عالى وينادى
الوحوش والطيور والهوام والدواب فنادى فحمل معه من كل زوجين اثنين ذكرا
وانثى وان يحمل من كل نوع من الشجر شجرة وان يحمل التابوت الذى فيه جسد ادم وحوى
والصحف والحجر الاسود والنمط وعصاة ادم وكان الذى دخل معه السفينة من
ولد ادم اربعين رجلا واربعين امراة وحط هولاء فى الطبقة الاولى وفى الثانية الوحوش
والدواب والانعام **ويروى** ان اخر من دخل من الدواب الحمار وقد تعلق بذنبه ابليس
اللعين فعوقه عن الدخول فقال نوح ادخل ياملعون فلما دخل الحمار دخل ابليس معه فلما
راه نوح قال له ياملعون من اذن لك فى الدخول فقال انت قلت ادخل ياملعون **وقيل**
ان نوحا نهى جميع من كان فى السفينة عن الجماع خشية التناسل فتضيق السفينة باهلها
فانتهى كل من فى السفينة الا الكلب فانه جامع انثاه فاخبرت الهرة نوحا بذلك فلام
الكلب على فعله فانكر وعاد الكلب ثانيا وثالثا فاخبرت الهرة نوحا فدعى على الكلب
والهرة بالفضيحة فمن يوميذ صارت الهرة تضج عند سفادها ووقعت العداوة من
يوميذ بين الكلب والهرة وقيل فى ذلك

قالت الهرة قولا جمعت فيه كل المعانى
اشتهى ان لا ارى الكلب ابضا ولا الكلب يرانى

ويروى انه لما كثر روث الدواب فى السفينة شكوا من ذلك الى نوح فاوحى الله تعالى
اليه يانوح اعصر ذنب الفيل فعصره فوقع منه خنزير وخنزيرة فصارا ياكلان
الروث ثم خلق الله تعالى من عطسة الخنزير فارا وفارة ثم تناسلوا فكثروا فجعلوا
يقرضون جوانب السفينة فشكا اهل السفينة من ذلك فسلط الله على الفيران السنانير
فصاروا ياكلونهم الى الان ربما **قال** ابن وصيف شاه لم يكن فى ملوك مصر اعنى
من الملك سوريد وقد راى فى منامه قبل وقوع الطوفان بثلثماية سنة كان السما قد
انقلبت على الارض وكان الكواكب قد تساقطت والشمس والقمر قد دنيا من الارض
واظلمت الدنيا واسودت وكان الناس اجتمعوا من صعيد واحد وهم يستغيثون به
فلما استيقظ من منامه جمع الكهنة وقص عليهم هذه الرويا فقالوا رويا هذه سماوية
تهلك جميع الناس فاخذوا ينظرون فى ذلك فوجدوا ان ذلك اثر سماوية ماتيه

ويعم الماء جميع البلاد وتخرب الدنيا ويلحق ذلك جميع الارض فلا يخلوا منها شى ثم تعود
البلاد اعمر واحسن مما كانت اولا فعند ذلك امر سوريد ببناء الاهرام وقد جعل
اساسه بمقدار ارتفاعه وقال اجعلها نواويس وقبور الاجسادنا فعملها باحكام واتقان
ونقل اليها شيا كثيرا من الاموال والجواهر والات السلاح والتماثيل العجيبة والاواني
الغريبة من ساير المعادن وكتب الطلاسم والعلوم الفلكية التى تخبر بما يحدث من الامور
الى اخر الزمان فبنا هذا الاهرام وحبس فيه الهوى بتقدير وقد بير بالحكمة الالاهية
وقال اذا جاء الطوفان ننزل الى هذا الاهرام فنضع انفسنا واموالنا وذخاير نا
وتحفنا فان نجونا فهى لنا وان متنا فيكون الاهرام قبورا لاجسادنا فنضعها عن
البلا فصنع هو هرما وصنع وزراوه كل واحد هرما **قال** المسعودى فى بروج
الذهب ان فى كل هرم منها سبع بيوت على عدة الكواكب السبعة السيارة وفى تلك البيوت
عدة اصنام من الذهب وهى مرصعة بالجواهر الفاخرة وفى اذانهم كل درة قدر بيضة الدجاج
وفى كل هرم تاووس من الرخام الاخضر وفيه جثة صاحبه مطبق عليه ومعه صحيفة فيها
اسم صاحبه وترجمته ومدة ملكه وذكروا ان لهذه الاهرامات امكنة تنفذ الى الفيوم وهى
مسيرة يومين تحت الارض **ومما حكى** عن الشهاب الحجازى قال خرجنا من جامع الازهر
احدعشر نفرا فى طلب الاهرام وكان معنا عدة حبال على حمار فلما وصلنا الى الاهرام الكبير
المفتوح وقفنا على راسه فتجرد شخص منا وكان يدعى الشجاعة فربطناه بحبل وادليناه
فى الهرم فلم نزل ندليه حتى نفذ الحبال ولم يصل الى قعر البير فربطنا شاشا متينا
فانقطع فهوى الى قعر الهرم ولم نعلم له خبر فرجعنا منا سقين خايفين فدخلنا مصر
خفية ولم نعلم احد الخبر فبينا نحن بعد اسبوع فى الجامع الازهر واذا بصاحبنا الذى
سقط فى الهرم قد دخل علينا وهو فى غاية الضعف وسلم علينا فقلنا له كيف صار عليك
فقال لما سقطت نزلت على علوة لينة فوجدتها من زبل الوطواط وصبرت حتى استرحت
وانا متوقف يمينا وشمالا وقدحت الزناد واوقدت شمعة كبيرة ومشيت فوجدت
اشخاصا واقفين على عكاكيز فقربت من احدهم وهززته فنزل على الارض هباء منثورا
فاخذت عكازه من يده ومشيت فاذا انا بباب امام ودهليز فجعلت امشى فى ذلك
الدهليز وانا خايف ووجدت عظاما وجماجما قدر البطيخ الكبار ولم ازل ادور من
مكان الى مكان واذ بدفنجا فبينما انا فى مكان واذا بشى يمشى فلحقته وتاملته
فاذا هو ثعلب فلم ازل الحقه حتى خرج من كوة فنظرت فى تلك الكوة واذا بضوء
الدنيا ففرحت وتاملت العكاز فوجدته ذهبا عجيبا متينا فخرجت به حول الكوة
حتى خرجت الى الفضا فلم ادر انى انا من البلاد فقمت واذا انا برجل يقول لى قم فان القافلة
قامت فقمت ولم اجد العكاز ولا الكوة فاخذت الظلمة فاذا بقايل يقول كل شى
فى الهرم مرصود فخرجت مع القافلة فلما وصلت الى مصر دخلت وهذا وجهى

اليكم فرمنوه بالسلام انتهى قال ابو الريحان البيروني في كتاب الاثار الباقيه من القرون الخالية ان الهرم الكبير الشرقي موكل به صنم من جذع ابيض واسود وله عينان متقوحان براقتان وهو جالس على كرسي من ذهب وبيده حربة فاذا دنى اليه احد صاح به فيموت في مكانه واما الهرم الغربي موكل به صنم من حجر الصوان وهو على كرسي من ذهب وعلى راسه حية تنفخ في متنه تطوقته الحية فيموت ثم تعود الى مكانها كما كانت واما الهرم الصغير موكل به صنم من حجر البهت تنفخ في منه النفس به فلا يبرح حتى يموت

وقال المسعودي لما فرغ سوريد من عمارة الاهرام وكل بها جماعة من الروحانيين وذبح لها الذبايح لتمنع من ارادها بسوء فوكل بالهرم الشرقي غلاما امرد مصفر اللون وهو عريان كبير الانياب ووكل بالهرم الغربي امراة عريانة بادية عن فرجها فتضحك في وجه الانسان فتسلب عقله ووكل بالهرم الصغير الملون شيخا في يده مجمرة وعليه ثياب الرهبان وهو يدور حول الهرم وكثيرا ما يرونه عند القايلة او غروب الشمس وقيل ان هذه الاهرامات كانوا يحجون اليها الصابيه وكانوا يحجون لها من نحو المغرب او بمعابد مدينة غير الغربي وقيل ان سوريد لما بنا هذه الاهرام كساها الديباج وبناها في ستين سنة وكتب على جانبها من يدعي قوة فليكسرها حصرا وليهدمها في ستماية سنة فاني كسيتها ديباجا وبنيتها في ستين سنة وان الهدم ايسر من البنا وقيل

انظر الى الهرمين واسمع منهما	ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سير الليالي فيهما	نظر ابعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرنا بالذي	فعل الزمان باول وباخر

وقال اخر

سه اي غريبة وعجيبة	في صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها	ونقضت على الابداع كل نقاب
فكانما هي كالخيام مقامه	من غير اعمدة ولا اطناب
مثل العرايس جرد والثوابها	عنها ولم تنطق عن الاعجاب

وقال

تحقق ان صدر الارض مصر	ونهداها من الهرمين شاهد
تواعجبا لم اعنت فردنا	على هرم وذلك الثدي شاهد

ويروى ان الله تعالى اوحى الى نوح عليه السلام يا نوح اذا فار التنور من بيت ابنك سام فاركب في السفينة وكان سام اكبر اولاده واسم امراته رحمة فقال نوح يا رحمة ان الله تعالى اوحى الي ان الطوفان يكون مبداه من هذا التنور الذي تخبزين فيه فاذا فار بالماء فاخبريني وكان هذا التنور من حجر اسود وكانت حوى تخبز فيه فورثه سام فلما كان يوم الجمعة لعشر مضى من رجب فكانت رحمة تخبز فيه فلما كان اخر رغيف بادر الماء من تحت النار وهو قوله تعالى حتى اذا جا امرنا وفار التنور الاية فلما رات رحمة

ذلك الماء صاحت الله اكبر قد جاء ما وعد الله به من العذاب وقد صدق نبي الله نوح فبادرت الى نوح واخبرته بذلك فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان نوح قد جهز جميع ما يحتاج اليه في السفينة من علف الدواب والطير ومضى نوح الى ذلك التنور فوجد الماء يفور كالنهر العظيم فتوجه نوح نحو السفينة وهو ينادي يا قوم النجاة يا قوم النجاة ثم قال نوح لابنه كنعان يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين قال وهب بن منبه ان كنعان بن نوح غرق قبل ان يصل الى الجبل قال ابن عباس رضي الله عنه لما فار التنور تفتحت ابواب السماء بالمطر من غير سحاب واظلمت الدنيا ظلمة شديدة وكان ما السماء يقول لولا الحد الذي حده الله لبلغت الارضين كلها وكان ما الارض يقول لولا الحد لبلغت السماء وكان الرجل يمشي اذ نبع الماء من بين رجليه واما الملك سوريد لما راى ضجيج الناس ركب مع عظمايه ووقف على تل عال فلم يشعر الا والماء ينبع من بين ارجل فرسه ثم هرب الى الخضرا ويروى ان عوج بن عنق لما راى هذا الاهوال اتى الى السفينة فوضع يده عليها فقال له نوح ما تريد يا عدو الله فقال له عوج لا باس عليك يا نبي الله دعني امشي مع السفينة واستانس بكم من هذا الفزع والهول فتركه نوح ويروى ان الله تعالى رفع البيت المعمور الذي انزله يوم حج ادم عليه السلام وكان ياقوتة حمرا ولما سارت السفينة اتت الى مكان الكعبة وطافت سبعا واتت بيت المقدس فطافت ثلاث السفينة لا تاتي مكانا الا وتقول هذا مكان الفلاني وكان يحول السفينة سبعون الف ملك يحفظونها وتقدم الماء فوق كل عال اربعين ذراعا ولم يبق في الوجود ذو روح من انس وجن ودابة وطير الا وهلك غير اهل السفينة ومن النوادر الغريبة ان امراة حملت ولدا صغيرا لها ولم يكن طفل غيره فصعدت به الجبل لتنتصر من الماء فلما غشيها الماء حملت ابنها على عاتقها فلما علاها الماء وضعته تحت رجلها فطلب النجاة من الماء فغرقت هي وابنها فاوحى الله الى نوح لو كنت راحما احدا من قومك لرحمت تلك المراة وولدها وقال المثل عند الضيق يضع الوالد ولده تحت رجله قال الكسائي اختلف العلماء في مقدار مدة مكث الماء على الارض فمنهم من قال ستة اشهر ومنهم من قال خمسة اشهر ومنهم من قال اربعين يوما ثم ان الله تعالى اوحى الى الارض والسما قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي ويروى ان الجودي جبل بالقرب من الموصل فاستقرت السفينة عليه وقال الثعلبي استوا كان يوم عاشورا فصامه نوح شكرا لله تعالى على دفع العذاب وامر من كان معه بصوم ذلك اليوم شكرا ويروى ان نوحا في يوم العشر التي رست السفينة فيه اخذ ما بقي من المونة التي ادخرها في السفينة وهي الباقلا والعدس والفول والحمص والقمح والشعير والارز فخلطها في بعضها وطبخه حبوبية فصارت من يومئذ سنة

ويروى ان نوحا لما فتح باب السفينة فنظر الفضا فاذا بقوس الله وقيل انه لم يقبل ذلك
وكان دليل لنتقص الماء ثم ان اهل السفينة صاروا لا يقدرون يقابلون الشمس باعينهم
فشكوا ذلك لنوح عليه السلام فدلهم على حجر الاثمد فاكتحلوا بها وروي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اكتحل يوم عاشورا لم يرمد في سنته قال الكسائي لما انتقص
الماء اول ما ظهر من الجبال جبل ابي قبيس الذي بمكة ومكان الكعبة وقد صارت ربوة
حمرا مرتفعة عن الارض ولم يسلم من الغرق في الطوفان سوى قرنها وندفانها لم تتغير
والاهرام ثم ان نوحا اراد ان يعلم هل انكشفت الارض ام لا فارسل الغراب ليكشف
له حال الارض فلما ذهب اشتغل باكل الجيف من الغرقى فابطا سبعة ايام فدعا عليه نوح
فصار يمشي وعلى راسه الطيرة فهو لا يستقر بمكان ثم قال نوح ايها الطير من يأتيني بخبر
الارض فان الغراب قد ابطا فقالت الحمامة انا اتيك بخبرها فطارت ومضت بعد
ساعة رجعت وفي فمها ورقة خضرا فقال نوح هذه من ورق الزيتون فعلم نوح ان
الماء لم ينكشف بعد وارسل الحمامة بعد ذلك مرة ثانية فاتت وهي مخضبة بالحمرة
فعلم ان الارض قد انكشفت فدعا للحمامة وقال اللهم حببها للناس واكثر من نسلها
فاقامت السفينة بعد ذلك اربعين يوما حتى جفت الارض ونبتت الاعشاب
من كل جانب فاوحى الله تعالى الى نوح ان اهبط بسلام منا وبركات عليك الاية ثم ان الله
تعالى امر نوحا ان يطلق من كان معه في السفينة فاطلقهم فتفرقوا في الارض كما كانوا
وتميز النهار من الليل بعد الظلمة وظهرت الكواكب وامطرت مطر الرحمة فزخرج
ما الطوفان فانه كان ملحا اجاجا ففرح نوح بذلك واستبشر بالرضى من الله تعالى
ويروى ان نوحا لما خرج من السفينة راى الارض بيضا فصار متحيرا وسمع صلصلة
فزاد تحيره فقال له جبريل عليه السلام عن ذلك فقال البياض عظام قومك والصلصلة
اصوات السلاسل وهو قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا ويروى ان نوحا
لما نزل من السفينة عمر له قرية هناك وسماها قرية الثمانين فهي اول قرية بنيت
بعد الطوفان ثم اوقع الله تعالى الموت في تلك القرية فلم يبق في الارض من الادميين
غير نوح واولاده الثلاثة سام وحام ويافث وازواجهم فكانوا سبعة انفس وهو
قوله تعالى وجعلنا ذريتهم هم الباقين قال ابو معشر كان بين طوفان نوح وتوبة
ادم الفين ومائتين واربعة وسبعون سنة ونقل الثعلبي لما نزل نوح من السفينة اوحى
الله تعالى اليه بان يغرس الاشجار التي حملها معه في السفينة فغرسها فكان اول ما غرس
شجرة الاس واراد ان يغرس بعدها شجرة الكرم فلم يجدها فسال ولده عنها فقالوا لا
علم لنا بها فهبط جبريل قال يا نوح ان ابليس قد سرقها فقال نوح لابليس اعد شجرة الكرم
التي سرقتها فقال ابليس ما اعيدها حتى تشركني فيها فقال نوح قد جعلت لك فيها
الثلث فابى ابليس فقال جعلت لك فيها الثلثين فرضي ابليس بذلك قال الشيخ كمال الدين

الدميري في كتاب حيوة الحيوان لما غرس ابليس شجرة الكرم ذبح عليها طاووسا فشربت من دمه
فلما طلعت اوراقها ذبح عليها قردا فشربت من دمه فلما اثمرت ذبح عليها اسدا فشربت من دمه
فلما نضجت ذبح عليها خنزيرا فشربت من دمه فلهذا شارب الخمر يعتريه اوصاف هذه
الحيوانات الاربع وذلك في اول شربه يزهو كما يزهو الطاوس وبعد ذلك يصفق ويطرب
كما يطرب القرد فاذا قوي عليه السكر عربد وتجبر كالاسد فاذا انتهى به ذلك نعس ونام
كالخنزير فهذه العناصر لا تخلو عن شارب الخمر قال الكسائي اول من عصر الخمر ابليس
واول من صنع الطار والمزمار والات اللهو وروي ان ابليس لما طرد من الجنة وخرج من
بابها غلق الباب بعد خروجه فرنت حلق الباب فسمع صوتا من الحلق مطربا فاخذ
يصنف الات الطرب ليحصل له مثل نغمات حلق باب الجنة فلم يقدر على ذلك واين
واين نفس محروم الجنة والعياذ بالله انتهى قال الكسائي ثم ان نوحا قسم الجهات
بين اولاده الثلاث وهم سام وحام ويافث فاستقر سام بالجهات الغربية وكان من نسله
الروم وفارس والعرب وكان يرى في وجه سام نور النبوة واضاف اليه جهات الحجاز
واليمن والعراق والشام وكان اكبر اولاده واما حام فاستقر بالجهة القبلية مع الجنوب
وكان من نسله الزنج والحبشة واما يافث فاستقر بالجهة الشرقية فكان من نسله الترك
وياجوج وماجوج وهم بنو اعمام الترك ثم ان الله تعالى اوحى الى نوح بان يدفن جسد
ادم وحوى في المكان الذي اخذهما منه ففعل وامره بان يرد الحجر الاسود الى مكانه
بمكة ففعل واستمر نوح يسعى في عمارة الارض بعد الطوفان كما كانت قال
كعب الاحبار لما كبر نوح وقرب اجله صعد على جبل عال وقال اللهم اريد اطلب منك
دعوات لاولادي فاذن في الاجابة فنادى ابنه سام فجاء وجلس بين يديه
فوضع نوح يده عليه وقال اللهم بارك في سام وفي ذريته واجعل فيهم النبوة والملك
فكان من نسل سام ارفخشد فجاء من اولاده الانبيا والصلحا ثم نادى ابنه حام
فلم يجبه فدعا عليه اللهم اجعل اولاده خدما وسود وجوههم واجعلهم عبيدا
لاولاد سام وقيل كان لحام ولد اسمه مصريم لما سمع تداعى جده لابيه جاء الى جده
وقال يا جدي ها قد اجبتك حيث لم يجبك ابي فوضع نوح يده عليه وقال اللهم كما
اجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته واسكنهم ارضا مباركة تكون ام البلاد وغوث
العباد فسكن مصريم مصر وسميت باسمه وكان من ذريته القبط ثم دعا ابنه
يافث فلم يجبه فدعا عليه وقال اللهم اجعل نسله شرار الخلق فكان من نسله ياجوج
وماجوج والترك كما تقدم وبعد ذلك واقع حام زوجته فولدت ولدين اسودين
فقال لزوجته ما هذا فقالت بلى ولكن تحنث دعوة ابيك فخرج حام هاربا على
وجهه خجلا من الناس فلما كبر الولدين الاسودين تحفا ابيهما فوثب الولد الاسود
على اخته السودا فحملت وولدت ولدين اسودين فتناسلوا فكثروا فكان من نسلهم

السودان وعمروا قرية يقال لها النوبة وسكنوها واما يافث فانه سار الى بلاد المشرق
وتزوج فجاءه خمسة اولاد وهم جوهر وبترس وميانشج وسناف وستويل قال
فكان من نسل جوهر الصقالبة والروم ومن نسل بترس الترك والخزرج ومن نسل
ميانشج الاعاجم ومن سناف ياجوج وماجوج ومن نسل ستويل الارمن واما سام
فتزوج وولد له من الاولاد خمسة ارفخشد فكان من نسله الانبيا والصالحين
والعرب ربيعة ومضر وقبايل اليمن والثاني حاشر فكان من نسله اقوام يقال لهم
النبطي والثالث عوعل فكان من نسله العمالقة والعادية والرابع ادم فكان من
نسله قبايل ثمود وعاد وشليخا كان منقطع النسل لا عقب له انتهى ذلك قال
العتبي ان سام عاش من العمر ستماية سنة ومات ودفن بمدينة توى من اعمال حوران
قال وهب ابن منبه ان نوحا عاش بعد الطوفان مايتين سنة ثم حج ايضا بعد
الطوفان ثم جاءه ملك الموت وسلم عليه فارتعدت جثة نوح منه فقال له نوح
وعليك السلام من انت قال انا ملك الموت جيت لاقبض روحك فتغير وجه
نوح وتلجلج لسانه فقال له عزرايل يا نوح الم تشبع من الدنيا فقال نوح يا ملك الموت
رايت الدنيا كانها ساعة فعند ذلك ناوله شربة من الجنة فشرب منها نوح فسكن
ما به من الحزن فلما فرغ من شربه سقط ميتا ودفنوه اولاده في قرية قريبا من الكرك
وقيل عند قبره عين ماء جارية وقيل

نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح
لابد من الموت ولو عمرت ما عمر نوح

ذكر قصة هود عليه السلام

قال الله تعالى والى عاد اخاهم هودا الاية
قال كعب الاحبار لم يجي بعد نوح من الانبيا الا هود عليه السلام وهو من نسل سام
من قبيلة يقال لها عاد وكانوا عربا يسكنون الاحقاف وهي جبال من رمل كانت باليمن
بين عمان وحضرموت بالقرب من البحر المالح وكان لهم ملك يقال له الجلجان وكان
طوله ماية ذراع اذا قام على الارض يكون كالجبل واذا وضع يده على الجبل يهزه من جوانبه
قال وهب بن منبه وكان اهل ذلك الزمان على هذه الهيئة وكانوا لا يبلغون الحلم
الا بعد ماية سنة وكان راس الواحد منهم كالقبة العظيمة وكانوا ما جاورين يعبدون
الاوثان من دون الملك الديان قيل ان ستين رجلا من قوم موسى استظلوا
بجمجمة وهي قحف رجل من العمالقة وقال زيد بن اسلم رايت ضبعا مع اولاده موكرين
في عين رجل من العمالقة ولقد وزنت ضرسا منهم فجاء عشرة ارطال تقريبا قال
فلما بلغ هود اربعين سنة جاء جبريل عليه السلام وقال له ان الله قد بعثك الى قوم
عاد فانذرهم وقل لهم ان الذي اعطاكم الاعمار الطويلة وقوة الاجسام والدنيا
وغير ذلك فجاء هود الى قومه وهو يقول يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره فلما

سمعوه اتوا به الى الملك فقال له يا هود انظن انك وحدك تغلب جموعنا وقوتنا وتردهم
عن قوله وهو يعود ويدعوهم فدام على ذلك مدة مديدة فعند ذلك دعا هود عليهم بان
يعقم الله نساهم فلم تحمل منهم امراة في تلك السنة فشكوا ذلك الى ملكهم الجلجان وقالوا
ان هود دعا واعقم النسا ونخاف ان يكون صادقا في رسالته فامر الملك قومه ان يضربوا
هودا فكانوا يرجمونه بالحجارة ويشتمونه ويوذونه ولم يزدادوا الا طغيانا وكفرا
فامسك الله عنهم المطر سبع سنين فماتت مواشيهم وقلت اقواتهم حتى هلك منهم الضعف
وكان من عادة اهل ذلك الزمان اذا قحطوا توجه منهم جماعة الى مكة فخرج سبعون رجلا
واخذوا معهم كسوة الكعبة فلما وصلوا الى مكة والبسوا الكعبة تلك الكسوة جاءت
ريح فمزقت تلك الكسوة ونفضتها عن الكعبة فلم يعتبروا وطافوا حول البيت ودعوا
الله وطلبوا ان يسقيهم الغيث فسمعوا قايلا يقول

قبح الله وفد عاد اتونا ان عادا اشر اهل الجحيم
سيردوا وردهم ليسقون غيثا فيسقون من شراب الحميم

فارسل الله لهم ثلاث سحابات الواحدة بيضا والاخرى حمرا والثالثة سودا وسمعوا
قايلا يقول اختاروا من هولاء السحب واحدة فاختاروا السحابة السودا وظنوا انها مملوة
بالمطر فساقها الله الى ديارهم فاستبشر القوم وقالوا هذا عارض ممطرنا قال وهب بن
منبه ان الله تعالى اوحى الى ملك الريح العقيم بان يخرجها من تحت الارض فخرجت فجاءت
تزمجر فلما عاينها القوم خرجوا الى الصحارى هاربين فكانت تلك الريح والعياذ بالله
تقلع الاشجار بعروشها وتهدم الدور على اهلها واستمر هذا الامر عليهم سبع ليال
وثمانية ايام حسوما اي متتابعة وقد اخبر الله تعالى بذلك في القران العظيم واصبح القوم
كانهم اعجاز نخل خاوية فكانت الريح تدخل في اثواب الرجل فتحمله نحو عشرين ذراعا عن الارض
وتضرب به الارض فيخر ميتا وكانوا اذا دخلوا البيوت دخلت واحتملتهم واخرجتهم
وضربت بهم الارض واستمروا في ذلك الحال وارواحهم في اجسادهم على حال التلاف
فمنهم تحت الرمال ومنهم تحت الحجارة وفي اين لبطول الله عذابهم وروي ان هود لم
يخرج من بين قومه وكان غيره من الانبيا اذا نزل بقومه العذاب يخرج من بينهم وكان
الرجل المومن يجلس والى جانبه الكافر فتاتي الريح فتخطف الكافر وتدع المومن وقيل
ان الملك جلجان عاش بعد فنا قومه لينظر مصارعهم وبعد ذلك دخلت الريح من
فمه وخرجت من دبره فخر ميتا ثم ارسل الله تعالى طيورا سودا فحملت القوم والقتهم في
البحر المحيط ويروى ان رجلا اتى الى عند الامام علي رضي الله عنه فقال له الامام من
اي ارض انت ايها الرجل فقال من حضرموت بارض اليمن فقال له اعندك خبر من نبي الله
هود فقال الرجل نعم خرجت في ايام شبابي ومعي جماعة من اصحابي فسرنا حتى اتينا الى جبل
عال وفيه مغارة فيها ثقب ضيق فسرنا فيه بعسر حتى انتهينا الى مكان واسع فراينا

هنالك سريرا من الذهب وعليه رجل ميت وهو في كفنه لم يتغير من حاله شي فتاملته فاذا هو واسع العينين مقرون الحاجبين لطيف الانف طويل اللحية وتحت راسه لوح من الرخام الابيض وعليه مكتوب هذا هود نبي الله تعالى وقد بعثه الى قوم عاد فكذبوه فاخذهم الله بالريح العقيم انتهى على سبيل الاختصار **ذكر قصة شداد بن عاد**

قال وهب بن منبه هو شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان عادا ابو شداد قد تزوج بالف امراة وولد له اربعة الاف ولد ذكر وعاش نحو الف سنة **قال** الكسائي فلما مات خلف على الملك ثلاثة شداد وشديد وارم وكان شداد اكبر اولاده شديد الباس حتى قهر جميع ملوك الارض واسرهم وقتل عتاتهم وملك ارضهم وديارهم وثبتت شوكته فملك جميع الارض بطولها والعرض **قال** وهب بن منبه لم يملك الدنيا باسرها غير اربعة مومنين وكافرين فاما المومنين فهما سليمان نبي الله والاسكندر ذو القرنين واما الكافرين فهما شداد بن عاد والنمرود بن كنعان وقيل بخت نصر البابلي والله اعلم وقيل في المعنى

كم سمعنا بملوك هلكوا ... ملكوا الدنيا وما قد ملكوا
كدر الموت عليهم عيشهم ... تركوا الدنيا وما قد تركوا

قيل للامام علي رضي الله عنه صف لنا الدنيا فقال وما عسى اصف لكم فهي دار اولها عنا واخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء وقيل في المعنى

والله لو كانت الدنيا باجمعها ... تبقى علينا وياتي رزقها رغدا
ما كان من حق حر ان يذل لها ... فكيف وهي متاع يضمحل غدا

قال الكسائي ان شداد بن عاد كان مولعا بقراءة الكتب القديمة التي انزلت على الانبيا فكان كلما نظر فيها وراى اوصاف الجنة ترتاح نفسه لها فخطر في باله ان يجعل في الدنيا مثلها كما قيل

احببتكم من قبل رؤيا كم ... لحسن وصف فيكم تجرى
وهكذا الجنة معشوقتي ... احبها من قبل ان تبصرا

وكان لشداد الف وزير فامر بعضهم ان يتوجهوا الى جوانب الارض لينظروا ارضا واسعة كثيرة الانهار والاشجار بعيدة عن الجبال طيبة الهوى تصلح ان يجعلها جنة فتوجهوا وساروا حتى انتهوا الى ارض عدن في جهة اليمن فوجدوا هناك ارضا بهذه الصفة فرجعوا واخبروه بها فتوجه الملك بنفسه اليها وجمع معه من مملكته البنايين والمهندسين وخطوا خطها مربعة الجوانب دورها اربعون فرسخا وحفروا اساسها وبنوها بالرخام المجزع حيطانا مقدار النصف ثم قال لوزرائه انطلقوا

الى انظار

الى انظار الارض واجمعوا الى ما فيها من الذهب والفضة والمعادن من الجواهر واللالى واليواقيت والمسك والعنبر وغير ذلك فتوجهوا وجمعوا له ما اراد حتى صارت الناس فيها يتعاملون بالجلود المختومة باسم الملك فلما جمعها صنع منها لبنا وكمل به الحيطان وجعل ارتفاعه خمسمائة ذراعا وعرضه عشرين ذراعا ثم جعل داخل ذلك الف غرفة لوزرائه قايمة على اعمدة الزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر وجعل تلك الغرف مشرفة على الاشجار والانهار وصنع اشجارا من الذهب وحملها من الياقوت او الزبرجد او الجواهر وجعل حول ذلك تلالا من المسك وتلالا من العنبر واحكمها احكاما عجيبا بالصنايع المتقنة المحكمة التي لم يعمل مثلها في الدنيا **قال** الكسائي كان مدة عمارتها ثلاثمائة سنة فلما اكملوا بناها امر بان يحمل اليها الفرش الفاخر فلم يكملوا نقل الفرش الا في عشر سنين وامر الملك ان تحمل سراياه وسرايا وزرائه وخواصه وولده على هوادج من الذهب وان يحملوا جميعهم في زينة ليدخلوا جنته فلما سار الملك بذلك ووصل اليها واراد ان يدخلها فارسل الله عز وجل اليه ملكا من الملايكة فقال له ايها الملك ان انت اقررت بكلمة التوحيد مكنتك لدخول هذه المدينة وان لم تقر قبضت روحك في هذه الساعة فلم يوافقه على الاقرار بتوحيد الله فصاح ذلك الملك بهم صيحة فماتوا اجمعين قبل ان يدخلوا المدينة وقال الله تعالى الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم **قال** وهب بن منبه لم يبن مثل هذه المدينة على وجه الارض وقد قال الله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد اختلفوا في ذلك **قال** السدي ان هذه المدينة التي بناها شداد بن عاد باقية الى الآن وقد دخلها رجل اعرابي يقال له عبد الله بن قلابة وذلك في خلافة معاوية بن ابي سفيان سنة ثمانية واربعين من الهجرة انتهى ما اوردناه على سبيل الاختصار **ذكر اخبار صالح عليه السلام** قال الله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا وهو صالح بن كانوك وقد بعثه الله الى قبيلة ثمود **قال** السدي ثمود اسم بير كانت بين الحجاز والشام **قال** ابن اسحاق لما اهلك الله قوم عاد عمرت ثمود من بعدهم بلادهم واتخذوا من الجبال بيوتا مجوفة بالنحت وجعلوا على تلك البيوت ابوابا من الخشب مصفحا بالنحاس والحديد وقد اوسع الله لقوم ثمود بكثرة المال وبعد ذلك طغوا وبغوا وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالح عليه السلام **قال** الغويري كان كانوك يسجد للاصنام فلما كان في بعض الايام سجد للصنم الكبير فنكس ذلك الصنم فتعجب كانوك من ذلك فانطق الله تعالى ذلك الصنم فقال يا كانوك ان في ظهرك نبيا يبعثه الله الى قبيلة ثمود فلما سمع ذلك كانوك خرج هاربا على وجهه فلما جن عليه الليل بعث الله اليه ملكا على صفة طير فاحتمل كانوك ومضى به الى واد كثير الاشجار والانهار فلما اصبح كانوك تمشى تحت تلك

الاشجار فنظر الى الجبل وهو شاهق في الهوى فصعد الى الجبل فوجد غارا فدخله فالقى الله
عليه النوم فنام مائة سنة فكان الملك يطلبه في كل يوم فلم يجده فاتخذ للاصنام عيدا دائما
غيرهم فكانت زوجة كانوك تبكي عليه ليلا ونهارا فبينما هي كذلك واذا بغراب ينعق
على الباب فخرجت اليه فقالت له ايها الطائر ما احسن صوتك فانطقه الله تعالى
وقال لها ذلك الغراب انا الذي بعثني الله لقابيل لما اعلم كيف يواري اخاه ثم قال لها
مالي اراكي باكية حزينة فقالت له اني فقدت زوجي من مائة سنة فقال لها الغراب
اتحبين ان امضي بك اليه فقالت بلى ولكن هذا عجيب فقال لها الغراب اتعجبين من امر الله
فعند ذلك قامت من وقتها واسرعت وخرجت من الباب وصارت تمشي والطير يطير
قدامها ولازالت تمشي في جوف الليل وسهل الله لها الطريق حتى وصلت الى الغار
فقال لها الطير ادخلي فدخلت فوجدت زوجها نائما فقال له الطير قم يا كانوك باذن الله
فقام كانوك فوجد زوجته عنده فسلما وتعانقا فتواقعا فحملت منه في تلك الساعة
بصالح عليه السلام فلما فرغا من الوقاع انقلب كانوك ميتا فخرجت زوجته من الغار
فصارت تمشي والغراب قدامها حتى دخلت الى ديار ثمود وكل ذلك تحت الليل
ولما كمل حملها وضعت صالحا عليه السلام في الليل فلما اصبح الصباح وجدت جميع
الاصنام منكوسة على رؤوسها فلما بلغ الملك ذلك اغتم غما شديدا فامر الملك
حفدته بان ينظروا فيما حدث فدخل ابليس في جوف الاصنام وقال يا آل ثمود
ولد فيكم مولود يقال له صالح يدعوكم الى غير دينكم فلما كبر صالح فكان احسن اهل
زمانه فصيح اللسان بالعربية فلما اتى عليه من العمر اربعون سنة اوحى الله اليه بان
يمضي رسولا الى ديار ثمود ويدعوهم الى التوحيد ويمنعهم من عبادة الاصنام
واعطاه جبريل حلة خضراء من الجنة وختمه فسار صالح الى القوم وكانوا مجتمعين حول
الاصنام في الصحراء في يوم عيد فوقف صالح بين يدي الملك فقال اعلموا اني قد
جئتكم رسولا من عند رب العالمين ادعوكم الى توحيده فقال الملك يا صالح ان قوم
ثمود لا ترضى ان تكون انت رسولا اليهم فقال صالح ان الله يختص برسالته من يشاء
من خلقه فعند ذلك قال الملك يا قومنا ماذا ترون في امر صالح فقالوا انه كذاب
اشر ثم ان صالحا بنى له بيتا مسجدا بين قبائل ثمود فكان يتعبد فيه ويخرج في كل
يوم الى قبائل ثمود ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وهم على حالهم من العتو والطغيان
فاقام صالح على هذه الحال مدة سبعين سنة ثم ان الله تعالى اعقم نساءهم وابقارهم
واغنامهم وجف اشجارهم وصارت الخيل تنفر عن القوم فعند ذلك هموا بقتل
صالح فخرج الى الصحراء وصعد الى جبل عال فاستخفى في غار هناك ووجد في ذلك
الغار سريرا من الذهب وعليه الفرش الفاخر وفوقه جوهرة تضيء مثل المصباح فتعجب
صالح من ذلك فصعد صالح على السرير ونام عليه فكانت تلك النومة اربعين سنة

ثم ان

ثم انتبه من نومه فاوحى الله اليه ان انطلق الى قوم ثمود وادعوهم الى التوحيد فجاءهم في
يوم عيدهم والناس مجتمعون حول ملكهم فاتاهم وقرب منهم وقال يا قوم اعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا فتساقطت اصنامهم بين ايديهم فقال له الملك اوليس الذي
كنت فينا بالامس وغبت عنا اربعين سنة قال نعم فقالوا له لا نؤمن بك حتى تخرج
لنا من هذه الصخرة ناقة فقال صالح ان ذلك على الله هين فقالوا نريدها ذات الوان
احمر واصفر واسود وابيض ويكون طولها مائة ذراع وعرضها مثل ذلك ويكون
مشيها كالبرق الخاطف صوتها كالرعد القاصف ويكون لها جمل يمشي خلفها على
صفتها ويكون لبنها احلى من العسل ويسكر مثل الخمر ويكون في الصيف باردا وفي
الشتاء حارا لا يشرب به مريض الا وشفي من يومه ولا فقير الا ويستغني وانها تدخل
علينا عند العشاء وتسلم على القوم كل واحد باسمه وتقف على بابه ونحلب له اللبن
من غير اضطراب ولا ترعى من مراعينا ولا تخالط مواشينا ويكون الماء لها يوم ولنا يوم
وقال رجل آخر نريد ان تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة يكون يدها من الذهب ورجلها
من الفضة وراسها من الزبرجد واذناها من المرجان ويكون سنامها قبة من الجوهر
ولها اربعة اركان مرصعة بانواع اليواقيت الفاخرة فاذا اخرجتها بهذه الصفة امنا
بك فقال الملك بل تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة ذات لحم ودم وعظم وجلد
ويكون لها سنام كالقبة العظيمة ويكون لها فصيل يتبعها على صفتها فان اخرجتها
لنا على هذه الصفة آمنا بك وصدقنا برسالتك ثم ان صالح قال يا قوم قد اشترطتم
علي شرائط كثيرة وانا اشرط عليكم ان لا يركبها احد منكم ولا يرميها بحجر ولا يسمها
ولا يمنعها من شرب الماء ولا يمنع فصيلها فقال القوم كلهم نعم فاخذ عليهم العهود
والمواثيق فقام صالح من وقته وصلى ركعتين ورفع يديه الى السماء ودعا الله
تعالى ثم تقدم الى تلك الصخرة التي اختارها القوم فضرب عليها بقضيب كان لآدم
عليه السلام فاضطربت الصخرة وانت مثل انين الحامل عند الوضع ثم خرج من
الصخرة ناقة على هذه الصفة ولها فصيل يتبعها على الصفة التي ذكروها وهي تنادي
لا اله الا الله صالح رسول الله فلما نظرها الملك قام من سريره وقبل راس صالح وقال
يا قوم انا اشهد ان لا اله الا الله وان صالح رسول الله فامن مع الملك جماعة كثيرة
فصارت الناقة تمضي الى الجبال والاودية فترعى منها فاذا امسى المسا دخلت
الى المدينة وطافت على دور القوم فياخذوا من لبنها ويضعون اوعيتهم تحت ضرعها
فتمتلي ويذهبون وكانت تسلم عليهم وتذكرهم باسمائهم فلما يكتفي القوم من لبنها تاتي
نحو مسجد صالح وتبيت الى الصباح فتمضي ترعى وكان في القوم امراة ذات حسن وجمال
يقال لها قطام وكانت معشوقة لشخص يقال له مصدع وكان من الجبابرة وكان مصدع
له صاحب يقال له قيدار فاجتمعا عند المراة قطام فتنازعا بالحديث بينهما فطلبا منها

الماء فلم تجد ماء فقالت ان الماء في هذا اليوم كان للناقة ولم يجسر احد على طلبه فغضب
مصدع وقيدار وعزما على عقر الناقة وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض
كما اخبر الله تعالى عنهم فجاءهم مصدع وقال لهم اني عزمت على عقر ناقة صالح فهل تتبعوني
فقالوا انا نحن نطوع بذلك **ويروى** ان عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل الامام علي رضي الله تعالى
عنه كان من نسل قيدار الذي عقر الناقة قال فاجتمع قيدار ومصدع والرهط على
عقر الناقة وندبوا لها فدخل قيدار فكمن لها في مغارة في الجبل فلما اقبلت الناقة
نحو المغارة ضربها بسيف فقتلها فطلب بعدها فصيلها ليقتله فهرب الى الجبل
فانشق له الجبل والتقم فلما علم القوم بقتلها اتوها ونهبوا لحمها وصاروا يضحكون
ويلعبون هذا وصالح غائب فلما حضر اعلموه بذلك فقال له جماعة يا صالح ما لنا ذنب
في عقر الناقة فقال لهم اذهبوا فان ادركتم فصيلها فعسى يرفع عنكم العذاب فذهبوا
فوجدوه قد غاب في الصخرة التي خرج منها فاخبروا صالحا بذلك وانه غاب ولم
يبق له علم فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا قوم تمتعوا في داركم ثلاثة
ايام ثم يأتيكم العذاب وعلامته ان في اليوم الاول تحمر وجوهكم وفي الثاني تصفر
وفي الثالث تسود فلما راوا هذه العلامات ظهرت وجوههم هموا بقتل صالح فهرب
واختفى في بيت كبير القوم فجاء القوم وقالوا اذ ذاك الكبير دخل عندك صالح قال
نعم ولكن لا اسلمه لكم لانه في اماني ثم اوحى الله تعالى الى صالح ان اخرج من بين القوم
فخرج ومعه جماعة من المؤمنين الى نحو الشام فنزلوا بفلسطين واما قوم ثمود فجاءهم
العذاب فتغيرت وجوههم فايقنوا بالموت فتحنطوا ولبسوا اكفانهم فلما كان اليوم
الرابع اتتهم صيحة من السما فتقطعت قلوبهم وماتوا اجمعين وهو قوله تعالى فاصبحوا
في ديارهم جاثمين الاية وبعد ذلك توجه صالح عليه السلام الى مكة وصار يبكي
على الناقة ليلا ونهارا فارسل الله جبريل عليه السلام يبشره بانه سياتي يوم القيامة
وهو راكب عليها فطابت نفسه واستمر مقيما بمكة الى ان مات وكان له من العمر مائة
وثمانين سنة **قال** السدي لما توفي صالح دفن بين الركن والمقام عند الكعبة
قال عبد الرحمن بن سابط دفن بين الركن والمقام سبعون نبيا منهم هود وصالح
واسماعيل انتهى ما اوردناه من امر صالح عليه السلام على الاختصار **قصة اصحاب
الرس** قال الله تعالى وعادا وثمود واصحاب الرس **قال** السدي اصحاب الرس كانوا
بقية قوم ثمود وهم اصحاب البير المعطلة كانت بارض عدن وكان اهل تلك المدينة
قاطبة لا يستقون الا منها ليلا ونهارا ابدا وكان عليها نحو سبعين بكرة منصوبة
برشاها وعليها رجال موكلون بها وحول تلك البير عدة حياض تملى للناس فانتشا هناك
بقية قوم ثمود فعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان فدعاهم
الى توحيد الله تعالى فلم يجيبوه فما زال يدعوهم حتى قتلوه وطرحوه في تلك البير فلما

طرحوه

طرحوه في تلك البير غار ماؤه ونشف فتعطلت مدينة عدن وهلك من كان بها من الناس
والدواب من العطش ولم يكن بتلك الارض غير هذه البير فسماه الله تعالى البير المعطلة
واما القصر المشيد فهو قصر بناه شداد بن عاد بارض عدن وكان محكم البنا فلما مر عليه الدهور
والازمان استملكه الجان فلا يستطيع احد من الناس ان يدنو منه على مقدار ميل لما يسمع
فيه من اصوات الجان وضجيجهم ليلا ونهارا **قال** الكسائي ان اصحاب الرس كانوا بارض
حضرموت وكان لهم مدينة عظيمة تسمى الرس وكانت ذات اشجار واثمار وانهار وقرى
عامرة يسكنون بها طائفة من اهل الرس يعبدون الاصنام وطائفة يعبدون النيران
فارسل الله اليهم حنظلة رسولا فلم يؤمنوا به كما تقدم فصاح عليهم جبريل صيحة فصاروا
كلهم حجارة سودا حتى بضائعهم ومواشيهم **قال** السدي ان ذا القرنين لما طاف البلاد
ووصل الى مدينة الرس وجد اهلها وكل شي كان بها صار حجارة سودا ووجد ملكهم وهو جالس
على سريره وعلى راسه التاج والجند حوله قيام وفي ايديهم الاعمدة وهم كلهم حجارة سود وراى
الخبز واللحم والفواكه وكل شي بها صار حجارة سودا **قال** الكسائي وكان بمدينة الرس
جبل عالي يقال له جبل الفتخ وكان ياوي اليه العنقا وكانت عظيمة الخلقة اذا طارت تغطي
عين الشمس وكان عنقها مثل عنق البعير وكانت ترفع الجمل البيت بمنقارها وتطير به الى
الجبل التي تفرخ به وصارت تخطف الحيوانات حتى الاطفال من بني ادم فشكى اهل المدينة
الى نبيهم حنظلة فدعا عليها وعلى نسلها فنزلت عليها وعلى نسلها صاعقة فاحترقوا ولم يبق
لهم وجود وقد انكر بعض العرب وجود العنقا ولها حكاية نذكرها في قصة سليمان عليه السلام
وفي ذلك يقول

اني اختبرت بني الزمان فما لهم ... خل وفي للنوائب اصطفي
وعلمت ان المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل الوفي

انتهى ما اوردناه من اخبار اصحاب الرس على سبيل الاختصار **ذكر قصة ابراهيم الخليل
عليه السلام** **قال** وهب بن منبه هو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن **قال** الحافظ السهيلي ان ازر
كان عم ابراهيم ولم يكن اباه وان ازر اسم صنم كان يعبده فسمي به والله اعلم **ويروى** ان
تارخ ابو ابراهيم مات وهو صغير فكفله عمه ازر وكانت ام ابراهيم مؤمنة تكتم ايمانها
وكان مولده بحوران في زمن النمرود بن كنعان **قال** السدي كانت الكهنة تخبر النمرود
انه سيولد بهذه السنة مولود ويكون هلاكه على يديه فلما سمع ذلك امر بذبح كل مولود
يولد في تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النسا ووضع الحراس على الابواب يتجسسوا
على النسا بالولادة ثم ان تارخ وجد له غفلة فواقع زوجته فحملت منه بابراهيم عليه السلام
فقالت الكهنة للنمرود ان المولود الذي اعلمناك به حملت به امه في هذه الليلة فاشتد
تفحصه عن ذلك فكانت ام ابراهيم تمر بين الناس فينظرون اليها فلم يجدوا بها من الحمل
ولم يبن عليها اثر الحمل فلما دنت ولادتها خرجت هاربة خوفا على حملها حتى دخلت الى مغارة
في جبل بعيد عن الناس **قيل** ان المغارة كانت ببرزة من قرى دمشق فلما ولدته وجدته ذكرا

وفي وجهه نور تلألأ لادنى ليلة ولادته وقعت الاصنام على وجوهها وطارت التيجان
عن روسها وسقطت شرفات قصر النمرود فقالت الكهنة انه قد ولد المولود فتحير
الملك ولم يلق له خبرا ثم ان ام ابراهيم سدت عليه باب المغارة وغابت عنه سبعة ايام
ورجعت اليه فوجدته يشرب من ابهامه لبنا اطامن العسل فتركته ومضت وكانت تتردد
اليه سنة كاملة وكان يشب في كل شهر كما يشب الغلام في سنة قيل انها اتت اليه في
يوم فقال لها يا اماه لمن تعبدين انت قالت نعبد الملك قال والملك لمن يعبد قالت
كان يعبد اباه قال وابن اباه قالت قد مات قال فالمعبود بحق لا يموت فتركته ومضت
فجن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وهو قوله تعالى فلما افل الى جانب الغرب قال ابراهيم
في سره من يتغير من حال الى حال لا يصلح ان يكون ربا فلما ان طلع القمر قال هذا ربي فلما افل
قال لا احب الافلين فلما انطلعت الشمس قال هذا ربي هذا اكبر اي من النجم والقمر فلما افلت
قال في سره لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الظالمين فلما مضى على ابراهيم سبعة عشر
سنة وخالط الناس فقال لهم ماذا تعبدون فقالوا آلهتنا فقال وما آلهتكم فقالوا له امض
معنا اليوم فهو يوم عيد آلهتنا فلم يمض معهم وكان للاصنام بيتا مبنى بالرخام الاخضر
وفيه ثلاثة وسبعون صنما على كراسي من ذهب مرصعة بالجواهر والمعادن وبين هذه
الاصنام صنم كبير على راسه تاج مرصع بالجواهر والاصنام عن يمينه وشماله الاصنام من
فضة ثم من حديد ثم من حجارة وكانوا في يوم عيدهم يضعون بين يدي الاصنام موائد
عليها من الطعام الملون المختلف فكانت الشياطين تاكل ذلك الطعام فيفرح القوم بذلك
ويقولون ان الالهة قبلت ما قربناه اليها قال فعرضوا على ابراهيم ثانيا ان يمضي معهم
فقال اني سقيم فتركوه وخرجوا الى الصحرا في يوم عيدهم فعند ذلك اخذ ابراهيم فاسا
ودخل البيت الاصنام فكسر تلك الاصنام كلها ثم جعل الفاس على كتف الصنم الكبير وخرج
فلما فرغ القوم من عيدهم اتوا الى الاصنام فوجدوها مكسرة فقالوا من فعل هذا بآلهتنا
فقالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فلما وصل الخبر الى النمرود قال اتوني به على
اعين الناس لعلهم يشهدون فلما حضر واليه قال له الملك انت فعلت هذا بآلهتنا
يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم
فقالوا انكم انتم الظالمون فقال لهم ابراهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله فكابروا
وقالوا ما فعل هذا غيرك يا ابراهيم قال النمرود يحبس ابراهيم فحبسوه فاقام
سبع سنين محبوسا فاستدعى النمرود بازر وكان ازر اكبر حجاب النمرود فقال
له يا ازر كنت كاتم علينا امر ابراهيم وقد علمت بما قالت الكهنة وبقتلنا الاطفال
ووضع الجواسيس حتى صار ما صار فقال ازر ها هو في حبسك وظفرت به فافعل
به ما شئت فاستشار النمرود وزراءه كيف يفعل فقال له وزير من وزرايه الصواب
عندي ان تحرقوه وتنصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قيل ان الله تعالى خسف بذلك

الوزير الذي اشار بحرق ابراهيم عليه السلام قال فعند ذلك امر النمرود بجمع الاحطاب
من سائر الاقطار فكانوا يحملونها على البغال ويقال من ذلك اليوم قطع الله نسل البغال قال
ابن اسحاق اقام الناس يجمعون في ذلك الحطب مدة ثلاثة اشهر ويجمعون في الفضا ثم اطلقوا
فيه النار فوهج الدخان والجمر حتى كادت اهل المدينة تهلك وكانوا ينزلون في الاسربة
تحت الارض من وهج النار قال السدي كانت هذه المدينة يقال لها بلاطه وكان الملك
يتفكر كيف يفعل بحيلة يلقي ابراهيم في تلك النار حيث كان لا يقدر احد على قربها من
مسافة بعيدة وعجز فجاءه ابليس اللعين وهو في صورة شيخ نجار فقال ايها الملك انا اصنع
لك حيلة تضع ابراهيم بها في النار وكان ابليس راى صنعة المناجيق في جهنم وما اعد الله
تعالى للكفار فصنع ابليس المنجنيق ففرح به النمرود ثم صنع تابوتا من الخشب ووضع ابراهيم
فيه ثم وضع ذلك التابوت في المنجنيق فلما ارادوا ان يلقوه في النار ضجت الملائكة في السما
وقالت الهنا وسيدنا لم يكن في الارض من يعبدك سوى ابراهيم فكيف يرمى في النار
فاوحى الله تعالى اليهم ان طلب الاغاثة منكم فاغيثوه فعند ذلك اتى ميكائيل الى ابراهيم
فقال يا ابراهيم ان اردت انزل الامطار وابعث المياه من سائر الاقطار لتطفي هذه النار
فقال ابراهيم لا حاجة لي عندك ثم جاء جبريل فقال يا ابراهيم ان اردت ان اخسف بهم المكان
فقال ابراهيم لا حاجة لي عندك فلما قذف ابراهيم من المنجنيق الى النار اوحى الله تعالى الى جبريل
ان ادرك ابراهيم فضرب جبريل بجناحه تلك النار فانكشفت مقدار اربعين فرسخا وعادت
تلك الاحطاب اشجارا مثمرة وانبع الله بجانبه عينا جارية واتاه جبريل بسرير من الذهب
من اسرة الجنة وعليه فراش من السندس والاستبرق واتاه بتاج وحلة من الجنة فلبسهما
ابراهيم وجلس على السرير واقام على تلك الحالة سبعة ايام قال السدي ثم ان النمرود
صعد على البنا الذي على المنجنيق ليشرف على حال ابراهيم وهو في النار فراه في بستان ذات
اشجار وريحان ولم تعمل فيه النار فطارت شرارة من النار فاحترقت اثواب النمرود وجميعهم
الا بدنه ليعلم النمرود ان النار لا تعمل الا بمراد الله تعالى قال قتادة لما طرح ابراهيم في
النار كان مقيدا بقيد من حديد موثقا بحديد فذاب ذلك الحديد من النار واحترق ذلك
الوثاق ولم تعمل النار في ابراهيم شيئا وهو قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
الاية سوال لطيف لما ابتلي ابراهيم بالنار دون غيره من الانبيا عليهم السلام الجواب
عن ذلك ان ابراهيم كان يخاف من ذكر النار فادخله الله اليها في الدنيا حتى يعلم ان النار لا تضر
احدا دون امر الله تعالى والله اعلم قال السدي ان سارة كانت بنت عم ابراهيم فلما
شاهدت ما وقع لابراهيم من المعجزات نادته يا ابراهيم اريد ان ادخل اليك واسلم على
يديك فاوحى الله تعالى الى جبريل ان يفتح لها طريقا من النار فدخلت واسلمت على يديه
وآمن في ذلك اليوم ناس كثير من جماعة النمرود فلما عاين النمرود ذلك اخرج ابراهيم
وقال له اخرج من بلادنا ولا تفسد علينا ديننا فخرج ابراهيم من ارض النمرود واخذ

صحبته ابنة عمه ساره وابن اخيه لوطا وسار الى بلاد حران واقام بها فاوحى الله تعالى اليه
بان يتزوج بساره فتزوج بها ثم تنقل على صنعة التجر فاخذ معه بضايع من اصناف القماش
وتوجه الى مصر واخذ معه زوجته ساره وكانت بادعة بالجمال فلما قرب من مصر قيل له
ان بها ملكا جبارا يقال له طوطيس وهو مولع بحب النسا الحسان وكان ياخذ البنات
غصبا وكان له في الطرقات جماعة من الحراس ووصيهم بانه اذا مر عليهم من النسا الحسان
يعلموه بهن فعند ذلك اتخذ ابراهيم صندوقا من الخشب وادخل فيه ساره وكان ابراهيم
شديد الغيرة فلما دخل مصر راى الملك من اعلا قصره القافله وراى الصندوق
فقال لاعوانه ائتوني بهذا الصندوق فاحضروه الى بين يدي الملك وصحبته ابراهيم
ففتح الصندوق فوجدوا فيه ساره فقالوا لابراهيم ما تكون هذه المراة منك فقال هي اختي
واعني في الخلقة فقال الملك زوجني اياها فقال ابراهيم انها متزوجة فامر الملك بسجن
ابراهيم وباخذ ساره الى قصره واحضروا لها الماشط فزينوها وادخلوها على الملك
فاراد الملك ان يدنا ولها بيده فيبست يده ولم يستطع ان يحركها فعزم على اطلاق ساره
فتحركت يده فعزم على تناولها فيبست يده ولم يزل على ذلك مرارا **وقيل** انه عزم على
تناولها فيبست يده فتاب فتحركت يده فنقض التوبة فاعمى الله بصره فتاب فابصر فنقض
فاخذته الارض الى نصفه فقال انها لساحرة عظيمة فقال لها اكفي هذا عني واطلقيني
من الارض فقالت ليس الامر لي انما الامر لنبي الله ابراهيم فاحضروا ابراهيم وسالوه
ان يطلق الملك فقال ان تاب اطلقه الله فتاب فاطلقه الله ثم ان الملك علم كرامة
ابراهيم فوهب له جارية تسمى هاجر فاخذ ابراهيم ساره وهاجر وانصرف بهما من مصر
وتوجه الى الشام فكان يحب هاجر اكثر من ساره وكانت ساره تغار من هاجر واوسع الله
لابراهيم في بلاد الشام في المال والمواشي حتى قيل كان له اثنى عشر الف قطيع من الغنم وكان
في كل قطيع كلب وعليه جل من الذهب وسلسلة من الذهب وكان ابراهيم اعتنى الانبيا في
المعيشة وكان لا ياكل الا مع الضيفان دايما وكان يرسل غلمانه يفتشون على الطرق ليا توه
بالاضياف عند الصباح والمسا على الدوام كما قيل

لا مرحبا بالليل ان لم ياتني ۞ في طيه ضيف ملم نازل
والصبح ان وافا فلا اهلا به ۞ ان كان عندي فيه ضيف راحل

قال السدي ان ابراهيم اول من طبخ الثريد واول من قرا الضيف واول من شاب فلما راى
الشيب في لحيته قال يا رب ما هذا فاوحى الله اليه انه الوقار فقال يا رب زدني وقارا
فاصبحت لحيته بيضا **قال** قتاده لما اشتد غيرة ساره من هاجر وهبها هاجر
وامتنع عن هاجر فلما صار لساره من العمر نحوا من تسعين سنة وعلمت انها لم تعد تلد
اوهبت ابراهيم هاجر فتسرى بها فولدت له اسماعيل وكان اول اولاد ابراهيم فلما كبر
اسماعيل صارت هاجر تتبجح على ساره وتعارضها فحلفت ساره ليقطعن لحم هاجر وبعد

ذلك ثقبت هاجر لكنها صارت متحيرة في اليمين فاوحى الله الى ابراهيم بان تثقب اذناها ثم ان ساره
قالت لابراهيم لا اسكن انا وهاجر في مكان واحد فاوحى الله الى ابراهيم بان لا تخالف ساره
فيما تقول وامره ان يمضي بهاجر وابنها اسماعيل الى ارض مكة فركب اسماعيل وامه على ناقة
وكان رضيعا وتزود سقاية الما وجرابا فيه دقيق وسار بهما الى مكة فنزل في الحرم عند البيت
الشريف وكان البيت يومئذ ربوة حمرا فصنع لها ابراهيم هناك عريشا وترك عندها السقاية
والجراب وهم بالانصراف عنها فقالت له هاجر الى اين تمضي فقال الى الشام فقالت كيف تمضي
وتتركنا في مكان لا نبات فيه ولا ماء ولا انيس من ولد ادم فصارت تكرر عليه ذلك
وهو لا يلتفت الى قولها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انطلق
ابراهيم وهو يقول ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم لاية
ثم ان هاجر اقامت هناك ثلاثة ايام ففرغ ما كان معها من الماء والدقيق فعطشت هي وابنها
حتى اشرفا على الهلاك فجعلت هاجر تجول بين الصفا والمروة وتشرف من اعلاهما لعل ان
تجد ماء هذا واسماعيل يبكي تارة ويسكت تارة حتى اشرفا على الموت من شدة العطش ثم
ان الله تعالى اوحى الى جبريل ان ينبع الماء من تحت قدم اسماعيل الايمن فنبع الماء فلما رجعت
الى عند اسماعيل وجدت الماء يفور فخافت على ولدها من الماء فقالت زم زم يا مباركه
فامسك الماء عن الجريان **وقد قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ام اسماعيل
قالت للماء زم يا مباركة والا كان عينا جارية **ويروى** ان جبريل اتى الى هاجر وقد سعت
بين الصفا والمروة سبع مرات فقال لها من انت قالت سرية ابراهيم خليل الرحمن وقد
تركني وولدي ههنا فقال جبريل على من ترككما فقالت على الله فقال جبريل لقد ترككما
على كاف ثم ان جبريل اتى الى مكان بير زمزم وركض برجله ففار الماء ولذلك يقال
لزمزم ركضة جبريل فكانت هاجر تشرب هي وابنها من ذلك الماء وكان يغذيها ايضا
فاقامت على ذلك مدة ثم ان جماعة من بني خزاعة من اولاد جرهم نزلوا بالقرب من مكة
فراوا الطيور تحوم فقالوا ان هذه الطيور لا تحوم الا على ماء فاتوا الى ذلك الماء فوجدوا
هاجر فقالوا لها لمن هذا الماء فقالت ان الله قد خصني به فقالوا لها الا تنزل عندك كي
نجعل لك نصيبا في مواشينا فقالت لهم نعم فتراضوا على شي واقاموا عندها فلما
كبر اسماعيل تعلم منهم اللغة العربية والفروسية وتزوج منهم ورزق اولادا ولهذا
يقال اسماعيل ابو العرب **قيل** ان ابراهيم قدم الى مكة فسال عن بيت ابنه اسماعيل فدلوه
فدق الباب فخرجت اليه زوجة اسماعيل فسالها عن زوجها فقالت انه غايب فسالها عن
معيشتهم فقالت في سوء حال فقال لها اذا جاء زوجك فاقريه مني السلام وقولي له عني
يغير عتبة بابه ومضى ابراهيم فلما حضر اسماعيل بلغته ما قال ذلك الشيخ فعلم انه ابيه
فاعلمها ان تغيير العتبة طلاقها فطلقها وتزوج غيرها من بنات العرب وبعد
ذلك اتى ابراهيم لزيارة ابنه اسماعيل فدق الباب فخرجت زوجة ابنه الجديدة فقال

فهاين زوجك فقالت انه غايب فسالها عن معيشتهم فقالت كما قالت الاولى فقال قولي
له يغير عتبة داره فلما حضر اسماعيل اعلمته بذلك فطلقها وتزوج غيرها من بنات
العرب وبعد مدة اتى ابراهيم لزيارة ابنه فدق الباب فخرجت فسالها عن زوجها فقالت
انه غايب يتصيد فسالها عن معيشتهم فقالت بخير فقال ما طعامكم فقالت اللحم واللبن
فقال ابراهيم اللهم بارك لهم فيه قال السدي لم يكن يومئذ بمكة قمح ولا شعير ولا فول
ولو كان لدعا لهم بالبركة فيه ايضا ثم قال لها اذا جاء زوجك فاقريه مني السلام وقولي
له يثبت عتبة داره ثم مضى فاتى اسماعيل فاخبرته بذلك فاخبرها انه ابوه واوصاه
بان يمسكها ثم بعد ذلك غاب ابراهيم غيبة طويلة واستاذن سارة بان يزور ولده
اسماعيل فاذنت له وقالت له بشرط ان لا تكلم هاجر فقال نعم فلما قدم الى مكة دق باب ابنه
فخرجت زوجة ابنه فسالها عن زوجها فقالت خرج يتصيد ثم سالها عن هاجر فقالت انها
توفيت ثم ان ابراهيم جلس في الحجر واغتسل من بير زمزم وانتظر اسماعيل فلما قدم اسماعيل
راى اباه فسلم عليه واعتنقا واضافه لحما ولبنا ثم قال ابراهيم يا بني ان الله تعالى امرني
بان ابني بيتا على هذا التل الاحمر فكن لي معينا على ذلك **ذكر بناء البيت
الشريف** قال الثعلبي لما امر الله تعالى ابراهيم ببنا البيت ارسل اليه سحابة بيضا على
قدر البيت ونودي يا ابراهيم ابن البيت على قدر هذه السحابة من ظلها روى الواقدي
ان ابراهيم لما اراد ان يبني البيت راى في اساسه لما احتفره حجرا من رخام اخضر وعليه
مكتوب اربعة اسطر في السطر الاول انا الله لا اله الا انا رب البيت مقيلها وهي تعوا
ومرجيها وهي تغار وفي السطر الثاني انا الله لا اله الا انا مهلك الطغاة ومفقر
الزناة ومخزي تارك الصلاة وفي السطر الثالث لا اله الا انا رازق من لا حيلة له
حتى يعلم من له حيلة ان لا حيلة له وفي السطر الرابع انا الله لا اله الا انا ثم ان الله تعالى
اوحى الى ابراهيم بان ياتي بحجارة البيت من خمسة جبال جبل طور سينا وجبل طور تينا
وجبل لبنان ومن الجبل الجودي التي ارست عليه السفينة ومن جبل حرا الذي بمكة ليكون
يوم القيامة يثقل هذه الجبال في موازين الحجاج فلما جمعت هذه الاحجار من هذه الجبال
شرع ابراهيم في بنا هذا البيت فكان اسماعيل ياتيه بالحجارة ويجي له الطين وهو
يعمر البيت حتى ارتفع البنا وهو قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت الاية
قيل ان الحجر الذي يعرف بمقام ابراهيم كان اذا بنى البيت يقف عليه فتارة يرتفع به
اذا علا البنا وتارة ينهبط به الى الارض اذا اراد النزول **قال** انس بن مالك رضي الله
عنه رايت اثر قدم ابراهيم في هذا الحجر وتداثر فيه كعبه واخمص اصابع رجليه
غير انه تدحق ذلك الاثر من مس الناس الحجر بايديهم على ممر الدهور **قال** الكسائي
بينما ابراهيم يبني في البيت اذ ناداه جبل ابي قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة
فخذها فلما دنا منه انشق الجبل فطعن وخرج منها الحجر الاسود وكان نوح لما خرج من

السفينة بعد الطوفان اودع ذلك الحجر بهذا الجبل فلما تم بناء البيت اوحى الله لابراهيم
بان يوذن في الناس بالحج فاذن فبلغ صوته مشارق الارض ومغاربها فاوحى الله اليه
منك النداء وعلي البلاغ فطلع ابراهيم على جبل عرفات ونادى باعلا صوته يا ايها الناس
ان الله تعالى قد بنى بيتا فحجوا اليه فبلغ مدى صوته المشرق والمغرب فاجابه من امن بالله ممن
سبقت له السعادة فاجابوه من اصلاب الرجال وبطون النسا بالتلبية الى يوم القيامة
وهو قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر **قال** الثعلبي ولم يزل
هذا البيت في بنا ابراهيم الى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك قبل البعثة بخمس سنين فهدمت قريش ما بناه ابراهيم وبنوا غير البنا وجعلوا
في حيطانه صور الملايكة الاربعة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام
وجعلوا به ايضا صور الانبيا المرسلين فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح طمس
على تلك الصور جميعها وابقى صورة عيسى وامه ثم جدد بناه بعد ذلك تميم بن اسد
ثم جدد بناه عمر بن الخطاب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جدد بناه عبد الله
بن الزبير جميعه ثم بناه على هذه الصفة التي هو الان عليها وذلك في سنة اربع وسبعين
من الهجرة النبوية في خلافة عبد الملك بن مروان الاموي **قال** الفاكهي في تاريخ مكة
ان لها سبعة عشر طريقا منها طريق فيه ذهب منثور مثل الحصى ومنها طريق فيها فضة منثورة
مثل الحصى **ذكر قصة ذبح اسماعيل عليه السلام** قال السدي اختلف
جماعة من العلما في الذبيح فمنهم من قال انه اسماعيل ومنهم من قال انه اسحاق واهل التوراة تزعم
انه اسحاق والله اعلم والاشهر بين الناس انه اسماعيل **قال** ابن عباس رضي الله عنه ان
ابراهيم كان قد نذر في نفسه لين ولد لي ولد ذكر ليذبحه قربانا الى الله تعالى فلما مرت الايام
والليالي نسي ما قد نذر فبينما ابراهيم نايم في بعض الليالي اذ راى في منامه قايلا يقول يا ابراهيم
ان الله يامرك ان توفي بنذرك وان تذبح ولدك بيدك فانتبه ابراهيم مذعورا فصار يرى
تلك الرويا في سبع ليال متواليه وكان لابراهيم صديقا يقال له العازر فاسر ابراهيم هذه
الرويا لذلك الصديق فقال العازر ان الله تعالى لا يبتلي بمثل ذلك والدا بولده ولكنه يريد
يجربك ليظهر لك لانه عظيم كريم رحيم فكن عبدا مطيعا واحسن ظنك بمولاك
كما يقال في المعنى ٥ واني لارجو الله حتى كانما ٥ ارى بجميل الظن ما الله صانع ٥
وقال العازر اعلم يا ابراهيم ان الله تعالى لم يخصك بهذا البلا دون الانبيا فكن عبدا صبورا
وعلى القضا شكورا **سوال** لم امر الله تعالى ابراهيم بذبح ولده في المنام ولم يامره في اليقظة
جواب ان الله تعالى يبغض قتل المومن فلذلك امره الله تعالى في المنام ورويا الانبيا
في المنام وحي **قال** السدي لما نوى عزم ابراهيم على ذبح ولده قال له يا بني خذ معك حبلا ومدية
قال وما تصنع بها يا ابتي قال لا اذبح قربانا الى الله تعالى فانطلق هو وابنه اسماعيل وقيل
اسحاق فاتوا الى شعب جبل عند وادي منا فبينما هما يمشيان في اثنا الطريق اذ تعرض ابليس

اللعين لاسماعيل في صفة رجل شيخ كبير قال له الى اين تمضي يا اسماعيل قال مع ابي ليقرب
قربانا فقال له ابليس ان اباك يريد ذبحك انت وقد نصحتك فقال له اسماعيل انا ابي
لا يفعل شيا الا بامر ربه ونحن انا حتى امتنع فرجع ابليس خايبا وكان ابليس كلما تبع ابراهيم
فكان ابراهيم يرميه بالحصى فارماه سبع مرات وقال له ابعد عني يا عدو الله فصار رمي
بوسيلة رمي الجمار سنة فلما وصل ابراهيم الى شعب الجبل جلس وقال لاسماعيل ان الله اوحى
الي باني اذبحك وكان ابراهيم قد راى ذلك سبع مرات في كل ليلة مرة فلما سمع اسماعيل
قول ابيه قال يا ابتي افعل ما تومر ستجدني ان شا الله من الصابرين فلما راى ابليس ذلك جلس
على الجبل ليرى ما يكون من امرهما ثم ان ابراهيم اضجع ابنه على جنبه الايمن وشد يديه ورجليه
بحبل فقال اسماعيل لابيه لا تشد يدي ورجلي بالحبل فتقول الملايكة اني جزعت من امر
ربي فحله ابراهيم من الوثاق واستمر اسماعيل مضطجعا من غير وثاق ثم ان ابراهيم وضع
المدية على نحره وصار يجرها مرارا وهي لا توثر في نحره ولا تخدش جلدا فعند ذلك
ضجت من ذلك الملايكه السما والارض والطير والوحش والحيتان في البحر ونطقوا الى الله
تعالى بالدعا وقالوا الهنا وسيدنا ومولانا ارحم هذا الشيخ الكبير وافد هذا الطفل الصغير
فلما راى اسماعيل ان المدية لا تقطع شيا من جلده نادا يا ابتاه انخع المدية في لبتي نخعا
فنخع ابراهيم فلم تعمل المدية شيا قال السدي ان الله قد جعل على نحر اسماعيل صفيحة
من نحاس حتى لا تعمل المدية شيا ثم قال اسماعيل يا ابتي كبني على وجهي فانك اذا نظرت
الى وجهي رحمتني فلما اسلما وتله للجبين وكل ذلك والسكين لا تعمل شيا قال الثعلبي
فلما راى ابراهيم ان الامر قد اشتد وان السكين لا تقطع غضب ورمى السكين من يده
فانطق الله السكين وقالت يا ابراهيم اني بين امرين امر الجليل وامر الخليل فالخليل
يقول اقطعي والجليل يقول لا تقطعي واني من قبل الجليل لا من قبل الخليل وكيف اقطع
ونور الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في جبهة اسماعيل يلمع ثم ان الله تعالى اوحى الى
ابراهيم يا ابراهيم قد صدقت الرويا انا كذلك نجزي المحسنين وفديناه بذبح عظيم
قال بينما ابراهيم على ذلك واذا بجبريل قد اتاه ومعه كبش املح فقال يا ابراهيم
خذ هذا فدا عن ولدك وتسلم واذبح ثم ان جبريل حل وثاق اسماعيل وادركه بالفرح
الجميل فكان كما يقال بالمعنى

انا سمعنا مقالا قاله فطن ، فاحسن الوقت ياتي الله بالفرج

قال الثعلبي ان الاضحية صارت سنة ابراهيم من يوميذ **سوال** لطيف لما افتدى الله
تعالى اسماعيل بكبش ولم يجعل فداه جملا ولا بقرة ولا غيره ذلك **جواب** ان ابراهيم
لما اخذ الحبل والمدية قال له ابنه اسماعيل ما تصنع بهذه المدية والحبل فقال ابراهيم اذبح كبشا
فصدق الله قول خليله وبعث اليه بكبش ليكون مصدقا بقوله جواب اخر ان الله تعالى
ادخر الكبش وهو اطيب من غيره وكان هابيل بن ادم كما تقدم قد قربه فادخره الله تعالى

حتى جعله

حتى جعله فدا لاسماعيل حتى يعلم الناس ان فعل الخير من الاجداد ينفع الاولاد ولو
بعد حين قال السدي كان قدر هذا الكبش كالفيل الكبير وكانت قرونه وحوافره
من الذهب الاحمر وكان كله لحم وشحم وليس فيه عظم ولم يكن على بدنه صوف بل كان جلده احمر
وكان روثه من المسك الاذفر وكان يرتع في رياض الجنة وياكل من ثمرها حتى صار عظيم
الخلقه فلما ذبحه ابراهيم فرق لحمه على الفقرا والمساكين وكان ذبحه بمنى فصار الفدا و
بمنى من اجل ذلك صار الفدا هناك سنة قال الثعلبي كان فرج اسماعيل في حياة امه
هاجر وقيل بعد موتها والله اعلم قال قال السدي كان عمر اسماعيل لما هم الخليل بذبحه
نحو عشرين سنة قال الكسائي عاش اسماعيل من العمر مايه وسبعين وثلاثين سنة على ما قيل
ويروى انه لما مات دفن تحت الميزاب من الكعبة الشريفة والله اعلم

ذكر هلاك النمرود بن كنعان

قال الثعلبي ان النمرود هو اول من تجبر في الارض وادعى الربوبية
من دون الله تعالى قال السدي ان الغلا وقع في زمن النمرود واجدبت الارض وكان النمرود
يخزن عنده جميع الغلال فيقصده الناس من جميع الاقطار وكان لا يبيع احدا شيا حتى يسجد
له ويقول انت ربنا فوقع القحط في الارض التي فيها ابراهيم الخليل فسار ابراهيم ليشتري غلالا
فوقفا على النمرود فعرفه النمرود فقال لابراهيم من انا قال ابراهيم انت عبد من جملة عبيد الله
فقال النمرود الم تسجد لي قال ابراهيم يا نمرود لا ينبغي السجود الا للرب المعبود فقال
النمرود ومن الرب غيري قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال النمرود انا احيي واميت
فقال له ابراهيم كيف تحيي وتميت فعند ذلك احضر النمرود رجلين قد وجب عليهما القتل
فقتل واحدا واطلق واحدا فقال ابراهيم فقال ابراهيم ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب كما قال الله تعالى فبهت الذي كفر وقال ان كان ما تقول حقا فلا بد ان اقاتله
فامر ببناء الصرح قال كعب الاحبار كان طول ذلك الصرح خمسة الاف ذراع في عرض فرسخ
والذي كان بنا الصرح بارض بابل ثم ان النمرود اتى باربعة نسور ورباهم على اكل اللحم
وشرب الخمر حتى كبرت وقويت ثم صنع تابوتا من الخشب وله باب من اعلاه وباب من
اسفله ثم ربطه بارجل تلك النسور وعلق لها لحما على عصى فوق التابوت وجوع النسور
ودخل التابوت هو ووزيره ومعه قوسا وثلاثة اسهم ثم حل النسور فطرن به الى اعلا
الجو طمعا في اللحم حتى بعدن ثم قال لوزيره افتح الباب الاعلا وانظر هل قربنا من السما فنظر
فاذا هي على هيئتها ثم امره بفتح الباب الاسفل فنظر فاذا الارض مثل اللجة البيضا والجبال
مثل الدخان فلا زال كذلك حتى تعبت النسور والامر على ذلك ثم امر الوزير ان يفتح الباب
الاعلا لينظر فناداه ملك الى اين يا عدو الله فظن النمرود ان الذي خاطبه اله السما
فاوتر قوسه وصوب سهمه نحو السما واطلقه في الهوى فغاب السهم ورجع ملطخ بدم
فنجح النمرود وقال قتلت اله السما قال عكرمة ان سمكة من البحر الذي بين السما
والارض قد فدت نفسها الى الله تعالى ولقت ذلك السهم الذي رماه النمرود ثم امر

وزيره بان ينكس اللحم الى اسفل ففعل ذلك ثم هبطت النسور بالتابوت الى الارض قال
العزيزي ان النمرود لم يزل يصعد في الجو حتى اعيت النسور عن الطيران وكاد التابوت
ان يسقط الى الارض فناداه ملك يا نمرود ان المسافة التي بين السما والارض خمسماية
عام وبين كل سماين مثل ذلك وفوق ذلك كله حجب لا تحصى فكيف تحسب انك
قد وصلت الى السماء وصعق بر الملك فمات الوزير بالصعقة وضرب جبريل التابوت
بجناحه فالقاه في البحر فقذفته الامواج الى الساحل فخرج النمرود من التابوت وقد
ابيضت لحيته وذهل عقله من عظم ما عاين من الاهوال والرعب الذي حصل له فلما
راوه قومه انكروه ولم يعد قواه النمرود قال الثعلبي ثم ان الله ارسل على تلك
الصرح ريحا عاصفا من جهة الجنوب فالقته في البحر بعد ان خر على من كان فيه من خواص
قوم النمرود وهو قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ثم ان النمرود احضر ابراهيم
وقال له قل لربك ينزل الي من السما حتى اقاتل انا واياه فان الملوك تقابل الملوك
فاوحى الله تعالى الى ابراهيم ان يقول للنمرود بان يتخير من مخلوقات الله من يحاربه
فتفكر النمرود فراى اضعف المخلوقات البق لانه لا ياكل الا اكلة واحدة دون ساير
المخلوقات فعند ذلك اختار البق وجمع العساكر من ساير الاقاليم والبسهم الدروع
والجواشن واوقفهم صفوفا فكانوا مسيرة اربع مايه فرسخ قال العزيزي انه جمع
الجم كان بارض الكوثر فلما كان يوم الميعاد ظهر عسكر البعوض من جهة البحر حتى سد ما بين
الخافقين وحجب الشمس عن الارض فلما انتصف النهار امر الله تعالى جبريل بان ينادي في
عسكر البعوض ويامرهم ان ينتشروا على النمرود وعساكره فانتشر البعوض وصار
ياكل ما عليهم من الة الحرب حتى وصل الى لحومهم فاكل اللحم ومص الدم وبقوا عظاما ثم هلكوا
اجمعين ثم بعث الله تعالى للنمرود بعوضة ضعيفة بجناح واحد وكانت اصغر البعوض
جسمه فدخلت في منخره وصعدت الى راسه وهو لا يجد منها مناصا فمكثت في راسه
نحو اربعين سنة قيل ان المدة التي ادعى فيها الربوبية كانت اربعين سنة فكانت
البعوضة فيه اربعين سنة وكان يامر خدمه بان يضربوا راسه بالنعال فيجد له بعض
راحة فلما طال عليه الامر عمد اليه بعض اصحابه فضربه بطبر ففلق راسه فخرجت
البعوضة وهي قدر الصنم الكبير فمات هذا عدو الله واهلك الله المتجبر النمرود
باضعف خلقه وقيل في المعنى

فلسان الكون عنه ناطق ۔ انه الملك لله الصمد
جل خلقا من مثال سابق ۔ وتعالى عن نظير وانفرد
فاذا ما يدنوا اياته ۔ نزهوه عن شريك وولد

ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام

قال كعب الاحبار خرج ابراهيم عليه السلام
في طلب الاضياف فمر به ملك الموت وهو في صورة شيخ كبير فسلم على ابراهيم فرد ابراهيم

عليه السلام واخذ بيده ليضيفه واتى به الى منزله فلما رات سارة عرفت انه ملك الموت
فبكت ودخل ولدها اسحاق فاعلمته بما عرفت فبكى ايضا فلما راى ملك الموت بكاهما
انصرف ومضى فلما جا ابراهيم وجد ضيفه قد مضى فغضب على ساره واسحاق وقال لهما بكيتما
في وجه ضيفي فانصرف وكان لابراهيم بيت يتعبد فيه فلما دخل الى ذلك البيت فاذا هو
بذلك الشيخ فقال له من اذن لك الى متعبدي بغير اذني فقال له الشيخ لا تخف مني فاني
ملك الموت فقال له ابراهيم ان كنت صادقا فيما تقول فارني اية تدل على ذلك فقال ملك
الموت حول عني وجهك لاريك اية فحول ابراهيم وجهه ثم نظر فاذا هو بالصورة التي يقبض
فيها ارواح الانبيا عليهم السلام والمومنين فراى نورا ساطعا ثم قال لابراهيم حول وجهك
عني فحول ثم نظر اليه فاذا هو بالصورة التي يقبض فيها ارواح المنافقين والكافرين
فلما راها غشي عليه حتى الصق بطنه في الارض فتركه ملك الموت وانصرف وغاب
مدة ثم ان ابراهيم خرج في بعض الايام فراى رجلا شيخا كبير السن وهو يرتعش من الكبر فرق
له ابراهيم واخذ بيده وادخله الى منزله واحضر له شيا من العنب فجعل الشيخ يضع في فمه
العنب فيمجها فينزل ماوها على لحيته وصدره فتعجب منه ابراهيم وقال له يا شيخ كم لك
من العمر فقال الشيخ كذا وكذا سنة فاذا هو قدر عمر ابراهيم فعند ذلك قال ابراهيم يا رب اقبضني
اليك حتى لا اصير مثل هذا الشيخ الهرم فكان ابراهيم اول من تمنى الموت من الانبيا فلما دنى
منه ملك الموت ليقبض روحه قال له يا خليل الله على اي حالة تريد ان اقبض روحك
فقال وانا ساجد لله تعالى فقبض روحه وهو ساجد والله اعلم وقد اختلف في مدة عمر
ابراهيم فمنهم من قال ماتين ماية وخمسة وسبعون ومنهم من قال عاش ماتين سنة والله اعلم
قال السدي ان سارة توفت قبل ابراهيم بمدة طويلة وكان لها من العمر ماية وسبع وعشرون
سنة فلما ماتت حزن عليها ابراهيم واشترى لها مغارة ودفنها فيها وقال ان ابراهيم تزوج
بعدها بامراة يقال قنطورا الكنعانيه ورزق منها ستة اولاد ذكورا فكان مجموع ما جاءه
من الاولاد ثلاثة عشر ذكورا واناثا وماتوا صغارا الا اسحاق واسماعيل فانهم عمروا وكان

اسحاق من سارة واسماعيل من هاجر

ذكر اسحاق عليه السلام

قال وهب بن منبه
لما رزق الخليل ابراهيم اسماعيل من هاجر انكسر قلب ساره من عدم الاولاد لانها كانت
كبيرة ولها من العمر تسعة وتسعون سنة فبشرها الله تعالى باسحاق بعد هذه المدة كما جاء
في القرآن العظيم وان يكون من نسله الف نبي فطاب قلب سارة بهذه البشارة قال السدي
كان بين ولادة اسحاق واسماعيل نحو ثلاثين سنة وكان اسحاق شديد الغيرة والباس وكان
نبيا مرسلا بعثه الله الى قوم كانوا بالشام فلما كبر اسحاق تزوج بامراة من ارض حوران وهي
رفقا بنت توبيل فلما بنى بها حملت منه بغلامين في بطن واحد وهما يعقوب والعيص
قال السدي ان العيص تكلم وهو في بطن امه فلما سمعته يتكلم اخبرت بذلك اسحاق
فتعجب من هذا وقال لزوجته اذا سمعت كلامهما فاعلميني بذلك فلما سمعت كلامهما

عليه السلام

اخبرت بر اسحاق فجآء ولصق ادنز فخصرنها تشم العيص وهو يقول ليقتلون والله
لين خرجت قبلى لاخرقن بطن امى ولاقتلك قال له يعقوب يا مبارك اخرج من امك
ولا تقتل اخاك فلما كان عند الوضع كان العيص يبادر الى الخروج من بطن امه فخرج العيص
قبل يعقوب وتاخر بعده يعقوب ولهذا سمى العيص عيصا لعصيانه فى الخروج قبل اخيه
وسمى يعقوب يعقوبا لانه تعقب فى الخروج بعد اخيه وكان يعقوب اكبر من العيص ولما
كبرا وانتشيا فكان العيص احب الى ابيه من يعقوبا وكان يعقوب احب الى امه من العيص
فلما طعن اسحاق فى السن وكف بصره قال لولده العيص يا بنى اعلم انه قد دنى اجلى فاتنى
بكبش حتى اذبحه واقربه الى الله قربانا وادعو لك دعوة نفسى تنفعك دعوتى ان شا
الله تعالى واجعل بركة عند يدى وقت الدعا فلما سمعت ام يعقوب ما قاله اسحاق لابنه
العيص اخبرت ابنها يعقوب بذلك وقالت له اسبق انت بكبش واحفظ صوتك
واجعل على جسدك فروة مقلوبة دايما امرتك بلبس الفروة لان العيص كان على بدنه
شعرا مثل شعر المعز فاذا وقعت يد ابيك على الشعر فلا يشك انك يعقوب وكان
اسحاق رجلا صيادا كاكيفا ولما خرج العيص لما امره ابوه بطى لانه كان مولعا بالصيد
فبادر يعقوب بكبش فاتى به الى حضرة ابيه وكان مشويا فاكل منه اسحاق وتصدق
بالذى فضل ثم قال له ادن منى يا عيص دنى منه فمس يده فوجد عليها شعرا فقال
ان المس مس العيص والريح ريح يعقوب فقالت زوجته هو ولدك العيص فادع له
فوضع كفه فى كف يعقوب ورفع يده وقال اللهم اجعل من ذريته الانبيا ثم قام يعقوب
وانصرف ثم جا فى اثره العيص ومعه كبشا مشويا فوضعه بين يدى ابيه وقال له انا
العيص وجيتك بالكبش الذى قلت عنه فقال اسحاق يا بنى قد سبقك اخوك يعقوب
وفاز بالدعوة منى فغضب العيص على اخيه يعقوب وقال لاقتلنه فقال له اسحاق قد
بقيت لك عندى دعوة فرفع يده وقال اللهم اجعل ذريته عدد الكثير ولا تملك عليهم
احدا من غيرهم فكان من نسله بنو الاصفر وهم ملوك الروم وكان العيص به صفرة
فكان يسمى الاصفر وكان فى قلبه من اخيه يعقوب فقالت امه ليعقوب يا بنى امض الى
خالتك بارض بابل واترك لاخيك العيص ارض كنعان فانى اخشى عليك يقتلك
فانطلق يعقوب الى عند خالته فاسرى هو وعياله تحت الليل فكان يسرى بالليل ويكمن
بالنهار فلما وصل الى عند خالته اقام عندها وكان اسم خالته ليان وكان لها ابنتان
اسم الكبيرة ليا واسم الصغيرة راحيل فتزوج يعقوب بالاختين وكان ذلك جايز
فى ذلك الزمان حتى بعث الله نبيه موسى عليه السلام فانزل عليه التوراة منها تحريم
الجمع بين الاختين ثم ان يعقوب رزق من ليا اربعة ذكور وهم روبيل وكان اكبرهم
ويهودا وشمعون ولاوى ورزق من راحيل يوسف وبنيامين ثم ان يعقوب تزوج
بامراتين احداهما يقال لها زلفى والاخرى بلهى فولدت زلفى دانى ونبق وربلون

وولدت

35

وولدت بلهى جاد وساخر واشير وهولا الاسباط رضى الله عنهم وكانوا اثنى عشر ولدا
فصار كل ولد له نسل وقبيلة من بنى اسرايل ومعنى السبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة
الكثيرة الاغصان ثم ان يعقوب اقام عند خالته حتى كبرت اولاده فقصد الرجوع الى ارض
كنعان فقال لاولاده اسبقونى انتم الى ارض كنعان وادخلوا الى عند عمكم العيص فقولوا
له نحن اولاد خادمك الفقير يعقوب وقصده بذلك التواضع والرفق مما جرى له سابقا
كما تقدم قال فسبقوا ابيهم يعقوب ودخلوا على عمهم العيص وقالوا له ذلك فلما سمع ذلك
حن قلبه وطاب خاطره وزال ما كان عنده من جهة اخيه يعقوب فترحب بهم واكرمهم واجلهم
جاشة يدا وصار لا يقدر ان يصبر عنهم ساعة فلما قدم يعقوب بعدهم تلطف ايضا باخيه
العيص واقام عنده مدة ثم ان العيص ترك ارض كنعان لاخيه يعقوب واولاده ودخل
الى بعض جهات الشام فتزوج هناك بابنة عمه اسماعيل وكان اسمها نسمه فولدت له عدة
اولاد ذكورا واناثا فجاء من نسله الروم والفرنج من نسله بنى سوى ايوب عليه السلام وقيل
ان القياصر ملوك الروم من اولاد العيص وكذلك ملوك بنى الاصفر قال السدى
ان اسحاق عاش نحوا من مايتين وستين سنة ومات ودفن بارض فلسطين ثم نقل بعد ذلك
الى عند ابيه ابراهيم عليهما السلام ولما مات العيص كان عمره مايتين وعشرين سنة والله اعلم
انتهى ما اوردناه من امر اسحاق والله اعلم

ذكر قصة لوط عليه السلام

قال وهب بن منبه هو لوط بن هارون بن تارح بن اخى ابراهيم قال السدى ان لوطا بعث
فى زمن ابراهيم الى قوم سدوم بارض غوره وعمر وكانوا اهل كفر يرتكبون الفواحش من نعم
بارضهم الغلا فكانوا يدخرون القوت والغلال فكان الناس يقصدونهم من سائر الاقطار
فجاءهم ابليس اللعين فى صفة شيخ كبير فقال لهم انى رجل شيخ كبير خبير بما فى الزمان بصير
فان كان عندكم شى من الغلال فامسكوا ايديكم فى بيعه فسوف ياتى على الناس سنين لا تمطر
السما ولا تنبت الارض ولا تبيعوا لاحد شيا حتى تلبطوا بهم فكانوا يجلسون على الطرقات
ينتظرون من يمر بهم من المسافرين فيقتنصونهم ويلوطوا بهم قال الثعلبى ان اهل تلك
القرية كان يسكن بعضهم فى الجبال وبعضهم فى السهل وكانت نسا القرية التى تسكن فى الجبال
احسن من نسا القرية التى تسكن فى السهل وكان رجال القرية التى تسكن فى الجبل وحسيون
ولم تكن تجتمع كل واحدة من الفرق بالاخرى فاحتال عليهم ابليس بان يجمع بينهما فاتخذ المزمار
وزمر فلما سمع اهل الجبل نزلوا النسا والرجال الى السهل واجتمع الفريقان ووطى بعضهم
بعضا فاختلط الرجال بالرجال والنسا بالنسا فظهر من يوميذ اللواط والسحق فكان كما
يقال فى المعنى ٭ شغل المرد بالبدالى والضحى ٭ فشوق الناس شغلهم بالسحاق ٭
٭ كل جنس بجنسه قد تكفى ٭ فتزاد يا معشر العشاق ٭
ولما تزايدوا فى الفعال القبيحة بعث الله اليهم النبى لوط عليه السلام فنهاهم عن ذلك
ودعاهم الى التوبة وعبادة الله تعالى فلم يزدادوا الا ضلالا وعتوا فاخذهم عذاب الله

فقالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فعند ذلك قال رب انصرني على القوم الظالمين
فاستجاب الله دعاه وبعث الله اليهم اربعة من الملايكة في صورة مرد حسان المنظر قال
قتاده ان الله تعالى قال للملايكة لا تهلكوا قوم لوط حتى تشهدوا عليهم اربع شهادات فلما دخلوا
على لوط قالوا له نحن ضيوفك في هذه الليلة فاخذهم الى منزله وقال لهم اني اخاف عليكم
من اهل هذه القرية فقالوا له من اي شي تخاف علينا فقال ان اهلها يفعلون الفواحش فادخلهم
الى مكان في داره وكانت امراة لوط اذا اتى اليهم ضيف تعلم الناس به ولها امارة باعلامهم
وهي ان تنول لسوها تل لجيراتنا يهبوا لنا ملحا فيعلموا ان عندها ضيوفا فياتوا اليهم
فلما اخبرت امراة لوط بالاضياف جاء القوم الى منزل لوط فغلق لوط في وجوههم الباب
وقال لهم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي وحذروا واحلف من نباتي عوضا عن الاضياف فقالوا
له لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلم يزل لوط يناجيهم من وراء
الباب ويمانعهم حتى تسوروا عليه من الحايط وهجموا عليه فلما رات الملايكة هجومهم وما
حصل على لوط من النكد العظيم قالوا له انا رسل ربك لن يصلوا اليك فلا يحزنك فدعنا
واياهم ثم ان الله تعالى اذن لجبريل عليه السلام فضرب بوجوه القوم فطمس اعينهم فصاروا
لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فقالوا ان هذا من سحر لوط فلما علم لوط ان
الضيوف رسل ربه قال لهم اهلكوهم فقالوا ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب قال
ابن عباس رضي الله عنه ثم ان الله مسخ امراة لوط فصارت ملحا كما انها كانت تدل على الاضياف
بطلب الملح ثم ان الله تعالى امر لوطا ان يسير بعياله تحت الليل الا امراته فلما خرج لوط
من بين القوم ادخل جبريل جناحه تحت القرية واقتلعها من اصولها وكانت سبع قرى في
كل قرية ماية الف انسان من الرجال والنسا ورفعها بين السما والارض حتى سمعت اهل
السما صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم اقلبها فصار عاليها سافلها ثم اتبعهم بحجارة من
سجيل فهلكوا اجمعين وسبل مجاهد هل بقي من قوم لوط احد قال نعم خرج منهم واحد الى مكة
فبقي حجره معلق بين السما والارض اربعين يوما حتى خرج من مكة وصار في اثنا الطريق
فسقط عليه فهلك من وقته وقد عذبهم الله بهذا العذاب الاليم الذي لم يعذب احد
من قبلهم مثله لاجل ارتكابهم هذه الفاحشة العظيمة وهو اللواط قال السدي توفي
لوط في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام انتهى ما اوردناه من قصة لوط عليه السلام وذلك
على سبيل الاختصار

ذكر يعقوب ويوسف عليهما السلام

قال الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الاية قال وهب بن منبه لما خرج يعقوب من ارض
كنعان هاربا من اخيه العيص كما مر فوصل الى عند خاله وكانت في ارض بابل فخطب ابنته ليا
فزوجه اياها على شرط ان يقيم عندها عشر سنين يرعى غنمها فاجابه الى ذلك ومضت
تلك المدة فخطب من خاله ايضا ابنته الصغيرة فقالت ازوجك اياها على شرط ان تقيم
عندي وترعى غنمي عشر سنين فاجابه الى ذلك فزوجته بنتها راحيل ايضا فجاه من راحيل

يوسف وبنيامين ولما وضعت راحيل يوسف كان يعقوب مسافرا نحو الشام فنزل عليه
جبريل وقال له يا يعقوب ان الله تعالى قد وهبك ولدا لم يرزق احد مثله وقد اعطاه
الله تعالى شطر الحسن ففرح بذلك ولما قدم يعقوب من سفره نظر الى يوسف فراه من
الحسن على جانب عظيم فكان لا يمل من النظر اليه فذبح من غنمه الف راس وفرقها على الفقرا
والمساكين شكرا لله تعالى فلما كبر يوسف وصار له من العمر سنتين ماتت امه راحيل قال
قتاده ان يوسف ورث الحسن من حوى وحوى ورثته من الحور العين قال السدي
قسم الله الحسن على عشرة اجزا فاعطى جزا واحدا للناس والتسعة اجزا اعطاها ليوسف
عليه السلام وقيل ان يوسف راى وجهه يوما في المراة فاعجبه حسنه قال في نفسه لو
كنت مملوكا لم يقدر احد على ثمني فلاجل ذلك سلط الله عليه اخوته فباعوه بابخس
الاثمان قال بعض المفسرين في قوله تعالى وشروه بثمن بخس كان قدر الثمن سبعة
عشر درهما سودا وهذا عاقبة العجب قال السدي لما كبر يوسف وصار له من العمر
اثنى عشر سنة راى في منامه احد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين فقص روياه
على ابيه فقال له ابوه يا بني لا تقصص روياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فبلغ
ذلك اخوته فحسدوه على هذه الرويا وقالوا تعبير هذه الرويا بان يكون يوسف
اكبر منا قدرا ونسجد له لاننا احد عشر اخا الكواكب والشمس ابونا والقمر امنا
فاجمعوا على كيده وشابت من ذلك اليوم روسهم من شدة حسدهم ليوسف وكان
يعقوب يميل الى يوسف من دون اخوته وكان يامر اخوته لما يدخل يوسف عليهم وهم
مجتمعون بالقيام على اقدامهم تعظيما ليوسف فلما تزايد حسدهم ليوسف هجموا واخذوا
في تدبير الحيلة في اهلاكه فاجتمع رايهم على ان يدخلوا على ابيهم ويطلبوا منه يوسف
يخرج معهم الى الصيد واجمع رايهم ايضا ان كان ابوهم يمنع يوسف من الخروج معهم
يقتلوه بين يديه فلما طلع النهار هجموا على ابيهم ولم يقبلوا راسه كعادتهم فقال لهم ما لي
اراكم قد هجمتم علي من غير اذن وليس من عادتكم هذا فقالوا له ان قلوبنا مشغولة
وقد بلغنا ان اسدا عظيما قد هجم البارحة على غنمنا وقتل منها عدة وقصدنا الخروج
اليه وناخذ معنا اخانا يوسف يرتع ويلعب وانا له لحافظون ونكون عصبة على قتل
الاسد الذي يوذي اغنامنا فقال لهم ابوهم يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف
ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون قالوا لين اكله الذيب ونحن عصبة وفينا اخوه شمعون
الذي اذا صاح صيحة لا تسمعه حامل الا اسقطت ما في بطنها وفينا اخوه يهود الذي اذا غضب
ينشق من غضبه الاسد نصفين فلما سمع يعقوب بذلك قال لابنه يوسف قد اذنت امض
مع اخوتك الى الصيد فقد اذنت لك بذلك قال ابن عباس رضي الله عنه انما قال
يعقوب لاولاده واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون لانه كان قد راى في منامه
كان يوسف على راس جبل وكان حوله من الذياب وقد احدقوا به ليفترسوه واذا بذيب

منهم فنجاه منهم وكان الارض قد انشقت ودخل يوسف وغاب تحت الارض وكان ذوبا
الانبياحق ولم يزل يوسف فيها ولم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام انتهى ما راه يعقوب
في المنام قال فلما كان ميعاد يوسف واخوته في الخروج الى الصيد لبس يوسف ثياب
السترو وشد في وسطه منطقة من الذهب وخرج مع اخوته واخذ وامعهم زادا وماء
وركبوا اجوالهم وساروا وابو يوسف وخرج يعقوب معهم ليودعهم فمشى نحو اربعين خطوة
وقبل يوسف بين عينيه واطلقه ورجع يعقوب فاستوحش ليوسف فندم على ارساله
مع اخوته قال فلما بعدوا ابو يوسف وغابوا عن بيوتهم قال يوسف لاخوته استقوني ماء
فكسروا وعاء الماء وبينوا غدرهم فوثب احدهم ولطم يوسف على وجهه واحاطوا به
فصار يوسف يستجير واحدا واحدا وهم لا يزدادوا الا قسوة فعروه من ثوابه فلما
ارادوا اخذ القميص قال لهم بالله عليكم تتركوا لي هذا القميص ليكون لي كفنا فلما هموا بقتله
ترامى يوسف على يهودا فاخذت يهودا الشفقة فقال لا تقتلوا يوسف وارعوا حرمة
ابيكم فاخذ وايتنا ولوا فمنهم من قتله ومنهم من تاخر فاجمعوا بعد ذلك على طرحه في
الجب فان الجب مهلك جوعا وعطشا ثم كتفوا يديه ورجليه ودلوه في الجب فمد بعض
اخوته الى الحبل فقطعه بسكين قبل ان يصل يوسف الى قرار البير فاوحى الله تعالى الى جبريل
ان ادرك عبدي يوسف فادركه جبريل قبل ان وصل الى الارض قال وهب بن منبه ان
هذا الجب كان بارض الاردن وقيل كان بين مدين ومصر وهو على قارعة الطريق قال
السدي ان الذي حفر هذا الجب هو سام بن نوح وسماه بيت الاحزان وكان اسفله
واسعا جدا وكان مظلما كثير الهوام وكان فيه ماء على طول القامة مالحا وطول هذا
الجب اربعمائة ذراع فلما نزل فيه يوسف عذب ماؤه في الحال وكان فيه حية عظيمة
فقصدت بعض الحيات ان تنهش يوسف عليه السلام فصاح بها جبريل فرجعت عنه
وطرشت من صيحته جميع الحيات الصم من نسل تلك الحية قال قتاده واتاه جبريل
بقميص من الجنة فالبسه اياه واتاه ايضا بطعام وشراب من الجنة وصار الجب روضة
من رياض الجنة واتسع حتى صار مد البصر واتاه بسرير من الجنة فجلس عليه وبات
يوسف في الجب ليلة الى الصباح اتاه اخوه يهودا ونادى يا يوسف انت من الاحيا ام من
الاموات فاجابه يوسف انا من الاحيا فلما علم اخوته حيوته عمدوا الى صخرة عظيمة
وارادوا ان يرموها على يوسف فقال يهودا والله ان فعلتم ذلك اخبرت ابيكم فتركوه
ومضوا عنه قال السدي كان عمر يوسف لما القي في الجب ستة عشر سنة قال ولما
ارادوا العود الى ابيهم عمدوا الى شاة وذبحوها ولطخوا من دمها قميص يوسف فذلك قوله
تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب ثم اصطادوا ذيبا ولطخوا فمه بدم واوثقوه بحبل واتوا
به الى ابيهم فوجدوه جالسا على قارعة الطريق ينتظر من يرد عليه ليستخبره عن بنيه فلما
وصلوا اليه صرخوا وبكوا فقال لهم يعقوب ما لكم تبكون فقالوا يا ابانا انا تركنا يوسف

عند متاعنا فاكله الذيب فلما سمع يعقوب بذلك صرخ وغشي عليه فلما افاق قال بل سولت
لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم احضر بين يديه ذلك الذيب
والقميص فلما راى يعقوب ذلك قال تالله ما رايت اشفق من هذا الذي اكل يوسف ولم
يمزق قميصه ثم قال لهم اطلقوا هذا الذيب من وثاقه فاطلقوه فوقف بين يدي يعقوب
فقال له ادن مني هذا الذيب فدنا منه حتى التصق به فقال له يعقوب ايها الذيب لم اكلت
ولدي وفجعتني واورثتني حزنا طويلا فانطق الله الذيب فقال يا نبي الله والذي اصطفاك
بالحق نبيا ما اكلت لحمه ولا مزقت جلده ولا لي به من علم وانما انا ذيب غريب اتيت من
مصر في طلب اخ لي فقدته منذ ايام فلما راوني اولادك صادوني واوثقوني ولطخوا فمي
بدم وجاؤا بي اليك وقد حرم الله علينا لحوم الانبيا فقال له يعقوب وهل رايت يوسف وهل
هو في الحياة ام مات فقال الذيب يا نبي الله ما انا بعاز فقال يعقوب لاولاده اطلقوا هذا
الذيب ودعوه يروح الى حال سبيله هلا فعلتم مثل فعل هذا الذيب فانه قاصد من بلاد بعيدة يطلب
اخيه وانتم قد ضيعتم اخاكم ثم ان يعقوب دخل الى خلوته وصار يبكي حتى ابيضت عيناه من
كثرة البكا وصار لا يخرج من بيته وسماه بيت الاحزان وضرب المثل فقيل

احزان قلبي وبكاي حكى ۞ احزان يعقوب على يوسف

قال السدي كان يعقوب يجلس على قارعة الطريق ويشكوا الى من يمر عليه من الناس والمسافرين
فاوحى الله تعالى اليه لئن عدت تشكوا الى احد من خلقي محوتك من ديوان الانبيا فعند ذلك
قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله فلزم الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه كان سبب
بلا يعقوب بهذه الرزية من ولده انه ذبح يوما شاة وشوى من لحمها ففاحت منه رائحة
فاجتاز بهم سائل وكان جائعا فطلب منهم شيا من ذلك اللحم فلم يطعموه وتغافلوا عنه
فرجع السائل مكسور الخاطر فلم تمض على يعقوب سبعة ايام حتى ابتلاه الله برزية ولده يوسف
حيث كان اعز اولاده عنده كما يقال في المعنى

احرص على كسر القلوب فانها ۞ مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

قال السدي لما اقام يوسف في الجب ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع جاءت من ارض مدين سيارة
يريدون مصر فحادوا عن الطريق ونزلوا بالقرب من الجب الذي فيه يوسف فذهب بعض السيارة
ليملي من الجب ماء فلما ادلى دلوه فتعلق به يوسف فنظر الذي بيده الحبل الى قعر الجب
فراى يوسف فقال يا بشراي هذا غلام فاخرجه من الجب وقال لرفقائه اسروا امره واخذوه
معهم الى عند السيارة ثم ان يهودا جاء الى الجب ومعه طعاما ليوسف فنادى من اعلا الجب
يوسف فلم يجبه احد فتامل الجب فلم يجد يوسف فتبع السيارة فوجد يوسف معهم عند مالك
ابن دعر فقال له هذا عبد قد ابق منا فقال مالك ليوسف الصحيح ما يقول فقال بلى لخوف
تم ثم قال مالك ليهودا بعه لي فاشتراه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين
قال السدي اختلف جماعة من العلما قدر الدراهم فقال بعضهم كانت سبعة عشر درهما

سودا والله اعلم ثم ان يهودا اشترط عليهم في بيعه ان لا يبيتوا به ذلك الليلة في تلك
الارض ويثبتوا ثقوا به فانه هارب سارق ثم سارت القافلة الى نحو مصر ويوسف معهم
راكبا على ناقة فمر على قبر امه راحيل فنزل من الناقة واعتنق قبر امه وبكى وسارت
القافلة عنه قليلا فتفقده مالك بن دعر فلم يجده على الناقة فصاح في القافلة يا يوسف
فلم يجبه احد فسال عنه فقالوا ما لنا به علم فبعد ذلك حضر يوسف فلطم مالك بن دعر
على وجهه وقال له الآن صدقنا انك ابق فقال ما ابقت ولكن زرت قبر امي فلما
دخل مالك الى مصر البس يوسف اثوابا فاخرة وعرضه للبيع فنزلوا به الى السوق
فاشتراه قطفير بن روحيب وكان يدعى عزيز مصر يعني مدبر مملكة مصر وكان الملك
يدعى الريان بن الوليد قال ولما اشتهر يوسف للبيع تزايد الناس في ثمنه فدفعوا فيه
لمالك بن دعر وزنه فضة ووزنه مسكا ووزنه حريرا قال قتادة كان وزن يوسف
اربعمائة رطل فلما اشتراه قطفير بهذه الاثمان اخذه ومضى به الى منزله قال لامراته
اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا قال قتادة ان اصدق الفرسان ثلاثة
وهو قول قطفير عسى ان ينفعنا وبنت شعيب حيث قالت لابيها عن موسى يا ابت
استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر لما استخلف عمر رضي الله عنهما قال
السدي ان قطفير لما اشتراه يوسف كساه سبعين حلة ملونات والبسه تاجا من ذهب
مرصعا بالجواهر فكان قطفير لا يصبر عن مشاهدته قال وهب بن منبه اقام يوسف
في دار قطفير سبع سنين حتى بلغ مبالغ الرجال فشغفت به زليخا امراة قطفير وراودته
عن نفسها قال السدي ان قطفير كان عنينا لا ياتي النسا وكانت زليخا شابة
حسنة ودخلت بيوسف وغلقت الابواب وكانت سبعة ابواب وقالت ليوسف هيت
لك اي اقدم على ما ادعوك اليه قال يوسف معاذ الله اني اعوذ بالله مما تدعينني
اليه فان زوجك محسن الي فلا اخونه فلا زالت به حتى هم بها ولما هم بها راى برهان
ربه قال بعض المفسرين ان يوسف لما هم بزليخا راى اباه يعقوب وهو عاض على اصبعه
وفي رواية راى جبريل فنهاه وقال له ان فعلت محيت من ديوان الانبيا فعند ذلك
ذهبت شهوته وانتشر جلده فذهب هاربا فوجد الابواب مغلقة فلما رجع
همت به زليخا فهم بها وهو يرى من ينهاه فيهرب ثلاث مرات لكن في الثالثة
قال له جبريل لا تعمل عمل الخائنين فتمحى من ديوان الانبيا الصالحين وتكتب في ديوان
الخائنين وقد قال الله تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فلما
ولى يوسف هاربا ادركته زليخا وتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته اليها ومنعته
من الخروج فبينما هما كذلك واذا بقطفير وقد راها على تلك الحالة ففرغت منه
فبادرت بالشكاية وقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا يعني زنا ولكن خافت
على يوسف من قطفير ليقتله فقالت الا ان يسجن او عذاب اليم اي يضرب بالسياط فلما

بهذا قال هي راودتني عن نفسي ففررت منها فادركتني فقدت قميصي فعند ذلك نظر
قطفير فصار ساهيا متفكرا فيما يصنع من هذه الواقعة وصار ينظر الى زليخا مرة والى يوسف
مرة وكان في البيت طفل صغير في المهد عمره سبعة ايام وكان هذا الطفل ابن داية
زليخا فنادى الطفل ايها الملك ان لك عندي ترجمانا مما انت فيه وهو ان كان قميصه قد من
قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
فلما راى قميصه قد من دبر عرف ان الخيانة من جانب زوجته فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم
ثم التفت الى يوسف وقال له يوسف اعرض عن هذا والتفت لزليخا وقال لها استغفري لذنبك
انك كنت من الخاطئين قال الزمخشري ان قطفير كان رجلا حليما مبينا لا يقرب النسا
فلما طال ذلك تركت الغيرة وراها معذورة لحسنها وجمالها وكان هو شيخا كبيرا ليس له قوة
كما قيل

تقول لي وهي غضبا من تدللها ﴿﴾ وقد دعتني الى شي فما كانا
كان ايدك من شمع رخاوته ﴿﴾ ويجيني حين تنويم وقد لانا

قال بعض الحكما من اقام بارض بغداد سنة كاملة وجد زيادة في علمه ومن اقام سنة بارض
الموصل وجد زيادة في عقله ومن اقام سنة بارض حلب وجد في نفسه شحا ومن اقام سنة
بدمشق وجد في طبعه غلظة ومن اقام سنة بمصر يجد عنده رخاوة وقلة غيره وقد
قيل في المعنى وهو لابن العماد

ما مصر الا منزل مستحسن ﴿﴾ فاستوطنوه مشرقا ومغربا
هذا وان كنتم على سفر به ﴿﴾ فتيمموا منه صعيدا طيبا

قال السدي لما اشتهرت زليخا امراة العزيز بحب يوسف شاع امرها حتى قالت نسوة في المدينة
امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا وهو لا يطاوعها انا لنراها في ضلال
مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن فحضر منهن جماعة كثيرة من نسا الوزرا واكابر
الدولة فاقعدتهن على مراتب الديباج الملون والمساند الفاخرة ووضعت لكل واحدة منهن
صحفة من الذهب فيها شي من العسل ووضعت عند كل صحفة اترجة واعطت لكل واحدة
منهن سكينا وامرتهن بقطع الاترج وكانت قد امرت يوسف ان لا يخرج لهن الا بامر منها
فزينته باحسن الثياب المكللة بالجواهر والبسته التاج كذلك فصار يوسف يلمع حسنه
وبها به وقالت له اخرج عليهن فخرج فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن من دهشتهن به
وقلن حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقالت لهن زليخا فذلكن الذي لمتنني فيه
وقيل في المعنى

ولما بدا للعشاق مبتسما ﴿﴾ وحارت الناس جمعا في معانيه
نقلت قول زليخا في عواذلها ﴿﴾ فذلك الذي لمتنني فيه

فلما بهتت النسوة في حسن جماله وصورته ومعانيه والتهين بالنظر وغبن عن انفسهن فقطعن
ايديهن بالسكاكين وهن لا يشعرن وانصرفت النسوة الى بيوتهن فكن في كل ساعة ووقت
يذكرن يوسف وحسنه حتى صار بعض النسا والهات قلقات به فكان ازواجهن يضربونهن

ديتهمونهن عن ذكره فلم ينتهوا فكانوا نحو اربعين امراة فمات منهن تسع نسوة وجدا وحزنا
بيوسف فلما رات زليخا ما صار للنسوة وانها معذورة قالت ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن
وليكونن من الصاغرين فلما راى يوسف ان زليخا لا تنتهى عنه قال رب السجن احب الى مما
يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصبو اليهن واكن من الجاهلين ولما سمع العزيز بما صار
وشاع وملا الاسماع من كلام الناس فى خفته امر بسجن يوسف عليه السلام فسجن قال السدى
لما توجهوا بيوسف ليسجنوه قيدوه واركبوه على حمار ونودى عليه فى الاسواق هذا جزاء
الخائنين فلما سجن يوسف كانت زليخا لا تقدر على الصبر من رؤية يوسف ولا يأتيها نوم
ولا هجوع فنحل جسدها حتى صارت مثل العود البالى فكانت تطلب اسباب التسلى فلا
يفيد كما ينال من ابى عن شى استغنى عنه فكانت تقول فى نفسها اذا كان هذا شاب صغير يخاف
من ربه فلا يعصيه فانا احق بالخوف لانى كبيرة فى العمر وتتسلى بمثل هذا كما قيل فى المعنى

اذا طالبتك النفس يوما بشهوة ❊ وكان اليها فى الوصول طريق ❊
فخالف هواها ما استطعت فانما ❊ هواها عدو والخلاف صديق ❊

هذا ما كان من امر زليخا واما يوسف فكان يأنس بما حوله من المسجونين ويتحدث معهم وكان
جبريل عليه السلام يأتيه ويزوره فى كل شهر مرة ويبشره بانه سيصير ملكا بمصر وتخضع
له الرقاب ثم ان جبريل جاءه ومعه ياقوتة من الجنة فقال ليوسف خذ هذه الياقوتة فابلعها
فبلعها يوسف فكانت علامة لتعبير الرويا قال السدى لما كان يوسف فى الجب كان جبريل
ياتى اليه فى كل يوم مرة وكان فى السجن ياتى اليه فى كل شهر مرة فقال يوسف الهى كنت فى
الجب فى راحة وجبريل ياتينى فى كل يوم وانا فى السجن فى عنا وجبريل ياتينى فى كل شهر
فاوحى الله اليه يا يوسف الجب كان باختيارى والسجن كان باختيارك قال السدى
كان الملك الريان بن الوليد بن نوزان من العمالقة وكان قد انفرد بملك مصر دون غيره
من الملوك السالفة وكان له عدو من ارض اليمن فبعث ذلك العدو الى ساقى الملك الريان
صاحب مصر والى طباخه سما قاتلا وبعث معه مالا جزيلا وارسل يقول لهما ان اطعمتما
هذا السم للملك الريان وهلك فلكما عندى مثل هذا المال مرارا فعند ذلك طرح الساقى
السم فى اناء الملك وطرح الطباخ السم فى طعام الملك وجا الساقى وامر الملك ان لا ياكل
من الطعام ثم جا الطباخ وامر الملك ان لا يشرب من الماء فعلم الملك ما هناك لان كلا
منهما كان يريد ان يكون هو السبب فى هلاك الملك لينفرد بما يجعل الملك من الرشوة
على قتل عدوه ويختص بجائزة عدو الملك فبادر الملك الريان وقبض عليهما وعاقبهما فاقروا
كان منهما فامر بحبسهما فكانا يجلسان بجانب يوسف ويتحدثان معه فقال الساقى فى ذات
يا يوسف انى رايت فى المنام ثلاث طاسات من الذهب وفى كل طاسة عنقود من العنب
وكانى اعصر من ذلك العنب خمرا واسقيه للملك مرة بعد مرة ثم قال له الطباخ
بعد ذلك وانا رايت ايضا تلك الليلة فى المنام كان ثلاث تنانير مملوة بالنار وكانى

اخبز خبزا

اخبز خبزا واضعه فى طبق ثم انى احمله على راسى وكان الطير ياكل منه وكان الساقى صادقا
فى منامه وكان الطباخ كاذبا فى منامه وقد استهزا بيوسف عليه السلام قال السدى كان
الطباخ مشركا بالله تعالى وكان اسمه مجلث وكان الساقى مومنا وكان اسمه بنوة فقال
لهما يوسف يا صاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا يعنى سيده واما الاخر فيصلب فتاكل
الطير من راسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان ثم بعد ثلاثة ايام امر الملك باخراج
الطباخ فامر بصلبه فنهشت الطيور راسه كما اخبر يوسف ثم امر باخراج الساقى فصار
ساقيا له كما كان قال ولما خرج الساقى من السجن قال له يوسف اذكرنى عند ربك اى سيدك
اى قل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما من غير ذنب فلما صار الساقى عند الملك انساه الله
تعالى يوسف ووصيته وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخى يوسف
لولا الكلمة التى قالها ما لبث فى السجن بضع سنين قال لما لبث يوسف بضع سنين جاء اليه
جبريل وقال له يا يوسف قد قرب الفرج من الله وذلك ان الملك الريان يرى مناما فلم
يقدر احد على تفسيره ويكون ذلك سببا لخروجك ثم بعد ايام راى الملك المنام وهو
كان البحر النيل قد غار فى الارض وطلع منه سبع بقرات سمان ثم طلع بعد ذلك سبع
بقرات عجاف اى ناحلات فاكلن تلك البقرات السمان ثم طلع بعد ذلك سبع سنبلات
خضر وسبع سنبلات صفر ثم ان السنبلات الصفر التفت بالسنبلات الخضر فيبسهن
فى الحال فلما انتبه الملك من منامه صار مرعوبا فامر باحضار المعبرين وقص عليهم رؤياه
فلما سمعوها قالوا هذه اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين فلما نام ثانى ليلة
واصبح نسى ما كان قد راه او لا وضاق صدره واحضر المعبرين وقال لهم تذكروا شيئا
ما كنت قد قصصته عليكم بالامس من تلك الرويا فقالوا انهم نسيناها وهذه الرويا اضغاث
احلام فغضب الملك على المعبرين وامر باسقاط رواتبهم المعينة لهم ثم ان الساقى بعد ذلك
تقدم الى حضرة الملك وقال ان فى السجن غلاما من اولاد النبى يعقوب هو يعلم بالتاويل
فامره الملك بالتوجه الى يوسف فتوجه فدخل السجن وقبل راس يوسف واعتذر اليه بانه
قد نسى وصيته الى الان حتى ذكرتك بسبب الرويا وهى ان الملك راى رويا فى منامه
وعجزت المعبرين عنها فقال يوسف وما الرويا فقال الساقى لا اعلمها فقال يوسف ان رويا
الملك كذا وكذا فذهب الساقى واخبر الملك بما قاله يوسف فتعجب الملك من ذلك وامر
باحضار يوسف وهو قوله تعالى ائتونى به استخلصه لنفسى الاية ثم ان الملك ارسل الى يوسف
الى السجن لباسا وتاجا وخلعة وامر الوزراء ان يمشوا فى ركابه فلما اتوا الى يوسف ابى
الخروج وقال لا اخرج حتى تظهر براءتى بين الناس فاخبروا الملك بذلك فاحضر الملك
امراة العزيز تطغيرا والنسوة التى قطعن ايديهن فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن
نفسه فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما تحقق عند الملك براءة يوسف زاد فى تعظيمه فلما اراد يوسف

ان يخرج من السجن بكت اهل السجن جميعا لفراقه فدعالهم عند ماخرج ثلاث دعوات فاستجابهن
الله فقال اللهم اعطف على السجن بقلوب العباد اللهم ادفع عنهم شرغ الحر والبرد اللهم
ايتهم بالاخبار فى كل يوم ثم كتب على باب السجن هذا قبر الاحيا ثم ان يوسف اغتسل ولبس
الخلع وركب فى موكب عظيم حتى وصل الى قصر الملك فدخل وسلم بالعربية فقال له الملك وما
هذا اللسان فقال هذا لسان عمى اسماعيل ابن ابراهيم خليل الله قال وهب بن منبه كان الملك الريان
يتكلم بسبعين لسانا فكان كلما يتكلم يوسف بلسان يجيبه به ثم ان الملك اجلس يوسف الى جانبه
فقال له من انت قال انا يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن خليل الله ابراهيم ونحن من ارض كنعان فقال
له ومن ادخلك الى السجن قال زليخا امراة العزيز لاجل كذا وكذا فاعجب الملك كلامه وعقله وادبه
ونسبه وجميع احواله وكان عمر يوسف لما خرج من السجن ثلاثين سنة ثم قال ليوسف انى كنت سابقا
رايت رويا ونسيتها فقال يوسف ايها الملك انك رايت كذا وكذا وذكر له جميع ما راى من البقر
السمان والعجاف والسنبلات الخضر واليابسات على ما مر ذكره فلما ذكر له يوسف ذلك
تذكر وقال نعم هذا الذى رايت فمن اخبرك بذلك فقال اخبرنى بذلك جبريل رسول رب
العالمين فقال له الملك وما ترى فى هذه الرويا ايها الصديق فقال له يوسف ستاتيكم سبع
سنين مخصبة ثم تاتيكم بعدها سبع سنين مجدبة فقال له الملك وما التدبير فى ذلك
قال يوسف ازرعوا زرعا كثيرا فى السنين المخصبة ثم احصدوه ودعوه فى سنبله وقصبه
وكذلك جميع الحب من القمح والفول وغيره وابنوا له مخازن كبارا فيكون الفضل علفا للدواب
والحب قوتا للناس فقال الملك ومن الذى يتولى بهذا التدبير فقال له يوسف اجعلنى على
خزائن الارض اى ارض مصر انى حفيظ عليم اى احفظ ما يا تى الى من الغلال فقال الملك نعم
انك لدينا مكين امين ثم ان الملك عزل قطفير لانه صار شيخا كبيرا وذهل عقله ورق
حاله ونصب يوسف مكانه فعاش قطفير بعد عزله شهرا ومات ولما تولى يوسف على مصر
عدل فى الرعية وسار فيهم بحسن نيته وانصف فى الاحكام وخضع له الخاص والعام
فكان يركب فى كل سبعة ايام مرة وفى خدمته الوزرا والامرا والحجاب والنواب فكان يركب
معه من العساكر مايزيد على الف غير المشاة وقد قيل فى المعنى

وراه مضيق الخوف متسع الامن	واول مفروح به آخر الحزن
فلا تيئسا فالله ملك يوسف	خزائنه بعد الخروج من السجن

وقال ايضا

اما فى رسول الله يوسف اسوة	لمثلك محبوسا على الظلم والافك
اقام جميل الصبر فى السجن برهة	فآل به الصبر الجميل الى الملك

قال السدى لما جلس يوسف على سرير الملك وفوض اليه امر المملكة المصرية اوحى الله اليه
بان يجعل ذلك الطفل الذى شهد له فى المهد بالبراءة وزيرا يدبر معه الملك المصرية ولا
يضيع شهادته له فاستقربه اليه وجعله وزيرا وخلع عليه ونادى له بالوزارة فى الاسواق
ثم ان يوسف اخذ بتدبير المملكة وقوى الفلاحين وحثهم على الزرع وعلى الزيادة منه

ثم بنا يوسف المخازن لجمع الغلال وسماها الشون والاهرامات وآثار هذه المخازن باقية
الى الآن فكان يوسف يامر بخزن الغلال فى سنبله والفول فى قصبه واستمر على ذلك سبع سنين
يجمع شيئا لا احصر له فى الحساب فلما دخلت السبع سنين المجدبة وقع فيها الغلا والعياذ
بالله فاشتد البلا بالناس ووقع القحط والجوع حتى منع الناس من الهجوع فاول ما وقع
القحط والجوع نام الملك الريان فراى فى نومه انه جايع واشتد به الجوع فانتبه فراى نفسه
جيعانا فصاح الجوع الجوع فاتاه الطباخ بالطعام فقال له الملك من اعلمك بانى جايع حتى اتيت
الى بالطعام فاكل الملك حتى شبع فقال ان الجوع يا تى من قبل يوسف بعد على بطن الملك
فابراه الله من الجوع وكان اهل مصر ياكلون كثيرا فلا يشبعون فباعهم يوسف الغلال فى اول
سنة بالدراهم الذهب والفضة والنحاس حتى لم يبق بمصر عند احد من ذلك شيا ثم
باعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر والاوانى وغير ذلك من الامتعة ثم باعهم فى السنة
الثالثة بالمواشى والدواب حتى لم يبق عند احد شيا من ذلك ثم باعهم فى السنة الرابعة
بالعبيد والجوارى حتى لم يبق عند احد رقيقا ثم باعهم فى السنة الخامسة بالضياع
والاملاك حتى لم يبق لاحد ملكا ولا عقارا ثم باعهم فى السنة السادسة بالاولاد والنسا
حتى باعهم فى السنة السابعة بالنفوس جميعها حتى لم يبق فى مصر من كبير وصغير من
ذكر وانثى حتى دخلوا فى رق يوسف فقال يوسف عليه السلام للملك الريان ايها الملك
اعلم ان الله تعالى خولنى نعما حتى صار جميع ما فى مصر ملكى وصاروا اهلها جميعا تحت رقى
وانى مشهدك انى قد اعتقتهم جميعهم عن آخرهم ورددت عليهم اموالهم وضياعهم واملاكهم
جملة واحدة قال السدى كان يوسف الصديق عليه السلام لا يشبع نفسه من الطعام
عن قصد فقيل له فى ذلك فقال انى اخاف ان اشبع فانسى الجايع وكان يامر طباخه ان يوخر
غداه الى نصف النهار ليذوق جميع من كان معه جايعا رضى الله عنه وارضاه قال الكسائى لما
كان آخر السنة السابعة لم يبق عند يوسف الصديق شيا من الغلال فكان الناس اذا جاعوا
نظروا الى يوسف فيذهب ما عندهم من الجوع ببركته صلى الله عليه وسلم حتى ادرك الزرع
واذهب الله الطيف الباس واستغنى الناس من فضل الله الكريم قال السدى
لما وقع القحط بمصر جاءت زليخا ومعها خادم يقودها وكانت قد عميت وطرشت وافتقر
وذهب جمالها فلما اقبلت على يوسف عرفها فقال لها انت زليخا قالت نعم فقال لها اين
حسنك وجمالك فقالت قد ذهب ذلك كله لاجلك فانه بانى لم يتغير وكان قبل
ذلك مربها ولم يعرفها ولم تات بباله فقالت مناومة سبحان من جعل العبيد ملوكا
بتقواهم وجعل الملوك عبيدا بمعصيتهم فنظر اليها فعرفها عند ذلك فامر باخذها الى
داره واعطاها ما ارادت ثم بعد ذلك وكله اتى جبريل عليه السلام الى يوسف وقال
له ان الله تعالى يامرك ان تتزوج بزليخا فقال له يوسف كيف اتزوج بها وقد صارت
عجوزا عميا فقال جبريل ان الله تعالى يرد عليها بصرها وجمالها فعند ذلك تزوج يوسف

بها بعد ان اسلمت ورد الله عليها حسنها وجمالها وشبابها فواقعها يوسف بكرا واقامت
مع يوسف نحو اربعين سنة ورزق منها ولدين وهما افرايم ومنشا قال ولما وصل الغلا
ارض كنعان قال يعقوب لاولاده اذهبوا الى مصر فاشتروا لنا غلالا من صاحب مصر فعزموا
على المسير فاخذوا معهم بضاعة يتجروا بها مثل الصابون والزيت والدبس ونحو ذلك
وساروا حتى وصلوا الى مصر فطلعوا الى عند العزيز الى قصره فراوه على سرير في موكب وعلى
راسه نحو الف غلام حسان وبايديهم اعمدة الذهب وكان العزيز على راسه تاجا مكللا بانواع
الجواهر لا يستطيع احد ان يتمكن من النظر الى وجهه فعرفهم وهم له منكرون فقال يوسف
للترجمان سلهم من هم فسالهم فاخبروه فقال الترجمان انهم يقولوا انهم من ارض كنعان من
اولاد نبي الله يعقوب فقال يوسف سلهم كم هم فسالهم فقالوا كنا اثنى عشر اخا فنقدمنا
واحد قد اكله الذيب فامر يوسف برفعهم الى دار الضيافة فاقاموا بها اياما لم يوذن لهم بالانصراف
ولا بيع شي من الغلال حتى قال لهم الحاجب ان يقول للملك انا قد اقمنا وقد تركنا
اكبادا جايعة وعيالا ضايعة فاخبر العزيز بما قالوه فقال يوسف قل لهم ياتوني بكتاب من
يعقوب ويأتي اخوهم الاخر فعند ذلك اتحقق انهم اولاد نبي الله يعقوب فاكتالهم واكرمهم
وان لم ياتوني بذلك فلا كيل لهم عندي ولا يقربون قال السدي ان يوسف كره ان ياخذ
من اخوته ثمن الغلال التي باعها لهم وقيل انه اخذها وردها وقال لهم دعوا بعضكم يكون عندي
ويذهب بعضكم فياتي باخيكم فخرجوا واقترعوا بينهم فيمن يقيم فخرجت القرعة على اخيهم
شمعون فتركوه عند الملك وساروا حتى وصلوا الى ابيهم فقالوا يا ابانا قد وصلنا الى مصر
فاكرمنا الملك واوفى لنا الكيل ثم امرنا بان ناتيه باخينا بنيامين فيرتهن يوسف ليكرمنا
جميعا فقال لهم يعقوب هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فلما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم قد ردت اليهم فقالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا وقد ردت الينا فارسل معنا
معنا اخانا فقال يعقوب لن ارسله معكم حتى تاتوني موثقا من الله بان تاتوني به فحلفوا له
على ذلك قال السدي لما ارادوا ان يتوجهوا الى مصر باخيهم بنيامين قال لهم ابوهم يا بني
لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال قتادة ان يعقوب خشي على
اولاده من العين لانهم كانوا من ذوي الحسن والجمال والهيبة الحسنة فلذلك امرهم ان
يدخلوا من ابواب متفرقة اي لا يدخلوا جملة من باب واحد فلما وصلوا الى مصر واجتمعوا
بها دخلوا على يوسف في قصره وجدوه جالسا فتشكر فعلهم واجلسهم واكرمهم ثم امر
بهم الى دار الضيافة واجلس كل اثنين على مايدة وكانوا احد عشر اخا فبقي بنيامين وحيدا على
مايدة فبكى فقيل له لم تبكي فقال تذكرت اخي يوسف لو كان حيا اكلت انا واياه ثم بعد
ذلك امر يوسف بان ينزل كل اخوين في بيت واحد فبقي بنيامين فقال يوسف اتركوه
عندي لانه صار وحيدا فذهب كل اثنان الى المنزل الذي نعين لهما وبقي بنيامين مع
يوسف فاستوحش بنيامين من ذلك فكشف يوسف برقعه فعرفه بنيامين فتعانقا وتباكيا

وقعت بينهما ساعة تنفطر الاكباد من شدة الفرح وبعد ذلك قص بنيامين ليوسف جميع ما صار
من اخوته بعد يوسف وما صار لابيه فقال يوسف يا بنيامين لا تخبر اخوتك باني يوسف واصبر
على ما فعلوه بهم باحتال على اخذك منهم ثم ان يوسف وفا لاخوته الكيل وجعل سقايته في رحل
اخيه بنيامين كما اخبر الله تعالى عنهم في القرآن العظيم قال كعب الاحبار ان السقاية كانت مشربة
من ذهب مرصعة بانواع الجواهر واليواقيت وغير ذلك ويروى انها كانت من الزمرد الاخضر
فلما ارادوا ان يرحلوا الى بلادهم اشاع الملك ذهاب السقاية واتهمهم بها فذهب اليهم الحاجب
واوقفهم عن السفر وقال لهم ان يحبس الملك اليكم وكرمكم قالوا بلى قال فلم اخذتم سقايته وقد
فقدها من حين دخلتم فقالوا تالله لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض وما كنا سارقين
قال لهم الحاجب فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله ان يدفع الى المسروق
منه فيقيم عنده في الاسر سنة كاملة وكان ذلك في شريعة يعقوب فعند ذلك قال الحاجب
خذوا رحالكم الى عند الملك لتطرحها بحضرته فابتدوا بتفتيش رحالهم قبل رحل بنيامين
فلم يبق الا رحله فقال يوسف هذا رحل الصغير وما اظنه يسرق فقالت اخوته ايها الملك
لابد ان تنظر فيه ايضا ليطيب خاطرك فنظروا فيه فاذا السقاية فيه فنكسوا رؤسهم واقبلوا
على بنيامين فوبخوه بالكلام وقالوا له يا بني راحيل لا يزال لنا منكم البلا والعنا ثم قالوا
ليوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال
السدي قد اختلفت جماعة من العلما في سبب سرقة يوسف التي عيروه بها اخوته قال بعضهم
انه اخذ بيضة من بيت عمته فاعطاها لسايل كان واقفا على بابهم فعيروه بها قال قتاده قيل
انه سرق صنما من الذهب كان لجده ابي امه والقاه في بير قال فلما ظهرت السقاية من رحل
بنيامين فاحضرها وضربها بقضيب كان بيده ثم ادنى اذنيه منها فقال ان هذه السقاية
تخبرني بعجيب من امركم وهو انكم كنتم اثنى عشر اخا وانكم انطلقتم باخيكم فبعتموه بثمن بخس
ثم بعد ذلك قال لهم امضوا الى حال سبيلكم واتركوا الآخر بنيامين عندي سنة قصاصا من سرقته
كما هو في سنتكم فقالوا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فلعلنا نحبه فخذ احدنا مكانه انا نراك
من المحسنين فقال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده وقد اخبر الله تعالى في القرآن
العظيم قال كبيرهم شمعون الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله لناتينه به فكيف
نقابله ولم يكن معنا بنيامين ام كيف نعتذر له وقد اخذ علينا العهود ثم قال كبيرهم شمعون
اني لا ابرح من مصر حتى يحكم الله تعالى برد اخي وهو خير الحاكمين وقال لاخوته ارجعوا الى
ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين قال قتاده
فلما رجعوا اولاد يعقوب اليه واخبروه بما جرى لابنه بنيامين بكا وقال بل سولت لكم انفسكم امرا
فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم ان يعقوب دخل الى بيت الاحزان وجدد حزنه
على يوسف واخيه قال السدي الهم الله يعقوب بان يبكي ابنه يوسف لانه اسم مشتق من
الاسف فكان ذلك سبق في علم الله تعالى ولم يزل يعقوب يبكي حتى نشف دمعه وقل دمعه

ثم بعد ذلك ابيضت عينا نبي على يوسف فتجدد له حزن بنيامين فقوي حزنه واشتد المه وذلك بتقدير الله عز وجل وقد قال القائل

لا بد للاحباب من فرقة	وكل مصحوب باصحابه
فمن يمت يفقد من نفسه	ومن يعش يرزا باحبابه

قال السدي كانت مدة الفرقة بين يعقوب ويوسف ثمانين سنة ولم يسلو ساعة واحدة من ليل او نهار فلما صارت فرقة بنيامين اخذ بذكر يوسف وبنيامين فقالوا له اولاده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال قتاده بينما يعقوب جالس في بيت الاحزان يبكي اذ هبط عليه جبريل عليه السلام فقال له ان الله يقريك السلام ويقول لك ان ابنك يوسف حي يرزق وقد صار عزيز مصر فان شئت ناد به بصوتك من مكان مجر ابيك فان الريح تحمل صوتك اليه ويروى ان ملك الموت استاذن ربه بان يزور يعقوب فاذن له في ذلك فلما راه يعقوب قال له يا ملك الموت بالله عليك هل قبضت روح يوسف فقال لا والذي اصطفاك بالحق نبيا ما قبضت روحه بل هو حي يرزق وقد قرب الفرج فعند ذلك سكن يعقوب وطابت نفسه قليلا وقيل كان سبب فرقة يعقوب انه ذبح بقرة ولها عجل رضيع بين يديها فلم يرحمه فصار العجل يجري في كل يوم على امه قال ثم ان يعقوب كتب كتابا وارسله الى عزيز مصر ومضمونه من يعقوب نبي الله ابن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلا اما ابي اسحاق فوضعت السكين على نحره ليذبح واما جدي ابراهيم فوضع في المنجنيق ليحرق واما انا فكان لي ولد يسمى يوسف وكان احب اولادي عندي فذهبت به اخوته ليرعى الغنم فرجعوا وقالوا قد اكله الذيب وها انا ابكي عليه منذ ثمانين سنة وكنت اتسلا ببعض التسلي باخيه بنيامين والان انك زعمت انه سرق سقايتك فحبسته عني وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد من يسرق فارحم ترحم واردد علي ابني فان فعلت جزاك الله خيرا وان لم تفعل دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام وارسل الكتاب مع اولاده وقال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا فلما وصل الكتاب الى العزيز اخذه وقبله وقراه وبكا وكان ذلك في خلوة ثم ان يوسف خرج واستحضر اولاد يعقوب اخوته وقال لهم قد عفوت عن اخيكم بنيامين فما قصدكم بعد ذلك فقالوا اوف لنا الكيل ان الله يجزي المتصدقين فتركهم ودخل الى الصندوق فاخرج لهم ورقة بخط اخيه يهودا ببيع يوسف لما اخرج من الجب فاعطاها ليهودا فقال يهودا لما قراها ما هذا الا خطي وانكر ثم قال نعم خطي وكتبته على عبد لنا فقال يوسف بل بعتموه وفعلتم كذا وكذا واريد ان اصلبكم وافعل بكم كذا وكذا فتحيروا ولم يقولوا في الجواب وقال بعضهم لبعض ان فعل ذلك فهو عقوبة من الله تعالى على ما فعلنا بيوسف وجعلوا ينظروا الى وجه يوسف ويتاملوه قال السدي كان على خد يوسف خال اسود وفي وجهه شامة بيضا تتلالا بالنور فلما تحققوا انه يوسف وسالهم عن ابيه قالوا قد كف بصره ونحل جسده من البكا والحزن ثم انه

اعطاهم قميصه الذي كان اتاه به جبريل من الجنة وهو في الجب فقال اذهبوا به والقوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين فقال يهودا انا اذهب اليه بالقميص واتوجه بيوسف كما اني اتيته بالقميص الملطخ بالدم حين قلنا ان الذيب اكله واخزنته ثم ان يهودا توجه بالقميص الى ارض كنعان ومعه من اخوته يوسف ما يحمل من الزاد والقماش قال كعب الاحبار ان ريح الصبا استاذنت ربها بان تاتي الى يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير بالقميص فاذن لها في ذلك فشم يعقوب فقال لمن حوله اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون اي تستهزئون قال مجاهد في تفسير هذه الاية فمن يومئذ صارت ريح الصبا اذا هبت

لم تهب على عليل الا وجد راحة مما به وقد قال القائل في المعنى

ايا جبلي نعمان بالله خليا	نسيم الصبا يخلص الي نسيمها
اجد بردها او تشف مني حرارة	على كبد لم يبق الا نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنسمت	على نفس مهموم ازالت همومها

قال السدي فلما جاء يهودا بالقميص الى يعقوب فالقاه على وجهه فارتد بصيرا وعادت اليه الشيبة وذهب عنه الحزن والبكا وعادت اليه القوة والنشاط بعد ما قاسى من الم الفراق كما قيل

جاء البشير مبشرا بقدومه	فمليت من قول البشير سرورا
والله لو قنع البشير بمهجتي	لوهبتها ورايت ذلك يسيرا
فكانني يعقوب من فرح به	اذ عاد من شم القميص بصيرا

وقيل ان هذين البيتين اذا قريا على من اصابه الرمد عوفي باذن الله تعالى

يا ناظري يعقوب اعيذكما	مما استعاذ به اذ مسه الكمد
قميص يعقوب اذ جاء البشير به	لحزن يعقوب اذهب ايها الرمد

فقال يعقوب عند ذلك الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون فقالوا اولاده يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين فقال لهم سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم قال قتاده ان يعقوب اخر الدعا لاولاده الى يوم الجمعة وقت السحر لان الدعا فيه لا يرد ثم ان يعقوب اخذ اولاده وعياله وتوجه الى مصر فلما وصل نزل بمدينة بلبيس وكانت مدينة كبيرة عامرة وقد ذكرها الله تعالى في التوراة وسماها ارض جاسان فلما بلغ يوسف قدوم ابيه خرج لملاقاته هو والملك الريان وخرج معها العساكر من الوزرا والامرا وارباب الدولة نحو من اربعماية الف انسان ولما كان العسكر من يعقوب مقدار فرسخ كشف الله بصر يعقوب فراى يوسف بين العساكر كالاسد الضاري فلما وصل ترجل يعقوب عن حماره وترجل يوسف عن فرسه وكذلك ترجل الملك الريان وترجل العسكر باجمعه فتعانق يوسف مع ابيه وبكيا حتى غشي عليهما فقال له يوسف يا ابتي كيف بكيت علي الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكني خشيت عليك ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك قال ولما تلاقا يوسف مع ابيه على العكرشا فقبل ان يسلم عليه قال يعقوب يا بني على اي دين انت فقال على دين ابراهيم عليه السلام ففرح يعقوب قال وهب بن منبه

لما دخل يعقوب الى مصر كان معه من اولاده واولاد اولاده اثنين وسبعين انسانا من رجال
ونساء من كبير وصغير فلم يزالوا في مصر يتنمون الى ايام موسى عليه السلام فكانوا اثنى عشر
سبطا لكل سبط قبيلة لا يعلم عددها الا الله تعالى وقيل لما خرج موسى من مصر فارا من فرعون
كان معه من ظهور بني اسرائيل ست مائة الف وخمسمائة وسبعة وسبعين رجلا غير النسا والاطفال
فكان جملتهم الف الف ومائتي الف اثنان والله اعلم قل اسماعيل السدي لما دخل يعقوب
الى مصر مشى العسكر بين يديه فرحا فلما وصل الى منزله وجلس في القصر دخل يوسف ابويه على
سريره ملكه وامر العسكر ان يخروا له سجدا وكانت قديما تحية اهل مصر وليس المراد به وضع
الجبهة على الارض بل ايما بالسلام فقال يوسف يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا
وقيل ان الله تعالى اوحى الى يعقوب يا يعقوب لما قلت اخاف ان ياكله الذيب عاقبتك بالفرقة
هلا فوضت الامر الي وتوكلت علي ولما اجتمع شمل يعقوب بيوسف اضافهم في ذلك اليوم ملوخية
وكانوا مجتمعين فقيل من ذلك اليوم ملوخية بجمع الاحباب وقيل في معنى الاجتماع

دهرنا امسى ضنينا ... باللقا حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عودي ... واجمعينا اجمعينا

قل كعب الاحبار لما جمع الله شمل يعقوب بيوسف اقام هو واولاده بمصر في ارغد عيش مدة
اربعة وعشرين سنة فبينما هم على ذلك اذ هبط الامين جبريل عليه السلام على يعقوب عليه السلام
وقال له يا يعقوب قد اشتاقت اليك ارواح ابايك وقد قرب الوقت بانقضاء اجلك
فكره يعقوب ان يخبر يوسف بذلك وقيل في المعنى

احب ليالي الهجر لا فرحا بها ... لعل الليالي تنقضي بوصال
واكره ايام الوصال لانني ... ارى كل شي مولعا بزوال

فعند ذلك قال يعقوب ليوسف يا بني اريد ان ازور قبور ابائي ببيت المقدس فاذن له في ذلك
فخرج من مصر وخرج يوسف ليودعه فودعه ورجع وسار يعقوب نحو بيت المقدس قل
السدي لما عزم يعقوب على المسير الى بيت المقدس جمع اولاده بين يديه وقال لهم يا بني ما تعبدون
من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابايك الاولين فطاب قلبه بذلك واوصى يوسف باخوته
وسار فبينما هو في اثناء الطريق اذ هو بجماعة يحفرون قبرا واسعا فنزل يعقوب الى ذلك القبر
فراى فيه فرشا من الاستبرق واطباقا من الذهب فيها الياسمين والريحان ووسعه مد
البصر وفيه ملايكة وهم واقفون وبايديهم اقداح من الياقوت مملوة من الرحيق فسلم يعقوب
عليهم وقال لهم لمن هذا فقالوا لعبد من اهل الجنة فقال يعقوب هل من اذن لانام هنا ساعة
فاذنوا له فتوسد يعقوب على الفرش فاتاه ملك الموت بكاس من شراب الجنة وقال يا يعقوب
خذ واشرب ليزول عنك التعب فلما شرب يعقوب خر ميتا صلوات الله وسلامه عليه فاتته
الملايكة بحنوط من الجنة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في ذلك القبر فلما بلغ اخيه
العيص موت يعقوب في ذلك المكان اتى الى خبره وبكى حتى غشي عليه فمات من وقته فغسل

وكفن

وكفن ودفن مع يعقوب في قبر واحد قل كعب الاحبار لما بلغ يوسف وفاة ابيه
قيل هتف به هاتف في ذلك اليوم فقال له اعظم الله اجرك في ابيك يا يوسف فقد مات ابوك
وعمك العيص ودفنا في مكان واحد على قارعة الطريق من ارض كنعان فبكى يوسف واخوته
وجلس للعزا وقال لا خير في الدنيا ولا في حياتها وبعد ذلك توجه من يومه هو واخوته الى
ارض كنعان ونقل اباه وعمه الى بيت المقدس ودفنهما عند جده ابراهيم الخليل عليهم السلام
داخل المغارة ثم ان يوسف رجع الى مصر ولم يجلس بعد موت ابيه على سريره ولم يلبس تاجا
ابدا بعد موت ابيه وقال يوسف رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث
فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين
فاتاه جبريل وقال يا يوسف لا تعجل ان لك اجلا موجلا قال ولما توفي يعقوب قالت اخوة
يوسف لقد كنت تكرمنا لاجل ابينا وقد مات وانا نخاف ان تتذكر ما فعلنا بك قديما فقال
يوسف والله ان حرمتكم بعد موته اعظم عندي مما كانت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
واضاف فعلهم الى الشيطان حيث قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي قل
الكسائي توفي يعقوب وله من العمر نحو مائة سنة وسبعة واربعين سنة وعاش العيص كذلك
قل العزيزي اقام يوسف بمصر بعد ابيه ثلاثة وعشرين سنة فلما دنى اجله اتاه ملك الموت
وهو يريد ان يركب على فرسه فقال له لا تركب قد دنى اجلك فلما ايقن بالموت قال لاخوته
لا تقيموا من بعدي بارض مصر فانها دار الفراعنة ومسكن الجبابرة قل السدي لما توفي
يوسف جعلوه في حوض من رخام ابيض ودفنوه في احد جانبي النيل فاخصب ذلك الجانب
دون الاخر فنقلوه الى الجانب الاخر فاخصب ذلك المكان دون الاخر فلما راوا ذلك
اتفقوا اهل الجانبين ان يجعلوه في وسط النيل بينهما لاجل بركته لتحصل لهم بالسوية فامر
ذلك الحوض بين عمودين من الصوان وجعلوا الحوض في سلسلة من الحديد وسمروها بكلاليب
من الحديد في تلك الاعمدة فلما صنعوا ذلك اخصب الجانبان قل العزيزي توفي يوسف
الصديق وله من العمر نحو مائة وعشرين سنة وقد مات قبل زليخا بمدة يسيرة ودفنت بمصر ولم
يعلم محل قبرها قل السدي قد اختلف العلما في نبوة اخوة يوسف قال بعضهم لم يكن
بينهم نبي سوى يوسف وقال بعضهم بل كانوا كلهم انبيا وقال ان الملك الريان مات في زمن
يوسف وقيل انه اسلم على يد يعقوب وكان حسن السيرة عادلا في الرعية وكان خراج مصر
في ايامه الف الف دينار ولما وقع الغلا في ارض مصر اسقط عنهم خراج ثلاث سنين وكان
من جملة فراعنة مصر قل الكسائي ان يوسف هو اول من اظهر علم الهندسة ولم يكن الناس
يعرفون ذلك وهو اول من قاس النيل بمصر ووضع له مقياسا موقتا وهو الذي وضع خليج
المنهي وحفره بالفيوم ومن العجايب ان هذا الخليج لا ينقطع جريانه على الدوام وهو اول
من خص بتعبير الرويا واول من خزن القمح في سنبله واتخذ المخازن واول من صنع القراطيس
بين الورق البلدي قل ابن وصيف في اخبار مصر ان يوسف عليه السلام هو الذي بنا

مدينة الفيوم وقد دبرها بالوحي من جبريل وكانت ارضها مغايض للماء فاخرج منها الماء وجعل
بها عشر قناطر وعمل عليها ابوابا من الحديد وبنى بها حائطا من جهة الجنوب الى جهة الشمال
طوله مائتي ذراع بذراع العمل واحكم وسببه لورد الماء وان زاد النيل اثنى عشر ذراعا وكان على
خليج المنهى عدة طواحين تدور على الماء وقيل ان هذه الطواحين كانت تعمل في الف يوم فسميت
من ذلك اليوم الفيوم وكانت محكمة على الاعمار وستين قرية وقال ابن الهيعة كان بالفيوم
الف منبر من الذهب يوسر الوزراء والنواب يجلسون عليها في المواكب وقد سماها الله تعالى
في القران العظيم بالمقام الكريم **وقيل** اقام يوسف مدفونا بجر النيل في خليج المنهى نحو ثلثمائة
سنة حتى ظهر موسى صلى الله عليه وسلم **قال** السدى لما خرج موسى من مصر ومعه بنو
اسرائيل فاوحى الله اليه ان يحمل معه جثة يوسف قال موسى يا رب لا اعرف مكانه فاوحى الله
اليه ان عجوزا قد ذهب بصرها هي التي تدلك على مكانه فمضى موسى اليها وسالها عن المكان
فقالت يا موسى ما دلك الا ان تدعو الله بان يرد علي شبابي وقوتي وبصري وتحملني معك
الى القدس فدعا لها فاستجاب الله دعاه بما طلبت فدلته على مكان جثة يوسف عليه السلام
فاخرجه وحمله معه في تابوت من خشب وتوجه به وبالعجوز الى بيت المقدس فدفن يوسف
عند ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم **قال** السدى لما اخذ يوسف من مكانه البحرى نقصت
البركة من الفيوم عن عادتها التي كانت في مدة جثة يوسف **قال** الكسائي كان بين مولد
موسى ووفاة يوسف مائتين وثلاثين سنة ثم ذكر يوسف على سبيل الاختصار **ذكر**
قصة ايوب الصابر عليه السلام قال كعب الاحبار كان ايوب من الروم وهو من
ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام وهو من دعا ابراهيم واسحاق ان يكون
منه زبر العيص الملوك ولم يكن منه نبي غير ايوب كما تقدم عند ذكر اسحاق وكانت
رحمة بنت افرايم بن يوسف الصديق زوجة ايوب **قال** العزيزي كان ايوب نبيا
في زمن يعقوب وقد بعث الى اهل حوران من نواحي دمشق **قال** السدى كان ايوب
في نعمة من المال وكان لا يفتر عن قرى الضيف ليلا ونهارا وكان يأوي الفقراء وكان يعاني
الخير والزرع والمواشي وكانت اولاده وعياله كثيرة وكانت رعاته من عبيده وكان
لكل راعي كلب او كلبين وكان اجلة الكلاب من الذهب **قال** وهب بن منبه كان لايوب
عبادات تقصر عنها العابد وقد حسده ابليس اللعين على تلك العبادات وكان ابليس
في تلك الايام لا يمنع من الصعود الى السماء وكان يتحدث مع الملائكة وكان يسمع الملائكة
يثنون على ايوب خيرا من عبادة وكرم فعند ذلك قال ابليس الهي لو سلطني على مال ايوب
لاذهبته فترك العبادة فاوحى الله اليه قد سلطتك على ماله فجمع ابليس اولاده وجنده
ونزلوا على جميع زرع ايوب فاحرقوه عن اخره واحرقوا مواشيه برعاتها فهلكت عن اخرها
ثم ان ابليس اتى بصفة عبد من عبيد ايوب الى ايوب فوجده قائما يصلي فقال يا ايوب
قد احترق زرعك وهلكت مواشيك برعاتها فقال ايوب الحمد لله الذي اعطى واخذ

ما اعطى

ما اعطى فالكل منه واليه فرجع ابليس خائبا فقال الهي لو سلطني على اولاده لما كان يصبر فاوحى
الله قد سلطتك على اولاده فمضى ابليس وحرك بيوتهم فسقطت عليهم فهلكوا عن اخرهم
ثم اتى الى ايوب فراه يصلي فقال يا ايوب قد سقطت الدار على اولادك وعيالك فهلكوا
وقيل ان ابليس جاء على صورة داية اولاده فناحت بين يديه وبكت وكل ذلك وهو يقول
الحمد لله الذي اعطى واخذ فمضى ابليس وعاد الى ايوب في صورة خادم اولاده فقال يا نبي
لو رايت اولادك وقد خرجت امعاؤهم وانفجرت دماؤهم وسالت عيونهم وهو يبكي فرق قلب
ايوب لذلك فبكى وقال ليتني لم اخلق ففرح ابليس بهذه الكلمة ثم ان ايوب استغفر ربه
من تلك الكلمة فرجع ابليس خائبا فقال الهي لو سلطني على جسده لما كان يصبر فاوحى الله اليه
اني قد سلطتك على جسده فرجع ابليس واتى ايوب فوجده قائما يصلي فدنا منه ونفخ في
منخره نفخة فاشتعل جسده من راسه الى قدميه فحك جسده فلم يزل يحكه حتى تجرد وسقطت
اظفاره ثم اخذ الحجارة وحك بها جسده حتى ذاب لحمه وانتثر وخرج الدود حتى من
المفاصل وفاحت منه الرائحة الكريهة وكان ايوب متزوجا بثلاث نسوة فهربت اثنتان
وبقيت رحمة لم تهرب وكانت صابرة على حاله فلما تضرر اهل القرية من نتن ايوب اتى اليهم
ابليس في صورة رجل من اهل القرية وقال اخرجوا ايوب من قريتكم والا يعديكم بوجعه فقالت
اهل القرية لرحمة اخرجي ايوب من بيننا والا نقتله فذهبت رحمة وحملت ايوب على كتفها
واتت به الى خربة هناك وفرشت التراب ووضعته عليه **قال** وهب بن منبه اقام ايوب
مطروحا على التراب والدود يرعى لحمه سبع سنين ولم يبق له مال ولا ولد ولا احد
يقرب منه فكانت زوجته رحمة تذهب الى اهل القرية وتعمل اشغالهم وتاتي الى ايوب بيرهم
من الخبز وغيره فجاء ابليس وقال لاهل القرية لا تدعوا رحمة تدخل بيوتكم فتعديكم لانها
تحمل من ريح ايوب فقالوا لها يا رحمة اخلي زوجك ايوب وامضي بعيدا عن القرية والا رجمناك
بالحجارة فاتت اليه واحتملته وذهبت به الى مكان بعيد عن القرية وفرشت رمادا ووضعته
عليه وقالت له يا ايوب اطلب لنا العافية من الله فقال ايوب يا رحمة اني استحي اطلب العافية
من الله تعالى لاني قد عشت سبعين سنة في عافية افلا اصبر على بلائه سبعين سنة فذهبت
رحمة تطلب له زادا فكانت كلما دقت بابا تطلب ينولوها اذهبي عنا ليلا تعدينا
فلما بلغ منها الجهد ومض ايوب الجوع عمدت الى ظفيرة من شعرها وجزتها وباعتها
برغيف واتت به الى ايوب فقال لها ايوب من اين لك هذا الرغيف فاخبرته بما صار من امرها
فتالم من ذلك وصبر **ومما يحكى** عن مواتاة النسا قال ابو الفرج كما صنفها ان رجلا من العرب
يقال له هدبة بن خشرم قتل رجلا فامر معاوية بقتله فحبس ليلة فارسل هدبة يطلب
زوجته ليوصيها فاتت اليه ليلا فكانت تمشي وتختال في مشيها والمسك يفوح من اثوابها
وخلاخيلها تون بها وكانت ذات حسن وجمال فلما وصلت اليه جلست عنده فتحدثا وبكيا
ثم بعد ساعة نام معها وكان ما كان بينهما فلما اصبح الصباح اخرجوه ليقتلوه فالتفت

الى زوجته وقال لها ۞ اقلي من اللوم وارعي لمن رعا ۞ ولا تجزعي ممن اصاب نا وجعا ۞
۞ ولا تنكحي ان نوق الدهر بيننا ۞ اغم القفا والوجه ليس بادنعا ۞
قال فلما سمعت زوجته ذلك مالت الى الجدار واخذت سكينا وجزعت انها ثم التفتت
اليه وارته ما فعلت بنفسها فلما راى ذلك مشى واختال وقال طاب الموت طاب الموت
فقتل رحمه الله قال العتبي بينما انا امشي في شوارع البصرة واذا انا بامراة من اجمل
النسا وجها واظرفهن شكلا وهي تتبل شيخا هو ماسح الوجه والخلقة وهي تحادثه وتلاعبه
وتضحك في وجهه فلما رايت ذلك منها تزبت نحوها فقلت ياهذه من يكون هذا الشيخ
منك فقالت هو زوجي فقلت لها وكيف تصبرين على شماحته وركنه مع وجود حسنك
وجمالك ان هذا من اعجب العجب فقالت ياهذا الكل بمراد الله فلعل هذا الشيخ رزق مثلي
فشكر ورزقت مثله فصبرت والصابر والشاكر في الجنة افلا ارضى بما رضي الله لي
فاضرفت عنها وقد اعجزني جوابها وروى معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو خرج من رجل قيحا ودما فلمسته امراته بلسانها ولم يرض عنها جاءت يوم القيامة
في تابوت من نار فهوى بها الى قعر جهنم قال وهب بن منبه ان ابليس اللعين تصور
لرحمة زوجة ايوب في صورة طبيب ووقف لها على الطريق فلما مرت به قال لها انت رحمة
زوجة ايوب المبتلى قالت نعم فقال لها اني طبيب حاذق واداويه على شرط قالت وما
هو الشرط قال يذبح ولا يسمي ويشرب الخمر فانه يبرا فلما رجعت الى ايوب اخبرته
بذلك فغضب وقال هذا ابليس اللعين وحلف يمينا عظيما انه اذا شفي من هذه العلة
ليجلدن رحمة مائة جلدة والسبب في جلدها حيث لم تقل له ان الله تعالى هو الشافي ثم
بكى ايوب وقال الهي لم اك بين امرين الا وقد طلبت ارضاهما لك دون رضاي وما
شبعت من الطعام قط قائلا ان اشبع وغيري يكون جائعا فباي ذنب اخذتني به فاوحى
الله تعالى اليه يا ايوب هل كان صبرك على البلا بتوفيقي ام بتوفيقك يا ايوب لولا اني
جعلت تحت كل شعرة في جسدك صبرا والا فما كنت تطيق دودة واحدة تاكل من
جسدك فعند ذلك وضع ايوب في فمه ترابا واستغفر من ذنبه ولم يتكلم من بعد ذلك
قال الكسائي ان الدود لم يزل يرعى في جسد ايوب حتى وصل الى لسانه فخشي ان يشغله
عن ذكر الله تعالى فعند ذلك قال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقال الله
تعالى فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر قال السدي لما قال ايوب رب اني مسني الضر علم الله
تعالى انه جزع خوفا ان يفوته الذكر فجاءه جبريل برمانة وقيل بسفرجلة من الجنة فوقف
بجانب ايوب فقال له ايوب من انت ايها العبد الصالح الذي انست بك من بعد ان تفرقت
مني الاصحاب فناوله تلك الرمانة وقال له كل هذه الرمانة فلما اكل منها وتزلت في
جوفه تناثر ذلك الدود من جسده ثم قال له جبريل قم يا ايوب فقال وكيف اقوم ولم يبق
لي حيل ولا قوة فاخذ جبريل بيده ومشى به اثني عشر خطوة وقال له اركض برجلك اليمنى

فركض بها فظهرت له هناك عين ماء حاره فقال له جبريل اركض برجلك اليمنى فظهرت
له عين ماء باردة فقال له اشرب من هذه البارده واغتسل من هذه الحارة فلما شرب واغتسل
عاد اليه حسنه وجماله وصار احسن مما كان حين كان معافى ثم اتاه جبريل بحلة من الجنة
وتاجا والبس ايوب فصار كالقمر المنير فلما عاين ذلك ايوب صلى ركعتين شكرا لله على هذه
النعمة وقيل في المعنى ۞ ماضاق بالعبد امر فاستعد له ۞ عبادة الله الا جاء الفرج ۞
۞ وما الح بباب الله ذو حرج ۞ الا تزحزح عنه الهم والحرج ۞ حنانيك الله
قال وهب بن منبه لما اغتسل ايوب من تلك العين تناثر الدود من جسده وصار فراشا
من ذهب وتطاير في الافاق فكان بلاءه صار نعما قال السدي ان اليوم الذي اغتسل فيه
ايوب فبرى كان يوم النيروز ولذلك يستحب فيه الغسل عند الانباط ولما دنا لايوب
ما دنا من امر الشفا كانت زوجته رحمة غائبة تطلب له ما يتقوت به فتعرض لها ابليس
اللعين في اثنا الطريق وقال لها يا رحمة الى متى هذا التعب والجهد العظيم في حق من لم يبق
يخلص من هذا البلا وقد وعدك في الجلد مائة جلدة فلم تلتفت رحمة الى كلامه واقبلت
نحو ايوب فلم تجده في مكانه فجعلت تطوف عليه وتطلبه وتقول ويحك الفدا يا ايوب
اكلتك السباع ام بلعتك الارض ثم ان ايوب نادى يا رحمة ما تريدين فلم تعرفه فقالت
اريد الصابر ايوب المبتلى وكان ايوب عليه الحلل وبجانبه الماء وهو في هيئة حسنة فلذلك
لم تعرفه رحمة لما عهدت فيه من البلا فقال لها ايوب هل تعرفي فيه علامة فتاملته فقالت
انك تشبه ايوب فضحك وقال انا ايوب قد من الله علي وعافاني ونفض عليها من جبريل
والحلل والماء فحمد والله تعالى على ذلك ثم نزل جبريل واشار الى داره فصارت احسن
عماره واحيى الله اولاده انه على كل شي قدير ورد عليه انعامه ومواشيه وعبيده ونسي
ايوب جميع ذلك البلا والمحنة كما قيل ۞ ۞ ۞
۞ كن من مدبرك الحكيم ۞ على وجل علا وجل ۞
۞ وارض القضاء فانه ۞ حتم اجل وله اجل ۞
قال السدي لما عوفي ايوب من بلائه بقي متحيرا في يمينه بضرب رحمة مائة جلدة كما تقدم
فاتى جبريل وقال له يا ايوب خذ مائة عود من اصول السنبل واجمعها حزمة واحدة واضرب
بها رحمة فانك تخلص من اليمين ففعل ذلك بوجه واستمرت رحمة في عصمة ايوب
حتى ماتت وهي نجيبة رضي الله عنها لقد صبرت وفعلت ما يرضي الله تعالى ويحبه ولم يزل
ايوب في نعم الله وكرامته الى ان توفي قيل عاش ثلاث وتسعون سنة وقيل مائة سنة والله
اعلم ومات بحوران ودفن بمكان موته وكانت ام ايوب بنت لوط عليه السلام انتهى ما اوردناه
من قصة ايوب على سبيل الاختصار **ذكر قصة نبي الله شعيب** على سبيل الاختصار
هو نبي بعثه الله الى اصحاب الايكة واهل مدين قيل انه من ولد ابراهيم فلم يومنوا به فاهلكهم الله
وذلك ان الله تعالى ارسل اليهم سحابة فيها نار توجد واحرها من قبل ان تنزل النار فدخلوا

الا سر به فوجدوها اشد حرا فخرجوا الى الصحرا فامطرت السحابة عليهم نارا فاحترقوا
باجمعهم وجاء في الخبر ان شعيبا خطيب الانبيا عليهم السلام وكان ضريرا وقبر شعيب بقرية
يقال لها حطين من اعمال صفد وهو عن بيت المقدس ثلاثة ايام وياتي ذكره وتزويج بناته
من موسى عليه السلام في قصته ان شا الله تعالى **ذكر قصة موسى الكليم عليه
افضل الصلاة والتسليم واخيه هارون عليه السلام** وموسى
صلى الله عليه وسلم هو ابن عمران بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وولد موسى وبعث في زمن
فرعون مصر الوليد بن مصعب واليه وكان فرعون متزوجا باسية بنت مزاحم **وروى**
ان الله تعالى لما خلق الحور العين كانوا في نهاية الحسن والجمال فقالت الملايكة الهنا وسيدنا
هل خلقت خلقا احسن منهن فجاءهم الندا اني خلقت احسن منهن وهن نسا العالمين وفضلتهن
على الحور العين وفضلت على نسا العالمين اربعا وهن اسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مريم بنت عمران
تكون في الاخرة زوجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك اسية بنت مزاحم وان
فرعون اخذها كرها من ابيها ودخل بها فحجبها الله عنه لانها كانت مومنة **ذكر موسى
عليه السلام وما وقع له مع فرعون** بينما فرعون نايما في قبة يوسف اذ راى في منامه
قايلا يقول له يا فرعون قد قرب زوالك فانتبه فسمع الهاتف في يقظته ايضا فاستدعى
بالمعبرين فقالوا ان هذه الرويا تدل على مولود يولد فيسلبك وياخذ ملكك ويزعم انه
رسول اله السما والارض ويكون هلاكك وهلاك قومك على يديه فعند ذلك امر
الرجال ان يعتزلوا عن النسا وامر من خواصه ان يفحصن عن النسا الحوامل ويفتشن في
داره فكان كلما ولدت امراة ذكرا يقتله وبلغه ان هذا المولود يكون من اخص الناس
به فامر وزراه وخواصه وثقاته ان لا ينا دقوه في ليل ولا في نهار **وقيل** ان فرعون قتل
في تلك المدة اثني عشر الف مولود فضجت الملايكة وابتهلوا الى الله تعالى فقال الله تعالى اسكتوا
فاني جعلت له اجلا معدودا والى وقت معلوم **قال** فبينما عمران نايما عند فرعون اذ نظر
الى امراته وهي عنده ففزع فقال له الملك الموكل بحملها اليه ان الله يامرك ان تواقع زوجتك
على فراش فرعون فواقعها فحملت بموسى عليه السلام ثم احتملها الملك وردها الى بيتها
في اخر الليل فلما اصبح الصباح دخل على فرعون المنجمون وقالوا ان هذا المولود قد حملت به امه
في هذه الليلة الماضية وقد ظهر نجمه فيها فاشتد فزع فرعون وازداد حرصا ولما مضت
مدة الحمل وضعته في نصف الليل ونوره يتلالا فاشتد فرح امه به لكنها مكروبة لخوفها عليه
من فرعون واعوانه فسالت الله تعالى ان يحفظه فانطق الله تعالى موسى وقال يا امي لا تخافي
ولا تحزني ان الله معنا **قيل** وفي تلك الليلة راى فرعون في منامه قايلا يقول له وهاتفا هتف
به في اليقظة وقد ولد موسى وهلاك فرعون وصارت الاصنام منكوسة واصبح فرعون شديد
الغضب وشدد في طلبه وامر الاعوان ان لا يدعوا مكانا حتى ينظروا فيه **قال** وكانت

ام موسى

ام موسى اذا خرجت في حاجة تضع موسى بمهده في التنور فاتفق ان اخته سجرت التنور لتخبز
فيه وانساها الله كون موسى في التنور واتفق ان اعوان فرعون دخلوا في ذلك الوقت الى
دار ام موسى ولم يدعوا فيها مكانا حتى فتشوه وراوا التنور يسجر نارا فخرجوا ولم يروا
مولودا فوجعت ام موسى وهاجت لما اخبرت بدخول الاعوان الى دارها فوجدتهم قد خرجوا
ولم يروا موسى فحمدت الله تعالى على ذلك وجاءت الى التنور فراته مسجورا فكادت روحها
تزهق حزنا على موسى من النار فناداها موسى يا اماه لا تخافي فان الله تعالى قد منعني من النار
وغيرها ففرحت واخرجته وكحلته ودهنته ووضعته في تابوت بامر من الله تعالى والقته ليلا
في البحر **قال** وكان في دار فرعون بركة ولها خليج نافذ الى البحر فقذفت الامواج ذلك التابوت
حتى ادخلته الى تلك البركة وكان لفرعون سبع بنات ولا واحدة منهن الا وفيها علة من
العلل ومرض من الامراض فكن يغتسلن في تلك البركة في كل يوم فلما راين التابوت اخرجنه
وفتحنه فوجدن موسى وهو كالشمس المنيرة فاخذنه ومضين به الى اسية وعافاهن الله
تعالى ببركة موسى فحملته اسية واحبته وقبلته فدخل فرعون عليها فوجد موسى في
حجرها ففزع ورجف فواده وقال هذا عدوي فقالت اسية ايها الملك لا تخف منه فانه
صغير وانه جا في تابوت ولم نعلم لمن هو فلعل يكون منه الخير ونتخذه ولدا فمتى راينا منه
شيا نكرهه فاقتله ولم تزل به حتى صفح عنه وتركه ومضى فجاع الطفل فعرضت عليه اسية
جميع المراضع فلم يقبل احدا منهن **قصة الرضاع** روى ان ام موسى قالت لاخته قصيه
عنه واتيني بخبره فخرجت حتى دخلت عند اسية فلم تعرفها فقالت انها ابنة عم اسية
لان عمران كان عم اسية وهم من ال ابراهيم الخليل عليه السلام فترحبت بها واكرمتها فقالت
لاسية ان امي ترضعه فقالوا حبا وكرامة فدعوها فارضعته فدخل فرعون عليهم وهي ترضعه
فقال لها الك ولد فقالت ايها الملك هل ترك قومك ولدا لم يقتلوه فدخل كلامها في عقله
وتركها ولم تزل ترضعه في بيت اسية سنة كاملة حتى قوي فلما صار لموسى ثلاث سنين
دعا به فرعون واجلسه في حجره وجعل يلاعبه فقبض موسى على لحية فرعون وجذبها بيده
ولطم باليد الاخرى فقال فرعون لا شك هذا عدوي ثم تقبله فقالت اسية ايها الملك
انه صغير وهذا من شان الصغار حين الملاعبة ولم يزل بر وهو مصر على قتله فقالت اسية
ايها الملك اصبر نضع له في طشت جمرة وتمرة فان اخذ التمرة وترك الجمرة فاقتله
فاجابها فرعون الى ذلك فقدموا لموسى تمرة وجمرة فاخذ موسى الجمرة ووضعها في
فيه فاحرقته فبكى بكاء شديدا فتركه فرعون وانصرف لشانه فكبر موسى ونشا واعطاه
الله حكما وعلما فلما بلغ اشده واستوى **قال** ابن عباس الاشد ما بين الثمان وعشرين سنة
وكان موسى يذكر للناس ان فرعون على الضلال ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر **قصة
القبطي** قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه **وذلك ان موسى** كان يمشي في بعض الايام فوجد

اسرايليا يختصم مع قبطي فاستنجد الاسرايلي بموسى على القبطي فتقدم موسى الى القبطي فوكزه باصبعه فمات القبطي فندم موسى على ما فعل وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وفي اليوم الثاني خرج موسى فراى ابن عم القبطي المقتول يطلب ثار ابن عمه من ذلك الاسرايلي وهو يقول له قد قتلت ابن عمي ويريد اخذه الى فرعون فهم موسى لينصر الاسرايلي فظن القبطي ان موسى يريد ان يقتله كما قتل ابن عمه بالامس فصرخ القبطي وقال كما اخبر القران يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين ودخل القبطي الى فرعون فاخبره ان موسى قتل رجلا بالامس وهو في اليوم يريد ان يقتلني فامر فرعون باحضار موسى ليقتله وكان في حضرة فرعون رجل مومن يكتم ايمانه فخرج فقال لموسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج موسى خايفا **قصة اهل مدين** قال فلم يزل موسى عليه السلام يسير حتى وصل الى ارض مدين في السابع وبه جهد من الجوع والعطش فاذا بجماعة من اهل مدين يسقون اغنامهم وهم دون الاربعين رجل ووجد موسى ايضا امراتين يلمان غنمهما فقال موسى لهما يا ابنتي ما قصتكما ناخذ لكما من الماء قالتا لا نستطيع ان نكون بين الرجال ونحن بنات نبي الله شعيب بل نصبر حتى ينصرف الرعاة فنسقي مواشينا بعد انصرافهم وان ابانا شيخ كبير لا يقدر على ان يرعى الغنم فصبر موسى حتى انصرف الرعاة من الماء فجاء الى البير وضرب الحجر التي على راس البير برجله فدحاها عنه **قال** وكان هذا الحجر غطاء لفم البير وكان لا يقدر على دفعها الا اربعين رجل وانما كانوا يضعوها ليمنعوا بها الماء عن مواشي نبي الله شعيب حسدا لان مواشيه كانت اكثر من مواشي القوم **فقال** موسى للبنتين قربا الغنم فسقاها وانصرفت ثم تولى موسى الى الظل بشجرة هناك فجلس في ظلها وهو جايع فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير ولما وصلت البنتان الى ابيهما نبي الله شعيب قال لبنتيه قد جيتما سريعا فاخبرتاه بما كان فقال لاحديهما اذهبي فاتيني به فاقبلت الى موسى ونادت اليه وقالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فقام موسى ومشى والمراة تمشي امامه فكشفت الريح عن ساقيها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق فتاخرت عنه فكانت تقول له عن يمينك عن يسارك كي يهتدي على الطريق حتى وقف على باب شعيب فبادرت المراة فاخبرت ابيها فاذن لموسى بالدخول فدخل وسلم فرد سلامه واعتنقه واجلسه واكرمه وقدم له طعاما فاكل فقص موسى على شعيب ما حصل له مع القبطي ومع فرعون فقال شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت بنت شعيب لابيها يا ابتي استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وكان اسمها صافورا **قال** اما قولها القوي لانها رات وقد دحى الحجر عن فم البير وكان لا يدحرجها الا اربعين رجلا واما قولها الامين لما كشفت الريح عن ساقيها فامرها بالسير خلفه فقال شعيب لموسى اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني نفسك فترعى غنمنا ثماني حجج فرضي موسى فتزوج يصفوان الى ان مضت

الثماني حجج فزاد موسى سنتين فرعى عشر سنين فاراد موسى الرجوع الى مصر قاصدا اهله **قصة رجوع موسى الى ارض مصر** فلما هم موسى بالمسير الى اهله ومعه زوجته بنت شعيب وكانت حاملة منه فشق ذلك على شعيب فقال موسى معتذرا اني اشتقت الى امي واختي واخي هارون وخالتي فعند ذلك تضرع شعيب الى الله الكريم اللطيف وقال الهي واله ابراهيم الخليل واسماعيل الصفي واسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق ان ترد قوتي وبصري فامن موسى فرد الله عليه بصره وقوتر فطاب خاطر شعيب وصار له قوة على رعي الغنم وسار موسى باهله واوصاه شعيب بابنته ولم يزل سايرا حتى وصل الى واد فضرب خيمته وادخل اهله فيها وهطلت السما بالمطر والثلج واتى زوجته الطلق فجمع حطبا واخذ يقدح الزناد فلم يظهر له نار وعجز فاغتم لذلك فنظر من بعد فوجد نارا فذهب اليها فوجدها نورا ممتدا على شجرة من عناب وقيل كانت شجرة من العوسج فتحير وخاف واذا النداء من العلا يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ثم قال الله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال الله عز وجل القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى ففزع منها موسى فولى هاربا فسمع النداء ايملك احد الموت والحياة غير الله فرجع موسى الى موضعه فراى الحية على حالها قال الله تعالى خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى الاية فامره الله تعالى ان يكون رسولا الى فرعون وقومه فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري الاية قال الله تعالى قد اوتيت سولك يا موسى **قال** فلما رجع موسى الى اهله وكان في ذلك الوادي اناس ساكنون فاتى جماعة بعض نسوة فاوقدوا نارا وساعدوا ابنة شعيب على امرها وولدت ثم سار موسى باهله الى مصر فاتاها ليلا **قصة دخوله الى مصر** واوحى الله تعالى الى هارون اخي موسى بقدوم اخيه وان يكون معه رسولا وكان يومئذ وزير الفرعون وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا ثم احتال ملك وضيعه خارج مصر عند اخيه فسلم عليه موسى وعانقه وبشره بالرسالة ثم دخلا الى امهما فسلم عليها موسى وفرحت به واخبرها بما كان من امره جميعه وبالرسالة ثم ان موسى خرج الى بين القوم فمنهم من يعرفه ومنهم من ينكره فاخبر الفرعون بقدومه فتخوف منه واحضره فقال له فرعون من انت قال انا موسى رسول الله اليكم فقال فرعون يا موسى انت عبدي وابن امتي فقال موسى انا عبد الله ورسوله لتقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له واني عبده ورسوله فعند ذلك طلب منه معجزة **قصة الحية** فبينما هم في مجادلة واذا بالعصا قد اضطربت في كف موسى فالقاها فاذا هي ثعبان عظيم ثم نفخت فاشعلت البيوت نارا

وجعلت تهيج كما يهيج الجمل ولها صوت كالرعد القاصف فانهزمت الجنود وابا فرعون
فانه احدث في ثيابه ورمى بنفسه خلف سريره وقال يا موسى بحق التربية والرضاع وبحق
التي ربتك وهي آسية ان تجيرنا فعند ذلك وضع موسى يده عليها وتناولها فاذا هي في
يده عصا فقال فرعون يا موسى لقد تعلمت سحرا عظيما هل عندك آية غير هذه فادخل
موسى يده في جيبه ثم اخرجها وهي بيضاء لها نور عظيم من غير سوء اي من غير علة ثم رد فعلها
ثانيا واخرجها على هيئتها الاولى فقال فرعون لقومه انه لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره **قصة السحرة** فقال القوم يا فرعون اجمع السحرة من جميع البلاد واجعل لهم
معينا في صعيد لننظر من يكون الغالب فجمع سبعين الف ساحرا فاحضروا اثنا عشر حمل من
الحبال والعصي واحضروا موسى فاذا تلك الحبال والعصي يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى وجعلت تركض بعضها على بعض فوجد موسى في نفسه خيفة فاوحى الله تعالى اليه
لا تخف والق عصاك فالقاها فاذا هي حية تسعى فاكلت جميع تلك الحبال والعصي فقال
احد السحرة وكان كبيرهم انظروا الى عصى موسى هل انتفخ لها جوف فقال لا بل هي على حالها
فقال الكبير وكان رئيسهم ليس شان موسى بسحر وانما هو امر الهي امنوا به فامنوا وقالوا امنا
برب العالمين رب موسى وهارون فعند ذلك امر فرعون بصلب السحرة فصلبوا وماتوا
مؤمنين برب العالمين **قصة الصرح** فعند ذلك امر فرعون ان يبنوا له صرحا يعني
قصرا فبنوه طوله وعرضه فرسخا في فرسخ وطوله الف ذراع استحكامه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون
الى اعلاه واخذ سهما ورمى به الى نحو السما فرد اليه السهم ملطخا بدم وكان استدراجا في
حقه فقال قد قتلت اله موسى فامر الله جبريل ان يهدم الصرح فوضع جبريل جناحه
تحت الصرح وقلبه بمن فيه فجعل عاليه سافله واشترقت جميع من فيه من جند فرعون
الآيات التسع ثم اخذ الله فرعون وقومه بالآيات التسع وهي حبس عنهم المطر
فاجدبت الارض فماتت المواشي وبعث الله عليهم الجراد فاكل ما عندهم وسلط عليهم القمل
فكان ياكل لحومهم وثيابهم ولم يقدروا ان يتخلصوا منه وارسل عليهم الضفادع فكان تدخل
عليهم دورهم وبيوتهم وتقع في طعامهم وانيتهم وامر الله موسى ان يضرب بعصاه البحر فصار
دما عبيطا واشتد بهم العطش فكان الاسرائيلي اذا شرب من البحر يجده ماء والقبطي يجده
دما ومسخ الله كثيرا منهم وارسل الله عليهم الظلمة ثلاثة ايام حتى ضلوا في جميع امورهم
وكانت آسية رضي الله تعالى عنها تلوم فرعون على انكاره وعتوه فقتلها وماتت مؤمنة
قصة غرق فرعون ثم اوحى الله الى موسى انه قد اقترب اجل فرعون وهلاكه وارسل الله
جبريل الى فرعون فجاءه جبريل على صورة آدمي فدخل على فرعون مشتكيا فقال ان عبدا من
عبيدي مكنته من نعمتي فبغى وجحد حقي فقال فرعون بئس العبد فقال جبريل ما جزاؤه
قال جزاؤه ان يغرق في البحر فقال جبريل اعطني تمسكا من خط يدك فكتب له واعطاه
اياه ثم ان الله تعالى امر موسى ان يرحل بني اسرائيل فرحلوا وكانوا يومئذ نحو ستماية

الف رجل فسار بهم موسى حتى بعدوا عن مصر فظن فرعون انهم منهزمين فركب هو وعسكره
ولحق بهم فلما قرب منهم قال قوم موسى لم يبق قدامنا غير البحر وخلفنا السيف فقال موسى
لا تخافوا فضرب بعصاه البحر فصار فيه اثنا عشر طريقا وكان قوم موسى اثنا عشر سبطا فسار
كل سبط في طريق ولما وصل فرعون الى البحر نفرت فرسه على نحو فرسهم فدخل خلفهم في البحر حتى لم
يبق من قومه احد في ارض البر بل صاروا كلهم في ارض البحر **وقيل** لما اراد فرعون الدخول
في ارض البحر جفل الفرس الذي كان راكبه فارسل الله جبريل راكبا على فرس انثى وتقدم على
فرس فرعون الذكر فاطاعت فرسه ودخلت سريعا فعند ذلك اخرج جبريل المكتوب وقال
ايها الملك اعترف بما في هذه الصحيفة فلما قراها وعلم ما فيها ايقن بالهلاك وندم
على مسيره حيث لم ينفعه الندم فقال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا
من المسلمين فقال له جبريل الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فامر الله البحر فانطبق
على فرعون ومن تبعه فهلكوا عن آخرهم **قيل** ان فرعون لا يصل الى قرار البحر الى يوم القيامة
ولم يزل هابط وقيل ان الماء قذفته الى البر ومن ذلك اليوم صار البحر يقذف الموتى الى
البر فلذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية **قال** ولما خرج
موسى ببني اسرائيل من البحر مروا على قوم يعبدون الاصنام فقال بعضهم يا موسى اجعل
لنا الها كما لهم آلهة قال موسى انكم قوم تجهلون اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين
فتوبوا واستغفروا ولما قربوا من الطور استخلف موسى اخاه هارون على بني اسرائيل
وسار موسى الى الطور لمناجاة ربه **قصة السامري** ولما ذهب موسى قال
السامري لبني اسرائيل اريد منكم حليا فجمعوا له حليا فجعل منه عجلا فقال هذا الهكم واله
موسى فمال اليه جماعة فنهاهم هارون عن ذلك فلم ينتهوا وقالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى
يرجع الينا موسى فلما رجع موسى كتم ذلك هارون خوفا من الفتنة فاوحى الله الى موسى
بذلك فعاتب اخاه هارون فقال هارون لا تشمت بي الاعداء فان القوم استضعفوني فخالفوا
امري فقبض على السامري وهم بقتله فاوحى الله اليه يا موسى لا تقتله فانه سخي في قومه
ولكن اخرجه من عسكرك فلما هم باخراجه قال السامري ومن تبعه يا موسى سل ربك ليتوب
علينا فاوحى الله اليه لا توبة لهم لان في قلوبهم بقية من حب العجل ولكن احرق العجل وخذ
رماده والقيه في الماء فاذا شربوه ظهر ما في قلوبهم على وجوههم ففعل موسى ذلك فشربوا فاصبحت
وجوههم مصفرة فايسوا من الحياة فجاؤوا الى موسى قالوا يا موسى انا تبنا توبة خالصة
فلو امرتنا ان نقتل انفسنا لقتلناها لنعلم انا قد اخلصنا توبتنا فاوحى الله الى موسى
ان يامرهم بقتل انفسهم فامرهم موسى بقتل انفسهم فقالوا كيف نقتل بعضنا بعضا
ونحن اهل واقارب فارسل الله عليهم ظلمة ووقع بينهم السيف فكان لا يقتل الا من في
قلبه حب العجل فاستغاثوا بموسى من الظلمة فبكى وسال الله في ذلك فارتفعت ثم بعد
ذلك عاد قليل منهم الى عبادة العجل وسموا اسمرة لنسبتهم الى السامري والله اعلم

قصة الحجر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا
وكان عند الله وجيها **كان بنو اسرايل** اذا اغتسلوا لا يستترون وكان موسى اذا اغتسل
يستتر فاعتقدوا انه به عيبا وكان اذا اغتسل وضع ثوبه على حجر هناك ثم يقرع الحجر بعصاه
فيتفجر منه الماء فنعل ذلك فانقلع الحجر باذن الله تعالى ومر على وجه الارض فحمل موسى
يلحقه وهو يقول يا ايها الحجر ثوبي فلم يزل كذلك حتى راه جماعة من بني اسرايل وليس به عيب
لانهم قالوا انه ادر وقيل غير ذلك فاخبر بعضهم بعضا ان ليس به عيب وندموا على ما قالوا
والله اعلم **قصة قارون** قارون ابن عم موسى وكان فقيرا جدا فتعلم الكيميا من كلثوم
اخت موسى وكانت تعلم ذلك فرزق مالا جزيلا يضرب به المثل **قيل** ان مفاتيح كنوزه
كانت وقر اربعين بغلا وبنى داره بالذهب فتجبر وكان موسى يامره بالمعروف وينهاه
عن المنكر وبالزكاة وينهاه عن المنكر والتكبر **وقيل** ان قارون امر امراة ان تبهت موسى
فجاءت وقالت لموسى وهو بين القوم بعضهم يا موسى انقط الناس وتطلب مني الفاحشة
فقال لها بالله عليكي احق ما تقوليه عني فقالت لا والله ما طلبت فاحشة وانما ارسلني
بذلك قارون وانك معصوم فعند ذلك اوحى الله الى موسى ان الارض تطيعك
في قارون بامري فاقبل موسى الى قارون وهو في داره فقال يا عدو الله تبعث الى
المراة وتستعمل الذهب ابنه وانا ادعوك الى حظك فلم تقبل يا ارض خذيه وخذي
داره وذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض الاية **وقيل** ان موسى امر الارض
باخذ داره ليلا يقول القايل انما فعل ذلك ليرثه فياخذ ماله وداره والله اعلم **قصة
البقرة** كان في بني اسرايل رجل صالح فمات وترك امراة حامل وبقرة فولدت المراة
فاتت بغلام فسمته ميشا فلما كبر كان لا يفعل شيا الا بمشورة امه وكان مطيعا
لها في جميع ما تامره به فقالت له امه ذات يوم خذ بقرتك الى السوق وبعها وثمنها جاءك
من الثمن عدالي وشاورني به فمضى ميشا ببقرته الى السوق فعرض له ملك على صورة
رجل فدفع له ثمنا واتوا فقال حتى استاذن امي فقال الملك خذ زيادة من ذلك ولا
تستاذن وميشا يقول لا بد ان استاذن امي فعاود الى امه واخبرها بذلك فعلمت
امه ان ذلك المشتري ملكا فقالت لولدها ان رايته بعد ذلك فقل له ان امي اخبرتني
بانك ملك واني مستشيرك في امر هذه البقرة ابيعها ام لا فلما اخذها بعد ذلك
الى السوق عاد اليه ذلك الرجل فاخبره بما قالت امه فقال له رد البقرة الى منزلك
فانه سيقتل رجل في بني اسرايل قتيل فياتوك فلا تبيعها الا بما تريد وانصرف الملك
فقدر الله تعالى على رجل اضافر رجل من اقاربه فقتله وحمله وارماه على باب رجل في
قرية اخرى فادعى اهل القتيل بين يدي موسى على الذي وجدوه قتيلا على بابه فحلف
المتهوم اربعين يمينا وشهد اربعون رجلا بصلاح المتهوم فتحير موسى من ذلك فاوحى
الله اليه ليذبح اولياء المقتول بقرة ويضربوا ببعضها المقتول فيحييه الله ويخبرهم

بقاتله فقالوا يا موسى بين لنا ما صفة البقرة فبينها فقالوا بعد ذلك بين لنا لونها فبين
لهم ذلك فقالوا بين لنا ما هي فبين وفي كل مرة يقولوا ادع لنا ربك وهو قوله تعالى
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الاية قال بعض المفسرين ان الله تعالى امر بذبح بقرة فلو ذبحوا
اي بقرة كانت لاجزاتهم ولكن لما شددوا وقالوا ما صفتها وما لونها وما هي شدد الله عليهم
فطافوا على هذه البقرة فما وجدوها الا عند ميشا وكان ذلك من حظه ومن بركة اطاعته
لامه فلم يعطها لهم ميشا الا بملو جلدها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل بذنبها فاستوى
قاعدا وسالوه عن قاتله فقال فلان وفلان ثم خر ميتا فقتلهم موسى قصاصا **ذكر
وفاة هارون اخي موسى عليهما السلام** بينا موسى وهارون جالسين اذ نظر
هارون الى الجبل من بعد فراى عليه نورا فقال يا موسى قم بنا ندور في هذا الجبل فننظر ما هذا
النور فمضى موسى وهارون واولاده فلما وصلوا الجبل فاذا فيه كهوف كثيرة واذا النور يخرج
من كهف فدخلوه فاذا في تلك الكهف سرير من الذهب وعليه انواع من الفرش ومكتوب على
جانب السرير هذا السرير لمن كان على طوله فصعد موسى وتمدد فيه فنقصت رجليه ونزل
وصعد هارون وتمدد فكان على طوله من غير زيادة ولا نقصان فنعس هارون الجالس فلم يستطع
واذا بملك الموت قد دخل عليهم فسلم وقال اني ملك الموت بعثني الله لنقبض روح هارون
وقد غمضت عينا هارون وقال يا موسى اوصيك باولادي تعزيهم اليك وتقرا سلامي على بني
اسرايل فمات هارون من وقته فصلوا عليه واغلقوا باب الكهف على هارون وانصرفوا
ذكر وفاة موسى عليه السلام ولما قرب اجل موسى قام خطيبا فوعظ بني اسرايل
وخوفهم واستشهدهم على انفسهم انه بلغ رسالة ربه فلما فرغ اتاه ملك الموت فقبض روحه
وفي الصحيح من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت ليقبض
روح موسى فصكه موسى فقلع عينه فرجع وقال الهي ارسلتني لعبد لا يريد الموت فقال
الله تعالى ارجع اليه وقل له يضع يده على جلد ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة
فرجع ملك الموت واخبر موسى بقول الله له فقال موسى وما بعد ذلك فقال الموت فقال
موسى لملك الموت ادن وخذ الان فتوفي موسى صلى الله عليه وسلم ورد الله عين ملك
الموت وعاش موسى مايه وعشرين سنة وكان هارون اكبر من موسى بثلاث سنين وعاش
موسى بعد هارون احد عشر شهرا والله اعلم **واختلف** الناس في محل قبره فقيل انه شرقي
بيت المقدس مرحلة وقربه دعو **سوال** لما مات موسى عليه السلام فلم يعلم احد من بني
اسرايل محل قبره ولم يوصي ان يدفن في مكان معلوم وعلى الخصوص بيت المقدس محل قبور
غالب الانبيا **الجواب** روى القرطبي في تفسيره انه لما قرب اجله سال الله الدنو من بيت
المقدس ولم يسال مكانا معروفا خوفا من ان يعبد ولا بيان في سوال الدنو من بيت المقدس
ان قبره في غير بيت المقدس والله اعلم **ذكر قصة يوشع عليه السلام**
ولما مات موسى عليه السلام بعث الله يوشع بن نون الى بني اسرايل فصدقوه وبايعوه

فتوجه ببني اسرائيل الى قبايل الجبارين اهل اريحا فحاصرها ستة اشهر فظفر بنو اسرائيل باهل اريحا فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على الرجل من الجبارين فلم يقدروا على قطع راسه الا بعد جهد جهيد لعظم خلقتهم **ويروى** ان موسى عليه السلام لما اراد قتال الجبارين الذين باريحا بعث اثني عشر نقيبا جواسيسا الى الجبارين فلما وصلوا اليهم ظفر بهم رجل واحد من الجبارين فاسرهم واخذهم الى اريحا فكان هولاء يتعجبون من عظم اجسادهم وهولاء يتعجبون من صغر اجسادهم فلما وجد النقبا فرصة انهزموا واخذ واحد منهم رمانه من رمان اريحا فكانت الرمانة تحمل بين اثنين والعنقود العنب ايضا بين اثنين فلما وصلوا الى بني اسرائيل قالوا هذا من اصغر فاكهتهم وانكم لا طاقة لكم بقتالهم فلما تحقق بنو اسرائيل ان الجبارين على هذا الخلق العظيم امتنعوا عن المسير مع موسى اليهم وقالوا كما اخبر الله تعالى يا موسى لن ندخلها ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فابتلاهم الله بحبسهم في التيه اربعين سنة وكانوا ستماية الف مقاتل فكانوا يسيرون في كل يوم جادين الى الليل فاذا نزلوا وجدوا انفسهم مكانهم الذي ارتحلوا منه فمات اكثر القوم وانتشت اولادهم ولما توفي موسى سار ودامع يوشع الى اريحا كما تقدم فقاتلوا الجبارين وقتلوا منهم وانهزم منهم **ويروى** ان الارمانيين اجتمعوا وقاتلوا بني اسرائيل فكانت الكسرة على الارمانيين وانهزموا فاختفت ملوكهم في مغارات فاخرجهم يوشع عليه السلام واخرجهم وصلبهم وملك الله بني اسرائيل جميع الشام فبعد ذلك توفي يوشع ودفن في جبل افرايم وعمره مائة وعشرين سنة **واستخلف** يوشع على بني اسرائيل كالب بن يوفنا ولما مات يوفنا استخلف تابوس وبعده حزقيل

قصة حزقيل عليه السلام

وهو ابن العجوز لان امه لما كبرت وايست دعت وسالت من الله ان يرزقها ولدا فاستجاب دعاها ورزقها حزقيل **قال ولما وقع** في قوم حزقيل الطاعون خرج من القرية ناس كثير فسلموا فلما ارتفع الطاعون رجعوا الى القرية سالمين ووجد واقد مات كثير من الذين تخلفوا وندم المتخلفون حيث لم يخرجوا فلما وقع الطاعون مرة اخرى خرج جميع من في القرية حتى لم يبق فيها احد فارسل الله عليهم الموت فماتوا اجمعين **قال** السدي كان عددهم فوق الثلاثين الف رجل **وقال** ابن جريج كانوا اربعين الفا **وقال** عطا كانوا سبعين الفا والله اعلم واتى عليهم مدة من الزمان فبليت لحومهم وتفتت عظامهم فمر عليهم نبي الله حزقيل فنظرهم وبكى عليهم فاوحى الله اليه اتحب ان احييهم فقال نعم فاحياهم الله تعالى فاصابهم بلاء فلم يصبروا وقالوا يا ليتنا كنا موتى فاوحى الله الى حزقيل ان قل لقومك انهم اذا ماتوا بعثوا اما الى الجنة او الى النار **قال** ابن عباس ان طايفة من اليهود فيهم رايحة منتنة وهي بقية من نتن الذين اماتهم الله ثم احياهم كما مر والله اعلم

قصة الياس عليه السلام

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الاية قال العلما لما توفي حزقيل نسي القوم عهد الله واشركوا ونصبوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار ابن هارون اخي موسى عليهم السلام فصار الياس عليه السلام يدعوا قومه وهم من بني اسرائيل

الذين كانوا في ارض الشام وملكهم كان ببعلبك وكانوا لا يزدادون بدعوته الا طغيانا وعتوا فامن به الملك المذكور وكانت زوجة هذا الملك امراة شديدة الكفر تحتال على قتل الانبيا فتقتلهم قيل انها قتلت من انبيا بني اسرائيل تسعين نبيا وقتلت ايضا سبع ملوك وكانوا تزوجوها واحد بعد واحد **قال** وكان بجوار الملك رجل مومن وله جنينة فلم تزل امراة الملك حتى قتلته واخذت الجنينة فغضب الله على امراة الملك وعلى من ساعدها على قتل ذلك المومن فاوحى الله بذلك الى الياس وان يحذرهم من غضب الله فمضى الياس الى الملك واخبره بذلك فغضب الملك على الياس وقال ان القوم الذين كانوا قبلنا كانوا في رغد عيش سالمين من الفتن وتزعم انهم كانوا على باطل وانت مفتن وتزعم انك على حق وهم قبله فوجد الياس فرصة فخرج وصعد الجبال الشوامخ فبقي بها سبع سنين خايفا يترقب فلما ارتد الملك صنع له صنما وسموه بعلا وسموا مدينتهم باسمه بعلبك **قال** وكان للملك ابن فمرض مرضا شديدا وكانوا يطلبون له الشفا من الصنم فلم يزدد ابن الملك الا مرضا فقالوا للملك ان الصنم غضبان لانا لم نسع في قتل الياس فامر الملك خمسين رجلا من قومه لياتوه بنبي الله الياس فسعوا في الارض فكانوا كلما جاؤا الى جبل او غيره نادوا يا نبي الله انا امنا بك وعلمنا انك على الحق فاخرج الينا فلم يزالوا كذلك من مكان الى مكان حتى سمع صوتهم فهم ان يجيبهم ولكن خاف من مكيدة فقال يا رب ان كانوا كاذبين فارسل عليهم نارا تحرقهم فنزلت عليهم نار فاحرقتهم فارسل الملك غيرهم فصار لهم مثل الاول فاحترقوا فارسل بعدهم رجلا مومنا وكان الملك يعلم بايمانه ولكن تركه لشدة رايه في الامور وحكمته وصدقه وامانته وغير ذلك من المروات والسخا فخرج ذلك المومن فاجتمع بالياس فاوحى الله ان امض مع اخيك المومن فمضى فلما وصلوا الى المدينة وجدوا ابن الملك قد مات واشتغل الملك بحزن ابنه ومضى الياس الى بيت ام يونس ابن متى النبي وكان يونس اذ ذاك صغيرا فاختفى الياس عندها ستة اشهر وهي تخدمه ثم مات يونس فحزنت امه عليه وبكت فحزن قلب الياس عليها فسال الله ان يحييه لها فاستجاب الله دعاه فاحياه الله انه على ما يشاء قدير ثم ضاق صدر الياس وخرج الى الجبال في يوم تنكر فحاله فقال يا رب احفظني يا باي فاوحى الله اليه اني لم اخلو الارض منك فقال الهي اعطني ثاري من بني اسرائيل فاوحى الله اليه امورهم الي لا اليك فقال الهي اني لا طاقة لي بهم فاصرفني عنهم فاوحى الله اليه ان يخرج الى مكان كذا وكذا فخرج ومعه اليسع الى المكان المعهود فجاءه جبريل بفرس من الجنة وقيل بفرس نارية فركبها وطارت به الفرس الى الجو الاعلى فناداه اليسع يا الياس فما تامرني فقذف اليه كساه فكان ذلك علامة استخلافه على قومه وكان ذلك اخر العهد به ورفع الله الياس وقطع عنه المطعم والمشرب وكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا والله اعلم

ذكر قصة اليسع عليه السلام

قال وهب بن منبه هو اليسع ابن اخطون بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل بعد الياس **قال السدي** هو ابن عم الياس فلما رفعه الله تعالى استخلفه بعده على قومه

قال الواقدي ان في ايام اليسع بنيت مدينة طرطوس وملطيه واستمر اليسع يقضي بين الناس بالحق حتى توفي ودفن بملطيه فلما ارتفع الياس ومات اليسع وبقي بنو اسرائيل بغير من يدبرهم عشرين سنة وبعدها اقام فيهم رجل كاهن يقال له عالي من نسل هارون وكان رجلا صالحا فدبر امور بني اسرائيل نحو اربعين سنة وفي ايامه ولد نبي الله شمعون وولد نبي الله داود ابو نبي الله سليمان عليهم السلام وكان بين وفاة عالي الكاهن ووفاة موسى عليه السلام اربعماية وسبعة وثمانون سنة

ذكر قصة نبي الله شمعون عليه السلام

قال الله تعالى الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى الاية والمراد من الملا منهم شمعون وكان من ذرية هارون عليه السلام وكان انبيا بني اسرائيل كالقضاة يحكمون بين الناس فلما مات الاسباط ولم يبق منهم سوى ام شمعون وكانت عجوزا عقيما فسالوا الله ان يرزقها ولدا يكون نبيا قاضيا بينهم فرزقها الله ولدا فسمته شمعون فرباه عالي الكاهن المتقدم ذكره فلما كبر شمعون وصار له من العمر اربعين سنة سمع صوتا وليس عنده احد فخاف شمعون فقال له عالي يا شمعون قم وتوضا فتوضى فظهر له جبريل وقال له قم واذهب الى بني اسرائيل وبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك اليهم نبيا رسولا فاقام شمعون يقضي بينهم نحو اربعين سنة فقال بنو اسرائيل يا شمعون ادع الله تعالى بان يقيم علينا ملكا ليكون لنا به قوة ويخلص لنا تابوت السكينة من ايدي العمالقة فلما دعا الله تعالى بعث اليهم الملك طالوت وهو قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الاية انتهى ذلك

ومن هنا نذكر طرفا يسيرا من احوال الخضر عليه السلام

قال السدي قد اختلف جماعة من العلما في امر الخضر قال ابن عباس انه من ولد شالخ بن ارفخشد ابن سام بن نوح عليه السلام قال ابن اسحاق انه من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام قال النقاش انه من ولد فرعون صاحب موسى ولم يصحح الطبري ذلك وابطله قال الاستاد الحافظ ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن الخثعمي انه ملك يقال له عاميل وهو من ولد العيص بن اسحاق وكانت امه بنت ملك يقال له فارس او غارس وانها ولدته في مغارة وانه وجد شاة ترضعه في كل يوم فاخذه رجل راعي ورباه حتى كبر وشب ومهر واجاد الخط وقرا الصحف التي انزلت على ابراهيم عليه السلام قال ابن اسحاق ان ابا الخضر الملك عاميل طلب كاتبا جيد الخط ليكتب له الصحف التي انزلت على ابراهيم وشيث فقدم عليه جماعة من الكتاب وكان ممن قدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه فوقع في قلبه محبته واستحسن شكله وعبارته ثم ان الملك بحث عن حقيقة امره حتى تبين له انه ابنه فقام واعتنقه وضمه الى صدره ونزل له عن الملك وولاه على رعيته واستمر في ملك ابيه وهو يقضي بين الناس بالحق الى ان فر من الملك واستمر سايحا الى ان وجد ماء الحيوة وشرب منها كما سياتي بيانه فهو حي الى ان يخرج الدجال ويقتله ثم يحييه الله بحضرته بعد ان يقطعه قطعا قطعا قال جماعة من العلما انه لم يدرك

زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول غير صحيح قال البخاري وطايفة من اهل الحديث منهم الشيخ ابي بكر بن العربي ان الخضر قد مات قبل انقضاء المايه من قوله عليه السلام الى راس كل ماية عام لا يبقى على الارض ممن هو عليها احد يعني ممن كان حيا حين قال هذه المقالة واما ما رواه ابو بن ابي الدنيا في كتاب الهواتف بسند يرفعه الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لما اجتمع القوم لدفن النبي صلى الله عليه وسلم سمعوا قايلا يقول يا اهل البيت ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل تالف وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا فكانوا يسمعوا صوته ولا يروا شخصه فقالوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا هو الخضر عليه السلام واما تسميته بالخضر ففي ذلك اقاويل قال وهب بن منبه كان اسم الخضر ايليا وكنيته ابو العباس وانما سمي بالخضر لانه جلس على فروة بيضا فصارت خضرا وقيل ان الفروة هي الارض قال الخطابي انما سمي الخضر لاشراق وجهه قال مجاهد لانه كان اذا صلى اخضر مكان سجوده قال اخر كان اسمه خضرون والله اعلم واما امر نبوته فجمهور العلما قال انه كان نبيا يوحى اليه قال جماعة من العلما انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا وهو قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما واما قول الخضر لموسى وما فعلته عن امري فهذا يدل على انه كان يوحى اليه واما قول من قال انه باق الى اليوم قال عمر بن دينار ان الخضر والياس في قيد الحيوة مادام القران موجودا في الارض فاذا رفع القران من الارض ماتا قال ابن عباس ان الخضر والياس يجتمعان في كل سنة على جبل عرفات مع الحجاج وذكر ان كل واحد منهما يحلق راس الاخر في عيد الاضحى للتقصير في مكة ويمضيان ويقربان الدعا المتقدم ذكره وروى عن بعض الصالحين انه راى الخضر عليه السلام وذكر صفته انه اشهل العينين ضخم الجسد طويل القامة ابيض اللحية احمر الوجه ذهبي المنظر فصيح اللسان باللغة العربية انتهى على سبيل الاختصار

ذكر قصة الملك طالوت

قال وهب بن منبه ان الله تعالى انزل على شمعون عصى من الجنة وقال له ان الملك الذي ابعثه لبني اسرائيل يكون طوله على طول هذه العصا قال عكرمة ان الملك طالوت كان اصله سقا يسقي الماء من بحر النيل على حمار فتسرب الحمار منه يوما فخرج في طلبه فمر على باب شمعون النبي فدخل عليه وقال له يا نبي الله ادع لي بان يرد الله علي حماري قال شمعون نعم ونظر فيه شمعون فراى الامارات التي تدل بانه يكون ملكا فاخرج العصا فقاسها على طالوت فكانت طوله لا تزيد ولا تنقص وكان طالوت طويلا جدا ولذلك سمي طالوت فقال له ان الله تعالى امرني ان اجعلك ملكا على بني اسرائيل فاخرج فانت ملكهم بامر الله تعالى وقال لبني اسرائيل ان الله جعله ملكا عليكم فقالوا كيف تملك علينا مثل هذا وفينا من هو احق بالملك منه فقال لهم شمعون ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يوتي ملكه من يشاء فقالوا هذا رجل فقير ولا مال له وهو سقا يحمل الماء الى بيوت الناس فقال لهم شمعون ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وكان طالوت احفظ الناس للتوراة

فملكوا طالوت عليهم فخرج الى قتال العمالقة وكانوا يسكنون فى قرية من قرى فلسطين
فخرج اليهم فقاتلهم بسبب التابوت وكانت العمالقة اخذته سلبا من بنى اسرائيل
واستمر عندهم مدة طويلة حتى رده الله على يد طالوت **قال** السدى كان طول تابوت
السكينة ثلاثة اذرع فى عرض ذراعين وكان من خشب الشمشار وقيل كان فيه نعلا موسى
عليه السلام وقطعة من عصاه وعمامة هارون وقطعة من المن الذى كان ينزل على بنى
اسرائيل وهم فى التيه وكانوا بنو اسرائيل اذا حاربوا احدا يقدموا التابوت امامهم فيكون
وسيلة الى الله فى نصرهم وكانت العمالقة اذا قدموا الى التابوت عند الحرب يحترقوا
قال ابن عباس لما اخذت بنو اسرائيل التابوت من العمالقة حملته الملائكة حتى وضعته
فى دار طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة فعند ذلك تيقن بنو اسرائيل ان طالوت
ملكا بعثه الله تعالى **ذكر حرب جالوت لطالوت** اوحى الله تعالى
الى نبيه شمعون ان يامر طالوت ملك بنى اسرائيل ان يحارب جالوت ملك العمالقة
فخرج طالوت بعسكره وكانوا ثمانين الف مقاتل فخرجوا وقت شدة الحر فقال طالوت
لجنوده ان الله مبتليكم بنهر **قال** ابن كثير هذا النهر هو نهر الشريعة **ثم قال** فمن شرب منه
فليس منى اى ليس من اهل دينى ولا طاعتى **ثم اعطى** اجازة بغرفة واحدة فى يده فقال
الا من اغترف بيده غرفة اى ملو كفه فانه منى **قال** السدى فخالفوا امر طالوت لانهم لما
جاوزوا النهر شربوا منه ودوابهم حتى اكتفوا ولم يمتثلوا الا امرهم الله تعالى وخالفوا
فسود الله شفاههم **فلما** اسودت شفاههم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده
وانضموا مع طالوت ولم يقاتلوا معه الا القليل الذين شربوا غرفة واحدة فانهم
اطاعوا الامر فى الشرب والقتال وكان من جملة الطايعين ايشا **وهو ابو داود عليه
السلام** وكان لايشا ثلاثة عشر ولدا ذكرا واصغرهم داود **فقال** داود لابيه
يا ابتى انى اضرب بمقلاعى هذا ولا اخطى فى ضربة قط فقال سر يا ولدى جعل الله
رزقك فى مقلاعك ثم قال لابيه مرة اخرى يا ابتى انى قد دخلت بين الجبال فاطلع
الى اسد حتى ركبته فقال يا بنى ابشر قرب سعدك وقال له فى مرة اخرى يا ابتى
انى رايت الجبال تسبح معى اذا سبحت فقال يا ولدى ابشر فانك ستصير نبيا **قال**
فلما اراد جالوت المبارزة فى القتال ارسل الى طالوت يقول يا طالوت ابرز الى من
يقاتلنى فان قتلنى فله ملكى وان قتلته فلى ملكه فشق ذلك على طالوت ونادى
فى عسكره من قتل جالوت اعطيته ملكى وزوجته بنتى فلم يجبه احد **فقال** طالوت
يا شمعون ادع لنا الله بان يبعث لنا من يبرز لحرب جالوت **فقال شمعون** لايشا
اعرض علينا اولادك فعرض جميع اولاده الا داود فانه كان يرعى الغنم وكانوا كالاسود
فقال شمعون احضر لنا داود الراعى فانه هو المطلوب لقتل جالوت فخرج ايشا
ناظر ابنه داود فبينما هو سائر فى الطريق واذا بحجر ينادى يا داود خذنى فانى

حجر موسى الذى قتل بى الملك الفلانى وبينما هو سائر ايضا واذا بحجر اخر ينادى يا داود
خذنى فانى حجر هارون الذى قتل به الملك الفلانى ثم نادى حجر ثالث وقال يا داود خذنى
فانى الحجر الذى تقتل بى جالوت فاخذ داود الجميع ووضعهم معه فى مخلاته ثم اتى الى
طالوت فاعطاه فرسا ودرعا وسيفا وسار امام العسكر وتقدم لجالوت فقال جالوت
ايها الصبى انت صغير لا قدرة لك بى فقال ان لى قدرة عليك وعلى عسكرك بعون
الله تعالى فرجف فواد جالوت فوضع داود الحجر الاول والثانى والثالث فى مقلاعه
دفعة واحدة فقال جالوت تبارزنى بحجر كما تبارز الكلب فقال داود نعم لانك اشر من
الكلب فعند ذلك ادار داود المقلاع وراشد يده وقال باسم الله اله محمد النبى العربى
خاتم الرسل وضرب جالوت فكسر دماغه ونفذت الحجر فاصابت كل قطعة رجلا
فقتل جالوت وجميع عسكره فى تلك الحجارة المتفتتة وكان ذلك نصرا من الله فسجد
داود شكرا لله ثم ان داود تقدم واخذ خاتم جالوت واعطاه لطالوت ففرح بذلك
ورجعوا سالمين الى ارضهم وكانت بيت المقدس وكان عمر داود حينئذ عشرين سنة وكانت
وقعة هذا الحرب بالقرب من مرج الاصفر بارض الشام انتهى ما اوردناه من وقعة جالوت
على سبيل الاختصار **ذكر وفاة طالوت وما جرى بينه وبين داود**
عليه السلام قال السدى لما قتل داود جالوت اتى الى طالوت وقال له اوفنى نذرك من
زواجى بابنتك واعطائى نصف ملكك وساعده بنو اسرائيل على الملك فى مطالبته
ذلك فلما راى طالوت ميل بنى اسرائيل معه **قال** يا داود انى معطيك ابنتى واريد
صداقها منك ان تقتل مايتى رجل من اعدائنا فانصرف داود الى قتال الاعداء فكان كلما
قتل داود رجلا علق غلفته بخيط حتى صار مايتى غلفة فاتى بهم الى طالوت فقالت بنو
اسرائيل قد اوفى اولا وثانيا فاعطيه نذره فلما راى طالوت قوة داود وميل الناس
اليه خشى منه ونوى على قتله وزوجه ابنته وعزم على قتله وفى يوم من الايام اتى طالوت
الى بيت داود فضربه بعصاة محددة فحاد داود عنها فاخطاته واصابت الحيط فغاصت
فيه فقال داود تريد قتلى يا طالوت فقال لا ولكن اختبرت ثباتك فى الطعان فاسرها
داود ثم بعد مدة استدعا طالوت داود الى ضيافة فاتى واكرم وبات داود تلك
الليلة فى دار طالوت هو وجماعة كثيرة من بنى اسرائيل فلما نام داود وغافل الناس
وتحول من مكانه الى مكان اخر ووضع موضعه زق خمر الى جدوه من الليل فاتى طالوت
بخنجر وضرب الزق فانفجر وسال الخمر وظن ان داود نايما فى محل الزق فاسرها داود
ذلك ايضا ولما اخطا طالوت اولا وثانيا تحزب طالوت من داود يجازيه فامر
بان يجعل له حراسا ليلا ونهارا من داود **ثم بعد ذلك** دخل داود على طالوت ليلا
ولم يدر به احد فوضع عند راسه سهما وعند رجليه سهما وعن يمينه سهما وعن شماله
سهما وخرج فلما انتبه طالوت راى ذلك فعلم انه من فعل داود وعلم انه ناصحه

قتله ولكنه عفى وذلك من حلمه ثم ان داود خرج يوما من الايام الى الفضا فوجد طالوت
راكبا يعدنه ولم يكن مع داود عدة فقال طالوت في نفسه هذا وقت الفرصة في قتل داود
وعلم داود ان الاختفا خير فاختفى في مغارة هناك واوحى الله تعالى الى العنكبوت ان تنسج
فنسجت في الحال على فم المغار فلما قرب طالوت الى المغارة ورأى العنكبوت ناسجا فبقى
متحيرا بين ان يدخل الى ذلك المغار او يدخل الى غيره او يسير خلفه نحو المدينة فاندهش
ولم يدر ماذا يفعل فوجد جماعة من عباد بني اسرائيل وهم من اصحاب داود فقتلهم واحدا
بعد واحد ثم ندم على فعله وجاء فسال علما بني اسرائيل هل له من توبة فقالت له امراة
صالحة امض الى قبر شمعون النبي وناد به من قبره وكان شمعون عليه السلام قد توفي
فجاء طالوت الى قبر شمعون وناداه فخرج شمعون من قبره وهو ينفض التراب من اعلا
راسه فقال يا طالوت ماذا فعلت من بعدي فقال طالوت اني لم ادع شيئا من الشر الا
وفعلته فهل لي من توبة فقال شمعون لا اعلم ان لك توبة حتى تخرج انت وجميع اولادك
الى الجهاد وتقاتلوا حتى تقتلوا عن اخركم ثم ان شمعون عاد ميتا كما كان فلما سمع طالوت
ذلك بكا بكاء شديدا وخرج هو واولاده الى الجهاد في سبيل الله ولم يزالوا يقاتلوا حتى
قتلت اولاده واحدا بعد واحد ثم قتل طالوت بعدهم

ذكر قصة داود عليه السلام

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الاية قال وهب
ابن منبه هو داود بن ايشا بن عوفد من ذرية ابراهيم الخليل قال ابن كثير ولما قتل طالوت
استخلف بعده داود وقد جمع الله له بين الخلافة والنبوة وكان عمره اذ ذاك اربعين سنة
وقال الله تعالى واتيناه الملك والحكمة ولما تم امره رحل الى بيت المقدس وكان عامة
الفتوحات في ايامه فتح دمشق وفلسطين وعمان وحلب ونصيبين وحمص وحماه وعنتا
والارمن وكانت هذه بايدي قوم من الجبابرة قال السدي ان الله تعالى قد خص داود
بهذه الكرامات وهي الملك والنبوة وانزل عليه الزبور وهي مائة وخمسون سورة
وخصه بالصوت الحسن ولم يخص غيره بمثله لك قال العزيزي كان داود يقرا
الزبور بسبعين نغمة فكان اذا اسمعه المحموم يعرق والعليل يشفى وكان اذا قرا في الصحرا
يجتمع لسماع صوته الانس والجن ومن حوله من الوحش والطير ويسكن الريح عند صوته
والماء الجاري يسكن عن الجريان فعند ذلك حسده ابليس فصنع ابليس الات اللهو
مثل المزمار والعود وغيره لك من الات اللهو فكان بعض الناس يشتغل بذلك عن صوت
داود قال افلاطون اذا حزنت النفس خمد نورها فاذا سمعت ما يطربها اشتعل نورها
قال بعض الحكما ان الفيل اذا اصابه حزن فيمتنع عن الاكل والشرب حزنا على فراق
وطنه فيضربون له بالطبل والزمار اياما فيذهب ما به من الحزن فتطيب نفسه
فياكل ويشرب ولولا ذلك لمات قهرا سوال ما سبب تحرك الانسان عند سماع
الة الطرب الجواب ان ادم عليه السلام كان يسمع في الجنة الة الطرب وهي حلاوة

في الجنة لانها دار الانغام والالحان فصارت نفسه معتادة لذلك فكانت وراثة
لاولاده وهي في الدنيا حرام لانها تشغل عن طاعة الله تعالى ومن فضايل داود عليه السلام
انه كان اذا سبح يسبح معه الطير والوحش والجبال والشجر والدواب وكان يفهم تسبيحهم قال
ابن عباس رضي الله عنه ومما خص الله تعالى نبيه داود من المعجزات السلسلة التي كان يعرف
بها الحق والباطل قال السدي كانت هذه السلسلة معلقة بالمجرة وهي الفلك وكانت
عند محراب داود يتحاكم الناس عندها فكان الذي على الحق يصل اليها فيمسكها بيده والذي
على الباطل تتباعد عنه فلا يصل اليها فكانت من العجايب لونها دون لونها كالحديد والنار وكانت
منظومة بالجواهر واليواقيت والزمرد فكانت السلسلة اذا اصلصلت يعلم داود انه يقع
في الدنيا حادثة ولا يمسها ذو عاهة الا برى من عاهته لوقته قال الثعلبي ان رجلا اودع
عند رجل جوهرة مثمنة وغاب عنه مدة ثم عاد فطلب جوهرته فقال اني اعطيتك اياها
فقال صاحب الجوهرة امض الى السلسلة واحلف عليها فمضى المودوع عنده واخذ عكازا ونقره
ووضع الجوهرة في ذلك النقر وسد عليها واخذ العكاز بيده ومضى الى السلسلة فلما وصلوا
اليها واراد الحالف ان يتناولها فاعطى العكاز لصاحب الجوهرة وقال امسكه لي حتى اتناول
السلسلة ومد يده فتناول السلسلة وحلف ان الجوهرة قد اخذها صاحبها فتعجب صاحب
الجوهرة من ذلك واصبحت السلسلة مرفوعة وغابت عن اعين الناس فهي الى الان غايبة
قال ابن عباس رضي الله عنه كان داود اشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس مكانه في كل ليلة
ثلاثون الف انسان من الشجعان ومن معجزاته عليه السلام ان الحديد يلين بيده فيفتله
مثل العجين كيف اراد فكان يصنع منه الدروع وهو اول من صنع دروع الزرد وكانت دروع
الملوك السابقة من صفايح الحديد فكان يعمل في كل يوم درعا ويبيعه بستة الاف درهم
فكان ينفق على عياله قدر الكفاية ويتصدق بالباقي على الفقرا والمساكين قال السدي
ان داود كان يتنكر ويمشي في الاسواق ويسال عن سيرة نفسه من الناس فتمثل له جبريل
في صورة رجل فساله داود عن سيرته فقال جبريل نعم العبد داود الا انه ياكل من بيت المال
فعند ذلك سال الله ان يعلمه صنعة ياكل من كد يمينه فعلمه الله صنعة الزرد قال الله تعالى
وعلمناه صنعة لبوس لكم الاية

ذكر وقوع داود في الخطيه

قال
وهب بن منبه بينما داود يقرا في محرابه اذ دخل طاير من الكوة فلا زال ذلك الطاير يقرب
شيا فشيا حتى صار بين يدي داود وكان ذلك الطير على قدر الحمامة وريشه من الذهب
وجناحه مكلل باللولو ومنقاره من الزمرد الاخضر ورجلاه كذلك فكان هذا الطاير على هيئة
عجيبة فاراد داود ان يمسكه ليريه لنزمه ليتفكر في قدرة الله وعظيم صنعه فترك
داود القراءة والتفت نحو الطاير فتباعد الطاير قليلا فلحقه داود فلا زال الطاير يتباعد
وداود يلحقه حتى وصل داود الى اعلا السطح فنزل الطاير الى البستان فنظر داود الى تلك
البستان فوقع نظره على امراة من احسن النسا واجملهن فلما نظر اليها اخذت بمجامع

قلبه حتى لم يبق له صبر عنها ولولا لطف الله به لما كان له صبر ساعة عنها قيل انه وجدها تغتسل وقيل في المعنى

تنفست عنها القميص لتلب ماء ... فورد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت ... بمعتدل ارق من الهواء
ومدت معصما كالماء منها ... الى ماء معد في اناء
دات عين الرقيب على تدان ... فاسبلت الظلام على الضياء
وبات الصبح منها تحت ليل ... وظل الماء يقطر فوق ماء

قيل وكان السبب في فتنته انه تفكر في بلاء الانبياء السابقين وعظيم اجورهم على بلائهم فاحب ان يبلى وقيل كان ذلك الطاير الذي وقع بين يديه ابليس اللعين تمثل بتلك الصورة ليوقع داود في محنة المحبة لتلك المراة والفتنة بها قال ولما افتتن بها سال عنها هل هي متزوجة ام لا فقيل له انها متزوجة برجل من الاجناد يقال له اوريا بن حنا وهو مسافر في الغزاة للجهاد فعند ذلك كتب داود الى امير ذلك الجيش ان يقدم اوريا في مقدمة الجيش ويجعله الراية فنصلوا باوريا ذلك فحصل له النصرة اولا وثانيا فلم يزل يحملها في كل دفعة حتى قتل فلما تحقق داود قتله خطب امراته فتزوجها فحملت منه بنبي الله سليمان عليه السلام واتم مهرها اياها وكان لداود قبلها تسعة وتسعين امراة فاكمل بها المائة فعند ذلك ارسل الله تعالى اليه ملكين على صورة رجلين فدخلا عليه من غير اذن فقال الاخر خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق فقال داود قصا علي حالكما فقال احدهما ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب يعني قهرني وظلمني واخذ مني نعجتي وضمها الى نعاجه وعزني في الخطاب يعني بالغ مني في كلامه فقال داود لقد ظلمك بسوال نعجتك الى نعاجه فضحك المدعى عليه فقال داود تظلم وتضحك فارتفعا وهم يقولان قضى داود على نفسه فعلم داود وقوعه في الخطية فخر ساجدا ولم يزل ساجدا اربعين ليلة وهو يبكي بحرقة حتى نبت العشب من دموعه واكلت الارض جبهته وافترش الرماد ولبس المسوح وانقطع عنه الوحي فكان يقول في سجوده سبحان خالق النور ويذكر تسبيحا عظيما وكان يجمع الصالحين فيبكي هو واياهم فاوحى الله اليه يا داود قد غفرت لك ولكن اذهب الى قبر اوريا واساله ان يحالك فانطلق داود الى قبر اوريا ونادى يا اوريا فقال من قبره لبيك يا داود فقال داود اجعلني في حل فقد ارسلتك الى الغزاة حتى انك قتلت وكان قصدي بذلك ان اتزوج بزوجتك من بعدك فسكت اوريا ولم يجبه فعند ذلك ازداد حزن داود فكان داود لا يرفع راسه الى السماء حياء من الله وكان لا يجلس الا مع الخاطيين ولا يشرب شرابا الا ممزوجا بدموعه وكان يصنع خبز الشعير في قصعة ويبكي فيبتل الخبز من دموعه فياكله وينقش خطيته في كفه ويتفكر ويبكي وانزل الله

اليه جبريل

اليه جبريل فقال له ان الله قد غفر خطيتك وتكفل لك ان يرضي خصمك يوم القيامة ويعطيه حتى يرضيه **قال** وهب بن منبه لما وقع داود في الخطية اشتغل بالبكاء والحزن عن احوال الرعية اجتمع بنو اسرائيل الى ولده سليمان وقالوا استول علينا فان اباك مشغول بنفسه ثم اتوا داود واعلموه بذلك فنزع نفسه من الولاية وولى ابنه سليمان وخرج داود من بين القوم ولحق بالجبل فاجتمع الناس ثانيا واتوا سليمان واشاروا عليه بقتل ابيه فبلغ ذلك الى داود فارسل يقول لسليمان يا بني هل سمعت بان احدا من الانبيا قبلك قتل اباه فارسل يقول لابيه انهم قالوا ولم افعل **قال** السدي لما تاب الله على داود رجع الى حاله ركب بني اسرائيل وحارب ولده سليمان وهزمه عن المدينة وقتل في تلك الوقعة نحو من عشرين الف رجل من الفريقين قبل ان تايدا لحق سليمان وظفر بقتله ولكن اطلقه حفظا للملك بعد ابيه **ذكر قصة اصحاب السبت** ولما حرم الله على بني اسرائيل جميع الاعمال الدنيوية في يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت يجتمع اكثر السمك عند شاطي البحر الذي يلي قريتهم فاذا ذهب السبت ذهب السمك فاحتال بعض بان حفر حفاير واجرى الماء اليها فكان السمك اذا اتى في يوم السبت واراد الخروج بعد مضي السبت لم يقدر على الخروج من الحفاير فياتي بنو اسرائيل فيجد السمك محبوسا فيخرجوه وكان ذلك حيلة وتحيل بعضهم بحيلة غير ذلك وهو انه كان يربط السمك في يوم السبت ويخرجه في يوم الاحد فنهاه بعضهم فلم ينته وبعد ذلك صار القوم يصطادون يوم السبت ولا يبالون في الحرمة وابطا عنهم العذاب فازدادوا وافسقوا فغضب الله عليهم ومسخهم قردة فكانت تلك القردة تاتي وتبكي لمستمعين الحلال يقولون كنا نتهاكم فلم تنتهوا ولبس لنا بكم حيلة **قال** قتاده ان الشباب مسخوا قردة والشيوخ مسخوا خنازير وكانوا نحو سبعين الفا والطايعين كانوا نحو اثني عشر الفا والله اعلم **قال** السدي ان الذين مسخوا من الامم الماضية كانوا لا يعيشون اكثر من ثلاثة ايام والله اعلم **قصة حكم داود وسليمان في الحرث وغيره** قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الاية قال ابن عباس كان الحرث زرعا فاكله غنم لرجل فجاء صاحب الزرع لداود مشتكيا على صاحب الغنم فقال داود لصاحب الغنم اعط غنمك لصاحب الزرع في نظير زرعه وقال سليمان وكان حاضرا لابيه يا ابتي انك لم تحكم شيئا فقال داود وكيف تقضي انت فقال يا ابتي احكم بان يدفع الغنم لصاحب الزرع ياكل لبنها وياخذ اصوافها الى العام القابل ويزرع الارض فاذا صارت كيوم الكلت فياخذ صاحب الغنم غنمه ويترك الزرع لصاحبه فقال داود الحكم على ما قضيت وحكم داود بما قضى سليمان ومن يومئذ صار القضا لسليمان في مدتها وكان عمر سليمان يومئذ ثلاثة عشر سنة فشق ذلك على بني اسرائيل وقالوا كيف يستولي علينا غلام حديث السن وفينا من هو اعلم منه فلما سمع داود ذلك جمع اعيان بني اسرائيل من اولاد يعقوب وقال لهم بلغني مقالكم عن تولية سليمان عليكم فامرهم ان ياتوا

كل واحد بعصا وسليمان بعصا وقال ضعوا اعصيكم جميعا في بيت واغلقوا ابابه وبعد ذلك
افتحوه فمن ارقت عصاه فهو احق بالخلافة فرضوا بذلك وفعلوا فوجدوا عصا سليمان
قد احضرت واورقت فكان سليمان خليفة عليهم **ومما يحكى** من حكم سليمان وهو صغير
انه كان في زمن بني اسرائيل امراة جميلة وكان قد مات زوجها فخطبها الاكابر من قومها
فابت التزويج فاجتمع بعد ذلك الاكابر الذين خطبوها فامتنعت عنهم وبنوا على قتلها
بمكيدة باطلة وهو انهم اتوا الى داود وادعى احدهم على تلك المراة بان لها كلبا ترسله
على نفسها فيجامعها فانكرت ذلك وشهد الباقي عليها بذلك فاخذها داود ليقتلها
في وقت معلوم وكان سليمان اذ ذاك صغيرا حاضرا **فخرج سليمان** وجمع من هو
مثله في الصغر ورتب من الاطفال مدعيا ومدعى عليه وشهودا نظير ما تقدم من الدعوى
والشهود السابق ذكرهم ولكن سليمان لم يحكم بالقتل بل فرق الشهود واستدعاهم واحدا
بعد واحد وسالهم عن لون الكلب فاختلفت شهاداتهم في لون الكلب فامر سليمان بتعزير
من شهد من الاطفال ولم يحكم على المدعى عليه بالقتل وكان ذلك الهاما من الله ليبرى
تلك المراة فبلغ ذلك داود فاستدرك وجمع الشهود وفرقهم وسالهم واحدا بعد
واحد فاختلفت شهاداتهم في لون الكلب فاطلق المراة ولم يحكم عليها بشي قيل انه بعد
ذلك خطبها وتزوجها والله اعلم **قال** ابن كثير لما مات داود مشى في جنازته
اربعون الف راهب ودفن في بيت المقدس عند بيت لحم وقيل دفن بعسقلان والله اعلم

ذكر قصة سليمان عليه السلام

قال الله تعالى وورث سليمان داود
قال الثعلبي كان لداود تسعة عشر ولدا وكان سليمان اصغرهم **قال** السدي كان سليمان
افقه من ابيه ولكن كان داود اكثر تعبدا قال وكان طول ذراع سليمان خمسة اشبار **قال**
الثعلبي لم يملك الدنيا كلها سوى اربعة مومنان وكافران فاما المومنان سليمان بن داود
وذو القرنين واما الكافران النمرود بن كنعان وشداد بن عاد **سوال** فان قيل الانبيا معصومون
فكيف طلب سليمان الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده والانبيا كانوا يزهدون في الدنيا
ولم يبالوها **الجواب** ان سليمان طلب المغفرة قبل فقيل ثم طلب الملك الذي لا
ينبغي **قال** السدي طلب سليمان الدنيا ان جبريل اتى الى سليمان وقال له ان الله تعالى
يامرك ان تمضي الى مكان كذا وكذا فان هناك امراة ارملة ولها عند الله منزلة فادفع
عنها حوايج الدنيا من اكل وكسوة وغير ذلك فقال سليمان يا اخي يا جبريل اني فقير لا املك
من الدنيا شيئا وكان سليمان يصنع القفاف وياكل من ثمنها هو وعياله ولا ياخذ
شيئا من بيت مال المسلمين فاوحى الله اليه يا سليمان اطلب مني ما تريد فلما راى
سليمان الاذن في الطلب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فاستجاب
الله دعاه **قال** وهب بن منبه ان سليمان لم يطلب الدنيا لنفسه وانما طلبها لكانت
بيده لا في قلبه فكان يعدل في احكامه ويعطي الفقرا والمحتاجين فان الدنيا اذا كانت

سبا ي

في اليد فانها تكون نعمة واذا كانت في القلب فانها تسوده وتكون نقمة فكان سليمان
يجلس مع الفقرا وياكل معهم ويطعمهم الطعام الطيب وكان اذا اكل وحده ياكل خبز الشعير
والملح الجريش مع ما كان عليه من الملك من تسخير الرياح والطير والوحش والانس والجن
وكان الريح يحمل بساطه وغدوه مسيرة شهر ورواحه مسيرة شهر وهو قوله تعالى
غدوها شهر ورواحها شهر **قال** السدي كان طول بساط سليمان فرسخا وعرضه فرسخا
وهو مركب على اخشاب **وقال** مقاتل ان بساط سليمان نسجته له الجان من حرير ملون
وهو مرقوم بالذهب وكان يحمل عسكره ودوابه وكان عسكر سليمان الف الف وينيف الف
الف وكان ارتفاع هذا البساط يسير ارتفاعه عن الارض مثل السحاب وكانت ريح الصبا
واقفة بين يدي سليمان تحمل اليه الكلام من اقطار الارض وتلقيه في اذنه **قال** الزمخشري
كان لسليمان كرسي من الذهب والفضة وكان حول ذلك الكرسي ثلاثة الاف كرسي برسم
الوزرا والامرا وارباب الدولة واعيان بني اسرائيل **قال** السدي كان لسليمان الف قصر
مبني من قوارير وفيها الف سرية **قال** كعب الاحبار كان عسكر سليمان اذا نزل في الفضا
يملا مايه فرسخ طولا وعرضا فكان منها خمسة وعشرون للانس ومثلها للجن ومثلها
للوحش ومثلها للطير وكانت الطير تظلهم وقت الحر **قال** الثعلبي كان راتب
مطبخ سليمان في كل يوم مايه الف شاة واربعين الف بقرة خلا عن الحلوى والفواكه
وغير ذلك من لوازم المطبخ ومع هذا ياكل خبز الشعير والملح وكانت الجن يغوصون
البحار ويخرجون له الدراري الكبار وهو قوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له
الاية **قال** الثعلبي ان سليمان اذا جلس في موكبه تقف له الغلمان الحسان وبايديهم
اطباق المسك وفيها مشارب ماء الورد وفيها اطيار ترفرف باجنحتها فتنثر ذلك
على الناس من كبير وصغير **قال** السدي لم يبلغ لاحد من اهل الدنيا مثل ذلك سليمان
وذلك ان كانت الرياح مركبه والبحار خزاينه والجن مسخرة له وملوك الجن وبساط
في خدمته وملايكة السما تاتيه بالوحي والطير تظله والوحش تحرسه واصف بن
برخيا وزيره والاسم الاعظم محفوظه ومكتوب على خاتمه فتامل في ذلك ان سليمان
في يوم من الايام تعجب فمال البساط به في فرقة سبعة فهلك من عسكره في ساعة واحدة
نحو اثني عشر الف انسان فضرب سليمان البساط بقضيب كان بيده وقال اعتدل ايها البساط
فاجابه البساط اعتدل انت في نفسك يا سليمان حتى اعتدل فاني بساط مامور فخر
سليمان ساجدا **قال** وهب بن منبه لما رزق سليمان الملك واتسعت له الدنيا نسي
تلك المراة الارملة التي تقدم ذكرها فلما تذكرها اضطرب وتوجه اليها ماشيا ووقف
على بابها فاذنت له بالدخول فدخل فوجدها امراة كبيرة عميا ولها ثلاث بنات
وهن حولها فنظرت نحو سليمان وقالت يا سليمان يوصيك الله بي وتنساني في هذه
المدة فاعتذر اليها سليمان وقال لها منذ كم انت عارية فقالت مدة عشر سنين ولها

هولاء البنات ولا املك ما يكفيهم فحمل اليها سليمان مايتر جمل ما بين قماش وحلى وحلل
وغلال وغير ذلك وقال لها اذا فرغ هذا اعلميني حتى ارسل اليك مثله كما امرني الله تعالى
ان اكفيكي **قال** ابو عمران الجوني بينما سليمان ساير على بساطه اذ مر برجل راعى فقال له
الراعي يا سليمان لقد اتاك الله ملكا عظيما فحملت الريح ذلك القول من الراعي والقتها في اذن
سليمان فاحضر الراعي وقال له ان تسبيحة واحدة من مومن افضل مما اوتي سليمان من الملك
قاطبة **ومن** النكت الغريبة ما نقله الشيخ عبد الرحمن بن سلام المزي في كتاب العقايق ان
سليمان عليه السلام لما راى ان الله اوسع له امر الدنيا وصارت بيده قال الهي لو اذنت لي ان
اطعم جميع المخلوقات سنة كاملة فاوحى الله تعالى اليه انك لا تستطيع فقال الهي ولو يوما
فاذن الله له في يوم واحد فامر سليمان الانس والجن بان ياتوا بجميع ما في الارض من بقر
وغنم ووحش وطير وبجميع ما يوكل لحمه فامر بطبخه فطبخ في اربعين يوما ثم امر ريح الصبا
ان تهب على كل شي مطبوخ او غير مطبوخ حتى لا يفسد منه شي فامر ان يصف الطعام
في صحراء واسعة فكان طول السماط مسيرة شهرين وعرضه كذلك ثم اوحى الله تعالى الى
سليمان بمن يبتدي من المخلوقات بسكان البر او البحر فقال سليمان بل بسكان البحر فامر الله
حوت من سكان البحر المحيط ان ياتي لدعوة سليمان فرفع ذلك الحوت راسه وتقدم نحو
السماط وقال يا سليمان قد جعل الله رزقي في هذا اليوم على يديك فقال سليمان دونك
والطعام فابتدى فالتقم له لحظة حتى بلع ذلك الزاد جميعه ثم نادى يا سليمان اشبعني
فاني جايع فقال سليمان اما شبعت فقال لا الان ما شبعت فعند ذلك خر سليمان ساجدا
وقال سبحان المتكفل برزق الخلايق من حيث لا يشعرون وقيل في المعنى

رزقي ياتي وخالقي يكفله ۔ لا اقصد غيره ولا اساله
ان كنت اظنه من بشر ۔ لا اذره الله ولا ييسره

ومن النكت ان الهدهد قال لسليمان لما كان على جانب البحر يا نبي الله احب ان تكون في
ضيافتي انت وعسكرك فضحك سليمان وقال اريد ذلك فغاب الهدهد واتى بجرادة
وارماها في البحر وقال يا نبي الله دونك الضيافة لك ولقومك ومن فاته اللحم فعليه بالمرقة
فكان كلما تذكرها سليمان يضحك والله اعلم بحقيقة الحال **ذكر قصة بلقيس**
قال وهب بن منبه بينما سليمان جالس على سرير ملكه اذ وقع عليه ضوء الشمس فنظر الى الطير
فتفقد الهدهد فلم يجده فسال عنه وقيل في المعنى

ومن عادة السادات ان يتفقدوا ۔ اصاغرهم والمكرمات عوايد
سليمان ذو ملك تفقد هدهدا ۔ وان اقل الطايرات الهداهد

وقيل ان سليمان كان مسافرا نحو اليمن فاراد الصلاة فلم يجد ماء وكان الهدهد يرى الماء
من تحت الارض فيدل عليه فتحفر الجن فيخرج الماء فليستعملوه الناس **ومن النكت** انه قيل
للهدهد من لسان الحال ايها الهدهد انك ترى الماء من تحت الارض فما لك تضطاد بخ جسنون

بتراب قليل فقال اذا نزل القضا عمي البصر انتهى **فعند** ذلك قال سليمان ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغايبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين **فان قيل**
اي عذاب اشد من الذبح حتى قال سليمان لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه **الجواب** ان العذاب
ما هو اشد الما من الذبح وهو نتف ريشه حتى يصير لحما ثم يدهنه بالدبس ويرميه في الشمس ويسلط
عليه النمل فهذا العذاب الشديد الذي هو اعظم من الذبح **قال** ولما اقبل الهدهد تلقاه العقاب
واخبره بما قال نبي الله سليمان عليه السلام ولما وصل الهدهد الى حضرة سليمان خفض جناح
الذل فقال له سليمان ما سبب بطوك فقال احطت بما لم تحط به اني وجدت امراة ملكة
لم يكن في قصرك احسن منها واسمها بلقيس وكانت كما قيل

قالوا الناس بان البدر يشبهها ۔ فقلت كلا لان البدر مركوس
من اين للبدر الحاظ تشابهها ۔ فلا تقولوا الحاكي البدر بل بلقيسوا

قال الهدهد ولها عرش عظيم ووجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله عز وجل
فعند وصف الهدهد انها كانت كافرة اخذت سليمان حمية الاسلام فقال للهدهد
اذهب بكتابي هذا اليها وكان مضمون كتاب نبي الله سليمان انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن
الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين فاخذ الهدهد الكتاب بمنقاره وتوجه نحو اليمن يريد
بلقيس **ومن ذلك اليوم** سمي الهدهد رسول سليمان **فوصل** الهدهد وقت القايلة
فدخل قصرها فوجدها نايمة وكان قصرها للثابر وستون كوة من صنعة الحكما تدخل الشمس
كل يوم في كوة فرمى الكتاب على صدرها فانتبهت فوجدت كتابا عظيما **قال** السدي لما
وقع الكتاب على صدرها طار النوم من قلبها فاخذت الكتاب وقبلته ووضعته على راسها
ثم امرت باحضار اعيان جندها فلما حضروا قالت ايها الملا اني القي الي كتاب كريم
اي مختوم وقرات عليهم فقالوا نحن اولو قوة واولو باس شديد والامر اليك فانظري
ماذا تامرين **فقالت** بشدة معرفتها ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة
اهلها اذلة واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون قال وكانت بلقيس
من ذوي العقول وقد دبرت ملك اليمن وساسة الرعية احسن سياسة **قال** قتادة
ان بلقيس ارسلت هدية حافلة وهي خمسماية لبنة من الذهب ومثلها من الفضة ووزن
كل لبنة مائة رطل وخمسة اسياف في الصواعق وتاجين من الذهب والجواهر وارسلت
حقة فيها درة ثمينة وخرزة من الجزع غير مثقوبة ونظيرها معوجة الثقب وخمسماية
جارية ومثلها مماليك والبست الجوار لبس الغلمان والبست الغلمان لبس الجوار وامرتهم
بان يتكلموا عند سليمان الغلمان بكلام مونث والجوار بكلام غليظ وارسلت مع هذه الهدية
رجلا من عقلاء قومها يقال له المنذر بن عمرو وكتبت معه كتابا بشرح الهدية ومن مضمونه
ايضا ان كنت نبيا ميز الجوار من الغلمان واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الخرزة
وادخل في الاخرى خيطا من غير علاج انسي ولا جان وقالت لرسولها ان كان ينظر اليك

قطر غضب ذا علم انه ملك فلا يهولك حاله وان نظر اليك نظر بشاشة فاعلم انه نبي حقا
وانهم ما يقولون ورد عليه الجواب وتوجه الرسول بالهدية فانطلق الهدهد مسرعا واخبر سليمان
بما صار من بلقيس فرضي على الهدهد والبسه التاج فعند ذلك امر سليمان الجن ان
يبسطوا البنا من ذهب من ايمن الطريق ولبنا من فضة من ايسره فبسطوه فكان طوله سبع
فراسخ وامرهم ان يجعلوا بين اللبن مكان لبنات خالية وان يكون اللبن على هيئة اللبن
المرسول من بلقيس ولما قارب الوصول بالهدية جلس سليمان على كرسيه وامر الجن ان
تكون ميسرة والانس ميمنة والطير تظله والوحش تحيط وراء ذلك وكان موكبا عظيما
الملك لله الواحد القهار فلما وصل رسول بلقيس ومر على اللبن فراه كثيرا جدا وراى المكان
الخالية فخاف ان يتهم فوضع ما معه من اللبن في تلك المواضع الخالية ووصل الى حضرة سليمان
عليه السلام فنظر اليه نظر البشاشة وقال له ابن الحقة فاذا فيها درة فوضع ما معه
في حضرة سليمان فامر الارضة ان تثقب تلك الجزعة ثقبا مستويا وامر دودة بيضا
صغيرة جدا ان تاخذ في فمها شعرة وتدخل في الثقب المعوج والشعرة معها سلكا فنظمت
وامر الغلمان والجواري بان يغسلوا وجوههم فكان الذي يضرب وجهه بالماء ضربا
ميزه جارية والذي يغسله وضعا لطيفا ميزه رجلا قال الثعلبي كانت الجارية
تصب الماء على باطن كفها في يدها الاخرى والغلام ياخذ الماء بيده فلما فعل بالهدية
ما فعلت ردها عليهم وقال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون فرجع رسول
بلقيس بالهدية اليها واخبرها من بشاشته وعظم ما راى من ملكه فقالت بلقيس انه
نبي وما لنا بحربه طاقة ثم ان بلقيس ارسلت تقول لسليمان بانها قادمة عليك
لتنظر كيف دينك فلما عزمت على التوجه جعلت عرشها في قصرها واغلقت عليه سبعة
ابواب ووكلت به حراسا كثيرة واوصتهم ان لا يغفلوا عنه وتوجهت نحو سليمان في
اثني عشر الف قبيلة فلما نزلت على فرسخين من مدينة سليمان فاراد سليمان ان ياخذ
عرشها قبل ان تصل اليه ليريها قدرة الله تعالى ويكون معجزة له فقال لمن حوله ايكم ياتيني
بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين اي مؤمنين فيحرم علينا اخذ اموالهم فقال عفريت من الجن
انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك وكان محل قيامه نصف النهار واني
عليه لقوي امين على ما فيه من الجواهر الثمينة والمعادن النفيسة وغير ذلك فقال
سليمان اسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب قال السدي هو ابو العباس
الخضر عليه السلام وقال مجاهد هو اصف بن برخيا وكان يعرف الاسم الاعظم فقال
لسليمان انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اي لما تنظر تجده حاضرا فدعا اصف بالاسم
الاعظم فارسل الله ملكا قيل انه جبريل فاقتلعه وحمله ونبع به من بين يدي سليمان
وكانت المسافة بين سليمان وبين عرش بلقيس مسيرة شهرين فلما راه مستقرا عنده
قال هذا من فضل ربي فلما وصلت بلقيس ودخلت على سليمان قال لها

اهكذا

اهكذا عرشك قالت كانه هو فعرف سليمان انها امراة عاقلة حيث لم تثبت ولم تنف لكن
شبهت كما شبهوا وقيل ان الجان قالوا لسليمان ان رجليها كحوافر الحمير لخافوا انه تزوجها
فياتي له منها ولد يحكم بالجان فاراد ان ينظر الى قدميها فامر الجن ان يجعلوا فرشا من
قوارير على الصرح قيل ان الصرح صحن الدار وقيل بيتا وقيل قصرا وان يجعلوا تحت القوارير
سمكا وضفادعا وغير ذلك ثم قال سليمان لبلقيس ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة اي
ماء فكشفت عن ساقيها فراى سليمان قدميها في احسن هيئة لكنها مشعرة وقال انه صرح ممرد
اي مستوي من قوارير اي من زجاج فارخت ثيابها وقالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين فاراد سليمان ان يتزوجها ولكن كره من الشعر الذي عليها فذكر
ذلك لبعض الجن فصنعوا له النورة والحمام قيل ان الحمام الذي في القدس الشريف
عند باب الاسباط اول من عمرها سليمان عليه السلام حين تزوج بلقيس والله اعلم ثم ان سليمان
تزوج بها واجرها جاشدبدا واقرها على ملكها باليمن وكان سليمان يركب البساط ويزورها
في كل شهر ثلاث مرات واقامت بعده مدة يسيرة ثم ماتت قيل ان سليمان كان تزوج
بثلاثماية امراة وكان عنده سبعماية سرية قال الكسائي ان سليمان قال في بعض الليالي
لاطوفن في هذه الليلة على تسعين سرية فتحمل كل واحدة بولد فيكون مغازيا مجاهدا في سبيل الله
فانسا ذكر المشية فلما طاف تلك الليلة على تسعين لم تحمل منهن غير واحدة فجاءت بولد
نصف جسد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لو قال اخي سليمان
ان شاء الله لجاءت فرسان يجاهدون في سبيل الله كما طلب قال العزيري بينما سليمان
عليه السلام سائر في بعض الغزوات مر على وادي فيه نمل كل نملة قدر الذيب وهي عرجا
فسمع نملة تقول يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
فحملت الريح كلامها الى اذن سليمان فتبسم سليمان من قولها وامر باحضارها لانها كانت
مسيرة ثلاث اميال فلما حضرت قال لها ايتها النملة كيف احطمك واني نبي معصوم من
الظلم فقالت يا نبي الله اما سمعت قولي وهم لا يشعرون فقال لها الا ادخلي في وادي انت
ساكنة فيه وروي ان نبي الله سليمان عليه السلام كان جالسا في وقت القايلة واذا بجيوش
سقطن من الهوى على غدير ماء وشربوا ثم طاروا في الهوى ونزلوا في جزيرة في البحر المالح
وراهم ايضا في اليوم الثاني كذلك فقال سليمان للجن اريد منكم ان تقتنصوا لي هذه الخيل
فقالوا لا طاقة لنا بهم فقال بحيلة فاحتالوا ان نزعوا ذلك الماء ووضعوا مكانه خمرا
فكانت الخيل تاتي للشرب فتشم رايحة الخمر فتنفر ولا زالت كذلك حتى مضها العطش
فشربت فسكرت فوصل اليها الجن ووضعوا اللجم في افواهها وركبوها واتوا بها الى
حضرة سليمان فجعل يتاملها واشتغل بها حتى فاتته صلوة العصر فلما افاق وعلم ان الصلوة
فاتته جعل يبكي ويتاسف ويتضرع الى الله تعالى فامر الله تعالى الشمس ان ترجع بعد ان غربت
فرجعت فصلى سليمان العصر فلما فرغ امر بقطع اعصاب سبعماية فرس لانها شغلته عن

في الصلوة ثم وقف ما بقي على المجاهدين في سبيل الله واستمرت تلك الخيل الباقية تتناسل
الى الان فكل فرس اصيل اصله من تلك الخيل **ذكر فقد خاتم سليمان عليه
السلام** قال وهب بن منبه كان سليمان لا ينزع خاتمه من يده الا عند دخول الخلا فاذا نزعه
اعطاه لبعض اخصائه فيحفظه حتى يخرج من الخلا فياخذه فاتفق انه دخل يوما الى الخلا واعطا
الخاتم لجارية فجا شيطان اسمه صخر الجني على صورة سليمان وطلب الخاتم فاخذه ووضعه
في اصبعه وخرج الى الموكب وجلس على الكرسي على العادة فلما خرج سليمان من الخلا وطلب
الخاتم نظروا اليه فراوه متغيرا فانكروه وطردوه وقالوا ان الخاتم اخذه صاحبه فعلم
سليمان ان الشيطان احتال فاخذ الخاتم فخرج سليمان هاربا على وجهه يسال الناس فلا يطعموه
ويقول انا سليمان فيكذبوه ولم يزل كذلك عريانا مكشوف الراس حافي القدمين حتى بقي اربعين
يوما قال ثم ان بني اسرائيل تغير عليهم حكم سليمان فانهم لم يعهدوا الا احكاما مرضية
فاجتمعوا الى اصف بن برخيا فذكروا له ذلك فقال وانا ارى ذلك ثم دخل آصف الى
نسا سليمان واستخبرهم عن ذلك فراهم منكرين اوضاعه وقالوا ان سليمان كان يذكر الله
ويصلي ليلا فخرج اصف وجمع قراء بني اسرائيل وادخلهم الى حضرة ذلك الشيطان الكافر
فقرأوا التوراة ففر ذلك الشيطان الى البحر ورمى الخاتم فيه فابتلعه سمكة وكان من
قدرة الله ان سليمان كان ياكل في مدة انتزاع الملك منه السمك فاخذ سمكة ينقر
بطنها فوجد الخاتم في بطنها فوضعه في خنصره فرد الله عليه بهاءه فسجد شكرا لله تعالى
ورجع الى كرسيه وامر الجن ان ياتوه بصخر فوجدوه في امنع المواضع فاحتالوا عليه وقبضوه
واحضروه لسليمان فحبسه في صخرة فهو الى الآن محبوس **قيل** في مدة رجوع الملك
الى سليمان طلب من الله وقال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي **قال** وهب بن منبه
ان سليمان خرج الى بعض الغزوات فظفر بملك من ملوك اليونان فقتله واحتوى على امواله
وجواهره واسراه واولاده ومن جملتهم بنت ذات حسن وجمال عظيم فاصطفاها لنفسه
وكان يحبها حبا شديدا ولا يقدر ان يصبر عنها يوما كاملا وكانت لا تزال مهمومة على
ابيها فقال لها يوما من الايام ما يزيل همك فقالت اريد ان تامر الجن ان يصوروا لي صورة
ابي فلعلي اذا نظرتها يذهب ما بي من الحزن فامر صخر بذلك فصنع لها صنما كان صورة
ابيها في بيته والبسته التاج فكانت تعبده في غياب سليمان وسليمان لا يعلم بذلك
فبلغ ذلك اصف بن برخيا وكان يحب سليمان وسليمان يحبه فاخذ صخر يثني على الانبيا
خيرا كل نبي باسمه وفعله حتى اتى على جميع الانبيا ولم يذكر سليمان بشي فامتلا سليمان
غيظا لذلك فاحضر اصف سرا وساله عن السبب في عدم ذكره مع الانبيا فقال كيف اذكرك
وتعبد الصنم في دارك فعند ذلك تنبه سليمان لذلك فكسر الصنم وعاقب بنت الملك
وصار يبكي ويتضرع الى الله وكان مدة الصنم في داره اربعين يوما فنزع الله الملك منه
اربعين يوما قصاصا عن مدة الصنم والله اعلم **ذكر وفاة سليمان** عليه السلام

قال العزيزي كان ملك الموت صديقا لسليمان فسأله سليمان عن مدة موته فقال ملك الموت
يا سليمان متى ما خرجت من موضع سجودك شجرة الخرنوب فقد دنى اجلك **فبينما** سليمان
يصلي ذات يوم في محرابه اذ وجد شجرة طالعة فقال لها ما انت قالت شجرة الخرنوب فقال وما
منفعتك قالت كذا وكذا فامر ان يكتب منافعها وتقلع وتنصب في بستان ثم ان سليمان لبس
اكفانه واخذ عصاه وتوكا عليها وقال اللهم اكتم موتي عن الانس والجن حتى يكملوا عمارات
بيت المقدس **ومن هنا** علم ان الجن لا يعلمون الغيب وهو قوله تعالى لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين لانهم كانوا يعملون عملا ثقيلا شاقا فجاءه ملك الموت وقبض
روحه وهو متكي على عصاه فلم يشعر احد بموته حتى اكلت الارضة عصاته فسقطت
فسقط معها وهو قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته **قيل** انه اقام ميتا
على عصاه سنة فانهم اتوا بتلك الارضة ووضعوها على العصا فاكلت من العصا مقدارا في
يوم فحسبوا المقدار على الايام فوجد مدة الموت حين لم يعلم موته سنة كاملة **قيل** انه دفن
بطبرية وقيل دفن في بيت لحم عند ابيه بارض بيت المقدس **ذكر شي من قصة بلوقيا**
الاسرائيلي انه طاف في الارض فمر بالبحر الثاني فراى فيه كهفا وراى في ذلك الكهف سريرا
ملقى عليه رجل ميت ويده اليمنى على صدره ويده اليسرى على بطنه وهو كالنايم وفي اصبعه
خاتم من ذهب وفصه من ياقوت احمر وهو مربع وعليه اربعة اسطر كتابة لا تقرا وعنده ثعبانان
عظيمان فاراد بلوقيا ان ياخذ الخاتم فوثب الثعبانان وهاشا وخرج من افواههما النار
وسمع قايلا يقول ويلك يا بلوقيا اتجسر على نبي الله سليمان بن داود وتاخذ خاتمه من يده
لا سبيل لك الى ذلك فانصرف بلوقيا مرعوبا مما راى **وقيل** في بعض الاخبار ان سليمان
بن داود لا يدخل الجنة الا بعد دخول الانبيا باربعين سنة والسبب بذلك الدنيا التي كانت
بيده **ذكر بناء بيت المقدس** قال الثعلبي اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
ان يتخذ مسجدا في بيت المقدس فشرع داود في بنايه وتوفي ولم يتمه فاوصى ولده سليمان
باتمامه فجمع سليمان الانس والجن وقسم عليهم الاشغال في البنا وتحصيل الرخام فجعل في
ذلك المسجد اثني عشر رباطا وجعل في كل رباط سبطا من اسباط بني اسرائيل ثم جعل في هذا
المسجد حجارة من ذهب وفضة ورخام ملون وحديد ونحاس وخشب ساج وغير ذلك وجعل
وسطه قبة بيضا وعلى راسها علما من ذهب يضي للمسافرين في الليل وجعل تحت هذا المسجد
اصطبلا لخيله وجعل طول هذا المسجد وسبعماية ذراعا بذراع العمل وعرضه اربعماية ذراعا وخمسين
ذراعا وسقفه بخشب الساج وصفحه بالذهب ووضع فيه الجواهر واليواقيت ومن ساير
المعادن وجعل ظاهر السقف صفايح الرصاص لاجل الامطار وفرش ارضه بالبلاط من
الذهب والفضة والرخام الملون ولم يكن يوميذ على وجه الارض مثله فلما تم ذلك صنع
وليمة **قال** السدي ذبح سليمان لهذه الوليمة خمسة وعشرين الف راس من البقر
واربعماية الف شاة والف جزور وغير ذلك وصنع بهذا المسجد لوحا من الرخام اذا نظر

قال

فيه الانسان فان كان ولد زنا اسود وجهه وجع في ذلك الزمان كثير من الناس عن الزنا
ووضع ايضا به من العجايب عصاة اذا مسها انسان فان كان من نسل الانبيا لم تحترق يده
والا احترقت احنوا انا لطيفا من غير ضرر ووضع به كلب من خشب اذا مر به من يعلم السحر
نبح على السحر ووضع فيه بابا من دخله وكان ظالما منان عليه والا مر على حاله وكان فيه
السلسلة المتقدم ذكرها وكان به عجايب كثيرة **قال** النويري اقام سليمان في بنا هذا المسجد
نحو اربعين سنة وكان فيه من البنايين سبعين الف معلم بنايين ومن النجارين نحو ثمانين الفا
وله في كل يوم الف رطل من الزيت لاجل اشعال قناديله بالليل **قال** كعب الاحبار كان يحمل
هذا المسجد في كل سنة سبعماية الف قنطار من الذهب والفضة ولا سيما بلاد الروم وهي تنفق
ببركته **وروي** ان تحت صخرة بيت المقدس مجمع ساير البحار والانهار من المياه العذبة المتفرقة
في ساير الاقطار ودفن فيه كثير من الانبيا عليهم السلام ولم يزل هذا المسجد عامرا في زمن
سليمان وبعده الى زمن بخت نصر فخربه وحمل ذهبه ومعادنه وسياتي الكلام على ذلك
ان شا الله تعالى **قال** النويري نقل منه بخت نصر الف عجلة وحملها جميعها ذهبا وفضة
وجواهرا **ذكر قصة بخت نصر البابلي** وما وقع له مع ارميا عليه السلام
قال السدي ان ارميا استخلف على بني اسرايل فاوحى الله اليه ان هلاك بني اسرايل على يد رجل
يقال له بخت نصر وهو من ملوك بابل **وقيل** ان بخت نصر عاش الف وخمسماية سنة **قال**
ولما علم ارميا ذلك الوحي اعلم به ملك بني اسرايل فجمع بني اسرايل ونهاهم عن المعاصي فكانوا لا ينتهون
فتقدم بخت نصر فغزاهم فلم يزل يقاتلهم حتى دخل الى بيت المقدس بمن معه من العساكر
فهدم المسجد واحرقوا التوراة واستمر بخت نصر يقتل الناس ويحرق المساجد من الغزاة
الى العريش فكان لا يرحم احدا **قال** الثعلبي لما عزموا على بخت نصر الاسرى من الاطفال
اختار منهم نحو سبعين الفا فرقهم على بعض جنده وكان فيهم من نسل يعقوب وداود فكان
يامر بقتل الشجعان من بني اسرايل ويترك الضعفا **قال** السدي ثم توجه بخت نصر الى
مصر ففتك بها فتكا ذريعا ونهب منهم بالسيف وقتل من قتل واسر من اسر من القبط واخرب
ما كان فيها من البرابي والطلسمات والعجايب واخلى الديار المصرية من السكان واقامت
خرابا اربعين سنة فكان النيل اذا زاد يتفرش على الارض ثم يهبط ثم توجه بخت نصر الى
بلاد المغرب وفعل مثل ذلك ثم توجه الى بلاد السودان وفعل كذلك وهو ولا يتخذ
الكاهنين من العسكر والغدر وقد ارسله الله لفساد العباد كالطاعون **والحاصل** ان بخت نصر
ما فعل ذلك باهل تلك البلاد الا لانه تحقق انهم على الفساد من عدم طاعتهم لخالق العباد
وقد ورد في الاخبار ان الله انزل في الكتب المتقدمة اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه
من لا يعرفني **ثم بعد ذلك** رجع بخت نصر الى ارض بابل ومعه الاموال والاسرى وقال
الله تعالى في كتابه العزيز وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة الاية فمن يوميذ تفرقت بنو
اسرايل في البلاد خوفا من بخت نصر فنزلوا بيثرب وبابله واستمر بيت المقدس خرابا

نحو سبعين

نحو سبعين سنة حتى عمره الملك كيرش وهو ملك من ملوك الفرس **قال** وهب بن منبه
كان بين خراب بيت المقدس على يد بخت نصر الى تاريخ الهجرة الف واربعماية وثلاثة وثمانون
سنة على ما نقله الثعلبي فلما تفرقت بنو اسرايل فقدت التوراة وصار بنو اسرايل لا يحفظون
منها شيا لما حصل عليهم من بخت نصر **قال** السدي ان بخت نصر اخرب في هذه الحركة نصف
الدنيا من اهلها وارضها انتهى على سبيل الاختصار **ذكر قصة العزير** قال الله
تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله ماية
عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت ماية عام فانظر الى طعامك
وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس فلما تبين له قال اعلم
ان الله على كل شي قدير **قال** السدي الذي لبث ماية عام هو العزير وكان يمر فلما مر على المسجد
الاقصى قال انى يحيي هذه الله بعد موتها واما طعامه **قال** قتادة كان من التين الاخضر **قال**
الطبري كان من العنب الاسود **قال** السدي جا بعد بخت نصر ملك من الجبابرة يقال له ردوس
وكان بمدينة اذربيجان وكان على دين المجوس فاباح للناس نكاح الامهات والاخوات وعبادة
النيران ولم يزل هذا المذهب معمولا به عند الفرس الى زمن كسرى انو شروان فابطله انتهى
ذكر قصة دانيال عليه السلام قال الثعلبي لما دخل بخت نصر من ارض الشام
الى ارض بابل وعاد ثم كان معه دانيال ماسورا مسجونا فراى بخت نصر في نومه مناما
فعجز المعبرون عن تفسيرها فاخبر السجان ان دانيال يعرف التاويل فاحضروه الى بين يدي
بخت نصر فلم يسجد دانيال على العادة فقيل لاي شي لم تسجد لبخت نصر فقال دانيال لا ينبغي
السجود الا لله المعبود فاعجب الجواب فقال بخت نصر نعم السجود للرب المعبود وقص الرويا
ففسرها دانيال فاعجبه بخت نصر وقربه وصار يستشيره فحسده المجوس فلم يزالوا حتى خلوا
على بخت نصر وحرضوه على قتل دانيال حتى امر بقتل دانيال فجعل معه سبعين ضاريين
ووضعهم معه والنام في اخدود فباتوا تلك الليلة فلما اصبحوا وجدوا السبعين يقبلان
دانيال فاخرجه بخت نصر وزاد اعتقاده في دانيال فقال بعض المجوس لبخت نصر ان دانيال
يقول عنك انك تبول في فراشك وكان ذلك عارا عند الملوك في ذلك الزمان فصنع بخت
نصر وليمة واحضر دانيال عنده وقرب اليه طعاما اكله يورث البول فاكل منه دانيال
كثيرا وبات تلك الليلة بخت نصر ودانيال على فراش واحد واوصى بخت نصر بوابه وقال
متى ما خرج اليكم احد فاقتلوه ولو كنت انا فقدر الله انحبس بول دانيال واطلق بول
بخت نصر فخرج بخت نصر ليبول وقال انا الملك فلم يصدقوه فقتلوه ونجا الله دانيال منه
قال السدي ان بخت نصر عاش الف وخمسماية سنة ثم مات مقتولا كما تقدم ثم ان دانيال
رحل الى مصر فاقام بالسويس الى ان مات فدفن بالسويس **قال** العزيزي لما فتحت مدينة
السويس على يد ابي موسى الاشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فراى بالسويس بابا
مقفولا والقفل مختوم بالرصاص ففتح ذلك الباب ووجدوا داخله حوضا من رخام اخضر

مطلي برخام فنحوه فوجدوا فيه رجلا ميتا عليه اكفان منسوجة بالذهب وهو عظيم الخلقة
فقاسوا انفه فوجدوه شبرين فكتبوا بذلك الى عمر بن الخطاب فسال عليا فقال هذا دانيال
الحكيم وكان نبيا غير مرسل فارسل عمر يقول لموسى الاشعري ان يجدد له اكفانا فوق تلك
الاكفان وان يصلي عليه بجماعة ثم يدفنه في مكان حصين فحفر له موسى قبرا في وسط
النيل عند السويس ولم يعلم احدا في مكانه الى الآن وعن عبد الرحمن بن ابي زياد قال رايت
في يد ابي بردة بن موسى الاشعري خاتما من الفضة وعليه صورة اسدين وبينهما رجل
وهما يلحسان في اقدام رجليه فقال له ما هذا الخاتم قال هذا خاتم دانيال الحكيم اخذه ابي يوم
دفنه كما تقدم ذكر ذلك وكان سبب نقش دانيال الاسدين على خاتمه لما وضعه بخت نصر
بين الاسدين فلم يضراه كتب ذلك على خاتمه ليتذكر نعمة الله ولا ينساها **ذكر قصة**
لقمان الحكيم قال وهب بن منبه كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا **قال** عكرمة كان
لقمان نبيا من انبيا بني اسرائيل وكان في زمن داود عليهما السلام وكان اصله عبدا حبشيا وقيل
نوبيا وكان اسمه لقمان بن سرون وكان لرجل نجار من بني اسرائيل من اهل مدينة ايلة فاشتراه
بثلاثين دينارا فاقام عنده مدة ثم اعتقه وكان ينطق بالحكمة وكان مقيما بمدينة الرملة
بالقرب من بيت المقدس وكان بنو اسرائيل ياتون اليه ليسمعوا منه الحكمة والموعظة وكان
يسال بماذا حصلت على الحكمة فيقول بصدق الكلام وترك الاثام وحب الانام **وكان** نبي الله
داود عليه السلام ياتي اليه ليسمع منه الحكمة ومات لقمان بالرملة ودفن بين المسجد وبين
السوق **قال** السدي دفن حول قبر لقمان سبعون نبيا ماتوا كلهم في يوم واحد بالجوع
والعطش وذلك ان حاصرهم بعض ملوك بني اسرائيل فماتوا صبرا جوعا وعطشا **قال** وهب بن
منبه كان من الانبيا ثلاثة سود الالوان لقمان وذو القرنين ونبي صاحب الاخدود **ذكر**
صاحب الاخدود قال وهب بن منبه كان ملكا من ملوك الفرس وكان جبارا
عنيدا فسكر ذات ليلة ووقع على اخته فلما افاق من سكره جمع علما زمانه فقال لهم كيف
الخلاص مما وقعت فيه فلم يجيزوا له ذلك **قالت** اخت الملك من الراي ان تخرج الى اهل مملكتك
وتخبرهم بان الله تعالى احل نكاح الاخوات فانكر نبي ذلك الزمان هذا فاحضره الملك وقال
له اخبر الناس بانه جائز فامتنع النبي من ذلك فامر الملك ان يحفر اخدودا ويجعل فيه النار
فحفروا واوقدوا وادخل ذلك النبي في تلك النار الموقدة في الاخدود وادخل معه اثني عشر
انسانا من علما بني اسرائيل لانهم خالفوا ايضا في نكاح الاخوات انتهى **ذكر قصة جرجيس**
عليه السلام وهو من انبيا بني اسرائيل وقال وهب بن منبه كان في مدينة فلسطين ملكا جبارا
عنيدا وهو من بقية العمالقة وكان يعبد الاصنام من دون الله تعالى فصنع سريرا من الذهب
واجلس عليه كبير الاصنام وزينه بالجواهر ووضع على راسه تاجا وطيبه بانواع الطيب
وامر قومه ان يسجدوا له فارسل الله اليه نبيا يقال له جرجيس فنهى الناس عن عبادة ذلك
الصنم وشدد عليهم فامر الملك بقتل جرجيس فضيق له انواع العذاب غلا له خردلا

وصبه في حلقه ومشط لحمه بمشط من الحديد حتى بان عظمه فمات من ساعته ثم نفوا عنه فاحياه
الله وصار احسن ما كان عليه من صحة الجسم فقام ونادى باعلا صوته يا قوم قولوا لا اله الا
الله فلما سمعوه امر الملك بان يضرب له ستة اوتاد ويشج فعلوا به ذلك فارسل الله اليه ملكا
فاطلقه فنادى يا قوم قولوا لا اله الا الله فلما سمعوه امر الملك بان يجعل في ماعون فيه ماء
ويغلي ذلك الماء ويجعل فيه جرجيس فحصل برد ذلك فانبع الله له عينا من الماء البارد في
الماعون فلم يضره شي فلما ايس منه الملك قال يا جرجيس ان اطعتني اطعتك قال جرجيس
كيف اطيعك قال ان تسجد لصنمي سجدة واحدة فامسك جرجيس عن الجواب فظن الملك
انه اطاعه فاخرجه الى قصره واضافه فلما صار في الليل جانب كبير قرا جرجيس من الزبور فلما
سمعته زوجة الملك امنت به ثم وكز جرجيس برجله الارض ابتلعت جميع ما عليها من الاصنام
فنادت زوجة الملك يا قوم ان جرجيس نبي حقا فامنوا به فقال الملك يا جرجيس قد افسدت
علي زوجتي فامر الملك بقتل زوجته فقتلت فاحياها الله تعالى فلا زال جرجيس يعظهم
ويحذرهم حتى ايس منهم فقال الهي ارسل عليهم عذابا فاستجاب دعاه حتى نزلت على الملك
وقومه صاعقة فاحرقتهم اجمعين ولم يسلم منهم غير زوجة الملك واستمر جرجيس في
فلسطين ثم توجه الى الموصل فمات بها ودفن هناك انتهى **قال** الثعلبي كان في بني اسرائيل
رجل يقال له ارشا وكان رجلا عالما من علماء بني اسرائيل وكان يقرا في الكتب القديمة فراى فيها على
نعت النبي صلى الله عليه وسلم فجمع ذلك كله وكتبه في صحيفة وجعلها في صندوق وقفل
عليها بقفل وجا بمفتاحه وكان له ولد يقال له بلوقيا فلما مات ارشا اخلفه ابنه بلوقيا
ثم لما كبر بلوقيا صار يقضي بالحق في بني اسرائيل ففتش يوما في خزاين ابيه فراى ذلك الصندوق
فكسر القفل وفتح الصندوق واذا بالصحيفة مكتوب فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم وانه
خاتم النبيين وان الجنة محرمة على ساير الامم حتى يدخلها هو وامته فلما قرا بلوقيا تلك
الصحيفة اخرجها الى علماء بني اسرائيل فقراها عليهم فقالوا كيف كتم هذه عنا ابوك فبعد
ذلك دخل بلوقيا الى امه وقال يا اماه اني مودعك واني ساير في الارض فلا ارجع حتى اجتمع
بمحمد فقالت امه ان كان ولا بد فالله يثبتك على ما تريد فسار بلوقيا وطاف في الارض
شرقا وغربا وجنوبا وشمالا حتى وصل الى البحر السابع وراى العجايب التي بالدنيا فمنها
انه راى في بعض جزاير هذا البحر عدة حيات كامثال البخاتي وهم سود الالوان يقلن لا اله الا
الله محمد رسول الله فقال لهن بلوقيا السلام عليكم فقالوا لا نعرف هذا ولا نعرف من انت
فقال انا ابن ادم فقالوا لا نعرف ادم فقال لهن بلوقيا اذا لم تعرفوا ادم كيف تقولوا محمد رسول
الله فقالوا نحن مامورين بهذا القول لا نعرف ادم ولا محمد وقد خلقنا الله لتعذيب
الكفار في جهنم ثم دخل بلوقيا الى جزيرة اخرى فراى فيها حيات سودا اعظم من الاولى وفيهم
حية صغيرة لما سارت مشى حولها باقي الحيات فقالت تلك الحية من انت قال انا بلوقيا
وانت من تكوني قالت انا عوينة الحيات بجميع الحيات تكون تحت امري في الدنيا وفي جهنم

ورای فی البحر جزیرة فیها نخل من ذهب وحمل عجیب وله لمعان فی الشمس لا یستطیع احد النظر
الیه من شدة لمعانه وفیها شجر الرمان والرمانة قدر البطیخ وبها اشجار تین کل تینة قدر
البطیخة وفیها کرم علیه عنا قید کل عنقود کالقربة وفیها انهار جاریة نظن بلوقیا انها الجنة
فصار متحیرا فمد بلوقیا یده لیاخذ ثمرة فنادته الیک عنی یا خاطی انک لا تقدر علی اخذی
فبینما بلوقیا یتردد فی تلک الجزیرة واذا هو بجماعة نزلوا من السما الی تلک الجزیرة وبایدیهم
السیوف مسلوله وقالوا یا بلوقیا کیف وصلت الی هذا المکان فقال لهم بلوقیا انا اسمی بلوقیا
وقد خرجت فی طلب محمد خاتم الانبیا ثم قال لهم بلوقیا ومن انتم فقالوا نحن قوم من مومنی الجن
وکنا فی السما مع الملایکة فامرنا الله تعالی ان نقاتل کفار الجن الذین فی الارض فنحن نغزوهم
الی یوم القیامة فترکهم بلوقیا وانصرف فاذا هو بملک عظیم الخلقة وقد مد احدی یدیه
الی المشرق والاخری الی المغرب وهو واقف یقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم علیه بلوقیا
فرد السلام فقال من انت وما حاجتک فقال انا بلوقیا وقد خرجت فی طلب محمد خاتم الانبیا
وانت من تکون فقال انا الملک الموکل بضوء النهار وظلمة اللیل قال له بلوقیا فما هذا السطر
الابیض والسطر الاسود الذی بین عینیک فقال له الملک انی اذا رایت السواد زاد علی
البیاض فاعلم ان اللیل زاد علی النهار واذا رایت البیاض قد زاد فاعلم ان النهار قد زاد
علی اللیل وان النهار یطول فی الصیف وینقص فی الشتا واللیل یطول فی الشتا وینقص
فی النهار ثم ترکه بلوقیا وانصرف فبینما هو سایر واذا بملک اخر یقول لا اله الا الله
محمد رسول الله فسلم علیه بلوقیا فرد السلام وقال من انت قال انا بلوقیا وانت من تکون
قال انا ملک موکل بالریح والبحر احبس الریح واطلقه علی قدر انتفاع الناس به ولولا
انی احبس البحر لهاج وطم الارض فانی احبس الریح بیمینی والبحر بشمالی فترکه بلوقیا
وانصرف فوصل الی جبل قاف فاذا هو من یاقوت خضر وقد احاط بالدنیا جمیعها
فمن شعاع ذلک الجبل تری السما زرقا وقد وکل الله بهذا الجبل ملکا وجعل فی یده
وتداد فی ذلک الوتد عروق الارض کلها فاذا اراد الله ان یزلزل قریة یامر ذلک
الملک ان یحرک العرق المتصل بتلک القریة فتتزلزل واذا اراد الله ان یخسف قریة
فیامر ذلک الملک بان یرخی العرق المتصل بتلک القریة فتغور فقال بلوقیا وما وراء
هذا الجبل قال اربعون الف مدینة وان اراضی تلک المداین من ذهب ولیس یغشاها
لیل ولا نهار وسکان تلک المداین ملایکة لا یعصون الله طرفة عین قال بلوقیا وما
وراء ذلک قال سبعون الف حجاب کل حجاب قدر الدنیا سبعون مرة فقال بلوقیا وما
وراء هذه الحجب قال لا یعلم ما وراء ذلک الا الله تعالی ثم ترکه بلوقیا وانصرف حتی وصل
الی جبل عال فرقاه فوجد فی اعلاه کهفا فدخل الکهف فرای سریرا من ذهب وعلیه رجل
ملقا علی قفاه وهو میت وقد وضع یده الیمنی علی صدره والیسری علی بطنه وهو
کالنایم وفی اصبعه خاتم من ذهب فیه مکتوب اربعة اسطر کل سطر اسم من اسماء الله العظام

ورای عند راسه تنینین عظیمین فمد یده بلوقیا لینزع الخاتم من یده فوثب التنینان علیه
فانهزم وترکه واذا بقایل یقول ویلک یا بلوقیا ما اجراک علی نبی الله سلیمان بن داود فترکه
وانصرف مرعوبا ثم سار حتی انتهی الی البحر فوجد ماؤه عذب ویلیه بحر ماؤه مالح وبین ذلک
البحرین جبل من ذهب وعلیه ملایکة علی امثال الخلقة الغزلان فسلم علیهم فردوا علیه السلام وقالوا
من انت قال اسمی بلوقیا خرجت فی طلب محمد خاتم النبیین فمن انتم قالوا نحن ملایکة من ملایکة الله
تعالی فقال لهم بلوقیا فما هذا البحر العذب والمالح فقالوا اما البحر العذب فهو الذی کان تحت
العرش قدیما قبل ان یخلق الله السموات والارض واما البحر المالح فهما البحران اللذان ذکرهما
الله تعالی فی القران فقال مرج البحرین یلتقیان بینهما برزخ لا یبغیان ونحن امنا الله علی البحرین
یمنعهما ان یختلطا ثم قال لهم بلوقیا فما هذا الجبل الذی بین البحرین قالوا هذا کنز الله فی ارضه
فکل ذهب فی الارض من مادة هذا الجبل ثم ترکهم وسار حتی انتهی الی بحر عظیم وفیه حیتان
کبار فناداه حوت منهم من انت فقال انا بلوقیا خرجت فی طلب محمد خاتم النبیین والمرسلین فقال
الحوت ما سمعنا بمحمد فقال بلوقیا ایها الحوت انی جایع فهل عندک شی تطعمنی فقال الحوت
عندی قرص من شعیر ان اکلته لم تجع ولم تعطش ولم تعی اربعین سنة فاعطاه قرصا فاکله
بلوقیا فکان یقول لا اجوع ولا اعطش ولا اتعب بعد ذلک ثم سار بلوقیا حتی انتهی الی
بحر فیه جزیرة وفی الجزیرة شجرة وعلیها طایر من ذهب وعیناه من یاقوت احمر ومنقاره
من زبرجد اخضر ورجلاه من یاقوت اصفر وریشه من الوان مختلفة وتحت الشجرة مایدة
موضوعة وعلیها سمکة مشویة فدنا بلوقیا من ذلک الطایر وقال ایها الطایر اخبرنی
من انت فانی لم ار فی الطیور احسن منک فقال انا من طیور الجنة وقد بعثنی الله الی ادم حین
اهبط من الجنة بهذه المایدة فانزلت وهی علی جبل عرفات فاکل من هذه المایدة وقد امره
الله تعالی بحفظها فی هذا المکان الی یوم القیامة وانی اطعم منها کل من یمر بهذا المکان فقال
بلوقیا ولم تنقص فقال الطایر انها من طعام الجنة وطعام الجنة لا ینقص ولا یتغیر علی
طول الزمان فتقدم بلوقیا فاکل کفایته ثم حمد الله وقال للطایر فهل یاتی الیک احد من
الناس فیاکل من هذه المایدة فقال نعم ان ابا العباس الخضر یاتی احیانا فیاکل منها کفایته فقال
بلوقیا لا ابرح من هنا حتی اجتمع بالخضر ان قدر الله فاقام هنالک مدة فبینما هو ذات
یوم واذا برجل قد اقبل علیه وعلیه ثیاب بیض فصار اذا اخطا الخضر مواضع اقدامه
بالحشیش فقام الیه بلوقیا وسلم فرد السلام وقال له من انت قال انا من بنی اسرایل واسمی
بلوقیا خرجت فی طلب محمد خاتم الانبیا قال له الخضر انه لا یظهر الا فی اخر الزمان وانک
لا تدرکه الان ثم قال له الخضر اتدری کم بینک وبین بلدک قال لا قال الخضر مسیرة
خمسمایة عام ولکن اتحب ان تسیر الی امک سریعا قال نعم قال الخضر غمض عینیک فغمض
بلوقیا عینیه ثم فتحهما واذا به عند امه فقال یا اماه من جاء بی الی عندک فقالت یا ولدی
رایت طایرا ابیض قد وضعک عندی وطار فی الهوی حتی غاب عن عینی ثم ان بلوقیا خرج

الى بنى اسرائيل فسلموا عليه وقالوا قد عبت كثيرا فكان يخبرهم بما راى وهم يكتبون عنه قال
وفى بعض الاخبار ان بلوقيا عاش نحو الف سنة والله اعلم

ذكر قصة الاسكندر ذى القرنين

قال الله تعالى ويسالونك عن ذى القرنين الاية قال انه من اولاد الضحاك
واصله من حمير وكان اسود اللون وامه من اولاد الروم وقيل انه من ملوك ابن دارب بن بهمن
ملك بابل والمداين بالمشرق وامه تسمى ناهيل بنت الفيلسوف ملك الروم ومدينته بغداد
وقد كمله جرم قال الامام على رضى الله عنه وعكرمه كان ذو القرنين من ولد يونان بن يافث
ابن نوح عليه السلام قال اسماعيل السدى الاسكندر اثنان احدهما مومن والاخر كافر اما المسلم
فهو الاسكندر ذو القرنين واما الكافر فهو اسكندر بن فيلبش المقدونى الرومى وقيل اصله
من العمالقة حتى قيل كان طول انفه ثلاثة اذرع وعلى هذا فقس بقية جسده **وقيل** انه هو الذى
بنا المنار الذى كان بالاسكندريه وكان بينه وبين ذى القرنين مدة طويلة نحو الفى سنة وزيادة
وقد اختلف فى الاسكندر ذى القرنين هل كان نبيا ام كان عبدا صالحا **قال** وهب بن منبه
كان ذو القرنين عبدا صالحا ولم يكن نبيا **وقال** عكرمة كان نبيا مرسلا الى اهل بابل وكان
قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام بثلاثمائه سنة **وقال** الحسن البصرى كان ذو القرنين
ملكا مغازيا مع النمرود بن كنعان وكان مسلما على ملة ابراهيم عليه السلام وكان فى زمن
ابراهيم الخليل عليه السلام وهو الذى قضى لابراهيم حين تحاكم عنده مع خصمه فى بير السبع
بالشام وكان ذو القرنين اذا مر وهو راكب على باب ابراهيم ينزل فيمشى حتى يفوت الباب
ويركب ويقول ما كنت لاركب فى بلد فيها ابراهيم عليه السلام **قال** وهب بن منبه كان
ذو القرنين ملكا مغازيا وقد اطال الله عمره وملك البلاد وقهر اهل العناد وفتح المداين والحصون
وملك الارض مشرقا ومغربا وقال لم يملك الارض جميعها غير اربعة مومنان وكافران اما المومنان
فهما سليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فهما النمرود بن كنعان وشداد بن عاد
وقيل احدهما بخت نصر **قال** ابن الجوزى عن الثعلبى ان ذا القرنين عاش من العمر الف
وستمائة سنة ولو لم يعش كذلك لما بلغ مطلع الشمس ومغربها والمسافة بينهما بعيدة
وقيل سيل الامام على رضى الله عنه كيف بلغ ذو القرنين ما بين المشرق والمغرب فقال
كانت تطوى له الارض وتسبب له الاسباب **قيل** فى تسميته بذى القرنين اقوال **قال**
الامام على رضى الله عنه لما دعى الاسكندر ذو القرنين قومه ضربوه على قرنه فغاب عنهم
مدة ثم عاد اليهم فضربوه على قرنه الاخر فسمى بذى القرنين **الثانى** ما رواه ابن عباس رضى
الله عنه انه لما بلغ مطلع الشمس ومغربها سمى بذلك ذى القرنين وقيل انه راى فى منامه وهو
صغير انه تمسك بقرنى الشمس فسمى ذا القرنين وقيل انه لما ملك فارس والروم سمى بذلك
ذو القرنين وقال ابن الانبارى عن الحسن البصرى سمى بذلك كان له دوابتان وقيل لانه
كان كريم الطرفين من اهل بيتين ذوى شرف وحسب وقيل لانه كان فى راسه عظمان نابتان
فسمى بذلك ذو القرنين وهو اول من صافح بكفه وهو اول من اتخذ العمامة وكان يستر

بها راسه

بها راسه لذلك **وروى** وهب بن منبه ان اسكندر كان له قرنين ولم يطلع عليهما احد فاتفق ان
كاتبه راى ذلك فقال له الاسكندر ان شاع ذلك فيكون منك فاكتمه فاسر الكاتب ذلك
مدة فضاق صدره فلم يجد بدا من افشائه فخاف من القتل فكان ياتى الى الصحرا ويقول اسكندر
له قرنان فانبت الله فى تلك الصحرا قصبة فارسية فقطعها راعى فاتخذها شبابة فكان
اذا شبب بها يخرج منها قول اسكندر ذو القرنين فبلغ ذلك الى الاسكندر عن الشبابه فقال
ما الحيلة فى امر الله هذا شى شاع انتهى **قال** وهب بن منبه اوحى الله الى ذى القرنين انى
المقام انى باعثك الى امم فى الارض منهم سبع امم مختلفة الالسن والصفات فمنهم اثنان يقال لها
هاويل وهى فى قطر الارض الايمن والامة الاخرى يقال لها تاويل وهى فى قطر الارض الايسر
ومنهم اثنان فى طول الارض عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والاخرى عند مشرق الشمس
يقال لها منسك وثلاث امم فى وسط الارض يقال لهم ياجوج وماجوج قال ذو القرنين يا رب
وكيف اقدر على محاربة هذه الامم العظيمة فاوحى الله اليه انى البسك الهيبة واسخر لك النور
والظلمة حتى اجعلها لك جندا **قال** الحسن البصرى كان ذو القرنين اذا ركب يركب فى خدمته
من العساكر الف الف واربعمائة الف انسان وكان الخضر عليه السلام وزيره ومدبر مملكته
فسار ذو القرنين بهذه العساكر العظيمة حتى بلغ مغرب الشمس ومطلعها وهو قوله تعالى
انا مكنا له فى الارض الايات فاتى الى العين الحمية وجد عندها قوما **قال** السهيلى هم قوم
ناسك وكانوا من نسل قوم ثمود فلما نزل عليهم احاط بهم فجمعهم فى مكان واحد ثم دعاهم الى توحيد الله
فمنهم من آمن ومنهم من كفر فسلط الله على الذين كفروا ظلمة تغبا رعاسف فدخلت تلك الظلمة
فى حلوقهم واعينهم واذانهم حتى ايقنوا بالهلاك فاطاعوا واجابوا الى توحيد الله فتركهم وسار
الى اهل هاويل ففعل بهم كذلك ثم سار حتى اتى قطر الارض الايمن فدخل على اهل منسك وهم عند
مشرق الشمس ففعل بهم كما فعل بالاول ثم تركهم واتى الى قطر الارض الايسر فدخل على اهل
تاويل وفعل بهم كما فعل بالاول **قال** السدى اهل منسك هم الذين تطلع الشمس عليهم ولم
يجعل الله لهم من دونها سترا كما قال تعالى **قال** الامام السهيلى لما بلغ ذو القرنين مطلع
الشمس راى هنالك مدينة عظيمة يقال لها جابلقا وراى لها عشرة الاف باب بين كل بابين
فرسخ واهل تلك المدينة مشوهين المنظر وعراة الاجساد وليس لهم من دون الشمس ساتر
فاذا دخلت الشمس عليهم دخلوا فى اسربة تحت الارض من حر الشمس وليس لهم طعام الا ما تحرقه
الشمس بحرها فاذا غابت الشمس خرجوا من الاسربه وداروا فى الارض فما وجدوه محروقا
من طير او وحش او غير ذلك اكلوه **قال** مجاهد ان ذلك القوم سود الالوان عراة حفاة
وهم من جنس الزنج الاعلا وهم امم لا يحصون لكثرتهم **قال** السدى ان الشمس تشرق
من عين ماء هناك فاذا طلعت على ذلك الماء يصير كالزيت فى اللون من حر الشمس فتقذف
من تلك العين الاسماك فيخرج القوم ليلا فيلتقطونها ويجمعونها فى الشمس وياكلونها
فهذا حالهم ابدا الدهر **ومن العجايب عنه قال** السدى لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس توجه

الى مغربها فلما وصل وجد مدينة يقال لها جابرصا فراى اهلها لا يحصون لكثرتهم وراى
هناك العين الحمية التى ذكرها الله تعالى فى القران العظيم فاذا غربت الشمس فيها تسمع
لها كدكدة عظيمة مثل الرعد القاصف وتفور العين وتغلى كغليان القدور ويفيض الماء
مسيرة ثلاث ايام فلا يصيب ذلك الماء حيوانا الا احرقه فيخرج اهل تلك المدينة يلتقطون
فيا لكنوز ولباس تلك الاقوام جلود السباع والنمور وهم سود الالوان قال ابو اسحاق
الثعلبى لما بلغ ذو القرنين مطلع الشمس ومغربها بينما هو سائر بين ذلك اذ مر بوادى
النمل فخرج عليه النمل كل نملة قدر الجمل البختى فنفرت منها خيول العسكر فنزل ذلك
المكان حتى وصل الى ارض وبها امم فخرجوا اليه وقالوا له يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين
اقوام من خلق الله تعالى ليسوا من الانس ولا من الجن يفترسون الوحش والدواب
ويأكلونها يقال لهم ياجوج وماجوج ولا يكادون يفقهون قولا وهو قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين
ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض الايات قال بعض المفسرين ان فساد ياجوج
وماجوج اللواط فقال ذو القرنين اعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما اتونى زبر
الحديد قال السدى ان ذو القرنين وجد فى تلك التربة معدن الحديد فاستنبط منه لبنا
من حديد وبنا بها السد ويروى قال الثعلبى ان ذا القرنين لما اراد ان يبنى السد قاس
ما بين الجبلين وبنى الردم بالحديد المذيب فى النحاس وجعل ارتفاعه عن الارض نحو ستماية
ذراع وجعل عرضه ثلاثماية ذراع قال الثعلبى كان مقدار ما بين الجبلين ماية فرسخ فحفر
اساس ذلك الردم حتى نبع الماء منه ثم ردمه بالحديد والنحاس حتى ارتفع البنا وساوى
الجبلين فصار كانه قطعة واحدة فكانوا لا يستطيعون نقبه وذلك قوله تعالى فما اسطاعوا
ان يظهروه اى يعلوه وما استطاعوا له نقبا فقال ذو القرنين هذا رحمة من ربى الاية
قال ابن عباس رضى الله عنه ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله انى
رايت سد ياجوج وماجوج فقال له صفه لى فقال الرجل انه ردم اسود وعليه صفايح من نحاس
احمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو هو قال ابو اسحاق الثعلبى ان من بناء السد
الى الهجرة النبوية الف وخمسماية وثلاثون سنة قيل فى بعض الاخبار ان هذا السد يفتح فى
اخر الزمان عند اقتراب الساعة ويخرج منه ياجوج وماجوج فيسيحون فى الارض وينتشرون
ويشربون الانهار ويسيحون ويجيئون الى بركة طبريه فى يوم واحد اذا اتوه ويأكلون الاشجار
والنبات ويكثروا ويكثر القهر والفساد ويهرب الناس منهم الى روس الجبال فعند ذلك
يرسل الله عليهم ريحا سودا مثل ريح قوم عاد فيدخل فى افواههم ويخرج من ادبارهم فيموتون
اجمعين فى ساعة واحدة فتجيف الارض منهم فيرسل الله على جثثهم طيورا سودا لهم اعناق
مثل اعناق البخاتى فيلتقطونهم من الارض فيلقونهم فى البحر المالح انتهى قال الله تعالى حتى
اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون ومن الحكايات العجيبة ما حكاه
الحسين بن المناد البغدادى قال بلغنى ان امير المومنين الواثق بالله هارون بن المعتصم

وراى فى

وراى فى منامه شخصا فقال له ان السد الذى بناه ذو القرنين قد انفتح وخرج منه ياجوج وماجوج
فانتبه مرعوبا فاحضر سلام الترجمان وامره ان يسافر الى سد ياجوج وماجوج الذى بناه الاسكندر
ذو القرنين ويكشف عن اخباره بصدق ثم ان الواثق دفع اليه خمسة الاف دينار وقال له هذا
دينك ادفعها لعيالك ثم عين معه خمسين فارسا ثم كتب معه مراسيم الى من يمر عليهم من الحكام
ويطوع الحكام مراسيما الى غيرهم وهكذا الى ان يصل ثم ان سلام الترجمان سار من بغداد حتى
وصل الى ارمينيه فكتب له صاحب ارمينيه الى ملك اللان المسمى فيلان شاه ثم كتب له فيلان
شاه الى ملك الخزرج فلما وصل الى ملك الخزرج ارسل معه جماعة يدلونه على الطريق فسار [illegible]
خمسة وعشرون يوما ودخل الى ارض سودا وخيمة فسار فيها عشرة ايام فراى هناك مداين خراب
فسال عنها فقالوا ان هذه المدن كانت لطايفة فاخلوها خوفا من ياجوج وماجوج فخربت من فسادهم
ثم ساروا اياما حتى وصل الى قوم يتكلمون بالعربية والفارسية ويقرون القران وعندهم المساجد
والجمع فلما وصلوا اليهم اكرموهم وسالوهم عن مكانهم وابيهم فقال لهم سلام نحن من بغداد من جماعة
امير المومنين فقالوا الا نعلم شيا من ذلك ثم تركهم سلام ومضى حتى دخل على جبل املس وخلفه
جبل مثله وبينهما واد كبير عظيم فسار عن ذلك قال السدى ليس لياجوج وماجوج طريق الا
من هذين الجبلين الاملسين ثم سار سلام الترجمان بمن معه وهو يقطع القفار حتى وصل السد فنظر
يمينا وشمالا فلم يكن له منفذ غير الجبل المحيط بياجوج وماجوج وراى عضادتين كل عضادة
خمسة وسبعون ذراعا مبنية بالحديد المذيب بالنحاس واذا بدروند من حديد عظيم وطرقاه
على تلك العضادتين وفوق الدروند بناء بالحديد والنحاس مرتفع مساوى ذلك الجبل العظيم
الشاهق فى الهوى وبين تلك العضادتين باب بدرفتين عرض كل درفة وطولها سويا وعلى ذلك
الباب قفل طوله سبعة اذرع فى غلظ ذراع وارتفاع القفل عن الارض خمسة وعشرون ذراعا
وله مفتاح معلق طوله ذراع ونصف وله اثنى عشر دندانة كل دندانة مثل يد الهون وهو
معلق فى سلسلة طولها ثمانية اذرع ومعه مرزبة من حديد يضرب ذلك الباب ثلاث ضربات
ثم يضعوا اذانهم الى الباب فيسمعوا داخله دويا مثل دوى النحل قيل ان ذلك ليعلم ياجوج
وماجوج ان الحفظة لذلك الباب موجودون وليسو ابدا غافلين قال سلام الترجمان ورايت
عند ذلك الحصن عين ماء عذبه وحول تلك العين آلة البنا من مغارف الحديد وبقية من لبان
حديد وقدور حديد لتذويب النحاس وقال سلام وسالت اهل ذلك الحصن هل رايتم
احدا من ياجوج وماجوج قالوا انا نراهم فى مرات عديدة وهو انهم يخاطوا واياهم فاذا صعدوا
اعلا السد يهب عليهم ريح اسود فيلقيهم موتى فكتب سلام الترجمان ذلك فى درج ورجع فلما
وصل الى بغداد كانت غيبته من حين خرج من بغداد الى يوم وصوله ثمانية وعشرون شهرا فاخبر
امير المومنين بذلك كله وبما راه فى طريقه من العجايب روى ذلك ابن الجوزى فى كتابه المسمى تنور
الغبش انتهى **ذكر اخبار ياجوج وماجوج** قال الحسن البصرى ان ياجوج وماجوج
اصلهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ويافث ابو الترك وياجوج وماجوج قال ان ياجوج

وماجوج خلقوا من نطفة ادم لما احتلم حين اهبط الى الارض فاختلطت تلك النطفة بالتراب فصارت خلقا فسموا ياجوج وماجوج وانكره لنا بعض العلما قال ابن عباس ان ياجوج وماجوج عشرة اجزا وابن ادم جميعهم جزء واحد قال السدى انهم ثلاثة اصناف فصنف منهم كالنخلة السحوق وقيل طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف طوله وعرضه سوا يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى وصنف منهم طوله شبرا واكثر الى ثلاثة اشبار وجميعهم لا يموت احدهم حتى يرى حوله اولاده كثيرة وقيل في بعض الاخبار ان ياجوج وماجوج يلحسون السد الذى بناه ذو القرنين بالسنتهم حتى يرون منه شعاع الشمس اذا غربت يقولون لبعضهم ارجعوا الى غدا نفتحه فلما يعودون اليه في اليوم الثاني فيرونه اشد ما يكون من الاول فاذا قرب قيام الساعة يلحسون ويقولون غدا ان شاء الله نلحسه فنفتحه فيفتحونه ويخرجون فيسيحون في الارض ويشربون الانهار ويتجاوزون عن الحد في قتل الناس وخراب الارض فيبعث الله عليهم ضعفا فينطرحون على الارض فتاكلهم الوحوش ويرسل الله عليهم طيور تحملهم فتلقيهم في البحر كما تقدم قال السدى ان الناس يتيمون بعد ذلك سبع سنين يلتقطون من الارض نشابهم وقسيهم ويحرقونها وروى ذلك الثعلبى والله اعلم

ذكر دخول الاسكندر ذى القرنين الظلمات

روى الثعلبى عن الامام على رضى الله عنه لما سار ذو القرنين يدعو الى الله وكل الله به ملكا من الملائكة يقال له رفائيل فكان يسير معه اين سار فكان الاسكندر يتحدث معه في بعض الاوقات فقال له في وقت يا رفائيل حدثنى عن عبادة الملائكة فقال ان من الملائكة من هو قائم للعبادة لا يجلس ومنهم من هو ساجد لا يقوم فبكى ذو القرنين وقال احب ان لا اموت لاعبد الله كثيرا دهرا طويلا فقال الملك رفائيل ان لله تعالى في الارض عين الحيوة من شرب منها شربة لم يمت حتى الساعة او يكون هو الذى يسال الموت فقال له ذو القرنين هل تعلم مكان هذا العين قال لا اعلم ولكن كنت اسمع الملائكة تقول انها في الظلمة فجمع ذو القرنين علماء اهل زمانه وسالهم عن هذه العين فقالوا لا نعلم لها خبرا فقال عالم انى قرات وصية ادم لاولاده فوجدت فيها ان الله تعالى وضع في الارض ظلمة وفي الظلمة عين الحيوة فساله عن موضعها فقال عند مطلع الشمس فاستعد ذو القرنين للمسير اليها وقال لاصحابه اى الخيل تصحب قالوا الله الجحورة الدهم البكارة فجمع الف مجره ثم انتخب من عسكره ستة الاف رجل من ذوى العقول والجلد وكان ابو العباس الخضر وزيره معه وجد في السير حتى وصل نحو مطلع الشمس ولم يزل حتى وصل طرف الظلمة فاذا بها تثور مثل الدخان فنهاه عقلاء عسكره عن الدخول في الظلمة فقال لا بد لى من ذلك فلم يدخل معه الا القليل منهم فقال لمن تخلف عنه لا تبرحوا من مكانكم الا اذا غبت عنكم اكثر من اثنى عشر سنة ثم قال ذو القرنين للملك رفائيل كيف يكون حالنا في الظلمة فقال خذ هذه الخرزة فانك اذا وضعتها على الارض تضج بصوت عال فيسمع من بعد فلا تزال تضج حتى ترفع عن الارض فاذا ابعد عنكم احد

فليسمع فيرجع على الصوت فدخلوا الظلمة ومشوا فيها اثنى عشر يوما فاوحى الله الى الخضر عليه السلام ان العين في ايمن الوادى ولم يخص بها غيرك فقال الخضر انزلوا مكانكم فنزلوا ومضى الخضر ايمن الوادى فظفر بتلك العين فنزع اثوابه واغتسل منها وشرب فوجده احلى من العسل وابرد من الثلج وعاد الى قومه فلم يعلم احدا وقيل في المعنى

واخر قد تقضى له وهو جالس	الا رب باغى حاجة لا ينالها
فانى الذى تقضى له وهو آيس	يجول لها هذا وتقضى لغيره

قال وهب بن منبه كان الخضر ابن خالة ذى القرنين واستمر ذو القرنين سائرا حتى لاح له ضوء يشبه البرق فمضى نحوه فاذا هو ارض حمرا فمشى فيها فسمع لارجل الخيل خشخشة في تلك الارض فقال ذو القرنين للملك رفائيل ما هذه الخشخشة فقال هذا شى من اخذ منه ندم ومن لم ياخذ منه ندم فمن العسكر من اخذ منه ومنهم من لم ياخذ فلما خرجوا من الظلمة وجدوه زمردا اخضر فمن اخذ ندم على الازدياد ومن لم ياخذ ندم نكتة عظيمة اى شى يحصل يوم القيامة يوم الندامة لان الذى له حسنات يود لو اكثر منها في الدنيا والذى له سيئات يود لو اقلع عنها في الدنيا نكتة في امر الطمع نقل الشعبى ان رجلا اصاد قنبرة فقالت له ان علمتك ثلاث فوائد اطلقتنى قال لها نعم فوضعها على كفه وقال قولى فقالت الاولى لا تندم على ما فات ثم طارت وقالت الثانية لا تصدق بما لا يكون الثالثة لو ذبحتنى لاخرجت من جوفى جوهرة فتندم على اطلاقها فقالت يا قليل العقل طمع الجوهرة انساك الفوائد الم اقل لك لا تندم على ما فات وليس يكون لك نصيب في جوهرة وكيف يكون في حوصلتى جوهرة ومن ياتى لى قال السدى فلما انتهى ذو القرنين من الظلمة لاح له قصر من نحاس ورا الظلمة من جهة الشرق فسار نحوه ودخل الى القصر فراى فيه طيرا فدنا منه وسلم عليه فانطق الله ذلك الطاير فرد السلام وقال اما كفاك ما درت في الارض حتى وصلت الى هنا فقال ذو القرنين انى سايلك فقال الطاير سل ما تريد فقال ما ورا هذا المكان فقال جبل قاف قال وما ورا جبل قاف قال ملائكة يسبحون الله لا يفترون ثم قال الطاير وانا سائلك فقال ذو القرنين سل فقال هل فشا في الدنيا الزنا وشهادة الزور فقال نعم فانتفض الطاير مرة اخرى ثم قال هل فشا بناء الذهب والزخرف قال نعم فانتفض الطاير ثم قال هل ترك الناس شهادة ان لا اله الا الله قال لا فقال الطاير هل ترك الناس الصلاة قال لا ثم قال هل ترك الناس الغسل من الجنابة قال لا ثم قال الطاير يا ذا القرنين اصعد الى هذا القصر فصعد فاذا هو بشخص بهى المنظر قائما على قدميه شاخصا نحو السماء وفي فمه بوق من نور فلما راى ذو القرنين قال له من انت قال انا ذو القرنين فقال له اما كفاك ما قد درت من الارض حتى جئت الى هنا فقال من انت ايها الشخص الجميل فقال انا اسرافيل صاحب الصور فقال مالى اراك شاخصا نحو السما قال انتظر امر ربى متى يامرنى بنفخ الصور ثم ان اسرافيل اخذ حجرا من بين يديه ودفعها الى ذى القرنين وقال خذ هذا الحجر فان شبعت هى شبعت انت وان جاعت جعت فاخذه ذو القرنين ومضى فلما خرج

من تلك الظلمة وجد عسكره فى المكان الذى تركهم فيه فشرع يحدث عسكره بما راى من العجايب وما عاين فى غيبته فى الظلمات ثم ان ذو القرنين جمع علماء مملكته واخرج لهم ذلك الحجر الذى اعطاه اسرافيل فوضعوه فى كفة ميزان ووضعوا قباله فى الكفة الاخرى حجرا قدره فلم يوازن فوضعوا حجرا وحجرا فلم يزالوا يضعوا الحجارة وحجر اسرافيل اثقل فقال العلما لم نبلغ هذا العلم فقال الخضر لذى القرنين هذا مثل ضرب لك اسرافيل لك معناه ان الله اعطاك النبوة والملك والبلاد فلم تشبع وما يشبع ابن ادم الا التراب وهذه الحجر لا يوازنها الا التراب فعند ذلك بكى ذو القرنين رحمه الله **ومن الحكايات** العجيبة قال ابو الفرج الاصبهانى لما رجع ذو القرنين من المشرق والمغرب توجه الى بلاد الصين وحاصر مدينتها اشد محاصرة فلما اشرف على اخذها نزل اليه ملك الصين تحت الليل فلما وصل الى خيمة ذى القرنين قال للحاجب استاذن لى فى الدخول على الملك وقل له ان رسول ملك الصين يريد الدخول اليك والخلوة معك فقال الحاجب ذلك لذى القرنين فاذن له بالدخول بعد ان فتشوه هل يكون معه سلاحا خوفا من الغدر فلم يجد وامعه شياء فادخلوه فلما خلا به قال ملك الصين لذى القرنين اعلم انى ملك الصين ولست برسول وقد حضرت بين يديك لاسالك عما تريد منى فان كان مما يمكن الانقياد اليه فانى اجيبك اليه واغنيك عن القتال والتعب فقال ذو القرنين وما حملك على الدخول منى فى هذا الوقت فقال له ملك الصين جيبتك لعلمى بانك رجل عارف عاقل وليس بيننا عداوة فان قتلتنى ملكوا اهل الصين غيرى وتنسب انت الى الغدر والى غير الجميل فاطرق اسكندر راسه متفكرا ثم رفع راسه وقال اريد منك خراج ثلاث سنين معجلة الآن ثم بعد ذلك فى كل سنة نصف خراج مملكتك فقال ملك الصين هل تطلب شيا غير ذلك قال لا قال ملك الصين قد اجبتك الى هذا فقال له ذو القرنين فما يكون حال عسكرك بعد ذلك قال ملك الصين ما على ما صنعت من الفضل من مزيد ثم قام ملك الصين شاكرا فلما طلع النهار اقبل ملك الصين بعساكر كثيرة حتى ملاء ما بين الخافقين وضاق بهم رحب الفضا فاحاطوا بعساكر ذو القرنين حتى ايقنوا بالهلاك فبينما هم على ذلك واذا بملك الصين قد اقبل وعلى راسه التاج العديم المثال فلما وصل الى ذى القرنين قال له كانك قد غدرت فيما قلت فقال لم اغدر ولكن اردت ان اريك انى لم اخضع لك عن عجز منى والذى غاب من العساكر اكثر مما قد حضر فقال ذو القرنين قد تركت ما كنت قدرته عليك من الخراج ثم رجع ذو القرنين عن بلاد الصين فبعد ذلك ارسل ملك الصين على سبيل الهدية شياء يساوى اكثر من القدر وصار صديقا وكان ذلك من المروات **قال** ولما غزا اسكندر اهل المشرق اتى اليه اهل بلد وقالوا ندخل فى طاعتك ولكن علينا فى كل يوم اربع رؤس من البقر نقدمهم لحية عظيمة فتاكل بكرة اثنين جملة وعشية اثنين جملة وان تركناها بغير شى تهوش وتخطف مهما وجدت من انسان او حيوان فان كفيتنا امرها دخلنا فى طاعتك بغير قتال فقال اكفيكم شرها ثم امر ان

بتوزين وسلخهما واخذ الجلد وحشاه زفتا وزرنيخا وكلسا ونحو ذلك من المهلكات وقدمهم للحية فابتلعتهم على العادة فما استقر فى بطنها غير ساعة حتى ماتت وكفى شرها ودخلوا اهل تلك البلاد فى طاعته **قال** وهب بن منبه ان ذا القرنين كان يكرم الكهنة ويقربهم اليه فقال لهم يوما من الايام اريد ان تخرجوا كيف يكون امرى فى موتى فنظروا وقالوا لا يموت الا على ارض من حديد وسماء من خشب فصار يتعجب من ذلك وكيف يتفق ذلك واستمر طايفا فى البلاد فمرض واشتد مرضه وعجز عن الركوب فبسطوا له درعا من حديد ووضعوه مطروحا فوقه من الحر وظللوه ايضا بترس من الحر فتفكر فى نفسه فقال هذه الارض الحديد وهذا سما الخشب فايقن بالموت فجد المسير الى ان وصل الى ارض بابل فمات فى مدينتها ودفن هناك وكتب على قبره هذين البيتين

لا تاسفن على الدنيا وزينتها ❊ وريح فوادك منهم ومن حزن

وانظر لمن قد حوى الدنيا باجمعها ❊ هل راح منها بغير القطن والكفن

قال السدى نقل بعض المورخين ان اسكندر ذو القرنين عاش من العمر الف وستماية سنة وهو الذى بنا مدينة همدان والديوسية وشيرك وبرج الحجارة ببعلبك وسرنديب بالهند وغير ذلك من المداين **نكتة** قيل ان رجلا مجذوبا كان اذا مر بالاسواق يعبث بالاولاد ويرجمونه بالحجارة فبينما هو مشغول بهم اذ مر به رجل وعمامته ملفوفة مغرزة على راسه فقال يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض فصار الناس يتعجبون من قوله ووافقته النكتة للحال انتهى **نكتة لاهل التصوف قال** وهب بن منبه عن عمران الجونى لما وهب الله لسليمان بن داود الملك العظيم مر فى بعض الايام وهو على بساط بين السماء والارض على راعى يرعى غنما فقال ذلك الراعى يا سليمان لقد اعطاك الله ما لم يعط احدا مثل ما اعطاك قال فالقت الريح هذا الكلام فى اذن سليمان فامر البساط ان يقف على الارض فوقف واحضر الراعى بين يديه وقال له انت القايل كذا وكذا قال نعم فقال سليمان اعلم ايها الراعى ان ملك سليمان وسليمان يفنوا وان تسبيحة المومن باقية له وافضل من الملك ثم سار سليمان انتهى ما اوردناه على سبيل الاختصار والله اعلم

ذكر قصة اهل الكهف

قال الله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا **قال** السدى الكهف غار فى الجبل والرقيم لوح من رصاص كتب فيه اسما اصحاب الكهف وقصتهم ووضع ذلك اللوح الرصاص على باب الكهف **قال** وهب بن منبه ان اصحاب الكهف كانوا فتية من ابناء الروم وكانوا فى زمن الفترة التى كانت بين زمن المسيح وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يسكنون بارض رومية فى مدينة يقال لها افسوس فلما جاء الاسلام غيروا اسمها وقالوا طرطوس وكان لهم ملك مومن صالح فمات وتولى بعده ملك جبار من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان مشركا بالله عز وجل وكان يعبد الاصنام من دون الله تعالى وكان اولا يسكن عن ناحيه من اعمال الغرب ثم سار الى افسوس فملكها واتخذها دار مملكته وبنى بها قصرا من الرخام

الملون طوله فرسخ في عرض فرسخ وعلق به الف قنديل من الذهب والفضة وغير ذلك واتخذ
في ذلك القصر سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا وجعل فيه من
الجواهر والمعادن واتقنه ونصب ثمانين كرسيا من الذهب والفضة ثمينة وكبيرة وكان يجلس
على السرير ويجلس حوله الوزرا واهل دولته على الكراسي واتخذ الغلمان الصباح حوله خدما
واتخذ من عقلاء مملكته ستة انفس وجعلهم مرجعا لرايه وتدبيره واسماهم تمليخا وكان اكبرهم
ثم ان دقيانوس زاد بجبره وكفره فادعى الربوبية فاستخف قومه فاطاعوه فبينما هو جالس
على سرير ملكه اذ دخل حاجبه وقالوا له ان عساكر الفرس قد طرقت بلاده فاغتم دقيانوس غما
شديدا فلما راى تمليخا ذلك تفكر وقال لو كان دقيانوس الها كما يزعم لما اهتم وحزن فلما اتى
الليل وانصرفوا الى مواضعهم اتى الى تمليخا اصحابه اصحاب الراي فدخلوا عليه فوجدوه مغتم
متفكرا لا ياكل ولا يشرب فقالوا له يا تمليخا ما بالك وما حالك فقل لنا فقال لهم اذا قلت
لكم شيا هو في خاطري هل تفعلوه معي واذا لم تفعلوه تكتموه علي قالوا نعم بل نفعله معك
ولا نتاخر عنك فقال تفكرت في السما من رفعها والشمس والقمر والنجوم من نورهم وسيرهم
وفي الارض من سطحها وفي الانهار من اجراها وفي الليل والنهار فقلت هذا ليس من فعل دقيانوس
وانه مهتم بسبب غيره بل الرب من خلق ما ذكرت فقالوا ونحن ايضا وقع في قلوبنا ذلك
والامر كذلك فقالوا كيف الخلاص من يد دقيانوس فقال لهم تمليخا ما لنا حيلة غير الهرب
والخروج من ملكه ثم ان تمليخا وضع ما عنده من المال في ارض بيته واخذ منها شيا قليلا
خلالا واجتمع الفتية كلهم في مكان واحد وخرجوا من المدينة على هيئة انهم يلعبون قـــ
فكان من لعبهم انهم كانوا يركبون الخيل وياخذون بايديهم صولجانات ويضربون بها الكرة
فلا زالوا كذلك حتى خرجوا من المدينة وابعدوا فتركوا خيولهم وتركوا ثيابهم وساروا حفاة
عراة مجدين السير حتى وجدوا راعيا فطلبوا منه ما فاسقاهم وقال لهم شانكم حسنهم مبين
فقالوا انا امرنا كذا وكذا فقال وانا حصل لي ما انتم عليه واني معكم فاصبروا الى حتى اعطي
الغنم لصاحبه واسير معكم فاعطا الغنم ورجع وسار معهم فلحقهم كلب الراعي فطردوه عنهم
فانطقه الله وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له دعوني اكون معكم احرسكم وانا تقرب
الى الله بخدمتكم فتركوه صحبتهم قـــ السدي كان اسم الكلب قطمير وكان لونه احمر وقيل
كان ابلق ذو بياض وسواد ثم ان الراعي توجه بهم الى جبل فوجدوا فيه مغارا كهفا فدخل فيه
الفتية وكان قريبا من ذلك المكان شجرة وعينا فلما اتى الليل ناموا والكلب رابط على باب
الكهف وهو قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد الاية فلما ناموا وكل الله تعالى بهم ملايكة
يقلبونهم من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين قـــ السدي
كانوا نايمين واعينهم مفتوحة في مغارة مظلمة ويتنفسون ولا يتكلمون وكانت لهم ذوايب
شعر مسبولة على اكتافهم وتطالت اظفارهم وهم في هيبة عظيمة قال الله تعالى وتحسبهم
ايقاظا وهم رقود قـــ فلما رجع دقيانوس من محاربة الفرس سال عن الفتية فقيل له انهم

اتخذوا الها غيرك وهربوا فركب على الفور واتبع الاثر الى ان وصل الى ذلك الكهف فدخل
عليهم وتاملهم فقال لو عاقبتهم ما كنت اعاقبهم باعظم مما هم فيه فتركهم على حالهم وانصرف عنهم
بعسكره وامر بسد باب الكهف فسد عليهم ظنا انهم سيهلكوا جوعا وعطشا ثم بعد ذلك ثلاثمائة
سنة وتسع سنين كما اخبر الله تعالى عنهم في القران العظيم قال تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة
سنين وازدادوا تسعا ثم ان راعيا ادركه المطر في ذلك الجبل فقال في نفسه لو فتحت هذا الكهف
وادخلت اليه الغنم لاظلها من المطر فعالج حتى فتح الكهف وادخل الغنم فرد الله الى الفتية ارواحهم
فانتبهوا وجلسوا فلما راهم الراعي قد قاموا ولى هاربا وساق اغنامه فقعد ذلك فنفضوا عنهم
التراب وسلموا على بعضهم وقالوا لقد غفلنا في هذه الليلة عن ذكر ربنا وخالقنا فقوموا بنا نجاوا
الى عند الشجرة والماء فلم يجدوا الشجرة ولا الماء فتعجبوا من ذلك ثم وجدوا في نفوسهم جوعا
فقالوا لبعضهم ايكم يذهب بورق اي فضة فيشترى لنا طعاما وكانت الدراهم مع تمليخا كما
تقدم ذكر ذلك وهو قوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم هذه فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم
برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا الايات قـــ السدي اراد والازكى اي ليس فيه
لحم خنزير لان قومهم كانوا ياكلونه فقال تمليخا انا اتيكم بطعام ثم نزع ثيابه واعطاها للراعي
واخذ ثياب الراعي ولبسها وتوجه حتى وصل الى باب المدينة فوجد مكتوبا على بابها لا اله
الا الله عيسى روح الله فجعل تمليخا يمر من باب الى باب فيجد مكتوب مثل ذلك على جميع
الابواب ثم دخل فوجد من الناس كثيرا لا يعرف احدا منهم وهو يتعجب فوجد خبازا فوقف عليه
وقال له ما اسم هذه المدينة فقال الخباز اسمها افسوس فقال وما اسمك قال اسمي عبد الرحمن
ثم دفع تمليخا الدراهم للخباز وقال اعطني بهذه الدراهم خبزا فاخذ الخباز الدراهم ونظرها
وصار يتعجب منها ثم قال لتمليخا كانك وجدت كنزا فقال لا ولكن هي من ثمن تمر لي حلاو لا فقال
الخباز ان كنت وجدت كنزا فاعطني منه الربع فقال تمليخا يا هذا انا لي عن هذه المدينة ثلاثة
ايام وقد هربت من الملك دقيانوس وكنت اخذت هذه الورق معي فلما احتجت الى الزاد جيت
اشتري بها طعاما فقال له الخباز ما كفاك ان قلت بعت تمرا لا والان تذكر الملك دقيانوس
اين انت واين الملك دقيانوس وان بينك وبينه مدة تزيد على ثلاث مائة سنة وطال
بينهما الجدال واجتمع عليهما الناس فقبضوا عليه فارتعب تمليخا وظن ان دقيانوس حيا في
في تلك المدينة وانه هو الذي امر بقبضه فلما اتوا به الى الملك وكان ذلك الملك من اصحاب
العقول فقال لتمليخا اخبرنا عن حالك فان كنت وجدت كنزا فلنا منه الخمس لا غير فقال تمليخا
ايها الملك اني من اهل هذه المدينة وحصل لي ما حصل مع دقيانوس وذكر جميع قصته فقال
الملك ان كنت صادقا فارنا دارك ولابد من علامة فيها وبعث الملك معه اعوانه فاسرعوا
به حتى وقفا على باب دار وقال هذه داري فقرعوا باب تلك الدار فخرج اليهم شيخ كبير
فقال اعوان الملك ايها الشيخ ان هذا الرجل يزعم ان هذه الدار داره فانكر الشيخ ذلك وغضب
فقال تمليخا ايها الشيخ ان هذه الدار كانت لي ولي فيها علامة كذا وكذا وكنت في زمن دقيانوس

من خواصه واسمي تمليخا بن قسطنطين فلما سمع الشيخ ذلك اكب على تمليخا وقبله وقال للحاجب
هذا احدى وهو احد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الجبار وكان عيسى بن مريم يخبرنا بقصتهم
ويقول انهم سيبعثوا بعد نومهم ثلاثمائة سنة ثم شاع امره في المدينة واجتمع عليه الناس
واما الملك فانه ركب واتى الى عند تمليخا وجعل يقبل يديه ثم ان تمليخا قال للشيخ ان في الدار تحت
اسطوانة دفينة خذها واستعين بها على كبرك فقال تمليخا اريد ان تمضي الى اصحابي فقال
الملك قم بنا الى اصحابك فتوجه وامر تمليخا الى الكهف فلما وصلوا قال لهم تمليخا قفوا مكانكم
فاني اخشى ان يظنوكم اعوان دقيانوس فسار تمليخا وحده حتى دخل الكهف فقاموا اليه الفتية
واعتنقوه وهنوه بالسلامه فقال لهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فقال تمليخا بل
لبثتم ثلاثمائة سنة وزيادة واخبرهم بما وقع له في المدينة جميعه من اوله الى اخره وظهور
نبي الله عيسى بن مريم وان اهل المدينة واقفون على باب الكهف قاصدين زيارتكم فقالوا
ما الراي فقال تمليخا الراي ان ترفعوا ايديكم بالدعا الى خالقكم بان يقبض ارواحكم في هذه
الساعة اجمعين فرفعوا ايديهم وطلبوا ذلك من الله فماتوا في الوقت والساعة فلما ابطا
تمليخا على الملك تجسس عليهم فراهم موتى فدخل عليهم وجعل يقبلهم واحدا بعد واحد وامر بان
يجعل عليهم تابوت من ذهب فنام تلك الليلة فراى الفتية في منامه فقالوا له انا خلقنا من تراب
لا من ذهب ولا فضة فلما اصبح الملك امر ان يسد عليهم باب الكهف ويبنى على حائطه ويبنى على
باب الكهف مسجدا قال وهب بن منبه وكان في تلك المدينة وكان في تلك المدينة ملكان
ملك مومن وملك كافر فاراد الكافر ان يبني على باب المسجد كنيسة فمنعه المومن فاقتتلا فقتل
الكافر وهو قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا الاية قال العزيزي ان الكهف
الذي مات فيه الفتية هو بمدينة ايلسه من غربها والله اعلم

ذكر قصة يونس عليه السلام

قال الله تعالى وان يونس لمن المرسلين الاية وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى قال كعب الاحبار رضي
الله عنه كان في بني اسرائيل خمسمائة رجل من الزاهدين لباسهم المسوح وزادهم الخبز الشعير
ولم يكن يومئذ من يوحى اليه الا زكريا عليه السلام فاوحى الله اليه ان يختار من الخمسمائة مائة
ثم اوحى الله اليه ان يختار من المائة خمسين ثم اوحى الله اليه من الخمسين عشرين ثم اوحى الله اليه
ان يختار من العشرين رجلا واحدا فاختار يونس بن متى عليه السلام ولم يكن في القوم اشد
تعبدا منه ثم اوحى الله الى زكريا ان يبشر يونس بالنبوة وقد جعله الله نبيا فبشره فخر
يونس ساجدا لله تعالى قال العزيزي ان متى ابو يونس كان رجلا صالحا وكان بارض
فلسطين ولم يكن له ولد ذكر فلما كبر سنه ولم يكن له ولد فاتى الى عين ايوب فاغتسل
منها هو وزوجته وصليا ركعتين ودعيا الى الله ان يرزقهما ولدا ذكرا فاجاب الله تعالى دعاها
ورزقهما يونس عليه السلام وجعله نبيا مرسلا ثم ان يونس خرج من بيت المقدس وساح في
الارض في الاودية والجبال فبينما هو كذلك اذ هبط عليه جبريل على صورة رجل فقال له يا يونس

ان الله تعالى يامرك بان تتوجه الى مدينة نينوى وهي قرية من قرى الموصل وكان بها ملك من
ملوك الروم يعبد الاصنام من دون الله تعالى وكان هذا الملك يقتل من يدعوه الى الله فعند
ذلك توجه يونس بزوجته واولاده على اتان واخذ معه جماعة من اعيان بني اسرائيل وكان عمر
يونس يومئذ اربعين سنة فلما وصل الى نينوى نزل في غار على جبل وبجانبه عين ماء ثم قال
لزوجته كلي من عشب الارض واشربي من ماء هذه العين وانتظريني عند تمام اربعين يوما فان
جئت فاني اجي عند الاربعين وان ابطيت فاعلمي اني قد قتلت لا قتل غيري والامر بيد الله
ثم اخذ عصاه ومضى حافيا مكشوف الراس فلما وصل الى نينوى صعد على تل عال وصاح
باعلا صوته لا اله الا الله واني يونس رسول الله فاجتمع القوم حوله وضربوه ضربا
مولما حتى غشي عليه فاوحى الله الى طاير فقال له الورشان بان تجعل بجناحيه الماء وترشها
على وجه يونس عليه السلام فلما فعل الطير ذلك افاق يونس ثم قال مثل الاول بصوت عال
فالقى الله صوته في اذن الملك فتغير لون الملك وارتعب من ذلك فقال لمن حوله ما هذا
الصوت فقالوا له قد دخل المدينة غلام مجنون فغير فقال له يونس يزعم ان في السما اله
يعبد فامر الملك بسجن يونس فسجن في مكان ضيق مظلم فامر الله تعالى جبريل ان ياتيه
بقنديل من الجنة ويعلقه في سجن يونس وياتيه بطعام وشراب من الجنة فاقام يونس في
السجن نحو اربعين يوما ثم امر الملك بعد ذلك باحضار يونس بين يديه ليقتله فلما
دخل الوزير السجن وجد القنديل ويونس قايما يصلي ووجد السجن قد امتد مدى البصر
فتعجب الوزير من ذلك وقال يا يونس من فعل معك هذا فقال يونس هذا من صنع ربي
فقال الوزير يا يونس ان انا امنت بربك ماذا يصنع معي فقال يغفر ذنوبك ويسكنك
جنته فقال الوزير اشهد ان لا اله الا الله وانك يا يونس رسول الله فخرج الوزير مسلما
واتى الى الملك وقال ايها الملك اني دخلت على يونس فرايت قنديلا وهو يضي ويونس
يصلي ورايت السجن واسعا مدى البصر ورايت عنده مايدة فقلت له من فعل بك ذلك
فقال ربي فامنت بربه فلما سمع الملك غضب على الوزير ثم امر باحضار يونس فقال له
يا يونس اسندت بسحرك عيني اخرج من قريتنا فخرج حتى وصل الى اهله فاوحى الله اليه
بان يرجع الى نينوى ويدعوهم اربعين يوما اخرى فان اجابوا والا ارسلت عليهم العذاب
فقال يونس يا رب وما علامة العذاب فاوحى الله اليه ان لم يجيبوك ان في اليوم الحادي
والثلاثون تصفر وجوههم وابدانهم وفي اليوم الرابع والثلاثون تحمر وجوههم وابدانهم
وفي اليوم السابع والثلاثون تسود وجوههم وابدانهم فاذا كان يوم الاربعين فاني منزل
عليهم العذاب فلما رجع يونس الى نينوى صعد على التل ونادى باعلا صوته لا اله الا الله
واني يونس رسول الله يا قوم اجيبوا امر الله فاجتمع حوله القوم ورجموه بالحجارة وسبوه
فقال لهم يونس ان لم تجيبوني الى توحيد الله فان ربي ينزل عليكم العذاب بعد اربعين يوما
وعلامة العذاب في اليوم الحادي والثلاثين تصفر وجوهكم وابدانكم وذكر لهم ذلك كله

فلم يزل يونس يدعوهم ويؤذونه ويضربونه الى الثلاثين فاوحى الله الى يونس ان يخرج بعد
الاربعين فاصفرت وجوههم وابدانهم وبعد ذلك احمرت وبعد ذلك اسودت فخرج يونس
من بين القوم فعند ذلك دخل القوم الى الملك وقالوا له اما ترى ما قد حل بنا وهذا ما وعدنا
به يونس من البلا فقال لهم الملك اذهبوا الى اصنامكم واسالوها في كشف ذلك عنكم فتوجهوا
نحوها وكانت اصنامهم منها من ذهب ومنها من فضة ومنها من خشب ومنها من حجارة فقربوا
لها القرابين وسالوها في كشف ذلك عنهم فاوحى الله الى الملك الموكل بالسحاب بان ينشر عليهم
غمامة سودا مظلمة مملوة بالحجارة والنيران فدنا منها من القوم فادناها منهم فنزل منها الصواعق
واظلمت الدنيا فعند ذلك دخل القوم الى الملك وقالوا ان كنت الها فادفع عنا ما نزل بنا
فقال الملك امهلوني قليلا ثم ركب جواده وخرج الى الصحرا وصعد على جبل عال ونظر يمينا
وشمالا ثم عاد وقال يا قوم لا يهولكم امر هذه السحابة فان بها مطرا شديدا ورعدا مهولا
قال كعب الاحبار فلما دنت منهم السحابة وصارت فوق رؤسهم واحسوا بحرها ضاقت
انفسهم وزاد بهم القلق وغلت جماجم رؤسهم حتى كان الرجل يسمع غليان راسه ورفيقه
فدخل القوم الى الملك فقالوا له هذا العذاب الذي وعدنا به يونس فقال لهم الملك فليعهد
كل منكم الى صنمه فيكسره قال كعب الاحبار فكسروا اصنامهم ثم اقبل الملك عليهم وقال
لهم اطلبوا يونس اين كان فالحقوا معه فانه كان ناصحا فطلب القوم يونس فلم يجدوه فقال
الوزير اني كنت اسمع يونس يقول ان ربه حاضر في كل مكان ولا يخلو منه مكان فان كان يونس
غاب فان ربه حاضر لا يغيب فعند ذلك اسرع الملك فلبس الصوف وغل يديه الى عنقه
فصنع القوم جميعهم مثل ما صنع الملك بنفسه وخرجوا الى الصحرا وصعدوا على تل عال فصف
الملك الناس صفوفا فجعل الشيوخ بين يديه والشباب من وراهم ومن ورا الشباب الاطفال
ومن وراهم النسا وبسطوا الجميع ايديهم واخذوا بالسوال الى اله يونس بان يرفع عنهم
العذاب واعلنوا بالبكا والنحيب والتوبة فكانت ساعة عظيمة فكانوا يقولون الهنا
واله يونس لا تخيب السايلين فانك كريم رحيم لا اله الا انت ربنا ورب كل شي فعند
ذلك اوحى الله الى جبريل ان يرفع عنهم العذاب فرفع وكشف ذلك باذن الله تعالى فكان
كما قيل

يا طالبا ربه بصدق ● بادر وانجلت الخطوب ●
واقصد كريما بلا توان ● فسايل الله لا يخيب ●

قال كعب الاحبار لما رفع الله عنهم العذاب تقطع اربع قطعات فقطعة وقعت على
جبال صقيا فجا منها معادن الرصاص وقطعة وقعت على بعض الجبال في الفلوات فهي لا تنبت
فيها شي الى ان تقوم الساعة وقطعة وقعت على اهل نينوى فكانت اشد بياضا من الكافور
واطيب رايحة من المسك ثم يتطيبون بها الى يوم القيامة قال كعب الاحبار ثم ان الله
تعالى رد على القوم اموالهم وجعل يهني بعضهم بعضا بالسلامة من العذاب قال ثم ان ابليس
اللعين اتى الى يونس على صفة راعي فقال له يونس ايها الراعي من اين اقبلت قال من نينوى

فقال

فقال له يونس ما فعل الله باهلها فقال ابليس انهم انتظروا العذاب الذي وعدهم به يونس
فلم ياتهم ورفعه الله عنهم وعزموا على قتل يونس لانه كذب عليهم حيث لم ينزل عليهم عذابا
فلما سمع يونس ان العذاب لم ينزل بهم غضب غضبا شديدا قال قتادة ان يونس لم يغضب
على الله وانما كان غضبه على قومه لانهم كانوا كذبوه وقال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا
فظن ان لن نقدر عليه الاية قال كعب الاحبار فاتى يونس واخذ زوجته واولاده وحملهم على
ناقته واتى بهم الى شاطي الدجلة فركبوا في سفينة فانخرقت السفينة فانفلتت زوجته بلوح
منها وذهب بها الما وبقي يونس مع اولاده فركب في سفينة اخرى ومعه ولد فوضعه وخرج
الى البر ليأتي بولده الاخر فنظر الى ولده الذي وضعه في السفينة فوجد الما قد اخذه فتقدير
من الله في وقوعه في الما فلم يستطع يونس انقاذه فطلع الى البر فوجد ولده الاخر قد احتمله
ذيب ومضى به فبقي يونس وحيدا فعلم ان ذلك عقوبة من الله له فجلس على شاطي الدجلة
فمرت به سفينة فقال له اهلها ان اردت ان تركب معنا فركب وسارت السفينة فلما توسطت
الما وقفت ولم تتحرك فاعيا الملاحين امرها فقال الملاح هل فيكم احد مذنب فقال لهم يونس
انا المذنب فلم ياخذوه بقوله حتى ارموا القرعة فوقعت عليه ليرموه في الما وكان هذا
من عادة السفن اذا لم تسير فيكون فيها مذنب فيرموه فتسير قال فاقترعوا اولا وثانيا
وثالثا فلم تقع القرعة في ذلك الا على يونس فقام يونس على قدميه ولف جسده في عباة وشد
وسطه وتقدم الى جانب السفينة ليرمي نفسه فراى الامواج تضطرب فتحير يونس في
نفسه فاوحى الله تعالى الى الحوت بان يحمل يونس في بطنه ويكون مسجده فشق ذلك الحوت
جميع البحار حتى وصل الى السفينة فراى يونس واقفا على جانب السفينة فقال الحوت يا يونس
ما وقوفك وانت المطلوب فزج يونس في الما فوصل الى فم الحوت فاوحى الله الى الحوت
اني لم اجعل يونس لك رزقا وانما جعلتك له حرزا فلا تخدش له لحما ولا تمزق له جلدا
ثم ابتلع حوت يونس حوت اخر ومضى الى قعر البحار ثم ان يونس قام على قدميه في بطن
الحوت وقال الهي وسيدي اني اسجد لك في مكان لم يسجد فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب
فصار يونس يسجد على كبد الحوت قال كعب الاحبار انجلد الحوت رق ليونس حتى كان
ينظر ما في البحار من العجايب من حيوانات المختلفة الاجناس وكان يسبح في بطن الحوت وكان
يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فسمعته الملايكة يسبح في بطن الحوت
فقالوا ربنا انا سمعنا صوتا ضعيفا لم نسمعه قبل ذلك فاوحى الله تعالى اليهم هذا صوت عبدي
يونس عصاني فسجنته في بطن حوت فسجدوا وقالوا الهنا وسيدنا ومولانا شفعنا
فيه فشفعهم الله تعالى وهو قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
وقال تعالى فنادى في الظلمات قال ابن عباس في تفسيره كانت الظلمات ظلمة الليل
وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وكان اسم ذلك الحوت النون قال كعب الاحبار امر الله
تعالى الحوت بان يقذف يونس من بطنه في تلك الساعة فقذفه من بطنه في المكان الذي اخذ

منه قيل لما اراد الحوت ان ينبذه اتى اليه جبريل وناداه من فم الحوت فقال السلام عليك يا يونس رب العزة يقريك السلام فقال يونس مرحبا بصوت كنت اخشى ان لا اعدت اسمعه فبشره بخروجه وقال للحوت اخرجه باذن الله فاخرجه فجعل الحوت يبكي ويقول لا اوحشني الله منك ومن تسبيحك يا يونس قيل انه خرج مثل الفرخ من حرارة بطن الحوت قال الشعبي ومجاهد مكث يونس في بطن الحوت اربعين يوما وقيل ثلاثة ايام وهو قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو مذموم قال كعب الاحبار لما خرج يونس مثل الفرخ الذي لا ريش له وقد وقع شعره فانبت الله له شجرة كالقبة لها اربعة ابواب تخرج منها الرياح قال ابن عباس هي شجرة اليقطين وهي شجرة القرع قال كعب الاحبار ان تلك الشجرة حملت من يومها اثنين وثلاثين صنفا من الفواكه وانبع الله تعالى في اصلها عينا ابرد من الثلج واحلى من العسل وارسل الله له غزالة ترضعه من ثديها قال الثعلبي ان ببلاد البجه من اعالي الصعيد دابة تشبه الغزلان قرونها واظفارها مثل لون الذهب وهي التي كانت ترضع يونس من نسلها قيل انه نام فلما انتبه انتبه نوبا فلم يرى شيا من ذلك فاوحى الله اليه ان قم وامض الى اهل نينوى فانهم لما تابوا انبت عليهم ورفعت عنهم العذاب فسار نحوهم فبينما هو سائر اذ مر براعي يرعى غنما فقال له يونس هل من شربة ماء فقال له الراعي ابشر فحلب وسقاه ثم جلس عنده فقال يونس من اين انت يا راعي قال من نينوى فقال كيف اهلها قال يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقال يونس احب ان يكون لك عندهم جاه وشان عظيم فقال نعم قال فامض اليهم وبشرهم ان فيهم يونس بالحياة فقال له اخاف ان اكذب بينهم فقال يونس خذ هذه الشاة فانها تشهد لك باني يونس نبي الله فلما علم الراعي صدق ذلك توجه الى اهل نينوى ومعه الشاة فبشرهم فاجتمع عليه القوم وكذبوه فقال لهم ان معي شاهدا وهو هذه الشاة فاحضرها بين يدي الملك فقال الراعي ايها الشاة بما تشهدين فانطقها الله وقالت ان يونس نبي الله حي يرزق وانا احلب منه اللبن وشرب فلما سمع القوم ذلك خرجوا من وقتهم وساعتهم وصحبتهم الملك وبادروا يلتقون يونس فوجدوه قايما يصلي فكانوا ياخذون التراب من تحت اقدامه ويجعلونه على رؤسهم تبركا ثم اخذوا يونس بينهم ودخلوا به المدينة وجددوا اسلامهم على يديه فبينما هو جالس بينهم اذ جاءه صياد وقال يا نبي الله اني وجدت في الشبكة مولودا من احسن الناس فقال هو ولدي فاتي به ثم اتى رجل اخر وقال يا نبي الله اني رايت ذيبا في فمه ولدا من احسن الناس فرماه عندي فقال هو ولدي فاتى به ثم اتاه رجل اخر فقال اني رجل تاجر فسافرت فلما كنت على شاطي الدجلة فرايت امراة عريانة فلبستها اثوابا وجعلتها اختا لي فقال هي زوجتي ورب ابراهيم فجمع الله شمله بولديه وزوجته على احسن وجه واقام يونس بنينوى مدة طويلة وهو يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم بعد ذلك توجه الى الكوفة فمات بها ودفن هناك على ما قيل والله اعلم

ذكر قصة زكريا وولده يحيى

عليهما السلام قال الله تعالى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا قال وهب ابن منبه هو زكريا بن اذن من اولاد سليمان بن داود عليهم السلام وقال الطبري هو زكريا ابن يوحنا وكان نبيا صليبا في الدين فلما مر عليه مائة وعشرون سنة ولم يرزق ولدا ذكرا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال السدي هو اول من سمي يحيى قبل الخلايق فلما سمع زكريا ما قالته الملائكة فقال لهم وما علامة ذلك فاتاه جبريل وقال له يا زكريا لا تكلم احدا من الناس ثلاث ليال سويا فقال زكريا يا جبريل انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال له جبريل قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال السدي ان زوجة زكريا حاضت من يومها فلما واقعها زكريا حملت منه بيحيى فلما وضعته كبر وانشا واعتكف على عبادة الله تعالى لا ياكل ولا يشرب الا انه لا يمل من البكا قال السدي كان في زمن يحيى ملكا من الملوك والملك مغرم بحب النسا الحسان وكان له زوجة ولها بنت من غيره فارادت زوجته تزوجه ببنتها فقال الملك حتى نسال يحيى بن زكريا فساله فقال يحيى لا يجوز ذلك فقالت زوجة الملك للملك لا بد ان تقتل يحيى فامر بقتله فاجتمع علماء بني اسرائيل وقالوا للملك ان قتلت يحيى ووقع منه دمه قطرة على الارض لا ينبت فيها الزرع ابدا قال العزيزي فاحضر الملك طشتا من نحاس وامر بذبح يحيى في ذلك الطشت فلما قدموه للذبح لم يتكلم يحيى بشي ابدا فذبحوه ولم ينزل على الارض من دمه شي ثم طلب الملك زكريا ابا يحيى ليقتله ايضا فلم يجده فهرب فلم يجد قدامه الا شجرة فقال لها زكريا ايها الشجرة هل تجيري زكريا من القتل فانشقت الشجرة فدخل زكريا في جوفها وانطبقت عليه كما كانت فلحقه اعوان الملك فلم يجدوه فجاء ابليس في صورة رجل ودلهم على زكريا انه في تلك الشجرة فاتوا بمنشار وركبوه على الشجرة فنشروها به نصفين قال السدي لما وصل المنشار الى راس زكريا صاح وقال آه فنزل اليه جبريل وقال له يا زكريا ان الله تعالى يقول لك ان قلت آه مرة ثانية لامحونك من ديوان الانبيا فسكت وصبر قال الثعلبي مات زكريا وله من العمر نحو ثلثمائة سنة وقيل دون ذلك والله اعلم قال السدي ان الشجرة التي نشر بها زكريا كانت بنابلس ودفن هناك ثم نقل الى بيت المقدس ودفن به قال السدي ان يحيى ذبح في دمشق ودفن راسه بها ودفنت جثته بفلسطين ثم نقلت الى بيت المقدس ودفنت به قال الثعلبي مات يحيى وله من العمر خمسة وثمانون سنة قال قتادة لما دخل بخت نصر الكابلي الى دمشق فراى دم يحيى يفور ويغلي على الارض مثل غليان القدر ورفع يقتل فوقه من بني اسرائيل حتى بلغ قتله فوق الدم سبعين الف انسان فعند ذلك سكن الدم قليلا قال زيد بن واقد لما عمر الوليد بن عبد الملك بن مروان مسجده الذي بدمشق وكلني على البنايين فبينما انا واقف عليهم اذ لاحت لنا مغارة وبابها مسدود بالحجارة فعرفنا الوليد بذلك فلما دخل الليل اتى الوليد الى المسجد وبين يديه الشموع فوقف على تلك

المغارة وامر بفتحها ففتحت بحضرته فراى بها مكانا مربعا نحو ثلاثة اذرع فى ثلاثة اذرع ووجد بها صندوقا مقفولا بقفل من حديد ففتحه فراى فيه راس انسان وعليه شعر وهو على هيئته لم يتغير منه شى من محاسنه ووجد فى ذلك الصندوق لوح من رخام ابيض مكتوب فيه هذا راس يحيى ابن زكريا فلما راى الوليد ذلك قبل الراس وامر بعوده الى ما كان عليه والصندوق الان تحت العمود الذى فى شرقى الجامع المعروف بعمود السكاسك وهو السفط الرابع من العواميد من جهة الشرق والله اعلم انتهى على سبيل الاختصار

ذكر قصة مريم وولدها عيسى عليه السلام

قال الله تعالى واذ قالت الملايكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين الاية قال وهب بن منبه حنه ام مريم اخت زوجة زكريا وكان ابو مريم رجل من بنى اسرايل يقال له عمران وكان امام المسجد الاقصى فلما حملت حنه بمريم املت ان يكون حملها ذكرا فقالت ان ولدت ولدا ذكرا يكون خادما للمتعبدين فى المسجد الاقصى يسقى لهم الماء عند الافطار ويحمل لهم الزاد على راسه ولهذا قالت رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فلما اخبرت زوجها عمران بما نذرت فقال لها لقد اخطات فيما نذرتى فربما تلدين بنتا فكيف تخدم الرجال فى المسجد فلما وضعتها وجدتها انثى وهو قوله تعالى قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم الاية فضاق صدرها من ذلك النذر ومعنى مريم اى لا عيب فيها ثم ان عمران ابو مريم مات ومريم صغيره رضيع ثم ماتت حنه ام مريم بعد زوجها بمدة يسيرة فصارت مريم فى كفالة زكريا زوج خالتها فكانت خالتها تربيها من بعد امها قال السدى كان زكريا فقيرا فلما كفل مريم فكان اذا دخل على مريم وجد عندها فاكهة الصيف فى اوان الشتا او فاكهة الشتا فى اوان الصيف وهو قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب قال وهب بن منبه كانت مريم تتعبد من صغرها وكان الناس يتعجبون من عبادتها على صغرها فلما بلغت مبالغ النسا اتاها الحيض فلما خرجت الى العين هناك لتغتسل بعد طهرها جاء اليها جبريل عليه السلام فى صورة شاب من بنى اسرايل يقال له تقى وكان مشهورا بالحسن والجمال وهو قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال اى جبريل انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا الايات فنفخ جبريل فى زيقها فخلق الله تعالى من تلك النفخة عيسى عليه السلام قال بعض العلما ان الله تعالى خلق ادم من غير اب ولا ام وخلق حوى من اب بلا ام وخلق ساير المخلوقات من اب وام فاراد الله تعالى ان يكمل العناصر فخلق عيسى من ام بغير اب قال الله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال وهب بن منبه كان مدة حمل مريم بعيسى ساعة واحدة وذلك قوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا قال ابن عباس رضى الله عنه كان مدة حمل مريم بعيسى ثمانية اشهر وانكر هذا من قال اذا كان الحمل ثمانية اشهر

فان المولود

فان المولود لا يعيش قال مجاهد كان حملها تسعة اشهر كعادة النسا قال السدى وكان وضعه بيت لحم الذى بيت المقدس وكانت ولادته ليلة الاثنين التاسع والعشرين من كيهك من شهور القبط وليلة الميلاده عند النصارى وفيها يشتد البرد فلما جاءها الطلق قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا الاية قال وهب ابن منبه كان هناك نخلة يابسة لها سبعماية سنة يابسة لم تثمر ففى تلك الليلة اخضرت واثمرت وصار البلح رطبا جنيا فكانت تهز النخلة والتمر يتساقط كما فى القران العظيم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط الاية وقيل فى المعنى

ألم تر ان الله قال لمريم ۞ اليك فهزى الجذع تساقط الرطب
ولو شاء اجنى الجذع من غير هزه ۞ ولكن كل الامور لها سبب

قال السدى لما وضعت مريم عيسى انكر القوم عليها كما قال الله تعالى قالوا يا مريم لقد جيت شيا فريا يا اخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا قال وهب ابن منبه ليس المراد بقوله تعالى يا اخت هارون ان هارون كان اخوها من النسب ولكن كان هارون رجلا عابدا وهى متعبدة فكان اخوها بالعبادة اى هى متعبدة كما كان هو متعبدا والمراد بهارون هارون اخو موسى وبين مريم وهارون مدة تزيد على الف وثمانماية سنة قال فلما سمعت توبيخ قومها قالت كلموا هذا المولود فقالوا ان هذا المولود لا ينطق وكيف نكلم من كان فى المهد صبيا فعند ذلك انطقه الله انطق كل شى فقال عيسى وهو فى المهد كما اخبر الله تعالى انى عبد الله اتانى الكتاب الاية لطيفة قيل ان جماعة من النصارى دخلوا على الامام على رضى الله عنه وقالوا ان عيسى نطق فى المهد ومحمد لم ينطق فقال على رضى الله عنه كان محتاجا لنطقه ليبرى امه فيما قالوا عنها قومها ومحمد صلى الله عليه وسلم ولد بين ابوين فلم يكن محتاجا الى النطق فخزى النصارى من هذا الجواب قال الشيخ حماد ادنت لنصرانى ان يقال ما يريد حيث كان يريد ان يقال فقال ذلك النصرانى رايت فى الانجيل مكتوب يا عيسى انت نبى وانا ولدتك من عدلا فقال الشيخ للنصرانى كذبت وانما قال يا عيسى انت نبى وانا ولّدتك من عذرا بتشديد اللام فقال النصرانى هذا هو الصحيح فاسلم النصرانى ومضى مسلما مومنا وحسن اسلامه قال وهب بن منبه لما كبر عيسى عليه السلام كان سواحا لم يتخذ دارا ولا مسكنا وكان لا ياكل الا من غزل امه قال الواقدى لما ساح عيسى عليه السلام اتى الى الوبوة التى بجيرون من اراضى الشام فاقام بقرية هناك تسمى الناصرة واليها ينتسب النصارى الى اليوم فاوى بها هو وامه وقد قال الله تعالى واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال الواقدى لما تبعه كثير من الناس فاغتاظ قدر اليهود فاراد ملك اليهود واسمه هيرودس ان يقتله فخافت مريم على عيسى وخرجت به من بيت المقدس ومعها يوسف النجار وكان من عباد بنى اسرايل فدخلوا الى مصر وهو ابن سنة ويقال ثمان

وكانت ثيابهم قد اتسخت فغسلوها من بير هناك فوابرشو الماء فانبت الله البلسان هناك حول البير ويعرف ايضا بالبلسم ولا يوجد في بلاد مصر الا في ذلك المكان وهذا سبب تعظيم النصارى للبلسان ويتغالون في ثمنه لاسيما الفرنج ويقولون لا يصح عندهم التنصير الا اذا كان في ماء المعمودية شيء من دهن البلسان ويغمسون فيه وروى الواقدي لما دخل عيسى الى ارض مصر كان في مكان هناك فرس من نحاس وكان كلما دخل غريب بمصر صهل ذلك الفرس فلما دخل عيسى نكست تلك الفرس وبطل عملها ولما مر عيسى عليه السلام في مصر وراى الجبل المقطم قال يا اماه هذه البقعة من مقابر امة محمد وهم غراس الجنة ق وهب ابن منبه ان عيسى اقام بمصر اثني عشر سنة حتى صار له من العمر ثلاثين سنة ثم خرج واتى الى الاردن وابتدا بالدعوة من هناك واتى دمشق واشتهر امره بانه يحيي الموتى لان احيى الله على يديه رجلا يقال له عازر ويبرئ الاكمه والابرص باذن الله فاجتمعت اليه اليهود وقالوا له يا عيسى لن نؤمن لك حتى تحيي لنا العزير فقال لهم عيسى دلوني على قبره فاتوا به الى قبره فصلى هناك ركعتين ودعا الى الله فجعل التراب ينفرج عن القبر قليلا قليلا حتى ظهر منه العزير عليه السلام وقد ابيض راسه ولحيته فقال لعيسى هذا شغلك يا ابن مريم فقال بل قومك طلبوا معجزة لي ليؤمنوا بي ثم جلس العزير وقال يا قوم امنوا برسالة عيسى فانه على الحق من ربه فقال القوم يا عزير انا نعهدك شابا فمالك شائبا فقال لما قيل لي قم باذن الله حسبت القيامة قد قامت فشاب راسي ولحيتي قال فامن من القوم في ذلك اليوم ناس كثير ثم ان عيسى دعا الى الله بان يرد العزير ميتا كما كان فعاد ميتا كما كان

ذكر نزول المائدة

قال الحواريون يا عيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فقال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين فعند ذلك لبس عيسى المسوح وخرج الى الصحرا ووقف خاشعا وطاطا راسه وقال اللهم انزل علينا مائدة من السما تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين فاوحى الله تعالى اليه كما قال تعالى اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه الاية ق فانزل الله تعالى سفرة حمرا مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون اليها وعيسى يقول اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها نقمة فلا زالت تنزل قليلا قليلا حتى صارت بين يدي عيسى فنظروا فاذا هي سمكة مشوية وحولها سائر البقولات وعند راسها شيء من الخل والملح وعند ذنبها خمسة ارغفة حار وعلى كل رغيف شيء من الرمان والزيتون والتمر وكان الحواريون الذين سالوا عيسى اثني عشر رجلا وهم شمعون الصفا وشمعون القناني ويعقوب الزبدي ويعقوب بن حلفى وتولوس وماروتس واندروس ودغلا ويوحنا ولوقا وتوما ومتى وكان شمعون الصفا اكبرهم قدرا فقال لعيسى يا روح الله هذه السمكة من طعام الدنيا ام من طعام الجنة فقال عيسى ما اخوفني عليكم ان تعذبون فقال الحواريون يا عيسى انت اول من ياكل من هذه السمكة فقال لهم عيسى معاذ الله انما

ياكل منها

ياكل منها الا الذي سالها فابوا ان ياكلوا خشية ان تكون فتنة فعند ذلك نادى عيسى عليه السلام الفقراء والمساكين واصحاب العاهات من المجذوم والبرص والعميان والمقعدين ان ياكلوا منها فاكلوا وكانوا نحو الف وثمانمائة انسان فكلهم بريوا باذن الله تعالى وفي المعنى قال ابن الفارض

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى ** وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم
ولو جليت يوما على اكمه غدى ** بصيرا ومن راووقها تسمع الصم

ق ولما تسامع الناس بذلك ازدحموا عليها واتوها من سائر الاقطار الاغنيا والفقرا فكان لا يتاخر عنها احد فعند ذلك قسم عيسى للفقرا يوما وللاغنيا يوما فكانت تنزل كل يوم فصارت تنزل يوما بعد يوم ق مجاهد كانت تنزل وقت الضحى فاذا اشبعوا الناس ارتفعت ق الواقدي كانت تنزل في مدينة صهيون ق وهب بن منبه قال جماعة من اسرائيل وشكوا بذلك انها ليست من عند الله فلما ظنوا ظن السوء مسخهم الله خنازير وكانوا ثلاثين انسانا فجاؤوا وانتبوا بين يدي عيسى وهم يبكون وندموا على ما قالوا فدعا عيسى عليهم بالموت فماتوا وابتلعتهم الارض انتهى ق السدي فرق بعض العلما بين السفرة والمائدة فقال السفرة ما كانت بعلائق والمائدة ما كانت بغير علائق والان يسمون الاعاجم المائدة سماط ق كعب الاحبار لما ان ظهرت ملة عيسى عليه السلام ورغب الناس في الدخول اليها انحطت ملة اليهود الى الغاية وانزل الله الانجيل على عيسى وهو قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا الايات ق وهب بن منبه فلما راى هردوس ملك اليهود ذلك عزم على قتل عيسى ووافقه على ذلك جماعة من احبار اليهود فهجموا على عيسى وهو عند امه فتبقروا رجالاتهم وكشفوا راسه والبسوه تاجا من شوك وطافوا به في المدينة وصلبوه على خشبتين وصاروا يبصقون على وجهه وهو يقول انا فلان ابن فلان وهم يظنوا انه عيسى وقد قال الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ق العزيزي ان الرجل الذي شبه لهم اسمه اشيوع وكان من احبار اليهود ق الثعلبي لما رفع عيسى كان عمره ثلاثة وثلاثين سنة ق السدي ان عيسى رفع من كنيسة السلبق ببيت المقدس فلما رفع عيسى كساه الله الريش والبسه النور مثل الملائكة وقطع عنه الماكل والمشرب وصار ملكا ارضيا سماويا وهو حي الى الان يرزق من الجنة وهذا مذهب اهل السنة ق الثعلبي توفت مريم بعد رفع ولدها بست سنين وكانت مدة حياتها ستين سنة ودفنت ببيت المقدس ق الشيخ عبد العزيز الديريني ردا على النصارى لزعمهم ان عيسى قتل

عجبا للمسيح بين النصارى ** حيث قالوا ان الاله ابوه
ثم قالوا ابن الاله اله ** ثم قاموا بجهلهم عبدوه
ثم جاؤوا ابني العجب منذا ** حيث قالوا بانهم صلبوه
ليت شعري وليتني كنت ادري ** ساعة الصلب اين كان ابوه

حين خلا ابنه رهين الاعادي ۞ اتراهم ارضوه ام اغضبوه
عجبي للمسيح بين النصارى ۞ والى اي والد نسبوه
اسلموه لليهود وقالوا ۞ انهم بعد قتله صلبوه
اذا الان ما يقولون حقا ۞ وصحيحا فاين كان ابوه
فلئن كان راضيا باذاهم ۞ فاحمدوهم لانه عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه ۞ واعبدوهم لانهم غلبوه

وقال شمس الدين بن الصائغ يحتوي على عروضه واجاد حيث قال

اعباد المسيح لنا سؤال ۞ نريد جوابه ممن وعاه
اذا مات الاله بفعل عبد ۞ يهودي فما هذا الاله
وهل يبقى الوجود بلا اله ۞ سميع يستجيب لمن دعاه
ومن رزق البرية وهو ميت ۞ ومن حفظ الوجود ومن حواه
وهل هو عاد للاشياء حيا ۞ الهام تولاه سواه
وهل رضي المسيح الصلب عمدا ۞ وسكن القبر ام ارضى اباه
والا عنوة فالعبد اقوى ۞ من المعبود يفعل ما يراه
فمن يفهم لما قلنا جوابا ۞ يجيب والا فلينفي ما افتراه

قال ابن زولاق ان الملكة هيلانه ام الملك قسطنطين وهي التي بنت كنيسة القمامة ببيت المقدس ولما توجهت الى بلاد الافرنج اخذت معها الاخشاب التي زعم النصارى صلب عيسى عليها فصنعت لتلك الاخشاب بيوتا من ذهب كالقرابات واغلقتهم بها وصنعت منهم المنبر الخام والكافور واتخذوا عيدا مثل اليوم الذي زعموا انه قتل عيسى فيه وسموه عيد الصليب وكان عيسى نبيا مرسلا من اولي العزم وبينه وبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وقال الكلبي خمسمائة سنة منها زمن الفترة

ذكر اخبار نزول عيسى عليه السلام الى الارض

قال اوس الثقفي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينزل عيسى بن مريم عند قيام الساعة ويكون نزوله عند المنارة البيضا التي بشرقي جامع دمشق وصفته مربوع القامة اسود الشعر ابيض اللون فاذا نزل يدخل المسجد ويقعد على المنبر فيدخل المسلمون والنصارى واليهود فيزدحموا عليه فياتي موذن المسلمين فيوذن ويقيم الصلوة ويصلي امام المسلمين فيقتدي عيسى به ويصلي على ملة محمد صلى الله عليه وسلم ومن النكت اللطيفة ما اورد الشيخ ابو الفرج بن الجوزي في بعض مصنفاته ان الشيخ ابا القاسم القشيري رضي الله عنه كان مقيما بما وراء النهر وكان شابا عاقلا علامة عصره في علم الحقيقة والشريعة وكان له تلميذ لا يفارقه ليلا ولا نهارا فلما كان بعض الايام اخرج الشيخ القشيري بعض مصنفاته ومصحفا شريفا ووضعهم في صندوق محكم العمل واحكم غلقه وقال للتلميذ خذ هذا الصندوق وارميه

في نهر

في نهر جيحون فاخذه المريد ومضى فقال المريد كيف ارمي هذه الكتب اللطيفة والمصحف في الماء فرجع بالصندوق الى داره ووضعه فيها واتى الشيخ وقال رميته فقال الشيخ فما رايت عند رميه فقال ما رايت شيا فقال الشيخ فانك لم ترميه فاذهب فارميه فذهب المريد ثم فلم يسخ برميه فاتى الشيخ فقال الشيخ رميته قال نعم قال فماذا رايت قال لم ار شيا قال فانك لم ترميه فاذهب فارميه ففعل ذلك ثلاث مرات ففي الرابع ارماه تحقيقا فخرجت من البحر يدان فتناولت الصندوق فلما رجع قال رميته ورايت يدان اخذته فقال الان رميته فكان في قلب المريد ان يسال الشيخ عن سبب ذلك فلم يجسر يساله فكان في بعض الايام حصل للمريد فرصة في السوال فسال الشيخ عن سبب ذلك فقال الشيخ ان في اخر الزمان اذا نزل عيسى بن مريم الى الارض فيقتل الدجال ثم يحكم بين الناس بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويسال الناس عن كتب شريعته فلم يجد شيا فينزل عليه جبريل عليه السلام ويقول له تدامرك الله ان تمضي الى جيحون وتصلي هناك وتقول يا امين الله اردد علي وديعة ابي القاسم القشيري سلمها اليك فيفعل ذلك عيسى وياخذ الصندوق فيخرج المصحف والكتب ويعمل بما فيهم من الملة المحمدية

ذكر شي من اخبار الدجال

يخرج الدجال من اصبهان وطوله عشرون ذراعا وعيناه مشقوقتان طولا في جبهته سطران يقراهما كل احد الاول سعد من خالفه والثاني شقي من اطاعه فيظهر للناس ان معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار ويظهر في ايامه رجل يقال له المهدي على خده الايمن شامة فيجتمع اليه المومنون ويحاربون معه الدجال فيصلي المهدي اماما فياتي عيسى فيصلي مقتديا بالمهدي ثم يخرج عيسى لمحاربة الدجال فيقتل الدجال ولا يبقى على وجه الارض يهودي ولا نصراني ويبقى في الارض عيسى ويملاها عدلا كما ملئت جورا وتظهر بركة الارض ويكون الذيب مع الغنم فلا يوذيها ويبقى الحال على ذلك اربعين سنة قال اذا نزل عيسى يتزوج بامراة من اهل عسقلان وياتيه ولدان ويحج الى بيت الله الحرام فيموت ويدفن الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان المهدي اذا مات عيسى ياخذ معه الاشراف والسادات ويسير الى الكوفة ويموت هناك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك فلا يدخلها الدجال ولا ياجوج وماجوج ولا الطاعون

فصل في ذكر الدابة

قال وهب بن منبه بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت فتنقطع الارض وتنشق مما يلي المسعى فتخرج من هناك الدابة وهي ذات ريش كريش الطير ولها جناحان ولها راس يلمس السحاب قال السدي ان راس الدابة كراس الثور واذناها كاذن الفيل وقرونها كقرون الايل وذنبها كذنب الكبش وقوايمها كقوايم البعير ووجهها كوجه الانسان فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ومعها خاتم سليمان وعصاة موسى فتختم وجوه الكفار بذلك الخاتم وتجلو وجه المومن بتلك العصاة فيعرف بذلك المومن والكافر وبعد ذلك تطلع الشمس من مغربها ويغلق باب التوبة فلا تقبل توبة بعد ذلك قال وهب بن منبه

كان بين موت ادم وطوفان نوح الفان ومايتان واربعون سنة وبين موسى وابراهيم ستماية
سنة وكان بين موسى وداود خمسماية سنة وكان بين سليمان وعيسى الف ومايتا سنة
وكان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة والله اعلم **ولما كان** زمن الفترة التي
بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كان الناس منهم من يقول ان عيسى الاه ومنهم من يقول
انه مخلوق وعمر وابيت المقدس بعد تخريب بخت نصر واتخذوا الاصنام ومنهم من قال ان
هذه الاصنام هي التي تقربنا الى الله ومنهم طايفة تعبد الله ويقولون انهم يدينون بدين ابراهيم
الخليل عليه السلام وكان في زمنهم ملوكا كثيرة يتفضلون بينهم يتناوبون اتخذوه وملك اليمن
بعد ذلك ابرهه وبنى كنيسة عظيمة واراد ان يحج العرب اليها ويبطل الكعبة المشرفة
لان في زمن الجاهلية كانوا يحجون الى بيت الله الحرام كما فعل ابراهيم الخليل عليه السلام فجاء
شخص من العرب الى كنيسة ابرهه واحدث بداخلها فغضب ابرهه لذلك وسار بجيشه
ومعه الفيل قيل كان معه ثلاثة عشر فيلا حتى وصل الى الطايف فبعث الاسود الى مكة
فساق جمالها واحضرها الى ابرهة فعند ذلك سار عبد المطلب الى ابرهه ودخل الى حضرته
فقالوا لابرهة هذا عبد المطلب سيد قريش فاكرمه فساله عن اباعره التي اخذها فقال ابرهه
اني جيت لاخرب الكعبة فظننت انك جيت تطلب مني ان لا اخرب الكعبة فقال عبد
المطلب انا رب الاباعر اطلبها وللبيت رب يحميه فامر ابرهه برد الاباعر الى اهلها
ثم ان ابرهه تقدم نحو مكة ليهدم الكعبة فكان كلما وجه الفيل نام على الارض واذا وجهوه
نحو الحبشة يقوم ويهرول نحوها فبينما هم كذلك اذ ارسل الله طيرا ابابيل امثال الخطاطيف
مع كل طير ثلاثة حجارة مثل الحمص في منقاره ورجليه فلم تصب احدا الا هلك فولوا هاربين
ولم يخرج منهم احد واما ابرهه فقد اصابه حجر فانبرى منها لحمه فوصل الى صنعا ومات
فخرجت قريش الى اماكنهم التي هلكوا فيها فغنمت اموالهم فسبحان القادر على ما يشاء

ذكر سيد الاولين والاخرين وخاتم الانبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين محمد البشير النذير صلى الله عليه وسلم

هو ابو القاسم محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم **وولد** رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الاثنين لعشر ليال خلون من ربيع الاول وقيل اثني عشر منه **وخلق** اربعة عشر من الانبيا
مختونين وهم ادم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيبا ويونس وموسى وسليمان
وزكريا ويحيى وحنظلة من اصحاب الرس ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم **واول** من ارضعته
صلى الله عليه وسلم بلبن ابن لها يقال له مسروح وكانت ارضعت قبله عمه حمزة فهو عمه
واخوه من الرضاع ثم قدمت حليمة السعدية فاخذته ومضت الى قبيلتها بني سعد **ولما كان**
عند مرضعته حليمة نزلت اليه الملايكة فشقوا بطنه واخرجوا من قلبه علقة سودا وغسلوه
ثم رد الى احسن ما كان عليه فعلمت بذلك حليمة فرجعت به وسلمته الى اهله خوفا عليه
وكان عمره يوميذ خمس سنين وتوفيت امه امنة وهو ابن ست ولما صار لرسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم خمس وعشرين سنة تزوج بخديجة بنت خويلد وكانت راس الاكابر المشهورين
ورغبت في زواجه لانها علمت انه نبي اخر الزمان والخاتم للانبيا وافضل بني ادم وكانت
تعلم ذلك من الكلام التي كانت عندها وظهر لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم المعجزات
الباهرات فرغبت فيه وتزوجته واوهبته جميع اموالها وما تملكه قيل كان عندها ثمانون هونا
من الذهب هذا من غير الاثاث فبالك بغيره وفضتها مشهورة **ثم انزل** عليه الوحي
وهو ابن اربعين سنة **واول** ما انزل عليه من القران **سورة** اقرا باسم ربك الذي خلق **واول**
من اسلم على يديه علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكان عمره عشرين سنة ثم زيد بن حارثة ثم اسلم
ابو بكر رضي الله عنه وقيل اول من اسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الزبير
ثم عبد الرحمن ثم سعد ثم سعيد ثم طلحة **ثم** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صدع بما امر وامر المشركين بالاسلام **ثم اسلم** حمزة فتقوى به المسلمون وفي قول اسلم عمر بعد
اسلام حمزة فتقوى به ايضا الاسلام **ثم علم** النجاشي ملك اليمن بذلك فاسلم فهاجر اليه
بعض الصحابة من اذى الكفار **ولما راى** المشركون الاسلام يزيدون فاجتمعوا جمعا كبيرا وكتبوا
بينهم كتابا عهدا ان لا يبيعوا بني هاشم شيئا ولا يشتروا منهم ولا يزوجوهم ولا يتزوجوا
منهم والوحي متتابع اليه **ثم ان نفرا** من قريش تعاهدوا ان يشقوا الصحيفة اي كتاب
العهد وكانت معلقة في الكعبة بين الاصنام فاخذوها فوجدوا الارضة اكلت جميع
ما فيها من الكتابة الا اسم الله فانها لم تقربه **ابتدا امر الانصار** ولما اراد الله نصرة
دينه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القبايل فبينما هو عند العقبة اذ راى جماعة من
الخزرج فدعاهم الى الله فاجابوه وصدقوه وانصرفوا الى اهلهم فاعلموهم فاسلم من اسلم فكان
من الناس من ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسلم على يديه خفية ولم يزل الاسلام يكثر
فلما كثر الاسلام اجتمع اهل الجاهلية مثل ابي جهل وغيره واجمعوا على قتل النبي صلى الله
عليه وسلم فنزل عليه الوحي بذلك فهاجر الى المدينة وتتابع الصحابة وذلك قوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فقدم الى المدينة لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول
فارخها عمر رضي الله عنه غرة المحرم سنة احدى فلما وصل اقام بها الاثنين والثلاثا والاربعا
واسس مسجد قبا وهو الذي نزل فيه قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان
تقوم فيه **ذكر غزواته** فاول غزوة غزاها في سنة احدى غزوة الابوا ثم غزوة بواط
ثم غزوة العشيرة **وفي سنة اثنين** تحولت القبلة عن بيت المقدس الى المسجد الحرام كما
قال الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وفي هذه السنة روى صورة الاذان
في النوم وورد الوحي به وفرض صوم شهر رمضان وامر الناس بزكاة الصوم وصام رسول
الله صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات ومات وتزوج علي رضي الله عنه بفاطمة رضي الله
عنها وفيها كانت غزوة بدر الكبرى **ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة**

فيها كانت غزوة بنى النضير وغزوة احد وفيها تزوج النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بنت
عمر بن الخطاب رضى الله عنه **وفى السنة الرابعة** كانت غزوة بدر **ثم بعد ذلك**
ارسل النبى صلى الله عليه وسلم الى الملوك يدعوهم الى الاسلام فارسل الى كسرى كتابا فمزقه
كسرى فقال النبى صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكه فسلط الله على كسرى ولده فقتله واخذ
ملكه وارسل الى قيصر وهو هرقل كتابا وهو اذ ذاك فى بيت المقدس فاكرم قيصر قاصد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصد ان يسلم فمنعته بطارقته فخاف على نفسه واعتذر
ثم ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس صاحب مصر فاكرم القاصد وقبل كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى اليه اربع جوار احداهن مارية القبطية ام ولده ابراهيم
واهدى اليه بغلة دلدل وحماره يعفور وكسوة ثم ارسل الى النجاشى بالحبشة فقبل كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم وآمن وارسل الى الحارث الغسانى بدمشق فقال الحارث
ها انا سائر اليه بجنودى فلما وصل الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فقال باد
ملكه وارسل الى هوذة ملك اليمامة وكان نصرانيا فقال هوذة ان جعل محمد الامر بعده الى
اسلمت والا قصدت حربه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولا كرامة وارسل الى المنذر ملك
البحرين فاسلم واسلم جميع العرب **ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم** كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مليح الوجه حسن الخلق معتدل القامة ليس بالطويل ولا بالقصير
ابيض اللون مشرب بحمرة يتلالا وجهه تلالا القمر ليلة البدر كثيف اللحية واسع الجبين
بعيد ما بين المنكبين لم يبلغ الشيب فى راسه ولحيته عشرين شعرة بين كتفيه خاتم النبوة
وريح عرقه اطيب من المسك **ومعجزاته** صلى الله عليه وسلم اعظمها القرآن الكريم الذى
اعجز الفصحا وانشقاق الصدر ورد الشمس فى ساعته وانشقاق القمر فرقتين ونبع الماء من
بين اصابعه وتكثير الطعام ببركته وكلام الشجر والضب والصبى والجمل والحجر
والمدر وتسبيح الحصى فى كفه واحيا ولدى جابر والشاة وغيرهم مما لا يحيط بذلك
الا الله تعالى وكان احسن الناس خلقا وخلقا وارجحهم حلما واعظمهم عفوا واوسعهم
صدرا واصدقهم قيلا وكان اشد حيا من العذرا فى خدرها ويجيب الدعوة ويقبل الهدية
ويعود المريض ويشهد الجنايز وكان تنام عيناه وقلبه لا ينام وكان زاهدا فى الدنيا
ومات ولم يخلف دينارا ولا درهما وعرض عليه ان تكون له بطحا مكة ذهبا فقال لا
يا رب ولكنى اجوع يوما واشبع يوما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين
والمرسلين واتاه الله علم الاولين والاخرين **ذكر ازواجه** صلى الله عليه وسلم اول
ازواجه خديجة بنت خويلد ◆ وسودة بنت زمعه ◆ وعايشة بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنه
وعنها ◆ وحفصة بنت عمر رضى الله عنه وعنها ◆ وزينب بنت خزيمة ◆ وام سلمة هند
هند بنت ابى امية ◆ وزينب بنت جحش ◆ وجويرية بنت الحارث ◆ وام حبيبة ◆
وصفية بنت حيى ◆ وميمونة بنت الحرث ◆ ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة

فى عصمته وهو كلام اللاتى دخل بهن واما التى لم يدخل بهن فاولهن اسما بنت النعمان تزوجها ففارقها
اى طلقها قبل ان يدخل بها والسبب فى ذلك انها قالت له اعوذ بالله منك ففارقها اى طلقها فندمت
فلم تفد فكانت تسمى نفسها الشقية وخولة بنت هذيل ماتت فى الطريق قبل ان تصل اليه
وام شريك بنت دودان لم يدخل بها وصفية بنت هشام وشراف الكلبية والعالية الكلابية
طلقها قبل الوصول اليها وسبا السلمية ماتت قبل الخلوة بها وقيلة بنت قيس قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يدخل بها وعمرة بنت يزيد طلقها قبل الوصال وصناعر بنت
عامر وليلى بنت الحطيم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انت غيوره وكل ضرايره **واما**
سراريه فاربعة مارية القبطية وريحانة وجميلة وجارية اهدتها له زوجته زينب بنت جحش
انتهى ما اوردناه على سبيل الاختصار ومن اراد الوصول الى اكثر الاخبار فعليه بالمطولات من الكتب
الكبار اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقنا به ولم نلقه فادخلنا مدخله واحشرنا فى زمرته واوردنا
حوضه واسقنا بكاسه شرابا لا نظما بعده ابدا **روى** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اربعة لا تشبع من اربع عين من نظر ◆ وانثى من ذكر ◆ وارض من مطر ◆ وعالم من خبر ◆
اقول ◆ طالع كتابى ان اردت مخبرا ◆ عن مبتدا خبر الدهر وما جرى ◆
◆ فتراه كالمراة تنظر فعلما ◆ ابدا الزمان عجايبا بين الورى ◆

ذكر اخبار الديار المصرية وما ورد فيها من الآيات العظيمة

والاحاديث النبوية وما خصت به من الفضايل والمحاسن والعجايب دون غيرها من البلاد
ومن ملكها من مبتدا الزمان من الجبابرة والفراعنة وغير ذلك الى ظهور الاسلام ومن ملكها
فى الاسلام من مبتدا دولة الاتراك ومن تولى منهم الى يومنا هذا وذلك على سبيل الاختصار
فصل اعلم ايها السامع وفقك الله تعالى ان مصر من اجل البلاد واعظمها **وقد قال الله**
تعالى مخبرا عن فرعون اذ قال اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون
واما بالاشارة والايما فمنها قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
يعنى مصر وهذا القدر كاف هنا من الآيات **واما ما ورد** فيها من الاخبار النبوية فمنها قوله
صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا منها جندا كثيفا فذلك الجند خير
اجناد الارض لانهم فى رباط الى يوم القيامة **ومنها** قوله صلى الله عليه وسلم قسمت البركة
عشرة اجزا فجعل الله تعالى تسعة منها فى مصر وجزاء فى ساير الامصار **ومنها** قوله صلى الله
عليه وسلم اهل مصر قوم ضعاف ما كادهم احد الا كفاهم الله مونته **وروى** فى بعض الاخبار
ان الله تعالى يقول لساكنى مصر يوم القيامة الم اسكنكم مصر الم كنتم تشبعون من خبزها وهذا
من جملة تعدد النعم لامن باب المناقشة **وقال** كعب الاحبار رضى الله عنه لولا رغبتى فى بيت
المقدس لما سكنت الا فى مصر فقيل له ولم ذلك فقال لانها بلد معافاة من الفتن ومن ارادها
بسوء قصمه الله **وروى** ان آدم عليه السلام اول من دعا لها بالبركة والخصب والرافة وذلك ان
آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض مثلت له الدنيا جميعها من شرقها وغربها وسهلها وجبلها

تم الجزو الاول
ويتلوه اول من ملك
الديار المصريه
م

وانها دعا وبن سيكنها من الامم فلما نظر الى ارض مصر فراى ارضا سهلة بين جبلين وفى وسطها
نهر جارى تنحدر رماله من تحت سدرة المنتهى فاعجبته تلك الارض فدعا لها بالبركة
في زرعها وبارك في نيلها سبع مرات وكذلك نوح عليه السلام دعا لها بالبركة والخصب
قال ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان مصر كان اسمها في قديم الزمان درسان
اى باب الجنان وسميت بعد الطوفان جزلة وقد اختلف اهل العلم فى المعنى الذى سميت من اجله
بمصر **فقال** قوم سميت بمصر ام ابن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وهو اسم
عجمى لا ينصرف فلما كثر استعمالها استطوا منها الميم للتخفيف فسميت مصر والله اعلم بذلك

ذكر حدود ارض مصر ومسافتها قال ابو الصلت امية
الاندلسي ان حد ارض مصر فى الطول من مدينة برقة الى عقبة ايلة وذلك نحو من اربعين
يوما ومسافة حدها فى العرض من مدينة اسوان من اعمال الصعيد الى العريش عند البحر وهي
وذلك نحو من ثلاثين يوما فى مسافة العرض منها **وقيل** من برقة الى منتهى الواحات
السبع ويمتد الى بلاد النوبة من حد اسوان الى بلاد البجاة ومسافة العرض من اسوان
بحر الروم عند رشيد وقيل الى الحجار التى خلف العريش وقيل مسافة ثلاثون درجة
فلكيه **وقيل** مسافة طولها اربع وخمسون درجة فلكيه والله تعالى اعلم **وكان** اقليم مصر
متصل بالعمارة على شاطى النيل كلها مدينة واحدة مشتبكة بالاشجار المثمرة بالفواكه
اليانعه والقرى العامرة حتى قيل كان المسافر يسير من اسكندرية الى اسوان بلا زاد
بل يسير فى ظل والاشجار والفواكه الى ان يصل الى مدينة اسوان فى قرى عامرة بالناس
لا يحوجونه الى زاد يحمله معه **قال** ابن عباس رضى الله عنه كان فى زمن مصرايم الذى
سميت مصر به اذا زرعت ارضها وشملها ماء النيل تصير الحبة القمح قدر كلية
البقر وكان طول القثا اربعة عشر شبرا كل واحدة وكان طول كل بلحة شبرا او وزنها
نحو عشرين درهما وكان طول الطرف ثلاثون شبرا وكان العرجون الموز يطرح ثلثماية
موزة وكل موزة منها رطلا وكان العنقود العنب اذا قطف من البستان يحمل على بعير
من كبره وكانت الاترجة تنشق نصفين من عظم خلقتها ويحمل كل نصف منها على بعير
وكانت الكمثرا زنة كل واحدة سبعماية درهما وكانت الرمانة الواحدة اذا قشرت
يقعد فى قشرتها ثلاثة نفر من كبرها وكانت البطيخة الواحدة ثمانون رطلا وعلى
هذا فقس بقية الاصناف من الفواكه والحبوب وغيره **وكان** ذلك بدعوة نوح عليه
السلام حين دعا لمصر بالبركة والخصب **قال** ابن عباس رضى الله عنه ولا زالت الناس
ينقصون فى الارزاق والاجال فى كل عام الى زماننا هذا روى ذلك الترمذى فى كتاب
الاصول **قال** المسعودي لو زرعت ارض مصر كلها لوفت بخراج الدنيا باسرها
والله اعلم **ذكر ما عد من فضائل مصر** قال ابو الريحان ولد بمصر من الانبيا
موسى وهارون عليهما السلام وولد بها يوشع بن نون ودخل اليها عيسى بن مريم

وامه

بها بقرية بالصعيد يقال لها اهناس وكان بعض النخلة المذكورة فى قوله تعالى وهزى
اليك بجذع النخلة ودخل بمصر من الانبيا ابراهيم الخليل عليه السلام ويعقوب ويوسف
والاسباط وارميا ودخل اليها دانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام ودخل اليها من اولاد
الانبياء جماعة ودفن بها من العلما جماعة كبيرة كما سياتى ذلك فى مواضعه **وكان**
من اهلها مومن آل فرعون الذى اثنى الله عليهم فى القران العظيم ومنهم آسية امراة فرعون
التى اخبر الله تعالى عنها فى كتابه ومن اهلها سحرة فرعون الذين امنوا فى ساعة واحدة
مع كثرتهم انتهى ذلك **ذكر ما خصت به مصر** من المحاسن والعجايب دون
غيرها من البلاد قال المنوفى فى كتاب طبقات الامم ليس فى بلد اعجوبة الا وفى مصر
مثلها او اعجب منها **وقيل** ان بمصر من الانواع ثلاثون نوعا لا توجد فى الدنيا **فمنها**
معدن الزمرد الذبابى ولا يوجد فى الدنيا الا بها قيل يوجد فى نواحى البهنسا **ومنها**
معدن الشب والملح ولا يوجد الا بها **ومنها** الابنوس الاسود ولا يوجد الا بها **ومنها**
مقاطع الرخام الملون الفستقى والسماقى والزردورى وغيره من انواع الرخام **ومنها**
الافيون وهو عصارة ماء الخشخاش ومنافعه لا تنكر **وبها** دهن البلسان ولا
يوجد الا بها فى ارض المطرية وهو الذى تتغالى ملوك النصرانية فى ثمنه ولهم فيه اعتقاد
عظيم **وبها** السمك الرعاد ونفعه لمن اذا علق على المحموم برى **وبها** الحيات التى يعمل منها
الترياق ومنافعها لا تنكر **وبها** الاسقنقور ومنافعه لا تنكر **وبها** الحطب السنط
الذى هو سريع الاشتعال بطى الخمود **وبها** النمر اليوسفى **وبها** دهن البلح **وبها** معامل
الفراريج الذى يعمل بها البيض ويوقد عليها بالنار فتحاكى نار الطبيعة فى حضانة الدجاجة
فيخرج منها الفراريج وهى من معظم ماكول مصر ولا يعمل هذا فى بلد غير مصر **وبها** النارنج
والاترج المدور وقيل انه حمل من ارض الهند وزرع بمصر بعد سنة ثلثماية من الهجرة
ولم كان يوجد بمصر قبل ذلك **وكان** بها نوع يقال له النبخ وهو مثل اللوز الاخضر
وكان من محاسن مصر ولكن انقطع منها فى سنة اربعماية من الهجرة **وكان** بها الماسكه
ومنافعها لا تنكر **وبها** الخوخ الزهرى الاحمر والابيض **وبها** العسل النحل المصرى وهو
اطيب من غيره من الاشربة وله فضيلة دون غيره **وبها** نتاج الخيل والبغال والحمير
تفوق على غيرها من البلاد **وبها** الطرز الاسيوطيه وكانت لا توجد الا بها **وبها** الثياب
الدبيقيه كانت تعمل بمدينة تنيس يبلغ ثمن الثوب منها ماية دينار **وبها** اجلال الخيل
والبراقع والطنافس لا تعمل الا بها **وبها** القاطع الشرب لا تعمل الا بدمياط ولها خاصية
دون غيرها **وبها** العدس والترمس ولها فضيلة لا تنكر فى اكل الفقراء حتى قيل
لولا العدس والترمس لما سكنت مصر **وبها** البطيخ الصينى ومنافعه لا تنكر قيل نقلت
زريعته الى مصر من بلاد الهند فى ايام القبط **وبها** الرخام المرمر ومنافعه لا تنكر **وبها**
القرظ الذى تربط عليه العجول فى زمن الربيع **وبها** الكتان ومنافعه لا تنكر **وبها**

الخيار شنبر ومنافعه لا تنكر ومن اجل منافعها وهو ماء النيل المبارك وسرعة
هضمه للاكل قال بعض الحكما ولولا ماء النيل على اهل مصر لوخموا من حلاوة
ماء النيل وبها الموج ومنافعها لا تنكر قيل فضلت مصر على الشام بادبعتر اشيا بالجموم
الضان وبماتها وبعسلها ومن فضايل مصر ان الرخامة الخضرا المنتقى التي في الحجر
عند الكعبة اصلها من مصر بعثها الى مكة محمد بن طوبت مولى العباس بن محمد في سنة احدى وتسعين
ومايتين من الهجرة وبعث معها رخامة اخرى فسنتقى ووضعت على سطح الكعبة عند الميزاب
وقيل طولها ذراعا بالعمل وثلاث اصابع وعرضها مثل ذلك ذكره الفاكهي في تاريخ مكة
قال ان كل قرية من قرى مصر تصلح ان تكون مدينة على انفرادها وقد قال الله تعالى
في حق قرى مصر وابعث في المداين حاشرين قال القضاعي لم يكن في الارض ملك
اعظم من ملوك مصر ولو ضرب بينها وبين ساير قرى الدنيا سورا لاستغنى اهلها بما
فيها عن ساير البلاد ولو زرعت كلها لوفت بخراج الدنيا باسرها وهي اكثر البلاد كنوزا
وعجايبا واثارا ولاسيما في بلاد الصعيد من البرابي وبما اودعت من العلوم والحكم
والطلسمات وغير ذلك قيل سيل بعض الحكما متى تطيب ارض مصر قال اذا اعتدل
هواها وارتفع وباها وطال مرعاها وقال بعض الحكما اذا بلغ زيادة النيل ثمانية
عشر ذراعا وانهبط كانت العافية في ذلك حدوث وباء بالديار المصرية في تلك
السنة قال كعب الاحبار رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى شبه جنة الفردوس
فلينظر الى ارض مصر قبل قبل طلوع الشمس في زمن اوان ربيعها اذا اطردت انهارها
وغردت اطيارها واينعت ازهارها وقد قال القايل في المعنى رحمه الله

ما مثل مصر في زمان ربيعها	لصفا ماء واعتدال نسيم
اقسمت ما تحوي البلاد نظيرها	لما نظرت الى جمال وسيم

ووصف بعض الحكما ارض مصر فقال ثلاثة اشهر لولوة بيضا وثلاثة اشهر مسكة سودا
وثلاثة اشهر زمردة خضرا وثلاثة اشهر كهربة صفرا فان ارض مصر في شهر ابيب
ومسرى وتوت يركبها الماء فتصير الارض بيضا من افتراش الماء عليها وتصير ضياعها
مثل الكواكب في السما فلا يصلوا اليها اهلها الا في الزوارق واما المسكة السودا فان
ارض مصر في شهر بابه وهاتور وكيهك ينصرف عنها الماء فتصير مثل المسكة السودا
واما الزمردة الخضرا فان ارض مصر في شهر طوبه وامشير وبرمهات يكثر الزرع
فتصير الارض خضرا مثل الزمردة واما الكهربة الصفرا فان ارض مصر في شهر برموده
وبشنس وبونة يدرك الزرع ويحصد فتصير مثل السبيكة الذهب الصفرا وقد قيل
في المعنى

كل وقت بمصر امر عجيب	يجتنى منه في السعد كالاعتبار
ذهب حيث ما ذهبنا ودر	حيث درنا وفضة في الفضاء

ومن محاسن مصر قال القضاعي ان مصر في كل شهر من الشهور القبطية نوع من

الماكولات والمشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء
طوبة ودميس امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بونه وعسل ابيب
وعنب مسرى ومن محاسن مصر ايضا هي السبع زهرات التي تجتمع في وقت واحد في
اواخر فصل الشتا بمصر ولم يكن هذا ببلد غيرها وهي النرجس والبنفسج والبان والورد
النصيبي والزهر وهو زهر النارنج والياسمين والورد الجوري ويعرف ايضا بالخبائي
وهو اخر هذه السبع زهرات التي تجتمع في وقت واحد واما النسرين وان كان من اعظم
الزهور رايحة فانه غير معدود في جملة هذه السبع زهرات التي تجتمع في وقت واحد
لانه ياتي في اخر الايام الورد فلا يلحق للنرجس ولا يلحق البنفسج فلم يكن معدودا في
جملة هذه السبع زهرات التي تجتمع في وقت واحد لاجل تاخره عن بقية الازهار وقد نظمتها
في هذا المقطوع وهو قولي في المعنى

يا طيب وقت بمصر فيه قد جمعت	سبع من الزهر تحويها البساتين
بنفسج نرجس زهر وبان لنا	ورد نصيب وجوري وياسمين

وقيل ان الذي ينقطع من الفواكه والازهار في ساير البلاد في زمن الشتا يوجد بمصر اقول
ولما دخل قرن التسعماية زال من محاسن مصر شيا كثيرة منها ان البلسم انقطع وجوده من مصر
وهو من اثار عيسى عليه السلام ومنها ان البلح اليومي انقطع وجوده من مصر وكان من
اثار يوسف واعظم من هذا كله ان الحاج انقطع من مصر واعمالها سنة احدى عشر وتسعماية
وكان هذا من معظم الحوادث بمصر والامر الى الله تعالى ومن محاسنها ان اهل مصر لا يحتاجون في
زمن الشتا الى التدفي بالنار كما تعانيه اهل الشام ولا في زمن الصيف الى ان يدخلوا في تحت
الخيش من شدة الحر كما تعانيه اهل مكة قال ابو الصلت اهل مصر خصوا بالافراح بينهم
دون غيرهم من جميع الامم وان اهل مصر الغالب عليهم اتباع الشهوات والانهماك في اللذات
والتصديق بالمحالات وفي اخلاقهم رفق وقلة غيرة وعندهم بشاشة وملق وعندهم مكر
وخداع ولا ينظرون في عواقب الامور وعندهم قلة الصبر على الشدايد والقنوط من الفرج
وسرعة الخوف من السلطان وان اهل مصر يتحدثون بالاشيا قبل وقوعها ويخبرون بالامور
المستقبلة قبل ان تقع قيل انه نطقت الجن على السنتهم فلذلك يخبرون بالامور
قبل وقوعها كما قيل ولم تزل مصر باقواها وقيل ان اهل مصر لا يهتمون بامر الزاد
كما هي عادة غيرهم من الامم كانما حوسبوا وفرغوا من الحساب وقال بعض الحكما ان امزجة
اهل مصر حارة رطبة وابدانهم ضعيفة سريعة التغير وقيل ان ماء النيل لشدة حلاوته
يعفن ابدانهم ويكثر الدماميل ويورث الزوح وكان بمصر من الفلاسفة والحكما القدما
هرمس وبقراط وجالينوس والينوس وفيثاغورس ولما ماتوا دفنوا بمصر وكان بها من الحكما
في دولة الاسلام الرئيس علاء الدين ابن نفيس صاحب كتاب الموجز والرئيس ابو علي ابن سينا
ومما تفتخر به مصر على ساير البلاد بسلطانها خادم الحرمين الشريفين وله المزية على ساير ملوك

كما قال القايل ٭ اذا البلاد افتخرت لم تزل ٭ مصر لها عز و تفضيل ٭
وكيف لا تفتخر مصر و فى ٭ ارجايها السلطان و النيل ٭

وقال بعض الحكما ارض مصر كالمراة العارك اى الحايض تظهر بالنيل كل عام وقال بعض الحكما بعث مصر فقال نيلها عجب و نساوها لعب و ارضها ذهب وهى لمن غلب وخيرها جلب وماوها رغب و اهلها صحب وطاعتهم ذهب وهى مسكن الجبابرة و الفراعنه

ذكر ما قالته الشعرا فى وصف مصر من كل معنى غريب قال ابن الوردى رحمة الله عليه ٭

ديار مصر هى الدنيا و ساكنها ٭ هم الانام فقابلها بتفضيل ٭
يا من يباهى ببغداد و دجلتها ٭ مصر مقدمة و الشرح للنيل ٭

وقال الصلاح الصفدى ٭

من شاهد الارض و اقطارها ٭ و الناس انواعا و اجناسا ٭
ولا راى مصر ولا اهلها ٭ فما راى الدنيا ولا الناسا ٭

وقال المعيزادى

لعمرك ما مصر بمصر و انما ٭ هى الجنة الدنيا لمن يتبصر ٭
فاولادها الولدان والحور عينها ٭ و روضتها المقياس و النيل كوثر ٭

وقال الشيخ علاى الدين الوداعى ٭

درّ بمصر و سكانها شوقى ٭ وجده عهدى الخالى ٭
وصف لنا القرط و شنف به ٭ سمعى و ما العاطل كالحالى ٭
وادر لنا يا سعد عن نيلها ٭ حديث صفوان بن عسال ٭

وقال البها زهير

يا رعى الله ارض مصر و حيا ٭ ما مضى لى بمصر من اوقات ٭
حبذا النيل و المراكب فيه ٭ مصعدات بنا و منحدرات ٭
هات زدنى من الحديث عن النيل ٭ ودعنى من دجلة و الفرات ٭

وقال بعض الادبا مطلع زجل

اصبحت مصر نزهة للناظرين ٭ هى ام الزى و زين الملاح ٭
خطبتها منا التتر بالنفوس ٭ و على مصر راحت الارواح ٭

وقال ابن فضل الله

يحق لمصر ان تتيه اذا جرى ٭ بها النيل و امتدت اليه عيون ٭
فامثله من زاخر لعذوبة ٭ تقر عيون اذ تقر عيونا ٭

وقال ابن الصايغ الحنفى

ارض مصر فتلك ارض ٭ من كل فن لها فنونا ٭
و نيلها العذب ذو اتجار ٭ ما نظرت مثله العيونا ٭

وقال شمس الدين النواجى

مصر

مصر قالت دمشق لا ٭ تتخرفظ باسمها ٭
لو رات نونى روضتى ٭ منه راحت بسمها ٭

وقال الشهاب المنصورى ٭

تقول لنا مصر انا خير موطن ٭ ولا باس فى الامصار اظرف من ناسى ٭
فان تك اوقات السرور قصيرة ٭ فلا تقطعوها فى الا ميقياس ٭

وقوله ايضا ٭

اعملوا اهل مصر لله شكرا ٭ وقليل من العباد الشكور ٭
ان مصرا سقى الاله ثراها ٭ بلد طيب و رب غفور ٭

ذكر من ملك الديار المصرية فى مبتدا الزمان من الجبابرة

اعلم ان اول من ملك مصر من الجبابرة نتيليل وكان عالما بالطلسمات و الكيميات و الكهانات وغير ذلك من العلوم الجليلة وقيل هو الذى بنا مدينة امسوس وهى مصر القديمة وكانت من اعظم المداين و بها من العجايب ما لم يسمع بنظيرها ولكن محا الطوفان رسمها ونسى اسمها فاقام نتيليل فى ملك مصر نحو ماية و ثمانين سنة وكان له من الاولاد ثلثة وهم نقراووس و مصرام و عيقام فلما هلك قسم البلاد بين اولاده الثلاثة فاما ابنه نقراووس فانه كان قد انفرد بعلم الكهانة و الطلسمات وقيل انه انتهى الى البحر المحيط وبنا هناك قلعة وكانت الجن و الشياطين تحمل سريره على اعناقهم و يطوفون به فى ساير اقاليم الدنيا ثم يرجعون الى قلعته التى بناها فى وسط البحر المحيط فاستمر على ذلك حتى هلك و تولى من بعده اخوه مصرام وهو الذى بنا مدينة مصر و اليه تنسب وكان عالما بعلم الكهانة و الطلسمات وكان قد كتب على ابواب مصر انا مصرام ابن نتيليل قد بنيت هذه المدينة و اودعت بها الطلسمات الصادقة و الصور الناطقة وهو الذى سار فى الارض حتى انتهى الى منبع النيل و بنى به الجسور و القناطر و اصلح مكان مجراه وقطع منها الجبال التى كانت تعيق جريان الماء واستمر سايحا فى الارض نحو من ثلاثين سنة ثم هلك و تولى من بعده اخوه عيقام وكان عالما بعلم الكهانة و السحر وهو الذى يحكى عنه حكايات عجيبة لا تقبلها العقول لعظمها وقيل ان ادريس عليه السلام رفع الى السما فى ايامه وقيل ان عيقام توجه الى خلف خط الاستوى وبنا هناك قلعة من نحاس اصفر فى سفح جبل القمر الذى يتحدر من اعلاه النيل وصنع هناك خمسة وثلاثين تمثالا من النحاس يخرج من حلوقها ماء النيل و يصب فى بطايح هناك ثم يتحدر الى ارض مصر بقانون وتدبير بما يكون لاهل مصر فيه المنفعة دون الفساد و قدر ذلك على ستة عشرة ذراعا ويروى به اراضى مصر جميعها من هذه الستة عشر ذراعا واستمر عيقام ساكنا فى القصر النحاس الذى بناه على سفح جبل القمر حتى هلك فتولى من بعده ابنه عرياق وكان عالما بعلم الطلسمات و له اعمال عجيبة منها انه عمل شجرة من نحاس اصفر ولها فروع اذا قرب منها ظالم اختطفته تلك الفروع فلا تفلته

حتى يبق بظلمه ويخرج من ظلامه خصمه وقيل انهاروت وماروت كانا فى زمانه وكان عزيان يميل الى النسا الحسان فتغايرن عليه النسا فعمدت احداهن الى طعام ووضعت فيه السم وقدمته اليه فاكل منه فمات من وقته وكان قدعمل قبة عظيمة فى وسط مدينة امسوس وعمل فوقها كالسحابة تمطر مطرا خفيفا شتاء وصيفا وعمل تحت تلك القبة مطهرة فيها ماء احضر يحصل من ذلك المطر فاذا استعمله من به عاهة يبرى من وقته ولما هلك تولى من بعده ابنه لوجيم وكان عالما بعلوم الطلسمات والسحر وله اعمال عجيبة منها كانت العزبان قد كثرت فى ايامه وصارت تفسد الزروع والغلال فعمل اربع منارات فى جوانب مدينة امسوس وجعل على كل منارة صورة غراب وعليه صورة حية فى ذنبه فلما عاينوا الغربان ذلك نفروا عن المدينة ولم يدخلوها بعد ذلك فى مدة ايامه ومنها انه عمل طلسمات للريح وكانت المراكب المقلعة اذا وصلت اليه تقف ولا تسير حتى يجعلوا له على كل مركب ضريبة معلومة حتى يطلق لهم الريح من الجو واستمر فى الملك حتى هلك وتولى من بعده ابنه حصكليم وكان عالما فاضلا فى علوم الطلسمات والسحر وله اعمال عجيبة وهو اول من عمل مقياسا بمصر لزيادة النيل وعمل فى وسط ذلك المقياس بركة يدخل اليها ماء النيل وجعل على حافة تلك البركة عقابين من نحاس اصفر وهما ذكر وانثى فاذا كان اول الشهر الذى يزيد فيه النيل فيجتمع هناك الكهان ويعزموا بكلام حتى يصفر احد العقابين فان اصفر الذكر كان النيل فى تلك السنة عاليا وان اصفرت الانثى كان النيل فى تلك السنة ناقصا فيعتدون لذلك فى تحصيل جميع الغلال وهو الذى بنا القنطرة الكبيرة على بحر النيل ببلاد النوبة واستمر فى الملك حتى هلك وتولى من بعده ابنه قفال وكان عالما فاضلا فى علم الطلسمات والسحر قيل انه عمل تحت الارض سردابا ينتهى الى بلاد الصعيد فكانت نسائه ينزلون فى ذلك السرداب ويمشون فيه الى بلاد الصعيد ويزورون البرابى وقيل ان نوح عليه السلام كان فى زمانه واستمر فى الملك حتى هلك وتولى من بعده ابنه تدرسان وكان عالما فاضلا فى علوم الطلسمات والسحر وكانت له اعمال عجيبة منها انه عمل قصرا من الخشب ونقش فيه صورة الكواكب وكان يضعه على الماء ويجلس فيه فبينما هو جالس فيه وبين يديه سفرة الشراب وحوله النسا الحسان اذ هبت من الجو رياح عاصفة فاضطرب الماء فانقلب ذلك القصر الخشب بالملك تدرسان فهلك ومن معه بالغرق وقد ذهب بسطه وانشراحه وطرقته المنية فى اصباحه فكان كما قال فى المعنى

تمتع من الدنيا بلذتك التى • ظفرت بها ما لم تعقك العوايق
فما امسك الماضى عليك بعايد • ولا يومك الاتى به انت واثق

فلما هلك تولى من بعده ابنه سرقاق وكان عالما فاضلا فى علوم الطلسمات والسحر وكانت له اعمال عجيبة منها انه عمل صورة بطه من نحاس اصفر قايمة على اسطوانة من رخام احضر

على باب المدينة فاذا دخل المدينة احد غريب فتصفق تلك البطه بجناحيها وتصرخ حتى يسمعها كل من فى المدينة فيمسكوا ذلك الغريب بعد فكان فى ايامه لا يستطيع غريب ان يدخل الى المدينة وكل من دخل مسك من وقته فاستمر الملك سرقاق فى الملك حتى هلك وتولى من بعده ابنه شهلوق وكان عالما فى علوم الطلسمات وكانت له اعمال عجيبة منها انه عمل شجرة من نحاس اصفر ونصبها على الجبل الاحمر فكان ينتشر بها الرياح الى البلاد التى يريد الفساد الى اهلها فلا يستطيعون بها الاقامة حتى يأتون اليه ويدخلون تحت طاعته وفى ايامه ظهر معدن الفضة فى بلاد الحبشة فاتاه منه شيا كثيرا فكان جميع اوانيه حتى امثال الخيل من الفضة واستمر شهلوق فى الملك حتى هلك وتولى من بعده ابنه سوريد وكان عالما فاضلا فى علوم الطلسمات والكهانة وكان اغنى ملوك الارض كلها وكانت له اعمال عجيبة منها انه صنع مراة من اخلاط شتى فكان ينظر فيها الى جميع ما يحدث فى الاقاليم السبعة من خير او شر وما دنى من ارضها وما اجدب فكانت هذه المراة فى وسط مدينة امسوس قايمة على اسطوانة من رخام احضر وقيل ان سوريد هذا هو الذى بنا الهرمين العظيمين بمصر الذى لا تغيرها الدهور ولا الازمان وقد قال القايل فى المعنى

الست ترى الاهرام دام بناؤها • وتبنى لدنيا العالم الانس والجن
كان رحا الافلاك اكوارها على • قواعدها الاهرام والعالم الطحن

وقد تقدم اخبار بنا الاهرام وما كان سبب ذلك فى قصة نوح عليه السلام فى اول التاريخ وقد بينت فى اجادها العجايب والغرايب • كما قال القايل

لله اى غريبة وعجيبة • فى صنعة الاهرام للالباب
تحكى الخيام مقامه فى نصبها • من غير اعمدة ولا اطناب

وقيل ان الملك سوريد لما اتم الاهرام بناء صنع لها عيدا وجمع اعيان قومه واولم فى ذلك اليوم الولايم العظيمة وكسى الهرمين الكبار بالديباج الملون وكتب عليها بقلم الطير انا الملك سوريد قد بنيت هذه الاهرام فى ستين سنة فمن اتى من بعدى ويزعم انه مثلى فليهدم هذه الاهرام فى ستماية سنة فان الهدم ايسر من البنا وقد كسوتها لما تم بناها بالديباج الملون فليكسها من ياتى من بعدى بالحصر ان استطاع ذلك واستمر سوريد فى الملك حتى هلك ولما مات سوريد دفن فى الهرم الكبير وقيل ان سوريد هو الذى بنا البرابى باخميم وقفط ولما هلك سوريد تولى من بعده ابنه هوجيب وكان عالما فى علوم الطلسمات والكهانة والسحر وكانت له اعمال عجيبة منها انه عمل درهما اذا ابتاع به صاحبه شيا اشترط ان يزن له ما يبتاعه منه بوزن ذلك الدرهم ولا يطلب عليه زيادة فيعرف البايع ذلك ويقبل منه الشرط فاذا دفع الوزن بذلك الدرهم فيدخل فى كفته جميع الاصناف ولا تعدله فى الوزن وقد وجد هذا الدرهم فى كنوز الفيوم بعد مدة طويلة واشتغل من ناس الى ناس حتى وجد فى خزاين بنى امية وكان من شان ذلك

الدرهم اذا اراد الرجل يبتاع به حاجة فيقبل ذلك الدرهم ثم يقول له اذكر العهد القديم
ثم يبتاع به ما اراد فاذا مضى الى بيته يجد ذلك الدرهم قد سبقه الى منزله و يجد
البايع موضع ذلك الدرهم ورقة آس او ورقة بيضا من قرطاس فكانوا الناس يتعجبون
من شان هذا الدرهم حتى فقد من الوجود الى العدم واستمر هو حبيب فى الملك حتى هلك
وتولى من بعده ابنه **منقاوش** وكان جبارا عظيما عنيدا سفاكا للدما وكان ياخذ النسا
الحسان من ازواجهن غصبا وكان يسمع وصف الجنة من الكهان فقال انا ابنى لى فى الدنيا
جنة مثلها فبنا له قصرا من الذهب و الفضة على شاطى النيل واجرى فيه الانهار من ما
النيل وجعل بارضه حصبا الدر والجوهر وكان يجلس فيه وحوله النسا الحسان فبينما
هو جالس ذات يوم فى ذلك القصر وفى يده الكاس فلما شربه شرق به فمات فى الحال
ودفن فى ذلك القصر الذى بناه فلما هلك تولى من بعده ابنه **افزوش** وكان عالما
فاضلا فى علوم الطلسمات والكهانة وكان عادلا فى حق الرعية حسن السيرة وكانت له
اعاجيب فى كل فن **قيل** انه بنا قبة فى شاطى النيل من نحاس اصفر طولها خمسون ذراعا
وعرضها مثل ذلك وجعل حولها اطيار من ذهب وفضة اذا دخل فى اجوافها الريح
تصفر باصوات مطربة فى لغات شتى وكان له مذهن من الياقوت الاحمر قطره
خمسة اشبار فكان يشرب فيه الخمر وقيل ان هذا المذهن وجد بعد الطوفان فى بعض
البرابى واستمر افزوش فى الملك حتى هلك فلما هلك تولى من بعده ابنه **ارمايتوش**
وكان جبارا عنيدا وهو اول من ملك مصر بعد ان زال الطوفان فبنا مدينة منف وكان له
ثلاثون ولدا فبنا لكل واحد منهم قصرا بمنف وقيل انما سميت منف لانها بلسان
القبط ثلاثون يعنى على عدد اولاده الذين كانوا بها واستمر فى مدينة منف حتى هلك
فلما هلك تولى من بعده ابنه **مصرايم** وهو مصرايم الثانى الذى بنى مدينة مصر بعد
الطوفان وهو مصرايم ابن بيصر بن حام بن نوح وهو من الامم الثانيه بعد مجى الطوفان
حين تفانا العالم وبادوا اجمعين فبنا مصرايم مصر هذه وبه سميت وهو الذى شق
بمصر الانهار وغرس بها الاشجار من بعد الطوفان وهو الذى صنع بها الجسور وعقد
بها القناطر وكل ذلك بعد الطوفان واستمر فى الملك حتى هلك فلما هلك تولى من بعده
ابنه **قفطيم** وقيل ان مصرايم عاش من العمر نحو سبعماية سنة ولما تولى قفطيم بعد ابيه
استخرج المعادن من الارض واتخذ الكيل والميزان وسار فى الارض سيرة حسنه واستمر
فى الملك حتى هلك ثم تولى من بعده ابنه **قفطريم** فكان جبارا عنيدا كثير الظلم وقد مدينه
بمصر وسماها باسمه وجعل لها اربعة ابواب ونصب على كل باب منها صنما من
النحاس الاصفر فكان اذا دخل الى تلك المدينة غريب القى عليه النوم فلا ينتبه حتى يانى
اليه احد من اهل المدينة فينفخ فى دبره حتى ينتبه وان لم يفعلوا ذلك فلا يزال نايما
حتى يموت فلما هلك تولى من بعده ابنه **ابثورشاير** فكان عالما وله اعمال عجيبة **منها**

انه عمل شجرة من نحاس اصفر ووضعها فى الفضا وكان لا يمر بها طير ولا وحش الا وقف مكانه
فلا يستطيع الحركة حتى يوخذ باليد فشبعت الناس فى ايامه من لحوم الطير والوحش واستمر
فى الملك حتى هلك وتولى من بعده **فيلمون** فكان عالما فاضلا ماهرا فى علوم السحر والكهانة
فكان يجلس فى السحاب فاقام فى السحاب نحو ستة اشهر ثم ظهر لقومه عند طلوع الشمس
وهى فى برج الحمل فامر جنده ان يولوا ابنه عديم فانه ما بقى يرجع اليهم فولوا ابنه عديم
فكان جبارا عنيدا وقيل هو اول من صلب اصحاب الجرايم وكان له اعمال عجيبة **منها** انه عمل
قدحا لطيفا من زجاج احضر اذا صب فيه شى من الما او غيره وشرب منه جميع من فى
المدينة لا ينقص منه شى ولو اقام دهرا طويلا فاستمر فى الملك عديم حتى هلك فتولى
من بعده ابنه **شداد** وهو صاحب ارم ذات العماد وقد تقدم اخباره فى اول التاريخ وهو
اول من اظهر الصيد وكان مولعا به فاتخذ الكلاب السلوقيه والجوارح بسبب الصيد
واستمر فى الملك الى ان هلك فتولى من بعده ابنه **منقاش** وكان عالما فى علوم الكهانة والسحر
وهو الذى توجه الى ارض المغرب وانتهى الى الجبل الاسود الذى ليس فيه مصعد فنقب فيه
مغاير ونقل اليها جميع امواله **قيل** انه نقل الى تلك المغاير اثنى الف عجلة موسوقة
بالجواهر وستماية الف عجلة موسوقة من الذهب والفضة وطلسمات ودفن بذلك الجبل
وتولى من بعده ابنه **فرسون** وكان عالما فاضلا فى علوم الكهانة والسحر وكان له اعمال عجيبة
منها انه عمل منارة على بحر القلزم وهو بحر الحجاز ووضع فوقها مرآة من اخلاط شتى فكان
من شان هذه المرآة تجلب المراكب الى البر فلا تبرح حتى ياخذ منها العشر من اصناف البضايع
واستمر فرسون فى الملك حتى هلك ولم يكن له ولد ذكر فتولت من بعده ابنته بوتنية
الكاهنة وكانت ساحرة ماهرة فاقامت فى الملك مدة ثم وثب عليها الملك **مرتونس**
ونزعها من الملك وتولى عليه وكان حكيما فاضلا وله اعمال عجيبة **منها** انه صنع الآنية
التى اذا مليت بالما يصير خمرا وقد وجدت هذه الآنية فى بعض الكنوز بمدينة اطفيح
فى ايام هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون كما سياتى ذكر ذلك فى اخباره ولما هلك
مرتونس تولى من بعده ابنه **صا** وهو الذى بنا مدينة صا وبه سميت تلك المدينة
وهى الآن خراب على شاطى النيل وكان بها اسطوانة من الرخام الابيض وكان عليها مرآة
من اخلاط شتى فكان ينظر فيها ما يحدث من الحوادث فى ساير الاقاليم السبعة من خير
او شر واستمر صا فى الملك حتى هلك وتولى من بعده ابنه **بدراس** وكان عالما فى علوم
السحر والكهانة وقد بلغ خراج مصر فى ايامه الف الف وخمسين الف الف دينار واستمر
فى الملك حتى هلك وتولى من بعده ابنه **مالبق** وكان عالما فاضلا فى علوم السحر والكهانة
وكان كثير الغزوات فتوجه الى مداين البربر فاخربها واسر اهلها **وكان بالبربر**
مدينة عظيمة يقال لها قوميدع وكان بها ملكه ساحرة فلما توجه اليها الملك مالبق
وحاصرها فالقت عليهم شيا من السحر فطمست عن العسكر مكان المياه فلم يعرفوها

فهلكوا عسكر مالبق بالعطش ومات منهم نحو الثلث فلما عاين ذلك ترك حصار تلك
المدينة ومضى عنها **وقيل** ان الملك مالبق لما غزا بلاد البربر فراى بها مدينة وراى بها اقواما
وجوههم كوجوه الناس وارجلهم مثل حوافر البقر وعلى ابدانهم شعر مثل شعر المعز ولهم
انياب بارزة مثل انياب السباع حاصرهم فلم يقدر عليهم من شدة بحرهم فتركهم ومضى
وقيل انه راى ببلاد البربر عجايب لم يسمع بمثلها فى ساير البلاد وقيل ان جنس البربر شر
الاجناس **وقد روى** عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعث الله تعالى الى قوم نبيا فقتلوه
فذبحوه وطبخوه واكلوا من لحمه وشربوا من دمه فهم اقسى الامم قلوبا وقيل نساوهم خير
من رجالهم **وقيل** لما رجع مالبق الى مصر سحره البربر مدينة مصر فكثر بها التماسيح
والثعابين والعقارب والضفادع وفاض النيل حتى غرق الاراضى فى غير اوانه فلما عاين
الملك مالبق ذلك لبس المسوح السود وافترش الرماد وسجد عليه ودعا الى الله تعالى
بكشف هذه النازلة فكشفت عنهم بعد ان عجز عن تبطيل ذلك السحرة والكهنة واستمر
الملك مالبق فى الملك حتى هلك وانقضت ايامه والله اعلم **ذكر من ملك**
مصر من الفراعنة قال وهب بن منبه ان الفراعنة التى ملكوا مصر كانوا ستة
اولهم فرعون ابراهيم الخليل عليه السلام وكان اسمه طوطيس وهو الذى اخذ سارة زوجة
ابراهيم منه وقد تقدمت اخباره فى قصص الانبيا عند قصة ابراهيم **والثانى** فرعون يوسف
عليه السلام وكان اسمه الريان بن الوليد بن ارسلاوس وكان وزيره يسمى قطفير وهو الذى
اشترا يوسف عليه السلام وقد تقدمت اخباره فى قصص الانبيا عند قصة يوسف عليه
السلام وكان الريان حسن السيرة عادلا فى الرعية وكان الغلا قد جا فى ايامه فاسقط عن
المزارعين بمصر خراج ثلث سنة حتى تنفقوا ذلك فى السنين الماحلة وكان خراج مصر
فى ايامه مايه الف الف دينار فى كل سنة وهو الذى بنا مدينة العريش وكان شاعرا جل
المدآين وهو الذى غزا بلاد السودان وقتل منهم خلايق لا تحصى وكانت هذه الطايفة
ياكلون الناس جهارا ثم انه غزا بلاد الجنوب فراى بها اقواما خلقتهم كخلقة القرود
ولهم اجنحة يلتفون فيها ثم غزا اقواما عند البحر المظلم فراى واديا وكانوا يسمعون فيه
صياحا عظيما ولا يرون فيه اشخاصا لشدة ظلمته وهى مخروقة الانوف وسار حتى
انتهى الى البحر الاسود المسمى بالزنج فراى هناك عقارب طيارة فخرجت على عسكره
فهلك منهم جماعة كثيرة ثم سار حتى وصل الى مدينة سلوقز فراى بها حية عظيمة الخلقة
فكان طولها ميلا وكانت تبلع النيل العظيم بحبة رمة فهجم عليه وتبتلعه فلما ان
عاين الريان ذلك وقد هلك من عسكره مالا يحصى رجع الى مصر واقام بمدينة منف
وامر بعرض عسكره فاذا هو قد فقد منهم مايه الف الف انسان وكانت مدة غيبته
فى هذه السياحة احد وثلاثين سنة **قال** الواقدى ان الريان هذا هو الذى بنى قصر
الشمع القديم وانما سمى قصر الشمع لانهم كانوا يوقدوا فيه الشمع عند نقل الشمس من

بوج الى بوج وهى تنتقل فى كل سابع عشر من الاشهر القبطية ولم يزل هذا القصر عامرا الى ان
اخربه بخت نصر عندما دخل الى مصر واقام خرابا نحو خمسماية سنة ولم يبق منه الا الرسوم
فلما قويت شوكة الروم على اليونان واستولوا على مصر جدد بنا ذلك القصر ملك من الروم
يقال له مقراطيس وجعله بيتا لعبادة النيران وكان هذا القصر مطلا على بحر النيل انتهى **قال**
وهب بن منبه ان الملك الريان كان مومنا وقد آمن على يد يعقوب عليه السلام لما دخل الى مصر
وكان يكتم ايمانه خوفا من فساد مملكته وفى ايامه بنا يوسف عليه السلام مدينة الفيوم وقيل
انها بنيت بالوحى الى يوسف على لسان جبريل عليه السلام وكانت ارضها مغايض للما قد بر
الحيلة يوسف فى امرها حتى خرج عنها الما ثم عمرها فى مدة يسيره فلما فرغت وتم بناوها
ركب ونظر اليها الملك الريان وصار يتعجب من سرعة بناها فى مدة يسيرة فقال ليوسف
هذا كان يعمل فى الف يوم فسميت بذلك الف يوم وكان عدد القرى التى بها ثلثماية وستين
قرية على عدد ايام السنة لتكون كل قرية تغل على اهل مصر يوما واستمر الملك الريان بمصر
حتى هلك فى ايام يوسف عليه السلام واستقر يوسف مكانه وقد تقدم اخبار ذلك فى قصص
الانبيا عند قصة يوسف عليه السلام ثم تولى على مصر ملك يقال له **دارموس وهو**
الفرعون الثالث فكان جبارا عنيدا مولعا بشرب الخمر وحب النسا الحسان فنزل فى ذات
يوم فى مركب وهو الى نحو حلوان فقام عليه الريح فغرق فى البحر وهو سكران ثم طلعوا
به وحمل الى منف ودفن بها **واما الفرعون الرابع** فان اسمه عند القبط **دريموش** وكانت
له اعمال عجيبة **منها** انه صنع صنما من رخام اخضر والبسه الحرير الاحمر واتخذ له عيدا
كلما دخل القمر الى برج السرطان يكون عيده وعمل فى ايامه تنورا يشوى فيه من غير نار وعمل
قدرا يطبخ فيه بغير نار وعمل سجنا منصوبة فتاتى اليها البهايم فتذبح نفسها بها من غير
يد وعمل مايتخيل نارا والنار تتخيل هوا وعمل اشيا كثيرة من هذه الانواع العجيبة من باب
علم النارنجيات **واما الفرعون الخامس** وهو الذى يقال له ميلاطيس بن دريموش وكا
له اعمال عجيبة **منها** انه عمل ميزان بكفتين من ذهب له فكانت معلقة فى هيكل الشمس
وكتب على احدى كفتيها حق والاخرى باطل وجعل تحتها فصوص ونقش عليها اسم الكواكب
فيدخل الظالم والمظلوم وياخذ كل واحد منهما فص من تلك الفصوص ويسمى عليه ما
يريد ويجعل كل واحد منهما فى كفه فتثقل كفة الظالم وتخف كفة المظلوم **وقيل** ان بخت نصر
لما دخل الى مصر اخذ هذا الميزان وحملها الى بابل مع جملة ما اخذه من مصر انتهى **الفرعون**
السادس هو فرعون موسى عليه السلام وقد تقدمت اخباره فى قصة موسى عليه السلام
قال وهب بن منبه كان اسمه الوليد بن مصعب وكان اصله من مدينة بلخ وقيل من ارض
حوران من نواحى الشام وكان عطارا فتحمل عليه دين فخرج هاربا على وجهه حتى دخل الى مصر
وكانت صفته اعور بعينه اليسرى وكان طول لحيته سبعة اشبار وكان قصير القامة
وقيل كان اعرجا وقد تقدمت اخباره فى سببا مبتدا ولايته على مصر فى اول التاريخ ولم

يزل قايما بملك مصر عادلا فى رعيته حسن السيرة محببا للناس حتى هلك فى ايامه
ثلاث فرعون من العالم وهو باق فنفذه لك طغى وتجبر وادعى الربوبية من دون الله
تعالى وقال انا ربكم الاعلى قال وهب بن منبه عاش فرعون اربعماية سنة وهو منفرد
بملك مصر لا يرى فى هذه المدة مكروها ولا حمى فى جسده يوما ولم يزل كذلك فى النعمة
حتى اخذه الله نكال الاخرة والاولى قال المهدوى فى تفسير قوله تعالى عن فرعون حيث
قال اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون قيل كانت ارض مصر
من رشيد الى اسوان محتبكة بالاشجار والانهار من الجانبين جميعا لا تقع الشمس على شى
من الارض وكان بها سبعة خلجان وهم خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج
سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وكانت تجرى بالماء شتاء وصيفا
لا ينقطع يعبروه من قناطر وجسور وحكم وقد قال الله تعالى كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم قال المهدوى فى تفسير هذه الاية ان المقام الكريم الفيوم قيل انه كان
به الف منبر من الذهب برسم الوزرا يجلسون عليها وكانت اراضى مصر تروى كلها
يوميذ من ستة عشر ذراعا اعاليها واسافلها وكان بها قصورا مطلة على النيل متصلة من
رشيد الى اسوان وقد قال الله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون
قال ابراهيم بن وصيف شاة فى اخبار مصر ان خراج مصر كان فى زمن فرعون يجبى فى
كل سنة اثنين وسبعين الف الف دينار فكان فرعون ياخذ من الخراج الربع لنفسه
والربع الثانى لوزرايه وجنده والربع الثالث يدخره بسبب شراقى الارض فى السنين
المجدبة والربع الرابع يصرف على حفر الخلجان وعمل الجسور وسد الترع قال ابن الجيعر
كان لاراضى مصر فى كل سنة ماية وعشرون الف انسان بسبب قلع العقتاب
والحلفا وكل نبات يضر بالارض وكانت لهم الرواتب فى كل سنة عماله بسبب ذلك
فكانوا يقسمون فى النواحى جماعة للوجه القبلى وجماعة للوجه البحرى وهم بالمناجل
والالة حتى تكون الاراضى كلها عامرة بالزرع وقيل كان يرسل زمن الحصاد
قايدين من قواده ومعهما اردبا من القمح فيذهب احدهما الى اعلا بلاد الصعيد والاخر
الى اسفل نواحى مصر من البلاد البحرية فان وجدا فى الارض مكانا بايرا من الزرع فكانا يعلمان
فرعون بذلك فيامر بصلب عامل ذلك المكان بسبب بوره وربما عاد القايدان
ولم يجدا مكانا بايرا فى اراضى النواحى بمصر فيرجعا ومعهما ذلك الاردب القمح
فلاجل ذلك كانت مصر عامرة كلها وكان خراجها اثنين وسبعين الف الف دينار
ولم يزل فرعون قايما بملك مصر حتى هلك واغرقه الله تعالى لما خرج فى طلب موسى
وبنى اسرايل وقيل انه غرق فى بركة الغرندل وقد تقدمت اخباره فى قصة موسى عليه
السلام انتهى ذلك قال القضاعى لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه صارت مصر ليس
بها احد من اشراف اهلها سوى العبيد والاجراء والنسا فكانت المراة تعتق عبدها

وتتزوج به والاخرى تتزوج باجيرها وكانوا يشترطون عليهم ان لا يفعلوا شيا الا باذنهن
وقد صارت هذه من يوميذ عادة عند القبط الى الان لا يبيع احدهم ولا يشترى الا حتى
يستاذن زوجته قبل ان يفعل شيا من ذلك فران النسا اجتمعهن رايهن بان يولين عليهن
منهن امراة يقال لها دلوكه وكانت ذات عقل ومعرفة وكان لها من العمر نحو ماية وستين
سنة فملكوها عليهم فلما ملكت دلوكة مصر بنت على ارض مصر حايطا من اسوان الى العريش
وحاطت قرى مصر وضياعها بذلك الحايط وجعلت له حراسا وجعلت على تلك الحايط
اجراسا من نحاس فاذا اتاهم من يخافونه حرك تلك الحراس الموكلون بها من كل جانب حتى
يسمعها من بالمدينة فيستعدون الى قتالهم واثار هذا الحايط باق الى الان باعلا بلاد
الصعيد وتسمى حايط العجوز قال ابن عبد الحكم ان دلوكة لما تولت على مصر ارسلت
خلف امراة ساحرة يقال لها تدوره وكانت ساحرة عظيمة فقالت لها انا قد احتجنا الى شى
من سحرك يمنع عنا من يقصد الى بلادنا بسوء فعملت بربا من الحجارة الصوان فى وسط مدينة
منف وجعلت لهذه البربا اربعة ابواب لكل باب منها جهة من الجهات الاربع وصورت
فى كل جهة منها صور الخيل والبغال والابل والحمير والسفن والرجال وقالت لدلوكة
قد عملت لكم عملا يهلك به من اراد لكم بسوء من بر او بحر فكانوا اذا قصد اليهم احد من
الملوك الجبابرة وعجزوا عن قتاله فيدخلون الى تلك البربا ويقطعون روس تلك
الصور او يفقون اعينها فمهما عملوا فى تلك الصور فيوثر مثل ذلك الفعل فى عسكر
الملك الذى يقصد اليهم فامتنعت عنهم الملوك ولم يقدروا على بلادهم احد من الملوك
فى ايام دلوكة واقامت دلوكة فى مصر نحو ماية وثلاثين سنة ولم تزل مصر ممتنعة
من العدو بتدبير تلك العجوز حتى هلكت واقامت تلك البربا على ما ذكرناه بعد
هلاك العجوز التى وضعتها فى الاصل فكانت كلما فسدت تلك الصور لا يقدر على
اصلاحها الا من يكون من ذرية تلك العجوز فلما انقطع نسلها خربت تلك البربا فلم
يقدر احد على اصلاحها بعد ذلك ثم ان مصر بعد ذلك تملكها شخص من اولاد القبط

ذكر دولة ابتدا دولة الاقباط

قال المسعودى لما هلكت دلوكة
انتشا من بعدها شخص من اولاد اشراف القبط يقال له دركون بن بكوطس فوقع الاتفاق
من الجند على توليته فولوه عليهم فاقام فى الملك مدة طويلة ثم هلك فتولى من بعده شخص
يقال له مرينوش فاقام فى الملك مدة وفى ايامه قدم بخت نصر الى مصر وجرى منه ما
جرى من خراب مدنها وقراها ونهب اموالها وقتل رجالها وسبى نساءها ولم يترك بها
من الطلسمات والحكم ولا خرب غالب البرابى التى كانت مودعة من الحكم وقيل ان بخت نصر
لما دخل الى مصر قتل من بنى اسرايل سبعين الفا واسر سبعين الفا منهم وكان من جملة من
اسر دانيال عليه السلام وارميا فوجه بالاسرى والاموال الى ارض بابل وكانت محل ولايته
فلما خرب مصر ورحل عنها اقامت بعد ذلك اربعين سنة خرابا ليس بها ساكن ولا متحرك

فكان نيلها اذا زاد يفترش على الارض ثم يهبط ولا يجد من يزرع عليه ولا ينتفع به الى هذه المدة ثم بعد ذلك ردت اهل مصر اليها وعمروها وسكنوا بها كما كانت فكانوا اخلاطا من الامم ما بين قبطي ويوناني وعمليقي ولكن اكثرهم كانوا قبط واكثر من ملك مصر الغرباء **وكان** من اصطلاح ملوك القبط في يوم النيروز وهو اول يوم من السنة القبطية فياتي الملك رجلا في صبيحة ذلك اليوم ويدخل عليه بغير اذن ويكون ذلك الرجل حسن الوجه طيب الرائحة فصيح اللسان فيقف بين يدي ذلك الملك يحيي الله براه فيقول له الملك من انت ومن اين اقبلت والى اين تريد وما اسمك وما معك ولاي شي وردت **فيقول** الرجل انا المنصور واسمي المبارك والى الملك السعيد اردت ومعي الهنا والسلامة وردت وبالعام الجديد قد اقبلت ثم يجلس بين يدي الملك ويرد بعده رجل ومعه طبق من الفضة وفيه قمح وشعير وفول وحمص وبسلة وعدس وسمسم وقطع سكر ودينار ذهب ودرهم فضة ضرب ذلك العام الجديد وطائر اس فيضع ذلك الطبق بين يدي الملك ثم يتقدم الى الملك رغيفا قد صنع من تلك الحبوبات السبعة فياكل منه الملك ويطعم من حوله من ارباب الدولة ثم يدخل عليه الوزراء والحجاب وعمال الخراج ثم بقية الجند على قدر مراتبهم ثم يقول الملك هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان جديد فيحتاج ان يجدد فيه ما اخلق الزمان ثم يامر بان يرفع ما فوق اصله جميعا من ملابس وفرش على حشمه ثم يجدد غيرها ويقول ما من اخلاق تبلى والنعمة في انعامهم ويدخروا فوق اصلهم كسوة الصيف الى الشتا ولا كسوة الشتا الى الصيف انتهى ذلك واستمر القبط على مملكة مصر يتولونه واحدا بعد واحد الى اخر من تولى منهم وهو المقوقس

ذكر اخبار المقوقس

احد ملوك القبط وهو اخر من تولى منهم وكان اسمه جريج بن مينا وقد ادرك نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كانت سنة ست من الهجرة بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه ومعه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه فيه الى الاسلام فلما دخل حاطب الى مصر وجد المقوقس بثغر الاسكندرية فتوجه اليه وكان يصيف بمصر ويشتي بالاسكندرية فلما دخل عليه ناوله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اخذه قبله ووضعه على راسه ثم قراه وعلم ما فيه وقال لحاطب نعلم انه نبي مرسل وقد اخبرنا المسيح بذلك ثم بعث مع حاطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية عظيمة وهي الف مثقال من الذهب وعشرون ثوبا من بياض مصر وجاريتين تسمى مارية واخرى تسمى شيرين وغلام خصي يسمى مابور وبغلة تسمى الدلدل وحمار يسمى عفير وقيل يعفور وعسل من عسل بنها واكرم حاطبا غاية الاكرام وبعث بتلك الهدية فلما وصلت الى النبي صلى الله عليه وسلم قبلها منه واستلم مارية واسلمت على يديه ووهب اختها شيرين الى حسان بن ثابت وكان

البغلة

البغلة والحمار راجع دوابه اليه ولما اكل من العسل اعجبه فسال عن اين هذا العسل فقيل له من بنها وهي قرية من قرى مصر فقال اللهم بارك في بنها وفي عسلها وكان الخصي يخدم حتى مات ولكن رح بعضها ولما دخل على مارية حملت منه بابراهيم فعاش ثمانية عشر شهرا ومات فقال صلى الله عليه وسلم لو عاش ابراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي **وقال** صلى الله عليه وسلم ستفتحون بعدي ارضا يذكر فيها القيراط فاذا افتتحتموها فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم نسبا وصهرا وفي رواية ذمة وصهرا **قال** ابن شهاب عني بالنسب عن هاجر ام اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام فان اصلها من مصر وعني بالصهر عن مارية القبطية فان اصلها من مصر ايضا انتهى ذلك فاستمر المقوقس قائما بمملكة مصر نحو احدى وثلاثين سنة حتى افتتح عمرو بن العاص الديار المصرية في سنة عشرين من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ذكر افتتاح الديار المصرية

على يد عمرو بن العاص الاموي رضي الله تعالى عنه وابتداء دولة الاسلام **قال** الكندي لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارسل جيشا الى مصر وكان امير الجيش عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه فلما وصل الى مصر اقام يحاصر اهلها ثلاثة اشهر وكان المقوقس في قصر الشمع وكان قصر الشمع مطلا على بحر النيل وكانت السفن ترسي تحته فلما راى المقوقس ان العرب اشرفوا على اخذ المدينة نزل في مركب من باب قصر الشمع وتوجه الى نحو الاسكندرية هاربا وكان يعلم ان العرب لا بد ان تملك مصر وسبب ذلك **قال** ابو الحسن المسعودي كان بقصر الشمع في الكنيسة المعلقة صنما من النحاس وهو اصنع وهو راكب على جمل من النحاس الاصفر وهو في زي العرب وعلى راسه عمامة وفي رجليه نعلان من جلد فكانت القبط والروم اذا تظالموا في شي بينهم واعتدى بعضهم على بعض يتحاكموا عند ذلك الصنم النحاس ويقفون بين يديه فيقول المظلوم للظالم ان لم تنصفني قبل ان يجي هذا الرجل الاعرابي فياخذ الحق لي منك ان رضيت او لم ترضى وكانوا يعنون بذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه **وقيل** كان بالاسكندرية بابا لا يزال مغلقا دائما وعليه اربعة وعشرون قفلا فعزم على فتحه المقوقس فلما قوي عزمه على ذلك اجتمعت اليه القساقسة والرهبان وسالوه ان لا يفتح ذلك الباب وان يجعل عليه قفلا كما فعل من تقدمه من الملوك فلم ينتهي عن فتحه فقالوا له نحن نعطيك ما خطر ببالك ان فيه من المال ولا تفتحه فلم يسمع لهم شيئا وفتحه فلما دخل فيه لم يجد به شيئا من المال وراى على حيطانه منقوش نقشا صور العرب وهم على خيولهم بعمائمهم وسيوفهم في اوساطهم وهم على الابل وراى في صدر ذلك المكان كتابة بالقلم الرومي فاتى بمن قرا ذلك الخط فاذا معناه اذا فتح هذا المكان فتملك العرب المدينة في تلك السنة التي يفتح فيها وكان الامر كذلك وملكت العرب المدينة في تلك السنة وكان كل من ملك مدينة الاسكندرية يجعل على ذلك الباب قفلا وهذه الاقفال بعدد من ملك المدينة من ملوك القبط قال الكندي

لما ابطا خبر فتح مصر على امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عمرو بن العاص
كتابا يقول فيه انى قد وجهت معك جماعة من فرسان العرب فيهم كل واحد مقوم بماية
فارس فاذا اتاك كتابى هذا فاخطب بالناس وحضهم على القتال ورغبهم فى الصبر وابرز
للقتال عند زوال الشمس من يوم الجمعة فانها ساعة الاجابة فلما اتى كتاب عمر بن الخطاب
الى عمرو بن العاص جمع المومنين وقرا عليهم كتاب امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فلما كان يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة برز للقتال ففتح الله تعالى
عليهم بالنصر فى ذلك اليوم ففتحت مصر على يد عمرو ابن العاص فلما فتحت مصر ارسل
عمرو بن العاص الى امير المومنين عمر بن الخطاب شخصا يسمى معاوية بن خديج يبشره
بفتح مصر فقدم معاوية بن خديج الى المدينة الشريفة وقت الظهر فلما دخل على امير المومنين
واخبره بامر الفتح خرج امير المومنين الى المسجد ونادى الصلاة جامعة فاجتمعت
الصحابة فصلى بهم شكرا لله تعالى بسبب الفتح ثم صلى بهم صلاة الغيبة على من قد استشهد
فى هذا الفتح من المومنين وكان عدة من قتل من المومنين اثنين وعشرين رجلا ولكن كان كل
رجل منهم مقوما بماية فارس **قال** عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فرغ من الصلوة
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتحت عليكم بعدى مصر فاتخذوا بها جندا
كثيرا فذلك الجند خير اجناد الارض فقيل ولم ذلك يا رسول الله فقال لانهم فى رباط
الى يوم القيامة **وقال** صلى الله عليه وسلم مصر كنانة الله فى ارضه ما كاد اهلها احدا
الا كفاهم الله تعالى مونته **قال** ابن المتوج لما فتح عمرو بن العاص مصر واستقر بها
قصد التوجه الى مدينة الاسكندريه فتوجه اليها بمن معه من العربان فلما وصل اليها
حاصر اهلها اشد المحاصرة وكان المقوقس بها مقيما فلما اشرف على فتحها ارسل المقوقس يساله
فى الصلح وان يجعل عليه الجزية **قال** ابن لهيعة وكان سبب فتح الاسكندرية ان عمرو بن
العاص لما طال عليه امر الحصار فاتى اليه رجلا يقال له ابن بسامه وكان بوابا على باب
المدينة فقال لعمرو بن العاص اتامننى على نفسى وعيالى وانا افتح لك الباب فاجابه
عمرو الى ذلك ففتح له الباب فدخل عمرو ومن معه من المسلمين فملكوها واسروا المقوقس
فلما فتحت مدينة الاسكندريه ارسل بذلك وكتب اليه كتابا وهو يقول فيه اما بعد فانى
قد فتحت مدينة لا اقدر ان اصف لك ما فيها غير انى قد وجدت بها اثنى عشر الف بقال
يبيعون صنف البقولات فى جوانب المدينة من بعد العصر ووجدت بها مايتين الف
مركبا من مراكب الروم الكبار ووجدت بها نحو ستماية الف يهودى وقد هرب اكثرهم
الى بلاد الروم من البحر وقد اوجبت الجزية على من بقى منهم غير النسا والصبيان فرضت
على كل راس منهم دينارين فى كل سنة فكان الذى بقى نحو خمسين الف يهودى فكتب
اليه امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كان فى يدك من اليهود او النصارى
فخيره بين الاسلام ودينه فان اسلم فهو من جملة المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم

وان لم يسلم

وان لم يسلم فعليه الجزية من كل راس دينارين ثم ان امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كتب الى عمرو بن العاص تقليدا بولاية مصر وارسله على يد معاوية بن خديج وذلك فى
سنة عشرين من الهجرة فكان اول من تولى على مصر نيابة عن الخلفا **قال** ابراهيم بن وصيف
شاة كانت القبط يجتمعون فى يوم عيدهم عند عامود السوارى الذى بالاسكندرية
وكانوا فى ذلك اليوم يلعبون بالاكره والصولجان وكان يجتمع بسبب الفرجة فى ذلك
اليوم الف الف انسان من القبط والروم وغير ذلك فلا يكون منهم احد الا وهو ينظر
فى وجه صاحبه عند دفع الاكره وكانوا يقولون انها بالحكماء فلا تقع فى كم احد من الحاضرين
الا ملك مصر ولو بعد حين فاتفق ان عمرو بن العاص حضر فى بعض السنين فى يوم ذلك
الملعب مع جملة من حضر من الناس فوقعت الاكره فى كمه فقالوا القبط ما كذبنا هذه الاكره
قط الا فى هذه المرة انرى هذا الرجل الاعرابى يملك مصر فلا يكون هذا ابدا وكان عمرو بن
العاص يوميذ فى الجاهليه فلا زال حتى ملك مصر فى الاسلام **قيل** لما تولى عمرو بن
العاص على مصر استمر المقوقس بها وهو بطال يزن الجزية عنه وعن اولاده حتى مات
فى ايام عمرو بن العاص وهو اخر ملوك القبط بمصر وبه قد انقرضت دولتهم **وقيل**
ان عمرو بن العاص اقام يحاصر فى مدينة الاسكندرية اربعة اشهر وكان فتحها فى يوم الجمعة
بعد العصر فى اواخر جمادى الاخر سنة عشرين من الهجرة **وقيل** فى سنة اثنين وعشرين
قيل لما ملكوا العرب مدينة الاسكندريه جات الروم الى قسطنطين بن هرقل وقالوا
له اتترك الاسكندرية فى ايدى العرب وهى مدينتنا الكبرى فتوجه قسطنطين الى
الاسكندرية فى الف مركب مشحونة بالرجال المقاتلين فلما وصل الى قرب الاسكندرية
بعث الله تعالى عليهم ريحا عاصفا فاغرقت تلك المراكب كلها بمن فيها من الرجال ولم
ينجو منهم احد واما قسطنطين ملك الروم فالقته الروم بصقلية فسالوه اهلها
عن امره فاخبرهم بامر الريح وتغريق المراكب فقالوا له قد افنيت من بقى من عسكر الروم
وجيت الينا فلو دخلت العرب الى بلادنا تالم يجد وامن يردهم فاجتمعوا عليه اهل
صقليه وقتلوه وكفى الله المومنين القتال **قال** ابن وصيف شاة لما فتح عمرو بن العاص
مدينة الاسكندرية اقام بها مدة ورجع الى الاسكندرية مصر فاجتمع رايه بان يبنى
هناك مدينة ظاهر قصر الشمع فابتدا ببنا مدينة وسماها مدينة الفسطاط وسبب
مدينة الفسطاط ان عمرو بن العاص لما فتح مصر نزل بمن معه من العربان فى الفضا ونصب
هناك فسطاطه فلما قصد التوجه الى الاسكندريه امر بنزع ذلك الفسطاط فوجد
عليه عش يمام وقد افرخت عليه فقال عمرو بن العاص دعوا الفسطاط يعنى الخيمه مكانه
لا تهدوه احتراما لليمامة التى قد عششت عليه فلما توجه الى الاسكندريه وفتحها
وقصد الرجوع الى مصر فقالوا له ادخل مصر فى اى مكان تنزل فقال فى مكان تركت
به الفسطاط اى الخيمة فلما بنا هناك هذه المدينة فسميت مدينة الفسطاط بسبب

ذلك وكانت مدينة عظيمة جليلة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر وكان
اولها منحدرة ابن قميحة واخرها عند الرصد ولم تزل هذه المدينة عامرة ساكنة الى دولة
الفاطمية الى خلافة العاضد بالله خربت عندما استولى الزنج على الديار المصرية لاسباب
ذكر ذلك فى موضعه فى اخبار الدولة الفاطمية **قال** ابراهيم بن وصيف شاه ان فى سنة
احدى وعشرين من الهجرة كان فتح مدينة دمياط على يد المقداد بن الاسود رضى الله عنه وكان
ملك هذه المدينة شخصا من القبط يقال له الهاموك خال المقوقس صاحب مصر وكان
للهاموك ولد يسمى شطا فراى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام واسلم تلك الليلة ودل
على مسالك المدينة فاستولوا عليها ليلا وملكوها فقاتل معهم شطا قتالا شديدا حتى قتل
فى المعركة وكانت قتلته فى ليلة الجمعة فى النصف من شعبان سنة احدى وعشرين من ٢١
الهجرة ودفن خارج دمياط فى مكان قتل به وقبره يزار الى الآن رحمة الله عليه انتهى
قال ابن عبد الحكم لما استقر عمرو بن العاص بمصر جاء اليه القبط وقالوا له ايها
الامير ان لنيلنا سنة كل سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما هى فقالوا اذا كان يوم
اثنا عشر ليلة من شهر بؤونة من الشهور القبطية عمدنا الى جارية بكر واخذناها من
ابويها غصبا او رضى وجعلنا عليها الحلى والحلل ثم نلقيها فى بحر النيل فى مكان معلوم
فلما سمع عمرو بن العاص ذلك قال لهم هذا الامر لا يكون فى الاسلام ابدا فاقاموا اهل
مصر بؤونة وابيب ومسرى وتوت من الشهور القبطية ولم يجرى فيها النيل لا قليلا
ولا كثيرا فهموا اهل مصر بالجلا فلما ان راى عمرو بن العاص ذلك فكتب كتابا
الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وارسله على يد نجاب فلما وصل الى امير المؤمنين
عمر بن الخطاب فكتب بطاقة وارسلها الى عمرو بن العاص وامره بان يلقيها فى
بحر النيل فلما وصلت الى عمرو بن العاص فتح تلك البطاقة وقرا ما فيها واذا فيها
مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى نيل مصر المبارك
اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله تعالى الواحد القهار هو
الذى يجريك فنسال الله تعالى ان يجريك فلما وقف عمرو على ما فى البطاقة القاها
فى النيل كما امره امير المؤمنين عمر بن الخطاب وقد القاها فى النيل قبل عيد الصليب بيوم
واحد وعيد الصليب يكون سابع عشر توت من الشهور القبطية وكان تداخل اغاليب
اهل مصر من عدم جريان الماء فلما اصبح الناس يوم عيد الصليب وراوا النيل زاد
فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا فى دفعة واحدة وقد قطع الله تعالى تلك السنة السيئه
عن اهل مصر ببركة امير المؤمنين **قال** ابراهيم بن وصيف شاه فى اخبار مصر ان عمرو
ابن العاص لما فتح مصر جمع من بها من القبط **وقال** لهم كل من كان عنده كنز وكتمه
عنى ضربت عنقه فقال له بعض الاقباط ان رجلا قبطيا يقال له بطرس عنده كنز عظيم
فارسل اليه عمرو بن العاص فلما حضر بين يديه قال له بلغنى ان عندك من كنوز فرعون تا

كنزا

كنزا فانكر بطرس ذلك فامر عمرو بسجنه فسجن فاقام فى السجن مدة فقال عمرو للموكلين به
هل تسمعون منه يذكر احدا من اصحابه فى هذه المدة قالوا نعم قد سمعناه يسال عن راهب فى
الطور فارسل عمرو بن العاص الى بطرس وهو فى السجن وامره بان ينزع خاتما من اصبعه
ويرسله اليه فارسل اليه الخاتم الذى كان فى اصبعه فلما اخذه عمرو فارسله الى ذلك
الراهب الذى فى الطور عن لسان بطرس وهو يقول له الوديعة الذى عندك احضرها الى
صحبة حامل هذا الخاتم سرعة فلما راى الراهب خاتم بطرس فلم يشك فى تلك الامارة
بانها صحيحة فارسل على يد حامل الخاتم حقة مختومة بالرصاص فلما حضرت بين يدى
عمرو بن العاص فتحها وفك الرصاص الذى بها فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها ان الاموال
التى وجدت فى كنوز فرعون تحت الفسقية الكبيرة التى فى قصر الشمع فحضر عمرو
الى قصر الشمع فوجد الفسقية الكبيرة ملآنة ماء فصرف عنها الماء فوجد ارضها
مبلطة بالرخام الابيض ففك ذلك الرخام فوجد بجاة فيها دنانير مسكوكة كالعرمة
سكب فقتله بالقنقاف ثم انه كاله بالويبة فاذا هو اثنان وخمسون اردبا من الذهب
هكذا نقله ابن وصيف شاه فى اخبار مصر فلما وجد عمرو بن العاص ذلك الذهب
فاحضر بطرس وضرب عنقه بحضرة جماعة من الاقباط فلما راوا ما جرى على بطرس من
القتل خافوا على انفسهم وصار كل من كان عنده كنزا احضره بين يدى عمرو بن العاص
والا صار مثل بطرس انتهى **وفى سنة ثلثه وعشرين من ولايته على**
مصر فيها ابتدا ببنا جامعه الكبير الذى بمصر وهو المسمى به وكان واقفا على قبلته
نحو سبعين رجلا من الصحابة فهو اول جامع بنى فى الاسلام بمصر وهو جامع مبارك وفيه
الدعا مجاب **قال** ابن وصيف شاه ان عمرو بن العاص سال المقوقس وقال له لقد ٢٢
وليت على مصر احد وثلاثين سنة فاخبرنى بما يكون فيه عمارة اراضى مصر فقال له
المقوقس انى رايت اليوم يقوم بعمارة مصر حفر خلجانها واصلاح جسورها وسد ترعها
ولا يوخذ خراجها الا من غلالها ويجبر على عمالها من المطل ويمنعهم من الرشا ويرفع عن
اهلها المعاون والهدايا ليكون ذلك قوة على وزن الخراج **قال** ابن عبد الحكم كان يعمر
فى زمن القبط اربعماية الف الف وثمانين الف الف حراث يلزمون العمل بها دايما
وكان بها ماية الف وعشرين الف مزارع منهم سبعون الفا الى بلاد الصعيد وخمسون
الفا الى بلاد بحرى وقد حررت مساحة اراضى مصر بعد ان تلاشا من امرها ما تلاشا
بالنسبة الى زمن فرعون فكانت مساحتها ماية الف وثمانين الف الف فدان هذا
الذى يزرع غير البور **قال** المسبحى كان بمصر فى الزمن الاول ماية وخمسين كورة
فى كل كورة مدينة وكان ثلثماية وخمسة وستين قرية فلما خربت عند قدوم بخت نصر
البهائم اعيدت بعد ذلك فصار بها خمسة وثمانين كورة ثم انها تناقصت من بعد
ذلك الى ان كانت دولة عمرو بن العاص فصار بها نحو اربعين كورة وقد اشتملت

خراجها على الفين وثلثماية وخمسة وتسعين قرية دون الكور وذلك عند ما خربت وتناقص
خراجها فجباها عمرو بن العاص في ايامه اثني عشر الف الف دينار وكان خراجها في زمن
الفراعنة تسعين وتسعين الف الف دينار وقد تغيرت احوال مصر في دولة الاسلام الى
الغاية وخرب غالب قراها و انحط خراجها واستمرت الى الان في كل سنة يتلاشى امرها الى
الخراب ثم ان عمرو بن العاص اقام على ولاية مصر الى ان توفي امير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وتولى من بعده الامام عثمان بن عفان فعزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى
عبد الله بن ابي السرح وكانت مدة ولاية عمرو بن العاص على مصر نحو ست سنين الا اشهر
ثم عاد الى ولايته بمصر ثانيا كما سياتي ذكر ذلك في موضعه

ذكر ولاية عبد الله ابن ابي السرح العامري على مصر

قال الكندي كان عبد الله بن ابي
السرح اخا الامام عثمان بن عفان من الرضاع فلما تولى على مصر رحل عنها عمرو بن العاص
واتى الى المدينة الشريفة فلما استقر ابن ابي السرح بمصر جبا خراجها في تلك السنة اربعة
عشر الف الف دينار فلما وصل خراج مصر الى الامام عثمان نظر الى عمرو بن العاص وقال
له لقد درت اللقحة بعدك يا عمرو فقال له نعم ولكن اجاعت اولادها وان هذه
الزيادة التي اخذها عبد الله بن ابي السرح انما هي على الجماجم فانه اخذها عن كل راس دينارا
خارجا عن الخراج فحصل لاهل مصر الضرر الشامل وكانت هذه اول شدة وقعت لاهل
مصر في مبتدا الاسلام واقام عبد الله بن ابي السرح في ولايته على مصر الى ان مات في
سنة ست وثلاثين من الهجرة وقيل انه مات بفلسطين ودفن بها **فكانت** مدة ولايته
على مصر نحو اثني عشر سنة فانه تولى على مصر سنة خمس وعشرين وتوفي في سنة ست
وثلاثين **ثم تولى من بعده الامير قيس** بن سعد بن عبادة الخزرجي الانصاري
وكان من الصحابة فاقام على ولايته بمصر الى ان مات ودفن بها وكانت ولايته تنيف في
صفر سنة ست وثلاثين ثم تولى من بعده **الامير مالك بن الحرث** النخعي بن
الاشتر وكان من الصحابة فتولى على مصر في خلافة الامام علي رضي الله عنه واقام في
ولايته عليها الى ان مات ودفن بها وقيل انه مات مسموما فلما بلغ الامام علي موته
حزن عليه حزنا شديدا وقال لقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تولى
من بعده **الامير محمد بن ابي بكر الصديق** رضي الله عنه تولى على مصر في خلافة معاوية
ابن ابي سفيان في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة واقام بمصر حتى قتل وكان سببا قتله
ان محمد بن ابي بكر هذا كان من جملة من اجتمع على قتل الامام عثمان بن عفان رضي الله عنه
وهو في داره يوم القتل فيما زعموا واستغفر الله من ذلك فلما تولى محمد على مصر ثار
عليه الشيعة بسبب ثار عثمان بن عفان وكان الذين ثاروا عليه من الشيعة معاوية بن خديج
ومسلمة بن مخلد وبشر بن ارطاه وغيرهم من الشيعة فاتوا من الشام فلما دخلوا الى مصر
خرج اليهم الامير محمد وقاتلهم قتالا شديدا وكان مع صغر سنه شجاعا بطلا وكان

هو واخوه عبد الرحمن يقاتلان الشيعة ومعهما بعض عسكر فلما قووا عليهم الشيعة تفرق عنهم
العسكر فانكسر الامير محمد وانكسر وهرب واختفى في بعض الخربات فلما جاءوا في طلبه
قالت لهم عجوز اتريدون الامير محمد بن ابي بكر فقالوا لها نعم فقالت اعطوني الامان
لاخي وانا ادلكم عليه فقالوا لها نعم قد اعطينا الامان لاخيك وكان اخوها يبيع الغزل في
مدينة الفسطاط فدلتهم على مكانه فلما دخلوا عليه وجدوه قد كرب العطش فقال لهم
بالله اسقوني شربة ماء فقال له معاوية بن خديج لا سقاني الله ان سقيتك انسيت
منعك الماء لعثمان بن عفان وهو محاصر في الدار فقال اكرموني لاجل ابي بكر فقال
له معاوية بن خديج لا اكرمني الله ان اكرمتك انسيت ما فعلته يوم قتلة عثمان فلا
امان لك عندنا ثم تقدم اليه معاوية بن خديج وضرب عنقه بالسيف ثم جره برجله
وطاف به في المدينة ثم ادخل جثته في جوف حمار ميت واحرقه حتى صار فحما **وكانت**
قتلته في رابع عشر صفر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة وكانت مدة ولايته على مصر خمس اشهر
وكان له من العمر لما قتل ثمانية وعشرين سنة وكان مولده في عام حجة الوداع وتوفي
ابوه ابو بكر وله من العمر نحو سنتين ونصف **قيل** لما قتل الامير محمد بن ابي بكر اخذ
راسه وجثته زمام الخادم ودفنها خارج مدينة الفسطاط وبنى هناك مسجدا وهو
الى الان يعرف بمسجد زمام ويزار الى الان قال الكندي لما قتل الامير محمد ارسل معاوية
ابن خديج قميصه الذي قتل فيه وهو بدمه الى المدينة الشريفة فلما وصل الى دار الامام
عثمان بن عفان اجتمع عصبة عثمان وتناوه واظهروا الفرح والسرور في ذلك اليوم
ثم ان نائلة زوجة عثمان لبست القميص ورقصت به بين الرجال **قيل** ان اخت
معاوية بن خديج لما وصل قميص الامير محمد الى المدينة فارسلت الى عائشة بنت ابي بكر بجدي
مشوي وقالت لها هكذا شوي اخوك محمد بمصر فحلفت عائشة يمينا انها لا تاكل شوي
قط حتى تلقى الله تعالى فما اكلته من بعد ذلك ابدا **قيل** دخلت نساء المدينة على اسماء
بنت عميس ام الامير محمد بن ابي بكر وقلن لها قد قتل ابنك محمد بمصر واحرقوه في جوف
حمار وكانت قائمة تصلي فعضت على شفتيها حتى بحت ثدياها دما من شدة اسفها على
ولدها الامير محمد لما قتل انتهى ذلك **ثم من بعده اعيد الامير عمرو بن العاص**
الى ولايته بمصر الثانية تولاها في خلافة معاوية بن ابي سفيان في سنة ثمان وثلاثين من
الهجرة واستمر في ولايته الى ان مرض وسلسل في المرض فلما اشرف على الموت احضر
ما كان جمعه من الاموال وقال لولده عبد الله وكان ولده عبد الله يقاربه في السن قيل كان
بين مولد عمرو بن العاص وبين مولد ابنه عبد الله نحو ثلاثة عشر سنة فقال عمرو لولده
عبد الله اذا انا مت فارد هذه الاموال التي جمعتها الى اربابها فلما مات الامير عمرو ارسل
معاوية ابن ابي سفيان يقول لعبد الله نحن احق بهذه الاموال التي جمعها عمرو تدفع
العدو فارسل اخذها وادخلها في بيت المال فقيل لعبد الله ما كان قدرة لك المال

فقال كان سبعين جرابا من جلد ثور كاملة **وكانت** وفاة الامير عمرو بن العاص في ليلة
الفطر في سنة ثلاث واربعين من الهجرة فلما كان يوم عيد الفطر اخرج نعشه الى الجامع
ووضع في المحراب حتى تكاملت الناس وصلوا عليه بعد صلاة العيد ثم حمل ودفن في
مقابر الفسطاط على طريق الحاج ومات رضي الله عنه وله من العمر نحو خمسة وتسعين سنة
وكانت مدة ولايته الثانية نحو ست سنين الا اشهر انتهى ذلك ثم تولى من بعده **الامير
عقبة بن ابي سفيان** اخو امير المومنين معاوية فلما تولى على مصر اقام بها مدة يسيرة
دون السنة ودفن بمصر ثم تولى من بعده **الامير عقبة بن عامر الجهني** صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورديفه وهو الذي تسند اليه الاحاديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تولى على مصر في سنة اربع واربعين من الهجرة واقام بها الى ان مات شهيدا في
يوم النهروان رضي الله عنه فكانت مدة ولايته على مصر سنتين وثلاثة اشهر وكانت
وفاته في سنة سبع واربعين من الهجرة ودفن بالقرافة الكبرى وقبره يزار الى الآن انتهى
ثم تولى من بعده **الامير مسلمة بن مخلد** واستمر على ولايته بمصر حتى مات فكانت
مدة ولايته خمس سنين ثم تولى من بعده **الامير سعيد** بن يزيد بن علقمة الازدي ثم تولى
على مصر في سنة اثنين وستين من الهجرة فكانت مدة ولايته سنتين ثم تولى من بعده
الامير عبد الرحمن بن جحدم القرشي تولى في ايام عبد الله بن الزبير في سنة اربع وستين
من الهجرة فلم تطل ايامه بمصر وعزل عنها ثم تولى من بعده **الامير عبد العزيز بن مروان**
وهو ابو العبد الصالح عمر رضي الله عنه **قيل** لما تولى عبد العزيز بن مروان على مصر وقع بها
الطاعون فدخل عبد العزيز من مدينة الفسطاط وتوجه الى حلوان وهي من قرى مصر فاقام
بها مدة وقيل ولد بها ابنه عمر فكانت اخبار المدينة تاتيه في كل يوم الى حلوان بما يحدث
في البلد من الموت وعدة من يموت بها وغير ذلك من الاخبار فلم يزل عبد العزيز
مقيما بحلوان حتى طعن ومات بها فحملوه في نعش من حلوان الى مدينة الفسطاط
وقد تغيرت رائحته فكان حول نعشه مجامر النار وهي مطلوقة بالبخور حتى دخل
الى مدينة الفسطاط فدفن بها **قال** ابن عفير لما كان الامير عبد العزيز بحلوان كان
له في كل ليلة الف جفنة تضعنا حول داره وهي ملانة بالطعام تفرق على الفقراء والمساكين
بجرابة للخبز وكانت له مائة خلة كبيرة تحمل على عجل وفيها الطعام فيطاف بها على
قبائل العرب التي حوله واستمر ذلك في كل ليلة الى ان مات انتهى ثم تولى من بعده **الامير
عبد الله بن عبد الملك** بن مروان فكانت ولايته على مصر في سنة ست وثمانين من الهجرة
وكانت مدة ولايته نحو خمس سنين ثم تولى من بعده **الامير قرة بن شريك العبسي**
تولى على مصر في سنة تسعين من الهجرة فلم تطل ولايته الا ايام وعزل عنها ثم تولى من بعده
الامير عبد الملك بن رفاعة الفهمي ثم تولى على مصر مرتين وطالت بها ايامه حتى
مات ودفن بها ثم تولى من بعده **الامير ايوب بن شرحبيل** الاصبحي تولى على مصر في سنة

احد ومائة

احد ومائة من الهجرة في خلافة عمر بن عبد العزيز فاقام بها نحو سنة وعزل عنها ثم تولى من بعده
الامير بشر بن صفوان تولى على مصر ثلاث مرات ثم عزل عنها في سنة ثمان وعشرين
ومائة في خلافة مروان الحمار ثم تولى من بعده **الامير حنظلة** بن صفوان الفهمي اخو بشر
وهو الذي نقلت قبائل بني قيس الى مصر في ايامه وذلك في ثمان وعشرين ومائة
ولم تكن قبل ذلك بمصر من بني قيس احد واستمر الامير حنظلة واليا على مصر حتى توفي
في سنة تسع وعشرين ومائة ثم تولى من بعده **الامير محمد** بن عبد الملك بن مروان فاقام
في ولايته على مصر سبعة اشهر وخمسة ايام ثم عزل عنها وتولى من بعده **الامير حرا بن
يوسف** فلم تطل ايامه بها وعزل عنها وتولى من بعده **الامير حفص** بن الوليد العامري
فلم تطل ايامه بها وعزل عنها ثم تولى من بعده **اخوه الوليد** بن رفاعة فلم تطل ايامه بها
وعزل عنها وتولى من بعده **الامير عبد الرحمن بن خالد** الفهمي فلم تطل ايامه بها وعزل عنها
ثم تولى من بعده **الامير حسان** بن العتاهية التجيبي فلم تطل بها ايامه وعزل عنها ثم تولى
من بعده **الامير حوثرة** بن سهل الباهلي وكان رجلا حليما قليل الغضب **قيل** ان رجلا من
العرب دخل عليه وهو قائم يريد الدخول الى حرمه فجاء اليه الرجل الاعرابي وحدثه في حاجة له
فوضع الاعرابي نعل سيفه على رجل الامير حوثرة وطال معه في الحديث وجعل ينوص بالسيف
في رجله حتى ادماها وهو صابر حتى فرغ الاعرابي من كلامه وخرج من عنده فدعا حوثرة
بمنديل ومسح به الدم عن رجله فقيل له لم لا نحيت رجلك من تحت سيفه ايها الامير
او امرته برفع سيفه عن رجلك فقال خشيت ان انقطع عليه كلامه وهو في حاجته ثم تولى
من بعد الامير حوثرة **الامير عبد الحميد** بن المغيرة بن سعيد الفزاري فاقام على ولاية
مصر نحو سنتين ثم عزل عنها **قال** ابن وصيف شاه ان ارض مصر اجدبت ووقع بها
الغلاء في زمن عبد الحميد بن المغيرة فرهن حلي نسائه عند التجار واشترى قمحا وفرقه على
الفقراء فلما عزل بعد ذلك عن مصر وقفوا اليه التجار بسبب الرهن فامر ببيعه حتى قضى
ما كان عليه من الدين الذي للتجار وكان نحو عشرة الاف دينار ثم رحل عن مصر والناس
عنه راضون ثم تولى من بعده **الامير عبيد الله بن مروان الحمار** وهو اخر من تولى على مصر
من عمال الخلفاء من بني امية وما وقع للامير عبيد الله هذا قال ابن وصيف شاه لما انتقلت
الخلافة الى بني العباس وولي عبد الله السفاح توجه عبد الله بن علي العباسي الى نحو الشام
فطلب من بقي من ابناء امية ثم ارسل بالقبض على الامير عبيد الله بن مروان الحمار امير مصر
فلما ان بلغ الامير عبيد الله ذلك دخل الى خزاين امواله واخذ منها عشرة الاف دينار
ذهبا ثم احضر اثنى عشر بغلا وحملها ذلك المال وشيئا من القماش والفرش وغير ذلك
واخذ معه جماعة من العبيد والغلمان ثم شد على وسطه حزامة فيها جواهر فاخرة مثمنة
وخرج من مصر هاربا فتوجه الى نحو بلاد النوبة فلما وصل الى هناك وجد مدائن خرابا
وبها قصور محكمة البنا فنزل في بعض تلك القصور وامر غلمانه بكنسها فكنست

وفرشت فيها فرشه وما كان معه من تلك الفرش الفاخرة ثم قال لبعض غلمانه وكان ممن يثق
بعقله امضي الى ملك النوبة وخذ لي منه امانا على نفسي من القتل فخرج الغلام وتوجه
الى ملك النوبة فغاب ساعة ثم عاد ومعه قاصد من عند ملك النوبة فلما دخل عليه قال
له ان الملك السلام ويقول لك اجيت اليه محاربا ام مستجيرا فقال له الامير عبيد الله رد
عليه مني السلام وقل له قد جاء اليك ليستجير بك من عدو يريد قتله فمضى ذلك القاصد
بالجواب فغاب ساعة ورجع وقال له ان الملك قادم عليك في هذه الساعة فقال عبيد الله
لغلمانه افرشوا ما معنا من الفرش الفاخرة وجعل مرتبة في صدر المكان برسم ملك النوبة
وجلس يرتقب مجيئه فبينما هو على ذلك اذ دخل عليه غلامه وقال له ان ملك النوبة قد
اقبل فقام الامير عبيد الله وصعد على اعلا القصر ونظر الى ملك النوبة فاذا هو رجل
اسود طويل القامة نحيف الجسد وعليه بردان قد اتزر باحداهما وارتدى بالاخر ومعه
عشرة من السودان حوله ومعه حراب باسنة تلمع فلما راه الامير عبيد الله استصغر
امره واحتقره فلما قرب من المكان الذي فيه عبيد الله فاتاه من عسكره نحو عشرة الاف
رجل من السودان في ايديهم الحراب فلما دخل ملك النوبة على عبيد الله واحاط ذلك
العسكر بالمكان الذي فيه عبيد الله فلما وقعت عين ملك النوبة على الامير عبيد الله
بادر الى يد الامير عبيد الله وقبلها فاشار اليه عبيد الله بان يجلس على تلك المرتبة
التي صنعها له فابى وصار يدفع تلك الفرش الفاخرة برجله فقال عبيد الله للترجمان
لم لا يقعد الملك على تلك المرتبة التي صنعناها له فقال له الترجمان ذلك فقال
ملك النوبة قل للامير كل ملك لا يكون متواضعا لله فهو جبار عنيد متكبر ثم انه
جلس بين يدي الامير عبيد الله وجعل ينكت في الارض باصبعه طويلا ثم انه رفع
راسه الى الامير عبيد الله وقال له كيف سلبتم من ملككم واخذ منكم وانتم اقرب الناس
الى نبيكم فقال له عبيد الله ان الذي سلب منا ملكنا اقرب الى نبينا منا فقال له ملك
النوبة فكيف انتم تلوذون الى نبيكم بقرابة وانتم تشربون ما حرم عليكم من الخمر وتلبسون
الديباج وهو محرم عليكم وتركبون في السروج الذهب والفضة وهي محرمة عليكم
ولم يفعل نبيكم شيئا من هذا وبلغنا لما وليت على مصر كنت تخرج الى الصيد وتكلف اهل
القرى ما لا يطيقون وتفسدون الزرع على الناس وتقدم الهدايا والتقادم من اهل
القرى وكل هذا لاجل كركي تصيده قيمته سبعة انصاف او ثمانية فصار ملك النوبة
يعد على الامير عبيد الله جملة من الذنوب والامير عبيد الله ساكت لا يتكلم بحرف واحد
ثم قال له ملك النوبة فلم استحللتم ما حرم الله عليكم فسلبتم من ملككم واخذ منكم واوقع
الله بكم نقمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا اخاف على نفسي ان انزلتك عندي فتحل بي تلك
النقمة التي حلت بكم والبلاء والرجز مخصوصة ثم قال له ارحل عن ارضي بعد ثلاثة
ايام والا اخذت جميع ما معك وقتلتك اشر قتلة فلما سمع الامير عبيد الله ذلك

خرج من ارض النوبة في يومه ورجع الى مصر فقبض عليه عمال الخليفة المنصور العباسي وبعث
به الى بغداد فسجنه المنصور حتى مات في السجن وهو اخر من تولى على مصر في دولة الخلفا
الاموية من العمال وامامن تولى على مصر من العمال في دولة الخلفا العباسية فجماعة كثيرة
اكثر مما تولى في دولة بني امية وكانوا يسمون عمال الخراج بمصر وكانت الخلفا تشترط على
عمال مصر في تقليدهم العربية والاثواب الدبيقية شغل تنيس والقماش الشرب الاسكندراني
والطرز الصعيدي واجلال الخيل وتشترط عليهم صنفا من العسل النحل المصري ومن عسل بنها
وتشترط عليهم البغال والحمير وغير ذلك من الاصناف التي لا توجد الا بمصر فكان اول
من تولى بمصر في دولة الخلفا العباسية الامير صالح ابن علي بن عبد الله العباسي تولى على
مصر في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فتولى على مصر مرتين ثم تولى من بعده الامير ابو عون
عبد الملك الازدي فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده الامير موسى بن كعب وهو ابو عيينة
تولى على مصر في سنة احدى واربعين ومائة فلم تطل ايامه بها وكانت مدة ولايته على مصر دون
السنة ثم تولى من بعده الامير محمد بن الاشعث الخزاعي فلم تطل ايامه بها وعزل ثم تولى
من بعده حميد بن قحطبة فلم تطل بها ايامه وعزل عنها ثم تولى من بعده الامير يزيد
ابن حاتم المهلبي تولى في سنة سبع واربعين ومائة وفي ايامه وقع الغلا بمصر وشرقت الاراضي
من خسة النيل وفي هذه السنة وفي هذه السنة اخذ قاع النيل فجاء الماء القديم ذراعا
وعشرين اصبعا ولم يعهد مثل ذلك في السنين الماضية فكان منتهى الزيادة في تلك
السنة اثنا عشر ذراعا وستة عشر اصبعا فشرقت البلاد في تلك السنة وحصل للناس
الضرر الشامل ووقع الغلا بمصر حتى ماجت المدينة باهلها ومات الامير يزيد بعد
ذلك بمدة يسيرة ثم تولى من بعده الامير عبد الله بن عبد الرحمن فلم تطل ايامه بها ومات
فتولى من بعده الامير محمد اخو عبد الرحمن عم عبد الله ثم عزل عنها ولم تطل ايامه بها
ثم تولى الامير موسى بن علي وعزل عنها بعد مدة يسيرة ثم تولى من بعده اللخمي في
ايام المهدي فلم تطل ايامه بها وعزل عن ولاية مصر في سنته ولم يستقم امره بها
ثم تولى من بعده الامير عيسى بن لقمان فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده الامير واضح
المنصوري فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده الامير منصور بن يزيد فلم تطل ايامه بها
ثم تولى من بعده الامير يحيى بن داود وتولى في ايام الرشيد فلم تطل ايامه بها ثم تولى
من بعده الامير سالم بن سوادة تولى ايضا في ايام الرشيد بن عبد الملك فلم تطل ايامه
بها ثم تولى من بعده الامير ابراهيم بن صالح العباسي تولى على مصر في سنة خمس وستين
ومائة وكان الرشيد قد ازوجه بابنته غالية فلما تولى على مصر لم يستقم امره بها فعزله
الرشيد عنها ثم تولى من بعده الامير موسى بن مصعب مولى خثعم تولى على مصر في سنة
سبع وستين ومائة فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده الامير فضل بن صالح العباسي
فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده الامير علي بن سليمان العباسي فلم تطل ايامه بها ثم تولى

من بعده الامير موسى بن عيسى العباسي فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده الامير مسلمة
ابن يحيى الاخشى تولى على مصر سنة اثنين وسبعين ومائة فلم تطل ايامه بها ثم تولى
من بعده الامير محمد بن زهير الازدى فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده داود بن المهلبي
تولى على مصر سنة ثلاث وسبعين ومائة هو والامير محمد بن زهير الازدى سنة واحدة
ثم تولى من بعده الامير ابراهيم بن صالح العباسي وفي ايامه توفى امام الليث بن سعد
رضى الله عنه ودفن بالقرافة وكانت وفاته في سنة خمس وسبعين ومائة وذلك في يوم
الجمعة رابع عشر شعبان وهى الولاية الثانية فاقام بها حتى توفى في سنة ست
وسبعين ودفن بمصر ثم تولى من بعده الامير عبد الله بن المسيب الضبي فلم تطل ايامه
بها ثم تولى من بعده الامير اسحاق بن سليمان العباسي تولى على مصر في سنة سبع وسبعين
ومائة ثم تولى من بعده الامير هرثمة بن اعين تولى على مصر في سنة ثمان وسبعين ومائة
فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده الامير عبد الملك بن صالح العباسي تولى في سنة
ثمان وسبعين ومائة فاقام دون الشهر ومات ودفن بمصر ثم تولى من بعده الامير
عبيد الله بن الخليفة المهدى العباسي تولى على مصر في سنة تسع وسبعين ومائة فاقام
بها مدة يسيرة وعزل عنها ثم تولى من بعده الامير موسى بن عيسى العباسي تولى على مصر
ثلاث مرات واقام في اخر ولايته الى سنة ثمانين ومائة ثم تولى من بعده الامير عبيد الله
ابن الخليفة المهدى ثانيا فاقام على ولايته بمصر هذه الثانية نحو سنة وعزل عنها
ثم تولى من بعده الامير اسماعيل بن صالح العباسي فاقام على ولايته بمصر دون السنة
وعزل عنها ثم تولى من بعده الامير اسماعيل بن عيسى تولى على مصر في سنة اثنين وثمانين
ومائة ثم تولى من بعده الليث بن الفضل الاسدى تولى على مصر في سنة اربع وثمانين
ومائة ثم عزل عنها وتولى من بعده الامير احمد بن اسماعيل العباسي تولى على مصر في سنة
تسع وثمانين ومائة ثم عزل عنها وتولى من بعده الامير عبد الله بن احمد العباسي الذى
يقال له ابن زينب تولى على مصر في سنة تسعين ومائة وعزل عنها وتولى من بعده الامير
حسين بن جميل تولى على مصر في اواخر سنة تسعين ومائة ثم عزل عنها في مدة يسيرة
وتولى من بعده الامير مالك بن دلهم الكلبى تولى على مصر في سنة اثنين وتسعين ومائة
فلم تطل ايامه وعزل عنها ثم تولى من بعده الامير حسن بن البجباح تولى على مصر في سنة
ثلاث وتسعين ومائة فلم تطل ايامه بها وعزل عنها ثم تولى من بعده الامير حاتم بن هرثمة
ابن اعين فاقام على ولاية مصر مدة يسيرة ثم عزل عنها وتولى من بعده الامير جابر
ابن الاشعث الطائى تولى على مصر في سنة خمس وتسعين ومائة فلم تطل ايامه بها
ثم تولى من بعده الامير عبادة بن محمد تولى على مصر في سنة ست وتسعين ومائة
فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده المطلب بن عبد الله الخزاعى تولى على مصر في سنة ثمان
وتسعين ومائة وفي ايامه توفى القاضي بكار بن قتيبة الحنفي رضى الله عنه وكان

الرشـ

الرشيد الزمه ان يتولى القضا بمصر فتولى القضا على كره منه وكانت له كرامات خارقة
وكانت وفاته في سنة تسع وتسعين ومائة ودفن بالقرب من باب الزعلة عند الجراة ثم
عزل المطلب في مصر وتولى العباس بن موسى العباسي فلم تطل ايامه بها وعزل عنها ثم
اعيد المطلب ثاني مرة فاقام مدة يسيرة وعزل عنها ثم تولى من بعده السرى بن الحكم
تولى على مصر في سنة تسع وتسعين ومائة فلم تطل ايامه بها وعزل عنها ثم تولى من بعده الامير
عبد الله بن طاهر الخزاعى وكان من حذاق العمال بمصر وهو الذى نقل تربة البطيخ الى مصر
العبدلى ولم يكن بها قبل ذلك منه شيئا وكان ظهوره بمصر في سنة مايتين من سنين الهجرة
في ايام عبد الله بن طاهر واليه ينسب فيقال البطيخ العبدلى واقام عبد الله بن طاهر على ولاية
مصر مدة يسيرة ثم عزل عنها ثم اعيد السرى بن الحكم الى ولاية مصر ثانيا وذلك في سنة
احدى ومايتين فاقام بها مدة ومات ودفن بمصر ثم تولى ابنه محمد بن السرى وفي ايامه
توفى الامام الشافعي محمد بن ادريس رضى الله عنه وكانت وفاته في ليلة الجمعة في سلخ شهر رجب
الفرد سنة اربع ومايتين من الهجرة ودفن بالقرافة الكبرى مقابل تربة القاضي بكار وقيل
مات بعلة البطن ومات وله من العمر اربع وخمسين سنة وكان مولده بمدينة غزة في
سنة خمسين ومائة وهى السنة التى توفى فيها الامام ابي حنيفة رضى الله عنه وقيل لما مرض
الامام الشافعي اوصى بان لا يغسله الا امير البلد فلما مات حضر محمد بن السرى امير البلد
فقيل له ان الامام اوصى بان لا يغسله الا انت فقال هل توفى الامام وعليه دين فقيل له
نعم فحسبوا ما عليه من الدين فاذا هو سبعون الف درهم فقضاها عنه محمد بن السرى وقال
هذا غسلي اياه وانما عنى عن الدين الذى عليه لا قضيه عنه وقيل ان الامام الشافعي
اوصى اذا مات بان السيدة نفيسة رضى الله عنها تصلى عليه فلما مات احضروا نعشه
الى عندها فضربت لها ستارة وصلت عليه من خلفها ثم حمل من عندها ودفن في تربته كما
تقدم ذكر ذلك وقيل ان الامام الشافعي رضى الله عنه لما ساح في الارض في طلب الحديث
فلما قصد التوجه الى نحو مصر انشد في حلقة درسه قبل ان يدخل الى مصر هذين البيتين من نظمه

واني ارى نفسي تتوق الى مصر	ومن دونها عرض المهامة والقفر
فوالله ما ادرى الفوز والغنى	اساق اليها ام اساق الى قبر

فكان الامر كذلك ودفن بمصر وكانت وفاته في ايام الخليفة المامون واما نسبه فهو
محمد بن ادريس بن شافع بن شايب متصل النسب الى عبد مناف احد اجداد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو قرشي واما امه فهى فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن الحسين بن الامام
علي رضى الله عنه وقد قال الكرماني فيه هذه الابيات

الشافعي امام كل ايمة	ترْبى فضايله على الالاف
لكنني اوتيت بدعاء يا رعا	في وصفه هو سيد الاوصاف
ختم النبوة والامامة في الهدى	يجمعهما عبد مناف

وقيل ان ام الشافعي رضي الله عنها رات في منامها وهي حامل ان نجما خرج من بطنها وله
ضوء عظيم فسقط بارض مصر ثم طارت منه شظايا فانتشرت في ساير الافاق فقصت
هذه الرويا على بعض المعبرين فقال لها سيخرج من بطنك مولود ويكون من كبار العلما ويختص
علمه اهل مصر دون غيرها من البلاد ثم ينتشر علمه في ساير الافاق وكان كذا جرى وكان الامام
الشافعي رضي الله عنه حسن الخلق قليل الغضب سخي النفس وقد عاصر الامام مالك بن انس
رضي الله عنه وقرا عليه الموطا في المدينة الشريفة وعاصر ايضا الامام احمد بن حنبل رضي الله
عنه **ومما يحكى** عن الامام الشافعي رضي الله عنه قال كنت في المسجد جالس واذا بلص قد
سرق نعلي من غير علمي ثم مضى الى بيتي فقال للجارية ان الامام قد سرق نعله ولم يجد
ما يمشي فيه فارسلوا اليه نعلا حتى يجي به الى البيت فبينما انا جالس في المسجد واذا بالجارية
قد اقبلت من باب المسجد ومعها نعل فقلت لها ما هذا فقالت قد جاء الينا رجل وقال ان الامام
قد سرق نعله ولم يجد ما يجي به الى البيت فاتوا اليه بنعل غيره فعلمت ان القايل للجارية
هو اللص فتعجبت من لطافة هذا اللص اذ لم يدعني اجي الى بيتي حافيا انتهى **ومن فضايل**
الامام الشافعي رضي الله عنه انه في مدة حياته لم يقع الطاعون بمصر وهو بها ولا وقع
في غيرها من البلاد في مدة حيوته طاعونا وذلك نحو من خمسين سنة نقله لك ابن حجر ومن
هنا نرجع الى اخبار امرا مصر **ثم تولى من بعد محمد بن السري اخوه عبيد الله**
ابن السري تولى على مصر في سنة ست وماتين وفي ايامه توفت السيدة نفيسة رضي الله عنها
وكانت وفاتها في شهر رمضان سنة ثمان وماتين من الهجرة ودفنت بالمراغة وكان لها
كرامات خارقة واسرار ظاهرة **وقيل** ان النيل توقف عن الزيادة في ايامها فارسلت
قناعها فغسلته في بحر النيل فزاد في تلك الليلة وادفى سنة عشرة اذرعا ببركتها **قال**
شمس الدين ابن خلكان في تاريخه هي نفيسة بنت الامير حسين بن زيد بن الحسن بن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين اتت من مكة الى مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر
الصادق رضي الله عنه وقيل بل دخلت مصر مع ابيها الامير حسين **وقيل** كان لها اولاد
من زوجها اسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه قال ابن خلكان ان الامام الشافعي
رضي الله عنه حضر الى عندها واخذ عنها الحديث وبالجملة ان الدعا عند قبرها مجاب وقيل
ماتت ولها من العمر نيفا وسبعين سنة انتهى ذلك **ثم اعيد الامير عبد الله** بن طاهر
الى ولايته على مصر ثانيا فاقام مدة ثم عزل عنها ثم تولى من بعده **الامير عيسى** بن
يزيد الجلودي تولى على مصر في سنة ثلثة عشر وماتين فاقام بها نحو سنة ثم عزل عنها
وتولى **الامير عمير** بن الوليد التميمي تولى على مصر في سنة اربعة عشر وماتين فاقام
بها مدة يسيرة وعزل عنها **ثم اعيد الامير عيسى** بن يزيد ثانيا ثم عزل عنها وتولى
من بعده **عبدويه بن جبلة** تولى على مصر في سنة خمسة عشر وماتين فاقام بها مدة
ثم عزل عنها وتولى من بعده **الامير عيسى** بن منصور الرافقي وفي ايامه خرج اهل مصر عن

طايفة

طايفة الخليفة المامون وامتنعوا عن وزن الخراج وطردوا العمال عن البلاد وكانت فتنة عظيمة
بمصر حتى كادت ان تخرب من اجلها وعظم الامر حتى قدم الخليفة المامون الى مصر وخمدت
هذه الفتنة ومهد البلاد وعزل عيسى بن منصور الرافقي عن مصر وكان ذلك سنة سبعة
عشر وماتين وقد تقدم ذكر ذلك في اخبار الخليفة المامون ثم تولى من بعده **الامير نصر**
السعدي المسمى كندر فلم تطل ايامه بها وعزل عنها ثم تولى من بعده **المظفر** فلم تطل ايامه بها
وعزل عنها **ثم اعيد الامير عيسى** بن منصور الرافقي فاقام بها مدة ثم عزل عنها في
سنة تسعة عشر وماتين ثم تولى من بعده **الامير موسى** بن علي فكانت مدة ولايته على مصر
نحو شهر ويومين وعزل عنها ثم تولى من بعده **الامير مالك بن كندرة** فلم تطل ايامه بها
وعزل عنها ثم تولى من بعده **علي بن يحيى الارمني** تولى على مصر في سنة خمس وعشرين وماتين
فلم تطل ايامه بها وتولى من بعده **الامير هرثمة** بن نصر الجبلي ثم تولى **ابنه حاتم** ثم تولى
اسحاق بن يحيى ثم تولى من بعده **الامير عبد الواحد** السمي حوها تولى على مصر في سنة ست
وثلاثين وماتين فلم تطل ايامه بها وعزل عنها ثم تولى من بعده **عنبسة بن اسحاق** بن شمر
تولى على مصر في سنة ثمان وثلاثين وماتين وفي ايامه اتوا بني الاصفر الى ثغر دمياط
وهجموا على اهلها وقتلوا جماعة من المسلمين واسروا منهم جماعة فجاء الخبر الى مصر بذلك
في يوم عيد النحر ونادى النفير بها فخرجوا اهل الفسطاط جميعا وتوجهوا الى ثغر دمياط
وتحاربوا مع بني الاصفر فانتصر عليهم عنبسة واسر منهم جماعة وهرب الباقون جميعا
ورجع عنبسة الى المدينة الفسطاط فاقام بعد ذلك مدة ومات ودفن بها وتولى من بعده
الامير يزيد بن عبد الله التركي وكان من الموالي تولى على مصر في ايام الخليفة المتوكل على الله
جعفر وهو الذي بنا المقياس الجديد في جزيرة الفسطاط وابطل المقياس الذي بناه
اسامة بن زيد التنوخي في ايام خلفا بني امية وصار العمل في قياس النيل على هذا المقياس
الجديد الى الان وكان بنايه في سنة سبع واربعين وماتين وقد ذكر اشيا لطيفة من
اخبار المقياس في اول التاريخ في اخبار الخليفة المتوكل واوضحت ذلك انتهى ثم تولى
من بعده **مزاحم بن خاقان التركي** فلم تطل ايامه بها ثم تولى من بعده **احمد**
ولم تطل ايامه وعزل عنها ثم تولى من بعده **ارخوز التركي** وكان من الموالي تولى في ايام
المتوكل فلم تطل ايامه بها وعزل عنها ثم تولى من بعده **الامير محفوظ بن سليمان**
تولى في ايام المتوكل ايضا فكان يقول اني تاملت ارض مصر فوجدتها اذا بلغ ماء النيل
ستة عشر ذراعا فقد وفى خراج مصر تاما وان زاد ماء النيل بعد ذلك ذراعا واحدا
نقص من الخراج ماية الف دينار لما يستبحر من بطون الاراضي التي هي واطية وان زاد
النيل خمسة عشر ذراعا ثم انهبط حصل للناس الضرر الشامل واستسقوا اهل مصر لذلك
ووقع بها الغلا ولو ان اراضي مصر تزرع كلها لوفت بخراج الدنيا كلها باسرها **قال**
محفوظ ابن سليمان امير مصر تبقى بلغ من خراج مصر في ايام المتوكل ثلثماية الف دينار

فارسل احضرني في الحديد فلما وصلت الى بغداد دخلت عليه بعد ان فرغ من صلوة الفجر وانا لا اعقل من الوهم فاصبته جالسًا وفي يده درج مكتوب بما الذهب فلما ابصرني قال من انت فقلت عبدك محفوظ بن سليمان فقال ويحك في اي ساعة دخلت علي بها فقلت في ساعة خير ياامير المومنين فقال هل تدري ما في هذا الدرج الذي في يدي فقلت لا والله ياسيدي فقال هذا ما انزل على دانيال عليه السلام يقول الله تعالى عند تناهي شدتي يكون فرجي وعند نزول بلاي يكون رجاي وفي مثلي فليطمع الطامعون اذهب يا محفوظ فقد وهبت لك ماعليك من المال وو ليتك على مصر فامضي راشدًا وامر بنزع قيودي واخلع علي خلعة سنية وقد قيل في المعنى

ماخاب عبد على الله الكريم له ، توكل صادق في السر والعلن
حاشاه ان يجرم الراجي اجابته ، اذا دعاه لكشف الهم والحزن

واستمر الامير محفوظ بن سليمان على ولايته بمصر حتى مات ودفن بها في سنة اربع وخمسين ومايتين ثم تولى من بعده **الامير احمد بن محمد بن المدبر** فلما تولى على مصر احدث بها انواعا من المظالم في جهات متعددة منها انه حجر على الاطرون بعدما كان مباحا للناس ومنها انه قرر على الرعاة ماكانوا يرعوه من المراعي في الفلاه وصير عليهم قدرا معلوما واحدث اشياء كثيرة من هذا النمط فهذه اول شدة لحقت اهل مصر من المظالم وقد انحط خراجها في هذه الايام الى الغاية حتى بقي ثمان مايه الف دينار بعدما كانت تجبى في ايام خلفا بني امية اثنى عشر الف الف دينار بغير مكوس ثم صارت مصر تتزايد من هذه الاحوال الفاسدة وقد آل امرها الى الخراب حتى تولى امرها الامير احمد بن طولون واستقل بها وانفرد وادعى بها الامر لنفسه وذلك في ايام محمد المعتز بالله بن جعفر المتوكل

ذكر اخبار دولة الامير احمد بن طولون

قال ابراهيم بن وصيف شاة كان طولون والد الامير احمد اصله من مماليك الخليفة المامون ثم ولد له الامير احمد هذا فلما انتشى طلع شجاعا بطلا عالي الهمه سعيد الحركات تولى على مصر في اواخر خلافة المتوكل في خمس وخمسين ومايتين ولما دخل مصر كان في ضيق حال يحتقره كل من يراه قيل كان بمصر رجلا من الاعيان يقال له علي بن سعيد البغدادي وكان له نعمة من المال فلما بلغه حضور الامير احمد خرج الى تلقيه فلما راه في ضيق حال ارسل اليه عشرة الاف دينار فقبلها ورأى له معروفا وحظي ذلك الرجل عنده فكان لا يتصرف في شي من الامور الا براي ذلك الرجل وتضاعفت عنده منزلته الى الغاية

قال ابن وصيف شاة لما تولى الامير احمد بن طولون على مصر اخذ في اسباب عمارة قرى مصر وعمارة جسورها وقناطرها وحفر خلجانها وسد ترعها فاستقامت احوال الديار المصرية في ايامه بعد ماكانت قد تلاشى امرها الى الخراب وانحط خراجها في ايام من تقدمه من العمال فلما حصلت العمارة والعدل عم الرخا ساير اعمال الديار المصرية

حتى ابيع

حتى ابيع القمح في ايامه كل عشرة ارادب بدينار وعلى هذا فقس في جميع البضايع ووصل خراج مصر في ايامه مع وجود هذا الرخا اربعة الاف الف دينار وثلثمايه الف دينار بغير المكوس قال ابن وصيف شاة فلما تم امر الامير احمد بن طولون في ولايته على مصر واستقامت احواله بها استكثر من مشترى المماليك الديالمه حتى بلغت عدتهم اربعة وعشرين الف مملوك وبلغ مشترى عبيده اربعين الف من العبيد الزنج واستكثر من شترى العرب حتى بلغ عدتهم سبعة الاف انسان فعند ذلك سطا على الخلفا وادعى الخلافة لنفسه بمصر وانفرد بخراجها فحاربه الخليفة المعتضد بالله اشد المحاربة فلم يقدر عليه فخضع له وارسل خطب ابنة الامير خمارويه وهي الست قطر الندا فاصدقها مايه الف دينار وزفت من مصر الى بغداد في محفة وكان مدة توجهها من الديار المصرية الى بغداد في مدة ستة اشهر فكانت تمشي كما تمشي السحابة فلما حضرت الى بغداد فدخل عليها المعتضد بالله وزفت عليه وكان لهم مهم عظيم واحبها المعتضد بالله حبا شديدا واقامت معه حتى ماتت قيل ان النجوم تطايرت في السما شرقا وغربا في ايام الامير احمد بن طولون وذلك في سنة احدى واربعين ومايتين فارتاع الامير احمد من ذلك واحضر ارباب الفلك وساءلهم عن ذلك فما اجابوا بشي فصار الامير احمد متطيرا من ذلك فدخل عليه الشاعر المسمى بالجمل وهو جالس في موكبه وانشد هذه الابيات

قالوا تساقطت النجوم ، لحادث ابدا عسير
فاجبت عند مقالهم ، بجواب محتنك خبير
هذه النجوم الساقطات ، رجوم اعدا الامير

فتفاءل الامير احمد بذلك واخلع على الشاعر الجمل خلعة سنية قال ابن وصيف شاة خرج الامير احمد بن طولون يوما على سبيل التنزه الى نحو الاهرام فبينما هو يسير اذ غاصت قوايم فرسه في الارض فامر بكشف ذلك المكان فلما كشفه فاذا هو مطلب فيه دنانير ذهبا يوسفيات فنقله الى خزاينه على ظهور الجمال بالشكاير واتسع حاله فاخذ في اسباب بناء الجامع المعروف به وكان بناؤه في سنة ستين ومايتين قيل انه انفق على بنيانه مايه الف دينار قال القضاعي ان الامير احمد بن طولون وضع اساس هذا الجامع على مكان يسمى جبل يشكر وكان هذا الجبل يشرف على بحر النيل قبل حفر تلك البركتين احدهما تعرف ببركة الفيل والاخرى تعرف ببركة قارون قيل ان جبل يشكر هذا مشهور باجابة الدعا وسبب ذلك ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه في بعض الاوقات وهو مكان مبارك قيل ان النمل دار على محراب هذا الجامع لما وضعوا اساسه فبنوا على ذلك الخط الذي وضعه النمل المحراب ويسمى محراب النمل الى الآن وذكر النبي صلى الله عليه وسلم في المنام عدة مرار يصلي في ذلك المحراب فلما بنا الامير احمد بن طولون هذا الجامع قرر به جماعة من العلما والقرا واجرى عليهم الرواتب والصدقات فكان له في كل يوم راتبا من الطعام والخبز

حتى الحلوى والفاكهة وغير ذلك وكان هذا مستمرا في كل يوم وانشا به مارستان برسم
الضعفا ولم يكن قبل ذلك بمصر مارستان غيره فكان يجرى على هذه الرواتب والصدقات
في كل يوم الف وماية دينار وكان الامير احمد يرسل في كل عام سنة الى فقرا بغداد ماية
الف دينار برسم الصدقات ويرسل اليهم بكسوة الشتا والصيف دايما في مدة ولايته على مصر
قال الشيخ ابو الحسن بن حماد وكان من كبار العلما كنت راقدا في بعض الليالى في منزلي واذا بالباب
يدق على في نصف الليل فنظرت من الطاق واذا برجال ومعهم مشاعل فوقفوا على بابي فقلت
ما تريدون قالوا ابا الحسن بن حماد فقلت ها هو انا فقالوا امضى فان الامير احمد قد
طلبك في هذه الساعة فارتعدت اعضاى فخرجت معهم وركبت بغلتي وانا آيس من الحياة
فلما وصلت الى دار الامير احمد دخلت وسلمت على حاجب الباب فقال لى ادخل وخذ في
مشيك على يمينك واحترز ان لا تقع في البحرة وكانت ليلة مظلمة من ليالى الشتا فمشيت
حتى بلغت ضوء الشمع ثم وقفت هناك ساعة واذا بالامير احمد في قبة لطيفة وهو نايم
على ظهره وبين يديه شمعتان فوقفت طويلا فلما علم بي قال ابو الحسن فقلت نعم
فقال ادخل فدخلت ووقفت بين يديه فقال لى اجلس فجلست فقال لى لاى شى تصلح
هذه القبة وكانت قبة لطيفة يجلس فيها نحو اربعة انفس فقلت تصلح للفكر وتلاوة
القرآن ومطالعة العلم ومنادمة المحبين فتبسم ثم قال ما تقول في هذه المسئلة فقلت
يقول الامير ايده الله بنصره فقال ما تقول فيمن سلط على شى فتعمله فهل يعذب
عليه قال ابو الحسن فعلمت ان المسئلة ناشية عنه فقلت على الفور لو كان كل مسلط
معذبا لكان ملك الموت اشد الناس عذابا يوم القيامة فلما سمع ذلك استوى جالسا
وقال كيف قلت فقلت لو كان كل مسلط معذبا لكان ملك الموت اشد عذابا يوم
القيامة ثم سكت طويلا وقال انصرف الى منزلك فخرجت من عنده وانا لم اصدق بالنجاة
فلما خرجت من عنده تبعنى الحاجب بكيس فيه ماية دينار وانصرفت الى منزلى وانا ارتعد
من الخوف وكان الامير احمد شديد الغضب سفاكا للدما **وكان** الامير احمد يقول
انى لا اجد في فم الرجل عنى اذا خاطبته من اللذة ما لا يجده مجامع المراة الحسنا عند
جماعها انتهى **قال** ابن وصيف شاه كان راتب مطبخ الامير احمد بن طولون في كل يوم
الف دينار تصرف فيما يحتاج اليه امر الطعام والحلوى والفاكهة والسكر والشمع وغير
ذلك وكان منتهى حكمه من مصر الى الفرات ومن مصر الى بلاد الغرب **قال** جامع السيرة
الطولونية كان بمدينة عين شمس وهى التى تسمى الآن المطرية صنما من الكدان لا يبقى
على قدر طول الرجل المعتدل وكان محكم الصناعة يكاد ان ينطق فقصد الامير احمد
ان ينظر اليه فنهاه عن ذلك بعض الكهان وقال له ايها الامير لا تنظر الى هذا الصنم ما نظر
اليه احد من ولاة مصر الا عزل عنها في سنته فلم ينتهى الامير احمد عن ذلك وركب وتوجه
الى مدينة عين شمس ولم يزل حتى راى ذلك الصنم فامر باحضار القطاعين فكسره

قطعا ولم يبق له اثر فلما رجع الامير احمد الى داره فلم يقم بعد ذلك سوى عشرة اشهر ومرض
وتسلسل في المرض فاضطربت مصر بسبب مرضه وخرج الناس قاطبة الى الصحرا وفعلوا
مثل ما يفعلوا في الاستسقا فخرج الناس حفاة وعلى رؤسهم المصاحف وخرج اليهود وعلى
رؤسهم التوراة وخرجوا النصارى وعلى رؤسهم الانجيل وخرج الاطفال من المكاتب وعلى رؤسهم
الالواح وخرجوا اكابر العلما والصلحا وهم يدعون الله تعالى له بالعافية والشفا فاستمر الامير
احمد في ذلك المرض حتى مات به **فكانت** وفاته في سنة تسع وستين ومايتين **فكانت**
مدة ولايته بمصر نحو اثنى عشر سنة وكان يقول في مرضه يا رب ارحم من جهل مقدار نفسه
وقد ابطره حلمك يا ارحم الراحمين وكان الامير احمد ملكا عادلا في الرعية كريما
سخيا منقادا الى الشريعة يحب العلما والصلحا وكان يصلى على من يموت في البلد من فقير او غنى
بنفسه ويحضر دفنهم ويحب فعل الخير كثير البر والصدقات وكان له اشتغال بالعلم
وطلب الحديث وكان نافذ الكلمة وافر الحرمة حكم في ايام ولايته من مصر الى الفرات ومن مصر
الى بلاد الغرب وعم العدل منه سائر الجهات حتى تحيروا منه ملوك بغداد وكانت افعاله
جميلة غير انه كان سفاكا للدما شديد الغضب سيئ الخلق **قيل** مات في حبسه ثمانية
عشر الف انسان ولما مات الامير احمد دفن بالقرب من باب القرافة **قال** بعض الثقات
كنت ارى شيخا من اهل العلم يقرا على قبر الامير احمد بن طولون في كل يوم ثم رايته ترك
القراة ورجع عن ذلك فسالته عن سبب ذلك فقال لى كان للامير احمد على بعض احسان
فاحببت ان اصله بعد موته بشى من القرآن فرايته في بعض الليالى في المنام فقال لى يا فلان
لا تبقى تقرا على قبرى شيا فانى ما تمر بى آية الا قيل لى اما سمعت هذه الآية في دار
الدنيا فهل لا كنت تعمل بها وما رايت اشد على رؤسا الدنيا من الحجاب في كفهم نحو الحاج
المظلومين عن الحكام ثم انشد وهو يقول

ولو انا اذا متنا تركنا ۞ لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا ۞ بعد ذا عن كل شى

مع ان الامير احمد كان فيه الخير وابطل في ايامه جملة مكوس كانت حدثت بمصر في ايام
احمد بن المدبر **قال** ابن وصيف شاه لما توفى الامير احمد بن طولون خلف من اولاده ثلاثة
وثلاثين ولدا منهم سبعة عشر ذكورا وباقى ذلك اناثا وخلف من الذهب العين عشرة
الاف الف الف دينار وخلف من المماليك المشتروات سبعة الاف مملوك ومن العبيد
السود اربعة وعشرين الف عبد وخلف من الخيول سبعة الاف فرسا ومن البغال والحمير
ستة الاف راسا وخلف من الجمال عشرة الاف جملا ومن المراكب الحربية والشوانى الف
مركبا وخلف من اللولو والجواهر واليواقيت ماية صندوق وخلف من التحف والفرش
ما لا يحصى عدده هذا خارجا عن الضياع والاملاك والبساتين وغير ذلك وكان
خراج مصر في ايامه اربعة الاف الف دينار وثلثماية الف دينار بعد اسقاط المكوس

وهي نحو مايتي الف دينار مع وجود الرخا و انحطاط سعر الغلال في زمانه ولما مات رثاه
بعض الشعرا بهذه الابيات

خذ القناعة من دنياك وارض بها ٭ واقصد لنفسك منها راحة البدن
وانظر لمن قد حوى مصرا وما جمعت ٭ هل راح منها بغير القطن والكفن

ولما مات الامير احمد بن طولون تولى من بعده ابنه خمارويه **ذكر اخبار الامير**
خمارويه ابن احمد بن طولون تولى على مصر بعد ابيه الامير احمد ومشى
على نظامه وطريقته واستكثر من المماليك وزاد في عسكره شناترة العرب النجبا حتى بلغوا
نحو عشرة الاف انسان وكان يجلب الجياد من الخيل فاستكثر منها حتى ضاقت بها الاسطبلات
وكان لها انساب مثبوتة في الدواوين كانساب الناس المعروفة **قال** ابن وصيف شاة
كان الامير خمارويه مولعا بالعماير وغرس الاشجار فقيل انه انشا له ميدانا بالقرب من جامع
ابيه ونقل اليه الاشجار من ساير البلاد الشامية والهندية حتى من خراسان ومن مكة ومن
اليمن فكان به ساير الفواكه وساير الرياحين حتى الكادي والقرنفل والسنبل والزعفران
وجوز الهند وغير ذلك من انواع الفواكه والزهورات والرياحين والاشيا الغريبة
التي لم تزرع قط بمصر ثم زرع اشيا من انواع الرياحين وجعلها كالسطور تقرا مثل
حسبنا الله ونعم الوكيل وما اشبه ذلك من الالفاظ ووكل بتلك السطور جماعة
بايديهم مقاريض من الذهب والفضة يصلحون بها ما يفسد من الاوراق ويخرج عن
قالب الاعتدال في الاحرف حتى يستقيم الكلام في معناه ثم انه البس فوقاني الاشجار
الكبار بالنحاس الاصفر وطلاه بالذهب فكانت الشمس اذا طلعت على تلك الاشجار
لا يقدر احد ان ينظر اليها من شدة اتقاد ذلك النحاس المموه بالذهب وكان
يسحق المسك والكافور وينثره على تلك الرياحين السطور وصنع في ذلك البستان
بحرة كبيرة وملاها من الزيبق وكان يصنع على ذلك الزيبق فراشا من جلد حياة
انعم من الحرير وكان له حركات يمتلي بالريح ثم يشد فاه بحبل ويطرح ذلك الفراش
على ذلك الزيبق وينام عليه **قال** بعض المورخين ان خمارويه هذا كان يعلو به قريان
المفاصل فكان يصنع ذلك حتى يجد له راحة وينام ساعة من الليل **قال** ابن وصيف
شاة خرج خمارويه يوما الى الفضا على سبيل التنزه فلقيه اعرابي فاخذ بعنان
فرسه وانشد له وهو يقول

ان السنان وحد السيف لو نطقا ٭ لحدثا عنك في الهيجا بالعجب
افنيت مالك تعطيه وتنيله ٭ يا آفة الفضة البيضا مع الذهب

فلما سمع خمارويه هذه الابيات فقال لغلامه ادفع له ما معك في الخريطة فوجد فيها
خمسماية دينار فدفعها اليه فقال الاعرابي زدني ايها الامير فقال له من تريد فقال
خمار المماليك اطرحوا عليه مناطقكم وسيوفكم وكانت مسقطة بالذهب فقال

للاعرابي ومن يحمل لك ذلك فامر له ببغل يحمله ذلك ومضى فلما رجع خمارويه الى قصره فرق
على المماليك سيوفا ومناطقا عوضا عن ما اخذ منهم واستمر خمارويه في ولايته على مصر
حتى توفي بها ودفن عند ابيه **ثم تولى من بعده ابنه الافضل امير جيوش بدر**
الجمالي وهو صاحب سوق مرجوش **قال** القضاعي ان الافضل هذا هو الذي حفر خليج ابي
المنجا وكان المتولي حفر هذا الخليج ابي المنجا شعيا اليهودي فعرف به من يومئذ وقال القضاعي
ان الافضل هو الذي بنا المسجد المطل على بركة الحبش المعروف الآن بالرصد وانما سمي
بالرصد قيل كان فوقه كوة من النحاس الاصفر قدرها نحو قنطار وهي مركبة على اعلا قبة الرخام
الابيض بسبب تحرير الساعات لاجل دخول وقت الصلاة ولم ينسب الى الحاكم بامر الله في
بنايه شياء وانما هي اشاعة بين الناس في نسبته الى الحاكم **ومن الحوادث** في ايام الافضل
انه في يوم الجمعة ثاني رجب سنة تسع وسبعين ومايتين هاجت بالديار المصرية ريح سودا
واشتد هبوبها واظلم الجو حتى ظهرت النجوم بالنهار فارتاع الناس من ذلك وتوجهوا
الى المساجد يبتهلون الى الله تعالى بالدعا فلم تزل تلك الرياح عاصفة من العصر الى المغرب
ثم بعد ذلك سكن الريح وانجلت تلك الظلمة وعادة الناس الى دكاكينهم بعد ما تركوها
مفتوحة ومضوا الى المساجد **وفي ايامه** توفي الشيخ بنان الحمال رضي الله عنه وكان صاحب
كرامات خارقة ودفن تحت الجبل المقطم بالقرافة واستمر الافضل في ولايته على مصر
حتى مات بها ودفن في المسجد الذي في حارة برجوان **وكانت** وفاته في سنة احدى
وتسعين ومايتين **ثم تولى من بعده ابنه هارون** فلما تولى على مصر لم يستقر امره بها
وعزل عنها فكانت مدة ولايته على مصر ثمانية اشهر وايام **ومن الحوادث** في ايامه ان شخصا
يسمى ابو الحسن الصايغ الخراساني توجه الى نحو الطيخ فوجد في بعض الدفاين شربة زجاج
ازرق بعروة خضرا فاخذها ابو الحسن المذكور وكان معه رفقة فجا الى شاطى البحر
فملوا منه تلك الشربة فتناولها بعض الجماعة ليشرب منها ماء فوجده خمرا مسكا طيب
طيب الرايحة احمر اللون ولم يكونوا يعلموا ما في تلك الشربة من السر فلما علموا اشانها
فرام كل واحد من الجماعة اخذها فتخاصموا عليها فوقعت فانكسرت فوجد وا فيها شخصا
لطيفا من نحاس اصفر وتحت رجله عتبة وهو يبصرها فلما شاع امرهم بين الناس بما جرى
فاحضروا بين يدي الامير هارون فوجد الشربة قد انكسرت علق قطعا فاسف عليها
واغتم لذلك وقال لو كانت صحيحة لاشتريتها ببعض ملكي وان هذه كانت من محاسن
الزمان انتهى ذلك **ثم تولى من بعده الامير شيبان** بن ولد الامير احمد بن طولون وكان
يكنى بابي المناقب تولى على مصر في سنة اثنين وتسعين ومايتين فلم تطل ايامه بها وعزل
عنها **ثم تولى من بعده الامير عيسى الدنوشري** فلم تطل ايامه بها وعزل عنها وفي ايامه
وقعت صاعقة عظيمة في مدينة الفسطاط فاحرقت عدة اماكن **ثم تولى من بعده ابي الحسن**
السمي وكان الاعور تولى على مصر في سنة ثلاث وثلاثماية فاقام بها مدة يسيرة وعزل

عنها ثم تولى من بعده شخص يسمى تكين التركى تولى على مصر مرتين ثم عزل عنها وتولى
من بعده شخص يسمى هلال بن بدر المصرى على مصر فى سنة تسع وثلثماية لم تطل بها
ايامه وعزل عنها ثم تولى من بعده شخص يسمى احمد بن كيغلغ فاقام بها مدة يسيرة
وعزل عنها ثم اعيد تكين التركى الى ولايته بمصر ثالث مرة فكانت ولاية احمد بن كيغلغ
وعود تكين فى سنة واحدة وهى سنة احدعشر وثلثمايه ولم تزل الاحوال مضطربة بمصر حتى
ابتدات دولة الاخشيدية قال الكندى ان من تولى بمدينة فرغانة يسمى الاخشيدى
فكان اول من تولى منهم احمد بن كيغلغ ومحمد بن طغج وابو القاسم على وابو بكر بن محمد بن طغج
وابو بكر بن محمد بن طغج وخادمهم كافور فاما احمد بن كيغلغ ومحمد بن طغج فتوليا على مصر
كل واحد منهم مرتين ولم تطل ايامهما بها واما ابو القاسم على فانه تولى على مصر فى سنة
خمس وثلاثين وثلثمايه وفى ايامه وقع الغلا بمصر واستمر تسع سنين متواليه وسببا
ذلك ان النيل كان ينتهى فى زيادته الى خمسة عشر ذراعا واربعة عشر اصبعا واستمر
فى كل سنة يزيد هذه الزيادة الخسيسة الى سنة تسع واربعين وثلثمايه فوقع الغلا بسبب
ذلك فى هذه السنين ثم تولى عقيب ذلك الامير ابو القاسم على الاخشيدى واما الامير
ابو بكر بن محمد بن طغج فانه تولى على مصر مدة طويلة نحو عشرين سنة وفى ايامه استقامت
احوال الديار المصرية وانضبط احوال الناس واستكثر من العساكر ورتب لهم الرواتب
والجامكات فى كل شهر فبلغت عدة عساكره بمصر والشام نحو اربعماية الف فارس وبلغ
خراج مصر فى ايامه الفى الف دينار قيل ان الوزير عمل لاولاده فى ليلة الغطاس
فوانيس شمع مزهر فكان مصروف ذلك ماية وعشرون الف دينارا واستمر الامير
ابو بكر فى ولايته على مصر حتى توفى فى سنة خمس وخمسين وثلثماية ودفن بمصر فكانت
مدة ولايته بها نحو عشرين سنة ولما مات الامير ابو بكر رثاه الشاعر ابو الطيب المتنبى
بهذه الابيات ∘ هو الزمان مشت بالذى جمعا ∘ فى كل يوم ترى من صرفه بدعا ∘

∘ لو كان ممتنعا تغنيه منعته ∘ لم يصنع الدهر بالاخشيد ما صنعا ∘
∘ ذاق الحمام فلم تدفع عساكره ∘ عنه القضا ولا اغناه ما جمعا ∘
∘ لو يعلم المجد ما قد ضم من كرم ∘ ومن فخار ومن نعماء لانصدعا ∘
∘ يا لحد طل ان فيك البحر محتبسا ∘ والليث مهتصرا والجود مجتمعا ∘
∘ يا يومه لم تخص العجم فيه لقد ∘ كل الورى برد الاخشيد قد فجعا ∘

ولما مات الامير ابو بكر تولى من بعده خادمه ابو المسك كافور الاخشيدى فلما
تولى على مصر مشى على طريقة استاذه الامير ابو بكر واطاعه اهل مصر ثم انه استجد فى
عسكره جماعة كثيرة من طوايف البربر ومما وقع له انه كان جالسا فى موكبه فى يوم عيد
فدخل عليه طايفة من التكرور وهم يرقصون ومعهم طبل وطنبور فلما رقصوا بين يديه
طرب لهم وحرك كتفه ثم انه استدرك غلطه فصار كتفه يتحرك فى كل ساعة من الليل

والنهار

والنهار حتى مات وقال هذا مرض يعتريني ولم يخرج عن ناموسه قيل وكانت علامته على
مراسيمه القلم يمده والسيف يحده والعبد يشره لا بابيه ولا بجده قال الشيخ شمس الدين
الذهبى فى تاريخه كان راتب كافور الاخشيدى فى مطبخه فى كل يوم الفان رطل من اللحم البقرى
وسبعماية رطل لحم ضانى ومايتين طير اوز وثلثماية طير دجاج وثلثماية فرخ حمام وعشرين
فرخ سمك بحار وعشرين دميسا دهنا وثلثماية صحن حلوى وسبعين افراد فاكهة والف كوز
فقاع ومائة قرابة من السكر والف كاجه وخمسة افراد بقولات وكان يحضر على سماط
الخاص والعام قيل ووقعت زلزلة عظيمة بمصر فى ايامه فخاف الناس من ذلك وهربوا
الى الجبال فدخل محمد بن عاصم الشاعر على كافور وهو فى موكبه فانشده قصيدة عظيمة منها
∘ ما زلزلت مصر من خوف يرادعها ∘ لكنها رقصت من عدله طربا ∘
فلما سمع كافور ذلك اجازه على هذه القصيدة بالف دينار وهذه الجايزة التى جيبت
المتنبى حتى دخل الى مصر ومدح كافور بقصايد سنية وهى ثابتة فى ديوانه الى الآن قيل
ووقع حريق عظيم فى ايامه بمصر وعملت النار من سوق البزازين الى قيسارية العسل
ودخل الليل والنار على حالها فبات الناس على وجل من ذلك فركب كافور وامر المنادى ينادى
بان من جاء بقربة فيها ماء فله ماية درهم فجاءت الناس بالقرب وفيها الماء فاطفوا تلك
النار فكان عدة ما احترق فى هذه الواقعة الف وسبعماية دار غير البضايع والاقمشه
التى حرقت للناس وفى ايامه وقع الغلا بمصر وسبب ذلك ان النيل بلغ فى الزيادة الى
اثنى عشرة ذراعا وتسعة عشر اصبعا ثم انهبط فشرقت الاراضى ووقع الغلا وكان ذلك
فى سنة ست وخمسين وثلثماية قال الكندى وكان من اثار عجايب القدما الى ايام كافور
الاخشيدى حوضا من رخام اخضر مدورا وعليه كتابة لا تقرا بالقلم القديم وهذا
الحوض كان فى بحر النيل عند طرا فاذا جلس فيه واحد من الناس او اربعة وحركوه فيعدى
بهم من جانب الى جانب فاخرجه كافور من البحر والقاه فى البر فبطل عمله من يومئذ واستمر
كافور الاخشيدى فى ولايته على مصر الى ان مات فى سنة سبع وخمسين وثلثمايه ودفن
بالقرافة الصغرى فكانت مدة ولايته على مصر نحو ثلاث سنين وهو اخر من تولى على مصر
من الامرا قال ابن وصيف شاه تولى على مصر من الامرا اثنان وسبعون اميرا اولهم
عمرو بن العاص رضى الله عنه واخرهم ابو المسك كافور الاخشيدى ودفن غالبهم بمصر
ومن مبتدا ظهور الاسلام من حين فتحت مصر على يد عمرو بن العاص واخذها من يد المقوقس
عظيم القبط لم ينفرد بملك مصر احد من امرايها ويستقل بخراجها له سوى الامير احمد بن
طولون فى مدة ولايته عليها ولما مات الامير كافور اضطربت احوال الديار المصرية
غاية الاضطراب وطمع اهل القرى فى الجند وامتنعوا عن وزن الخراج فعند ذلك كتبوا
اعيان مصر الى المعز الفاطمى وكان ببلاد المغرب بان يحضر الى الديار المصرية ويتسلم المدينة
ويتولى عليها فلما وقف المعز على تلك المكاتبات فارسل الى مصر الامير جوهر القايد الصقلى

ومعه مايه الف من عساكر الغرب فكان دخول جوهر القايد الى مصر فى سنة ثمان وخمسين
وثلثماية فلما دخل الى مصر لم يعجبه مدينة الفسطاط فاخذ فى اسباب عمارة القاهرة
قال الشيخ شمس الدين الذهبى فى تاريخه لما اراد جوهر القايد ان يبنى سور القاهرة اخطط
اساس المدينه وجمع ارباب الفلك وامرهم ان يختاروا له طالعا سعيدا حتى يضع فيه اساس
المدينة فجعل على كل جهة من اساس المدينة قوايم من الخشب و بين كل قايمة منها حبلا
وفيه اجراس من نحاس ثم وقفت الفلكية ينتظرون الساعة الجيده والطالع السعيد
حتى يضعوا فيه الاساس وكان لهم اشارة مع البنايين اذا حركوا تلك الحبال التى فيها
الاجراس فيلقون ما بايديهم من الحجارة اذا سمعوا حس الاجراس فبينما هم واقفون
لانتظار الساعة السعيدة واذا بغراب وقع على تلك الحبال فتحركت تلك الاجراس
فظن البنايون ان الفلكيه تحركوا لهم الحبال التى فيها الاجراس فالقوا ما بايديهم
من الحجارة فى اساس السور فصاحوا عليهم الفلكيه لا لا القاهر فى الطالع يعنون المريخ
وهو اسمه عندهم القاهر فقضى الامر وخانهم ما قصدوا له من الطالع السعيد فكان كما قيل

يريد المرء ان يعطى مناه ۞ ويابى الله الا ما يريد

فقال الفلكيون اعلموا ان هذه المدينة الذى يملكها الاتراك وكان الامر كذلك وكان
بناء سور القاهرة فى سنة تسع وخمسين وثلثماية من الهجرة وبنى اولا بالطوب اللبن
فلما فرغ بنا السور ارسل الامير جوهر القايد يعرف المعز بفراغ بنا السور فقدم اليها

ذكر ابتدا دولة الخلفا الفاطمية العبيديين بمصر

قال الشيخ شمس الدين الذهبى فى نسبه هو المعز ابو تميم معد بن المنصور اسماعيل بن القايم
بامر الله محمد بن المهدى عبيد الله المغربى الفاطمى وكان مولده ببلاد الغرب بمدينة افريقيه
فى يوم الجمعة تاسع عشرين شوال سنة احدى واربعين وثلثمايه وهو رابع خليفة من
بنى عبيد الله ببلاد المغرب بمدينة افريقيه وفى سبب شرفا هذه الفاطمية اقوال
كثيرة فمن الناس من قد نسبهم الى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الناس من
قد نسبهم الى الحسين بن محمد بن احمد بن القداح وكان اصل القداح من ابنا المجوس وهذا
الامر عند ارباب التواريخ فى نسبهم مشهور والكثر الاتفاق عليه قال الذهبى وكان
قدوم المعز الى مصر فى سابع شهر رمضان سنة احدى وستين وثلثمايه وقد انقرضت
دولة الاخشيديه بموت الامير كافور قال الشيخ عماد الدين بن كثير لما دخل المعز
الى مصر دخل معه الف وخمسماية جمل موسوقة ذهبا عينا وكان معه من النفائس والتحف
ما لا سمع بمثله فمن جملة ذلك كان معه قبة من البلور وهى قطعتان يجلس فيها نحو
اربعة انفس فكانت اذا نصبت فى الليلة المقمرة تختفى ضوء القمر من شعاعها وكان معه
اربع خوابى من البلور كل خابية تسع قدر راوية من الماء وكان معه غير ذلك من التحف
والعجايب قيل لما اراد المعز ان يتوجه الى مصر حمل معه اجداده الذين ماتوا بمدينة

افريقيه

افريقيه فحملهم فى توابيت من خشب فلما دخل الى مصر دفنهم بالقرافة الكبرى قال ابن كثير
لما دخل المعز الى مصر فراى ما بناه جوهر القايد لم يعجبه وعاب عليه ما بناه وقال له لقد
بنيت هذه المدينة فى وطية لا هى بحرية ولا هى جبلية وكان قصد المعز لو بناها على شاطى
النيل وقيل ان المعز سمى القاهرة اولا المنصورية فلما بلغه ما وقع للفلكيه من امر القاهر
ما وقع فغير اسمها وقال سموها القاهرة فاستمرت من ذلك اليوم على هذا الاسم وقد
قالت فيها الشعرا اشعارا كثيرة

آخر

لله قاهرة المعز فانها ۞ بلد تخصص بالمسرة والهنا
او ما ترى فى كل قطر منية ۞ من جانبيها فهى مجتمع المنى

وقال

مصر لها الافضال اذ لم تزل ۞ على العدا منصورة ظاهرة
ما غولبت كلا ولا قوهرت ۞ الا وكانت مصر والقاهرة

قال المسبحى لما استقر المعز بمصر انفرد بها ولم يدخل تحت طاعة الخلفا العباسية
وادعى الخلافة لنفسه بمصر وقال انى افضل من الخلفا العباسية لانا من ولد فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الخلفا الفاطمية يحكمون من مصر الى الشام الى حلب
الى الفرات الى مكة والمدينة الشريفة الى القدس والخليل وصارت مصر وبلاد الغرب
مملكة واحدة وكانت الخلفا العباسية يحكمون من الفرات الى بغداد واعمالها الى اخر بلاد
الشرق وكان يخطب لكل خليفة منهما فى الجهات التى تحت حكمه باسمه فقط ثم ان المعز
استكثر من العساكر بمصر فكانوا ما بين كتامة وروم وصقالبه وبربر ومغاربة وكانوا فى
العدد لا يحصون لكثرتهم حتى قيل لم يطا الارض بعد جيوش الاسكندر بن افليبش الرومى
اكبر اكثر من جيوش المعز الفاطمى ثم انه بنى قصر الزمرد مكان دار الضرب وكان
جوهر القايد وزيره ومدبر مملكته وجوهر هذا هو الذى بنا الجامع الازهر وكان بناؤه
فى سنة احدى وستين وثلثماية وكان جوهر من تجار الرافضة وكانت له فى مصر حرمة
وافرة وكان خراج مصر فى ايامه الف الف دينار ومايتى الف دينار وكان خراج مصر
قد انحط فى ايام من تولى من قبله فجدد الامير جوهر ما فسد من عمارة القناطر والجسور
وغير ذلك حتى استقامت احوال الديار المصرية فى ايامه ولما تولى المعز على مصر منع القبط
مما كان يعمل فى يوم النيروز من صب المياه على الناس فى الطرقات ووقود النار فى تلك
الليلة وكانوا يخرجون فى ذلك عن الحد ومنعهم ايضا مما كان يعمل فى ليلة الغطاس ايضا
من نزول المراكب وضرب الخيام على شاطى النيل عند المقياس فاشهر النداء بابطال ذلك
جميعه وهدد من يفعل ذلك بالشنق فرجع الناس عن ذلك فى ايامه وكان يحصل من هذه
الافعال غاية الفساد بمصر فى تلك الايام قال المسبحى فى تاريخه ان امراة وقفت
للمعز وهو فى موكبه وانشدت ۞ تخطتنا ريب الزمان كانتا ۞ دجاج وكلن لا يعاد له سيكا
فقال لها المعز من انت ايتها الامراة فقالت انا زوجة الامير ابو بكر محمد بن طغج الاخشيدى

صاحب مصر فقام اليها المعز وقال لها ما حاجتك فقالت اني قد اودعت بقلطاقا لي عند شخص يهودي فاقام عنده مدة ثم اني طلبته منه فانكره فقلت له خذ منه ما تختار من جواهره واعطني الباقي فابا وامتنع من الاعطا وانكر ذلك اصلا فلما سمع المعز ذلك ارسل خلف اليهودي وساله عن امر البقلطاق الذي اودعته عنده زوجة الامير ابي بكر الاخشيدي فانكره ولم يعترف به فامر بتفتيشه فلما تحقق ذلك اعترف به فامره المعز باحضاره فلما احضره بين يديه تخير ما فيه من الجواهر واللالي ثم انه وجد اليهودي قد سرق من صدرة ذلك البقلطاق دنانير فساله عن ذلك فاعترف انه باع تلك الدنانير بالف وستماية دينار فاخذ المعز ذلك البقلطاق من اليهودي وامر بشنقه فشنق ثم دفع ذلك البقلطاق الى زوجة الاخشيد فسالته ان ياخذه منها على سبيل الهدية فابا من قبول ذلك فاخذته وانصرفت وهي داعية له وكان المعز يحب العدل والانصاف بين الرعية غير انه كان رافضيا سبابا للصحابة في يوم الجمعة على المنابر **قال** المسبحي ان المعز كان يميل الى علم الفلك فاخبره جماعة من المنجمين بان عليه قطعا شديدا في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا ثم اشاروا عليه بان يختفي في سرب تحت الارض حتى تمضي عنه تلك القطوع فاختفى في سرب نحو اربعة اشهر فلما طالت غيبته على جنده ظنوا انه قد رفع الى السما فكان الفارس من عسكره اذا نظر الى الغمام في السما ينزل عن فرسه ويقول السلام عليك يا امير المومنين فلا زالوا على ذلك حتى ظهر من ذلك السرب وجلس على سرير ملكه وهم يحسبون انه كان في السماء واتى اليهم **قال** المسبحي كان للمعز اخت تسمى ست سيدة الملك قيل انها توفيت في خلافة اخيها المعز فوجد لها من الذهب العين ثلثماية صندوق ومن الفصوص الياقوت الملون واللولو خمسة ويبات ووجد لها مدهنا من الياقوت الاحمر زنته سبعة وعشرين مثقالا لم يحصى له ثمن ووجد لها من الشقق الاحمر الحرير ثلاثين الف شقة **قال** بعض المورخين وكانت اخت المعز مع وجود هذه السعة ازهد الناس في الدنيا وكانت لا تاكل الا من ثمن غزلها دايما حتى ماتت واستمر المعز في الخلافة بمصر حتى مرض وتسلسل في المرض ومات **فكانت** وفاته في ربيع الاخر سنة خمس وستين وثلثماية وكان له من العمر لما توفي نحو احد واربعين سنة وهو اول خلفاء بني عبيد الله بمصر ودفن عند سيدي زين العابدين جد السيدة نفيسة التي تربته بين الكيمان عند حدرة بن قميحة وكانت مدة خلافة المعز بمصر اربع سنين وشهرا ويومين وكان المعز رجلا عادلا عاقلا حازما لبيبا فصيحا شاعرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله

مابان عذري فيك حتى عذرا ، وبدا البنفسج فوق ورد احمرا
همت بقبلته عقارب صدغه ، فاستل ناظره عليها خنجرا

ولما مات المعز تولى من بعده ابنه العزيز انتهى ما اوردناه من اخبار المعز الفاطمي وذلك

على سبيل

على سبيل الاختصار **ذكر خلافة العزيز بالله بن منصور** نزار بن المعز بالله معد الفاطمي العبيدي وهو الثاني من خلفا بني عبيد الله بمصر **بويع** له بالخلافة بعد موت المعز في سنة خمس وستين وثلثماية وكان مولده بمدينة القيروان في سنة اربع وخمسين وثلثماية فلما تم امره في الخلافة بمصر استقر بجوهر القايد مدبرا لمملكته كما كان في ايام ابيه المعز **وكان** العزيز يحب العدل في الرعية وينصف المظلوم من الظالم وكان كريما جوادا محمودا ناحية الرعية وصفا له الوقت بالديار المصرية ثم انه استكثر في عسكره من المماليك الديالمة والمصامدة والاتراك المغل واستقر بالقاضي يعقوب بن كلس وزيرا قيل لما تولى العزيز الخلافة دخل عليه محمد الله بن حسن الجعفري الشاعر يهنيه بالخلافة بعد موت ابيه فانشده هذه القصيدة منها

عمت خلافته مصرا فصار بها ، كانه الشمس فيها حلت الحملا
ان المعز الذي لا خلق تشبهه ، الا العزيز ابنه او فاق او فعلا
فان مضى كافل الدنيا فصار لها ، من بعده كافلا يفني بما كفلا
اضحت ملوك بني الدنيا له خدما ، وما حوت كل دار منهم نفلا

وحكى المسبحي في تاريخه ان العزيز لما تم امره بمصر استقر بشخص من النصارى عاملا بمصر على سائر جهاتها وكان يقال له بطروس واستقر بشخص من اليهود عاملا على سائر جهات دمشق وكان يقال له منشاة فحصل من النصراني لاهل مصر غاية الظلم والاذى وحصل من اليهودي لاهل دمشق غاية الظلم والاذى فاتفق ان العزيز ركب يوما وشق من القاهرة فزينت له فعمد بعض الناس الى مخرقة من جريد والبسها ثياب النسا وزيرها بازار وشعريه وجعل في يدها قصة على جريدة وكتب فيها بالذي اعز جميع النصارى ببطروس واعز جميع اليهود بمنشاة واذل جميع المسلمين بك الا ما رحمتهم وازلت عنهم هذه المظالم فلما مر العزيز على تلك الصورة ظن انها امراة ولها حاجة فطلب قصتها فلما قراها اشتد به الغضب وامر بشنق ذلك النصراني بطروس فشنق على باب القصر وارسل بشنق منشاه اليهودي فشنق على احد ابواب دمشق واحتاط على جميع اموالهما من صامت وناطق

ومن الحوادث في ايامه ان في سنة سبع وسبعين وثلثماية ولدت امراة بمدينة تنيس جارية لها راسان ووجهان في عنق واحد وكان احد الوجهين ابيض اللون والاخر اسمر اللون وفيه شهولة وكل وجه منهما كامل الخلقة وذلك الوجهان في جسد واحد فكانت ام تلك المولوده ترضع كل وجه منهما على انفراده فحملت هذه المولوده الى العزيز من تنيس الى مصر حتى شاهدها فوجد لامها شيا من المال ثم عادت الى تنيس فعاشت هذه المولودة مدة يسيرة ثم ماتت **ومن ايامه** في سنة تسع وسبعين وثلثماية حدث بمدينة تنيس في ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الاول منه ارعدت السما وابرقت واظلم الجو وظهر في السما حمرة من نار تلتهب فاضاءت منها الدنيا ثم اشتدت تلك الحمرة

وجاءت عقب ذلك ريح سودا فيها غبار حار ياخذ بالانفاس من شدة حره فارتاع الناس
من ذلك وايقنوا بالهلاك وصار يودع بعضهم بعضا فضج الناس الى الله تعالى بالدعا ولم
يزل على ذلك من بعد العشا الى طلوع الفجر حتى خمدت الريح وخمدت تلك الاعمدة التى
وزالت الحمرة من الجو فلما لاح الصباح طلعت الشمس وهى محمرة فاقامت على ذلك خمسة
ايام حتى اعتدلت **قال** ابو القاسم عبد المجيد القرشى ان فى سنة احد وسبعين وثلثماية
اصيدت سمكة بمدينة تنيس من البحر المالح وكان طولها من راسها الى ذنبها ثمانية وعشرين
ذراعا ونصف ذراع وكان عرضها خمسة عشر ذراعا وكان فتح فيها تسعة وعشرين شابرا
وكان لها يدان طول كل واحدة ثلاثة اذرع وكان لها عينان كعينى البقر ولسان كلسان الثور
العظيم وكانت ملسا وفى جلدها غلظ فلما صيدت امر والى تنيس بان يشق بطنها
ويحشى ملحا فوضعوا فى جوفها مايتى اردب ملح فكان الرجل يدخل الى جوفها وهو حامل
قفة الملح قايما غير منحنى فامر نايب تنيس بحملها الى القاهرة حتى شاهدها الخليفة
العزيز وتعجب من خلقتها انتهى ذلك **وكانت** مدينة تنيس هذه من اجل المداين وكانت
بالقرب من دمياط **قال** المسعودى كان طول مدينة تنيس من الجنوب الى الشمال ثلاثة
الاف ذراع ومايتى ذراع وكان عرضها من المشرق الى المغرب ثلاثة الاف ذراعا وخمسة وثمانون
ذراعا بالعمل وكان لها تسعة عشر بابا مصفحة بالحديد وكان بها عدة مساجد نحو مائة
وستين مسجدا وبكل مسجد منارة وكان بها ستة وثلاثون حماما وكان بها مائة معصرة
للزيت والسيرج والقصب وكان بها مائة وستين طاحونا وكان بها من الحوانيت القيسارية
وخمسماية حانوتا برسم البضايع وكان بها من المناسج القماش نحو خمسة الاف منسجا ينسجون
فيهم الثياب الشرب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا وكانوا ينسجون بها الثيابا تسمى البدنة
تنسج بالذهب صناعة محكمة يباع الثوب منها بماية دينار وكان يحمل منها الى بغداد
وكان يعمل بها طرزا من الكتان بغير ذهب يباع كل طراز منها بمايتين دينار وهو بغير ذهب
وكان بهذه المدينة النخل والكروم وساير اصناف الاشجار وكانت صحيحة الهوا كثيرة
الطير والسمك وكانت اهلها يدخرون بها ماء النيل فى اجباب فلا يفسد ولو اقام بها
دهرا طويلا **وكان** بها طريقا مسلوكا يابسة الى جزيرة تنيس تمشى عليها الدواب
فغلب عليها ماء البحر المالح فغرق تلك الارض قبل ان تفتح مصر بماية سنة ولم تزل مدينة
تنيس عامرة الى سنة ثلاثة وسبعين وخمسماية حتى جاء اليها نحو اربعين مركبا مشحونة
جماعة من الفرنج فحاصروا اهلها فلما اشرفوا على اهل المدينة هرب اهلها الى ثغر دمياط
وتركوا المدينة فاستولوا عليها الفرنج وملكوها ونهبوا ما فيها ثم القوا فيها النار فاحترقت
كلها ثم اخذوا ما قدروا عليه من الغنايم وتركوا المدينة خرابا ورحلوا عنها واستمرت
على ذلك الى سنة اربع وعشرين وستماية فى دولة الملك الكامل محمد بن ايوب فامر بهدم
ما بقى من سورها وبيوتها واستمرت خرابا من يوميذ الى الآن قال المسعودى ان الذى

بنا مدينة تنيس كانت امراة تسمى تنيس وهى بنت صا ابن تداوس احد ملوك القبط
فسميت تلك المدينة بها انتهى ذلك **قال** العينى ان فى ايام العزيز تزايد هذا ظهر السمك
البلطى بالنيل ولم يكن به قبل ذلك منه شيا وهو من اسماك البحر المالح **وفى ايامه** ايضا
ظهر السمك اللبيس بحر النيل ولم يكن منه قبل ذلك شيا وهو ايضا من اسماك البحر
المالح هرب ودخل الى البحر الحلو وانما سمى لبيسا لانه يشبه البورى فالتبس به فسمى
لبيسا انتهى ذلك واستمر العزيز بالله نزار فى الخلافة بمصر حتى توفى **وكانت** وفاته
فى شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثماية **وكانت** مدة اقامته فى الخلافة بمصر احد
وعشرين سنة وخمسة اشهر وايام وكان خيار بنى عبيد قاطبة ولما مات تولى من بعده
الحاكم بامر الله منصور انتهى ما اوردناه من اخبار العزيز بن المعز وذلك على سبيل الاختصار
منها **ذكر خلافة الحاكم بامر الله** ابو على منصور بن العزيز نزار بن المعز
معد الفاطمى العبيدى وهو الثالث من خلفا بنى عبيد الله بمصر **بويع له** بالخلافة بعد موت
ابيه العزيز فى يوم الثلاثا سلخ شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثماية من الهجرة **وكان**
مولده بالقاهرة فى يوم الخميس سادس عشرين جمادى الاول سنة خمس وسبعين وثلثماية
فلما تولى الخلافة اظهر العدل بين الرعية وسار فى الناس سيرة حسنة واخذ فى اسباب
بناء جامعه الذى هو داخل باب النصر وكان مبتدا عمارته فى سنة تسع وثمانين وثلثماية
ولما تم امره فى الخلافة بمصر افرد لليهود حارة زويلة وامرهم بان يسكنوا بها ولا
يخالطوا المسلمين فى حاراتهم ثم انه بعد مدة امرهم بان كل منهم يدخل فى دين الاسلام
فخافوا منه واسلموا كلهم ثم اذن لهم بالعود الى دينهم فارتد منهم فى يوم واحد اكثر من
سبعة الاف يهودى ثم ان الله امره بهدم كنايسهم ثم انه اعادها الى ما كانت عليه اولا
وفى ايامه توفى الامير جوهر القايد وزير المعز فلما مات وجد له من الاموال ما لا
يحصى فمن جملة ذلك من الذهب العين الف الف دينار ومن الدراهم اربعة الاف الف
درهما ومن اللولو الكبار واليواقيت اربع صناديق مملوة ومن القصب الزمرد الف
قصبة ومن الثياب الديباج ودق تنيس خمسة وسبعين الف قطعة ووجد عنده دواة
من الذهب طولها ذراع وهى مرصعة بالدر والياقوت فقوم ما عليها من الجواهر بماية
عشر الف دينار ووجد عنده لعبة من المسك والعنبر الخام اذا توضع فيها به المسها عليها
ووجد فى داره ماية مسمار من الذهب على كل مسمار منها عمامة لون ووجد عنده
من المعالق الذهب والفضة ثلاثة الاف معلقة ووجد عنده عشرة الاف زبدية صينى
وبلور وفضة ووجد عنده اربع قدور من الذهب وزن كل قدر ماية رطل ذهب قيل
كان يطبخ فيهم المسلوقة ووجد عنده سبعماية خاتم بفص من ياقوت وزمرد والماس
ووجد عنده ثلاثة الاف نوجه ذهب وفضة وبلور وصينى هذا كله خارجا عن الخيل
والبغال والحمير والعبيد والجوار والفرش والاملاك والضياع وغير ذلك ولما

مات الامير جوهر القايد دفن بالزائدة الكبرى ثم ان الحاكم بامر الله لما توفى الامير جوهر القايد استقر بالامير برجوان عوضه فى الوزاره وبرجوان هذا هو صاحب الحارة المنسوبة اليه وكان من امرا الحاكم وكان الحاكم يخشى من سطوة برجوان ولا يتصرف فى شى من امور المملكة الا برايه وصار معه كالمحجور عليه فاقام على ذلك مدة طويلة فما طاق ذلك فندب الى برجوان من قتله وهو خارج من الحمام فلما قتل برجوان احتاط الحاكم على موجوده فوجد له اكثر مما وجد لجوهر القايد فمن جملة ذلك وجد له من الذهب العين ماينى الف الف دينار ومن الدراهم الفضة خمسون اردبا ووجد له من القماش ماينى احد وستين بقجة ووجد له الف سروال من البعلبكى العال وفى كل سروال نافجة مسك وتكه حرير ابيض ووجد الف قميص حرير سكندرى والف منديل حرير شغل اسكندرية ووجد عنده من كل صنف من القماش الف قطعة ووجد عنده من الجواهر اثنى عشر صندوقا هذا خارجا عن الاملاك والضياع والخدم ووجد عنده من الابقار والاغنام والجاموس ما يباع لبنه فى كل سنة بثلاثين الف دينار على يد ابى الحسن بن يزيد العامل ووجد له من الحواصل والمناخات مالا يحصى كثرة فصار الحاكم ينقل ما فى موجود برجوان فى كل يوم دفعتين من حارة برجوان الى القصر الزمرد الذى كان عند دار الضرب على ما ينى جمل نقالين فى كل يوم نحو اربعين يوما قال الشيخ شمس الدين الذهبى لما قتل برجوان صار الحاكم ما على يده يد فعند ذلك طغى وتجبر وصار يفعل اشياء متضاددة لاتقع الا من المجانين الذى فى عقلهم خلل فمن ذلك انه مر يوما بحمام الذهب التى بمصر فسمع فيها ضجيج النسا وهن فى الحمام فامر بان يسد عليهن باب الحمام فسدوه عليهن من وقته وساعته بالحجر الفص فاستمر فى الحمام حتى ماتوا سريعا فى الحمام ولم يجد واحد منهم من يغيثهم ولا يشفع **ومنها** انه منع الناس من بيع الزبيب وامر بحرق الكروم وقطعها فقطع منها نحو ماية الف كرمه **ومنها** انه منع الناس من بيع العسل الاسود وكسر منه نحو اثنى عشر الف مطر **ومنها** انه منع الناس من اكل الملوخية واكل الفقوع وكتب قصايد على الفلاحين ان لا يزرعوا شيئا من الملوخيه ولا الفقوع وعلل بتحريم الملوخيه لكون ان ابا بكر الصديق كان يميل اليها وعلل بتحريم الفقوع لكون ان عايشة بنت ابى بكر كانت تميل اليه **وقيل** انه اطلع يوما على جماعة ياكلون ملوخيه فضربهم بالسياط وطاف بهم فى القاهرة ثم امر بان تضرب اعناقهم عند باب زويله **ومنها** انه نهى عن بيع السمك الذى لاقشر له ونهى عن بيع الرطب ونهى عن زرع الترمس **ومنها** انه امر بقتل الكلاب فقتل منهم نحو ثلاثين الف كلب **ومنها** انه صار يوقد الشمع فى مجلسه ليلا ونهارا ثم انه صار يجلس فى الظلام واستمر على ذلك مدة طويلة **ومنها** انه امر الناس بان يغلقوا الاسواق بالنهار ويفتحوها بالليل وجعل الليل مقام النهار فى جميع احوال الناس فامتثلوا منه ذلك واستمروا عليه دهرا طويلا

ثم انه مر فى بعض الايام على شيخ يعمل فى النجارة من بعد العصر فوقف عليه وقال له الم نهيتكم عن ذلك فقال له الشيخ يا امير المومنين اما كان الناس يسهرون بالليل فهذا من جملة السهر فتبسم وتركه ثم اعاد الناس الى ما كانوا عليه فى الاول يتعاطون اشغالهم بالنهار **ومنها** انه كان يكتب سب الصحابة وامر بكتابة ذلك على ساير ابواب المساجد والجوامع فاقام على ذلك مدة ثم انه محو ذلك **ومنها** انه هدم قمامة وبنى مكانها مسجدا ثم اعادها على ما كانت عليه قامه وكان يبنى عدة مدارس ويقرر بها المشايخ والصوفيه ثم يقتلهم ويهدم تلك المدارس **ومنها** انه كان يعاقب جماعة من خواصه بسلب الالقاب فاذا غضب على احد سلب لقبه مدة طويلة لا يدعوه بذلك اللقب فيصير ذلك الرجل فى حزن وبكا حتى يرد عليه لقبه فيكون ذلك عنده عيدا **ومنها** انه امر طايفة اليهود بان يجعلوا فى اعناقهم اذا خرجوا الى الاسواق قرامى خشب وزن كل قرمه خمسة ارطال وامر النصارى بان يجعلوا فى اعناقهم صلبانا من حديد قدر ذراع وامرهم بان يلبسوا الميازر العسليه وان لا يركبوا بهيمة فاقاموا على ذلك مدة ثم اعادهم الى ما كانوا عليه **ومنها** انه امر الناس اذا ذكر اسمه الخطيب فى يوم الجمعة وهو على المنبر تقوم الناس صفوفا اعظاما لذكره واحترا لاسمه فكان يفعل ذلك فى ساير مملكته حتى فى الحرمين الشريفين وبيت المقدس **ومنها** انه كان يلبس جبة صوف ابيض ويركب على حمار عالى اشهب يسمى القمر ويطوف فى اسواق مصر والقاهرة ويباشر حسبة البلد بنفسه وكان معه عبد اسود طويل عريض يمشى فى ركابه يقال له مسعود فان وجد احدا من سوقته غش فى بضاعته امر ذلك العبد مسعود بان يفعل به الفاحشة العظمى وهو اللواط فيفعل به على دكانه والناس ينظرون اليه حتى يفرغ من ذلك والحاكم واقف على راسه وقد صار مسعود هذا مثلا بين الناس عند لطفا اهل مصر اذا مزحوا مع احد يقولوا احضر له مسعود وفى ذلك يقول بعض الشعرا

ان لمسعود آلة عظمت ۞ كانها فى صفات طومار

تشق ادبار من لهم جرم ۞ اصعب منه زة بمسمار

ومنها انه ابطل صلاة التراويح نحو عشر سنين ثم اعادها كما كانت اولا **ومنها** انه كان يحب اهل العلم والصالحين فيغضب عليهم ويقتلهم واقام يلبس الصوف مدة سبع سنين ثم ترك ذلك ولبس الحرير **ومنها** انه كان يركب على حماره الاشهب المدعو بالقمر فينزل عنه عند باب جامعه الذى عند باب النصر وياخذ بيده من يختار من غلمانه فيرقده ويشق بطنه بيده ثم يخرج مصارينه بيده فيرميهم الى الكلاب ويترك المقتول مكانه حتى يدفنوه اهله وكان يعذب جماعة من خواصه بالنار وقتل جماعة كثيرة من العلما منهم ابو اسامة وكان من كبار العلما ومنهم جبارة اللغوى **قيل** ان الشيخ جبارة كان كان يعرف للطلب فى اللغة ثلثمايه اسما فى لغات العرب ومنهم الهروى وغير ذلك من العلما **ومنها** انه كان عنده شجاعة واقدام مع جبان وادبار وكان يحب الكرم

ويكثر من البخل وكان يحب فعل الخير ويتبعه بشى من الشر ويحب العدل في الرعية ويتبعه بشى من الظلم والجور فكان كما قال القايل في المعنى

ارتيك اخلاقا حسانا قبيحة ۞ وانت لعمري كالذى انا واصف
قريب بعيد باذل ممتنع ۞ كريم بخيل مستقيم مخالف
كذوب صدوق ليس يدرى صديقه ۞ ايجفوه من تخليطه ام يلاطف
فلا انت ذو اغش ولا انت ناصح ۞ وانى لفى شك لامرك واقف
كذاك لسانى هاجى لك مادح ۞ كان قلبى جاهل بك عارف

حكاية ابو الهوت

قال القاضى شمس الدين ابن خلكان في تاريخه ان الحاكم بامر الله كان يعبد الكواكب كما كان جده المعز وكان له اشتغال بامر المطالب وله في ذلك اخبار كثيرة قيل انه ظفر في بعض المطالب بصنم من حجر كدان وهو مجوف وفي جوفه روحانى موكل به فكان ينطق كما ينطق الادمى فكان من جملته انه يظهر الصنايع ويخبر عن المكان الذى هو فيه فلما ظفر الحاكم بهذا الصنم فامر باشهار الندا في مصر والقاهرة بان لا احدا من الناس لا يغلق له باب دار ولا حانوت وان ضاع لاحد من الناس شيا فهو في درك الحاكم فامتثل الناس بامره فلما باتوا تلك الليلة سرق من مصر والقاهرة في ذلك الليلة اربعماية عمله فاصبح الناس يستغيثون للحاكم تحت قصر الزمرد فقال الحاكم ما الخبر فقال له الوزير يا امير المومنين ان اللصوص قد سرقوا في هذه الليلة من مصر والقاهرة اربعماية عمله لما ان تركوا دكاكينهم وابوابهم مفتحة فقال الحاكم لا باس عليهم ثم امر باشهار الندا بان كل من ضاع له شى يحضر بين يدى الحاكم فحضر اصحاب الضوايع جميعهم فلما تكاملوا احضر ذلك الصنم بين يديه وصار اصحاب الضوايع يتقدم الواحد منهم بين يديه ويقول له يا ابا الهول قد ضاع لى ما هو كيت وكيت فيقول ذلك الروحانى الذى في جوف ذلك الصنم ان متاعك اخذه فلان بن فلان وهو في المكان الفلانى في الحارة الفلانية فيرسل الحاكم بعض غلمانه الى ذلك فيحضر ذلك المتاع بعينه فيسلمه الى صاحبه فلا زال يحضر لكل شخص من الناس ما ضاع له حتى رد على جميع الناس ضوايعهم ثم احضر اللصوص الذى سرقوا فامر بشنقهم اجمعين ثم نادى في مصر والقاهرة رحم الله من راى العبرة في غيره فاعتبر فصارت الناس يتركون دكاكينهم وابوابهم مفتحة ليلا ونهارا ولم يفقد لاحد منهم شيا حتى كان يقع من الرجال منهم الدرهم الفلوس فلا يجسر احد من الناس ان ياخذه من الارض حتى يمر صاحبه وياخذه ولو بعد حين وحكى بعض المورخين ان رجلا وقع منه كيس فيه الف دينار عند جامع احمد بن طولون فصار مرمى على الارض وكل من راه يتباعد عنه فاقام مرمى على الارض اسبوعا حتى مر صاحبه واخذه وهذا الذى قد جسر الحاكم على ان جعل الليل مقام النهار في جميع احوال الناس وقيل ان هذا الصنم لم يزل عند الحاكم حتى قتل فعمد اليه بعض اللصوص وكسره تحت الليل فبطل من يومئذ

فعله

فعله ولم ينطق ما كان في جوفه ولم يكن من محاسن الحاكم غير هذه الحكاية انتهى ذلك حكى بعض المورخين ان رجلا اودع عند رجل جرابا فيه الف دينار وسافر الى الحجاز فلما عاد طلب ذلك الجراب من الرجل فانكره غاية الانكار فشكا ذلك الرجل امره الى الحاكم فقال له الحاكم اقعد لى في الشارع فاذا مررت بك فقم الىّ وتحدث معى فلما فعل ذلك ومر عليه الحاكم فقام له وتحدث معه واطال معه الحديث فمر به الرجل الذى عنده الجراب فراى صاحب الجراب يتحدث مع الحاكم حديثا طويلا فلما مر الحاكم ومضى احضر ذلك الرجل الجراب ودفعه الى صاحبه وقال لقد تذكرت وديعتك وها هى فوجد الرجل ختمه لم تفتح فمضى به ذلك الرجل الى الحاكم وعرفه بما جرى له مع الرجل فقال له الحاكم خذ جرابك وامضى الى حال سبيلك فلما اصبح فراى ذلك الرجل الذى كان عنده الجراب مشنوقا على باب داره والناس يتحدثون في امره قال ابن كثير ووقع الغلا بمصر في زمن الحاكم في سنة سبع وثمانين وثلثماية فاجتمع الناس تحت قصر الزمرد واستغاثوا بالحاكم في ان ينظر في احوال الناس فقال لهم الحاكم اذا كان الغدا توجه الى الجامع راشده واعود من مصر فان وجدت في طريقى مكانا خاليا من الغلة ضربت عنق صاحب ذلك المكان ثم انه توجه الى الجامع راشده وتاخر هناك الى بعد العصر فما بقى احد من اهل مصر والقاهرة الا وحمل ما عنده من الغلال ووضعها في الطريق الذى يمر من عليها الحاكم فلما رجع من جامع راشده وجد الغلال قد امتلات بها الطرقات وشبعت اعين الناس فتقدم الى اصحاب الغلال ان لا احد يدخر في بيته شيا من الغلال وقرر معهم اسعارا معلومة لكل صنف من الغلال بثمن معين لا يزد ولا ينقص فعند ذلك سكن روع الناس الذى كانوا فيه ووقع الرخا في مصر وساير اعمالها وذلك من شدة رعب الناس من الحاكم ومن سطوته فكان كما قيل في المعنى

صاحب اخا الشر لتسطو به ۞ يوما على بعض صروف الزمان
فالرمح لا يرهبا انبوبه ۞ الا اذا ركب فيه السنان

وفي هذه السنة وهى سنة سبع وثمانين وثلثماية توفى ابن زولاق صاحب تاريخ مصر ودفن بها ومن النكت المضحكة قيل كان في زمن الحاكم قاضيا بمصر يقال له النطاح وسبب ذلك انه كان له طرطور وفيه قرنان من قرون البقر فيضعه الى جانبه فاذا جاءه خصمان يتحاكمان عنده وجار احدهما على الاخر فيلبس القاضى ذلك الطرطور الذى فيه القرنان ويتباعد وينطح الخصم الذى يجور على صاحبه فاشتهر امره بين الناس بهذه الواقعه فبلغ امره الى الحاكم فارسل خلفه فلما حضر بين يديه قال له ما هذا الامر الذى قد اخبرت عنه حتى فحشت سيرتك بين الناس فقال يا امير المومنين اشتهى ان تحضر مجلسى يوما وانت من خلف ستارة لتنظر ماذا اقاسى من العوام فان كنت معذورا فيهم والا عاقبنى بما تختار فقال له الحاكم انا غدا احضر مجلسك حتى ارى ما تقول فلما

اصبح الحاكم اتى الى مجلس ذلك القاضى خصمان فادعى احدهما على الاخر بمائة دينار فاعترف
له المدعى بها عليه فامره القاضى بدفع ذلك الى صاحبه فقال المدعى عليه انى معسر
فى هذا الوقت فقسطوا على ذلك على قدر حالى فقال القاضى للمدعى ما تقول فقال اقسطها
عليه فى كل شهر عشرة دنانير فقال المديون لا اقدر على ذلك فقال القاضى تكون خمسة
دنانير فقال المديون لا اقدر على ذلك فقال القاضى تكون دينارين فقال المديون
لا اقدر على ذلك فلا زال القاضى يدرجه حتى قال له تكون عشرة دراهم فى كل شهر وهو
يقول لا اقدر على ذلك فقال له القاضى وما القدر الذى تقدر عليه فى كل شهر فلعل
ان يرضا به خصمك فقال المديون انا ما اقدر على اكثر من ثلاثة دراهم فى كل سنة بشرط
ان يكون خصمى فى السجن ليلا يحصل معى هذا القدر لم اجد خصمى فيذهب منى فلما سمع
الحاكم ذلك لم يملك عقله وخرج من خلف الستارة وقال للقاضى انظر هذا النجس الشيطان
والا انا اقتله وكان الحاكم احمق من القاضى انتهى ذلك **قال** الشيخ شمس الدين الذهبى
فى تاريخ الاسلام لا زال الحاكم يتزايد فى الظلم والجور واستخف باهل مصر حتى انه
ادعى الربوبية من دون الله كما فعل فرعون فكان اذا مر فى الطرقات والاسواق يقولون
له جماعة من العوام يا واحد يا احد يا محيى يا مميت وكانت جماعة من جهال العوام
يسجدون له كلما راوه ومن لم يفعل ذلك ضرب عنقه ثم انه ادعى فى وقت بانه يعلم علم
الغيب فكان يقول للامراء والوزراء يا فلان اشتغلت فى بيتك البارحة ما هو كيت
وكيت وكان ذلك باتفاق بينهم مع العجائز التى يدخلن الى بيوت الامراء والوزراء
وغيرهم ذلك من اعيان اهل مصر فلما زاد الامر فى ذلك كتب اليه بعض الناس رقعة
وارموها له وهو فى معظم موكبه وكان فى الرقعة مكتوب هذه الابيات

بالجور والظلم قد رضينا ۞ وليس بالكفر والحماقة
ان كنت اوتيت علم غيب ۞ بين لنا كاتب البطاقة

فلما قرا تلك الرقعة سكت عن الكلام فى امر ما كان يدعيه من علم الغيب انتهى ذلك
قال ابن كثير ان هذه الفاطمية كانوا يدعون الشرف ويقولون نحن افضل من العباسية
لاننا من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض العلماء الذين تواجهوا
لهم اثبت لهم نسبا فاسدا بانهم من ولد فاطمة لا الامام على رضى الله عنه وليس بصحيح
وانما هم من ولد ديصان بن سعيد وكان اصله مجوسى وقد وافق على ذلك جماعة من
العلماء مثل ابى حامد الاسفراينى والشيخ ابو الحسن القدورى وغيرهم ذلك من العلماء وكان
الحاكم يذكر نسبه فى كل جمعة وهو على المنبر يخطب وكانت الناس ترفع اليه الرقاع
فى اشغالهم وهو على المنبر فرفعت اليه رقعة فيها مكتوب هذه الابيات

انا سمعنا نسبا منكرا ۞ يتلى على المنبر فى الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا ۞ فانسب لنا نفسك كالطائع

وان كنت

وان كنت ترم تحقيق ما قلته ۞ فاذكر لنا بعد الاب السابع
او لا دع الانساب مستورة ۞ وادخل بنا فى النسب الواسع
فان انساب بنى هاشم ۞ يقصر عنها طمع الطامع

فلما قرا تلك الرقعة رجع عما كان يدعيه من امر النسب واستمر الحاكم على ما ذكرناه من هذه
الافعال الشنيعة ومخالفته لامر الشريعة حتى قتل وكان سبب قتله ان اخته ست النصر
لما زاد اخوها من هذه الافعال اراد قتلها فلما تحققت ذلك وكانت من النسا المدبرات
اخذت فى تدبير الحيلة على قتل اخيها فخرجت تحت الليل واتت الى دار الامير سيف الدين
ابن دواس وكان اكبر امرا الحاكم فلما دخلت عليه اختلى بها وعرفته انها اخت الحاكم فبالغ
فى تعظيمها فقالت له انت تعلم ما تفعله اخى بالرعية من القتل والجور والخراب
للبلاد وقد عول على قتلى وقتلك فقال لها الامير سيف الدين وكيف الحيلة فى قتله
فقالت له الراى عندى انك تندب اليه جماعة من العبيد السود يقتلونه اذا خرج الى
حلوان فانه ينفرد بنفسه فى الطريق فيخرجوا عليه ويقتلوه فاذا قتل تكون انت المدبر
للمملكة من بعده وتولى ولده عوضه فاتفقا على ذلك ثم مضت الى قصرها فلما اصبح النهار
خرج الحاكم على جارى عادته الى نحو حلوان فارسل الامير سيف الدين خلفه عشرة من العبيد
السود الغلاظ الشداد واعطا لكل عبد منهم خمسماية دينار وعرفهم كيف يقتله فسبقوه
العبيد الى حلوان فلما وصل الحاكم الى هناك فنزل بالمغضبة التى فى حلوان بشرقى البلد
فخرج عليه تلك العبيد فقتلوه هناك فلما ابطا خبره على العسكر خرجت اليه جماعة من
الجند يلتمسون رجوعه ومعهم جنايب الموكب بالسروج الذهب والكنابيش فصاروا
يخرجون الى حلوان فى كل يوم ينتظرون رجوعه منذ سبعة ايام فلما ابطا عليهم فوق
السبعة ايام خرج الامير مظفر الحاجب ومعه جماعة من العسكر وكان عسكر الحاكم
ما بين ترك وديلم ومصامدة وصقالبة ودم وعبيد سود وغير ذلك فلما وصلوا
الى اخر المغضبة التى بحلوان وجد واحماره الاشهب المدعو بالقمر وقد قطعت يداه
ورجلاه وعليه السرج واللجام فتبعوا اثر الحمار فوجدوا اثياب الحاكم وكان عليه سبع
جبب صوف ابيض وراوا فيها اثار ضرب السكاكين فلم يشكوا بعد ذلك فى قتله فلما
رجعوا الى القاهرة اشيع قتل الحاكم **وكانت** قتلته فى شوال سنة احدعشر واربعماية
وكانت مدة خلافته بالديار المصرية والبلاد الشامية خمسة وعشرين سنة واياما
ولم تنل اهل مصر من افعاله مكرمة وصاروا معه فى غم سمسمه وصبروا على اذاه فى هذه
المدة وقد قاسوا منه اى شدة حتى فرج الله عنهم هذه الكربة العظيمة فكان كما قيل

ودهر قطعناه بضيق وشدة ۞ ونحن على نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى ازيل وانما ۞ تفرج ايام الكريهة بالصبر

وفى هذه المدة قتل الحاكم من الناس ما لا يحصى عددهم من العلما والفقها وغيرهم ذلك

قال الشيخ شمس الدين الذهبي ولما قتل الحاكم صار جماعة من الجهال المغفلين من وادي التيم
من نواحي الشام يعتقدون حياة الحاكم الى الآن ويقولون لابد ان يظهر في آخر الزمان
ويعود الى الخلافة وانه هو المهدي لا محالة ويحلفون الى الآن بغيبة الحاكم انتهى ما
اوردناه من اخبار الحاكم بامر الله بن منصور بن نزار وذلك على سبيل الاختصار من مهمات
ولما قتل الحاكم تولى من بعده ابنه الظاهر لدين الله على **ذكر خلافة الظاهر**
لدين الله علي ابن نزار بن المعز معد وهو الرابع من خلفا بني عبيد الله الفاطمية
بمصر **بويع** له بالخلافة بعد ابيه الحاكم بامر الله في شوال سنة احدى عشر واربعمايه وتلقب
بالظاهر لدين الله تولى الخلافة وله من العمر نحو ستة عشر سنة وكانت ست النصر اخت
الحاكم هي القايمة بامور دولته والامير سيف الدين بن دواس وفي ايامه اضطربت احوال
الديار المصرية والبلاد الشامية واستولى على البلاد الشامية الامير حسان شيخ عربان
جبل نابلس وصار يستخرج خراجها لنفسه ونزع ايدي العمال عنها **وفي سنة** خمسة عشر
واربعماية من خلافته توفيت ست النصر اخت الحاكم بامر الله فظهر لها موجود عظيم
من المال والجواهر والقماش والتحف ما لا يحصى لكثرته ووجد لها اربعة الاف جارية
ما بين بيض وسود ومولدات فمنهم الف وخمسماية ابكار والبقية ثيب ووجد عندها
ثلاثون زبر اصيني مملوة من المسك السحيق واما بقية الموجود فما انضبط لكثرته **ومن**
الحوادث في ايامه جاءت الاخبار من مكة ان رجلا اعجميا قد حضر الى مكة وجماعة
من الاعاجم معه فاظهروا انهم يريدون الحج فاقاموا في مكة مدة ثم انهم غافلوا الناس
في وقت القايلة ودخلوا الى الحرم وقلعوا الحجر الاسود من مكانه وكسروه ثلاث
قطع فادركهم الناس ومسكوهم فقطعوا ايديهم وصلبوهم على ابواب الحرم ثم ان
الناس اعادوا الحجر الاسود الى مكانه ولصقوا ما تكسر منه **وفي ايام الظاهر**
هذا اذن للاقباط بمصر فيما كان يعمل في ليلة الغطاس بالديار المصرية وكان هذا الامر
قد بطل من ايام المعز كما تقدم وكان من اجل المواسم بمصر وذلك ان في ليلة الغطاس وهي
في الحادي عشر من طوبة يجتمع جماعة من المسلمين وجماعة من الاقباط النصارى عند
شاطي بحر النيل قدام المقياس فتنصب هناك الخيام على جانب النيل وتوضع فيها الاسرة
لاعيان القبط من الرؤسا وكان البحر يمتلي بالمراكب والزوارق ويجتمع فيها السواد الاعظم
من الخاص والعام من المسلمين والنصارى فلما يدخل الليل تزين المراكب بالقناديل وتشعل
فيها الشموع وكذلك على جوانب الشطوط من بر مصر والروضة وكان يشعل على الشطوط
في تلك الليلة اكثر من الف مشعل والف فانوس وتنزل رؤسا القبط في المراكب وكان ينفق
في تلك الليلة من الاموال ما لا يحصى في ماكل ومشرب ويتجاهر الناس بشرب الخمور
وتجتمع ارباب الملاهي وارباب الملاعب من كل فن ويخرجون الناس في تلك الليلة عن
الحد في اللهو والفرجة ولا يغلق في تلك الليلة دكان ولا درب ولا سوق وكانوا

يتهادون

يتهادون رؤسا الاقباط في تلك الليلة باطنان القصب والبوري والحلوى والكمثرى والتفاح
والسفرجل والاترج والنارنج والليمون وطاقات النرجس وغير ذلك من الانواع
اللطيفة وكانوا بعد العشا يغطسون في بحر النيل النصارى مع المسلمين سوى ويزعمون
ان من يغطس في تلك الليلة يامن من الضعف في تلك السنة فلما كان وقت الغطاس
نادى الخليفة الظاهر بان لا يختلطون النصارى بالمسلمين عند الغطاس وكان في
قصر جده المعز الذي يشرف على بحر النيل يتفرج على ذلك المهرجان الذي يحصل في تلك
الليلة وكان المعز لما قدم الى مصر وراى ما يحصل في ليلة الغطاس من المفاسد العظيمة امر
بابطال ذلك واستمر بطالا من سنة اثنين وستين وثلثماية الى سنة خمسة عشر واربعماية
فامر الخليفة الظاهر باعادة ذلك حتى يتفرج عليه **وقال** المسبحي ان في الدولة الفاطمية
كانوا رؤسا القبط يضربوا في يوم خميس العدس خراريب من ذهب ويفرقونها على ارباب
الدولة برسم التبرك وكانوا يضربون من هذه الخراريب نحو خمسماية مثقال فبطل
ذلك جميعه من مصر مع جملة ما بطل من القواعد القديمة واستمر الخليفة الظاهر
لدين الله في الخلافة بمصر حتى توفي **وكانت** وفاته في يوم الاحد خامس عشر شعبان
سنة سبعة وعشرين واربعماية **وكانت** مدة خلافته بمصر عشر سنين وتسعة اشهر
ولما مات الظاهر لدين الله تولى من بعده ابنه المستنصر بالله ابو تميم معد انتهى ما اوردناه
من اخبار الخليفة الظاهر لدين الله وذلك على سبيل الاختصار **ذكر خلافة**
المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر لدين الله علي ابن منصور الحاكم بالله وهو
الخامس من بني عبيد الفاطمي **بويع له** بالخلافة بعد موت ابيه الظاهر لدين الله في يوم
الاحد خامس شهر شعبان سنة سبع وعشرين واربعماية فتولى الخلافة بمصر وله من العمر
سبع سنين وعشرين يوما وكان مولده بالقاهرة في سنة ثمانية عشر واربعمايه وهو الذي
خطب له البساسيري على منابر بغداد مع وجود خلفا بني العباس وهذه الرتبة لاحد
من اقاربه من خلفا بني عبيد ولما تم امره في الخلافة استقر بالحسن بن علي البازوري وزيرا
وهو الذي جمع بين الوزاره وقضاية القضاة الشافعية ولم تقع هذه قبله من الوزرا
فلما مات البازوري استقر بابي نصر الفلاحي وزيرا فقبض ابو نصر الفلاحي على ابن الانباري
وزير الحاكم بامر الله فاعتقله بخزانة البنود وصادره واخذ جميع امواله ثم قطع راسه
ودفنها بخزانة البنود فما عن قليل حتى قبض المستنصر على ابي نصر الفلاحي واعتقله
في خزانة البنود وصادره واخذ جميع امواله وامر بقطع راسه فلما ارادوا ان يحفروا لابي
نصر الفلاحي في خزانة البنود ليواروا راسه فيها ظهر من تلك الحفرة راس فسالوا الفلاحي
عن ذلك فقال هذه راس ابن الانباري وانا قتلته ودفنته في هذه الحفرة ثم انشد يقول

رب لحد صار لحدا مرارا ۝ ضاحكا من تزاحم الاضداد

فقطعوا راس الفلاحي ودفنوها على راس ابن الانباري والمجازاة من جنس العمل **ومن الحوادث**

فى زمن المستنصر بالله انه فى سنة احدى وخمسين واربعماية وقع الغلا العظيم بمصر فكان يعادل الغلا الذى وقع فى زمن يوسف عليه السلام وقد اقام الغلا بمصر سبع سنين متوالية والنيل فى تلك السنين لم يبلغ فى الزيادة الى اثنى عشر ذراعا واحدى عشر اصبعا وكان القاع ثلاث اذرع واحدى عشر اصبعا ففى هذه المدة اكلت الناس بعضها بعضا وابيع فيها القمح بثمانين دينار كل اردب وماية وعشرين دينار كل اردب ثم اشتد الامر حتى ابيع كل رغيف فى زقاق القناديل بخمسة عشر دينارا واكلت الناس الميتة والكلاب والقطط حتى قيل ابيع كل كلب بخمسة دنانير وابيع كل قط بثلاثة دنانير **وقيل** كان الكلب يدخل الى الدار فياكل الطفل الصغير وهو فى المهد وامه وابوه ينظران اليه فلا يستطيعان النهوض لدفعه عن ولدهما من شدة الجوع وعدم القوة ثم اشتد الامر حتى صار الرجل ياخذ ابن جاره ويذبحه وياكله ولا ينكر ذلك عليه بين الناس وصار الناس فى الطرقات اذا قوى القوى على الضعيف يذبحه وياكله وصارت طايفة من الناس يجلسون على السقايف وبايديهم حبال فيها كلاليب فاذا مر بهم احد من الناس القوا عليه تلك الحبال وشالوه بتلك الكلاليب فى اسرع وقت فاذا صار عندهم ذبحوه فى الحال واكلوه بعظامه **وقيل** ان الوزير ركب يوما على بغلة ودخل الى دار الخلافة فلما نزل عنها اخذت من غلمانه واكلت فى الحال فامسكوا الذين فعلوا ذلك وشنقوهم وعلقوهم على الخشب فلما باتوا اصبحوا لم يجد واحدا من المشانيق وقد اكلوا من على الخشب ولم يبق منهم غير العظام على الارض **وقال** السبحى فى تاريخه كان بمدينة الفسطاط حارة تسمى حارة الطبق وكان فيها نحو عشرين دارا كل دار تساوى فى الثمن الف دينار فابيعت بيوت هذه الحارة كلها بطبق من الخبز كل دار برغيف فسميت يوميذ حارة الطبق **وقال** الشيخ ابو الفرج بن الجوزى خرجت امراة من بيوتات الفسطاط ومعها ربع من اللولو الكبار وقالت من ياخذ منى هذا اللولو ويعطنى عوضه قمحا فلم تجد من ياخذ منها ذلك اللولو ويعطيها عوضه قمحا فلما اعيت من ذلك القته على الارض وقالت اذا لم تنفعنى وقت الحاجة فلا حاجة لى بك ثم تركته ومضت فاقام ذلك اللولو مرميا على الارض ثلاثة ايام ولم يوجد من يلتقطه وكان كل احد من الناس ملتهى بنفسه عن كل شى **قال** عبد الله بن عبد الحكم ان امراة من ذوى البيوت اخذت عقدا من الجواهر قيمته الف دينار فعرضته على جماعة من الناس فى ان يعطوها عوضه دقيقا فصار كل احد من الناس يعتذر لها بعدم الدقيق ثم ان بعض الناس عطف عليها اباعها بذلك العقد دقيقا فاخذته فى تلليس وخرجت به من مدينة الفسطاط تريد القاهرة فلما ان وصلت به الى بابى زويلة تكاثرت عليها الناس فانتهبوا ما كان معها من الدقيق فاخذت منه بجملة الناس ملى يديها دقيقا فلما وصلت الى بيتها عجنته رغيفا وخبزته فلما خرج من الفرن اخذته على جريدة وتوجهت الى تحت قصر الزمرد ووقفت ونادت باعلا صوتها ورفعت الرغيف فى يديها وقالت يا اهل القاهرة ادعوا بالنصر لامير المومنين الذى اكلنا الرغيف فى ايامه

بالف دينار

بالف دينار فلما انتهى الى المستنصر ذلك تاثر منه واحضر الوزير والحاجب وهددهما بالشنق وقال ان لم يظهر الخبز فى الاسواق والا شنقتكما على باب المدينة فنزلا من عنده وصارا يكبسان البيوت والحارات بسبب القمح حتى ظهر الخبز فى الاسواق وكثر على الدكاكين **قال** السبحى لما جاء هذا الغلا العظيم جاء عقيب ذلك فناء عظيم حتى قد فنى ثلثا اهل مصر وصارت اراضى الناحية باسرها لم تزرع من عدم الرجال فكان الجندى يخرج بنفسه هو وغلمته يحرثون ويزرعون فى البلاد لعدم الفلاحين **وقيل** كان الرجل يمشى من جامع ابن طولون الى بابى زويلة لم يرى فى وجهه انسانا يمشى فى الاسواق **قال** المسعودى ان الخليفة المستنصر بالله لما تعطلت البلاد بموت الفلاحين تعطل الخراج على الجند فاخرج ما فى خزاينه من القماش والسلاح والتحف فكان يبيعها بارخص الاثمان حتى يرضى الجند **قيل** باع ثمانين الف قطعة من الجواهر الفاخرة وباع خمسة وسبعين الف شقة حرير من انواع الديباج المذهب وباع عشرين الف سيفا مسقطة بالذهب وباع احد وعشرين الف صنيعة وعشرين الف دينار حتى باع رخام قبور اجداده الخلفا ولم يبق عنده من اثار النعمة شيا سوى سجادة دون وقبقاب فى رجله فكان اذا توجه فى قصره يستعير من الوزير بغلته حتى يركبها وينقضى اشغاله ثم يعيدها الى الوزير وكانت اخته ترسل اليه فى كل يوم زبدية فيها طعاما حتى تقتات به فى كل يوم وليلة مرة واحدة وماتوا جميع غلمانه وعبيده وجواره ولم يبق عنده احد من العيال يخدمه وانكشف حاله الى الغاية وجرى عليه ما لا يجرى على احد من اقاربه من سوء الحال فاقام على ذلك مدة ثم تراجعت الاحوال قليلا قليلا وانصلحت احوال الديار المصرية وانحط سعر القمح وتقية الغلال ووقع الرخا ووردت الاموال من البلاد الى المستنصر وحسنت اوقاته وصفا له الوقت بمصر وطالت ايامه فى الخلافة ونسى ما قد جرى عليه من ضيق الحال والمشقات فكان كما قيل فى المعنى

الدهر لا يبقى على حالة ❊ لا بد ان يقبل او يدبرا

فان يلقاك بمكروهة ❊ فاصبر فان الدهر لن يصبرا

واستمر الخليفة المستنصر فى الخلافة بمصر حتى توفى **وكانت** وفاته فى يوم الخامس ثانى عشر ذى الحجة سنة سبع وثمانين واربعماية ومات وله من العمر نحو ثمانية وستين سنة وتولى الخلافة وهو ابن سبع سنين **وكانت** مدته فى الخلافة ستين سنة واربع شهور وهذه المدة لم تتفق لاحد قبله من الخلفا الفاطمية ولا العباسية لكنه قاسى فى هذه المدة مشقات عظيمة شديدة كما قيل ❊ من اراد البقا فى الدنيا ❊ فليطمن نفسه على المصايب انتهى ما اوردناه من اخبار المستنصر بالله تولى من بعده ابنه احمد المستعلى

ذكر خلافة المستعلى بالله احمد

بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الحاكم وهو السادس من خلفا بنى عبيد الفاطمى **بويع** له بالخلافة بعد موت ابيه المستنصر بالله فى ثانى عشر ذى الحجة سنة سبع وثمانين واربعماية **ومن الحوادث** فى ايامه ان الفرنج استولوا على بيت

على بيت المقدس وملكوه وقتلوا جماعة كثيرة من المسلمين واسروا الباقي نحو الف انسان وذلك في سنة احدى وتسعين واربعماية واخذوا من قبة الصخرة اربعين قنديلا من الذهب والفضة وزن كل قنديل الف درهم من الفضة واخذوا التنور النحاس الكبير واقاموا بالكين بيت المقدس نحو ثلاث سنين **وفي ايامه** كسفت الشمس وغابت جميعها واظلمت الدنيا حتى ظهرت النجوم وقت الظهر واقامت على ذلك الى اخر النهار حتى انجلت واستمر المستعلي في الخلافة بمصر الى ان مرض ومات فكانت وفاته في يوم الثلاثا تاسع صفر سنة خمس وتسعين واربعماية **وكانت** مدة خلافته بمصر سبع سنين وشهرين ولما ان مات تولى من بعده ابنه الآمر باحكام الله انتهى ما اوردناه من اخبار المستعلي بالله على سبيل الاختصار

ذكر خلافة الآمر باحكام الله

ابى على المنصور بن المستعلي بالله احمد وهو السابع من خلفا عبيد الله الفاطمي **بويع له** بالخلافة بعد موت ابيه المستعلي بالله في تاسع صفر سنة خمس وتسعين واربعماية فلما ان تولى الخلافة بمصر طاش وسار في الناس اقبح سيرة وصار يتجاهر بالمنكرات واشتغل باللهو والطرب وشرب الخمور فاضطربت احوال الديار المصرية في ايامه وجات الاخبار بان الفرنج استولوا على مدينة عكا وطرابلس ونابلس وغير ذلك من اعمال البلاد الشامية واشرفوا على اخذ الديار المصرية ووصلوا الى العريش وكان ملك الفرنج يسمى بردويل فلما وصل الى العريش مرض هناك ومات فكتموا اصحابه موته خوفا من المسلمين وشقوا بطنه وارموا مصارينه ثم دفنوها بالعريش وقد صار الناس الى الآن كلما مروا بالعريش يرجموا ذلك المكان الذى دفنت فيه مصارين بردويل وتسمى الى اليوم سبخة بردويل واما جثته فحملت الى القمامة التي ببيت المقدس ودفنت هناك **وفي ايامه** وقع الغلا بمصر وتناهى سعر القمح الى ثلاثين دينارا كل اردب فاقام الامر على ذلك نحو ستة اشهر ثم تراجع الامر قليلا قليلا وانحط سعر القمح عن ذلك القدر وكثرت الغلال في العرصات **وكان** القايم بتدبير امور الديار المصرية المامون البطايحي الوزير فساس الناس في الغلا احسن سياسة ولم يحصل في الديار المصرية من الاضطراب كما حصل في ايام المستنصر كما تقدم ذكره **قيل** هجم رجل في زمن الغلا على بعض المغاربة وهو ياكل في رغيف فلما راه ستر الرغيف منه فقال له ذلك الرجل اما سمعت الحديث طعام واحد كافي اثنين فقال له المغربي يا اخي ذلك في ضو السراج اذا كان لواحد يكفي جماعة واما في هذا الرغيف فلا اطعمك منه لقمة فمضى عنه الرجل ولم يطعمه شيا وسبب هذا الغلا ان النيل بلغ في الزيادة الى خمسة عشر ذراعا واصبع ثم انهبط فشرقت البلاد وحصل للناس الضرر الشامل ورسم الخليفة للبطرك بان يتوجه الى بلاد الحبشة بسبب توقف النيل ولم يبد من توجه البطرك شيا **وفي سنة** اثنى عشر وخمسماية فيها ابتدا الآمر باحكام الله في عمارة جامعه الذى بناه عند سوق مرجوش المسمى بجامع الاقمر وانفق على بنايه ماية الف دينار

وكان له صهريج يمتلى من مساورب من الخليج الحاكمي **وفي سنة** تسعة عشر وخمسماية فيها قبض الامير على الوزير المامون البطايحي وقتله ثم صلبه واحتاط على موجوده فظهر له من الاموال ما لا يحصى فمن ذلك مايتين صندوق ما بين ذهب عين ودراهم فضة وجواهر فاخرة ووجد عنده ماية برنيه مملوة من الكافور المنصوري وهذا الصنف عزيز الوجود ووجد عنده ثلثماية صندوق فيها قماش جميعه ما بين حرير وصوف ودق تنيس ودمياط ووجد عنده من العود القاري ماية منا واشيا كثيرة لا تنحصر فحمل ذلك الى قصر الخلافة فلما قتل الامر الوزير البطايحي لم يقم بعده الا مدة يسيرة وقتل الاخر وكان سبب قتله انه توجه الى بر الروضة على سبيل التنزه فاقام هناك يوما وليلة فلما رجع الى القاهرة مر على جسر الروضة الذى كان بالقرب من الجزيرة الوسطى فلما عبر على الجسر فوثبوا عليه جماعة من العبيد السود فضربوه بالسكاكين تحت الليل وكان سكرانا فوقع من على فرسه فحملوه الى القاهرة وطلعوا به الى القصر فمات من وقته **وكانت** وفاته في ليلة الثلاثا ثاني العشرين من ذي القعدة سنة اربعة وعشرين وخمسماية من الهجرة **وكانت** مدة خلافته بمصر نحو تسعة وعشرين سنة وشهرين ومات عن غير ولد فتولى من بعده ابن عمه المستنصر بالله انتهى ما اوردناه من اخبار الآمر باحكام الله على سبيل الاختصار

ذكر خلافة ابي الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله

ابن المستنصر وهو الثامن من خلفا بني عبيد الله الفاطمي **بويع له** بالخلافة بعد قتل الآمر باحكام الله وكان الحافظ لدين الله رجلا حليما لين الجانب قليل الاذى فطمعت فيه الوزير واضطربت في ايامه احوال الديار المصرية واستولت الزنج على البلاد وكثر منهم الفساد وطمع الفلاحون في اهل مصر وامتنعوا عن وزن الخراج وتعطل الامر وما راج **قال** الشيخ شمس الدين الذهبي ان الشيخ ابا عبد الله الاندلسي دخل الى مصر في ايام الخليفة الحافظ وكان الشيخ ابو عبد الله له يد طايلة في علم السيميا فاحضره الحافظ بين يديه وقال له ارنا شيا من علم السيميا فامتنع من ذلك فالح عليه فاراه ساحة القصر كانها لجة ماء وفيها سفينة كبيرة وحولها شواني حربية فوقع بينها الحرب والقتال فكانت بينها السيوف تلمع وسحايب النشاب تمطر والبنود تخفق والروس تهدر والدما تسيل فلا يشك الناظر في حقيقة ذلك ثم ان اصحاب السفينة سلموا الى اصحاب الشواني فقادوها والطبول تضرب والبوقات تزعق حتى غابوا عن الابصار ثم ذهبت تلك اللجة الماء التي كانت في القصر بامواج تتلاطم كالجبال فلما راى الحافظ ذلك تعجب منه وكان حوله جماعة من خواصه فاشاروا عليه بقتل الشيخ ابي عبد الله وقالوا له هذا يفسد عقول الناس فلم يوافقهم الحافظ على قتله ثم قال الشيخ ارى شيا في هولاء الذين قد اشاروا بقتلك فقال له الشيخ مرهم يمضوا الى منازلهم فقال الحافظ لمن حوله انصرفوا الى منازلكم فلما انصرفوا صار كل من يركب دابته يراها صفة الثور العظيم وهاتي راسها

فورن طوال فخيروا في ذلك ورجعوا الى الحافظ وذكروا له ماجرى لهم فرد واليهم نعمانه
وقال لهم انذ وادوا اليكم منه فما منهم الا من اعطاه له شيئا حتى اطلق لهم رد واليهم **قيل** ان
الحافظ كان يشتكي بالم القولنج فصنع له الحكيم شيرماه الديلمي طبل باز من المعادن السبعة
وهو مرصود في وقت معلوم فكان من خاصية هذا الطبل اذا ضرب عليه احد خرج منه
ريح وهذه الفائدة كانت لدفع القولنج وكان الحافظ يعتريه هذا المرض فصنع له ذلك
الطبل بسبب القولنج **قيل** لما ملك صلاح الدين يوسف بن ايوب امر الديار المصرية استعرض
حواصل الخلفا الفاطمية فوجد ذلك الطبل في علبة فاخذه بعض الاكراد وضرب عليه بيده
فخرج منه ريح فحنق من ذلك ورمى الطبل من يده على الارض فتكسر فبطل فعله من حينئذ
فندم على كسره صلاح الدين يوسف غاية الندم انتهى ذلك واستمر الحافظ بالخلافة بمصر
حتى توفي **وكانت** وفاته في جمادى الاخر سنة اربع واربعين وخمسماية **وكانت** مدة
خلافته تسعة عشر سنة وسبعة اشهر ولما مات تولى من بعده ابنه الظافر بالله انتهى ما اوردناه
من اخبار الحافظ لدين الله وذلك على سبيل الاختصار **ذكر خلافة الظافر بالله**
ابي المنصور اسماعيل ابن الحافظ المستنصر بالله وهو التاسع من خلفا بني عبيد الله الفاطمي
بويع له بالخلافة بعد موت ابيه الحافظ وكان له من العمر لما تولى الخلافة سبعة عشر سنة
وكان شابا جميل الصورة حسن الهيبة وكان يميل الى اللهو والطرب وشرب الراح وكان يهوى
ابن وزيره عباس وينزل اليه ويبيت عنده في غالب الاوقات وامتحن به غاية الامتحان
قيل انه اهدى في بعض الاوقات الى ابن الوزير صينية من الذهب فيها الف حبة من اللولو
الكبار وفصوص من الياقوت الاحمر والاصفر والزمرد الذبابي والف نافجة من المسك
وعشرة الاف دينار ومن العجايب ان الوزير عباس وولده نصر لم تمر فيهم شيئا من
ذلك وقتلا الظافر عقيب ذلك كما سياتي ذكره في موضعه **ومن الحوادث**
في ايام الظافر انه في سنة احدى وخمسين وخمسماية وقع وبا عظيم بين ارض الحجاز واليمن
وكانوا اكثر من عشرين قرية فدخل الوبا في ثمانية عشر قرية منهم فافناهم عن اخرهم حتى لم
يبق منهم انسان فكانت مواشيهم سايبة لا راعي لها ولا يستطيع احد من الناس ان يدخل
الى تلك القرى وكل من يدخل الى تلك القرى هلك من وقته بالطعن ومات **واما القريتان**
اللتان حول تلك القرى فما عندها شعور بما جرى على من حولهما من القرى بما اصابهم من
الفنا والطعن ولم يمت من تلك القريتين طفل واحد فسبحان القادر على كل شي ومن هنا
نرجع الى اخبار الظافر بالله **قيل** لما كثر الكلام بين الناس في حق الوزير عباس بسبب
ابنه نصر فلما نزل الظافر الى بيت الوزير عباس الى الجاري العاده وبات عنده ندب اليه
من قتله تحت الليل ورماه في بير فلما اصبح الوزير طلع الى دار الخلافة ودخل الى القصر
فقال لبعض الخدام اين امير المومنين فقالوا له الخدام ان ابنك نصر يعرف اين هو ثم ان الوزير
عباس دخل الى بيت الحريم واخرج الامير عيسى بن الظافر واحضر القضاة وارباب
الدولة وقال ان امير المومنين الظافر نزل البارحة في مركب فانقلبت به فغرق ومات
وولى الامير عيسى الخلافة عوضا عن ابيه الظافر ولقبه بالفايز بنصر الله فلما شاع بين الناس
ان الوزير عباس قد قتل الظافر فانقلبت الجند على الوزير عباس بسبب ذلك **وكانت** قتلة
الظافر في ليلة الاحد ثاني صفر سنة تسع واربعين وخمسماية من الهجرة وكانت مدة خلافته
اربع سنين وسبعة اشهر وايام انتهى والظافر هذا هو الذي بنا الجامع المعروف الان بجامع
الفاكهانيين وهو بالقرب من الشوايين انتهى ما اوردناه من اخبار الظافر بالله على سبيل
الاختصار **ذكر خلافة الفائز بنصر الله** ابي القاسم عيسى بن الظافر
ابن الحافظ ابن المستنصر وهو العاشر من خلفا بني عبيد الله الفاطمي **بويع له** بالخلافة بعد قتل ابيه
الظافر بالله وكان سبب بيعته ان الوزير عباس لما قتل الظافر طلع الى القصر واحضر القضاه
وقال لهم ان الظافر نزل البارحة في مركب فانقلبت به فغرق ثم هجم الوزير على ابن الظافر
وهو في دار الحريم واخرجه من عند امه وحمله على كتفه ففزع منه واضطرب وكان له من العمر
ست سنين فاحضره بين القضاة وولاه الخلافة واستمرت معه الطوبة عمالة حتى كبر ومات
بعد مدة وهو يضطرب في كل وقت فلما تم امره في الخلافة واطاعه الجند فصار يخشى من الوزير
عباس ولا يترك له ثارا فاستعان على قتله بشخص يسمى طلايع بن رزيك وكان متولي على منية
ابن خصيب فجمع عسكرا عظيما من العربان وقصد التوجه الى القاهرة فلما بلغ الوزير عباسا
ذلك فاخذ ما قدر عليه من الاموال والتحف وهرب الى خارج البلاد هو وولده نصر فكان كما قيل

حكى غراب البين في شومه ‌ ‌ لكن اذا جينا الى الحق زاغ

بينما هو في اثناء الطريق خرجت عليه طايفة من الفرنج فاسروه واخذوا ما كان معه من الاموال
والتحف فلما جاءت الاخبار بذلك الى القاهرة احتاط الفايز على موجود الوزير عباس جميعه
وولى الوزارة الى طلايع بن رزيك عوضا عن عباس فاخلع عليه وتلقب بالصالح بالله فاطاعه
الجند واحبوه وكانت له حرمة وافرة في القاهرة وهو الذي بنا الجامع المنسوب اليه بجامع
الصالح الذي هو خارج باب زويلة وكانت الوزرا تتلقب يومئذ كالقاب الخلفاء ثم ان الصالح
هذا ارسل الى طايفة الفرنج الذي اسروا الوزير عباسا يطلبه منهم وارسل اليهم هدية ومالا
نحو عشرة الاف دينار فلما وصل ذلك الى الفرنج ارسلوا الوزير عباس وولده نصر الى الصالح
في اطواق الحديد فلما دخلوا الى القاهرة فكان لهم يوما مشهودا ثم رسم بمثله فامر الفايز
بان يصلب الوزير عباس وولده نصر على باب القصر فصلبوا واخذ الفايز بثار ابيه الظافر
قبل العصر فكان كما قيل في الامثال

الموت في طلب الثار ‌ ‌ خير من الحياة في العار

وفي ايام الفايز هذا نقلت راس الحسين رضي الله عنه من عسقلان الى القاهرة وذلك في سنة
تسع واربعين وخمسماية وسبب ذلك ان راس الحسين كانت بعسقلان فلما تولى الفرنج
على عسقلان خاف المسلمون على راس الحسين فاحضروها الى القاهرة في علبة وبنا لها

الفايز عند المشهد ودفنتها به **قيل** ان راس الحسين نقلت الى ثلاث اماكن قبل ان تحضر
القاهرة بمدة **وفي ايام** الفايز استعرض عساكر مصر فكانوا نحو خمسين الف مقاتل على اجناس
مختلفة وكان بها عشرة مراكب مشحونة بالرجال والسلاح بسبب الجهاد وهذا مع وجود
تلاشي امر الخلفا الفاطمية وضعف شوكتهم واستمر الفايز في الخلافة بمصر حتى مرض ومات
فكانت وفاته في يوم الجمعة سابع رجب سنة خمس وخمسين وخمسماية وتوفي وله من العمر
احدى عشر سنة واشهر ومات بالطعن **وكانت** مدة خلافته بمصر خمس سنين واشهر
ولما مات تولى من بعده ابن عمه عبد الله العاضد بالله انتهى ما اوردناه من اخبار الفايز بنصر الله
على سبيل الاختصار

ذكر خلافة العاضد بالله

ابي محمد عبد الله بن الحافظ
ابن المستنصر وهو الحادي عشر من خلفا بني عبيد الله الفاطمي **بويع له** بالخلافة بعد موت
ابن عمه الفايز في رجب سنة خمس وخمسين وخمسماية قيل ان الخليفة المعز لما قدم الى الديار
المصرية قال لبعض علماء مصر اكتبوا لنا القابا تصلح للخلافة حتى اذا تولى منا احد يلقب
بها فكتبت له القابا كثيرة اخرها العاضد بالله فاتفق ان اخر من تولى منهم تلقب بالعاضد
بالله وبه انقرضت دولتهم ولم يكن لهم من المساوي سوى انهم كانوا رفضة يسبون الصحابة
في كل جمعة على المنابر ولما ان تولى العاضد استمر الصالح وزيرا فاقام على ذلك مدة
ومات فتولى عوضه في الوزاره شاوره ابن مجير السعدي **ومن الحوادث** في ايام
العاضد ان الفرنج استولوا على الديار المصرية ودخلوا بمراكبهم الى بحر النيل ونزلوا على مدينة
الفسطاط التي تقدم ذكرها انها كانت بالقرب من بركة الحبش من الرصد فاحاطت عساكر
الفرنج بمدينة الفسطاط واشرفوا على اخذها وكان ملك الفرنج يسمى مُرى وكان معه سبعين
مركبا مشحونة بالمقاتلين فلما راى الخليفة العاضد عين الغلب وصار الفرنج يأسروا
جماعة من المسلمين وينهبوا اموالهم وقرروا على اهل مصر والقاهرة اموالا جزيلة
واخذوا في اسباب جبايتها فعند ذلك اشار الوزير على الخليفة بحرق مدينة الفسطاط
خوفا من الفرنج ان لا يملكوها فاذن له الخليفة في حرقها فجمع الوزير العبيد واحرقوها
وكانت هذه المدينة من اجل المداين وقد انشاها عمرو بن العاص في مبتدا الاسلام عند فتح مصر
وقد تقدم ذكر ذلك عند فتوح مصر فلما قدم المعز من المغرب وبنى القاهرة في غاية العمارة
والتحصين فلما حرقت مدينة الفسطاط وكانت القاهرة في غاية العمارة والتحصين فلما
حرقت مدينة الفسطاط تحول الناس الى القاهرة قيل قد بلغ كرى الجمل من مدينة الفسطاط
الى القاهرة عشرة دنانير كل نقلة وصارت النار عمالة في مدينة الفسطاط احد وخمسين
يوما حتى صار الدخان يرى من مسيرة ثلاث ايام فلما راى الفرنج ذلك خافوا ورحلوا عن مصر
قال عبد الله بن الحكم وكان ذلك سببا لخراب مدينة الفسطاط وصارت من يومئذ كيمانا
يوجد فيها الاعمدة الرخام الابيض الى الآن وكان اولها من حدرة ابن قميحة واخرها
عند الرصد وكان حرقها وخرابها في سنة اربع وستين وخمسماية وقال ابن المتوج ان

الخليفة العاضد لما استولى مُرى ملك الافرنج على مصر ارسل العاضد الى الملك العادل
نور الدين صاحب دمشق بان يرسل الى اهل مصر نجدة ويدركهم قبل ان تملك الفرنج المدينة
فارسل نور الدين الشهيد الى مصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب هو واخوته فلما قدموا الى مصر
تسامعوا بهم الفرنج فرحلوا عن مصر فلما رحلوا الفرنج ثبتت شوكة بني ايوب بمصر فخاف منهم
العاضد فخلع الوزير شاور بن مجير الدين السعدي من الوزاره وولى اسد الدين شيركوا اخا
ايوب عم صلاح الدين يوسف الوزاره عوضا عن السعدي ثم ان اسد الدين صلب الوزير مجير
الدين السعدي على باب القاهرة لكونه اشار بحرق مدينة الفسطاط ثم ان اسد الدين
لما تم امره في الوزاره تلقب بالمنصور وكانت الوزرا تتلقب بمثل القاب الخلفا فلما تولى
الوزاره اقام حرمة مصر الى الغاية وهابته الناس فاقام في الوزاره مدة يسيرة ومات
فجاة على حين غفلة فلما مات اسد الدين شيركوه تولى من بعده الوزاره صلاح الدين يوسف
ابن ايوب وتلقب بالناصر فلما تولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على مصر ضعفت شوكة
الخليفة العاضد ومالت الجند الى صلاح الدين يوسف ثم ان نور الدين الشهيد ارسل
يقول له اقطع الخطبة من مصر عن اسم العاضد فلما قطع الخطبة عن اسمه حصل له قهر
عظيم وصار مع صلاح الدين كالمحجور عليه لا يتصرف في الامور الا بمشورة صلاح الدين فما
اطاق العاضد ذلك فقيل انه بلع له فص ماس فمات من يومه **وكانت** وفاته في يوم
الاثنين عاشر المحرم سنة سبع وستين وخمسمايه **وكانت** مدة خلافته بمصر اثنى عشر
سنة وستة اشهر واياما وبه انقطعت دولة بني عبيد الله الفاطمي عن الخلافة بمصر انتهى
ما اوردناه من اخبار العاضد وبه اختتمت اخبار الخلفا الفاطمية من بني عبيد الله وذلك
على سبيل الاختصار وقد اقامت دولة الخلفا الفاطمية بمصر مايتين وثمان سنين تمت

ذكر ابتدا دولة الاكراد من بني ايوب

فكان اولهم الملك الناصر ابا المظفر يوسف بن ايوب بن شادي بن مروان الكردي وكان
اصلهم من اذربيجان من بلاد الكرج ولكن اصلهم اكراد **وكان** مولد صلاح الدين يوسف
بقلعة تكريت في سنة اثنين وثلاثين وخمسماية وكان ابوه ايوب في خدمة زنكي ابو نور الدين
الشهيد فلما توفي زنكي صار ايوب واولاده في خدمة نور الدين الشهيد ثم ارتقا نور
الدين حتى بقي صاحب البلاد الشامية فلما تلاشى امر الخليفة العاضد واستولت الفرنج
على الديار المصرية ارسل يطلب من نور الدين الشهيد نجدة من سلب الفرنج فارسل اليه
اسد الدين شيركوه اخا ايوب عم صلاح الدين يوسف فلما توفي اسد الدين تولى من بعده في
الوزاره ايام العاضد صلاح الدين يوسف فلما توفي العاضد تولى من بعده على مصر صلاح
الدين يوسف نيابة عن نور الدين الشهيد بتقليد منه **وكان** سبب موت العاضد ان نور
الدين الشهيد لما ارسل الى صلاح الدين يقول له اقطع الخطبة عن اسم العاضد من مصر واعمالها
وكان صلاح الدين وزيرا للعاضد بالله فارسل صلاح الدين يقول لنور الدين الشهيد ان اهل

مصر لا يطاوعوا على ذلك واخشى يوثبا عليك بسبب ذلك فارسل نور الدين الشهيد يقول لصلاح الدين ثانيا لا بد من ذلك فلما راى صلاح الدين ان نور الدين الشهيد مصمم على ذلك جمع اعيان اهل مصر وذكر لهم ما قاله نور الدين الشهيد فقالوا له وكيف يكون ذلك فقال شخص من ابنا العجم يسمى الامير وكان من اهل العلم انا افتح لكم باب هذا الامر فلما كان يوم الجمعة ثانى المحرم سنة سبع وستين وخمسماية صعد ذلك الشخص الاعجمى الى المنبر قبل صلاة الجمعة ودعا الى الخليفة المستضى بالله العباسى خليفة بغداد فلم يتكلم احد من الناس ولا انكروا فلما كان ثانى جمعة امر صلاح الدين للخطبا بمصر والقاهرة ان يقطعوا اسم الخليفة العاضد من الخطبة وان يدعوا باسم الخليفة المستضى بالله العباسى ففعلوا ذلك فلما بلغ العاضد ذلك اشتهر وعهد الى شخص من الناس ان يقتله فمات من يومه ودفن فلما مات العاضد ارسل نور الدين الشهيد الى صلاح الدين تقليدا بولاية مصر نيابة عنه **قيل** لما استولى صلاح الدين يوسف على حواصل الخلفا الفاطمية فاستعرض ما فيها من السلاح والاموال فارسل الى نور الدين الشهيد ما استحسنه من السلاح الفاخرة والتحف وصار بعد ذلك يبيع ما فضل من السلاح وغيره نحو عشر سنين غير ما اصطفاه لنفسه ثم ان صلاح الدين سار مستوليا على مصر نيابة عن نور الدين الشهيد حتى توفى نور الدين محمود بن زنكى **وكانت** وفاته فى سنة تسع وستين وخمسماية ودفن بدمشق فى جامع الكلاسة وكان يلقب بالملك العادل وهو المجاهد المرابط فاتح بيت المقدس من يدى الفرنج وفاتح الثغور الاسلاميه من البلاد الشامية وهو الذى تعصب لبنى العباس ودعا لهم الخطبة بمصر واعمالها وابطل ما كان يخطب باسم الفاطمية انتهى ذلك **قال** الهروى ان فى سنة تسع وثلاثين وخمسماية انخسفت المغارة التى فيها ابراهيم الخليل عليه السلام مدفونا فنزل اليها جماعة فوجد وا فيها ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام وقد بليت اكفانهم وهم مستندون الى حايط المغار وعلى رؤسهم قناديل من ذهب وفضة فلما بلغ نور الدين ذلك فامر بان يجدد اكفانهم وان يسد عليهم ما انخسف من المغارة فلما توفى نور الدين الشهيد انفرد صلاح الدين يوسف بمملكة الديار المصرية والبلاد الشامية وصفا له الوقت فازال ما كان بمصر من العساكر المختلفه وكانوا ما بين صقالبة وكنانة ومصامدة وارمن وشنانى العرب والعبيد السود فمحا تلك الطوايف جميعها واتخذ بمصر عساكرا من الاكراد خاصة فكان عدتهم اثنى عشر الف فارس من شجعان الرجال الذين لا يملون من الحروب ثم ان صلاح الدين يوسف نظر فى احوال الرعية وامر باسقاط المكوس جميعها التى حدثت فى ايام الفاطمية وكتب بذلك مسامح بخط القاضى عبد الرحيم الفاضل صاحب ديوان الانشا وقرات على المنابر فى الجوامع بعد صلاة الجمعة وكان قدر ما ابطله من المكوس فى كل سنة ما ينيف عن ماية الف دينار فلما قرات تلك المسامح ضج له الناس بالدعا واحبته الرعيه فكان كما قيل

دولته للانام عيد … باق وايامه مواسم
قد اظهر العدل فى الرعايا … وابطل الجور والمظالم
هو الذى عنه اخبرتنا … طوالع النجم والملاحم
يصير الشاة فى حماه … تمشى مع الذيب والضياغم

قال ابن الاثير لما كانت سنة ست وسبعين وخمسماية فيها امر الملك الناصر صلاح الدين ابن ايوب ببناء سور القاهرة بالحجر الفص المنحوت وكان القايم على بنايه الامير بهاء الدين قراقوش الخصى الحبشى فابطل السور القديم الذى كان قد بناه الامير جوهر القايد فى ايام المعز الفاطمى كما تقدم وكان جوهر القايد بنا السور اولا بالطوب اللبن فى سنة احدى وستين وثلثماية عندما قدم من القيروان واثار السور القديم باق عند الباب المحروق الى الآن **قال** ابن الاثير ان دور السور الذى بناه صلاح الدين يوسف تسعة وعشرون الف ذراع وثلاثة الاف ذراع بالعمل وجعل عليه هذه الابواب المصفحة بالحديد وكان عدة ابواب القاهرة خمسة عشر بابا غير ما فى السور من الابواب الصغار وكان باب زويلة يسمى باب الفاضل وانما باب زويله القديم الذى فى الغز البليين عند سام بن نوح واثاره باقية الى الآن **قال** ابن الاثير ان صلاح الدين يوسف هو الذى بنا قلعة الجبل وصارت دار المملكة وبطل امر قصر الزمرد الذى كان فى القاهرة مكان دار الضرب ولكن مات صلاح الدين ولم يتم بنا قلعة الجبل وانما اتم بناها الملك الكامل ابن محمد بن اخى الملك الناصر صلاح الدين يوسف وهو اول من سكن بقلعة الجبل من بنى ايوب **ومن النكت** اللطيفة قيل كان بدمشق خان يسمى خان ابن الزنجارى وكان يعمل فيه من انواع الفسوق ما لا يوصف شرحه فلما بلغ الملك الناصر صلاح الدين يوسف اخبار ذلك الخان امر بهدمه فهدم وبنى مكانه جامعا وسماه جامع التوبة وولى خطابته والامامة الى شخص يسمى العماد الواسطى وكان يتهم بشرب الراح وحب الملاح فكتب بعض اللطفا قصة عن لسان هذا الجامع ورفعها الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف وكان شرح هذه القصة هذه الابيات

يا مليكا قد ادضح الحق لدينا وابانه … جامع التوبة قد قلدنى منه امانة
قال قل للملك الناصر ابقى الله شانه … يا صلاح الدين يا من حمد الناس زمانه
لى خطيب واسطى يعشق الشرب دبانه … وبحب المرد طبعا ويغنى بالجعانه
فانا فى كل حال لم ازل بالسكر حانه … فاستمع قصة حالى زاد لك الله صيانه

فلما وقف صلاح الدين على هذه الابيات امر بعزل العماد الواسطى عن خطابة الجامع وولى عليه شخصا من اهل الصلاح والخير انتهى ذلك **قال** المسبحى ان فى ايام صلاح الدين يوسف نزل الفرنج على ثغر مدينة دمياط فخرج اليهم صلاح الدين فى عساكر كثيرة من مصر وتوجه الى دمياط فتقاتل مع الفرنج اشد القتال وكانوا نحو ماتين مركب فاقام صلاح الدين يحاصر الفرنج على دمياط نحو خمسة وخمسين يوما فانكسر الفرنج وانهزموا نحو بلادهم مدبرين وانتصر

عليهم صلاح الدين فلما دخلوا الزنج الى بلادهم فتوجه صلاح الدين من هنالك الى الشام فاقام بها
مدة قال لما دخل صلاح الدين الى دمشق نزل بالميدان الكبير فجاءت اليه ارباب الملاعب
من المصارعين والمنافقين وغير ذلك وكان فيما جاء اليه رجل اعجمى فتكلم معه بان يريه
اعجوبة فى صنعة الشعبذة فاذن له فى ذلك فنصب خيمة لطيفة فى الميدان بين يدى السلطان
صلاح الدين واخرج من كمه كبة خيط وربط طرف ذلك الخيط فى يده ثم حذف تلك الكبة
الخيط فى الهوا ثم تعلق بها وصعد حتى غاب عن الابصار ثم سقطت بين الناس احد رجليه
وصارت تزحف على الارض حتى دخلت الى الخيمة ثم سقطت رجله الاخرى وصارت تزحف
حتى دخلت الى الخيمة ثم سقطت احدى يديه ودخلت الى الخيمة ثم سقطت اليد الاخرى
ودخلت الى الخيمة ولم تزل اعضاوه تتساقط عضوا بعد عضو حتى سقطت الراس وصارت
تزحف على الارض حتى دخلت الى الخيمة ثم بعد ساعة خرج ذلك الرجل وهو سوى كما كان يمشى
على اقدامه فقبل الارض بين يدى الملك الناصر فبهت الناس وتعجبوا من ذلك ثم ان الرجل
دخل الى الخيمة ثانيا فدام الناس فقال رفيقه للحاضرين ادخلوا الى الخيمة فتشوا فيها
فدخلوا الى الخيمة وفتشوا فيها فلم يجد وا فيها احدا ثم فكوا الخيمة ونصبوها فى مكان
اخر فخرج منها ذلك الرجل وهو يمشى على اقدامه كما دخل فتعجب منه الناس وكان حول
الملك الناصر من الامرا ثم ان الامير سنقر الاخلاطى حمق من ذلك الرجل الذى صنع هذه
الشعبذة فقام اليه بالسيف وضرب عنقه بين الناس وقال للملك الناصر ان مثل هذا
لا يامن ان يكون جاسوسا من عند احد من الزنج ثم اراد الامير سنقر ان يقتل رفيقه فاستجار
بالملك الناصر وزعم انه لا يعرف شيئا مما كان يعمله رفيقه ثم قال له الملك الناصر اخرج من
دمشق فى هذه الساعة ولا تقيم بها فيقتلوك فخرج من وقته انتهى قال ابن كثير ان
الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب هو اول من قرر الخدام الخصيان بمدينة النبى صلى الله عليه
وسلم ولم يكن بها احد من الخدام قبل ذلك وكان سبب تقريره للخدام ان بنى حسن لما تغلبوا
على الخلفاء الفاطمية واظهروا العصيان وصاروا يجهرون عند الاذان بقولهم حى على خير
العمل وهو مذهب الشيعة فلما تولى مصر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب استمال
بنى حسن واغدق عليهم بالاموال والهدايا حتى اذنوا له ان يجعل على المدينة الشريفة جماعة
من قبله فقرر بالمدينة الشريفة اربعة وعشرين خادما خصيا وجعل عليهم شيخا من الخدام
يقال له بدر الدين الاسدى واوقف على مجارى المدينة الشريفة بلدين من اعمال الصعيد وهما
نقاده وقباله وهما الى الان جاريين فى اوقاف الحرمين وكان شيخ الحرم النبوى اذا قدم
من المدينة على الملوك يقومون له ويجلسونه الى جانبهم ويتبركون به لقرب عهده من تلك
الاماكن الشريفة واستمر الامر على ذلك الى ايام الملك الاشرف برسباى ومما انشاه الملك
الناصر صلاح الدين يوسف بالديار المصرية من اثار الخير وهى خانقاه سعيد السعدا التى
بالقرب من باب النصر وانشا المدرسة السيوفية التى بالقرب من باب الزهومه وانشا

مرستان

مرستان كان عند دار الضرب القديم وانشا المدرسة التى بجوار الامام الشافعى وكانت
ساحة وهو الذى اقام مجد السادة الشافعية وقدمهم على غيرهم من المذاهب وانشا
المدرسة الصلاحية التى بالقدس الشريف عندما استخلص بيت المقدس من يد الزنج وله غير
ذلك من الاثار الحسنة اشيا كثيرة بالديار المصرية والبلاد الشامية واستخلاص بلاد
كثيرة كانت تحت يد الزنج من البلاد الاسلامية واستمر الملك الناصر صلاح الدين يوسف
قايما بامور الديار المصرية حتى سافر الى البلاد الشامية فى اواخر سنة ثمان وثمانين وخمسماية
فلما دخل الى الشام اقام بها مدة يسيرة ومرض ومات وكانت وفاته فى صفر سنة تسع
وثمانين وخمسماية ومات وله من العمر نحو احد وسبعين سنة ولما مات دفن بدمشق بدرب
مجاهد الدين وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية اربعة وعشرين سنة بما فيها من ايام محمود
بن زنكى الشهيد ولما مات صلاح الدين يوسف خلف من الاولاد سبعة عشر ولدا ذكرا
من صلبه ولم يخلف فى خزاينه لا ذهبا ولا فضة ولم يخلف قرية ولا بستانا ولا ملكا
ولا ضيعة وانفد جميع ما فى الخزاين على التجارديد والغزوات حتى فتح البلاد التى كانت
بيد الزنج ولما مات تولى من بعده ابنه العزيز عثمان انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الناصر
صلاح الدين يوسف بن ايوب وذلك على سبيل الاختصار ذكر سلطنة الملك
العزيز بالله عماد الدين ابى الفتح عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن
ايوب وهو الثانى من ملوك بنى ايوب بمصر بويع له بالخلافة بالسلطنة بعد موت
ابيه الملك الناصر بعهد من ابيه له وكان اصغر اخوته وكان اخوه الافضل اكبر منه فلما
توفى الملك الناصر صلاح الدين بدمشق تولى ابنه الافضل على دمشق وولى ابنه المظفر
غازى على حلب وولى ابنه العزيز على مصر وكان مولد العزيز بمصر فى جمادى الاول سنة
سبع وستين وخمسماية وولى ملك مصر وله من العمر نحو سبعة وعشرين سنة فلما مات
ابوهم صلاح الدين وقع الخلف بين الاخوة ووثبوا على بعضهم ولم يقنع احد منهم بما هو
فيه فحصل بينهم من الحروب والفتن ما يطول شرحه عن هذا المختصر فلما تولى الملك العزيز
على مصر واتى من دمشق وجلس على سرير الملك فلم يمشى على طريقة والده الملك الناصر
وسار مع الناس فى مصر اقبح سيرة وقد اخطات فيه فراسة ابيه الناصر بما كان يرجوه
فيه فكان كما قيل فى المعنى

فلاح لى ان ليس فيهم فلاح	املتهم ثم تاملتهم
بغير نفع فالرواح الرواح	طال وقوفى بفنا ربعهم

فاعاد المكوس التى كان ابطلها ابوه صلاح الدين وزاد فى شى منها وتجاهر بالمعاصى
والمنكرات حتى غلا سعر العنب فى ايامه لكثرة من يعصره وحملت اوانى الخمر جهارا من غير
انكار وحميت بيوت المزاره واماكن الحشيش واباحوا ذلك ارباب الامر والنهى واقيمت
عليها الضرايب الثقيلة حتى صار ياخذ من ارباب هذه الجهات فى كل يوم عشرة دنانيرا

حماية السلطان فلم يجد احدا يعارض اماكن الفسوق في ايامه فيما يفعلون وصارت طاحون الحشيش عمالة في كل يوم في حارة المصامدة وكذلك بيوت المزر في الكيكيش في مكان يقال له العورور قال القاضي الفاضل ان في ايام الملك العزيز هذا وقعت غلوة بسبب توقف النيل وتشحطت الغلال حتى فقد مبيوزها والخبز في الجرون واضطربت احوال الديار المصرية من قلة العدل وكثرة المعاصي والفسوق ومن الحوادث في ايامه ان دارا كانت في فم السد تعرف بدار ابن مقشر وكان يحصل من اجرتها في اليوم والليلة مالا يحصل من اجرة مثلها في مدة سنة كاملة وذلك بسبب الفرجة يوم فتح السد اذا اوفى النيل فلما ان كانت سنة احد وتسعين وخمسماية اوفى النيل على جاري العاده فاكرت الناس تلك الاماكن التي في دار ابن مقشر بسبب الفرجة حتى ما بقي فيها مايسع قدم الانسان فبينما الناس محتبكة بها للفرجة فسقطت تلك الدار على من فيها من الناس فماتوا اجمعين وكان بها ما ينيف عن خمسماية نفس من نسا ورجال وصغار وكبار فاقاموا يستخرجون منها الاموات ثلاثة ايام فوجدوا بها شخصا يعرف بابي البقا وفيه بعض نفس فطلع من تحت الردم وقد كاد ان يفارق الدنيا فلما شم الهوى عوفي وعاش بعد ذلك مدة طويلة ثم طلع الى سطح داره في بعض الايام ونزل وهو مستعجل فزلت رجله من ثلث درج من سلم السطح فمات من وقته وساعته انتهى قال ابن المتوج جا رجل من بلاد العجم الى القاهرة فاوحى الى الملك عثمان بان الهرم الصغير الذي في الجيزه وهو المسكوا بالحجر الصوان انتحته مطلبا فوجه اليه الملك العزيز جماعة من الحجارين ليهدموه فاقاموا في هدمه نحو شهر ولم يهدموا منه الا اليسير فانفق على هدمه في هذه المدة مالا جزيلا فلما اعياه ذلك تركه واثار ذلك النقب فيه الى الآن وقد نزعوا عنه بعض الحجارة الصوان ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسماية فيها خرج الملك العزيز الى نحو الفيوم يتصيد على سبيل النزهة فلاح له ظبي فساق خلفه فكبى به الفرس فدخل قربوس السرج في صدره فمات من وقته فحمل الى القاهرة ودفن عند الامام الشافعي رضي الله عنه فكانت وفاته في يوم الخميس في العشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسماية وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية نحو سبع سنين واشهر ولما مات تولى من بعده ابنه محمد انتهى ما اوردناه من اخبار الملك العزيز عثمان وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المنصور محمد

بن الملك العزيز عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وهو الثالث من ملوك بني ايوب بويع له بالسلطنة بعد موت ابيه العزيز في العشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسماية وكان له من العمر لما تولى السلطنة نحو عشرين سنة وكان القائم بامور دولته الامير بها الدين قراقوش وهو صاحب الحارة المنسوبة اليه فساس الرعية في ايامه احسن سياسة واحبوه الرعية ودعوا له بطول البقا ومن ايامه توفي القاضي عبد الرحيم الفاضل صاحب ديوان الانشا وهو اول من اظهر التورية في الشعر

قال

قال الاسعد بن مماتي كان القاضي الفاضل ذميم الخلقة وكان له حدبة ظاهرة خلف ظهره وكان يسترها بالطيلسان حتى لا تظهر للناس وقد هجاه ابن عنين الشاعر بسبب ذلك بهذه الابيات

حاشى لعبد الرحيم سيدنا ۵ الفاضل ماذا تقول له السفل ۵
يكذب من قال ان حدبته ۵ فظهره من عبيده حبل ۵
هذا قياس في غير سيدنا ۵ يصح ان كان يحبل الرجل ۵

ومن النكت اللطيفة قال الاسعد بن مماتي دخلت يوما على القاضي الفاضل فرايت الى جانبه اترجه بديعة الخلقه فجعلت انظر في تلك الاترجه فقال لي الفاضل اراك تطيل النظر الى هذه الاترجه فقلت التعجب من شكلها وبديع خلقتها فقال لي الفاضل وهل تنسبه ايضا فيما بها من الاحديداب فقلت الله الله يا مولانا القاضي ثم اني ارتجلت بيتين من الشعر وهما هذين

للحسن بل لله اترجه ۵ قد اذكرتنا بجنات النعيم ۵
كانها قد جمعت نفسها ۵ من هيبة الفاضل عبد الرحيم ۵

فلما سمع ذلك تعجبه وزال ما عنده وكان قد توهم مني قال الاسعد بن مماتي ثم اني ذكرت هذه الواقعه لبعض اصحابي فقال لي احمد الله الذي انشدته ذلك من لفظك ولم تكتبها له فربما تصحفت عليه في اللفظ فيقراها من هيبة الفاضل عبد الرحيم فيزداد حنقا من ذلك انتهى واستمر الملك المنصور في السلطنة مدة يسيرة وتغلبت عليه اعمامه من اجل السلطنة وجرى بينهم من الحروب ما يطول شرحه من هذا المختصر واخر الامر خلع الملك المنصور من السلطنة وسجن بقلعة الجبل واستمر مسجونا الى ان مات في السجن وكانت مدة سلطنته بمصر تسعة اشهر وايام ولما خلع الملك المنصور تولى من بعده عم ابيه الامير ابو بكر بن ايوب انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المنصور محمد بن العزيز وذلك على سبيل الاختصار منها والله اعلم

ذكر سلطنة الملك العادل سيف الدين ابي بكر

بن الامير نجم الدين ايوب بن شادي وهو الرابع من ملوك بني ايوب بمصر بويع له بالسلطنة بعد خلع ابن ابن اخيه المنصور محمد في شوال سنة خمس وتسعين وخمسماية وكان العادل هذا في ايام اخيه الناصر صلاح الدين يوسف قد استولى على عدة بلاد من بلاد الشرق وكان العادل هذا مسعودا في جميع حركاته يحب الغزوات في سبيل الله خفيف الركاب صبورا على الجهاد وكان مولده بمدينة بعلبك في سنة اربع وستين وخمسماية وكان اصغر من اخيه صلاح الدين يوسف فلما تولى السلطنة بمصر مشى على نظام الملوك القديمة في الحرمة الوافرة ونفاذ الكلمة قيل انه كان يشتي بمصر ويصيف بالشام وكانت مملكة مصر والشام في ايامه مضبوطة لا يختل شي من نظامها واستمر الامر على ذلك حتى دخلت سنة سبع وتسعين وخمسماية فيها توقف النيل عن الزيادة قبل الوفا وثبت على اثنى عشر ذراعا واصبعا واحدا ثم انهبط ولم يزد بعد ذلك شيا من الاصابع فاضطربت احوال الديار المصرية واكلت الناس بعضها بعضا واستمر

النيل على ذلك ست سنين متوالية ولم يزد غير عشرة اذرع ثم يهبط فوقع الغلا بالديار
المصرية وعدمت الاقوات في ساير اعمال مصر فصاروا الناس من شدة الجوع ياكلون القطط
والكلاب والحمير والبغال والخيل والجمال حتى ما بقي بمصر دابة فصاروا الناس اذا قوي احدهم
على صاحبه يذبحه بيده وياكله وصار الرجل يذبح ابن جاره وياكله ولا ينكر ذلك عليه
ويذبح ولده وياكله من شدة الجوع وهذا كله بعد ان فرغت الكلاب والقطط والوحوش
والطيور وقد تناهى سعر القمح في السنة الثالثة الى ماية دينار كل اردب ولا يوجد ثم جا
عقيب ذلك فنا عظيم حتى مات من اهل مصر نحو الثلثين **قال** ابو شامة المورخ
ان الملك العادل ابا بكر بن ايوب كفن من ماله في مدة يسيرة من مات من الغربا نحو ماية
وعشرين الف انسان غير من مات من اهل المدينة فلم يحصى لهم عدد حتى قيل كان النيل اذا طلع
فلم يجد من يزرع الاراضي فكانت الترك تخرج بنفسها يحرثون ويزرعون بايديهم ويبذرون
في الارض الغلال لعدم وجود الفلاحين وقيل فقد من الاطفال في تلك السنة جماعة كثيرة
يدعونهم الى الطبيخ فاذا حصلوا عندهم في الدار يذبحونهم وياكلونهم وكذلك النسا القواسل
يدعونهم الى الاموات ويذبحونهم وياكلونهم حتى قيل ان رجلا استدعى بطبيب فلما مضى
معه الطبيب جعل ذلك الرجل يكثر من ذكر الله تعالى بطول الطريق فشكك ورعج ذلك
الطبيب بعدما كان على وجل فلما وصلا الى الدار فاذا هي دار خربة فارتاع ذلك الطبيب
فخرج اليه رجل من الخربة وقال للرجل الذي جا بالطبيب وهل مع هذا البطو المعظم جبت
الينا بصيرة فلما سمع الطبيب ذلك ولى هاربا وما خلص الا بعد جهد عظيم واستمر
الامر على ذلك مدة ثم سكن الحال وتراجع الامر قليلا قليلا وظهرت الغلال وانحط سعر
القمح حتى صار مرمى لا يجد من يشتريه وتراجع سعر كل شي وانصلح الوقت وطاب ورجع
الما الى مجاريه فكان كما قيل في المعنى

اذا ما رماك الدهر يوما بنكبة • فهي لها صبرا واوسع لها صدرا
فان تصاريف الزمان كثيرة • فيوما ترى عسرا ويوما ترى يسرا

ثم ان الملك العادل استمر في السلطنة بمصر حتى خرج الى نحو الشام لتفقد الاحوال فمرض
هناك ومات بدمشق ودفن بها **فكانت** وفاته في جمادى الاخر سنة خمسة عشر
وستماية **وكانت** مدة سلطنته بمصر ثمانية عشر سنة وتسعة اشهر وكان العادل هذا
رجلا طويلا جسيما مدور الوجه شرها في الاكل ياكل الخروف وحده وكان يجب من ياكل معه
مثل اكله وكان كثير الجماع لا يمل من ذلك ليلا ولا نهارا دايما على ممر الايام ولما مات الملك
العادل خلف من الاولاد ثلثة اولاد وهم الملك محمد الكامل فاستقر بعد ابيه العادل
على مملكة الديار المصرية وابنه الملك المعظم عيسى فاستقر بعد ابيه العادل على مملكة
البلاد الشامية وابنه الملك الاشرف موسى شاة ارمن فاستقر بعد ابيه على مملكة البلاد
الحلبية وكان موسى شاة ارمن هذا بديع الحسن والجمال وهو ممدوح القاضي كمال الدين

ابن النبيه في جميع قصايده حيث يقول من قصيدة

يا طالب الرزق ارضات مذاهبه • قل يا ابا الفتح يا موسى وقد فتحت
وقاله في ختم رجل • والشفق احمر واصفر
رايات شاة ارمن • ذاك بحالة جالوا
ما خلق وليس بخلق • وفي ايام العادل ابي بكر توفي مويد الدين

صاحب لامية العجم الطغراي وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد وكان كاتب الملك مسعود
صاحب حماه فلما كانت الوقعة بين الملك مسعود وبين اخيه الملك محمود شاة فانكسر الملك
مسعود وولى هاربا فكان اول من اسر من جماعة الملك مسعود مويد الدين الطغراي فلما مثل
بين يدي الملك محمود شاة وكان بينه وبين الطغراي عداوة بسبب مملوكه وزيد الحسن فامر
بقتل الطغراي على يدي ذلك المملوك الذي كان يهواه فادعى عليه الشاب بقتله فقبل
عفا عنه ومات الطغراي عقيب ذلك من الرجفة انتهى ما اوردناه من اخبار الملك العادل
ابي بكر وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الكامل ناصر الدين محمد

محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب وهو الخامس من ملوك بني ايوب بمصر **بويع**
له بالسلطنة بعد موت ابيه العادل في يوم الجمعة سابع جمادى الاخر سنة خمسة عشر وستماية
وكان الملك العادل اكبر اخوانه قال الشيخ شمس الدين الذهبي في تاريخه ان الملك الكامل
استولى على الديار المصرية نحو من اربعين سنة نصفها في حياة ابوه الملك العادل ونصفها
مستقل بها بمفرده وكان كثير الغزوات ويحب الجهاد وفتح في ايامه فتوحات كثيره من
البلاد الشامية والمصرية **وكان** الملك الكامل يكثر من الاقامة في العباسية ويقول هذه
احسن من مصر فاني اذا اقمت بها اصطاد الطير من السما والسمك من البحر والوحش من
الفضا ويصل الي خبر القاهرة في يومه مع النجابة في كل يوم مرتين وكان من جملة العباسية
انشا بها البساتين والمناظر برسم الحريم والسراري وفي ايامه توفي الشيخ الصالح ابو الحسن
الدينوري وكان من كبار العلما الاوليا وله كرامات خارقة ودفن بالتربة من الجبل المقطم
وكانت وفاته في ذي القعدة سنة ستة عشر وستماية **ومن الحوادث** في ايامه ان شخصا
مغربيا دخل الى الديار المصرية وكان من علما فن السيميا فاظهر لشخص من الاعيان بستانا
خارج القاهرة من احسن ما يكون كثير الاشجار من اصناف الفواكه المثمرة وبه خمس سواقي
دايرة وعدة نيران واقفة برسم السواقي وحوله واقفة من حول هذا البستان فلما راه
ذلك الرجل اعجبه فاشتراه من المغربي بالف دينار وقبضه الثمن واشهد عليه المغربي بتسليم
ذلك البستان بقاضي وشهود ثم مضى ذلك المغربي الى حال سبيله وبات ذلك الرجل في
البستان الذي اشتراه فلما اصبح وجد نفسه بين الكيمان ولم ير شيا من ذلك البستان
الذي باعه له المغربي فصار يسال من الناس هل كان قبل اليوم هنا بستانا فيقولون له ما
سمعنا بهذا قط فصار الرجل متحيرا من ذلك وشاع امره بين الناس فلما بلغ الملك الكامل

ذلك فطلب المغزى فلم يجده واخذ الالف دينار ومضى الى حال سبيله وهذه الواقعة من
الغرائب وقال بعض المورخين ان ملوك اليمن اهدت الى الملك الكامل محمد شمعدان من نحاس
يخرج منه عند ما يطلع الفجر شخص من نحاس لطيف الخلقة يخاطب الملك قائلا صبحك الله
بالخير قد طلع الفجر او صغير هذا معناه وكان هذا الشمعدان من صنعة اليونانية فاقام في
حواصل الملوك الى ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم نفقد **وفي ايامه** توفي الشيخ زكي
الدين العوضي وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد وكان سبب موته قبل انه كان في خدمة
الملك المظفر محمود صاحب حماه فكان قبل ان يلي حماه وعد الشيخ زكي الدين العوضي انه اذا
تولى حماه يعطي الشيخ زكي الدين الف دينار فلما ولي حماه كتب اليه الشيخ زكي هذه الابيات

مولاي هذا الملك قد نلته ۝ برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته ۝ فذا اوان الوعد الصادق

فعند ذلك دفع اليه المظفر الف دينار التي اوعده بها ثم ان الملك المظفر صار يرسل الشيخ
زكي الدين في الاسفار الى بعض اشغاله فاصرف الف دينار على الاسفار ولم يبق منها شي
فبلغ الملك المظفر ان الشيخ زكي الدين قال في معنى ذلك شعر

ان الذي اعطوه لي جملة ۝ قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم ياخذوا ۝ وحسبنا الله ونعم الوكيل

فلما بلغ الملك المظفر ذلك امر بحبسه فحبس فبلغه عنه انه قال وهو في السجن هذا البيت

اعطيتني الالف تعظيما ومكرمة ۝ ياليت شعري ام اعطيتني ديتي

فلما بلغ الملك المظفر ذلك امر بخنقه فخنق وهو في السجن ودفن تحت الليل انتهى
ثم دخلت سنة ثمانية عشر وستمايه فيها جاءت الاخبار بان الفرنج جاوا الى ثغر دمياط
في ما يتي مركب واستولوا على مدينة دمياط وملكوها فعند ذلك اضطربت احوال الديار
المصرية ونادى الملك الكامل في القاهرة بان النفير عاما فاجتمع من العساكر نحو عشرين
الف مقاتل فعند ذلك خرج الملك الكامل من القاهرة ومعه تلك العساكر فتوجه الى
دمياط ونزل قبالة طلخا على راس بحر اشموم واجتمع هناك السواد الاعظم من الخلايق
وصار الملك الكامل يحاصر الافرنج في دمياط وقد حصنوا الافرنج سور المدينة وجعلوا
الجامع الكبير كنيسة فلما دام الحصار بينهم وقع الغلا بين عسكر السلطان الملك الكامل
حتى عدمت الاقوات وبلغ الرغيف الخبز تعتله فضة وابيعت بيضة الدجاجة بدينار
وصار السكر في مقام البا قوت الاحمر وكاث الخيول والبهايم فاكل منها وراق الشجر في
مدة هذه المحاصرة **وكانت** المحاصرة على ثغر دمياط ستة عشر شهرا واثنين وعشرين
يوما وقد اسرفوا الفرنج في القتل والنهب والاسر وسير الملك الكامل السعاة الى ساير
البلاد يحث الناس الى الحضور لاجل دفع الفرنج عن الديار المصرية **قيل** كان في
مدة هذه المحاصرة يمشي في ركاب الملك الكامل شخص يسمى شمايل وكان من جملة الجند

فكان يسبح في البحر تحت الليل ويأتي الملك الكامل باخبار الفرنج فحظي بذلك عند الملك
الكامل فلما انتصر على الفرنج ولى شمايل المذكور والي القاهرة وصار مقربا عنده واليه تنسب
خزانة شمايل وهي عبارة عن سجن يجلس فيها اصحاب الجرايم ولما طال حصار الملك الكامل
على دمياط فانشا هناك قرية وسماها المنصورة وبنا بها الاسواق والفنادق والحمامات
ولا زالت تتزايد في العمارة الى الآن ثم ان الملك المظفر محمود صاحب حماه حضر في عسكر كبير
الى عند الملك الكامل لاجل دفع العدو فاجتمع هناك من العساكر نحو اربعين الف مقاتل
فجرى بينهم من القتال ما يطول شرحه عن هذا المختصر فلما طال الامر على الفرنج فايقنوا بالهلاك
وارسلوا يطلبوا من الملك الكامل الامان وعلى انهم يتركوا دمياط ويرحلوا عنها الى بلادهم
فاتفق الحال على ان كلا من الفريقين يعطي رهاين من اقاربه وعلى ان كلا من المسلمين يطلق من عنده
من الاسارى وعلى ان الفرنج يطلقوا من كان عندهم من الاسارى من ايام الملك الناصر صلاح
الدين يوسف بن ايوب فحلف الملك الكامل والفرنج على ذلك ووقع الصلح على ذلك فارسل
ملك الفرنج عشرين ملكا من عنده رهنا الى الملك الكامل وارسل الملك الكامل ابنه الامير
نجم الدين مع جماعة من الامرا الى ملك الافرنج فعند ذلك سلموا الفرنج مدينة دمياط
الى المسلمين واطلقوا من كان عندهم من الاسرى من ايام الملك الناصر صلاح الدين يوسف
وكذلك اطلق الملك الكامل من كان عنده من الفرنج الاسرى **قيل** لما سلموا الفرنج مدينة
دمياط الى المسلمين فجاء عقيب ذلك الى الفرنج نجدة من البحر نحو ماية مركب وكان من
جميل صنع الله تاخرها الى حين تسلموا المسلمين دمياط فانها لو جاءت قبل ذلك فتقووا
بها على المسلمين وابوا من الصلح فلما تسلم الملك الكامل مدينة دمياط فكان يوم دخوله
اليها يوما مشهودا لم يسمع بمثله وبعث البشاير الى ساير الافاق **وكانت** مدة استيلا
الفرنج على ثغر دمياط سنة وعشرة اشهر واربعة وعشرون يوما والملك الكامل معهم في
جهاد ليلا ونهارا لا يكل من الحروب في هذه المدة وكانت هذه النصرة في سنة تسعة عشر
وستمايه **قال** الشيخ شمس الدين الذهبي ان في مدة المحاصرة حضر الى الملك الكامل
اخويه وهما الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى شاة ارمن صاحب
حلب وماردين فلما حصلت هذه النصرة فاحضر الملك اخويه واجتمعوا في القصر الذي
انشاه الملك الكامل في المنصورة وكان مبتدا عمارة المنصورة في سنة عشرين وستمايه فلما اجتمعوا
في القصر احضروا اسرة الشراب بعد ان مدلهم سماط عظيم هناك فلما جلسوا الى المنادمة
بعد ما قاسوا من الفرنج اهو العظيمة كما قيل في المعنى

فيوم علينا ويوم لنا ۝ ويوم نساء ويوم نسر

فاحضر الملك موسى الاشرف جارية تغني على عود فحركت العود وانشدت وهي تقول

ولما طغا فرعون عكا بمصره ۝ وجاء لعيسى بالفساد الى الارض
اتى نحوه موسى وفي يده العصا ۝ فاغرقهم في اليم بعضا على بعض

فطرب الملك الاشرف موسى لذلك فشق على اخيه الملك الكامل محمد هذا المعنى واسرها في
نفسه ثم انه ارسل خلف الراجح الحلي الشاعر وامره بان يجيب عن ذلك المعنى ببيتين
والراجح الحلي هذا اقدم هجرة من الصفي الحلي وقد قال ابن نباتة في معنى ذلك هذين البيتين

يا سايلي عن رتبة الحلي الذي ... نظم القريض وراضيا بي احكم
للشعر حليان ذلك راجح ... ذهب الزمان به وهذا قيم

ثم الراجح الحلي نظم هذين البيتين ودفعهما الى الملك الكامل فامر الملك الكامل باحضار
جارية تضرب بالعود فحضرت في اليوم الثاني واخذت العود وغنت عليه بهذه الابيات

ايا اهل دين الكفر قوموا لتنظروا ... لما نجري في عصرنا ونجددا
الا ان موسى قد اتانا وقومه ... وعيسى جميعا ينصرون محمدا

فلما سمع الملك الكامل ذلك فطرب له وامر لكل جارية بخمسماية دينار واجاز الراجح الحلي
بجايزة سنية انتهى ثم ان الملك الكامل دخل الى القاهرة في موكب عظيم ومعه اخويه
فاقاموا في القاهرة مدة يسيرة وتوجهوا الى بلادهما ثم ان الملك الكامل اخذ في اسباب
مدرسته الكاملية التي بين القصرين وكانت تسمى دار الحديث **قيل** لما ان حفروا
اساس هذه المدرسة فوجدوا هناك صنم كبير من ذهب فامر الملك الكامل بان يسبك هذا
الصنم وينفق على بناء هذه المدرسة فبنيت من وجه حل وهو الذي انشا هذه القبة العظيمة
على ضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وبنى المجراة من بركة الحبش الى تربة الامام الشافعي
تجري بالماء في ايام النيل وهي باقية الى الآن وبنى الحوض على الطريق السالكة عند تربة الامام
الشافعي ولما ماتت ام الكامل دفنت عند الامام الشافعي داخل القبة وتوفي في ايامه
القاضي كمال الدين ابن النبيه وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد وهو الذي مدح بني ايوب بقوله

دمتم بني ايوب في نعمة ... تحوز في الخلد حد الزمان
والله لا زلتم ملوك الورى ... شرقا وغربا وعلى الضمان

وكان الملك الكامل سعيد الحركات في افعاله كثير الجهاد والغزوات والفتوحات **وفي سنة**
اثنين وثلاثين وستماية في ثاني جمادى الاول توفي الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض رحمة الله
عليه ودفن بالقرافة الصغرى تحت العارض بالجبل المقطم وكان مولده بالقاهرة في رابع
ذي القعدة سنة سبع وسبعين وخمسماية فكانت مدة حياته اربعة وخمسين سنة وستة
اشهر وايام وتوفي في ثاني جمادى الاول سنة اثنين وثلاثين وستماية ولما مات دفن
تحت رجلين شيخه الشيخ محمد البقال رحمة الله عليه وكان اصله من حماه وانما سمي بابن الفارض
لان والده الشيخ شمس الدين كان من كبار اهل العلم وقد انفرد في علم الفرايض فسمي لذلك الفارض
وكان الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض رضي الله عنه فريد عصره في علم التصوف وكان له نظم
رايق في معاني الغراميات لم يسبق اليه احد وقد عاصر من العلما الشيخ ابو القاسم المنفلوطي
والشيخ صفي الدين بن ابي المنصور والشيخ شمس الدين الايكي شيخ خانقاه سعيد السعدا والشيخ

سعد الدين

سعد الدين الحارثي الحنبلي المحدث والقاضي امين الدين الرقاقي والشيخ جمال الدين الاسيوطي
والشيخ شهاب الدين السهروردي رضي الله عنه والشيخ برهان الدين الجعبري والقاضي شمس
الدين ابن خلكان والشيخ شهاب الدين بن الخيمي وكان له نظم لطيف وكان يطارح ابن الفارض
والشيخ نجم الدين بن اسرايل وغير ذلك جماعة كثيرة من العلما والصوفية ولم ينكر عليه احد
منهم في حالاته ولا لفظه وكانوا معه في غاية الادب انتهى ذلك ومما وقع للشيخ شرف الدين
عمر بن الفارض انه كان مقيما بجامع الازهر فاراد يوما ان يتوجه الى الجامع عمرو بن العاص
الذي في مصر العتيقة فاحضروا الى الشيخ مكاري ليركبه الى الجامع عمرو فقال اصحاب الشيخ
للمكاري كم لك هنا الى جامع عمرو فقال المكاري خلو الشيخ يركب معي على الفتوح فقال الشيخ
نعم نركب معك على الفتوح فركب معه الشيخ وتوجه الى جامع عمرو فلما كان في اثنا الطريق
لقيه بعض اعيان الناس فنزل له عن فرسه وسلم عليه ثم ارسل الى الشيخ ماية دينار مع غلامه
فقال الشيخ ادفعوا هذه الماية دينار الى المكاري فانا ركبنا معه على الفتوح فدفعوها الى المكاري
فلما ان بلغ الرجل ان الشيخ دفع الماية دينار الى المكاري بعث اليه بماية دينار اخرى فقال الشيخ
ادفعوها للمكاري فانا ركبنا معه على الفتوح فلما وصل الشيخ الى الجامع عمرو نزل عن الحمار وصار
يعتذر الى المكاري في التقصير وقال لو دخل الينا اكثر من ذلك لدفعناه اليك انتهى ثم ان
الملك الكامل قصد التوجه الى دمشق لتفقد الاحوال فخرج من القاهرة وتوجه الى دمشق فلما
دخلها اقام بها مدة ومرض ومات هناك ودفن بدمشق وكانت وفاته في العشرين من رجب
سنة خمس وثلاثين وستماية **وكانت** مدة سلطنته بمصر نحو من عشرين سنة ولما مات
تولى من بعده ابنه العادل ابي بكر انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الكامل محمد على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك العادل سيف الدين ابي بكر

ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابي بكر ابن نجم الدين ايوب وهو السادس من ملوك بني ايوب
بمصر **بويع له** بالسلطنة بعد موت ابيه الملك الكامل محمد تولى الملك في سنة خمس وثلاثين
وستماية وكان سبب سلطنته انه لما توفي ابوه الملك الكامل بدمشق كان العادل ابو بكر
هذا نايبا عن ابيه بمصر لما ان توجه الى دمشق فلما توفي هناك الملك الكامل وجاءت
الاخبار بموته الى القاهرة فاتفق راي الامرا الذين كانوا بمصر ان يسلطنوا الامير ابي بكر
ابن الملك الكامل عوضا عن ابيه فسلطنوه ولقبوه بالملك العادل على اسم جده الملك العادل
ابي بكر فلما بلغ اخوه نجم الدين وكان نايبا بحلب ان اخاه تسلطن بمصر وكان العادل اصغر
من اخيه نجم الدين فشق ذلك على نجم الدين وحضر من حلب الى الديار المصرية في اسرع مدة
فلما دخل الى مصر وثب على اخيه الملك العادل وحاربه وجرى بينهما من الحروب ما يطول
شرحه عن هذا المختصر وصار العسكر منهم فريقان مع كل اخ فريق ودام الامر على ذلك
ثم ثبت شوكة الامير نجم الدين على اخيه العادل فخلعه من السلطنة وسجنه بقلعة الجبل الى
ان مات كما سياتي ذلك في موضعه فكانت مدة ولايته على مصر سنة وشهرين وايام

ولما خلع تولى من بعده اخيه نجم الدين انتهى ما اوردناه من اخبار الملك العادل ابى بكر على سبيل
الاختصار

ذكر سلطنة الملك الصالح نجم الدين ايوب

ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابى بكر بن نجم الدين بن ايوب وهو السابع من ملوك
بنى ايوب بمصر **بويع له** بالسلطنة بعد خلع اخيه الملك العادل ابى بكر فى يوم الاثنين
خامس عشرين ذى القعدة سنة ست وثلاثين وستماية وتولى الملك وله من العمر نحو اربعة
وثلاثين سنة وكان مولده فى سنة ثلاث وستماية بمصر فى قلعة الجبل فلما تم امره فى السلطنة
واطاعوه الجند فاخذ فى اسباب تدبير ملكه واستكثر من مشترى المماليك الاتراك
حتى ضاقت بهم القاهرة وصاروا ايشوشون على الناس وينهبون البضايع من الدكاكين فضجوا
منهم الناس وفى ذلك قال بعض الشعرا رحمه الله

الصالح المرتضى ايوب اكثر من ۞ ترك بدولته ياشر مجلوب
لا واخذ الله ايوبا بفعلته ۞ فالناس قد اصبحوا فى ضر ايوب

فلما بلغ الملك الصالح ذلك بنى لهم قلعة فى الروضة بالقرب من المقياس واسكنهم بها وسماهم
المماليك البحرية وجعل حول تلك القلعة شوانى حربية مشحونة بالسلاح واعده عند الصاعر
بسبب قتال الفرنج اذا طرقوا البلاد فيكونوا هذه المماليك على اهبة فينزلوا فى الحال فى الشوانى
ويتوجهوا الى قتال الفرنج وكان عدتهم الف مملوك قاطنين بهذه القلعة لا يخالطون الناس
بالمدينة ولهم الرواتب والجوامك عماله بسبب ذلك واثار هذه القلعة باقية فى الروضة
الى الآن **قال** الشيخ شمس الدين الذهبى ان طايفة من هذه المماليك خرجوا من القاهرة
هاربين من السلطان فى سنة اثنين وخمسين وستماية فتوجهوا الى نحو التيه فتاهوا بها نحو
خمسة ايام فلاح لهم فى اليوم السادس سواد فقصدوه فاذا هو مدينة عظيمة وبها سور
ولها ابواب وهو مبنى بالرخام الاخضر فدخلوا اليها هولاء المماليك وطافوا بها فوجدوا
بها اسواق ودور ووجدوا بها صهاريج فيها ما احلى من العسل وابرد من الثلج فشربوا منه
ووجدوا فى بعض الدكاكين التى فى اسواقها دنانير من الذهب وعليها كتابة بالقلم القديم
فاخذوا تلك الدنانير وخرجوا من المدينة فساروا ليلة كاملة فلما اصبحوا فوجدوا
طايفة من العربان هناك فحملوهم الى مدينة الكرك فاخرجوا تلك الدنانير التى معهم الى
بعض الصيارف فاذا عليها مكتوب اسم موسى عليه السلام وقيل ان هذه المدينة بنيت
فى زمن موسى وكان يقال لها المدينة الخضرا من مداين بنى اسرايل وقد طمست بالرمال
فتارة تنكشف عنها الرمال فتظهر وتارة تطمها فلاحت الى هولاء المماليك وقت تنافى الرمال
عنها **وفى سنة** اربع واربعين وستماية فيها انشا الملك الصالح نجم الدين مدينة على اطراف
الرمل وسماها الصالحية وانشا بها الاسواق والفنادق والمساجد فتزايدت فى العمارة
وصارت مدينة على انفرادها وهو الذى انشا المدرستين اللتين تجاه باب الصاغة وهى
الصالحية النجمية قلعت العلما **ومن الوقايع** فى ايامه ان الامير شهاب الدين بن يغمور

والى القاهرة امر بشنق عشرين رجلا كانوا يقطعون الطريق على الناس ويقتلون من يظفرون
به فلما شنقهم امر الحفرا بحفظهم فلما جاء الليل فقدوهم الحفرا فاذا هم تسعة عشر مشنوقين
فخافوا الحفرا من الامير شهاب الدين ان يسالهم عنه فقعدوا على الطريق ينتظرون من يمر بهم
عوضا عن ذلك الرجل المفقود من المشانيق فبينما هم على ذلك واذا بشخص قد مر بهم فقاموا اليه
ومسكوه وشنقوه مع جملة المشانيق فلما لاح الصباح اتى الامير شهاب الدين وعد المشانيق
فاذا هم احد وعشرين رجلا فقال للحفرا ومن هذا الرجل الزايد الذى معهم فبهتوا الحفرا فقال
لهم ما شانكم فقالوا يا امير قد عدينا هم فى الليل فوجدناهم ناقصين واحدا فمر بنا فى الليل هذا الرجل
فمسكناه وشنقناه معهم فقال لهم الامير شهاب الدين اروني هذا الرجل المسكين الذى وقع لكم
فلما راه وجده شخصا قاطع طريق وله مدة وهو يفتش فى طلبه ولا يقدر على تحصيله فلما راه
سر به وتعجب من هذه الواقعة غاية العجب انتهى ثم ان الملك الصالح صفا له الوقت فكثرت
مماليكه وطالت ايامه فى السلطنة فعند ذلك تعرض الى قتل اخيه الملك العادل ابى بكر الذى
كان فى السجن بقلعة الجبل فقتله فى ثالث شوال سنة اربعين وستماية ودفن عند الامام
الشافعى رضى الله عنه فلما قتل الملك الصالح اخاه العادل فاقام بعد قتله اياما يسيره وقد
ابتلاه الله تعالى باكلة طلعت له فى وجهه فوقعت فيه الى الاخره واستمر قليلا وثقل المرض
عليه **ثم دخلت** سنة سبع واربعين وستماية فيها جاءت الاخبار بان ريدا فرنسيس
ملك الفرنج اتى الى ثغر دمياط فى مايتى مركب مشحونة بالرجال غير ما اتى فى البر من المقاتلين
وكان ريدا فرنسيس هذا قد استولى على غالب بلاد الاندلس وسبى اهلها وقتل من المسلمين
ما لا يحصى عددهم ونهب اموالهم وكانت طايفة هذه الفرنج غير الطايفة التى جاءت فى ايام
الملك الكامل محمد كما تقدم فلما تحقق الملك الصالح ذلك فامر باشهار الندا فى مصر والقاهرة
بان النفير عاما ولا يتاخر كبيرا ولا صغيرا فان العدو قد استولى على البلاد ووصلت بوادره
للمنصورة فاضطربت احوال الديار المصرية وماجت باهلها ثم ان ملك الفرنج ريدافرنسيس
لما احاط بثغر دمياط ارسل كتابا الى نايب دمياط وهو يهدده فيه ويحذره ويذكر له ما جرى
على اهل الاندلس من القتل والسبى فلما سمعوا اهل دمياط بذلك فهربوا تحت الليل فلما اصبحوا
الفرنج فوجدوا ابواب المدينة مفتحة ولا بها احد من الناس فظنوا الفرنج ان ذلك مكيدة
من المسلمين فتمهلوا حتى ظهر لهم ان ما فى المدينة احد من المسلمين فدخلوا من غير مانع
وملكوها فلما سمع الملك الصالح بذلك نادى فى مصر والقاهرة بالرحيل فخرجوا الناس
قاطبة وساير الامرا وخرج الملك الصالح فى محفة فانه كان مريضا على غير استوا فلما وصل
الى نحو المنصورة نزل بها وامر بجمع العربان من ساير اهل النواحى فاجتمع من العالم ما لا يحصى
ثم ان الملك الصالح احضر نايب دمياط وشنقه وشنق معه نحو خمسين اميرا بسبب
خروجهم من دمياط بغير اذن من السلطان فعز ذلك على الامرا وقصدوا ان يقتلوا الملك
الصالح هناك فاشار بعض الامرا بعدم ذلك وقال هذا غير صواب فصار القتال عمال بين

للمسلمين والفرنج تقتل من الفريقين واسر جماعة كبيرة هذا والسلطان كل يوم يتزايد في المرض
حتى ايست منه الاطبا فلما كان ليلة الاحد رابع عشر شعبان سنة سبع واربعين وستماية
توفي السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب فلما مات الملك الصالح بالمنصورة كتم موته
خوفا من الفرنج ان لا يطمعوا في اخذ البلاد من ايدي المسلمين فحمل السلطان بعد ان مات في
زورق تحت الليل وجي به الى قلعة الروضة فدفن بها وقيل نقل بعد ذلك الى مقام الامام
الشافعي رضي الله عنه ودفن عند اقاربه داخل القبة **فكانت** مدة سلطنته بالديار المصرية
والبلاد الشامية نحو تسع سنين وسبعة اشهر واحد عشر يوما ولم يشعر احد من الناس بموته
فكانت المراسيم تخرج في كل يوم بعلامة السلطان فلا يشك من يراها انها بخط السلطان
الملك الصالح وكانت الامرا تجتمع في الموكب ويظهرون ان السلطان مريضا وكانت الاطبا
تدخل على جاري العادة في كل يوم وكان طبق المزاور يدخل في كل يوم ويخرج على جاري
العاده والمراسيم في كل يوم رايحة من المنصورة الى القاهرة في الاشغال ولم يعلم احد
بموت الملك الصالح في القاهرة وكان القايم بتدبير هذه الامور الامير حسام الدين
لاجين والامير فارس الدين اقطاي في هذه المدة حتى حضر توران شاة ابن الملك الصالح
وكان توران شاة في حصن كيفا فلما استرسل الملك الصالح في المرض فارسلوا خلف ابنه
توران شاة من حصن كيفا فابطا عليهم حتى مات ابوه فلما حضر الى المنصورة وجا
في عسكر عظيم من الاكراد من عساكر حصن كيفا فلما حضر توران شاة فاشيع موت الملك
الصالح وتسلطن ابنه توران شاة عوضه انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الصالح نجم
الدين ايوب على سبيل الاختصار رحمه الله

ذكر سلطنة الملك المعظم توران شاة

ابن الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل محمد وهو الثاني
من ملوك بني ايوب بمصر **بويع له** بالسلطنة بعد موت ابيه الصالح في منتصف شهر محرم
سنة ثمان واربعين وستماية وكانت ولايته بعد موت ابيه باربعة اشهر فلما تولى نودي
باسمه في القاهرة وزينت له ودقت له الكوسات سبعة ايام وتلقب بالملك المعظم
ونودي بين العسكر في الوطاق بالدعا للسلطان الملك المعظم توران شاه والترحم
على الملك الصالح فلبس توران شاة خلعة السلطنة بالمنصورة وباس له الامرا الارض
وخطب باسمه على المنابر فلما تحققوا الفرنج موت الملك الصالح فطمعوا في اخذ مصر
وزحفوا على فارس كور فاجتمعوا ساير الامرا وتحالفوا على الجهاد في سبيل الله تعالى
فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر المحرم سنة ثمان واربعين فركب الامير بيبرس البندقداري
والامير لاجين وغير ذلك من الامرا وخرج معهم السواد الاعظم من العوام والفلاحين
وغير ذلك وبايديهم المقاليع والحجارة وهجموا المماليك البحرية وفي ايديهم السيوف
والدبابيس والرماح ومنهم طايفة يرمون بالنشاب فحملوا على الفرنج جملة واحدة
فكانت ساعة تشيب منها النواصي وقد تاب من هول ذلك اليوم العاصي فانكسروا

الفرنج اخس كسره ولو امدبرين والله سبحانه وتعالى هو ناصر الناصرين وما النصر الا من عند الله
وقال الشاعر ❊ لله در فوارس يوم الوغى ❊ تروي الحكاية لا اليهم تنتمي ❊
❊ زرعوا الفوارس بالرماح وفصلوا ❊ بالمرهفات وخيطوا بالاسهم ❊
فبلغ عدة من استشهد في هذه الوقعة من امرا السلطان سبعة وستين اميرا غير المماليك وقتل
من العوام ما لا يحصى عددهم وقتل من الفرنج على فارسكور ما يزيد على اثني عشر الف انسان
واسر من ملوكهم سبعة وغنموا امتعتهم المسلمين من السلاح والقماش والخيول اشيا كثيرة لا تحصى
حتى قيل ابيع في عسكر السلطان كل سيف بنصف ونصفين فضة وكل فرس بعشرة انصاف فضة وكل
درع بثمانية انصاف **واما ملك الفرنج** ريدافرنسيس والاكابر من امرايهم فانهم قد انحاشوا
الى تل عالي هناك وارسلوا ابيالوا في امان من السلطان فارسل اليهم بعض الامرا فقبض عليهم
وقيدهم وسجنهم واما ملك الفرنج فسجنه السلطان في دار القاضي فخر الدين ابن لقمان كاتب
السر وكانت في المنصورة ووكل به طواشي يسمى صبيح المعظمي فكان يحرسه ليلا ونهارا ويقرره
على الاموال واستمر في السجن وهو مقيد هو واخوه واقاربه وقد قرر عليه السلطان مال
بورده فارسل الى بلاده يحضر الاموال التي قد قررت عليه فلما حصلت النصرة ارسل
السلطان الملك المعظم توران شاة بالبشارة الى القاهرة باخذ مدينة دمياط وقد توجه
بهذه البشارة الامير شهاب الدين بن يغمور والي القاهرة فدخل الى القاهرة وهو لابس لبس
ملك الفرنج اشكرلاط مخمل احمر بفرو سنجاب وقلنسوة ذهب فزينت له القاهرة وكان
يوما مشهودا لم يسمع بمثله وكانت هذه النصرة على غير القياس بعد ان كانوا الفرنج اشرفوا
على اخذ الديار المصرية واستولوا على بعض الضياع ونهبوا ما فيها واسروا اهلها **فلما**
ملكوا المسلمين مدينة دمياط فاشار الاسرى على السلطان بهدم مدينة دمياط فارسل
اليها الهدادين فهدموها عن اخرها ولم يبق منها سوى الجامع الكبير ووقع فيها الهدم في يوم
الاثنين ثامن شعبان سنة ثمان واربعين وستماية واستمرت من يوميذ خرابا وصار مكان
بيوتها اخصاصا من القش على شاطي بحر النيل يسكن بها جماعة من الصيادين وسموها
المنشية واستمرت على ذلك الى دولة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري
فامر بتجديد عمارتها فارسل اليها جماعة من البنايين والنجارين وكان ابتدا عمارتها في سنة
خمسين وستماية فجدد بنا سورها وامر بردم فم بحر النيل الذي تدخل منه مراكب
الفرنج فردموه من القرابيص التي كانت هناك من الهدم القديم فامتنعت المراكب الكبار
من الدخول الى بحر النيل من يوميذ ان الملك الظاهر امر باعادة السلسلة الحديد التي كانت
على فم بحر النيل من شمالي دمياط وكانت من البر الى البر قبل ان هذه السلسلة كانت من ايام
المتوكل على الله المتقدم ذكره ثم بطلت فامر باعادتها كما كانت انتهى ومن هنا نرجع الى اخبار ملك الفرنج
ريدافرنسيس فانه لما اعتقل بدار القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب السر التي كانت بارض
المنصورة وتولى عقابه الطواشي صبيح المعظمي فصار يضربه في كل يوم خمسماية عصاة واستمر

على ذلك الى ان تولى الملك المعز ايبك التركماني فارسل اليه فرنسيس يقول له بان يشترى نفسه منه بما بقى الف دينار غير المتقادم فازح الملك المعز عنه وعن اخيه وعن اقاربه وحلفوه ايمان عظيمة بانه لا بقى يتعدى على بلاد المسلمين ولا يفسد فى البحر والبر فلما حلف اذن له الملك المعز بالتوجه الى بلاده فسار واستمر فى بلاده فارسل الى الملك المعز ما قرره له من الاموال واقام على ذلك الى ان قتل الملك المعز ايبك وتولى من بعده الملك المنصور على فجاءت الاخبار من البلاد بان فرنسيس المذكور رجع العساكر وصنع مراكبا كثيرة وقصد العود الى اخذ مدينة دمياط فلما بلغ المنصور ذلك جمع الامرا وضربوا مشورة فانقضى الراى بان يرسلوا اليه مطالعة من عند السلطان بالتهديد والحط عليه فكتب اليه الصاحب جمال الدين ابن مطروح وزير ملك الغرب مطالعة وضمنها هذه الابيات

قل للفرنسيس اذا جئته ۝ مقال نصح من مقول فصيح
اجرك الله على ما جرى ۝ من قتل عباد لدين المسيح
اتيت مصرا تبتغى ملكها ۝ تحسب ان الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين الى عسكر ۝ ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم ۝ لبسوا تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفا لا يرى منهم ۝ الا قتيلا او اسيرا جريح
وفقك الله لامثالها ۝ لعل عيسى منكم يستريح
ان كنت عولت على عودة ۝ لاخذ ثار او لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالها ۝ والقيد باق والطواشى صبيح

فلما وصلت هذه المطالعة الى فرنسيس وسمع هذه الابيات رجع عن التوجه الى مصر وتذكر ما قد جرى عليه من الطواشى صبيح وما قاسى من ضربه له انتهى ذلك ومن هنا نرجع الى اخبار الملك المعظم توران شاة قيل لما حصلت هذه النصرة لتوران شاة ظن ان الوقت قد صفا له فتحول من المنصورة الى فارسكور فنصب له هناك برجا من الخشب على شاطى البحر ثم احضر الاسارى من الفرنج وضرب اعناقهم بين يديه بالسيف ثم قذفهم فى البحر ثم شرع يقرب جماعة من حاشيته ممن حضر معه من حصن كيفا وصار يعطيهم الوظائف السنية ويبعد مماليك ابيه الملك الصالح وارسل الى شجرة الدر زوجة ابيه يهددها بكل سوء فارسلت شجرة الدر تقول للامرا والمماليك البحرية ان تقتلوا توران شاة وعلى رضاكم بكل ما يمكن وكان توران شاة عنده خفة وهوج فى اموره فكان اذا سكر يصف الشموع قدامه بالليل وياخذ السيف بيده ويضرب به تلك الشموع ويقول هكذا افعل بالمماليك البحرية وكان احمق جاهل لا يدرى ما يضره ولا ما ينفعه كانه خشبة وكان كما قال فيه القايل

يا جامعا لخصال قبيحة لبس تحصى ۝ نقصت من كل فضل فقد تكاملت نقصا
لو ان للجهل شخصا ۝ لكنت للجهل شخصا

فلما بلغ مماليك ابيه ذلك فاضمروا له السوء وقد تغيرت خواطرهم عليه فلما كان يوم الاثنين تاسع المحرم سنة ثمان واربعين وستمائة جلس الملك المعظم توران شاه فى الموكب والامرا بين يديه وكان قدامه رؤس النوب بان يقفوا قدامه بعصى وهى ملبسة بالذهب فى ايام المواكب فلما مضى الموكب وحضر السماط فجلس الملك المعظم على السماط على جارى العاده فتقدم اليه جماعة من المماليك البحرية وبايديهم السيوف فضربوه على اصابعه فقطعوها فقام وهرب ودخل الى ذلك البرج الخشب واغلق عليه باب البرج فاطلقوا فى البرج النار فخرج منه السلطان والقى نفسه فى البحر وصار يصيح فيه والنشاب ياخذه من كل جانب وهو يقول خذوا ملككم ودعونى ارجع الى الحصن كيفه فلم يغثه احد وبقى على ذلك حتى قتل فى ذلك اليوم المتقدم ذكره فمات حريقا قتيلا غريقا وطلعوا به من البحر فبقى مرمى على شاطى البحر ثلاث ايام لم يدفن ثم دفن فى بعض جروف البحر ولم يعلم له قبر ثم ان المماليك نهبوا جميع ما كان فى الوطاق من قماش وسلاح وخيول وغير ذلك واستمر السماط فى ذلك اليوم ممدود واكلت منه طغمة الكلاب ولم يبق احد له فكانت مدة سلطنة الملك المعظم توران شاة ابن الملك الصالح نحو اربعين يوما ولم يدخل الى مصر ولا جلس على سرير الملك بقلعة الجبل ولا حكم بالقاهرة وكانت قتلته على فارسكور فى يوم الاثنين كما تقدم وهو اخر من تولى السلطنة بمصر من بنى ايوب وبه انقرضت دولة بنى ايوب وكانت مدة دولتهم من حين تولى الملك الناصر صلاح الدين يوسف الى ان قتل الملك المعظم توران شاة نحو سنة وثمانين سنة والاشهر وزالت دولتهم كانها لم تكن بمصر قيل لما قتل توران شاة رجعت الامرا والعسكر الى القاهرة وطلعوا الى قلعة الجبل فوقع الاتفاق من الامرا على سلطنة شجرة الدر عوضا عن توران شاة وان يكون الامير عز الدين ايبك التركماني مدبر المملكة معها فتسلطنت ونحا الغوا على ذلك وهذا لم يقع قط بالديار المصرية ولا سمع بان امراة قد تسلطنت بها انتهى ما اوردناه من اخبار المعظم شاة توران وذلك على سبيل الاختصار منها والله اعلم

ذكر سلطنة شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين ايوب

وهى ام ولده خليل فكانت تاسع من تولى السلطنة بمصر من جماعة بنى ايوب فتسلطنت فى ثانى شهر صفر سنة ثمان واربعين وستمائة فباس لها الامرا الارض من وراء حجاب فلما تم امرها فى السلطنة فرقت الوظائف السنيه على الامرا وفرقت الاقطاعات الثقال على المماليك البحرية واغدقت عليهم بالاموال والخيول وارضتهم بكل ما يمكن وساست الرعية فى ايامها احسن سياسة وكانت الناس عنها راضية وكان الامير عز الدين ايبك التركماني مدبر المملكة وكان لا يتصرف فى الامور الا بعد مشورتها فيما تريد وكانت تكتب على المراسيم فى العلامة بخطها والدة خليل فلما كان يوم الجمعة خطب باسم شجرة الدر على منابر مصر فكانت الخطبا تقول بعد الدعا للخليفة واحفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحجاب الجميل والستر الجليل والدة المرحوم خليل زوجة الملك

الصالح نجم الدين ايوب قال الشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم الجزرى فلما بلغ الخليفة
المستنصر بالله ابى جعفر وهو ببغداد ان اهل مصر قد سلطنوا امراة فارسل يقول لهم من بغداد
للامرا بمصر اعلمونا ان كان ما بقى عندكم فى مصر من الرجال من يصلح للسلطنة فنحن نرسل
لكم من يصلح لها اما سمعتم فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا افلح قوم
ولوا امرهم امراة وانكر عليهم بسبب ذلك غاية الانكار وهددهم وامرهم بالرجوع عن ذلك
وقد قال القايل

النسا ناقصات عقل ودين ما راينا لهن رايا سنيا
ولاجل الكمال لم يجعل الله تعالى من النسا نبيا

فلما بلغ شجرة الدر ذلك خلعت نفسها من السلطنة برضاها من غير كره لها فكانت
مدة سلطنتها بالديار المصرية نحو ثلاثة اشهر الا اياما وكانت تدبر امور المملكة فى حياة
استاذها الملك الصالح وكانت ذات عقل وحزم ومعرفة تامة باحوال المملكة فسلطنوها
لحسن تدبيرها للامور وسياستها للرعية فلما خلعت نفسها من السلطنة فاشاروا
القضاة والامرا بان يولوا الامير عز الدين ايبك التركمانى السلطنة وان يتزوج بشجرة
الدر فتزوج بها ثم تولى السلطنة بعد خلع شجرة الدر فكان اول من تولى من ملوك الترك

ذكر ابتدا دولة الاتراك فكان اولهم الملك المعز

ايبك التركمانى الصالحى النجمى كان اصله من مماليك الملك الصالح نجم الدين ايوب
فاعتقه ثم صار اميرا فى حياة استاذه الملك الصالح ثم بقى اتابك العسكر بعد قتل
الملك المعظم توران شاه ثم بقى سلطانا بعد خلع شجرة الدر تولى الملك بالديار المصرية
فى يوم السبت تاسع عشرين ربيع الاخر سنة ثمان واربعين وستماية وركب بشعار وحملت
على راسه القبة والطير ولعبوا قدامه بالغواشى الذهب وجلس على سرير الملك وباسوا
له الامرا الارض ولقبوه بالملك المعز فلما تم امره فى السلطنة تغلبوا عليه المماليك
الصالحية وقالوا لابد لنا من واحد من ذرية بنى ايوب نسلطنه وكان المتكلم يومئذ
من الامرا الامير بلباى الرشيدى والامير فارس الدين اقطاى والامير بيبرس ركن
الدين البندقدارى والامير سنقر الرومى وغير ذلك جماعة من المماليك البحرية فوقع
الاتفاق بينهم وبين المعز ايبك بان يحضروا بشخص من بنى ايوب فيال له مظفر
الدين يوسف من اولاد الملك مسعود صاحب بلاد الشرق وكان عند عماته ببلاد الشرق
فارسلوا خلفه فلما حضر من البلاد سلطنوه ولقبوه بالملك الاشرف وكان له من العمر
نحو عشرين سنة فلما تسلطن يوسف المذكور لم يعزل ايبك التركمانى من السلطنة
بل صار معه مثل الشريك وكان يخطب باسمهما على منابر مصر واعمالها وضربت السكة
على الدنانير والدراهم باسمهما فلم يسع ايبك الاحتمال واستمر ايبك ويوسف المذكور
شريكه فى السلطنة حتى قويت شوكة المعز ايبك وانشا له مماليك واقام له عصبية
فعزم رايه على ان يقبض على الامير فارس الدين اقطاى وكان راس المماليك الصالحية فطلبه

وقت الظهر فلما طلع الى القلعة فاكمن له كمينا ورافقة الاعمدة وقرر معهم اذا مر بهم الامير
فارس يقتلوه من غير معاودة فلما مر بهم ووصل الى باب قاعة الاعمدة وثبوا عليه المماليك
المعزية واذاقوه كاس المنية فلما قتل الامير فارس الدين امر الملك المعز ايبك بغلق باب
القلعة فلما شاع بين الناس قتل الامير فارس وكان ذلك فى يوم الاثنين حادى عشرين شعبان
سنة اثنين وخمسين وستماية فركبوا اكابر خشداشينه وكانوا نحو سبعماية انسان فلما ان طلعوا
الى الرميلة واحاطوا بالقلعة فارمى اليهم الملك المعز براس الامير فارس الدين اقطاى من فوق
سور القلعة فلما تحققوا خشداشينه قتله فانتضوا طايفين على جمية نحو البلاد الشامية
وهم الامير بيبرس ركن الدين البندقدارى والامير قلاوون الالفى والامير سنقر الاشقر
والامير بكبشكرى والامير سكن والامير برمق فلما قصدوا ان يخرجوا الى البلاد الشامية
فوجدوا ابواب القاهرة مغلقة فتوجهوا الى باب القراطين فاحرقوه وخرجوا منه هاربين
فسمى من ذلك الباب المحروق فلما بلغ المعز هروبهم فامر بالحوطة على موجودهم فلما خمدت
الفتنة وتشتتوا الامرا الذى كان يخشى منهم المعز فعند ذلك قبض على الملك الاشرف
يوسف الذى كان شريكه فى السلطنة وسجنه بقلعة الجبل وانفرد بالسلطنة وحده ثم دخلت
سنة اربع وخمسين وستماية فيها ارسل الملك المعز ايبك يخطب بنت الملك بدر الدين لولو
صاحب الموصل فلما بلغ ذلك شجرة الدر فتغيرت على المعز ايبك وتغير هو ايضا عليها لانها
كانت تمن عليه فى كل وقت وتقول له لولا انا ما وصلت انت الى السلطنة وكانت قد منعته
من الاجتماع بزوجته ام ولده الامير على حتى انها الزمته بطلاقها منه بالثلاثة وكانت
شجرة الدر تركية الجنس صعبة الخلق شديدة الغيرة قوية الباس ذات شهامة زايدة وحرمة
وافرة سكرانة من خمرة العجب والتيه كما قيل فى المعنى

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

فلما صار ايبك معها فى غاية الضنك فمحق منها يوما ونزل الى مناظر اللوق وهو غضبان
وكانت مناظر اللوق مكان الازبكية الان وكانت مطلا على بحر النيل فلما نزل ايبك من القلعة
اقام بمناظر اللوق اياما وهو غضبان فارسلت اليه شجرة الدر من يتلطف به حتى سكن غضبه
وقام وطلع الى القلعة فلاقته وقامت اليه وقبلت يده من غير عادة منها وكانت شجرة الدر
قد اضمرت له السوء فندبت له خمسة من الخدام الخصى الروم وقالت لهم اذا دخل الى الحمام
فاقتلوه فلما طلع الى القلعة فاصطلح مع شجرة الدر وتواصيا ثم دخل الى الحمام فلما صار هو وشجرة
الدر بها فدخلوا عليه تلك الخدام وبايديهم السيوف فقام ايبك وقبل يد شجرة الدر واستغاث
بها فقالت للخدام اتركوه فاغلظ عليها بعض الخدام فى القول وقال لها متى ان تركناه فلا يبقى علينا
ولا عليك فقتلوه فى الحمام خنقا وقيل ربطه محاشمه بوتر وجذبوه حتى مات فلما مات حملوه
واخرجوه من الحمام واشاعوا انه قد اغمى عليه من الحمام فارقدوه على فراشه فى الحمام وكان ذلك
فى ليلة الاربعا خامس عشرين ربيع الاول سنة ست وخمسين وستماية فلما اصبح الصباح

اشاعوا قتله بين الناس فركب ابنه الامير علي والمماليك المعزية فلما طلعوا الى القلعة وقد تحققوا قتله فشرعوا في تجهيزه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في التربة ثم قبض ابنه الامير علي على شجرة الدر وسلمها الى امه فامرت جواريها بان يقتلوها بالقباقيب والنعال فخنقوها بهم حتى ماتت وفارقت الدنيا **فكانت** كما قيل في الامثال

واقنع اذا حاربت بالسلامة ، واحذر رقها الا توجب الندامة
فالتاجر الكيس في التجارة ، من خاف في متجره الخسارة

فلما ماتت شجرة الدر فسحبوها من رجلها وارموها من فوق السور الى الخندق وهي عريانة ولم يكن عليها غير اللباس في وسطها فاقامت وهي مرمية في الخندق ثلاثة ايام لم تدفن حتى قيل ان بعض الحرافيش نزل الى الخندق تحت الليل وقطع تكة لباسها لانها كانت من حرير احمر وفيها اكرة لولو ونافجة مسك فسبحان من يعز ويذل كما قيل

لقد هزلت حتى بدا من هزالها ، كلاها وحتى سامها كل مفلس

ثم بعد ثلاثة ايام حملت ودفنت في تربتها التي بطرف السيدة نفيسة بجوار بيت الخلفا وكانت شجرة الدر اصلها من جوار الملك الصالح نجم الدين ايوب فاشتراها في ايام ابيه الملك الكامل محمد فحظيت عنده واستولدها ابنه خليل ثم اعتقها وتزوج بها وكانت معه في البلاد الشامية مدة طويلة لما كان متوليا على الشام فلما قدم الى الديار المصرية وتسلطن فحظيت شجرة الدر في دولة استاذها الملك الصالح وصارت تدبر امور المملكة عند غياب الملك الصالح الى الغزوات وكانت ذات عقل وحزم كاتبة قارئة لها معرفة تامة باحوال المملكة وقد نالت من العز والرفعة ما لا نالته امراة قبلها ولا بعدها وقد اقامت في السلطنة نحو ثلاثة اشهر وخطب باسمها على منابر مصر واعمالها ونفذت مراسيمها في الافاق بعلامتها وكانت علامتها على المراسيم والدة خليل وكانت كثيرة البر والصدقات ولها اوقاف على جهات خير وصدقات وكانت قتلتها في يوم الثلاثاء خامس عشرين ربيع الاخر سنة خمس وخمسين وستمائة انتهى ذلك **واما الخدام** الذي قتلوا المعز ايبك التركماني فهرب بعضهم الى بلاد الشرق وصلب بعضهم على باب القلعة واقام اياما وكان الملك ايبك التركماني رجلا عاقلا حليما نظر في مصالح الرعية في ايامه وكان كفوءا للسلطنة ودفع العدو وكان يحب الجهاد في سبيل الله تعالى مع الفرنج **وكانت** مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية سبع سنين منها مدة انفراده بالسلطنة خمس سنين وثلثة اشهر وكانت مدة الاشرف يوسف الذي من بني ايوب الذي شارك ايبك في السلطنة سنة واشهر وايبك هذا هو اول ملوك الترك ولما قتل تولى من بعده ابنه نور الدين علي انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المعز ايبك التركماني وذلك على سبيل الاختصار منها تمت **ومن الابيات اللطيفة** وهي هذه الابيات التي تتضمن اسما ملوك الترك والجراكسة دون اسما اولادهم ممن تولى السلطنة بالديار المصرية وهم على الترتيب من مبتدا دولتهم

الى الآخر

الى الآخر وهي هذه الابيات

ابيك قطز بعقبوا ، بيبرس ذو الكمال
بعده قلاوون ، بعد كتبغا المفضال
لاجين بيبرس ، بو فوق شيخ ذو الافضال
ططر برسبيه ، جقمق ذو العلا اينال
وخشقدم عنه قل ، بلبيه ذو الاحوال
تمربغا فتنبية ، المخلد والاقبال
وقانصوه جنبلاط ، خذ عنهما الاقوال
وبعدهم جا طومن ، بيه بلا قيال
وقانصوه بعده ، قد اظهر الاهوال

وهو الغوري

ذكر سلطنة الملك المنصور نور الدين علي ابن ايبك التركماني

الصالحي وهو الثاني من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية **تولى السلطنة** بعد قتل ابيه يوم الخميس سادس عشرين ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة وكان له من العمر لما تولى السلطنة احدعشر سنة وكان القايم بتدبير امور المملكة الامير علم الدين سنجر الحلبي وكان الوزير يومئذ شرف الدين بن صاعد الفايزي وكان قد وزر لابيه المعز ايضا وكان اسمه هبة الله وكان اصله من ابنا القبط فاسلم في دولة الملك الكامل محمد ولا زال يرقا الى ان بقي وزيرا بالديار المصرية في دولة الملك المعز ايبك التركماني ثم وزر لابنه الملك المنصور علي فلما استقر امره في السلطنة فاستقر بالامير سيف الدين قطز المعزي نايب السلطنة بمصر واتابك العساكر وكان قطز شديد الباس صعب الخلق فقبض على الوزير شرف الدين هبة الله وصادره واخذ جميع امواله ثم صلبه على باب القلعة واخلع على القاضي زين الدين يعقوب بن الزبير واستقر به وزيرا عوضا عن هبة الله **ومن الحوادث** في ايام الملك المنصور علي هذا انه في سنة ست وخمسين وستمائة في خامس جمادى الاخر جاءت الاخبار من المدينة الشريفة بانه قد ظهر في التاريخ نار بوادي شطا شرقي المدينة وانه يخرج منها شرار ياكل الحجارة وقيل ان قبل ظهور هذه النار بخمسة ايام وقع بالمدينة زلزلة عظيمة وسمعوا اصواتا من السما مزعجة ولم تزل هذه النار عالية ليلا ونهارا نحو شهر فكان طول هذه النار اربع فراسخ في عرض اربعة اميال فصارت تاكل الحجارة حتى تصير مثل الفحم الاسود **قال** الشيخ عماد الدين بن كثير اخبرني الشيخ صدر الدين علي التميمي الحنفي قال اخبرني والدي الشيخ صفي الدين مدرس مدرسة البصرى انه راى وهو بالبصرى صفحات اعناق الابل في الليل المظلم من ضوء تلك النار التي ظهرت بالمدينة قال الشيخ شهاب الدين ابو شامة ان اهل المدينة لما راو تلك النار قد زاد امرها فتضرعوا الى الله تعالى وتابوا من ذنوب كانوا يعملونها وتصدقوا بالاموال على الفقرا ولزموا الصوم والصلاة حتى كشف الله

تعالى عنهم تلك النار بعدما اقامت نحو شهر وهي تفور وفي ذلك يقول القائل

بحرٌ من النار تجري فوقه سفن ✽ من الهضاب لها في الارض ارساءُ
منها تكاثف في الجو الدخان الى ✽ ان عادت الشمس منه وهي ظلماءُ
ترمي لها شررا كالقصر طائشة ✽ كانها ديمة تنصب هطلاءُ
فيالها آية من معجزات رسول ✽ الله قد ظهرت والقوم احياءُ

يشير الناظم الى ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء منها اعناق الابل ببصرى رواه في اخر كتاب الفتن في باب خروج النار انتهى ذلك **قال** الشيخ شهاب الدين ابو شامة في تاريخه ان في دولة الملك المنصور علي ابن ايبك هذا كان استيلاء هلاكو على مدينة بغداد وقتل الخليفة المستعصم بالله وخراب بغداد وقتل اهلها ثم قصد التوجه الى حلب واخذ البلاد الشامية فتعدى من الفرات في عسكر لا يحصى عدده فلما جاءت الاخبار الى القاهرة بما جرى من هلاكو وقد ارسل ابنه في عسكر عظيم الى حلب وقد استولى على غالب ضياع حلب فلما تحقق الاتابكي قطز ذلك قام بعقد مجلس وجمع سائر الامراء والقضاة ومشايخ العلما وكان المشار اليه في ذلك المجلس شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه وكان من اكابر علما الشافعية وقد تلقب بسلطان العلما فلما تكامل ذلك المجلس من الامرا واعيان الدولة والقضاة ومشايخ العلما فقام مدعي في ذلك المجلس وذكر هيئة سوال في امر هلاكو واستيلائه على البلاد ووصوله الى حلب وان بيت المال خالي من الاموال وقد وصل العدو وطمع في اخذ البلاد والسلطان صغير السن وضاعت مصالح الرعيه وان الوقت محتاج الى قيام سلطان كبير يخشاه الناس في دفع العدو وان بيت المال محتاج الى المساعدة بشي من اموال الرعية لاقامة الجند وتجهيزهم للسفر وما يعينهم الى ذلك **فاجاب** الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه في ذلك المجلس وقال اذا طرق العدو البلاد وجب على الناس قتاله وجاز للسلطان بان ياخذ من اموال التجار واعيان البلد ما يستعان به على تجهيز العسكر لدفع العدو ولكن بشرط ان لا يبقى في بيت المال شي من السلاح والسروج الذهب والفضة والكنابيش الزركش واسقاط السيوف الفضة وغير ذلك وان كلا من الجند يقتصر على فرسه ورمحه وسلاحه ويتساوى في ذلك بقية العامة وقت القتال **واما اخذ اموال التجار** والرعية مع وجود ابقا ما في بيت المال من السلاح والقماش فلا يجوز اخذ اموال الرعية بغير حق ثم ان الامرا انكلموا مع القضاة في اقامة سلطانا كبيرا لدفع العدو فوقع الاختيار من الامرا والقضاة على خلع الملك المنصور علي ابن الملك المعز ايبك التركماني وان يسلطنوا الاتابكي قطز فعند ذلك خلعوا الملك المنصور علي من السلطنة وولوا الاتابكي قطز وكان الملك المنصور علي طائش العقل يلعب بالحمام مع اولاد الغلمان وكانت امه تدبر امور احوال المملكة فلما خلعوه من السلطنة فارسلوه وهو مقيد الى ثغر دمياط

وارسلوا

وارسلوا معه اخوته وامه فاعتقلوه ببرج السلسلة بثغر دمياط فاقام في البرج الى ان مات هناك ودفن بثغر دمياط بعد مدة طويلة وهو في البرج **فكانت** مدة سلطنته بالديار المصرية سنتين وثمانية اشهر وكانت ايامه كلها فتن وشرور **ومن الحوادث** في ايامه انه في سنة ست وخمسين وستماية فيها في رابع شهر رمضان وقعت احدى السلتان التي باراضي المطرية التي يزعمون الناس انها مسلتا فرعون وكانوا اثنان فلما وقعت احداهما فوجدوا في قلنسوتها نحو ما يبقى قنطار نحاس اصفر ووجد واخذ داخل تلك القلنسوة عشرة الاف دينار كل دينار وزنه اوقية من الذهب الاكسير الجيد فحمل الى الخزاين الشريفة ذكر ذلك الشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم الجزري في تاريخه كما شرح هناك **واما من** توفي في ايام الملك المنصور علي ابن الملك المعز ايبك التركماني من الاعيان وهو الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذري والشيخ القطب العارف بالله تعالى شيخ الطريقة والحقيقة الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ودفن بصحرا عيذاب من اعمال الصعيد الاعلى وتوفي الشيخ شعلة شيخ القراآت وتوفي الفارسي المغربي المالكي وتوفي الشيخ سعد الدين بن العربي صاحب النظم الرقيق وتوفي الصرصري صاحب الديوان اللطيف وتوفي ابن الابار المورخ وغير ذلك من اعيان العلما ومن اعيان الناس انتهى ومن انشا المعز ايبك هذه المدرسة المعزية المطلة على بحر النيل عند رحبة الحنة عند مصر العتيقة انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المنصور علي ابن الملك المعز ايبك التركماني على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المظفر سيف الدين قطز المعزي

وهو الثالث من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وكان اصله من مماليك المعز ايبك التركماني وترقى في دولة استاذه الملك المعز ثم صار في دولة ابن استاذه الملك المنصور علي اتابك العساكر فلما خلع الملك المنصور علي وقع الاختيار على سلطنة الاتابكي قطز المعزي فتسلطن في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وستماية فلما تسلطن وتم امره في السلطنة قبض على جماعة من خشداشيته من الامرا والخدام وارباب الدولة وغير ذلك من الاعيان وارسلهم الى الحبوس بثغر دمياط والاسكندرية وصفا له الوقت وانشا له عصبة من الامرا فاخلع على الامير ركن الدين بيبرس البندقداري واستقر به اتابك العسكري وفوض اليه جميع امور المملكة وانحصرت فيه الكلمة ثم جاءت الاخبار بان جاليش عسكر هلاكو ملك التتار قد وصل الى اطراف دمشق ونهبوا البلاد وقتلوا العباد واطلقوا فيهم الزناد وكان ذلك في صفر سنة ثمان وخمسين وستماية فلما وصل الخبر الى الديار المصرية فاضطربت وماجت باهلها وقد بلغهم ما فعله هلاكو في بغداد وقتله للخليفة المستعصم بالله وما جرى منهم في حق اهل بغداد من القتل والنهب وخراب البلاد كما تقدم في اول التاريخ ثم ان اميرا من امرا هلاكو الذي وصلوا الى دمشق يقال له كيتغا نوين بك حضر الى الملك قطز وصحبته اربعة من التتار ومعهم كتاب من عند

هلاكوا فكان مضمونه من ملك الملوك شرقا وغربا القان الاعظم ونعت فيه نفسه بالفاظ
معظم وذكر فى الكتاب شدة سطوته وكثرة عساكره وما جرى على اهل البلاد منه ولا سيما
ما فعله فى بغداد وما جرى على اهلها منه وارسل يقول يا اهل مصر انتم قوم ضعاف فضوتوا
ماكرمتى ولاتقا بلونى ابدا فتندموا وشرع يذكر فى كتابه اشيا كثيرة من هذه الالفاظ
الفاحشة اليابسة فلما ان سمع الملك المظفر قطز مضمون ما فى كتاب هلاكوا فاحضر
الامرا واستشارهم فيما يكون من امر هلاكوا فقالوا الامر ان تجمع العساكر من ساير البلاد وتخرج
اليه وتقاتله اشد ما يكون من القتال ثم ان الملك المظفر قطز نادى فى القاهرة بان النفير
عاما الى الغزاة فى سبيل الله تعالى ثم انه اعرض العساكر وارسل خلف عربان الشرقيه والغربية
فاجتمع من العساكر ما لا يحصى ثم انه اخذ فى اسباب جمع الاموال فاخذ من اهل مصر
والقاهرة على كل راس من الناس من ذكر وانثى دينارا واحدا واخذ من اجرة الاملاك والاوقاف
شهرا واحدا واخذ من اغنيا الناس والتجار زكاة اموالهم معجلا واخذ من التركات الاهلية
الثلث من المال واخذ على الغيطان والسواقى اجرة شهرا واحدا واحدث من ابواب
هذه المظالم اشيا كثيرة فبلغ جملة ما جمعه من الاموال فى هذه الحركة ستماية الف دينار
فنفق على العسكر والعربان وبرز خامه الى الريدانيه فلما كان اواخر شهر شعبان سنة
ثمان وخمسين وستماية نزل السلطان الملك المظفر قطز من قلعة الجبل وهو فى موكب
عظيم فلما نزل بالريدانيه امر بتوسيط كيتغا نوين نايب امير هلاكوا ومن كان معه من
التتار ثم دخل من الريدانيه ونزل بمنزلة الصالحية واقام بها الى ان تكامل العسكر ثم رحل
من الصالحية وجد فى السير الى ان وصل الى عين جالوت من ارض كنعان فتلاقا هناك
عسكر هلاكوا وعسكر السلطان قطز فكانت بينهما ساعة تشيب فيها النواصى وقتل
من الفريقين ما لا يحصى عدده فكانت الكسرة على التتار فكسروهم وسحقوهم الى بيسان
وكان ذلك فى يوم الجمعة فى الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكوره ثم
وقعت بينهما وقعة ثانية على بيسان اعظم من الاولى فقتل من التتار نحو النصف وغنموا
عسكر السلطان منهم غنيمة عظيمة من خيول وسلاح وغير ذلك فلما جرى ذلك توجه
السلطان قطز الى نحو الشام فدخلها فى موكب عظيم وجلس للحكم فانعم على الامير علم الدين
سنجر الحلبى واستقر به نايب الشام وانعم على الامير علم الدين ابن صاحب الموصل واستقر
به نايب حلب ثم انه اخذ فى اسباب استخلاص البلاد الشامية من اولاد بنى ايوب وكان
غالبها فى ايديهم فمهد البلاد الشامية والحلبية وولى فيهم من يختار من عصبته من الامرا
ثم بعد ذلك قصد التوجه الى نحو الديار المصرية فلما خرج من دمشق ووصل الى قريبا
من ارض الصالحية فاتفقوا الامرا على قتله فكان كما قيل فى الامثال

لا تغترر بالحفظ والسلامه ❁ فانما الحياة كالمدامه
والعمر مثل الكاس والدهر القذى ❁ والصفو لا بد له من الكدر

وكان

وكان المشار اليه فى ذلك الوقت من الامرا الامير ركن الدين بيبرس البندقدارى فلما وصل
السلطان قطز الى القصير ركب يسير فى الفضا فراى ارنبا فساق خلفه وساقوا معه الامرا
وكان فيهم الامير بيبرس البندقدارى فلما ساق دنا منه الامير بيبرس ليقبل يده وكان السلطان
قطز قد انعم عليه بجارية مليحة من سبايا التتار فظن قطز انه جا يقبل يده بسبب ذلك
فلما مد يده اليه قبض عليه وضربه بالسيف وحملوا عليه بقية الامرا بالسيف فقتلوه وتركوه
ميتا ملقى على الارض ثم ساقوا وهم شاهرون سيوفهم الى ان وصلوا الى الوطاق فجلس الامير
بيبرس على مرتبة السلطان قطز واخذ المملكة بالقوة فشق ذلك على جماعة من الامرا لكون
ان السلطان قطز قتل من غير ذنب وكان خيار ملوك الترك وله اليد البيضا فى قيامه لدفع
التتار عن البلاد الشامية وقد اشرفوا على الدخول الى الديار المصرية **وكانت** قتلة الملك
المظفر قطز فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستماية ودفن هناك
فى مكان قتل بالقصير وقيل نقل بعد ذلك ودفن فى تربة مدرسته التى بالقرب من زاوية الشيخ
خلف **وكانت** مدة سلطنته سنة الا اياما ثم تولى من بعده الامير بيبرس البندقدارى
انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المظفر قطز وذلك على سبيل الاختصار رحمه الله

ذكر سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلاى

البندقدارى الصالحى النجمى وهو الرابع من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية تسلطن
بعد قتل الملك المظفر قطز فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستماية
وتلقب بالملك القاهر ابو الفتوحات فلما تلقب بالملك القاهر نفر ذلك على جماعة من العلما
فقال الصاحب زين الدين بن الزبير ما تلقب احد بهذا اللقب كافلح ولقد تلقب به جماعة
من الملوك فلم تطل ايامهم فلما سمع ذلك ترك ذلك اللقب وتلقب بالملك الظاهر
بيبرس تركى الجنس اخذ من بلاده وهو صغير فانباع لشخص يسمى العماد الصايغ ثم بعد
اشتراه منه الامير علاى الدين ايدكين البندقدارى فلما قبض عليه الملك الصالح نجم الدين
ايوب واحتاط على موجوده فاخذ بيبرس من جملة الموجود ثم ان الملك الصالح اعتقه وجعله
من جملة المماليك البحرية وكان بيبرس هذا شجاعا بطلا فاظهر فى يوم وقعة الفرنج التى
كانت على المنصورة فى ايام الملك المعظم توران شاه من الشجاعة ما لا يسمع بمثله ولا زالت
الاقدار تساعده حتى بقى اتابك العساكر فى اول دولة الملك المظفر قطز فلما قتل قطز
بقى بيبرس سلطانا كما تقدم فلما جلس على مرتبة السلطان قطز بايعوه الامرا الاكابر
كلهم ثم حلف ساير الامرا لنفسه ان لا يخونوا ولا يجدوا ردا ولا يوثبوا عليه فحلفوا له بذلك
على مصحف شريف ثم احضر خلعه وانعم على الامير فارس الدين اقطاى المستعرب واستقر
به اتابك العساكر عوضا عن نفسه فلما تم امره فى السلطنه قصد التوجه نحو الديار المصرية
فدخل الى القاهرة تحت الليل وطلع الى قلعة الجبل فلما طلع النهار نادى المنادى فى مصر والقاهرة
ترحموا على الملك المظفر قطز وادعوا بالنصر للملك الظاهر بيبرس البندقدارى وكانت

وكانت القاهرة قد زينت لقدوم الملك المظفر قطز فلما تحققوا الناس قتل الملك المظفر
قطز تحزنوا عليه لانه قتل من غير موجب وكانت له اليد البيضا في قيامه لدفع العدو عن
البلاد وكانوا التتار قد اشرفوا على الدخول الى مصر ثم ان الملك الظاهر بيبرس عمل الموكب
بقلعة الجبل واخلع على من يذكر من الامرا وهم الاتابكي فارس الدين اقطاي المستعرب
واستمر اتابك العسكر كما تقدم واخلع على الامير لاجين الدرقيل واستقر به دوادار
كبير واخلع على الامير بلبان الرشيدي واستقر به دوادار ثاني واخلع على الامير
بهاى الدين يعقوب الشهرزوري واستقر به امير اخور كبير واخلع على الامير ايبك
الافرم الصالحي واستقر به جاندار وانعم على الامير بدر الدين البيسري الشمسي تقدمة
الف وانعم على الامير سيف الدين قلاوون تقدمة الف وانعم على الامير بدر الدين بكتوت
المعزي الجوكندار تقدمة الف وانعم على الامير عز الدين ايبك عمان المعروف بسم الموت
تقدمة الف وانعم على الامير بلبان الهارونى تقدمة الف واخلع على الامير جمال الدين
اقوش المحمدي واستقر به استادار العالية واخلع على الامير ركن الدين اياجى وكالامير
سيف الدين بكجري واستقر بهما حجابا ثم اخلع الصاحب زين الدين بن الزبير من الوزارة
واستقر بالصاحب بهاى الدين ابن حنا وزيرا بالديار المصرية **اقول** والصاحب
بهاى الدين بن حنا هذا هو الذى بنا الاثار النبوى المطل على بحر النيل واشترى الاثار
الشريفة بجملة كبيرة من المال واودعه في ذلك المكان الذى انشاه على بحر النيل وصار
الناس يقصدون ذلك المكان بسبب الزيارة في كل يوم اربعا ثم ان الملك الظاهر
بيبرس عمل الموكب واخلع على مملوكه الامير بدر الدين بيليك الخازندار واستقر به
نايب السلطنة وفوض اليه جميع احوال المملكة وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية
قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في تذكرته ان الامير بيليك هذا كان اصله من مماليك
الظاهر بيبرس اشتراه صغيرا ورباه من حين كان الملك الظاهر امير عشرة واستمر في
خدمته الى ان بقى الملك الظاهر سلطانا فاخلع على الامير بيليك واستقر به نايب
السلطنة وفوض اليه امور المملكة جميعها وصار ينفذ الامور من غير مشورة السلطان
قيل ان التاجر الذى اباع الامير بيليك الى الظاهر بيبرس كان له نعمة من المال والتجارة
فدارت عليه الدوائر حتى افتقر وصار من جملة الحرافيش فلما دخل الى القاهرة فقال له
التجار ان مملوكك بيليك الذى بعته للملك الظاهر قد صار عزيز مصر واقبلت له
الدنيا فلو انك تدخل اليه وتذكر له حالك وما صرت اليه من الفقر فعسى يتم عليك
بشى من الدنيا تستعين به على حوز الزمان فكتب قصة ورفعها الى الامير بيليك وكان
من مضمون تلك القصة هذين البيتين

قد صرت من بعد عز في الهوان * وقد جار الزمان بضيق قلت منه اذا
والآن اقبلت الدنيا عليك كما * ترضى فلا تنسى ان الكرام اذا

فلما قرأها

فلما قراها الامير بيليك فقال من رفع هذه القصة فقيل له هذا التاجر الذى اباعك للسلطان
فلما راه قام اليه واعتنقه واجلسه الى جانبه فشكى اليه التاجر ما قد جرى عليه الزمان بجوره
فانعم عليه الامير بيليك بعشرة الاف دينار وخلعة وفرس انتهى ذلك ومن هنا نرجع
الى اخبار الملك الظاهر بيبرس فلما تم امره في السلطنة فرسم باحضار المماليك البحرية
الذين كانوا منفيين في البلاد ثم ارسل عدة مكاتبات الى ساير من في البلاد من النواب واخبرهم
بما قد جدده الله تعالى له من الملك وطلب منهم بذل الطاعة فاجابوه بالسمع والطاعة
ثم ان الملك الظاهر لما ثبت في السلطنة اراد خواطر الرعية بالافعال المرضية ليمحو ما جاه
من السيئات وتعود مكانها الحسنات فابطل ما كان احدثه الملك المظفر قطز من ابواب
المظالم عند خروجه الى تجريدة التتار فابطل ذلك جميعه وكتب به مسامح وقريت على منابر
مصر والقاهرة فطابت اليه نفوس الرعية ودعوا له بالادعية السنية وطابت به مصر
ورق الهوا ومشى الشاة والذيب سوى وفيه يقول بعض الشعرا من ابيات

لم يبق للجور في ايامكم اثر * الا الذى في عيون الغيد من حور

وفي هذه السنة جاءت الاخبار من دمشق بان نايب الشام سنجر الحلبي الذى كان الملك
المظفر قطز ولاه بنيابة الشام قد خرج عن الطاعة واظهر العصيان وجمع امراء دمشق
وباسوا له الارض وركب في دمشق بشعاير السلطنة وتلقب بالملك المجاهد وكتب بذلك
الى ساير اعمال البلاد الشامية وخطب باسمه على منابر دمشق واعمالها وكان الامير علم
الدين سنجر الحلبي هذا لما ثقل امره على الناس في دولة الملك المنصور على بن ايبك التركماني
فقبض عليه الملك المظفر قطز قبل ان يلي السلطنة وسجنه مدة في الاسكندرية ثم افرج عنه
واستقر به نايب الشام فلما قتل المظفر قطز وتولى الملك الظاهر بيبرس كما تقدم فاظهر
الامير سنجر العصيان وتسلطن بالشام فلما بلغ الظاهر بيبرس ما وقع منه فكتب اليه كتابا
وهو يوبخه فيه بقبح فعله وامره بالرجوع عن ذلك فعادت الاجوبة بالمخالفة وعدم
الطاعة وقد وافقه على العصيان جماعة من النواب واضطربت احوال البلاد الشامية
والحلبية في اوايل دولة الملك الظاهر بيبرس منها ما افسد عسكر هلاكو من نهب
البلاد وقتل العباد ومنها عصيان النواب وسلطنة سنجر واضطربت احوال الملك الظاهر
في اوايل دولته ووثبوا عليه المماليك المعزية فقبض على جماعة من الامرا المعزية والمماليك
وقتل منهم جماعة ونفى منهم جماعة حتى صفا له الوقت من الكدر وامن الحذر **ثم دخلت**
سنة تسع وخمسين وستماية في يوم الاثنين تاسع شهر رجب فيه حضر من بغداد
الى الديار المصرية شخص من ذرية بنى العباس فقال له الامام احمد وهو ابن الخليفة الظاهر
بامر الله ابن الخليفة الناصر لدين الله ابن الخليفة المستنصر بالله العباسي الهاشمي
فلما بلغ الملك الظاهر قدومه خرج الى تلقيه فلما وصل الى المطرية تلاقا هناك هو والامام
احمد العباسي وكان الامام احمد اسمر اللون وامه حبشية فلما وقعت عين الملك الظاهر عليه

نزل عن فرسه ونزل الامام احمد عن فرسه واعتنقا ثم ركبا هو والسلطان وشقا من القاهرة
ودخلا من باب النصر فزينت له القاهرة وكان له موكب عظيم ويوم مشهود لم يسمع بمثله
فلما وصلا الى القلعة وطلع الامام احمد هو والسلطان الى القلعة فانزله السلطان في قاعة
الاعمدة فاقام بها اياما ثم ان الملك الظاهر قصد ان يثبت نسبا للامام احمد بانه من ذرية
بني العباس فان الخلافة كانت شاغرا من حين قتل الخليفة المستعصم بالله في سنة ست
وخمسين وستماية وكان قدوم الامام احمد الى الديار المصرية في سنة تسع وخمسين
وستماية فكانت مدة شغور الخلافة نحو اربع سنين الا اشهر فامر الملك الظاهر بعقد
مجلس في قاعة الاعمدة وجمع القضاة ومشايخ العلما ومشايخ الصوفية واعيان مشايخ
الاوليا وساير الامرا وارباب الدولة وكان في صدر المجلس والمشار اليه الشيخ عز الدين
ابن عبد السلام شيخ الاسلام رضي الله عنه فلما تكامل المجلس فتادب الملك الظاهر مع
الامام احمد وجلس بين يديه بغير مرتبة ثم ان السلطان امر باحضار العربان الذين
حضروا صحبة الامام احمد من بغداد وكان فيهم طواشي من بغداد فشهدوا كلهم بين يدي
قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ابن بنت الاعز بان الامام احمد هذا هو ابن الخليفة الظاهر
بامر الله ابن الخليفة الناصر لدين الله المتصل النسب الى العباس رضي الله عنه فثبت ذلك
على يدي قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز وسجله على نفسه وحكم بصحة ذلك فلما
ثبت نسب الامام احمد بايعوه القضاة بالخلافة ولقبوه بالمستنصر بالله ثم ان الامام
احمد بايع الملك الظاهر بيبرس بالسلطنة وفوض اليه امر البلاد الاسلامية وما يضاف
اليها وما سيفتح على يديه من البلاد الكفرية فلما كان يوم الجمعة امر السلطان للامام احمد
بان يخطب ويصلي بالناس صلاة الجمعة بجامع القلعة فاجتمع القضاة والعلما وساير
الامرا بالجامع فخطب الامام احمد خطبة بليغة واثنى فيها على فضل الملك الظاهر
الذي رد الخلافة لبني العباس **فلما كان يوم الاثنين** رابع شهر شعبان من السنة المذكورة
فيه خرج الملك الظاهر الى نحو ارض المطرية وضرب هناك خيمة كبيرة وجلس على كرسي
والامرا بين يديه ثم ان القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب السر الشريف نصب له هناك
منبرا وصعد عليه وقرا على الامرا تقليد الخليفة المستنصر بالله للملك الظاهر فلما
فرغ من قراته احضروا للسلطان الملك الظاهر خلعة السلطنة وهي جبة سودا بطوق
ذهب وعمامة سودا بعذبة ذهب وسيفا بداوي فتقلده حمايلي فلما لبس خلعة السلطنة
ركب فرسا بسرج من ذهب وكنبوش ودخل الى القاهرة من باب النصر وشق المدينة وزينت
له وهو لابس شعار السلطنة كما تقدم والامرا جميعهم مشاة بين يديه والصاحب
بهاء الدين ابن حنا شايل التقليد على راسه حتى طلع الى القلعة وكان له يوما مشهودا
لم يسمع بمثله ثم ان السلطان كتب الى ساير اعمال مملكته باخذ البيعة الصحيحة من الخليفة
المستنصر بالله احمد وهو اول خليفة بايع لملوك الترك بمصر ثم ان السلطان اخذ

في اسباب

في اسباب تجهيز الامام احمد وعوده الى بغداد فاقام له برك عظيم وعين معه
عسكرا فكان جملة ما انفقه الملك الظاهر على تجهيز الامام احمد من المال مايتي الف دينار
وستين الف دينار فلما انتهى شغل الامام احمد فودع السلطان ونزل من القلعة فنزل
السلطان معه الى المطرية وساير الامرا فودع السلطان الامام احمد وطلع الى القلعة وسار
الامام احمد بمن معه من العساكر السلطانية فلما وصل الى الفرات فبلغ قرا بغا امير التتار الذي
استخلفه هلاكو على بغداد مجي الامام احمد ومعه عساكر السلطان فخرج اليه قرا بغا في عسكر
ثقيل من التتار فتلاقوا العسكران على مكان يسمى الانبار فحملوا عسكر السلطان على التتار
فكسروهم كسرة قوية وهربوا التتار فلما دخل الليل هجموا التتار على عسكر السلطان فاحاطوا
بهم فما نجا منهم الا من طال عمره ونهبوا ما كان معهم من سلاح وخيول ومال واما الامام احمد
فلم يعلم له خبر ولا وقف على اثر فمن الناس من يقول انه قتل تحت الليل وقت الكبسة ومن
الناس من يقول انه نجا بنفسه وهو مجروح مع طايفة من العرب فاقام عندهم اياما ومات
والله اعلم وكانت هذه الوقعة في اواخر سنة تسع وخمسين وستماية فلما جات الاخبار
الى القاهرة بما جرى للامام احمد تاسف الملك الظاهر بيبرس على ذلك غاية الاسف وراح
ما صنعه في البارد فكان كما قال الشاعر في المعنى

انفقت كنز مدايحي في ثغره ◦ وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة ◦ فابى وراح تغزلي في البارد

ثم دخلت سنة ستين وستماية فيها جاءت الاخبار بان شخصا من ذرية بني
العباس يقال له الامام احمد ايضا قد وصل الى الديار المصرية فلما بلغ ذلك الملك الظاهر
بيبرس فخرج الى تلقيه فلاقاه من الريدانية وطلع به الى القلعة وانزله بالبرج الكبير
الذي بالقلعة وكان هذا الامام احمد الثاني مستخفيا عند جماعة من العرب في قرية من
اعمال بغداد فتبعه الامام احمد بن الخليفة الظاهر الى مصر فلما قتل الامام احمد حضر
الى مصر فعقد له الملك الظاهر مجلسا ثانيا وجمع فيه القضاة وفعل به كما فعل اولا وكان
قد حضر معه الامير عيسى بن مهنا وجماعة كثيرة من العربان فشهدوا بين يدي قاضي
القضاة تاج الدين بن بنت الاعز بان هذا الامام احمد هو ابن علي بن ابو بكر بن الخليفة
المسترشد ابن الخليفة المستظهر بن الخليفة المقتدي بن محمد الذخيرة العباسي الهاشمي
فثبت ذلك على يد قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الاعز وحكم بصحة ذلك ثم ان
القضاة بايعوا الامام احمد بالخلافة ولقبوه بالحاكم بامر الله وثبت نسبه وتولى في
ذلك المجلس الخلافة ثم ان الامام احمد بايع الملك الظاهر بالسلطنة ثانيا وبايع اعيان
الدولة على قدر طبقاتهم ثم امر السلطان بان يخطب باسم الخليفة واسمه على منابر
مصر واعمالها وينقش على الدنانير والدراهم اسمها وان يقدم اسم الخليفة في الدعا يوم
الجمعة على المنابر قبل اسمه ثم انه اسكن الامام احمد في مناظر الكبش التي انشاها الامير

احمد بن طولون وكانت مناظر الكبش مطلة على بحر النيل ورتب له ما يكفيه فى كل يوم هو
وعياله وامره بان يطلع الى القلعة فى اول كل شهر ويهنى السلطان بالشهر فهو اول خلفا
بنى العباس بمصر وهو جد الخلفا الذين تولوا الخلافة بمصر فهذا كان سبب نقل الخلافة
من بغداد الى مصر على يد الملك الظاهر بيبرس فهذا من جملة فضايله وقد ورد فى بعض
الاخبار ان الخلافة لا تزال فى بنى العباس حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فتنقطع بعد
ذلك قال بعض الشعرا فى الملك الظاهر بيبرس

يا اسد الترك ويا ركنهم ۝ ويا اخذ الثار بعد المخافة
كسرت الطغاة جبرت العفاة ۝ قطعت الترات وصلت الخلافة

ثم ان الملك الظاهر لما استقرت الخلافة بمصر جعل لكل مذهب من المذاهب قاضى كبير
وتحت يده نواب وكان قبل ذلك فى الدول المتقدمة فرد قاضى كبير شافعى وكان
يولى من تحت يده نواب من المذاهب الثلاثة واخر من كان يفعل ذلك قاضى القضاة تاج
الدين ابن بنت الاعز الشافعى فابطل ذلك الملك الظاهر بيبرس وقرر لكل مذهب
قاضى كبير ويولى من تحت يده نواب فهو اول من قرر القضاة اربعة وجعل لمصر نواب
وحدها وللقاهرة نواب وحدها وكان ذلك فى اواخر سنة ستين وستماية ثم

دخلت سنة احدى وستين وستماية فيها رتب السلطان لعب القبق وفيها وقع
الغلا بمصر وشح النيل حتى عدمت الاقوات فامر السلطان بجمع الحرافيش كلهم وكانوا
نحو الفين حرفوش ففرقهم على الامرا واخذ لنفسه منهم جانب واضاف لولده الملك
السعيد منهم جانب واضاف الى الامير بيليك نايب السلطنة منهم جانبا ورسم لهم
فى كل يوم برطل خبز ونصف رطل لحم وامرهم بان لا يسالوا بعد ذلك احدا من الناس

وفيها كانت وفاة الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى الحموى شيخ الشيوخ بحماه
وكان مولده فى سنة ست وثمانين وخمسماية وتوفى فى سنة احدى وستين وستماية
فكانت مدة حياته خمسة وسبعون سنة وكان شاعرا ماهرا جيدا فى قوله فى المغول

سبحان مورثه من حسن يوسف ما ۝ لم يبق فى الحزن لى والصبر من حصص
اقام للشعرا العذر عارضه ۝ فكم طوى ذبيب النمل من قصص

ثم دخلت سنة اثنين وستين وستماية وفيها حضر الى الملك الظاهر بيبرس
جماعة من ملوك الشرق يهنونه بالسلطنة فمنهم الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لولو
صاحب الموصل واخوه الملك المجاهد سيف الدين اسحاق صاحب الجزيرة واخوه الملك
المظفر فلما قدموا على الملك الظاهر فاكرمهم واقرهم على ما بايديهم من الممالك التى فى
الشرق وفيها ختن السلطان ولده الملك السعيد محمد ورسم للامرا والجند وبقية
الرعية ان كل من كان له ولدا يطلع به الى القلعة حتى يختتن مع ابن السلطان فاحضروا
الناس اولادهم فبلغ عدتهم الف وستماية وخمسة واربعون ولدا خارجا عن اولاد

الامرا والاعيان فرسم لكل واحد منهم بكسوة على قدر مقام ابيه واما اولاد الحرافيش فرسم
لكل واحد منهم بكسوة وماية درهم وراس غنم واستمر المهم عمال فى القلعة سبعة ايام ثم

دخلت سنة ثلاث وستين وستماية فيها كثر الحريق بمصر والقاهرة وقد اشيع بين الناس
ان هذا من فعل بعض النصارى فرسم السلطان ان يجمع ساير النصارى فلما جمعوا امر بحرقهم
فجمعت لهم الاحطاب والحلفا فعند ذلك طلع الاتابكى فارس اقطاى المستعرب الى القلعة
واجتمع بالسلطان وشفع فيهم فقرر عليهم السلطان مال جزيل نحو خمسين الف دينار وان يصلحوا
ما قد افسدوا من الدور التى احرقت فتخلصوا من الحرق على ذلك الشرط الذى قرر عليهم

ثم دخلت سنة اربع وستين وستماية فيها سافر السلطان الى الشام وتوجه
من هناك الى صفد فافتتحها وعمرها البرج الكبير ورجع الى الديار المصرية وفيها اخرج
السلطان تجريدة الى مدينة سيس وكان باش العساكر الامير عز الدين ايدمر المعروف
بسم الموت والامير قلاوون الالفى وجماعة من الامرا والمماليك السلطانية فخرجوا من القاهرة
فى موكب عظيم وتوجهوا الى نحو بلاد الشمال فلما وصلوا الى مدينة سيس فحاصروها فسلموا
اهلها بالامان ثم توجهوا الى قلعة اياس ففتحوها وفتحوا عدة قلاع كانوا بيد الارمن ثم رجعوا
الامرا الى الديار المصرية وهم فى غاية النصر بهذه الفتوحات العظيمة التى فتحت على ايديهم
وقد هنى بهذه الابيات بعض الشعرا الامير ايدمر عند عوده

بقيت مدى الدنيا جمالا لدولة ۝ لها منك سهم فى العلا وسليس
تشوق طاعة الفتوح جنا بها ۝ واول ما تبلك الجنايب سيس

ثم دخلت سنة خمس وستين وستماية فيها ابطل السلطان ضمان الحشيش
وامر باحراقها واخرب بيوت المسكرات وكسر ما فيها من الخمور واوانيها ومنع الخانات
من الخواطى واستتوب العلوق واللواطى وعم هذا الامر ساير الجهات المصرية وبرزت
المراسيم الشريفة بمنع ذلك من ساير الجهات الشامية فظهرت فى ايامه ساير البقاع
ومنع الناس من ذلك غاية الامتناع ثم احضروا اليه فى اثنا هذه الواقعة بشخص يسمى ابن
الكازرونى وهو سكران فاقعه فامر بصلبه فصلب بعد حد عظيم فى مسخته وعلقت الجرة
والقدح فى عنقه فلما عاينوا ارباب المجون والخلاعة ما جرى لابن الكازرونى فامتثلوا امر
السلطان بالسمع والطاعة وقد قال الفاضل فى المعنى

لقد كان حد السكر من قبل صلبه ۝ خفيف الاذى اذا كان فى شرعنا جلدا
فلما بدا المصلوب قلت لصاحبى ۝ الا تب فان الحد قد جاوز الحدا

قال الشيخ شمس الدين ابن دانيال صاحب كتاب طيف الخيال لما قدمت من الموصل الى
الديار المصرية فى الدولة الظاهرية سقى الله من سحب الانعام عهدها واعذب مشارب وردها
فوجدت مواطن الانس دارسة وارباب اللهو والخلاعة غير انسة ومن لذة العيش ايسة
وقد امر السلطان جيش الشيطان وتولى الحوان والى القاهرة اهراق الخمور واحراق

الحشيش وتبديد الزوزر واستنوب الملوق واللوالى وحجر البغات والخوالى وشاعت بذلك الاخبار ودفع الاكدار واختفى المسطول فى الدار وقد اذى الخلاعه غاية الاذية وصلب ابن الازردى وفى دقنه نبادية فدعانى بعض احد قاى الى محله واتزلنى مع عياله واهله واعتذر لى فى مقصره الاكرام اذ لم ياتنى بمرام وقال قد غلب على ظنى ان اباموه قد مات وعدم الزنات فقم بنا نبكيه ونصف الحالة ونرثيه فابتدينا وقلنا فى معنى هذه الواقعة التى دفنت هذه الابيات

مات بالنوم شيخنا ابليس ۞ وخلا منه ربعه المانوس
وتفاق حدسه به اذ توفا ۞ ولعمرى مماته محدود وشى
هو لو لم يكن كما قلت ميتا ۞ لم يغيبو لامره ناموس
اين عيناه تنظر الخمرة اذ ۞ عطل منها الراووق والمحريس
ومواعيزها تكسر والخمار ۞ من بعد كسرها محبوس
اين عيناه والحشايش تحرق ۞ بنار تزاع منها المجوس
قلعوها من البساتين اذ ۞ ذاك صغار اخضر او هى عروس
والحرافيش حولها يتباكوا ۞ بدموع تطفى بهن الوطيس
اين عيناه تنظر المزر نداو ۞ حش منه الماجور والقادوس
وعجين اليتول قد بددوه ۞ وهو بالمزب خلطه مبسوس
والقنا فى مكسرات كما قد ۞ كسرت فى دجا الليالى الكوس
وذرو القصف ذاهلون وقد ۞ كادت على سيلها تسيل النفوس
ونتى فايلا لندمان عندى ۞ بعد هذا فى شربها التحريس
كم خليع يقول ذا اليوم يوم ۞ مثلها قيل مظطرير عبوس
ونضيبا ونوجى وسعاد ۞ باكيات وزينبا وعروس
ذى تنادى حرينها لوداع ۞ لا عناق لا ضم لا بتوسى
ويبادى فوادهم شه علينا ۞ نجم سعى تد نكسته العكوس
من لنا منتصف لجور زمان ۞ لا نخاب فيه ولا خنه ريس
وترى ذى يقولون نرعى زيتونا ۞ ونانوا يصيح يا جاسوس
ابن شكشاكتى وطاجنه الغار ۞ وابن المزراق والدبوس
نهبوا الحصين والطرالحير والطار ۞ وضاعت جرابتى والفلوس
ارحلوا هذه بلاد عفاف ۞ وسعود الخلاع فيها نحوس
من انا بعد ذلك الشيخ الفى ۞ وسميرى دموعتى وانيس
لم نرى بعده فتى صاحب ۞ السن وكل يبدى له تعبيس
فابكيه ارمد العين حتى ۞ لشفاه بعيش جالينوس

قال ابراهيم المعمار لما وقفنا على قصيدة الشيخ شمس الدين ابن دانيال فقلنا لو انى ادركت ذلك الزمان لم ثبت الخلاعة والمجون بهذا الزجل المصون

هنونا ماة العنب يا اشياين ۞ ورب سلم لا يمنعونا النشاين
هات قل لى اذا امنعنا الراح ۞ وحرمنا من الوجوه الصباح
يبقى بنتى نستجلب الاقراح ۞ والخليع كيف تراه يعيش مسكين
على ماء ذا العنب بكاء الراووق ۞ والنديم صار يبيونوا مخنوق
والوتز بات من الزروب للشروقا ۞ من ابليتوا الشمع لو اى الليل حنين
ولقد هان حضرة المحضر ۞ وتلون ذا الزهر واتغير
ويبنبطوا ريحاننا انفصر ۞ وعلى وجهوا اصلب الياسمين
والندامى جميعهم فى شتات ۞ حزنوا كان مات لهم اموات
هذا قاعد يبكى على ما فات ۞ وذا ينذب وذا الاخر حزين
ولى صاحب زمان معو كان طبيب ۞ جانى قال لى مشتاق انا يا اديب
لجرعة لوانها من زبيب ۞ ارى قلبى يرتاح لها ذا الحين
فقصدنا المنية الى شبرا ۞ ما لقينا رحا طنان اخرا
وفى قليوب قالوا ولا قطرا ۞ درنا من مرصفا الى شبين
وصعدنا قبلى ذا البلدان ۞ ونبشنا طموه لدير شعران
ما امر الطريق الى حلوان ۞ احزب الله طرا على النتباين
قد تعبنا مما نجد السير ۞ ولا صبنا من ذا السفر من خير
جينا عند للسا لواحد دير ۞ نوقفنا نزعق على الشيخ ابو مرتين
ونقول لو يابونا قد جيناك ۞ عسى جرعه بجات رها يبناك
ويمينك دبى على دنياك ۞ وانا ندرى بانوا اضحى الدين
لانا نضحك عليه ونتهزر ۞ حتى لا يبنكح ويتخزر
ودهنا من بيننا مبزر ۞ ردقعنا نخاطبوا بالليمن
بدخل غاب زمان ونحن وقوف ۞ وانتوا تدروا اينى وتفرا الملهون
وانا ندعوا ذاك الدمما الموصوف ۞ انزبخ واخى يقول آمين
بعد ساعه الا وهو قد رد ۞ جا يقول بالله راكم حد
ونقيبا من وراه شوع يرعد ۞ ومعه جرعه اذ بيح بلا ياسين
كم ندور فالقينه عند كا ۞ الا هذى وطنها دردى
فقمنا نمد من الفرح يدكا ۞ ونقيح لوانى الظا اردينا
خذت نشكب منها فنيئنيه ۞ صبتها كالزفت مسكية
سوداء لانه الطينة ۞ تلتن معمارذى بخته للطين

وبجمعنا ايش رجعة المكسور ٭ قلت كيف العمل تقتل لى نـد ور
فى المقبلات ونتنتنم باالزور ٭ ولا نرجع من ذا السفر خاآيبين
حين قطعنا الاياس من الخمار ٭ جبنا نشعى لواشى المــزار
قال اشرب ماآيجين نخلتو افشار ٭ فاذا الكعك اصل من ذة العجين
وانا مالى عيبه سوى بق الكروم ٭ والشراب المعتق المعلوم
نتبعوا لو يصير باقصى الروم ٭ ولو انى ندخل لقسطنطين
ولانهوى الا الشراب القديم ٭ ومعشيق جديد يكون لى نديم
ننفق المال على ايش يبقى عديم ٭ وما ممكن لى غاية التمكين
وتخوا بالله توبة المحمار ٭ والكنوها بالنار طول الاعمار
قولوا من هجرة النبى المختار ٭ سبع مايه سنة خمس واربعين

انتهى ما اوردناه مما قاله الشعرا فى هذه الواقعه ومن هنا نرجع الى اخبار التاريخ **ثم دخلت** سنة ست وستين وستماية فيها توجه السلطان الى نحو الشام وحاصر مدينة تافا والشقيف ففتحهما ثم توجه الى مدينة انطاكيه ففتحها فى يوم الجمعة ثالث شهر رمضان من السنة المذكورة ثم توجه الى بغراص ففتحها ورجع الى الديار المصرية وهو فى غاية النصرة وزينت له القاهرة **ثم دخلت** سنة سبع وستين وستماية فيها حج السلطان الى بيت الله الحرام فخرج من القاهرة فى ثالث شوال وتوجه الى غزه فاخذ الاقامات التى كان عباها له نايب الشام ثم توجه من غزه الى الكرك ثم توجه من الكرك الى المدينة الشريفة فزار قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم توجه من هناك الى مكة فدخلها فى خامس ذى الحجة وكان فى تلك السنة الوقفه بالجمعة وكان ولد السلطان السعيد محمد قد توجه صحبة المحمل بالحاج المصرى فلما قضا حجه توجه الى الشام ورجع ابنه الملك السعيد صحبة المحمل مع الركب المصرى **ثم دخلت** سنة ثمان وستين وستماية فيها رجع السلطان الى القاهرة واقام بها الى شهر شعبان ثم توجه الى زيارة بيت المقدس والخليل عليه السلام فزارهما ورجع الى الديار المصرية **ثم دخلت** سنة تسع وستين وستماية فيها ارسل صاحب طرابلس تقدمة عظيمة للسلطان واظهر الطاعة فقبلها السلطان واقره على ما فى يده من البلاد وفى هذه السنة رتب السلطان خيل البريد بسبب سرعة اخبار البلاد الشامية ترد عليه فى الجمعة مرتين وقيل انه انفق على ذلك جملة مال حتى تم له ترتيب ذلك وكان خيل البريد عبارة عن مراكز بين القاهرة ودمشق وفيها عدة خيول جيدة وعنده رجال يعرفون بالسواقين ولا يقدر احد يركب من خيل البريد الا بمرسوم سلطانى وكان عند كل مركز ما يحتاج اليه المسافرين من زاد وعلف وغير ذلك وهذا كله لاجل سرعة مجى اخبار البلاد الشامية وغيرها من البلاد وقيل ان الملك الظاهر بيبرس هذا كان يفطر يوما بمصر ويوما بالشام وكانت خيل البريد مرصودة بسبب ذلك

حتى لقد

حتى لقد قال القائل فى المعنى يوما بمصر ويوما بالشام ويوما بالفرات ويوما فى قرى حلب واستمر هذا الامر باقيا بعد الملك الظاهر مدة طويلة ثم تلاشى امره قليلا قليلا حتى بطل فى دولة الملك الناصر فرج ابن برقوق عندما قدم تمرلنك الى الشام واخرب البلاد الشامية وذلك فى سنة ثلث وثمان ماية فعند ذلك بطل خيل البريد مع جملة ما بطل من شعاير مملكة الديار المصرية انتهى ذلك **ثم دخلت** سنة سبعين وستماية فيها جات الاخبار بان التتار قد تحركوا على البلاد ووصلوا الى الفرات وملكوا البيرة فخرج اليهم السلطان ومعه ساير الامرا وكان جاليش العسكر الامير قلاوون الالفى والامير بيسرى فتلاقوا مع التتار على الفرات وكان بينهم وقعة عظيمة فقتل منهم ما لا يحصى عدده واسر منهم جماعة كثيرة فلما دخل السلطان الى البيرة فاخلع على نايبها واقره على حاله وفرق جملة مال على من بها من الرعية لانهم قاتلوا التتار قتال الموت حتى كسروهم كسرة قوية فاقام السلطان فى البيرة اياما ثم رجع الى الشام فاقام بها شهرا ثم توجه الى الديار المصرية فدخلها فى موكب عظيم وزينت له وحملت القبة والطير على راسه **ثم دخلت** سنة احدى وسبعين وستماية فيها هجم الوبا بالديار المصرية ومات فى تلك السنة ما لا يحصى من الخلايق من رجال ونسا واطفال وعبيد وجوار واقام نحو ستة اشهر **ثم دخلت** سنة اثنين وسبعين وستماية فيها كان النيل شحيحا ووقع الغلا وتحجطت الغلال فى ساير اعمال الديار المصرية وفى هذه السنة توفى الشيخ عبد العظيم ابن الجزار الشاعر وكان من فحول الشعرا وله شعر جيد وكان مولده فى سنة احد وستماية ووفاته فى سنة اثنين وسبعين وستماية فكانت مدة حياته احد وسبعون سنة وعاصر الشيخ اثير الدين ابو حيان المزنى والشيخ قطب الدين القسطلانى وغيرهم من العلما ومن شعره الرقيق قوله فى نفسه

٭ من منصفى من معشر كثروا على واكثروا ٭ صادقتهم وارى الخروج من الصداقة يعسر ٭
٭ كالخط يسهل فى الطروس ومحوه متعذر ٭ واذا اردت كشطه لكن ذاك يؤثر ٭

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستماية فيها زوج السلطان ولده الملك السعيد محمد بنت الامير سيف الدين قلاوون الالفى وكان له مهما عظيما اقام سبعة ايام بالقلعة وكان يظن انه اذا زوج ابنه بنت الامير قلاوون الالفى يكون له من بعده عونا على تقلب الزمان فجاء الامر بخلاف ذلك فسطا الزمان عليه واخذ من الجانب الذى يامن اليه **ثم دخلت** سنة اربع وسبعين فيها جرد السلطان الى بلاد النوبة ودخل الى مدينة اسوان ونهب ما فيها واحرقها فلما بلغ السلطان ذلك فارسل الامير شمس الدين اق سنقر الفارقانى استادار العالية والامير عز الدين ايبك الافرم امير جاندار وجماعة من الامرا العشراوات والمماليك السلطانيه فلما وصلوا الى النوبة تقاتلوا مع ملك النوبة على اسوان فانكسر ملك النوبة وهرب وقتل من عسكره جماعة كثيرة ومسك اخوه واولاده واقاربه وغنموا منهم عسكر السلطان غنايم كثيرة من جوار وعبيد وخيول وغير ذلك

وسبب ذلك ان ملك النوبة صح

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمائة فيها جاءت الاخبار بان التتار زحفوا على البلاد فخرج اليهم السلطان وتوجه الى حلب وتقاتل مع التتار فكسرهم وقتل منهم خلائقا لا تحصى وكان ملك التتار يقال له ابغا فلما انكسر ملك التتار هرب فتبعه السلطان الى نحو بلستين فكانت بينهما هناك وقعة عظيمة فقتل من الفريقين نحو مائة الف انسان وانكسر ابغا ملك التتار وهرب فتبعه السلطان الى نحو زبيد ثم رجع من هناك السلطان الى قيسارية وحاصر اهلها فارسلوا يطلبوا من السلطان الامان فارسل لهم الامان على يد الامير بيبرى فسلموا المدينة فدخلها السلطان وكان يوم دخوله الى المدينة يوما مشهودا فنزل بدار السلطنة وصلى بها ركعتين وحكم بين الناس واقام بها اياما ثم رحل وتوجه الى دمشق

ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة فيها دخل السلطان الى حلب فتوعك جسده واخذته الحمى وتسلسل في المرض فاسقوه الحكما دوا مسهل فافرط في الاسهال وثقل في المرض فرحل من حلب وقصد الدخول الى دمشق فمات في بعض ضياع دمشق فلما مات فكتم موته عن العسكر وحمل في محفة الى ان دخل الى دمشق فدفن هناك ليلا وكان موته في يوم الخميس ثامن عشرين شهر الله المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ومات وله من العمر نحو ستين سنة وكان ملكا عظيما جليلا مهابا كثير الغزوات خفيف الركاب يحب السفر والحركة في الشتا والصيف وكان مشهورا بالفروسية في الحروب وله اقدام وعزم وقت القتال وله ثبات عند التقا الجيوش في الحرب وكان يلقب بابي الفتوحات لكثرة الفتوحات في ايامه وكان له موكبا بمصر وموكبا بالشام كما تقدم ذلك عند خيل البريد وكان ذلك سبع اشارة لشجاعته وفرط باسه **وكان** كريما سخيا على الرعية باسط اليد يفرق الغنايم التي تحصل من الفتوحات على الرعية حتى يرغبهم في القتال وقت الحرب وكان محبا لجمع الاموال كثير المصادرات للرعية لاجل الغزوات والتجاريد وينفق ذلك على العسكر وكان مهاب الشكل حسن الوجه طويل القامة مستدير اللحية الغالب في لحيته البياض **وكان** مبجلا في موكبه كفوا للسلطنة منقادا للشريعة يحب العلما والصلحا ويحب نقل الخبر وله بر ومعروف واثار ولا سيما رده الخلافة لبني العباس بعد ما كادت ان تنقطع عنهم فردها لهم كما تقدم ذلك وقد انفق على ذلك جملة مال حتى صارت الخلافة بمصر وكان خيار ملوك الترك بمصر **وفي ذلك اقول**

تاريخه في الملوك اضحى يخبر … العرب والاعاجم
فاكتبه بالتبر لا بحابر … وانسب لافعاله العظائم
اختاره الله من امام … لقمع اهل الفساد صادم
قد اظهر العدل في الرعايا … وابطل الجور والمظالم
له تذلل الملوك رعبا … اغنى عن السمر والصوارم
فالله يرحمه كل حين … ما دام هذا الوجود قائم

قيل لما توفي الملك الظاهر بيبرس فكتم الامير بيليك نائب السلطنة موته خوفا من التتار لا يرجعوا الى البلاد ثم احتاط على خزاين المال والبرك السلطاني وقصد التوجه الى الديار المصرية فكانت المحفة تمشي في الموكب وقدامها الجنايب وهو يظهر ان السلطان مريضا ورتب حضور الاطبا على العادة فكان احدا لا يجسر ان يقرب الى المحفة واستمر الامر على ذلك حتى دخل الى القاهرة وطلع الى قلعة الجبل فعند ذلك اشيع موت السلطان وتسلطن ولده الملك السعيد وقد رثاه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب السر الشريف هذه الابيات

الله اكبر انها لمصيبة … منها الرواسي خيفة تتقلقل
لهفي على الملك الذي كانت به … الدنيا تطيب فكل قفر منزل
الظاهر السلطان من كانت له … منن على كل الورى وتطول
لهفي على آرائه تلك التي … مثل السهام الى المصالح ترسل
لهفي على تلك العزائم كيف قد … عقلت وكانت قبل ذا لا تعقل
ما القوم ما لخيولها رعدة … لكنها اذ ليس تعقل تصقل
سهم اصاب وما رأى من قبله … سهم له في كل قلب مقتل
انا ان بكيت فان عذري واضح … ولئن صبرت فانني اتمثل
خلف الشهيد لنا السعيد فادمع … منهلة في اوجه تتهلل

وكانت مدة سلطنة الملك الظاهر بيبرس بالديار المصرية والبلاد الشامية سبعة عشر سنة وشهرين ونصف ولما مات خلف من الاولاد عشرة ثلاثة ذكور وهم الملك السعيد محمد والملك العادل سلامش وسيدي خضر ولكنه لم يتسلطن وخلف من البنات سبعة **واما فتوحاته** التي افتتحها في ايامه وهي قيسارية وارسوف وصفد وطبرية ويافا والشقيف وانطاكيه وبغراس والقصير وحصن الاكراد والقرين وحصن عكار وصافيتا والمرقبة وحلبا وبانياس وطرسوس وكانت هذه البلاد بايدي الفرنج **واما ما افتتحه** من بلاد الشرق وهي مدينة سلبس اخذها بالامان وهركوش وتلمليش وكفردتين ورعبانا ومرزبان وكينوك وادنه ومصيصه **واما الذي صار اليه** من بلاد المسلمين وهي دمشق وبعلبك وقلعة الصبيبة وقلعة شيرز وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وتل باشر وصهيون وقلعة الكهف والقدموس والخوابي والكرك والشوبك وبيت المقدس ومدينة الخليل عليه السلام **واما ما افتتحه** من بلاد السودان وهي النوبة واعمالها وافتتح قلعة العيدين من اعمال برقه وافتتح عدة جزائر من اعمال الجنادل **واما ما انشاه** من العماير في البلاد وهي ما جدده في الحرم الشريف النبوي وجدد عمارة قبة الصخرا ببيت المقدس وزاد في اوقاف الخليل عليه السلام **واما ما انشاه** بالديار المصرية واعمالها فمن ذلك قناطر شبرامنت بالجيزة وعمر سور مدينة الاسكندرية وجدد بناء المنار الذي بها وعمر منار ثغر رشيد وردم فم بحر دمياط بالقرابيص حتى لا تدخل

اليه مراكب الفرنج وعمر الشوانى واعادها لما كانت عليه بالصناعة وحفر بحر اسموم طناح
وعمر القلاع التى ببلاد الشرق التى كان هلاكوا ملك التتار قد اخربها وعمر مدرسة بدمشق
واما ما انشاه فى القاهرة من العماير وهى المدرسة التى بين القصرين التى بجانب المدرسة
الصالحية وعمر الجامع الكبير الذى فى زقاق الكحل خارج الحسينية وانفق عليه جملة مال
من وجه حل من الغنايم التى كانت تفتح على يديه من بلاد الفرنج وغيرها من البلاد وكان هذا الجامع
ساحة يلعبوا فيها المماليك القبق وجدد عمارة الجامع الازهر واعاد فيه الخطبة بعد ما اقام
وهو خراب من ايام الحاكم بامر الله وعمر القصر الابلق بدمشق وعمر خان بالقدس الشريف
وجدد حفر خليج الاسكندريه وباشر حفره بنفسه وانشا ضيعة على فم وادى العباسه
وسماها الظاهرية واخبار الملك الظاهر بيبرس كثيرة فى عدة مجلدات ولكن الذى
ذكرناه هنا من اخباره هى الصحيحة وغالب اخباره فى السير فيها الزيادة والنقصان
وهى موضوعة ومن انشائه بالديار المصرية وهى القناطر التى على بحر ابى المنجا شيئا ومن انشائه
قناطر السباع التى بالقرب من ميدان الخيل ومن انشائه البرج الكبير الذى بقلعة الجبل
عند خرابه النير **قال** الشيخ شمس الدين ابن الوردى فى ذلك

الملك الظاهر اخباره	تستنف الراحل والقاطن
تاملوا اثاره وانظروا	ما فعل الظاهر بالباطن

واما من توفى فى ايامه من اعيان العلما وهم شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه
وكان من اكابر علما الشافعية وكان يلقب فى ايامه بسلطان العلما وكانت له كرامات خارقة
ودفن بالقرافة الصغرى وتوفى الامام ابو شامه وكان من كبار العلما وتوفى قاضى القضاة
الشافعى ابن بنت الاعز وتوفى الشيخ ابو الحسن بن بنت الاعز وتوفى الشيخ مجد الدين بن دقيق
العيد والد الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد وتوفى القرطبى صاحب التذكرة وتوفى الشيخ ناصر
الدين الطوسى وتوفى اللورقى وكان من كبار العلما وتوفى غير هولاء من العلماء والاعيان
جماعة كثيرة انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الظاهر ابى الفتوحات بيبرس البندقدارى على
سبيل الاختصار **ذكر سلطنة الملك السعيد ابى المعالى محمد**
بركه خان ابن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلا البندقدارى الصالحى النجمى وهو الخامس
من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية بويع له بالسلطنة بعد موت ابيه وكان مولده
فى صفر سنة ثمان وخمسين وستمايه وانما سمى بركة خان على اسم جده لابيه فلما تسلطن
وجلس على سرير الملك فكان القايم بتدبير دولته الامير بدر الدين بيليك الخازندار
نايب السلطنة فخلع له الامراء وتم امره فى السلطنة ومشى على نظام والدة واستمر
على ذلك مدة يسيرة ثم ان الامير بيليك نايب السلطنة مرض وسلسل فى المرض حتى
مات وكان اميرا دينا خيرا كثير البر للفقرا والمساكين فلما مات كثر عليه الحزن والاسف
فلما انقضت ايامه طاش الملك السعيد وانفرد برايه فقبض على جماعة من امراء والده

ومن الامير سنقر الاشقر والامير بيسرى وكانا جناحان والده ثم انه استقر بالامير آق سنقر
الفارقانى نايبا السلطنة عوضا عن الامير بيليك فاقام فى نيابة السلطنة مدة يسيرة ثم
قبض عليه وسجنه بثغر الاسكندريه ثم ارسل بخنقه فخنق ودفن هناك ثم ان الملك السعيد
استقر بالامير كوندك نايب السلطنة عوضا عن الامير آق سنقر الفارقانى **ثم دخلت**
سنة سبع وسبعين وستماية فيها جات الاخبار بان نايب الشام خامر وخرج عن الطاعة فجرد
اليه الملك السعيد وخرج بنفسه فلما دخل الى الشام نزل بالقصر الابلق الذى انشاه والده
بدمشق فخامروا عليه هناك جماعة من الامرا وقد بلغهم عنه انه يريد مسك جماعة منهم فلما
تحققوا ذلك خرجوا من دمشق وتوجهوا الى المرج الاصفر واقاموا هناك فلما بلغ الملك
السعيد ذلك فارسل اليهم بعض الامرا ليمشوا بينهم وبين السلطان بالصلح فابوا عن ذلك
ان يتصل المجلس على مانع فلما عاد الجواب بالمنع فركبت خوند ام الملك السعيد وكانت
سافرت مع ولدها الملك السعيد الى الشام فلما تغير خاطر الامرا على السلطان فركبت
خوند بنفسها وتوجهت اليهم فى مكان يسمى الكسوة خارج دمشق فلما اجتمعت بهم فمشيت
بينهم بالصلح فابوا من ذلك فرجعت من عندهم والمجلس على مانع ثم ان الامراء الذين خامروا
قصدوا ان يتوجهوا الى الديار المصرية فلما بلغ الملك السعيد ذلك رحل من دمشق واخذ
من بقى معه من الامرا والعسكر وقصد التوجه الى القاهرة فجمع معه من عربان جبل نابلس
جماعة كثيرة والتف عليهم جماعة من عسكر دمشق ومن عسكر صفد ومن عسكر طرابلس فلما
وصل الى غزة فنفق عليهم الاموال فاخذوا منه النفقة وتسحبوا من عنده العربان وعسكر
دمشق وطرابلس ولم يبق معه من العسكر المصرى الا القليل فلما خرج من غزة جد فى السير
حتى دخل الى المطرية فلما بلغ الامرا الذى كانوا بمصر مجى السلطان على جبن عقله فخرجوا اليه
على حمية وكان من لطف الله فى ذلك اليوم ضباب عظيم فستر الله تعالى على الملك السعيد
حتى طلع الى القلعة ونجا بنفسه فلما بلغ الامرا بان السلطان طلع الى القلعة رجعوا من
المطرية وحاصروا السلطان وهو بالقلعة فلما راى من كان حوله ان حاله قد تلاشى فصاروا
يتسحبون من القلعة وينزلون الى الامرا الذى فى الرمله فاستمر الحرب قايما بين الامرا
وبين الملك السعيد سبعة ايام فلما راى الملك السعيد عين الغلب فارسل الى الخليفة الامام ابى
احمد الحاكم بامر الله فمشى بينه وبين الامرا وقال ايش اخر هذا الحال وما قصدكم فقالوا قصدنا
يخلع نفسه من السلطنه ويمضى الى الكرك ويقيم بها فرجع الخليفه الى السلطان واخبره
بذلك فخلع نفسه من الملك وشهدوا عليه القضا بالخلع وخرج الى الكرك من وقته
وكان المتشفع عليه الامير بيدغان الركنى المعروف بسم الموت **فكانت** مدة سلطنته
بالديار المصرية سنتين وشهر وايام وهو صاحب الحمام التى بالقرب من سوق العنبر
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستماية فيها جات الاخبار بان الملك السعيد قد توفى الى
رحمة الله تعالى وكان سبب موته انه لعب بالاكرة فى ميدان قلعة الكرك فتقنطر به الفرس

فانكسر منلعه فمات من يومه فكان وفاته فى اوايل هذه السنة المذكورة ثم دفن هناك وقيل
نقل بعد ذلك الى دمشق ودفن على ابيه الملك الظاهر بيبرس وكان الملك السعيد شابا
جميل الصورة حسن الشكل كريما على الرعية ولما خلع الملك السعيد من السلطنه تولى من
بعده اخيه سلامش انتهى ما اوردناه من اخبار الملك السعيد محمد على سبيل الاختصار مترجما

ذكر سلطنة الملك العادل سيف الدين سلامش

ابن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى وهو السادس من ملوك الترك ومن اولادهم بالديار
المصرية **بويع له** بالسلطنة بعد اخيه الملك السعيد وكان له من العمر لما تسلطن سبع سنين
ونصف وكان يعرف بابن البدوية وكان جلوسه على سرير الملك فى ربيع الاول سنة ثمان
وسبعين وستمائة وكان القائم بتدبير مملكته قلاوون الالفى وكان يخطب له وللعادل
سلامش على منابر مصر واعمالها وضربت السكة باسمهما وكان فى الحقيقة قلاوون هو
السلطان وكان سلامش معه انه ليس له فى السلطنة الا مجرد الاسم فقط والامر كله
لقلاوون وكان الامير بيبرى يشارك قلاوون فى امور السلطنه ولكن كان الامير بيبرى
مغرما بحب الصيد والخروج الى السرحات وكان الاتابكى قلاوون يمهد لنفسه فى الباطن
وارسل بعزل النواب عن البلاد الشامية وولى من يثق به من خشداشينه ثم انه قبض على
جماعة من الامرا الظاهرية وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندريه فلما صفا له الوقت خلع
الملك العادل سلامش من السلطنة وارسله الى قلعة الكرك وارسل معه اخوه خضر
فاقاموا فى الكرك مدة ثم نقلهم الملك الاشرف خليل ابن قلاوون الى القسطنطينيه
كما سياتى ذكر ذلك فى موضعه فكانت مدة سلطنة العادل سلامش بمصر خمسة اشهر
وايام ولما خلع سلامش من السلطنه تولى من بعده قلاوون انتهى ما اوردناه من اخبار
الملك العادل سلامش على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين ابى المعالى قلاوون الالفى

الصالحى النجمى وهو السابع من
ملوك الترك واولادهم بمصر تسلطن فى يوم الاحد ثانى عشرين شهر رجب سنة ثمان وسبعين
وستماية وتلقب بالملك المنصور وجلس على سرير الملك فى اليوم المذكور وكان اصله
من مماليك آق سنقر الكاملى ثم قدمه الى الملك الصالح نجم الدين ايوب صاحب المدرسة
الصالحية فاعتقه فى اثنا سنة سبع واربعين وستماية فلما تم امره فى السلطنه انعم
على جماعة من خشداشينه بتقادم الوف وهم طرنطاى وكتبغا ولاجين وقفجق والبجاجى
وايبك الخازندار وطقصوا وطغريل الايغانى وبلبان الطباخ واقوش الموصلى وسنقر
جوكس واذدمر العلاى وقلجق وايدمر الطباخ وقنبران الشهابى ومحمد الكوراني وابراهيم
الجاكى ثم امر بافراج جماعة من الامرا الذين كانوا فى السجن بثغر الاسكندريه منهم الامير ايبك
الافرم فاخلع عليه واستقر به نايب السلطنة فاقام فى النيابة مدة يسيرة ثم استعفا
من ذلك فاعفاه السلطان ورتب له ما يكفيه ولزم بيته ثم ان السلطان اخلع

على مملوكه طرنطاى واستقر به نايب السلطنة عوضا عن ايبك الافرم واخلع على الامير
سنقر الاشقر واستقر به نايب الشام فلما ان دخل الشام خرج عن الطاعة واظهر العصيان
ثم انه تسلطن هناك وباسوا له الارض بدمشق وتلقب بالملك الكامل فاقام على ذلك
مدة يسيرة ثم قلت عنه الناس واضمحل امره وقصدوا امرا الشام ان يقبضوا عليه فهرب
الى صهيون **ثم دخلت** سنة تسع وسبعين وستماية فيها جاءت الاخبار ان ملك
التتار زحف على البلاد وارسل اخاه منكوتمر فى جاليش العسكر وقد وصلوا الى حلب
وملكوا ضياعها واشرفوا على اخذ المدينة فلما بلغ الملك المنصور قلاوون الالفى ذلك
خرج بنفسه هو والامرا على جرايد الخيل فلما وصل الى غزا جاءت الاخبار بان منكوتمر
اخو ابغا لما بلغه مجى السلطان نهب البلاد واحرق الضياع وقتل الرعية واذى البرية
ثم رجع الى بلاده فلما بلغ السلطان رجع من غزه الى القاهرة فجاءت الاخبار بان التتار
رجعوا الى حلب وافحشوا فى حق الرعية اعظم ما فعلوا فى الاول فخرج اليهم السلطان ثانيا
وجد فى السير فتلاقا مع عسكر التتار على المرج الاصفر فكان بينهما وقعة عظيمة وذلك
فى اوايل سنة ثمانين وستماية فكانت النصرة للملك المنصور قلاوون فتقنطر منكوتمر
اخو ابغا الى الارض فاحاطوا به التتار حتى حملوه وهربوا به فوقع الذهب فى عسكر التتار
وولوا مهزومين وقد غنموا منهم عسكر السلطان ما لا يحصى من سلاح وخيول وقماش
وغير ذلك وكانت هذه الوقعة من الوقعات المشهورة ثم ان السلطان قصد التوجه الى نحو
القاهرة فدخلها فى موكب عظيم وحملت على راسه القبة والطير ومشت الامرا بين يديه
حتى طلع الى القلعة **ثم دخلت** سنة احدى وثمانين وستماية فيها صفا الوقت
للسلطان فقبض على جماعة من الامرا منهم الامير بيبرى والامير بكتوت الشمسى والامير
كشغدى وجماعة كثيرة من المماليك السلطانيه ومن خشداشينه وشرع فى انشا مماليكه
وانعم عليهم بتقادم الوف وبالاقطاعات السنيه **وفيها** تزوج السلطان الملك المنصور
قلاوون بخوند اشلون بنت الامير تكاى فكان له مهم عظيم بالقلعة وزفت عليه وفى هذه
السنة توفى مجير الدين بن تميم الدمشقى وكان من فحول الشعرا وله شعر جيد فمن ذلك

> وليلة بت اسقى فى غياهبها ٭ راحا تسل شبابى من يد الهرم
> ما زلت اشربها حتى نظرت الى ٭ غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وفيها توفى الشيخ بدر الدين يوسف ابن لولو الذهبى وكان من اعيان الشعرا وله شعر جيد
فمن ذلك قوله فى معذر وقد ضمن المثل السايرة

> صدوا وقد دب العذار بخده ٭ ما ضرهم لو انهم خيروه
> هل ذاك غير نبات خد قد حلا ٭ لكنهم لما حلا هجروه

ثم دخلت سنة اثنين وثمانين وستماية فيها ابتدا السلطان الملك المنصور قلاوون
بعمارة القبة التى بين القصرين والمدرسة واضاف الى ذلك قاعتين العظيمتين وسماه

البيمارستان المنصوري وقيل انتهى منهم العمل في مدة عشرة اشهر على ما نقله المؤرخون
وجعل له في كل يوم من الرواتب الف دينار وارقف عليه اوقافا كثيرة من ضياع واملاك
وبساتين وغير ذلك واشرط في وقفه اشيا كثيرة من انواع البر والخير ما لا فعله احد
من الملوك قبله ولا بعده فكان كما قال القايل

تمشي الملوك على اثار غيرهم ... وانت تخلق ما ياتي وتبتدع

فهو من حسنات الزمان تحتاج اليه الملوك ويفتقر اليه الغني والصعلوك قيل وكان سبب
بنا هذا البيمارستان ان الملك المنصور قلاوون امر مماليكه بان يضعوا السيف في
العوام لامر اوجب تغير خاطر السلطان عليهم فانهم خالفوا امره في شي فعله بجهلهم
فامر بقتلهم فلعب فيهم السيف ثلاثة ايام فقتل في هذه المدة ما لا يحصى عدده وراح
الصالح بالطالح وذهب ما عوقب من لا جنى فلما زاد الامر عن الحد طلعوا القضاة ومشايخ
العلم الى السلطان وشفعوا فيهم فعفى عنهم وكف عنهم القتل فلما جرى ما جرى ورق
خاطر السلطان فندم على ما فعله وبنى هذا البيمارستان وجعل له جملة اوقاف على
رواتب بر واحسان وفعل من انواع الخير ما لا فعله غيره من الملوك ليكفر الله عنه ما فعله
بالناس لعل الحسنات يذهبن السيات كما قال الله تعالى ثم دخلت سنة ثلاث
وثمانين وستمائة فيها خرج السلطان الى نحو البلاد الشامية فوصل الى حصن المرقب
فحاصره ونصب المجانيق مدة ثمانية وثلاثين يوما فطلبوا اهله الامان فاخذه بالامان
ثم رجع الى الديار المصرية ثم دخلت سنة اربع وثمانين وستمائة فيها ارسل
السلطان الامير طرنطاى نايب السلطنة الى حصار سنقر الاشقر الذي كان نايب الشام
واظهر العصيان وتسلطن هناك كما تقدم فلما وصل الامير طرنطاى الى نحو صهيون
حاصر سنقر الاشقر اشد المحاصرة فلما راى سنقر الاشقر عين الغلب فارسل يطلب
من الامير طرنطاى الامان فاجابه الامير طرنطاى الى ذلك فلما وثق منه بالامان
نزل اليه من قلعة صهيون فحلف له الامير طرنطاى انه اذا توجه الى عند السلطان
لا يشوش عليه ولا يحصل له منه الا كل خير فاخذ عياله واولاده وتوجه صحبة الامير
طرنطاى الى نحو الديار المصرية فلما بلغ السلطان مجي سنقر الاشقر خرج الى ملتقيه فلما
وصل الى عند مسجد التبن بالقرب من المطرية تلاقا هو وسنقر الاشقر هناك فلما وقعت
عين سنقر الاشقر على السلطان نزل عن فرسه ونزل السلطان ايضا عن فرسه وتعانقا
وبكا سنقر الاشقر وطلب من السلطان الامان فاعطاه منديل الامان فوضعه على راسه
ثم ركبا وطلعا الى القلعة في موكب عظيم وسنقر الاشقر راكب الى جانب السلطان فلما طلعا
الى القلعة فانعم عليه ونزل الى مكان قد اعد له فنزل معه ساير الامرا الى ذلك المكان ثم
انصرفوا وكان ذلك في يوم السبت ثالث عشر ربيع الاول من سنة اربع وثمانين وستمائة
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة فيها قبض السلطان على مملوكه الامير علم الدين سنجر

الشجاعي

الشجاعي وصادره واحتاط على موجوده واستصفى امواله بعد ان عصره بالمعاصير حتى كسر
رجليه وخلعه من الوزارة ثم اخلع على مملوكه الامير بدر الدين بيدر المنصوري واستقر به
وزيرا عوضا عن سنجر الشجاعي وفي هذه السنة توفي الشيخ محيي الدين ابن قرناص الحموي وكان
من فحول الشعرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله

ايا حسنا روضة قد غدا جونى ... فتونا بافنانها
اتى الما يجري بها على راسه ... لتقبيل اقدام اغصانها

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة فيها توعك المقام العلاي نور الدين علي ولد
ولد السلطان الملك المنصور قلاوون وكان والده المنصور ولاه السلطنه في ايام حياته
وركب بشعار السلطنه وجلس على سرير الملك وباسوا له الامرا الارض وجلس الى جانب
والده قلاوون وكان سبب سلطنته ان الملك المنصور قلاوون كان كثير الاسفار
الى نحو البلاد الشامية فسلطن ولده نور الدين علي ولقبه بالملك الصالح ليكون عوضه
في مصر اذا سافر الى البلاد الشامية فاقام على ذلك مدة في حياة والده ثم ان الملك
الصالح علي مرض مرضا شديدا بحمى الكبد حتى اشرف على الموت وتسلسل في المرض ثم دخلت
سنة سبع وثمانين وستمائة فثقل الملك الصالح علي في المرض وادمى الدم فلما كانت
ليلة الجمعة رابع شهر شعبان في السنة المذكورة توفي الملك الصالح الى رحمة الله تعالى
فلما مات حزن عليه والده حزنا شديدا وكانوا الامرا جلوسا على باب الستارة ينتظرون
ما يكون من امره فلما وقع الصراخ في دار الحريم فدخل الامير طرنطاى نايب السلطنة
فوجد السلطان مكشوف الراس وكلوتته مرمية على الارض وهو يبكي ويصيح فلما راه
الامير طرنطاى على هذه الحالة فادى الاخر كلوتته عن راسه ثم ان بقية الامرا دخلوا
على السلطان وارموا الكل كلوتاتهم عن رؤسهم فاقاموا على ذلك ساعة ثم ان الامير طرنطاى
النايب اخذ كلوتة السلطان في يده وباس الارض هو والامير سنقر الاشقر الذي تسلطن
بدمشق وناوله للسلطان فدفعه وقال ايش بقيت اعمل بالملك بعد ولدي ثم صبر والله
ساعة وقاموا جميع الامرا كلهم وباسوا الارض ووضعوا كلوتة السلطان على راسه واستمر
العزا قايما في تلك الليلة فلما اصبحوا يوم الجمعة اخذوا في اسباب تجهيزه فاخرجوه
وصلوا عليه عند باب الستارة ثم نزلوا به من باب المدرج فاراد السلطان ان يمشي في
الجنازة فمنعوه الامرا من ذلك فكان له مشهد عظيم وذلك في يوم الجمعة قبل الصلاة
فمشت قدامه الناس قاطبة الى التربة والدته خوند خاتون التي الى طرف السيدة نفيسة
بجوار المدرسة الاشرفية فدفن هناك فلما اصبح يوم السبت نزل السلطان الى زيارة قبر
ولده وجلس عنده في ذلك اليوم واستمر المآتم عمال سبعة ايام ولما مات السلطان
الملك الصالح علي خلف ولدا ذكرا يسمى الامير موسى وهو صاحب الربع الذي في الفرابليين
ومات الملك الصالح وله من العمر نحو عشرين سنة وكان والده قلاوون اشركه في

السلطنة معه من سنة تسع وسبعين وستمائة واستمر على ذلك حتى مات في سنة سبع
وثمانين وستمائة وكان اكبر اولاد قلاوون **قال** ابن خلكان لما مات الملك الصالح
كتب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب السر الشريف عن لسان ابيه الملك المنصور
قلاوون الى نائب الشام وغيره من النواب مطالعات ضمنها ماجرى على السلطان من فقد
ولده **فقال** عن لسان ولده رحمه الله تعالى على حزن حزنا به بالصبر اجور وكان
تقصدنا ان نجعله ملكا في الدنيا فاختاره الله تعالى بان يكون ملكا في الاخرة وفي هذه
السنة توفي الشيخ تاج الدين بن المغيب وكان من اعيان شعراء مصر وله شعر جيد في نوع
التورية فمن ذلك جودوا التسجيع بالمدح • على علاكم سرمدا •
• فالطير احسن ما يغرد • عندما يقع الندا •

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة فيها في ثالث عشر صفر خرج السلطان
على حين غفلة الى نحو البلاد الشامية وتوجه نحو طرابلس وحاصر اهلها ونصب على
سورها المجانيق واستمر محاصرها اربعة وثلاثون يوما ففتحها بالسيف عنوة في يوم
الثلاثاء رابع عشر ربيع الاخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة فوردت البشائر لمصر
بفتح مدينة طرابلس وجبيل ثم ان السلطان عاد الى الديار المصرية فزينت له وحملت
على راسه القبة والطير فكان له يوما مشهودا لم يسمع بمثله **وفيها** جاءت الاخبار
بان ملك النوبة هجم على مدينة اسوان ونهب اسواقها واحرق جوامعها فجرد اليه الامير
ايبك الافرم فلما ان وصل الى هناك هرب منهم ملك النوبة فتبعوه العسكر والامير
عز الدين ايبك الافرم الى اخر بلاد النوبة فغنموا منهم اشياء كثيرة من عبيد وجوار
وخيول وغير ذلك ورجعوا العسكر لمصر وهم في غاية النصرة وفي هذه السنة توفي
الشيخ ظهير الدين ابن البارزي الدمشقي وكان عالما فاضلا وله شعر جيد فمن ذلك
• لانا كلانا في الهوى نعشق الفضا • يذكرني وجد الحمام اذا غنا •

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة فيها عزم السلطان الى السفر ليحاصر مدينة
عكا فخرج من القاهرة في ثامن عشر شوال من السنة المذكورة فلما نزل بالريدانية واقام
بها حتى يتكامل خروج العسكر توجد في جسده توعك وحمى فصار الامر في كل يوم يتزايد
عليه حتى تقل في المرض وكان الملك المنصور قلاوون لما مات ولده الملك الصالح علي
تنهد من بعده الى ولده خليل ولقبه بالاشرف فلما تسلسل السلطان في المرض اضطربت
الاحوال وصار ولده خليل ينزل اليه من القلعة في كل يوم ويتفقد احواله ثم يرجع
الى القلعة وكانت الامرا يدخلون على السلطان في كل يوم صحبة الحكما فلما زاد الامر
على السلطان وتغير حاله منع الامير طرنطاي الامرا من الدخول على السلطان فلما
تحققوا الامرا موت السلطان جاؤا الى الامير طرنطاي النائب وقالوا له انت تعلم
ما بينك وبين ولد السلطان من حظوظ النفوس من ايام والده وقد صار الامر اليه

والسلطان

والسلطان ما بقي فيه رجوع ومتى صار الحكم الى ولده فهو قاتلك لا محالة فبادر اليه
وامسكه قبل ان يمسكك ونحن كلنا عصبتك فسكت الامير طرنطاي ساعة وقال كيف
امسك ابن استاذي واقتله فاني شناع على بين الناس ولكن انا مملوك السلطان ومملوك
ولده فان رضيني وابقاني على حالي كان الفضل له وان قتلني رحت شهيدا من جملة الشهدا
ثم ان السلطان قلاوون دخل في النزع فقعد الامير طرنطاي عند راسه حتى مات
وغمضه بيده فلما اصبح الصباح جاءت الامرا على العادة فلم يمكنهم من الدخول الى السلطان
ثم انه ارسل خزاين المال والاطباب الذين كانوا مع السلطان بسر السفر ثم ان الامير طرنطاي
ارسل عرف ولد السلطان الملك الاشرف خليل ان والده قد مات واشار عليه انه يقيم
في القلعة ولا ينزل ووكل به مقدم المماليك ثم الامير طرنطاي حمل السلطان قلاوون
وهو ميت في محفة وطلع به الى القلعة بعد المغرب فغسله وكفنه ونزل به في تابوت بعد
العشا والامرا والقضاة واعيان الناس مشاة قدامه وكثر عليه الحزن والاسف من
الناس الى ان وصلوا به الى البيمارستان فصلوا عليه هناك ودفن داخل القبة التي بين
القصرين **وكانت** وفاته يوم السبت سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستماية
ودفن في ليلة الاحد وكانت مدة توعكه ستة عشر يوما **وكانت** مدة سلطنته بمصر
والبلاد الشامية احدعشر سنة وثلاثة اشهر وستة ايام فمات وكانه لم يكن كما قيل
• كل ابن انثى وان طالت سلامته • يوما على آلة حدباء محمول •
ولما مات الملك المنصور قلاوون خلف من الاولاد ثلاثة ذكور وهم الاشرف خليل
والناصر محمد والامير احمد ولم يعهد وفاة ابيه **وكان** الملك المنصور قلاوون حسن
الشكل مربوع القامة دري اللون وكان قليل الكلام بالتركي وكان شجاعا بطلا مقداما في
الحرب وكان مغرما بمشترى المماليك حتى قيل انه كمل عنده من المماليك اثني عشر الف مملوكا
وقيل سبعة الاف مملوكا ومما يدل على علو همته وحسن اعتقاده وهو عمارة البيمارستان
الذي بين القصرين ولا سيما ما فعله فيه من وجوه البر والصدقات وارصد الاوقاف
الجليلة وشرط في وقفه ما لا شرطه احد من الملوك قبله ولا بعده وقد كفاه ذلك في الدنيا
والاخرة ومن محاسنه انه غير تلك الملابس الشنيعة التي كانت تلبسها العسكر في
الدولة القديمة **قيل** كانت كلوتاتهم من الصوف الازرق العنبي وهي مضربة عريضة
بغير شاش **وكانت** المماليك تلبس طرد وآب من الشعر خلفهم ويجعلونها في اكياس
حرير احمر او اصفر وكانوا يشدون في اوساطهم بنود بعلبكي عوضا عن الحوايص **وكانت**
اخفافهم بلغالي اسود وكانوا يشدون فوق قماشهم ابزيم جلد وفيه حلق نحاس وفيها
صوالق بلغاري اسود وهي كبار يسع الصولق الواحد نصف ويبة قمح وكانت لهم في ذلك
الابزيم معلقة خشب كبيرة وسكين كبيرة **وكانت** مناديل من الخام قدر فوطة كبيرة
لمسح ايديهم وكانوا يربون لهم شواربا قدر السلقة الكثافة فلما تولى الملك قلاوون

قام العسكر بتغيير تلك الملابس الشنيعة ودخلوا في الهيئة المطبوعة وكان خلع المتزملين
من العنتابي فامر لهم بالخلع بالمخمل الاحمر والاخضر بالفرا السمور وهو اول من اسكن المماليك
في ابراج القلعة وسماهم المماليك البرجية **واما** ما افتتحه السلطان قلاوون في ايامه من
الفتوحات وهو المرقب وحبله وجبله من بلاد الفرنج وفتح طرابلس بالغرب واللاذقية
وجبيل والكرك والشوبك كانوا بيد اولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري فاخذها
منهم **واما** ما ابطله في ايامه من المظالم وهو انه كان من قديم الزمان وظيفة تسمى ناظر
الزكاة وهو انه كان يوخذ ممن عنده مال زكاته فان مات ذلك الرجل صاحب المال او عدم
ماله فيتم ذلك القدر المقرر عليه في الدفاتر باقي يوخذ من اولاده او من ورثته او من
اقاربه ولو بقي منهم واحد فابطل ذلك الى يومنا هذا وسطر في صحائفه **ومما ابطله**
من المظالم ايضا وهو انه كان يوخذ من اهل مصر لمبشرين اذا حضروا يبشروا بفتح حصن
او بنصرة عسكر او بما اشبه ذلك فيجبي من اهل مصر على قدر طبقاتهم في السعة فابطل
ذلك **وكان** يجبى من اهل مصر عند وفا النيل المبارك ثمن حلوى وفاكهة وشوى يوسم
السماط الذي يصنع في المقياس يوم الوفا فابطل ذلك عن الناس جميعه وجعل مصروفه
من بيت المال وابطل اشياء كثيرة من هذا النمط وكان من اجل ملوك الترك قدرا واعظمهم
اخبارا وذكرا **واما** من توفي في ايامه من اعيان العلما ومشايخ الاسلام فمنهم الامام العالم
العلامة الشيخ محيي الدين النووي الشافعي رضي الله عنه وهو صاحب كتاب المنهاج **قال**
الشيخ شمس الدين الذهبي ان الشيخ محيي الدين توفي وله من العمر نحو اربعين سنة ودفن
بنوى وهي قريته وقد رثاه الشيخ زين الدين ابن الوردي المعري بهذه الابيات وهي هذه

لقيت خيرا يا نوى ۝ ووقيت من الم التوى
فلقد نشا بك عالم ۝ لله اخلص ما نوى
وعلا علاه بفضله ۝ فضل الحبوب على النوى

وتوفي ايضا الشيخ برهان الدين بن جماعة الشافعي والشيخ شمس الدين بن خلكان المورخ
والشيخ ناصر الدين بن المنير والشيخ جمال الدين الشريشي شارح مقامات الحريري
وتوفي ابن النحاس النحوي وتوفي علا الدين بن النفيس شيخ الاطبا وتوفي بمصر ذلك من
اعيان العلما وجماعة كثيرة ولما توفي الملك المنصور قلاوون تولى من بعده ابنه الاشرف
خليل انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المنصور قلاوون الالفي على سبيل الاختصار منها

ذكر سلطنة الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن الملك

المنصور قلاوون الالفي الصالحي وهو الثامن من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية
تولى الملك بعهد من ابيه قبل وفاته وجلس على سرير الملك بعد وفاة ابيه قلاوون وذلك
يوم الاحد سادس ذي القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة **وكان مولده** في سنة ست وستين
وستماية فلما تسلطن بشعاير السلطنة ونزل من القلعة الى الميدان الذي تحت القلعة

وكان سبب نزوله الى الميدان فان الامرا تخيلوا من طلوعهم الى القلعة فلم يطلع منهم احد
الى القلعة فنزل السلطان وهو بشعار الملك الى الميدان فجلس هناك على كرسي واستحلف
له ساير الامرا فلما حلفوا له فاخلع في ذلك اليوم على الامير علم الدين سنجر الشجاعي واستقر
به وزيرا كما كان ايام والده في الوزاره وكان الاشرف خليل كفوءا للسلطنه وكان جديرا كما
ينبغي في الحرمة والعظمة والشهامة وفيه يقول القايل محمد بن غانم الشاعر

مليكان قد لقبا بالصلاح ۝ فهذا خليل وذا يوسف
يوسف لا شك في فضله ۝ ولكن خليل هو الاشرف

فلما تم امره في السلطنة وتلقب بالملك الاشرف فعمل الموكب ثم قبض على الامير طرنطاي
نايب السلطنه وكان بينه وبين الامير طرنطاي عداوة قديمة من ايام والده وكان الشجاعي
يكره الامير طرنطاي فحسن للسلطان القبض عليه فقبض عليه في ذلك اليوم وحمل الى
الاعتقال فكان الامر كما قاله الامرا للامير طرنطاي ان الاشرف خليل يقبض عليه فلما قبض
عليه ندم الامير طرنطاي الذي ما قبض على الاشرف خليل قبل ان يتسلطن كما قيل في المعنى

احذر من الناس ولا ۝ معزك الشك تحتمل
في قلب ليث وثب وحش ۝ ارنب في قلب رجل

فاقام الامير طرنطاي في السجن بالقلعة ثلاثة ايام ثم ان السلطان امر بقتله فخنق وهو
في السجن فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفن تحت الليل في القرافة الصغرى ثم ان السلطان
رسم للشجاعي بان يحتاط على موجود الامير طرنطاي فنزل الشجاعي الى بيت طرنطاي ورسم
على مباشريه وقبض على جميع من كان بحاشيته وقبض على كتابه وسراريه واحضرهم
المعاصر وعصرهم وقررهم على الاموال والذخاير وكان الشجاعي ينزل في كل يوم الى بيت
الامير طرنطاي ويقرر جماعته وكتابه وربما قررهم اشد العقوبة فظهر له من الاموال
والتحف ما لا يسمع بمثله فطلعوا بذلك جميعه الى الخزاين الشريفة ثم ان السلطان
عمل الموكب واخلع على الامير بيدرا واستقر به نايب السلطنة عوضا عن الامير طرنطاي
النايب فلما قتل الامير الاشرف خليل الامير طرنطاي فصفا له الوقت فارسل خلف القاضي
شمس الدين بن السلعوس وكان بالحجاز من ايام الملك المنصور قلاوون بالحضور وحشاه
بخط يده بالقلم العريض بين السطور وهو يقول يا شقير جد السير جاء الخير وكان الاشرف
خليل كثيرا ما يحشي في مراسيمه بقلم العلامه وحشى ايضا مرسوما وارسله الى دمشق
للامر باسقاط ما كان يوخذ على كل حمل يدخل من باب الحلبية من الثلج خمسة دراهم من المكس
ورسم بابطال ذلك وكتب في مرسومه بين السطور وقد امرنا بان تكشف عن رعايانا
هذه الظلامة وتستجلب بذلك الدعا الينا من الخاصة والعامة فهو اول سلطان حشى
في مراسيمه بين السطور بخطه فلما حضر شمس الدين بن السلعوس من مكة الى القاهرة
فاخلع عليه واستقر به وزيرا مستشار المملكة وفوض اليه امر السلطنة جميعها واحال

الناس في اشتغالهم عليه واتصل الشجاعي من الوزارة وكان حضور شمس الدين بن السلعوس
من مكة في ثالث عشر محرم مستهل سنة تسعين وستمائة وقد حضر صحبة مبشر الحاج على
الهجين وجد السير حتى حضر الى مصر **قيل** وكان اصل ابن السلعوس هذا من دمشق وكان
تاجرا بها فحضر في بعض السنين الى مصر وكان له خط جيد فسعى عند الاشرف خليل وهو امير
في ايام والده قلاوون فجعله ناظر دواوينه وصار يتاجر له في مواضع كثيرة في البلاد الشامية
فحصل منها في كل سنة جملة من المال فحظي ابن السلعوس عند الاشرف حتى صار نديمه
ولا يصبر عنه ساعة واحدة واحتوى على عقله وملك لبه فلما بلغ الملك المنصور قلاوون
ذلك قام بنفي ابن السلعوس الى مكة فاقام بها الى ان مات الملك المنصور قلاوون وتسلطن
ابنه خليل فارسل خلف ابن السلعوس تجاب مطرد كما تقدم فلما حضر واستقر به وزيرا
فوض اليه جميع احوال المملكة فكان يركب ومعه جماعة من الامرا الوس النوب والمماليك
السلطانية في كل يوم حسبما رسم له السلطان بذلك **وكانت** القضاة الاربع تركب
قدامه في ايام الموكب وعظم امره حتى صارت القصص تقرا عليه وينفذ امورها من غير مشورة
السلطان فاظهر من الكبريا والعظمة ما لا اظهره غيره وانفرد بالكلمة في مصر دون غيره
وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية والبلاد الشامية وصار يحتج بالسلطان في
الليل في خلوة ويقضي اشغال الناس من صعبها لسهلها

ملك اذا قابلت بشر جبينه ۔ فارقته والبشر فوق جبيني
واذا لثمت يمينه وخرجت من ۔ ابوابه لثم الملوك يميني

ثم دخلت سنة تسعين وستمائة فيها جرد السلطان وخرج بنفسه هو والعساكر الى
الحصار مدينة عكا وكانت بيد الفرنج فلما وصل الى عكا حاصر اهل المدينة اشد المحاصرة
ونصب حول المدينة خمسة وسبعون منجنيقا وحاصرها مدة ايام فاعطاه الله النصر
ففتحها بالسيف في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخر سنة تسعين وستمائة فلما فتحها
هدم سورها وقلعتها وكانت عكا بيد الفرنج وكانوا يقطعون على المسافرين الطريق وياخذون
اموال التجار ويقتلون كل من لقوه من المسلمين فلما فتح الملك الاشرف خليل مدينة عكا
توجه من هناك الى صيدا وبيروت فافتتحهما في تلك السنة **قال** الشيخ شمس الدين الذهبي
في تاريخه ان عكا كانت من احسن المداين في العمارة والبنا الفاخرة فلما فتحها الملك الاشرف
خليل وهدم سورها فهربوا اهل المدينة منها وصارت خرابا من يوميذ وصار الناس من بعد
ذلك ينقلون منها الرخام الملون مدة طويلة ومن جملة ما نقل منها وهو الباب الرخام
الابيض الذي على المدرسة الناصرية التي بين القصرين وكان هذا الباب على كنيسة بالمدينة
فنقل الى القاهرة فاخذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وصنعه على باب مدرسته التي انشاها
بجانب البيمارستان **قيل** لما فتحت عكا قتل في مدة المحاصرة من الامرا اثنى عشر اميرا
وقتل بها المعزي نقيب الجيوش المنصورة وهو صاحب سويقة المعزي سميت به وقتل

يوم الفتح

يوم الفتح من المماليك السلطانية نحو مائة وعشرين مملوكا ثم ان الملك الاشرف خليل لما
افتتح عكا رجع الى الديار المصرية وهو في غاية النصر والعظمة فدخل من باب النصر وشق
من المدينة وزينت له وكان يوم دخوله يوما مشهودا والامرا مشاة بين يديه والامير بيدرا
نايب السلطنة حامل القبة والطير على راسه ولعبوا بالغواشي الذهب بين يديه وكانت
القضاة الاربع وارباب الوظايف يركبون بين يديه وكان له موكب عظيم فلما وصل الى
البيمارستان فاثنى عنان فرسه ونزل وزار قبر والده قلاوون ثم ركب وطلع الى القلعة
فاخلع على الامرا وتولوا الى بيوتهم وانفض الموكب **ومن غرايب** الاتفاق ان الشيخ شرف
الدين الابوصيري ناظم البردة راى في منامه قبل مسير الملك الاشرف خليل الى حصار
عكا في شوال سنة تسع وثمانين وستمائة كان قايلا ينشد هذه الابيات

قد اخذ المسلمون عكا ۔ واشبعوا الكافرين صكا
وساق سلطاننا اليهم ۔ خيلا تدك الجبال دكا
واقسم الترك منذ سارت ۔ لا يتركوا للعدو ملكا

فلما انتبه الشيخ شرف الدين من منامه فاخبر بتلك الرويا جماعة من اصحابه فلما توجه الاشرف
خليل الى عكا وفتحها الله تعالى على يديه فكان الامر كما قال الهاتف في المنام واخذت عكا
وفي ذلك يقول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب السر الشريف هذين البيتين

يا بني الاصفر قد حل بكم ۔ نقمة الله التي لا تنفصل
قد الاشرف في ساحلكم ۔ فابشروا منه بصلب متصل

ولما رجع الاشرف من هذه الغزوات عظم في نفسه واستخف بالامرا فاخذ في اسباب القبض
على جماعة منهم فقبض على الامير حسام الدين لاجين السلحدار وكان نايب السلطان فلما رجع مع
الى الديار المصرية بعد فتح عكا فقبض عليه وقيده وارسله الى السجن بقلعة صفد ثم
امسك الامير سنقر الاشقر الذي كان قد تسلطن بدمشق كما تقدم وقبض على الامير طقصوا
وقبض على الامير جرمك ثم قبض على اميرين ما يحضرني اسماهم ثم ارسل خلف الامير لاجين
الذي كان في السجن بقلعة صفد فلما حضر فاكلهم سبعة من الامرا وسجنهم بقلعة الجبل
في برج الحية فلما كانت ليلة الاحد فامر بخنق هولاء الامرا جميعهم فخنقوا في البرج تحت
الليل فلما اخرجوهم ليدفنوهم فوجد الامير لاجين نايب الشام فيه بعض نفس فاخبروا
السلطان بذلك فعطف عليه وامر بان يرفع عنه **فكان** كما قيل الحي ما لو اقاتل
ولو قتل ما مات وكيف يموت وقد كتب الله تعالى له في اللوح المحفوظ بان يكون سلطانا
بمصر كما سياتي ذكر ذلك في موضعه فلما تعافى الامير لاجين فانعم عليه السلطان بتقدمة
الف ثم ان السلطان امر بالافراج عن الامير بيبرس وكان في السجن بثغر الاسكندرية
وكان سبب ذلك ان السلطان لما حضر من السفر دشق المدينة فجاز من على قصر البيبرسي
الذي كان تجاه المدرسة الكاملية فوقفوا له اولاد الامير بيبرس تحت القصر وباسوا

له الارض وكانوا ستة اولاد ذكور صغار وفيهم من هو مرضع فقال السلطان من هو كان فقالوا
له الامرا هولاء اولاد مملوكك بيبرس فرق لهم السلطان وقال لهم يحصل الخير ان شاء الله
تعالى ثم انه طلع الى القلعة وجرى لهولاء الامرا ما جرى فافرج عن الامير بيبرس ولما حضر
قام عليه تقدمة الف **ثم دخلت** سنة احدى وتسعين وستمائه فيها توجه السلطان
الى نحو الشام فاقام بها مدة اياما يسيرة ثم توجه الى نحو حلب ثم توجه من حلب الى قلعة
الروم فحاصر اهلها ونصب حول المدينة ثلاثة وعشرين منجنيقا ففتحها بالسيف في يوم السبت
حادي عشر رجب سنة احدى وتسعين وكانت قلعة الروم كرسي مملكة الارمن ثم رجع السلطان
الى نحو الديار المصرية وطلع الى قلعة الجبل **ثم دخلت** سنة اثنين وتسعين وستمائة
فيها خرج السلطان على حين غفلة على الهجن ورسم للعسكر وللامرا بان يلاقوه على دمشق فلما
خرج من القاهرة توجه الى نحو الكرك فاستقر بالامير اقوش نايبا ثم توجه من هناك الى
دمشق فاعرض العسكر بدمشق وعين جماعة من الامرا والمماليك السلطانيه بان يتوجهوا
الى نحو سيس فلما وصلوا الى سيس فارسل صاحب سيس يطلب الامان فارسل الامرا
يعلمون السلطان بذلك فعاد الجواب من السلطان ان كان صاحب سيس يسلم هذه الثلاث
قلاع وهم قلعة البهسنا وقلعة مرعش وتل حمدون فاعطوه الامان وان لم يسلم هذه
الثلاث قلاع فحاصروه فلما وصلوا مراسيم السلطان بذلك فسلم صاحب سيس تلك
القلاع الثلاث وحصل الصلح ورجع العسكر من سيس ثم ان السلطان اقام بدمشق الى
مستهل رجب ثم توجه من هناك الى نحو حمص فاضافه الامير مهنا بن عيسى ثلاثة ايام
بلياليهم ثم ان السلطان بدا له بان يقبض على الامير مهنا بن عيسى وعلى اخوته فقبض
عليهم وولى الامير علي ابن حديثه عوضا عن الامير مهنا ابن عيسى ثم ان السلطان رجع
الى دمشق ورسم للامير بيدرا النايب بان ياخذ العسكر ويتوجه الى القاهرة فاخذ
الامير بيدرا في اسباب التوجه الى القاهرة واخذ معه الامرا والعسكر ورجع الى مصر
واقام السلطان بدمشق على سبيل التنزه ثم توجه الى الديار المصرية ودخل الى القاهرة بموكب
عظيم وكان له يوما مشهودا لم يسمع بمثله وزينت له القاهرة بالزينة الفاخرة وسار
في الموكب مثل العروس حتى طلع الى القلعة وجلس على سرير المملكة احسن جلوس وفي
هذه السنة توفي القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب السر الشريف وكان مولده في سنة
عشرين وستمائة وتوفي في سنة اثنين وتسعين وستمائه فكانت مدة حياته اثنان
وسبعون سنة وكان له نظم ونثر فاين من ذلك قوله

ان كانت العشاق من اشواقهم ۔ جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذي اتلو لهم ۔ يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائه فيها توجه الملك الاشرف خليل الى نحو البحيرة
على سبيل التنزه فخرج من القاهرة في ثالث المحرم فلما وصل الى هناك ضرب خيامه في مكان

يعرف بالحمامات وهو قريب تروجه فاقام هناك مدة ثم انه قصد بان يتوجه الى ثغر الاسكندريه
فارسل الصاحب شمس الدين بن السلعوس الى ثغر الاسكندريه يجهز الاقامات لاجل قدوم
السلطان فلما دخل ابن السلعوس الى الاسكندريه وجد غلمان الامير بيدرا النايب بثغر الاسكندريه
وقد استولوا على بهار الامير بيدرا وحطوه في الحواصل وكان اعظم من بهار السلطان فحصل بين
ابن السلعوس كاتب السلطان وبين الامير بيدرا تشاجر فارسل ابن السلعوس كاتب السلطان
بما جرى من غلمان الامير بيدرا وما راى عندهم من البهار وما قالوه غلمان بيدرا وزاد على كل كلمة
عشرة واغلظ في القول فلما سمع السلطان ما في مكاتبة ابن السلعوس غضب على الامير بيدرا
اشد الغضب فاضمر له العطب فكان كما قال القايل في المعنى

يا نافلا الي قول حاسدي ۔ لا ينبغي نقل الذي لا ينبغي
لا تؤذني في حجة النصح فما ۔ اسمعني السوء سوى مبلغي

ثم ان السلطان ارسل خلف الامير بيدرا وقت الظهر فلما حضر بين يديه وبخه بالكلام
وقصد القبض عليه وتوعده بكل سوء فتلطف به الامير بيدرا في الكلام حتى خرج من بين
يديه فاجتمع بالامرا من خشداشينه واتفق رايهم على الوثوب على السلطان ثم ان السلطان
قصد بان يتصيد ويخلا بنفسه فاعطا الامرا والعسكر دستورا بان يتوجهوا الى القاهرة الى
حين يعود السلطان فمضى الامرا والعسكر الى القاهرة ولم يبق مع الملك الاشرف سوى بعض
مماليك جمداريه فلما كان يوم السبت خامس المحرم فيه ركب السلطان وانفرد وحده
وليس معه سوى امير شكار شهاب الدين بن الاشل فلما بلغ ذلك الى الامير بيدرا رجع من
الطريق وقال هذا وقت انتهاز الفرصة كما قيل في الامثال

وانتهز الفرصة ان الفرصة ۔ تصير ان لم تنتهزها غصه
وان رايت النصر قد لاح لكا ۔ فلا تقصر واحترز ان تهلكا

فارسل الامير بيدرا خلف خشداشينه وهم الامير قرا سنقر والامير لاجين والامير بهادر
اقسنقر وجماعة من الخاسكيه فشدوا في اوساطهم تراكيش وسيوف وركبوا جيوبهم
ثم ساقوا خلف السلطان فوجدوه منفردا وحده وليس معه سوى امير شكار وبعض مماليك
جمداريه فلما راهم السلطان قاصدينه وكانوا نحو عشرة من الامرا فاحس بالشر وظهر له منهم
الغدر فلما ان وصلوا اليه عاجلوه بالحسام قبل الكلام فكان اول من ابتداه بالحسام الامير
بيدرا نايب السلطنه فضربه بالسيف على يده فصاح عليه الامير لاجين وقال له ويلك
الذي يريد ان يتسلطن يضرب هذه الضربه ثم ضربه الامير لاجين على كتفه ضربة فوقع الى الارض
فجاء الامير بهادر راس نوبة النوبا وتولى عن فرسه وادخل السيف في دبر السلطان واطلعه
من حلقه وصار كل احد من الامرا يظهر ما كان في نفسه من السلطان ثم تركوه ميتا في المكان الذي
قتل فيه ثم ردوا الى الوطاق واشتوروا فيمن يولوه السلطنة فوقع رايهم على ان يولوا الامير
بيدرا نايب السلطنة فحلفوا له الامرا ثم باسوا له الارض ولقبوه بالملك الامجد

وقيل بالملك الرحيم ثم تركوا الوطاق وتوجهوا الى القاهرة فاركبوا الامير بيدرا تحت العصايب
السلطانية ثم شرعوا في مسك جماعة من الامرا منهم الامير بيسرى والامير مكتمر السلحدار
وغير ذلك من الامرا فلما وصل هذا الخبر الى الامرا الذين كانوا بالقاهرة فركبوا وخرجوا
هم على جبهة ساير الامرا والمماليك السلطانية فلما عدوا من الجيزة ووصلوا الى الطرانة فتلاقوا
هم وبيدرا هناك فوقع بينهم على الطرانة وقعة عظيمة فانكسر بيدرا وصار يتنحى من كان معه
من المماليك ويجو الى عند الامير كتبغا وكان بيدرا قد جمع معه من عربان البحيرة جماعة كثيرة
فلما راوا بيدرا قد انكسر توجهوا الى البحيرة مطرودين وكان بيدرا لما انكسر توجه الى نحو
الجبل فتبعوه جماعة من المماليك السلطانية فقبضوا عليه واتوا به الى عند الامير كتبغا فلما
راه مماليك الاشرف فقطعوه قطعا بالسيف وشقوا بطنه واخرجوا كبده وصار كل احد
منهم يقطع منه قطعة وياكل منها ثم حزوا راسه وحملوها على رمح وقصدوا التوجه
الى القاهرة فطافوا براس بيدرا في المدينة ثم علقوها على باب بيته فلما راوا من كان مع
بيدرا من المماليك والامرا بانه قتل فهربوا واختفوا ثم ان الامير سنجر الشجاعي نادى
للمراكبية على شاطى البحر بان لا يعدى لاحد مملوك من عسكر بيدرا ولا باحد من حاشيته
هذا ما كان من امر الامير بيدرا واما ما كان من امر الاشرف خليل بعد قتله فانه اقام
بعد قتله ثلاث ايام لم يدفن وهو مطروح في البرية وقد اكلته الذياب حتى قال بعض الشعرا

الم تر ان الليث حين تناهشت ۝ ذياب الفلا منه ذراعا وساعدا

ثم ان والى ستروجه ايدمر الفخرى حمل الاشرف خليل على جمل واتى به الى القاهرة فغسلوه
وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في مدرسته التي بالقرب من السيدة نفيسه رضى الله
تعالى عنها **وكان** الملك الاشرف حسن الوجه ابيض اللون مستدير اللحية ضخم الجسد
كبير الوجه شديد الباس مهابا في اعين الناس كفوا للسلطنة مما رنا باحوال المملكة
وكان شجاعا بطلا مقداما على القتال لا يكل من الحروب ليلا ولا نهارا وكان مسعودا
في حركاته ولو طال عمره لكان يفتح غالب بلاد العراق ولا يعرف في ابنا الملوك من يناظره
في العزم والشجاعة والاقدام وعلى هذا قد اتفقوا ارباب التواريخ في ترجمته وكان يميل
الى شرب الراح والى السماع الطيب وكان كثير الانهاك على اللذات وكان عنده معرفة بصنعة
الانشا والتوقيع وكان يتعاظم حتى كان يكتب في علامته على المراسيم حرف الخا
فقط اشارة الى الحرف الاول من اسمه ومنع الموقعين ان لا يكتبوا لاحد من الامرا والنواب
الزعيمى وكان يقول من زعيم الجيوش غيرى **قال** القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
كاتب السر الشريف قبل موته ما رايت ولا سمعت باحسن من فهم الملك الاشرف خليل
ولقد كنت احضر بالمراسيم للعلامه فما علم على مرسوم قط الا وقراه جميعه وفهم ما فيه
بل كان يخرج علينا اشياء كثيرة في صنعة التوقيع ويرى فيها الصواب منه ولكن كان
من مساويه انه نفى الملك العادل سلامش واخيه خضر اولاد الظاهر بيبرس البندقدارى

كانوا في الكرك فنفاهما الاشرف خليل الى القسطنطينيه وقد تخيل من اقامتهما في الكرك فارسل
الامير عز الدين ايبك الموصلى فاخذهما من الكرك وامهما معهما وتوجه بهما الى ثغر الاسكندرية
ثم ارسلهما من البحر المالح الى القسطنطينيه فلما وصلوا الى هناك فاكرمهما الاشكرى صاحب
القسطنطينيه واحسن اليهم ورتب لهم ما يكفيهم من النفقة في كل يوم فاما سلامش فادركته
المنية هناك فمات فلما مات فصبرته امه في تابوت فلما ان اتفق عودها الى القاهرة
حملته معها وهو ميت ودفنوه بالقرافة ومات سلامش وله من العمر نحو اثنين وعشرين سنة
واما سيدى خضر فانه عاد الى مصر كما سياتى ذكر ذلك في موضعه ان شا الله تعالى ومن مساوى
الاشرف خليل انه خنق سبعة من الامرا المقدمين في ليلة واحدة كما تقدم وكان سفاكا للدما
قتل خلقا كثيرة من الامرا وغيرهم ومن مساويه انه كان يسمع الكلام في حق الناس بالباطل
من وزيره ابن السلعوس وكان ذلك سببا لزوال ملكه ولكن كان عنده العدل في حق
الرعية ويقضى بالحق على الامرا المقدمين للسوقة ولا يراعى في ذلك احد وكان منقادا
الى الشريعة ويحب العلما واذا ظهر له الحق لا يوالس عليه وفيه يقول بعض الشعرا

يا ايها الملك الذى سطواته ۝ حلمت بها الاعدا في يقظاتها
ملك تغز له الملوك بانه ۝ انسان اعينها وعين حياتها
شتت شمل العيال بعد وفوره ۝ وجمعت شمل الناس بعد شتاتها
وظهرت بالعدل الذى امسى به ۝ في البيد يختشى ذيبها من شاتها

وكانت قتلة الاشرف خليل في يوم السبت بعد العصر خامس عشر المحرم سنة ثلاث
وتسعين وستماية ومات وله من العمر ثلاثين سنة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية
والبلاد الشامية ثلاث سنين وشهرين وخمسة ايام **واما فتوحاته** التي فتحها في
ايامه من المدن وهى مدينة عكا وصيدا وبيروت وعثليث وبهسنا وقلعة الروم
ومرعش وتل حمدون وصور **واما ما انشاه** من المعاير وهى قاعة الاشرفيه التي بقلعة
الجبل والمدرسة التي بالقرب من مزار السيدة نفيسة رضى الله عنها وله غير ذلك من
الاثار وقيل بلغت عدة المماليك السلطانيه في ايامه اثنى عشر الف مملوكا انتهى ذلك
وتوفى في ايامه ابو حلنك الحلبى الشاعر وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد ومما وقع
له انه دخل حلب دمشق فامتدح القاضى كمال الدين ابن الزملكانى الشافعى بقصيدة سنية
وجلس على الباب ينتظر الجايزة فارسل له القاضى ورقة بان يصرف له رطلان من الخبز
فغضب ابو حلنك ومضى ثم بعد مدة دخل ابو حلنك الى بستان من منتزهات دمشق فاقام
فيه يومه ثم سال عن ذلك البستان فقيل له ان البستان لقاضى القضاة كمال الدين بن الزملكانى
المشار اليه فكتب ابو حلنك الحلبى على بعض حيطان ذلك البستان هذين البيتين وهما

لله بستان حللنا دوحه ۝ في جنة قد فتحت ابوابها
والبان تحسبه سنانيرا رات ۝ قاضى القضاة فنفشت اذنابها

ليحي القاضي باحسن عبارة و الطف اشارة انتهى ذلك ولما قتل الاشرف خليل وجرى للامير بيدرا ما جرى ثم وقع راى الامرا على سلطنة محمد بن قلاوون اخى الاشرف خليل فسلطنوه ولقبوه بالملك الناصر وكان القائم فى ذلك الامير كتبغا انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الاشرف خليل ابن قلاوون على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الناصر محمد

ابن الملك المنصور قلاوون وهو التاسع من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية و البلاد الشامية فتسلطن بعد قتل اخاه الملك الاشرف خليل فى يوم الخميس ثامن عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستماية وكان له من العمر لما تسلطن نحو تسع سنين ودخل فى العاشرة وكان مولده فى سنة اربع وثمانين وستمايه وكانت امه اشلون بنت الامير سكاى فلما ان تسلطن اخلع على الامير كتبغا واستقر به نايب السلطنة عوضا عن الامير بيدرا واخلع على الامير سنجر الشجاعى واستقر به وزيرا عوضا عن شمس الدين بن السلعوس واخلع على الامير بيبرس الجاشنكيرى واستقر به استادار وكاشف الكشاف وفى ذلك اليوم طافوا براس بيدرا على رمح ثم علقوها على باب القلعة فلما تولى الملك الناصر واستقام امره قبض الشجاعى على جماعة من الامرا ممن كان سببا فى قتل الاشرف خليل فقبض على الامير قجق السلحدار والامير قرمشى السلحدار والامير بورى السلحدار وهو صاحب الدرب المنسوب اليه والامير لاجين جركسى والامير مغلطاى المسعودى والامير كردى الساقى وهو صاحب الحمام التى فى المدابغ فلما قبض عليهم فقيدهم وسجنهم فى البرج الذى بالقلعة ثم انه قبض على جماعة من المماليك السلطانية وسجنهم بخزانة شمايل ثم ان الامير بيبرس الجاشنكير كان تولى عقوبة هولاء الامرا وصار يقررهم على من كان سببا فى قتلة الاشرف خليل ثم رسم الامير كتبغا بقطع ايديهم وارجلهم وسمروا على الجمال وطافوا بهم فى القاهرة وكان يوما مشهودا ثم ربيع بمثله ثم وسطوهم فى سوق الخيل ومضى امرهم ثم ان الشجاعى قبض على الصاحب شمس الدين ابن السلعوس الذى راى من العز ومن العظمة ما لا راه غيره من ارباب الوظايف فلما قبض عليه الشجاعى جعل يعاقبه ويعصره بالمعاصير حتى مات تحت الضرب وكانت وفاته فى يوم الاحد خامس عشر صفر سنة ثلاث وتسعين وستمايه فاحتاط الشجاعى على موجوده جميعه وصادر عياله وغلمانه وحاشيته وكتابه واقاربه واستصفى اموالهم جميعها حتى صادر ساير اصحابه فذهبت امواله وزال سلطانه واختفى سعده وظهر عكسه وظفرت به اعداوه وتولى الدهر عنه وما رعاه فكان كما قيل

لا تفرحن بخير جاء من غلط ✱ فالزمان اساآت واحسان
وكن من الدهر ان يصحو اعلى حذر ✱ فما تقدمت الا وهو سكران

ومن النكت اللطيفة قيل ان الصاحب شمس الدين بن السلعوس لما ان دنا وبلغ من العلو الى ما بلغ فى دولة الاشرف خليل فارسل بن السلعوس يطلب اقاربه الذى كانوا بدمشق فكلهم اجابوه الى الحضور الا شخصا من اقاربه فقال له زين الدين فانه ابا عن الحضور

وخاف على نفسه ولم يوافق الى الدخول الى مصر وكتب الى السلعوس فى رقعة وهو يقول

تنبت يا وزير الملك واعلم ✱ بانك قد وطيت على الافاعى
وكن بالله معتصما فانى ✱ اخاف عليك من نهش الشجاعى

فكان الغالب بالمنطق فما عن قريب حتى قتل الاشرف خليل وتسلم الشجاعى بن السلعوس واستصفى امواله وعاقبه حتى مات تحت العقوبة كما تقدم ثم ان سنجر الشجاعى لما راى ان الوقت قد صفا له وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية فاستخف بالسلطان الملك الناصر محمد لصغر سنه فحدثته نفسه بالسلطنة فصار يرمى الفتن بين الامرا وبين الامير كتبغا نايب السلطنة فصار مع الامير كتبغا الامير فريق من العسكر ومع الشجاعى فريق فكان الشجاعى يبذر الاموال على جماعة من المماليك البرجية حتى قيل انه انفق عليهم فى يوم واحد ثمانين الف دينار واتفق معهم بان كل من قتل اميرا وجاء براسه ويكون من عصبة الامير كتبغا فياخذ بلده وبركه واقطاعه فلما بلغ ذلك الى الامير كتبغا فاجتمع باعيان خشداشينه والبسهم آلة الحرب ووقفوا فى سوق الخيل فلما علم الشجاعى بذلك فاغلق باب القلعة وعلق السنجق السلطانى ودق الكوسات حربى ثم صار ينتظر من يطلع اليه من الامرا فلم يطلع اليه احد من الامرا وصار الامير كتبغا يحاصر القلعة وقطع عنها الماء فلما كان يوم الجمعة ثالث عشرين صفر نزلوا المماليك البرجية من القلعة على حين غفلة واوقعوا مع الامير كتبغا وقعة قوية حتى كاد الامير كتبغا ينكسر ثم كثرت عصبة الامير كتبغا واجتمع معه الامير بيبرس والامير بكتاش امير سلاح والامير بكتوت العلاى والامير ايبك الموصلى والامير اقسنقر والامير بليان الحسنى وغير هولاء جماعة كثيرة من الامرا الطبلخانات والامرا العشروات والمماليك السلطانية ثم وقعوا مع المماليك البرجية وقعة قوية فانكسروا المماليك البرجية وطلعوا الى القلعة مهزومين وليس لهم من ناصر ولا معين ثم ان خوند اشلون ام الملك الناصر محمد ارسلت طلب الامير كتبغا الى باب السلسلة وتحدثت معه من اعلا السور وقالت له ايش قصدك حتى نفعله ان كان قصدك ان تخلع ابنى من السلطنة فافعل فقال الامير كتبغا اعوذ بالله السميع العليم والله لو بقى من اولاد استاذنا بنتا عميا ما خرجنا الملك عنها ولاسيما ابن استاذنا رجل وفيه كفاية لذلك وانما قصدنا مسك الشجاعى واخماد الفتنة فانفصل الامر على ذلك فلما سمعوا من كان من عصبة الشجاعى ما جرى فصاروا ينزلون من القلعة ويجون الى عند الامير كتبغا فلازالوا على ذلك حتى لم يبق عند الشجاعى الا القليل فلما راى الشجاعى عين الغلب فارسل يطلب الامان من الامير كتبغا فلم يعطيه كتبغا امانا ولا وافقوا بقية الامرا على ذلك ثم ان الشجاعى دخل الى عند السلطان فى صورة انه يستشيره فيما يكون فى هذا الامر وما يفعل فى ذلك فقال له السلطان يا عمى ايش اخر هذا الحال الذى انتم فيه فقال له الشجاعى هذا كله لاجلك يا ابن استاذى فانهم قصدوا يخلعوك من السلطنة ويمسكونى انا فقال

له السلطان ياعمى انا اعطيك نيابة حلب واخرج ودح عنهم فى هذه الساعة تستريح منهم
فلم يوافق على ذلك الشجاعى واغلظ على السلطان القول فقاموا اليه المماليك الذى كانوا
عند السلطان وامسكوه وقيدوه وارسلوه الى البرج فبينما هو فى اثناء الطريق خرجوا
عليه جماعة من المماليك البرجية فقتلوه وقطعوا راسه ووضعوها فى فوطه حرير وكان
الذى قتل الشجاعى شخصا من المماليك يقال له بهاى الدين اقوش فلما خرج براس الشجاعى الى
باب القلعة فراه بعض المماليك البرجيه الذى هم من عصبة الشجاعى فقالوا له ما معك
فى هذه الفوطه فقال الخبز سخن ارسله السلطان الى الامرا ليعلموا ان عندنا الخبز كثير فتركوه
حتى مضى ونزل من القلعة ولو علموا ان معه راس الشجاعى لقتلوه اشر قتله فلما نزل الى الرمله
رمى براس الشجاعى بين يدى الامير كتبغا فلما راوا الامرا راس الشجاعى فتوجه كل واحد منهم
الى بيته وخمدت الفتنة ولم يبقى شر بينهم ثم ان الامير كتبغا رسم بان يطوفوا براس الشجاعى
فى مصر والقاهرة فطافوا بها وهى على رمح والمشاعليه تنادى عليها وكان اكثر الناس من
اهل مصر والقاهرة يكرهون سنجر الشجاعى فصاروا يعطون للمشاعليه شيا من الفضة
وياخذون منهم الراس ويدخلون بها الى دورهم ولا زالوا يصفعونها بالقباقيب والنعال
حتى يشتفون منه فطافوا بها فى الحارات والازقه حتى طافوا بها فى حارات زويله فصاروا
اليهود يدخلون بها الى بيوتهم ويصفعونها بالنعال حتى يشتفون منها وربما كانوا يبولون
عليها فاقاموا على ذلك ثلاثة ايام متوالية حتى قيل كان مع المشاعليه برنية خضرا يحصلو
فيها الفضة التى تدخل عليهم من الناس فقيل انهم ملوها ثلاث مرات فضة ولم يسمع بمثل
هذه الواقعة فيما تقدم من الوقايع وهى من الغرايب قيل كان سنجر الشجاعى هذا رجلا طويلا
عريضا كامل الخلقه ابيض اللون اشقر اللحية مهاب الشكل قاسى القلب ظالم الصورة
عسوفا كثير الاذى اذا ظفر باحد لا يرحمه ولا يراعى فى الانام خليل فلما ان قتل لم يحزن
له احد من الناس فكان كما قال القايل

لا تفعل الشر فتسمى به ❊ وافعل الخير تجازى عليه
اما ترى الحية من شرها ❊ يقتلها من لا توسى عليه

فلما قتل الشجاعى وخمدت الفتنة طلعوا الامرا الى عند السلطان وجمعوا المماليك البرجية
وكانوا يسكنون فى ابراج القلعة فرسم الامير كتبغا بان ينزلوا من القلعة ويسكنون فى
الابراج الذى فى سور القاهرة خلف البرقيه فسكنوا بها وكانوا نحو اربعة الاف وسبعماية
مملوك ورتب لهم الامير كتبغا ما يكفيهم فى كل يوم وشرط عليهم بانهم لا يركبون ولا يخرجون
من الابراج ثم ان الامير كتبغا قبض على جماعة من الامرا الذين كانوا من عصبة الشجاعى
وهم الامير بيبرس الجاشنكير استادار العالية وقبض على الامير اللقمانى امير اخور كبير
وقيدهم وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية ثم افرج عن جماعة من الامرا الذين كانوا
مسجونين بثغر الاسكندرية وهم الامير قبجق السلحدار والامير عبدالله الجاشنكير والامير

قرمش

قرمش والامير بورى والامير لاجين جركس والامير عمر شاة السلحدار فلما حضروا
انعم عليهم واعادهم الى وظايفهم واقطاعاتهم **ثم دخلت** سنة اربع وتسعين وستماية
فيها فى يوم عشر المحرم نادوا جماعة من مماليك الاشرف خليل تحت الليل وفتحوا باب سعادة
وهجموا على اصطبلات الناس فلما طلع النهار ارسل الامير كتبغا قبض على من فعل ذلك من
المماليك وقطع ايديهم وصلب على باب زويله منهم جماعة ووسط منهم جماعة وكانوا نحو
ثلثماية مملوكا فلما جرى ذلك فاجتمع الامرا وضربوا مشورة وقالوا قد فسدت الاحوال
لكون ان السلطان صغير السن وطمعوا المماليك فى حق الرعية ومن الراى ان نولى سلطانا
كبيرا يمنع المماليك من هذه الافعال فعند ذلك وقع الاتفاق من الامرا على خلع الملك الناصر
محمد وان يولوا كتبغا فخلعوا الملك الناصر من السلطنه وولوا كتبغا فكانت مدة الملك
الناصر محمد بن قلاوون فى هذه المدة الاولى احد عشر شهرا واياما ما انتهى **ذكر سلطنة**
الملك العادل زين الدين كتبغا ابن عبدالله المنصورى وهو العاشر
من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية فتسلطن بعد خلع الملك الناصر محمد ابن قلاوون
فى حادى عشر المحرم سنة اربع وتسعين وستماية وتلقب بالملك العادل ونودى باسمه
فى القاهرة وضجوا له الناس بالدعا وكان اصله من سبايا التتار اخذه الملك المنصور
قلاوون فى وقعة حمص الاولى وذلك فى سنة تسع وخمسين وستماية فصار من جملة
مماليك السلطان قبل ان يلى السلطنة فلما تسلطن فجعله امير عشرة ثم بقى مقدم الف
فلما قتل الاشرف خليل وتولى اخوه محمد فجعله نايب السلطنة ثم بقى سلطانا فلما تم
امر كتبغا فى السلطنة فاستقر بالامير لاجين نايب السلطنة عوضا عن نفسه وكان
الامير لاجين ممن تواطا على قتلة الملك الاشرف فلما قتل وتولى اخيه محمد هرب الامير
لاجين وكان من عصبة بيدرا فاختفى لاجين مدة طويلة نحو سنة فكان مختفيا فى مادنة
احمد بن طولون ثم الامير كتبغا شفع فيه عند الملك الناصر محمد بن قلاوون فقابله ورضى
عليه السلطان وانعم عليه بتقدمة الف فلما تسلطن كتبغا جعله نايب السلطنه وفوض
اليه امور المملكة جميعها وجعل الامير بهادر حاجب الحجاب ثم ان الامير كتبغا لما
ثبت امره فى السلطنة فصار يقرب خشداشينه وينعم عليهم بتقادم الوف وبالاقطاعات
السنية وقويت شوكته وراج امره فى السلطنة وصار له عصبة **ثم دخلت**
سنة خمس وتسعين وستماية فيها اجدبت البلاد ونقص النيل وقد وصل الى اثنى عشر ذراعا
ثم انهبط فشرقت الاراضى ووقع الغلا والقحط بمصر وشحط سعر القمح الى ماية وسبعين
درهم كل اردب وكذلك الفول وبلغ سعر اللحم كل رطل بسبعة دراهم وابيع كل فروج بخمسة
عشر درهم وابيعت البيضة الواحدة باربعة دراهم واشتد الامر على الناس حتى اكلوا الكلاب
والحمير والبغال والخيل والجمال ولم يبق عند احد شيا من الدواب حتى قيل صار يباع الكلب
السمين بخمسة دراهم والقط بثلاثة دراهم فلما طال الامر على الناس فارسل الله تعالى اليهم

جرادا كثيرا فاكلوا الناس منه شي كثير حتى قيل كان يباع منه كل اربعة ارطال بدرهم
وتدعم هذا الغلا سائر البلاد حتى البلاد الشامية حتى مكة والمدينة وسائر اعمال الديار المصرية
ثم اعقب ذلك فنا عظيم حتى ساروا الناس يتيبا فطوى موتى في الطرقات حتى قيل مات
في هذه السنة من الناس نحو الثلث حتى كفن الملك العادل كتبغا من ماله في مدة يسيرة من
مات من الغربا على الطرقات نحو مايتين وسبعين الف انسان حتى جافت منهم الحارات
والازقة وصار الرجل يكون ماشيا فيقع ميتا في الحال وفي ذلك يقول ابن المعمار

يا طالبا للموت قم واغتنم ۞ هذا اوان الموت ما فاتا
قد رخص الموت على اهله ۞ ومات من لا عمره ماتا

ثم كشف الله تعالى عن الناس هذه الكربة وتراجع الامر قليلا قليلا وانحطت الاسعار ورجع
الحال كما كان اولا وزالت تلك الشدة العظيمة فكان كما قيل

قل لمن يحمل هما ۞ ان هذا لا يدوم
مثل ما تفنى المسرات ۞ هكذا تفنى الهموم

وفي هذه السنة وهي سنة خمس وتسعين وستماية فيها توفي الشيخ الزاهد الناسك سيدي
فتح الاسمر رحمة الله عليه وهو فاتح ابن عثمان الاسمر التكروري المراكشي قدم من مراكش
الى دمياط على سبيل التجريد وكان يسقي الماء في دمياط في الاسواق احتسابا من غير ان
ياخذ من احد شيا وكان يلازم الصلاة في المسجد مع الجماعة وكان لا يرى الا في وقت
الصلاة واذا سلم الامام عاد الى الانكار واستمر على ذلك حتى توفي في ليلة الجمعة
ثامن شهر ربيع الاخر من سنة خمس وتسعين وستماية ودفن بثغر دمياط بجوار مسجد الشيخ
وقبره يزار الى الان وقد قيل في المعنى

لعمرك ما دمياط الا عجيبة ۞ تهيم الورى منها باحسن منظر
لها ناظر منه فضول بابيض ۞ وتطعن من فتح القوام باسمر

وفي هذه السنة ايضا كانت وفاة الشيخ سراج الدين الوراق الشاعر الماهر وكان من فحول
الشعرا وله شعر جيد وكان مولده في سنة خمسة عشر وستماية ووفاته في سنة خمس وتسعين
وستماية فكانت مدة حياته نحو ثمانين سنة ومن شعره لنفسه وهو قوله

واخجلتي وصحايفي سود غدت ۞ وصحايف الابرار في اشراق
وموبخ لي في القيامة قايل ۞ اكذا تكون صحايف الوراق

ومما وقع للسراج الوراق ان الشيخ نصير الدين الحمامي قال له قد عملت قصيدة في الصاحب
تاج السبكي واشتهي ان تثني عليها اذا قرات بحضرتك فلما انشدها النصير الحمامي بحضرة
الشيخ سراج الدين الوراق فانشد الشيخ سراج الدين على الفور ارتجالا وهو يقول

شاقني للنصير شعر بديع ۞ ولمثلي في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه ۞ قلت نعم المولى ونعم النصير

ومن هنا نرجع الى اخبار كتبغا ثم دخلت سنة ست وتسعين وستماية فيها سافر
السلطان الى نحو البلاد الشامية بسبب تمهيد البلاد فلما دخل الى الشام فصلى بها الجمعة ثم في
يوم السبت لعب في ميدان دمشق بالاكره واقام بها اياما وعزل من عزل وولى من ولي ثم قصد
التوجه الى نحو الديار المصرية فلما دخل من دمشق الى وادي فحمه فوقع بين الامير لاجين نايب
السلطنه وبين جماعة من الامرا كلاما فبادر الامير لاجين وقبض على جماعة من الامرا منهم الامير
بتخاص العادلي والامير بكتوت الازرقي وكانا جناحا الملك العادل كتبغا فلما بلغه ذلك
رجع الى دمشق في نفر قليل من العسكر فلما رجع كتبغا الى دمشق فاحتوى الامير لاجين على خزاين
المال وركب تحت العصايب السلطانيه وقصد التوجه الى الديار المصرية هذا ما كان من امر
الامير لاجين واما ما كان من امر الملك العادل كتبغا فانه لما رجع الى دمشق اقام بها ثلاثة
عشر يوما وهو بقلعة دمشق وقد اطاعه اهل الشام وتعصبوا له فما عن قليل حتى جاءت
الاخبار من القاهرة بان لاجين قد تسلطن بمصر وتلقب بالملك المنصور فعند ذلك انحل
برم الملك العادل كتبغا وانفرقت عنه الناس فلما كان يوم الخميس ثامن ربيع الاول من
السنة المذكورة وصل الى دمشق الامير حسام الدين لاجين استادار العالية وعلى يده مراسيم
لقضاة دمشق والامرا فاجتمعوا بدار السعاده وقروا مراسيم السلطان لاجين بالتحليف و
الملك العادل كتبغا وليشهدوا عليه بالخلع من السلطنه فقام قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة
الشافعي هو والامير لاجين الاستادار ودخلوا على العادل كتبغا وهو بقلعة دمشق
وتكلموا معه فلما راى كتبغا غلبة الغلب اذعن وشهد على نفسه بالخلع ثم في يوم الاثنين
وصل الى دمشق الامير قبجق المنصوري وقد استقر نايب الشام فلما دخل الى دمشق نزل
بدار السعادة وارسل خلف العادل كتبغا وقال له ان السلطان المنصور لاجين يسلم عليك
ورسم لك بان تتوجه الى مدينة صرخد ويرتب لك ما يكفيك فقال السمع والطاعة
وخرج من يومه الى صرخد وهو معزوز مكرم ومعه عياله ومماليكه وغلمانه وبركه وتوجه
الى صرخد فاقام بها فكانت مدة سلطنته بالديار المصريه والديار الشاميه الى ان خلع من
السلطنة نحو سنتين الا شهرين فلما توجه الى صرخد فاقام بها الى سنة تسع وتسعين وستماية
فلما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون الى السلطنة في المرة الثانية فانعم على الملك العادل
كتبغا بمملكة حماه واعمالها وكان الملك الناصر يميل الى كتبغا دون ابيه فاستمر كتبغا
في حماه الى ان مات وكانت وفاته في يوم عيد النحر من سنة اثنين وسبعماية ودفن بحماه ثم
نقل بعد ذلك الى دمشق ودفن بسفح جبل قاسيون وكان كتبغا رجلا قصير القامة
اجرود اللحية اسمر اللون وكان موصوفا بالشجاعة وكان دينا خيرا سليم الباطن ومات
وله من العمر نحو ثلاث وستين سنة ومن صفا باطنه انه ترك الامير لاجين وشفع فيه
من القتل عند الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان لاجين ممن تعصب على قتل الاشرف
خليل ولما ان تسلطن الامير كتبغا استقر بالامير لاجين نايب السلطنة وفوض اليه

امور المملكة جميعها وكان لاجين في خلده الغدر لكتبغا حتى وثب اليه وخلعه من السلطنه
وجرى عليه ماجرى وكان لاجين يظهر المحبة لكتبغا وهو في الباطن بخلاف ذلك كما قيل في
المعنى ، ولخل كالمرآة تبدى لك ضمايره ، مع الصفا بخفيها مع الكدر ،
انتهى ما اوردناه من اخبار الملك العادل كتبغا وذلك على سبيل الاختصار منها ،

ذكر سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين

ابن عبدالله المنصوري وهو الحادي عشر من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية
بويع له بالسلطنة بعد خلع الملك العادل كتبغا وذلك في نصف شهر صفر سنة ست
وتسعين وستمايه وتلقب بالملك المنصور ونودي باسمه في القاهرة وضجوا له الناس بالدعا
ودقت له الكوسات وكان اصله من مماليك الملك المنصور قلاوون فلما تم امره في السلطنه
اخلع على خشداشينه وهم الامير قراسنقر المنصوري واستقر به نايب السلطنه عوضا
عن نفسه وانعم على مملوكه منكوتمر تقدمة الف ثم اخلع على الامير سنقر الاعسر واستقر به
وزيرا ثم اخذ في اسباب عمارة جامع احمد بن طولون وكان خرابا بغير سقف مدة ماية
وسبعين سنة وكان لاجين لما قتل بيدرا وجرى ما تقدم ذكره واختفى في جامع احمد بن
طولون في المادنه مدة طويلة حتى شفع فيه العادل كتبغا عند الملك الناصر محمد بن قلاوون
فلما ظهر ورضى عليه الناصر محمد فنذر في نفسه ان بقى سلطانا ليعمرن جامع احمد بن
طولون كما كان فلما بقى سلطانا عمره ورتب في سطح الجامع دكة بسبب الميقاتيه لتحرير
الوقت واوقف على ذلك اوقافا كثيرة الى الان تصرف للميقاتيه واحيا رسوم هذا
الجامع بعدما كانت قد درست ومن محاسن الملك المنصور لاجين انه ارسل خلف اولاد
الملك الظاهر بيبرس الذى كانوا بالقسطنطينية من حين نفاهم الملك الاشرف خليل ابن
قلاوون فارسل احضرهم السلطان لاجين الى مصر فاما سلامش بن الملك الظاهر
فانه ادركته المنيه في القسطنطينيه فاتوا به وهو ميت في سحلية ودفن بالقرافة الصغرى
وكان يسمى ابن البدوية وكان جميل الصورة مليح الوجه واما اخيه سيدى خضر فانه
اقام بالقاهرة مدة ثم طلب من السلطان لاجين دستورا بان يحج فاذن له في ذلك فسار
الى الحجاز وحج ورجع الى مصر واقام بها مدة ومات ودفن على اخيه سلامش وبه انقرضت
اولاد الملك الظاهر بيبرس ثم ان السلطان لاجين قبض على الامير قراسنقر نايب
السلطنة وسجنه واستقر بمملوكه منكوتمر نايب السلطنه فعز ذلك على جميع الامرا
ولم يكن منكوتمر اهلا لذلك ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمايه فيها دارك
السلطان البلاد المصرية وهو الروك الحسامي وكان ابتداء ذلك في سادس جمادى الاول
من السنة المذكورة وكان المتكلم في ذلك شخصا من المباشرين يقال له التاج الطويل فشرع
في كتب فواير بمساحات البلاد واسمايها وكانت البلاد المصرية يوميذ مقسومة على اربعة
وعشرين قيراطا منها اربع قراريط للسلطان ومنها عشر قراريط للامرا والاطلاقات

ومنها عشر قراريط للجند كلهم فرسم السلطان للمباشرين بان يكتبوا الامرا بعشر قراريط
مع الاجناد وزادوا الذين قد تشكوا من الاجناد قيراطا وبقى السلطان تسعة عشر قيراطا
فشكوا الجند وضجوا من ذلك وكان المتكلم في ذلك الامير منكوتمر النايب فصار يقابح
الامرا والجند اخشن مقابحه وعادا ساير العسكر بسبب ذلك فنفرت قلوبهم من السلطان
لاجين وتمنى كل احد زواله وكثر عليه الدعا من الناس وكان مملوكه منكوتمر من سبب ان
الدهر اظلم خلق الله تعالى واخبثهم فلما كان ثامن رجب من السنة المذكورة توقف الحالا
بما تغير عليه الحال مع الامرا والجند وهم غير راضيون بذلك ثم لما مضى امر ذلك فاشار
الامير منكوتمر على السلطان بان يقبض على جماعة من الامرا فقبض على جماعة منهم الامير ايبك
الحموى وغيره من الامرا ثم ارسل بالقبض على قبجق نايب الشام فلما بلغه ذلك خرج من
الشام هاربا وخرج معه الامير بكتمر الابوبكرى والامير سنزلار وغيرهم من الامرا الذين كانوا
بدمشق فلما خرجوا من دمشق توجهوا الى عند القان الاكبر غازان ملك التتار وكان هذا
سببا للفتنة العظيمة التى وقعت بينه وبين عسكر مصر كما سياتى ذكره ذلك في موضعه
ان شاء الله تعالى وفي هذه السنة سال الخليفة الامام احمد الحاكم بامر الله سال السلطان
بان ينعم له بان يحج فانعم له بذلك ورسم له بالف دينار فاخذها وحج في تلك السنة
ثم عاد مع الحاج الى القاهرة ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمايه فيها توجه
السلطان الى القصر الكبير وكان صايما وكان ذلك اليوم يوما شديد الحر فجلس في القصر
الى وقت الفطور وهو يلعب بالشطرنج وكان عنده القاضى حسام الدين الرازى الحنفى
وامامه محب الدين ابن العسال وشيخ العرب نويد فلما جلس في القصر الى وقت المغرب
فبلغ ذلك جماعة من المماليك الاشرفيه وكان في قلبهم من السلطان لاجين لانه كان
من جملة من تواطا على قتل استاذهم الملك الاشرف خليل فتقالوا هذه ليلة الفرصة فاتفقوا
مع جماعة من المماليك البرجية بان يهجموا على السلطان بعد العشا وهو في القصر وكانت
تلك الليلة نوبة شخصا من السلحدارية يقال له نوغان الكرمانى فاتفق معه شخص يقال
له كرجى وهو مقدم المماليك البرجية على ان يدخلوا المماليك ويهجموا عليه بعد العشا
ويقتلوه فلما دخل وقت المغرب نظر السلطان في القصر واستمر يلعب في القصر الى
وقت العشا فتقدم كرجى مقدم المماليك البرجيه الى عند الشمعه ليصلحها فارمى الفوطه
على النمجاة والسلطان منكب على الشطرنج وهو لا يدرى ما خبى له في الغيب فالتفت اليه
السلطان وقال له غلقت ابواب الاطباق على المماليك البرجيه فقال له نعم فشكره واثنى
عليه وكانوا المماليك البرجية واقفة بالسيوف في دهليز القصر فلما فات وقت العشا
فتقدم كرجى الى عند السلطان وقال له يا خوند ما تصلى العشا فقال له السلطان نعم
وقام ليصلى العشا فضربه كرجى بالسيف على كتفه فنهد له فقام السلطان ليأخذ
النمجاة فلم يجدها فقبض على كرجى وارماه الارض فجاء اليه نوغان الكرمانى واخذ

النجاة وضرب بها السلطان على رجله ضربة قوية فقطعها فصاح عليه القاضي حسام الدين الرازي ويلكم كيف تقتلوا استاذكم فانقلب السلطان على ظهره ووقع ميتا فتركوه مكانه ومضوا واغلقوا عليه باب القصر وتركوا عنده الامام والقاضي حسام الدين الرازي ثم ان كرجي توجه تحت الليل الى عند الامير منكوتمر النايب وكان ساكنا بدار النيابه بالقلعة فدق عليه الباب وقال له ان السلطان يطلبك فانكر ذلك وقال لكرجي لعلك قتلت السلطان فقال له كرجي نعم قتلناه وجينا اليك نقتلك يا مخنث وكان بين كرجي وبين الامير منكوتمر حظ نفس من قديم الزمان ثم ان كرجي احرق الباب ودخل الى منكوتمر وقبض عليه وتوجه به الى الجب الذي بالقلعة فحبسه به وكان في الجب جماعة من الامرا محبوسين وكان منكوتمر سببا لمسكهم كما تقدم فلما راوا منكوتمر قد دخل اليهم فقاموا اليه وقتلوه اشر قتله هذا كله جرى في القلعة تحت الليل واهل المدينة لم يشعروا بذلك فلما طلع النهار شاعت الاخبار في المدينة بما جرى ثم ان الامام شرع في تجهيز السلطان فغسل وكفن ونزل من القلعة في تابوت هو والامير منكوتمر ودفنا بالقرافة الصغرى ولم تنتطح في ذلك شاتين **فكانت** مدة سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين بمصر الى ان قتل سنتين وشهر ين وايام وكانت قتلته في ليلة الجمعة عاشر ربيع الاخر سنة ثمان وتسعين وستماية ومات وله من العمر نحو ثلاث وستين سنة وكان رجلا طويل القامة اشقر اللون واللحية ازرق العينين مهاب الشكل وكان موصوفا بالفروسية شجاعا بطلا وكان دينا خيرا ابطل في ايامه من المكوس التي كانت بمصر اشياء كثيرة ولم يكن من سياته سوى مملوكه منكوتمر هو الذي كان يرمي بينه وبين الامرا الفتن وهو الذي كان يحدث في القاهرة ابواب الظلم حتى يجلب على استاذه الدعا من كل احد من الناس حتى كرهوه وتمنوا زواله وعود الملك الناصر محمد بن قلاوون الى الديار المصريه وفي اثنا قتلة السلطان لاجين حضر الى القاهرة الامير بكتاش امير سلاح وكان مسافرا مع طايفة من العسكر الى نحو البلاد الشامية فلما ان حضر نزل اليه كرجي ونوغاي الذين قتلا السلطان لاجين فقبض عليهما وقتلهما اشر قتله وكان بين قتلهما وقتل السلطان لاجين ليلة واحدة ثم ان الامرا في القلعة ضربوا مشورة فيمن يولوه سلطانا فوقع الاتفاق منهم على عود الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك فارسلوا اليه نجابا فابطا عليهم واقامت مصر بلا سلطان احد واربعين يوما حتى حضر الملك الناصر من الكرك وعاد الى الملك انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المنصور حسام الدين لاجين على سبيل الاختصار

ذكر عود الملك الناصر محمد بن قلاوون

الى السلطنه بمصر وهي السلطنة الثانية فدخل الى القاهرة في يوم الخميس ثاني جمادى الاول سنة ثمان وتسعين وستماية فلما دخل الى القاهرة فزينت له زينة عظيمة ودقت له

الكوسات فلما طلع الى القلعة لبس خلعة السلطنة وهي جبة سودا بطوق ذهبا وعمامة سودا وسيف بداوي متقلد به وحملت القبة والطير على راسه ومشت الامرا بين يديه حتى جلس على سرير الملك وباسوا له الامرا الارض وفي ذلك يقول الشيخ علاي الدين الوداعي

الملك الناصر قد اقبلت ۰ دولته مشرقة الشمس
عاد الى كرسيه مثل ما ۰ عاد سليمان الى الكرسي

ثم ان الملك الناصر عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم الامير اقوش الافرم استقر نايب الشام واخلع على الامير سلار المنصوري واستقر به نايب السلطنة واخلع على الامير بيبرس الجاشنكير واستقر به اتابك العساكر واعيد الامير سنقر الاعسر الى الوزاره واخلع على الامير حسام الدين لاجين واعيد الى الاستادريه وانعم على جماعة كبيرة من مماليك ابيه تقادم الوف وانعم على جماعة من المماليك بالاقطاعات السنية وتم امره في المملكة وهو نافذ الكلمة وافر الحرمة **ثم دخلت** سنة تسع وتسعين وستماية فيها جاءت الاخبار من حلب بان غازان ملك التتار قد زحف على البلاد ووصل اوايل عسكره الى الفرات وهو في عسكر ثقيل لا يحصى وغازان هذا هو ابن ارغون ابن ايغا ابن هلاكو الذي اخرب بغداد وقتل الخليفة وجرى منه ما جرى **وكان** سبب مجي غازان وزحفه على البلاد وهو ان قبجق نايب الشام لما بلغه ان الملك منصور لاجين ارسل بالقبض عليه فاخذ اولاده وعياله وبركه وماله وخرج من الشام وتوجه هاربا الى عند القان غازان وحسن له بان يزحف على البلاد ويملك دمشق وحلب وان السلطان الملك الناصر صغيرا وان الامرا والعسكر بينهم الخلف وانه اذا زحف القان غازان على البلاد لا يجد من يرده عنها فعند ذلك جمع القان غازان عساكرا عظيمة نحو مايتي الف مقاتل فلما وصل هذا الخبر الى مصر فاضطربت الاحوال واجتمعت الامرا بالقلعة وضربوا مشورة فوقع الاتفاق على انه الاتابكي بيبرس الجاشنكير يتوجه الى حلب ومعه خمسماية مملوك قبل خروج السلطان فخرج الاتابكي بيبرس على جرايد الخيل مع العسكر ثم خرج الملك الناصر محمد بعده في خامس عشر صفر وكان صحبته الخليفة الامام احمد الحاكم بامر الله والقضاه الاربع وكان قاضي القضاه الشافعي يوميذ شيخ الاسلام تقي الدين بن دقيق العيد وخرج مع السلطان ساير الامرا والعسكر فجد السير حتى وصل الى دمشق في ثامن ربيع الاول سنة تسع وتسعين وستماية ثم خرج من دمشق فتلاقا مع جاليش غازان في مكان يعرف يسميه قرب بعلبك فوقع بينهما هناك وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها وقتل من الفريقين ما لا يحصى عدده فانكسر السلطان وهرب الملك الناصر الى نحو بعلبك ونهب بركه وساير برك العسكر ولم يبق معه من العسكر الا طايفة يسيرة ثم ان القان غازان زحف على ضياع الشام ونهب ما فيها وسبا اهلها فلما بلغ اهل الشام ذلك خافوا على انفسهم من غازان فيما فعله باهل الضياع فاشتوروا جماعة من العلما الذين كانوا بدمشق وخرجوا الى غازان يطلبوا منه الامان

فخرج قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي والشيخ زين الدين الفارقي والشيخ تقي
الدين بن تيمية الحراني والقاضي نجم الدين بن الصرصري والقاضي عز الدين بن الزكي والشيخ
عز الدين بن القلانسي والقاضي جلال الدين القزويني وغير هؤلاء جماعة من العلماء
والصلحاء فلما دخلوا على غازان ووقفوا بين يديه فوقف الترجمان وتكلم مع القان غازان
في امرهم وانهم جاؤوا يطلبون الامان منه فقال له غازان قل لهم انى قد ارسلت لهم الامان
قبل حضورهم الى عندى فرجعوا الى دمشق واجتمع في جامع بني امية الجم الغفير وقرأوا
على الناس الامان الذى ارسله القان غازان الى اهل دمشق فلما قرئ عليهم ذلك الامان
وسمعوه فرح الناس بذلك وحصل عندهم سكون بعدما كانوا في اضطراب من امر
غازان ثم حضر الامير قبجق الذى كان نايب الشام وهرب الى عند غازان فلما حضر نزل
الميدان الاخضر وارسل يقول الى نايب قلعة الشام سلم الينا القلعة ولا تحوجنا الى
ان نحاصرك ونغلب بعد ذلك فارسل نايب القلعة يقول لقبجق ليس لك عندي جواب
الا السيف وكيف اسلم القلعة والملك الناصر في قيد الحياة فلما بلغ غازان ذلك فحاصر
القلعة ونصب عليها المناجنيق واحرق البيوت التي حولها فلم يقدر عليها ثم بلغه ان
الملك الناصر تراجع اليه العسكر وهو قاصد نحو الشام فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر جمادى
الاول رحل غازان عن دمشق وترك بها اميرا من التتار يقال له قطلو اينا ويكا ومعه
عسكر من التتار وولى الامير قبجق نايب الشام كما كان اولا هذا ما كان من امر القان غازان
واما ما كان من امر الملك الناصر وامر عسكره فانه لما انكسر ودخل الى بعلبك فاقام
بها اياما ثم قصد التوجه الى نحو الديار المصرية فجد في السير حتى وصل الى القاهرة
فدخل على حين غفلة وطلع الى القلعة وقد ذهب جميع ما كان معه من البرك وكذلك الامرا
والعسكر فلما طلع الى القلعة فتح الزردخاناه وفرق جميع ما كان فيها من الكبوس والسلاح
على العسكر ثم فتح خزاين المال وانفق على العسكر فاعطا لكل مملوك ثمانين دينارا وجماعة
منهم اعطاهم خمسة وسبعون دينارا وجماعة منهم خمسة وستون دينارا واعطا
مماليك الامرا لكل واحد منهم خمسون دينارا ثم انفق على عسكر الشام الذى حضر وصحبته
فاعطا لكل واحد منهم عشرة دنانير ذهب وعشرة ارادب شعير وعشرة ارادب
قمح ثم انفق على ساير الامرا من المقدمين والطبلخانات والعشراوات لكل واحد منهم
على قدر مقامه وكان القايم في تدبير مملكته الامير سلار نايب السلطنة والاتابكي بيبرس
الجاشنكير ثم ان الملك الناصر قصد العود الى محاربة غازان فبرز خيامه في الريدانية
وخرج من القاهرة ثانيا وكان صحبته الخليفة والامام احمد والقضاة الاربع وساير
الامرا والعسكر فلما اقام في الريدانية فشكوا العسكر وتغلبوا عليه فانفق عليهم نفقة ثانية
لترتيب احوالهم ثم رحل من الريدانية وجد في السير فتقدم جاليش العسكر الامير سلار
نايب والاتابكي بيبرس الجاشنكير فلما وصل الجاليش الى دمشق فتلقاهم الامير قبجق

واظهر الطاعة للسلطان وباس الارض واجتمع بالامرا واشار عليهم بان السلطان يرجع الى
القاهرة ولا يدخل الى دمشق وسيجيه الامر كما يختار فعند ذلك رجع السلطان
الى الديار المصرية وكان رجوعه الى القاهرة في ثامن عشر رمضان من سنة تسع وتسعين
وستمائة **ومن النكت اللطيفة** قيل ان الملك المنصور قلاوون استاذ الامير قبجق
المذكور خرج يوما الى نحو الديار المصرية المطرية في ايام النيل على سبيل التنزه ومعه جماعة
من الامرا من خاصكيته فانشرح السلطان في ذلك اليوم وذبح خروفا سمينا بيده فلما حضر السماط
فقدموا ذلك الرميس بين يديه فقطعه بيده ثم اخذ الكتف منه وجرده من لحمه وتركه
ساعة حتى جف ثم لوحه على النار قليلا قليلا ثم اخرجه ونظر في لوح الكتف ساعة واطال
التامل ثم تفل عليه والقاه من يده وظهر في وجهه الغضب فساله بعض الامرا عن ذلك
بعد ان سكن غضبه فقال اذ وليتوا قبجق بعدى نايب الشام فيحصل منه غاية الفساد
فلا تخرجوه بعدى من مصر تتعبوا من امره فكان الامر كما قاله الملك المنصور قلاوون
والملوك لهم فراسة في الامور قبل وقوعها كما قد قيل في المعنى

يرى العواقب في اثناء فكرته ... كان افكاره بالغيب كهان
لا طوتر منه الا تحتها عمل ... كالدهر لا دولة الا لها شان

ولم يزل الامير قبجق ممقوتا في دولة الملك المنصور حتى مات قلاوون وتسلطن خليل
ولده فلما تسلطن الملك المنصور لاجين فاستقر بالامير قبجق نايب الشام فلما ظهر
منه عين العصيان فارسل بالقبض عليه فهرب قبجق الى عند القان غازان وحسن له بان
يزحف على البلاد كما تقدم من اخباره **قال** القاضي شمس الدين ابن فضل الله حكا
لي الامير قبجق بعد ان جرى ما جرى من الفتن ورجع الى القاهرة قال لما التقانا عسكر السلطان
مع عسكر غازان فكاد غازان بان ينكسر وهم بالهروب فطلبني ليضرب عنقي لاني كنت
السبب في مجيئه الى دمشق فلما حضرت بين يديه فقال لي ما هذا الحال فقلت ما ثم
الا الخير والسلامه فانا اخبر بعسكرنا فانهم اول صدمه ثم يولوا عن القتال فالقان يصبر
ساعة فما بقي قدامه احد منهم فصبر ساعة فكان ما قلته فلما انكسر عسكر مصر فاراد
ان يزحف عليهم بما معه من العساكر فقلت في نفسي متى ما زحف عليهم لم يبق منهم احد
فقلت له القان يصبر ساعة فان عسكر مصر لهم حيل وخداع وربما يكون لهم كمينا
ورا الجبل فيخرج علينا فننكسر فسمع لي ثم وقف ساعة حتى ابعدتم عنا ولم يبق منكم احد
قدامه فلو زحف عليكم ما بقي منكم احد فلولا انا ما سلم منكم احد فكان الامر كما قد قيل

ولو شيت قابلت المسئ بفعله ... ولكنني ابقيت للصلح موضعا

ومن هنا نرجع الى اخبار الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم في هذه السنة وصل الخبر من
البحيرة بان قد اختلفت طايفتان من العرب وهما جابر ومرديس فنهبوا اضياع البحيرة والحوف
الجرون فاضطربت احوال مصر وعين لهم السلطان تجريدة فكان باش العساكر الامير

بيبرس المنصوري ايبرو دوادار كبير وصحبته جماعة من الامرا نحو عشرين اميرا ما بين
طبلخانات وعشراوات فخرجوا من القاهرة على الفور وجدوا في السير الى ان وصلوا
الى شوجه ود وتوامع العرب فكبسوهم وهربوا الى الجبال حتى لم يبق منهم احد فاحاط
العسكر على جمالهم واغنامهم واولادهم ونسائهم ثم عادوا الامرا الى القاهرة وهم في غاية
النصرة فانعم السلطان على الامير بيبرس خلعة ونزل الى بيته في موكب عظيم انتهى ذلك
ثم دخلت سنة سبعماية من الهجرة النبوية فيها كان خليفة الوقت الامام احمد الحاكم
بامر الله وسلطان العصر الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وقاضي قضاته
الشافعية شيخ الاسلام تقي الدين بن دقيق العيد واما الامرا ارباب الوظائف فالامير سلار
المنصوري نائب السلطنة والامير بيبرس المنصوري دوادار كبير والامير سنقر الاعسر
وزيرا والامير لاجين استادار والامير عز الدين ايدمر نقيب الجيوش المنصورة والامير
بيبرس انوش الشمسي حاجب الحجاب والامير ناصر الدين بن الشيخ واليا بالقاهرة
وبقية الامرا لم نذكرهم هنا خوف الاطالة ولكن سياتي ذكرهم في مواضعه **واما** من
ارباب الوظائف من المتعممين فالقاضي محيي الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف والقاضي
بها الدين بن الحلي ناظر الجيوش المنصورة والقاضي كريم الدين بن السديد ناظر الخواص
الشريفة وكان شاعر الوقت يوميذ الشيخ صدر الدين بن الوكيل وكان من فحول الشعرا
وله شعر جيد في شعره ولطف الرقيق وهو قوله من قصيدة خمرية

عناصر اربع في الكاس قد جمعت ۝ دقوتها الفلك السيار والشهب
ماء ونار هواء ارضها قدح ۝ وطوقها فلك والانجم الحبب
وان انظب وجهها حين تلبسه لي ۝ فعند بسط الموالي يحفظ الادبا

ومن الحوادث في هذه السنة ان الملك الناصر محمد بن قلاوون رسم لليهود بان
يلبسوا عمايم صفر والنصارى عمايم زرق والسمرة عمايم حمر واشهر النداء بذلك في القاهرة
وكان سبب ذلك ان شخصا مغربيا كان جالسا بباب القلعة فدخل عليه بعض كتاب
الديوان وهم بعمايم بيض فقام اليهم ذلك المغربي وبالغ في تعظيمهم وظن انهم من المسلمين
فقيل له ان هولاء من اقباط النصارى وهم على دينهم فقام ذلك الرجل المغربي ودخل الى
السلطان الملك الناصر وناصحه في الكلام في تغيير زي اهل الذمة ليمتازوا عن
المسلمين ويقل اذاهم ويعرف المجرمون بسيماهم فاجابه الملك الناصر بذلك وامر باشهار
النداء في القاهرة فامتثلوا امره ولبسوا ما امروا به فلما اصبحوا وهم في ذلك الزي
فانشد في هذه الواقعة الشيخ شمس الدين الطيبي بسبب اختلاف الوان عمايمهم وهو قوله

تعجبوا للنصارى واليهود معا ۝ والسامريين لما عمموا الخرقا
كانما بات بالاصباغ منسهلا ۝ نسر السما فاضحى فوقهم درقا

وفي اثناء هذه السنة جاءت الاخبار بحركة التتار وقد وصل اوايلهم الى الفرات فجمع
السلطان الامرا وضربوا مشورة في ذلك الخبر فقال السلطان للامرا انتم تعلموا اني رجعت
مكسورا من التتار تلك المرة ونهب جميع بركي وذهبت الاموال ولم يبق في بيت المال شي
لا دينار ولا درهم فمن اين انفق على العسكر فاتفق راي الامرا على ان يوزعوا النفقة على البياتر
واعيان التجار وسائر الناس ثم ندبوا الى ذلك الامير سنقر الاعسر دوزير الديار المصرية
فشرع في استخراج الاموال من الناس فحصل من ذلك فوق مايتي الف دينار ثم ان السلطان
نفق على العسكر وخرج من القاهرة قاصدا نحو البلاد الشامية فلما ان وصل الى غزة جاءت
الاخبار من حلب بان نايب حلب كسر التتار كسرة قوية ورجعوا الى بلادهم هاربين فلما بلغ
السلطان رجع الى القاهرة من غزة وكان سبب رجوعه قبل ان العسكر تغلبوا عليه هناك
وقصدوا منه نفقة ثانية لاجل قلة التبن والشعير فانه كان لا يوجد ثم ان السلطان عين
من الامرا بكتمر السلحدار وجماعة من الامرا بان يتوجهوا من غزة الى حلب ويقيموا بها الى
ان يظهر ما يكون من امر التتار ثم ان السلطان رجع الى القاهرة ودخل في موكب عظيم
وطلع الى القلعة وانقضى ذلك الامر **ثم دخلت** سنة احدى وسبعماية فيها توفي
الخليفة الامام احمد الحاكم بامر الله وكانت وفاته في ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاول
من سنة احدى وسبعماية وكان قدومه من بغداد في سنة تسع وخمسين وستماية
وذلك في دولة الملك الظاهر بيبرس البندقداري واقام في الخلافة نيفا واربعين
سنة وهو اول الخلفا بني العباس بمصر ولما مات دفن بمشهد السيدة نفيسة رضي الله
عنها وبنيت له هناك قبة وقد تقدم ذكر ذلك عند تراجم الخلفا العباسية ولما مات
الامام احمد تولى من بعده ابنه المستكفي بالله ابو الربيع سليمان وهو ثاني الخلفا من بني
العباس بمصر واليه تنسب الخلفا الى الآن بمصر **ثم دخلت** سنة اثنين وسبعماية
فيها جاءت الاخبار بان اميرا من امرا القان غازان يقال له قطلو اشاه قد دخل الى حلب
على حين غفلة من اهلها ومعه طايفة من عسكر التتار وذكروا ان بلادهم قد امحلت
هذه السنة وقصدهم الاقامة بحلب حتى يبشروا اهلهم بمقل وكل ذلك حيل وخداع
ثم بعد ايام دخلت منهم طايفة نزلوا بالمرعش فارسل نايب حلب بكاتب السلطان بذلك
فلما جاء هذا الخبر عين السلطان جماعة من الامرا المقدمين عدتهم ستة من الامرا وعين
الف مملوك من المماليك السلطانية فخرجوا من القاهرة على الفور مسرعين فلما وصلوا
الى غزة تواترت الاخبار بوصول غازان الى الرحبة وان نايب الرحبة تلطف به
وارسل له الاقامات مع ولده ومنعه من محاصرة المدينة فلما ان بلغ السلطان ذلك
احضر الامير سلار النايب والاتابكي بيبرس الجاشنكير وضربوا مشورة في ذلك
فاشاروا على السلطان بالخروج قبل ان يتمكن العدو من البلاد فنادى السلطان في جميع
اماكن القاهرة للعسكر بالرحيل من كبير وصغير ثم ان السلطان احضر جماعة من
عربان الشرقية ومن عربان الغربية ونادى بالنفير عاما وخرج مسرعا على جرايد الخيل

وكان معه الخليفة المستكفي بالله ابو الربيع سليمان والقضاة الاربع وسائر الامرا والعسكر
من كبير وصغير فلما رحلوا من الريدانية تقدم الاتابكي بيبرس الجاشنكير مع جماعة من العسكر
قدام السلطان فلما وصلوا الى الشام جاءت الاخبار بان جاليش غازان قد وصل الى قرب
حماه فارسل الاتابكي بيبرس يستحث السلطان في سرعة الحضور فجد السلطان في
السير حتى وصل الى الشام في مستهل شهر رمضان من السنة المذكورة ثم ان السلطان لم
يقم بالشام وبرز الى قتال عسكر غازان فكان مع السلطان من العساكر المصرية والشامية
وعربان جبل نابلس نحو مايتي الف انسان وكان مع غازان مثل ذلك او اكثر فتلاقوا
على مرج راهط تحت جبل غباغب فكان بين الفريقين هناك وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها
فيما تقدم من الزمان فكانت النصرة يومئذ للملك الناصر محمد بن قلاوون على القان
غازان فقتل من الفريقين ما لا يحصى عددهم واسر من عسكر غازان نحو الثلث وقتل من
امرا مصر الامير حسام الدين لاجين استادار العالية والامير اوليا ابن قرمان والامير
سنقر الكافري والامير ايدمر الشمسي القشاش والامير اقوش الشمسي الحاجب
والامير عز الدين ايدمر المنصوري الشهير بالرفا والامير عز الدين نقيب الجيوش المنصورة
والامير علاء الدين ابن التركماني والامير حسام الدين علي بن باسل والامير سيف الدين
بهادر الدكاجكي حق الاغير من قتل من امرا الشام ودمشق وحماه وحلب وطرابلس وغزه
وغير ذلك من الامرا وقتل من المماليك السلطانية والامرا نحو الف وخمسماية مملوكا هذا
خارجا عن العربان والمشاة والغلمان والعبيد وغير ذلك فلما دخل الليل حالت الظلمة
بين تلك العسكرين فانحاز عسكر غازان الى اعلا الجبال وباتوا يوقدون النيران وبات
عسكر السلطان محدقين بهم كالحلقة فلما لاح الصباح من يوم الاحد رابع شهر رمضان
فعاينوا عسكر التتار الهلاك من العطش والجوع فصاروا ينحدرون في الاودية اولا
باول فحملوا عليهم عسكر السلطان فضربوهم ضربا واسروا منهم ما شاؤا فامتلات من قتلاهم
التتار وامحوا كما قال فيهم القايل في المعنى

> مشوا فلما بقي الاعضا فيهم ۞ بارجلهم باء دوسهم عثار
> اذا فاتوا السيوف تناولتهم ۞ باسياف من العطش القفار

فلما حصلت هذه النصرة للملك الناصر محمد فارسل الامير يكتوت الفتاح باخبار
هذه النصرة الى الديار المصرية ثم ان السلطان رحل من المكان الذي وقعت فيه الوقعة
ودخل الى دمشق وصحبته الخليفة المستكفي بالله سليمان والقضاة الاربع فنزل بالقصر
الابلق وكان يوم دخوله الى دمشق يوما مشهودا لم يسمع بمثله وزينت له دمشق
زينة عظيمة فاقام بدمشق اياما ثم قصد التوجه لمصر فوصل الى القاهرة في ثالث عشرين
شوال من سنة اثنين وسبعماية فكان دخوله الى القاهرة يوما مشهودا والاسارى من
عسكر التتار قدامه وهم في زناجير حديد وصناجق غازان منكوسة وطلاعيه معكوسة

فشق السلطان من القاهرة وطلع الى القلعة وقد غنم العسكر من التتار لما انكسروا اشيا
كثيرا من خيول وسلاح وقماش وغير ذلك من الغنايم وكانت هذه النصرة على غير القياس
فان غازان كسر الملك الناصر قبل ذلك كسرة قوية ونهب جميع ما كان معه ومع العسكر
من خيول وسلاح وبرك وغير ذلك مما تقدم فكان كما قيل في المعنى

> فيوم علينا ويوم لنا ۞ ويوم نساء ويوم نسر

ومن الحوادث في هذه السنة ان في الثالث والعشرين من ذي الحجة وقعت زلزلة
عظيمة بالديار المصرية وساير اعمالها وكان قوة عملها بثغر الاسكندرية فهدمت
سورها والابراج وهدمت جانب المنار وطغى ماء البحر المالح حتى غرق البساتين واما
الديار المصرية فهدمت اكثر جدران الجامع الحاكمي وهدمت مادنة المدرسة المنصورية
ومادنة جامع الظاهر الذي في الشوايين وهدمت مادنة جامع الصالح الذي عند باب
زويله وهدمت جانب من حيطان جامع عمرو بن العاص وقد تشقق من هذه الزلزلة الجبل
المقطم وخرجوا الناس الى الصحرا وظنوا انها القيامة واقامت هذه الزلزلة تعاود الناس مدة
عشرين يوما وسقطت الدور على الناس وهلك تحت الردم من الناس ما لا يحصى وقيل
ان شخصا كان يبيع اللبن فسقطت عليه داره فظنوا الناس انه قد مات فاقام تحت
الردم ثلاثة ايام بلياليها فلما شالوا عنه الردم فوجد وابه الروح وقد تصلبت عليه
اخشاب الدار فسلم وكان معه جرة فيها لبن فوجدت معه كما هي سالمة وفيها اللبن وكانت
هذه الزلزلة في قوة الحر فجاء عقيبها ريح اسود فيه سموم تلفح حتى اغمى على الناس منها
وقيل كانت هذه الزلزلة متصلة الى دمشق والكرك والشوبك وصفد وغالب البلاد
الشامية وفي ذلك يقول بعضهم

> زلزلت الارض فخاف الورى ۞ وابتهلوا الى العزيز الحكيم
> فليذكروا مع خوفهم قوله ۞ زلزلة الارض شي عظيم

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعماية فيها خرج الامير بيبرس الدوادار لعمارة ما تهدم
من الابراج والاسوار بمدينة الاسكندرية بسبب ما حصل من الزلزلة فكان عدة ما سقط
من الابراج سبعة عشر برجا وستة واربعون بدنة ثم ان جماعة من الامرا التزموا بترميم
ما انهدم من الجوامع بالديار المصرية بسبب الزلزلة واصرفوا على ذلك من اموالهم وفي هذه
السنة جاءت الاخبار بموت القان غازان الذي جرى منه ما تقدم ذكره وكان غازان هذا
من اولاد هلاكو الذي جرى منه في بغداد ما جرى وقيل ان غازان مات مسموما سمته
زوجته في منديل الفرش وكان موته بالقرب من همدان وحمل الى تبريز ثم دفن بها وكان اخذ
في اسباب جمع عساكر وقصد بان يزحف على البلاد الشامية فكفى الله المومنين القتال وفي
ذلك يقول الشيخ علاء الدين الوداعي شعر

> قد مات غازان بلا علة ۞ ولم يمت في السنة الماضية

بل شنعوا عن موته فاتلني * جاء لكن هلع الفاضية

ثم دخلت سنة اربع وسبعماية فيها حضر الى الابواب الشريفة صاحب دنقلة من اعمال الصعيد وكانت صحبته هدايا جليلة من رقيق وجمال وابقار حبشية وغير ذلك فاخلع عليه السلطان خلعة وانزله بدار الضيافة ثم وفيها كانت وفاة قاضي القضاة الشافعي شيخ الاسلام تقي الدين ابن دقيق العيد رحمة الله عليه وكان عالما فاضلا بارعا في العلوم وكان من طلبة الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكان له نظم له رقيق فمن ذلك قوله في نوع الجناس التام

تهيم نفسي طربا عندما * استلمح البرق الحجازيا
ويستخف الوجد عقلي وقد * لبست اثواب الحجا زيا
يا اهل انفضي من منى حاجتي * واخر البذل المها ديا
وادنوي من زمزم تهى لي * الذمن ريق المها ريا

ثم دخلت سنة خمس وسبعماية فيها ابتداء الاتابكي بيبرس الجاشنكير بعمارة خانقاته التي برحبة باب العيد قبالة الدرب الاصفر وكتب له الشيخ شرف الدين ابن الوحيد مكتوبة بالذهب في سبعة اجزاء في ورق قطع البغدادي بقلم الشعر فصرف على اجرة نسخها الف وسبعماية دينار فكتبها بيبرس هذه الخانقاه التي انشاءها فكانت هذه الختمة من محاسن الزمان واودعها بها ثم دخلت سنة ست وسبعماية فيها وقع الغلا بالديار المصرية وتحطت الغلال واشتد سعرها وماجت الناس على بعضها وعز الخبز من الاسواق وبلغ ثمن الرغيف درهم فضة فاقام الامر على ذلك مدة يسيرة ثم تراجع الحال قليلا قليلا الى ان انحط السعر وظهرت الغلال وفيها توفي الشيخ الزاهد العارف بالله تعالى سيدي ياقوت العرشي رضي الله عنه ودفن بنواحي الاسكندرية وفيها توفي الشيخ زين الدين الفارقي وتوفي الشيخ صدر الدين بن الوكيل صاحب الاشعار اللطيفة وتوفي الشيخ ضياء الدين الطوسي شارح الحاوي ثم دخلت سنة سبع وسبعماية وفيها وقع بين السلطان وبين الامير سلار نايب السلطنة وتادت بينهما الفتنة وكثر بينهما القال والقيل ودبت بينهما عقارب التشاحن ثم ان في يوم الاثنين عمل السلطان الموكب وقبض في ذلك اليوم على جماعة من الخاصكية الذين هم من عصبة الامير سلار النايب وهم بيبغا التركماني وطاي تمر المرامي وبيتمر الفارسي ثم رسم لهم السلطان بان يتوجهوا الى القدس فعز ذلك على الامير سلار وفيها اظهر صاحب اليمن وهو الملك المويد هزبر الدين داود المخالفة للسلطان وصنع ما كان يرسله في كل سنة من الهدية والتقادم الى السلطان فعز ذلك على الملك الناصر وعين له تجريدة وشرع في عمارة مراكب تسمى جلبات وعين جماعة من الامرا والمماليك السلطانية فلما شرع في ذلك تدخل الشتا فانهمل هذا الامر وبطل ثم في سنة ثمان وسبعماية فيها جاءت الاخبار من حلب بحركة التتار فلما بلغ السلطان ذلك فعين تجريدة وبها جماعة من الامرا المقدمين وهم الامير جمال الدين اقوش الموصلي المسمى قتال السبع

وهو صاحب

وهو صاحب القيط المنسوب اليه والامير شمس الدين الذكر السلحدار وعين معهما جماعة من الامرا الطبلخانات والعشراوات والمماليك السلطانية ورسم لهم بان يتقدموا ويقيموا في مدينة حلب الى ان يصير من امر التتار ما يكون فلما شرعوا في امر السفر وهموا بالخروج الى حلب فجاءت الاخبار من عند نايب حلب بان التتار وقع بينهم خلف ورجعوا الى بلادهم فبطل امر التجريدة ثم ان السلطان اظهر بانه يحج في تلك السنة هو وعياله وعمل له برك عظيم فلما كان يوم السبت خامس عشرين شهر رمضان من السنة المذكورة فيه خرج السلطان من القاهرة وصحبته جماعة من الامرا وهم الامير عز الدين ايدمر الخطيري استادار العالية وهو صاحب الجامع الذي في بولاق والامير حسام الدين لاجين قرا امير مجلس والامير ال ملك الجوكندار والامير بلبان المحمدي امير جاندار والامير ايبك الرومي والامير بيبرس الاحمدي وغير ذلك من امرا الطبلخانات والعشراوات والمماليك السلطانية فخرج السلطان من القاهرة وتوجه الى الصالحية فعيد بها عيد الفطر ثم رحل واظهر انه يقيم بالكرك الى ان يخرج المحمل من القاهرة ثم رحل من الصالحية وتوجه الى الكرك فدخل اليها في يوم الاحد عاشر شهر شوال فلما دخل الى المدينة زينت له فلما وصل الى خندق قلعة الكرك وقف حتى مدوا له جسر من الخشب ليعبر عليه فلما ان عبر عليه ومشي فتكاثر واحوله المماليك فانكسر ذلك الجسر الخشب من تحت ارجلهم بعد ان تقدم فرس السلطان بخطوتين فسقطوا المماليك المشاة في الخندق فانصدع منهم جماعة كثيرة ومات منهم واحد في تلك الساعة فلما طلع السلطان الى قلعة الكرك وقام بها اياما فجمع الامرا الذي كانوا معه وصرح لهم بما كان عنده من الكمين في خاطره من الامير سلار والاتابكي بيبرس الجاشنكير ورسم الى الامرا الذين توجهوا معه الى الكرك بان يرجعوا الى القاهرة وانه قد اختار الاقامة بالكرك ثم ان السلطان رسم لنايب الكرك بان ينزل من القلعة هو وجماعته فتحول في الحال ونزل من القلعة بمن كان معه من الرجال واستقر السلطان بقلعة الكرك وكان السلطان قد رسم للامرا الذي بمصر انه اذا خرج المحمل من القاهرة فيلاقونه من العقبة وكان قد رسم لهم انه يحج السلطان يتوجهوا صحبة المحمل وهو يلاقيهم من هناك فلما كان سابع عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة وصحبته حريم السلطان وكان امير المحمل في تلك السنة الامير جمال الدين خضر بك ابن نوكيه فلما وصل الحجاج الى العقبة فارسل السلطان اخذ عياله من هناك والشيخ ومضوا الى الكرك فلما وصلوا الى هناك ورسم السلطان للامرا بالعود الى الديار المصرية واعاد صحبتهم خزاين المال والجنايب والعصايب السلطانية والهجن والكبا بشي المزركش الذي كانوا معه برسم سفر الحجاز وكتب مع الامرا مرسوم يتضمن بان السلطان رغب عن الملك واختار الاقامة بالكرك وان الامرا الذين بالقاهرة يختاروا لهم من يولوه سلطانا ثم ان الملك الناصر خلع نفسه من الملك واشهد عليه بذلك فمضوا الامرا من عنده فلما كان يوم السبت ثالث عشرين شوال دخلوا الامرا الذي كانوا صحبة السلطان في الكرك الى القاهرة فلما بلغ

الامرا الذين كانوا بمصر مجئ الامرا على حين غفلة فركبوا جميعا وطلعوا الى الرملة ووقفوا بسوق الخيل فقرئ عليهم مرسوم السلطان بانه قد رغب عن الملك واشهد على نفسه بالخلع واختار الاقامة بالكرك فلما سمعوا الامرا بذلك تشاوروا في بعضهم وقالوا ان راددنا السلطان في العود الى الملك فنخشى ان لا يجيبنا ويقطع الرسل في البلاد الى ان يعود الجواب الينا بما يكون ثم انفضوا ولم ينتظم لهم حال فلما كان وقت الظهر من ذلك اليوم ركبوا ساير الامرا وطلعوا الى القلعة واجتمعوا في دار النيابة وضربوا مشورة فيمن يولوه سلطانا وكانت الكلمة يوميذ مجتمعة بين سلار نايب السلطنة وبين الاتابكي بيبرس الجاشنكير فطال بينهما الجدال في امر السلطنة فاما الامير سلار فامتنع من السلطنة بكل ما يمكن وحلف على ذلك بالطلاق الثلاث من نسايه فلما جرى ذلك وقع الاختيار على سلطنة الاتابكي بيبرس الجاشنكير وان الامير سلار يكون نايب السلطنة على عادته ثم تحالفوا ساير الامرا على ذلك وانهم يكونوا كلمة واحدة ثم احضروا خلعة السلطنة والفرس الى بيبرس الجاشنكير وتولى السلطنة **فكانت** مدة سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في هذه المدة وهي السلطنة الثانية عشر سنين وايا ما قيل وكان سبب توجه الملك الناصر الى الكرك فانه كان مع سلار النايب وبيبرس الجاشنكير كالمحجور عليه لا يتصرف في شي من امور المملكة الا باختيارهما حتى قيل انه طلب يوما حوزا رميس بدري فمنع من ذلك وقيل له حتى يجي القاضي كريم الدين كاتب الامير بيبرس الجاشنكير فغضب السلطان من ذلك واظهر انه يريد الحج في تلك السنة فلما خرج من القاهرة توجه الى الكرك واقام بها كما تقدم واخذ عياله من العقبة انتهى ذلك وسيعود بعد ذلك الى الملك كما سياتي ذكر ذلك في موضعه ان شا الله تعالى

ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس

الجاشنكير المنصوري وهو الثاني عشر من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية **بويع له** بالسلطنة بعد خلع الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وتلقب بالملك المظفر وركب بشعار السلطنة من الايوان الاشرفي وحملت القبة والطير على راسه ومشت الامرا بين يديه حتى جلس على سرير الملك وباسوا له الامرا الارض ونودي باسمه وضجوا الناس له بالدعا وذلك في يوم السبت بعد العصر ثالث عشرين شوال من سنة ثمان وسبعماية فلما تم امره في السلطنة اخلع على الامير سلار واستقر نايب السلطنة على عادته واخلع على الصاحب ضياء الدين النشاي واستقر به وزيرا واخلع في ذلك اليوم على جماعة كثيرة من الامرا والباشرين حتى قيل انه اخلع في ذلك اليوم اثنين وماتين خلعة ما بين كوامل صمور ومثمرات وغير ذلك **ثم دخلت سنة** تسع وسبعماية فمن الحوادث فيها ان النيل توقف عن الزيادة واستمر الى داخر مسرى ودخلت ايام النسي وهو على ذلك ثم نقص فضجوا الناس وماجوا في بعضهم وانحطت الغلال وارتفع الخبز من الاسواق وضجوا العوام ثم ان السلطان رسم

بكسر السد من غير وفاء فان النيل كان نقص عن الوفا ثلثة اصابع فكسر النيل سابع توت من الشهور القبطية ولم يختلف المقياس لذلك لان التخليق ما يكون الا بالوفا فلما كان سابع عشرين توت نقص النيل جملة واحدة وكان منتهى الزيادة في تلك السنة خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر اصبعا فشرقت البلاد بسبب ذلك وقد قال النصير الحمامي في هذه الواقعة

ان يحبس النيل زفيل الوفا ۞ يحبس للعالم صنع الشفا
فقد كفى من دمعهم ما جرى ۞ وما جرى من نيلهم ما كفى

ثم ان العوام صنفوا كلام وبحثوه وصاروا يغنونه في اماكن المفترجات وغيرها وهو هذا

سلطاننا ركين ۞ ونايبو دقين ۞ يجينا الما من اين ۞ هاتوا لنا الاعرج ۞ يجي الما ويدحرج ۞

وكان الامير سلار اجرد في حنكه بعض شعرات لانه كان من التتر فسمته العوام دقين وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون به بعض عرج فسمته العوام الاعرج وكان السلطان بيبرس الجاشنكير لقبه ركن الدين فسمته العوام ركين فلما فشى بين الناس هذا الكلام فبلغ السلطان بيبرس فرسم بقبض جماعة من العوام نحو ثلثماية انسان فضرب منهم جماعة بالمقارع واشهرهم في القاهرة وامر بقطع السن جماعة منهم ثم ان السلطان بيبرس بلغه عن بعض الامرا انهم قد كاتبوا الملك الناصر وهو بالكرك فقبض على جماعة منهم ونفاهم الى ثغر الاسكندرية وقبض على جماعة من المماليك السلطانية ونفاهم نحو قوص وكانوا نحو ثلثماية انسان فلما وقع ذلك من الملك المظفر نفرت منه قلوب الرعية من الترك والعوام واختار كل احد من الناس عود الملك الناصر محمد ثم صاروا جماعة من المماليك الناصرية ينسحبون تحت الليل ويتوجهون الى عند الملك الناصر بالكرك ويتركون بيوتهم واولادهم فلما بلغ الملك المظفر بيبرس ذلك فارسل الى الملك الناصر محمد الامير مغلطاي والامير قطلو بغا وعلى يديهما كتاب الى الملك الناصر مضمون تلك المطالعة تهديدا الى الملك الناصر ووعيدا بكل سوء وارسل يقول له ان لم ترجع عن مكاتبتك الى الامرا والا جرى عليك كما جرى على اولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري ونفيهم الى القسطنطينية وانت تعلم ذلك فلا تحوجنا نعمل ذلك كما فعل اخاك الاشرف خليل باولاد الظاهر بيبرس كما تقدم فلما وصلت مطالعة الملك المظفر الى الملك الناصر محمد فاشتد غضبه على الامير مغلطاي وقطلو بغا الذي ارسلهما الملك المظفر فنهر الامير مغلطاي وضربه بالمقارع لانه اغلظ عليه في القول ثم اعتقله هو والامير قطلو بغا في الجب ثم ان الملك الناصر ارسل مكاتبة الى نايب حلب والى نايب طرابلس والى نايب صفد والى نايب حماه وهو يقول لهم فيها لما اشتد علي الضنك من الامرا فخرجت لهم من مصر وتركت لهم الملك ورضيت من الدنيا باحقر المساكن واضيق الاماكن ليستريح خاطري من النكد فما برحوا عني وارسل المظفر يهددني بالنفي الى القسطنطينية مثل اولاد الظاهر بيبرس البندقداري وارسل يطلب مني مال لا اقدر عليه وانتم تعلمون

مالو الذى الملك المنصور عليكم من حق العتق والتربيه وما اظنكم ترمنون لى بهذا الحال تماما
انكم تكفوا عنى اذى هولا الامرا الذين يتعصبون علىّ واما انى اتوجه الى بعض بلاد التتار والتجى
اليهم قبلما يرسلنى الملك المظفر الى بلاد الكفار ثم ان الملك الناصر ارسل الى النواب مطالعة
الملك المظفر الذى ارسلها له بالتهديد له وكان الذى توجه الى النواب بمطالعة الملك الناصر
شخصا يسمى تاج الدين اوزان من ابنا العجم فلما وصلت هذه المطالعات الى النواب فاخذتهم
الحمية الى ابن استاذهم وتعصبوا له وارسلوا يقولوا له متى اردت ان تتحرك الى التوجه الى مصر
فنحن طوع يدك ومماليك ابيك فلما عاد الجواب الى الملك الناصر بذلك فاخذ فى اسباب
التوجه الى مصر فخرج من الكرك ومعه جماعة من العربان فلما وصل الى البرج الابيض من اعمال
البلقا فارسل نايب الشام اقوش الافرم يعرف الملك المظفر بذلك وكان نايب الشام هذا
من عصبة المظفر فلما وقف الملك المظفر على مطالعة نايب الشام فاشتور مع الامير سلار
النايب وعينوا الى الملك الناصر تجريده وعينوا بها من الامرا الامير سيف الدين تكلغار
صهر الملك المظفر والامير عز الدين ايبك البغدادى والامير شمس الدين الدكز السلحدار
والامير اقوش الذى كان نايب الكرك وعين معهم الفين مملوك من المماليك السلطانية
ثم ان الملك المظفر نفق على العسكر المعينين للتجريدة فتجهزوا اليهم فى نحو ثلاثة ايام ثم
خرجوا من القاهرة فى يوم السبت تاسع رجب من سنة تسع وسبعمايه فلما نزلوا الى الصالحية
اقاموا هناك يوما وليلة ثم عادوا الى القاهرة وكان سبب عود الامرا انه ورد كتابا من عند
نايب الشام بان الملك الناصر تسلم الشام ودخل اليها فى موكب عظيم وزينت له وكان
يوم دخوله يوما مشهودا وان جميع النواب دخلوا تحت طاعته ومشوا فى ركابه وهم نايب
طرابلس ونايب حماه ونايب صفد ونايب حمص وكل نايب بعسكره فدخل الى الشام فى
موكب عظيم وكان الامير بهادر المعروف بالحاج بهادر حامل القبة والطير على راسه حتى
بالقصر بميدان دمشق فاحضر اليه السنجرى نايب قلعة دمشق بسماط عظيم ثم ان
الملك الناصر اخلع على الامير اقوش الافرم واقره نايب الشام على عادته واخلع على
الامير اسندمر كرجى واقره نايب طرابلس على عادته واخلع على الامير بكتمر الجوكندار
واقره نايب صفد على عادته واخلع على الامير تمر الساقى واقره نايب حمص على عادته
واخلع على نايب حماه واقره على عادته ثم حضر الامير قرا سنقر المنصورى نايب
حلب وصحبته العساكر الحلبيه فاخلع عليه واقره على عادته فى نيابة حلب ثم لما كان يوم
الجمعة خطب باسم الملك الناصر فى ذلك اليوم على منابر دمشق فلما بلغ الملك المظفر
بيبرس ذلك كله فاضطربت احواله وضاقت عليه الدنيا بما رحبت ونسى حلاوة اللحم
بمرارة الاستان وقد قال القايل فى المعنى

ياطالب الدنيا الدنية انها	شرك الردا وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت فى يومها	ابكت غدا تبا لها من دار

فلما كان يوم الثلاثا سادس عشر شهر رمضان دخل المغز السيفى سلار النايب ومعه جماعة
من الامرا الى عند الملك المظفر بيبرس وقالوا له يا مولانا السلطان ان غالب الامرا والمماليك
السلطانية قد تسحبوا من القاهرة وتوجهوا الى عند الملك الناصر وقد ونم الاخبار على عوده
ومن الراى ان ترسل الى الملك الناصر تساله فى مكان تتوجه اليه انت وعيالك فلعله ان
يجيبك الى ذلك وان لم تبادر الى هذا والا دهمتك العساكر ويهجموا عليك وانت هنا
فقال له الملك المظفر ومن يتوجه الى عند الملك الناصر بهذه الرساله فاشاروا عليه الامرا
بان الامير بيبرس الدوادار الكبير والامير بهادر آص فكتب معهما الملك المظفر كتابا الى
الملك الناصر وهو يترقق له فيه ويساله بان ينعم عليه بمكان يتوجه اليه هو وعياله اما
الكرك واما صهيون واما حماه ثم ان الملك المظفر احضر القضاة الاربع وخلع نفسه من
الملك واشهد عليه بذلك وجهز ذلك الاشهاد على يد الامير بيبرس والامير بهادر
آص وخرجا من يومهما وتوجها الى الشام **ومن عجايب** الاتفاق ان الساعة التى خلع فيها
الملك المظفر نفسه من الملك كانت هى الساعة التى ركب فيها الملك الناصر من الشام وخرج
قاصدا نحو الديار المصرية فكانت ساعة ودام فيها الملك الناصر فى السلطنة مدة طويله
الى ان مات على فراشه كما سياتى ذكر ذلك فى موضعه فلما توجه الاميرين المذكورين الى
عند الملك الناصر برسالة الملك المظفر فاقام الملك المظفر بعد ذلك اياما وهو على
جمرة نار لا يقر له قرار ثم دخل الى خزاين بيت المال واخذ منها ما قدر عليه من الاموال
والسلاح والتحف وعين معه من المماليك الذين هم مشترواته سبعماية مملوكا واخذ صحبته
الامير بكتوت الفتاح والامير ايدمر المعروف بالخطيرى والامير قجماس فلما كان يوم
الاربعا سادس عشر رمضان نزل الملك المظفر من القلعة بعد العشا من باب القرافه واخذ
معه من الاصطبل السلطانى ثلاث طوايل خيل من الخيول الخاص فلما بلغ العوام نزوله من القلعة
فتجمعوا ووقفوا له عند باب القرافه ورجموه بالحجارة والمقاليع وسبوه سبا قبيحا
فلولا انه اشغلهم بشى من الفضة نثرها لهم والا كانوا قتلوه لا محالة فانه كان قد تخشى
فى حق العوام وشوش على جماعة منهم كما تقدم ذكر ذلك فلما خلص منهم توجه من على بركة
الحبش الى نحو اطفيح وقصد التوجه الى نحو اسوان فلما اصبح الصباح فاشيع هروب الملك
المظفر ونزوله من القلعة فلما جرى ذلك دخل الامير سلار النايب وختم على خزاين بيت
المال واطلق من كان مسجونا من الامرا فى الابراج بالقلعة ثم انه ارسل كاتب الملك الناصر
بما جرى من امر الملك المظفر بيبرس وارسل كتابا بهذه الواقعه على يد الطنبغا الجمدار ولما
كان يوم الجمعة خطب باسم الملك الناصر على منابر القاهرة قبل دخوله اليها هذا ما
كان من اخبار الملك المظفر بيبرس **واما ما كان** من امر الملك الناصر فانه لما خرج من الشام
ووصل الى غزه فلاقاه الامير بيبرس الدوادار والامير بهادر آص الذى ارسلها الملك المظفر
فقدموا اليه مطالعة الملك المظفر والخلع الذى اشهد به على نفسه فلما راى ذلك الملك

الناصر ففرح بذلك وقال الحمد لله الذي صان الله تعالى دماء المسلمين عن القتال واخلع على ذلك الاميرين الخلع السنية ثم ان الملك الناصر كتب امانا وارسله الى الملك المظفر على يد الامير بيبرس والامير بهادر آص وعادوا الى مصر فوجدوا الملك المظفر قد توجه الى اطفيح فلما راوا ذلك فارسلوا اليه ذلك الامان وهو في اطفيح فكان مدة غيبة الاميرين سبعة ايام ذهابا وايابا الى ان اعاد وا الجواب ثم ان الملك الناصر خرج من غزة وجد في السير فوصل الى بركة الحاج في سلخ شهر رمضان فعيد هناك فخرج اليه الامير سلار النايب وقبل له الارض وكذلك سائر الامرا من الاكابر والاصاغر والقضاة الاربع واعيان الناس ثم ان الملك الناصر صلى صلاة العيد هناك وطلع الى القلعة في موكب عظيم وحملت القبة والطير على راسه وفرشت تحت حوافر فرسه الشقق الحرير من بين الترب الى ان طلع الى القلعة وجلس على سرير ملكه وقد قال القايل

فاستبشرت مصر وهنا بعضها ۰ بعضا بعود تراب الى الاوطان

ذكر عودة الملك الناصر محمد بن قلاوون

الى السلطنة وهي السلطنة الثالثة ثم لما كان يوم الخميس ثاني شوال سنة تسع وسبعماية فيه عمل السلطان الموكب وطلع الى القلعة الخليفة المستكفي بالله سليمان ومعه القضاة الاربع وبايع الملك الناصر بالسلطنة ولبس خلعة السلطنة وهي جبة سودا وعمامة سودا ايضا بزركش وسيف بغدادي تقلد به فجلس على سرير الملك وباس له الامرا الارض من كبير وصغير وهو جالس في الايوان الاشرفي ثم اخلع على سائر الامرا والنواب الذين حضروا امره خلع الاستمرار واخلع على الخليفة المستكفي بالله سليمان والقضاة الاربع وارباب الدولة من اصحاب الوظايف ثم في ذلك اليوم باس الارض امير سلار النايب وطلب من السلطان بان يعفيه من النيابة وان ينعم بالشوبك لانها كانت جارية في جملة اقطاعه فاجابه السلطان الى ذلك واخلع عليه خلعة السفر وخرج من يومه الى الشوبك وكانت مدة نيابته بالديار المصرية احدى عشر سنة واياما وكان مستحقا للسلطنة اكثر من المظفر بيبرس والجاشنكير ولكن كان سلار قانعا بالنيابة وهو نافذ الكلمة وافر الحرمة كثير المال فقنع بذلك عن السلطنة كما قيل في المعنى

۰ اذا امتنعت اشجار المعالي ۰ جناها الغض فاقنع بالشميم ۰

ثم ان السلطان عمل الموكب الثاني واخلع على الامير بكتمر الجوكندار واستقر به نايب السلطنة عوضا عن سلار ثم ان السلطان ارسل الامير بيبرس الدوادار والامير بهادر آص الى الملك المظفر بيبرس وكان قد توجه الى نحو اخميم من اعمال الصعيد فلما اجتمعا به تلطفا معه في القول حتى استخلصا منه ما كان اخذه من بيت المال من الاموال والتحف وكذلك ما اخذه من الخيول الخاص واخذوا منه ما كان معه من المماليك ثم قالوا له ان السلطان يقول لك امضي الى الكرك واقم بها وهو يرسل اليك من هناك عيالك واولادك فقال

المظفر

الملك المظفر السمع والطاعة ثم رحل من يومه وتوجه من هناك من على السويس ثم ان الامير بيبرس الدوادار والامير بهادر آص رجعا الى القاهرة ومعهما الاموال والخيول والمماليك الذين كانوا مع المظفر فلما حضروا الى عند الملك الناصر وبلغه توجه المظفر من السويس الى الكرك فارسل اليه الامير اسندمر كرجي وهو في اثناء الطريق فقبض عليه واحضره الى الابواب الشريفة فطلع الى القلعة بالليل وذلك في ليلة الخميس رابع عشر ذي القعدة فلما طلع الى القلعة فاودعه السلطان في البرج فلما كان صبيحة يوم الخميس وقت الظهر في خلوة فطلبه السلطان فلما مثل بين يديه وبخه بالكلام وعدد له ما وقع منه من القبايح في حقه ثم امر بخنقه بين يديه فخنق بوتر حتى مات وقضى نحبه وذلك في يوم الخميس رابع عشر ذي القعدة من سنة تسع وسبعماية فلما مات ارسله السلطان الى تربته وامر بان يدفن في تربة القرافة فدفن هناك مدة ثم ان بعض الامرا دخل على السلطان بان ينقل ويدفن في خانقته التي انشاها عند الدرب الاصغر بالقرب من خانقة سعيد السعدا فكانت مدة سلطنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير بمصر احد عشر شهرا واياما وكان بيبرس مليح الشكل ابيض اللون اشقر اللحية اشهل العينان وافر العقل حسن السيرة وكان كفوا للسلطنة وكثير البر والخير وله معروف وصدقات انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المظفر بيبرس الجاشنكير وذلك على سبيل الاختصار متهاتمت ثم دخلت سنة عشرة وسبعماية فيها اخلع السلطان على الامير بكتمر الناصري الحاجب واستقر به وزيرا ثم ان السلطان بلغه بان اخو الامير سلار النايب وجماعة من الامرا الذين هم من عصبة الامير سلار يقصدوا الوثوب على السلطان فلما تحقق ذلك بادر وقبض على ذلك الامرا الذين نقل عنهم امر الوثوب وكانوا نحو اربعة عشر اميرا وقبض معهم اخو الامير سلار واودعهم في السجن ثم ان السلطان ارسل يكاتب سلار بما وقع من اخيه وارسل الى سلار بالحضور الى القاهرة ليزول امر القال والقيل من بين الناس ثم ان السلطان ارسل في هذه الرسالة الامير علم الدين سنجر الجاولي وامره ان لم يجي سلار طوعا يقبض عليه ويحضره كرها فاخذ سنجر الجاولي مراسيم السلطان وتوجه الى عند سلار وكان مقيما بالكرك وقيل بالشوبك فلما وصل اليه الجاولي فاجاب الى الحضور فلما حضر فاودعه السلطان في السجن بالقلعة فاقام به اياما واشيع موته وكان اصله من مماليك الملك الصالح علي بن قلاوون وقد تقدم ذكر ذلك في اخبار قلاوون وقيل لما سجن الامير سلار فبعث اليه السلطان من على السماط بطعام فلما مثل بين يدي سلار رفاق ان ياكله ورده على السلطان واظهر الحمق فلما بلغ السلطان منع عنه الاكل والشرب فاقام على ذلك اياما فلما تزايد به الجوع فاكل اخفافه وهو في السجن فلما بلغ السلطان ذلك رق له وارسل يقول له ان السلطان قد رضي عليك فلما قالوا لسلار ذلك فرح وقام ومشى خطوات ثم وقع ميتا من شدة الجوع وكان سلار

موبوع القامة غليظ الجسد اسمر اللون خفيف اللحية له بعض شعرات في حنكه وكان من التتار الخطاى وكان شديد البأس صعب الخلق قوى الغضب وكان لطيف الذات في ملبسه واليه ينسب السلاري الى الآن والمناديل السلارية وقد افتتح اشياء كثيرة في الملبوس وقماش الخيل والة الحرب وهى منسوبة اليه الى اليوم وكان كثير البر والصدقات وله اثار ومعروف وكان في سعة من المال والعيال ما لا يحصى لكثرته ولما مات سلار تولى امر دفنه الامير سنجر الجاولى ودفنه في مدرسته التي عند الكبش ثم ان السلطان احاط على موجود الامير سلار فظهر له من الاموال والتحف ما لا يتيسر بمثله في خزاين الملوك **قال** الشيخ محمد بن شاكر الكتبي وقفت على تواريخ بخط القاضي جمال الدين ابن النويرى تتضمن ما قد اشتملت عليه تركة الامير سلار النايب وهو ما ضبط في اول يوم وهو يوم الاحد سادس عشر جمادى الاولى من سنة عشر وسبعماية فمن ذلك صناديق افرنجى مصفحة بنحاس ضمنها فصوص فمن ذلك فصوص ياقوت احمر بهرمان رطلين وفصوص بلخش رطلين ونصف فصوص من زمرد ذبابي عشرين رطلا فصوص ماس وعين الهر ثلثماية قطعة لولو كبار مدور زنة مثقال كل حبة الى درهم ماية وخمسين حبة ووجد عنده صناديق ضمنهم ذهب عين ماتي الف دينار ومن الفضة اربعماية الف درهم واحد وسبعون الف درهم ثم في يوم الاثنين سابع عشره وجد له من الذهب العين خمسة وخمسين الف دينار ومن الفضة الف الف درهم ومن الفصوص المختلفة رطلان ووجد له مصاغ من ذهب ما بين خلاخل واساور الوزن اربع قناطير مصرى ووجد عنده طاسات فضة واطباق واهوان ذهب وطشوت فضة الوزن ست قناطير ثم في يوم الثلاثا ثامن عشره وجد له من الذهب العين خمسة واربعين الف دينار ومن الفضة ثلثماية الف وثلاثون الف درهم ووجد عنده طلعات فضة للصناجق وقطعا فضة ثلاث قناطير ثم في يوم الاربعا تاسع عشره وجد عنده من الذهب العين الف الف دينار ومن الفضة ثلثماية الف درهم ووجد عنده اقبية حرير عمل الدار قفلون يفرو سنجاب العدة اربعماية قبا ووجد عنده من السروج الذهب ماية سرج والكل مما استر زركش على مخمل احمر ووجد له عند صهره الامير موسى ثمان صناديق لم يعلم ما فيها ووجد له من الشقق الحرير الطرد وحش وغيره الف شقة ووصل صحبته من الكرك من الذهب العين ماية الف دينار ومن الدراهم اربعماية الف درهم ومن الخلع الملونة ووجد عنده من الخيام ستة عشر نوبة وخركاه خشب بغشا اطلس احمر مرقوم بزركش ووجد عنده من الخيول الخاص ثلثماية راس دون الدشار ومن البغال ماية وعشرين قطار ومن الجمال ماية وعشرين قطار هذا كله خارجا عما وجد له من الاملاك والضياع والمعاصر والشون والمراكب والعبيد والخدام والمماليك والجوار وغير ذلك ووجد عنده من الفرش والبسط الرومى ما لا يحصى ووجد عنده من الغلال ثلثماية الف اردب في الشون ومع هذا كله مات

من شدة الجوع في السجن بالقلعة ثم بعد ايام ظهر له مخباه في داره ظهر فيها اكياس ذهب ما يعلم لهم عدة ووجد له في بيت قريب من بيت الخلاء مخباة فيها ذهب عين سكب بغير اكياس ما يعلم له عدد **قيل** كان متحصل الامير سلار هذا في كل يوم اجرة املاكه وضياعه ومستاجراته وحماياته في كل شهر ماية الف دينار ومن العجايب ان الامير سلار اقام في نيابة السلطنة بمصر احد عشر سنة فكيف حوى هذه الاموال العظيمة في هذه المدة اليسيرة والذى يظهر لى انه كان قد ظفر بكنز من كنوز القدما واما انه كان اخذ هذه الاموال والتحف من خزاين بيت المال عند ما توجه الملك الناصر الى الكرك وكان مفاتيح بيت المال بيد سلار ولا يمكن منها الملك الناصر بشى ولكن لما مات سلار رجع كل شى لاصله وقد قال في المعنى رحمه الله

اجهد وانت من الدنيا على حذر ۞ واعلم بانك بعد الموت مبعوثا
واعلم بانك ما قدمت من عمل ۞ محصا عليك وما خلفت موروثا

انتهى ذلك وفي هذه السنة وهي سنة عشرة وسبعماية فيها كانت وفاة الشيخ شمس الدين بن دانيال الحكيم وهو صاحب كتاب طيف الخيال وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله لنفسه في حرفته

يا سايلى عن حرفتى في الورى ۞ وضيعتى فيهم واقلاسى
ما حال من درهم انفاقه ۞ ياخذه من اعين الناس

وفيها توفي الشيخ شمس الدين السروجى شارح كتاب الهداية وكان من كبار الحنفية وتوفي النويرى محدث مكة **ثم دخلت** سنة احدى عشر وسبعماية فيها عظم امر الملك الملك الناصر محمد بن قلاوون حتى جاءت الاخبار من افريقية بلاد الغرب انه قد خطب فيها باسمه على المنابر وكان سبب ذلك ان صاحب افريقية وهو ابو يحيى اللحياني قدم على الملك الناصر في هذه السنة وقال له ارسل معى عسكرا الى افريقية فاذا فتحت المدينة وملكتها فالتزم للسلطان بان اخير نفسى بها نايبا عن السلطان فعين معه السلطان تجريدة نحو ماية مملوك ومعهم امير عشرة فلما توجهوا نحو افريقية فتسامعت بهم العربان واهل النواحي فالتفت عليهم جماعة من العربان والمغاربة فعظم امر ابو يحيى ومشى على بلاد تونس وغيرها من البلاد فحاصر مدينة افريقية حتى فتحها ودخل اليها وعلى راسه الصناجق السلطانية والعساكر المصرية فطرد من كان بها وملكها ابو يحيى اللحياني وخطب فيها باسم الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدم واستمر بها ورجع العسكر الى القاهرة وذلك في شهر رجب من السنة المذكورة **ومن الحوادث** في هذه السنة ان السلطان اخلع على الامير كراى المنصورى واستقر به نايب الشام فاقام بها مدة يسيرة وارسل قبض عليه واعاد الامير اقوش لما توم الى نيابة الشام وكان بالكرك ثم ان السلطان قبض على الامير بكتمر الجوكندار نايب السلطنة بمصر وسجنه واخلع على الامير بيبرس الدوادار المنصورى واستقر به نايب السلطنة عوضا عن بكتمر الجوكندار وفيها جاءت الاخبار من دمشق بان نايب الشام والامير قرا سنقر المنصورى هرب من الشام وتوجه نحو بلاد التتار وقد بلغها

ان السلطان يبرسم القبض عليهما فهربا لاجل ذلك ثم دخلت سنة اثني عشر وسبعماية
فيها حضر وارسل صاحب اليمن وصحبتهم هدايا عظيمة فقبلها السلطان واكرم قصاده
وفيها حضر ملك النوبة الى الابواب الشريفة وصحبته هدايا عظيمة فمن جملة ذلك الرقيق
رقيق وخمسماية جمل وخمسماية بقرة حبشية وفيها قبض السلطان على الامير بيبرس
الدوادار الذي استقر نايب السلطنة وسجنه واستقر بالامير ارغون الدوادار الناصري
في نيابة السلطنة بمصر عوضا عن بيبرس الدوادار ثم اخلع على الامير تنكز الحسامي واستقر
به نايب الشام عوضا عن اقوش الافرم قيل لما تولى الامير تنكز نيابة الشام جعل السلطان
نيابة دمشق اكبر من نيابة حلب وكانت في قديم الزمان نيابة حلب اكبر من نيابة الشام
ثم اخلع على الامير سودون الناصري واستقر به نايب حلب عوضا عن الامير قبجق
المنصوري وفيها عمر السلطان الناصر جامعه المسمى بالجديد الذي عند موردة
الحلفا وكان النيل يجري من تحته صيفا وشتاء قيل لما اراد عمارة هذا الجامع نقل حجارته
من صنم كان عند قصر الشمع يقال له السريه قيل كان مقابل ذلك الصنم الذي عند الاهرام
في بر الجيزة الذي يقال له ابو الهول فقيل عمل من ذلك الصنم قواعد الاعمدة الكبار الذي
في الجامع وفيها عمر السلطان سور الميدان الكبير الذي تحت القلعة وابتدا بعمارة
الميدان الكبير الذي عند موردة الجبس بالزرب من خليج ادى وفيها حضر مملوك
نايب حلب واخبر السلطان بان التتار قد تحركوا على البلاد فلما تحقق السلطان ذلك
فاعرض العسكر ونفق عليهم فتجهزوا احوالهم في سبعة ايام ثم خرج السلطان من القاهرة في
اوايل شهر رمضان وقصد التوجه الى حلب بسبب التتار فلما وصل الى غزه وردت عليه
الاخبار بان التتار بلغهم مجي السلطان فخافوا ورحلوا عن مدينة الرحبة وتوجهوا الى
بلادهم وقد كسرهم نايب الرحبة كسرة قوية فلما تحقق السلطان ذلك قوى عزمه
بان يتوجه من هناك الى الحجاز الشريف وقد سميت هذه الحجة بحجة الكذابة ثم ان السلطان
رد جماعة من الامرا والعسكر الى القاهرة واخذ معه بعض امرا ومماليك سلطانية وتوجه
من هناك الى الحجاز الشريف فلما قضى حجه رجع من هناك الى الشام واقام بها الى اوايل شهر
صفر من سنة ثلاث عشر وسبعماية فدخلها ثالث عشر صفر وكان يوم دخوله الى القاهرة
يوما مشهودا وزينت له المدينة زينة عظيمة وحملت على راسه القبة والطير وفرشت
له الشقق الحرير من البنانه الى القلعة ومشت الامرا بين يديه حتى طلع الى القلعة وكان له
موكب عظيم وهذه هي الحجة الاولى وفي اثنا السنة وهي سنة اثني عشر وسبعماية فيها كانت
وفاة الشيخ نصير الدين الحمامي وكان من فحول الشعرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله

وكدرت حمامي بغيبتك التي ۞ تكدر فيها العيش من كل مشرب
فما كان صدر الحوض منشرحا بها ۞ وما كان قلب الماء فيها بطيب
وقوله رح المحسنى

لي منزل معروفه ۞ ينهل غيثا كالسحب
اقبل ذا العذر به ۞ واكرم الجار الجنب

وفي هذه السنة توفي ابو حياره شارح الشاطبية وكان من اعيان العلما ثم دخلت
سنة ثلاثة عشر وسبعماية فيها سافر السلطان الى نحو بلاد الصعيد بسبب تمهيد البلاد فان
العربان كانوا قد زادوا في الفساد فلما توجه السلطان الى هناك ضيق عليهم حتى هربوا الى الجبال
فماتوا من الجوع والعطش واسر منهم نحو الالف وحملهم الى القاهرة في مراكب وهم في الخشب
فنجى منهم جماعة واستعمل منهم في حفر الجسور وهم في زناجير ولما عاد السلطان من بلاد
الصعيد اقام عند الاهرام في بر الجيزه اياما على سبيل النزهه وكان ذلك في شهر رمضان
فلما قرب عيد الفطر طلع الى القلعة وعيد بها وفي هذه السنة شرع السلطان في روك البلاد
الشامية وهو الروك الناصري فامر باحضار كتاب الجيوش الشامية وحضر نايب غزه
وجماعة من الاجناد الشامية والعزاد به وتكلموا في ذلك وكتبوا المثالات والمناشير
وارسلوها على يد الامير قجليس السلحدار فلما وصل الى الشام سلم الاوراق والمناشير الى
نايب الشام ففرقها على العساكر الشامية وفي هذه السنة تحولت سنة اثني عشر وسبعماية
الخراجيه الى سنة ثلاث عشر وسبعماية الهلالية ثم دخلت سنة اربع عشر وسبعماية
شرع السلطان في عمارة القصر الابلق الذي بقلعة الجبل وهو عبارة عن ثلاث قصور متداخله
في بعضها وهم خمسة قاعات وثلاث مراقد قال بعض المورخين ان الملك الناصر محمد هذا
اول عمارة هذه الثلاث قصور المتداخلة في عشرة اشهر فلما انتهى منه العمل جمع فيه
ساير الامرا حتى القضاة الاربع وقرا فيه ذلك اليوم ختمة ومد به سماطا عظيما وملا
تلك الفسقية التي في القصر الكبير سكرا بماء الليمون فاكل من ذلك السماط الخاص والعام
واحضر السلطان للامرا الغرز فشربوا منه ودفقوا روس النوب على الفسقية بملوة السكر
للناس بالطاسات واخلع السلطان في ذلك اليوم على المعلمين والمهندسين والمرخمين
والنجارين والفعله نحو من الفين وخمسماية خلعة ما بين متمرات وكوامل وخلع واقبيا
وغير ذلك وفرق من الاموال على الفقرا في ذلك اليوم نحو خمسين الف دينار وكان ذلك
اليوم يا للسلطان ذكر ذلك صاحب كتاب زبدة الفكرة في اخبار الملك الناصر ثم
دخلت سنة خمسة عشر وسبعماية فيها جات الاخبار بان تنكز نايب الشام جمع ساير
النواب وتوجه الى نحو ملطية فحاصر اهلها ومن كان بها من الارمن فطلبوا منه الامان ففتحها
بالامان في يوم الاثنين ثاني عشرين المحرم من سنة خمسة عشر وسبعماية وفي هذه السنة
راك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون البلاد المصرية وهو الروك الناصري بعد
الروك الحسامي فزاد عن الروك الحسامي في مواضع وانتقص في مواضع وفي هذه السنة
وهي سنة خمسة عشر وسبعماية فيها كانت وفاة الشيخ شمس الدين محمد بن العفيف وكان
مولده في سنة اثنين وستين وستماية فكانت مدة حياته ثلاث وخمسون سنة وكان

شاعرا ماهرا رقيق الشعر والنظم وله شعر جيد في تغزلات اللطيفة وهو قوله

يا ساكنا قلبي المعنى ● وليس فيه سواه ثاني
لاي معنى كسرت قلبي ● وما التقى فيه ساكنا ثاني

ثم دخلت سنة ستة عشر وسبعماية فيها جرد السلطان العساكر نحو صحراء عيذاب باعالي بلاد الصعيد بسبب فساد العربان فخرج في هذه التجريدة ستة امرا مقدمين والفين مملوك فتوجهوا الى بلاد البجاة وجاوزوا الابار الثلاثة فلم يظفروا باحد من العربان العصاة فرجعوا الى القاهرة من غير طائل وكان قوت العسكر في هذه التجريدة الذرة والماء من الحفاير وكانت العرب في الجبال فلم يظفروا منهم باحد بلوح وفي هذه السنة كانت وفاة الشيخ علاء الدين ابن مظفر الكندي الشهير بالوداعي وكان مولده في سنة اربعين وستماية وتوفي في سنة ستة عشر وسبعماية فكانت مدة حياته ستا وسبعين سنة وكان من فحول الشعرا فمن قوله

لقد سمح الزمان لنا بيوم ● غدا فيه السمين مع السمين
يجمعنا كانا ضرب خيط ● على رفع على رفع على

ثم دخلت سنة سبع عشر وسبعماية فيها جرد السلطان العساكر الى نحو مدينة آمد ٧١٧
فطرقوها على حين غفلة فهرب اهلها منها فملكوها عسكر مصر من غير محاصرة وفي هذه السنة توجه السلطان الى غزه وتوجه من هناك الى زيارة بيت المقدس فزاره ثم توجه الى زيارة الخليل عليه السلام فزاره ثم رجع الى مصر وذلك في جمادى الآخر في السنة المذكورة وفي هذه السنة اوفا النيل في تاسع عشرين ابيب وزاد عن الوفا نصف ذراع فكسر بعد العصر خوفا من قوة عزم الماء وفيها امر السلطان بتوسعة الجامع الذي في القلعة فوسعه وبنا به المادنة الخضرا وزخرفه بالرخام الملون وبنا به القبة الخضرا وقيل انتهى منه العمارة في اربعة اشهر وخمسة وعشرون يوما ثم دخلت سنة ثمانية عشر وسبعماية فيها جرد السلطان العسكر الى نحو برقة بسبب فساد العربان لانهم قد منعوا عنهم الزكاة واظهروا العصيان فجرد اليهم السلطان واخذ اغنامهم وجمالهم وقتل منهم جماعة وهرب الباقون الى نحو بلاد المغرب وفي هذه السنة اجرى السلطان ماء النيل من البحر الى قلعة الجبل وعمل مجراها جارية على قناطر مبنية بالحجر وركز للمياه ابار وجعل عليها سواقي تنقله في عدة اماكن وفي هذه السنة عمر السلطان الحوش الكبير الذي بالقلعة وزرع به بستانا ونقل اليه الاشجار والرياحين من ساير الاماكن حتى من البلاد الشامية ومن مكة وطلع فيه الكادي وجوز الهند وغير ذلك من الفواكه وفي هذه السنة قوي عزم السلطان على ان يحج في تلك السنة وهي الحجة الثانية فحج معه جماعة من الامرا المقدمين اثنا عشر اميرا ومن الامرا الطبلخانات والعشراوات ثلثين اميرا وحج مع السلطان في تلك السنة الملك المويد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه وحج صحبة السلطان من المباشرين القاضي علاء الدين ابن الاثير كاتب السر الشريف والقاضي فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة والقاضي كريم الدين

ناظر الخواص الشريف وغير ذلك من المباشرين فخرج السلطان من القاهرة في تاسع ذي القعدة فجد في السير حتى دخل الى مكة قبل الصعود بثلاثة ايام فكنس مكان الطواف ومسحه بيده ثم صعد الى الجبل وقضى مناسك الحج ونزل الى مكة واقام بها اياما وفرق على الفقرا الذي بمكة جملة من المال وابطل اشياء كثيرة من المكوس التي كانت بمكة ثم توجه الى زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل الى المدينة الشريفة وهو ماشي على اقدامه حافي فلما دخل الى المدينة فرق على فقرا المدينة خمسين الف دينار ثم توجه الى نحو القاهرة فدخلها في اوايل صفر وكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهودا انتهى ثم دخلت سنة تسعة عشر وسبعماية فيها تزوج السلطان بنت ازبك خان صاحب الوصل فحضرت من بلاد الشرق الى مصر في محفة مرقومة بالذهب فطلعت الى القلعة فكان لها يوم عظيم ودخل عليها السلطان وحصلت عنده وفي هذه السنة كانت وفاة الشيخ شهاب الدين محمود ابو الثنا وكان عالما فاضلا ناظما ناثرا وله شعر جيد ونثر رقيق فمن شعره

عربيت سبوا نومي ولم تدر مقلتي ● كما سلبوا قلبي ولم تشعر الاعضاء
وطلقت نومي والجفون حوامل ● فمن اجل ذا في الخد ابقت لنا قرضا

ثم دخلت سنة عشرين وسبعماية فيها جرد السلطان العساكر الى نحو مدينة سيس فطردوا من كان بها من الارمن وملكوها عسكر السلطان واقاموا بها نايب من قبل السلطان ثم رجعوا الى القاهرة وهم في غاية النصرة وفي هذه السنة توفي قاضي القضاة جلال الدين القزويني ثم دخلت سنة احدى وعشرين وسبعماية فيها حجت خوند زوجة الملك الناصر وهي خوند طغاي ام ولده انوك وحج معها القاضي كريم الدين ناظر الخاص وكان امير المحمل في تلك السنة الامير قجليس امير سلاح وجماعة من الامرا العشراوات فخرجت من القاهرة في ثامن شوال وحجت في محفة مرقومة بالذهب وساير صحبتها الكوسات والعصايب السلطانية فحجت ورجعت الى القاهرة في عاشر المحرم فنزل السلطان الى ملتقاها فتلقاها من بركة الحاج ودخلت في موكب عظيم والامرا مشاة قدامها الى قدام محفتها حتى طلعت الى القلعة وفي هذه السنة جرد السلطان العساكر الى نحو قلعة اياس ومدينة سيس وذلك لما رحلوا عنها عسكر السلطان ورجعوا الى القاهرة رجعت اليها الارمن وطردوا النايب الذي كان فيها من قبل السلطان فلما بلغ السلطان ذلك فارسل اليها التجريدة العظيمة فكان بها من الامرا الامير طوجي امير مجلس والامير الماس حاجب الحجاب وهو صاحب الجامع الذي بالقرب من سوق الغنم وبهادر آص والامير سنجر الجمقدار والامير بكتمر العلمي والامير اروبغا الاشرفي وغير ذلك من الامرا العشراوات والفين من المماليك السلطانيه فلما وصلوا الى سيس حاصروها اشد المحاصرة حتى هرب من كان بها من الارمن وقتلوا من اهلها ما لا يحصى عدده وفتحوها بالسيف واخربوا اسوارها وتركوها خاوية على عروشها وزالوا عنها زخرفها ونقوشها وجعلوا بها نايب تدارماه الدهر في النوايب

ومن لسان نايب سيس يقول بعض الشعرا فيه

قالوا اجعلوا فيها لنا نايبا … جيوش سيس قلت راى نعيش

لوان ذا الحكام فى سطلة … ما تركوتى ان ابقى بسيس

ثم رجع العسكر لمصر والقاهرة وتركوا نايب سيس تحت مكتوبة وفى هذه السنة رسم
السلطان الملك الناصر بعمارة ميدان المهارة الذى عند قناطر السباع والزم امير اخور كبير
بعمارته فرمه بالطوب اللبن وانجز العمل منه فى اسرع وقت **ثم دخلت** سنة اثنين وعشرين
وسبعماية فيها تغير خاطر السلطان على القاضى كريم الدين ابن السديد ناظر الخواص الشريفة
فقبض عليه وعلى ولده وقد كان نال من العز والعظمة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون
ما لا ناله جعفر البرمكى فى ايام هارون الرشيد وكان الملك الناصر قد صير له التصرف
فى الخزاين والاموال من غير حرج وكانت الامرا والاعيان يركبون فى خدمته وينزلون معه
الى بيته فلما تغير خاطر السلطان عليه احتاط على موجوده واستصفى امواله وذخايره
ولم يترك له لا قليل ولا كثير وصادر كتابه وغلمانه وحاشيته ثم بعد ذلك نفاه الى نحو
الشوبك هو وولده ثم ان السلطان اخلع على القاضى تاج الدين بن عبد الوهاب واستقر
به ناظر الخواص الشريفه عوضا عن كريم الدين ثم ان السلطان ارسل نقل القاضى كريم الدين
من الشوبك الى اسوان من اعمال بلاد الصعيد فتوجه من هناك وهو مقيد بالحديد وسجن فى
اسوان فاقام فى السجن هناك مدة يسيرة ومات قيل انه عمد الى خشبة وعمل فيها حبلا وشنق
به نفسه فمات وهو بالسجن فى اسوان فلما مات احضر السلطان ولده وعاقبه وقرره على
الاموال والذخاير فاظهر مخباه فى دهاليز بيته فوجد فيها من الذهب العين ما ينى الف
دينار ومن الفصوص والتحف ما لا يحصى هذا بعد ما اخذ السلطان منه فى المصادره
اولا وثانيا فكان كما قيل فى المعنى

احذر مداخلة الملوك ولا تكن … ما عشت بالتقريب منهم واثقا

فالغيث عوتك ان ظميت وربما … ترمى بوارقه اليك صواعقا

حكى بعض المورخين عن القاضى كريم الدين هذا انه شرب فى بعض الايام دوا فجمع كل ورد
كان فى القاهرة ففرش منه فى داره ما قدر عليه حتى دهاليز بيت الخلا وعلى الملاقى وداسوا
منه الناس ما داسوا واخذوا منه ما اخذوا ثم ان العبيد والغلمان اخذ واما فضل من ذلك
الورد فباعوه بخمسة الاف درهم وكان القاضى كريم الدين له بر ومعروف وانشا
جامعا بجزيرة اروى وانشا خانقاه بالقرافة الصغرى واوقف عليها الاوقاف الجليلة
وفيه يقول ابن نباتة

ياكريما قد واتى الاسر بالفعل … وانثنى فى الفضل كل قدير

لا تخف نبوة الحوادث فانه … كريم يحيا كل كسير

وقيل مات القاضى كريم الدين وله من العمر نحو ستين سنة **ثم دخلت** سنة ثلاث
وعشرين سنة وسبعماية فيها ابتدا الملك الناصر محمد بن قلاوون بعمارة خانقاه سرياقوس

قيل ان الملك الناصر راى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام واشار عليه بان يبنى فى هذا
المكان خانقاه فبنا هذه الخانقاه فلما كملت قرر بها الصوفيه ووضع فى هذه الخانقاه ربعة
مكتوبة بالذهب مثل الربعة الذى فى خانقاه بيبرس التى بالبرجاس وجعل فيها حضور
وقرر الشيخ مجد الدين الاقصراى شيخا بها وكان من كبار العلما فلما كملت من العمارة نزل
السلطان الى هناك وعمل بها وليمة عظيمة وحضر فيها القضاة الاربع واعيان الناس
من العلما ثم ان الناس عمروا حول هذه الخانقاه البيوت الجليلة ورغبوا فى سكناها وصارت
مدينة على انفرادها وتزايدت فى العمارة وبنى بها الملك الاشرف برسباى مدرسة عظيمة
وجعل فيها خطبة وبنى فيها الناس عدة مساجد وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون قرر
بهذه الخانقاه جماعة اتابكية قاطنين بها لبس لهم حرفة وفى ذلك يقول المعمار رحمه الله تعالى

قد صار فى الخانقاه عزف … من فعلهم وهو شر عاده

لا يعرفون التقى فيها … الا من يترك الشهادة

ثم دخلت سنة اربع وعشرين وسبعماية فيها حضر الى الابواب الشريفه موسى ملك
التكرور وصحبته هدايا جليلة الى السلطان وسبب توجهه الى مصر انه قصد الحج فى تلك
السنة فحج ورجع الى بلاده وفى هذه السنة رسم السلطان بحفر الخليج الناصرى وسبب
ذلك ان الخليج القديم المسمى بخليج الذكر ان قد تلاشى امره ومما قام السلطان بحفر هذا
الخليج وجعل مبداه من عند موردة الجبس الى ان وصله بالخليج الحاكمى من عند زقاق الكحل
ثم وزع حفره على جماعة من الامرا بالقصبة الحاكمية وسبب ذلك ان الامرا الذى تعاونوا
على حفره كان لهم بلاد تنتفع بالرى من هذا الخليج فوزع السلطان حفره عليهم فاختلفوا
به وحفروه حتى نبع الما من ارضه وانجز منه العمل فى مدة شهرين فلما انتهى واتى اسيا
حفره ارادوا ان يوصلوه بالخليج الحاكمى من على كوم الريش فاشار عليهم شخصا من الصالحين
يقال له الشيخ على الرطلى بان يمشوا من على بركة قرموط فقطعوا به من عند القنطرة العشر
ومشوا به الى الخليج الحاكمى وطلعوا من قبالة زقاق الكحل والى الشيخ على الرطلى تنسب بركة
الرطلى وكان هذا المكان قديما يعرف بارض الطبالة فلما مشى هذا الخليج الناصرى بالما فجا
احيا من خليج الذكر واكثر مياه **قيل** لما اوفا النيل فى تلك السنة ودخل الما الى الخليج
الناصرى كان له يوما مشهودا ونزل السلطان واجتمعوا الامرا يوم كسر سده وفى ذلك
الشيخ شهاب الدين ابن ابى حجله المغربى رحمه الله تعالى

ولرب قطع قال لى وقد … كسر الخليج وجاءها الطوفان

اجرى لنا السلطان بحرا ثانيا … ما لى بحبكم تواهن يدان

وفى هذه السنة ابتدا الامير بكتمر حاجب الحجاب بحفر بركته المعروفة الان ببركة الرطلى
واجرى اليها الما من الخليج الناصرى وعمل لها جسرا بينها وبين الخليج وارض البركه جارية
الى الان فى وقف الامير بكتمر الحاجب انتهى ذلك وفى هذه السنة برزت المراسيم الشريفة

الى نايب حلب بان يروك البلاد الحلبية كما فعل في البلاد الشامية فخرج امير من الامرا المشار
ومعه جماعة من المباشرين بسبب ذلك فتوجهوا من القاهرة الى حلب وراكوا البلاد الحلبية
على حكم البلاد الشامية فجميع البلاد المصرية والشامية والحلبية الآن في الروك الناصري
انتهى ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعماية فيها رسم السلطان بابطال الضرب
بالمقارع من سائر اعمال مملكته وكتب بذلك مراسيم شريفة وقريت على منابر مصر والشام
بابطال ذلك وفي هذه السنة وقع الغلا بمصر وسائر اعمالها وتخطفت الغلال وماجت
الناس على بعضها وفي هذه السنة اجرى السلطان عين ما بمكة وهي العين المعروفة ببير بازان
فحصل لاهل مكة بها غاية النفع وهي الى الآن جارية ويعم نفعها اهل مكة ثم دخلت
سنة ست وعشرين وسبعماية فيها عمل السلطان الموكب وقبض على الامير طشتمر المعروف
بحمص اخضر وقبض على الامير قطلوبغا الفخري فاما الامير طشتمر حمص اخضر فشفعوا
فيه الامرا فافرج عنه السلطان من يومه واما الامير قطلوبغا الفخري فارسله السلطان
الى دمشق بطالا واستمر طشتمر ممقوتا عند السلطان ثم كان شديد الباس ظالم الصورة
وقد قال فيه المعمار رحمه الله تعالى

لما طغى طشتمر واعتدى * تغافل الناس بافواهها
دنا حصاد الحمص المعتدي * ولم تزل مصر بافواهها

وفي هذه السنة عمرت القرية المعروفة بالخربريه من اعمال الغربية وكان سبب انشائها
ان الامير شمس الدين سنقر السعدي نقيب الجيوش المنصورة كانت هذه الارض جارية
في اقطاعه فعمر بها الامير سنقر السعدي جامعا وطاحونا وخانا ثم تزايدت في العمارة
وسكنوا بها جماعة كثيرة من الفلاحين فبلغ خراجها في كل سنة خمسة عشر الف دينار فسمع
بها الملك الناصر فاخذها من الامير سنقر السعدي وصارت من جملة بلاد السلطان وتزايدت
في العمارة حتى صارت بلد كرسي ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعماية فيها توفي الامير
سنقر السعدي نقيب الجيوش المنصورة ودفن في مدرسته التي انشاها عند حدرة البقر
المسمى بالسعدية وفي هذه السنة امر السلطان باحضار القاضي محيي بن فضل الله العمري كاتب
سر الشام فلما حضر اخلع عليه السلطان واستقر به كاتب السر الشريف بمصر وهو الذي
يقول فيه الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري رحمه الله تعالى

يا سايلي عن كاتب السر الذي * تعزى لآلاه الحاسب اواه
هذا الغيث الله محيي الارض من * بعد الممات وذاك فضل الله

ومما يحكى عن القاضي محيي الدين هذا انه كان اذا دخل على الملك الناصر في وقت العلامة
ويجمع ما فيها من الرمل الذي يتناثر من العلامه بحضرة السلطان فيجمع ذلك كله ولا
يرمي منه شيا ويضعه في قرطاسه التي لنفسه ويقول هذا رمل سعيد لا يرمى منه شيا
وفي هذه السنة حضر صاحب حماه وهو الملك المؤيد عماد الدين وصحبته هدايا جليلة

وتقادم

وتقادم عظيمة فاكرمه السلطان غاية الاكرام واقام بالقاهرة اياما ثم توجه الى بلاده
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعماية فيها برزت المراسيم الشريفة ببنا قناطر على الخليج
الناصري الذي حفره السلطان فبنى قنطرة عند الميدان الكبير بموردة الجبس وبنى
قنطرة تعرف الآن بقنطرة قديدار قيل ان الامير قديدار كان مشرفا على عمارتها فنسبت
اليه وبنى قنطرة بظاهر باب البحر وبنى قنطرة عند بركة قرموط تعرف الآن بقنطرة الفخر
وبنى قنطرة عند بركة الرطلي تعرف الآن بقنطرة الحاجب كان مشرفا على عمارتها فنسبت
اليه وبنى قنطرة عند زقاق الكحل تعرف الآن بالقنطرة الجديدة ثم تولا القناطر في الانشا
الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعماية فيها حفر
السلطان الملك الناصر البركة الناصرية المنسوبة اليه المجاورة للميدان الكبير واجرى
اليها الما من الخليج الناصري وفي هذه السنة اخرج السلطان ولده الامير احمد الى نحو مدينة
الكرك ورسم له بان يقيم بها ورتب له شي عظيم وتوجه الى هناك ثم دخلت
سنة ثلاثين وسبعماية فيها عمر السلطان القصر الكبير الذي بالميدان عند البركة الناصرية
وعمل تحته بستانا عظيم وكان ينزل الى هناك ويقيم ومعه الحريم ويركب من هناك الموكب
الجليلة ويطلع الى القلعة والامرا بين يديه بالشاش والقماش والعسكر مشاة بين يديه
حتى يطلع الى القلعة وفي هذه السنة رسم السلطان بهدم الايوان الاشرفي الذي كان بالقلعة
فهدمه وبناه على هذه الصفة الموجودة الآن وعقد فوقه هذه القبة العظيمة وكان
يعمل فيها الموكب ويجتمع به الامرا ويكثر فيه الزحام من العسكر حتى قال فيه بعض الشعرا

ما كان يكفي حرد الايوان * حتى ازداد قبته
وكانني فيه حروفا سوى * ومن فوقه مكبته

وفي هذه السنة هدم السلطان دور الحرم التي كانت بالقلعة وانشاها عمارة جديدة
وتناهى في بنائها وفي هذه السنة حضر الى الابواب الشريفة المقر السيفي تنكز نايب
الشام يزور السلطان فانزله في الميدان الكبير عند الناصرية وبالغ في تعظيمه واكرامه
وحضر صحبته تقادم عظيمة الى السلطان والامرا ثم دخلت سنة احدى وثلاثين
وسبعماية فيها رسم السلطان بان يعمل للكعبة الشريفة بابا جديدا من الخشب الصنط
الاحمر فعمل وصفح فوق الخشب بصفايح من الفضة فكان زنتها ثلاثون الف درهم فلما
قلع الباب العتيق وزنوا ما كان عليه من الفضة فكان زنتها ستون رطلا فانعم به الملك
الناصر على بني شيبة خدام البيت الشريف فتقاسموه بينهم وهذا الباب كان قد عمله
الخليفة العباسي الملقب بالمستكفي بالله في سنة اثنين وخمسماية ثم دخلت سنة
اثنين وثلاثين وسبعماية فيها شرع السلطان في التوجه الى الحجاز الشريف وهي الحجة الثالثة
فيها خرج من القاهرة في سابع شوال وكان سبب هذه الحجة ان السلطان لما عمل هذا الباب
الجديد للكعبة فقصد ان يضعه على باب الكعبة بحضرته في تلك السنة فكانت

غيبة السلطان في هذه السفرة الى الحجاز ذهابا وايابا اربعة وخمسون يوما لا غير وممـا
وقع للسلطان الملك الناصر في هذه الحجة ان صهره الامير بكتمر الساقي الاتابكي لما
حج معه هو وولده الامير احمد فلما قضوا حجهم ورجعوا مرض الاتابكي بكتمر في اثنا الطريق
فلما وصل الى عيون القصب فثقل في المرض ومات هناك ودفن بعيون القصب وكانت
وفاته في ثاني المحرم من سنة ثلاث وثلاثين وسبعماية ثم مرض ولده الامير احمد ايضا ومات
بنخل ودفن بها ثم بعد مدة نقل الاتابكي بكتمر وولده الامير احمد الى القاهرة ودفنا في الخانقاه
التي انشاها بالقرافة الصغرى بالقرب من الجبل المقطم وكان الامير بكتمر اصله من مماليك
الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فلما مات الملك المظفر اخذه الملك الناصر محمد من جملة
موجوده فحظي بكتمر عند الملك الناصر حتى جعله ساقيا ثم صار بريدا في دولة الملك
الناصر حتى بقي اتابك العساكر ثم ان الملك الناصر زوج الاتابكي بكتمر باخته بنت
الملك المنصور قلاوون وكان الملك الناصر ينزل الى بيت الاتابكي بكتمر ويتنزه عنده
وينام في بعض الاوقات حتى يتنزه على بركة الفيل فان الامير بكتمر كان ساكنا في البيت
الذي بالقرب من مدرسة الجاولية فصار الاتابكي بكتمر صاحب الحل والعقد في
دولة الملك الناصر ولا يتصرف الملك الناصر في شي الا بعد مشورة الاتابكي بكتمر
وكان لا يهدا للملك الناصر شيا من التقادم الا ويهدا للاتابكي بكتمر مثله واحسن
منه فكثرت اموال الاتابكي بكتمر حتى قيل كان في اسطبله ماية سطل نحاس بيد ماية
سايس وتحت يد كل سايس طوالة خيل من الخيول الخاص وحوى من الاموال والجواهر
والتحف ما لا يحوي به قبله احد من الناس فلما ثقل امره على الناصر فلم يتمكن من القبض عليه
فلما حج معه بلغ الملك الناصر ان الاتابكي بكتمر يقصد قتله في طريق الحجاز ويتسلطن
من هناك فبادر اليه الملك الناصر ودس عليه من اسقاه سما هو وولده الامير احمد
ابن اخت الملك الناصر فماتا وهما في اثنا الطريق راجعين كما تقدم ذكر ذلك **قال**
بعض المورخين لما مات الاتابكي بكتمر بعيون القصب احتاط الملك على موجوده الذي
معه بطريق الحجاز فوجد معه خمسماية تشريف ما بين خلع اطلس ومقترحات وكوامل
وغير ذلك ووجد معه عدة قيود وزنجيرات خوشبانات فعند ذلك تحقق الملك
صحة ما نقل عن الاتابكي بكتمر في امر انه قصد قتل السلطان هناك وكان الاتابكي بكتمر
يغلظ على السلطان في القول اذا راى منه الجور في حق الرعية وكان يحجر عليه في ذلك
وكان السلطان يرجع الى قول الاتابكي بكتمر في غالب الامور ولا يخالفه في شي اذا صمم
عليه **وكان** صفة الاتابكي بكتمر ابيض اللون مشرب بحمرة اسود اللحية معتدل القامة
وافر العقل حسن العبارة في كلامه عليه سكينة ووقار وكان قليل الاذى في حق الرعية
وله بر ومعروف فمن ذلك اثر انشا خانقاه بالقرافة الصغرى بالقرب من الجبل المقطم
وقرر بها صوفية وحضور واوقف عليها اوقافا كثيرة ووضع بها ربعة عظيمة مكتوبة

كلها

كلها بالذهب قيل ان مصروفها نحو الف دينار وهي موجودة الى الآن وكان بهذه الخانقاه
حماما وفرنا وطاحونا وساقية وجنينة وكان بها جماعة من الصوفية قاطنين بها وكان له
اثار كثيرة بمصر والشام فلما مات الاتابكي بكتمر قرب السلطان الامير قوصون ورقاه
قيل انه انعم عليه بزردخانة الاتابكي بكتمر فقوم ما فيها من السلاح وغيره فكان نحو ستماية
الف دينار ثم ان السلطان زوج الامير قوصون باحدى بناته ولم يزل قوصون يرقا
في ايام الملك الناصر حتى فاق الاتابكي بكتمر في ايامه **قيل** وقع يوما بين الاتابكي
بكتمر وبين الامير قوصون تشاجر فقال قوصون للاتابكي بكتمر انا ما نقلت من الاطباق
الى الاسطبلات بل اخذني السلطان من شخص تاجر كنت في خدمته فاتفق ان في ذلك
اليوم توفي واحد من الخاصكية الثقال فانعم علي السلطان باقطاعه وبركه وبيته وصرت
خاصكيا في ذلك اليوم وسبب ذلك ان التاجر الذي كنت عنده لما قال له السلطان
بعني هذا المملوك فقال التاجر هو حر لوجه الله تعالى فاخذني السلطان برضاي ولم
انقد في طبقة ولم اكن تحت حكم اغا ولم اباع مثل بقية المماليك فلما سمع الامير بكتمر ذلك
سكت عنه ولم يجبه من ذلك بشي انتهى ذلك وفي اثنا هذه السنة وهي سنة ثلاث
وثلاثين وسبعماية فيها حضر الى الابواب الشريفة الامير مهنا ابن الامير عيسى من
عربان آل فضل واحضر معه تقادم عظيمة للسلطان فاخلع عليه واقره على حاله **ثم** ان
فضل **ثم دخلت** سنة اربع وثلاثين وسبعماية فيها حضر الى الابواب الشريفة
المقر السيفي تنكز نايب الشام وكان يزور السلطان في كل سنة مرة وصحبته الهدايا
والتقادم فلما حضر انزله السلطان في الميدان الكبير الذي عند بركة الناصرية وبالغ
السلطان في اكرامه وتعظيمه وكان ذلك آخر اجتماعه بالسلطان وهو في عزة وعظمة
ودنياها اسعد فاقام بالقاهرة ثم توجه الى الشام فاخلع عليه السلطان خلعة عظيمة
ونزل من القلعة في موكب عظيم والامرا في خدمته حتى رحل من القاهرة **ثم دخلت**
سنة خمس وثلاثين وسبعماية فيها افرج السلطان عن جماعة من الامرا الذين كانوا في السجن
بثغر الاسكندرية وهم الامير بيبرس حاجب الحجاب والامير تمر الساقي والامير غانم
ابن اطلسخان والامير طغلق والامير بلاط اليوسفي والشيخ علي الاوجاقي والامير
بلرغي والامير بتخاص والامير لاجين العزي والامير بيبرس العلمي والامير كجكلي
فلما حضروا هولاء الامرا الى القاهرة فاخلع عليهم السلطان ثم اعادهم الى اقطاعاتهم
وقبض على جماعة من الامرا نحو ذلك وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية وفي هذه السنة
رسم السلطان بعمارة قنطرة على بحر ابو المنجا عند شيبين القصر **وفيها** جات الاخبار
من حلب بان الارمن ملكوا مدينة سيس وطردوا من كان بها من المسلمين فرسم السلطان
لنايب حلب بان يتوجه اليهم ومعه العساكر الحلبية فخرج اليهم في سابع عشرين رمضان
فحاصر من بها من الارمن واحرق الضياع التي حولها واسر جماعة من الارمن نحو ثلثماية

انسان فلما بلغ ذلك من كان من الارمن بقلعة اياس قنادوا على من كان عندهم فى المدينة من المسلمين وحشروهم فى خندق واحرقوا ذلك الخندق فاحترق فيه من المسلمين نحو الفين اثنان مابين رجال ونسا وصغار وذلك فى يوم العيد فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعماية فيها رسم السلطان للمقر السيفى تنكز نايب الشام بعمارة قلعة جعبر فتوجه اليها تنكز وعمرها فى اسرع مدة ورتب بها الرجال والحرسية وجعل لها نايبا مقيما بها واودع فيها السلاح وكتب بذلك محضرا وارسله الى السلطان وفى هذه السنة توجه الامير ازدمر الشمسى نايب بهسنا الى قلعة درنده وحاصر اهلها فطلبوا منه الامان فامنهم فسلموه القلعة فاقام بها نايبا من قبل السلطان ثم توجه الى قلعة دركره واقام بها نايبا من قبل السلطان وفى هذه السنة وقع الغلا بمصر فابتاع القمح كل اردب بسبعين درهما وعدم الخبز من الاسواق وماجت الناس على بعضها ثم رسم السلطان بفتح شونه فنفخوها وباعوا منها فانحط السعر الى ثلاثين درهما كل اردب فلما دخل شهر رمضان كثر فيه القمح حتى مابقى احد يشترى به ولا يقلبه وسكن روع الناس **ومن الحوادث** فى هذه السنة ان السلطان الملك الناصر تغير خاطره على الخليفة المستكفى بالله ابو الربيع سليمان ورسم له بان يتحول من مناظر الكبش ويسكن بقلعة الجبل فتحول من يومه وطلع الى القلعة هو وعياله فانزله السلطان فى البرج الكبير الذى انزل فيه الظاهر بيبرس البندقدارى الخليفة الامام احمد الحاكم بامر الله عند قدومه من بغداد فاستمر الخليفة المستكفى بالله ساكنا فى البرج ومنعه السلطان من الاجتماع بالناس ومن النزول الى المدينة فاقام على ذلك نحو خمسة اشهر ثم شفع فيه بعض الامرا فرسم له السلطان باعادته الى مناظر الكبش كما كان اولا وفيها ارسل السلطان بجريدة الى سيس بسبب فساد الارمن وفيها حضرت الى الابواب الشريفة الحرة زوجة ملك الغرب طالبة الحج فاهدت الى السلطان هدية جليلة ومن جملتها المجوبة وهو ثور اصفر فاقع اللون كامل الخلقة وفى وسط ظهره من الجانب الايمن كتف طالع من روس اظلاعه وهو بحر فق وذراع وحافر معروف مثل حوافر البقر فكان يطوف بالقاهرة ويجبا عليه كما يفعل بالسباع وهو بجل من حجر اصفر

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبعماية فيها قبض النشو ناظر الخواص الشريفة على ابن فضيل شيخ مدينة ملوى وكان له دواليب ومعاصر وكان يزرع فى كل سنة من القصب الحلو خمسماية فدان فلما قبض عليه النشو وجد عنده فى حاصله اربعة عشر الف قنطار سكر ومثلها قطر نبات ومثلها عسل اسود هذا كله خارجا عن العبيد والجوار والغلال وغير ذلك فحمل جميعه الى الحواصل السلطانية واقام ابن فضيل فى الترسيم مدة ثم افرج عنه السلطان واخلع عليه واعيد الى عمله بمدينة ملوى انتهى ذلك

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعماية فيها رسم السلطان للخليفة المستكفى بالله سليمان بان يتوجه هو واولاده وعياله الى نحو مدينة قوص من

اعمال بلاد الصعيد وان يقيم بها فخرج من يومه هو وعياله واولاده فشق ذلك على الناس وتاسفوا على ذلك غاية الاسف وفى ذلك يقول الشيخ زين الدين ابن الوردى

اخرجوكم الى الصعيد لامر ¶ غير مجز فى ملتى واعتقادى

لايغيركم الصعيد وكونوا ¶ فيه مثل السيوف فى الاغمادى

قيل وكان سبب تغير خاطر السلطان على الخليفة المستكفى بالله قبل دفعت قصة الى الملك الناصر وعليها خط الخليفة سليمان ليحضر محمد بن قلاوون الى مجلس الشرع او يوكل فشق ذلك على الملك الناصر وبقى فى خاطره من الخليفة سليمان حتى نفاه الى قوص فاقام بها الى ان مات فى شهر شعبان سنة احدى واربعين وسبعماية فكانت مدة خلافته بمصر خمسة وثلاثين سنة وسبعة اشهر فلما نفاه السلطان الى قوص اقامت مصر بلا خليفة اربعة اشهر والسلطان يتروى فيمن يوليه الخلافة وكان الخليفة المستكفى بالله لما توجه الى مدينة قوص عهد الى ولده احمد واثبت عهده على قاضى قوص بشهادة اربعين رجلا من العدول فلم يمشى الملك الناصر ذلك العهد لما فى نفسه من الخليفة سليمان فجمع القضاة الاربع وعقد مجلسا بسبب ذلك فلما راوا القضاة ذلك العهد تمسكوا بحكم قاضى قوص فانفض المجلس ولم يولى السلطان احمد بن المستكفى بالله وصمم على عدم ولايته ثم ولى ابراهيم اخو المستكفى بالله على حين غفلة ولقبوه بالواثق بالله وكان ذميم السيرة قال قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر فى تاريخه ان العوام كانت تسمى ابراهيم هذا لما تولى الخلافة المستعطى بالله لقذارة نفسه وسو تدبيره

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعماية فيها ظهر بالقاهرة امراة تسمى الخناقة وكانت تحتال على النسا والاطفال وتخنقهم وتاخذ ثيابهم فشاع امرها بين الناس فلازالوا يحتالون عليها حتى مسكوها وشنقوها على باب زويله وكان لها يوما مشهودا لما علقت للشنق وفى هذه السنة تغير خاطر السلطان على النشو ناظر الخواص الشريفة وسلمه للامير بشتاك الناصرى حاجب الحجاب يعاقبه فلما تسلمه عاقبه حتى مات تحت العقوبة واستصفى امواله وكان السلطان قد قرب النشو عنده فى اعلا المراتب وامن من قبله فكان كما قال الامام على كرم الله وجهه

من امسى من الدنيا وهو على جناح ¶ امن اصبح منها وهو على قوادم خوف

فلما مات النشو استقر السلطان بصهر النشو فى نظارة الخاص فجاء اظلم من النشو وبه يقول المعمار

تداخلت النشو صهر سو ¶ فتح فعل كما تسروه

اراد المشرفح باب ¶ فاغلقوه وسمروه

ثم دخلت سنة اربعين وسبعماية فيها توفى انوك ولد الناصر محمد بن قلاوون وكان بديع الجمال مليح الشكل وكان السلطان يحبه دون سائر اولاده ومات وله من العمر نحو عشرين سنة فتاسف عليه السلطان اسفا شديدا وقد رثاه الصلاح الصفدى رحمه الله وهو قوله فيه

مضيت وكنت للدنيا جمالا • وجرعت النجوم الزهر فقدك
ومن عجب الليالي قبلك انلا • يموت ابوك يا انوك بعدك

وكان الفال بالمنطق وفيها توفى الشيخ فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري وكان عالما فاضلا ناظما للشعر وله شعر جيد فمن ذلك قوله

فسر لى عابر مناما • نفضل فى قوله واجمل
وقال لا بد من طلوع • وكان ذلك الطلوع دمل

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى كنت بدمشق فى سنة تسع وعشرين وسبعماية والشيخ فتح الدين بن سيد الناس بمصر فكتبت اليه وانا بدمشق اقول له

كان سمعى فى مصر بالشيخ فتح • الدين يجنى الاداب وهى طرية
بالها عوبة بارض دمشق • اعوذتنى الفواكه المنخبية

وفى هذه السنة تغير السلطان على المقر السيفى تنكز نايب الشام فارسل الامير بشتاك الناصرى والامير يلبغا اليحياوى وصحبتهم جماعة من المماليك السلطانية ثم كتب مراسيم الى اهل دمشق على يد ذلك الامرا بان يكونوا لهم عونة على القبض على تنكز نايب الشام وكان تنكز هذا من مماليك الملك المنصور لاجين ولهذا كان تنكز يدعى بالحسامى فلما قتل المنصور لاجين وتولى الملك المنصور فاخذ تنكز من جملة موجود لاجين فصار من مماليك الناصر محمد ثم جعله خاصكيا ثم بقى امير عشرة ثم بقى امير طبلخاناه ثم بقى مقدم الف كل ذلك فى دولة الملك الناصر محمد ثم جعله نايب الشام فى سنة اثنى عشر وسبعماية عوضا عن الامير اقوش الافرم واستمر تنكز فى نيابة الشام ثمانية وعشرين سنة فعظم امره وكثرت امواله وكان له عند السلطان منزلة عظيمة حتى بكاتبه فى المراسيم اعز الله انصار المقر الكريم العالى وزاده فى الالقاب عن العادة وكان السلطان لا يفعل شيا من امور المملكة حتى يرسل ويشاور تنكز عليها وكان تنكز يزور السلطان فى كل سنة مرة وصحبته الهدايا الجليلة والتقادم العظيمة ويقيم بمصر اياما ثم يخلع عليه السلطان ويتوجه الى الشام واستمر تنكز على ذلك حتى اوقعوا بينه وبين السلطان فدبت بينهما عقارب الفتن فارسل السلطان بالقبض عليه فلما وصل اليه الامير بشتاك الناصرى والامير يلبغا اليحياوى فقالوا له ان السلطان رسم لك بان تحضر الى القاهرة حتى يزوج ابنته يابنك فقال تنكز انا لى شغل فى هذا الشهر ولكن امضوا انتم الى القاهرة وانا احضر انا وولدى بعدكم فاغلظوا عليه فى العبارة واغلظ هو ايضا عليهم فارسلوا كاتبوا السلطان بذلك واحتجوا اعراضات تنكز عند السلطان فلما سمع السلطان هذا الجواب فازداد حنقه على تنكز وعين اليه الامير طاجار الدوادار الكبير بالقبض عليه ولو ان تنكز حضر الى السلطان صحبة الامير بشتاك والامير يلبغا ما كان يحصل له من السلطان الا كل خير فلما وصل اليه الامير طاجار الدوادار قال

حسام الدين و

لتنكز قم احضر الى السلطان والخيرة لك فقال له تنكز امضى انت وانا بعد ثمانية ايام احضر الى عند السلطان فرجع الامير طاجار الى عند السلطان وما ابقى ممكن فى حق تنكز من الاذى فلما سمع السلطان ذلك تغبن الى تنكز بتجريدة ثقيلة من القاهرة ورسم للنواب كلهم بان يمشوا على تنكز فلما وصلت هذه التجريدة الى الشام ومشت على تنكز جماعة من النواب فحاصروه وهو بالشام فطلب منهم الامان ونزل اليهم فقبضوا عليه وقيدوه وذلك فى ثالث عشر ذى الحجة سنة اربعين وسبعماية فلما مسك تنكز احتاطوا على موجوده من صامت وناطق فالذى قد ضبط من الذهب العين ثلثمائة الف دينار وستين الف دينار ومن الفضة النقد بير الف الف درهم وخمسماية الف درهم ووجد له من الفصوص الياقوت والبلخش واللولو الكبار ثلث صناديق ووجد عنده من الطرز المزركش والحوايص الذهب والخلع الاطلس ماية وخمسين بقجة ومن القماش الصوف وغير ذلك خمسماية بقجة ووجد عنده من البرك والزنش والاوانى ما حمل الى القاهرة على ماية وخمسين حمل ووجد له ودايع عند الناس مايتى الف دينار ومن الفضة الف الف وماية الف درهم وظهر له من الاملاك والضياع بمصر والشام ما تقوم فى كل سنة بماية الف دينار فلما وصل تنكز الى القاهرة حمل موجوده الى الخزاين الشريفة واما تنكز فرسم له بالتوجه الى السجن بثغر الاسكندرية فسجن بها فلما بقى اقام فى السجن نحو اربعين يوما وهو مقيد ثم ان السلطان رسم بخنقه فارسل اليه الحاج ابراهيم ابن صابر مقدم الدولة فخنقه بالسجن وغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه بثغر الاسكندرية وذهب ماله وتخلى عنه سلطانه وقد قيل فى المعنى

لا تأمن فى الدنيا لمستيقظ • يلمحها بالفكرة الباصرة
ان كدرت عيشته مثلها • وان صفت كدرت الاخرة

قيل علامة لا يامن اليهم المال وان كثر والملوك وان قربوا والمراة وان طالت صحبتها ثم ان تنكز اقام مدفونا بثغر الاسكندرية مدة يسيرة ثم ان بعض الامرا شفع فيه بان ينقل ويدفن فى مدرسته التى انشاها بدمشق فرسم السلطان بنقله وهو ميت الى دمشق فى اواخر سنة اربعين وسبعماية وفيه يقول الشيخ صلاح الدين الصفدى

الى دمشق نقلوا تنكزا • بناها من اية طاهرة
فى جنة الدنيا له جنة • وروحه فى جنة الاخرة

وقوله فيه ايضا

فى نقل تنكز سر • اراده الله ربه
اتابه نحو ارض • يحبها وتحبه

وكان صفة تنكز اسمر اللون خفيف العوارض طويل القامة حسن الشكل وافر العقل سديد الراى حسن السياسة وكان دينا خيرا كثير البر والخير وله معروف واثار للخير بمصر والشام وكان طاهر الذيل عن الزنا واللواط غير انه صعب الخلق شديد الغضب اذا غضب على احد لم يرضى عنه ابدا فكانت مدة نيابته بدمشق ثمانية وعشرين سنة

وهذا لم يتفق لنايب قبله وكانت اهل دمشق عنه راضيه فى مدة ولايته انتهى ذلك
ثم دخلت سنة احد واربعين وسبعماية فيها توفى القاضى محيى الدين بن فضل الله
العمرى كاتب السر الشريف فلما توفى استقر ولده عوضه القاضى شهاب الدين بن فضل الله
بجاه فى المنصب اعظم من والده وكان عالما فاضلا وله نظم ونثر والف كتابا فى صنعة
الانشا وصار العمل عليه الى الآن بين الموقعين فى الانشا وصار عمدة الموقعين وبه يقتدون
ويتداولونه فى المدن

يا طالب الانشا خذ علمه * عن فضلى غير منكور
ولا تقف فى باب غيرى فما * تدخله الا بة سنور

وفى هذه السنة تزايدت عظمة الملك الناصر محمد بن قلاوون وكثرت ممالكيه حتى صار
راتبه وراتب ممالكيه كل يوم من اللحم الضان ستة وثلاثين الف رطل وبالغ فى مشترى
المماليك حتى قيل بلغت مشتروانه اثنى عشر الف مملوكا وهو اول من اتخذ الشاش والقماش
للعسكر والاقبية المفتوحة واتخذ الطرز الذهب والحوايص الذهب والسيوف المسقطة
بالذهب والاقبية القاقم وهو اول من رتب المواكب فى القصر على هذا الترتيب الحسن
ورتب شرب المسكر بعد السماط فى القصر والامرا مجتمعين ورتب وقوف الامرا فى المواكب
على قدر منازلهم وكذلك ارباب الوظايف من المتعممين وقد طالت ايامه فى السلطنة بخلاف
من تقدمه من الملوك وصفى له الوقت وصار غالب الامرا والنواب ممالكيه ومماليك
والده قلاوون ولا يعلم لاحد من الملوك اثار مثله ومثل ممالكيه حتى قيل قد تزايدت
فى ايامه الديار المصرية والشامية من العماير مقدار النصف من جوامع وقناطر وجسور
وخلجان وغير ذلك من العماير والانشا **قال** الشيخ سيف الدين ابو بكر ابن اسد فى
تاريخه لقد وقفت على تواريخ الملوك السالفة فما سمعت لاحد من الملوك بما للملك الناصر
محمد بن قلاوون من الوقايع الحسنة فانه خطب له فى اماكن لم يخطب فيها لاحد من قبله
من الملوك وكاتبوه ساير الملوك من مسلم وكافر وهادوه وهابوه وصار جميع عسكر مصر
فى قبضته من كبير وصغير وفيه يقول الشيخ صفى الدين الحلى رحمه الله

الناصر السلطان قد خضعت له * كل الملوك مشارقا ومغاربا
ملك يرى تعب المكارم راحة * ويعد راحات الفراغ متاعبا
يرجى مكارمه ويخشى بطشه * مثل الزمان مسالما ومحاربا
فاذا سطا ملأ القلوب مهابة * واذا سخا ملأ العيون مواهبا

ولم يزل الملك الناصر قايما على سرير ملكه حتى مرض وتسلسل فى المرض ومات على فراشه
فى ليلة الخميس العشرين من ذى الحجة سنة احد واربعين وسبعماية ومات وله من العمر
ثمانية وخمسين سنة ودفن فى يوم الخميس المذكور على والده قلاوون داخل القبة
التى انشاها قلاوون بين القصرين وكانت له جنازة مشهودة وكثر عليه الاسف
والحزن من الناس وقد رثاه بعض الشعرا بهذه الابيات

حكم المنية فى البرية جارى * ما هذه الدنيا بدار قرار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الما جذوة نار
طبعت على كدر وانت تريدها * صفوا من الاقذار والاكدار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى
جاورت اعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى

وكانت مدة سلطنة الملك الناصر محمد هذا بمصر والبلاد الشامية ثلاثة واربعون
سنة وثمانية اشهر وايام وذلك دون خلعه من الملك ثلاث مرات وكانت مدة خلعه
دون الولاية نحو اربعة سنين وايام ولما مات خلف من الاولاد احد عشر ولد ذكرا
دون البنات فاما الذى من اولاده تولى السلطنة من بعده وهم سيدى ابو بكر وسيدى
احمد وسيدى كجك وسيدى شعبان وسيدى اسماعيل وسيدى حاجى وسيدى حسن
وسيدى صالح فهذه الثمانية تولوا من بعده السلطنة كما سياتى ذلك فى مواضعه **واما**
الذى من اولاده لم يلو السلطنة فسيدى رمضان وسيدى حسين وسيدى يوسف **واما**
الذى توفى فى حال حياته من اولاده فسيدى ابراهيم وسيدى محمد وسيدى انوك
وسيدى على فهذا مجموع ما جاءه من الاولاد الذكور دون البنات **واما** فتوحاته الذى
فتحها فى ايامه فآمد وملطية ودارندة وقلعة اياس وبهسنا والمرعش وتل حمدون
وقلعة النقير وقلعة نجيه والعارديه وكاورا واسفندكار وغير ذلك من الفتوحات
وحج فى ايامه ثلث حجات وزار القدس والخليل عليه السلام ثلث مرات وسافر الى حلب
والشام عدة مرار **واما** نوابه بالديار المصرية الامير كتبغا والامير سلار والامير
بكتمر الجوكندار والامير بيبرس الدوادار المنصورى والامير ارغون الناصرى مملوكه
واما وزرايه بالديار المصرية فالامير سنجر الشجاعى والصاحب تاج الدين ابن حنا
ابن الصاحب بهاء الدين بن حنا والصاحب فخر الدين الخليلى تولى الوزارة فى ايامه مرتين
والامير سنقر الاعسر والامير ايبك البغدادى والصاحب شمس الدين محمد بن الشيخى
والامير ايبك الاشقر وهو اول من تسمى مدبر المملكة وتولى تخص نسمى ابن عطا وتولى
تخص نسمى النشائى وتولى تخص نسمى بدر الدين محمد بن التركمانى وتولى الصاحب
امين الدين بن الغنام الوزارة فى ايامه ثلاث مرات والامير بكتمر الحاجب والامير
مغلطاى الجمالى فهولاء كانوا وزراؤه **واما** قضاته الشافعيه فالشيخ تقى الدين ابن دقيق
العيد والشيخ بدر الدين بن جماعة المقدسى والشيخ جمال الدين الزرعى والشيخ جلال الدين القزوينى والشيخ عز الدين بن جماعة **واما** كتاب سره فالقاضى شرف الدين بن فضل الله والقاضى
علاى الدين بن الاثير والقاضى شهاب الدين محمود ابو الثنا والقاضى محيى الدين بن فضل
الله وولده القاضى شهاب الدين صاحب كتاب الانشا فى صنعة التوقيع **واما** نظار

جوشه قاضي القضاة بهاء الدين بن الجلي وتولى شخص يسمى النخر وهو صاحب القنطرة
المنسوبة اليه تولى في ايامه مرتين وتولى القاضي قطب الدين بن شيخ السلامية والقاضي
شمس الدين بن التاج والقاضي مكين الدين بن قروينه وهو صاحب الغيط المنسوب
اليه وتولى شخص يسمى جمال الكفاة فهولا نظار جيوشه **واما** نظار خواصه فالقاضي
كريم الدين بن السديد وتولى شخص يسمى النشو ثم تولى صهر النشو **واما** دويداريته
فالامير عز الدين ايدمر الناصري والامير ارغون الناصري والامير رسلان والامير الجاى
الناصري والامير صلاح الدين يوسف بن الاسعد والامير بغا والامير طاجار الناصري
واما ما انشاه في ايامه من البنا وهو القصر الكبير الابلق والقصر الذي تليه وعمر
الايوان الكبير وعقد قبة القبة العظيمة وعمر الجامع الكبير الذي بالقلعة وعمر الجامع
الجديد المطل على بحر النيل عند موردة الحلفا وانشا الدهيشة المطلة على الحوش
السلطاني وهي من محاسن الزمان وانشا الخانقاه الذي ببر يا قوس وعمر الحوش الكبير
الذي بالقلعة وعمر دور الحرم التي بالقلعة وعمر المجراه واجراها من بحر النيل الى
القلعة وعمر الميدان الكبير الذي عند بركة الناصرية وبنى القصر الكبير وميدان
المهارة الذي عند قناطر السباع وحفر الخليج الناصري من موردة الحلبس الى زقاق
الكحل وانشا عليه عدة قناطر كما تقدم وحفر البركة الناصرية المنسوبة اليه واجرى
اليها الما من الخليج الناصري وعمر قناطر ام دينار وقناطر شبين وقناطر ابو صير
وقناطر اللبيني وعمر الجسر الذي بشبرامنت وعمر جسر ايا الفيوم وجدد عمارة بالرصد
وجدد عمارة جامع راشدة الذي عند دير الطين وجدد عمارة مشهد السيدة نفيسة
ووضع به المحراب على التحرير الصحيح وعمر زاوية الشيخ رجب التي تحت القلعة
وعمر الاسطبل السلطاني وجدد عمارة الطبلخاناة السلطانية وعمر زربية بثغر
دمياط وله غير ذلك اثار كثيرة بمصر والشام **واما** ما ابطله في ايامه من وجوه الظلم
وهو ضمان القيان وكان عبارة عن اخذ مال من النسا البغايات وذلك لو خرجت اجل
امراة في القاهرة تقصد البغا ونزلت اسمها عند امراة تسمى الضامنة واقامت بما
يلزمها من القدر المعين عليها لما قدر اكبر من في مصر يمنعها عن البغا وعمل الفاحشة
وكان يحصل من ذلك لنسا الاكابر وبناتهم غاية الفساد ولا يقدر يمنعها من ذلك
فابطل الناصر ذلك وسطر في صحايفه الى يوم القيامة وكان يحصل من هذه الجهة
جملة مال كبير **وابطل ايضا** في ايامه ما كان يوخذ ممن يبيع ملكا عن كل الف
درهم عشرين درهم فابطل ذلك جميعه وكان يحصل من ذلك جملة مال وفي الجملة ان
الملك الناصر محمد بن قلاوون كان من اجل الملوك قدرا واعظمهم نهيا وامرا واكثرهم
مروة ودينا وقد جبلت القلوب على محبته سرا وجهرا ولما مات تولى من بعده
ابنه المنصور ابى بكر انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الناصر محمد بن قلاوون

وذلك على سبيل الاختصار منها **ذكر سلطنة الملك الناصر سيف الدين ابى بكر** بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو الثالث عشر من ملوك الترك واولادهم
بالديار المصرية **بويع له** بالسلطنة بعد موت ابيه بعهد منه له وكان في اولاده من هو اكبر
منه ولكن الملك الناصر اختار من بين اولاده هذا فقدمه عليهم وعهد له من بعده فهو اول
من تسلطن من اولاد محمد بن قلاوون لبس شعار الملك وجلس على سرير الملك في يوم الخميس
حادي عشرين ذي الحجة سنة احدى واربعين وسبعماية وله من العمر نحو عشرين سنة وباس
له الامرا الارض بالقصر الكبير فلما تم امره في السلطنة عمل الموكب واخلع على من يذكر من
الامرا وهم الامير طقز دمر صاحب القنطرة التي على الخليج الحاكمي واستقر به نايب
السلطنة بمصر واخلع على الامير قوصون وهو صاحب الجامع واستقر به اتابك العساكر
واخلع على الامير طشتمر المعروف بحمص اخضر واستقر به نايب حلب واخلع على الامير
طاجار الناصري واستقر به دوادار كبير على عادته ثم دبت عقارب الفتن بينه وبين
الامير قوصون وبين الامير طاجار وصار العسكر فرقتين فرقة مع الامير قوصون
وفرقة مع الامير طاجار ولم يجتمع احدهما لصاحبه ثم ان الامير طاجار الدوادار حسن
للسلطان بان يقبض على الاتابكي قوصون وهو في الخدمة بالقصر الكبير فاسر السلطان
ذلك الى بعض الخاصكيه وكان السلطان صغيرا من طبعه الخفة والهوج فتوجه ذلك
الخاصكي الذي اسر اليه السلطان الى عند الامير قوصون وذكر له ذلك واخبره بما
عزم عليه السلطان من مسكه وقد قيل في المعنى

اذا المرء افشى سره بلسانه ✽ ولام عليه غيره فهو احمق
اذا ضاق صدر المرء من سر نفسه ✽ فصدر الذي يستودع السر اضيق

فلما تحقق الاتابكي قوصون ذلك فاجتمع بالامير ايدغمش امير اخور كبير وجماعة من
الامرا وذكر لهم ذلك فاتفقوا على خلع السلطان الملك المنصور ابى بكر فلما كان يوم الموكب
فامتنع الاتابكي قوصون عن طلوع القلعة فاضطربت الاحوال في ذلك اليوم ثم ان
الاتابكي قوصون طلع القلعة في ذلك اليوم بعد انفضاض الموكب بعد الظهر على حين غفلة
وقبض على السلطان الملك المنصور ابى بكر وارسله الى السجن بمدينة قوص وارسل معه
اخويه وهما سيدي يوسف وسيدي رمضان **فكانت** مدة الملك المنصور ابو بكر في
السلطنة نحو ثلاثة اشهر وكان خلعه في شهر صفر سنة اثنين واربعين وسبعماية ثم ان الاتابكي
قبض على الامير طاجار الدوادار والامير بشتاك الناصري وعلى جماعة من الامرا وارسلهم
الى السجن بثغر اسكندرية ثم قبض على جماعة من المماليك السلطانية فلما وصل الملك
المنصور الى قوص فارسل الاتابكي قوصون الى متولي ناحية قوص بان يقتل الملك المنصور
وهو في السجن فقتله وقطع راسه وارسلها الى الامير قوصون في الدس وكتم موت الملك
المنصور عن الناس ولكن اشيع ذلك وكان ذلك من اكبر ذنوب الاتابكي قوصون وبه زال

امره انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الناصر المنصور ابى بكر محمد بن قلاوون على سبيل الاختصار منها

ذكر سلطنة الملك الاشرف علاء الدين كجك

بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو الرابع عشر من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثانى من اولاد محمد بن قلاوون بويع له بالسلطنة بعد خلع اخيه المنصور ابى بكر تولى الملك وجلس على سريره فى يوم الاثنين حادى عشرين صفر سنة اثنين واربعين وسبعماية فتولى الملك وله من العمر سبع سنين او دون فتصرف فى الاحكام صغيرا وارتقى على صغر سنه ملكا كبيرا فكان سابورى الولاية صغير السن الى الغاية واما تسميته بكجك فهو لفظ اعجمى معناه بالعربى صغير فان والده كان لحظ فيه حال التسمية انه سيلى بعده الملك وهو صغير والملوك لهم فراسة فى الامور قبل وقوعها ثم ان الاتابكى قوصون عمل الموكب واجلس السلطان على تخت المملكة واحضر خلعة والبسها واستقر نايب السلطنة واتابك العساكر ثم تحول وسكن فى دار النيابة بالقلعة وتصرف فى امور المملكة بحسب ما يختاره فنفى الامير طقزدمر نايب السلطنة الى دمياط وقبض على جماعة من الامرا وعزل من عزل وولى من ولى وظن بان الوقت قد صفا له فكان اذا احضر العلامة اخذ قوصون بيد السلطان كجك والقلم فى يده ويريه كيف يكتب على المراسيم والمناشير وكان الامر كله بيد قوصون والسلطان معه مثل العصفور بيد النسور فاضطربت احوال الديار المصرية وتخلخلت البلاد الشامية وعصيت النواب ووقع الخلف بين الامرا بمصر وفسدت احوال الرعية وحصل للناس غاية الاذية وقد قال القايل فى المعنى

سلطاننا اليوم طفل والاكابر فى ... خلف وبينهم الشيطان قد نزغا

فكيف يطمع من مسته مظلمة ... ان يبلغ السؤل والسلطان ما بلغا

ثم ان الاتابكى قوصون صار يمسك فى كل يوم جماعة من المماليك السلطانية وارسل الى الطنبغا نايب الشام بالقبض على طشتمر حمص اخضر نايب حلب فلما بلغ طشتمر ذلك توجه الى الكرك واخذ الامير احمد بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان مقيما بالكرك من ايام والده الملك الناصر كما تقدم فلما خرج الامير احمد من الكرك تسامعت به النواب فجاء اليه الامير قطلوبغا الفخرى نايب طرابلس وحضر نايب حماه ونايب صفد وقصدوا التوجه الى مصر وان يسلطنوا الامير احمد عوضا عن اخيه كجك وان يقبضوا على الاتابكى قوصون فلما خرجوا من الكرك توجهوا الى نحو الشام ليقبضوا على الطنبغا نايب الشام لانه كان من عصبة قوصون فارسل الطنبغا يطلب من النواب الامان وانه يكون معهم تحت طاعة الامير احمد بن الناصر فلما خرجوا النواب على هيئة قاصدين الديار المصرية فلما بلغ ذلك الاتابكى قوصون اراد ان يقبض على الامير ايدغمش امير اخور كبير فلما بلغ الامير ايدغمش ذلك ركب هو والامير اقسنقر والامير بلبغا اليحياوى وجماعة من الامرا وطلعوا الى الرملة واحاطوا

بالقلعة ثم ان الامير ايدغمش نادى للعوام بان ينهبوا بيت الاتابكى قوصون ونادى للعسكر ان كل من لم يكن له فرس يحضر الى الاسطبل السلطانى وياخذ له فرس فطلعوا اليه العسكر قاطبة ففرق عليهم فى ذلك اليوم عدة خيول من الاسطبل السلطانى فلما تحقق الاتابكى قوصون ان الركبة عليه فتحصن بالقلعة وحصنها ثم ان العوام دخلوا بيت قوصون واحرقوا بابه ونهبوا ما فى اسطبله من الخيول والبغال ونهبوا حواصله وما كان فيها من برك وسلاح وقماش ونحاس وصينى وغير ذلك وقوصون ينظر اليهم من شباك فقال لبعض الامرا الذى فى الاسطبل يا مسلمين ما تحفظوا هذا الاموال الذى تنهبه العوام اما ان يكون لى او للسلطان فقالوا له الذى معك من الاموال والتحف تكفى السلطان وهذا شكرانه للعوام منك ثم ان العسكر بقى كل من يروه من مماليك قوصون او من حاشيته فى الطرقات يقتلوه اشر قتله واستمر الحال على ذلك لبعد العصر من ذلك اليوم فارسل قوصون يطلب الامان من الامير ايدغمش وقد تسحب من كان عنده من الامرا والمماليك فهجم عليه الامير ايدغمش وقبض عليه وقيده وسجنه بالزردخانة فلما تحققوا العوام مسك قوصون فنهبوا خانقاته التى خارج باب القرافة وجامعه الذى بالقرب من بركة الفيل ثم ان الامير ايدغمش صار يمسك من كان من عصبة قوصون من الامرا والخاصكية ثم ان الامير ايدغمش ارسل الاتابكى قوصون تحت الليل الى ثغر الاسكندرية وهو مقيد فسجن بها فعملوا اهل مصر صورة قوصون فى العلالين وقد سمروه وفى ذلك يقول المعمارية

تخصى قوصون قد رايناه ... فى العلالين مسمر

فعجبنا منه لما ... جاء فى التسمير سكر

وكان الاتابكى قوصون اميرا عظيما مليا مهابا وصار فى دولة الملك الاشرف كجك صاحب الحل والعقد بالديار المصرية وتصرف فى امور المملكة بحسب ما يختاره من ذلك فلما مسك قوصون وسجن خلع الاشرف كجك من السلطنة ودخل الى دور الحرم وصار الامرا والعسكر ينتظرون قدوم الامير احمد من الكرك حتى يتسلطن فخطب باسمه فى القاهرة قبل حضوره وتلقب بالملك الناصر الى ان حضر وتولى السلطنة كما سياتى ذلك فى موضعه فكانت مدة سلطنة الملك الاشرف كجك بالديار المصرية الى ان خلع خمسة اشهر وايام فلم تكن الا كسنة من النوم او يوم او بعض يوم واقام فى الاسر والاعتقال بدور الحرم الى ان مات على فراشه فى دولة اخيه الملك الكامل شعبان كما سياتى ذلك فى موضعه انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الاشرف كجك على سبيل الاختصار فكان تسميته بكجك قال العينى سلطان صغير ولم يتسلطن من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون اصغر منه سنا انتهى

ذكر سلطنة الملك الناصر شهاب الدين احمد

بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون وهو الخامس عشر من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثالث

من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون دخل الى القاهرة وبويع له بالسلطنة بعد
خلع اخيه كجك وجلس على سرير الملك وباس له الامرا الارض في يوم الاثنين عاشر
شوال سنة اثنين واربعين وسبعماية فلما جلس على سرير الملك وباس له الامرا الارض
في يوم الاثنين عاشر شوال سنة اثنين واربعين وسبعماية فلما جلس على سرير الملك وتم امره
في السلطنة وكان اكبر اخوته سنا وارجحهم في العين وزنا فهو لبيتهم الغالب وشهابهم
الثاقب ولكن خابت فيه الظنون وقيل معلم مجنون توقع منه امور لا تقع الا من اصيب
في عقله وذلك انه امر بقتل سبعة من الامرا الذين كانوا في السجن بثغر الاسكندرية فلما فعل
ذلك نفرت منه قلوب العسكر ثم انه انعم على الامير طشتمر حمص اخضر واستقر به
نايب السلطنة بمصر وانعم على الامير قطلوبغا الفخري واستقر به نايب الشام عوضا
عن الطنبغا وانعم على الامير ايدغمش امير اخور واستقر به نايب حلب عوضا عن الامير
طشتمر حمص اخضر واستقر بجماعة من الامرا في وظايف من مسك منهم وبيجي فاستمر
الامر على ذلك نحو ثلاثة وثلاثين يوما ثم انه قبض على الامير طشتمر حمص اخضر وقيده
وسجنه بالقلعة ثم انه ارسل جماعة من المماليك السلطانيه خلف الامير قطلوبغا الفخري
الذي استقر نايب الشام وقبض عليه وهو في اثنا الطريق وقيده وكانوا هولا الاميرين
سببا لسلطنته فما شكره احد من الناس على ذلك ثم انه اقام في السلطنة الى سلخ ذي القعدة
من سنة اثنين واربعين وسبعماية فتوجه الى السفر فخرج في يوم الاثنين ومعه جماعة من الامرا
والعسكر فلم يعلم احد اين يريد فلما خرج من القاهرة توجه قاصدا نحو الكرك الذي هي
محط رحاله وبغية اماله وكان لما اضمر على التوجه الى الكرك دخل الى الخزاين السلطانية
واخذ منها ما قدر عليه من الاموال الجزيله والتحف الجليلة فوصل الى الكرك يوم الثلاثا
ثامن ذي الحجة فعمل عيد النحر بها وكان لما توجه الى السفر اخذ الامير طشتمر حمص اخضر
معه وهو مقيد في محفة ثم احضر الامير قطلوبغا الفخري بين يديه وهو مقيد لما وصل
الى الكرك فامر بأعتقالهما في قلعة الكرك والامير طشتمر **ثم دخلت** سنة ثلث
واربعين وسبعماية في خامس المحرم اجتمعوا الامرا في سوق الخيل وقالوا ان احوال المملكة
ضايعة والسلطان لم يلتفت لشي من ذلك فارسلوا الا بنوه في الحضور الى مصر فان حضر
فكان وان لم يحضر فولوا غيره فكتبوا كتابا عن لسان الامرا كلهم وارسلوه على يد خاصكي
يقال له طقتمر الصلاحي فاخذ الكتاب ومضى الى الكرك فوصل في حادي عشر المحرم فلما
اجتمع بالسلطان وقرا ما في الكتاب ثم انه كتب للامرا جواب ذلك الكتاب الذي ارسلوه
وهو يقول فيه ان الشتا قد دخل واني قد اخترت الاقامة بالكرك الى حين يمضي الشتا
وبعد ذلك احضر الى مصر ثم اخرج الامير طشتمر حمص اخضر والامير قطلوبغا الفخري
من السجن ووسطهما في ميدان قلعة الكرك بحضرة ذلك الخاصكي طقتمر الصلاحي وهذا
الامر لا يتم الا من الجانين الذي في عقلهم خلل وهذين الاميرين كانا سببا لسلطنته

وكني ما تفعل الاعدا في جاهل ... ما يفعل الجاهل في نفسه

وما قاله ابراهيم المعمار في الامير طشتمر حمص اخضر

جئت بالملك لما ... اتاك بالبسط ماجن
وقد امنت الليالي ... يا حمص اخضر وكل اجن

وقوله فيه ايضا

اوردت نفسك ذلا ... ورد النفوس المهالك
وبالرشا حزت مالا ... ملات منه الخزانه
وكم عليك قلوب ... يا حمص اخضر ملانه

وقال فيه بعض الشعرا

طوى الردا طشتمرا بعدما ... بالغ في دفع الاذى واحترس
عهدي به كان شديد القوى ... اشجع من يركب ظهر الفرس
الم تقولوا حمصا اخضرا ... تعجبوا بالله كيف اندرس

وقال فيه اخر

لما رجعت الينا من بعد البعد والبين ... خلناك تحنوا علينا يا حمص اخضر بقلبين

فلما رجع طقتمر الصلاحي من عند الملك الناصر احمد الى القاهرة واخبر بذلك الاميرين
وما جرى عليهما فعند ذلك نفرت منه قلوب العسكر قاطبة فلما قروا الكتابة وعلموا انه
اختار الاقامة بالكرك فضربوا مشورة فيمن يولوه السلطنة فوقع الاتفاق على سلطنة
اخيه اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون فخلعوا الناصر احمد من السلطنة وولوا
اسماعيل فكان مدة سلطنة الملك الناصر احمد بالديار المصرية شهرين واثنا عشر يوما
لا غير واستمر مقيما بالكرك حتى قتل كما سياتي ذكر ذلك في موضعه وكانت سلطنته كالحلم
في المنام كما قد قيل ... فلم يقم الا بمقدار ان ... قلت له اهلا وسهلا ومرحبا
انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الناصر احمد بن الملك الناصر محمد على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الصالح عماد الدين ابي الفدا اسماعيل

بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو السادس عشر من ملوك الترك واولادهم بالديار
المصرية وهو الرابع من اولاد الناصر محمد بن قلاوون بويع له بالسلطنة بعد خلع اخيه
الناصر احمد في يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ثلاث واربعين وسبعماية فلما جلس على
سرير الملك وتم امره في السلطنة انعم على الامير اقسنقر السلاري واستقر به نايب
السلطنة بالديار المصرية وانعم على الامير ايدغمش واستقر به نايب الشام وانعم على
الامير طقزدمر واستقر به نايب حلب وقبض على الامير الطنبغا الماردني وهو صاحب
الجامع الذي في البرادعيين وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية ثم عزل من عزل وولى
من ولي فما اختلف عليه اثنان ولا تناطح فيه عنزان فسار في الناس سيرة حسنة وبسط
العدل وكثر في الرعية من البذل وعامل خاصكية ابيه بالمعروف وبذل لهم الالوف بعد
الالوف **ثم دخلت** سنة اربع واربعين وسبعماية فيها تغير خاطر السلطان على الامير

اقسنقر نايب السلطنة فقبض عليه وارسله الى السجن بثغر الاسكندريه ثم اخلع على الحاج آل
ملك واستقر به نايب السلطنه عوضا عن اقسنقر السلارى والامير آل ملك هذا
هو صاحب الجامع الذى فى الحسينيه وكان الامير آل ملك هذا له بر ومعروف ولما تولى
نايب السلطنة امر بهدم خزانة السود التى كانت سجنا يحبسون فيه اصحاب الجرايم
فصارت عمارة يسكنون بها طايفة من الارمن ويجتمعون بها طايفة من الناحيس والقامرين
ويحصل منهم غاية الفساد فهدمها وبنا مكانها مسجدا فلم يصلى احد فيه لما تقدم فيه من
الفساد وسفك الدما وكثرت من به من القتلا مدفونا فصار هذا المسجد مقفولا دايما
لا يصلى فيه احد من الناس وبقى مهجورا وقد قال فيه بعض الشعرا

انا مسجد سميت بيت عبادة • عارى الملابس لبس فىّ حصير
هجر المؤذن والجماعة جانبى • وخفانى التهليل والتكبير
الشمع فى خلل المساجد مشتعل • وفناء ربعى مظلم مهجور
ماجاء فى القرآن فىّ عبارة • والبوم للشيطان فىّ عبور
هل مبلغٌ عنى الامير شكايتى • فلعله يرثى لمن هو بور

انتهى ذلك **ثم دخلت** سنة خمس واربعين وسبعماية فيها ارسل السلطان تجريدة
الى اخيه الناصر احمد وهو فى الكرك فحاصره اشد المحاصرة فلم يقدروا عليه والسلطان
يخرج له تجريدة بعد تجريدة وهو لا يمل من القتال وقد حصن قلعة الكرك فلم يقدروا على
اخذها واستمر على ذلك حتى لقد جميع ماكان عنده من المال والقلال فضرب ما بقى عنده
من السروج الذهب والكلابيتى وخلط مع الذهب النحاس فكان الدينار الذى ضرب به
يساوى خمسة دراهم فضة ونفق ذلك على العسكر الذى بقلعة الكرك وقد هلكوا من الجوع
والعطش والعرى فلما طال عليهم الامر تفرقوا من حوله وقد اقاموا معه فى المحاصرة نحو
ثلاث سنين فلما كان يوم الاثنين ثانى عشرين صفر طلب الملك الناصر احمد من العسكر
الامان ونزل اليهم فقيدوه وارسلوا يعلموا السلطان الملك الصالح بذلك فارسل اليه
الامير منجك اليوسفى فقطع راسه واحضرها الى القاهرة فى علبة وكانت قتلته فى اواخر
صفر سنة خمس واربعين وسبعماية وكان الناصر احمد انجب اخوته واحسنهم شكلا
واكبرهم سنا لكنه كان سيئ فى التدبير قليل المعرفة الغالب عليه الجهل وقوة الراس وقلة
الثبات فى الامور وقيل لما وضعوا راسه بين يدى اخيه الملك الصالح سجد لله شكرا
وامر بدفنها انتهى ذلك **ثم دخلت** سنة ست واربعين وسبعماية فيها ان السلطان
مرض وتسلسل فى المرض الى ان مات يوم الخميس حادى عشرين ربيع الاول سنة ست واربعين
وسبعماية **فكانت** مدة سلطنته بمصر ثلث سنين وشهر ونصف وكان خيار اولاد الملك
الناصر محمد بن قلاوون وله بر ومعروف على جهات خير فمن ذلك انه اوقف ضيعة تسمى
بيسوس وجعلها مرصدة على كسوة الكعبة الشريفة وكان يحب العدل ولا نصاف بابى الرعبة

وساس الملك فى مدة ولايته احسن سياسة ولم يزل على ذلك الى ان مات على فراشه بخلاف
اخوته فكثر عليه الاسف والحزن من الناس وقد رثاه الصلاح الصفدى رحمه الله

مضى الصالح المرجو للباس والندا • ومن لم يزل يلقى المنا بالمنائح
فيا ملك مصر كيف حالك بعده • اذا نحن اثنينا عليك بصالح

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تاريخه ان الملك الصالح اسماعيل هذا كان على مذهب
بعض الخلفا يميل الى حب الجوار المولدات والحبش والسود وكان يحب من يمدح له فى ذلك
وكانت الشعرا يكثرون له فى معنى ذلك قال بعضهم

يكون الخال فى خد قبيح • فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام معشوق على من • يراه كله فى العين خالا

وقال اخر فى اسماء الجوار

اذا زار الحبيب باشتياق • فقد زال العنا وقت الصباح
وان وافتك خمر امع نسيم • فقد دام السرور بانشراح

ومثله فى المعنى

بدا السعد لى حين زار الحبيب • وجاء الهنا ودام السرور
وجاءت نسيم بتفاحة • مباركة من غزال نفور

انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن
قلاوون على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الكامل زين الدين شعبان

بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو السابع عشر من ملوك الترك واولادهم
بمصر وهو الخامس من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون بويع له بالسلطنة بعد موت
اخيه الملك الصالح اسماعيل بعهد منه له وكان شعبان هذا هو اخو الملك الصالح اسماعيل
شقيقه جلس على سرير الملك ولبس شعار السلطنة يوم الخميس حادى عشرين ربيع الاول
سنة ست واربعين وسبعماية وفيه يقول الشيخ جمال ابن نباته

طلعت سلطاننا فبدت • بكامل السعد فى الطلوع
واعجب لما منه كيف ابدت • هلال شعبان فى ربيع

فلما تم امره فى السلطنة عمل الموكب وقبض على جماعة من الامرا منهم الامير آل ملك نايب
السلطنة فاقام بالقلعة فى البرج اياما ثم افرج عنه وولاه نيابة صفد فخرج من يومه
فلما وصل الى الريدانية ارسل بالقبض عليه وقيده وارسله الى السجن بثغر الاسكندريه ثم عمل
الموكب واخلع على الامير ارقطاى واستقر به نايب السلطنة عوضا عن آل ملك ثم قبض
على الامير قمارى استادار العالية وارسله الى السجن بثغر دمياط ثم ارسل بالقبض على الامير
طقزدمر نايب الشام وسجنه بالكرك واخلع على الامير يلبغا اليحياوى واستقر به نايب
الشام عوضا عن طقزدمر وفى اخر هذه السنة توفى الملك الاشرف كجك اخو السلطان وكان
مقتولا بدور الحرم من حين خلع من السلطنة الى ان مات **ثم دخلت** سنة سبع واربعين

وسبعمائة فيها طاش الملك الكامل شعبان وصار يخرج الاقطاعات بمال معلوم يدخل الى
الذخيرة ويعين ذلك المقدار في المناشير وصار يبيع ارباب الوظائف من المباشرين ويأخذ
اموالهم قهرا فتقلقلت منه الناس **وفيها** جاءت الاخبار بان بلبغا اليحياوى نائب
الشام قام واظهر العصيان فجمع السلطان الامرا وضرب مشورة في امر نائب الشام فوقع
الاتفاق على ان السلطان يرسل الامير منجك حاجب الشام اليوسفى لكشف الاخبار فتوجه
الامير منجك نحو الشام من يومه ثم ان السلطان اعرض العسكر وقصد التوجه الى الشام
بسبب عصيان النائب **ومن الحوادث** في هذه السنة ان السلطان طلب اخويه الامير
حاجى والامير حسين فارسل اليهما الساقى سرور الزيني فقال لهما امضيا الى السلطان فقالوا
له نحن اليوم متعافين وقد شربنا دوى فلما رد الجواب على السلطان بذلك فارسل اليهما
الامير الزمام صواب الطولونى فقال لهما امضيا كلموا السلطان والا خيركم فقالوا له مثل
ما قالوا لسرور الزيني فلما رد الجواب على السلطان بذلك فاشتد غضبه على اخوته
وارسل خلف الامير اسندمر الكاملي والامير قطلوبغا الكركى فلما حضرا فقال لهما
انى قد طلبت اخى حاجى واخى حسين فابوا عن الحضور الى عندى فقال الامير اسندمر
الكاملي والامير ارغون العلاى زوج ام السلطان ادخل انت اليهما واخرجهما فدخل
الامير ارغون واخرجهما غصبا وهما يبكيا فلما حضروا بين يدى السلطان باسوا
له الارض وقالوا يا مولانا السلطان لا تاخذ علينا فانا كنا شربنا دوى فقال لهما
السلطان تكذبوا ما انتم الا تتخامرون على فاخرج الامير حاجى ختمة كانت معه
وحلف عليها انه ما امتنع عن الحضور الا كان ضعيفا وشرب دوى فلم يصدقه
السلطان على ذلك ثم جاءت امهاتهما وطلعن للسلطان وكشفن روسهن له وقلن
والله ما امتنعوا عن الحضور الا كانوا شربوا دوى فلم يقبل السلطان منهن ذلك
وقال انتم كنتم تبلبلين المعقول ثم امر بادخال اخويه الى موضع في الدهيشة ورسم
عليهم السلطان جماعة من الخدام فباتوا تلك الليلة في الدهيشة فلما اصبح الصباح طلب
السلطان عشرين فص حجر مسقط وجملين جير وجبس وقصد بان يدخل اخويه في مكان تحت
تحت الدهيشة ويبنى عليهما بالحجر ويجعل ذلك المكان قبرا لهما فلما كان يوم الاثنين
ثالث عشرين جمادى الاول من سنة سبع واربعين دخل بعض الخاصكية على السلطان
وقت صلاة الصبح واخبره بان الامير ملكتمر الحجازى قد لبس آلة الحرب هو ومماليكه
وتوجهوا الى قبة الهوا التي تحت القلعة وكان السلطان قد عول على مسكه ايضا فلما
بلغ السلطان ذلك فاضطربت احواله فارسل خلف زوج امه ارغون العلاى وقال له
ما الخبر فقال له ان ملكتمر الحجازى وارغون شاه وجماعة من الامرا لبسوا آلة الحرب
وتوجهوا نحو قبة الهوا فلما تحقق السلطان ذلك فتح باب الزردخاناه ودفق منها
اللبوس وامر بشد الخيول فلم يجد عنده احد من المماليك غير بعض مماليك صغار كتابية

وركب

وركب السلطان ووقف على باب السلسله ودقت الكوسات حربيا ثم مشى الى تحت
الطبلخاناة ووقف ينتظر من يطلع اليه من الامرا والعسكر فلم يطلع اليه احد فبقى واقف
ساعة حتى طلعت الشمس ثم مشى وقصد نحو قبة الهوا فلم يكن معه من الامرا سوى
الامير ارغون العلاى زوج امه والامير اسندمر الكاملي والامير قطلوبغا الكركى
والامير جوهر السحرتى مقدم المماليك وبعض مماليك صغار تحت الصنجق فتقدم
الى اخر الصوه فبرز اليه الامير ارغون والامير تمربغا القاسمي والامير اقسنقر وهم
عليه بزلك ووقع بينهم القتال فبرز الامير بلبغا اروس الى الامير ارغون العلاى زوج
ام السلطان فضربه بطبر على وجهه فسقط عن فرسه الى الارض فقبضوا عليه واسروه
فلما راوا ذلك من كان حول السلطان فتنحى اكثرهم من حوله ولم يبق معه الا القليل من
المماليك فزحفوا عليه الامرا فهرب في اربعة مماليك صغار وتوجه الى نحو باب السلسلة
فلما ولى السلطان مهزوم فقبضوا على من كان معه من الامرا المقدم ذكرهم فلما توجه نحو باب
السلسلة وجده مقفول فصار يسال بعض الاوجاقية في ان يفتح له الباب حتى يطلع الى القلعة
فما فتحوا له باب القلعة الا بعد جهد كبير فطلع الى القلعة وهو سايق فلما دخل الى الحوش
اراد ان يقتل اخويه حاجى وحسين فلم يفتحوا له الخدام باب الدهيشة فرجع الى بيت امه
واختفى فيه وكانت امه ساكنة بالقلعة هذا ما كان من امر الملك الكامل شعبان بعد كسرته
واما ما كان من امر الامرا الذين وثبوا على السلطان فانهم لما انكسر السلطان وولى مهزوم
فقبضوا على الامرا الذين كانوا معه وشكوهم في زناجير واما مقدم المماليك جوهر السحرتى
فانه كان واقفا تحت الصنجق فنطعوه بالسيوف ثم ساقوا الى الرملة وطلعوا من السلسلة
الى القلعة ووقفوا على باب الستاره وقالوا للخدام اين ابن استاذنا حاجى فقالوا لهم في الدهيشة
هو واخوه سيدى حسين فدخلوا الى الحوش وطلعوا الدهيشة واخرجوا سيدى حاجى وباسوا
له الارض وقالوا له انت سلطاننا ثم انهم طلبوا الملك الكامل شعبان فلم يجدوه فقال لهم
بعض الخدام قد اختفى في بيت امه فهجموا عليه في بيت امه فلم يجدوه فمسكوا الجوار واراد
توسيطهم فاقروا عليه بانه في بيت الازيار فهجموا عليه فوجدوه واقفا بين الازيار وقد
ابتلت اثوابه بالماء فقبضوا عليه ومضوا به الى الدهيشة فسجنوه في المكان الذى كان فيه
اخويه **قال** الشيخ صلاح الدين الصفدى حكى لى الامير اسنبغا استادار الصحبة هيئنا
السماط على ان الملك الكامل شعبان ياكل منه ثم افردنا منه شيئا لسيدى حاجى وسيدى حسين
الذى كانوا بالسجن في الدهيشة فخرج الى السماط سيدى حاجى وجلس في صدره واكل منه
ثم دخلنا بالطعام الذى كنا صنعناه لسيدى حاجى واخيه سيدى حسين الى الملك الكامل
شعبان فاكل منه وهو في السجن الذى كان به اخويه فسبحان القادر على كل شى انه في الليل والنهار
عجايب وقد قال القايل

لا تامنن الدهر وهو مسالم	فلمن المعاند فقد يكون محاربا
واحذر تقلبه ولا تنجى له	ان اركب الماشى وامشى الراكبا

وقال الاخر كم حادثة شرة بجيوشها ... بمضائق صدري في لقاها والترج
حتى اذا ايست من خلاصها ... جاءتني الالطاف تسعى بالفرج

ثم ان الملك الكامل اقام محبوسا في المكان الذي في الدهيشة ثلثة ايام ثم ان اخاه حاجي ارسل اليه من خنقه وهو في السجن وكان قتله في ليلة الخميس ثالث جمادى الاخرة سنة سبع واربعين وسبعماية **فكانت** مدة سلطنته بالديار المصرية سنة وشهرين ونصف ولما مات دفن على والده داخل القبة التي بين القصرين وكانت صفة الملك الكامل شعبان اشقر اللون ازرق العينين واقنى الانف مجدر الوجه يميل الى الصفرة شديد الخلق سيء التدبير وكانت امه رومية يجمع بين قبح الشكل والفعل قال الصلاح الصفدي

بيت قلاوون سعاداته ... في عاجل كانت بلا اجل
حل على املاكه للردى ... دين تداسنوفاه بالكامل

انتهى ما اوردنا من اخبار الملك الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المظفر حاجي ابن الملك الناصر

محمد بن قلاوون وهو الثامن عشر من ملوك الترك واولادهم بمصر وهو السادس من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون **بويع له بالسلطنة** بعد قتلة اخيه الملك الكامل شعبان في يوم الاثنين مستهل جمادى الاخرة سنة سبع واربعين وسبعماية وفيه يقول الشيخ جمال الدين بن نباتة المصري

يا امام الورى مضى لضعف عام ... لم انل فيه من وصولي ذريع
سنة اشغلت عني قيها ... كسرتني وكيف لا وهي سبع

وكان مولد حاجي هذا في سنة اثنين وثلاثين وسبعماية ولد بطريق الحجاز عند عود ابيه الملك الناصر من الحجاز وهي الحجة الثالثة فلما بشر فسماه حاجي فلما تسلطن وتم امره في السلطنة اراد ان يقبض على جماعة من الامرا فرسم لنقيب الجيوش المنصورة بان يدور على الامرا المقدمين ويعلمهم بان السلطان رسم بان يعمل الموكب في القصر ويجتمع ساير الامرا فدار عليهم نقيب الجيوش واعلمهم بذلك فلما طلعوا الى القلعة واجتمعوا في القصر فدخلوا عليهم جماعة من المماليك السلطانية بعد المزيب فقبضوا على جماعة منهم قيل ان الامير اقسنقر لما اراد وان يقبضوا عليه جرد سيفه وقصد نحو السلطان ليقتله فمسكه الامير شجاع الدين غرلوا والامير يلجك واخذوا سيفه من يده ثم قبضوا على الامير ملكتمر الحجازي والامير قرابغا القاسمي والامير ايتمش عبد الغني وتزلار التتري والامير صمغار فكانت ساعة تشيب فيها النواصي ثم ان السلطان امر بتقييدهم فقيدوا وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية واما الامير اقسنقر والامير ملكتمر الحجازي فحبسهم السلطان في البرج الى الليل فامر بخنقهم فخنقوا ودفنوا تحت الليل ومضى امرهما وكانا هذين الاميرين سببا لسلطنة الملك المظفر حاجي وقتل اخيه الملك الكامل شعبان وكانا يظنا انهما في دولة الملك المظفر يصيرا صاحبا الحل والعقد في امور المملكة فجاء الامر اليهما بخلاف ذلك فكان الامر كما قيل

ربما يرجو

ربما يرجو الفتى نفع فتى ... خوفه اولى به من امله
رب من ترجو به دفع الاذى ... سوف ياتيك الاذى من قبله

ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع في ذلك اليوم على خمسة عشر اميرا وانعم عليهم بالاقطاعات السنية وقرر منهم جماعة في وظايف واقام له عصبة من الامرا ثم جاءت الاخبار من دمشق بان نايب الشام يلبغا اليحياوي هرب فتبعه جماعة من عسكر دمشق فتقاتل معهم وقتل فقطعوا راسه واحضرت الى القاهرة فرسم السلطان بان تعلق على باب زويلة ثم ان الامير شجاع الدين غرلو تزايد ظلمه في حق الرعية وصادر في القاهرة بين الامرا فلما بلغ السلطان ذلك فقبض عليه وسجنه ثم تم منه كلام في حق السلطان فلما بلغه ذلك امر بقتله فخنق تحت الليل ودفن في الترابة فلما بلغ العوام ذلك فتوجه منهم جماعة الى قبره ونبشوا عليه واخذوا كفنه واحرقوا عظامه فلما بلغ السلطان ذلك فرسم لوالي القاهرة بان يقبض على من فعل ذلك فقبضوا على جماعة من العوام وضربوهم بالمقارع وقطعوا ايديهم وطافوا بهم في القاهرة ولما كان يوم الاربعا تاسع شهر رمضان فيه وصل من الشام موجود يلبغا اليحياوي نايب الشام فكان من جملة ذلك من الذهب العين خمسين الف دينار فلما وصل ذلك الى الخزاين الشريفة فانفقه السلطان جميعه على طيور الحمام وكان مولعا بلعب الحمام فعمل لهم خلاخيل ذهب في ارجلهم والواح ذهب في اعناقهم وصنع لهم مقاصير من خشب الابنوس وطعمهم بالعاج والابنوس واقام لهم غلمان يلحقونهم فاصرف ذلك المال جميعه عليهم **قال** الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة في ترجمة الملك المظفر حاجي وقد اشتغل بلعب الطيور عن تدبير الامور والنهي عن الاحكام بالنظر للحمام فجعل السطح داره والشمس سراجه والبرج مناره واطاع سلطان هواه وخالف من نهاه وخرج في ذلك عن الحد وصار لا يعرف الهزل من الجد ثم ان السلطان صار يستخف بالامرا ولا يبات عندهم في القصر في ليالي الموكب فعند ذلك تغيرت عليه خواطر الامرا ولا سيما ما قد انفقه على الحمام من المال الذي جاء به من موجود نايب الشام فدخل الامير جنبغا على السلطان وقت الظهر وخاطبه وعنفه عن ذلك الامور التي يفعلها وقال له ان الامرا والعسكر قد تغير خاطرهم على السلطان بسبب ذلك فلما سمع السلطان ذلك غضب وقام من وقته وطلع الى الحمام وذبحهم اجمعين وخرب تلك المقاصير وارسل يقول للامير جنبغا اني قد ذبحت الحمام الذي كان عندي جميعه وانا ان شا الله تعالى اذبح في هذا المزيب خياركم كما ذبحت الحمام فلما سمع الامير جنبغا ذلك قام من وقته ودخل الى نايب السلطنة وذكر له ما قاله السلطان فاتفق راي الامرا قاطبة على خلعه من السلطنة فلما كان يوم الاحد ثاني عشر رمضان فيه وثبوا الامرا على السلطان ولبسوا آلة الحرب وخرجوا الى قبة النصر فلما بلغ السلطان ذلك فرسم بشد الخيول ودق الكوسات حربيا ونعق النفير وركب تحت الصنجق ومعه جماعة من الامرا العشراوات نحو ثلاثة انفس وبعض مماليك صغار ومقدم المماليك

الامير عنبر ثم ان السلطان خرج من باب السلسلة ومشى الى راس الصوه ووقف ينتظر
من يطلع اليه من الامرا فلم يطلع اليه احد فوقف ساعة ثم مضى الى بين الترب فوقف
هناك وارسل خلف الامير شيخو العمري فجاء من بيته فبعثه السلطان الى الامرا الذى
فى قبة النصر وهو يقول لهم ايش قصدكم حتى نعرف سبب ركوبكم علينا من غير موجب
فلما توجه الامير شيخو من عند السلطان بهذه الرسالة فاجتمع بالامرا الذى فى قبة النصر
وبلغهم ما قاله السلطان فقالوا له امض الى السلطان وقل له ينزل عن الملك ويكف هذا
القتال عن العسكر فلما رجع الامير شيخو الى عند السلطان وبلغه ما قاله الامرا فقال السلطان
كيف انزل عن الملك والله ما عندى لهم الا السيف فرجع اليهم الامير شيخو بهذا الجواب
ثم حطوا عليه واشاروا بالحرب اليه فثار بينهم غبار الحرب الوارد وحملوا عليه حملة
رجل واحد وكان راس الفتنة الامير بيبغا اروس فجاء من ورا السلطان وضرب عليه
بنزك بمن معه من العسكر فصار من كان مع السلطان من المماليك ينسحبون قليلا قليلا
فلم يبق معه الا القليل من المماليك فتقدم اليه الامير بيبغا اروس وضرب السلطان بطبر
كان معه فلم تؤثر فيه الضربة فنزل الامير بيبغا اروس عن فرسه ومسك لجام فرس
السلطان وتكاثروا عليه العسكر فقلعوه من قربوس السرج واخذوه وهو مكشوف
الراس فمضوا به الى عند الامير ارغطاى نايب السلطنة فلما راه نزل عن فرسه وادى
على السلطان قباه وقال اعوذ بالله ان اقتل ابن استاذى ولكن امضوا به الى البيجى بالقلعة
فاخذه الامير بيبغا اروس ومضى به الى تربة فى الباب المحروق فخنقه هناك ودفن
من وقته ولم يشعر به احد وكان له من العمر لما قتل نحو عشرين سنة وكان مليح الشكل صبيح
الوجه شجاعا بطلا لا يهاب الحرب ولا يخاف الضرب وقد قال فيه الصلاح الصفدى رحمه الله

ايها العاقل اللبيب تفكر ... فى المليك المظفر الضرغام
قد تمادى فى البغى والغى حتى ... كان لعب الحمام جد الحمام

ثم كانت مدة سلطنة الملك المظفر هذا بمصر سنة وثلاثة اشهر وثمانية عشر يوما ولكن
قتل فى هذه المدة اليسيرة جماعة كثيرة من الامرا وغيرهم وكان سفاكا للدما على صغر
سنه وفيه يقول الصلاح الصفدى رحمة الله تعالى عليه

حان الردى للمظفر ... وفى الثرى قد تعفر
كم اباد اميرا ... على المعالى توفر
وقاتل النفس ظلما ... ذنوبه ما تكفر

فلما قتل المظفر حاجى طلعوا الامرا الى القلعة وضربوا مشورة فيمن يولوه السلطنة فاختلفوا
فى ذلك فطايفة من الامرا يقولون سيدى حسين وطايفة منهم يقولون سيدى حسن ثم وقع
الخلف بينهم فى ذلك وكان سيدى حسين مجرما سفاكا للدما فنفروا منه العسكر لشدة باسه
ووقع القال والقيل بين الامرا واقامت مصر يومين بغير سلطان والناس يدعون الى الله

باصلاح احوال المسلمين ثم فى اليوم الثالث وقع الاختيار من الامرا على سلطنة سيدى حسن
فطلبوه من دور الحرم وسلطنوه كما سياتى ذكر ذلك فى موضعه انتهى ما اوردناه من اخبار
الملك المظفر حاجى بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك على سبيل الاختصار منها

ذكر سلطنة الملك الناصر ابو المحاسن حسن

بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وهو التاسع عشر من ملوك الترك واولادهم
بمصر وهو السابع من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون بويع له بعد قتله اخيه حاجى
فتولى الملك وله من العمر ثلاثة عشر سنة وكان مولده فى سنة ست وثلاثين وسبعماية فتسلطن
فى يوم الثلاثا رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان واربعين وسبعماية قيل لما اخرجوه
من دور الحرم جلس على باب الستارة واحضروا له خلعة السلطنة وكان اسمه اولا سيدى
قمارى لحسنه فلما ارادوا ان يسلطنوه فقال للامرا انا ما اسمى الا سيدى حسن فقالوا الامرا
على بركة الله تعالى فالبسوه خلعة السلطنة وركبوه من باب الستارة والامرا مشاة بين
يديه الى ان وصل الى الايوان وجلس على سرير الملك ودقت له الكوسات ونودى باسمه
فى القاهرة وضجوا له الناس بالدعا وفرحوا كل الناس بولايته فلما كان يوم الاثنين عمل
الموكب واخلع على الامير بيبغا اروس واستقر به نايب السلطنة عوضا عن الامير ارغطاى
ثم اخلع على الامير ارغطاى واستقر به نايب حلب ثم اخلع على الامير ارغون شاه
واستقر به نايب الشام واخلع على الامير منجك اليوسفى واستقر به وزيرا واستادار
بالديار المصرية واخلع على جماعة كثيرة من ارباب الوظايف من الامرا والمقدمين وغير
ذلك ثم فرق الاقطاعات على المماليك السلطانية وارضاهم بكل ما يمكن ثم عينوا
الامير استبغا المحمودى السلحدار بان يتوجه ببشارة ولاية السلطان الى دمشق فاخذ
فى اسباب السفر الى دمشق وفيه يقول ابن ابى حجلة

غدا سلطاننا ملك البرايا ... رعاه الله يعدل فى الرعايا
حواصل عدله والدر حواها ... واخرج من زواياها الخبايا
تهلل فى التمادى والايادى ... فقد حزت النهاية فى العطايا

وفى هذه السنة وهى سنة ثمان واربعين وسبعماية فيها احترق بحر النيل احتراقا زايدا
مما يلى بر مصر فاتفق راى الامرا بان يسدوا البحر مما يلى بر الجيزة فرسموا للامير منجك
اليوسفى وزير مصر بان يتولى امر ذلك فرمى منجك على كل من كان بمصر والقاهرة درهمين
فضه واخرجوا مراسيم شريفة الى كاشف الشرقيه بان يرمى على كل نخلة فى البلاد درهمين
من الفضه فاجتمع من ذلك مال جزيل فاخذ منجك ذلك المال واشترى به مراكب ودسقها
حجارة وغرقها فى البحر مما يلى بر الجيزة فلم يفد ذلك شيا وطفى عليهم الما فغضبوا
الامرا على منجك ورسموا عليه بسبب ما اخذه من البلاد من المال فصادروه واخذوا امواله
وعزلوه من الوزاره ثم دخلت سنة تسع واربعين وسبعماية فيها اخلع السلطان

على الامير جبغا واستقر به نايب طرابلس واخلع على الامير احمد شاد الشر بخاناه واستقر
به نايب صفد **ومن الحوادث** في هذه السنة ان الفنا وقع بالديار المصرية وعم
ساير البلاد فكان يخرج من القاهرة في كل يوم ما ينيف عن عشرين الف جنازة وقد ضبط في مدة
شهر شعبان ورمضان فبلغ عدة من مات فيهما من الناس فكان نحو تسعماية الف انسان ولم
يسمع بمثل هذا الطاعون فيما تقدم من الطواعين المشهورة في صدر الاسلام **قال الشيخ**
شمس الدين محمد الذهبي ان الطواعين المشهورة في مبتدا الاسلام خمسة وهي طاعون شيرويه
وطاعون عمواس كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان وقع بالشام واعمالها في سنة
ثمانية عشر من الهجرة وعمواس بفتح العين اسم قرية بالشام وطاعون الجارف وقع في زمن
عبد الله بن الزبير في سنة سبع وستين من الهجرة قيل مات فيه في ثلاثة ايام في كل يوم
سبعين الف ومات فيه لانس بن مالك رضي الله عنه في ثلاثة ايام ثلاثة وثمانون ولدا
وكان في شهر رمضان قوة عمله وطاعون الفتيات كان بالبصرة وواسط قيل انه ابتدا
بالعذارى الصغار فسمي طاعون الفتيات وطاعون جاء في سنة احدى وثلاثين ومائة
من الهجرة يسمى طاعون قتيبة فمات فيه الف الف وستماية وخمسون الف انسان
ومات فيه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ولكن لم يسمع بمثل هذا الطاعون الذي
جاء في هذه السنة لانه عم البلاد قاطبة ومات فيه من الناس ما لا يحصى عددهم من
مسلم وكافر وكان قوة عمله في بلاد الفرنج واقام دايرا في البلاد نحو سبع سنين حتى عزت
جميع البضايع لقلة الجالب من البلاد وبلغ ثمن الراوية الما اثنى عشر درهما بالقاهرة
وسبب ذلك موت الجمال وبلغ طحين الاردب القمح خمسة عشر درهما ولم يزرع من
اراضي مصر في تلك السنة الا القليل بسبب موت الفلاحين وعدم من يزرع ووقع الغلا
بمصر حتى ابيعت كل ويبة قمح بثمانين درهم وكادت مصر ان تخرب في تلك السنة ووقع
الطعن ايضا في القطاط والكلاب والوحوش ولقد شاهدوا اشياء كثيرة من الوحوش وهي
مطروحة في البراري وتحت ابطها الطواعين وكذلك الخيل والجمال والحمير وساير الحيوان
حتى الطيور مثل النعام وغيره لما دخل وفي ذلك يقول الصلاح الصفدي

لما افترست مكا صحابي * بالعام تسع واربعينا
وقوله: ماكنت والله تسعا * بل كنت سبعا يقيتا
ايضا: دارت من الطاعون كاس الفنا * فالنفس من سكرته طافحة
وقوله: قد خالف الشرع واحكامه * لانه يثبت بالرايحة
ايضا: لا تثق بالحياة طرفة عين * في زمان طاعونه مستطير
وقال: فكان القبور شعلة شمع * والبرايا لها فراش تطير

وقال الشيخ زين الدين ابن الوردي

يقولون ثم الخلط في زمن الوبا * دنا قال لما قال الاطبا يا حلي

فان قلت للطاعون تسطو اعلى الورى * يقول نعم اسطوا وانفك في الكل

وقال ابراهيم المعمار

ياطالبا لموت قم واغتنم * هذا اوان الموت ماقاتا
وقوله: قد رخص الموت على اهله * ومات من لا عمره ماتا
ايضا: نتج الطاعون داء * فتقدت فيه الاحبة
ومن مجونه: يبعث الانسان فيه * كل انسان بحبه
قوله: قلت لمن بالحشيش مشتغل * ويك اما تختشي من هذه الكبة
وقال: فالناس ماتوا بكبة ظهرت * فقال اني اعيش بالكبة
لبعضهم: تروعنا الجنايز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات
وقال: كم روعة ظبية صدفت لذيبا * فلما غاب عادت راتعاتا
اخر: نراع بذكر الموت ساعة ذكره * ونعرض للدنيا فنلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شيء محبب

قيل لما زاد امر الطاعون بمصر فامر بعض العلما بان الناس يخرجون قاطبة الى الدعا
برفعه فخرج الناس قاطبة الى الصحرا وفعلوا كما يفعلون كالاستسقا فلم يفد من ذلك
شيا بل زاد امر الطاعون حتى عم ساير البلاد حتى دخل الى مكة ولم يعهد هذا قط سوى في
هذه السنة نقل ذلك ابن حجر في كتاب بذل الماعون في اخبار الطاعون انتهى **ثم دخلت**
سنة خمسين وسبعماية فيها جات الاخبار بان ارغون شاة نايب الشام قتل بخيمة الليل
وسبب ذلك ان الامير جبغا نايب طرابلس دخل الى دمشق في جماعة كثيرة من عسكر طرابلس
وكان ارغون شاة نايب الشام مقيما بالقصر الابلق الذي بدمشق فدخل عليه الامير
جبغا نايب طرابلس وهو نايم بين عياله فقبض عليه وقيده وسجنه بقلعة دمشق
فلما اصبح الصباح طلب الامير جبغا القضاة والامرا بدمشق واخرج لهم مرسوم السلطان
بمسك ارغون شاة نايب الشام فعند ذلك سكن ما كان بين الناس من الاضطراب
وظنوا ان ذلك صحيح ثم ان الامير جبغا احتاط على موجود ارغون شاة جميعه فلما
كان ليلة الجمعة رابع عشرين ربيع الاول من تلك السنة فيها وجد ارغون شاة
النايب مذبوحا وهو في السجن فاحضر الامير جبغا القضاة وكتب محضرا بذبح ارغون
شاة بانه وجد في السجن وهو مذبوح ولا يعلم من فعل ذلك ثم فشى الكلام بين الناس بان
ذلك من فعل جبغا فكثر القال والقيل في حق جبغا بانه هو الفاعل لذلك جميعه ثم وثبوا
عليه عسكر دمشق وحاربوه فهرب جبغا وتوجه نحو المزه وهي من اعمال دمشق فلم
يتبعه احد من عسكر الشام وظنوا عقبا ذلك ثم ان الامير جبغا توجه الى طرابلس بعد ما
جرى منه ما جرى ثم ان امرا دمشق كاتبوا السلطان بما وقع من الامير جبغا فلما وصل
هذا الخبر الى السلطان فانكر ذلك وحلف على مصحف انه لم يكن له بذلك علم ثم عاد

بجواب الى الامرا بدمشق بان السلطان ليس له علم بما جرى من الامير جيبغا ثم رسم لعسكر
دمشق بان يحاربوا الامير جيبغا ويمشون عليه في اي مكان كان فخرجوا اليه عسكر دمشق
قاطبة فحاربوه وهو في طرابلس فانكسر الجيبغا وقبضوا عليه ودخلوا به الى الشام وكان
يوم دخوله الى الشام يوما مشهودا لم يسمع بمثله وكان في مراسيم السلطان الذي جاءت
الى دمشق بان اذا ظفرتم بالجيبغا فاشنقوه على باب قلعة دمشق فلما ظفروا به
فشنقوه وعلقوه على باب القلعة كما رسم السلطان فاقام ثلاثة ايام وهو معلق حتى دفن
بعد ذلك فكان كما قيل ، لبس الغدر بمحمود ولو سلم **ثم دخلت** سنة احدى
وخمسين وسبعماية فيها جاءت الاخبار من حلب بان شخصا من التتار يسمى هند واغار على مدينة
سنجار وملكها فارسل السلطان له تجريدة فحاصروه فطلب من العسكر الامان ثم رحل عن سنجار
وعاد اليها النايب الذي من قبل السلطان ثم رجع العسكر الى القاهرة وهم سالمون وفيها توجه
الامير طاز امير حاج بالمحمل فلما وصل الى مكة وقع بينه وبين الملك المجاهد صاحب اليمن
وكان قد حج في تلك السنة فلما صعدوا الى الجبل وقع بينهما فتنة عظيمة فانكسر الملك المجاهد
صاحب اليمن وقبض عليه الامير طاز وقيده واحضره صحبته الى القاهرة **وفيها** جمع
الملك الناصر حسن القضاة الاربع وساير الامرا ورشد نفسه واستعذر الاوصية فاعذروا
له في ذلك ثم بعد ايام قبض السلطان على جماعة من الامرا منهم الامير بيبغا اروس والامير
منجك اليوسفي وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية **وفيها** ابطل السلطان ما احدثه
النسا من القمصان الذي خرجت في كبر الاكمام عن الحد وابطل ما احرجوه من الازر الحرير
والاخفاف الزركش فاشتهر المناداة في القاهرة بابطال ذلك ورجعن النسا عن ذلك
ثم دخلت سنة اثنين وخمسين وسبعماية فيها عادوا الحجاج الى القاهرة
فطلع الامير طاز الى القلعة وصحبته الملك المجاهد صاحب اليمن فلما تمثل بين يدي
السلطان فاطلقه من القيد ورسم له بالعود الى بلاده وهو مكرم وارسل معه السلطان
الامير قشتمر المنصوري ليوصله الى بلاده فلما وصل الى الينبع فاراد الملك المجاهد
بان يقتل الامير قشتمر ويهرب من هناك فقبض عليه الامير قشتمر ورجع به الى القاهرة
فتغير عليه خاطر السلطان بسبب ذلك فقيده وارسله الى السجن بقلعة الكرك
وفيها في يوم الاحد سابع عشر جمادى الاخر وثبوا الامرا على السلطان ولبسوا آلة
وطلعوا الى الرملة ووقفوا بسوق الخيل وكان راس الفتنة الامير طاز المنصوري
والامير بيبغا الشمسي والامير بيغر الناصري فحضر الامير طاز ومعه جماعة من
الامرا فطلعوا الى القلعة وهم راكبون الى الحوش السلطاني فقبضوا على السلطان الملك
الناصر حسن وسجنوه بالقلعة في مكان داخل دور الحرم فاقام به الى حين عوده الى
السلطنة كما سياتي ذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى **فكانت** مدة سلطنة الملك
الناصر حسن في هذه المرة بمصر ثلاث سنين وتسعة اشهر وهي السلطنة الاولى ثم

فولى

ذكر سلطنة الملك الصالح صلاح الدين صالح

تولى من بعده اخيه صالح انتهى ذلك
بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وهو العشرون من ملوك الترك
واولادهم بالديار المصرية وهو الثامن من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون **بويع له**
بالسلطنة بعد اخيه الملك الناصر حسن في يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الاخر سنة اثنين
وخمسين وسبعماية وكان مولده بقلعة الجبل في شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وسبعماية
وامه خوند قطلوملك بنت الامير تنكز نايب الشام وكان سبب سلطنته ان الملك
الناصر لما خلع من السلطنة تعصب الامير طاز وسلطن الملك الصالح فجلس على سرير الملك
وتلقب بالملك الصالح ونودي باسمه في القاهرة وضج له الناس بالدعا فلما تم امر الملك
الصالح في السلطنة فصار الامير طاز صاحب الحل والعقد واجتمعت فيه الكلمة وصار
الملك الصالح معه مثل اللولب يديره كيف شاء وليس له في السلطنة غير مجرد الاسم
فقط ثم وقع بين الامرا الخلف واضمروا السوء للامير طاز ودبت بينهم وبينه عقارب
الفتن ثم وثبوا عليه جماعة من الامرا ولبسوا آلة الحرب وتوجهوا الى القصر فلما بلغ الامير
طاز ذلك فاركب السلطان ونزل به من القلعة في جماعة من الامرا ومن المماليك السلطانية
ودقت الكوسات حربي وصعق النفير ومشى السلطان تحت الصنجق ونودي في القاهرة
للعوام ان وجد مملوكا من مماليك الامير منكلي بغا الفخري والامير مغلطاي فيقتله حيث
وجد في اي مكان كان فقتل في ذلك اليوم جماعة كثيرة من المماليك واخذ واخذوا
قماشهم وسلاحهم ثم زحف السلطان والامير طاز بمن معهم من الامرا والعسكر وتوجهوا
الى خوخة النصر فوقع بينهم القتال عند خليج الزعفران في المطرية فكان بين الامرا
وقعة عظيمة وقتل فيها جماعة كثيرة من المماليك ثم ان الامير منكلي بغا الفخري والامير
مغلطاي انكسرا وهربا في بعض بساتين المطرية فقبضوا عليهما في اواخر النهار ثم رسم
السلطان بسجنهما في خزانة الشمايل ثم ارسلهما الى السجن بثغر الاسكندرية ورسم بالافراج
عن الامير شيخو العمري والامير منجك اليوسفي وكانا بالسجن بثغر الاسكندرية فافرج
عنهما وحضروا الى الابواب الشريفة وطلعوا الى القلعة فانعم السلطان على الامير شيخو
في ذلك اليوم بتقدمة الف وكذلك الامير منجك اليوسفي ثم ان السلطان ارسل بالافراج
عن الامير بيبغا اروس وكان بالسجن في قلعة الكرك فلما حضر فاخلع عليه واستقر به
نايب حلب ثم اخلع على الامير ارغون الكاملي واستقر به نايب الشام واخلع على الامير
قبلاي واستقر به نايب السلطنة بمصر وفي هذه السنة توفي ابن اللبانة الشاعر وكان
من فحول الشعرا وله شعر جيد ومن لطايف قوله

هل لا اناك على قلب مشفق ، لترى قواشا في فراش يحرق
تدصرت كالرمق الذي لا يرتجى ، وبقيت كالنفس الذي لا يلحق
لو في يدي سحر وعندي قدرة ، لجعلت قلبك كل يوم يعشق

لئن ذقت ما قد ذقت من الم الهوى ۔ فترق لي مما تراه وتشفق

وفيها توفي الامام العالم العلامه شيخ الاسلام شمس الدين بن قيم الجوزية وكان له مصنفا
كثيره في العلوم الجليلة ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعماية فيها جاءت الاخبار
من حلب بان نايب حلب الامير بيبغا اروس قد خرج عن الطاعة واظهر العصيان وكذلك
الامير بكلمش نايب طرابلس وكذلك الامير احمد نايب حماه وكذلك الامير الطنبغا
برناق نايب صفد فارسل نايب الشام الامير ارغون الكاملي يخبر السلطان بما قد جرى
من النواب ثم بعد ذلك بايام يسيرة جاءت الاخبار بان نايب حلب وصل الى الشام وحاصر
المدينة فلما راى نايب الشام عين العطب هرب تحت الليل هو ومماليكه وتوجه الى نحو
غزة فاقام بها وارسل يعلم السلطان والامرا بذلك ثم جاءت الاخبار بان بيبغا اروس
لما دخل الى الشام وقف تحت القلعة ومعه من تقدم ذكره من النواب فاستعرض هناك العسكر
الشامي والعسكر الحلبي فكان مع الامير بيبغا اروس من النواب والامرا نحو ستين اميرا
غير العساكر الحلبيه والشاميه وغير ما التف عليه من العربان والعشير فقويت شوكته
فلما فرغ من العرض نزل عند قبة يلبغا وارسل الى نايب قلعة دمشق وهو الامير اياجي
يطلب منه اميرا كان مسجونا بقلعة دمشق فارسل اليه الامير اياجي يعتذر له عن ذلك
بان هذا في سجن السلطان ولا اقدر على اطلاقه من السجن الا بمرسوم السلطان ثم ان نايب
دمشق حصن القلعة تحصينا عظيما وركب عليها المكاحل بالمدافع وارسل يقول لاهل
المدينة لا تفتحوا دكانا ولا اسواقا ولا تبيعوا على عسكر حلب فلما بلغ الامير بيبغا اروس
ذلك فاشتد بالغضب وامر عسكره بان ينهبوا ضياع دمشق والبساتين ويقطعوا
الاشجار فلما سمعوا العربان بذلك والعشير الذي كانوا مع بيبغا هذه المناداه فابقوا
ممكنا في الاذى والفساد فنهبوا حتى النسا والبنات والقماش وجرى على اهل دمشق
من بيبغا اروس ما لا جرى عليهم من عسكر غازان لما ان دخل الى دمشق فلما جاءت
الاخبار بذلك الى السلطان فعلق الجاليش وتجهز للخروج الى دمشق ثم عين الامير
عمر شاه وهو صاحب القنطرة وعين محمد بن بكتمر الساقي والامير قماري الحموي بان
يخرجوا الى الصعيد قبل خروج السلطان لحفظ البلاد من فساد العربان وصون الفلاحين
فخرجوا من يومهم ثم ان السلطان خرج من القاهرة قاصدا نحو البلاد الشامية فطلب طلبا
عظيما وخرج معه من يذكر من الامرا وهم الامير طاز والامير شيخو العمري والامير صرغتمش
والامير اسندمر العمري واخوه الامير طاز والامير جردمر والامير قوانبغا والامير
بيخاص والامير تنبغا السلحدار والامير طشتمر القاسمي والامير سنقر المحمدي والامير
قطلوبغا الذهبي وبقية الامرا المقدمين وكان مع السلطان الطبلخانات والعشرات
نحو ثمانين اميرا ثم ان السلطان ترك في القاهرة الامير قبلاي نايب السلطنه ومعه
ثلاث امرا لصون المدينة ثم خرج السلطان من القاهرة في يوم الثلاثا سابع شهر شعبان

سنة

سنة ثلاث وخمسين وسبعماية وكان صحبته القضاه الاربع والخليفة الامام احمد الحاكم
بامر الله ابن المستكفي بالله ابن الامام احمد الحاكم بامر الله وساير العسكر قاطبة فكان وصول
السلطان الى دمشق في شهر رمضان فنزل بالقصر الابلق الذي بالميدان وصلى الجمعة في جامع
بني امية وكان الامير بيبغا اروس لما بلغه وصول الملك الصالح الى دمشق وطلوعه ثم ان
السلطان طلع الى قلعة دمشق واقام بها وعين جماعة من الامرا والعسكر بان يتوجهوا خلف
الامير بيبغا ومن معه من النواب ليخرجوا اليه ويقاتلوا معه فلما كان ثالث شهر شوال جاءت
الاخبار من عند السلطان بانه قد انتصر على الامير بيبغا اروس وانكسر بيبغا وهرب الى بلاد
التراكمه ومسك جميع من كان معه من النواب والعسكر ودخلوا بهم الى دمشق وهم في زناجير
وقيود وكان لهم في دمشق يوما مشهودا لم يسمع بمثله ثم ان السلطان جلس في القصر
الابلق بالميدان واجتمعوا الامرا عنده في القصر ودخل العسكر الى الميدان ثم احضروا النواب
فعاتبهم على ما فعلوا ثم امر بتوسيطهم فوسطوا ستة من الامرا وهم الطنبغا برناق نايب
صفد وهو صاحب الدرب المنسوب اليه والامير طيبغا الاوجاقي المعروف بحلاوة
والامير مهدي العلاي شاد الدواوين بحلب والامير اسنبغا التركماني والامير الطنبغا
شاد الشربخاناة والامير شادي اخو الامير احمد نايب حماه ثم اراد ان يوسط الامير
ملكتمر السعيدي فشفعوا فيه الامرا فحبس بقلعة دمشق ثم ان السلطان قصد ان يتوجه
الى مصر فخرج من الشام بعد ما عزل من عزل وولى من ولى وسار حتى دخل الى القاهرة في اواخر
شوال من السنة المذكورة فكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهودا وزينت له وحملت
على راسه القبة والطير وفرشت له الشقق الحرير من باب النصر الى القلعة وهو في غاية
العز والنصرة والامرا مشاة بين يديه ولعبوا قدامه بالغواشي الذهب ونثروا له
الذهب والفضه وضجوا له الناس بالدعا وكان محبا للرعية قليل الاذى فلما استقر
بالقلعة ومضى عليه اياما يسيرة قبض على الصاحب علم الدين بن زنبور وكان قد عظم
امره وغنيت امواله واجتمع فيه من الوظايف السنية ما لا اجتمع في غيره فكان وزيرا وناظر
الجيوش المنصورة وناظر الخواص الشريفة فتعاظم على الناس بقوة الباس وفيه يقول الاديب
شمكية الشاعر

هذا ابن زنبور الصاحب ۔ في الناس ما اكثر سمه
يا من درى زنبور ابن كان ۔ زنبور ابوه ولكن امه

فلما قبض عليه السلطان فضربه ضربا شديدا وقيده ونفاه الى قوص واحتاط على موجوده
من ناطق وصامت فكان كما قيل في المعنى

ومباشر السلطان شبه سفينة ۔ في البحر ترجف دايما من خونه
ان ادخلت من مايه في جوفها ۔ ادخلها وماءها في جوفه

قال قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة رحمة الله عليه وقفت على قوايم فيها ما
ضبط من موجود الصاحب علم الدين بن زنبور وهو قماش ملون ما بين صوف وحرير

الفين وستمائة قطعة منها مزى بجمور ودوشق وسنجاب وكاقوم الفين قطعة
جنداب بوجهين ستمائة قطعة جنيات خمسة الاف قطعة اداني ذهب وفضة
ونشم نحو سبعين قنطارا اصناد بق ضمنها فصوص ملون مابين ياقوت وماش وعين الهر
وجات لولو كبار وزن ذلك نحو قنطارين وكسور وصناديق ضمنها لولو حب فاعتبر
بالكيل فكان نحو اردبين بالمصرى صناديق ضمنها ذهب عين جملته ستمائة الف
دينار حوايص ذهب ستة الاف حياصة كلوتات زركش ستة الاف كلوته ووجد
له ودايع عند الناس في اماكن عدتها ستة وثلاثون مكانا ما يعلم ما في الصناديق التي
وجدت ووجد له فضة نقد به تحوت بالكيل فكانت ثلاثون اردبا بالمصرى
حواصل فيها شاشات العرق للثمانية الف شاش حواصل فيها بسط رومى ومقاعد
من ساير الانواع خمسة وثلاثون الف قطعة انطاع كبار وصغار ثلاثون الف نطع
ومن الخيول والبغال والجمال عشرون الف راس ووجد له في حبسه تحت ختم سبعمائة
الف دينار ووجد له عبيد وجوار سبعمائة راس ومن المماليك الروم خمسون مملوكا
ومن الخدام الخصى مائة راس ووجد في حواصل نحو من ثلاثين الف قطعة صينى ما
بين لازورد واخضر وشفاف ووجد له من النحاس الاصفر المكفت والنحاس الابيض
نحو من اربعين الف قطعة ووجد له من الاملاك والضياع والمسقفات سبع الاف
مكان قوموا بثلثمائة الف دينار ووجد له من المعاصر خمسة وعشرين معصرة وبهم من
السكر ما لا يحصر وزنه ووجد لاولاده اقطاعات حلقه سبعمائة اقطاع ووجد له
في حاصل من السروج الذهب والفضة والكنابيش الزركش والبدلات وعدد الخيل
فقوموا ذلك بثلاثين الف دينار ووجد له مخازن فيها بضايع وبها رنوم وادوات
باربعماية الف دينار ووجد له من المراكب ستماية مركبا ووجد له من البساتين والغيطان
مائتين بستان ووجد له من السواقي في البلاد الف واربعماية ساقية ووجد له من الابقار
الحلابة والاغنام السياق ثمانية الف راس ووجد له من الغلال ما بين قمح وشعير
وفول فلا يعلم قدر ذلك ولا يحصر كيله ووجد له ودايع كثيرة عند الناس من قماش
ونحاس ومال وغير ذلك فما انحصر قدره والذي ضاع له عند الناس والغلمان نحو ذلك
وكان له ادم خشوة ومابق سريه وهذا الوجود لم يجتمع بمثله ولا عند الخلفا واحد الامراء
اخذوا ماله جميعه ونفي الى قوص فاقام بها الى ان مات ودفن بقوص ولم يعلم له مكان قبر
وزالت الدنيا عنه كما زالت عن غيره كما قيل المال كالماء من استكثر منه غرق فيه وقال
بعضهم * خذ القناعة من دنياك وارض بها * واجعل لنفسك منها راحة البدن *
* وانظر لمن حوى ما سمعت به * هل ناله غير بعض القطن والكفن *
وقال الزمخشري رحمة الله تعالى عليه
* وقايلة ارى الايام تعطى * لئام الناس من رزق حثيث *

دعم

---

* وتمنع من له شرف وفضل * فقلت لها خذي اصل الحديث *
* رات حل المكاسب من حرام * فجادت بالخبيث على الخبيث *

انتهى ذلك وفي هذه السنة توفي الشيخ الامام العالم العلامة زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي
المعري الكندي وكان من اعيان علما الشافعية وله مصنفات كثيرة منهم كتاب البهجة وغير
ذلك وكان فريد عصره ووحيد دهره وله نظم ونثر رضي الله عنه **قال** الشيخ عماد الدين
اسماعيل بن كثير في تاريخه ان الشيخ زين الدين بن الوردي دخل الى الشام وكان ضيق المعيشة
رث الهيئة ردى المنظر فحضر في مجلس القاضي نجم الدين صرصري من جملة الشهود
فاستخفت به الشهود واجلسوه في طرف المجلس فحضر في ذلك اليوم مبايعة مشترى
ملك فقال بعض الشهود اعطوا المعرى يكتب هذه المبايعة على سبيل الاستهزا به فقال الشيخ
زين الدين اكتبه لكم نظما او نثرا فتزايد استهزاؤهم به فقالوا والله بل اكتبه لنا نظما فاخذ
ورقة وقلم وكتب فيها هذا النظم اللطيف وهو

* باسم الاله الخالق هذا ما اشترى * محمد بن يونس بن سنقرا *
* من مالك بن احمد بن الازرق * كلاهما قد عرفا من جلق *
* فباعه قطعة ارض واقعة * بكورة الغوطة وهي جامعة *
* اشجارها مختلف الاجناس * والارض في البيع مع الغراس *
* وذرع هذا الارض بالذراع * عشرون في الطول بلا نزاع *
* وحدها من قبلة الملك التقي * وحايز الرومي حد المشرق *
* ومن شمال اولاد ملك علي * والغرب ملك عامر بن جهبل *
* وهذه تعرف من قديم * بانها قطعة بنت الرومي *
* بيعا صحيحا لازما شرعيا * ثم شرا قاطعا مرعيا *
* بثمن مبلغه من فضة * وازنة جيدة مبيضة *
* جارية للناس في المعاملة * الفان منها النصف الف كاملة *
* وسلم الارض الى من اشترى * فقبض القطعة منها وجرى *
* بينهما بالبدن المتفرق * طوعا فما لاحد تعلق *
* ثم ضمان الدرك المشهور * فيه على بايعه المذكور *
* واشهدا عليهما بذاك في * رابع عشر رمضان الاشرفا *
* من عام سبع ماية وعشرة * من بعد خمسة تليها الهجرة *
* والحمد لله وصلى ربنا * على النبي واله والصحب *
* يشهد بالمضمون من هذا عمر * ابن المظفر المعرى اذا حضر *

فلما فرغ الشيخ من نظمه ووضع الورقة بين يدى الشهود فتاملوا هذا النظم مع سرعة الارتجال
فتبلوا يده واعتذروا له من التقصير في حقه واعترفوا بتفضيله عليهم ثم ان الشيخ قال

بعض الشهود فی المجلس سد فی هذه الورقه بخطك فقال له یاسیدی انا ما احسن النظم فقال له ما اسمك فقال له احمد بن رسول فكتب الشیخ منه وهو یقول

قد حضر المعقد الصحیح احمد ❊ ابن رسول وبذاك یشهد

انتهی ذلك وتوفی فی هذه السنة الشیخ شمس الدین الذهبی المورخ وتوفی الشیخ اثیر الدین ابو حیان المغزی وكان مالكی المذهب فلما دخل الی مصر تقلد بمذهب الشافعی رضی الله عنه فسیل عن ذلك فقال الحب الجلاد وكان عالما فاضلا ناظما ناثرا وله شعر جید ومن شعره

بدر تقرله علی الخد خال ❊ فی احمرار یشتق منه الشقیق

كتب الحسن بالمحقق معناه ❊ ولكن عذاره تعلیق

انتهی ذلك **ثم دخلت** سنة اربع وخمسین وسبعمایة فیها توفی الخلیفة الامام الحاكم بامر الله تعالی احمد بن المستكفی بالله ابو الربیع سلیمان بن الامام الحاكم بامر الله احمد فلما مات تولی من بعده ابنه ابی بكر وتلقب بالمعتضد بالله وكان له مشهد عظیم **وفیها** حضر بروس الامیر بیكلمش نایب طرابلس وراس الامیر بیبغا اروس نایب حلب وراس الامیر احمد نایب حماه وكانوا هربوا من الملك الصالح لما توجه الی الشام كما تقدم فلما هربوا ذلك النواب توجهوا الی بلاد التركمان فقطعوا روسهم وارسلهم الی السلطان فرسم بان یعلقوا علی باب زویله فعلقوا علیه ثلاثة ایام وفی هذه السنة جاءت الاخبار من بلاد الصعید بان العربان اظهروا الفساد ونهبوا جمیع الغلال وقتلوا العمال وكان كبیر العربان شخصا یسمی بن الاحدب شیخ قبیلة عرك فاجتمع علیه قبایل كثیرة من العربان حتی سد والفضا فلما بلغ السلطان ذلك فاضطربت الاحوال وخرج الیهم السلطان بنفسه وسایر الامرا قاطبة وكان جالیش العسكر الامیر طاز والامیر شیخو العمری وكالامیر صرغتمش الناصری فلما تقدموا امام العسكر فوقع بینهم وبین العربان وقعة عظیمة لم یسمع بمثلها وقتل من العربان نحو النصف وانكسر شیخهم بن الاحدب وصار الامیر شیخوا یقطع راس كل من راه من الفلاحین یقول وكیك حتی بنا من روس العربان مساطب وادن علی شاطی البحر ثم ان الامرا مشوا وری العربان الذی هربوا مسیرة سبعة ایام حتی دخلوا الی بلاد النوبة ثم رجعوا الامرا والسلطان الی مصر ومعهم الف راس من اكابر العربان وقد غنموا منهم غنایم كثیرة من خیول وجمال واغنام وسیوف ودرق وغیر ذلك فلما دخل السلطان الی القاهرة كان له یوما مشهودا فلما طلع الی القلعة رسم بتوسیط الاسری من العربان فوسطوا نحو سبعمایة انسان ثم ان السلطان نادی فی القاهرة بان فلاح لا یركب فرس ولا یحمل سلاح ثم ان ابن الاحدب كبیر العربان شیخ العرك الذی قد هرب ارسل یطلب من السلطان الامان بان یقابل فارسل له السلطان امان فحضر الی الابواب الشریفة فاخلع علیه السلطان خلعة واقره علی عادته شیخ العرك كما كان وتوجه الی بلاده وفی ذلك یقول بعض الشعرا

ما هاذن السلطان اعداه ❊ الا لامر فیه اذلالهم

حتی له تكثر امولهم ❊ وللصنا تكبیر اطنابهم

وفی هذه السنة نادی السلطان فی القاهرة بان لا یهودی ولا نصرانی یستخدمون فی دیوان وان تكون عمایمهم عشرة اذرع وانهم لا یركبون مع مكاری مسلم واذا مروا بالمسلمین ینزلوا من علی الحمیر ویظهروا المسكنة وانهم لا یدخلوا الحمام الا بصلیب فی اعناقهم واشرطوا علیهم اشیا كثیرة من هذا النمط **وفیها** اخلع السلطان علی الامیر ارغون الكاملی واستقر به نایب حلب عوضا عن بیبغا اروس فلما توجه الامیر ارغون الی حلب جرد الی قراجا التر والی بیبغا اروس علی العصیان فلما وصل الیه الامیر ارغون فهرب منه فتبعه الامیر ارغون الی اطراف بلاد الروم فقبض علیه وارسله الی السلطان فلما حضر الی القاهرة وقف بین یدی السلطان فامر بتسمیره فسمروه علی جمل وطافوا به مصر والقاهره ثم وسطوه فی الرمله بسوق الخیل انتهی **ثم دخلت** سنة خمس وخمسین وسبعمایة فیها توفی القاضی شهاب الدین بن فضل الله كاتب السر الشریف بمصر والشام وكان عالما فاضلا ناظما ناثرا وله شعر جید وصنف كتابا فی صناعة التوقیع وصار العمل علیه الی الان بین الموقعین وبه یقتدونا ومما وقع للقاضی شهاب الدین هذا انه رثا نفسه قبل ان یموت بهذین البیتین وجد وانی دوات بعد موته

قلت لاقلامی ابكی وانطقی ❊ فقالت الاقلام واسوء اتاه

وشقت الالسن من حزنها ❊ وولولت واسود وجه الدواه

ومن الحوادث فی هذه السنة ان فی یوم الاثنین ثانی شوال فیه وثبوا جماعة من الامرا علی الملك الصالح وكان الامیر طاز قد توجه الی نحو البحیرة لیتصید فاغتنموا الامرا هذه الفرصة وركب فی هذا الیوم الامیر شیخو العمری وجماعة من الامرا وهجموا علی السلطان الملك الصالح وخلعوه من الملك وسجنوه بدور الحرم من یومه وزال ملكه كانه ما كان **فكانت** مدة سلطنته بالدیار المصریة الی ان خلع من السلطنة ثلث سنین وثلاثة اشهر واربعة عشر یوما وكان ملكا عظیما دینا خیرا حسن السیرة ساس الرعیه فی ایامه احسن سیاسة وكانت الناس عنه راضیة وكانت ایامه كلها عدل وخیر وكان قلیل الاذی كثیر الخیر ولما خلع من السلطنه فاشتوروا الامرا فیمن یولوه سلطانا فوقع الاتفاق علی عود الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون اخو الملك الصالح فاخرجوه من دور الحرم وسلطنوه كما سیاتی ذكر ذلك فی موضعه انتهی ما اوردناه من اخبار الملك الصالح صلاح الدین صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك علی سبیل الاختصار

ذكر عود الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون

وهی السلطنة الثانیة فاخرجوه من دور الحرم وسلطنوه وذلك فی یوم الاثنین ثانی شوال سنة خمس وخمسین وسبعمایة فلما جلس علی سریر الملك هناه الشیخ جمال الدین بن نباته بهذه الابیات

عد علی النصر والسعادة یاهن ❊ رفع الله فی السلاطین شانه

انشا سهم الله ما كان بخلا ❊ اوطان مصر وهی كنانه

قال الشيخ شهاب الدين بن حجلة التلمسانى ان الملك الناصر حسن وافق والده فى سبعة اشيا ونعت له اولها انه وافقه فى اللقب لان والده تلقب بالناصر وهو ايضا تلقب بالناصر الثانى انه ترك الملك وعاد اليه ووالده ترك الملك وعاد اليه الثالث انه جلس على سرير الملك فى المرة الاولى فى رابع عشر الشهر ووالده لما جلس فى المرة الاولى كان فى رابع عشر الشهر الرابع انه لما عاد الى الملك جلس على سرير الملك فى ثانى شوال الخامس انه وزر له منجم ورب سيف ووالده ايضا وزر له منجم ورب سيف السادس انه اقام سنة بلا وزير ووالده اقام مدة بلا وزير السابع انه اقام بمصر فى ايامه مدة بلا نايب سلطنة ووالده ايضا اقامت مصر فى ايامه مدة بلا نايب سلطنة وهذا من غريب الاتفاق فلما عاد فى هذه المرة غاب كالبدر فى سحابه ورجع كالسيف المسلول من قرابه فخضعت له الرقاب وضرب بين الظلم وظلمته بسور رباب والنشد الدهر بغيرك راعيا عبث الذباب فلما تم امره فى السلطنة عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفى سيف الدين شيخو العمرى الناصرى واستقر به امير الجيوش كبير وهو اول من سمى بامير كبير ولبس بها خلعة وصارت من يوميذ وظيفة مستقلة ثم اخلع على المقر السيفى عز الدين ازدمر العمرى الناصرى المسمى ابو دقن الشهير بالخازندار واستقر به امير سلاح بمصر اقول والامير ازدمر هذا هو جد والد مولف هذا التاريخ وكان جد والدى لامه ثم اخلع على الامير صرغتمش واستقر راس نوبة النوب على عادته فصار الامير شيخو والامير صرغتمش فى دولة الناصر حسن صاحبى الحل والعقد ومدبرى المملكة وكانت عظمة الاتابكى شيخو فى دولة الملك الناصر حسن ثم الامير طاز الدوادار الكبير حضر عقيب ذلك من البحيره وقد تقدم انه توجه للصيد فلما حضر قبضوا عليه وقيدوه وسجنوه بالقلعة هو واخاه فاقام فى السجن اياما ثم ان بعض الامرا شفعوا فيه فافرج عنه واخلع عليه واستقر به نايب حلب فخرج اليها من يومه وفى هذه السنة اخلع على القاضى تقى الدين السبكى واستقر قاضى القضاة الشافعيه بدمشق فلما توجه الى دمشق وخرج من القاهرة قال فيه ابراهيم المعمار رحمه الله تعالى

مصر للسبكى قالت – سر فلا عدت اليكا

عذت بالرحمن منك – ان كنت تقيا

وفيها اخلع على القاضى علاى الدين بن فضل الله العمرى واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية على عادته وفيه يقول المعمار

لابن فضل الله فضل – عم الناس ووفى

كيف لا وهو على – علم السر واخفى

ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمايه فيها انشا المقر السيفى شيخو الجامع والخانقاه

بالصليبة

بالصليبة الطولونيه وانشا بها حمامين وربوع ودكاكين ولما كملت عمارة الخانقاه قرر بها شيخا حضورا فى كل يوم من بعد العصر وصوفيه يحضرون معه وكان الشيخ الذى قرره شيخ الاسلام الشيخ اكمل الدين الحنفى وكان من اكابر العلما الحنفية وقد خضعت له الناس لفضله ولزهده وكان بارعا فى العلوم وفيه يقول ابن ابى حجلة التلمسانى

شيخ تقدم فى العلوم لانه – ان عد ارباب الفضايل اول

ما قيل هذا كامل سوى ذا انه – الا وقلت الشيخ عندى اكمل

ثم ان شيخو اوقف على هذه الخانقاه والجامع اوقافا كثيره واشترط فى وقفه محاسن جميله وجعل الناظر على ذلك الاوقاف لمن يكون راس نوبة النوب بالديار المصريه ولشيخ الخانقاه المشاركه معه فى النظر وقرر للصوفية الخبز والطعام فى كل يوم والحلوى المجمبة فى كل شهر وغير ذلك من الجوامك المرتبات للصوفيه وجعل فى الخانقاه تدريس وقراة سبع فى كل يوم قال ابن ابى حجلة

ومدرسة للعلم فيها مواطن – فشيخوا بها فرد واثاره جمع

لبين بان فيها للقلوب مهابة – فوارسها ليث واشياخها سبع

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعماية فيها من الحوادث ان دبا وقع عند جامع قوصون على ثلاثين نفسا من نسا ورجال فمات منهم ثلاثة وعشرين انسانا وسلم منهم سبعة فقيل ان السبعة الذى قد سلموا من الردم فسافروا فى ذلك الشهر الى نحو بلاد الصعيد فى مركب فهبت عليهم ريح شديده فغرقت بهم المركب ولم يسلم منهم احد ومن لم يمت بالسيف مات بغيره وفى هذه السنة ابتدا السلطان الملك الناصر حسن بعمارة مدرسته التى فى سوق الخيل تجاه القلعة وكان مكانها قصر يلبغا اليحياوى نايب السلطنة فهدمه وبنا مكانه هذه المدرسة التى لم يعمر مثلها فى الاسلام وقيل ان ايوانها بنى على قدر ايوان كسرى انوشروان فى الطول والعرض وهذه المدرسة تشتمل على اربعة مدارس لكل شيخ مذهب مدرسة تختص به وقيل ان بعض الناس كان مسافرا فى البحر المالح فى شهر رمضان فراى قنديل هلال مادنة هذه المدرسة من البحر المالح وقيل ان اخشاب اسقايل العمارة قوموا بمايه الف دينار وفى الجملة ان من راى مدرسة السلطان حسن دلت افعاله على علو قدر همته بين الملوك المصرية وقد قال فيه ابن ابى حجلة

لسنا وان كرمت اوايلنا – يوما على الانساب نتكل

نبنى كما كانت اوايلنا تبنى – ونفعل فوق ما فعلوا

ولما كملت عمارة هذه المدرسة كان لها يوما مشهودا واجتمع بها فى يوم الجمعة القضاة الاربع وساير الامرا واعيان الناس وملئت الفسقية التى بصحن المدرسة سكرا بماء ليمون ووقفوا روس النوب يفرقوا السكر على الناس بالطاسات ونزل السلطان وصلى بها فى ذلك اليوم صلاة الجمعة واخلع على البنا بين والمهندسين الخلع السنية وانعم على الفعله

لكل واحد عشرة دنانير وقال الشيخ جلال الدين بن نباتة

امام الورى هنيت بالجامع الذى ۔ وجدت الى مبناه سعدا موافقا
دعا حسنه اهل الصلاة لقصده ۔ فلا غرو ان جاء المصلى سابقا

وقيل ان السلطان لما حفر اساس هذه المدرسة وجد فى الارض مالا مدفونا فصرفه على عمارة هذه المدرسة فعمرت من وجه حل **وقيل** لما حفروا اساس هذه المدرسة وجدوا هناك مرساة مركب قيل كان البحر هناك انتهى ذلك ومن الحوادث فى هذه السنة هبت رياح عاصفة من جهة الغرب حتى اظلم الجو ظلمة شديدة وادمت الرياح عدة اماكن وتقلعت الاشجار من الارض بعروشها واستمر ذلك من اوائل النهار الى ان طلع الفجر فسكن الريح وامطرت السما واسفر الجو وفى هذه السنة جاءت الاخبار من بغداد بان القان حسن صاحب بغداد قد توفى الى رحمة الله تعالى وتولى ابنه اويس عوضا عنه **وفيها** توفى الشيخ شهاب الدين بن عقيل والحافظ العلامة مغلطاى **ثم دخلت** سنة ثمان وخمسين وسبعماية فيها قتل الاتابكى شيخوا العمرى امير كبير وسبب ذلك ان شخصا من المماليك السلطانية يسمى قطلوخجاه السلحدار غافل الاتابكى شيخوا وهو فى الايوان فى يوم الموكب فضربه بالسيف فى وجهه ثلاث مرات فوقع الاتابكى على الارض مغشيا عليه فلما جرى ذلك قام السلطان من مجلسه وهو مرعوب فطلعوا مماليك الاتابكى شيخوا وصهره الامير خليل ابن قوصون الى القلعة وحملوا الاتابكى شيخوا على جوية ونزلوا به الى بيته فوجد وابه بعض رمق فخيطوا جراحاته وكان ذلك فى يوم الاثنين حادى عشرين شعبان فلما بات فى تلك الليلة فى بيته فنزل له السلطان تانى يوم يسلم عليه فنزل من على فرسه ودخل الى الاتابكى فى المكان الذى كان به فلما سلم عليه السلطان صار يحلف له انه ذلك لم يكن يعلمه ولا له خبر بما جرى ثم ان السلطان احضر ذلك المملوك الذى ضرب شيخوا وقال له هل اغراك على ذلك احد من الامرا فقال لا والله ما اغرانى احد على ذلك وانما قدمت للامير شيخوا قصة بسبب اقطاع بان يخرج ذلك الاقطاع لشخص من جماعته فحلك على خاطرى منه ففعلت ذلك من قهرى منه ثم رسم السلطان بتسمير ذلك المملوك قطلوخجاه الذى ضرب شيخوا فسمروه وطافوا به فى القاهرة ثم وسطوه فى الرملة قدام مماليك شيخوا وكان عدة مماليك شيخوا سبعماية مملوك ثم ان شيخوا استمر ملازم الفراش وهو عليل حتى مات فى يوم الجمعة سادس عشرين ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعماية وقد استمر عليلا فى الفراش نحو ثلاثة اشهر وايام وكانت جنازته مشهودة ونزل السلطان وصلى عليه وحضر دفنه ودفن فى خانقته التى فى الصليبة داخل القبة وطلعوا بجنازته من بيته التى عند حدرة البقر فصلوا عليه فى سبيل المومنين ورجعوا بالجنازة من راس الصليبة الى خانقته التى دفن بها والسلطان قدام نعشه ماشى حتى دفن فكثر عليه الاسف والحزن من الناس واتفق ان فى ذلك اليوم زلزلت الارض زلزلة خفيفة وامطرت السما مطرة غزيرة

وذلك

وذلك فى وسط قلب الصيف فقال بعض الشعرا فى هذه الواقعة

بروحى من ابكى السما لفقده ۔ بغيث ظنناه نوال يمينه
وما استعبرت الا اسا وتاسفا ۔ والا فاذا القطر فى غير حينه

وقد رثاه بعض الشعرا بقوله

لما افلت من المنازل اظلمت ۔ تلك الديار وغاب عنها الشفق
وتقول مصر لفقد شيخوا شفنى ۔ ارق على ارقا ومثلى يارق

وكان شيخوا اميرا دينا خيرا كثير الخير قليل الاذى وله بر ومعروف ولاسيما هذه الخانقاه والجامع الذى فى الصليبة وما قرر فيهما من وجوه الخير والاحسان كما تقدم **ثم دخلت** سنة تسع وخمسين وسبعماية فيها تزايدت عظمة المقر السيفى سيف الدين صرغتمش راس نوبة النوب وصار فى رتبة الاتابكى شيخوا صاحب الحل والعقد بمصر فارسل قبض على الامير طاز نايب حلب من غير علم السلطان وارسله من هناك الى السجن بثغر الاسكندرية فانه كان بينه وبين الامير طاز حظ نفس من ايام الملك الصالح وكان الاتابكى شيخوا يرده عن الامير طاز فلما مات الامير شيخوا اقتص منه الامير صرغتمش ادبه وقيده ونفاه الى الاسكندرية فلما جرى ذلك فاخلع السلطان على الامير منجك اليوسفى واستقر به نايب حلب عوضا عن الامير طاز ثم ان الامير صرغتمش اشار بضرب فلوس جدد كل فلس بدرهم وشى بدرهمين وشى بمثقال فثقل امر ذلك على الناس وتضرروا منه السوقة وغلت ساير البضايع بسبب ذلك ووقف حال الناس وقد قال بعض الشعرا فى ذلك

اميرنا اكرم من حاتم ۔ لا يمنع السايل من فلسه
تقضى به حاجة من رامه ۔ خذه طوعا واخشى من باسه

ومن الحوادث فى هذه السنة رفعت قوايم الى الامير صرغتمش من ديوان الاحباس فيها عدة حصص جارية على منافع الكنايس والديور فكان قدر ذلك الحصص خمسة وعشرون الف فدان بيد النصارى فلما سمع الامير صرغتمش بذلك تحقق وطلع الى القلعة وشاور السلطان على ذلك فرسم السلطان بان يخرج ذلك من يد النصارى وكتب بذلك مربعات دايم بها على الامرا زيادة على اقطاعاتهم ففرقت عليهم تلك المربعات الشريفة وبطل ما كان بيد النصارى من تلك الرزق ثم ان السلطان رسم بهدم الكنايس والديور وكان فى شبرا كنيسة عظيمة على شاطى بحر النيل وكان بتلك الكنيسة صندوقا من الخشب مقفولا عليه بقفل حديد وفيه اصبع بعض من هلك من عباد النصارى يسمونه الشهيد وكان هذا الاصبع مقيما بتلك الكنيسة دايما وكانوا النصارى يتوارثون ذلك الاصبع من تقادم السنين فاذا كان ثامن شهر بشنس من الشهور القبطية اخرجوا ذلك الاصبع من الصندوق ويغسلوه فى بحر النيل ويزعمون ان النيل لا يزيد فى كل سنة حتى يلقون فيه ذلك الاصبع ويسمونه عيد الشهيد ويكون لذلك اليوم عيد ترحل اليه ساير

النصارى من جميع القرى ويخرج عامة اهل مصر من غني وصعلوك وينصبون الخيام على
شاطى بحر النيل بشبرا وفى الجزاير ولا يبقى مغنى ولا مغنية ولا ارباب ملعوب و لا
ماجن ولا خليع الا ويجتمع هناك فيجتمع عالم لا يحصى عددهم وتصرف هناك اموال
لا تنحصر ويتجاهرون هناك بالمعاصى والفسوق وشرب الخمور وربما كان يقتل فى ذلك
اليوم من الناس جماعة ولا يجد مانعا من ذلك لا من والى ولا من حاجب وكان اهل مصر يستعدون
لذلك اليوم فى كل سنة دايما من تقادم السنين حتى قيل كان يباع فى ثلاثة ايام بشبرا بالف
دينار خمرا وكانوا فلاحين شبرا لا يقلقوا خراجهم الا مما يبيعونه على الناس فى يوم عيد
الشهيد وكان اعيان القبط والمباشرين واعيان الناس من المسلمين والامرا يكرون المراكب
حتى ما يبقى فى البحر مركبا ويوقدون فيهم الشمع والقناديل فى النيل حتى يبدو البحر
من كثرة المراكب وكانت الناس يعتقدون ان النيل لا يزيد الا بالقاء ذلك الاصبع فيه
فنال الامير صرغتمش فى ابطال ذلك قياما عظيما وارسل الحجاب والامير علاى الدين
ابن الكورانى الوالى الى شبرا ومنعوا الناس من نصب الخيام على شطوط البحر واشهر الندا
هناك بمنع ذلك ومن يفعل ذلك شنق من غير معاودة وكان ذلك من اجل مفترجات
مصر لم يسمع بمثله فى اللهو والقصف والزحمة ثم ان الامير صرغتمش امر بهدم
تلك الكنيسة فهدموها واحضروا ذلك الصندوق الذى فيه اصبع الشهيد الى بين
يدى السلطان الملك الناصر حسن فلما كان يوم الاثنين خامس عشر ربيع الاول
جلس السلطان فى الميدان الذى تحت القلعة واحضر ذلك الصندوق الذى فيه
اصبع الشهيد وامر بحرقه بحضرة الامرا ورسم بان يذروا رماد ذلك الاصبع فى
بحر النيل ففعلوا ذلك وبطل من يوميذ امر عيد الشهيد وما كان يحصل فيه من المفاسد
العظيمة وزاد النيل فى تلك السنة زيادة عظيمة لم يسمع بمثلها وزال من ظن الناس
ان النيل لا يزيد الا بالقاء ذلك الاصبع فيه وبطلت تلك السنة السيئة من يوميذ
على يد المقر السيفى صرغتمش راس نوبة النوب واتابكى العساكر وسطرت له فى صحيفته
الى يوم القيامة كما قيل فى المعنى

للخير اهل لا تزال ... وجوههم تدعى اليه
طوبى لمن جرت الامور ... الصالحات على يديه

ثم دخلت سنة ستين وسبعماية فيها توفى الامير تنكز بغا الماردينى احد الامرا
المقدمين وكان صهر الملك الناصر حسن فلما مات انعم السلطان باقطاعه على مملوكه
يلبغا العمرى الناصرى ثم اطلع عليه وجعله امير مجلس وهذا كان اول عظمة الامير يلبغا
العمرى وفيها جاءت الاخبار بان الامير منجك اليوسفى تسحب حتى خرج من مصر واختفى
ولم يعلم له خبر فعاقب السلطان جماعته وحبسهم بسبب ذلك الى ان ظهر الامير منجك
اليوسفى كما سياتى ذكر ذلك فى موضعه فلما اختفى الامير منجك اخلع السلطان على الامير

بيدمر

بيدمر الخوارزمى واستقر به نايب حلب عوضا عن الامير منجك فلما توجه الامير بيدمر
الى حلب تجرد الى نحو سيس وحاصر اهلها فطلبوا منه الامان فاخذها بالامان ثم توجه
الى طرسوس فاخذها بالامان وكذلك المصيصة وفتح فى تلك السنة عدة قلاع ثم
رجع الى حلب وفيها ركب السلطان الملك الناصر حسن وشق القاهرة وزينت له فلما
وصل الى البيمارستان ترجل عن فرسه ودخل زار قبر ابيه وجده ثم دخل الى الصنفنا
والمجانين وتفقد احوالهم ثم ركب وطلع الى القلعة وضجوا له الناس بالدعا حتى طلع الى
القلعة وكان يوما مشهودا ثم دخلت سنة احدى وستين وسبعماية فيها تخيل
امر الامير صرغتمش على السلطان وخشى منه فاشار بعض الامرا على السلطان بان يقبض
عليه من قريب وقال له ان لم تبادر وتقبض عليه والا قبض هو عليك فبادر السلطان وقبض
عليه فكان كما قيل فى المعنى

وربما فاتت الاشيا بعض الناس حاجته ... مع التوانى وكان الراى لو عجلا

فلما كان يوم الاثنين حادى عشرين شهر رمضان من السنة المذكورة فيها قبض السلطان
على الامير صرغتمش وهو فى الموكب بالايوان فلما سمعوا مماليك صرغتمش بذلك فلبسوا
آلة الحرب وطلعوا الى الرملة وكانوا نحو ثمانماية مملوك ثم وقفوا فى سوق الخيل فوثبوا
عليهم المماليك السلطانية ورموا عليهم بالنشاب فتفرقوا وانكسروا ثم ان الزعر وجماعة
العوام نهبوا بيت صرغتمش ونهبوا جميع خانقته التى بالقرب من حدرة البقر ونهبوا
جميع قناديلها وحوايج الاعجام الصوفية الذى كانوا بها ودكاكين الصليبة صميمة لذلك
وصاروا يمسكوا حاشية صرغتمش وغلمانه وينهبوا بيوتهم واستمر هذا الامر من اول
النهار الى بعد العصر فلما كان يوم الثلاثا صبيحة ذلك قيد الامير صرغتمش وارسله
الى السجن بثغر الاسكندرية ومسكوا معه جماعة من الامرا ممن كان من عصبته وهم الامير
طشتمر القاسمى حاجب الحجاب والامير طقتمر الصالحى والامير جركس الرسولى وغير
ذلك من الامرا وارسلوهم الى الاسكندرية ثم ان الامير صرغتمش اقام فى السجن نحو ثلاثة
اشهر واشاعوا فى القاهرة موته قيل انه خنق وهو فى السجن وكان اميرا عظيما مهابا
وكان فى نعمة من المال وتداخله نخوة من جنت لا يشعر كما قيل فى المعنى

وان امراءه دنياه اكبر همه ... لمستمسك منها بحبل غرور

وفيها جاءت الاخبار بان الامير منجك اليوسفى قد مسك فلما حضر بين يدى السلطان
كان عليه بشت عسلى وعلى راسه ميزر صوف ابيض فوبخه السلطان بالكلام ثم عفا عنه
ورسم له بامرية اربعين بالشام ويكون له طرخانا فاخلع عليه وخرج الى الشام من يومه
وسافر ثم دخلت سنة اثنين وستين وسبعماية فيها تزايدت عظمة السلطان
حسن وتناهى امره فى العلو وكثرت مماليكه فاهدى اليه بعض ملوك اليمن خيمة عظيمة
عجيبة الشكل هايلة قايمة وبها حمام وهى منقوشة صنعة غريبة فتوجه السلطان الى بر

الجيزة ونزل بكوم برا ونصب هناك تلك الخيمة المقدم ذكرها فكانت اهل القاهرة
يخرجون ويتوجهون الى نحو كوم برا حتى يتفرجون على تلك الخيمة وفيها يقول ابن ابي حجلة

حوت خيمة السلطان كل عجيبة ۰ فاصبحت منها باهتا اتعجب
لساني بالتقصير فيها مقصر ۰ وان كان في اطنابها بات يطنب ۰ وقوله

ايضا ۰ واذا ما خيمة السلطان لاحت ۰ فقل في حسنها نظما ونثرا
وان دفعت ودق النصب فيها ۰ فصف اطنابها وهلم جرا

ثم ان السلطان طابت له الاقامة هناك فاقام نحو ثلاث شهور وكان زمن الربيع وكان
بالقاهرة اوخام وموت فاقام السلطان هناك حتى تذهب تلك الاوخام عن المدينة
فكان هناك في رغد عيش وعنده في كل ليلة مغاني عرب وخيال الظل وحرافه نقط وهو لا
يدري ما خبي له في الغيب من الحوادث فكان كما قيل في المعنى

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ۰ وحق لسكان البسيطة ان يبكوا

فلما اقام السلطان هناك هذه المدة فكان بعض الامرا يرمي بين السلطان وبين الامير
يلبغا العمري وكان الامير يلبغا من مماليك السلطان حسن فخشي السلطان مسكه
فدب بينه وبين السلطان عقارب الفتن فلما كانت ليلة الاربعا تاسع جمادى الاولى
ركب السلطان تحت الليل وكبس على الامير يلبغا وهو في الخيام فلما احس الامير يلبغا
بذلك فاخلا من الخيام فلما كبس عليه السلطان فلم يجد بالخيام احد وكان الامير يلبغا
قد اكمن للسلطان كمينا فلما رجع خرج عليه ذلك الكمين فاوقعوا مع السلطان وقعة
عظيمة فقتل من مماليك السلطان جماعة وانكسر السلطان وتمزق عسكره فهرب تحت الليل
وعدى من طرا وطلع الى القلعة فتبعه الامير يلبغا فلما طلع السلطان الى القلعة فلم يجد
معه من المماليك الا القليل ولم يكن معه من الامرا سوى الامير طغاي تمر النظامي والامير
ايدمر الدوادار الكبير وبعض مماليك صغار فلم يجد السلطان للمماليك خيول يركبونها
لان الخيول كانوا في الربيع فلما اسفر النهار حضر الامير يلبغا وطلع الى الرمله وحاصر
السلطان وهو في القلعة فلما راى السلطان عين الغلب نزل من القلعة هو والامير ايدمر
الدوادار لابسوا زي العرب وقصد السلطان بان يتوجه نحو الشام ليستنجد بالامير
بيدمر الخوارزمي نايب الشام فلما نزل السلطان من القلعة ووصل الى المطرية فقبضوا
عليه هو والامير ايدمر الدوادار جماعة من العربان واحضروهما الى عند الامير يلبغا فاما
الامير ايدمر فقيدوه وارسلوه الى السجن بثغر الاسكندرية واما السلطان حسن
فكان اخر العهد به قيل انه خنق ورمي في البحر ولم يعرف له مكان قبر ولم يدفن في مدرسته
داخل القبة التي بها وكانت قتلته في ثاني عشر جمادى الاول سنة اثنين وستين
وسبعماية وكان ملكا شجاعا بطلا مقداما مهابا نافذ الكلمة وافر الحرمة عالي الهمة
وكان محببا للرعية غير انه كان كثيرا ما يصادر ارباب الوظايف لاجل المال وكان له

من العمر

من العمر لما مات نحو سبعة وعشرين سنة لما قد دارت لحيته وكان عربي الوجه اشقر اللحية
اشهل العين لان امه كانت رومية الجنس وكان نحيف الجسد معتدل القامة وكان يميل
الى اللهو والطرب وشرب الراح مولعا بحب الملاح لا يمل من شرب الراح وسماع الغنا ليلا
ونهارا حتى قيل فيه ۰ لما اتى للعاديات وزلزلت ۰ حفظ النسا وما قرا للواقعة ۰

فلاجل هذا الملك اضحى لم يكن ۰ واتى القتال وفصلت بالقارعة ۰
لو عامل الرحمن فاز بكهفه ۰ وبنصره في عصره للسابعة ۰
من كانت المغنيات من احزابه ۰ عطعط به الدخان نار لامعة ۰

اراد الناظم بقوله عطعط يعني عن معنى كان اسمه عطعط واشار بالدخان الى اسم مطلب
كانا مغنيان بحضرة الملك الناصر حسن فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد
الشامية عشر سنين ونصف فالسلطنة الاولى ثلاث سنين وتسعة اشهر وايام والسلطنة
الثانية ست سنين وسبعة اشهر وايام ولما مات السلطان حسن خلف من الاولاد عشرة
ذكور وهم سيدي احمد وسيدي علي وسيدي قاسم وسيدي   وسيدي موسى
وسيدي يحيى وسيدي شعبان وسيدي يوسف وسيدي اسمعيل وسيدي محمد
وخلف من البنات ستة وكان في ايامه من اولاد الناس تسعة امرا مقدمين الوف وهم عمر
ابن ارغون النايب واسنبغا بن بكتمر الابوبكري ومحمد بن المحسني ومحمد بن آل ملك نايب
السلطنة وموسى بن ارقطاي النايب ومحمد بن طرغاي ومحمد بن بهادر آص وموسى بن الازكشي
وكان من اولاد السلطان حسن ثلاثة امرا مقدمين وهم سيدي احمد وسيدي علي وسيدي
قاسم وكان في ايامه من اولاد الناس امرا طبلخانات وعشراوات كثير وكان منهم نواب
في البلاد الشامية بيدمر الخوارزمي نايب الشام والعلاي علي بن قشتمر نايب حلب وابن
... نايب صفد وكان قصد الملك الناصر حسن انشا اولاد الناس في ايامه وهو آخر
من تولى الملك من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان مجموع من تولى من اولاد محمد
ابن قلاوون ثمانية وكان الناصر حسن كفوا للسلطنة ولما قتل تولى من بعده ابن اخيه
المظفر حاجي واما من توفي في ايامه من الاعيان وهم الملك الصالح صلاح الدين صالح
ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون اخوه وقد تقدم انه لما خلع من السلطنة استمر مقيما
بدور الحرم الى ان مات في سنة احد وستين وسبعماية في دولة اخيه حسن ودفن في تربة
عمه الملك الصالح علي بن قلاوون داخل القبة التي انشاها بجوار المدرسة الاشرفية
التي بطريق السيدة نفيسة وتوفي في ايامه الشيخ بهاء الدين بن عقيل من اعيان العلما
وتوفي الحافظ العلامة مغلطاي وتوفي الشيخ ابو امامة من اعيان العلما وتوفي ابن النقاش
من كبار علما الشافعية وغير ذلك من اعيان العلما جماعة كثيرة وتوفي الشيخ صفي الدين
الحلي صاحب شرح البديعية وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد في ديوان لطيف كله غرر
ومحاسن ومن لطايف قوله ۰ ۰ ۰

من شاء يملك حفظ صحة جسمه … ويفوز طول حياته بدوامها
فليجعلن غداه من ادبع … لا يتبدل التغيير في اقسامها
من لحم ساعته وخبز نهاره … وطعام ليلته وقهوة عامها

انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الناصر حسن بن الملك الناصر بن محمد بن قلاوون وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي

بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو الحادي والعشرون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية **بويع له** بالسلطنة بعد قتل عمه الملك الناصر حسن في يوم الاربعا تاسع جمادى الاول سنة اثنين وستين وسبعماية فتولى الملك وله من العمر نحو عشرين سنة وكان الحاكم في امور تدبير مملكته المقر السيفي يلبغا العمري فاستنفر به اتابك العساكر وكانت عظمة الامير يلبغا في ايام الملك المنصور هذا وانعم على الامير قشتمر المنصوري واستقر به نايب السلطنة ثم رسم بالافراج عمن كان مسجونا من الامرا بثغر الاسكندرية وهم الامير طاز الناصري نايب حلب والامير جركتمر المارديني والامير قطلوبغا المنصوري والامير طشتمر القاسمي والامير ملكتمر المحمدي والامير اقتمر عبد الغني والامير بكتمر المومني وهو صاحب سبيل المومني المصلاة الان والامير جردمر والامير قرابغا نخاص فلما حضروا الى القاهرة وطلعوا الى القلعة فانعم عليهم وانعم لهم بتقادم الوقت ووزع عليهم الاقطاعات السنية فلما فعل ذلك وتم امره في السلطنة اقام مدة يسيرة وهو نافذ الكلمة وافر الحرمة فكان كما قيل في المعنى

لا تركنن الى الدنيا وان كبرت … فصفوها لك ممزوج بتكدير

ثم جاءت الاخبار من الشام بان بيدمر الخوارزمي نايب الشام اظهر العصيان وخرج عن الطاعة وملك قلعة دمشق وقتل نايب القلعة وقد وافقه على ذلك جماعة من النواب فلما جاءت هذه الاخبار الى القاهرة فاضطربت الاحوال وعلق السلطان الجاليش واخذ في اسباب الخروج الى الشام فلما كان ثاني شعبان من سنة اثنين وستين وسبعماية فيها خرج الملك المنصور محمد من القاهرة نحو الشام وخرج صحبته الاتابكي يلبغا العمري وساير الامرا فلما وصل السلطان الى الشام فارسل النايب الذي عصى يطلب منه الامان فارسل السلطان له الامان فلما نزل من القلعة وقابل السلطان فقبض عليه الاتابكي يلبغا وقيده وارسله الى الاسكندرية ثم ان السلطان اخلع على الامير على المارديني واستقر به نايب الشام عوضا عن بيدمر الخوارزمي واستقر بالامير قطلوبغا الاحمدي نايب حلب ثم رجع السلطان والاتابكي يلبغا الى القاهرة فكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهودا وزينت له المدينة وطلع الى القلعة في يوم عظيم وموكب عظيم **ثم دخلت** سنة ثلاث وستين وسبعماية فيها توفي الخليفة الامام المعتضد بالله ابو بكر بن المستكفي بالله وكانت وفاته في ليلة الاربعا ثامن عشر جمادى الاول من السنة المذكورة وكانت

مدة خلافته نحو عشر سنين ولما مات عهد بالخلافة الى ولده محمد فولاه السلطان وتلقب بالمتوكل على الله **وفيها** تزوج الاتابكي يلبغا خوند طولوا زوجة استاذه الملك الناصر حسن وما كفاه انه قتله وتزوج بامراته زيادة على ذلك **ثم دخلت** سنة اربع وستين وسبعماية فيها توفي سيدي حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو والد الملك الاشرف شعبان وهو اخر من توفي من اولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ومات ولم يلي السلطنة فانه كان عنده خفة ورهج وصعصعة فلما قتل السلطان حسن خاف منه الاتابكي يلبغا على سلطنته واختار محمد بن الملك المظفر حاجي فولاه كما تقدم وكانت وفاته في يوم السبت رابع ربيع الاخر من السنة المذكورة **ومن الحوادث** في هذه السنة ان في يوم الثلاثا رابع شعبان طلع الاتابكي يلبغا الى القلعة وقبض على السلطان الملك المنصور محمد وخلعه من الملك وادخله دور الحرم محتفظا به وولى سيدي شعبان بن سيدي حسين المتقدم ذكره وفاته فكانت مدة سلطنة الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي بمصر سنتين واربعة اشهر لا غير واستمر في دور الحرم مقيما في غبوق وصبوح لا يفيق من السكر ساعة وعنده جوقة جوار مغاني نحو عشرة من الجوار يزفون بالطارات عند الصباح والمسا فكانت هذه عادة رؤسا مصر يقتنوا عندهم الجوار المغاني واخر من كان يتصل ذلك من اعيان مصر الامير جمال الدين محمود الاستادار ثم بطل ذلك مع جملة ما بطل من محاسن عيشة الاكابر بمصر ثم ان الملك المنصور اقام على ذلك وهو مختفي في دور الحرم الى ان مات في ليلة السبت تاسع المحرم سنة احدى وستين وثمانماية في دولة الظاهر برقوق وله من العمر نحو خمسة وخمسين سنة ودفن في تربة جدته ام ابيه خوند طغاي عند الباب المحروق وخلف من الاولاد نحو خمسة ذكور واناث واستمرت هذه الجوقة المغاني بعده داير في القاهرة تعرف بمغاني المنصور وكان الملك المنصور هذا لما خلع من السلطنة قنع من الدنيا بارغد العيش من شرب الخمور وسماع الامور وكان راضيا بما هو فيه واستغنى بذلك عن السلطنة كما قيل في المعنى

قالوا رانيا لك كل وقت … تهيم بالشرب والغنا
فقلت انى امرو قنوع … اعيش بالماء والهوا

وقال آخر

كل الملوك تسلطوا … بالملك والسلاح
ونا قنعت منه … بالراح والملاح

انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف ابي المعالي زين الدين شعبان

بن الامجد مجد الدين حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو الثاني والعشرون من ملوك الترك واولادهم بمصر بويع له بالسلطنة في يوم الثلاثا خامس شهر شعبان سنة اربع وستين وسبعماية وتلقب بالملك الاشرف ولبس خلعة السلطنة وجلس

على سرير الملك ودقت له الكوسات ونودى باسمه فى القاهرة وضجوا الناس بالدعا
وكان له من العمر لما تسلطن نحو اثنى عشر سنة وكان مولده فى سنة اربع وخمسين وسبعمائة
وكان الاشرف شعبان مليح الشكل بديع الجمال تولى الملك بعد خلع ابن عمه محمد المنصور
ابن المظفر حاجى وقد تنصب لسلطنته الاتابكى يلبغا العمرى وفيه يقول بعض الشعرا

بالملك الاشرف المفدى ، شعبان قد دانا بكل فضل
من وطن الكون والرعايا ، بطى ظلم ونشر عدل

وفيه يقول خلف ، الغبارى من زجل

حب قلبى شعبان موفق رشيد ، وجا له الشرف وماله حدود
وابوه الحسين وعمو الحسن ، وارث الملك من جدود الجدود
سل لحظك صارم لقتل العدا ، وانا منصور طول المدا السنين
زعق السعد بين يديك شاويش ، فرح القلب بعد ما كان حزين
ونصب لك كرسى على المملكه ، وظهر لك نصرة بفتح المبين
والعصايب من حولك اشتالت ، خفقت فى الركوب عليك البنود
فاحكم احكم فى مصر ياسلطان ، فجميع الملاح لك جنود

فلما تم امر الاشرف شعبان فى السلطنة فاقر الاتابكى يلبغا امير كبير على عادته
واستقر بالامير قشتمر المنصورى نايب السلطنة على عادته كما كان ثم عمل الموكب
وجلس على سرير الملك واخلع على المقر السيفى طنبغا الطويل واستقر به امير سلاح عوضا
عن الامير ازدمر الناصرى الشهير بالخازندار ولدولغه واستقر بالامير ازدمر
المذكور نايب طرابلس واخلع على الامير عشقتمر الماردينى واستقر به امير مجلس
على عادته واخلع على الامير ارغون الشهير بالاسعردى واستقر به دوادار كبير
واخلع على الامير ارغون الازقى واستقر به راس نوبة النوب واخلع على الامير طنبغا
العلاى واستقر به حاجب الحجاب ثم عمل الموكب الثانى واخلع فيه على من يذكر من الامرا
وهم ارباب الوظايف وهو المقر السيفى منكلى بغا الشمسى واستقر به نايب الشام
وارسل المراسيم الشريفة الى قطلوبغا الاحمدى بان يكون نايب حلب على عادته ثم اخلع
على الامير قشتمر المنصورى واستقر به نايب صفد واخلع على الامير عمر شاة وهو صاحب
القنطرة واستقر به نايب حماه واخلع على الامير عمر ابن ارغون النايب واستقر به
نايب غزة ثم فرق الاقطاعات على جماعة من المماليك وجعل منهم امرا طبلخانات وامرا
عشراوات ثم نفق على العسكر وارضى الجند بكل ما يمكن فاستقام امره فى السلطنة
ونفذت احكامه **ثم دخلت** سنة خمس وستين وسبعماية فيها ارسل السلطان
بالقبض على قطلوبغا الاحمدى نايب حلب واخلع على الامير عشقتمر الماردينى واستقر
به نايب حلب عوضا عن قطلوبغا الاحمدى ثم اخلع على الامير خليل بن قوصون واستقر به

امير مجلس عوضا عن الامير عشقتمر الماردينى وفى هذه السنة جاءت الاخبار من دمشق
بان نايب دمشق منكلى بغا الشمسى فتح باب كيسان الذى بدمشق وكان هذا الباب مقفولا
من ايام نور الدين فاقتضى الراى فتح الباب بسبب من يمر من المسافرين فجمع النايب القضاه
الاربع واعيان دمشق واستشارهم فى ذلك فاشاروا بفتحه ففتح ثم ان النايب بنا قنطرة عند
هذا الباب فحصل بها منفعة للمسافرين وغيرهم وفى هذه السنة رسم السلطان بابطال الوكلا
من ابواب القضاة والحكام بالديار المصرية والبلاد الشامية فامتثلوا ذلك وقد قال بدر الدين
ابن حبيب

يقول ذو الحق الذى قاله ، حصر الدو لسان لطيل
ان صبروا امروا كل سدا ، فحسبى الله ونعم الوكيل

ثم دخلت سنة ست وستين وسبعماية فيها توفى الملك الصالح بن الملك المنصور
غازى صاحب ماردين وكان ملكا عظيما جليلا عادلا فى الرعية وقد اقام فى مملكته ماردين
نحو اربع وخمسين سنة وعاش من العمر احد وسبعين سنة فلما جاءت الاخبار بذلك شق
السلطان لموته **وفيها** توفى نور الدين الاسعردى الشاعر وكان شاعرا ماهرا ومن شعره

دب العذار بخده ثم انثنى ، فكانه من وجنتيه فزع
نملة يحاول نقل حبة خاله ، فتمسه نار الخدود فيرجع

وفى هذه السنة فى ربيع الاخر اسلم ابو الفرج المقسى القبطى وتلقب بشمس الدين وقرر
فى استيفا المماليك وهو من اجداد تاج الدين المقسى ناظر الخواص الشريفه **ثم دخلت**
سنة سبع وستين وسبعماية فيها رسم السلطان لنايب حلب بان ياخذ العساكر الحلبية
ويتوجه الى حصار قلعة خرت برت من اعمال ديار بكر فسار اليها وحاصرها نحو من اربعة
اشهر فطلبوا اهلها الامان وتزلوا طايعين فارسل نايب حلب يعلم السلطان بذلك
فارسل اليه السلطان خلعة بان يستقر نايب قلعة خرت برت على عادته ويطلعه انها له
عظيمة بانه لا يرجع يخامر ولا يعصى على السلطان وفى هذه السنة جاءت الاخبار من ثغر
الاسكندرية فى سبعين مركبا بان صاحب قبرص قد وصل الى ثغر الاسكندرية فى سبعين
مركبا من المراكب الحربية مشحونة بالمقاتلين فطرقوا المدينة فى يوم الجمعة ثالث عشرين
صفر فخرج اليهم نايب الاسكندرية وجماعة من البحيرة فوقعوا معهم وقعة عظيمة ظاهر
باب البحر فانكسر نايب الاسكندرية وهرب وهربوا العربان الذى كانوا معه فدخلوا
الفرنج الى المدينة ونهبوا اسواقها وبيوتها وقتلوا جماعة كثيرة من المسلمين وحرقوا باب
رشيد فلما جاءت الاخبار بذلك الى القاهرة كان السلطان هو والاتابكى فى وادى
العباسه بتصيد وتفرج فلما بلغهم هذه الاخبار رجعوا الى القاهرة ونادى للعسكر قاطبة
بان السلطان يصلى الظهر ويركب فلا يتاخر احد من المماليك السلطانيه فلما صلى السلطان
الظهر ركب وعدا الى بر الجيزه وكان النيل فى قوة الزيادة فقاسوا العسكر مشقة
زايدة فى التعدية ثم ان السلطان سار الى الطرانه ودخل الى هناك وعين الامير طيبغا

الطويل وعين الامير خليل ابن قوصون امير مجلس والامير قطلوبغا المنصوري والامير
كوكنداي اخو طيبغا الطويل وعين معهم الف مملوك ورسم بان ينفذ مواجا لبس العسكر
فلما وصلوا الى ثغر الاسكندرية فوجد والفرنج رحلوا عن الثغر وتوجهوا الى نحو بلادهم
بعد ماجرى منهم ماجرى من القتل والنهب وغير ذلك فلما بلغ السلطان رجوع الفرنج
الى بلادهم فرد الى القاهرة هو والامرا وارسل مرسوم الى الامرا الذى تقدموا الى الاسكندرية
بان يقيموا هناك ويعمروا ما فسد من المدينة ويطمنوا اهل البلد حتى لا يرجعوا اليهم
الفرنج ثم ان السلطان اخلع على الامير بكتمر الشريف احد مقدمين الالوف وجعله
نايب ثغر الاسكندريه وهو اول من تولى نيابة ثغر الاسكندريه من الامرا المقدمين وكان
وكان قبل ذلك يتولاها جماعة من الكشاف ومتدولاه الناس فمن يوميذ صارت ثغر
الاسكندرية وزال عنها تلك النوايب لا صاغو فخرج اليها الامير بكتمر الشريف فى
موكب عظيم ومماليك كثيرة وحرمة وابهة وقد قال بعض الشعرا فى النايب المنفصل على
لسان الاسكندريه هذين البيتين

اسكندرية قالت ۰ يا نايبي صن دماكا
لقد تغير ثغري ۰ واصحت فيه سواكا

قال الشيخ شهاب الدين احمد بن ابي حجله يرثي ثغر الاسكندريه فيما جرى عليه من الفرنج فى
هذه الواقعة ۰ الا في سبيل الله ماحل بالثغر ۰ على غرة الاسلام من عصبة الكفر

اتاها من الفرنج سبعون مركبا ۰ وضاقت بها العربان فى البر والبحر
وصير منها ازرق البحر اسودا ۰ بنو الاصفر الباغون بالبيض والسمر
اتوها هجوما على حين غفلة ۰ وباعهم فى الحرب يقصر عن فتر
فكم من فقير عاش فيها من الغنى ۰ وكم من غني مات فيها من الفقر
نثرت دموعي يوم فرط نظامهم ۰ فياليت شعري من يلمهم نثرا

ومن الحوادث فى هذه السنة ان الامير طيبغا الطويل امير سلاح خرج نحو وادي العباسه
على سبيل النزهه فاقام هناك اياما يتصيد فارسل اليه الاتابكي يلبغا خلعة مع جماعة
من الامرا ومرسوم سلطاني بان يستقر نايب الشام ويتوجه من هناك فلما وصلوا اليه ذلك
الامرا وهم الامير ارغون الاسعردي الدوادار والامير طيبغا العلاى صاحب الحجاب
والامير ارغون الاز فى راس نوبة النوب والامير اروس المحمودي استادار العالية
فتحدثوا معه فى امر نيابة الشام فابى الامير طيبغا الطويل من لبس الخلعة واظهر العصيان
والتف عليه ذلك الامرا الذين توجهوا اليه ووافقوه على العصيان وتوجهوا الى القاهرة
ليتقوا مع الاتابكي يلبغا فلما وصلوا الى خانقاه سرياقوس فبلغ الاتابكي يلبغا ذلك
فطلعوا الى القلعة وركب الملك الاشرف شعبان ونزل به من القلعة ودقوا تحت
القلعة ودقت الكوسات حربيا ونادوا فى القلعة من اطاع الله والسلطان يركب

ويجي تحت الصنجق السلطاني وركبوا العسكر قاطبة وطلعوا الى الرملة ووقف السلطان ساعة
حتى تكامل العسكر ومشى تحت الصنجق السلطاني وتوجه الى نحو قبة النصر ووقف هناك
وذلك فى يوم السبت سابع ربيع الاول من السنة المذكورة هذا ما كان من امر السلطان و
الاتابكي يلبغا واما ما كان من امر الامير طيبغا الطويل امير سلاح والامرا الذين معه
فانهم ركبوا من العباسه واستمروا سايقين طول الليل حتى وصلوا الى المطرية فتعبت خيولهم
وتشتت غلمانهم فلاقوا مع عسكر السلطان على قبة النصر فكان بينهما هناك وقعة عظيمة
فانكسر الاتابكي يلبغا وولى مدبرا وكان الاتابكي يلبغا قد اكمن كمينا من العسكر عند فم
وادي السدرة فلما ولى الامير يلبغا مهزوم فخرج ذلك الكمين من وادي السدرة على الامير
طيبغا الطويل ومن معه فانكسروا وكسرة قوية ومسك الامير ارغون الاسعردي الدوادار
والامير اروس المحمودي الاستادار والامير كوكنداي اخو طيبغا الطويل وجماعة كثيرة
ممن كانوا معهم من الامرا ثم مسك الامير طيبغا فى اثناء ذلك اليوم من تربة فى باب القرافة
فلما تكامل الامرا فقيدهم الاتابكي يلبغا فى تلك الليلة وارسلهم تحت الليل الى السجن
بثغر الاسكندريه ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع على جماعة كبيرة من الامرا عوضا عن من
مسك ممن تقدم ذكره كما سياتي ذكر اسمايهم فى مواضعه **وفيها** توفى الملك المجاهد سيف
الدين علي صاحب بلاد اليمن وتولى من بعده ابنه عباس وتلقب بالملك الافضل **وفيها** حضر
الى الابواب الشريفه الامير جبار بن مهنا امير آل فضل من عربان الشام فلما حضر اكرمه
السلطان واخلع عليه واستقر به على عادته وكان له مدة طويلة وهو عاصي للعربيا خارج
السلطان واصلح عليه **ثم دخلت** سنة ثمان وستين وسبعماية فيها فرق السلطان
اقطاعات الامرا الطبلخانات والعشراوات الذى كانوا قد ركبوا مع الامير طيبغا الطويل
فى الشام واخرج اقطاعاتهم **وفيها** ارسل المقر السيفي منكلي بغا نايب الشام يسال السلطان
فى الحضور الى مصر زايرا ليرى وجه السلطان فلما حضر الى القاهرة حضر صحبته تقادم عظيمة
للسلطان حتى للامرا والاتابكي يلبغا فاكرمه السلطان غاية الاكرام واخلع عليه واستقر به
نايب حلب وجعل حلب اكبر من الشام كما كانت على القاعدة القديمة وعين معه عسكرا
يقيمون بحلب عنده ثم ان السلطان اخلع على الامير اقتمر عبد الغني واستقر به نايب
الشام عوضا عن منكلي بغا **ومن الحوادث** فى هذه السنة ان الاتابكي يلبغا رسم بعمارة
مراكب اغربه تسير بحريه تتوجه الى بلاد الفرنج فان جماعة من الفرنج صاروا يعبثون فى
البحر ويقطعون الطريق على التجار وعين لهم السلطان تجريده وانشا مائة غراب ورسم
للامير طيبغا العلاى بان يكون شادا على عمارة هذه الاغربه فانشا عمارتهم فى الجزيرة
الوسطانيه فلما كملت عمارتهم نزل السلطان والاتابكي يلبغا الى الجزيرة الوسطا يتفرج على
اقامتهم فى البحر فكان يوم نزول السلطان يوما مشهودا فالتقوا الاغربه قدامه فى البحر
والطبل عمال والنفط وزينت الاغربة بالصناجق والسلاح ولعبوا بها فى البحر ذهابا

وكان لها ذيل في المعنى

خذ من زمانك ما اعطاك مغتنما * وانت ناه لهذا الدهر امره
فالعمر كالكاس يستجلى اوائله * لكنه ربما مجت اواخره

قيل كان الاتابكي يلبغا اذا طلع الى القلعة تركب مماليكه ويصطفوا من بيته الذي في
الكبش الى باب المدرج ويمشي هو بينهم حتى يطلع الى القلعة وكانوا مماليكه نحو ثلاثة الاف
مملوكا وقيل ان الوزير فخر الدين كان يحمل الى يلبغا في كل يوم الف دينار برسم سماطه انتهى
ما اوردناه من اخبار الاتابكي يلبغا العمري ولما قتل يلبغا اضطربت احوال القاهرة فطلعوا
الامرا الى القلعة وقبضوا من الامرا من كان من عصبة الاتابكي يلبغا وهم الامير قرابغا
البدري والامير يعقوب شاة والامير طيبغا العلاي حاجب الحجاب وغير ذلك من الامرا
الطبلخانات والعشراوات فقيدوهم وارسلوهم الى السجن بثغر الاسكندرية ثم ان السلطان
عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي اسندمر الناصري واستقر به
اتابك العساكر عوضا عن يلبغا العمري واخلع على المقر السيفي قشتمر المنصوري واستقر
به حاجب الحجاب عوضا عن طيبغا العلاي واخلع على المقر السيفي ايدمر الشامي واستقر
به دوادار كبير واضيف اليه نظر الاحباس مع الدويدارية فكان اول من تكلم في نظر
الاحباس من الدويدارية وفيها قبض السلطان على الصاحب فخر الدين بن قزوينه
وسلمه الى الامير قرابغا الصرغتمشي فلا زال يعاقبه حتى مات تحت الضرب قيل انه
احرق اصابعه بالنار واحمى له خوذة في النار والبسها له حتى مات ولما كان يوم الخميس
سادس عشر رجب من سنة ثمان وستين وسبعماية فيه ثارت فتنة بين الامرا فلبسوا
آلة الحرب وطلعوا الى الرملة فنزل اليهم جماعة من المماليك السلطانية وقاتلوهم
فكسروهم ومسكوا منهم جماعة من الامرا وهم الامير قرابغا الصرغتمشي والامير برمشي
العلاي والامير ايتبك البدري والامير ايناق الرحبي والامير قرابغا العزي
والامير مقبل الرومي فلما قبضوا عليهم طلعوا بهم الى القلعة فرسم السلطان بتقييدهم
وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية فلما جرى ذلك فخرج على بقية الامرا فركبوا اجمعين
وثارت فتنة عظيمة ولبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرملة فنزل السلطان الى الحراقة
ودقت الكوسات حربي وارسل السلطان يقول للامرا ايش سبب هذه الفتنة فقالوا
سلمونا الامير اسندمر امير كبير وكان اسندمر هذا لما قتل يلبغا استقر عوضه
امير كبير وسكن في بيته الذي في الكبش والتف عليه جماعة من مماليك يلبغا ومشى
على نظام يلبغا في الحرمة والشهامة فلما ارسلوا الامرا الذي قد ركبوا يقولون للسلطان
انت استاذنا وما نموت الا تحت اقدامك ولكن سلمونا اسندمر هو الذي يرمي
الفتن بيننا وبين السلطان فلما سمع الامير اسندمر ذلك نزل هو وجماعة من الامرا
الذي كانوا في القلعة عند السلطان والمماليك السلطانية من باب الدركيل وجاؤا

من وراء

من وراء القلعة وطلعوا من راس الصوة فلم يشعروا الامرا الذي في سوق الخيل الا وقد دهمهم
الاتابكي اسندمر بمن معه من العسكر واجتمع معه الجم الغفير من الزعر والعوام وبايديهم
المقاليع بالحجارة فلما راوا الامرا الذي في سوق الخيل ذلك فهربوا اجمعين ولم يثبت
منهم احد ودخل في قلوبهم الرعب فانهزموا من سوق الخيل ولم يثبت من الامرا غير الامير
الجاي اليوسفي والامير ارغون شاة تتر فاستمروا مع الاتابكي اسندمر ومن معه من مماليك
يلبغا وقعة عظيمة من اول النهار الى بعد الظهر فلم يطلع اليهم احد من الامرا ولا ساعدهم
فانكسر الامير الجاي والامير ارغون شاة تتر وهربا وانتصر عليهم الاتابكي اسندمر ومن
معه من مماليك يلبغا ثم ان الاتابكي اسندمر كبس على الامرا الذي انكسروا وقبض عليهم [illegible] ثم
وهم الامير جركس امير سلاح والامير ايدمر الشامي الدوادار والامير الجاي اليوسفي
والامير قطلوبغا والامير ارغون شاة تتر والامير طيبغا النظامي والامير قجماس
الطازي والامير اقطاي اليلبغاوي والامير اقبغا الاحمدي وغير ذلك جماعة كثيرة
من الامرا الطبلخانات والعشراوات فقيد الامرا المقدمين وارسلهم الى السجن بثغر
الاسكندرية فكان عدة من مسك من الامرا المقدمين في هذه الحركة ثمان امراء ومن الامرا
الطبلخانات وغير ذلك من العشراوات نحو احدى عشر اميرا ثم ان بعض الامرا قال للاتابكي
اسندمر اقبض على السلطان وتسلطن انت فابى من ذلك وابقا السلطان على حاله فلما
راقت هذه الفتنة عمل السلطان الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي
الطنبغا الجوكي واستقر به امير مجلس واخلع على المقر السيفي الطنبغا اليلبغاوي واستقر
به راس نوبة النوب واخلع على المقر السيفي بيرم العزي قطقطاي واستقر به دوادار
كبير عوضا عن ايدمر الشامي واخلع على المقر السيفي سلطان شاة واستقر به حاجب
الحجاب واخلع على الامير قطلقتمر العلاي واستقر به امير جاندار ثم ان السلطان ارسل
خلف المقر السيفي ازدمر العمري الناصري الشهير بالخازندار وهو جد مولفه كما تقدم
وكان السلطان نقله من نيابة طرابلس الى نيابة حلب ثم ارسل خلفه فلما حضر الى القاهرة
فاخلع عليه واستقر به امير سلاح عوضا عن الامير قطلوبغا جركس وكان الامير ازدمر
هذا تولى امير سلاح ايضا في دولة الملك الناصر حسن في سنة سبع وخمسين وسبعماية
بعد قتلة الاتابكي شيخو العمري وكان شيخو وازدمر خشداشين من قود تاجر فلما كان
دولة الاشرف شعبان احضر الامير ازدمر واعاده اميرا كما كان ثم ان السلطان انعم
على جماعة حاشيته بامريات طبلخانات وامريات عشراوات واستقام امر السلطان
في هذه الحركة وزال عنه جماعة من الامرا المتمردين الذي كان يخشى منهم وفي هذه السنة
فيها كانت وفاة العلامة الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن حسن بن صالح
ابن علي بن نباتة الفارقي المصري الجذامي تغمده الله برحمته وكان من فحول المولدين
وكان مولده في سنة ست وثمانين وستماية وكان منشاه بمنشية المهراني بزقاق

القناديل وكان مدة حياته اثنان وثمانون سنة وتوفي في سنة ثمان وستين وسبعماية
كما تقدم ومما وقع للشيخ جمال الدين هذا انه كان قال كنت اخترع المعنى الغريب في سعدي
الذي لم اسبق اليه فيما يعني فيه صلاح الدين الصفدي ويأخذه عني وزنا وقافية
وينسبه الى نفسه كما قيل في المعنى

• وقتي يقول الشعر الا انه • فيما علمنا يسرق السرقا •

فلما طال علي الامر في ذلك جمعت كتابا فيما تلقفه وسرقه مني ونسبه الى نفسه وسميت
الكتاب بخبز الشعير لانه ماكول مذموم فمن جملة ذلك قلت انا هذا المعنى

• بروحي عاطر الانفاس المى • مليح الحسن خالي الوجنتين •
• له خالان في دينار خد • تباع له القلوب بحبتين •

فاخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

• بروحي خده المحمر المحيا • عليه شامة شرط المحبة •
• كان الحسن يعشقه قديما • فنقطه بدينار وحبة •

قال الشيخ جمال الدين فلما وقفت على هذا المعنى قلت لا اله الا الله سرق الشيخ صلاح الدين
الصفدي كما يقال من الحبتين حبة انتهى ذلك **ثم دخلت** سنة تسع وستين
وسبعماية فيها جاءت الاخبار من حلب بان الفرنج جاءوا الى قلعة اياس وحاصروها
فخرج اليهم الامير منكلي بغا الشمسي نايب حلب وصحبته العساكر الحلبية فلما
سمعوا به فرحلوا عن قلعة اياس ثم قصدوا نحو طرابلس وكانوا ثلاث ملوك وهم
صاحب قبرص وصاحب رودس وصاحب الاسبتار فجاءوا في مايتي مركب حربية
فلما جاءوا الى طرابلس كان نايب طرابلس غايبا عن المدينة فطمعوا فيها الفرنج في اخذ
المدينة فخرج اليهم بعض عسكر طرابلس فوقعوا معهم فانكسر عسكر طرابلس ودخلوا
الفرنج الى المدينة ونهبوا اسواقها وقتلوا بها جماعة من المدينة من المسلمين نحو الفين
اثنان فلما تسامعوا اهل البلاد بذلك فجاءوا الى الفرنج وحاربوهم وقتلوا جماعة كثيرة
منهم فانكسرت ملوك الفرنج كسرة قوية ورحلوا عن ساحل طرابلس فلما جاءت الاخبار
الى القاهرة بما جرى فاضطرب السلطان والامرا وقصدوا ان يبعثوا لهم تجريدة وكان في
ذلك السنة بالقاهرة فناء عظيم حتى كان يخرج من ابواب القاهرة في كل يوم اثني
عشر الف جنازة وكان اكثر عمله في الاطفال والغربا وقد قيل

• وما الدهر اهل ان تؤمل عنده • حياة وان نشتاق فيه الى النسل • وقال
آخر • نحن بنو الموت فما بالنا • نعاف ما لابد من شربه •
• تبخل ايدينا بارواحنا • على زمان هي من كسبه •

ثم دخلت سنة سبعين وسبعماية فيها في يوم الجمعة سادس صفر بعد صلاة الجمعة
ركبوا جماعة من مماليك يلبغا ودخلوا الى بيت الاتابكي اسندمر الناصري فقالوا قم

واركب معنا فقال لهم ايش قصدكم فقالوا قصدنا نمسك خمسة من الامرا وهم الامير
ازدمر امير سلاح المعروف بالخازندار والامير بيرم العزي الدوادار والامير جركتمر
المنجكي امير مجلس والامير بيبغا القوصوني امير اخور كبير والامير كبك الصرغتمشي
الجوكندار فركب معهم الاتابكي اسندمر ومسك هولاء الامرا من بيوتهم فاما الامير ازدمر
امير سلاح فانه قيد وارسل الى قلعة الصبيبة فسجن بها واما بقية الامرا فقيدوا وارسلوا
الى السجن بثغر الاسكندرية ثم ان الاتابكي اسندمر الناصري قصد القبض على السلطان
فتعصب له جماعة من الامرا وطلعوا الى القلعة ونزل السلطان الى الاسطبل وجلس
بالمقعد المطل على الرملة وعلق الصنجق السلطاني ودقت الكوسات حربيا فطلع اليه غالب
العسكر فاجتمع تحته في الرملة جم كثير من الزعر والعوام وبايديهم المقاليع والحجارة وكل
هذا بغضا في مماليك يلبغا التي قد التفوا على الاتابكي اسندمر وكانوا مماليك يلبغا
قد جاروا على الناس وصادروهم وهجموا على النسا في الحمامات ويخطفوا قماش الناس من
الاسواق فنفرت منهم القلوب وبغضوهم الناس قاطبة فلما ركب الاتابكي اسندمر
ومماليك يلبغا توجهوا من ورا القلعة كما فعلوا تلك المرة فلما زحفوا واقبلوا من
عند الصوة فلاقتهم الزعر والعوام بالحجارة والمقاليع فالقى الله تعالى الرعب في قلوب
المماليك ومن كان معهم من الامرا فانكسروا مماليك يلبغا اخس كسرة وهرب الاتابكي
اسندمر من راس الصوه وكان يظن انه ينتصر كما وقع له تلك المرة فكان كما قيل في المعنى

• اتطمع ان يبقى السرور لاهله • وهذا محال ان يدوم سرور •
• وتنقضي الليالي باجتماع وفرقة • ويحدث من بعد الامور امور •

فلم يكن الا ساعة يسيرة وقد مسك الاتابكي اسندمر وجماعة معه من الامرا ممن كان من
عصبته وقد مسكوا من بين الترب فصارت العوام يقبضوا على كل من يروه من مماليك
يلبغا ويعروه ويقتلوه اشر قتله واستمر على ذلك الى اخر النهار فلما مسك الاتابكي
اسندمر ومن معه من الامرا فقتلوا بين يدي السلطان فاراد ان يقيد الاتابكي
اسندمر ويرسله الى السجن بثغر دمياط فشفعوا فيه الامرا وعرفوا السلطان بان الاتابكي
اسندمر مع مماليك يلبغا تحت الضنك ولا يقدر على ردهم فرسم السلطان للاتابكي
اسندمر ان ينزل الى بيته وارسل معه الامير خليل بن قوصون وكان الامير خليل بن قوصون
ابن عمة السلطان الملك الاشرف شعبان فلما نزل الامير خليل مع الاتابكي اسندمر الى بيته
فاتفق معه على العصيان وتحالفا على ذلك فتسامعوا بهم بقية الامرا والمماليك الذي كانوا
قد اختفوا فجاءوا تحت الليل الى عند الاتابكي اسندمر حتى ضاق بهم المكان من الازدحام
لكثرتهم وازدحامهم فلما كان يوم الاثنين ثامن عشر صفر فيه ركب الاتابكي اسندمر
والامير خليل ابن قوصون وجماعة من الامرا الذين من عصبة الاتابكي اسندمر فطلعوا الى
الرملة ودقوا بسوق الخيل فنزل السلطان الى المقعد المطل على الرملة وعلق الصنجق

ودقت الكوسات حربيا فحصل في ذلك اليوم وقعة عظيمة بين الفريقين فظن السلطان انه ماخوذ لا محالة فكان كما قيل في المعنى

ولا ترج الا الله في كل حالة ... ولا تعتمد يوما على غير فضله
فكم حالة تاتي ويكرهها الفتى ... وخيرته فيها على رغم انفه

فلم تكن الا ساعة يسيرة وكسر الاتابكي اسندمر والامير خليل ابن قوصون وبقية الامرا الذي ركبوا مع اسندمر فنهبوا العوام بيوتهم وصاروا يمسكوا مماليك يلبغا من الاسطبلات ويودعوهم في الحبوس ثم قيدوا الاتابكي اسندمر والامير خليل ابن قوصون وبقية الامرا الذين ركبوا مع اسندمر وارسلوهم الى السجن بثغر الاسكندرية واما مماليك يلبغا فنفوا منهم وغرقوا منهم جماعة وهرب منهم جماعة الى نحو بلاد الشرق وانتصر عليهم السلطان الملك الاشرف شعبان وقد قال المعمار في هذه الواقعة

سلطاننا دامت له عزة ... ونصرة من اجل هاتين
دمر كبشين ومن بعدها ... ما انتطحت في ذلك شاتين

وقال الشيخ شهاب الدين بن العطار

هلال شعبان جهرا لاح في صفر ... بالنصر حتى اري عيد بشعبان
واهل كبش كاهل الفيل قد اخذوا ... رجما وما انتطحت في الكبش عنزان

ثم ان السلطان لما خمدت الفتنة رسم بالافراج على من يذكر من الامرا ممن كان مسجونا بثغر الاسكندرية وهما الامير يلبغا آص والامير الجاي اليوسفي والامير تلكتمر الشيخوني الخازندار والامير ايدمر الخطاي فلما افرج عنهم وطلعوا الى القلعة فاخلع على الامير يلبغا آص المنصوري واستقر به اتابك العساكر عوضا عن اسندمر الناصري واخلع على الامير الجاي اليوسفي واستقر به امير سلاح عوضا عن الامير ازدمر العزي الناصري الخازندار وكان الامير الجاي زوج ام السلطان الملك الاشرف شعبان وانعم على الامير ايدمر الخطاي بتقدمة الف وانعم على الامير تلكتمر الشيخوني الخازندار بتقدمة الف

اقول والامير والامير تلكتمر هذا هو الذي عمر الجامع الاخضر الذي عند قم الجور بين الغيطان ثم استمر الحال ساكنا مدة يسيرة وقبض السلطان على الاتابكي يلبغا آص المنصوري وعلى الامير تلكتمر الشيخوني وسبب ذلك قد بلغ السلطان ان يلبغا آص لما حضر الى القاهرة التفت عليه جماعة من الامرا وقد عول على الركوب على السلطان فلما تحقق السلطان ذلك فبادر اليه وقبض عليه وعلى الامير تلكتمر وقيدهما واعادهما الى السجن بثغر الاسكندرية وفي ذلك يقول ابن العطار

يلبغا آص تولى همة ... وبغى واختار حربا وادعى
وبج من جاء لحكم زايرا ... ثم ما سلم حتى ودعا

ثم ان السلطان ارسل خلف الامير السيفي منكلي بغا الشمسي نايب حلب فلما حضر اخلع

عليه واستقر به اتابك العساكر عوضا عن يلبغا آص ثم ارسل خلف الامير على الماردينى نايب الشام فلما حضر اخلع عليه واستقر به نايب السلطنة بمصر وكان من خيار الامرا وفي هذه السنة توفي الملك المنصور غازي صاحب ماردين وتولى من بعده ابنه الملك الصالح محمود ومن الحوادث في هذه السنة جاءت الاخبار من دمشق بان قد نزل بها جراد عظيم لم يسمع بمثله وتداني هذا الجراد من مكة الى دمشق فاكل الاشجار وسد اعين المياه وكان معظم امره في قرى دمشق مثل حوران وعجلون فلما كان يوم الجمعة دخل الجراد الى جامع بني امية حتى ملا صحن الجامع وصار يترامى على الخطيب وهو فوق المنبر حتى شغله عن الخطبة ثم كثر حتى جافت منه الازقة والبلدان وخرجوا منه الناس حتى صاروا يشمون الغطوان من رايحته الكريهة ثم تناقص من بعد ذلك حتى ارتفع عن البلاد ثم دخلت سنة احدى وسبعين وسبعماية فيها اخلع على الامير السيفي قشتمر المنصوري واستقر به نايب حلب عوضا عن منكلي بغا الشمسي ثم رسم بالافراج عن الامير ازدمر العزي الناصري جد مولفه وقد تقدم انه نفي الى الصبيبة في واقعة الاتابكي اسندمر بسبب مماليك يلبغا فاقام في السجن بالصبيبة مدة ثم رسم بالافراج عنه ليوليه نايب الشام عوضا عن الامير على الماردينى فلما وصل الامير ازدمر الى العربش مرض هناك ودخل الى القاهرة وهو عليل فاقام مدة يسيرة ومات الى رحمة الله تعالى ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من زاوية الشيخ ابي العباس البصير رضي الله عنه وكان هذا الامير ازدمر اميرا جليلا عظيما دينا خيرا وله بر ومعروف واثار فمن ذلك انه لما كان نايب حلب انشا خانا بحلب يعرف بخان سراقب ولما كان نايب طرابلس انشا حوضا وسبيل على الدرب السلطاني في قرية من اعمال جبل نابلس تسمى قرية جلمة بني سعد وله اوقاف على الحرمين الشريفين والذرية وكان قليل الاذى كثير الخير كما قد قيل

وليس سحيق المسك ريا حنوطه ... ولكنه ذاك الثنا المخلف

وولي من الوظايف امير سلاح بمصر مرتين وولي نيابة حلب ونيابة طرابلس ونيابة صفد وغير ذلك من الوظايف وكانت وفاة الامير ازدمر ابو دقن في يوم الاربعا سادس ربيع الاخر من السنة المذكورة فلما توفي الامير ازدمر اخلع السلطان على المقر السيفي منجك اليوسفي واستقر به نايب الشام عوضا عن الامير ازدمر العزي وكان قد عين له نيابة الشام وفيها اخلع السلطان على الامير آل ملك الكشلاوي واستقر به وزيرا واستادار وفيها توجه السلطان الى بر الجيزة ونزل عند الاهرام على سبيل النزهة فاقام هناك سبعة ايام ثم رحل من هناك وتوجه الى البحيرة ثم رحل من هناك وتوجه الى ثغر الاسكندرية وكانت ايام النيل فحصل للعسكر مشقة عظيمة بسبب المخايض في الطريق فلما دخل السلطان الى مدينة الاسكندرية دخل من باب رشيد والامرا مشاة بين يديه من باب رشيد الى باب البحر وفرش له نايب الاسكندرية الشقق الحرير

تحت حوافر فرسه ونثر على راسه الذهب والفضة وكان له يوما مشهودا فاقام هنالك
ثلاثة ايام فدخل عليه التقادم والهدايا ثم رحل من الاسكندرية ورجع الى القاهرة وطلع
الى القلعة **ثم دخلت** في هذه السنة ان جماعة من العوام دقوا تحت القلعة ومنعوا الامرا
من الطلوع الى القلعة وصاروا يرجمون الناس فارسل اليهم السلطان بعض الامرا وهو يقول
لهم ايش قصدكم فارسلوا يقولون للسلطان تسلمنا علاي الدين ابن كليلسا شاد الدواوين
ووالي القاهرة ثم تعوا تحت القلعة الى بعد العصر وحصل منهم غاية الفساد ثم رسم السلطان
للمماليك بان ينزلوا اليهم فنزلوا اليهم الرملة وارموا عليهم بالنشاب فتشتتوا وهربوا من
الرملة فمسكوا منهم جماعة واودعوهم في الحبوس وقتل منهم جماعة بالنشاب وهربوا الباقين
على وجوههم وغلقت في ذلك اليوم المدينه قاطبة ولم يبق من دفوفهم في الرملة شيئا
فكان كما قيل ◦ سل السيف عن اهل الخبار ودرعه ◦ فاني رايت السيف اصدق مقولا ◦
ثم ان السلطان نادى للعوام بالامان والاطمان وعزل عنهم والي القاهرة وولى الامير
حسين بن الكوراني والي القاهرة عوضا عن بكتمر السيفي **وفيها** جاءت الاخبار من حلب
بان نايب حلب قشتمر المنصوري قد قتل هو وولده محمد وسبب ذلك ان شخصا من
آل فضل يسمى الامير حيار وقع بينه وبين نايب حلب تشاجر فخرج اليه نايب حلب
مع العساكر الحلبية فتقاتل مع الامير حيار فنوبت العربان على نايب حلب فقتل هو
وولده في المعركه ثم ان السلطان اخلع على الامير عشقتمر الماردينى وهو صاحب الخانقاه
التي في باب الزاهر واستقر به نايب حلب عوضا عن قشتمر المنصوري وارسل خلعة
الى الامير زامل من آل فضل بان يكون عوضا عن الامير حيار بن مهنا فخرج الامير عشقتمر
وتوجه الى حلب ثم ان السلطان عمل الموكب وانعم على من يذكر من الامرا بتقادم الوف
منهم الامير بشتاك الكريمي فاخلع عليه واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن الامير
خليل بن قوصون وانعم على الامير بهادر الجمالي بتقدمة الف وانعم على جماعة من الخاصكية
بامريات بطبلخانات وعشراوات وفي هذه السنة حجت خوند بركه ام السلطان
الملك الاشرف شعبان خرجت من القاهرة في موكب عظيم في محفة زركش والامرا مشاة
قدامها وخرج صحبتها العصايب السلطانيه والكوسات وحج معها الامير بشتاك
راس نوبة النوب والامير بهادر الجمالي وما بقي مملوك من المماليك السلطانية **ثم
دخلت** اثنين وسبعين وسبعماية فيها رجعت خوند ام السلطان من الحجاز الشريف
ووصلت الى القاهرة في سادس عشر المحرم فخرج اليها السلطان ولاقاها من البويب
وكان يوم دخولها يوما مشهودا حتى طلعت الى القلعة وفي هذه السنة توفي الامير علي
الماردينى الناصري نايب السلطنة بمصر وكان اميرا دينا خيرا كثير البر والصدقات
قليل الاذى كثير الخير قريبا من الناس تولى نيابة دمشق ونيابة حلب ونيابة
السلطنة بمصر ومات والناس راضية عنه وكثر عليه الاسف والحزن من الناس

ولما

ولما مات اخلع السلطان على الامير طشتمر العلاي واستقر به نايب السلطنه بمصر
عوضا عن الامير علي الماردينى الناصري انتهى **ثم دخلت** سنة ثلاث وسبعين
وسبعماية فيها رسم السلطان بان السادة الاشراف قاطبة يجعلون في عمايمهم شطفات
خضر حتى يمتازوا عن غيرهم وتعظيما لقدرهم فنادى لهم في القاهرة بذلك فامتثلوا امره
المتدارك وفي هذه الواقعة يقول الشيخ شهاب الدين بن جابر الاندلسي وهو قوله

◦ جعلوا لابناء الرسول علامة ◦ ان العلامة شان من لم يشهر ◦
◦ نور النبوة في كريم وجوههم ◦ يغني الشريف عن الطراز الاخضر ◦

وقال الشيخ بدر الدين حسن بن حبيب

◦ عمايم الاشراف قد تميزت ◦ بخضرة رقت وراقت منظرا ◦
◦ وهذه اشارة ان لهم ◦ في جنة الخلد لباسا اخضرا ◦

وقال الشيخ شمس الدين ابن المزين

◦ اطراف تيجان اتت من سندس ◦ خضر كاعلام على الاشراف ◦
◦ والاشرف السلطان خصصهم بها ◦ شرفا ليفرقهم من الاطراف ◦

وقال الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة

◦ لآل رسول الله جاه ورفعه ◦ بها رفعت عنا جميع النوايب ◦
◦ وقد اصبحوا مثل الملوك بتركهم ◦ اذا ما بدوا والناس تحت العصايب ◦

وفي هذه السنة عزل السلطان قاضي القضاة الشافعي بهاء الدين السبكي وارسل خلف
الشيخ برهان الدين بن جماعة خطيب بيت المقدس فلما حضر اخلع عليه وولاه قاضي القضاة
الشافعية بمصر عوضا عن بهاء الدين السبكي وكان الشيخ برهان الدين هذا ابن اخو قاضي
القضاة عز الدين بن جماعة المقدسي **ثم دخلت** سنة اربع وسبعين وسبعماية
فيها توفي الاتابكي منكلي بغا الشمسي وكان خيار الترك فلما توفي اخلع السلطان
على الغز السيفي الجاي اليوسفي واستقر به اتابك العساكر بمصر عوضا عن منكلي بغا
الشمسي بحكم وفاته وفيها انعم السلطان على ولده الامير علي بتقدمة الف وفي هذه
السنة كانت وفاة خوند بركه ام السلطان الملك الاشرف شعبان وكانت ذات
حسن وجمال وذات دين وخير وطابر ومعروف وهي التي انشات المدرسة التي
بالتبانه ورتبت بها دروس للمذاهب الاربع وحضور في كل يوم للصوفية ومكتب
للايتام وسبيل ولما ماتت دفنت بهذه المدرسة فلما ماتت حزن عليها السلطان حزنا
شديدا وكانت ذات عقل وراي سديد وقد رثاها الشهابي ابن الاعرج

◦ في ثاني عشرين من ذي قعدة ◦ كانت صبيحة موت ام الاشرف ◦
◦ فالله يرحمها ويعظم اجره ◦ ويكون في عاشور موت اليوسفي ◦
◦ فكان القال بالمنطق كما قيل ◦

لا تنطق بما كرهت فربما ۞ نطق اللسان بحادث سيكون

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وسبعماية فيها في يوم الثلاثا سادس شهر الله المحرم فيها وثب على السلطان الاتابكي الجاي اليوسفي زوج امه ولبس آلة الحرب وطلع الى الرملة هو ومماليكه وكان سبب ذلك قد حصل بينه وبين السلطان حظ نفس بسبب ميراث ام السلطان فحنق الاتابكي الجاي من السلطان فوثب عليه ثم ان السلطان نادى للعسكر والامرا بان يركبوا ويحاربوا الاتابكي الجاي فركبوا جميع الامرا والعسكر وطلعوا الى الرملة ووقعوا مع الجاي وقعة عظيمة قتل فيها جماعة كثيرة واخر الامر انكسر الاتابكي الجاي وهرب نحو بركة الحبش ثم طلع من عند الجبل الاحمر واتى الى قبة النصر فاقام بها ثم ارسل اليه السلطان خلعة بان يكون نايب حماه ويخرج من هناك فابى الجاي من ذلك واقام بقبة النصر الى يوم الخميس وهو لابس آلة الحرب فنادى السلطان للعسكر والامرا بان يتوجهوا اليه ويحاربوه فتوجهوا اليه العسكر ووقعوا معه وقعة عظيمة في قبة النصر فانكسر الجاي ثانيا وهرب الى نحو شبرا فساقوا خلفه فادركوه فارمى نفسه في البحر وهو راكب فرسه فغرق الجاي ومات وطلع فرسه من بر انبابه من عند الوراق فمسكوا العسكر مماليكه وخيوله وسلاحه واحضروهم بين يدي السلطان واحتوى له ما جرى ثم ان السلطان ارسل جماعة من الغطاسين الى نحو شبرا فغطسوا هناك فطلعوا بالجاي فاحضر واله تابوت واتوا به الى القاهرة فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في مدرسته التي انشاها في سويقة العزى وكان ذلك في يوم الجمعة عاشر المحرم سنة خمس وسبعين وسبعماية كما تقدم اعليه وكان الاتابكي الجاي اميرا جليلا مهابا كثير البر والصدقات يحب فعل الخير ولو انه حضر بين يدي السلطان وهو في قيد الحياة ما كان يحصل له من السلطان الا كل الخير فانه كان زوج امه وكان له على السلطان تربية قديمة ولكن كان ذلك مقدر عليه ثم ان السلطان ارسل خلف المنجك السيفي ايدمر نايب طرابلس فلما حضر اخلع عليه واستقر به اتابكي العسكر عوضا عن الجاي اليوسفي فاقام ايدمر في نيابة السلطنة بمصر مدة يسيرة وتوفي الى رحمة الله تعالى فارسل السلطان خلف المنجك السيفي منجك اليوسفي نايب الشام فلما حضر اخلع عليه السلطان واستقر به اتابك العساكر بمصر عوضا عن ايدمر واضاف اليه نيابة السلطنة مع الاتابكيه وفوض اليه امور المملكة قاطبة من الديار المصرية والبلاد الشاميه ورسم له بان يخرج الاقطاعات من غير مشورة السلطان من اربعماية دينار الى ستماية دينار وكانت عادة نواب السلطنة من قديم الزمان لا يخرجون من الاقطاعات اكثر من اربعماية دينار الى ما دون ذلك وفيها انعم السلطان على مملوكه الامير ارغون شاه الاشرفي واستقر به راس نوبة النوب **وفيها** جاءت الفرنج الى دمشق فخرج اليهم الاتابكي منجك مع جماعة من العسكر فكسروهم وهربوا الى بلادهم

وفي ذلك يقول ابن ابي حجلة

امنجك شل زاغ الاعداء يترك ۞ ولا تترك من الافرنج بترك

تداركت المعالي بالعوالي ۞ ولكن فضل جودك ليس يدرك

وقد انست مصر احين قالت ۞ تولى الله حيث حللت نصرك

ومن الحوادث في هذه السنة ان النيل توقف عن الوفا ثم انهبط ونقص اصبعين فضجوا الناس لذلك وماجت مصر وتخبطت الغلال وارتفع الخبز من الاسواق ثم رسم السلطان للناس بان يخرجوا يستسقوا فلما كان يوم الخميس ثاني ربيع الاخر من السنة المذكورة خرجوا الناس قاطبة الى الصحرا واجتمع هناك الجم الغفير من العلما والصلحا والفقرا والرجال والنسا والاطفال وطايفة اليهود والنصارى وحضر الخليفة المتوكل على الله والقضاة الاربع ولم ينزل السلطان معهم ثم توجهوا الى تربة النصر ونصبوا هناك منبرا وصعد اليه قاضي القضاة الشافعي الشيخ شمس الدين بن القسطلاني فخطب خطبة بليغة في الاستسقا وحول رداه وكشف عن راسه ودعا الله تعالى وكان ذلك اليوم يوما مشهودا انسكب فيه العبرات فلما رجعوا الناس وباتوا تلك الليلة فانهبط الماء جملة واحدة فتزايد سعر الغلال وبلغ كل اردب مايه وعشرين درهما ومن الشعير كل اردب ثمانين درهما وبلغ ثمن الرغيف الخبز الكشكار اربعة دراهم وبلغ الرطل اللحم الضاني درهمين ونصف كل رطل واللحم البقري كل رطل بدرهم ونصف وبلغ ثمن البيضة عشرة دراهم كل واحدة وبلغ ثمن الراوية الماء خمسة دراهم من قلة العلف ومات تلك السنة اكثر الدواب من قلة العلف وغلا سعر كل شي من اصناف البضايع وجاء عقيب ذلك فنا عظيم حتى بلغ ثمن البطيخة الصيفي مايه درهم والرمانة بستة عشر درهم وصار اللحم كل يوم يتزايد سعره فلما اشتد الامر وشرقت البلاد رسم السلطان للاتابكي منجك بان يجمع الحرافيش الذي في القاهرة ويفرقهم على الامرا واعيان التجار ففعل ذلك ورسم السلطان بان يعطوا في كل يوم لكل فقير رغيفين وما يشا كل ذلك من الطعام واستمر الامر على ذلك نحو سنة ولم يتراجع السعر ولم ينحط عن ذلك حتى صاروا الناس ياكلون خبز الفول وخبز النخال والذرة واستمر الحال على ذلك **ثم دخلت** سنة ست وسبعين وسبعماية فيها جاءت الاخبار من حلب بان نايب حلب خرج الى مدينة سيس هو والعساكر الحلبية وفتح مدينة سيس وكانت في ايدي الارمن فلما جاءت الاخبار بذلك فرح السلطان وامر بدق الكوسات سبعة ايام وزينت القاهرة سبعة ايام وارسل نايب حلب صاحب سيس وهو اسير ومقيد وكان تكفور فرسم السلطان باعتقاله ورتب له في كل يوم ما يكفيه من النفقة وهو في السجن وقد هنى السلطان بعض الشعرا بفتح مدينة سيس بهذه الابيات

الملك الاشرف سلطاننا ۞ ايده الله بعز نفيس

• ساق الى نحو العدا اجنادها • وجاه النصر على اخذ سيس •

وفيها جآت الاخبار من بغداد بان الشاه اويس صاحب بغداد قد توفى الى رحمة الله تعالى
وتولى من بعده ابنه حسين وكانت مدة مملكة الشاه اويس على توريز وبغداد تسعة عشر
سنة وفيها كانت وفاة الاتابكي منجك اليوسفي وكانت وفاته في يوم الخميس تاسع عشر
ذي الحجة سنة ست وسبعين وسبعماية ودفن في خانقته التي انشاها في راس الصوه
تجاه الطبلخاناه السلطانية ومات وله من العمر نحو سبعين سنة وكان اميرا جليلا
عظيما كثير البر والصدقات وله اثار ومعروف بمصر والشام وقد تولى نيابة حلب
ونيابة الشام ونيابة السلطنة بمصر واتابك العساكر بمصر انتهى ثم دخلت
سنة سبع وسبعين وسبعماية اول هذه السنة عزيزة الوقوع لانه قد اجتمع فيها
ثلاث سباع في سبع وسبعين وسبعماية وهذا غير ممكن ان يتفق مثلها من سنين الهجرة
النبوية من الاعوام القابلة ولم يتفق مثلها في مبتدا الاسلام غيرها من السنين فيها
ختن السلطان اولاده واقام المهم عمال في القلعة سبعة ايام وكان ذلك في تاسع
المحرم وفيها كملت عمارة السلطان التي انشاها في راس الصوه تجاه الطبلخاناه
ولم يحدث في هذه السنة من الحوادث شيئا وكان غالب الناس يتطيرون منها
فلم يحصل فيها الا الخير ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وسبعماية فيها ابطل السلطان
ضمان المغاني من ساير اعمال مملكته وكان ذلك عبارة عن مال كبير مقرر على ساير المغاني
من رجال ونسا يردونه في كل سنة الى الخزاين الشريفة فابطل ذلك ومن جملة ما ابطله
وهو ضمان القراريط وكان عبارة ان الشخص اذا باع ملكا يوخذ منه لبيت المال
عن كل الف عشرين درهما فابطل ذلك وصار في صحيفته الى يوم القيامة وفيها
توعك جسد السلطان واقام في الفراش منقطع مدة ثم شفي وخرج الى الموكب ثم
ان السلطان قوي عزمه على انه يحج في هذه السنة فاشار اليه بعض الصلحا بترك الحج في هذه
السنة فلم يسمع واخذ في اسباب عمل اليرق فلما كان يوم السبت ثاني عشر شوال
فيه خرج السلطان من القاهرة ونزل من القلعة في موكب عظيم ومما اشتمل عليه طلب
السلطان فكان فيه من الهجن عشرين نوبة بقماش زركش وخمسة عشر نوبة بقماش
حرير ملون ونوبة هجن ملبسه خليفتي ونوبة هجن ملبسة ابيض برسم الاحرام
وكان في الطلب مايتين فرس ملبسة بركستوانات مخمل ملون وستين قولاد
مكفت بالذهب وفيه لجا وثنين زركش وكان فيه عشر محفات زركش برسم الحريم
وكان فيه ستة واربعين زوج محاير مخمل ملون برسم السراري والعيال وكان في
المطبخ خمسماية جمل تحمله سكر وحلوى وفاكهة وغير ذلك برسم ما يحتاج اليه المطبخ
وكان فيه قطارين جمال تحمله اشجار مزهرة في طينها وهي في قصارى خشب مزوقه
فلما انتهى امر الطلب خرج السلطان من الميدان في موكب عظيم وقدامه ساير الامرا

من كبير

من كبير وصغير وكان له يوما مشهودا ولما نزل من القلعة توجه الى نحو بركة الحاج على العادة
فلما اقام هناك فاخلع على الشيخ ضياء الدين القنوي واستقر به شيخ مدرسته التي انشاها
براس الصوة وقرر بها حضورا من بعد العصر وصوفية وكانت هذه المدرسة من محاسن الدنيا
في الزخرفة والبنا وقد هدمت هذه المدرسة في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق كما سياتي
ذكر ذلك في موضعه ثم ان السلطان ركب من بركة الحاج وكان صحبته من الامرا المقدمين
تسعة وهم المقر السيفي ارغون شاه الاشرفي والمقر السيفي صرغتمش الاشرفي امير سلاح
والمقر السيفي بيبغا السابقي امير مجلس والمقر السيفي بهادر الجمالي امير اخور كبير والمقر
السيفي صراي تمر المحمدي راس نوبة النوب والمقر السيفي طشتمر العلاى الدوادار
والامير مبارك شاه الطازي والامير قطلقتمر العلاى الطويل والامير بشتاك
العمري ومن امرا الطبلخانات خمسة وعشرين اميرا ثم ان السلطان جعل المقر السيفي اقتمر
عبد الغني نايب السلطان مقيما بالقاهرة وجعل الامير ايدمر الشمسي نايب الغيبة
ورسم للامرا المقيمين بالقاهرة بان يطلعوا الى القلعة في كل يوم اثنين وخميس ويقطوا
الخدمة للاسياد اولاد السلطان فصارو الامرا بعد توجه السلطان يطلعوا الى القلعة
ويجلسون على باب الستارة ويخرج اليهم ابن السلطان الامير علي وكان اكبر اولاده فيجلس
مع الامرا ساعة لطيفة على باب الستارة يحضر لهم السكر فيشربوا وينصرفوا واستمروا
على ذلك مدة يسيرة وكان السلطان لما قصد التوجه الى الحجاز الشريف فضبط امور
المملكة قبل خروجه واخذ معه من الامرا من كان يخشى امره وترك بالقاهرة من الامرا
من كان يركن اليه وظن ان الامور قد استقامت له واقتدى برايه كما قيل

• يا حاسبا للامور يفتريه لقد • حسبت شيا وغابت عنك اشياء •

فلم يبلغ بذلك مراده وجنى عليه اجتهاده كما قيل

• اذا لم يكن عون من الله للفتى • فاول ما يجني عليه اجتهاده •

فلما رحل السلطان من بركة الحاج ورجع كل احد الى بيته فلما كان يوم السبت
ثالث ذي القعدة فيه وثبوا جماعة من الامرا ولبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرملة وكان
القايم في ذلك الامير طشتمر المحمدي المعروف باللفاف احد الامرا العشرات والامير
قرطاي الطازي احد روس النوب والامير اسندمر الصرغتمشي والامير ايبك
البدري ولم يكن فيهم امير مقدم الف فلما طلعوا الى الرملة فالتف عليهم جماعة كثيرة
من المماليك السيفية ومماليك الاسياد فهجموا الهم وطلعوا الى القلعة ووقفوا على
باب الستارة ودقوا الباب فخرج اليهم الامير سنقال الجمالي الزمام والامير جلبان
اللالا والامير قطلوبغا جركس اللالا فقالوا للمماليك ما الخبر فقالوا قد سمعنا
ان السلطان لما وصل الى العقبة وثبوا عليه المماليك وقتلوه فاخرجوا الينا الامير علي
حتى نسلطنه ولم يكن لهذا الكلام صحة ولكن كان الفال بالمنطق كما يقال في المعنى

احفظ لسانك ان تقول فتبتلى • ان البلا موكل بالمنطق

فلما سمع الامير الزمام توقف ساعة فاغلظوا عليه المماليك فى القول وعينوا له القتل فلما راى منهم الجد دخل الى دور الحرم واخرج الامير على بن الملك الاشرف شعبان فجلس على باب الستارة ساعة ثم توجهوا المماليك الى عند الامير ايدمر الشمسى نايب الغيبة واحضروه الى القلعة فلما حضر اخذوا الامير على وتوجهوا به الى الايوان الكبير واجلسوه على سرير الملك وباسوا له الارض ثم ارسلوا طلبوا من كان فى القاهرة من الامرا فطلعوا الى سوق الخيل فطلبوهم ان يطلعوهم الى القلعة فابوا من ذلك فركبوا الامير على ونزلوا به الى باب السلسلة وجلس فى الحرانز التى فى الاسطبل السلطانى ونادى لساير الامرا ان يطلعوا الى باب السلسلة فطلعوا فلما طلعوا حلفوهم وباسوا للامير على الارض ساير الامرا ولقبوه بالملك المنصور ثم ان المماليك مسكوا فى ذلك اليوم جماعة من الامرا العشراوات وهم الامير طشتمر الصالحى والامير بلاط السيفى الجاى والامير والامير حطط اليلبغاوى احد رووس النوب فلما قبضوا عليهم سجنوهم بالقلعة ثم قالوا لوالى القاهرة نادى فى المدينة بالامان والاطمان والدعا للملك المنصور على فنزل الوالى ونادى بذلك فى القاهرة وكان ذلك فى يوم السبت ثالث ذى القعدة من السنة المذكورة فلما كان يوم الاحد صبيحة ذلك اليوم والناس مايجة فى بعضهم فاشتاعت الاخبار بين الناس بان شخصا من المماليك السلطانية قبض على شخص من المماليك الذى كانوا مع السلطان فى الحجاز يقال له قازان البرقشى من جملة الامرا الاخورية وكان صحبة السلطان فوجدوه فى المدينة وهو متنكر فقبضوا عليه واحضروه الى عند الامير ايدمر الشمسى نايب الغيبة فساله عن سبب ذلك وحضوره الى القاهرة فتمتم فى الكلام وتلجلج بلسانه فحواه الامير ايدمر واراد توسيطه فقال له امهلنى حتى اخبرك بما جرى هناك فالبسه اثوابه وقال له احكى فقال لما وصل السلطان الى العقبة دخلها فى يوم الثلاثا فلما اصبح يوم الاربعا وقفوا عليه جماعة من المماليك السلطانية وطلبوا منه العليق فقال لهم اصبروا الى الازلم فرجعوا وهم على غير رضا منه فلما مد السماط فلم يحضر من المماليك السلطانية احد فظهر للسلطان منهم الغدر ثم ان المماليك توجهوا الى عند جماعة من الامرا منهم الامير طشتمر العلاى الدوادار الكبير والامير مبارك شاة الطازى والامير صراى تمر المحمدى والامير قطلقتمر العلاى الطويل فاتفقوا معهم على الوثوب على السلطان فلما كان يوم الخميس ركبوا هولاء الامرا على السلطان فالتف عليهم جماعة كثيرة من مماليك الاسياد فلما تحقق السلطان ذلك ركب هو وجماعة من الامرا منهم الاتابكى ارغون شاة الاشرفى والامير صرغتمش الاشرفى امير سلاح والامير بشتاك العمرى راس نوبة النوب والامير بيبغا السابقى والامير يلبغا الناصرى والامير ارغون كتك فركبوا هولاء الامرا مع السلطان واوقفوا المماليك هناك

وقعة

وقعة عظيمة فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسر السلطان ومن معه من الامرا وهربوا الى نحو عجرود فلما سمع الامير الشمسى بذلك ركب هو والامير استدمر الصرغتمشى والامير طولوا وجماعة من الامرا السلطانية وتوجهوا الى نحو بركة الحاج فلاقوا هم والامرا الذى كانوا بصحبة السلطان فى العقبة فلما لاقوا معهم فلم يجد والسلطان صحبتهم ولا الاتابكى ارغون شاة ولا الامير يلبغا الناصرى فاتفقوا الامرا هناك فى بعضهم فقتلوا الامرا الذى حضروا من العقبة وقطعوا روسهم ودخلوا بهم الى القاهرة وعلقوها على باب القلعة هذا ماكان من امر الامرا واما ماكان من امر السلطان الملك الاشرف شعبان فانه لما هرب بعد الكسرة من العقبة فقال له محمد بن عيسى شيخ العايد اخذك وانوجه بك من هنا الى عزة فتقيم بها حتى تتسامع بك العساكر وتجتمع عليك العربان وترجع الى القاهرة وتاخذ الملك بالسيف فوافقه السلطان على ذلك فمنعه الاتابكى ارغون شاة من ذلك ثم انه دخل الى القاهرة وهو مختفى فبات تلك الليلة فى تربة فى الصحرا الى اخر الليل فقام من هناك الى الحارة الجودرية فاختفا عند امراة فى الجودرية يقال لها امنة زوجة ابن المشتولى وكانت من عيال ام السلطان فاختفا عندها فخافت من عقبا ذلك على نفسها من القتل فان الامير ايدمر الشمسى نايب السلطنة نادى فى القاهرة كل من وجد السلطان الملك الاشرف شعبان فى بيته ولا يغمز عليه شنق على باب داره فلما سمعت امنة المذكورة ذلك توجهت الى عند الامير اينبك البدرى وقالت له ان السلطان مختفى عندى فى البيت فلما سمع الامير اينبك بذلك فارسل معها ماية مملوك ملبسة ومعها امير يقال له الطنبغا السلطانى فتوجهوا الى الجودرية وكبسوا بيت امنة زوجة ابن المشتولى فلما احاطوا بالبيت هرب السلطان وطلع الى سطح البيت فلم يجدوا فيه احدا فطلعوا الى السطح فوجدوا السلطان مختفى فى البادهنج وهو بطاق القميص فقبضوا عليه والذى كان خايفا منه وقع فيه كما قيل فى المعنى

• عرفت الليالى قبل ماصنعت بنا • فلما دهتنى لم تزدنى بها علما •

فلما قبضوا على السلطان نهبوا جميع ماكان فى البيت ثم اركبوا السلطان فرس وهو مغطى الوجه فطلعوا به الى القلعة بعد المغرب فتسلمه الامير اينبك البدرى فلما دخل الليل خلا الامير اينبك بالسلطان وبات فى تلك الليلة يعاقبه ويقرره على الاموال والذخاير فلما كانت ليلة الثلاثا دخل جركسى مملوك الاتابكى الجاى اليوسفى وكان فى قلبه من السلطان من ايام استاذه الجاى فتسلم السلطان وخنقه بوتر حتى مات ثم وضعه فى قفة وكسر ظهره وخيط عليه بلاسا وارسله تحت الليل على حمار وارماه فى بير عند باب الزغلة وكانت قتلته فى ليلة الثلاثا سادس ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعماية ومات وله من العمر نحو اربعة وعشرين سنة وكان مولده فى سنة اربع وخمسين وسبعماية وكانت مدة سلطنته بمصر اربعة عشر سنة وشهرين وزال عنه الملك

كان لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وقد قيل في المعنى

ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض ۞ على الما خانته فروج الاصابع

ثم ان الملك الاشرف شعبان لما ارموه في البير كما تقدم فاقام فيها اياما فظهرت رايحته وطف الما من البير بعض الطواشيه فلما تحقق ان السلطان فصبر حتى دخل الليل واحضر له تابوتا وطلع به من البير وحمله فيه واتى به الى مدرسته والدته التي في التبانه فغسله هناك وكفنه وصلى عليه ثم دفنه في القبة التي تجاه المدرسة **وكان** الملك الاشرف شعبان من محاسن الزمان في العدل والحلم وكان ملكا هينا لينا محببا للناس منقادا للشريعة ويحب اهل العلم ويحسن لهم وكان كثير البر والصدقات على الفقرا والمساكين وكان محسنا لاقاربه وابنا عمه بخلاف من تقدمه من بني قلاوون وكانت الدنيا في ايامه هادية من الفتن والتجاريد الى البلاد الشامية وفساد العربان وساس الناس في ايام دولته احسن سياسة وكانت الناس راضية عنه حتى مات رحمه الله تعالى وقد قال فيه القايل

للملك الاشرف السلطان سيدنا ۞ مناقب بعضها يبدى به العجب

له خلايق بيض لا يغيرها ۞ صرف الزمان كما لا يصدا الذهب

ولما مات الاشرف شعبان خلف من الاولاد ستة ذكور وسبعة اناث فاما الذكور فسيدي علي الذي تسلطن بعده وسيدي امير حاج الذي تسلطن بعد اخيه وسيدي قاسم وسيدي محمد وسيدي اسماعيل وسيدي ابو بكر وولد بعد موته سيدي احمد الذي من خوند سمرا **واما** **فتوحاته** من المدن فمدينة سيس ومدينة سنجار ومدينة دوركي **واما** ما انشاه من العماير في القاهرة فالمدرسة التي كانت في راس الصوه تجاه الطبلخاناة السلطانية ومن انشايه وهي القاعة الاشرفية التي بالقلعة داخل دور الحرم وله غير ذلك اثار كثيره وتذكار **وكان** في ايامه جماعة كثيرة من اولاد الناس طبلخاناة وامرا عشراوات وفي الجملة ان الملك الاشرف شعبان كان اخر بني قلاوون في الحرمة والعظمة ونفاذ الكلمة وكان عارفا باحوال امور المملكة حسن التدبير ماشيا على القواعد المرضية مستجلبا لخواطر الرعية وكان حسن الشكل سخي النفس شجيع القلب ولكن خانه الدهر وسطا عليه بالقهر فعاجله المنون وخابت فيه الظنون **هذا** ما كان من امر الملك الاشرف شعبان بعد رجوعه من العقبة **واما** ما كان من امر الامرا الذين خامروا على السلطان في العقبة فانه لما هرب السلطان من هناك فاجتمعوا الامرا ودخلوا على الخليفة المتوكل على الله محمد وكان قد سافر صحبة السلطان هو والاربع قضاه فقالوا له تسلطن انت احق بالسلطنه فامتنع من ذلك غاية الامتناع وطال بينه وبين الامرا الجدال فلما صمم الخليفة على الامتناع فعينوا الامرا مع الحجاج الامير بهادر الجمالي امير اخور كبير فتوجه صحبة المحمل مع الحجاج وسار دركبا واحدا ثم ان الامرا اخذوا الخليفة والقضاة الاربع وقصدوا التوجه الى نحو مصر وصحبتهم حريم السلطان الملك الاشرف شعبان ثم ان القضاة سالوا افضل الامرا

الذين يزوروا

ان يزوروا بيت المقدس فاذنوا لهم بذلك وارسلوا معهم جماعة من المماليك السلطانية فتوجهوا من هناك الى بيت المقدس فلما وصل الخليفة والامرا الى عجرود فجاءت الاخبار بما جرى في القاهرة من قتل السلطان وسلطنة ولده الامير علي **ومن غريب** الاتفاق ان اليوم الذي خامروا فيه المماليك وركبوا على السلطان في العقبة وافق اليوم الذي ركبوا فيه الامرا بالقاهرة وسلطنوا سيدي علي ابن السلطان فلما سمعوا ذلك وصلوا الامرا الى بركة الحاج فجاءت الاخبار بذلك الى القاهرة فتوجهوا اليهم جماعة من الامرا والمماليك السلطانية فالتقوا معهم عند المطرية فانكسروا الامرا الذي جاوهم من القاهرة وساق خلفهم الامير قطلقتمر العلاي الطويل الى راس الصوة فتكاثروا عليه المماليك السلطانية حتى مسكوه وحضروا به الى نايب السلطنه فلم يشوش عليه ثم دخل الامير طشتمر الدوادار الكبير واختفى في تربة في الباب المحروق فنموا عليه الغلمان فجاوا اليه وقبضوا عليه وقيدوه وارسلوه الى ثغر الاسكندرية وخمدت الفتنه وسكن الاضطراب واستمر سيدي علي سلطانا كما سياتي ذكر ذلك في موضعه ولما مات الاشرف شعبان فرثاه الشيخ خلف الغباري بهذه القطعة الزجل فقال

عن منازل طالع القلعة ۞ كوكب السعد اختفا حين بان

اقتران زحل مع المريخ ۞ كسوف شمس فقتل شعبان

صار محرم نومتا ما ۞ صفر المنزل من الاشرف

وادّخرنا ربيع عيش ۞ وجمادين فتكهم اسرف

ورجب فيه الملك شعبان ۞ دور المحمل ولما اشرف

رمضان صاموا وفي شوال شال ۞ وذي القعدة بدا الحرمان

فيه جرت سيره لذي الحجة ۞ ما جرت في سائر الازمان

قد نهبنا اصل ذي النوبة ۞ بسماع ما جا من الاخبار

في حصار شعبان وفي ضربوا ۞ بالنبابين والخنق بلا وتار

ولذا صار قلبنا موصول ۞ بالهموم والعقل منا طار

وخروج السهم لو تشبيب ۞ في الغضب من داخل الابدان

والسيوف غنت لو فقه الخيل ۞ والانامل هزت العيدان

للحجاز لما نوى الاشرف ۞ ودمع جملة العشاق

ظامرت ما به من العسكر ۞ ولو قصد الغدر جو اجوافا

تلوه شركه ونار يحوا ۞ للعراق والاصبهان انساق

وقد اضحى في الرمل مدفونا ۞ والذي بيه في طرب قرحان

صار لخبر والحمام في الدوح ۞ ناح لفقدوا باختلاف الحان

الذخاير داهيه حب بن صار ۞ واسطة عقد الجيوش نما ايضا

والذهب كنو الحزن صفر * صورتنا واما اللجين شائب
والعقيق كنوا قد اختضب * بالدما حين كهربوا كالارب
وسلوك الدرر والياقوت * عقدها انفرط من التيجان
واضح الجوهر يتيم بعدوا * ودموع العين عليه مرجان
ذى الذى كان الملك ايدوا * وايديهم فى فرد زبدية
جوه بعلة غدر مدفونة * وحيل فى السر مخفية
وقلوب بالغم مهمومة * دكبود بالغبن مشوية
وامور مزورة لكن * قبل ما سغوه من الهوان الوان
طبخوا القدره وقد صاروا * حولها سجين اخوان
فى اتابك مصر كنت اعهد * قوم عزيز بن جابر المكسور
منهم ادغون وصرغتمش * والشهير بالساقى المنصور
والامير تشتاك مع الاقرم * يامر من لو الحكم والمقدور
جاء القضا على خد الخمسة * وقد امضا عزم متهان
هكذا الدنيا وقد قالوا * فى المثل ما عز شى الادهان
جال بنفس اذ الملك لما * حايصيب دستو اعليه مقلوب
واخذ قبلو اسريع شامات * وانكشف رخوا وصار مغلوب
هكذا فى رقعة الدنيا * دست هذى المملكة المنصوب
ذا يكن ركب فرس عزوا * عاليه فرطان يعود فى احزان
والذى فى الحاشيه بيدقا * بينتقل حتى يصير فرزان
مصر وادى فيه وصادت غاب * وسكن وابراج حوت رفعة
وامارتها الذى كانوا * فى ضمنا من قبل ذى الوقعة
للملك غلمان وهم غزلان * واسود واقمارهم طلعة
خفت الاقمار من الابراج * وخلا المسكن من الخلان
دعى الغاب غابت الاساد * وانقفر الوادى من الغزلان
فقد الاشرف قبر ليتا شعرى * هو لقنديل نور ضياه جامع
اوصدف فيه خالص الجوهر * او فلك فيه غاب قمر طالع
او نقول غاب فيه اسد ضارى * او جفير جواه حسام طالع
او كناس فيه احسن الغزلان * او حما فيه افرس الفرسان
او جد فيه ددح من الارواح * او سواد مقله وفيها انسان
فسالك يا الله بجاه موسى * وعيسى وباحمد المحبوب
عيش الاشرف واوهبوا رحمه * وعليه افرغ صبر ايوب
فارق اذكرنا فراق يوسف * مثل ما اورثنا حزن يعقوب
والخليل سنا غدا قاتل * كخليلوا حين يراه ظمئان
فى شعبان الحزن بعد وانوح * واجو دمعك فى الخدود طوفان
نصر شعبان قرب الكامل * لعلى والحكم للقضا در
فسالك ياحق يا عادل * كن بجيش المسلمين ناصر
وارزق العالم على صالح * واصلح الباطن مع الظاهر
واخمد الفتنة وطمنا * لا تشتتنا من الاوطان
وانصر المنصور على * واعنوا ابيه الاشرف السلطان
يا من امسا مثل ما يمسى فى * فرح بالجاه وكثر المال
قط لا تركن لدى الدنيا * واحذر احذر رحالها ان حان
كم عزيز دلته صار يطلب * جاه يجيبه ما جاه وما لو مال
فالبس البس حلة التقوى * قبل لبسك شقة الاكوان
لا تغرك زينة الدنيا * كل ما تنظر عليها فان
آخر الناس مع السبعين * بعد تاريخ سبعمائة عام
يا غبارى قلت فى الاشرف * نظم شاع فى اقليم مصر والشام
وانت فى فن الزجل قيم * بدووج تشهد بها الحكام
وتنظم النثر من فكرك * كم وكم صنفت منه ديوان
والبديع لك صادت الفرسان * فيه زجال والقيمة افدان

انتهى ذلك وفى ايامه توفى الشيخ نور الدين على بن سعيد المغربى الاندلسى وكان من فحول الشعرا وله شعر جيد فمن ذلك قوله

واطول شوقى الى ثغور * ملا من الشهد والرحيق
عنها اخذت الذى تراه * يعذب من شعرى الرقيق

انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المنصور الاشرف شعبان بن محمد بن قلاوون على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المنصور على بن الاشرف

شعبان بن الملك الامجد حسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وهو الثالث والعشرون من ملوك الترك واولادهم بمصر بويع له بالسلطنة عندما حضر امير المومنين المتوكل على الله من العقبة فبايعه بالسلطنه ولبس خلعة السلطنة وجلس على سرير الملك ولقبوه الامرا الارض وتلقب بالملك المنصور ونودى باسمه فى القاهرة وضجوا له الناس بالدعا فلبس خلعة السلطنه من باب الستارة وركب بشعار الملك والامرا مشاة بين يديه والقبة والطير على راسه حتى وصل الى الايوان وجلس على سرير الملك ساعة ثم دخل الى القصر الكبير ومد السماط فى القصر وجلس عليه وهو لابس شعار الملك

وكانت هذه عادة قديمة ان السلطان يوم يتولى يمد في القصر سماط ويجلس عليه وهو بشعار
الملك فلما فرغ من الاكل فاخلع على المقر السيفى اقتمر الصاحبى الشهير بالحنبلى واستقر به
نائب السلطنة بالديار المصرية عوضا عن الامير اقتمر عبد الغنى واخلع على المقر السيفى
طشتمر المحمدى الشهير باللفاف واستقر به اتابك العساكر بمصر وكان طشتمر المحمدى
هذا امير عشرة فبقى اتابك العساكر في يوم واحد عوضا عن الاتابكى ارغون شاة الاشرفى
وانعم عليه بسيركة ومماليكه وكان ذلك في يوم الاحد سادس ذى القعدة سنة ثمان وسبعين
وسبعماية وكان السلطان الملك المنصور له من العمر يومئذ نحو سبع سنين واشهر فلما
كان يوم الاثنين سابعه فيه عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم الامير قرطاى
الطازى واستقر به راس نوبة النوب وذمر له ببرك الامير صرغتمش الاميرى الاشرفى
واخلع على الامير اسندمر الصرغتمشى الناصرى واستقر به امير سلاح واخلع على الامير
قطلوبغا البدرى واستقر به امير مجلس عوضا عن بلبغا السابقى ثم اخلع على الامير طشتمر
العلاى واستقر به نائب الشام ورسم له بان يخرج من القاهرة في يومه واخلع على الامير
اياس الصرغتمشى واستقر به دوادار كبير عوضا عن طشتمر العلاى واخلع على الامير
اينبك البدرى واستقر به امير اخور كبير عوضا عن الامير بهادر الجمالى وانعم على الامير
بلاط السيفى الجاى بتقدمة الف وكذلك الامير دمرداش اليوسفى وكذلك الامير
يلبغا النظامى وكذلك الامير الطنبغا السلطانى وانعم على جماعة كثيرة من الامرا بامريات
طبلخانات وامريات عشراوات فاما الامرا الطبلخانات فهم الامير بيبغا الجمالى
وقطلوبغا البشيرى وقطلوبك النظامى واحمد بن الزكاى وقطلوقجاة اخو اينبك
البدرى وتمربغا البدرى والطنبغا المعلم اليلبغاوى وتنكز المنصورى ومقبل
الرومى واسنبغا الصارمى واطلمش الطازى وادبغا السيفى جبغا وابراهيم بن قطلقتمر
العلاى وعلى بن اقتمر عبد الغنى واسنبغا النظامى ودمور الفاه طارى واطلمش الارغونى
واما العشراوات فمنهم محمد بن قرطاى الطازى وخضر بن الطنبغا السلطانى ومحمد
ابن شعبان بن يلبغا العمرى وتنكا الشمسى واسنبغا المحمودى وطوج المحمدى وتنكز
البجكى واقبغا السيفى الجاى وجركس السيفى الجاى وهو الذى خنق الملك الاشرف شعبان
وطغنمش السيفى يلبغا وطوغان العمرى الشاطر وخليل ابن اسندمر العلاى ورمضان
ابن صرغتمش الناصرى واخيه حسن ويوسف ابن شادى وخضر الرسولى وقطلوبغا
امير علم وسودون العثمانى شاد الزردخاناه واسندمر الشرفى ومنكلى بغا الطرخانى ومغلطاى
الشرفى ثم نفا جماعة من الامرا وافرج عن جماعة من الامرا ممن كان في السجن بثغر الاسكندرية
من ايام الاشرف شعبان **ثم دخلت** سنة تسع وسبعين وسبعماية فيها في يوم الاحد
حادى عشرين صفر عمل المقر السيفى قرطاى الطازى راس نوبة النوب وليمة واهدى اليه
المقر السيفى اينبك امير اخور شيئا وعمل له فيه بنجا في قدحا فلما شرب منه الامير

قرطاى فتبنج ونام حتى طلعت الشمس فركب الامير اينبك البدرى ولبس آلة الحرب
وطلع الى الرملة هو ومماليكه والتف عليه جماعة من الزعر والعياق فلما طلع النهار نزل
السلطان المنصور الى باب السلسلة وجلس في المقعد المطل على الرملة وعلق الصنجق السلطاني
ودقت الكوسات حربيا فطلعوا بقية الامرا واجتمعوا المماليك السلطانية فاقام الحرب
عمال بينهم الى يوم الاثنين ثانى عشرين صفر فلما طار البنج من راس الامير قرطاى وصحا من سكره
فركب واجتمع بالامرا فاشاروا عليه بان يرسل يسال بخاطر السلطان بان يكون نائب حلب
فارسل يسال السلطان في ذلك فارسل له السلطان خلعة بان يكون نائب حلب ورسم
له بان يخرج من يومه فخرج وتوجه الى نحو سرياقوس فلما ان خرج الامير قرطاى فمسك
السلطان جماعة من الامرا ممن كان من عصبة الامير قرطاى ثم الامير اقتمر الحنبلى نائب السلطنة
اشار على السلطان بان يقبض على الامير اينبك البدرى فلما كان يوم الثلاثا ثالث عشرين صفر
ركب الامير اقتمر الحنبلى نائب السلطنة ليسير نحو المطرية فارسل اليه الامير اينبك
البدرى هناك جماعة بخلعة وقال له توجه من هناك الى دمشق واستقر نائب الشام وان
رجعت الى بيتك في هذا اليوم قتلتك فما وسع الامير اقتمر الا الطاعة وتوجه من هناك
الى الشام فلما توجه الامير اقتمر الى الشام فعمل السلطان الموكب واخلع على الامير اينبك
البدرى واستقر به اتابك العساكر عوضا عن الامير طشتمر المحمدى المعروف باللفاف
وقبض على الامير طشتمر اللفاف ونفاه الى القدس بطالا ثم افرج عن الامير اقتمر عبد
الغنى واعاده الى نيابة السلطنة كما كان اولا عوضا عن الامير اقتمر الصاحبى الشهير
بالحنبلى واخلع على الامير بلاط السيفى الجاى واستقر به امير سلاح عوضا عن الامير
اسندمر الصرغتمشى واخلع على الامير الطنبغا السلطانى واستقر به امير مجلس عوضا
عن الامير قطلوبغا البدرى واخلع على الامير دمرداش اليوسفى واستقر به راس نوبة
النوب عوضا عن الامير قرطاى الطازى وانعم على الامير يلبغا الناصرى بتقدمة الف
ثم نفا جماعة كثيرة من الامرا الطبلخانات والعشراوات وانعم على جماعة من غيرهم باقطاعاتهم
وحدث هذه الفتنة ثم ان الاتابكى اينبك البدرى وقع بينه وبين الخليفة المتوكل
على الله وخلعه من الخلافة وولى زكريا ابن ابراهيم بن عم المتوكل من غير مبايعة ولا عهد
وتلقب زكريا بالمستعصم بالله وكانت ولايته من نوع التعصب على المتوكل واستمر
الحال ساكنا ثم الاتابكى اينبك اسكن جماعة من مماليكه في مدرسة السلطان حسن واسكن
جماعة من مماليكه ايضا في مدرسة الاشرف شعبان التى كانت في راس الصوة وصار يتصرف
في امور المملكة بحسب ما يختار من ذلك وكان له ولد صغير فاعطاه تقدمة الف ولم يزل
على ذلك حتى جات الاخبار من البلاد الشامية بان النواب جميعا خامروا وخرجوا عن الطاعة
فلما تحقق الاتابكى اينبك ذلك قلق من يومه الجاليش السلطانى على الطبلخاناه وعين
الامرا والعسكر الى التجريدة نحو بلاد الشام ثم انه اعرض العسكر ونفق عليه وخرج مسرعا

على جرايد الجبل واخذ معه السلطان الملك المنصور على بن محمد وخرج في تاسع عشر ربيع
الاول من السنة المذكورة وتوجهو الى هناك **ومن الحوادث** في هذه السنة ان في سابع
عشرين تموز من الشهور الرومية اظلم الجو وامطرت السما مطرا شديدا برعد وبرق حتى
سال المطر مثل الغدران ولما اراد السلطان ان يخرج الى التجريدة افضل الخليفة زكريا
من الخلافة وولى محمد المتوكل كما كان اولا واخذ معه في التجريدة فكانت مدة الخليفة
زكريا في الخلافة عشرين يوما لا غير واعيد المتوكل الى الخلافة كما كان فكانت خلافة زكريا
من النوم اويوم اوبعض يوم فلما رحل السلطان من القاهرة ووصل الى بلبيس رجع الى القاهرة
على حين غفلة وكان سبب ذلك ان الامير قطلو بغا اخو الاتابكي اينبك البدري
كان في الجاليش قدام العسكر فبلغه ان جماعة من المماليك السلطانية قصدوا ان يكبسوا عليه
ويقتلوه فهرب تحت الليل هو وثلاثة من الامرا ودخلوا الى القاهرة فلما تحقق اينبك ذلك
وان العسكر قد تغلبوا عليه فاخذ السلطان ورجع به الى القاهرة فطلع السلطان الى
القلعة وتدماجت المدينة وكثر القال والقيل بين الناس فلما كان يوم الاثنين ثالث
ربيع الاخر من السنة المذكورة رجعوا الامرا والعسكر الذى كانوا صحبة السلطان
ودخلوا الريدانية وهم على حمية فلبسوا آلة الحرب من وقتهم واجتمعوا في سوق الخيل
وكان العسكر جميعه مقلوب على الاتابكي اينبك البدري فلما تحقق اينبك ان الركبة عليه
فنزل من القلعة هو وجماعة من الامرا والمماليك السلطانية ووقعوا مع العسكر الذى في
الرملة فكان بينهم وقعة عظيمة حتى جرى الدم مثل الماء فانكسر الامير قطلو بغا
اخو الاتابكي اينبك وقبضوا عليه فلما راى الاتابكي اينبك ذلك ساق فرسه وهرب
من باب القرافة وتوجه الى نحو الكيمان الذى بمصر العتيقة فساق خلفه الامرا ايدمر
الخطاى مع جماعة من الامرا والمماليك السلطانية فادركه فنزل عن فرسه وارمى بنفسه
بين الكيمان وهرب وهو ماشى فاختفى هناك فلما هرب اينبك طلعوا الامرا الى باب
السلسله وصار المتحدث يومئذ في امور المملكة الامير السيفي قطلقتمر العلاى الطويل
فملك باب السلسلة واقام بها فاجتمعوا الامرا وضربوا بينهم مشورة وطلعوا الى باب
السلسله وقبضوا على الامير قطلقتمر العلاى وقيدوه ثم في صبيحة يوم الاحد ظهر
الاتابكي اينبك وكان في كوم الجارح فارسل الامير يلبغا الناصري فقبض عليه
وقيده وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية وارسل معه جماعة من الامرا ممن كان من عصبته
ونفوا جماعة من المماليك السلطانية ممن كانوا من عصبته وفيه يقول الشيخ شهاب الدين بن العطار

من بعد عز قد ذل اينبك ، والحظ بعد السمو منه هبط
وراح يبكى الدما منفردا ، والناس لا يعرفونه اين سقط

فلما توجه اينبك الى السجن وجرى له ماجرى وانقام جماعة من الامرا واينبك هذا هو
صاحب الدرب الذى في السبع سقايات ثم ان جماعة من الامرا لبسوا آلة الحرب واقتتلوا

في بعض

سلاح بعضهم وكان راس الفتنة الامير برقوق العثماني والامير بركه الجوباني والامير يلبغا
الناصري والامير بوزى الحلبى الاحمدى وهو صاحب الدرب المنسوب اليه والامير
اقبغا آص الشيخوني فاوقعوا هولاء الامرا مع جماعة من الامرا فانكسر منهم طائفة وهم
الامير دمرداش اليوسفي والامير تمرباى الحسنى والامير قطلو بغا الشعبانى والامير
دمرداش التمان تمرى العلم والامير اسندمر العثمانى والامير بجان العلاى امير قشتوكا
والامير اسنبغا التلكى فلما انكسر هولاء الامرا فقبضوا عليهم وارسلوهم الى السجن بثغر
الاسكندرية ثم ان الامير يلبغا الناصري اقام في باب السلسلة وملك الاسطبل السلطانى
وصار يحكم بين الناس فاستمر على ذلك سبعة ايام فلم يطق ذلك الامير برقوق والامير
بركه فهجموا على الامير يلبغا الناصري وقت الظهر وانزلوه من باب السلسلة الى بيته
فاقام به ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع فيه على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي برقوق
العثماني واستقر به امير اخور كبير واخلع على المقر بركه الجوبانى واستقر به امير مجلس
عوضا عن الامير الطنبغا السلطانى ثم ارسل خاصكى مطرد على جرايد الخيل ليحضر المقر السيفي
طشتمر نايب الشام فلما حضر خرج السلطان الى تلقيه وسائر الامرا فلما طلع الى القلعة
فاخلع عليه واستقر به اتابك العساكر عوضا عن اينبك البدرى ولما ان حضر الامير
طشتمر نايب الشام فحضر صحبته جماعة من الامرا الذى كانوا بدمشق وهم الامير تمرباى
الدمرداشى والامير تغرى برمش العلاى والامير سودون الشيخونى والامير طغيتمش
البلبغاوى فلما حضروا انعم عليهم السلطان بتقادم الوف واخلع على الامير تمرباى
الدمرداشى واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن الامير دمرداش اليوسفي ثم ان السلطان
رسم بالافراج عن جماعة من الامرا ممن كان مسجونا بثغر الاسكندرية وهم الامير سودون
الشيخونى والامير قطلو بغا البدرى والامير الطنبغا السلطانى والامير بابس المرغتمشى
والامير قطلو بغا البشيرى والامير اصبغا الصارمى وهو صاحب الحوض المنسوب
اليه وغير هولاء جماعة كثيرة ممن كان منفيا في البلاد الشامية وغيرها **وفيها** في ثالث
عشر شوال توجه الامير بلاط السيفي الجاى امير حاج الى نحو الربيع شبرامنت فلما اقام
هناك فارسل اليه السلطان خلعة ورسم له بان يتوجه من هناك الى طرابلس ويستقر بها
نايبا فاجاب بالسمع والطاعة وخرج من هناك من يومه فلما وصل الى غزه فرسم له بان
يقيم في القدس بطالا ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع على الامير يلبغا الناصرى
واستقر به امير سلاح عوضا عن بلاط السيفي الجاى **وفيها** ثارت فتنة بين مماليك
الاتابكي طشتمر وبين مماليك الامير الوفا بركه الجوبانى فلبسوا آلة الحرب وتقاتلوا
في الرملة اشد قتال فلما طال الامر بينهم ركب الاتابكي طشتمر بعد العصر وطلع الى باب
السلسلة عند المقر السيفي برقوق امير اخور كبير فلما طلع الى عنده قبض عليه وقيده
وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية هو وامير حاج بن مغلطاى فلما مضى ذلك عمل السلطان

الموكب واخلع على المقر السيفى برقوق العثمانى واستقر به اتابك العساكر بمصر عوضا
عن طشتمر العلاى واخلع على المقر السيفى ايتمش البجاسى واستقر به امير اخور كبير
عوضا عن برقوق ثم ان الاتابكى برقوق قبض على الامير بلبغا الناصرى امير سلاح وقيده
وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع على المقر السيفى
ابنال اليوسفى واستقر به امير سلاح عوضا عن بلبغا الناصرى **ومن الحوادث** فى هذه السنة
ان فى ليلة الاحد خامس عشرين ذى الحجة فيها وقع حريق بظاهر بابى زويلة عند دار التفاح
فاحترق دار التفاح والربع الذى كان حوله وعملت النار الى البراد عيين ووصلت
الى عند الموازنيين ولولا سور القاهرة لاحترق نصف المدينة فى تلك الليلة فلما زاد
الامر ركب الامير بركة والامير ايتمش البجاسى والامير سودون الاحمدى والامير
تغرى برمش حاجب الحجاب فاجتمعوا هناك هم ومماليكهم واخذوا السقايين من بيوتهم
وصاروا يطفون النار وهى لا تزداد الا وهجا واشتعال فاقامت النار وباتوا الناس
على وجل من ذلك واعيوا عن طفى النار فاقامت على ذلك يومين بلياليها والناس ماتجة
على بعضها وفى ذلك يقول الشيخ شهاب الدين بن العطار فى المعنى

۵ ارتنا دار تفاح بليل ۵ حريقا وقدره امسى عظيما ۵
۵ ونالت بعد ذلك النور تارا ۵ وكانت جنة فغدت جحيما ۵

وقال الشيخ زين الدين حبيب الحلبى ۵

۵ بباب زويله وافا حريقا ۵ ازال معانى الحسن المصون ۵
۵ ودمر كل عال من بناء ۵ وصير كل عال مثل دون ۵
۵ وعبرة عبرة الراكبين اجرى ۵ يقينا كالعيون من العيون ۵
۵ وما برح الخلائق فى ابتهال ۵ لمحيى الارض من بعد المنون ۵
۵ الى ان نالهم لطف خفى ۵ وفضل عناية بالنار كونى ۵

فاحترق فى ذلك اليومين خمسمايه دار وكان حتى لطف الله تعالى واطفئت **ثم دخلت**
سنة ثمانين وسبعماية وفيها فى سادس ربيع الاول قبض الاتابكى برقوق على جماعة من الامرا
وهم الامير الطنبغا العلاى والامير قطلوبغا امير علم والامير اسنبغا الملكى والامير
بلك الاحمدى والامير غريب الاشرفى والامير جوبان الطيدمرى والامير ثمان تمر
الموسوى وجنتمر المحمدى والامير سودون العثمانى والامير قرطقا ابن سوسون
والامير بجان العلاى امير مشوى والامير اقبغا بلشون فلما قبض على هولا الامرا
قيدهم وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية **ومن الحوادث** فى هذه السنة ان فى يوم
الاثنين رابع عشرين شعبان فيه ركب الاتابكى برقوق ليسير نحو المطرية وكان الامير بركة
الجوبانى مسافرا فى اقطاعه نحو البحيرة فاغتنم الامير اينال اليوسفى امير سلاح هذه الفرصة
وركب هو ومماليكه ولبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرملة فتسامعت به جماعة من الامرا

فركبوا وطلعوا الى الرملة وكان الذى ركبوا مع الامير اينال اليوسفى من الامرا وهم الامير سودون
جركس المنجكى والامير سودون النوروزى والامير مصلان الجمالى والامير جقمق الناصرى
والامير حطط وغير ذلك من المماليك السلطانيه فاجتمعوا فى الرملة ثم ان الامير اينال
اليوسفى حطم وطلع الى باب السلسلة وجلس فى الحراقة التى بالاسطبل ثم انه فتح زردخانة
الاتابكى برقوق واخرج ما فيها من السلاح ووجد بعض مماليك صغار من مماليك برقوق
فالبسهم آلة الحرب واوقفهم على سور باب السلسلة فقال الامير سودون المنجكى للامير
اينال دعنى اخذ معى جماعة من المماليك واخرج الى برقوق ادفع معه لما ان يرجع فلم
يوافقه الامير اينال على ذلك ولو فعله لكان صواب فلما بلغ الاتابكى برقوق ذلك فرجع
من اثنا الطريق ودخل الى بيت الامير ايتمش البجاسى فقام الامير ايتمش وفتح زردخانة
والبس مماليكه ومماليك الاتابكى برقوق وخرجوا على حمية وطلعوا الى الرملة فاوقعوا
مع الامير اينال اليوسفى والامير سودون المنجكى وبقية الامرا وقعة قوية وقتل فيها جماعة
من المماليك السلطانيه ثم ان برقوق اتى باب السلسلة فلما راوا مماليك برقوق الذى
اتقدم الامير اينال على سور باب السلسلة استادهم يحاصر باب السلسلة فاوموا على
الامير اينال بالنشاب وهو جالس فى الحراقة فجاءت نشابة فى رقبة الامير اينال فاثرها
فقام من وقته وهرب من باب الاسطبل الذى من باب الزرافة فاختفى هناك فى بعض الترب
فطلع الاتابكى برقوق الى باب السلسلة وملكه وانقضى ذلك الجمع ثم فى اواخر النهار قبض
بعض المماليك على الامير اينال اليوسفى والامير سودون المنجكى واحضرهما الى بين يدى
الاتابكى برقوق فقيدهم وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية وفى ذلك يقول ابن العطار

۵ قد البس الله برقوق المهابة ۵ فى نهار الاثنين من عز وتمكين ۵
وقوله ۵ وراح اينال مع سودون وانكسرا ۵ وكان يوما عسيرا يوم الاثنين ۵
ايضا ۵ بغا اينال واعتقد الامانى ۵ تشاعره فما نال المومل ۵
۵ وعد لاخذ برقوق يد به ۵ ولم يعلم بان الخوخ استقل ۵

وكان الامير اينال صاحب الامير بركة ولما جرت هذه الحركة كان الامير بركة غائبا
فى البحيرة كما تقدم فلم يجد له اينال من ناصر ولا معين على ما جرى له وفى ذلك يقول شهاب
الدين بن العطار ۵ ما بال اينال اتى ۵ فى مثل هذى الحركه ۵
۵ مع علمه بانها ۵ خالية من بركه ۵

ثم ان السلطان عمل الموكب وقبض على جماعة من الامرا منهم الامير سودون جركس المنجكى والامير
سودون النوروزى والامير مصلان الجمالى والامير جقمق الناصرى والامير قمارى
الخازندار فلما قبض عليهم قيدهم وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية فهذا ما كان من حوادث
سنة ثمانين وسبعماية **ثم دخلت** سنة احدى وثمانين وسبعماية فيها فى يوم الاربعا
سابع عشر صفر ارسل الامير بركة يقول للاتابكى برقوق ان الامير ايتمش البجاسى

البس مماليكه آلة الحرب وهو قاصد الركوب فاضطرب الاتابكى برقوق من ذلك وارسل
الى بيت ايتمش يكشف عن ذلك الخبر فلم يجد لهذا الكلام صحة ولا خبر فلما بلغ الامير ايتمش
ذلك ركب وطلع الى عند الاتابكى برقوق فى باب السلسلة ثم ان برقوق ارسل يطلب
الامير بركه بان يطلع الى باب السلسلة ويحقق ما ذكره فى امر ايتمش فابى الامير بركة
من الطلوع الى عند برقوق فترددت بينهم الرسل والامير بركة يمتنع من الصلح مع الامير
ايتمش ثم ان الاتابكى برقوق ارسل الى الشيخ اكمل الدين الحنفى شيخ الخانقاه الشيخونيه والى
الشيخ امين الدين الخلوتى بان يركبا ويتوجها الى عند الامير بركه ويمشوا فى امر الصلح بين
الامير بركه وبين الامير ايتمش البجاسى فتوجه الامير ايتمش صحبة الشيخين ودخلوا الى
بيت الامير بركه فاوسع الامير بركه الا انه خلع على الامير ايتمش خلعة خ واركبه فرس
بسرج ذهب وكنبوش فطلع الامير ايتمش وقبل يد الاتابكى برقوق وخمدت الفتنة
التى كانت فلما كان ليلة الجمعة تاسع عشر صفر ركبوا جماعة من الامرا ولبسوا آلة الحرب
وطلعوا الى الرمله وسبب ذلك ان الامير بركه البس مماليكه آلة الحرب وقصد الركوب
فلما تحقق الامرا ذلك ركبوا قاطبة وطلعوا الى الرمله واضطربت الاحوال فعند ذلك
ارسل الاتابكى برقوق خلف القضاة الاربع ورسم لهم بان يتوجهوا الى بيت الامير
بركه ويمشوا بينه وبين الامرا بالصلح فى تخميد الفتنة فاصلحوا القضاة بينهم
وتحالفوا وزال ما كان فى خواطرهم من الحقد وطلعوا الى القلعة فى يوم السبت ولعبوا
بالاكره والصولجان واقاموا على ذلك مدة يسيرة والامر مبنى على السكون فلما كان
يوم الاثنين سابع ربيع الاول ركب الاتابكى برقوق ليسير نحو المطرية وركب معه
جماعة من الامرا ممن كان من عصبته فلما رجعوا طلع الاتابكى برقوق الى باب السلسلة
ورجعوا الامرا الذى كانوا معه الى بيوتهم ثم ان الاتابكى برقوق جاءه ولد ذكر من سرية
فسماه محمد فلما كان يوم سابعه عمل له الاتابكى برقوق عقيقه واستدعا سائر الامرا
فلم يتاخر عنه احد من الامرا غير الامير بركه الجوبانى فانه لم يطلع اليه وكانت قد
دبت بينهما عقارب الفتن وكان الامير بركه صاحب الاتابكى برقوق محابة مؤكدة
لا يعرف احد ما بينهما فلا زالوا بعض الامرا بينهما الفتن حتى اوقعوا بينهما وصار كل منهما
عدو لصاحبه **كما قيل** سُئل بعض الحكما كيف يمكن ان يبقى الصديق عدوا ولا
يمكن ان يبقى العدو صديقا فقال لان تخريب العامر اسهل من عمارة الخراب وتكسير الزجاج
اسهل من تصحيحه اذا كان مكسورا فلما تخلف الامير بركة عن الطلوع الى عند الاتابكى برقوق
مد السماط واكلوا الامرا ونزلوا الى بيوتهم فقبض الاتابكى فى ذلك اليوم على ثلاثة من الامرا
ممن كان من عصبة الامير بركة وهم الامير قراد مرداش الاحمدى والامير طغج
المحمدى والامير اقتمر العثمانى ومسك معهم اخو الامير بركة وهو صراى الرجبى
الطويل ثم ان الاتابكى برقوق البس مماليكه آلة الحرب واوقفهم على سور باب السلسله

ونزل الامير سنقار المرى وهو سايق الى عند مدرسة السلطان حسن فدخلها مع جماعة
من مماليك الاتابكى برقوق فطلعوا الى سطح المدرسة وارموا بالنشاب على الامير بركة
وهو جالس فى منظره وكان الامير بركة ساكنا فى بيت شيخوا الذى عند باب الرمله
فلما راى الامير ذلك ركب وخرج من الباب الكبير الذى بحدرة البقر هو ومماليكه ملبسه
وكان معه بعض امرا فنزل من المدينه وخرج من باب الفتوح وتوجه من هناك نحو قبة النصر
فلما خرج الامير بركة من بيته فنادى الاتابكى برقوق للعوام بان ينهبوا بيت الامير
بركه فاحرقوا العوام باب بيت الامير بركة ودخلوا اليه ونهبوا جميع ما كان فيه حتى
اخذوا رخامه وابوابه وشبابيكه ثم ان الامير بركه اقام فى قبة النصر ذلك اليوم
فاجتمع عنده طايفة كثيرة من خشداشينه ثم ان الاتابكى برقوق عين الامير الطنبغا
والامير ايتمش البجاسى والامير قرطاى الزكانى وجماعة كثيرة من المماليك السلطانيه
وتوجهوا الى عند الامير بركة فى قبة النصر وقت الظهر فاوقعوا هناك وقعة عظيمة
فكسرهم الامير بركة وشحتهم الى تحت القلعة فحال بينهم الليل عن القتال فلما اصبحوا
يوم الاربعا تاسع عشرين ربيع الاول فنزل السلطان الملك المنصور الى باب السلسله
وجلس فى المقعد المطل على الرمله وعلق الصنجق السلطانى ودقت الكوسات حربى فاجتمعوا
الامرا والمماليك السلطانيه فلما كان وقت القايلة بعد الظهر ارسل الامير بركة يقول
للاتابكى برقوق ايش انت قاعد تعمل اما تجينى او انا اجيك الى الرمله فارسل يقول
له الاتابكى برقوق اصبر انت فى اى مكان نلاقيك ويعطى الله تعالى النصر لمن يشاء
وتخمد هذه الفتنة عن المسلمين فلما سمع ذلك الامير بركة تحقق وكان السلطان ارسل
اليه خلعة وهو فى قبة النصر بان يستقر نايب طرابلس ويتوجه من هناك فلم يوافق
الامير بركة على ذلك واستمر القتال والقتل بينهم عمال ثم ان بعض خشداشين الامير
بركه اشار عليه بان يركب فى ذلك الوقت ويحطم الى الرمله فان العسكر الذى مع برقوق
متقلين فى هذا الوقت فى بيوتهم والرميلة خاليه من العسكر وكان ذلك اليوم يوم محر
شديد الحر فركب الامير بركة فى ذلك الوقت وقسم العسكر الذى كان معه فرقتين فقال
فرقة تمضى من تحت الجبل الاحمر وفرقة تمضى الى الرميلة فلما بلغ الاتابكى برقوق ذلك
فارسل جماعة من الامرا والمماليك السلطانيه الى الفرقة التى فيها الامير بركه فلاقوه
بين الترب واوقعوا معه هناك وقعة قوية من بعد الظهر الى قرب المغرب فانكسر
الامير بركة وهرب وتفرق من كان معه من العسكر من شدة الحر ثم ان طايفة من المماليك
شحتوا الامير بركه حتى تقنطر من على فرسه فقام وهرب وهو ماشى حتى اختفى واما
الفرقة التى ارسلها الامير بركة من تحت الجبل الاحمر فان كان فيها الامير يلبغا الناصرى
امير سلاح فتوجه اليه الامير ايتمش البجاسى واوقع معه وقعة وتقدم اليه الامير
ايتمش وضربه بطبر كان معه على وجهه فسقط الى الارض مغشيا عليه وانكسر

من كان معه من العسكر فنهبوا الزعز العسكر الذي كان مع يلبغا وقتل من المماليك الذي
كانوا معه مالا يحصى ومن الغلمان فاخذ الامير ايتمش صنجق يلبغا الناصري وطبل
خانته واتى بهم الى عند الاتابكي برقوق وقبض على جماعة كثيرة من المماليك السلطانية
ممن كان راكبا مع الامير بركة وتجرح في هذه الوقعة من العسكر والغلمان مالا يحصى
قيل لما هرب الامير بركه فاختفى في بستان حتى دخل الليل وكان معه شخصا من الامرا
العشراوات يقال له اقبغا صوان فتوجه الامير بركه الى عند شخص من الصالحين يقال
له الشيخ محمد المقدسي وكان مقيما في جامع المقسي الذي في باب البحر فاختفى بركه عنده
فلما طلع النهار فارسل الامير بركه يعرف الاتابكي برقوق انه في جامع المقسي عند الشيخ
محمد المقدسي فارسل اليه الاتابكي برقوق في ساعته الامير الطنبغا الجوباني والشرفي
يونس دوادار الاتابكي برقوق فلما دخلوا عليه اخذوه واركبوه على فرس وطلعوا به
الى القلعة فلما طلع قيدوه وارسلوه الى السجن بثغر الاسكندرية وفي ذلك يقول ابن حبيب
الحلبي

يا ويحها من حالة ۝ وشومها من حركة
وفتحها من فتنة ۝ فيها ازالت بركة
وقت ـــ العنبر خلعت الغبارى

مصر صارت بعد انقباض في انشراح ۝ وقلعها من خوف والقصور
يا بركه احفظ لنا برقوق ۝ واحرص الجند وانصر المنصور
جعل الله لكل وقعة سبب ۝ ونقول لك سبب هذي الوقعة
بركا زاد يعمل على ايتمش ۝ والى الشام يسيروا اسرعة
طلب الصلح بينهم برقوق ۝ فارسلوا له اخلع عليه خلعة
وبقى بعض ما بقي في النفوس ۝ والغليل ما اشتفى بغل الصدور
وتداهنوا على حذر بانيين ۝ وابتلى بعيد الحذر مع المقدور
اصلحوا بينهم نهار الجمعة ۝ وصفا ودهم وطابوا الجميع
جا ايتمش عصبة لامير برقوقا ۝ وبقا كل احد لامره مطيع
فمسك في نهار الاثنين طبج ۝ ودمرداش الدوادار سريع
بركا حين سمع بذلك طلب ۝ فئة النصر خوف من المقدور
كان حذر وحتى وقع في الشرك ۝ والمثل قال ما ينفع الا الحذور

ولما جرت هذه الفتنة اقامت ابواب مصر هي والاسواق مقفولة ثلاثة ايام حتى مسكوا
بقية الامرا الذين ركبوا مع الامير بركة وهم الامير قراكشك البلبقاوي والامير ايدمر
الخطاي والامير سودون الطغيتمري والامير يلبغا المنجكي والامير قرابلاط الاحمدي
والامير قرابغا الابو بكري والامير تمربغا الشمسي والامير كولك التركي والامير
قطلوبك النظامي والامير اقبغا صوان والامير طولو تمر الاحمدي والامير تنكز

العثماني

العثماني والامير غريب الاشرفي والامير الطنبغا الاردغوني وامير حاج ابن مغلطاي والامير
طوجي الحسني ويوسف ابن شادي فلما مسكوا هولاء الامرا قيدوا وارسلوا الى السجن
بثغر الاسكندرية وارسلوا طايفة منهم الى ثغر دمياط وطايفة منهم الى قوص وراقت
هذه الفتنة وخمدت ثم ان السلطان اخرج من جماعة من الامرا ممن كانوا بالسجن معتقلين
وانعم عليهم باقطاعات من نفي من الامرا عوضا منهم واستمر الحال ساكنا وفي هذه السنة
جاءت الاخبار من الشام بان نايب الشام بيدمر الخوارزمي خامر وخرج عن الطاعة فلما
ان خامر قبضوا عليه عسكر دمشق وقيدوه وسجنوه بقلعة دمشق وارسلوا يعلموا السلطان
بذلك وانه اخرج بركه وعياله من الشام وقصد ان يهرب الى نحو بلاد التركمان فقبضوا
عليه وسجنوه بقلعة دمشق الى ان يفعل فيه السلطان ما يريد فلما سمع الاتابكي برقوق
بذلك فارسل يطلب بيدمر الخوارزمي الى القاهرة وعين لذلك خاصكي ثم ان السلطان عمل
الموكب واخلع على من نذكر من الامرا وهم الامير ايتمش البجاسي واستقر به راس نوبة النوب
واخلع على الامير الان الشعباني واستقر به امير سلاح عوضا عن يلبغا الناصري واخلع
على الامير الطنبغا الجوباني واستقر به امير مجلس عوضا عن الامير بركه الجوباني
واخلع على الامير الان يغا العثماني واستقر به دوادار كبير واخلع على الامير الطنبغا
المعلم واستقر به راس نوبة ثاني ثم ان السلطان عمل الموكب الثاني واخلع فيه على من نذكر
من الامرا وهم الامير جركس الخليلي واستقر به امير اخور كبير واخلع على الامير كشبغا
الاشرفي واستقر به شاد الشرابخاناه السلطانية وانعم على جماعة كثيرة من الخاصكية
بامريات عشرة منهم اقبغا الناصري المعروف بالمقدسي ومنهم تنكز بغا السيفي يلبغا
ومنهم قطلوبغا الكوكاي فاخلع عليه واستقر به حاجب ومنهم الامير سودون باق
ومنهم طوجي العلاي وقادس الصرغتمشي وكشبغا الخاصكي وبيرم العلاي وقوصون
المحمدي الاشرفي واقبغا الاجنبي وبيبرس التمان تمري وتمربردي وغير ذلك من الامرا جماعة
كثيرة وشي امرا طبلخاناه وشي امرا عشراوات فاستقامت الاحوال وسكن
الاضطراب ومن الحوادث في هذه السنة جاءت الاخبار من البحيرة بان جاء على دمنهور
طايفة من العربان نحو خمسة الاف انسان وكان كبير العربان يحيى بدر ابن سلام فكبسوا
على دمنهور ونهبوا اسواقها والبيوت واحرقوا عدة بلاد فلما سمع الاتابكي برقوق
بذلك فعين في ذلك اليوم ثمان امرا مقدمين وهم الامير الان الشعباني امير سلاح
والامير الطنبغا الجوباني امير مجلس والامير ايتمش البجاسي راس نوبة النوب
والامير مامور القلمطاوي احد المقدمين والامير احمد بن يلبغا العمري احد المقدمين
والامير بهادر الجمالي والامير سنقلار العمري الناصري احد المقدمين فهولا ثمان امرا مقدمين
وعين من الامرا الطبلخانات عشرة ومن الامرا العشراوات اثنى عشر ومن المماليك السلطانية
نحو اربعماية مملوك وامرهم بان يخرجوا من يومهم فلما كان يوم الجمعة رابع عشر جمادى الاول

فى السنة المذكورة صلوا الامرا صلاة الجمعة وخرجوا قاطبة الامرا والعسكر وعدوا من بر مصر الى الجيزة فقاسوا العسكر مشقة عظيمة فى التعدية حتى عدوا فلما تكامل العسكر وطوائف الجيزة وتوجهوا الى نحو البحيرة فلما مضى ثلاثة ايام حضر امير اخور الامير اينمش البجاسى واخبر بان العسكر لما ان وصلوا الى البحيرة وضربوا خيامهم وباتوا فى تلك الليلة فاراد العرب ان يكبسوا على العسكر وهم فى الخيام فجآء شخص من العرب الى الامرا واخبرهم بان العرب يقصدوا بان يكبسوا على العسكر وهم فى الخيام تحت الليل فلما سمعوا الامرا والعسكر بذلك خرجوا من الخيام تحت الليل وكمنوا كمين بالقرب من الخيام فلما نصف الليل هجموا العرب على الخيام فوجدوها خالية ليس بها احد فرجعوا عليهم الترك ولعبوا فيهم بالسيف واحاطوا بهم فقتلوا منهم الثلث انسان واسروا منهم اكثر من ذلك من نسا وصغار وبنات ولم ينجوا منهم الا القليل واخذوا جماعتهم واغنامهم وجوالهم وابوالهم واولادهم واما بدر ابن سلام كبير العربان فانه لما راى ذلك هرب تحت الليل الى نحو الجبال فلما حصلت هذه النصرة للعسكر قصدوا التوجه الى نحو مصر فكان يوم دخولهم الى القاهرة الى القاهرة يوما مشهودا فدخلوا بالاسرى وهم فى زناجير والنسا فى جمال وهم حاملين اولادهم وهم مشاة فخرجوا اهل مصر قاطبة للفرجة عليهم وكان لهم يوما عظيما فى القصف والفرجة عليهم وفى هذه الواقعة يقول المقر خلف الغبارى هذا الزجل

باسم رب السما ابتدى * فارج الهم والكرب
ونعيد للذى حضر * قصة الترك والعرب
جاء الخبر يوم الاربعا * بان فى ليلة الاحد
جاد منهم عرب خذوا * سوقها واخربوا البلد
وابن سلام اميرهم * هو الذى للجميع حشد
فبرز اينمش سريع * بمماليك وروس نوب
وعدد مالها عدد * ويطلبوا لهم طلب
والامارا المعينين * كل واحد بجيش بدا
غد بعد الصلا وراح * وغدا قصد للعدا
فى المعادى رايت لهم * يوم زحام فايش نقول
لين زوجا تزوجوا * واستراحوا من التعب
ونصب كل حد لو خيام * ولعيد العدا انتصب
حضروا ما اتفقوا احد * من جميع العرب حضر
وابن غزام اتا لهم * بعثوه بلك شف الخبر
ما عرف للهرب طريق * بعد واجا عبد فى الاثر
لا اينمش حدثوا الصحيح * قام سريع اينمش ركب
ما ترك ترك فى الوطاق * والخيام خيل قد نصب
راحت الترك من مكانا * والى بدر من مكانا
وتزعق وجا الوطاق * ولهم قال انا فلان
ولموسى ابن خضر صاح * مات بطعنا من السنان
وراى الترك داركوه * فى طلوع النهار هرب
فحتوا اينمش سريع * وزناب من فتوا ضرب
واقعة حرب ذى العرب * لا عنا ما لها سباه
بدرى الليل بعاد بات * جا البلد والنسا سبيا
طلبوا النصر جاهم * ما لهم فى القصص سبا
فى القتال كانهم نهار * لو تراه ساعت اقترب
يوم فيا ما دكم عرب * جاشية بنه على الركب
جس ذى النوب بالسماع * تدفهنا من الاصول
ضرب بوصول بح طار * هز عود وتن الطبول
فى الخروج ثابت العرب * فارت الترك بالدخول
والسهام شبعت على * جس الاوتار بلاقصب
عنت البيض على الخود * رقصوا الخيل من الطرب
وابن سلام مع الاجل * فاز شنبسوا على فرس
والامير اينمش دخل * للتزوجا سريع كيس
فى البيوت حارت النفوس * ما التقى حد لو نفس
نبشوهم من الشوا * فنهبوهم من النهب
وحذوا فضة الجميع * وجميع ما لهم ذهب
ونع القتل فى الرجال * وقد انهتك الحريم
والذى كا معتبر دخل * ما عليها احد معتبر
وكم انسان تسيف وقوس * ما عرف لو هناك عزيز
جبد السيف من الجفير * ولراس من لبته ضرب
وانجاه مشترى النفاق * شرعا بالقوس عليه عقب
لما تروا السيوف دما * سافر النحر فى النحور
اعتقدت انها تحيض * صرت نعجب لذى الامور
قال فتى يا ليلى الحاظ * كيف يحيضوا وهم ذكور
الا اذا ساهر القتال * اينمش للسيوف كتب

باب نويف بنزة الدما   من ماليكه الجلب
المجبرة من الفتن   سعدها زال واختفا
وبقي مزجها حزن   وقد انكدر الصفا
والناس قالت ايش جرا   والذى قد جرا كفا
قالوا امن تحت راس بديرة   مالوا ابيش لوا نذ انتهب
وبنا نوالمد ور شبوا   قلت بسبوه فهو السبب
جا ابن سلام معو ارجال   كل حدشهو نوا دغيف
ذا ملى ردنيتوا نقال   وذاك ردنيتوا شليف
وذالو قزع سيبيان   وذالو ذرع خوص دليف
والنسى فنسى من تخيل   وخرابطهم الحيعب
وصوادمهم الجريد   وخوذهم نقع خشب
قاعل المخس في الغيانس   ماعرف صنعة البنا
جابنا شي بلا اساس   هدت النزك ما بنا
وتزوجا المعمرة   حزبت حن لها دنا
قلعوا ابوابها الجميع   والسكفات مع العتب
بمسكوا بدر بيتبوه   وعليه يوقع العتب
بدرتبت يدا اباه   لصلاح الناشد
كم مليحا انت وفي   جيدها حبل من مسد
ولى قال شخص من   حبين بدرنخ ذى الذى بقصد
هو ابو جهل قلت لا   الا البوا ابو لهب
قال لى وا ابوا ايش تكون   قلت حالة الحطب
جن غلب مني راجي   وانكسر كسر ما انجبر
قالت انوام بعد سوه   انت فيم ديار مصر
جا الحكم طابق وقال   بايعبارى جرا حابر
لد بار مصر قيمين   في الزجل ذا يكون عجبا
قلت ذا قيم السقه   وانا قيم الادب

انتهى ذلك **ومن الحوادث** في هذه السنة قد جاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية بان الامير بركة الجوباني قد مات وهو في السجن فارسل الاتابكي برقوق دواداره الشرفي يونس لكشف اخبار موته على حقيقة فلما توجه الشرفي يونس الى ثغر الاسكندرية وكشف عن ذلك فوجد خليل بن عرام نايب الاسكندرية قد قتله ودفنه في بعض الترب هناك فنبش عليه الشرفي يونس واخرجه من القبر فوجد فيه ثلاث ضربات في راسه

وهو مدفون في ثيابه من غير غسل ولا تكفين فغسله الشرفي يونس وكفنه وصلى عليه ودفنه خارج باب رشيد وبنى عليه قبة وكتب بذلك محضرا ثم انه اخذ خليل ابن عرام صحبته واتى به الى القاهرة وهو في الحديد فلما حضر الشرفي يونس وطلع الى القلعة فاودعوا خليل ابن عرام في خزانة الشمايل وباتوا يعاقبوه ويعصروه لانه قد قيل عنه انه لما قتل الامير بركه كان في راسه فصوص مثمنه فاخذها منه فلم يقر ابن عرام بشي من ذلك فلما كان يوم الخميس خامس عشرين رجب طلب الاتابكي برقوق خليل ابن عرام فاخرجوه من خزانة شمايل ومثل بين يدي الاتابكي برقوق فرسم بضربه بالمقارع فضرب ستة وثمانين شيبا ثم رسم بتسميره فاخذه الامير مامور القلمطاوي حاجب الحجاب والامير قطلقتمر امير خازندار فاحضر له جمل ولعبه وسمروه عليه فلما نزلوا به من القلعة وهو مسمر وصلوا به الى باب السلسله فجاوا اليه مماليك الامير بركة وضربوه بالسيوف حتى مات ثم انزلوه من على الجمل وصاروا يقطعوه بالسيوف قطعا فقطع بعضهم راسه واخذها وعلقها على باب زويله وصار كل واحد من مماليك بركة يقطع من اعضايه قطعة وقيل ان بعض المماليك شق بطنه بالسيف واخرج كبده وجعل يمضغه من شدة غيظه ثم ان بعض الناس جمع اعضا خليل ابن عرام ودفنها في مدرسته التي انشاها عند قنطرة امير حسين بن جندر على الخليج الحاكمي وصارت هذه الواقعة مثلا عند اهل مصر يقولون نعوذ بالله من قتلة ابن عرام وكان الاتابكي برقوق ارسل الى ابن عرام مراسيم في الدس بقتل الامير بركة فانكر برقوق ذلك وارسل اخذ منه ذلك المراسيم وراحت هذه الواقعة في رقبة ابن عرام وراح مظلوما في ذلك بين برقوق ومماليك الامير بركة انتهى ذلك وقد قال بعضهم في المعنى

مخالط السلطان في محنة   يرتقب الاوقات في عكسه
ان سره اسخط خلاقه   او ساه خاف على نفسه

وفي واقعة حال خليل ابن عرام يقول شهاب الدين بن العطار المصري رحمه الله تعالى

بدت اجزا ابن عرام خليل   مقطعة من الضرب الثقيل
وابدت انجر الشعرا المراثي   محررة بتقطيع الخليل

قيل ان الشيخ يحيى الصنافيري والشيخ بهادر بشر اعن خليل ابن عرام انه ما يموت الا مسمرا مقطعا قال المقريزي ان خليل ابن عرام كان شرع قبل موته في كتابة تاريخا ذكر فيه اشياء من وقايع الاحوال فلما جرى له ما جرى قال ابن العطار

ايا ابن عرام قد سمرت مشتهرا   وصار ذلك مكتوبا ومحسوبا
مازلت تجتهد في التاريخ تكتبه   حتى رايناك في التاريخ مكتوبا

ومن الحوادث في هذه السنة ان في يوم الثلاثا ثامن ذي القعدة حضر من بلاد الجراكسة والد الاتابكي برقوق فخرجوا الناس لملاقاته قاطبة فلاقوه من العكرشه وقيل هو المكان

الذى التقى فيه يوسف الصديق مع ابيه يعقوب عليهما السلام فلما التقا برقوق مع ابيه تعانقا ثم بكيا ورجعا الى سرياقوس الى بعد الظهر فجاءت اليه سائر الامرا وارباب الدولة حتى القضاة الاربع ثم ان الاتابكى برقوق ركب من سرياقوس ودخل الى القاهرة ودخل من باب النصر وزينت له المدينة فشق من القاهرة وطلع الى القلعة وكان والد الاتابكى برقوق جركسى مغلق لا يعرف كلمة بالعربى وكان اسمه انص وقيل انس بالسين فلما كان يوم الموكب تقدم ايدمر الشمسى احدى الامرا المقدمين وباس الارض وسال الاتابكى برقوق بان يكون طرخانا ويرتب له ما يكفيه وان تكون امريته الى والد الاتابكى برقوق فشكر له الاتابكى برقوق ذلك ورتب له ما يكفيه وجعله طرخانا كما طلب وانعم السلطان بامريته على والد الاتابكى برقوق فلم يقيم الامير ايدمر الشمسى بعد ذلك سوى ثلاث اشهر ومات واستمر والد برقوق مقدم الف وفى هذه السنة شرع الاتابكى برقوق فى عمارة جسر الشريعة الذى بطريق الشام عند قرية اريحا على النهر الذى هناك وجعل طوله مائة وعشرون ذراعا وعرضه نحو عشرين ذراعا فاصرف على ذلك جملة مال وكان به نفعا عظيما للمسافرين وقد قيل فى المعنى

ايا ملكا بنى جسرا بعدل ... به حل الانام على الشريعة
له شرف على الجوزا سام ... وفوق الحوت اركان منيعة

وفى هذه السنة توفى الشيخ ابراهيم المعمار صاحب الاشعار اللطيفة والابيات العامرة بالمحاسن والتورية وقد رثاه الشيخ برهان الدين القيراطى بهذه الابيات

قد عمر المعمار دار البلا ... ورمى بيوت النظم بالنقص
فياله من شاعر ميت ... بكت عليه طوبة الارض

ثم دخلت سنة اثنين وثمانين وسبعمائة فيها جاءت الاخبار من البحيرة بان سائر قبايل عربان البحيرة قد خالفوا على العصيان ونهبوا البلاد فخرج اليهم الامير الاى الشعبانى امير سلاح مع خمسمائة مملوك فلما وصلوا اليهم تقاتل معهم فكسروهم العرب وقتلوا جماعة كبيرة من المماليك السلطانية فلما جاءت الاخبار بذلك فاضطربت احوال مصر وعلق السلطان الجاليش وقصد التوجه الى البحيرة ثم ان بعض الامرا اشار بعدم خروج السلطان وان سائر الامرا يخرجون اليهم ثم جاءت الاخبار من بعد ذلك بان نايب الاسكندرية حضر الى هناك وصحبته عربان كثيرة من عربان الزبينة فوقعوا مع العرب فكسر العرب كسرة قوية وهربوا الى نحو برقة فبطل امر خروج السلطان بسبب العرب ورجع العسكر الذى كانوا قد توجهوا اليهم وفيها توفى الاديب احمد سميكة وكان شاعرا ماهرا فى طبقة ابراهيم المعمار ومن شعره قوله

شهر الصيام مبارك ... لو لم يكن فى شهر اب
خفت العذاب فصمته ... فوقعت فى وسط العذاب

ثم دخلت

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فيها هجم الوبا بمصر ووقع الغلا ايضا فى تلك السنة وفيها حضر الى القاهرة الشيخ الصالح الزاهد الناسك العارف بالله تعالى الشيخ على الروبى اعاد الله تعالى علينا من بركاته فلما حضر الى عند الاتابكى برقوق واقام عنده يومين وبشره من لفظه بانه سيلى السلطنة فى يوم الاربعا تاسع عشر شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمائة وما بشر به الناس ان بعد مضى شهر يرتفع الوبا من القاهرة ويليها نقص الغلا ثم يموت عقيب ذلك الملك المنصور على بن الاشرف شعبان واقام الشيخ على الروبى فى مصر اياما ثم توجه الى بلاده فاعن قليل حتى اشيع بين الناس ان الملك المنصور على قد طعن وهو فى حال العدم فلما كان يوم الاحد ثالث عشرين صفر فيه توفى الملك المنصور على بن الاشرف شعبان فلما توفى بعد الظهر دفن فى يومه فتولى تجهيزه الامير قطلوبغا الكوكاى فغسله وكفنه وصلوا عليه بالقلعة ودفنوه فى مدرسة جدته خوند بركة ام الملك الاشرف شعبان التى بالتبانة ومات الملك المنصور على وله من العمر نحو اثنى عشر سنة فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية خمس سنين وثلاث اشهر ونصف وكان جميل الصورة حسن الشكل قليل الاذى فى حق الرعية وكان مع الاتابكى برقوق فى غاية الضنك ليس له فى السلطنة الا مجرد الاسم فقط والامر كله للاتابكى برقوق ولما مات الملك المنصور على لم يجسر برقوق ان يتسلطن بعده فاخرج سيدى امير حاج اخو الملك المنصور على وسلطنه عوضا عن اخيه على ما سياتى ما اوردناه من اخبار الملك المنصور على بن الملك الاشرف شعبان على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الصالح امير حاج بن الملك الاشرف

شعبان بن الامجد حسين بن محمد بن قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية بويع له بالسلطنة بعد موت اخيه الملك المنصور على فى يوم الاثنين رابع عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة فتولى الملك وله من العمر نحو احدى عشر سنة وكان صفة ولايته ان امير المومنين محمد المتوكل حضر والقضاة الاربع وشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى وسائر الامرا فاجتمعوا عند باب الستارة وطلبوا من بقى من اولاد الملك الاشرف شعبان فوقع الاتفاق على تولية سيدى امير حاج وكان اكبر اخوته فولوه السلطنة ولقبوه بالملك الصالح واحضروا اليه خلعة السلطنة فلبسها وركب من باب الستارة والامرا مشاة بين يديه حتى وصل الى الايوان فجلس على سرير الملك والاتابكى برقوق حامل القبة والطير على راسه ثم دخل الى القصر ومد السماط وجلس عليه وهو بشعار الملك ثم نزل والى القاهرة ونادى باسمه فى القاهرة ودعى الناس له بالدعا فلما تم امره فى السلطنة رسم بالافراج عن بيدمر الخوارزمى نايب الشام وكان معتقلا بثغر دمياط فلما حضر اخلع عليه واستقر به نايب الشام على عادته ثم جاءت الاخبار من البلاد الحلبية بان طايفة من التركمان نهبوا

بعض صناع حطب وحصل منهم غاية الفساد فلما بلغ الاتابكي برقوق ذلك نفق بن طهر
بجريدة وخرج اليهم ثلاثة من الامرا المقدمين وخمسماية مملوك فلما توجهوا الى هناك تقاتلوا
مع التركمان وكسروهم وقتلوا منهم جماعة كثيرة ونهبوا اموالهم وطردوهم الى ملطية
ثم رجعوا العسكر الى القاهرة وهم في غاية النصر وفيها توفي الشيخ نظام الدين وهو صاحب
النظامية التي بطارف جبل القلعة **ومن الحوادث** في هذه السنة ان الامير جركس
الخليلي امير اخور كبير حسن للاتابكي برقوق وجماعة من الامرا بان يعمل جسرا ما بين
الروضة وبين جزيرة اروى وكان البحر قد احترق في تلك السنة احتراقا زايدا
فحفروا في وسط البحر خليجا من الروضة الى الزربية وشرعوا في عمل جسر طوله نحو
ثلثماية قصبة وعرضه عشرة اقصاب وجعلوا بظاهر هذا الجسر خوازيق سنط كل
خازوق نحو من ثمانية اذرع وسمروا عليهم الواح خشب نخل وردموا عليهم بالتراب
وانجز العمل من هذا الجسر في نحو من شهرين وكان مبتدا ذلك في ربيع الاول سنة اربع
وثمانين وسبعماية وفي ذلك يقول الاديب عيسى بن حجاج

جسر الخليلي المقرر لنا رسا ❊ كالطود وسط النيل كيف يريد
فاذا سالتم عنها قلت لكم ❊ ذا ثابت دهرا وذاك يزيد

وقال ابن العطار

راع الخليلي قلب الماء حين طغى ❊ بنى عليه جسرا وحيره
راى ترمل ارضيه وحدتها ❊ والنيل تدخل بينها فجره

فلما زاد الماء وبلغ ثمانية عشر ذراعا فاكل ذلك الجسر الذي تعب عليه الخليلي ولم
يبق منه شيئا وزاد النيل في تلك السنة زيادة لم يعهد مثلها وفي ذلك يقول بعض
الشعرا

قد قطع الجسر نيل مصر ❊ ولم يراعي له خليل
فتارة صار مثل سيف ❊ يقطع والاله نصول

وفي هذه السنة كثر فساد العربان في البحيرة حتى نهبوا المغل في البلاد فلما بلغ الاتابكي
برقوق ذلك نفق لهم تجريدة فيها ست امرا مقدمين وخمسماية مملوك فلما
توجهوا الامرا الى هناك هربوا منهم العرب فغنموا منهم العسكر نحو ثلاثة الاف راس
غنم ومثلها جمال ومثلها معز فاخذوا العسكر ذلك ورجعوا الى القاهرة **ومن
الحوادث** في هذه السنة ان في يوم الثلاثا ثامن عشر شهر رمضان رقد الاتابكي
برقوق وقت القايلة في المبيت الذي بباب السلسلة وكان عنده شخصا من الخاصكية
يكبسه يقال له شيخ الصفوي فلما اراد برقوق ان يستغرق في النوم فانكب شيخ الصفوي
على جنبه بالقوي فنهض برقوق على حيله وقال ايش الخبر فقال له شيخ الصفوي انا
مملوكك اينمش الخاصكي اتفق مع جماعة من مماليك الاسياد انهم يدخلوا عليك في
هذه الساعة ويقتلوك فمكث برقوق ساعة ثم اينمش المذكور دخل المبيت على برقوق

فقام الـ

فقام اليه برقوق واخذ قوس بجاد كان الى جانبه فضرب به اينمش ضربة فارماه الى الارض
فلما وقع قال له برقوق يا علق الذي يريد قتل الملوك يقع الى الارض من فرد ضربة ثم قام
برقوق وقبض عليه وسجنه في بعض ابراج باب السلسلة ثم خرج وجلس في المقعد
الذي مطل على الرميلة وطلب نظا الاشرفي فلما طلع اليه قبض عليه وسجنه ثم انه طلب
نقيب الجيش وقال له در على الامرا وقل لهم يطلعوا في هذه الساعة فدار عليهم نقيب الجيش
فطلعوا الى باب السلسلة فلما تكاملوا فشكى لهم ما بلغه عن مماليك الاسياد واخبرهم بما
وقع له معهم فاشاروا عليه بمسكهم فقبض في ذلك اليوم على خمسة وستين مملوكا من
مماليك الاسياد وارسلهم الى خزانة شمايل وارما اينمش الخاصكي ونظا الاشرفي فنفاهما
الى الشام ونفا جماعة من اعيان مماليك الاسياد الى قوص نحو من اربعين مملوكا فلما كان يوم
الاربعا تاسع عشر شهر رمضان من السنة المذكورة فيه طلب الاتابكي برقوق الخليفة
المتوكل على الله والقضاة الاربع وساير الامرا فلما اجتمعوا في باب السلسلة فقام القاضي
بدر الدين ابن فضل الله كاتب السر الشريف في وسط المجلس وقال يا امير المومنين و
يا اسياد الفقهاء ان احوال المملكة قد فسدت وزاد فساد العربان في البلاد وخامروا
غالب النواب في البلاد الشامية وخرجوا عن الطاعة والاحوال غير مستقيمة وان الوقت
قد ضاق ومحتاجا الى قايم سلطان كبير تجتمع فيه الكلمة وتسكن الاضطراب فتكلموا
القضاة مع الخليفة في سلطنة الاتابكي برقوق فخلعوا الملك الصالح اميرحاج من السلطنة
وسلطنوا الاتابكي برقوق ثم ان الملك الصالح اميرحاج دخل الى دور الحرم عند اخوته
فكانت مدة سلطنته بعد اخيه علي عصر سنة وسبعة اشهر وايام واستمر الملك
الصالح مقيما بدور الحرم الى ان عاد الى السلطنة مرة اخرى كما سياتي ذكر ذلك في
موضعه واميرحاج هذا هو اخر من تولى السلطنة من ذرية بني قلاوون وبه زال الملك
عن بني قلاوون كانه لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وقد اقامت المملكة في
بني قلاوون وذريته ماية سنة وثلاث سنين وزال عنهم الملك انتهى ما اوردناه من اخبار
الملك الصالح اميرحاج وذلك على سبيل الاختصار ومنها **ذكر ابتدا دولة
الجراكسة** قال الله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس قيل ان اصل الجراكسة كان
من العرب من قبيلة يقال لها بني غسان وكان جدهم اصلي رجل من العرب يقال له جبلة
ابن الايهم وكان من فرسان العرب وادرك نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ممن اسلم
واختلف فيه فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حج جبلة بن الايهم الى بيت الله
الحرام فبينما جبلة يطوف بالبيت فجاءه رجل من اصاغر العرب من بني فزاره ابن الحرث
ابن ابي شلتر الغساني اسلم في زمن عمر بن الخطاب وكان طوله اثنى عشر شبرا وكان يجر
برجليه الارض من طولها وهو راكب على فرسه فمشى خلفه فداس ذلك الرجل على كساء
جبلة فكشف كتفه وقبل عورته فقال له جبلة لم لا تحتجب عني فاغلظ عليه ذلك الرجل

تم الجزء الثاني ويليه مبتدأ دولة الجراكسة

لاعرابي القول فحنق منه جبلة ولطمه على وجهه ففقأ عينه فشكاه ذلك الرجل الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاحضر جبلة بين يديه وقال له ان الله تعالى امر بان العين بالعين وانا اقلع عينك عوضا عن عين الاعرابي فقال جبلة انا ارضي الاعرابي في عينه فابى الاعرابي من ذلك وقال ما اخذ في عيني الا عينه فلما تحقق جبلة ان امير المؤمنين عمر يقلع عينه في عين الاعرابي فاخذ جبلة اهله واولاده وسرا تحت الليل خوفا من عمر بن الخطاب فلما سرا جبلة توجه الى الشام فصار مثلا بين العرب فقالوا سر اكسا يعني صاحب الكسا اي جبلة فاستعجمته العرب لكونه انه هرب من عمر بن الخطاب فلما استقر جبلة بالشام صار في خدمة هرقل ملك الروم ثم ان جبلة تنصر ودخل في دين النصرانية فلما فتح عمر بن الخطاب الشام فكان جبلة اشد على المسلمين قتالا في يوم فتح الشام فلما انتصر عمر بن الخطاب على هرقل وفتح الشام فهرب جبلة واخذ اولاده وعياله وتوجه الى نحو انطاكية فاقام بها فلما فتحوا المسلمين انطاكيه فهرب جبلة وتوجه الى نحو القسطنطينية فاقام بها وتزوج من بناتها فاستناسل منهم وكثر نسله وصار منهم قبايل كثيرة يعرفون بقبايل سر اكسا مضافا لاسم جدهم لما ذكر له من جر الكسا كما تقدم وقد استعملتها الناس بالجيم فقالوا جراكسه والله اعلم بذلك فكان اول ملوك الجراكسه بمصر برقوق بن آص العثماني وقد ذكرت في هذا الجزء اخبار من تولى بمصر من الجراكسه الى يومنا هذا وما وقع في اخبار دولتهم من الحوادث ومن هنا نشرع في ذلك وقد قلت في المعنى

اقول لمن طالعه دع عن كلاله ۰ وافرغ له قلبا واوسع له صدرا
فتاليفنا كالضيف والضيف حقه ۰ بان يتلقى بالقبول وان يقرى

ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين ابي سعيد برقوق

ابن انص وقيل انس العثماني الجركسي وهو اول ملوك الجراكسه بالديار المصرية وهو الخامس والعشرون من ملوك الترك واولادهم بمصر **بويع له** بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح امير حاج بن الملك الاشرف شعبان بن الامجد سيدي حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون تولى الملك في يوم الاربعا تاسع عشر رمضان من سنة اربع وثمانين وسبعماية الموافق لاخر يوم من هاتور من الشهور القبطية وفي حال جلوسه على سرير الملك فامطرت السما مطرا خفيفا فاستبشروا الناس بذلك وكانت صفة ولايته انه لما صلى الظهر بايعه امير المؤمنين المتوكل على الله محمد بحضرة القضاة الاربع وشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني وهو الذي لقبه بالملك الظاهر لانه تولى الملك وقت الظهر فلما بايعه الخليفة فاحضروا له خلعة السلطنة وهي جبة سودا وشاش اسود ملفوف عمامة وللجبة طرز زركش وسيف بداوي فتقلد به حمايلي وركب من باب الحراقة التي في باب السلسلة

والامرا

والامرا مشاة بين يديه والمقر السيفي ايتمش البجاسي حامل القبة والطير على راسه الى ان طلع الى باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك ونودي باسمه في القاهرة وضجوا له الناس بالدعا له من العام والخاص وفي ذلك يقول ابن العطار المصري رحمه الله

ظهر يوم الاربعا ابتدى ۰ بالظاهر المعتز بالقاهر
والبشر قد عم وكل امرء ۰ منشرح الباطن بالظاهر

وفيه يقول الاديب خلف الغباري من زجل

اشرقت شمس دولة المسلمين ۰ وزها نجم سعدها الزاهر
وصبح يوم العدل نور واظهر ۰ واختفا ليل الظلم بالظاهر
مصر صارت روضة بهذا الملك ۰ زاهيا طيب عبيرها منشوق
وبالاحمر تفاحها في البياض ۰ قد تخضب لسلطنة برقوق
ورايا المشمش بلا زعفران ۰ صار يخلق بجملة المخلوق
حل البان صنا جفنوا الزاهره ۰ قابلتها شطفات من الثامر
زعق الطير شاويش وغنا الحمام ۰ رقص الغصن والنسيم زامر ۰ واترد
فيه
في التواريخ قد وضعت كتابا ۰ مخبرا عن ملوكها والحواشي
ثم رققت في حواشيه معنا ۰ ولهذا سمي رقيق الحواشي

ولما تسلطن الملك الظاهر برقوق اقامت القاهرة سبعة ايام وهي مزينة والناس في فرح وسرور لسلطنته **اقول** وكان اصل الملك الظاهر برقوق من مماليك الاتابكي يلبغا العمري الناصري جلبه الى مصر الخواجا عثمان بن مسافر فاشتراه منه الاتابكي يلبغا واقام عنده مدة ثم اعتقه فلما مات يلبغا وجرى لمماليكه ما جرى فهرب برقوق وتوجه نحو الشام فخدم عند منجك نايب الشام فلما توفي منجك صار برقوقا من جملة مماليك السلطان فلما كانت دولة الاشرف شعبان فبقي برقوق امير عشرة ثم بقي امير اربعين ثم بقي بمقدم اربعين ثم بقي مقدم الف ثم بقي امير اخور كبير ثم بقي اتابك العساكر في دولة الملك المنصور علي بن الاشرف شعبان ثم بقي سلطانا بمصر بعد خلع الملك الصالح بمصر امير حاج وكان برقوق من خلاصة الجراكسه جنسه كسا فلما قر امره في السلطنة عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي سودون الجزي الشيخوني فاخلع عليه واستقر به نايب السلطنة بمصر واخلع على المقر السيفي ايتمش البجاسي واستقر به اتابك العساكر عوضا عن نفسه واخلع على المقر السيفي الطنبغا المعلم واستقر به امير سلاح واخلع على المقر السيفي الجوباني واستقر به امير مجلس واخلع على المقر السيفي جركس الخليلي واستقر به امير كبير على عادته واخلع على المقر السيفي قردم الحسني واستقر به راس نوبة النوب واخلع على المقر السيفي قطلوبغا الكوكاي واستقر به حاجب الحجاب واخلع على المقر السيفي يونس النوروزي

دواداره واستقر به دوادار كبير ثم انعم على جماعة بامريات اربعين وعلى جماعة كثيرة من الامرا بتقادم الوف وانعم على جماعة بامريات عشرة وارضى الجند بالاقطاعات ونفق عليهم نفقة السلطنة واستقامت اموره في المملكة وكان من العادة القديمة ان السلطان اذا خرج من باب الستارة الى صلاة العيد تحمل القبة والطير على راسه فلما تسلطن برقوق ابطل ذلك ثم قبض على جماعة من الامرا وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية وبقي جماعة كثيرة من المماليك الاشرفية وحلف سائر الامرا لنفسه ودخل الرعب في قلوب العسكر منه حتى كانت العوام يقولون الناكهاني عندك شعير ولا يقولون برقوق تعظيما لاسمه ثم غير جماعة من القضاة ومن المباشرين من ارباب الدولة منهم القاضي بدر الدين بن فضل الله انفصله من كتابة السر واستقر بالقاضي اوحد الدين الحنفي كاتب السر الشريف بمصر عوضا عن ابن فضل الله وغير جماعة كثيرة من المباشرين وفي هذه السنة عمل الامير جركس الخليلي امير اخور كبير طاحونا لطيفة تدور بالماء ومنها في مركب واوقفها عند المقياس فكانت تطحن الدقيق من غير تعب ولا كلفة فكانت الناس يخرجون زمرا يتفرجون عليها قال ابن العطار

يسر لطاحون الخليلي التي … تدور بالماء بمصر حقيق
تد شنفت من وصفها مسمعي … لانه من كل وجه دقيق

وفي هذه السنة توفي الشيخ يحيى الصنافيري رحمة الله عليه ودفن بالقرافة عند الشيخ ابي العباس البصير انتهى ذلك **ثم دخلت** سنة خمس وثمانين وسبعماية فيها قبض السلطان على الخليفة المتوكل على الله محمد وقيده وسجنه في البرج الذي بالقلعة وسبب ذلك قد بلغ السلطان من الخليفة ما غير خاطره عليه فخلعه من الخلافة وسجنه وولى الخلافة عمر اخو زكريا ولقبه بالواثق بالله فكانت مدة خلافة المتوكل على الله في هذه المرة نحو اثنين وعشرين سنة ونصف فلما خلعه من الخلافة وسجنه قال شهاب الدين بن العطار رحمه الله

بشرا امير المومنين فما جرى … اقوى دليل ان عزك سرمد
لا تخشى قيد العدا مغلولة … ويد الخلافة لا تطاولها يد

وفي هذه السنة توفي الشيخ علي الروبي وقد تقدم انه بشر برقوق بالسلطنة قبل ان يليها بمدة طويلة **ثم دخلت** سنة ست وثمانين وسبعماية فيها حضر المقر السيفي بيدمش الخوارزمي نايب الشام الى الابواب الشريفة ليزور السلطان وحضر صحبته تقادم عظيمة للسلطان والامرا فاخلع عليه السلطان واكرمه واجلسه فوق الامير سودون الفخري نايب السلطنة فاقام في القاهرة مدة ثم عاد الى الشام على عادته وفي هذه السنة تغير خاطر السلطان على القاضي تقي الدين ناظر الجيوش المنصورة فضربه علقة في القصر نحو مائة وخمسين عصاة فنزل الى بيته وهو محمول على بغل فاقام في بيته يومين ومات فكانت وفاته في يوم الاربعا خامس عشر جمادى الاول من السنة المذكورة وفيه يقول ابن العطار

يكفي التقي كرامة ابدت له … نيل الشهادة واغتدى بامان
تبري الذي قد عاش طول حياته … يحيى الملوك ومات بالسلطان

فكان لسان حال القاضي تقي الدين مع السلطان برقوق كما قد قيل في المعنى

احمل نفسي كل وقت وساعة … هموما على من لا افوز بخيره
كما سود القصار في الشمس وجهه … حريصا على تبييض اثواب غيره

ولما توفي القاضي تقي الدين فاخلع السلطان على القاضي موفق الدين ابي الفرج واستقر به ناظر الجيوش المنصورة عوضا عن القاضي تقي الدين وقد راحت العلقة في كيسه وفي هذه السنة كانت وفاة الشيخ الامام العامل العلامة الشيخ اكمل الدين محمد بن الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ جمال الدين ابي الثنا محمود الرومي البابرتي الحنفي شيخ الخانقاه الشيخونية وكانت وفاته في ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان من سنة ست وثمانين وسبعماية المقدم ذكرها ودفن في يوم الجمعة قبل الصلاة وكانت جنازته مشهودة وحضر السلطان جنازته فاخرجوه من الخانقاه الشيخونية والسلطان ماشي قدامه من الخانقاه الى سبيل المومنين واراد ان يحمل نعشه فلم يمكنوه الامرا من ذلك فصلوا عليه في سبيل المومنين ثم انهم اعادوه الى الخانقاه والسلطان ماشي قدامه حتى طلعوا به الى الخانقاه فدفنوه داخل القبة الى جانب قبر الاتابكي شيخو والسلطان حاضر دفنه وكان الشيخ اكمل الدين من اكابر علما الحنفية وكان بارعا في العلوم وله عدة مصنفات في انواع العلوم وكان السلطان سأله ان يتولى قاضي القضاة الحنفية فابى ذلك وكان الاتابكي شيخو جعله ناظرا على وقفه وكان له في مصر حرمة وافرة وكلمة نافذة عند الحكام والامرا وله من العمر نحو خمسة وسبعين سنة وقد رثاه ابن ابي حجلة بقوله

شيخ الى سبل الرشاد مسلك … وسبيله في العلم ما لا يجهل
شيخ تبحر في العلوم فمن راى … بحرا ينبوع لوارده المنهل
شيخ عليه من المهابة رونق … كالبدر لكن وجهه متهلل
شيخ تقدم في العلوم لانه … ان عد ارباب الفضائل اول
شيخ يحسن بيانه وشروطه … ما بات بالمفتاح باب مقفل
ما قيل هذا كامل في ذاته … الا وقد قلنا الشيخ عندي اكمل

وفي هذه السنة كانت وفاة القاضي اوحد الدين الحنفي كاتب السر الشريف وكان القاضي اوحد الدين سبط قاضي القضاة جمال الدين بن التركماني الحنفي **وفيها** توفي القاضي امين الدين بن الانفي المالكي نايب الحكم بدمشق **وفيها** توفي الامير كافور الهندي الشبلي وكان من خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون تولى الزمامية في دولة السلطان

حسن وكان قد قارب من العمر نحو مائة سنة وكان في سعة من المال وهو صاحب التربة التي
تحت الجبل المقطم ولمامات دفن بها وكانت وفاته في ثامن ربيع الاول من السنة المذكورة
وكان الامير كافور هذا حسن المحاضرة طو الكلام وكان ينظم الشعر وله شعر جيد فمن ذلك
قوله ما نظم وكتبه على رنرف بيته مقعد بيته قوله

خدمنا ابواب السلاطين قبلكم ❊ وكانت لنا اهل الممالك تخدم
فما ابطرتنا يعلم الله نعمة ❊ ولا نيل منا بالاذية مسلم

وكان الامير كافور قد اقتنى من الكتب اشياء كثيرة من سائر العلوم فلما مات اودعهم في تربته
التي تحت الجبل المقطم انتهى ذلك ولما مات كافور انعم السلطان على الامير صواب
السعدي واستقر به في الزمامية عوضا عن كافور وقيل عوضا عن الامير نصر الباسي
ثم دخلت سنة سبع وثمانين وسبعماية فيها انعم السلطان على القاضي جمال الدين
ابن خير المالكي السكندري واستقر به قاضي القضاة المالكيه بمصر عوضا عن القاضي
ولي الدين بن خلدون المغربي بحكم انفصاله عن القضا **وفيها** اشترى السلطان
مملوكه تمربغا الافضل المعروف بمنطاش وهو اخو الامير تمرباي الدمرداشي فاقام
مدة ثم ان السلطان اعتقه واخرج له خيلا وقماشا وصار جمدار **وفيها** ارسل
السلطان بهادر المنجكي استادار العالية الى يلبغا الناصري نايب حلب فقال له قد
طلبك السلطان فلما خرج من حلب ووصل الى عزة قبض عليه وقيده وارسله الى السجن
بثغر الاسكندريه وكان سبب تغير خاطر السلطان على يلبغا الناصري انه بلغه
عنه انه متوالي مع الامير سولي بن امير التركمان وقد اتفقا على العصيان فلما
تحقق السلطان ذلك فارسل قبض على يلبغا الناصري وسجنه بثغر الاسكندريه
ثم ان السلطان عمل الموكب وانعم على الامير سودون المظفري واستقر به نايب
حلب عوضا عن يلبغا الناصري ثم ان السلطان ارسل الامير جمال الدين محمود شاد
الدواوين الى حلب بسبب الحوطه على موجود يلبغا الناصري فتوجه الامير محمود الى
حلب بسبب ذلك وفي هذه السنة قبض السلطان على الامير الطنبغا الجوباني امير
مجلس فلما قبض عليه السلطان تشفعوا فيه الامرا فانعم عليه ورسم له بان يكون نايب
الكرك فخرج اليها من يومه وتوجه الى هناك **وفيها** انعم السلطان على القاضي محب
الدين ابن الشحنة الحنفي واستقر به قاضي القضاة الحنفية بحلب عوضا عن قاضي القضاة
جمال الدين بن العديم بحكم وفاته وكان بن العديم هذا من اعيان علما الحنفية وكانت
وفاته بحلب وعاش من العمر نحو ثمانيه وسبعين سنة **ومن الحوادث** في هذه السنة
فيها رسم السلطان الملك الظاهر برقوق بابطال ما كان يعمل في يوم النوروز وهو
اول يوم من السنة القبطية ومما كان يعمل في ذلك اليوم بالديار المصريه وهو
انه كان يجتمع في ذلك اليوم السواد الاعظم من العوام وغيرهم من اراذل الناس ويركبون

منهم شخصا ثقيلا مطبوع على حمار وهو عريان وعلى راسه طرطور خوص فيسمونه امير
النوروز فيه ومعه السواد الاعظم من الناس الاراذل فيقفون على ابواب الاكابر من
اعيان الدولة فيكتب امير النوروز وصولات بالجمل الثقال وكل من امتنع من الاعطا
من الاكابر يبهدلونه ويسبونه سبا قبيحا ولا يزالون مترسمين على بابه حتى ياخذوا
منه ما يقررون عليه من الدراهم بحسب ما يقرره عليهم امير النوروز فياخذوا ذلك
منه غصبا ويمضوا وكانوا ذلك السواد الاعظم من العياق يقفون في الطرقات ويترششون
بالما المتنجس ويتراجمون بالبيض الني في وجوههم ويتصافعون بالانطاع والاخفاف
ويقطعون الطريق على الناس ويمنعون الناس من الخروج في ذلك اليوم الى الاسواق
وتغلق في ذلك اسواق البلد القاهرة ودكاكينها وكل من ظفروا به في الطرقات
يبهدلوه ولو انه اميرا او من اعيان الناس فيرشونه بالما المتنجس ويرجمونه بالبيض
الني ويصفعونه بالاخفاف فتتعطل الناس في ذلك اليوم عن البيع والشرا
وكانوا الناس في ذلك اليوم يتجاهرون بشرب الخمور وكثرة الفسق في اماكن
المفترجات حتى يخرجوا في ذلك اليوم عن الحد وربما كان تقتل منهم جماعة مما يعربدوا
على بعضهم وكان هذا الامر مستمرا في كل سنة على القاعدة القديمة من الدول الماضية
ولا ينكر ذلك بين الناس وكان يوم النيروز من اجل المواسم بالديار المصرية وكان
يحمل في ذلك اليوم لاكابر مصر من القبط والمباشرين من اصناف الفواكه الرمان وغير
الموز ومشنات السفرجل والتفاح الشامي وقفف البسر واقفاص العنب والتمر
القوصي والبطيخ الصيفي والرطب والخوخ المشمر وقدور الهريسه المعمولة من
لحوم الدجاج ومنها يطط الجلاب وصحون الحلوى القاهريه وغير ذلك من الانواع
المطبقة فلما تسلطن الملك الظاهر برقوق ونفذ امره في السلطنة فامر بابطال
ما كان يعمل في يوم النوروز وارسل الحجاب مع جماعة من المماليك السلطانيه ووالي
الشرطه فطافوا في اماكن المفترجات وفي الطرقات فمن وجدوه يفعل ذلك يضربونه
بالمقارع وصاروا يقطعون ايدي جماعة ممن كان يفعل ذلك وقاموا في ذلك قياما
عظيما حتى بطل ذلك من القاهرة واشهروا النداء بتهديد من يفعل ذلك بالشنق فانكفوا
الناس من يوميذ عن ذلك وصاروا يعملون بعض شي من ذلك في اماكن المفترجات
من الخلجان والبرك ونحو ذلك وهذه الواقعه ذكرها المقريزي في حوادث سنة سبع
وثمانين وسبعماية **ثم دخلت** سنة ثمان وثمانين وسبعماية فيها تزوج السلطان
الملك الظاهر برقوق بنت الامير منكلي بغا الشمسي وهي بنت اخت الملك الاشرف
شعبان فكان له مهما عظيما بالقلعة وحمل بين يديه خمسماية شمعه **وفيها** حضر
الى الابواب الشريفة قاصد صاحب ماردين واخبر بان خارجي من التتار الجغطاي
يقال له تمرلنك قد استولى على البلاد ووصل جاليش عسكره الى مدينه تبريز

واحرقها وقتل من اهلها خلايقا كثيرة وان القان احمد بن اويس انتقل الى بغداد وحصنها
واخذ حذره من تمرلنك **وفيها** رسم السلطان بنقل الامير يلبغا الناصري من ثغر
الاسكندرية الى ثغر دمياط فنقله الى ثغر دمياط وكسر قيده **وفيها** ضرب السلطان
القاضي موفق الدين ابي الفرج ناظر الجيوش المنصوره فضربه ماية وخمسين عصاة كما ضرب
القاضي تقي الدين ابن محب الدين اليمني ثم انفصل موفق الدين من نظارة الجيوش واخلع
على القاضي كريم الدين بن مكانس واستقر به في نظارة الجيوش عوضا عن موفق الدين
حضر الى الابواب الشريفة ابن ملك الكرج واخبر السلطان بانه قد راى في المنام النبي
صلى الله عليه وسلم وقال له امض الى مصر واسلم على يدي خادم الحرمين الشريفين
فقال له الرجل ابن ملك الكرج ومن هو خادم الحرمين فقال له برقوق سلطان مصر
فلما سمع السلطان ذلك اكرمه واحضر القضاة واسلمه بحضرتهم ثم ان السلطان
انزله في قصر خوند الحجازية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان هذا القصر عند
حبس الرحبة ورتب له ما يكفيه الى ان سافر الى بلاده وفي هذه السنة كملت مدرسة
السلطان التي بين القصرين فلما كملت نزل السلطان اليها وذلك في يوم الخميس
ثاني عشر جمادى الاول من السنة المذكورة فلما نزل السلطان اجتمع بالمدرسة
القضاة الاربع وساير الامرا ومعتوبين البلد ثم ان السلطان مد هناك سماطا عظيما
وملا الفسقية التي في صحن المدرسة سكرا وفرقه على الناس بالطاسات وفي ذلك
اليوم اخلع السلطان على الشيخ علاء الدين السيرامي واستقر به شيخ المدرسة
واضاف اليه تدريس الحنفية واخلع على الامير جركس الخليلي امير اخور كبير وكان
شاد العمارة واخلع على معلم المعلمين الشهابي احمد بن الطولوني قباء واركبه فرس
بسرج ذهب وكنبوش واخلع على خمسة وعشرين مملوكا من مماليك جركس الخليلي
واخلع على المهندسين والرخامين والنجارين والدهانين والبنايين لكل واحد
خلعة وفرق على الفعلة لكل واحد اشرفيا وفي ذلك يقول ابن العطار رحمة الله عليه

قد انشا الظاهر السلطان مدرسة ۞ فاقت على ارم مع سرعة العمل ۞
يكفي الخليلي ان جاءت لدعوته ۞ صم الجبال لها تسعى على عجل ۞ وقوله
فيها ۞ قل للمليك الظاهر المرتضى ۞ هنيت بالمدرسة الفايقة ۞
۞ حنقت حسادك من بابها ۞ فيا لها مدرسة خانقة ۞

قيل كانوا ينقطعون حجارة هذه المدرسة من الجبل ويحملونها على عجل فيجرها الاثقال
من الجبل الى بين القصرين وهي التي تسمى الحجارة الجالبة انتهى ذلك وفي هذه السنة
اخلع السلطان على المقر الشهابي احمد بن الاتابكي يلبغا العمري واستقر به امير مجلس
كما كان عوضا عن الطنبغا الجوباني **وفيها** افرج السلطان عن الامير عشقتمر الماردني
وهو صاحب الخانقاه التي عند باب القرافة وكان مقيما في القدس بطالا فارسل اليه

خلعة ورسم له بان يكون نايب الشام **وفيها** عزل السلطان الخليفة الواثق بالله عمر
واخلع على الخليفة زكريا بن ابراهيم واستقر به خليفة عوضا عن اخيه عمر **وفيها** حضر الى
الابواب الشريفة قاصد القان احمد بن اويس صاحب بغداد واخبر بان الخارجي تمرلنك
قد وصل الى مدينة قرباغ ونهبها وسبى اهلها فارسل القان احمد يعرف السلطان بذلك
ليكون على حذر من امره **وفيها** جات الاخبار من مكة بان امير مكة احمد بن عجلان قد قتل
وكان سبب ذلك ان المحمل لما دخل الى مكة خرج الامير احمد بلاقيه فلما نزل عن فرسه ليقبل
رجل جمل المحمل على العاده فضربه فداوي بسكين في جنبه فمات من يومه فاضطربت احوال
مكة وكادت العرب تنهب الحاج فلبس امير الحاج والمماليك الذي كانت معه آلة الحرب
واقاموا على ذلك سبعة ايام ثم ان امير المحمل اخلع على الامير عنان بن مقامس واستقر به
امير مكة عوضا عن الامير احمد فسكن الاضطراب قليلا **وفيها** توفي الخليفة المنفصل
عن الخلافة الواثق بالله عمر وفيها توفي الشيخ محمد بن عثمان القرمي القادري وكان من اكابر
الاوليا مات بالقدس في شهر رجب ودفن هناك وقد رثاه ابن العطار ۞ ۞

۞ محمد القرمي قطب الزمان قضى ۞ نحبا وصار لدار الخلد والنعم ۞
۞ والقدس كان حوى ثم الخليل به ۞ ومصر والشام كانا في حمى الحرم ۞

وفيها توفي الشيخ شمس الدين القونوي الرومي الحنفي وكان من اعيان علما الحنفيه وله
عدة مصنفات في انواع العلوم **وفيها** توفي الشيخ بدر الدين وكان من اولاد الصاحب
بهاء الدين بن حنا وكان من اعيان علما الشافعيه مفتي **وفيها** توفي الشيخ برهان الدين
القيراطي وكان من فحول الشعرا وله شعر جيد في علم البديع ومن لطايف شعره في مليح
محابل ۞ ومحايل نبت العذار بخده ۞ وله مخايل بالملاحة تشهد ۞
۞ لما رأى تايقا بخياله ۞ نزل العذار بوجنتيه يسود ۞

انتهى ذلك **ثم دخلت** سنة تسع وثمانين وسبعماية فيها توفي نايب الشام
المقر السيفي عشقتمر الماردني فطلب السلطان الطنبغا الجوباني من الكرك فلما حضر
اخلع عليه واستقر به نايب الشام عوضا عن الامير عشقتمر **وفيها** حضر الامير
طغاي وكان قد توجه الى بلاد الشرق لكشف اخبار تمرلنك فلما حضر اخبر بان الخارجي
تمرلنك قد وصل الى نحو الرها وكسر قرا محمد امير التركمان ووصلت بوادره الى نحو
ملطيه فلما سمع السلطان ذلك طلب القضاة الاربع والخليفة وشيخ الاسلام سراج
الدين عمر البلقيني واكابر العلما وساير الامرا من الاكابر والاصاغر وعقد مجلسا
عظيما بالقصر الكبير بسبب امر هذا الخارجي تمرلنك ثم ان السلطان تكلم مع القضاه
بتبطيل اوقاف الجوامع والمدارس وساير الاوقاف فلم توافق القضاه على ذلك
ولا شيخ الاسلام فتكاهم السلطان بان الخزاين خالية من الاموال وان العدو واصل
ولم يجد للعسكر نفقة يتجهزون بها للسفر فوقع الاتفاق بحضرة القضاه والخليفة

على ان يوخذ من الاوقاف اجرة سنة كاملة ويتركوا على حالهم فانفصل ذلك المجلس
على ذلك الامر واخذوا في اسباب ذلك ثم ان السلطان عين جماعة من الامرا ليتقدموا
امام العسكر وهم الامير الطنبغا المعلم امير سلاح والامير قردم الحسنى راس نوبة
النوب والامير يونس النوروزى الدوادار الكبير والامير سودون السيفى تمرباى
بان احد المقدمين وعين معهم ثمان امرا طبلخاناة ومن الامرا العشراوات عشرة وعين
من المماليك السلطانية ثلثماية مملوكا فنفق عليهم وخرجوا الى التجريده فى اواخر رجب
وفيها اخلع السلطان على الشيخ ناصر الدين بن الميلق واستقر به قاضى القضاة الشافعيه
بمصر وفيها اخلع السلطان على الصاحب علم الدين بن القسيسى المعروف بكاتب
سيدى واستقر به وزيرا عوضا عن الصاحب شمس الدين كاتب ارلان وفيها فى يوم
الاحد ثامن عشرين شهر رمضان فيه نزل السلطان الى باب السلسله وحكم بالاسطبل
السلطانى ونادى فى مصر والقاهرة من كانت له ظلامه او شكايه فليقف بالوقوف
بين يدى السلطان فى الاسطبل فى كل يوم احد واربعا وهذا لم يعهد من ملك قبله
وهو اول من احدث ذلك واستمر من يوميذ عمال من بعده عند الملوك وفيها حضر
الى الابواب الشريفة على بن عجلان امير مكة فاخلع عليه السلطان واستقر به امير
مكة شريكا للامير عنان بن مغامس وفيها توفى الشيخ ناصر الدين بن عشاير الحلبى
وكان من اعيان علما الشافعيه وتوفى الصاحب شمس الدين ابن كاتب ارلان انتهى
ثم دخلت سنة تسعين وسبعماية فيها حضر الى الابواب الشريفة صراى
تمر دوادار المقر الشرقى يونس امير دوادار وصحبته قاصد نايب حلب المقر
السيفى يلبغا الناصرى فاخبر بان العسكر الذى توجه من القاهرة لما وصل الى سيواس
وقع مع جاليش تمرلنك وقعة قوية وقد انكسر عسكر تمرلنك وان الغلا وقع فى
العسكر وعزت ساير البضايع فلما بلغ السلطان ذلك فارسل للعسكر نفقة ليستعينوا
بها على ذلك وفيها اخلع السلطان على الامير محمود ابن على الظاهرى شاد الدواوين
واستقر به استادار العالية عوضا عن الامير بهادر المنجكى وفيها رجع العسكر الذى
توجهوا الى حلب وهم فى غاية النصرة على عسكر التتار وفيها قبض السلطان على جماعة من
الامرا الذى كانوا فى التجريده وهم الامير الطنبغا المعلم امير سلاح والامير قردم
الحسنى راس نوبة النوب وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندريه ثم ارسل السلطان بالقبض
على الطنبغا الجوبانى نايب الشام وسجنه واخلع على طرنطاى صاحب دمشق بان يستقر
نايب الشام عوضا عن الطنبغا الجوبانى وارسل خلعة الى الامير اسندمر صاحب طرابلس
بان يكون نايب طرابلس واستقر بالامير سودون العثمانى نايب حماه وفيها توفى
قاضى القضاه الشافعى برهان الدين بن جماعة الحموى الكنانى وتوفى الشيخ علاى الدين
السيرامى الحنفى شيخ المدرسة البرقوقيه وتوفى الصاحب علم الدين بن القسيسى

المعروف بكاتب سيدى وتوفى الامير بهادر المنجكى الذى كان استادار العاليه وتوفى
الشيخ شهاب الدين بن النقيب من اعيان العلما ثم دخلت سنة احدى وتسعين
وسبعماية فيها فى اوايل صفر ابتدا السلطان بشرب القمز وهو عبارة عن لبن مصنوع محمض
وكانوا الملوك يفعلو ذلك فرسم السلطان للامرا بان يجتمعوا فى كل يوم اربعا فى الميدان
الذى تحت القلعة ويشربوا القمز وكان ذلك من جملة شعاير المملكة فكانت الامرا تجتمع
بحضرة السلطان ويجلسون فى مراتبهم ويغنا الاوزان عمال والامرا بالشاش والقماش
والسقاه يسقوهم القمز فى الزبادى الصينى وكان القمز يسكر مثل الحشيش ويسمى قرا
قمز وكن بطل ذلك من بعد الظاهر برقوق وفى هذه السنة جاءت الاخبار بان يلبغا
الناصرى نايب حلب خامر وخرج عن الطاعة وقتل الامير سودون المظفرى الذى كان
نايب حلب قبله وقتل ادبعتر الفقى من مماليك سودون ومسك حاجب الحجاب بحلب
وجماعة من امرا حلب وسبب ذلك انه كان قد وقع بينه وبين سودون المظفرى تشاجر
فارسل سودون جبنكى بن يلبغا الى السلطان بما وقع منه فى حقه فلما بلغ السلطان
ذلك فارسل الامير تلكتمر المحمدى الدوادار الى حلب ليصلح بين يلبغا الناصرى
وبين سودون المظفرى وقيل ان السلطان ارسل فى الدس مراسيم على يد الامير تلكتمر
الى سودون المظفرى بان يقبض على يلبغا الناصرى نايب حلب فلما وصل الامير
تلكتمر الى حلب فبلغ يلبغا الناصرى امر المراسيم التى جاء بها الامير تلكتمر فخرج الى
تلقيه وكان بين يلبغا الناصرى وبين الامير تلكتمر صحابة موكدة فما امكنه ان يخفى
عنه امر المراسيم فلما وقف عليهم يلبغا الناصرى ناظم واختام ثم توجه الى دار
السعادة وطلب قضاة حلب والامير سودون المظفرى ليقروا عليهم المراسيم الذى
قد جاءت بالامر بالصلح بين يلبغا وسودون فلما ارسل خلف سودون فلم يحضر الى
دار السعاده فارسل خلفه اربع مرات والقضاه جالسين والامير تلكتمر فما حضر
سودون الا بعد جهد كبير فطلع سودون وهو لابس زردية من تحت ثيابه وكان يلبغا
الناصرى ركز جماعة من مماليكه فى دار السعاده وهم لابسون آلة الحرب فلما دخل
سودون من باب دار السعادة فتقدم اليه مملوك من مماليك يلبغا وجس كتف
سودون فراه لابس من تحت ثيابه فقال له يا امير سودون الذى يريد الصلح
يدخل الى دار السعادة وهو لابس آلة الحرب فكلمه سودون فصاح على ذلك الكمين
فخرجوا الى سودون فقتلوه فى دار السعادة وقتلوا معه اربع مماليك من مماليكه ثم
ان يلبغا الناصرى اظهر العصيان والتف عليه جماعة كثيرة من مماليك الاشرف
شعبان وكان من جملة من التف على يلبغا تمربغا الافضلى المدعو منطاش مملوك
الظاهر برقوق وكان له مدة وهو منفى فى البلاد الشامية فالتف على يلبغا الناصرى
ثم ان الامير تلكتمر لما جرى ما جرى بحلب رجع واخبر السلطان بما وقع لسودون

المظفري مع يلبغا فلما ان تحقق السلطان عصيان يلبغا الناصري فارسل خلعة الى الامير
اينال اليوسفي بان يستقر نايب حلب عوضا عن يلبغا الناصري وكان اينال اتابك العساكر
بدمشق وكان يلبغا الناصري في نفسه من الملك الظاهر برقوق عداوة قديمة كامنة
في قلبه كما قيل في الامثال

الجرح يبرا ولكن كلما نظرت ۞ عين الجريح اليه جدد الوجعا

فلما كان يوم الاربعا تاسع عشر صفر من السنة المذكورة فيه نزل السلطان الى الميدان
الذي تحت القلعة ونصب هناك عدة صواوين للامرا ثم انه ارسل خلف الامرا فلما اتوا مدوا
لهم سماطا عظيما فلما فرغوا من الاكل جلس معهم السلطان وذكرهم ما وقع من يلبغا
الناصري من امر عصيانه ثم احضر لهم مصحف شريفا وحلف عليه ساير الامرا من الاكابر
والاصاغر بان يكونوا معه كلمة واحدة على يلبغا الناصري فحلفوا على ذلك جميعهم
وانفض المجلس على ذلك فلما كان يوم الاثنين رابع عشرين صفر عرض السلطان العسكر
وعين تجريدة الى يلبغا الناصري وعين خمسة امرا من المقدمين واربعماية مملوك ثم
جاءت الاخبار من طرابلس بان عسكر طرابلس على النايب وقتلوا من امرا طرابلس جماعة
وهرب النايب الى عند يلبغا الناصري وجاء عقيب ذلك خبر من حماه بان نايبها
سودون العثماني حضر الى دمشق وهو هارب وسبب ذلك ان مماليكه ركبوا عليه
مع عسكر حماه وارادوا قتله فهرب منهم الى دمشق وقد وقعت الفتن في ساير البلاد
الشامية فلما تحقق برقوق ان البلاد انفتنت خاف على نفسه وامر نايب القلعة
بان يضيق على الخليفة المتوكل ويمنعه من الاجتماع بالناس فانه كان مسجونا في البرج
الذي بالقلعة وهو مقيد ورسم السلطان للامير مقبل الزمام بان يضيق على الاسياد
اولاد السلاطين الذي في دور الحرم ويمنع من كان يدخل لهم ثم ان السلطان ارسل
خلعة الى الامير طغنيتمر القبلاوي بان يستقر في نيابة طرابلس عوضا عن النايب الذي
كان بها ثم حضر قاصدا من عند الامير خليل ابن قراجا ابن ذو الغادر واخبر ان
الامير سنقر نايب سيس قد خامر وخرج عن الطاعة ووافق يلبغا الناصري على العصيان
ورحل من سيس واتى الى حلب فلما تحقق السلطان ان النواب قد خامروا عليه انفق
على العسكر واخرج التجريدة التي كان عينها الى حلب وكان بها من الامرا الاتابكي
ايتمش البجاسي والامير احمد بن يلبغا العمري امير مجلس والامير جركس الخليلي
امير اخور كبير والامير يونس النوروزي الدوادار الكبير والامير ايدكار العمري
حاجب الحجاب وجماعة من الامرا الطبلخانات والامرا العشراوات واربعماية مملوك فخرجوا
من القاهرة في عظمة زايدة واطلاب حافلة فلما خرجوا من القاهرة ووصلوا الى دمشق
جاءت الاخبار من هناك من السعاه بان العسكر لما وصل الى دمشق وجدوا يلبغا
الناصري قد ملك الشام حتى قلعتها فلما وصل العسكر اليه فاتقعوا معه بظاهر
دمشق وقعة عظيمة حتى جرى الدم بينهم وقتل من الفريقين ما لا يحصى عددهم واخر
الامر انكسر عسكر السلطان الذي ارسله وانتصر عليهم يلبغا الناصري وقتل الامير
جركس الخليلي امير اخور وهرب الامير احمد بن يلبغا العمري امير مجلس والامير ايدكار
العمري حاجب الحجاب والامير يونس الدوادار واما الاتابكي ايتمش فانه اسر وسجن
بقلعة دمشق واما بقية الامرا والمماليك السلطانية فمنهم من اسر ومنهم من هرب ومنهم من
قتل وكانت هذه الوقعة بدمشق في يوم الاثنين حادي عشرين ربيع الاخر من السنة المذكورة
فلما ان جاءت هذه الاخبار الى القاهرة فاضطربت من ذلك وماجت الناس على بعضها
وكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك وارتج الامر على السلطان فعمل الموكب
بالقصر وفرق امريات من قتل من الامرا في هذه المعركة فانعم على الامير قرابغا الابوبكري
بتقدمة الف وانعم على الامير بجاس النوروزي بتقدمة الف وانعم على الامير شيخ
الصفوي بتقدمة الف وانعم على الامير اقبغا المارديني بتقدمة الف وانعم على جماعة
كثيرة من الخاصكية بامريات اربعين وطبلخاناه وعلى جماعة بامريات عشرة ثم انه رسم
بالافراج عن جماعة من المماليك الاشرفية ومماليك الاسياد وكانوا في السجن بخزانة
شمايل وصار يرضي خاطر العسكر بكل ما يمكن حتى يمحوا ما وقع منه في حقهم فكان كما
قيل في المعنى ۞ حسنات الخبز منه قد طالت سيات ۞ كلما ساء فعلا ۞ قلنا
ان الحسنات يذهبن السيات ولما كان يوم الاربعا مستهل جمادى الاول فيه حضر
تمربغا المنجكي الدوادار وكان قد توجه الى نحو الشام بسبب كشف اخبار يلبغا الناصري
فلما وصل الى غزه راى طوالع جاليش يلبغا الناصري قد وصل الى غزه فلما دخلوا مدينة
غزه فاتوا لهم الامير حسام الدين بن باكيش نايب غزه في الميدان الكبير فلما باتوا تلك
الليلة فكبس عليهم ومسكهم عن اخرهم وقيدهم وسجنهم في دار السعادة وكانوا نحو ماية
انسان وفيهم ثلاثة امرا من امرا حلب فلما سمع السلطان بهذا الخبر فرح واخلع
على ذلك الدوادار كاملية بسمور ثم في يوم الاحد خامس جمادى الاول نزل
السلطان في مقام سيدي محمد الوديني الذي هو داخل الحرم وطلب الخليفة
المتوكل من البرج فحضر وهو مقيد وكان له نحو ست سنين في البرج بالقلعة
وهو مقيد وقد تحقق في حقه الملك الظاهر برقوق وتمادى على طغيانه في حق المتوكل
وهو في القيد هذه المدة الطويلة كما قيل في المعنى

على راس عبد تاج عز يزينه ۞ وفي رجل حر قيد ذل يهينه

فلما حضر بين يدي السلطان قام اليه وامر بنزع قيده وصار يعتذر اليه مما وقع منه
في حقه كما قيل في ذلك ۞ اذا كان وجه العذر ليس ببين ۞ فان اطراح العذر خير من العذر
ثم طلب القضاة الاربع واعاد المتوكل الى الخلافة كما كان واخلع عليه واركبه فرس
بسرج ذهب وكنبوش ونزل من القلعة في موكب عظيم والقضاة قدامه ورتب له

الصليبية وجامع ابن طولون وكان له يوما مشهودا فلما نزل الى بيته فارسل اليه السلطان قماش
بنحو الف دينار ما بين صوف وصمور وسنجاب وبعلبكي وغير ذلك وارسل اليه
الف دينار عين ثم ان السلطان نزل الى الميدان الذي تحت القلعة وعرض هناك العسكر
وهم لابسون آلة الحرب راكبون على خيولهم وصار يسال كل واحد منهم ما عوعا وزمن آلة
الحرب فيعطيه الذي يعوزه من خيل وسلاح وغير ذلك ثم ان السلطان عمل الموكب في القصر
واخلع على من يذكر من الامرا وهم الامير سودون السيفي تمرباي شربا في واستقر امير
سلاح واخلع على الامير قرابغا الابوبكري واستقر امير مجلس عوضا عن الامير احمد ابن
يلبغا العمري واخلع على الامير فرادمرداش الاحمدي واستقر راس نوبة النوب واخلع
على الامير قرقماس الطشتمري واستقر دوادار كبير عوضا عن الاشرفي يونس واخلع على الامير
الطنبغا الماردیني واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن الامير ايدكار العمري ثم في يوم
الاثنين حضر الى الابواب الشريفة العلاي علي بن الطشلاقي والي قطيا واخبر السلطان
بان جاليش يلبغا الناصري قد وصل الى قطيا ثم بعد ذلك جآت الاخبار بان يلبغا
الناصري قد وصل الى الصالحية فلما تحقق السلطان ذلك نزل الى باب السلسلة وجلس
في الحرافز وامر بشد الخيول وعلق الصنجق السلطاني ونادى للعسكر بان يطلعوا الى
الرميلة وعليهم آلة الحرب فطلع اليه من الامرا سودون المحمدي نايب السلطنة والامير
تمربغا المنجكي والامير ابو بكر بن سنقر الجمالي والامير بيبرس التمان تمري والامير
سودون الطرنطاي والامير قجماش ابن عم السلطان فلما تكامل العسكر ثم ركب
السلطان وخرج من باب السلسلة وعلى راسه الصنجق السلطاني فتوجه هو والعسكر
الى نحو المطرية فاقام السلطان هناك يوم الاربعا ويوم الخميس فصار جماعة من المماليك
السلطانية يتسحبون من عند السلطان ويتوجهون الى عند يلبغا الناصري فتوجهوا
اليه جماعة كثيرة من المماليك السلطانية ومن المماليك السيفية فلما راى السلطان
ذلك رجع من هناك وطلع الى القلعة فلما كان يوم السبت خامس عشر جمادى الاول
جآت الاخبار بان اوايل عسكر يلبغا قد وصل الى اوايل التراب فلما تحقق السلطان
ذلك فنزل من القلعة ودقت الكوسات حربي وجمع العسكر وتوجه الى نحو قبة
النصر ثم وقف هناك على كوم عالي ثم وقع هناك بين الفريقين بعض قتال هين فاقام
السلطان الى اخر النهار ثم رجع الى القلعة وقعد في باب السلسلة وبات به فلما
كانت تلك الليلة توجه اكثر الامرا الى عند يلبغا الناصري فلم يبق مع السلطان الا بعض
جماعة من الامرا منهم الامير قجماس ابن عم السلطان والامير ابو بكر بن سنقر الجمالي والامير
تمربغا المنجكي والامير سودون الطرنطاي وبعض مماليك جداريه فلما راى السلطان
عين الغلب اراد ان يسلم نفسه ويختفي في الحجرة فمنعوه الامرا من ذلك فاقام
الى بعد العصر في باب السلسلة فبلغه ان الامير سنطاي المري والامير الطنبغا

الاشرفي والامير طغطاي الطشتمري ومعهم جماعة من المماليك نحو خمسماية مملوك قد
وصلوا الى تحت القلعة فعين لهم السلطان بطا الخاصكي وسكزباي الخاصكي ومعهم نحو
عشرين مملوكا فنزلوا اليهم ووقعوا معهم في الرميله وقعة قوية فكسر عسكر يلبغا الناصري
وشحتوهم الى تحت المنجكيه فلما بلغ يلبغا الناصري ان جاليشه قد انكسر ثم باهروب
من هناك وارسل بركه وقماشه الى عند القنطرة خوفا من النهب فلما كانت ليلة الاثنين
سابع عشرين جمادى الاول تسحب من كان بقي عند السلطان من الامرا والمماليك ولم يبق
عنده سوى ابو بكر بن سنقر الجمالي وبيدمر المجدي شاد القصر فقال السلطان لسيدي
ابو بكر خذ الترس والنمجاة وامضى الى عند الامير يلبغا الناصري وقل له السلطان
يسلم عليك ويقول لك بان تامنه في نفسه من القتل فمضى سيدي ابو بكر وبيدمر
المجدي الى عند الامير يلبغا وذكروا له ما قاله السلطان فقال الامير يلبغا الناصري
هو آمن على نفسه من القتل ولكن قولوا له يختفي من القلعة حتى تنكسر حرمة العسكر
الذي حضر من الشام عنه وبعد ذلك يفعل الله ما يشا وما يكون الا خير فلما رجع سيدي
ابو بكر ابن سنقر وبيدمر من عند الامير يلبغا الناصري بهذه الرسالة واخبروه
بما قاله الامير يلبغا فاقام في باب السلسلة والخليفه المتوكل عنده الى ان صلى العشا
وقام الخليفه من عنده فبقي وحده هو وخمسة مماليك جداريه فامرهم بالانصراف فلما
انصرفوا قام السلطان ودخل البيت وقلع تخفيفته ولبس له عمامة فينة وجوخ
من فوق ثيابه واخذ في يده عصاه ونزل من باب السلسله بعد العشا واختفى فلما
نزل السلطان من باب السلسلة بعد العشا وقع النهب في الحواصل السلطانيه وذلك
في ليلة الاثنين خامس جمادى الاخر من السنة المذكورة فلما اصبح يوم الاثنين وصل
الامير يلبغا الناصري وصحبته الامير تمربغا الافضلي المعروف بمنطاش مملوك الملك الظاهر
برقوق فلما وصلوا الى الرميله ثم وقفوا بسوق الخيل هم والعسكر الذي حضر معهم
من البلاد الشاميه ثم وقفوا ساعة ثم ان الخليفة المتوكل اتى الى الامير يلبغا الناصري
وسلم عليه ثم طلعوا الامرا والخليفة الى باب السلسلة واشتوروا في ذلك اليوم بمن
يولوه سلطانا وباتوا في تلك الليلة العسكر بغير سلطان فلما اصبحوا يوم الثلاثا
وقع الاتفاق بين الامرا على عود الملك الصالح امير حاج بن الاشرف شعبان الذي
خلعه برقوق من السلطنة وكان مقيما بدور الحرم فطلبوه فخرج اليهم فاجتمعوا
بالحوش السلطاني فلما راوا الملك الصالح قد حضر لبسوه الابرقي سايرا الامرا
ثم طلبوا القضاة الاربع وبايعه الخليفة بالسلطنه ثانيا وكان ذلك على غير القياس عوده
الى الملك فكان كما قد قيل في المعنى

ايها الانسان صبرا ۰ ان بعد العسر يسرا
كم لزمنا الصبر حتى ۰ عاد ليل الهم فجرا

فكانت مدة سلطنة الملك الظاهر برقوق في هذه المرة ست سنين وثمانية اشهر وسبعة
وعشرون يوما وكانت مدة اقامته في الاتابكية حتى سنين الا اشهر تحكم بالديار المصرية
اتابكا وسلطانا احد عشر سنة وخمسة اشهر وسبعة عشر يوما وهذه كانت مدة سلطنة
برقوق الاولى وسيعود الى السلطنة ثاني مرة كما سياتي ذكر ذلك في موضعه ان شا الله
تعالى انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الظاهر برقوق وذلك على سبيل الاختصار منها

ذكر عود الملك الصالح امير حاج بن الملك الناصر الاشرف شعبان

بن حسين الى السلطنة وهي السلطنة الثانية جلس على سرير الملك بعد ان
بايعه الخليفة بحضرة القضاة الاربع وباسوا له الامرا الارض وركب بشعار الملك
من الحوش السلطاني الى القصر الكبير فدهناك السماط وجلس عليه وهو بشعار الملك ثم ان
الامير يلبغا الناصري لما تولى الملك الصالح هذه المرة غير لقبه ولقبوه بالملك المنصور
وهذا امر لم يتفق قط فان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما خلع من الملك وعاد ثالث مرة
لم يتغير لقبه ثم نادوا باسمه في القاهرة وضجوا له الناس بالدعا فلما تم امره في الملك
عمل الموكب وطلعوا اليه سائر الامرا فلما تكاملوا الامرا في الموكب فتقدم الامير يلبغا
الناصري وقبض على المقر السيفي سودون الفخري الشيخوني نائب السلطنة وقبض على الامير
سودون باق وقبض على الامير سودون الطرنطاي وقبض على سيدي ابو بكر ابن
سنقر الجمالي وكان سيدي ابو بكر هذا حاجب الحجاب في دولة الملك الظاهر برقوق
وقبض على الامير بجاس النوروزي وقبض على الامير اقبغا الماردني والامير شيخ
الصفوي والامير قجماس بن عم الملك الظاهر برقوق وقبض على الامير محمود ابن علي
الظاهري استادار العالية فكان عدة من مسك في ذلك اليوم من الامرا المقدمين تسعة
وقبضوا في ذلك اليوم على ثمانية وستين اميرا ما بين امرا طبلخانات وامرا عشراوات
حتى ارتجت في ذلك اليوم القاهرة وكادت ان تخرب عن اخرها وكان الامير يلبغا ومنطاش
لما اتوا الى القاهرة دخلوا ومعهم السواد الاعظم من التركمان ومن العربان وغير ذلك
من عساكر البلاد الشامية والبلاد الحلبية فلما ارادوا ان يدخلوا الى المدينة فوجدوا
ابواب القاهرة مقفولة فجا الامير ناصر الدين استادار الامير ادغوني اسكي وكان قد
حضر من الشام صحبة العسكر فاتى الى باب النصر فوجده مقفولا فدق الباب فلم يفتحوا
له فدخل من باب سر جامع الحاكم وهو راكب على فرسه وفتح باب النصر وباب الفتوح
فدخلوا السواد الاعظم الى القاهرة فنهبوا عدة دكاكين من سوق باب النصر من البضايع
والاكل وغير ذلك واستمر النهب عمالا من باب النصر الى الوكن المخلق وقد تعدوا
الى نهب البيوت واضطربت القاهرة وماجت باهلها فلما بلغ الامير يلبغا ومنطاش
ذلك فارسلوا جماعة من رؤوس النوب ومن الحجاب وطردوا من يفعل ذلك ونادوا في
القاهرة بالامان والاطمان واي من نهب شيا يرده والا يشنق فانكفوا الناس

عن الن

عن النهب ونزلوا جماعة من الحجاب في اماكن من القاهرة فسكن الامر قليلا وخمدت الفتنة
ثم ان الامرا تكلموا مع الامير يلبغا الناصري ومنطاش في امر هؤلا الامرا الذين مسكوا
فافرج الامير يلبغا عن جماعة من الامرا الطبلخانات والامرا العشراوات نحو احدى وعشرين
اميرا فافرج من الامير شيخ الصفوي ورسم له بان يتوجه الى القدس بطالا ورتب له
ما يكفيه ثم ان الامير يلبغا قيد بقية الامرا وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية وقد
تقدم ذكر اسمايهم ثم ان الامير يلبغا رسم بان يفرج عن جماعة من الامرا ممن كان مسجونا
بثغر الاسكندرية فحضروا الى القاهرة وهم الامير الطنبغا الجوباني والامير الطنبغا
المعلم والامير قردم الحسني وغير ذلك من الامرا الذين كانوا في السجن بثغر الاسكندرية
فلما تم امر الملك المنصور امير حاج في السلطنة عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا
وهم المقر السيفي يلبغا الناصري واستقر به اتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن
الاتابكي ايتمش البجاسي واخلع على المقر السيفي الشهابي احمد بن الاتابكي يلبغا العمري
واستقر به امير مجلس على عادته واخلع على المقر السيفي الطنبغا الجوباني واستقر به
راس نوبة النوب واخلع على المقر السيفي قرادمرداش الاحمدي واستقر به امير سلاح
عوضا عن سودون السيفي تمرباي الحسني واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن سيدي
ابو بكر ابن سنقر الجمالي واخلع على المقر السيفي الابغا العثماني واستقر به دوادار
كبير عوضا عن الامير يونس النوروزي واخلع على الامير اقبغا الجوهري واستقر به
استادار العالية عوضا عن الامير محمود ابن علي الظاهري واخلع على الامير الطنبغا الاشرفي
واستقر به راس نوبة النوب ثاني واخلع على الامير قطلوبك السيفي يلبغا واستقر
امير جاندار وانعم على جماعة من الامرا بتقادم الوفا وعلى جماعة امريات اربعين وعلى جماعة
بامريات عشرة ثم عمل الموكب الثاني واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي تولار
المؤيدي واستقر به نايب الشام واخلع على المقر السيفي كمشبغا الحموي واستقر به
نايب حلب واخلع على المقر السيفي قطلوبغا الصفوي واستقر به نايب صفد
واخلع على المقر السيفي منجك الحسني واستقر به نايب طرابلس واخلع على المقر الشهابي
احمد بن المهمندار واستقر به نايب حماه واخلع على الامير بناجق السيفي صرغتمش
واستقر به نايب ملطية ثم رسم النواب الذين استقروا بان يتوجهوا الى البلاد
الشامية ويستقر كل احد في نيابته ويمهد ما فسد من احوال البلاد الشامية فخرجوا
من القاهرة على جملة جميعهم بالسوية ثم ان الاتابكي يلبغا الناصري نادى في القاهرة
بان مماليك الظاهر برقوق لا يقيم احد منهم في القاهرة وان يخدموا عند النواب
ويخرجوا امامهم وكل من وجد منهم بعد ذلك شنق من غير معاودة ثانية وصاروا يكرروا
المناداه بذلك ثلاثة ايام متوالية هذا ما كان من امر الملك المنصور امير حاج بعد
عوده الى الملك واما ما كان من امر الظاهر برقوق بعد اختفايه فان الامير يلبغا

صار ينادى فى القاهرة كل من بان الملك الظاهر برقوق عنده ولا يخبر عليه يشنق على باب
داره من غير معاودة فبينما الاتابكى يلبغا الناصرى جالس فى باب السلسلة وقت
الظهر فدخل عليه مملوك من مماليك ابا يزيد الخازن يقال له سنقر الرومى فقال للاتابكى
يلبغا الناصرى ان السلطان برقوق مختفى عند استادى فى بيت شخص خياط فلما سمع
الاتابكى بذلك فطلب ابو يزيد الخازن وقال له انزل احضر الملك الظاهر برقوق من
عندك والا شنقتك على باب بيتك فلما سمع ابو يزيد بذلك فانكر فامر الاتابكى
يلبغا بتوسيطه فلما تحقق ذلك فاقر بانه عنده وقال له يلبغا انت ما سمعت
المناداه بان من خبا السلطان برقوق عنده ولا يخبر عنه به يشنق على باب داره فقال
ابو يزيد يا خوند ان الملك الظاهر برقوق كان له على احسان عظيم وجاء الى تحت
الليل فما امكننى رده فقال له يلبغا انزل اليه واحضره ثم ارسل معه الامير الطنبغا
الجوبانى راس نوبة النوب ومعه نحو عشرين مملوكا فلما نزلوا الى البيت الذى فيه السلطان
برقوق فطلع اليه الامير الطنبغا الجوبانى بمفرده فلما وقعت عينه على الملك الظاهر
برقوق بجوى الطنبغا وقبل يد الملك الظاهر برقوق وقال له انت استاذنا كلنا
ونحن مماليكك ثم ان برقوق قام معه ولبس عمامة على راسه وعمل عليها طيلسان وركب
فرس وركب الطنبغا الجوبانى الى جانبه ومعهما ابا يزيد فى الترسيم فطلعوا الى باب
فنزل السلطان برقوق عن الفرس فطلعوا به من باب سر القصر الكبير الذى من
الاسطبل فادخلوه الى قاعة النحاس التى لها شبابيك مطله على الايوان ثم الاتابكى
يلبغا قال لابى يزيد احضر لنا ما كان مع السلطان من المال لما دخل عندك فاخرج
لهم كيس فيه الف دينار وقال والله ما اودع عندى غير هذا الكيس وما اعلم ما فيه
فقال له الاتابكى يلبغا لقد خاطرت بنفسك ولولا خاطر الملك الظاهر برقوق
كنت شنقتك فقال ابو يزيد يا خوند انا ما فعلت ذلك الا وقد قطعت عن نفسى
وحسبت حساب التلف وقد قيل

اذا اعتذر الجانى محى العذر ذنبه ۞ وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

فقال يلبغا خذ لك الكيس بما فيه ومثلك من يخدم الملوك ثم افرج عنه ونزل الى
بيته ثم ان الاتابكى يلبغا الناصرى رتب للملك الظاهر برقوق سماط فى كل يوم بكرة
وعشية وجعل عنده ثلاث مماليك صغار كتابية يخدموه واقام فى قاعة النحاس
الى ليلة الخميس ثانى عشرين جمادى الاخر من السنة المذكورة فطلع اليه الامير الطنبغا
الجوبانى راس نوبة النوب فنبهه ونزل به من القلعة فى نصف الليل من باب الدرفيل
واركبه على هجين وركب معه الطنبغا الجوبانى وبعض مماليك وتوجهوا به من على قبة
النصر وقصدوا به نحو عجرود وقد زالت دولة الظاهر برقوق كانها لم تكن وقد
قاسى رعبا ومشقة فى مدة اختفايه وقد قيل فى المعنى

انى تاملت العليا فلم ارها ۞ تنال الا على كد من التعب

ثم ان الامير عيسى ابن مهنا شيخ العرب فتسلم السلطان برقوق وتوجه به الى نحو الكرك
وبعث الامير الطنبغا الجوبانى الى القاهرة فلما وصل السلطان برقوق الى الكرك فسجن
بقلعة الكرك وهو فى القيد وكان نايب الكرك يومئذ الامير حسام الدين الكجكنى فاكرم
الملك الظاهر غاية الاكرام وانزله فى مكان عند الطارمة وكان سبب هذه العداوة التى
كانت وقعت بين يلبغا الناصرى وبين السلطان برقوق ان برقوق قبض على يلبغا الناصرى
وقيده وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية مرتين مرة فى دولة الملك المنصور على ابن
الاشرف شعبان والمرة الثانية فى دولة الظاهر برقوق لما كان يلبغا نايب حلب
ثم ان برقوق ارسل مراسيم على يد الامير تنكز الى الامير سودون المظفرى بقتل يلبغا
الناصرى وجرى ما تقدم ذكره فهذا كان سبب العداوة بين يلبغا الناصرى وبين برقوق
واستمرت العداوة تتزايد بينهما حتى بلغ يلبغا من برقوق مناه وقيده ونفاه كما
فعل به ما تقدم وقد قيل فى المعنى

توقع كيد من خاصمت يوما ۞ ولا تركن الى ود الاعادى
فان الجرح ينكث كل حين ۞ اذا كان البنا على فساد

وكان توجه السلطان برقوق الى الكرك فى ليلة الخميس ثانى عشرين جمادى الاخر سنة
احدى وتسعين وسبعماية فلما مضى امر الظاهر برقوق واستقر بالكرك وقع الخلف
بين الامير تمربغا الافضلى منطاش وبين الاتابكى يلبغا الناصرى ودبت بينهما عقارب
الفتن فاظهر الامير منطاش انه متضعف وانقطع فى بيته اياما فلما بلغ الامرا ذلك
توجه اليه الطنبغا الجوبانى راس نوبة النوب ليسلم عليه فلما دخل الى بيته قبض عليه
وكان ذلك فى يوم الاثنين سادس عشرين شعبان من سنة احدى وتسعين وسبعماية فلما
كان وقت الظهر والناس مقيلة فى بيوتهم ركب الامير منطاش هو ومماليكه وهم لابسون
آلة الحرب وكانوا نحو من اربعين مملوكا فهجم باب السلسلة واخذ الخيول التى بالاسطبل
السلطانى ثم توجه الى بيت اقبغا الجوهرى استادار العاليه فنهبوا كل ما فيه والتف
على منطاش السواد الاعظم من الزعر والغلمان والعبيد فهرب اقبغا الجوهرى من بيته
الذى على بركة الفيل ثم ان منطاش ارسل الامير تنكز بغا اليلبغاوى ومعه جماعة
من المماليك فطلعوا الى سطح مدرسة السلطان حسن وصاروا يرموا على كل من يمشى فى
الرميله او سوق الخيل فتسامعت به مماليك الظاهر برقوق الذى كانوا قد اختفوا
فظهروا وجاروا الى منطاش وكذلك مماليك الاشرف شعبان ومماليك الاسياد فاجتمع
عند منطاش فى اواخر النهار نحو خمسماية مملوك وكان معه اول ما ركب دون الاربعين
مملوكا فلما تسامعوا الامرا والعسكر بذلك فطلعوا الى الرميله وهم لابسون آلة الحرب
فنزل اليهم الاتابكى يلبغا الناصرى ومن كان من عصبته من الامرا والمماليك فاقتتلوا

بهم وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها وذلك في يوم الثلاثا سابع عشر شهر شعبان وصاروا
العوام والزعر يساعدوا منطاش بالحجارة والمقاليع ثم بلتقطون النشاب الذي يرمونه
جماعة يلبغا الناصري ويحضرونه الى منطاش ثم تكامل عند منطاش نحو الفين مملوك
وحضر عنده من الامرا المقدمين اربعة وهم المقر الشهابي احمد بن يلبغا العمري امير مجلس
والامير قرادمرداش الاحمدي امير سلاح والامير الطنبغا المعلم والامير عبد الرحيم
ابن منكلي بغا الشمسي وغير ذلك من الامرا الطبلخانات والعشراوات ثم ان الامير
منطاش قال للامير تام الدين ابن الطرابلسي انصب على مدرسة السلطان حسن مكحلة
فامتنع تام الدين من ذلك فغراه وقصد توسيطه ثم انه نصب مكحلة على المدرسة ورمى
بها على باب السلسلة فهربوا المماليك الذي كانوا في الاسطبل ثم ان الاتابكي يلبغا نصب
مكحلة على المدرسة الاشرفية التي كانت في راس الصوة ورمى بها على سوق الخيل فلم تفد
من ذلك شيا ثم ان جماعة من المماليك السلطانية لما ان راوا ان الامير منطاش منتصف
على الاتابكي يلبغا فصاروا ينسحبون من عند يلبغا وينزلون الى عند منطاش واستمر
الحرب ثاير بينهما يومين فلما راى الاتابكي يلبغا عين الغلب فهرب تحت الليل هو
وجماعة من الامرا وهم الامير مامور القلمطاوي احد المقدمين والامير آلابغا العثماني
الدوادار والامير اقبغا الجوهري استادار العاليه والامير كشلي احد المقدمين وبعض
مماليك نحو مايتين مملوك فخرجوا من باب القرافة وتوجهوا الى الجبل المقطم وخرجوا
من عند وادي السدرة وقصدوا نحو البلاد الشاميه وكان الاتابكي يلبغا يظن انه ينتصف
على منطاش كما قد انتصف على الملك الظاهر برقوق وما كل مرة تسلم الجرة فكانت كما قيل

٥ واني رايت المرء يشقى لعكسه ٥ كما كان قبل اليوم يسعد بالسعد ٥ ٥

هذا ما كان من امر الاتابكي يلبغا الناصري **واما ما كان** من امر الامير تمربغا الافضلي منطاش
فانه لما هرب الاتابكي يلبغا ركب وطلع الى باب السلسله واستولى على حواصل
يلبغا فلما كان يوم الخميس تاسع عشر شعبان جات الاخبار بان يلبغا الناصري قد
مسك هو والامرا الذي كانوا بصحبته من بلبيس فلما حضر يلبغا فحبسه منطاش في المكان
الذي حبس فيه الظاهر برقوق والمجازاة من جنس العمل فاقام ايام ما ثم قيده وارسله
الى السجن بثغر الاسكندرية وارسل معه الامرا المقدم ذكرهم ثم تتبع هذه الحركة فمسك
امرا مقدمين وغير ذلك من الامرا العشراوات ممن كان من عصبة يلبغا ثم ان الامير
منطاش رسم بالافراج عن جماعة من الامرا الذي كان سجنهم يلبغا الناصري فحضر من ثغر
دمياط المقر السيفي سودون الجركسي نايب السلطنه ثم ارسل باحضار شيخ الصفوي
من القدس وافرج عن الامير الطنبغا العثماني والامير بطا الطولوتمري والامير الطنبغا
شادي ثم ان الامير منطاش عرض مماليك الظاهر برقوق في باب السلسلة ومسك
منهم نحو مايتين مملوك وحبسهم في ابراج القلعة ثم ان السلطان الملك امير حاج

على الموكب في القصر واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي تمربغا الافضلي منطاش
واستقر اتابك العساكر عوضا عن يلبغا الناصري واخلع على الامير قطلوبغا الصفوي
واستقر امير سلاح واخلع على الامير اسندمر الشرفي واستقر به امير مجلس واخلع
على الامير تمان تمر الاشرفي واستقر به راس نوبة النوب واخلع على الامير الطنبغا الحلبي
واستقر به دوادار كبير واخلع على الامير اياس الاشرفي واستقر به امير اخور كبير
وانعم على جماعة من الامرا ممن كان من عصبته تقادم الوف وبامريات اربعين وبامريات
عشراوات وفرق الاقطاعات على المماليك واقام له عصبة قوية وظن ان الوقت قد
صفا له ثم في العشر الاخير من شهر رمضان جات الاخبار من الكرك بان الملك الظاهر
برقوق قد ملك قلعة الكرك وعصى بها وكان سبب ذلك ان الاتابكي منطاش ارسل
مخفي من البريديه يقال له الشهاب وارسل على يده مرسوم شريف الى نايب الكرك بقتل
الملك الظاهر برقوق ومن العجايب ان منطاش مملوك الملك الظاهر برقوق اشتراه
في سنة سبع وثمانين وسبعمايه ورباه صغيرا ثم اعتقه واخرج له خيلا وقماشا وكان
منطاش شجاعا بطلا فظهر منه بعض فساد في القاهره فضربه السلطان برقوق علقة
قوية ونفاه الى البلاد الشامية فلما عصا يلبغا الناصري فالتف عليه منطاش وحضر
معه الى القاهرة وحارب استاذه برقوق اشد المحاربه وقبض ونفاه الى الكرك وما
كفاه ذلك حتى ارسل مراسيم بقتله فكان حال السلطان برقوق مع مملوكه منطاش كما قد
قيل في المعنى ٥ كنت من كربتي افر اليهم ٥ فهم كربتي فاين المفر ٥ ٥
فلما دخل البريدي الى الكرك فبلغ ذلك الى الملك الظاهر برقوق وكان للملك الظاهر
في المكان الذي حبس فيه شباك الى جهة بلاد الخليل عليه السلام فكان برقوق في
كل يوم يقف في الشباك ويقول يا خليل الله انا في حسبك من منطاش **فقيل** ان
شخصا من الصالحين راى الخليل عليه السلام في المنام فقال له ان برقوق يعود الى ملكه
وينتصر على منطاش فلما حضر البريدي الى الكرك فتشم منه الحاج عبد الرحمن البابا
الذي يخدم الظاهر برقوق بانه جا بقتل استاذه برقوق وكان اصل الحاج عبد الرحمن
البابا من الكرك وله اقارب هناك فلما كان تلك الليلة التي قدم فيها الشهاب البريدي
كانت نوبة ابو علوان السجان وكان من اقارب الحاج عبد الرحمن البابا فانزلوا ذلك
البريدي في مكان يسمى الطارمة بجانب المكان الذي فيه السلطان برقوق وكان
نايب الكرك في كل ليلة من شهر رمضان لا يفطر الا عند السلطان برقوق فلما كانت
تلك الليلة لم يحضر فيها نايب الكرك فامتنع الملك الظاهر برقوق لذلك
وقال لا اكل شيا حتى يحضر النايب ثم بعد ساعة وقد حضر واكل مع السلطان فلما
فرغ الاكل دخلوا اقارب الحاج عبد الرحمن البابا على الشهاب البريدي وهو في الطارمة
فقتلوه ثم ارادوا قتل نايب الكرك فاستجار بالسلطان فمنهم من قتله فنهضوا عليه

وسجنوه وملك الملك الظاهر قلعة الكرك فهذا كان مبتدا سعد الملك الظاهر برقوق
وقد قاسى من المحن والاهوال امر عظيم فكان كما قيل في المعنى

على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ٭ ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره ٭ فقد قل مما يرتجيه نصيبه

فلما جاءت الاخبار بان برقوق ملك قلعة الكرك تاضطربت احوال الاتابكي منطاش
وخاف المراد وجد عليه الاجتهاد ثم انه عرض العسكر وعين تجريدة الى برقوق ثم في اثناء
ذلك حضر شخص من العربان الشاميه واخبر بان الملك الظاهر برقوق قد طردوه اهل
الكرك وانزلوه من القلعة وهرب الى الخارج المدينة وان العربان قد احاطوا به ولم يكن هذا
الخبر صحة وانما السلطان برقوق ارسل هذا الهجان بهذا الخبر الى مصر حتى يبطل امر
التجريدة الذى كانوا يجهزوها له الى ان تستقيم احواله فلما سمع الاتابكي منطاش هذا
الخبر فرح به واطلع على ذلك الهجان كاملية بسمور وبطل امر التجريدة فكانت هذه
اول مكيدة صعدت بيد برقوق ثم في خامس عشر شوال جاءت الاخبار من قوص بان
مماليك الظاهر برقوق الذى كانوا هناك قد توجهوا الى الكرك من وادى القصب الى
السويس وقد قتلوا والى قوص ثم في اثنا ذلك جاءت الاخبار من حلب بان كمشبغا الحموى
نايب حلب خامر وخرج عن الطاعة ثم جاءت الاخبار بان الظاهر برقوق قد خرج من غزه
وهو قاصد نحو الشام فلاقاه حسام الدين بن باكيش نايب غزه ومعه جماعة من العربان
جبل نابلس نحو خمسة الاف انسان فالتقوا مع الظاهر برقوق في الطريق وقعة قوية
وكان الظاهر برقوق قد التف عليه من عربان الكرك نحو الف انسان فلما خرج من الكرك
فتسامعت به الناس فجاوا اليه وصار كلما مر بقرية يخرج اليه اهلها وبلاديه ومعهم
العليق والضيافة ثم فلما لاقاه ابن باكيش نايب غزه وانكسر من كان مع ابن باكيش من
العسكر فنهبوهم عسكر برقوق وغنموا منهم خيول وسلاح وقماش وبرك فتقوى عسكر
برقوق بذلك الغنيمة فلما وصل برقوق الى شقحب فخرج اليه عسكر دمشق والتقوا
معه هناك وقعة عظيمة فقتل بها من امراء دمشق ستة عشر اميرا ومن المماليك نحو
خمسين مملوكا وقتل من عسكر برقوق نحو ذلك ثم جاءت الاخبار بان الامير اينال اليوسفى
خرج من السجن وملك قلعة صفد وسبب ذلك ان اينال اليوسفى كان مسجونا بقلعة
صفد وكان دوادار نايب صفد شخصا يقال له يلبغا السالمى وكان اصله من مماليك
الظاهر برقوق فلما خرج نايب صفد من المدينة وتوجه الى نحو دمشق ليساعد نايب
دمشق على قتال الظاهر برقوق فثبت صفد خالية بلا نايب فاتفق يلبغا السالمى
مع حاجب صفد ونايب القلعة واخرجوا الامير اينال اليوسفى من السجن واخرجوا
معه جماعة من المماليك الذى كانوا معه في السجن وملكوا القلعة فلما بلغ نايب صفد
رجع الى صفد واراد ان يدخل الى دار السعادة فارموا عليه بالمدافع وطردوه من المدينة

واستولى

واستولى اينال اليوسفى على قلعة صفد ونهب حواصل قطلوبك نايب صفد فقوى بيت
شوكة الظاهر برقوق ثم جاءت الاخبار بان نايب صفد ونايب حماه وصلا الى قطيا وهما
هرابا من الظاهر برقوق قد دخلوا الى القاهرة يوم الاحد خامس عشرين شوال فاخبروا الاتابكي
منطاش بان اكثر النواب خامروا مع الظاهر برقوق فلما سمع منطاش ذلك عقد مجلسا
عظيما في القصر الكبير وارسل خلف امير المومنين محمد المتوكل والقضاة الاربع وشيخ الاسلام
سراج الدين عمر البلقيني فلما تكامل المجلس عرض عليهم الاتابكي منطاش فتواه شرحها ما
تقول السادة العلما في رجل خلع الخليفة وسجنه وقيده من غير موجب لذلك وقتل رجلا
شريفا في الشهر الحرام في البلد الحرام واستحل اخذ اموال الناس بغير حق واستعان بالكفار
على قتال المسلمين ثم كتبوا من هذا السوال عدة نسخ فقال القضاة ما نكتب على هذا السوال
حتى يكتب شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني فكتب الشيخ سراج الدين البلقيني اذا قامت
عليه بينة بذلك وجب قتاله ومحاربته فهو خارجي فلما كتب شيخ الاسلام ذلك فكتبوا
بقية القضاة ومشايخ العلما وكتبوا من هذا السوال عدة فتاوى ثم ارسلوها الى ثغر
الاسكندرية ودمياط وغير ذلك من الثغور وكان الظاهر برقوق في اول سلطنته وقع
منه امور فاحشة فحق الرعبة فكان كما قيل

انحلت الانفس ما لا تطيق ٭ انطقت الالسن ما لا يليق

ثم جاءت الاخبار من دمشق بان الظاهر برقوق بعد ان دخل الى دمشق وملك المدينة
ونزل في الميدان الكبير فكبسوا عليه اهل دمشق واخرجوه من المدينة الى ظاهر البلد
وكان سبب ذلك ان الظاهر برقوق لما وصل الى دمشق فاقام هناك فجاء اليه كمشبغا
الحموى نايب حلب فتوجه الظاهر برقوق في خيمة خلقة صغيرة فاحضر له خيمة
مدورة عظيمة واحضر له طشتخاناه وشربخاناه وغير ذلك مما تحتاج اليه الملوك
من اوانى وقماش حتى احضر له الخليلية برسم النوبة وصار السلطان برقوق سلطانا
كما كان اولا بعد ما كان لاشى امره فكان كما قيل

الصبر مثل اسمه في كل نايبة ٭ لكن عواقبه احلى من العسل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر ٭ في حادث الدهر ما يغنى عن الحيل

ثم ان الظاهر برقوق لما استقامت اموره حكم بمن معه من العساكر ودخل الى دمشق
وملك المدينة ونزل بالميدان الكبير فجاوا اليه الناس من كل فج وقدموا اليه الخيول
والقماش والاموال وغير ذلك فبينما هو في الميدان فاقامت بدمشق عركة عظيمة
ورجموا الظاهر برقوق واخرجوه من الشام وكان سبب ذلك ان بعض مماليك برقوق
عبث على بعض سوقة دمشق واخذ منه شى من البضايع بالغصب فاستغاث ذلك
السوقى فحضر اليه جماعة من اهل دمشق وتعصبوا له فهاش عليهم ذلك المملوك وضربهم
فرجموه اهل دمشق فجاوا اخشداشين ذلك المملوك وارموا على عوام دمشق بالنشاب

فتكاثرت على المماليك الاعوام بالحجارة والمقاليع فكسروا المماليك كسرة قوية فركب
الظاهر برقوق ومن معه من الامرا وخرجوا من دمشق الى قبة يلبغا فدخلوا العوام
الى الميدان ونهبوا بوك الظاهر برقوق وغلقت ابواب دمشق بعدما كانت مفتحة
وكان برقوق اشرف على اخذ قلعة دمشق وراج امره فتعطل حاله بعد ذلك كما قد
قيل ومعظم النار من مستصغر الشرر **ويقرب** من هذه الواقعة ما ذكره بعض المورخين
ان اهل قريتين تقاتلوا حتى تفانوا عن اخرهم على قطرة عسل وسبب ذلك ان رجلا كان
يبيع العسل فوقف على زيات ليبيعه عسلا فبينما الزيات يزن في العسل فقطرت منه
قطرة على الارض فوقع عليها زنبور فوثب عليه قط كان في دكان الزيات وهو عزيز
عنده فخطف ذلك الزنبور فراه كلب كان مع صاحب العسل وهو عزيز عنده فوثب
على قط الزيات فقتله واكله فلما راى الزيات قطه قدمات ضرب كلب صاحب
العسل فقتله فلما راى صاحب العسل كلبه قدمات فخرج من عقله وكان ذلك الكلب
عزيزا عنده فضرب الزيات ضربة فقتله فلما راه اخو الزيات ان اخاه قد قتل فوثب
على صاحب العسل فقتله وكان صاحب العسل في قرية والزيات في قرية فتسامعوا اهل
القريتين بذلك فلبسوا السلاح ولا زالوا يتقاتلون بالسيف والرمح والحرب ثاير
بينهم حتى تفانوا عن اخرهم وكان سبب ذلك قطرة عسل التي اثارت الفتنة العظيمة
فنعوذ بالله من اثر الجهل وقلة العقل كما قيل
الم تر ان العقل زين لاهله ۔ ولكن تمام العقل طول التجارب
ومن هنا نرجع الى اخبار الاتابكي منطاش فانه لما سمع ذلك عن الظاهر برقوق كلم يشق
بهذا الكلام واخذ في اسباب السلاح واسباب خروج العسكر والسلطان الملك
المنصور امير حاج الى نحو الشام لقتال الظاهر برقوق فلما تحرك امر التجريد فحصل
للناس غاية الضرر من الاتابكي منطاش وتمنى كل احد عود الملك الظاهر برقوق الى
الديار المصرية وكان مما جرى من الاتابكي منطاش عند خروج التجريد منها انه اخذ
خيول الطواحين جميعها حتى على الدقيق واكلت الناس بعضها بعضا **ومنها** انه نادى في
القاهرة بان لا نتبيه ولا يمشي بركب فرس **ومنها** انه مسك جماعة من مماليك الظاهر
برقوق وسجنهم بخزانة شمايل **ومنها** انه سد باب الزح وكان ذلك في الاصطبل وسد
باب حماه ايدغمش **ومنها** انه ارمى على جميع المباشرين بالديوان الشريف خمسماية فرس
من الجوف الخاص **ومنها** انه ارمى على اولاد الناس اجناد الحلقة كل واحد فرس
او ثمنه وارمى على الحجاب المتعينين بالقاهرة كل واحد ثمن فرس خمسين دينارا ووقع من
ابواب المظالم اشياء كثيرة لم يسمع بمثلها فيما تقدم فكان كما قيل في المعنى
كفى المرء نقصا ان يرى عيب غيره ۔ وما عاب منه الناس غير معيبا
ثم ان السلطان علق الجاليش ونفق على العسكر ورسم الاتابكي منطاش لكل مملوك من المماليك

السلطانيه نفقة دون المايه دينار واخذوا ذلك على كره منهم واظهروا العصيان وكثر
القيل والقال في حق المقر الاتابكي منطاش ثم اشيع بين الناس بان الملك الظاهر برقوق
قد انكسر وهرب وان راس اينال اليوسفي قد قطعت وهي واصلة الى القاهرة فدقت
البشاير لذلك ثلاثة ايام وزينت مصر وكل هذه اخبار مصنوعة ليس لها صحة وانما هي
اشاعة لتطمين خواطر العسكر وهذه حيل من منطاش ثم ان السلطان برز خيامه في الريدانيه
وكذلك ساير الامرا فلما كان يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجة سنة احدى وتسعين
وسبعماية فيها نزل السلطان المنصور امير حاج من القلعة وصحبته الخليفة المتوكل على الله
محمد والقضاة الاربع وهم قاضي القضاه ابو البقا السبكي الشافعي وقاضي القضاه شمس
الدين محمد الطرابلسي الحنفي وقاضي القضاه ناصر الدين بن العسقلاني الحنبلي وساير الامرا
من الاكابر والاصاغر فنزل في موكب عظيم الى الريدانيه ثم ان السلطان ترك بالقاهرة من
الامرا المقر السيفي سودون الفخري نايب السلطنة ورسم له بان يقيم في القلعة الى ان يعود
السلطان وجعل الامير تنكز الاشرفي نايب الغيبة والامير صراي تمر والامير قطلو بغا
السيفي تمربای حاجب ثاني ومعه جماعة من الحجاب وترك جماعة من المماليك السلطانية نحو
خمسماية مملوك ورسم لهم بان يتوزعوا في ابراج القلعة وجوانب المدينة ثم ان في
يوم الجمعة رحل السلطان من الريدانيه فلما وصل الى العكرشا تقنطر عن الفرس الى الارض
فتفنا ولواله الناس بعدم النصرة وكان اكثر الناس مايل الى الملك الظاهر برقوق وما مع
الاتابكي منطاش من العسكر الا القليل هذا ما كان من امر الملك المنصور امير حاج والاتابكي
منطاش **واما ما كان** من امر الامرا الذين بالقاهرة بعد خروج السلطان فان الامير
صراي تمر نايب الغيبة لما رحل السلطان من القاهرة فامر بسد ابواب القلعة وهم باب
الدرفيل وباب الميدان وباب القرافة وسد بعض ابواب القاهرة الصغار ثم ان نايب
الغيبه ارمى على اولاد الناس المقيمين بالقاهرة كل واحد فرس او ثمنه فحصل للناس منه
غاية الضرر الشامل وصارت القاهرة كل يوم في اضطراب وقلة امن وفي هذه السنة
توفي الشيخ شمس الدين بن الصايغ الحنفي وكان من اعيان العلما وله شعر جيد في البديع
من ذلك قوله في الصاحب كريم الدين ابن الغنام
وزير الملك عبد الف عبد ۔ فانت الصاحب الخلق الجليل
فنلت غنيت في الاضحى بكبش ۔ على بالنا كالف كنيل
ثم دخلت سنة اثنين وتسعين وسبعماية فيها جاءت الاخبار من غزة بان اكثر العسكر
تسحب من عند الملك المنصور وتوجهوا الى عند الملك الظاهر برقوق **ومن الحوادث**
بالقاهرة ان جماعة من مماليك الامرا اتفقوا مع مماليك الامير صراي تمر نايب الغيبة على
قتل استاذهم صراي تمر فلما تحقق الامير صراي تمر ذلك فارسل الامير قطلو بغا
الحاجب والي القاهرة فكبسوا على جماعة من المماليك الذين هم راس الفتنة في مكان

في اليرقية فمسكوا منهم ستة انفس وهم لا يسون آلة الحرب كلما قبضوا عليهم احضروهم
الى عند الامير ضراى تمر نايب الغيبة فعاقبهم وقررهم فاقروا بانهم قصدوا ان يقتلوا
جماعة من الامرا فسجنهم بخزانة شمايل ثم ان الامير ضراى تمر ارسل يعرف الامير شكا
الاشرفي راس نوبة ثاني بما وقع من هذا الامر فلما اشيع ذلك بين الامرا فقبض كل امير
من الامرا على جماعة من مماليكه فمسكوا منهم جماعة نحو خمسين مملوكا وسجنوهم ثم ان الامير
ضراى تمر ارسل قبض على سيدي بيبرس ابن اخت الملك الظاهر برقوق وسجنوه بالقلعة
ثم ان الامير ضراى تادى في القاهرة بان كل من مسك مملوكا من مماليك الظاهر برقوق
ياخذ له عشرين دينارا فلما جرى ذلك اضطربت القاهرة واشاعوا ان المماليك الذين
بالقاهرة يقصدون الوثوب على الامرا فلما تحقق الامير ضراى تمر ذلك قام سعر
الامير رسم بالافراج عمن سجن من المماليك قاطبة وافرج عن سيدي بيبرس ابن اخت
الملك الظاهر برقوق ونزل الى بيته ثم في يوم الخميس حضر هجان من الشام وعلى يده
مراسيم الى الامرا بان السلطان الملك المنصور رحل الى الشام وملكها وان الملك
الظاهر برقوق هرب من وجهه ولم يقابله فاخلعوا على الهجان الذي جاء بهذا
الخبر خلعة عظيمة ودقت البشاير ثلاثة ايام ثم ظهر بان هذا الخبر كذب مصنوع
ليس له صحة فعملوا ذلك لتطمين الرعية ثم في يوم الاحد سابع عشرين المحرم
من سنة اثنين وتسعين وسبعماية اشيع بين الناس بالقاهرة بان الظاهر برقوق
قد انتصر على الملك المنصور امير حاج ثم انقطعت هذه الاخبار مدة طويلة فلما
كان ليلة الاربعا مستهل شهر صفر حدث في تلك الليلة ان جماعة من المماليك السلطانية
كانوا بايتين في القلعة فنقبوا حايطا واخرجوا جماعة من المماليك الذين كانوا في السجن
بالقلعة فلما كثروا اتجاوا الى باب القلعة الذي ينزل الى باب السلسلة فوجدوه
مقفولا فضربوا اقفاله بفتلة حديد فلما احسوا بهم الحراس فضربوا احد الحراس بالسيف
فمات من وقته فهربوا بقية الحراس لما راوا ذلك فخلعوا المماليك الباب ونزلوا
الى الاسطبل السلطاني وجاوا الى باب السلسلة فوجدوا الحراس قد ناموا وكان ذلك
اخر الليل فضربوا من الحراس اثنين فماتوا واخذوا منهم مفتاح باب السلسلة ففتحوا الباب
ونزلوا الى الرميلة هذا كله والامير ضراى تمر نايم في حريمه ولا يشعر بشي من ذلك
فلما احس بهذا الامر نزل من سور الاصطبل في حبل الى الرميلة ثم توجه الى بيت الامير
قطلوبغا الحاجب ثم ان المماليك تجاوا وكثروا فلما اصبح الصباح فتحوا ابواب القلعة
واخرجوا من كان في الابراج مسجونا وكذلك من كان في خزانة شمايل ثم طلعوا الى الاسطبل
السلطاني واخذوا ما كان به من الخيول وطلعوا الى الطبلخاناة السلطانية واحضروا
من الغلمان والعبيد وقالوا اضربوا الكوسات حربي ثم ان الامير ضراى تمر نايب
الغيبة والامير قطلوبغا الحاجب ركبا ولبسا آلة الحرب ووقفا بسوق الخيل وكان

الامير

الامير بطا الطولوتمري قد ملك باب السلسلة فلما طلع الامير ضراى تمر والامير قطلوبغا
الى سوق الخيل فنزل اليهم الامير بطا مع جماعة من المماليك الظاهرية فاتقعوا معهم وقعة
قوية فانكسر الامير ضراى تمر نايب الغيبة والامير قطلوبغا الحاجب وهربا ثم نهبوا العوام
بيوتهم ومن كان من عصبتهم من الامرا والمماليك **ومن غريب** صنع الله تعالى ان القاهرة
اضطربت لهذه الواقعة وكانت المدينة سايبة لا سلطان بها ولا قاضي ولا حاكم ومع هذا
لم ينقد لاحد من الناس ما قيمته الدرهم الفرد وكانت الزعر مايجة في المدينة ولم يتعرضوا
لاحد من الناس بشي ولا نهب لاحد من الدكاكين ولا البيوت ولا الاسواق وكان ذلك حفظا
من الله تعالى فكان كما قيل في المعنى

لم لا نرتجي الفضل من ربنا … ام كيف لا نطمع في حلمه
وفي الصحيحين اتى انه … بعبده اشفق من امه

ثم ان الامير بطا خلع على شخص من اولاد الناس يقال له محمد ابن العادلي واستقر به والي القاهرة
عوضا عن حسين بن الكوراني ثم ان محمد بن العادلي نادى في القاهرة بالامان والاطمان والبيع
والشرا وان لا احد يشوش على احد والدعا للسلطان الملك الظاهر برقوق بالنصر فضجوا
الناس له بالدعا وهذا كله جرى بالقاهرة ولم يعلم الملك الظاهر برقوق بذلك ابدا ان كان
قد انتصر او انكسر ثم ان المقر السيفي سودون الفخري نايب السلطنة ركب بنفسه وشق
القاهرة ونادى قدامه بالامان والاطمان والدعا للملك الظاهر برقوق وكان ذلك يوم
الجمعة فنودي للخطبا بان يخطبوا باسمه في ذلك اليوم ثم ان الامير ضراى تمر والامير
قطلوبغا وجماعة من الامرا طلعوا الى باب السلسلة صحبة المقر السيفي سودون النايب
وفي رقابهم مناديل فلما طلعوا الى باب السلسلة فتقدم الامير بطا وسجنهم بالقلعة
وكان الامير بطا من مماليك الظاهر برقوق وكان يوميذ امير عشرة ولكن خدم سعده
لسعد استاذه برقوق كما قيل في المعنى

ملك تداوله البندا للناس والمدح الخبر … امضى لسان سيفه حكم القضا والقدر

فلما كان يوم السبت اواخر شهر صفر حضر الى القاهرة جلبان الخاصكي وصحبته الامير
عيسى بن مهنا شيخ العرب واخبروا بان الملك الظاهر برقوق قد انتصر على منطاش وهو
واصل الى عزه فلما سمع ذلك الامير بطا دق الكوسات ونادى بالزينة في القاهرة
وكتب مراسيم وارسلهم الى ثغر الاسكندرية ودمياط والصعيد بنصرة الملك الظاهر برقوق
على منطاش ثم ان الامير بطا خلع على الامير حسين بن الكوراني واستقر به والي القاهرة
كما كان اولا ثم في يوم الاحد ثاني ربيع الاول حضر هجان وعلى يده مراسيم شريفة متوجهة
بخط الملك الظاهر برقوق مضمونها بان الامير بطا يجهز الاقامات الى قطيا ثم بعد
ذلك حضر شيخ العربا زيد بن عيسى شيخ العايذ واخبر ما جرى للملك الظاهر برقوق
مع الملك المنصور امير حاج ومع الاتابكي منطاش فاخبر ان الملك المنصور لما وصل الى

شقحب فلما التقا هناك هو والملك الظاهر برقوق فحصل بين العسكر وقعة عظيمة لم يسمع
بمثلها وذلك في يوم الاحد رابع عشر المحرم سنة اثنين وتسعين وسبعماية فلما التقوا
هناك على شقحب فانكسر الملك الظاهر برقوق كسرة قوية وهرب واسر الامير قجماس
ابن عم الملك الظاهر وجرح فلما انكسر الظاهر برقوق وولى دخل الاتابكي منطاش الى الشام
ومعه الامير قجماس ابن عم الملك الظاهر برقوق وهو اسير ثم ان الاتابكي منطاش قال لنايب
الشام الامير جرد مراخرج انت وعسكر الشام ولاقي الملك المنصور وكان الملك المنصور
لما انكسر برقوق ناظر الخليفة المتوكل والقضاة الاربع وخزاين المال وبعض جماعة من العسكر
وتولحت جبل خارج عن الشام بيوم هذا ما كان من امر الملك المنصور والاتابكي منطاش
واما ما كان من امر الملك الظاهر برقوق بعد كسرته فهرب هو والامير كمشبغا الحموي
نايب حلب فاما نايب حلب فتوجه تحت الليل الى حلب ودخلها في حصن المدينة وظن
الملك الظاهر برقوق قد تلاشى امره واما الملك الظاهر برقوق فانه لما انكسر هرب
في نفر قليل من العسكر وتوارى خلف الجبل الذي تحته الملك المنصور والخليفه والقضاه
الاربع فاتى اليه بعض العرب واخبره بان الملك المنصور تحت ذلك الجبل فكبس عليهم
برقوق بمن معه من العسكر وكانوا نحو اربعين انسان فالقا الله تعالى الرعب في قلوب عسكر
الملك المنصور وغلت ايديهم عن القتال فنزل عليهم الظاهر برقوق كالباز على الطاهر
واحتوى على كل مهم من البرك والقماش والسلاح وخزاين المال فلما جرى ذلك فتسامعوا
به الناس فجاوا اليه افواجا من كل مكان كما قيل

اذا استقام نجم سعدك ❊ فاصنع مع السعد ما شيت

فبات برقوق هناك تلك الليلة فلما بلغ ذلك الى منطاش فحضر ومعه عساكر الشام
والسواد الاعظم من زعر دمشق فحصل بينهم وقعة اعظم من الوقعة الاولى وقتل بها من
الخلايق ما لا يحصى واستمر الحرب ثايرا بينهم من باكر النهار الى بعد غروب الشمس
فانكسر الاتابكي منطاش وعسكر الشام كسرة قوية فولوا هاربين الى نحو دمشق وصارت
القتلا على الارض مثل الحصا من اهل الشام وعسكر مصر وربما غرب من لا جنى كما قيل

حب السلامة يثني عزم صاحبها ❊ عن المعالي وتغري المرء بالكسل

فلما جرى ذلك فاقام الظاهر برقوق بمنزله شقحب يومين ثم ان شخصا من الصالحين
يقال له الشيخ شمس الدين الصوفي مشى بين الملك الظاهر برقوق وبين الملك
المنصور امير حاج في ان يخلع نفسه من الملك ويسلم الامر الى الملك الظاهر برقوق
فاجاب الملك المنصور بذلك واحضر الخليفة المتوكل والقضاه الاربع وخلع نفسه
من الملك واشهد وا عليه بذلك ثم ان الخليفة والقضاة الاربع بايعوا الملك الظاهر
برقوق بالسلطنة وذلك بمنزله شقحب ثم ان الظاهر برقوق اقام هناك تسعة ايام
فوقع في العسكر الغلا وعز الشعير والتبن والخبز حتى ابيعت كل بقسماط بخمسة

دراهم شامية وابيع كل فرس بعشرين درهم شامية لعدم العليق وكل جمل بعشرة دراهم
ولا يوجد من يشتري وابيعت القطعة السكر شبه لها فضة ولا توجد فتقلقوا العسكر
قاطبة وهموا ان يثوبوا على برقوق فلما راى ذلك عزم على التوجه الى نحو الديار المصرية
فاخلع عند رحيله على الامير اياس الجرجاوي واستقر به نايب صفد واخلع على الامير
تدبر القلمطاوي واستقر به نايب الكرك ثم انه امر للعسكر بان يرحلوا اولا باول
فرحلوا من شقحب يعني الظاهر برقوق والخليفة والملك المنصور وبعض امراء مماليك
سلطانيه فلما بلغ منطاش ذلك خرج من الشام ومعه نحو مايتي انسان من عسكر دمشق
ووقف على تل عالي خارج عن دمشق فلما بلغ الملك الظاهر برقوق ذلك فركب وخرج
اليه فلم يلتقوا الا وهو هناك ساعة ثم ان منطاش رجع الى الشام ورجع برقوق ثم رحل
من شقحب وقصد نحو الديار المصرية فسار هو والخليفة والقضاه الاربع والملك
المنصور فلما وصل الظاهر برقوق الى غزة فقبض على نايب غزة الامير حسين بن باكيش
وكان وقع منه في حق الظاهر برقوق لما خرج من الكرك ما قد تقدم ذكره ثم قيده
واخذه صحبته الى القاهره واخلع على الامير علاي الدين بن اقبغا السلطاني واستقر به
نايب غزه عوضا عن ابن باكيش ولما كان يوم الاربعا ثاني صفر حضر الى القاهره اقبغا
الطولوتمري المعروف باللكاش وهو اخو الامير بطا وكان قد ارسله الى كشف الاخبار
فلما رجع فاخبر بان الملك الظاهر برقوق قد خرج من غزه وهو قاصد نحو الديار
المصرية فنادا الامير بطا بالزينه فزينت القاهرة ودقت البشاير سبعة ايام ثم
ان الامير بطا ارسل بالافراج عن جماعة من الامرا قد كانوا بالسجن في ثغر الاسكندرية
ودمياط وهم الامير قنق باي السيفي الحاي والامير مقبل الرومي والامير الطنبغا
العثماني والامير عبدون العلاي والامير مامق ثم ان الامير بطا قبض على الامير
حسام الدين بن الكوراني والي القاهره وضربه وسجنه وسبب ذلك انه كان يكبس على
مماليك الظاهر برقوق ويقبض عليهم من اسطبلات الحارات فلما انتصر برقوق فقال
له الامير بطا انقبض على مماليك منطاش كما كنت تقبض على حتى اشبينا من الاسطبلات
فصار يتخلج في ذلك فقبض عليه الامير بطا وضربه وسجنه ثم استقر بالصارمي والي
القاهرة عوضا عن ابن الكوراني هذا كله قبل وصول الملك الظاهر برقوق فلما كان يوم
الخميس تاسع صفر فيه حضر الى القاهرة الامير سودون الطيار وعلى يده مثالات
شريفة الى ساير الامرا بالسلام واخبر الامير سودون بان قد فارق السلطان بالصالحية
فخرج اكثر الناس الى ملتقاه فلما كان يوم الثلاثا وصل السلطان الى بركة الحاج فخرجوا
الناس قاطبة من الامرا والعلما واعيان الناس وساير الرعيه من العوام وغيرهم حتى
طايفة الصيادين بشباكهم وطايفة الجيوش ومعهم صنجق وطبل وهم يرقصون وخرج
اليه طايفة اليهود والنصارى وفي ايديهم الشموع والروايات فلما كان يوم الاربعا

خامس عشر صفر فيه دخل السلطان الملك الظاهر برقوق وطلع الى القلعة فكان له موكب عظيم فشق من بين الترب واليهود والنصارى قدامه بالشموع يبتهل وهو راكب والامراء مشاة بين يديه والخليفة المتوكل قدامه والقضاة الاربع وشيخ الاسلام سراج الدين البلقيني وساير الامراء من الاكابر والاصاغر قدامه وساير الجند من شيخ وصبي وكان الملك المنصور امير حاج راكبا عن يمينه وحملت القبة والطير على راسه ولبو قدامه بالغواشي الذهب وانطلقت له النسا بالزغاريت فلما وصل الى تربة طيبغا الطويل فرشت له الشقق الحرير فلما وصل الى اوايل الشقق فثنى عنان فرسه عن الشقق واشار الى الملك المنصور امير حاج بان يمشي بفرسه على الشقق جبرا لقلبه فدعوا له الناس بالنصر فلما ان وصل الى الرميلة طلع الى باب السلسلة وجلس بها واجتمع الخليفة والقضاة الاربع فجددوا له البيعة ثانيا واشهدوا على الملك المنصور بالخلع فلما انفض المجلس قال الملك الظاهر برقوق للملك المنصور امير حاج اطلع سلم على امك فقام الملك المنصور وقدموا له الفرس فركب من المقعد الذي في الاسطبل فلما ركب قام له الملك الظاهر وعضده من تحت ابطه حتى ركب وبالغ في تعظيمه فدعوا له الناس بالنصر فلما طلع الملك المنصور من الاسطبل السلطاني توجه الى دور الحرم فدخل اليها وهو في غاية التعظيم بخلاف من تقدم من اقاربه فلما دخل الى دور الحرم اقام بها في غاية الحفظ به فكان اخر من تولى السلطنة بالديار المصرية من ذرية بني قلاوون وبه قد زال عنهم الملك كانه لم يكن ومن جملة سعد الملك الظاهر برقوق انه من حين خلع من السلطنة وعاد اليها لم يجلس احد على مرتبته الى ان عاد اليها وكانت سلطنة الملك المنصور امير حاج عبارة عن نيابة عن الملك الظاهر برقوق الى ان عاد الى السلطنة وكان امر السلطنة جميعا بيد الاتابكي منطاش وكان من جملة سعد الظاهر برقوق انه من حين خرج من الكرك وتوجه الى الشام وخرج اليه الملك المنصور وجرى في القاهرة ما جرى ما تقدم ذكره من مسك الامراء وغير ذلك فخطب باسم الظاهر برقوق على منابر القاهرة قبل دخوله اليها ودخل الى القاهرة من غير قتال ولا حرب. وقد تقدم ما فعله الامير بطا قبل دخول الظاهر الى القاهرة ودخل سعد برقوق في هذه الولاية الثانية الى ان مات على فراشه وهو سلطان كما سياتي ذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى ومن جملة سعد برقوق ان الملك المنصور نزل له عن السلطنة بدمشق طايعا ولم يختلف عليه اثنان **ومن غرايب** الاتفاق ان قلاوون لما تولى الملك تلقب بالملك المنصور واخر من تولى الملك من ذريته تلقب بالملك المنصور والغريب من هذا ان الملك المنصور قلاوون الالفي كان قد اخذ الملك من اولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري والملك الظاهر برقوق اخذ الملك من اولاد الملك المنصور قلاوون وفي المثل كما تدين تدان **فكانت** مدة سلطنة الملك المنصور امير حاج

في هذه المرة ثمانية اشهر وستة عشر يوما الى يوم خلعه بشقحب وكان الاتابكي منطاش في هذه المدة يعزل من شاء ويولي من شاء ويختار من عصبته **وقد قال بعض الزجالة** هذا المطلع

، من الكرك جانا الظاهر ، وجب معو اسد الغابة ، ودولتك يا امير منطاش ، ما كانت الا كذابه ،

ولما دخل الملك المنصور امير حاج الى دور الحرم اقام بها الى ان مات على فراشه في ليلة الاربعا تاسع عشر شوال سنة اربعة عشر وثمان ماية وذلك في دولة الملك الناصر فرج ابن برقوق وصلي عليه بالقلعة ودفن في تربة جدته خوند بركة التي بالتبانة ومات وله من العمر نحو سبعة واربعين سنة وقيل انه مات وهو منكد في الفراش مما حصل له في يوم وقعة شقحب لما كبس عليه الملك الظاهر برقوق قاسى الطرب بما له معه حتى مات وقد قال القايل

، اصبر لدهر نال منك فهكذا ، مضت الدهور ،
، فرحا وحزنا تارة ، لا الحزن دام ولا السرور ،

انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المنصور امير حاج بن الاشرف شعبان على سبيل الاختصار

ذكر عود الملك الظاهر برقوق ابن آنص وقيل آنس العثماني

وهي السلطنة الثانية فلما حضر من دمشق ودخل الى القاهرة وجلس في باب السلسلة كما تقدم ذكره فلما بايعه الخليفة بحضرة القضاة فاحضر له خلعة السلطنة فلبسها وركب من المقعد وطلع من المقعد وطلع من باب سر المقصر وجلس على سرير الملك وذلك في يوم الاربعا رابع عشر صفر سنة اثنين وتسعين وسبعماية ومن العجايب ان سلطنته الاولى كانت في يوم الاربعا فلما جلس على سرير الملك فنودي باسمه في القاهرة وضجوا له الناس بالدعا وبطل القيل والقال من بين الناس وقال القايل في المعنى

، ملك به اخضر الزمان كانما ، ايام دولته ربيع ثاني ،

فلما تم امره في السلطنة عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامراء وهم المقر السيفي سودون المحمدي الشيخوني واستقر به نايب السلطنة على عادته واخلع على المقر السيفي اينال اليوسفي واستقر اتابك العساكر عوضا عن قريبغا الافضلي منطاش واخلع على المقر السيفي كمشبغا الاشرفي المعروف بالخاصكي واستقر به امير مجلس واخلع على الامير الطنبغا الجوباني واستقر به راس نوبة النوب على عادته واخلع على الامير بطا الذي جرى منه ما تقدم ذكره واستقر به دوادار كبير واخلع على الامير بكلمش العلاي واستقر به امير اخور كبير واخلع على الامير بجاص السودوني واستقر به حاجب الحجاب ثم رسم بالافراج عن المقر السيفي يلبغا الناصري الذي كان نايب حلب وخامر على السلطان وجرى منه ما جرى وكان سببا لزوال ملك الظاهر برقوق كما تقدم فلما عاد الملك الظاهر في هذه المرة زال ما كان بينه وبين يلبغا الناصري من العداوة ورسم بالافراج عنه فلما حضر اخلع عليه واستقر امير سلاح ولما نفي يلبغا الناصري كان اتابك

العساكر فلما رجع في هذه المرة استقر امير سلاح ثم ان الملك الظاهر افرج عن جماعة كثيرة من الامرا ممن كان في السجن بثغر الاسكندرية فلما حضروا اخلع على الامير الطنبغا الجوباني واستقر به نايب الشام ثم اخلع على الامير قرادمرداش الاحمدي واستقر به نايب طرابلس واخلع على الامير مامور القلمطاوي واستقر به نايب حماه واخلع على الامير ارغون العثماني نايب ثغر الاسكندرية واخلع على الامير مقبل الرومي واستقر به امير جاندار وانعم على جماعة من الامرا بتقادم الوف وامريات اربعين وامريات عشرة واستقامت اموره في السلطنة اعظم من المرة الاولى ثم بعد ذلك اخلع على جماعة من المباشرين فاخلع على القاضي علاي الدين الكركي العامري واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية واخلع على القاضي موفق الدين ابي الفرج واستقر به ناظر الجيوش المنصورة ووزير الديار المصرية على عادته واخلع على القاضي كريم الدين بن عبد العزيز واستقر به ناظر الخواص الشريفة واخلع على الامير قرقماس الطشتمري واستقر به استادار العالية فثبتت قواعد دولته واجرى كل واحد على عادته فكان احق بقول القايل

تاب الزمان اليك مما قد جنى … والله يامر بالمتاب ويقبل
ان كان ما قد مضى من زمانك قد مضى … باساة قد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الثاني الذي … ارضاك فيما قد جناه الاول
والعسر بعد اليسر موعود به … والنصر بالفرج القريب موكل
والله قد ولاك امر عباده … لما ارتضاك ولاية لا تعزل
واذا تولاك الاله بنصره … وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

فلما كان يوم الثلاثا خامس ربيع الاول من سنة اثنين وتسعين وسبعماية فيه جلس السلطان في الميدان تحت القلعة وحكم بين الناس على عادته ثم بعد مدة ايام قبض على جماعة من الامرا وهم يلبغا المنجكي وطنبغا السيفي تمرباي وصربغا الناصري وتنكز المحمدي وعلى الحركتمري ومنكلي بغا المنجكي فلما قبض عليهم قيدهم وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع على القاضي سعد الدين بن البقري واستقر به وزيرا عوضا عن موفق الدين ابي الفرج واخلع على الصاحب علم الدين سنبره واستقر به ناظر الدولة الشريفة وكان في قديم الزمان ان الوزير اذا انفصل عن الوزارة يستقر ناظر الدولة طوعا او كرها ويلزمه السلطان بذلك ثم لما كان يوم الاحد رابع عشر ربيع الاول حضر الى الابواب الشريفة السيفي كزل مملوك يلبغا الناصري وصحبته جماعة من اعيان دمشق فاخبروا بان منطاش قد ملك مدينة بعلبك وقد التف عليه جماعة من عسكر دمشق ومن عسكر صفد ومن عسكر طرابلس والتف عليه عربان كثيرة من عربان جبل نابلس وقد نهب عدة ضياع من البلاد الشامية فاخذ السلطان حذره منه وفيها في يوم الاربعا سادس عشر ربيع الاول فيه اخلع السلطان على الامير

جمال الدين محمود بن علي الظاهري واستقر به استادار العالية وناظر الخواص الشريفة ومشير الدولة الشريفة فتزايدت عظمته الى الغاية واخلع على الامير علاي الدين ابن الطبلاوي واستقر به والي القاهرة عوضا عن الصارمي وفي يوم الخميس حادي عشرين رجب جاءت الاخبار من حلب بان منطاش ارسل شخصا يسمى تمان تمر الاشرفي الى مدينة حلب وحاصرها وزعم ان منطاش قد ولاه على حلب وكان نايب حلب كمشبغا الحموي قد ثقل امره على اهل حلب فما صدقوا بهذه الحركة فحاصروا نايب حلب اشد المحاصرة وتعصبوا الى منطاش فنقبوا القلعة من ثلاثة مواضع فصار كمشبغا نايب حلب يقاتلهم داخل النقب على السرج واستمر على ذلك نحو ثلاثة اشهر فانتصر كمشبغا نايب حلب على تمان تمر الاشرفي الذي ولاه منطاش على حلب فانكسر تمان تمر وولى هاربا ثم ان كمشبغا نايب حلب اخذ في اسباب عمارة ما تهدم من سور المدينة وزاد في تحصينها ثم بعد مدة جاءت الاخبار بان منطاش توجه الى طرابلس ومعه جماعة من العسكر فحاصر المدينة وملكها وهرب من كان بها من الامرا والنايب وهرب اكثر اهلها الى دمشق ثم بعد مدة جاءت الاخبار من دمشق بان منطاش حاصر دمشق بمن معه من العساكر وكانوا اعوام دمشق يميلون الى منطاش ويكرهون الملك الظاهر برقوق فاتفقوا مع منطاش بان يسلموه البلد تحت الليل فلما بلغ ذلك الى الامير ايتمش البجاسي والامير يلبغا الناصري والامير الطنبغا الاشرفي ركبوا بعد العشا وخرجوا الى ظاهر دمشق واتفقوا مع منطاش ومع عوام دمشق وقعة عظيمة فقتل في تلك الليلة من الفريقين نحو الف انسان ثم رجع عسكر دمشق الى المدينة وفي عقيب هذه الوقعة وثبوا مماليك الطنبغا الجوباني نايب الشام على استاذهم فقتلوه وهربوا من دمشق وتوجهوا الى عند منطاش فلما بلغ السلطان ذلك فارسل تقليدا الى يلبغا الناصري واستقر به نايب الشام عوضا عن الطنبغا الجوباني ثم بعد مدة جاءت الاخبار بان الامير جبق الكمشبغاوي خرج من دمشق وقصد التوجه الى نحو طرابلس فاخذه عرب بان نعير واحضروه الى منطاش فقتله بين يديه ثم بعد مدة جاءت الاخبار بان منطاش توجه الى نحو عنتاب فالتف عليه جماعة كثيرة من التركمان فحاصروا مدينة عنتاب اشد المحاصرة فملكها وهرب النايب الذي كان بها فلما دخل الليل جمع نايب عنتاب جماعة كثيرة من التركمان وكبس على منطاش فقتل من عسكره نحو مايتي انسان وهرب منطاش الى نحو الزاوية فلما بلغ السلطان هذا الخبر انشرح له ونزل الى الرماية في بركة الحاج ولما عاد من الرماية دخل من باب النصر وشق من القاهرة وزينت له ولاقته اليهود والنصارى ومعهم الشموع موقودة وفي ذلك اليوم دخل السلطان الى بيت الامير قطلوبغا الدوادار الكبير وسلم عليه فانه كان مريضا ثم ان السلطان طلع الى القلعة وكان له يوما مشهودا فانه من حين اتى من الكرك لم يشق من القاهرة سوى ذلك اليوم فضجوا له الناس بالدعا وفي هذه

السنة عملت خوند اخت الملك الظاهر برقوق كسوة جليلة للحجرة الشريفة صلى الله عليه وسلم وستارة زركش لباب الحجرة الشريفة فشقت بذلك من القاهرة وكان يوما مشهودا وسبب ذلك انها نذرت لان عاد اخيها الى السلطنة تكسو الحجرة الشريفة ففعلت ذلك وفي هذه السنة عزل السلطان الصاحب سعد الدين بن البقري واستقر بالجناب الناصري محمد بن الحسام السقري عوضا عنه في الوزاره فلما تولى البقري طلب الوزرا المنفصلين فلما حضروا استقر بالصاحب شمس الدين المقسي ناظر الدولة واستقر بالصاحب سعد الدين بن البقري ناظر البيوتات ومستوفي الدولة واستقر بالصاحب موفق الدين ابي الفرج مستوفي الصحبة واستقر بالصاحب فخر الدين بن مكانس مستوفي الدولة فاطلق عليه وزير الوزرا لانه كان مستوفي على ارباب الوظايف والدين المزد فاستمروا على ذلك مدة يسيرة ثم ان السلطان غضب على الصاحب فخر الدين بن مكانس وضرب علقة قوية وعلقه من رجليه بسرياق وهو منكوس على راسه نصف نهار ثم ان بعض الامرا شفع فيه فانزلوه فقال في هذه الواقعه رحمه الله

وما نقلت بالسرياق منتكسا ❊ لزلة اوجبت تعذيب ناسوتي

لاكنني مذ نفثت السحر من غزلي ❊ عذبت تعذيب هاروت وماروت

وفي هذه السنة كانت وفاة الشيخ صلاح الدين خليل ابن ايبك الصفدي وكان من اعيان فحول الشعرا وله شعر جيد من البديع وله تذكرة لطيفة وعدة مصنفات جليلة غريبة المعاني وفي ايام الظاهر برقوق كانت وفاة الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة وكان اصله مغربي من تلمسان وكان من اهل الفضل والعلم وله شعر جيد في فن البديع وهو صاحب كتاب السكردان وكتاب ديوان الصبابة وله غير ذلك مصنفات كثيرة وكان شيخ المدرسة المنجكية التي عند الصوة انتهى ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وسبعماية فيها حضر الى الابواب الشريفة المقر السيفي كمشبغا الحموي نايب حلب واخبر السلطان بان اكثر التركمان والعربان خامروا وخرجوا عن الطاعة والتفوا على منطاش فلما سمع السلطان ذلك جمع الامرا وضربوا مشورة في امر منطاش وفيها طلب السلطان الامير حسين ابن باكيش نايب غزه فلما حضر بين يديه عراه وضربه بالمقارع ثمانين شيبا وكان ابن باكيش وقع منه في حق السلطان لما خرج من الكرك امور اعظيمة وجمع له العربان وحاربه اشد المحاربه حتى كاد السلطان ان ينكسر فبقي عند السلطان هذا الكمين حتى انتقم منه بعد ذلك فكان كما قيل في المعنى

❊ وقد يرجى لجرح السيف برء ❊ ولا يرجى لما جرح اللسان ❊

وفيها حضر الامير ايتمش من الشام هو وجماعة من الامرا وكانوا توجهوا الى الشام بسبب منطاش فبلغ السلطان انهم كانوا متفقا ملونا على الفساد مع منطاش فلما حضروا قبض منهم جماعة ونفاهم الى ثغر الاسكندريه وفيها جات الاخبار بان منطاش قد ملك

حماه وحمص وبعلبك ولم يشوش على احد من اهلها فمالوا اليه الرعيه وصاروا يسلموه المدن من غير قتال ثم ان منطاش توجه الى الشام وحاصر المدينة فخرج اليه نايب الشام فهرب منطاش الى جبل بالقرب من طرابلس فتبعه نايب الشام فجاء منطاش من وراء ذلك الجبل وجاء الى دمشق فلم يجد بها احد من الامرا ولا النايب ففتحوا له اعوام دمشق باب كيسان الصغير فدخل منه الى المدينه ونهب الاسواق واخذ اموال التجار وكبس الاسطبل الذي بالشام واخذ منهم ثمان مايه فرس والتف عليه جماعة من عسكر دمشق فقوي شوكته وراج امره فلما بلغ السلطان ذلك فنادى للعسكر بالعرض وقوي عزمه الى الخروج الى منطاش وعلق من يومه الجاليش ثم عرض العسكر ونفق عليه في يومه فلما كان يوم الاثنين ثاني عشرين شهر شعبان فيه خرج السلطان وتوجه الى نحو الريدانيه فخرج في موكب عظيم وطلب طلبا عظيما وخرج معه امير المومنين المتوكل والقضاة الاربع وساير الامرا فلما استقر بالريدانيه طلب الامير حسين بن باكيش نايب غزه وكان مسجونا بخزانة شمايل فلما حضر بين يديه امر بتوسيطه واحضر جماعة من الامرا كانوا في خزانة شمايل من عصبة منطاش فامر بتوسيطهم فهلكوا اجمعين ثم ان السلطان جعل المقر السيفي كمشبغا الحموي نايب الغيبة بمصر الى ان يعود اليها وكان كمشبغا الحموي من حين حضر من حلب وهو مقيم بمصر وكان الملك الظاهر يميل اليه من دون ساير الامرا فاختاره بان يكون نايب الغيبة الى ان يعود السلطان الى مصر ورسم السلطان للمقر السيفي سودون الفخري نايب السلطنة بان يقيم في القلعة الى ان يعود السلطان ورسم للامير بجاس النوروزي بالاقامة في الايوان الذي بالقلعة وترك عندهم ستماية مملوك وترك بالقاهرة من الامرا المقر السيفي قطلوبغا الصفوي حاجب الحجاب والامير بجاس السودوني ومن الامرا العشراوات والحجاب نحو عشرين اميرا ثم ان السلطان رحل من الريدانيه وقصد التوجه الى البلاد الشاميه فلما رحل السلطان من القاهرة عرض نايب الغيبة اولاد الناس اجناد الحلقه وعين منهم نحو مايتين انسان بان يتوجهوا الى نحو الصعيد ويقيمون عند الكاشف بسبب فساد العربان ثم بعد مدة ايام حضر الامير سودون الطيار على خيل البريد وعلى يده مثالات شريفه الى الامرا بالقاهرة فكان من مضمونها ان السلطان لما وصل الى الشام هرب منطاش من وجهه وتوجه الى نحو بلاد التركمان فلما سمعوا الامرا بذلك فدقوا وتادوا بالزينة فزينت القاهرة سبعة ايام قيل لما دخل السلطان الى دمشق خافوا منه اهل دمشق وهموا بالهروب من المدينة وقد تقدم ان اهل دمشق لما خرج الملك الظاهر برقوق من الكرك ودخل الى الشام رجموه واخرجوه من الشام هاربا على وجهه ونهبوا بركه وقماشه كما تقدم فلما دخل اليهم هذه المرة وبلغه انهم خايفون منه فنادى لهم بالامان والاطمان والبيع والشرا وان الماضي لا يعاد ونحن اولاد اليوم فضجوا له الناس بالدعا وسكن ما كان عندهم من الاضطراب ثم ان السلطان اقام في دمشق اياما وتوجه الى حلب فلما

خرج من دمشق فجاءه نعير ابن حيار امير العرب وزهب ضياع دمشق وكان نعير عاصيا
على السلطان وهو ملتف على منطاش واخرب غالب البلاد الشامية ونهب ضياعها فلما
بلغ نايب الشام مجى نعير خرجوا اليه والتقوا معه وقعة قوية فى مكان يسمى الكسوة
فانكسر نايب الشام وقتل من عسكر دمشق نحو خمسة عشر اميرا ثم رجع نعير الى بلاده
ورجع نايب الشام الى دمشق ثم بعد مدة جات الاخبار من حلب بان السلطان قد قبض
على يلبغا الناصرى وعلى جماعة من الامرا وسجنهم بقلعة حلب ثم قتلهم عن اخرهم وكانوا نحو
ثلاثة وعشرون اميرا وكان سبب ذلك ان الامير سالم الدوكارى امير التركمان ارسل
يعرف السلطان بان يلبغا الناصرى ارسل اليه كتاب وهو يقول فيه خذ منطاش واهرب
به الى بلاد الروم فان كلما كان منطاش موجود فنحن موجودين ثم ان الامير سالم
الدوكارى ارسل الكتاب يلبغا الناصرى على يد قاصده فلما تحقق السلطان صحة ذلك
طلب الامرا فلما حضروا قرا عليهم كتاب يلبغا الناصرى الذى ارسله الى الامير سالم
الدوكارى ثم ان السلطان وبخ يلبغا الناصرى بالكلام فى ذلك المجلس فلم ينطق بحجة
واعتقد لسانه عن الكلام فنعوذ بالله من زلة العقل كما قيل فى المعنى
وانى رايت المرء يشقى بعقله ۞ كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل ۞
ثم ان السلطان قبض على يلبغا الناصرى وعلى جماعة من الامرا وسجنهم بقلعة حلب
ثم امر بقتلهم فقتلوا ثم جات الاخبار بان السلطان استقر بالامير بطا الدوادار
نايب الشام واستقر بالامير جلبان الكمشبغاوى نايب حلب واستقر بالامير اياس
الجرجاوى نايب طرابلس واستقر بالامير قرا دمرداش المحمدى نايب حماه واستقر
بالامير ابا يزيد دوادار كبير عوضا عن الامير بطا ثم جات الاخبار بان السلطان
خرج من حلب وهو قاصد نحو الديار المصرية وقد اصرف على هذه التجريدة جملة مال
ولم يظفر بمنطاش وفى هذه السنة توفى الشيخ شهاب الدين بن النقيب وكان من اعيان
العلما وتوفى الشيخ بهاء الدين السبكى وتوفى الشيخ جمال الدين الاسنوى وتوفى الشيخ
شهاب الدين الاوزاعى والشيخ زين الدين بن حبيب وتوفى ابن رافع وتوفى الشيخ عماد الدين
الحسبانى وكان من اعيان العلما بمصر ثم دخلت سنة اربع وتسعين وسبعمائة
فيها فى ثانى عشر المحرم حضر الى الابواب الشريفة الامير بهادر الشهابى مقدم المماليك
السلطانية وصحبته حريم السلطان فان السلطان كان قد تزوج فى دمشق بنت
الامير على بن اسندمر نايب الشام كان واخبر بان السلطان خرج من غزة ثم جات
الاخبار بان السلطان قد وصل الى بلبيس فخرجوا الامرا الى تلقيه ونادوا فى القاهرة
بالزينة فلما كان يوم الخميس سابع عشر المحرم وصل السلطان وطلع الى القلعة من باب
التربة ولم يشق من المدينة وفرشت له الشقق الحرير من قبة النصر الى راس الصوة
وحملت على راسه القبة والطير ولعبوا قدامه بالغواشى الذهب فطلع الى القلعة

فى موكب عظيم وكان له يوما مشهودا ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع على الحجاب الوكنى
عمر بن قايماز وهو صاحب الحوض والسبيل الذى خارج الحسينية واستقر به وزيرا
بالديار المصرية عوضا عن الناصرى محمد بن الحسام الصقرى بحكم وفاته واخلع السلطان
على الحاجب الناصرى محمد بن الامير جمال الدين محمود الاستادار واستقر به نايب ثغر
الاسكندرية وفيها تزوج السلطان ببنت الشهابى احمد بن الطولونى معلم المعلمين وفيها
جاءت الاخبار بان الامير بطا الذى تولى نايب الشام قد اشتغل بالوفاة الى رحمة الله فاخلع
السلطان على الامير سودون الطرنطاى واستقر به نايب الشام عوضا عنه وفيها
جاءت الاخبار من دمشق بان جماعة من المماليك نحو خمسة عشر مملوكا هجموا على باب
قلعة دمشق وقت الظهر وتوجهوا الى نحو السجن الذى بها واخرجوا من كان به من
المحابيس الذى من عصبة منطاش وكانوا نحو مايتين مملوكا فلما خرجوا اولئك المحابيس
قويت شوكتهم فهجموا على نايب القلعة وقتلوه وملكوا القلعة فلما بلغ ذلك من كان
بدمشق من العسكر فلبسوا آلة الحرب وركبوا وحاصروا من بالقلعة واقاموا على ذلك
ثلاثة ايام فقتل من عسكر الشام جماعة كثيرة ثم بعد ذلك هجموا عسكر دمشق على باب
القلعة واحرقوه ودخلوا الى القلعة ثم قبضوا على ذلك المماليك كلهم ووسطوهم
تحت باب القلعة وفيها فى يوم الاثنين حادى عشر جمادى الاول طلع الامير جمال الدين
محمود الاستادار الى القلعة على جارى العادة فلما نزل من القلعة فتجمعوا المماليك التى
بالطباق فهرب منهم فتبعوه الى الرميلة وضربوه بالدبابيس وضربوا القاضى سعد
الدين ابن تاج الدين موسى ناظر الخواص الشريفة فلما بلغ الامير اينمش البجاسى ذلك
ركب هو ومماليكه وردوا المماليك عنهم وادخلهم الى بيته واغلق عليهم الباب
فاقاموا عنده الى اخر النهار فارسل معهم مماليكه حتى اوصلوهم الى بيوتهم فاقاموا فى
بيوتهم مدة لم يركبوا حتى اصطلحوا مع المماليك وفيها اخلع السلطان على القاضى تاج
الدين بن ابو شاكر واستقر به وزيرا عوضا عن عمر بن قايماز وفيها فى العشرين من
شعبان توعك جسد السلطان واقام مدة وهو منقطع فى الحريم ثم حصل له الشفا
فخرج الى الخدمة ونودى فى القاهرة بالزينة فزينت سبعة ايام وفيها جاءت
الاخبار بان نايب الشام سودون الطرنطاى قد اشتغل بالوفاة الى رحمة الله تعالى
فاخلع السلطان على المقر السيفى كمشبغا الاشرفى الخاصكى امير مجلس واستقر به
نايب الشام عوضا عن سودون وفيها تغير خاطر السلطان على جماعة من الامرا فقبض
عليهم وسجنهم فى ابراج القلعة ثم امر بخنقهم فخنقوا تحت الليل ودفنوا وفيها فى
شوال عمل السلطان الموكب واخلع على المقر السيفى بكلمش العلاى واستقر به امير سلاح
واخلع على المقر السيفى شيخ الصفوى واستقر به امير مجلس وكان الامير شيخ من مماليك
الظاهر برقوق وفيها فى العشرين من شوال عمل السلطان الموكب واخلع على المقر السيفى

تانی بك اليحياوی واستقر به امير اخور كبير عوضا عن بكلمش العلاى واخلع على قاضى
القضاة جمال الدين بن البيضرى الحنفى واستقر به ناظر الجيوش المنصورة مضافا
لما بيده من قضاية الحنفيه ومشيخة الخانقاه الشيخونيه وهذا لم يتفق لاحد قبله من القضاه
الاعيان فيما تقدم **وفيها** جآت الاخبار بان منطاش حضر الى حلب مع جماعة من التركمان
فحاصر المدينة فخرجوا اليه عسكر حلب واتقعوا معه فكسروه ورجع هاربا الى الغواة ثم
حضر قاصد نعير وعلى يده كتاب من عند نعيره وكان مضمونه انه ارسل يطلب من السلطان
اربع بلاد وهو يلتزم بمسك منطاش فقال السلطان للامير ابا يزيد الدوادار اكتب له
انت كتابا عن لسانك انك ان مسكت منطاش نعطيك جميع ما قد طلبته وزيادة على
ذلك فارسل اليه الامير ابا يزيد الجواب عن ذلك وفى هذه السنة كانت وفاة الشيخ
عماد الدين بن كثير المورخ صاحب كتاب البدايه وتوفى الشيخ سراج الدين الهندى شارح
البديعه وتوفى الشيخ شهاب الدين الاوزاعى وتوفى القاضى ابو البقا السبكى وفيها
فى ذى الحجة توفى الصاحب فخر الدين بن مكانس القبطى صاحب الاشعار اللطيفة تولى عدة
وظايف بمصر **ثم دخلت** سنة خمس وتسعين وسبعماية فيها اخلع السلطان
على الشيخ بدر الدين المناوى وولاه قاضى القضاه الشافعية بمصر عوضا عن قاضى
القضاه عماد الدين الكركى **وفيها** اخلع السلطان على المقر السيفى تنم الحسنى واستقر
به نايب الشام عوضا عن كمشبغا الاشرفى بحكم وفاته **وفيها** جآت الاخبار من حلب
بان منطاش ونعير توجهوا الى مدينه حماه بمن معهم من العساكر فخرج اليهم نايب حماه
فاقتتل معهم وقعة قوية فانكسر نايب حماه وهرب فدخل منطاش ونعير الى المدينة
ونهبوا اسواقها واخذوا اموال التجار فلما بلغ نايب حلب ذلك ركب هو وعساكر حلب
وكبس على بلاد نعير ونهب امواله واخذ اولاده ونساه واحرق بيوته وقتل من عربانه مالا
يحصى عددهم **وفيها** اخلع السلطان على المقر السيفى قلمطاى العثمانى واستقر به دوادار
كبير عوضا عن الامير ابا يزيد بحكم وفاته **وفيها** مرض السلطان مرضا شديدا حتى اشرف
على الموت وارجفت القاهرة بموته من شدة قهره من منطاش ثم شفى وركب وشق المدينة
ثم زينت له القاهرة وكان له يوما مشهودا وموكبا عظيما **وفيها** حضر الى الابواب
الشريفة مملوك نايب حلب واخبر بان نعير قبض على منطاش وسلمه الى نايب حلب فكان
كما قال سيف السلطان طويل وقد قيل فى المعنى

قالت ترقد عيون الحى انهما ، عينا عليك اقامتا لم تنم

وكان سبب مسك منطاش ان نعير بن حيار ارسل يطلب من نايب حلب اولاده ونساه
الذى اسرهم كما تقدم فارسل نايب حلب يقول له ما اطلق لك اولادك ونسايك حتى
تسلمنا منطاش وكان منطاش تزوج من بنات نعير واستنسل منهم فلما راى
نعير ان السلطان ونايب حلب عليه وقد نهبوا امواله ومواشيه واسروا اولاده

ونسايه فقصد نعير ان يرضى السلطان بمسك منطاش حتى يزول ما عنده مما جرى منه الى
حق السلطان كما تقدم ثم ان نعير ندب الى منطاش اربع عبيد غلاظ شداد فلما اتوا اليه احس
بالشر وكان راكبا على هجين فنزل عنه وركب على فرس فمسك بعض العبيد لجام الفرس وقال
له كلم الامير نعير فقال منطاش وايش يعمل فى نعير فتكاثروا عليه العبيد فانزلوه عن فرسه
واخذوا سيفه منه فقالهر منطاش وعوق حتى ابول فقعد الى جانب حايط وكان فى تكة
لباسه خنجر فشق به بطنه فغشى عليه فحملوه العبيد واتوا به الى نعير فتبهره وارسله
الى نايب حلب وارسل معه جماعة من العربان حتى سلموه الى نايب حلب فكان دخل الى حلب
كان له يوما مشهودا فتسلمه نايب حلب وسجنه بالقلعة وكتب بذلك محضرا وارسله
الى السلطان فلما تحقق السلطان صحة هذا الخبر اخلع على القاصد خلعة عظيمة ودقت
الكوسات وزينت القاهرة سبعة ايام وشفى السلطان لما ظفر بمنطاش ما قاساه من
التعب ومن القهر ومن المال الذى اصرفه على التجاريد فكان كما قيل

اذا ظفرت من الدنيا بغير بكم ، فكل ذنب جناه الدهر مغفور

ثم ان السلطان عين الامير طولو من على شاه الى حلب ليحضر منطاش فلما وصل الى حلب
تسلم منطاش وجعل يعاقبه ويعصره ويقرره على الاموال الذى نهبها من البلاد
فلم يقر بشى ودخل عليه النزاع فقطع الامير طولو راسه ووضعها فى علبة ثم خرج من
من حلب وجعل يطوف براس منطاش فى كل مدينة يدخلها حتى وصل بها الى القاهرة
فكان يوم دخولها الى القاهرة يوما مشهودا وزينت المدينة زينة عظيمة فشقوا
براس منطاش فى القاهرة ثم طلعوا بها الى القلعة ثم رسم السلطان بان تعلق فى باب
زويله فعلقت ثلاثة ايام ثم دفنت وقلعت الزينة وانقضى امر منطاش وقد هنا
السلطان بعض الشعرا بهذين البيتين وهو قوله

كان فجاج الارض يمناك ان تسر ، بها خايف يجمع عليه الانامل
فاين يفر المرء منك بجرمه ، اذا كان يطوى فى يديك المراحل

ثم ان السلطان ارسل الى نعير خلعة واقره على عادته امير آل فضل فما صدقوا الناس
ان فتنة منطاش قد خمدت عنهم فاستانفت الهم فتنة اخرى وما ذاك الا فى عقيب
ذلك حضر طواشى رومى حبشى صفى الدين جوهر ارسله صاحب ماردين فاخبر بان
تمرلنك قد اخذ توريز ثم حضر عقيب ذلك قاصد صاحب بسطام فاخبر بان
تمرلنك قد اخذ شيراز ثم حضر قاصد نايب الرحبه واخبر بان القان احمد بن اويس
قد وصل الى الرحبه وهو هارب من تمرلنك وقد احاط على بلاده وملكها وكان سبب
اخذ تمرلنك بلاد القان احمد بن اويس وهى مدينة بغداد وما ذاك الا ان تمرلنك
ارسل الى القان احمد كتابا وهو يسترقق فيه انا ما جيتك لحارب وانما جيتك خاطب
اتزوج باختك وازوجك بنتى ففرح القان احمد بذلك وظن ان الكلام صحيح فكان

كما قيل

لا تركنن الى الخريف فماؤه ، مستوخم وهواه خطاف

يمشي مع الاجسام مشي صديقها ، ومن الصديق على الصديق يخاف

وكان القان احمد استعد الى قتال تمرلنك وجمع له العساكر فلما اتى اليه قاصد تمرلنك بهذا الخبر فثنى عزمه عن القتال واستعاذ من العساكر الذى تدجمهم ما اعطاهم فى النفقة وامرهم بترك القتال فلم يشعر الا وقد دهمته عساكر تمرلنك من كل مكان فضاق بهم رحب الفضا فخرج اليهم القان احمد بمن بقى عنده من العساكر فبينما القان يتقاتل مع عسكر تمرلنك ففتحوا اهل بغداد بقية ابواب المدينة وقد خافوا اهل بغداد على انفسهم مما جرى عليهم من هولاكو فى ايام الخليفة المستعصم بالله وقد تقدم ذكر ذلك فى اول التاريخ عند اخبار الخلفا العباسية فى الجزء الثانى فلما راى تمرلنك ابواب المدينة مفتحة قد دخل الى المدينة وملكها ولم يجد من يرده منها فلما بلغ القان احمد ذلك فما امكنه الا الهروب فاتى الى جسر هناك فعدى من عليه ثم قطعه فلما بلغ عسكر تمرلنك ذلك فتبعوا القان احمد وخاضوا خلفه فى الما فهرب منهم القان احمد فتبعوه مسيرة ثلاثة ايام فلما حصلت له هذه الكسرة فقصد التوجه الى نحو الديار المصرية ثم حضر قاصد نايب حلب واخبر بان القان احمد بن اويس قد وصل الى حلب فلما تحقق السلطان ذلك وصح هذا الخبر جمع الامرا واستشارهم فيما يكون من امر القان احمد فوقع الاتفاق من الامرا على ان السلطان يرسل اليه الاقامات والملاقيه فعند ذلك عين السلطان الامير ازدمر الشرفى وصحبته الاقامات وما يحتاج اليه القان احمد من مال وقماش وغير ذلك فخرج الامير ازدمر على جرايد الخيل ثم فى عقيب ذلك حضر الى الابواب الشريفة قاصد ابو يزيد بن مراد بك بن عثمان ملك الروم وعلى يده تقادم عظيمة للسلطان وكان سبب مجى قاصد بن عثمان انه ارسل يخبر السلطان بامر تمرلنك ويحذره عن الغفلة فى امره وارسل يطلب من السلطان حكيما حاذقا فى صنعة الطب وادوية توافق مرضه الذى كان يشكوا به فانه كان يشكوا بضربان المفاصل فلما وقف السلطان على مطالعة ابن عثمان وعلم ما فيها فعين له الرئيس شمس الدين بن صغير وارسل صحبته حاملين من الادويه التى توافق مرضه وارسل اليه هدية عظيمة على يد قاصد من عند السلطان ثم حضر عقيب ذلك قاصد صاحب ماردين واخبر بان تمرلنك ملك بلاد الاكراد واخبر بان الملك محمود شاة استاد تمرلنك قد توجه الى نحو البصرة وحاصر اهلها فجمع صاحب البصرة جماعة كثيرة من العساكر والعربان والتقى مع عساكر الملك محمود شاة فكان بينهما وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها فقتل بها الملك محمود شاة استاد تمرلنك واسر بها ابن تمرلنك وكان اكبر اولاده وقتل بها من عسكر تمرلنك ما لا يحصى عددهم فلما قتل الملك محمود شاة واسر ابن تمرلنك فارسل تمرلنك يطلب من صاحب البصرة الامانا

وانه يطلق اليه ولده ومن عنده من الاسرى فارسل اليه صاحب البصرة وهو يقول له ما اطلق لك ولدك ولا الاسرى الذى عندى حتى تطلق ابن القان احمد بن اويس الذى عندك وجميع ما عندك من الاسرى فلما سمع تمرلنك هذا الجواب تحنق منه وارسل عسكرا ثقيلا وحاصر البصرة فلم يقدر عليها وقتل من عسكره ما لا يحصى عددهم ودخل عليه الشتا فرحل الى بلاده يجمع العساكر ويرجع الى حصار البصرة فلما تواترت الاخبار بذلك فرسم السلطان للامير علاى الدين ابن الطبلاوى والى القاهرة بان ينادى فى القاهرة للعسكر بالرمى فى الميدان بسبب تمرلنك الخارجى وجعل ميعاد هذه المناداه ثلاثة ايام متواليه بان لا يتاخر عن العرض لا كبير ولا صغير وعلق الجاليش فاضطربت احوال الدنيا والمصريين وما صدقوا العسكر بان فتنة منطاش قد خمدت فانتشت لهم هذه الفتنة العظيمة الطميه فكان كما قيل

ونستقبل ما برحنا ، نتمنى البعد عنه

غاب عنا فرحنا ، جانا اثقل منه

وفى هذه السنة توفى من الاعيان عبد الرحمن ابو تشفين صاحب تلمسان ملك الغرب وتولى من بعده اخيه محمد وتوفى قاضى القضاة ناصر الدين الكنانى العسقلانى الحنبلى وتولى بعده القاضى موفق الدين الحجاوى المقدسى الحنبلى وتوفى قاضى القضاه شهاب الدين الزهرى الشافعى وتوفى الصاحب شمس الدين المقسى وزير الديار المصريه وناظر الخواص الشريفه ودفن فى جامعه الذى انشاه فى باب البحر المطل على الخليج الناصرى وتوفى الشيخ سراج الدين بن الملقن والقاضى ابو البقا السبكى وغيره من الاعيان ثم دخلت سنة ست وتسعين وسبعماية فيها جاءت الاخبار بان القان احمد بن اويس قد وصل الى غزه فارسل له السلطان الملاقاة ثم ان القان احمد وصل الى الريدانيه فى يوم الثلاثا سابع ربيع الاول سنة ست وتسعين فنزل السلطان من القلعة وخرج الى تلقيه فلما وقعت عين السلطان على القان احمد بن اويس فترجل له عن فرسه وترجل القان احمد ايضا ثم اعتنقا ثم ان السلطان اتى بقبى حرير بقنبجى قمزى بفاخر بطرز ذهب عريض فالبسه للقان احمد واحضر له فرس بوز بسرج ذهب وكنبوش فاركبه اياه وركب السلطان ومشى القان احمد عن يمينه فطلعا من بين الترب فلما وصلا الى راس الصوه فطوب السلطان له وثنى عنان فرسه فنزلت الامرا مع القان احمد الى بيت الامير طقتمر المطل على بركه الفيل فنزل به وتولوا معه الامرا فمد له السلطان هناك سماطا عظيما فاكل واكلت الامرا معه ثم قاموا الامرا وتوجهوا الى بيوتهم وقام القان احمد ودخل الى البيت ثم ان السلطان ارسل الى القان احمد تقدمة عظيمة وهى طوالة خيل خاص بسروج ذهب وكجابيش وعشرون مملوكا صغيرا وعشرين جارية ابكار وما يتبع تفصيله اسكندرانى وخمسة الاف دينار برسم النفقه ثم بعد ايام جاءت الاخبار من نايب حلب بان جاليش تمرلنك قد وصل الى الرحبا فلما تحقق السلطان ذلك فاعرض العسكر باللبس الكامل فى الميدان بحضرة القان احمد فصار السلطان كل

ثم عوضه من المماليك ليعطيه النفقه وهو دون المائة دينار فامتنعوا المماليك من الاخذ
فصار السلطان يعطي النفقه من يده للمماليك فاخذوا النفقة على كره منهم ثم ان السلطان
بعث النفقة للامرا المتقدمين وغيرهم فلما كان يوم الاحد سابع ربيع الاخر برز السلطان
خامه الى الريدانيه فلما كان يوم الخميس عاشر ربيع الاخر فيه طلب السلطان وتولى الفلز
بجر الطلب من باب الميدان الذي تحت القلعة وصار السلطان يرتب الطلب بنفسه
ويسوق في الرمله ذهابا وايابا حتى انتهى الطلب الى اخره وكان ما اشتمل عليه الطلب
ما ينيف تونس ملابسه بركستوانات حرير ومخمل ملون وكجاونين زركش فلما تكامل
خروج الطلب فخرج بعده السلطان والاتابك احمد بن اويس صحبته والخليفة المتوكل
محمد والقضاه الاربع وساير الامرا من كبير وصغير ثم ان السلطان رسم للعسكر بان يخرجوا
وهم لابسون آلة الحرب فسار السلطان في ذلك الموكب العظيم حتى وصل الى الريدانيه
فنزل بالمخيم الشريف ولما نزل من القلعة توجه الى الريدانيه من بين الترب فلما خرج
طلب السلطان ترادفت اطلاب الامرا في الخروج فلا زالوا يتسحبون الى بعد الظهر حتى انتهوا
عن اخرهم فلما استقر السلطان بالمخيم الشريف فقبض هناك على الصاحب سعد الدين بن البقري
وعلى ولده القاضي تاج الدين ثم ان السلطان اخلع على الحاجب الناصري محمد بن رجب بن كلبك
واستقر به وزيرا عوضا عن سعد الدين البقري ثم ان السلطان رحل من الريدانيه وصحبته الاتابك
احمد بن اويس وساير الامرا ثم انه جد في السير حتى وصل الى دمشق فدخل الى دمشق في يوم
الاثنين ثاني عشرين ربيع الاخر فلما دخل نزل بالقصر الابلق الذي في الميدان وحكم بين الناس
واقام بالشام اياما ثم رحل منها وتوجه الى حلب فلما اقام بحلب فحضر اليه قاصدا من عند
ابن عثمان وعلى يده مطالعات مضمونها بان يكون هو والسلطان عونا واحدا على دفع
العدو الباغي تمرلنك فاجابه السلطان الى ذلك ورد له الجواب عن ذلك بما يطيب
به خاطره ثم حضر اليه قاصد طقتمش خان صاحب دشت وعلى يده مطالعات
تضمن ما قاله ابن عثمان فاجابه السلطان كما اجاب ابن عثمان فلما اقام السلطان بحلب
فبلغه ان جاليش تمرلنك قد وصل الى البيره فصادف جماعة من عسكر السلطان فبيتوا
تحت الليل من الرماة وكبسوا عسكر تمرلنك فغنموا منهم اشياء كثيرة **قيل** ان عسكر
مصر كانوا يخبون الترب ويجعلونها تحت بطون الخيل وفي ذلك يقول القائل

ولما رمينا الرماة بخيلنا • سكرناه منها بالنوى والقواهر •
فاوقفت النيار عن جريانه • الى حيث عدنا بالهنا والغنائم •

ثم بلغ السلطان بان تمرلنك رجع الى بلاده فلما تحقق السلطان ذلك قصد الرجوع
الى نحو الديار المصريه وكذلك الاتابك احمد بن اويس رجع الى بلاده ولم يقع بين تمرلنك
وبين الظاهر برقوق قتالا في هذه المرة بل رجع كل من الفريقين الى بلاده ثم ان السلطان
رجع الى الشام فاقام بها اياما واخلع على المقر السيفي كمشبغا بن دمرداش وتوكي بن ... واستقر

به نائب حلب ونقل الامير ادغون شاة من نيابة صفد الى نيابة طرابلس واخلع على الامير
اقبغا الجمالي واستقر به نائب صفد عوضا عن ادغون شاة واخلع على الامير دقماق
المحمدي واستقر به نائب ملطيه واخلع على الامير مقبل كاور واستقر به نائب طرطوس
واخلع على الامير منكلي بغا الاسنبغاوي واستقر به نائب الرها واخلع على الامير طغنجي
واستقر به نائب قلعة المسلمين وفي هذه السنة جاءت الاخبار من بلاد المغرب بان ابن ابي
السباع صاحب تونس قد توفي الى رحمة الله تعالى واستقر ولده ابو فارس عبد العزيز
ويعرف بعزوز عوضه في مملكته وتوفي ابو العباس احمد بن ابو اسلم صاحب مدينة فاس
وتوفي ابو الحجاج يوسف المعروف بابن الاحمر صاحب بلاد الاندلس **اقول** وكان ابن
الاحمر ملك الاندلس هذا شاعرا ماهرا وله شعر جيد في البديع فمن ذلك قوله مخاطبا لمحبوبته
حمدونه الاندلسيه وهو قوله •

• ايا ربة الخال التي اذهبت نسكي • على اي حال كان لابد لي منك •
• فاما بذل وهو اليق بالهوى • واما بعز وهو اليق بالملك •

وفي هذه السنة توفي ابو العباس احمد صاحب بلاد قسطنطينية الهوارم ببلاد المغرب
توفي القاضي محي الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف بالديار المصريه وتولى من بعده القاضي
بدر الدين ابن الثنا محمود الكلستاني الحنفي وتوفي الربيبي علاي الدين بن صغير رئيس الاطبا
توفي بحلب عند رجوعه من بلاد ابن عثمان وتقدم ان السلطان ارسله الى السلطان بن عثمان
ليطبه انتهى **ثم دخلت** سنة سبع وتسعين وسبعماية فيها حضر الى مصر مملوك
الامير جمال الدين الاستادار واخبر بان السلطان خرج من دمشق وقد توجه الى زيارة بيت
المقدس ثم جاءت الاخبار بعد ذلك بان السلطان قد وصل الى الصالحية فلما كان يوم الثلاثا
ثالث عشر صفر فيه وصل السلطان ودخل القاهره في موكب عظيم ودخل من بين الترب
وفرشت له الشقق الحرير الملون من قبة النصر الى القلعة وحملت على راسه القبة والطير
ولعبوا قدامه بالغواشي الذهب وضجوا الناس له بالدعا وكان قدامه الخليفة محمد المتوكل
والقضاه الاربع وساير الامرا من الاكابر والاصاغر فلما طلع الى القلعة فاخلع على ارباب
الوظايف من المباشرين وغيرهم وفي هذه السنة في يوم السبت سادس شوال الموافق لاخر يوم
من ابيب من الشهور القبطية فيه زاد الله تعالى في النيل المبارك اربعون اصبعا في يوم واحد
ثم في ثاني يوم وهو اول يوم من مسرى فيه زاد الله تعالى في النيل المبارك اثنين وستين
اصبعا وذلك ذراعين ونصف واصبعين فبقي عليه من الوفا ذراعين ثم في يوم الثلاثا
الموافق لثالث يوم من مسرى فيه زاد الله تعالى في النيل المبارك خمسون اصبعا فاوفى
وزاد اصبعين فكان جملة ما زاده في اربعة ايام سبعة اذرع ونصف واصبعين فكان
الوفا في ثالث يوم من مسرى وهذه الزيادة لم يعهد بمثلها فيما تقدم من السنين الخالية
ولا سمع بمثل ذلك وفي ذلك يقول الشاعر • • •

النيل زاد جورا ۔ بحكمه المطاع
يميل في الرعايا ۔ بالباع والذراع

وقال آخر في المعنى

النيل افرط فيضا ۔ بفيضه المتتابع
نضار ماء دهانا ۔ حديثنا بالاصابع

وفيها كانت وفاة المعز البدرى بن فضل الله كاتب السر الشريف واخيه حمزة بعده بشهر واحد فقال البدرى وفيهما يقول بعض العالية

فقضى البدر بن فضل الله نحبا ۔ ومات حمزة اخوه بعد شهر
فلا نعجب لذا الاجلين يوما ۔ لحمزة مات حتفا بعد بدر

وفي هذه السنة جاءت الاخبار من مكة بان امير مكة الشريف على بن عجلان قد قتل والذى قتلوه من اقاربه وفيها كثر الموت بالديار المصرية ومات للسلطان ولدين وهما سيدى محمد وسيدى قاسم وفيها توفي قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن الميلق الشافعي وتوفي الشيخ غياث الدين العاقولي الواسطي وتوفي الشيخ زين الدين ابو بكر الموصلي وكان من اعيان مشايخ الصوفية انتهى ذلك ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وسبعماية فيها في يوم السبت سادس صفر تغير خاطر السلطان على الامير جمال الدين محمود الاستادار فارسل اليه طواشي فيمن شاهين الحسنى الجمدار فاخذ ولده الامير محمد واخذ نساه وسراريه وطلع بهم الى القلعة فسجن الامير محمد في البرج وسمروا على النسا واختفى الامير محمود ثم ان القاضي سعد الدين ابراهيم بن غراب وكيل بيت المال نزل الى بيت الامير محمود وهو والامير على باى الخازندار فاحتاطوا على موجود الامير محمود فظهر له في اول يوم في مكان عنده تحت سلم مايتي الف دينار وخمسين الف دينار فلما كان يوم الاثنين ثامن صفر فيه اخلع السلطان على الامير قطلوبك العلاى واستقر به استادار عوضا عن الامير محمود بن على الظاهرى واخلع على القاضي سعد الدين بن غراب واستقر به ناظر الديوان الشريف المفرد واخلع على الامير مبارك شاه واستقر به وزيرا عوضا عن الناصرى محمد ابن رجب ابن كلبك ثم ان السلطان اشتد غضبه على الامير محمد بن الامير محمود الاستادار فسلمه الى الامير علاء الدين بن الطبلاوى والى القاهرة فعاقبه اشد العقوبة وقرره على الاموال فعند ذلك انفتح الحرق على الراقع وتحنن جراحات الامير جمال الدين محمود وكثرت فيه المرافعات من الناس كما قد قيل في المعنى

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ۔ ويبتلى الله بعض الناس بالنعم

ثم ظهر للامير جمال الدين مكان خلف مدرسته التى في الزربيين فوجد فيه سبعة ازيار كبار وزلعتين فيهم فضة دراهم نقره ووجد له في ذلك المكان جرتين كبار فيهم ذهب عين ثم قبضوا على بوابه موسى وعصروه فاقر على مكان بالاسكندريه في مخزن

حار فارسلوا اليه من حفر في ذلك المكان فوجد فيه ستة وثلاثون الف دينار ومايتى الف دينار وثلاثون الف دينار ذهب عين فاحضر ذلك جميعه الى الخزائن الشريفة على يد الطواشي زين الدين صندل المنجكى الخازندار وقد قال القائل في المعنى

رايت الدرهم المضروب اضحى ۔ لكل من ماله ابدا امانه
الم ترى كل انسان حريص ۔ يحصله ويرميه الخزانه

ووجد له عند مملوكه لاجين ثلاثون الف دينار ووجد له عند مملوكه شاهين اربعون الف دينار ووجد له عند امامه سراج الدين ثلاثون الف دينار ووجد له عند قاضي القضاه ولى الدين بن خلدون المالكى عشرون الف دينار ووجد له عند فراشه شقفير زير كبير فيه سبعين الف دينار ووجد له عند باب سره في مكان بكلبتين نحاس فيهما ثلاثة وستين الف دينار ووجد له في سطح مدرسته التى في الزربيين خمس قدور فيهم نحو خمسين الف دينار ووجد له في مكان عند جامع الازهر زير كبير فيه مائة وسبعين وثلاثين الف دينار ووجد له في مكان عند البرقية عند جارية سودا زير كبير فيه مايتى الف دينار وثلاث برانى فيهم لولو كبار وفصوص مختلفة الالوان فتسلم ذلك جميعه الزيني صندل المنجكى الخازندار فكان كما قيل

قد يجمع المال غيره كله ۔ وياكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه ۔ ويلبس الثوب غير من قطعه

ووجد له عند شخص اسكافي بغلق فيهم طرز زركش وحوايص ذهب وكنابيش زركش ما يعلم عدد ذلك الا الله تعالى ووجد له في مكان عند حارة بنى سليم خلف بيته زلعة فيها ذهب عين جملة مايتى الف دينار وثمانية وثلاثين الف دينار ومن الفضة الدراهم زلعتين هذا كله خارجا عن ما وجد له من القماش والفرش والخيول والجمال والبرك وغير ذلك من حلى نساه وسراريه وغير ما وجد له من الاملاك والضياع والمراكب والمعاصر والجوار والعبيد والمماليك والطواشيه وغير ذلك وقد ضاع له عند الناس اضعاف ذلك ووجد له من الغلال في الشون ما لا يحصى قال المؤلف اقول وهذا الموجود نيف ويزيد على موجود الصاحب علم الدين بن زنبور وقد تقدم ذكر ذلك في الجزء الثاني عند اخبار دولة بنى قلاوون ثم ان بعض الناس على الامير محمود من كوم الجارح واحضره الى عند السلطان فلما مثل بين يديه فرسم بتسليمه هو وولده محمد الى شاد الدواوين فسجنهم بخزانة شمايل فزالت عنه الدنيا كانها لم تكن كما قد قيل

وان امرؤ دنياه اكبر همه ۔ لمستمسك منها بحبل غرور

انتهى ذلك وفي هذه السنة وقع الغلا العظيم بمصر ورسم السلطان بان يعمل في كل يوم عشرون اردبا من الدقيق خبزا ويفرق على الفقرا فلما اشتد الامر بذلك توجه شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى الى الجامع الازهر واجتمع من الخلايق ما لا يحصى ودعوا الى الله تعالى

فى كشف ذلك عن المسلمين وفى اواخر هذه السنة حضر الى الابواب الشريفة قاصدا من عند
قرا يوسف بن قرا محمد وحضر صحبته شخص من التتر قيل انه قرابة تمرلنك وذكر ان تمرلنك
لما رحل جعله نايبا عنه بالرهبا فنزل فى بعض الايام ليتصيد فسمع به قرا يوسف فركب
مع جماعة من التركمان فقبض عليه وهو سكران وقيده وارسله الى السلطان فلما مثل بين يديه
رسم بسجنه فسجن فى خزانة شمايل وفيها وقع الغلا بالديار المصرية وعزت الاقوات
ورسم السلطان للامير علاى الدين بن الطبلاوى والى القاهرة بان يعمل فى كل يوم عشرون
اردبا خبزا ويفرق على الفقرا والمساكين **وفيها** اخلع السلطان على الصاحب سعد الدين
ابن البقرى واستقر وزيرا عوضا عن مبارك شاه واخلع على القاضى بدر الدين بن الطوخى
واستقر به ناظر النظار وفى هذه السنة كانت وفاة المقر السيفى سودون الجركسى الشيخونى
نايب السلطنه بالديار المصرية وتوفى الصاحب محمد بن رجب بن كلبك وغير ذلك من
العلما والاعيان انتهى ذلك **ثم دخلت** سنة تسع وتسعين وسبعماية فيها حضر
قاصد من عند تمرلنك بطلب اطلمش الذى كان قد مسكه قرا يوسف كما تقدم فارسل
يقول لتمرلنك ما اطلق لك اطلمش حتى تطلق انت من عندك من النواب ومن اسرى
الذين اسرتهم من البلاد فعاد الجواب الى تمرلنك بذلك **وفيها** حضر الى الابواب الشريفة
المقر السيفى تنم الحسنى نايب الشام فلما بلغ السلطان وصوله الى الريدانيه فنزل
السلطان من القلعة ولاقاه واخلع عليه وانزله بالميدان الكبير الذى عند الناصريه
فقدم نايب الشام الى السلطان عشرة مماليك جراكسه وعشرة جوار وعشرة الاف دينار
ومصحف شريفا مكتوب بالذهب ونجاة مسقطة بالذهب وهى مرصعة بفصوص
ياقوت وفيروزج واربع بقابيش واربع سروج ذهب واربع بدلات ذهب زنتها
اربعماية مثقال شغل العلم بهرام وعشرة كواهى برسم الصيد ومايتين وخمسين جمال
ما بين صمور وشق وسنجاب وقماقم وترصيعات واثواب صوف ملون ومايتين
ونوس خاص وخمسين بغلة وخمسين جمل وعشرين حمل اثواب بعلبكى وثلاثين حمل فاكهة
وحلوى شاميه وعشرين حمل مخللات وحلبين سوائد فى علب كبار وغير ذلك اشياء
كثيره ثم ان السلطان عدى الى بر الجيزه وعزم على نايب الشام هناك فاقام هو والسلطان
هناك عشرة ايام ثم بعد مضى شهر اخلع السلطان على نايب الشام وتوجه الى بلاده
على عادته وفى هذه السنة حضر قاصد صاحب اليمن وهو الملك الاشرف محمد بن الافضل
وحضر صحبته القاضى برهان الدين المحلى التاجر الكارمى وحضر صحبتهما هدية عظيمة
لم يسمع بمثلها على انواع مختلفة فاخلع السلطان على قاصد ملك اليمن واكرمه غاية
الاكرام وفى هذه السنة اخلع السلطان على القاضى تقى الدين الزبيرى واستقر به
قاضى القضاة الشافعيه بمصر عوضا عن القاضى صدر الدين المناوى الشافعى **وفيها**
جاءت الاخبار من دمشق بان عوام دمشق قتلوا شخصا من دمشق يقال له ابن النشو

ولما

ولما قتلوه احرقوه بالنار وكان سبب ذلك ان هذا الشخص كان يشترى الغلال فى ايام
الرخص ويخزنها حتى تنشحط المدينة من الغلال فيبيعها باغلا ثمن فتحملت عليه الناس وتعاهدوا
على قتله فقتلوه واحرقوه ولم ينتطح فى ذلك شاتين **وفيها** اخلع السلطان على يلبغا
الناصرى الاحمدى المعروف بالمجنون واستقر به استادارا عوضا عن قطلوبك العلاى
وفيها جاءت الاخبار من حلب بان جاليش تمرلنك قد وصل الى اطراف الروم واخذ
مدينة تسمى ارزنكان وقتل اهلها ونهب ما فيها فلما سمع السلطان ذلك قد ارسل الى ساير
النواب بان يتوجهوا الى شاطى الفراة ويحصنوا البلاد فخرجوا ساير النواب الى شاطى
الفراة واقاموا هناك **وفيها** حصل للسلطان توعك فى جسده واقام منقطعا فى الحريم
اياما لم يعمل الموكب ثم عوفى بعد ذلك ودخل الحمام ثم ركب من بعد ذلك وشق القاهرة
وزينت له وفرح الناس بعافيته فلما طلع الى القلعة فانتكس من يومه وضعف اكثر
من الاولى وكثر فى القاهرة القال والقيل بين الناس فاقام على ذلك اياما ثم عوفى
وركب وتوجه الى سرياقوس ثم انه رجع وطلع الى القلعة **وفيها** توفى سيدى اسماعيل
ابن السلطان حسن وتوفى الصاحب سعد الدين بن البقرى وتوفى قاضى القضاة شمس الدين
الطرابلسى الحنفى وتوفى السيد الشريف الاخلاطى الحلبى وتوفى الامير جمال الدين محمود بن على
الظاهرى الاستادار كان وقد تقدم ان السلطان سجنه هو وولده محمد فى خزانة شمايل
فاستمر مقيما الى ان مات بها فغسل بها وكفن وصلى عليه ودفن فى مدرسته التى انشاها
فى الموازنيين خارج باب زويله وقد قاسى من الشدايد ما لا خير فيه واخر الامر ذهب
ماله ومات وهو فى السجن ولم يوجد له ثمن كفن حتى ان بعض مماليكه اخرجه من عنده فكان
كما قيل

اف لدنيانا وافعالها	فانها للهم مخلوقه
همومها لا تنقضى ساعة	عن ملك فيها ولا سوقه
واعجبا منها ومن فعلها	عدوة للناس معشوقه

ثم دخلت سنة ثمان مائة من الهجرة النبوية وانقضا قرن السبعمايه وقد جرى
فيه من الحوادث ما جرى وما تقدم ذكره وقد ورد فى الاخبار على راس كل قرن فتنة
وهذا حديث صحيح **ففيها** رسم السلطان باحضار المقر السيفى تغرى بردى من يشبغا
نايب حلب فتوجه لاحضاره اخو الامير بكتمر جلق **ومن الحوادث** فيها ان السلطان
تغير خاطره على الاتابكى كمشبغا الحموى وعلى المقر السيفى بطلمش العلاى امير سلاح فقبض عليهما
فى يوم واحد وارسلهما الى السجن بثغر الاسكندرية ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع على
المقر السيفى ايتمش البجاسى واستقر به اتابك العساكر بمصر عوضا عن كمشبغا الحموى
وانعم على الامير يوروز الحافظى بتقدمة الف ثم حضر المقر السيفى تغرى بردى من يشبغا
نايب حلب فلما حضر انزله السلطان فى بيت الامير طاز الذى عند حمام الفارقانى ثم عمل
الموكب واخلع على جماعة من الامرا وهم المقر السيفى تغرى بردى من يشبغا نايب حلب

واستقر به امير سلاح عوضا عن الامير تكلمش العلاى واخلع على الامير اينبغا اللكاشى
واستقر به امير مجلس عوضا عن الامير يشبك الصفوى واخلع على الامير بوروز الحافظى
واستقر به امير اخور كبير واخلع على الامير بيبرس قريب السلطان واستقر به دوادار
كبير فلبسوا هؤلا الامرا فى يوم واحد وانعم السلطان على مملوكه على باى العلاى بتقدمة
الف وانعم على الامير جانبك الشعبانى بتقدمة الف وانعم على جماعة بامريات ادبعين
وامريات عشرة **وفيها** اخلع السلطان على الامير جانبك طيفور الترفى واستقر به
نايب غزة عوضا عن الامير احمد بن الشيخ على وانفل نايب صفد الى نيابة طرابلس **وفيها**
ارسل السلطان خلف القاضى جمال الدين الملطى من حلب فلما حضر الملطى فاخلع عليه واستقر
به قاضى القضاة الحنفية بمصر عوضا عن القاضى شمس الدين الطرابلسى الحنفى بحكم وفاته
ثم بعد ذلك بمدة عمل السلطان الموكب واخلع على مملوكه على باى ويدعا آل باى واستقر
به راس نوبة النوب **ثم دخلت** فى هذه السنة ان السلطان تغير خاطره على الامير
علاى الدين الطبلاوى والى القاهرة فقبض عليه وعلى اخيه وابن عمه وجميع اصحابه وحاشيته
وغلمانه وادعهم فى الترسيم بالقلعة فلما كان يوم السبت طلعوا جماعة من الاعوام الى
الرميلة ومعهم مصاحف واعلام واستغاثوا فارسل اليهم السلطان اوجاقى وقال لهم ما
شانكم فقالوا نسال السلطان فى ان يفرج عن الامير علاى الدين بن الطبلاوى الوالى فلما سمع
السلطان بذلك نحنق على الاعوام وارسل اليهم جماعة من المماليك فشتتوا شمل ذلك
الاعوام من الرملة واستمر علاى الدين بن الطبلاوى فى الترسيم ثم ان ابن الطبلاوى
ارسل يقول للسلطان ان لى كلام سر ما اقوله الا فى اذن السلطان فلم يوافق السلطان
على ذلك ورسم للامير يلبغا الاحمدى الاستادار ان يتسلم ابن الطبلاوى ويتخلص منه
الاموال فلما اراد ان ينزل به من القلعة تقعد ابن الطبلاوى على باب الزردخاناه واخرج
من وسطه خنجر صغير وشق به بطن نفسه فمسكوا الناس يده فلم يوثر فيه ذلك
فلما بلغ السلطان هذه الواقعة تحقق السلطان ان ابن الطبلاوى ما كان يريد الهرب
منه الا ليضربه بذلك الخنجر فاشتد عليه غضبه فامر يلبغا الاحمدى بان يعاقبه
فنزل به الى بيته وعاقبه وعصره بالمعاصير فى اكعابه واسقاه الجير بالملح وضربه
بالكسارات واذاقه ما كان يفعله بالناس وقد قيل فى المعنى

جرع كاسا كان يسقى بها ۞ والمرء يجزى باعماله

فظهر له من الاموال فى مكان ستين الف دينار وفى مكان عشرين الف دينار ثم ان
يلبغا الاحمدى احتاط على موجوده جميعه فباعوه بمائة الف دينار فلم يكتفوا بذلك
فعاقبوه ثانيا والبسوه خوذة حديد محمية بالنار فاقر بان له عند ابن عمه مائتى الف
درهم درهم فضة فغرم واقر بان له عند اخيه مثل ذلك ثم اقر بان له عند قرابته
تقى الدين الخطيب خمسين الف دينار وعند دواداره الكبير على بن عمر عشرة الاف

دينار فحمل ذلك جميعه الى الخزاين السلطانية وذهب ما كان قد جمعه ابن الطبلاوى من
حلال ومن حرام وبقى عليه اثم ذلك فذهبت عنه الدنيا والاخرة وقد قيل فى المعنى

النار اخره دينار نطقت به ۞ والهم اخره هذا الدرهم الجارى
والمرء ما دام مشغوفا بحبهما ۞ معذب القلب بين الهم والنار

ومن الوقايع ثم ان السلطان رسم بنفى علاى الدين ابن الطبلاوى فى خزانة شمايل فنفى بها
اللطيفة ان فى يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة لعب السلطان بالاكره والصولجان
مع الاتابكى ايتمش البجاسى فى الحوش السلطانى فغلب السلطان المعز الاتابكى ايتمش
فقال له السلطان جاء عليك يا لغتيرى يوما فاراد الاتابكى ايتمش بان يعمل وليمة من
ماله فقال له السلطان انا اقوم عنك بذلك من مالى فضرب خيمة كبيرة مدورة وعشر
صواوين فى الميدان الذى تحت القلعة فارسل خلف ساير الامرا من الاكابر والاصاغر
ورسم للوزير وناظر الخاص بان يتكلفوا بامر ذلك المهم فعمل فيه من اللحم الضان عشرين
الف رطل ومن الاوز مائتى زوج ومن الدجاج الف طير ومن البقر للذبح عشرين بقرة
ومن السكر ثلاثين قنطار ومن الفاكهة ما يتى عليه ومن الحلوى مائتين قنطار ومن الزبيب
برسم الاقسما ثلاثين قنطار ومن الدقيق ستين اردب برسم البوزة فعملت البوزة
والششش فى ادنان واحضر السلطان مغانى البلد جميعها والالات ثم ان السلطان
صلى الصبح ونزل الى الميدان وقت السحر ورسم بان لا يمنعوا احدا من الدخول الى الميدان
فلما تكاثرت الناس فى الميدان فاشار بعض الامرا على السلطان بان يمد السماط ويطلع
الى القلعة فمد السماط واكل هو والامرا ثم اخلع على الوزير وناظر الخاص ثم ركب وطلع
الى القلعة من وقته وكان قصد السلطان بان يقيم فى الميدان الى اخر النهار ويجمع هناك
ارباب الملاهى والملاعيب فما تم له ذلك فلما ركب السلطان وطلع الى القلعة فتكاثروا
الاعوام ودخلوا الى الميدان ونهبوا ادنان البوزة والششش وحصل فى ذلك بعض
اضطراب بسبب ذلك فقال بعض الشعرا فى ذلك

سلطان مصر دام فضل علايه ۞ قد عمنا بالفضل والاحسان
لم انس يوم السبت حسن مهمه ۞ قد كان يوما جاء بالسلطان

انتهى ذلك **ومن الحوادث** فى هذه السنة ان فى يوم الاحد تاسع عشر ذى القعدة
فيه كان وفا النيل المبارك فنزل السلطان من القلعة وتوجه الى المقياس ليخلق العمود
ويكسر السد على العادة فلما دخل الى المقياس وخلق العمود فنزل الى الحراقة ليكسر السد
فجاء اليه مملوك من خشداشيته من مماليك الاتابكى يلبغا العمرى يقال له سودون
الاعور وكان ساكنا فى البيوت التى باعلا الكبش فجاء الى السلطان واسر اليه حديثا
فى اذنه فكان مضمون ذلك الحديث انه قال رايت فى البيت الذى تحت الكبش وكان
الامير على باى راس نوبة النوب ساكنا فيه لقد رايت فى بيت على باى مماليك لابسة

آلة الحرب وقد دخلوا تحت بوايك الخيل وستروا على البوايك باخاخ حتى لا يراهم احد
فلما سمع السلطان بذلك فانكره وكان الامير على باى من مماليك السلطان الخواص
وقد رقاه حتى جعله راس نوبة النوب وكان على باى قبل هذه الواقعة انقطع فى بيته اياما
واظهر انه مريض وظن ان السلطان اذا رجع من كسر السد يدخل يسلم عليه فاذا دخل يسلم عليه
فتخرج ذلك المماليك من تحت البوايك التى سترها بالاخاخ فيقتلوا السلطان وظن
ان هذه الحيلة تصعد بيده فكان تدبيره فى تدميره كما يقال فى الامثال

وان من حارب من لا يقوى لحربه * جرت به البلوى لحارب الاكفا ولا اقرانا

فالمرء لا يحارب السلطان ثم ان السلطان ارسل الامير ارسطاى احد رؤوس النوب الى
بيت الامير على باى ليكشف له الخبر عن صحة ذلك فتوجه الامير ارسطاى الى بيت الامير
على باى واعلم جماعته بان السلطان اذا رجع من السد يدخل يسلم على الامير على باى فلما فتح
السلطان السد ورجع فتوجه الى بيت الامير على باى فلما اراد ان يدخل الى بيته نادته امراة
من اعلى البيوت الذى فى الكبش وقالت له لا تدخل له **وقيل** ان تلك المراة ادت
على السلطان قلة فلما شال السلطان وجهه اليها فقالت له لا تدخل اليه فثنى السلطان
عنان فرسه ومضى فاشار عليه بعض الامرا بان ينتقل فى مشيه فنزل وساق هو والامرا
فتنظر فى ذلك اليوم الامير فارس حاجب الحجاب والامير بيبرس الدوادار الكبير ثم ركبا فلما
تحقق على باى رجوع السلطان الى القلعة خرج من بيته هو ومماليكه وكانوا نحو اربعين
مملوكا فساقوا خلف السلطان الى الرميلة وكان من جملة سعد السلطان لما مضى من بيت
على باى وساق وطلع الى الرميلة فوجد باب السلسلة مفتوحا فطلع منه هو والامرا
واغلقوه خلفهم فلما جلس فى المقعد الذى فى الاسطبل السلطانى فطلع على باى خلفه
الى الرميلة فوقف فى سوق الخيل هو ومماليكه ساعة فنزل اليه جماعة من الامرا ومماليك
سلطانيه فالتقوا معه وقعة قوية فقتل فيها من المماليك السلطانيه خاصكى يقال له
بيسق المصارع وجرح فيها جماعة كثيرة من المماليك السلطانيه فلما راى على باى عين الغلب
هرب وانكسر وكان معه يلبغا الاحمدى الاستادار فلما هرب على باى قبضوا على يلبغا
الاحمدى وطلعوا به الى باب السلسلة فارادوا المماليك السلطانيه قتله فمنعهم السلطان
من ذلك ثم قيدوه وارموه فى البرج ثم ان مماليك السلطان مسكوا مملوك على باى
وهو شاد الشرابخاناة كان عنده فقاتل فى ذلك اليوم قتالا شديدا فلما قبضوا عليه
واحضروه بين يدى السلطان فامر بقتله فقتلوه قدام السلطان بالسيوف فلما انكسر
على باى وهرب من الرميلة فنهبوا العوام بيته الذى تحت الكبش واخذوا جميع بركه
وقماشه حتى اخذوا رخام بيته وابوابه ونهبوا بيوت حاشيته وغلمانه فلما دخل الليل
ظهر الامير على باى فى مستوقد حمام بالقرب من بيته فاتى اليه الامير بيبرس الدوادار
الكبير وقبض عليه وطلع به الى القلعة فامر السلطان بسجنه وكان سببا ركوب على باى

على السلطان قبل ان مملوكا من مماليكه اخذ جارية من جوار الامير اقباى الطرنطاى وكان
ساكنا بجوار بيت على باى فلما علم الامير اقباى بذلك قبض على مملوك الامير على باى
وضربه ادبا بغير عصاه فلما بلغ الامير على باى تعصب لمملوكه وطلع الى القلعة واشتكى الامير
اقباى الى السلطان فلم يلتفت السلطان الى كلام على باى فخرج على باى من السلطان وقال
انا اخذ ثارى بيدى ثم انقطع على باى اياما فى بيته واظهر انه مريضا واضمر فى نفسه
ان السلطان اذا سمع انه مريض يدخل يسلم عليه فاذا دخل اليه يقتله وقصد هذه الحيلة
من يده فكان الامر بخلاف ذلك وخاب المراد وجنى عليه الاجتهاد فلما ركب على باى وجرى
منه ما جرى وقبضوا عليه فلما طلعوا به الى القلعة سجنه السلطان ثم طلبه فى قاعة
البحرة وخلا به وقال له من الجاك الى هذا الذى قد فعلته فقال له ما الجانى احد لذلك
ولكن فعلت ذلك من قهرى منك حيث لم تاخذ ثارى من اقباى ثم ان السلطان احضر
اليه المعاصير وعصره بحضرته وقرره ان كان احد من الامرا له خبرة فى ذلك فتبرا
سائر الامرا فصار السلطان يعصر على باى فى كل يوم مرتين ويقرره فلم يقر بشى
فتزايد حمق السلطان عليه فضربه بكاز حديد فولاد كان فى يده فخسف به صدر
على باى فمات من وقته فغسلوه وكفنوه ودفنوه تحت الليل وانقضى امره وصار
ذلك مثلا بين الناس يقولون زلة على باى فكان كما قيل فى الامثال

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

ثم ان السلطان افرج عن الامير يلبغا الاحمدى الاستادار ونزل الى بيته واخلع
على الامير ارسطاى من خجا على واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن على باى وخمدت
هذه الفتنة عن الناس فلما كان يوم الاثنين وقت الظهر ماجت الرميلة ولبسوا المماليك
آلة الحرب ووقفوا فى الرميلة وغلقوا باب السلسلة واشاعوا بين الناس ان الامير
اقبغا اللكاش والامير يلبغا الاحمدى الاستادار قد ركبوا على السلطان ولم يكن لهذا
الكلام صحة وكان سبب هذه الفتنة ان بعض المماليك السلطانيه راى مملوكا من مماليك
على باى فساق خلفه وتبعه وسيفه مسلول فظنوا الناس ان العسكر قد ركب على
السلطان فلبسوا المماليك آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة واشاعوا العوام بان يلبغا
الاحمدى واقبغا اللكاش طلعا الى القلعة وقالا للسلطان ما جرى هذا كذب العوام
فالسلطان لا يصدق فينا كلام العوام ثم ان السلطان قبض على يلبغا الاحمدى وارسله الى
ثغر دمياط واخلع على الناصرى محمد بن سنقر البجكاوى واستقر به استادار عوضا عن
يلبغا الاحمدى وفى اثنا هذه الواقعة قبض السلطان على سبعة انفس من جماعة على باى
ورسم للوالى بان يسمرهم فسمروا وطافوا بهم فى القاهرة على الجمال وكان فيهم شخص عجمى
يسمى رمضان وكان على باى يقول له يا ابى وفيهم مملوك يسمى اقبغا الفيل كان
اغات على باى ثم وسطوا الجميع عند بركة الكلاب وفى هذه السنة توفى القاضى برهان

الدين صاحب سيواس وتوفي الامير تاني بك اليحياوي امير اخور كبير وتوفي الامير
قلمطاوي العثماني وتوفي القاضي امين الدين الحمصي كاتب السر بالشام وتوفي القاضي
تاج الدين بن الشهيد وتوفي القاضي نجم الدين بن الطيدي محتسب القاهرة وغير ذلك
من الاعيان **ثم دخلت** سنة احدى وثمانمائة فيها في يوم السبت ثالث عشر
صفر نزل السلطان الى الاسطبل السلطاني وحكم بين الناس وكان من حين جرى من على باي
ما جرى لم ينزل الى الاسطبل ولم يحكم به فلما نزل في ذلك اليوم تغير خاطره على الامير
نوروز الحافظي امير اخور كبير فقبض عليه وسجنه بقاعة الفضة المطلة شبابيكها
على الايوان وكان سبب تغير السلطان على الامير نوروز الحافظي قيل انه نقل عنه كلام
انه اتفق مع جماعة من المماليك على قتل السلطان فلما تحقق السلطان ذلك فبادر وقبض
على الامير نوروز وقيده وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية ونفى معه جماعة من الخاصكية
ممن كان من عصبته ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع على الامير سودون قريب السلطان
واستقر به امير اخور كبير عوضا عن نوروز الحافظي واخلع على الامير ارغون شاه
الابغاوي واستقر به امير مجلس عوضا عن اقبغا اللكاش واستقر به نائب الكرك
ورسم له بان يخرج اليها من يومه فلما خرج من القاهرة ووصل الى غزة فارسل السلطان
قبض عليه وقيده وارسله الى السجن بقلعة الصبيبة ثم ان السلطان انعم على الامير
تمراز الناصري بتقدمة الف **وفيها** جاءت الاخبار بان نائب حلب ارغون شاه
الابراهيمي توفي الى رحمة الله تعالى فرسم السلطان للامير اقبغا الجمالي نائب طرابلس
بان ينتقل الى نيابة حلب عوضا عن ارغون شاه فتوجه الى تقليده الامير اينال باي
ابن قجماس قريب السلطان وارسل تقليدا الى الامير يونس بلطاي الظاهري بان يكون
نائب طرابلس وارسل تقليدا الى الامير دمرداش المحمدي بان يكون نائب حماه على
يد الامير شيخ المحمودي وارسل تقليدا الى الامير سودون الطرنطاي بان يكون نائب
الكرك وفي هذه السنة نادى السلطان للناس بان يحجوا رجبي وكان قد بطل من سنة
ثلاث وثمانين وسبعمائة فرسم باعادته على جاري العادة وفي هذه السنة انعم السلطان
على جماعة من الخاصكية بامريات عشراوات منهم تغري بردي الجلباني ومنكلي بغا
الناصري وبكتمر جلق الناصري واحمد بن قطينة وانعم على جماعة بامريات اربعين
منهم بشباي بن باكي وتمربغا من باشاه وشاهين من اسلام وجوبان العثماني
وحكم العوضي وفي هذه السنة قبض السلطان على الصاحب بدر الدين بن الطوخي واخلع
على الامير تاج الدين عبد الرزاق والي قطيا واستقر به وزيرا عوضا عن ابن الطوخي
وفيها رسم السلطان بالافراج عن الامير يلبغا الاحمدي الاستادار واعيد الى
وظيفته كما كان اولا **وفيها** اخلع السلطان على القاضي فتح الله واستقر به كاتب
السر الشريف بمصر عوضا عن القاضي بدر الدين الكلستاني الحنفي بحكم وفاته وفيه

يقول بعض الشعرا ، فتح الله بعلمو الشهير ، فسبحان من اعطاه ،
وتبت يدى الكافرين ، اذا جاء نصر الله ، فتح الله ،
وفيها اخلع السلطان على الامير فرج استادار الذخيرة واستقر به نائب ثغر الاسكندرية
عوضا عن الامير غمتش المحمدي بحكم وفاته **وفيها** في يوم الثلاثا سابع عشرين شهر رمضان
فيه رسم السلطان بالافراج عن الامير علاء الدين بن الطبلاوي والي القاهرة وكان له مدة
وهو في السجن بخزانة شمايل كما تقدم فتجمع وقت خروجه الجم الغفير من الناس وردوا
له الشموع على الدكاكين وخلقوا الناس بالزعفران حتى قيل اشتروا الناس في ذلك
اليوم زعفران بعشرين الف فلما خرج ابن الطبلاوي من خزانة شمايل اقام مدة في بيته
ثم رسم السلطان بان يتوجه الى الكرك ويقيم بها **وفيها** في يوم الثلاثا خامس شوال فيه
لعب السلطان بالرمح في الحوش وكان ذلك اليوم شديد الحر فلما فرغ من لعب الرمح اكل
عسل نحل بختشاوي فطاب له فاكل منه كثيرا ثم احضروا له على السماط بلشون مشوي
فاكل منه كثيرا وشرب عقيب ذلك اقسما محررا فاستحال خلط صفراوي فاشتدت
به الحما وضعف من يومه وتقلب في المرض الى يوم السبت بعد العصر فاشيع بين الناس
انه في النزاع فاقام على ذلك الى يوم الاربعا ثالث عشر شوال فطلع عليه الورشكين
ثم حصل له الفواق فاضطربت في ذلك القاهرة وماجت فركب والي القاهرة ونادى
في المدينة بالامان والاطمان والبيع والشرا فلما كان يوم الخميس رابع عشر شوال
تحصل للسلطان افاقة فطلب امير المومنين المتوكل على الله والقضاه الاربع وساير
الامرا وارباب الدولة فلما تكامل المجلس فعهد السلطان بالملك من بعده الى ولده المقر
العزي عبد العزيز ثم من بعده الى ولده المقر الصارمي ابراهيم ثم ان السلطان كتب في ذلك
المجلس وصية فاوصى لزوجاته وسراريه وخدامه بجملة مال ما بين الف دينار واوصى
بان تعمر له تربة بثمانين الف دينار ويشترى لها اوقاف بعشرين الف دينار واوصى
بان يدفن في لحد لا في فسقية وان يكون دفنه بين الفقرا الذي هناك واوصى بان
يكون ساير املاكه اوقافا على تربته واوصى بان يكون المقر الاتابكي ايتمش البجاسي وصي
وصي على اولاده وفوض اليه امر الولاية ثم جعل امير المومنين المتوكل على الله وصي على
اولاده من بعده وجعل المقر السيفي تغري بردي امير سلاح وصي والامير بيبرس الدوادار
وصي والامير بيبك الشعباني وصي وجعل المقر السيفي تنم الحسني نائب الشام وصي
ثم اخلع على الاتابكي ايتمش خلعة ونزل الى بيته ومعه ساير الامرا واستمر السلطان ملازم
الفراش ثم ان الامير صندل المنجكي الخازندار ان السلطان تصدق في هذه الضعفة
في مدة انقطاعه على الفقرا والعلما بما بين خمسين الف دينار فلما كانت ليلة الجمعة خامس
عشر شوال فيها توفي السلطان الملك الظاهر برقوق ابن انص وقيل انس العثماني رحمة
الله عليه وكانت وفاته وقت التسبيح فكانت مدة سلطنته بمصر والبلاد الشامية

الى ان مات على فراشه سنة عشر سنة واربعة اشهر وسبعة وعشرون يوما فكان كما قيل في المعنى

، ترجو البقاء بدار لا ثبات لها ، فهل سمعت بظل غير منتقل ،

فكانت مدة سلطنته الاولى ست سنين وثمانية اشهر وسبعة وعشرون يوما والسلطنة الثانية الى ان مات تسع سنين وثمانية اشهر الا اياما ومدة خلعه بين السلطنتين ثمانية اشهر واياما وكانت مدة اتابكيته بمصر اربع سنين وتسعة اشهر وعشرة ايام فكانت مدة حكمه اتابكا وسلطانا احدى وعشرين سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما وزال ملكه كأن لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير ومات الملك الظاهر برقوق وله من العمر نحو ثلاث وستين سنة وخلف من الاولاد ستة ثلاثة ذكور وثلاث اناث فاما الذكور فهم سيدى فرج وسيدى عبد العزيز وسيدى ابراهيم وخلف من المال في الخزائن الفين الف دينار واربعمائة الف دينار وخلف من الخيول اثنى عشر الف فرس ومن الجمال خمسة آلاف جمل ومثلها ابغال قال الامير شهاب الدين بن قطينه لما كنت متولي الاستادارية كان عليق السلطان الملك الظاهر برقوق في ايامه في كل شهر اثنى عشر الف اردب شعير ومن اللحم ستة وعشرين الف رطل في كل يوم وبلغت عدة مماليكه المشتروات سبعة آلاف مملوك جراكسه خارجا عن اصحاب الجوامك وكان كثير البر والصدقات فمن ذلك انه اوقف بلدا في بر الجيزة على سحابة تطلع في كل سنة الى الحجاز الشريف برسم الحجاج المنقطعين وكان له في كل يوم من شهر رمضان عشرين بقرة تذبح في فايزيه وتفرق على الجوامع والزوايا على الفقرا ومعها الف رغيف وكان يفرق في كل سنة من القمح سبعة آلاف اردب على الزوايا والمزارات وابطل في ايامه مكوسا كثيرة بمصر والشام وكان يحصل منهم غاية الضرر فابطل ذلك جميعه وعظم امره حتى خطب باسمه في اماكن لم يخطب فيها لاحد قبله من الملوك فخطب باسمه في توريز العجم وفي الموصل وفي ماردين وفي سنجار وفي دوركي وفي ارض الروم وفي ارزنكان وضربت السكة باسمه في هذه الاماكن واما ما انشاه في ايامه من العماير فهو جسر الشريعة بالغور وجدد بنا خزاين السلاح بثغر الاسكندرية وجدد عمارة زربية البرج بثغر دمياط بعد ما كان قد ظهر منها عظام الشهدا وعمر سورا على مدينة دمنهور وعمر قناة العروب بالقدس الشريف وجدد عمارة المجراة التي تجري من بحر النيل الى قلعة الجبل وعمر قناة في بطون المدينة الشريفة عند راس وادي بني سالم وعمر سور الميدان الذي تحت القلعة بعد ما كان قد خرب فارمى بارضه احمال طين ثم سقاه بماء النيل وزرع فيه القرط فلم يطلع فيه شي غير النجيل وعمر صهريجا كبيرا بالقلعة وعمر السبيل والمكتب الذي قدام دار الضيافة بظاهر القلعة وعمر بالقلعة طاحونا ولم يكن بها قبل ذلك طاحونا وعمر المدرسة العظيمة التي بين القصرين وعمر الوكالة التي تجاه باب الجوانية وله غير ذلك آثار كثيرة بمصر والشام وكانت دولته ثابتة القواعد قال المقريزي

ان الذي ابطله الظاهر برقوق في ايامه من المكوس وهو ما كان يوخذ على الدريس والحلفا بظاهر باب النصر وابطل ما كان مقررا لنايب طرابلس عند توجهه اليها وذلك انه كان يوخذ من قضاة البر والولاة بالاعمال من كل واحد بغلة او ثمنها خمسة الاف دينار وابطل ما كان يوخذ لمن يسرح من الكرك نحو العباسه وذلك انه كان يوخذ من التجار واعيان الناس من كل واحد فرس او جمل او ثمن ذلك وابطل ما كان يرمي على البلاد من الابقار عند فراغ الجسور السلطانية وابطل ما كان يوخذ على معمل الفراريج بناحية الغربية وابطل اشيا كثيرة من هذا النمط بمصر والبلاد الشامية واستمر ذلك بطالا الى الآن في صحيفة الملك الظاهر برقوق رحمة الله تعالى عليه وقد رثاه الشيخ شمس الدين الزركشي بهذه الابيات فقال

، في باطني للملك الظاهر ، حزن سرى مني في سايري ،

، قد صير الندب لنا سنة ، عليه من باد ومن حاضر ،

، فبعده الملك يتيما غدا ، تبكي عليه اعين الناظر ،

، لكن اتانا فرجا عاجلا ، من بعده بالملك الناصر ،

انتهى ما اوردناه من اخبار دولة الملك الظاهر برقوق على سبيل الاختصار ولما توفي الملك الظاهر برقوق تولى من بعده ابنه

ذكر سلطنة الملك الناصر زين الدين ابي السعادات فرج بن الملك الظاهر برقوق

بن آنص العثماني وهو السادس والعشرون من ملوك الترك واولادهم بمصر وهو الثاني من ملوك الجراكسة واولادهم بمصر تولى الملك بعهد من ابيه وجلس على سرير الملك في يوم الجمعة خامس عشر شوال سنة احدى وثمانمائة فبايعه امير المومنين المتوكل بحضرة القضاة الاربع وشيخ الاسلام سراج الدين البلقيني الشافعي وبحضرة الاتابكي ايتمش البجاسي وساير الامرا فالبسوه خلعة السلطنة وهي جبة سود بطرز زركش وسيف بداوي وركب من الاسطبل السلطاني وطلع من باب السر القصر الكبير والاتابكي ايتمش حامل القبة والطير على راسه فجلس على سرير الملك وباسوا له الامرا الارض وفي حال جلوسه على الكرسي جاء ابن ابي الرداد ببشارة النيل المبارك بما جاءت به القاعدة فاستبشروا الناس ودقت الكوسات ونودي باسمه في القاهرة وضجوا الناس له بالدعا وخطب باسمه في ذلك اليوم على منابر القاهرة قيل ان الملك الناصر فرج تولى الملك وله من العمر اثنى عشر سنة وكانت امه رومية الجنس تسمى شيرين الطويلة وفيه يقول بعض الشعرا

، قضى الظاهر السلطان اعظم مالك ، الى ربه يرقا الى الخلد في الدرج ،

، وقالوا استقامت شدة بعد موته ، فاكذبهم ربي وما جا سوى فرج ،

فلما انقضى امر الموكب شرعوا الامرا في تجهيز الملك الظاهر برقوق فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه بالقلعة ونزلوا به والامرا مشاة بين يديه وكانت جنازته مشهودة بخلاف من يموت من الملوك وكثر عليه الاسف والحزن والبكا من الناس حتى وصلوا به الى التربة

التى اختار الدفن فيها فحفروا له هناك قبر ودفن فيه بين قبور المشايخ والفقرا الذى
هناك ونصبوا على قبره خيمة كبيرة واقاموا القريين يقرؤن على قبره ثمان ليال
متواليه وكان القايم بامر المائم الامير يلبغا الكاهرى الاحدى الاستادار والناصرى محمد
بن سنقر البجكاوى استادار الذخيرة فلما كان يوم السبت صبيحة موت الملك الظاهر
طلع الاتابكى ايتمش هو والامرا الى القلعة وعينوا الامير سودون الناصرى الطيار بان يتوجه
الى تنم الحسنى نايب الشام بالتقدير بموت الملك الظاهر والبشارة بسلطنة ولده الملك
الناصر فرج وعينوا الامير يلبغا السالمى الى نايب حلب وعينوا الامير بردى قرا الى نايب
طرابلس وعينوا الامير جنباى من بكى الى نايب صفد وعينوا الامير ازبغا الحافظى الى نايب
حماه وكذلك الى نايب غزه وكذلك الى نايب الكرك وعينوا الامير اسنبغا الى الامير نعير امير
آل فضل وارسلوا اليه خلعة بان يكون على عادته ولما كان يوم الاثنين ثامن عشر شوال فيه
عمل السلطان الموكب فى القصر واجتمعوا الامرا لم يطلع الامير سودون امير اخور كبير
وكان قرابة الملك الظاهر برقوق فلما امتنع من الطلوع الى القلعة فارسل خلفه الاتابكى
ايتمش فلم يطلع فارسل خلفه ثانيا فلم يطلع وكثر القال والقيل بين الناس فارسل الاتابكى
ايتمش يقول له انزل من الاسطبل الى بيتك فامتنع من ذلك وارسل الى الاتابكى ايتمش
جواب بايس فحنق منه ايتمش فارسل اليه جماعة من المماليك فقبضوا عليه وقيدوه وارسلوه
الى السجن بثغر الاسكندرية فهذه كانت اول ماجرى من الحوادث فى دولة الملك الناصر
فرج ثم ان الاتابكى ايتمش تحول وطلع الى باب السلسلة وسكن به ولما كان يوم الخميس
حادى عشرين شوال فيه عمل السلطان الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم الامير الاتابكى
ايتمش البجاسى اتابك العساكر على عادته واستقر امير اخور كبير ايضا واخلع على المقر
السيفى تغرى بردى واستقر امير سلاح واخلع على المقر السيفى ارغون شاه واستقر
به امير مجلس واخلع على المقر السيفى ارسطاى واستقر راس نوبة النوب واخلع على
المقر السيفى بيبرس واستقر به دوادار كبير واخلع على المقر السيفى فارس واستقر به
حاجب الحجاب واخلع على الامير يلبغا الاحدى واستقر به استادارا على عادته واخلع
على الصاحب تاج الدين بن ابى شاكر واستقر وزيرا واخلع على الشيخ بدر الدين محمود العينى
الحنفى واستقر محتسب القاهرة عوضا عن تقى الدين المقريزى وهذه اول وظايف
العينى بمصر وانعم على جماعة من الامرا بتقادم الوف وامريات ادهيين وامريات عشرة
وفى ذلك اليوم قبض الاتابكى ايتمش على جماعة من الامرا وهم الامير تمراز الناصرى والامير
تمربغا المنجكى والامير طغنجى السيفى يلبغا والامير بلاط السعدى والامير طولو
فلما قبض عليهم قيدهم وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية ثم بعد ايام تغير خاطر الاتابكى
ايتمش على الامير يلبغا الاحدى الاستادار فقبض عليه وقيده وارسله الى السجن بثغر
الاسكندريه ثم اخلع على الامير مبارك شاه الظاهرى واستقر به استادارا عوضا عن

يلبغا الاحدى فاقام بها مبارك شاه دون الشهر واستعفا منها واستقر بها الصاحب
تاج الدين ابن ابى شاكر فصار وزيرا واستادارا وفى اواخر هذه السنة حضر الامير سودون
الطيار الذى كان قد توجه الى تنم نايب الشام فاخبران تنم نايب الشام دخل تحت طاعة
السلطان الملك الناصر وباس له الارض ونادى فى مدينة دمشق بالزينة سبعة ايام
ودقت بها البشاير فلما حضر الامير سودون الطيار بهذه البشارة فاخلع عليه السلطان
واستقر امير اخور كبير وانعم على الامير اينال باى قرابة الملك الظاهر برقوق بتقدمة
الف وانعم على الامير طاز بتقدمة الف وانعم على الامير اقباى الطرنطاى بتقدمة الف
ثم اخلع على الامير سودون المارديني واستقر راس نوبة النوب عوضا عن الامير
ارسطاى واخلع على الامير يلبغا السالمى واستقر استادارا عوضا عن الصاحب تاج الدين
عبد الرزاق واخلع على الامير شهاب الدين احمد بن عمر الحسنى بن قطينة واستقر وزيرا
عوضا عن تاج الدين عبد الرزاق **وفيها** جاءت الاخبار من القدس الشريف بان الامير علاى
الدين ابن الطبلاوى قد هرب من القدس وتوجه الى عند تنم نايب الشام وقد تقدم ان
الملك الظاهر برقوق نفاه الى الكرك وفى هذه السنة انفصل ابن قطينه من الوزاره واستقر
بها القاضى فخر الدين بن غراب وفى اواخر هذه السنة جاءت الاخبار بان ابن عثمان ملك
الروم قد تحرك على بلاد السلطان وقد وصل جاليشه الى الابلستين وهو قاصد الى حلب
فلما بلغ السلطان والامرا هذا الخبر قام الاتابكى ايتمش بعقد مجلس فى القصر الكبير
بحضر امير المومنين المتوكل والقضاة الاربع وشيخ الاسلام سراج الدين البلقينى وساير
الامرا وضربوا مشورة فى امر ابن عثمان فوقع الاتفاق على محاربته والخروج اليه وان
يوخذ من اجرة الاملاك شهرا واحدا تتقوى به العسكر على دفع العدو ثم بعد مدة
جاءت الاخبار بان ابن عثمان وصل الى ملطية وملكها ولم يشوش على احد من اهلها وامر
عسكره بان لاينهبوا لاحد شيا فاقام بملطيه اياما ثم رجع الى بلاده فبطل امر التجريده
وسكن الحال وفى هذه السنة توفى الامير بكلمش العلاى بالقدس الشريف وتوفى فى هذه
السنة ايضا الامير شيخ الصفوى امير مجلس بالقدس الشريف ايضا ومات الاتابكى
كمشبغا الحموى بالسجن بثغر الاسكندريه وتوفى ارغون شاه الابراهيمى نايب حلب
وتوفى قاضى القضاة الشافعى عماد الدين الازرقى وهو صاحب تاريخ مكة وتوفى قاضى
القضاه المالكى تاج الدين سبط ابن التنسى ومات فيها جماعة كثيرة من الاعيان غير هولا
ثم دخلت سنة اثنين وثمانمايه فيها فى يوم الثلاثا حادى عشر المحرم فيه ركب
الملك الناصر ونزل من القلعة وزار قبر والده برقوق وشق من القاهرة ودخل من باب
النصر وكان له موكبا عظيما وزينوا له المدينة وضجوا له الناس بالدعا فشق فى المدينه
وطلع الى القلعة وهذا كان اول مواكبه **وفيها** جاءت الاخبار من دمشق بان تنم نايب
الشام خامر واظهر العصيان وخرج عن الطاعة واطلق من كان مسجونا من الامرا بقلعة

دمشق من ايام الظاهر برقوق فلما بلغ السلطان ذلك طلب المقر الاتابكى ايتمش فلما
حضر قال قد بلغت وقصدى ان اترشد فقال الاتابكى ايتمش نعم السمع والطاعة ثم
ارسل خلف امير المومنين المتوكل والقضاة الاربع وشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى فلما
تكامل المجلس قام المقر السعد سعد الدين بن غراب وكيلا عن السلطان وادعى بين يدى القضاة
الاربع فاعذر له الاتابكى ايتمش وثبت رشده فى ذلك اليوم وحكموا به القضاة واعذر
له امير المومنين ثم ان السلطان اخلع على امير المومنين وعلى القضاة الاربع وشيخ الاسلام
سراج الدين عمر البلقينى والاتابكى ايتمش ونزلوا الى بيوتهم ثم ان السلطان نادى فى القاهرة
بالزينة فزينت سبعة ايام ودقت البشاير ونودى بالامان والاطمان والبيع والشرا
والدعا بالنصر للسلطان فضجو الناس له بالدعا فلما كان يوم الاثنين عاشر ربيع الاول
من سنة اثنين وثمانماية فيه ركب الامير ايتمش الاتابكى على السلطان والبس مماليكه
آلة الحرب وطلع الى الرميله بين الغروب والعشا واجتمع عنده جماعة من الامرا المقدمين
وهم الامير تغرى بردى امير سلاح والامير ارغون شاة البيدمرى امير مجلس والامير
فارس حاجب الحجاب وغير ذلك من الامرا الطبلخانات والامرا العشراوات واجتمع عنده
من المماليك السلطانيه والسيفيه والاجمعى واجتمع عند الملك الناصر بالقلعة من الامرا
المقدمين وهم الامير بيبك الشعبانى والامير طاز والامير سودون المارديني والامير
بيبرس الدوادار والامير اينال باى بن قجماس وجماعة كثيرة من الامرا الطبلخانات والعشراوات
فلما لاح الصباح نزلوا الى باب السلسلة والتقوا مع ايتمش ووقع قتال عظيم من طلوع
الفجر الى بعد الظهر ثم ان الاتابكى ايتمش نادى للعوام بان كل من مسك مملوكا من مماليك
الظاهر برقوق ياخذ عريه وفرسه فلما سمعوا المماليك الذى كانوا مع ايتمش هذه
المناداه فانسحبوا من عنده وقالوا الحق نقاتل معه وهو يريد مسك خشداشينا فطلعوا
الى القلعة فلم يبق مع ايتمش الا بعض مماليك صغار فلما تلاشى امره فولوا الامرا الذى
كانوا عنده فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسر الاتابكى ايتمش وهرب نحو قبة
النصر وقد قتل فى هذه الوقعه بعض امرا وجرح منهم جماعة وقتل جماعة كثيرة من
المماليك الذى كانوا معه ولما انكسر ايتمش ومن كان معه من الامرا فنهبوا العوام
بيوتهم واخذ واكل ما فيها حتى الرخام والابواب ثم نهبوا مدرسة ايتمش التى عند
باب الوزير واحرقوا ربعه المجاور الى المدرسة ثم حفروا قبر اولاده وقد ظنوا ان
فيه مال فلم يلقوا فيه شيا سوى العظام ونهبوا جامع اقسنقر المجاور لبيت ايتمش
ونهبوا قبة خوند زهرا بنت الملك الناصر محمد ابن قلاوون المجاورة لبيت ايتمش
ونهبوا وكالة ايتمش التى عند مدرسته ونهبوا مدرسة السلطان حسن واحرقوا
بابها لكون ان ايتمش كان يحاصر القلعة منها ثم نهبوا بيوت الامرا التى كانوا مع
ايتمش واستمر النهب عمالا فى المدرسة يومين ثم ان الزعر زاد امرهم حتى كسروا

باب جبى الرجيه واطلقوا من كان به من المحابيس وصارت المدينة ماسحة ليس بها حاكم
ولا والى ولا حاجب والسلطان صغير ليس له حرمة ولا كلمة واضطربت الاحوال
ولولا لطف الله تعالى بالناس لنهبت القاهرة عن اخرها فى هذه الحركة ثم جات الاخبار
بان الاتابكى ايتمش ومن معه من الامرا لما انكسروا فتوجهوا الى نحو الشام فلما وصلوا الى
هناك فلاقاهم تنم نايب الشام وانزلهم بالقصر الابلق الذى بالميدان ومد لهم سماط
عظيم وانعم عليهم بكسوة وخيول ومال ورتب لهم فى كل يوم ما يكفيهم من سماط وعليق
وغير ذلك وكان وصول الاتابكى ايتمش والامرا الذى معه الى دمشق يوم الاثنين رابع
عشرين ربيع الاول من السنة المذكورة وكان يوم دخولهم الى دمشق يوما مشهودا ويوما
عظيما فلما تحقق السلطان صحة هذا الخبر فاجتمع هو والامرا وضربوا مشورة فى هذا الامر
ثم وقع الاتفاق على ان يخرجوا عن جماعة من الامرا ممن كان مسجونا بثغر الاسكندرية ثم رسم
السلطان بالافراج عمن يذكر من الامرا وهم الامير نوروز الحافظى والامير سودون قريب
السلطان الملك الظاهر برقوق والامير تمراز الناصرى والامير اقباى السيفى طرنطاى
فلما حضروا عمل السلطان الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفى بيبرس واستقر
به اتابك العساكر عوضا عن ايتمش البجاسى واخلع على المقر السيفى بكتمر الركنى واستقر
به امير سلاح عوضا عن تغرى بردى من يشبغا واخلع على المقر السيفى تمراز الناصرى
واستقر امير مجلس واخلع على المقر السيفى نوروز الحافظى واستقر راس نوبة
النوب واخلع على المقر السيفى سودون قريب السلطان واستقر دوادار كبير
واخلع على المقر السيفى اقباى الطرنطاى واستقر حاجب الحجاب عوضا عن الامير
فارس واخلع على المقر السيفى سودون من على باى واستقر امير اخور كبير عوضا
عن سودون الطيار وانعم بتقادم الوف على جماعة من الامرا وهم الامير اينال العلاى
ابن قجماس والامير سودون من زاده وهو صاحب الجامع الذى فى سويقة العزى والامير
اينال العلاى حطب وانعم على جماعة بامريات اربعين وامريات عشرة واستقامت
اموره فى السلطنه **وفيها** قبض السلطان على الصاحب فخر الدين بن غراب وانفصل من
الوزاره وقبض على اخيه القاضى سعد الدين ابراهيم ناظر الجيش وناظر الخاص وقبض على
الامير شهاب الدين احمد بن قطينة الاستادار وقبض على الشريف علاى الدين البغدادى
شاد الدواوين وسلمهم جميعهم الى الامير ازبك الرمضانى صاحب نوبة ثانى ليستخرج
منهم الاموال فاقاموا فى بيت الامير ازبك اياما ثم ان الاتابكى بيبرس شفع فيهم
فافرج السلطان عنهم ونزلوا الى بيوتهم بطالين ثم ان السلطان اخلع على الصاحب بدر
الدين بن الطوخى واعاده الى الوزاره واخلع على القاضى شرف الدين بن الدماميني واستقر
به ناظر الجيش وناظر الخاص ووكيل بيت المال فاقاموا كلا فى هذه الوظايف نحو ثلاث
شهور ثم ان السلطان رضى على الصاحب فخر الدين بن غراب واعاده الى الوزاره واعاد

اخيه القاضي سعد الدين بن غراب الى وظائفه كما كان واخلع على القاضي شرف الدين ابن الدماميني واستقر به قاضي ثغر الاسكندرية عوضا عن اخيه **وفيها** اخلع السلطان على الشيخ انبيا التركماني واستقر به شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس عوضا عن الشيخ اسلام الحنفي **وفيها** جاءت الاخبار من دمشق بان شيخ نائب الشام جمع عسكرا عظيما وخرج من الشام وهو قاصد نحو الديار المصرية وقد وصل اوايل عسكره الى غزه فلما تحقق السلطان صحة هذا الخبر علق الجاليش ونادى للعسكر بالعرض فاعرض ونفق على العسكر في يومه ثم برز خامر الى الريدانيه فلما كان يوم الخميس رابع رجب من السنة المذكورة طلب السلطان ونزل من القلعة وخرج في موكب عظيم ومعه امير المومنين المتوكل والقضاة الاربع وساير الامرا فتوجه الى نحو الريدانيه وخرج من بعده اطلاب الامرا المسافرين معه ثم ان السلطان جعل الاتابكي بيبرس نائب الغيبة بمصر الى ان يعود السلطان الى الديار المصرية وترك بمصر جماعة من الامرا المشراوات والحجاب وبعض مماليك سلطانيه ثم ان الملك الناصر عين جماعة من الامرا بان يتقدموا امام العسكر وهم الامير يشبك الوكني امير سلاح والامير تمراز الناصري امير مجلس والامير نوروز الحافظي راس نوبة النوب والامير شيخ المحمودي الخاصكي احدى الامرا المقدمين والامير سودون قريب السلطان والامير دقاق المحمدي وجماعة من العسكر والمماليك السلطانيه نحو الف مملوك فتقدموا امام العسكر فلما كان يوم الجمعة ثامن رجب رحل السلطان من الريدانيه وقصد التوجه الى نحو البلاد الشامية

ومن هنا نرجع الى اخبار شيخ نائب الشام فانه لما تولى الملك الناصر خرج عن الطاعة واظهر العصيان ووضع يده على البلاد الشامية وقد وافقه على العصيان نائب حلب ونائب حماه ونائب صفد ونائب طرابلس والتف عليهم من العساكر والعربان ما لا يحصى عددهم فلما ركب الاتابكي ايتمش بمصر وانكسر كما تقدم توجه اليه هو والامرا الذين ركبوا معه فلما توجهوا اليه قويت شوكته وعظم امره فصار شيخ يركب في كل يوم بالشام في المواكب العظيمة مثل مواكب السلطان والامرا والنواب قدامه والدف والشبابه والاوزان والجاويشيه والشعرا قدامه وكان يركب في خدمته ما يزيد على خمسة وعشرين اميرا من الامرا المقدمين واجتمع عنده من النواب ومن عساكر البلاد الشامية نحو اربعة الاف انسان بين تركمان وعربان وغير ذلك من عساكر فحدثت نفسه شيخ ان يصير سلطانا لا محالة وعظم في نفسه هذا ما كان من امر شيخ نائب الشام **واما ما كان** من امر الملك الناصر فرج فانه لما خرج من مصر كان اكثر الناس لا يشكون ان يكون هو المكسور لا محالة وان شيخ هو المنتصر عليه والله غالب على امره وكان اكثر الامرا والعسكر حاسرين على السلطان في الباطن ومايلين الى شيخ نائب الشام والسلطان بينهم مثل العصفور في يد الناسور فخرج من مصر وهو في غاية الضنك فكان كما قيل في المعنى

خف اذا اصبحت ترجوا   وارج ان امسيت خائف
رب مكروه مخوف   فيه لله لطائف

اطلا من اكل اللطائف فلما وصل السلطان الى غزه كان اقبغا اللكاش نائب غزه فخرج هو ونائب حماه ونائب صفد الى قتال للملك الناصر فالقى الله تعالى الرعب في قلوب النواب فاول من دخل تحت طاعة السلطان دمرداش نائب حماه وكذلك نائب صفد فلما راوا عسكر الشام دخول النواب تحت طاعة السلطان تخامروا جميعا على شيخ نائب الشام ودخلوا تحت طاعة السلطان وتوجهوا اليه في غزه ثم ان نائب غزه اقبغا اللكاش هرب من وجه السلطان فملك السلطان مدينة غزه فلما بلغ ذلك الى شيخ نائب الشام فخرج من الشام هو والاتابكي ايتمش وبقية الامرا واتوا الى مدينة الرمله ثم ان السلطان ارسل الى شيخ نائب الشام والى الاتابكي ايتمش قاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي والامير ناصر الدين الرماح بان يمشوا في امر الصلح بينهم وبين السلطان فتوجهوا اليهم ثم انهم عادوا بالجواب بانهم قد ابوا من الصلح ولم يوافقوا على ذلك فلما سمع السلطان جوابهم ركب من غزه هو والامرا والعسكر وتوجهوا اليهم وذلك في يوم السبت ثاني عشرين رجب فتلاقوا العسكرين على مكان يسمى الحسينين فكان بينهم هناك وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها فلم تكن الا ساعة يسيرة حتى وقعت الكسرة على شيخ نائب الشام ومسك واحتاطوا على بركه ودوابه ثم ان الاتابكي ايتمش وبقية الامرا هربوا وتوجهوا الى نحو الشام ثم ان العسكر المصري نهبوا مدينة الرمله وسبوا اهلها ثم ان الامير جكم العوضي توجه خلف الذين هربوا الى الشام فقبض على الاتابكي ايتمش البجاسي وعلى الامير فرج بردي امير سلاح والامير اقبغا اللكاش نائب غزه والامير بيغجا طيفور حاجب الحجاب بدمشق والامير ارغون البيدمري امير مجلس والامير يعقوب شاه الكمشبغاوي والامير فارس حاجب الحجاب فلما قبض عليهم قيدهم وحبسهم بقلعة دمشق ونادى في الشام بالامان والاطمان والبيع والشرا والدعا بالنصر للسلطان فضج اهل الشام له بالدعا ثم بعد ايام وصل السلطان الى دمشق وكان يوم دخوله اليها يوما مشهودا ودخل في موكب عظيم وقدامه شيخ نائب الشام وهو مقيد راكب على اكديش ابلق ومعه عشرة من الامرا وكل امير راكب على بغل او اكديش وراكب خلفه اوجاقي ومعه خنجر وهو مقيد من تحت بطن الفرس بقيد حديد ومفتاح القيد عند السلطان فحبسهم في قلعة دمشق عند الاتابكي ايتمش وفيه يقول بعض الشعرا

أعلمت انك لا تزال بكل حق   عاداك بالنصر القريب مظفرا
ورجوت ان تطا الكواكب رفعة   من فوق اعناق العدى وكذا جرى

ولما دخل السلطان دمشق نزل بالقصر الابلق الذي بالميدان ثم انه شرع في القبض على اصحاب شيخ نائب الشام وحاشيته فكان من جملة من مسك الامير علاء الدين ابن الطبلاوي وقد تقدم ان الملك الظاهر برقوق نفاه الى القدس فلما مات الملك الظاهر هرب

وتوجه الى عنتاب ثم نايب الشام وصار يعوع الظلم بدمشق كما كان يفعل بمصر ثم اراد
السلطان بان يقبض على الناصري محمد بن تنكز نايب الشام فهرب تحت الليل وتوجه الى
نحو بلاد التركمان فكان كما قيل فى المعنى

من عاشر الزيدانى قاتحت عليه دواكيجوا ، ويحترق بشراره من عاشر الحداد

فلما كان يوم الخميس خامس عشر شعبان فيه حضر الى القاهرة نجم الخاصكى وعلى يده
مثالات شريفه تتضمن اخبار هذه النصرة التى حصلت للسلطان فرج وقد حضر نجم
المذكور من البحر المالح من على الطينة لان الدرب السلطانى كان مضطرب الاحوال
بسبب فساد العربان فلما جاء هذا الخبر الى القاهرة نادى نايب الغيبه فى القاهرة بالزينة
فزينت سبعة ايام **ومن الحوادث** فى غيبة السلطان ان الامير يلبغا الاحمدى المعروف
بالمجنون وكان استادار بمصر فلما توجه السلطان الى الشام فصار يرمى الفتن بين الامرا
الذى كانوا فى القاهرة فوثبوا على بعضهم فوقع بينهم الخلف وصار فى كل يوم فى اضطراب
وفتن واضطربت احوال مصر وتخبطت البلاد الشرقيه والغربية وكثرت المناسر
فى القاهرة حتى صار فى كل حارة مركز يحفظونها فى الليل من الحرامية وصاروا العوام
يخطفون العمايم فى الحارات الظهر الاحمر ثم جات الاخبار من دمشق بان السلطان لما
اقام بدمشق بعد هذه النصرة فاخلع هناك على من يذكر من الامرا وهو المقر السيفى سودون
قريب السلطان واستقر به نايب الشام عوضا عن شيخ المحمودى واخلع على المقر السيفى
دمرداش المحمدى ونقله من نيابة حماه الى نيابة حلب واخلع على المقر السيفى شيخ المحمودى
واستقر به نايب طرابلس واخلع على الامير دقماق المحمدى واستقر به نايب حماه
عوضا عن دمرداش المحمدى واخلع على الامير الطنبغا العثمانى واستقر به نايب صفد
على عادته واخلع على الامير جنتمر التركمانى واستقر به نايب بعلبك ثم ولى جماعة
من القضاة بدمشق منهم القاضى تقى الدين بن الكفرى الحنفى وولى القاضى شمس الدين
النابلسى الحنبلى ثم جاءت الاخبار من دمشق بان السلطان قتل جماعة من الامرا
وهم الاتابكى ايتمش البجاسى والامير فارس حاجب الحجاب والامير اقبغا اللكاش نايب
غزه والامير طيان الكمشبغاوى والامير بيغجا طيفور حاجب حجاب دمشق والامير
ارغون شاة الاقبغاوى والامير يعقوب شاه الكمشبغاوى والامير بيغوت اليحياوى
والامير مبارك شاة المعروف بالمجنون والامير بهادر العثمانى نايب البيرة وغير
ذلك جماعة كثيرة من امرا مصر والشام فكان عدة من قتل من الامرا فى هذه الحركة نحو من
اربعة عشر اميرا ذبحوا الجميع ميبرح الحمام بقلعة دمشق ثم ان السلطان ارسل راس الاتابكى
ايتمش البجاسى وراس الامير فارس حاجب الحجاب الى القاهرة فى علبة فطافوا بهما
فى القاهرة ثم علقوها على باب زويلة ثم جاءت الاخبار بان السلطان قد خنق شيخ
نايب الشام والامير يودى نايب طرابلس قبل انما اخر شيخ نايب الشام بعد قتل

الامرا

الامرا الاحتى استصفى امواله وذوره على الاموال التى اخذها من البلاد لما ظهر العصيان فلعبت
به الدنيا ثم راغته وتخلت عنه فكان كما قيل فى المعنى

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ، له عن عدو فى ثياب صديق

ولما كان يوم الاثنين ثامن شهر رمضان فيه حضر خاصكى واخبر بان السلطان خرج من دمشق
وهو قاصد نحو الديار المصرية ثم فى يوم السبت فى الحادى والعشرين من شهر رمضان
فيه حضر الى القاهرة المقر السعدى سعد الدين ابن غراب وصحبته حريم السلطان الملك
الناصر واخبر بان السلطان قد وصل الى الصالحية ولما حضر ابن غراب اشيع بين الناس
ان الامير علاى الدين ابن الطبلاوى لما قبض عليه السلطان بدمشق قيده وارسله هو
والقاضى ناصر الدين ابن ابى الطيب كاتب سر الشام صحبة ابن غراب فلما وصل الى غزه
فارسل السلطان بقتل ابن علاى الدين ابن الطبلاوى فمات مخنوقا بغزه ودفن هناك
وقد قاسا شدايد عظيمة فى ايام الظاهر برقوق وفى ايام ابنه فرج واخر الامر مات
قتيلا بعد ما قاساه فكان كما قيل فى المعنى

ترجو الوليد وقد اعياك والده ، فما رجاوك بعد الوالد الولدا

ثم وقعت شفاعة من الامرا فى القاضى ناصر الدين ابى الطيب كاتب سر الشام بعد ما كان رسم
بقتله فعفى عنه من القتل وحضر صحبة بن غراب الى مصر ولما كان يوم الجمعة سادس عشرين
شهر رمضان فيه وصل السلطان الى الديار المصرية ودخلها فى موكب عظيم وزينت له
القاهرة فلم يطلع الامن بين الترب فدقت له البشاير وفرشت له الشقق الحرير
من عند تربة الطنبغا الطويل الى راس الصوه وحملت القبة والطير على راسه وكان له
يوما مشهودا حتى طلع الى القلعة وجلس على سرير الملك ثم عمل الموكب وانعم تنبك ادم
الروف على جماعة من الامرا منهم قطلوبغا الكوكى واقباى الاينالى وجركس القاسمى وجكم
العوضى ثم اخلع على الامير مقبل واستقر به زماما واخلع على الامير صواب الجنكلى
واستقر به مقدم المماليك السلطانيه واخلع على فارس الدين شاهين الحلبى واستقر
به نايب مقدم المماليك **وفيها** فى يوم الثلاثا رابع عشر شوال فيه جاءت الاخبار
من بلاد الصعيد بان الناصرى محمد ابن عمر الهوارى كبس على الامير يلبغا الاحمدى فمسك
جماعة من اصحابه وغلمانه وهرب يلبغا الاحمدى وكان سبب ذلك ان يلبغا الاحمدى لما
سافر السلطان فصار يرمى الفتن بين الامرا الذى كانوا بمصر حتى اقتتلوا فى بعضهم ودخلوا
على بعضهم فقصد نايب الغيبه بان يقبض على يلبغا الاحمدى فهرب وتوجه الى نحو بلاد
الصعيد فلما اراد محمد بن عمر الهوارى خوفا ان يقبض على يلبغا اتبعوه فنزل عن فرسه وارمى
نفسه فى البحر ثم بعد ايام طلعوا به وقد اكل السمك وجهه فدفنوه ومضى امره بعد ما
اخرب غالب بلاد الصعيد ونهب اموال الناس **وفيها** فى ثانى ذى القعدة حضر مملوك
نايب حلب واخبر بان القان احمد بن اويس صاحب بغداد وقرا يوسف امير التركمان

فهرب و

حضر اليهم جاليش عسكر تمرلنك فالتقوا معه وقعة عظيمة فانكسر جاليش تمرلنك فلما
انكسروا واتوا الى نحو ملطيه وكانوا نحو سبعة الاف انسان فارسلوا الى نايب حلب
يقولوا له عين لنا مكان ننزل به فلما سمع نايب حلب ذلك فركب هو ونايب حماه وتوجهوا
الى عسكر تمرلنك فالتقوا معه وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها فانكسر نايب حلب وقتل من
عسكر حلب جماعة عظيمة كثيرة منهم جانى بك اليحياوى اتابك العساكر بحلب واسر
نايب حماه دقماق المحمدى حتى اشترى نفسه منهم بمال جزيل ورجع نايب حلب الى حلب وهو
مكسور وكانت هذه اول الفتن بين عسكر مصر وبين تمرلنك فلما بلغ السلطان ذلك رسم
لنايب الشام ونايب صفد ونايب طرابلس بان يجمعوا العساكر ويتوجهوا الى حلب ويقيمون
بها **وفيها** حضر نجاب من مكة المشرفة واخبر بان الحرم احترق منه نحو الثلث ومن الاعمدة
الرخام مايه وثلاثون عامودا وعملت النار من باب عزوره الى باب العمرة وكان هذا حريقا
عظيما لم يسمع بمثلها فلما بلغ السلطان ذلك فعين الامير بيسق الشيخى لعمارة ما احترق
من الحرم وارسل معه الخواجا برهان الدين المحلى التاجر الكارمى وبعث السلطان معه
عشرة الاف دينار بسبب العمارة فعمروه كما كان ولم يجدوا اعمدة الرخام فعملوا عوضهم
تلك حجر اسود **وفيها** ظهر الامير صرق وكان مختفيا من حين خامر تنم نايب
الشام فلما ظهر فلما ظهر قام عليه السلطان فتقدم بحلب فنافر الى حلب من يومه وتوفى
فى هذه السنة من الاعيان قاضى القضاة برهان الدين العسقلانى الحنبلى والشيخ اسلام
الاصبهانى الحنفى والامير بهادر الشهابى مقدم المماليك السلطانية وغير ذلك من الاعيان
ثم دخلت سنة ثلاث وثمان مايه فيها حضر مملوك من عند نايب حلب واخبر بان وقعة تمرلنك
جاليش تمرلنك قد وصل الى سيواس وان ابن تمرلنك فى الجاليش ومعه عساكر عظيمة
وان ابن عثمان والقان احمد بن اويس وقرا يوسف توجهوا الى مدينة بوصا وتركوا
بلادهم من خوفهم من تمرلنك وقد اشيع عنه انه لما دخل الى سيواس فنهبها وقتل اهلها
قيل كان يحفر للناس حفيرة ويدفنهم فيها وهم بالحيا وكان يحرق بعضهم بالنار وكانت
فتنة تمرلنك اول فتنة وقعت على راس الثمان مايه ثم جات الاخبار من حلب بان
تمرلنك قد ملك البهسنا وعينتاب وقد وصل الى الباب وبزاغا بالقرب من حلب
ثم ان تمرلنك ارسل الى نايب حلب قاصدا ومعه مكاتبات من عند تمرلنك فيها عبارة
خشنه لنايب حلب فلما سمع نايب حلب ذلك تحنق وامر بضرب اعناق قصاد تمرلنك
فعند ذلك اضطربت احوال مدينة حلب وحصنوا اسوارها بالمدافع والمكاحل والمقاتلين
فلما بلغ تمرلنك ما فعلوا بقصاده فزحف الى قريه من قرى حلب ونهب ما حولها من
الضياع فلما كان يوم السبت حادى عشر ربيع الاول من سنة ثلاث وثمانمايه خرجوا
عساكر حلب وساير النواب بعساكرهم والتقوا مع تمرلنك فكان بينهم ساعة تشيب
منها النواصى وقد دهمتهم عساكر تمرلنك كامواج البحار المتلاطم ومالت عليهم كتايب

الجنود المتراجم فلم يثبتوا اليهم عساكر حلب وولوا على اعقابهم مدبرين واقبلوا نحو المدينة
منهزمين وقد داست حوافر الخيل اجساد الادمية العامة وطلبهم من البوس كل داهية
طامة وكان قد احتمى بالمزارات والمساجد جم الحفير من النسا والاطفال فدخلوا اليهم
واسروهم وقرنوهم بالحبال واسرفوا فى قتل النسا والرجال وصارت الابكار تختفى
فى المساجد ولم يرعوا حرمة المساجد فلا يرثوا لبكا الرضيع ولا يخشوا دمعة الوكع وقد صارت
المساجد كالمجزره من القتلا فلا حول ولا قوة الا بالله واستمر هذا الامر الشنيع يتزايد
من يوم السبت الى يوم الثلاثا فلما راى دمرداش نايب حلب عين الغلب فنزل من القلعة
هو ونقية النواب واخذوا فى رقابهم مناديل وتوجهوا الى عند تمرلنك يطلبون منه
الامان فلما مثلوا بين يديه فاطلع عليهم اقبية بمخمل احمر والبسهم تيجان مذهبة وقال لهم
انتم صرتوا نوابى ثم ارسل معهم جماعة من امراءه يتسلمون المدينة والقلعة فانزلوا من
كان بها وهم فى قيود واستمر مقيما على حلب نحو شهر وعسكره ينهبوا القرى ويقطعوا الاشجار
التى بها ويهدمون البيوت وتداسرفوا فى القتل ونهب الاموال وصارت الارجل لا تطا
الا على جثة انسان لكثرة القتلا حتى قيل انه بنا من رؤوس القتلا عشرة مواذن دور كل مادنه
نحو عشرين ذراعا وصعودها فى الهوا مثل ذلك وجعلوا الوجوه فيها بارزه تسفوا عليها
الرياح وتركوا اجساد القتلا فى الفلا فتناهشها الكلاب والوحوش وكان عدة من قتل
فى هذه الوقعه من اهل حلب من صغار وكبار ونسا ورجال نحو من عشرين الف انسان هذا
خارجا عن ما هلك من الناس تحت ارجل الخيول عند اقتحام ابواب المدينة وقت الهزيمة
وهلك من الجوع والعطش اكثر من ذلك فلما ملك تمرلنك مدينة حلب والقلعة نهب
جميع ما فى المدينه والقلعة ثم ان تمرلنك اقام على حلب نحو شهر ثم رحل عنها بعد ما
جعلها خاوية على عروشها وقد تعطلت فى مدة هذه المحاصرة من الاذان والاقامة ومن
صلاة الجمعة ومما يحكى عن اخبار عسكر تمرلنك فيما فعلوه بعسكر حلب قيل كانوا يطون
الابكار فى محراب المساجد وابوها وامها يشاهدون ذلك بعينهم ولقد حكى من سر
منهم انهم من حين استولوا على حلب الى حين رحلوا عنها لم يسمع فى عسكرهم اذان وانهم
يجامعون النسا فى الحيض ولا يبالون الوطى الا بعد الاغتسال ولو كانوا فى قلب الشتا
بالماء البارد **وقيل** ان تمرلنك كان يحتجب عن عسكره نحو اسبوعين فلا يجتمع على احد
من عسكره ويعتكف على شرب الخمور تلك مدة انهكا فيتهبون عسكره البلاد ويفسقون
فى اهلها فلم يجدون من يمنعهم ذلك ولا يردهم فيستمروا على ذلك ولما كان يوم السبت
خامس عشرين ربيع اول من سنة ثلاث وثمانماية فيه حضر مملوك بلمش العلاى واخبر
بما قد جرى من تمرلنك وبما وقع فى حلب وبما جرى على النواب فعند ذلك اضطربت احوال
الديار المصريه بما جرى فى الديار الشامية فعين السلطان فى يومه الامير سودون من زاده
والامير اينال حطب راس نوبة ثانى فتوجهوا الى السفر من يومها لكشف الاخبار عن حقيقة

ذلك ثم جاءت الاخبار عقيب ذلك بان تمرلنك لما رحل عن حلب توجه الى حماه وفعل
باهلها كما فعل باهل حلب من القتل والنهب كما تقدم من افعاله الشنيعة ثم حضر نجاب
من عند نايب الشام بان طليعة تمرلنك قد وصل الى الشام عند جبل الثلج فلما تحقق السلطان
ذلك فعلق الجاليش ونادى للعسكر بالعرض ونفق على العسكر وبرز خامه الى الريدانية
فاضطربت في ذلك الوقت الديار المصرية وماجت القاهرة باهلها فكان كما قيل

كم لي انبه منك مقلة نايم ⁂ لم يهد تغير سروره الاحلام
فكانه اذا جئته مستصرخا ⁂ طفل يحرك مهده فينام

وكان الملك كلما طرقته هذه الاخبار تغافل عنها ويتشاغل بشرب الراح ودعا بالملاح حتى
تمكن تمرلنك من البلاد وعم شره بالفساد فعند ذلك خرج الناصر الملك وطلب ونزل
من القلعة في يوم الاحد ثالث ربيع الاخر من سنة ثلاث وثمان مائة فخرج في موكب عظيم
وكان صحبته امير المومنين محمد والقضاة الاربع وهم قاضي القضاة الشافعي صدر الدين
المناوي وقاضي القضاة جمال الدين يوسف الملطي الحنفي وقاضي القضاة نور الدين ابن
الجلال المالكي وقاضي القضاة موفق الدين الحنبلي وخرج معه ساير الامرا من المقدمين
والاربعينات والعشراوات وساير العسكر فاقام في الريدانية يومين ثم عين ستة
من الامرا المقدمين يتوجهوا طاليعة العسكر وهم الاتابكي بيبرس الركني والمقر السيفي
يكتمر امير سلاح والمقر السيفي نوروز الحافظي راس نوبة النوب والمقر السيفي الجباي
الطرنطاي حاجب الحجاب والمقر السيفي اينال باي ابن قجماس والمقر السيفي يلبغا ثم ان
الملك الناصر رحل من الريدانية وترك المقر السيفي تمراز الناصري امير مجلس نايبا
الغيبة بمصر الى ان يحضر السلطان والامير جكا احد المقدمين وجماعة من الحجاب
والمماليك السلطانية فلما وصل السلطان الى غزه جاءت الاخبار الى القاهره بان السلطان
لما دخل الى غزه اخلع على المقر السيفي تغرى بردى من يشبغا واستقر به نايب الشام
واخلع على المقر السيفي اقبغا الجمالي واستقر به نايب طرابلس واخلع على المقر السيفي
تمربغا المنجكي واستقر به نايب صفد واخلع على المقر السيفي طولو من علي شاه واستقر
به نايب غزه واخلع على المقر السيفي الامير صدقة بن الطويل واستقر به نايب
القدس الشريف ثم ان السلطان رحل من غزه في يوم الاثنين خامس عشرين ربيع الاخر
وقصد التوجه الى الشام ولما رحل السلطان من غزه ارسل يطلب من نايب الغيبة العـ
ترس والخيل ليتقوى بهم العسكر ثم جاءت الاخبار بان الامير احمد بن رمضان امير
التركمان جمع عساكر كثيرة من التركمان وجاءت الى حلب وطرد من كان بها من عسكر تمرلنك
الذي تركهم بحلب وارسل الكاتب السلطان بذلك ثم جاءت الاخبار من دمشق بان تمر
لنك نازل بالقرب من سلمية وانه ارسل جماعة من عسكره الى نحو طرابلس فتاهوا عن
الطريق فدخلوا الى وادي بين جبلين فوثبوا عليهم جماعة من عربان جبل نابلس فقتلوا

منهم جماعة كثيرة بالنشاب والحجارة فولوا مدبرين ثم ان السلطان دخل الى دمشق في يوم
الخميس سادس جمادى الاول ونزل بالميدان الكبير وجلس بالقصر الابلق وحكم بين
الناس وصلى الجمعة بدمشق ثم برز خامه الى قبة يلبغا فلما كان وقت الظهر جا جاليش
تمرلنك من تحت جبل الثلج وكانوا نحو الف فارس فبرز اليهم جاليش السلطان وكانوا نحو
مايتي فارس فالتقوا مع عسكر تمرلنك وتعز قوية فانكسر جاليش تمرلنك وولوا
مدبرين ثم في تلك الليلة جاوا جماعة من امرا تمرلنك ومن عسكره ودخلوا تحت طاعة
السلطان واخبروا بان ولد تمرلنك كان في الجاليش فقتل وكان للملك صهره وقد حصل
لتمرلنك على ولده غاية الحزن فاخلع السلطان على امرا تمرلنك واشتهر بدمشق ثم حضر
الى السلطان الامير نعير ابن حيار امير آل فضل وجمع من العربان ما لا يحصى عددهم من
حارثة وغير ذلك من القبايل ثم بلغ السلطان بان عسكر تمرلنك قد تغلبوا عليه ومات
من عسكره جماعة كثيرة نحو خمسة الاف انسان من الثلج الذي ينزل من الجبل وصار
يحضر الى السلطان في كل يوم جماعة من عسكر تمرلنك ويدخلوا تحت طاعة السلطان
والتف على السلطان جماعة كثيرة من العربان والعشير حتى قيل تكامل عنده نحو اثنى عشر
الف فارس خارجا عن عسكر مصر وكانت طوالع الملك الناصر في مبتداها سعيدة والنصر
لايح عليه ولكن كما قيل في المعنى

يريد المرء ان يعطى مناه ⁂ ويابى الله الا ما اراد

فلما كان يوم الخميس خامس جمادى الاول من السنة المذكورة فيه حضر السلطان الملك الناصر
فرج الى الديار المصرية على حين غفلة وطلع الى القلعة وحضر صحبته الخليفة المتوكل
وجماعة من النواب وهم نايب الشام ونايب صفد ونايب غزه وغالب امرا دمشق وحضر
مع السلطان نحو الف مملوك وحضر مع كل امير مملوكين من مماليكهم وليس معهم بركة ولا
قماش وكان سبب حضور السلطان على هذا الوجه ان عسكر السلطان لما ان اتقع مع عسكر
تمرلنك مرتين وهو ينكسر فارسل تمرلنك يطلب من السلطان الصلح وارسل الى عند
السلطان اميرا من امرايه يقال له الامير حسين وارسل معه ابن بنته يمشوا بينه وبين
السلطان في امر الصلح فلما ان حضروا الى عند السلطان فاخلع عليهم واحسن اليهم وارسل
تمرلنك يسال السلطان بان يطلق له قرابته اطلمش الذي اسر في ايام الظاهر برقوق
كما تقدم وان تمرلنك يطلق من عنده من الاسرى جميعهم وصارت الرسل تتردد بين السلطان
وبين تمرلنك مرارا عديدة واخر ذلك كان ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الاخرة فاقاموا
رسل تمرلنك عند السلطان الى ثلث الليل واتفق معهم على ان في باكر النهار ينعقد
الصلح بينهما فبلغ السلطان ان العسكر تغلبوا عليه في تلك الليلة وهرب منهم جماعة
من الامرا وقصدوا بذلك التوجه الى نحو الديار المصرية وكان الذي قد هرب من
الامرا تحت الليل وهم الامير سودون الناصري الطيار والامير قاني باي العلاي

والامير احمد بن الشيخ علي والامير جمق دمن الخاصكيه بيبغا العثماني وبيبك الساقي
الاعرج دقجق الحافظي وبرشبغا وطرباي بن عبدالله وجماعة من المماليك السلطانيه
نحو من اربعين مملوكا فلما كانت ليلة الجمعة المذكورة قاموا الامرا على السلطان واركبوه
غصبا عليه واخرجوه من دمشق وقت الشيخ وقد جعل الله لكل شي سببا حتى ينفذ
القضا والقدر فلما خرج السلطان من دمشق والامرا طلعوا من على عقبة ئدمر ونزلوا
من على ساحل البحر المالح وتوجهوا الى صفد واخذوا نايب صفد معهم وتوجهوا الى غزه فلما
دخل السلطان الى غزه وجد الامرا الذين تسحبوا من دمشق هناك فتوجهوا مع السلطان
الى مصر **قيل** وكان سبب تسحب الامرا من دمشق فان جماعة من الامرا تقلبوا هنالك على
السلطان الملك الناصر وخرجوا من الشام وقصدوا بان يتوجهوا الى مصر ويسلطنوا الامير
لاجين الجركسي فلما تحققوا الامرا ذلك قاموا على السلطان واركبوه غصبا وخرجوا به
من دمشق فلما دخل السلطان الى القاهرة رسم للامير يلبغا السالمي استادار العالية
بان يشرع في عمل برك للسلطان وكسوة للامرا والخليفة فانهم خرجوا من الشام لا برك
ولا قماش فشرع الامير يلبغا السالمي في ذلك ثم السلطان قوى عزمه على ان يخرج الى
الشام ثاني مره فعلق الجاليش ورسم بان يوخذ من بلاد المقطعين على العبرة الذي تميز
وان يوخذ من املاك القاهرة وضواحيها اجرة شهرا ومن الرزق كل فدان خمسه دراهم
ومن البساتين كل فدان مايه درهم ثم صاروا يفتحوا حواصل التجار واصحاب الاموال ويزعمو
ان السلطان يقترض اموال التجار على ذمته الى ان يجي له مال من البلاد فيعيد لهم ما اخذ
من المال فكانوا يكبسوا حواصل التجار فان وجدوا صاحب الحاصل فياخذوا من ماله النصف
ويتركوا له النصف وان لم يجدوا صاحب الحاصل فياخذوا جميع ما في الحاصل من قماش
او مال ولم يتركوا للتجار شي ثم اخذوا من اوقاف الجوامع والمساجد اجرة شهر واحد
حتى من اوقاف المبيمارستان المنصوري فحصل للناس من ذلك غاية الضرر وصادف
في التراسيم والمصادرة وكان المتكلم في ذلك الامير يلبغا السالمي الاستادار فلما
تكامل جبي المال تكلموا الناس في حق يلبغا السالمي بانه اخذ لنفسه في هذه الحركة
من الناس اضعاف ما اورده للسلطان فلما كثر الكلام في حقه فقبض عليه السلطان
واخلع على المعز السعدي سعد الدين بن ابراهيم بن غراب واستقر به استادار اقصاد
ناظر الجيوش المنصورة وناظر الخواص الشريفه واستادار العالية ثم ان السلطان
سلم اليه يلبغا السالمي وكذلك الصاحب شهاب الدين احمد بن قطينه سلمهم الى ابن غراب
ايضا ثم ان السلطان عرض اجناد الحلقه والبحريه فكل من كان قادرا على السفر فيامره
بالسفر وكل من يكون عاجزا عن السفر يغرم له بديل او يوخذ منه نصف خراج اقطاعه
عن سنة كامله ووقع اشيا كثيرة من ابواب هذه المظالم فجمع من ذلك جملة كثيرة
وقوى عزمه على العود الى الشام ويقع مع تمرلنك وجه اخر وينفق ما جمعه

من المال على العسكر ثم اخذ في اسباب جمع العربان فحضر كاشف البحيره وصحبته ستة
الاف فارس من عربان البحيره وحضر شيخ الدرب بن بقر وصحبته الفين وخمسماية فارس
من عربان الشرقيه وحضر شيخ بني وايل وصحبته الف وخمسماية من عربان بني وايل وجات
الاخبار من عند الامير نعير شيخ آل فضل بانه قد جمع خمسة الاف فارس منهم بالجبل
نابلس ثم صاروا العسكر الذي انقطع في الشام يدخلون الى مصر وهم في اسوا حال
من العري والجوع فصار السلطان ينعم على كل مملوك بجامكية شهرين معجلا وينعم عليه بالف
درهم خارجا عن الجامكية لترتفع احوالهم وقد شرع في امر النفقه عليهم والعود الى السفر نحو
الشام هذا ما كان من امر الملك الناصر فرج بعد حضوره من دمشق **واما ما كان من امر**
اهل الشام مع تمرلنك بعد خروج السلطان منها فانه خرج من الشام في ليلة الجمعة حادي
عشرين جمادى الاول من السنة المذكورة فاصبحوا الناس في يوم السبت ما يجة في بعضها
وغلقوا ابواب المدينة وركبوا على الاسوار وصاروا يترامون بالنشاب على عسكر
تمرلنك وصاروا اهل دمشق يحثون بعضهم بعضا على القتال فكان بينهم في اول يوم
وقعة عظيمة فقتل في ذلك اليوم من عسكر تمرلنك نحو الفين انسان فلما كان يوم الاحد
ارسل تمرلنك يطلب من اعيان دمشق شخصا من عقلايهم حتى يمشي بينه وبين اهل
الشام بالصلح فلما اتى قاصد تمرلنك بهذه الرسالة فاشتوروا اهل دمشق فيمن يرسلوه
الى تمرلنك فوقع الاختيار على ان يرسلوا اليه القاضي تقي الدين ابن مفلح الحنبلي فانه
كان ملسنا طلق اللسان يعرف بالتركي وبلسان العجمي فادخلوه من اعلا السور بسريافي
حرير ومعه خمسة انفس من اعيان دمشق فغابوا عند تمرلنك ساعة ثم رجع من عنده
ناظر ان تمرلنك تلطف معه في القول وقال له هذه بلد بها الانبيا وقد اعتقتها
لهم وذكر عنه انه قد زار قبر ام حبيبة احدى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما زاره قال يا اهل الشام مثل هذا القبر يكون بلا قبة الا ان شا الله تعالى ابني عليه قبة
وذكر عنه انه كان في مجلسه كثيرا ما يذكر الله تعالى ويستغفر من ذنوبه وان السبحة لا تزال
في يده دايما وهي عليه لا له كما قال ابراهيم المعمار رحمة الله تعالى عليه

قد سلبنا يا معبر ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم يذكر الله ويذبح

وشرع ابن مفلح يذكر عن تمرلنك محاسن كثيرة وجعل يخذل اهل الشام عن قتال تمرلنك
ويرغبهم في طاعته فصاروا اهل البلد فرقتان فرقة ترا ما راه ابن مفلح وفرقة ترى محاربته
ولا يسمعوا قول ابن مفلح وكان اكثر اهل البلد يود المخالفة ابن مفلح وكانوا جمهور في قتال تمرلنك
وهم الجم الغفير من اهل البلد فباتوا على ذلك ليلة الاثنين فلما اصبحوا يوم الاثنين تغلب
راى ابن مفلح واصحابه على تلك الطايفة المخالفة لذلك ثم ان ابن مفلح قصد بان يفتح باب
النصر الذي بدمشق فمنعوه من ذلك نايب قلعة دمشق وقال لهم ان فعلتم ذلك احرق

البلد جميعها ثم ان ابن مفلح اخذ اعيان دمشق من العلما والقضاة والمشايخ وتوجهوا الى
عند تمرلنك فباتوا في وطاق تمرلنك تلك الليلة وصبحهم فلما اصبحوا رجعوا الى دمشق
وعلى ايديهم مثالات من عند تمرلنك مضمونه تسعة اسطر يذكر فيها امان لاهل
دمشق فقرى ذلك المرسوم على اهل دمشق في جامع بني امية على المنبر ففرحوا اهل
دمشق بذلك وفتحوا باب المدينة وهو الباب المسمى بالصغير فحصل لهم الطمانينة
وما يعلم ما في القلوب الا علام الغيوب وقد قيل في المعنى

لقد ضرني ما كنت ارجو به نفعا ۞ وقد ساءني في افعاله خلتها اتقا
اذا ما بدا لي ضاحكا زدت خيفة ۞ وفي ضحكة الافعى لنا من السما

فلما فتحوا باب دمشق دخل الى المدينة امير من امرا تمرلنك جلس على الباب واظهر انه
يحفظ المدينة من اذى عسكرهم ثم ان تمرلنك ارسل خلف ابن مفلح وقرر معه بان يجبي
له من اهل دمشق الف الف دينار فلما رجع ابن مفلح من عنده شرع في استخراج ذلك من اهل
دمشق فلما كملت تلك الاموال وحملت الى تمرلنك فحنق ولم يرض بذلك وقال لابن
مفلح انا قررت معكم الا ان تجمعوا لي من دمشق الف الف تومان وعندنا كل تومان
عشرة الاف الف دينار ثم رجع ابن مفلح من عند تمرلنك بخفي حنين فلما رجع ابن مفلح
الى دمشق فاطلق في اهلها النار واستخرج من اهلها المال بالضرب والمصادرات فاخذ
على راس كل انسان من كبير وصغير عشرة دراهم شامية واخذ على اوقاف الجوامع
والمساجد والزوايا اجرة ثلاثة اشهر فعند ذلك تزايدت البلايا وعظمت الرزايا
في استخراج الاموال من الناس وفي مدة هذه المحاصرة عزت الاقوات من دمشق حتى
بلغ كل مد قمح اربعين درهما شامية وفي هذه المدة فبطلت صلاة الجمعة والخطبة
بدمشق ونزل في جامع بني امية اميرا من امرا تمرلنك يقال له شاه ملك ودخل بحريمه
في الجامع واخذ بسط الجامع وحصره فستر بها على البوايك وصاروا يشربون الخمر
في الجامع ويضربون بالطنبور ويلعبون بالكعاب وفي هذه المدة فبطلت الصلوات الخمس
من مساجد دمشق وتعطل الاذان والبيع والشرا وغلقت الاسواق وصار عسكر تمرلنك
يدخلون المدينة في كل يوم قليلا قليلا حتى امتلات منهم المدينة وصاروا يحاصرون القلعة
اشد المحاصرة فلما راى نايب القلعة غلبة الغلب فسلم اليهم القلعة بعد تسعة وعشرين
يوما فملكوها واحتاطوا على كل ما فيها من صامت وناطق واستولوا على المدينة باسرها
ثم ان ابن مفلح جمع الاموال ثانيا واحضرها بين يدي تمرلنك فقال لابن مفلح هذه
بحسابنا ثلاثة الاف الف وقد بقي عليكم سبعة الاف الف دينار وكان تمرلنك اول
ما قرر على اهل دمشق القدر الاول وهو الف الف دينار فقرر مع ابن مفلح ان هذا القدر
يكون خارجا عما قد تركوه العسكر والامرا لما رحل السلطان من دمشق من برك وقماش
وسلاح ودواب وغير ذلك فلما رجع ابن مفلح من عند تمرلنك امر المنادي بان ينادي

في دمشق بان كل من كان عنده ودايع الامرا والعسكر السلطاني يحضر ذلك من غير تاخير
فامتثلوا الناس ذلك واحضروا ما كان عندهم من ودايع العسكر فلما اجتمع ذلك واحضره
بين يدي تمرلنك فقال لابن مفلح قد بقي عليك ان تجمع لنا اموال التجار الغايبين واعيان
البلد فجمعوا له ذلك واحضروه بين يديه فقال لابن مفلح قد بقي عليك ان تجمع لنا كل
دابة في البلد من بغل وفرس وحمار وجمل فلما رجع ابن مفلح من عنده جمع كل دابة في البلد
فكان عدتها اثني عشر الف دابة فلما احضر ذلك بين يديه فقال لابن مفلح اجمع لنا
ما في البلد من سلاح من جليلها لحقيرها فلما جمعوا له ذلك واحضروه بين يديه فقال
له قد بقي عليك ان تكتب لنا اسما حارات دمشق جميعها والخطط فرجع من عنده وكتب
له ذلك واحضره اليه فلما قدمت اليه الفواير وعلم ان الطلب قد انتهى فقال لابن مفلح
قد بقي عليك تكملت ما تقرر عليه الحال من ترتيب المال الذي وقع عليه القرار وهو
سبعة الاف دينار فقال له ابن مفلح لم يبق في البلد لا درهم ولا دينار فحنق من ابن مفلح
وقبض عليه وعلى اصحابه واودعهم في الحديد واخر الطب الكي فكان كما يقال

ان الملوك ظروف الصبر ادخلها ۞ وفوق افواهها شي من العسل
تحلوا لذايقها حتى اذا انكشفت ۞ تبين ما تحويه من دغل

ثم ان تمرلنك فرق تلك الاوراق على امرايه التي باسما الحارات على امرايه فتقاسموها
ثم دخل الى المدينة السواد الاعظم فنزل كل امير من امرايه في حارة وطلب سكانها وانزل
عليهم من المال ما لا يقدروا عليه ولا على شي منه فكان الرجل يقام على باب داره وهو في
اخس حالة ويقولوا له هات ما عليك من المال فيقول ما عندي شي من المال فيضرب
ضربا شديدا فيخرج جميع ما في بيته من قماش ونحاس وغير ذلك حتى يخرج باولاده
ونسايه وعياله فيوطا نساه وبناته بين يديه وهو ينظر ذلك بعينه فتفتض ابكار
بناته ويلاط بولده بين يديه فاذا فرغوا من الوطي او لواطهم او جميعهم بعد ذلك ضربا
هذا وصاحب البيت قايم يضرب في وسط داره ولقد تنوعوا في عذابهم انواعا فكان
احدهم يشد راس الرجل بحبل قنب ثم يلويه ليا عنيفا حتى يغوص ذلك القنب في
راسه ثم يوخذ من تحت ابطيه ويربط ابهام يديه من وراء ظهره ثم يلقى على ظهره ويضع
بحز تحته رماد سخن او يعلق الرجل من ابهام رجليه في سقف الدار ثم يوقدوا تحته
النار حتى يموت من ذلك العذاب او يسقط من الحبل في النار ففعلوا عسكر تمرلنك
باهل دمشق من هذا النمط وامثاله ما تشيب من سماعه النواصي فاقاموا على ذلك تسعة
عشر يوما وهم على ما ذكرناه من انواع هذا العذاب فلما كان يوم الثلاثا ثامن عشرين
رجب من سنة ثلاث وثمانمائة دخل في ذلك اليوم الى دمشق عسكر كامواج البحار
وهم مشاة وبايديهم سيوف مسلولة فنهبوا ما بقي في المدينة واسروا النسا والشباب
والرجال وساقوهم في حبال لا يعلموا اين يذهبوا بهم ثم تركوا الاطفال الرضع ومن

عمره اربع سنين والشيوخ الفانيه والعجايز بالمدينه وكان من جمله من اسروه في هذه المركه
قاضي القضاه صدر الدين المناوي الشافعي وغيره من العلما والفقها وقضاة دمشق واعيان
دمشق من التجار وغيرها واسر جماعة كثيرة من عسكر مصر وامرايها وقضاتها وغير ذلك
وكان من جمله من اسره تمرلنك من النواب وهم المقر السيفي دمرداش نايب حلب والمقر
السيفي سودون قريب المقام الشريف نايب الشام والمقر السيفي شيخ المحمودي نايب طرابلس والمقر
السيفي دقماق المحمدي نايب حماه واسر من العساكر الحلبية والشاميه ومن امرايهم ما لا
يحصى عددهم فقيدهم وزنجرهم وساقهم قدامه **وقيل** انه لما توجه الى بلاد ابن عثمان
وحاصرها وانكسر ابن عثمان وهو ابو يزيد بن مراد بك فلما اسره جعله في قفص حديد
وبقي يعجب عليه في البلاد التي يدخلها واسر جماعة من ملوك الهند واخرب غالب بلاد
الشرق ونهب ما كان فيها فلما كان يوم الخميس مستهل شهر شعبان امر تمرلنك باحراق
مدينة دمشق فاتقاد واتقد فيها النار حتى صارت ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر
واحرقوا جامع بني امية حتى بقي جدارا قايم بغير سقوف ولا ابواب ولا رخام
واحرقوا غالب جوامع دمشق ومساجدها واحرقوا الاسواق الذي بها والقياسر بعد
ما نهبوا ما فيها واحرقوا غالب حاراتها حتى صارت ما تعرف كما قال القايل في المعنى

وامر بالاوطان والسكن الذي … فذكرت اعهده بخير داثري
لم الق غير البوم فيها ساكنا … تباله من طاير يحكي والوكري

وقد اضحت دمشق بعد البهجة والسرور والنضرة والحبور اطلالا باليه ورسوما
خاليه قد خرت على عروشها واقفرت من زخرفها ونقوشها لا ترى بها دابة تدب
ولا حيوان يهب سوى جثث قد احترقت وصور في الثرى قد تعفرت وقد صارت
تكسى من الذباب ثوبا ومغنما للكلاب وذهبا لا يهتدي اللبيب فيها الى داره ولا
يفطن الذكي الى محل سكنه وقراره فانا لله وانا اليه راجعون لعظم هذه المصايب وشناعة
هذه النوايب فكم توقظنا حوادث الايام ونحن في ليلة الغفلة نيام فلا نعتبر بما جرى
للانام ولا نزجر عن ذنوبنا والاثام وقد قال القايل في المعنى

ان تركت الاقدار في ازمة … اوجبها اجرامك السالفة
فادع الى ربك في كشفها … ليس لها من دونه كاشفة

وقد هلك في هذه النازلة من الناس ما لا يحصى عددهم فجماعة بالقتل وانواع العذاب
وجماعة بالجوع والعطش في مدة هذه المحاصرة لعدم الاقوات فكانت هذه الفتنة
من عظم فتن في سنة ثمان مائة **روي** في بعض الاخبار عن موسى عليه السلام
انه قال يا رب انت في السما ونحن في الارض فما علامة غضبك من رضاك فاوحى الله
تعالى اليه يا موسى اذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة رضاي واذا استعملت
عليكم شراركم فهو علامة سخطي فلا تشتغلوا بسب الملوك وتوبوا الى اعطف عليكم

قلوب الملوك انتهى ذلك فلما كان يوم الجمعة ثاني شهر شعبان فيه رحل تمرلنك عن
دمشق بعد ما اقام بها وفعل الذي فعله فاخذ عسكره وخرج من دمشق فكانت مدة
اقامته على دمشق الى ان رحل عنها نحو ثمانين يوما منها مدة استيلايه على مدينة دمشق
ثمانية وعشرين يوما **قيل** ان تمرلنك لما اراد ان يرحل عن دمشق جمعوا له اطفال
المدينه الذي اسروا اهلهم فكانوا ما بين ابن خمس سنين الى ما بين ابن شهر وشهرين فركب
تمرلنك واتى الى ذلك المكان الذي هم به خارجا عن المدينه فلما اتى اليهم توقف ساعة وهو
ينظر اليهم ويتاملهم ثم قال للعسكر سوقوا عليهم بالخيل فساقوا عليهم بالخيل فماتوا اجمعين
وكانوا نحو عشرة الاف طفل فلما رجع فلاموه امراوه على ذلك فقال ما نزل على قلبي لهم
رحمة وكان تمرلنك يقول انا غضب الله في ارضه يسلطني على من يشا من خلقه فكان
حال الاطفال مع تمرلنك كما قيل في المعنى

وجرم جره سفهاء قوم … فحل بغير جانيه العذاب

ولما رحل تمرلنك عن دمشق صار من بقي فيها من عسكر السلطان ومن اهلها يجتمعون و
يترافقون ويخرجون من دمشق الى نحو الديار المصريه فيخرجون عليهم العربان والعشير
وينهبون ما معهم ويعرونهم ولم يتركون لهم غير اللباس في وسطهم فجرى عليهم من
العربان والعشير ما لا يجري عليهم من عسكر تمرلنك فكان اكثرهم ينزل في البحر المالح
ويجي من على دمياط فيدخلون الى مصر وهم في اقبح حال وقد ذهبت حرمة المملكة
ولم يبق للسلطان قيمة ولا للترك حرمة فعزم الملك الناصر الى العود الى دمشق
ثانيا ويقتتل مع تمرلنك وجها آخر ثم حضر الطنبغا العنبري واخبر الملك الناصر
بان تمرلنك رحل عن دمشق وهو مريض وقد طلعت له جمرة في جسده وقد تالم بها
فلما تحقق السلطان ذلك بطل امر التجريدة وقد لطف الله تعالى بالناس

اصبر قليلا فبعد العسر تيسير … وكل شي له وقت وتقدير
وللمهيمن في احوالنا نظر … وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم حضر سودون نقيب قلعة دمشق وعلى يده كتاب من عند تمرلنك وهو يعتذر له
فيه مما قد جرى وارسل يطلب قرابته اطلمش الذي كان قد اسر في ايام الملك الظاهر
برقوق وقد تقدم سبب ذلك وانه اذا حضر اطلمش الى عنده يطلق من عنده من الاسارى
فلما حضر كتاب تمرلنك الى السلطان فجمع الامرا واستشارهم في ذلك وما يصنع فاشاروا
عليه بان يطلق اطلمش ويرسله اليه فرسم باطلاقه وكان في البرج بالقلعة ثم عين
معه الامير كانباي النوروزي اغاة سودون بتجه وعين معه الامير شهاب ابن غلبك
من امرا حلب فتوجهوا الى تمرلنك وصحبتهم اطلمش وقد كساه السلطان واحسن اليه فلما
وصلوا الى تمرلنك فاكرمهم وقبل مراسيم السلطان وتفارش وبكا واعتذر مما وقع
منه وقال هذا كان مقدر **وقيل** كان تمرلنك مع هذه السطوة العظيمة اعرج ابو رله

لاين وكان اذا اراد ان يركب فتحمله الرجال الى اعناقهم حتى يركب وكان قصير القامة
غليظ الجسد ثقيل الحركة مستدير اللحية قد وكره الشيب ولكن كان له سعد خارق حتى
جرى منه ما جرى دملك البلاد ونهب العباد ونهب الاموال واسر النسا والرجال وبنهم
الاطفال وقد قيل

رزق الضعيف بحزمه ❊ فاق القوى الاغلبا
فالنسر ياكل جيفة ❊ والنحل ياكل طيبا

ثم تسلم تمرلنك اطمش اطلق من كان عنده من الاسرى جميعهم وارسلهم صحبة قانباى
النوروزى وارسل السلطان هدية صحبة الخواجا مسعود الكجحانى وكان من جملة الهدية
فيلا عظيما عظيم الخلقة وعلى ظهره سندوق خشب يجلس فيه نحو عشرة انفس يضربون
بالكوسات وارسل مع الفيل اشيا طيلة غير ذلك فلما دخل قانباى النوروزى الى
القاهره فكان له يوما مشهودا ودخل وهو لابس خلعة تمرلنك وهو محمل احمر
بزهر وعلى راسه تاج مخمل مذهب وقدامه الامرا الذين كانوا عند تمرلنك وقد اخلع
عليهم فلما راوا اهل مصر ذلك الفيل فتعجبوا من ظلفته غاية العجب ولما عاد قانباى
النوروزى من عند تمرلنك فكان يدعا قانباى التمرلنكى ثم بعد مدة اخلع السلطان
على قانباى المذكور واستقر به نايب الكرك فاقام هناك مدة يسيرة ثم نقله الى نيابة
الاسكندرية فلما سكن امر تمرلنك وتحقق رجوعه الى بلاده فعمل السلطان الموكب
واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفى نوروز الحافظى وجعله مشير الدولة
ومدبر المملكة فنطمن حرمته على الاطلاق ونفذت كلمته فى الافاق واخلع على المقر
السيفى تغرى بردى واستقر به نايب الشام عوضا عن سودون قريب السلطان
فلما اخلع عليه رسم له بان يخرج من يومه الى الشام ليعمر ما اهدم تمرلنك من دمشق
فخرج على جرايد الخيل من غير طلب ثم فى اثنا ذلك حضر المقر السيفى شيخ المحمودى
وكان اسيرا عند تمرلنك فهرب من عنده وهرب الى القاهرة فلما حضر فتوح به السلطان
واخلع عليه واستقر به نايب طرابلس على عادته فخرج اليها من يومه فسبب عمارة البلاد
ثم فى اثنا ذلك حضر المقر السيفى دقماق المحمدى نايب حماه وكان اسيرا عند تمرلنك
فهرب من عنده وحضر الى القاهرة فلما حضر فاخلع عليه السلطان واستقر به نايب
حماه على عادته ورسم له السلطان بان يخرج اليها من يومه لعمارة ما اهدمه تمرلنك من
حماه فخرج على جرايد الخيل من غير طلب ثم فى اثنا ذلك اخلع السلطان على الامير تمربغا
المنجكى واستقر به نايب صفد واخلع على الامير تنكز الخطى واستقر به نايب
بعلبك واخلع على الامير طولو ابن على شاه واستقر به نايب ثغر الاسكندرية عوضا عن
قانباى النوروزى وانعم على قانباى النوروزى بتقدمة الف بمصر **وفيها** فى يوم الخميس
تاسع عشرين شعبان اخلع السلطان على القاضى تاج الدين الصالحى واستقر به قاضى

قضاة الشافعية بمصر عوضا عن قاضى القضاة صدر الدين المناوى الشافعى بحكم اسره
عند تمرلنك واخلع على القاضى امين الدين الطرابلسى الحنفى واستقر قاضى قضاه الحنفية
بمصر عوضا عن القاضى جمال الدين الملطى الحنفى بحكم وفاته فى البلاد الشامية واخلع على
القاضى جمال الدين الاقفهسى المالكى واستقر به قاضى القضاة المالكية بمصر عوضا عن
نور الدين ابن الجلال بحكم وفاته واخلع على القاضى مجد الدين بن سالم الحنبلى واستقر به قاضى
القضاه الحنابله بمصر عوضا عن القاضى موفق الدين بحكم وفاته ثم ان القاضى جمال الدين
الاقفهسى المالكى اقام فى القضا الى ثالث عشر رمضان وعزل عنها وتولى عوضا عن القاضى
ولى الدين بن خلدون المالكى المغربى **وفيها** اخلع السلطان على المقر السيفى يشبك
الشعبانى واستقر به دوادار كبير ومشير المملكة مع نوروز الحافظى واخلع على الامير يشباى
من باكى واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن اقباى الطرنطاى واخلع على الامير تمر البريدى
واستقر به مهمندارا عوضا عن الطنبغا المرزوق بسيدى وانعم على الطنبغا المذكور بتقدمة الف
بحلب **ومما وقع فيها من الحوادث** فى هذه السنة ان فى يوم الاحد ثامن شوال فيه
نزل من القلعة الامير قطلوبغا الكركى وحشداشينه الامير اقباى الخازندار فلما وصلوا
الى سوق الخيل خرج اليهم جماعة كثيرة من المماليك السلطانية فضربوا قطلوبغا واقباى
حتى رفعوا من على خيولهم الى الارض فاما الامير قطلوبغا الكركى فحملوه الى بيته وهو
مغمى عليه واما الامير اقباى الخازندار فهرب ودخل الى بيت الامير يشبك الشعبانى
فى الرميلة فلما بلغ السلطان ذلك فنادى للمماليك بالرضى وعمل الموكب وطلعوا
ساير الامرا الا الامير يشبك الشعبانى فانه لم يطلع الى القلعة الا بعد العشا فطلع هو
والامير نوروز الحافظى راس نوبة النوب ومعهما الامير اقباى الكركى فاقاموا فى القلعة
ساعة ونزلوا الى بيوتهم وقت الاذان فلما اصبح يوم الاثنين تاسع شوال ركبوا
جماعة من الامرا وهم الامير جكم العوضى والامير قانباى العلاى والامير سودون
الناصرى الطيار والامير قرقماس الاينالى والامير تمربغا المنطوبا والامير جمق من
ادمشق فلبسوا آلة الحرب ومماليكهم وطلعوا الى الرميلة ثم تفرقوا فى سوق الخيل ساعة
فاجتمع عندهم جماعة كثيرة من المماليك السلطانية والامرا العشراوات فلما تكاملوا دقوا
الطبل حربى وتوجهوا الى نحو بركة الحبش فاقاموا هناك وضربوا هم وطاق ثم ان الامرا
الذى كانوا بالقلعة نزلوا الى بيوتهم واستمر الحال على ذلك الى يوم الاربعا فطلع الامير
يشبك الشعبانى الى القلعة فاقام بها فطلب السلطان بقية الامرا بعد العصر فارسل
لهم جدايتر وقال لهم اطلعوا الى القلعة وباتوا بها فطلع منهم جماعة كثيرة الا الامير
سودون من على باى امير اخور كبير فانه نزل من باب السلسلة وبات فى بيته فبلغه
ان المماليك السلطانيه يريدوا قتله فاخذ الخيول الخاص الذى فى الاسطبل السلطانى
وتوجه هو ومماليكه الى نحو الامرا الذى فى بركة الحبش فلما بلغ السلطان ذلك قام من

احواله فاشاروا عليه الامرا بان يجمع العسكر وان يتوجه اليهم فلما كان يوم الخميس نزل
السلطان الى باب السلسلة وجلس فى المقعد المطل على الرملة ودق الكوسات حربى
فطلع اليه الامرا الذى هم من عصبته فلما طلعوا الى عند السلطان ضربوا مشورة فى
ذلك فاشاروا الامرا على السلطان بان يرسل لهم امان فارسل اليهم السلطان بعض الامرا
فاجتمع بهم فقالوا له اما السلطان فاستاذنا وابن استاذنا ولكن لنا غرما يسلمهم لنا
وهم بيبك الشعبانى واقباى وقطلوبغا الكركى فلما عاد هذا الجواب الى السلطان فارسل
فارسل اليهم قاضى القضاة الشافعى ناصر الدين الصالحى والامير ناصر الدين بن الرماح لكى
يمشوا بين الامرا بالصلح فلما توجه اليهم القاضى فتلطف معهم فى القول فابوا من الصلح
وقالوا لا بد لنا من غرمائنا فرجع قاضى القضاة برد الجواب بالمنع من الصلح فلما سمع الملك
الناصر بذلك قال للامير بيبك الشعبانى انفصل انت وغرمائك فنزل الامير بيبك
من عند السلطان الى بيته فاقام به ساعة ثم عاد وطلع الى السلطان فلم يمكنوه من الدخول
اليه ومنع من ذلك فنزل من القلعة ووقف بسوق الخيل ساعة فلم يشعر الا والامرا
اقبلوا من باب القرافة فى عسكر عظيم فجاوا الى سبيل المؤمنين فوقفوا هناك واستمر بيبك
الشعبانى واقف هو ومماليكه فى سوق الخيل ثم انه نادى للمماليك السلطانية بان كل
مملوك قاتل معه ينعم عليه بعشرة الاف درهم وفرس فاجتمع عنده بعض مماليك سلطانية
فلما بلغ السلطان ذلك فارسل اليهم جماعة من رؤس النوب فضربوهم وشتتوهم من عند
بيبك فلما راى بيبك عين الغلب هرب من سوق الخيل فلما هرب نهبت العوام بيته
وبيت قطلوبغا الكركى وبيت اقباى ثم بعد ذلك امسك الامير اقباى المذكور والامير
قطلوبغا الكركى والامير جركس القاسمى المصارع فقيدوهم وارسلوهم الى السجن بثغر
الاسكندرية **واما** الامير بيبك الشعبانى فلم يعلم له خبر ثم بعد ايام غمز عليه فمسك
من تربة خوند سمرا التى تجاه باب جامع قوصون الذى هو خارج باب القرافة قبل ان
دخل عليه حاجب الحجاب ليمسكه فادلى نفسه من حائط عالى فوقع على وجهه فانقطع
حاجبه فاحضروا له مزين فخيط ذلك القطع ثم قيدوه وارسلوه الى السجن بثغر
الاسكندرية وكان المتعصب عليه الامير سودون فلما سكنت هذه الحركة عمل السلطان
موكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفى جكم العوضى واستقر به دوادار
كبير عوضا عن بيبك الشعبانى واخلع على المقر السيفى يونس الحافظى واستقر به نايب
حماه واخلع على المقر السيفى سودون من زاده واستقر به خازندار كبير مقدم الف
واخلع على المقر السيفى ارغون من بشبغا واستقر به شاد الدواوين الشربخاناة وانعم
فى ذلك اليوم على المقر السيفى سودون الناصرى المعروف بالطيار تقدمة الف وانعم
على المقر السيفى تمربغا من باشاه تقدمة الف ثم ان السلطان رسم للمماليك بالنفقة
فى نظير تعبهم معه وتعصبهم له فى من مسك من الامرا فوزع هذه النفقة على اعيان

المباشرين فالزم المقر السعدى ابراهيم بن غراب بمائتى الف دينار فاختفى فى تلك الليلة
مع اخيه المقر الفخرى ماجد وقد اختفيا بان السلطان يروم القبض عليهما فاختفوا بسبب
ذلك فاخلع السلطان على الصاحب علم الدين بن ابى كم واستقر به وزير وناظر الخاص
عوضا عن سعد الدين سبط الصاحب تاج الدين ابن الملكى واستقر به ناظر الجيوش المنصورة
ثم بعد ذلك جات الاخبار من تروجة بان العربان قبضوا على سعد الدين بن غراب
وعلى اخيه وارسلوا يطلبوا الامان من السلطان فكتب لهم السلطان امان وكذلك بقية
الامرا ولم يكتب لهما الامير جكم العوضى امان فعز ذلك على السلطان وفى يوم الاثنين
ثانى عشرين ذى الحجة فيه حضر قاصد من عند ابن عثمان صاحب بلاد الروم وهو ابو يزيد
ابن مراد بك بن عثمان وارسل معه هدية جليلة للسلطان وكذلك للامرا وارسل يعرف
السلطان فى كتابه بان يكون على حذر من تمرلنك فانه جمع عساكر عظيمة وقال ما ارجع
حتى اخذ مصر وفى يوم الثلاثا سادس عشرين الحجة فيه وصل المقر السعدى ابن غراب
واخيه الى عند الامير سودون امير اخور كبير فقابل بهما السلطان فاخلع عليهما ونزلا
الى بيت الامير جكم العوضى امير دوادار كبير فلم يمكنهما من الدخول اليه ثم بعد
ايام قابل بهما الامير سودون من زاده وهو صاحب الجامع الذى فى سويقة العزى
فلما قابل بهما الامير جكم فلم يخاطبهما الخطاب المرضى فباسوا ايديه فلم يلتفت اليهما
وزادوا منه خوفا وكان نفس الملك الظاهر يخشى من الامير جكم هذا كما قيل فى المعنى

ان الاسود لتخشى وهى ساكنة ۔ والكلب يخشى لعمرى وهو نباح

وفى هذه السنة توقف النيل عن الزيادة ووقع الغلا بالديار المصرية وشحطت الغلال
ونط السعر الى اربع اشرفية كل اردب فاقام على ذلك اياما ثم ان النيل زاد فى يوم
واحد ثمانية واربعين اصبعا وبقى عن الوفا ستة عشر اصبعا ثم اوفى وزاد عن الوفا
خمسة اصابع فقال القايل فى المعنى

يا نيل مصر كم تبدى لك بالوفا ۔ اوليتنا بالكسر صراد كيما
اوفيت قبل الكسر خمس اصابع ۔ كرما فكانت للوفا خواتما

واما من توفى فى هذه السنة من الاعيان وهو المقر السيفى سودون نايب الشام مات
ماسورا عند تمرلنك وتوفى الامير بجاس النوروزى احد الامرا المقدمين وتوفى قاضى
القضاة بدر الدين ابو البقا السبكى الشافعى وكانت وفاته فى ليلة السبت سابع عشر ربيع
الاخر من هذه السنة وتوفى قاضى القضاة جمال الدين بن الجلال الملكى الحنفى وهو يوسف
الملطى الحنفى وتوفى قاضى القضاة نور الدين بن الجلال المالكى مات بالمجون من طريق
الشام لما توجه مع السلطان فى تجريدة تمرلنك وتوفى قاضى القضاة موفق الدين احمد
ابن العسقلانى الحنبلى وتوفى بمصر قاضى القضاة شهاب الدين احمد النحريرى المالكى
مات وهو منفصل عن القضا وتوفى القاضى شرف الدين بن الدمامينى بثغر الاسكندرية

وتوفى الشيخ الحافظ المحدث علاى الدين بن اللحام الحنبلى الدمشقى وتوفى سيدى ابو بكر
ابن الملك الاشرف شعبان وتوفى الصاحب فخر الدين بن مكانس صاحب الاشعار اللطيفه
وقد تولى الوزاره مرتين وتوفى ناظر الجيش وناظر الخاص وباشر وظايف كبيره وكان من
اهل الفضل والعلم وكان شاعرا ماهرا وله شعر جيد ومصنفات لطيفه ومن شعره قوله
فى الامام على كرم الله وجهه حيث قال

يابن عم الرسول ان اناسا ٭ قد تولوك بالسعادة فازوا
انت للعلم فى الحقيقة باب ٭ يا اماما وما سواك مجازوا

وتوفى الشيخ الصالح المجذوب سيدى ابو بكر صاحب الطوبة وكان من كبار الاوليا انتهى
ثم دخلت سنة اربع وثمانمايه فيها جات الاخبار بان عرب بنى عقبه قد خرجوا
على الحجاج ونهبوا الجمال منهم فانتقم منهم امير الحاج فكسرهم واسر شيخهم محمد بن عاطر
واحضره بين يدى السلطان فاراد توسيطه فالتزم برد ما قد نهب للحجاج فنجى حتى
يشرع فى رد ذلك وفيها جات الاخبار من دمشق بان اهل دمشق رجموا نايب الشام
تغرى بردى واراد واقتله فهرب الى عند نايب حلب فلما بلغ السلطان ذلك فارسل
تقليدا الى المقر السيفى اقبغا الجمالى بان يستقر نايب الشام عوضا عن تغرى بردى وفيها
تزوج المقر السيفى نور الدين الحافظى باخت الملك الناصر فرج وهى بنت الملك الظاهر
برقوق فكان له مهم عظيم ودخل عليها فى العشرين من المحرم وفى اثنا ذلك تزوج ايضا
المقر السيفى اينال باى بن قجماس باخت السلطان الصغرى ودخل عليها فى نصف صفر
وكان له مهم عظيم وفيها فى يوم الاربعا خامس عشرين صفر فيه بلغ الامرا بان السلطان
قد اسكن الان الخاصكى فى قاعة الاشرفيه وفتح لها باب من دهليز القصر فتخيلوا
الامرا من ذلك وامتنعوا من الطلوع الى القلعة واقاموا على ذلك ايام فارسل اليهم
السلطان الامير اينباى حاجب الحجاب وهو يقول لهم لم لا تطلعوا تبانوا فى القصر على جارى
العادة فقالوا ما نطلع الى القلعة حتى يمسك لنا السلطان ثمانيه من الامرا العشرات
ثم رسم السلطان لهم بالخروج الى ثغر دمياط وجماعة منهم الى الشام فركب المقر الاتابكى
بيبرس واتى الى بيت الامير نوروز الحافظى فتشفع عنده فيهم فلم يوافقوا بقية الامرا على
ذلك وارسلوا اليهم حاجب الحجاب فاخرجهم من بيوتهم فلما اتى الى بيت الامير سودون
بقجة واراد القبض عليه فارمى نفسه من الطاق الى بركة الفيل وهرب ثم توجه الى غيره
من الامرا فلم يجد منهم احد فى بيته وكان السلطان ارسل يقول لهم غيبوا من بيوتكم ثم ان
السلطان رسم للخليفة والقضاة الاربع بان يتوجهوا الى بيوت الامرا ويشفعوا فى هولا
الامرا فتوجهوا اليهم وتحدثوا معهم فى ذلك فوقع الاتفاق على ان الامير سودون الجراوى
يستقر فى نيابة صفد ويخرج اليها من يومه وبقية الامرا يخرجون الى الشام كما تقرر عليه
الحال اولا ولم يقبلوا شفاعة الخليفة ولا القضاة الاربع فلما كان يوم الاثنين خامس

عشرين صفر طلع الامير سودون الجراوى الى القلعة فاحضر واله خلعة ليستقر نايب
صفد كما تقرر عليه الحال فلما احضروا له الخلعة فلم يوافقوا المماليك السلطانية على ذلك
ومنعوه من لبس الخلعة فحصل فى ذلك اليوم بعض اضطراب بين العسكر وفيها ارسل
السلطان تقليدا الى دقماق المحمدى نايب حماه بان يستقر نايبا حلب عوضا عن المقر السيفى
دمرداش المحمدى ورسم لدمرداش المحمدى بان يحضر الى القاهرة لما تقتضيه الاراء الشريفه
وفيها حضر الى الابواب الشريفه الطواشى عبد اللطيف الساقى وكان ممن اسر عند
تمرلنك فهرب من عنده بعد ان قاسى من الشدايد ما لا خير فى ذكره واخبر بان تمرلنك
توجه الى ماردين ثم الى بغداد واتفق مع اهل بغداد وقعة عظيمة فكسروه اهل بغداد كسرة قوية
هذا بعد ان رجع من الشام فلما بلغ تمرلنك ان ولده قد انكسر فتوجه هو بنفسه الى بغداد
وحارب اهلها وفعل بها كما فعل بالشام واخبر ايضا بان تمرلنك وضع قاضى القضاه صدر
الدين المناوى الشافعى فى تلاسى واغرقه فى نهر الزاب عند القنطرة وفيها فى يوم الاثنين
رابع جمادى الاخر اخلع الملك الناصر على الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الاسلام سراج
الدين عمر البلقينى واستقر به قاضى قضاه الشافعيه بالديار المصرية عوضا عن القاضى ناصر
الدين بن الصالحى وفيها جات الاخبار من غزه بان الامير صرق الظاهرى نايب غزه
قد خامر وخرج عن الطاعة فلما تحقق السلطان ذلك فاخلع على الامير الطنبغا العثمانى
واستقر به نايبا غزه عوضا عن صرق ثم بعد ايام حضر مقدم البريديه ومعه سيفا صرق
واخبر بان الامير جركس مع عربان جبل نابلس التقوا مع صرق فانكسر صرق وقتل فى
المعركه فارسلوا سيفه الى السلطان واحتاطوا على موجوده وفى اثنا ذلك جات الاخبار
من اهل طرابلس بان نايب طرابلس شيخ المحمودى قد خرج عن الطاعة واظهر العصيان ومسك
حاجب طرابلس وجماعة من امراها وسجنهم بحبس المرقب وانه قد استخدم جماعة كثيره من
التركمان والعشير وعمل له برق عظيم وفيها جات الاخبار من حلب بان الامير دقماق
المحمدى لما استقر نايب حلب وتوجه اليها فخرج اليه دمرداش نايبا حلب واتفق معه
وقعة قوية فانكسر دمرداش ونهب بركه وهرب الى نحو ملطيه وفيها فى يوم الاثنين
رابع عشرين رجب فيه اخلع السلطان على القاضى جمال الدين البساطى المالكى واستقر به
قاضى القضاة المالكية عوضا عن قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون المغربى الحضرمى
المالكى ومن الحوادث الملكية ان نجما طلع فى الجانب الغربى وله ذوابه صاعده
الى السما فاستمر فى كل ليلة يطلع بعد المغرب ويقيم الى ثلث الليل فاقام على ذلك الى
اواخر شهر شعبان فكان يطلع بالنهار عند طلوع الشمس فكان يرى بالنهار مع ضوء الشمس
ويقيم الى وقت الظهر ثم اختفى من بعد ذلك ومن الوقايع اللطيفه ان فى يوم الاثنين
مستهل شهر شعبان خرجوا بالفيل الكبير الذى كان تمرلنك ارسله صحبة قاصده اينباى الخوارزمى
وقد تقدم ذكر ذلك فلما اخرجوه ليسيروا به فتوجهوا به الى نحو بولاق ثم رجعوا به

من على قنطرة الخخز ليطلعوا من على باب البحر فلما عدوا به من قنطرة الخخر وانو به الى راس العطفه التى تخرج الى الخليج الناصرى فهناك بجون فداس الفيل على تلك البجون فانخسف به فغاصت رجله فيه الى فخذه فلم يقدر واحد من الناس يخلصه فاقام على ذلك سائر ثمانيات فلما اشيع امره فى القاهرة خرجت اليه الناس زمر يتفرجون عليه وقد غلقت الاسواق فى ذلك اليوم بسبب الزحمه وكان له يوما مشهودا وقد رثاه بعض الزجاله بهذا الزجل اللطيف وهو قوله فى المعنى

تعا اسمعوا بالله يا ناس الى جرى … الفيل وقع يوم الاثنين فى القنطره

لما انفلسوا غلمان الفيل داموا الحراف … حذوه وراحوا صوب بولاق يجيبوا الطافن

راوا شيوخ من اهل الله ما فيه خلاف … جوا يا خذوا شيئوا منوا يا الى نظره

دعا على الفيل اتنظر فى القنطره … قالوا ايانوا فى البجون معزوس يجج

فقلت لما روح ابصر ان كان صحيح … اجى القى الفيل ميتا ملقى طريح

والناس تطلع فوق ظهره واستظهره … لما وقع يوم الاثنين فى القنطره

داولاد ديار مصر الساده حوله زمر … يتجيبوا من هذا الفيل الى انحصر

داواد موع عينوا يجرى مثل المطر … ولو جبير والعالم منتكره

لما وقع يوم الاثنين فى القنطره … فقلت لوا يا فيل مزروق بالسود غيره

انو حرمتك بين العالم وانتا تهوش … وكنت يا فيل السلطان زين الوحوش

وكنت بالاعجاب توهوا فى المخطره … وقد نبينا اليوم مطروح فى القنطره

والفيل لسان حالوا ناطق للناس تقول … لو كنت دور فى الزفات نوفى طبول فى القنطره

وكنت دود فى المحمل ولى فنون … كنى عروس صيحى تجلى فى منظره والركبان خوموشى

وقالت الفيله امرانا منى معاتبا … سهم الفراق قد صاب قلبى يا مسلمين

وما عرفيه هند بر قلبى حزين … وكان هذا الفيل ذوجى لاعيره

واليوم كان اخر عمره فى القنطره … وعيطت حتى ابكت جيرانها

من كثر ما ناحت ناحوا الاخوانها … من نارها صارت تلطم يا ودانها

حتى الزرافه قد جات مختصره … تبكى على حزن الفيله فى القنطره

لما ظهر فى اول شعبان اخر رجب … لا حت لنا فيه نجمة لها ذنب

فقالت العالم يا جمع ذا لو سبب … وايش ذا لكامل ذى الكوكب يا فى ذكره

دلت على الفيل الى مات فى القنطره … وناصر الدين من عمرى ادرى الدخول

والناس تقول انى قيم صاحب قبول … لما هلك ذا الفيل مرزوق قد ترتا قول

تعا اسمعوا بالله يا ناس الى جرى … الفيل وقع يوم الاثنين فى القنطره

ومن الحوادث فى هذه السنة ان فى يوم الجمعة ثانى شوال فيه وقعت الفتنة بين الامير نوروز الحافظى وبين الامير جكم العوضى والامير سودون طاز امير اخور كبير فلبسوا آلة الحرب فى ذلك اليوم ووقفوا بسوق الخيل ونزل السلطان الى باب السلسله ثم جلس فى المقعد المطل على الرميلة وطلعوا الامرا الذين هم من عصبة السلطان الى باب السلسله وتقاتلوا مع هولا الامرا اشد القتال ثم ان السلطان رسم للخليفه وشيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى والقضاه الاربع بان يتوجهوا الى الامرا ويمشوا بينهم بالصلح فى بعضهم فتوجهوا اليهم ومشوا بينهم بالصلح فاصطلحوا صلحا على فساد وصارت القلوب متغيره بالعداوه فى بعضهم كما قال بعضهم فى المعنى

اعدا عدوك ادنى من وثقت به … فحاذر الناس واصحبهم على دخل

فانما راجل الدنيا وواحدها … من لا يعول فى الدنيا على رجل

فطلع السلطان الى القلعة وخمدت الفتنة قليلا ثم فى يوم السبت رسم السلطان للخليفه والقضاه الاربع بان يتوجهوا الى عند الامرا ويحلفوهم للسلطان فتوجهوا الى بيت الامير الاتابكى بيبرس وحلفوه ثم توجهوا الى بيت الامير نوروز الحافظى وحلفوه ثم توجهوا الى بيت الامير جكم العوضى وحلفوه ثم توجهوا الى بيت الامير سودون طاز امير اخور كبير وحلفوه وكذلك بقية الامرا فكانت ايمانهم كما قيل

حلفتهم لا يخونوا فى الهوى ذممى … فكلما حلفوا الى آثما حلفوا

فلما كان يوم الاثنين خامس شوال طلعوا الامرا الى القلعة وباسوا الارض للسلطان واصطلحوا فاخلع على جماعة منهم ونزلوا الى بيوتهم فلما نزل الامير جكم الى بيته ارسل اليه السلطان خلعة وقال هذه خلعة لاجلك قانباى ورسم له السلطان بان يستقر نايب حماه فلما سمع الامير جكم ذلك فعز عليه اخيه وتوجه الى نحو بركه الحبش واخذ معه اخاه قانباى العلاى والامير قرقماس الاينالى فلما بلغ ذلك الى المماليك السلطانيه فتوجهوا اليه منهم جماعة نحو خمسماية مملوك فاقاموا هناك يوم الخميس ويوم الجمعة فلما كان يوم الجمعه طلع الامير نوروز الحافظى الى القلعة وصلى مع السلطان صلاة الجمعة ثم نزل الى بيته فاقام ساعة فارسل اليه السلطان نجدا وقال له ثم كلم السلطان فقال انا كما نزلت من عند السلطان ايش يعمل فى ولكن اغدا انا بين يديه فلما رجع من عند الجمدار فاقام فى بيته الى بعد العشا ثم ارسل خلف الامير تمربغا المشطوب والامير سودون من زاده وجماعة من الامرا العشراوات فلما تكاملوا ركب الامير نوروز ومعه الامرا الذى ارسل خلفهم وتوجهوا جميعا الى عند الامير جكم العوضى فلما بلغ السلطان ذلك فاضطربت احواله ونزل الى باب السلسله وجلس فى المقعد المطل على الرميله وعلق الصنجق السلطانى ودقت الكوسات حربى فطلعوا اليه جماعة من الامرا والمماليك السلطانيه ووقفوا فى سوق الخيل فاقاموا على ذلك يوم السبت ويوم الاحد فلم يجى اليهم احد من الامرا الذين توجهوا الى بركة الحبش فلما كان يوم الاحد توجهوا جماعة من المماليك السلطانيه الى نحو باب الزغله عند زاوية القاضى بكار فبعد ساعة واذا بجاليش الامير جكم العوضى

قد اقبل من نحو بركة الحبش فتلاقوا هناك فالتقوا مع عسكر السلطان فكان بينهم دفعة قوية فقتل في ذلك ثلاثة من المماليك السلطانية وجماعة من الغلمان فكان عدة من قتل وجرح من الناس والغلمان نحو ستين انسان واسر من المماليك السلطانية اثنى عشر انسان ثم حال بينهم الليل ففي تلك الليلة تسحبوا جماعة من الامرا الذي عند السلطان الى الامرا التي في بركة الحبش وكان الذي تسحبوا الامير سودون الجماسي والامير طوطاي تمربغا والامير سودون الجلب وتسحب معهم نحو مائة مملوك من المماليك السلطانية فلما كان يوم الثلاثا اشهر السلطان المناداة للمماليك السلطانية بالعرض فعرضوا في يوم الاربعا فلما كان يوم الخميس دق السلطان جاويش ولبوس على المماليك الذين عرضهم ثم انه ركب وخرج من باب السلسلة ووقف بسوق الخيل ساعة حتى تكامل العسكر وارسل خلف امير المومنين المتوكل والقضاة الاربع فلما حضروا جميعا توجه السلطان والامرا والعسكر الى باب القرافة فتقدم جاليش السلطان وكان فيه من الامرا الامير بيشبك السودوني والامير سودون تلي ثم تبعهما الاتابكي بيبرس ومعه نحو من الف مملوك فلما وصلوا الى مصلاة خولان التي بالقرافة فاقبل جاليش الامرا الذي في بركة الحبش فالتقوا الفريقين هناك دفعة عظيمة ثم بعد ذلك وافى الملك الناصر قد اقبل ومعه السواد الاعظم فوقع في قلوب الامرا الذي كانوا في بركة الحبش الرعب من السلطان فلما وقع القتال بينهما فانكسروا الامرا الذي كانوا في بركة الحبش فاول من مسك منهم الامير تمربغا المشطوب والامير سودون من زاده والامير علي بن اينال وجرح الامير بيشبك الساقي والامير قمح الحافظي واسر جماعة كثيرة من الامرا العشراوات والخاصكية والمماليك السلطانية وهربوا بقية الامرا منهزمين الى نحو بركة الحبش وقد تمزقوا كل ممزق من العطش فلما حصلت هذه النصرة للملك الناصر وكانت على غير القياس رجع الى القلعة ومعه الخليفة والقضاة الاربع والامرا الذين اسروا ومشاة قدامه وهم في زناجير حديد حتى طلع الى القلعة وهو في غاية النصر وفي ذلك يقول بعض الشعرا

الملك الناصر اعظم به * من ملك جا بامر عجيب
تذكبت السعد باقباله * نصر من الله وفتح قريب

هذا ماكان من امر الملك الناصر فرج واما ماكان من امر الامير جكم العوضي والامير نوروز الحافظي والامير قانباي العلاي والامير بيشبك ابن ازدمر اخو اينال والامير قرقماس وبقية الامرا الذين وقعت عليهم الكسرة وهربوا فاستمروا سايقين الى ان وصلوا الى الميمون فاقاموا هناك يومين ثم عدوا الى بر الجيزة فاخذوا خيول الدشار والهجن الذي هناك واقاموا في الجيزة ثلاثة ايام ثم ان الامير نوروز الحافظي حضر تحت الليل الى القاهرة وتوجه الى بيت الاتابكي بيبرس وطلع به الى السلطان وقابله فان نوروز كان صهر الملك الناصر زوج اخته فلما قابله رسم له السلطان بان يستقر نايب

الشام وارسل اليه خلعة ورسم له بان يخرج من يومه وكان من جملة سعد الملك الناصر ان في تلك الليلة اتفقوا جماعة من المماليك السلطانية نحو من الف مملوك بان يتوجهوا الى الامير نوروز والامير جكم فلما حضر الامير نوروز ورسم له السلطان بان يستقر نايب الشام فلما برز خامه الى الريدانية وخرج اليها فارسل اليه السلطان من قبض عليه ثم ارسله من هناك الى ثغر الاسكندرية فسجن بها فلما بلغ الاتابكي بيبرس ذلك فعز عليه لكون انه حلف لنوروز بالطلاق انه اذا قابل السلطان لا يشوش عليه فلما فعل به السلطان ذلك فعز على الاتابكي بيبرس واستقر شيخ المحمودي نايب الشام عوضا عن اقبغا الاطروش وبطل امر نوروز عنها هذا ماكان من امر نوروز الحافظي واما ماكان من امر الامير جكم العوضي فانه ارسل يقابل السلطان بان يرسم له بان يتوجه الى ثغر دمياط من غير سجن فرسم له بذلك فتوجه اليه اينال حطب راس نوبة ثاني ثم حضر الى القاهرة في ليلة الاربعا فلما حضر طلع الى باب السلسلة عند الامير سودون امير اخور فتشاور عليه السلطان فرسم بتقييده فقيد هو والامير سودون من زاده وجماعة من الامرا الذين تخامروا على السلطان وتوجهوا الى عند الامير جكم فقيد والجميع وارسلوا الى السجن بثغر الاسكندرية وكان المتسفر عليهم الامير سودون بلي ثم ان السلطان رسم بالافراج عن الامير بيشبك الشعباني وكان بالسجن بثغر الاسكندرية فلما حضر فاخلع عليه واستقر دوادار كبير عوضا عن الامير جكم العوضي ثم ان السلطان رسم بالافراج عن الامير قطلوبغا الحسني والامير اقباي الكركي والامير جركس القاسمي المصارع فتوجه لاحضارهم سودون بقجة فاخرجهم من السجن بثغر الاسكندرية فلما حضروا وطلعوا الى القلعة وباسوا الارض فانعم عليهم السلطان بتقادم الوف عوضا عن الامرا الذين توجهوا الى السجن بثغر الاسكندرية كما تقدم فكانوا امثل بابات خيال الظل فشي يجي وشي يروح كما قد قيل في المعنى لبعضهم

رايت خيال الظل اعظم عبرة * لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوص تمضي بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقي

وفي هذه السنة في يوم الثلاثا ثالث عشر شوال ورد كتاب من ثغر الاسكندرية حضر من بلاد ابن عثمان على يد جماعة من التركمان فاخبروا فيه بان تمرلنك قد هلك بتفليس الى لعنة الله قال القاضي تقي الدين المقريزي محتسب القاهرة كنا عند القاضي فتح الله كاتب السر الشريف فجاءه كتاب ابن عثمان يذكر فيه موت تمرلنك وان القان احمد بن اويس رجع الى بلاده وكذلك قرا يوسف واخبروا بان الجمرة التي طلعت في جسد تمرلنك وهو على دمشق فاستمرت ترعى في جسده حتى مات بها وعجل الله بروحه الى النار كما قد قيل

زبانية النيران فكره وجهه * ومنه استفادت بذا الترجمتم

قيل انه لما دفن كان يسمع له عوي في قبره مثل عوي الكلب وقال بعض السواح

انه قد شاهد الدخان يطلع من قبره **وقيل** انه لما دفن لم تقبله الارض فصنعوا له صندوقا
خشب ووضع فيه وعلق بين السما والارض **وقيل** ان تمرلنك كان جمع عساكرا
عظيمة كثيرة وقال ما ارجع حتى ادخل الى مصر وافعل بها كما فعلت في دمشق فاخذه الله تعالى
وكفى الله المومنين القتال وكفى الناس شره لعنه الله وقد قال القايل في المعنى

ما ان تمرلنك وجاءت لنا   اخباره فيما نافي اليه
وقد كفانا ربنا شره   والله كافي من توكل عليه

انتهى ذلك وفي هذه السنة تاخر خروج المحمل الشريف من القاهرة الى ثاني عشرين شوال
وهذا لم يعهد قط وكان امير المحمل في تلك السنة الامير سكيبيه الازدمري وكان تاخير
المحمل الى هذه المدة لامر حصل لامير الحاج فتاخر عن الخروج **ومن الحوادث** في هذه
السنة ان الاكراد طلعوا الى بيت الاتابكي بيبرس ولعبوا معه بالاكره فلما فرغوا وقصدوا
التوجه الى بيوتهم خرج عليهم في اثنا الطريق جماعة من المماليك الناصرية فضربوا الامرا فهرب
الامير شيبك الشعباني الدوادار وطلع الى باب السلسلة واقام فيه الى بعد العصر
فلما بلغ ذلك الى السلطان فرسم لوالي القاهرة بان يحضر بالمماليك الذي فعلوا هذه
الفعله فاحضر واحد منهم ثلاث مماليك فضربهم السلطان بالمقارع واشهرهم في القاهرة
فخمدت الفتنة قليلا وفي هذه السنة تزايدت عظمة المقر السعدي ابراهيم بن غراب
وحظي عند الملك الناصر حتى انه استقر به امير مجلس وصار صاحب الحل والعقد
بالديار المصرية وصار يجلس مع الامرا المقدمين تحت امير كبير **وفيها** جات الاخبار
من البحيره بان العربان نهبوا البلاد واخذوا المغل وقتلوا جماعة كثيرة من الفلاحين
فارسل اليهم السلطان تجريده وكان بها من الامرا المقدمين عشرة ومن الامرا الطبلخانات
اربعة عشر اميرا ومن المماليك السلطانيه اربعماية مملوكا فخرجوا من القاهرة على حمية
وتوجهوا الى البحيره فالتقوا مع العربان فطردوهم الى برقه ونهبوا اموالهم ومواشيهم
ثم دخلت سنة خمس وثمانماية فيها تغير خاطر السلطان على المقر الاتابكي
بيبرس فرسم له بان يتوجه هو وعياله الى ثغر دمياط فاخذ في اسباب توجهه
الى دمياط فطلعوا ساير الامرا المقدمين وشفعوا فيه عند السلطان فبطل امر سفره
الى دمياط ورضي عليه **ثم دخلت** سنة ست وثمانمايه فيها وقع الخلف
بين الامرا بمصر وجاءت الاخبار بان عربان الشرقيه والغربيه قد كثر منهم الفساد
ثم جات الاخبار من البلاد الشاميه والحلبيه بان النواب قد خامروا وخرجوا عن
الطاعة وصار القتل والقتال في كل يوم عمال بين الناس والامرا فتنتين فتزعزع السلطان
الملك الناصر وتوقر عليه **ثم دخلت** سنة سبع وثمانماية فيها وقع الوبا
بالديار المصرية وكثر موت الفجاة وتحركت دموية بالناس وكان ذلك في كثرة البرد
والشمس في برج الدلو وكثر السعال والانحدارات فمات في مدة عشرين يوما

وقيل دون الشهر من الناس ما لا يحصى عددهم وكان قوة عمله في الاطفال والغربا وقيل
كانوا الناس يتساقطون في الطرقات موتا فاقام مدة يسيرة ثم ارتفع فمات في هذه المدة
اليسيرة نحو ما كان يموت في الفصول الكبار ولكن لم يظهر فيه طعنا ولا طاعونا بل كان موته
بحركة وادخام ولاجل ذلك لم يعده الشيخ شهاب الدين بن حجر رضي الله عنه من جملة الطواعين
التي وقعت بمصر لانه لم يظهر فيه طاعونا وقد فرق بين الوبا وبين الطاعون في كتابه
المسمى بذل الماعون في اخبار الطاعون فلما وقع هذا الوبا بمصر فتح المقر السعدي مغسلا
برسم الاموات عند بيته الذي عند جامع بشتاك الناصري فكانوا ياتون اليه بالاموات
على عناقين يطرحونهم على بابه حتى يخرجهم من مغسله فكفن في تلك السنة من ماله جماعة
كثيرة من الغربا وغيرهم ما لا يحصى عددهم وسمي فضل ابن غراب **وفيها** توفي سيدي
علي ابن ابي الوفا رضي الله عنه **ثم دخلت** سنة ثمان وثمانماية فيها اضطربت
احوال الملك الناصر فرج وضاقت عليه الامور وصار في غاية الضنك مع الامرا لخلفهم
وتعصب عليه الاتابكي بيبرس وجماعة من الامرا وصاروا ايعاكسوه في الامور فلما كان
يوم الاحد خامس عشرين ربيع الاول من السنة المذكورة نزل الملك الناصر من القلعة
بعد العصر وهو ماشي متنكر فاختفى في مكان لا يعلم فلما نزل من القلعة وبلغ ذلك
الامرا فركبوا وطلعوا الى باب السلسله فلما اجتمع الامرا ضربوا مشورة فيمن يسلطنوه
ثم تم الاتفاق على سلطنة اخيه المقر العزي عبد العزيز فطلبوه من دور الحرم وسلطنوه
في ذلك اليوم ولقبوه بالملك المنصور وخلع الملك الناصر من السلطنه فكانت مدة
سلطنته في هذه المرة ست سنين وعشرة ايام ثم يعود الى السلطنة من بعد ذلك ثاني
مرة كما سياتي ذكر ذلك في موضعه ان شا الله تعالى

ذكر سلطنة الملك المنصور عز الدين ابي العز عبد العزيز بن الظاهر برقوق

ابن انص العثماني الجركسي وهو السابع والعشرون من ملوك الترك واولادهم بمصر
وهو الثالث من ملوك الجراكسة واولادهم بالديار المصرية بويع له بالسلطنه بعد العشا
وتلقب بالملك المنصور وجلس على سرير الملك في ليلة الاثنين سادس عشرين ربيع
الاول من سنة ثمان وثمانماية بعهد من ابيه الظاهر برقوق كما تقدم فباس له الامرا
الارض ونودي باسمه في القاهرة وضجوا له الناس بالدعا ولم تدق له الكوسات
فلبس خلعة السلطنة من القصر الكبير وحملت القبة والطير على راسه وجلس على
سرير الملك **قال** المقريزي فتسلطن الملك المنصور عبد العزيز وله من العمر عشر سنين
وكانت امه رومية الجنس تسمى قنق باي فلما تسلطن لم يتم امره في السلطنه ولا ساعد
الا قدار ولم يبلغ المراد كما قيل

ما كل من نال المعالي ناهضا   فيها ولا كل الرجال فحولا

فلما تسلطن الملك المنصور صار الاتابكي بيبرس صاحب الحل والعقد بمصر وصار

يتصرف فى امر المملكة بحسبما يختار من ذلك ثم تخنطت كلمة المقر السيفى بيشبك
الشعبانى الدوادار فعز ذلك عليه وتمنى عود الملك الناصر فرج فشكا ذلك الى المقر
السعدى بن غراب فى خلوة فقال له ابن غراب لا تهتم لذلك الملك الناصر عندى
مختفى فرح بيشبك بذلك وقام الى ابن غراب وقبل راسه ثم اخذ فى اسباب ظهور الملك
الناصر فرج فلما كان يوم الخميس رابع جمادى الاخر فيه ظهر الملك الناصر من بيت
سودون الحمزاوى الذى عند بركة الناصرية فلما اشيع ذلك فاضطربت القاهرة
وماجت ولبسو العسكر آلة الحرب وصار الامرا والعسكر فرقتين فرقة مع الملك
الناصر وفرقة مع اخيه عبد العزيز وكان الذى من عصبة الملك المنصور عبد العزيز
الاتابكى بيبرس والامير سودون المحمدى والامير اينال باى بن قجماس والامير سودون
المادرينى وجماعة من الامرا الطبلخانات والعشراوات وجماعة من العسكر وكان من
عصبة الملك الناصر فرج المقر السيفى بيشبك الشعبانى الدوادار وجماعة كثيرة من
الامرا وكان اكثر العسكر مع الملك الناصر فلبسو آلة الحرب واقتتلوا فى ذلك اليوم
اشد القتال فلم تكن الا ساعة يسيرة حتى انكسر الاتابكى بيبرس ومن معه وانتصر
عليهم الملك الناصر فرج فركب من بيت سودون الحمزاوى وطلع الى القلعة وملكها
فرسم لاخيه عبد العزيز بان يدخل الى دور الحرم فدخلها واقام بها محتفظا به فكانت
مدة سلطنته بمصر شهرين وعشرة ايام وكان فى السلطنة لا يتنعم بها والامر كله
فى هذه المدة للاتابكى بيبرس انتهى ذلك **ذكر عود الملك الناصر فرج
ابن برقوق الى السلطنة** ثانى مره قال المقريزى عاد الملك الناصر فرج
الى السلطنة وجلس على سرير الملك فى يوم الخميس رابع جمادى الاخر من سنة ثمان
وثمانماية وبايعه الخليفة ثانيا فلما جلس على سرير الملك قبض على الاتابكى بيبرس
وقيده وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية وارسل معه جماعة من الامرا الذين كانوا اسبابا
لسلطنة اخيه عبد العزيز والذى كان قصد الملك الناصر فعله بالاتابكى بيبرس
فى الاول فعله فى الاخر كما قد قيل

قالت ترقب عيون الحى ان لها ٭ عينا عليك اذا ما نمت لم تنم

ثم ان الملك الناصر عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفى نوروز
واستقر برا اتابك العساكر عوضا عن بيبرس وانعم على جماعة من الامرا بتقادم الوف
عوضا عن من نفى من الامرا فاستقامت اموره فى هذه المرة ولم يختلف عليه اثنان كما قد
قيل ٭ وربما صحت الاجسام بالعلل **ومن الحوادث** فى هذه السنة كانت وفاة امير
المؤمنين محمد المتوكل على الله بن الخليفة المعتضد بالله ابى بكر بن المستكفى بالله بن الامام
احمد الحاكم بامر الله وكانت وفاته فى ليلة الثلاثا ثامن عشر رجب من سنة ثمان
وثمانماية **فكان مجموع** خلافته بمصر الى ان مات نحو من خمسة واربعين سنة بما فيها

من عزل وولاية وكان كريما جوادا ممدوحا لا يرد سايلا كما قد قيل

كانت فى العطا بحر ندا ٭ وبذله النقد فيه نيار

وكان قاسى من الملك الظاهر برقوق شدايد عظيمة وتركه فى القيد وهو مسجون ببرج
القلعة الذى بقلعة الجبل نحو سبع سنين وكان اماما عظيما كفو المحتد كثير البر والصدقات
يحب فعل الخير فلما مات دفن عند اقاربه بمشهد السيدة نفيسه رضى الله عنها ولما
مات خلف من الاولاد سبعة وهم العباس وكان اكبرهم وداود وسليمان وحمزه ويوسف
ويعقوب وموسى لم يلوا الخلافة وقيل جاء للمتوكل نحو مائة ولد من صلبه ما بين ذكور
واناث وسقوط وهذا لم يتفق لخليفة قبله سوى عبد الملك بن مروان الاموى فانه
لما مات خلف من الاولاد اربعة وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام وكل منهم ولى الخلافة
ولما توفى محمد المتوكل تولى الخلافة من بعده ابنه العباس وتلقب بالمستعين بالله **وفيها**
جاءت الاخبار بان دمرداش نايب حلب قد اطلق الامير جكم العوضى من السجن ومعه
جماعة من الامرا وتوجه بهم الى حلب فاضطربت احوال الملك الناصر بسبب ذلك **وفيها**
اخلع على سعد الدين بن غراب واستقر به كاتب السر الشريف بمصر عوضا عن فتح الله بعد
القبض عليه والمصادره له وابتم فى الترسيم **ومن الحوادث** ان نعير ارسل الى السلطان
راس جكم العوضى الذى تسلطن بحلب وتلقب بالملك العادل لخروج من حلب الى قتال
قرايلك امير التركمان فقتل فى المعركة بين بساتين آمد ولا يعلم من قتله فكانت
مدة سلطنته بحلب شهرين فعلقت راسه على باب زويلة وكان له يوما مشهودا وكفى
الملك الناصر شره **وفيها** توفى الامير بيبرس الفارقانى وهو صاحب الحمام التى تجاه
المدرسة البند قداريه وكان بيبرس هذا من المعمرين وكان من اهل الدين والصلاح وله مشاركه
فى العلم وكان له شعر جيد وكان رجلا اميا لا يقرا ولا يكتب وكان يزن الشعر بالطباع
وينظم منه ما لا تمجه الاسماع فمن شعره وهو قوله

مولى بظبى غرير باللحظ يسبى الممالك ٭ اذا بدا بليل جلاه سناه الحوالك
من حور رضوان ابهى ٭ لكنه يتخل مالك

ذكر ذلك صاحب كتاب زهر الخمايل فيمن نظم الشعر من الترك الاماثل انتهى ذلك
ثم دخلت سنة تسع وثمانماية فيها اخرج الملك الناصر اخاه عبد العزيز الذى
تسلطن الى ثغر الاسكندرية يسجن بها وارسل معه اخاه سيدى ابراهيم وذلك فى ثانى شهر
صفر فاقام بثغر الاسكندرية نحو اربعين يوما ثم جاءت الاخبار بموتهما فى يوم واحد
وكانت وفاتهما فى ليلة الاثنين سابع ربيع الاول من سنة تسع وقيل ان الملك الناصر
اشغلهما فى حلوى ارسلها اليهما فلما بلغه موتهما ارسل احضرهما ودفنهما فى الخانقاه
البرقوقيه التى فى الصحرا **ثم دخلت** سنة عشرة وثمانمايه فيها انفرج السلطان
عن الامير العوضى والامير نوروز فلما حضروا انا خلع على الامير نوروز الحافظى

واستنفر به نايب الشام واظهر على الامير جكم العوضى واستنفر به نايب حلب فلما توجهوا
الى البلاد فاظهر كل منهم العصيان والمخامرة على السلطان واما جكم العوضى فانه تسلطن
بحلب وباسوا له الامرا الارض وتلقب بالملك العادل وصار وامتنع اليد على البلاد الحلبية
واخرج اوقاف الناس وجعلها اقطاعا وفرقها مثالات على عسكر حلب وصار يحكم من
الشام الى الفرات فانتزعت يد الملك الناصر من البلاد الشامية والحلبية وصار حكمه
لا يجاوز الى غزه فضاق الامر على الملك الناصر فرج حتى كادت تزهق روحه فما هو الا قليل
حتى جاءت الاخبار من حلب بان جكم العوضى قد قتل ولا يعلم من قتله وكان سبب
ذلك ان خارجيا من التركمان من اولاد قرا يوسف خرج عليه فخرج اليه جكم مع العساكر
الحلبية فالتقى معه فكان بينهم وقعة عظيمة فقتل من الفريقين ما لا يحصى عددهم وفقد
جكم العوضى في المعركة ولا يعلم له خبر ولا عرف كيف قتل فلما جاءت الاخبار
الى مصر بذلك فسر الملك الناصر وقد كفاه الله تعالى امر جكم العوضى بيد غيره كما قيل

الصبر اولى بوقار الفتى ۔ من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حالة ۔ كان على ايامه بالخيار

وقال ايضا

صبرنا على جور الزمان وربما ۔ تفرج ايام الكرب بالصبر

فلما قتل جكم التف الامير نوروز الحافظى على الامير شيخ المحمودى نايب طرابلس
واظهروا العصيان والتف عليهم جماعة من النواب وصاروا يملكون البلاد الشامية
والحلبية من غزه الى الفرات وصار بيد الملك الناصر مصر واعمالها فقط وهو
في غاية الحصر مع مماليك ابيه بمصر وكان يسلى همه بكثرة السكر لا يصحوا منه
ليلا ولا نهارا كما قيل

وما اجتمعت والهم يوما ۔ لانها بكاساتها صفعا للهم تافعة

انتهى ذلك **ثم دخلت سنة احدى عشر** وثمانماية فيها ظهر في السما بعد
مغيب الشمس الشفق حمرة عظيمة من الجهة الغربية ثم اشتدت تلك الحمرة حتى
صارت كالنار الموقدة بوهج وكانت تلك الحمرة برق ساطع فصار كلما يلمع يخيل للناظر
انها نار لا محالة ثم انتشرت تلك الحمرة حتى كادت ان تغطى ثلث السما واستمر
الحال على ذلك الى نصف الليل فخافوا الناس من ذلك وتضرعوا الى الله تعالى بالدعا فا
انكشفت تلك الحمرة قليلا قليلا واصبحت السما صاحية فاصبح الناس يتحدثون
بما وقع في تلك الليلة من العجايب وقد قال القايل

ما خاب عبد على الله الكريم له ۔ توكل صادق في السر والعلن
حاشاه ان يحرم الراجى اجابته ۔ اذا دعاه لكشف الهم والحزن

ومن الوقايع جاءت الاخبار بان جاليش الامير شيخ نايب الشام والامير نوروز
قد خرجا من غزه وهم في عساكر لا تحصى فلما سمع الملك الناصر بذلك خرج هو
والامرا على الهجين فتلاقا العسكران على السعيدية فكان بينهما وقعة عظيمة فانكسر الملك الناصر
ورجع الى القاهرة وهو مهزوم فتبعه شيخ ونوروز ودخلا الى القاهرة فتوى خلق الملك
الناصر على شيخ المحمودى ونوروز فكسروهما كسرة قوية ورجعوا الى الشام مهزومين
وانتصر عليهما الملك الناصر ولكن قتل في هذه الحركة جماعة كثيرة من المماليك والامرا
وفيها تعيين نوروز لنيابة الشام ثم بطل نوروز من نيابة الشام وارسل السلطان
تقليدا الى شيخ بنيابة حلب ثم عين نوروز الى القدس بطالا ثم كتب الى دمرداش نايب حلب
بالحضور الى مصر ورسم لشيخ بنيابة طرابلس مع نيابة حلب وهذا من العجايب ثم ان شيخ
بعد ذلك خامر على السلطان فجرد اليه ورجع من غير طايل **وفيها** توفى الامير باشى باى
راس نوبة النوب انتهى **ثم دخلت سنة اثنى عشر** وثمانماية فيها تزايد جور الملك
الناصر في حق مماليك ابيه فصار يقتل منهم جماعة ويغرق منهم جماعة فكان الاتابكى تغرى
بردى ينهى الملك الناصر عن هذه الافعال الشنيعة فلا يلتفت الى كلامه فلما
ثقل عليه امره فاظهر عليه واستنفر به نايب الشام فلما توجه تغرى بردى الى الشام
فامعن الملك الناصر في قتل مماليك ابيه فكان يسكر الى نصف الليل ويخرج الى الحوش
وهو سكران فيعرض المماليك الذى في السجن بالابراج فيحضروهم وهم في زنا جبير
فيقدموا اليه واحد بعد واحد فيقول من هذا فيقولوا هذا فلان من الطبقة الفلانية
فيقول قدموه فيطرحونه على الارض فيذبحه بيده ثم يدوس على وجهه برجله وربما كان
يبول عليهم او يصب عليهم النبيذ كل هذا من شدة قهره منهم مما قاساه منهم فكان يذبح
من المماليك في كل ليلة بحسبما يختار وذكروا عنه اشيا شنيعة من هذا النمط فاستمر
على ذلك مدة طويلة حتى قيل انه ذبح في هذه المدة من مماليك ابيه نحو من الفين مملوك
وقد تجرى على القتل حتى صار يقتل في كل ليلة نحو عشرين مملوكا او ثلاثين مملو كا
وكان الملك الناصر معذورا فيهم فانه كان يباع الواحد منهم المرة والمرتين والثلاثة
وهم يفدرونه ويخامرون عليه حتى كان يقول الملك المويد شيخ في بعض مجالسه بعد
قتل الملك الناصر فرج ما صبر احد من الملوك كصبر الملك الناصر على مماليك ابيه
فانه ما كان يقتل الواحد منهم حتى يكون قد سامحه مرارا عديدة وهم يفدرونه ويتجرى
له منهم من الوقايع ما يطول شرحه في هذا المختصر وهم مع ذلك لا يزدادوا عليه الا طغيانا
ثم دخلت سنة ثلاثة عشر وثمانماية فيها وقع الطاعون بالقاهرة وكان قوة عمله
في شهر رمضان وفي ذلك يقول القاضى مجد الدين بن فضل الله

تزايد الطاعون لما اتى ۔ شهر شعبان والحمى بر صعبة
ودام في الصوم على فتكه ۔ ونظر القتمنا على كبته

ثم دخلت سنة اربعة عشر وثمانماية فيها نفرت قلوب المماليك من الملك الناصر
وصار منهم جماعة ينسحبون تحت الليل ويتوجهون الى عند نوروز الحافظى وشيخ المحمودى

فكانوا المماليك يتوجهون من على العقبة الى غزه ومن غزه الى الشام فتسحب من العسكر نحو
الثلث وفي هذه السنة اوفى النيل المبارك فى اول يوم من مسرى وبلغت الزيادة فى تلك
السنة اثنين وعشرين ذراعا واصبع من ثلاثة وعشرين ذراعا فحصل للناس فى تلك السنة
غاية الضرر الشامل وغرقت اكثر البساتين وانقطعت الطرقات من المسالك حتى قيل

قد زاد هذا النيل فى عامنا ❊ فاغرق الارض باقدامه
وكاد ان يعطف من مآبه ❊ غرقى على ازرار اهرامه

وفيها جآت الاخبار بان نوروز الحافظى وشيخ المحمودى قد قويت شوكتهما والتف
عليهما جماعة كبيرة من العشير ومن عربان جبل نابلس واجتمع عندهما من الامرا ما يزيد
على ربعة وعشرين اميرا من امرا مصر والشام فمنهم الامير قرقماس المروف بسيدى الكبير
والامير يكتمر جلق والامير سودون المحمدى والامير شاهين الافرم والامير طوغان
الحسنى وغير ذلك من الامرا المصرية والشامية **وفيها** جآت الاخبار بان شيخ المحمودى
ونوروز الحافظى قطعوا اسم الملك الناصر من الخطبة بدمشق واعمالها فلما تحقق
الملك الناصر ذلك تاعرض العسكر ونفق عليهم وبرز خامه الكل فى جمعة واحدة
ثم نزل من القلعة فى موكب عظيم وطلبا عظيما وامر العسكر بان يخرجوا وهم لابسون
آلة الحرب وكان صحبته الخليفة العباس والقضاة منهم قاضى القضاه الشافعى جلال
الدين بن سراج الدين البلقينى وبقية القضاة ما يحضر فى اسماهم الآن ومن المباشرين
القاضى فتح الله كاتب السر الشريف وساير الكراد العسكر فتوجه الملك الناصر الى نحو
الريدانيه فاقام بها يومين ثم انه رحل عنها وقصد التوجه الى نحو الشام وكانت هذه
التجريده ثالث تجريده خرج فيها الملك الناصر بنفسه فان اول تجريده جردها
الى الشام كانت بسبب تنم الحسنى نايب الشام لما اظهر العصيان كما تقدم والتجريدة
الثانيه كانت بسبب تمر لنك لما وصل الى الشام وجرى منه ما جرى كما تقدم والتجريدة
الثالثة كانت بسبب نوروز وشيخ لما اظهروا العصيان فخرج اليهم الملك الناصر
بنفسه **ثم دخلت** سنة خمسة عشر وثمانمائة فيها دخل الملك الناصر الى الشام
واقام بها اياما ثم توجه خلف النواب فكانوا يتوجهون كل يوم من بلد الى بلد
والملك الناصر يسوق خلفهم ليلا ونهارا فاتعب العسكر وانقطع منهم جماعة
من شدة السوق والتعب فلما كان يوم الثلاثا خامس عشرين المحرم من سنة خمسة
عشر وثمانماية فيها وصل الملك الناصر الى اللجون وهى من ضياع الشام فنزل هناك
الملك الناصر والنواب بعد العصر وكان الملك الناصر قد اصطبح وهو لا يعى من
شدة السكر فاراد الكبس على النواب فى تلك الساعة فنعوه الامرا من ذلك فلم يسمع
لهم فتقدم اليه القاضى فتح الله كاتب السر تكلم معه فى ان ينزل هناك ساعة حتى
يستريح العسكر من شدة السوق فلم يلتفت الى كلامه وقال انا لى سنين انتظر هذا اليوم

وبقى ان انزل هنا ساعة فيهربوا من وجهى الى مكان اخر فلما راوا الامرا والعسكر هذه
الاحوال الفاسدة فتسحبوا من عنده الى النواب فاول من تسحب من عنده من الامرا الامير
نجحتار امير سلاح فتوجه الى عند النواب فلما راوا العسكر ذلك فتسحبوا من عنده قليلا
قليلا حتى لم يبق مع الملك الناصر الا القليل من العسكر فبان عليه عين الغلب
فكبس على النواب بعد غروب الشمس فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسر الملك الناصر
وهرب بمن بقى معه من العسكر فولى مدبرا الى نحو الشام فكان كما يقال

ما تفعل الاعدا فى جاهل ❊ ما يفعل الجاهل فى نفسه

فدخل الى الشام وبات فى تربة تنم ليلة الاربعا سادس عشرين محرم فلما ولى الملك
الناصر استولى الامير نوروز والامير شيخ على خزاين المال وعلى الاطلاب ثم دخلوا
الى الشام وملكوها وقد انتصر نوروز وشيخ على الملك الناصر وفى ذلك يقول الشيخ
تقى الدين ابن حجة الحموى من قصيدة يمدح بها الملك المويد شيخ من ذلك قوله رحمه الله

وجمعت باللجون جم عساكر ❊ دارت عليهم من سطاك دواير
وعلى ظهور الخيل ما تواجهه ❊ فكان ها تيك السروج مقابر

فلما دخل شيخ ونوروز الى الشام وطلعوا الى دار السعادة واجتمعوا هناك ساير الامرا
واحضروا القضاه الاربع ورسموا بان يكتبوا محضرا بافعال الملك الناصر بانه سفاكا
للدما مدمنا للخمر فكتبوا المحضر بذلك وشهد وافيه جماعة كثيرة من اعيان الناس ثم
خلعوا الملك الناصر من السلطنة واشتوروا فيمن يولوه السلطنه فقال نوروز لشيخ
لا انا ولا انت نتسلطن ولكن اجعلوا الخليفة العباس سلطانا ويكون الامير شيخ اتابك
العساكر ومدبر المملكه بمصر ويكون الامير نوروز نايب الشام ويحكم فى البلاد الشامية
من غزه الى الفراة يولى بها من يختار ويعزل من يختار فتراضوا على ذلك وتحالفوا جميع
الامرا على ذلك وتعاهد الامير شيخ ونوروز على ذلك وان الخليفه اذا بقى سلطانا
بمصر لا يعزل ولا يولى حتى يراجع فى ذلك الامير شيخ والامير نوروز ثم سلطنوا
الخليفه العباس كما سياتى ذكر ذلك فى موضعه ان شا الله تعالى واستقر الامير شيخ
اتابك العساكر بمصر واستقر الامير نوروز الحافظى نايب الشام كما تقرر الحال عليه
هذا ما كان من امر النواب واما ما كان من امر الملك الناصر فرج بعد الكسرة التى وقعت
له على اللجون فانه لما جرى له ما جرى وولى منهزما فتوجه الى نحو الشام واقام فى تربة
تنم وارسل الى الامير شيخ يطلب منه الامان وكان الامير نوروز صهر الملك الناصر
زوج اخته فلو طلب منه الامان اولا ما اصابه سوء ولكن قصد الامير شيخ فارسل
اليه من قيده واحضره الى السجن بقلعة دمشق ثم انهم افتوا عليه الكفر كما قيل
والله اعلم بحقيقة ذلك فلما كان ليلة السبت سادس شهر صفر من سنة خمسة عشر
وثمانمائة دخلوا على الملك الناصر جماعة من الفداوية وقتلوه بالخناجر فى تلك الليلة

وهو بالبرج بقلعة دمشق فلما اصبحوا اشيع ذلك بين الناس فلم يصدق نوابه لذلك
فاخرجوه من البرج والقوه على مزبلة خارج البلد وهو عريان مكشوف الراس ليس عليه
غير اللباس في وسطه وصار والناس ياتوا اليه افواجا افواجا ينظرون اليه ولو امكن
مماليك ابيه ان يجرونه لفعلوا به ذلك مما قاسوه منه فاقام على ذلك ثلاثة ايام لم
يدفن ثم غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه بمقبرة باب الفراديس بدمشق هذا
ماجرى للملك الناصر فرج والله اعلم **فكانت** مدة سلطنته بالديار المصرية
والبلاد الشامية ثلاث عشر سنة وثلاث اشهر واحدى عشر يوما وذلك خارجا عن مدة
خلعه باخيه عبد العزيز وهي شهرين وعشرة ايام وقتل وله من العمر نحو ستة وعشرين
سنة والله اعلم وقد قال القايل في المعنى

يا نفس صبرا والا فاهلكي جزعا ॥ ان الزمان على ماتكرهين بني
لا تحسبي نعم سرتك صحبتها ॥ الا ومفتاح ابواب من الحزنا

ولما توفي الملك الناصر خلف من الاولاد خمسة صبي واربع بنات فالصبي سيدي
خليل نفاه الملك المويد شيخ الى ثغر الاسكندرية فاقام هناك الى ان توفي في اثناء دولة
الاشرف اينال ونقل بعد موته ودفن بتربة جده الملك الظاهر برقوق التي بالصحرا
واما البنات فخوند شقرا وخوند اسيه وخوند زينب وخوند هاجر **وكان** الملك
الناصر فرج شجاعا بطلا مقداما كريما غير انه كان سفاكا للدما مسرفا على نفسه منهمكا
على شرب الخمور وسماع الزمور وعنده كثرة الجهل مع قلة الدين وكانت الدنيا على
ايامه حايلة وحقوق الناس ضايعة وقد خربت غالب البلاد الشامية في ايامه
من تمرلنك ومن عصيان النواب وخربت اوقاف الناس الذي بالبلاد الشامية
في ايامه لما عصى جكم العوضي وتسلطن بحلب وكم قتل من ابطال ويتم من اطفال
وجرت في ايامه امور شتى يطول شرحها عن هذا المختصر حتى فرج الله تعالى بموته
وزوال دولته وكانت الناس معه في غاية الضنك **وكانت** صفته ابيض اللون
يميل الى الصفرة اشهل العينين واقنى الانف نحيف الجسد معتدل القامة عربي الوجه
مستدير اللحية اشقر الدقن مهاب الشكل وكانت امه رومية جمع بين فخر الفعل
والشكل وكان من يراه يرعد من شدة باسه وعظم سطوته انتهى **واما ما انشاه** بمصر
من العماير وهي المدرسة التي تجاه باب زويلة التي تسمى الدهيشة وعمر الجامع التي داخل
الحوش السلطاني بالقلعة وجدد بالدهيشة التي داخل القلعة اشياء وعمر الربعين
اللذين عند جامع الصالح خارج باب زويلة وله غير ذلك اشيا كثيرة من الانشا
بالديار المصرية **واما من توفي في** ايامه من الاعيان منهم شيخ الاسلام سراج الدين
عمر البلقيني الشافعي وتوفي القاضي فتح الدين بن الشهيد صاحب ديوان الانشا بدمشق
وتوفي الشيخ شمس الدين الشهير بالمزين وكان من اعيان دمشق فلما بلغ الشيخ عز الدين

الموصلي وفاته وكانا من اضداده فانشد يقول

دمشق قالت لنا مقالا ॥ معناه في ذا الزمان بين
اندمل الجرح واستراح ॥ ذاتي من النحس والمزين

وتوفي الشيخ خلف الغباري صاحب الازجال اللطيف وكان فريد عصره في هذا الفن و
وتوفي الشيخ زين الدين بن العجمي عين كتاب الانشا بالديار المصرية وكان له شعر جيد
من قوله

انظر الى الخد وانه كيف تجعدت ॥ امواجها فزهت وراقت منظرا
وحكت سطورا في طروس خطها ॥ قلم النسيم بلطفه ما اثرا

وتوفي الشيخ علاء الدين بن ايبك الدمشقي وكان من فحول الشعرا انتهى ما اوردناه من دولة
الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق وذلك على سبيل الاختصار حتى ما **ذكر سلطنة**
الخليفة المستعين بالله ابي الفضل العباس ابن الفضل الامام
محمد المتوكل على الله بن المعتضد بالله بن المستكفي بالله بن الامام احمد الحاكم بامر الله
تسلطن بدمشق بعد خلع الملك الناصر فرج بن برقوق في يوم الاثنين سابع عشرين
المحرم سنة خمس عشر وثمانماية فهو من الوزخين من عد من جملة السلاطين بالديار
المصرية ومنهم من عده من جملة خلفا بني العباس وهذه الواقعة لم تتفق لخليفة قبله
من بني العباس انه تسلطن بمصر وحكم بها على هذا الوجه وفيه يقول بعض الشعرا

خليفتنا حاز الفخار باسره ॥ وباسره مجموع كل الناس
ولقد روى الفضل الذي عن قوله ॥ والجمع في الاعضا في العباس

وكان سبب سلطنة الخليفة العباس انه لما عصى نوروز الحافظي وشيخ المحمودي
وجود اليهم الملك الناصر فلما انكسر خلعوه من السلطنة واتفق راى نوروز وشيخ
على سلطنة الخليفة العباس كما تقدم ذكر ذلك فاحضر واله خلعة السلطنة والبسوها
له وباسوا له الارض وكان القايم في سلطنة الخليفة الامير نوروز الحافظي
قيل لما ارادوا ان يولوه السلطنة فامتنع من ذلك غاية الامتناع فقال له الامير
نوروز لا تخف انا ظهر لك لا يصيبك الا ما يصيب رقبتي فاشرط عليهم الخليفة العباس
قبل ان يلي السلطنة شروطا كثيرة منها انه اذا خلع من السلطنة يستمر في الخلافة على
حاله الاول فاجابوه الى ذلك فلما ولوه السلطنة فاخلع على المقر السيفي نوروز الحافظي
واستقر به نايب الشام واضاف اليه جميع خراج البلاد الشامية وسلم اليه قلعة دمشق
ثم اخلع على المقر السيفي شيخ المحمودي واستقر به اتابكي العساكر بمصر ومدبر المملكة
ونظام الملك وصار نوروز يحكم من غزة الى الفرات والخليفة والاتابكي شيخ يحكموا من
قطيا الى اقصى بلاد الصعيد واعمال الديار المصرية قاطبة فلما وقع الاتفاق على ذلك
فخرج الخليفة من دمشق وصحبته الاتابكي شيخ وبقية الامرا والعسكر فلما توجهوا
قاصدين مصر فكان الخليفة العباس في مدة السفر في غاية العز والعظمة نافذ الكلمة

واطاعوه سائر العساكر فلما دخلوا الى مصر فكان للخليفة العباس موكبا عظيما وحمل الاتابكي شيخ على راسه القبة والطير فلما طلع الخليفة الى القلعة وسكن بها سكن الاتابكي شيخ بباب السلسلة فكانت الامرا اذا نزلوا من عند الخليفة يدخلوا الى عند الاتابكي شيخ في باب السلسلة ويبطوه الخدمة ثانيا وبقي بيده تدبير الايام والنقض والحل والعقد وكان الاتابكي شيخ لا يمكن الخليفة من كتابة مربعة او منشور او مرسوم حتى يعرض عليه ذلك جميعه فاستمر الامر على ذلك مدة يسيرة ثم ان الاتابكي شيخ بدا له ان يتسلطن ويخلع الخليفة العباس من السلطنة فعند ذلك احضر القضاة الاربع وسائر الامرا وكتبوا بان عربان الشرقية والغربية قد خرجوا عن الطاعة وكثر الفساد في البر والبحر واضطربت الاحوال وان الوقت محتاجا لاقامة سلطانا تركي له سطوة يمنع اهل الفساد وتنصلح الاحوال على يديه فعند ذلك خلعوا الخليفة العباس من السلطنة ولم يخلعوه من الخلافة فبايعوا الاتابكي شيخ بالسلطنة فلما تسلطن شيخ استمر الخليفة العباس بالقلعة في مكان محتفظا به لا يجتمع به احد فاقام على ذلك مدة يسيرة ثم ان شيخ خلعه من الخلافة ايضا وولى اخاه داود وتلقب بالمعتضد بالله وكان الخليفة العباس لما خلع من الخلافة عهد الى ولده يحيى فلم يمشي الملك المويد شيخ عهده وولى اخاه داود ثم ارسل الخليفة العباس الى السجن بثغر الاسكندرية فكانت مدة سلطنته بمصر ستة اشهر الا اياما فما كان اغناه عن هذه السلطنة وكان في مدة سلطنته مع الاتابكي شيخ في غاية الضنك ليس له في السلطنة غير مجرد الاسم فقط والامر كله للاتابكي شيخ وكانت مدة خلافته دون السلطنة ثمان سنين واشهر واستمر الخليفة العباس في السجن بثغر الاسكندرية الى دولة الملك الاشرف برسباي فاخرجه من السجن واسكنه في بعض دور الاسكندرية واستمر على ذلك الى ان مات في الوبا الذي وقع في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكانت وفاته في يوم الاربعا حادي عشر جمادى الاخر من تلك السنة ودفن هناك رحمة الله تعالى عليه ومن الحوادث في ايامه ما نقله الشيخ شهاب الدين ابن حجر في تاريخه ان قاضي القضاة الحنفية صدر الدين بن العديم تولى الحسبة في تلك الايام مضافا لما بيده من قضاء الحنفية وهو اول من جمع بين القضا والحسبة في وقت واحد ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الدول الماضية وفيه يقول بعض الشعرا

من ولي الحسبة يصبر على ۞ تعرض الخارج والعابر
فليس يحظى بالثنا والهنا ۞ فيهم سوى المحتسب الصابر

انتهى ما اوردناه من اخبار الخليفة المستعين بالله ابي الفضل العباس على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المويد ابي النصر شيخ بن عبد الله

المحمودي الظاهري وكان يعرف بالخاصكي وهو الثامن والعشرون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الرابع من ملوك الجراكسة واولادهم بمصر بويع له بالسلطنة بعد خلع الخليفة العباس في يوم الاثنين مستهل شهر شعبان سنة خمس عشر وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وطلع الى القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباسوا له الامرا الارض وتلقب بالملك المويد ودقت له البشاير ونودي باسمه في القاهرة وضجوا له الناس بالدعا من الخاص والعام وفيه يقول الشيخ تاج الدين بن كميل الشاعر

تسلطن الشيخ وزال العنا ۞ فالناس في بشر وتيه وفرج
فلا تقاس بصبي ولا ۞ تلق برجليها وقابل بشيخ

ثم انه استقر بيبغا الناصري اتابك العساكر عوضا عن نفسه واستقر تنانباي المحمدي امير اخور كبير وكان الملك المويد اصله من مماليك الملك الظاهر برقوق اشتراه من الخواجا محمود شاه واعتقه واخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقي خاصكي ثم بقي ساقي وكان يعرف بشيخ المحمودي ثم بقي امير عشرة ثم بقي امير اربعين وسافر الى الحجاز امير اول في سنة احدى وثمانمائة ثم بقي مقدم الف في دولة الملك الناصر فرج بن برقوق ثم بقي نائب طرابلس ونيابة الشام ايضا واسره تمرلنك على حلب كما تقدم ووقع له في دولة الملك الناصر فرج امورا شتى ومحن عظيمة وسجنه الملك الناصر بخزانة شمايل فاقام بها مدة ثم خرج الى الشام والتف على جكم العوضي ونوروز الحافظي ولم يزل في عصيان وهجاج في البلاد الشامية حتى مضى اكثر عمره فلما جرد الملك الناصر الى نوروز وقتل الملك الناصر كما تقدم وتسلطن الخليفة العباس فبقي اتابك العساكر بمصر ونظام المملكة ثم انه خلع الخليفة من السلطنة وتسلطن عوضه فلما تسلطن وتم امره في السلطنة قبض على جماعة من الامرا وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية وانعم على جماعة من الامرا بتقادم الوف ووظايف سنية وانعم على ولده المقر الصارمي ابراهيم بتقدمة الف واقام له من الامرا عصبة وارضى الجند بالاقطاعات ثم قرب جماعة حضروا معه من البلاد الشامية ثم قررهم في وظايف سنية فمنهم المقر الزيني عبد الباسط بن خليل ومنهم المقر الناصري ناصر الدين بن البارزي ومنهم القاضي علم الدين داود بن الكويز وكان اصله من الشوبك من طايفة النصارى الارمن ومنهم القاضي بدر الدين بن مزهر والامير ناصر الدين التاج واخيه الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي عين اعيان الشعرا وغير هولا جماعة كثيرة حضروا معه من البلاد الشامية الى الديار المصرية ثم انه قبض على القاضي فتح الله كاتب السر الشريف واحاط على موجوده من صامت وناطق ثم انه خنقه ودفنه تحت الليل فلما مضى فتح الله اخلع على المقر المتقوي ناصر الدين بن البارزي واستقر كاتب السر بالديار المصرية عوضا عن فتح الله واستقر بالزيني عبد الباسط كاتب الخزاين الشريفة وناظر الخوالي وناظر الكسوة الشريفة واستقر بالقاضي علم الدين بن الكويز ناظر الجيوش المنصورة واستقر بالامير ناصر الدين التاج استادار الصحبة ثم جعله والي القاهرة وقرر كل احد منهم في وظيفة تليق

به ثم امر فقرب من الاكابر من شاء وابعد من شاء منهم واستقامت اموره فى المملكة والسلطنة
واطاعوه الجند ولم يختلف عليه اثنان من العسكر **ثم دخلت** سنة ستة عشر
وثمانماية فيها جاءت الاخبار من دمشق بان نوروز الحافظى لما بلغه ان شيخ خلع الخليفة
العباس من السلطنة وتسلطن عوضه فعز ذلك عليه ولم يبوس الارض للملك المويد
شيخ واظهر العصيان وتعجب من شيخ كيف خان الايمان والعهود الذى كانت بينه وبين
نوروز وكانوا اعظم من الاخوة يتامون على حلزة واحدة فخان شيخ الايمان والعهود وتسلطن
بمصر فكان كما قيل ، وظننت انك لا تميل مع الهوى ، اين اليمين واين ما عاهدتنى ،
واستمر نوروز يخطب باسم العباس الخليفة على منابر دمشق واعمالها ولم يخطب
باسم الملك المويد شيخ ولم يضرب باسمه سكة واستمر واضع يده على البلاد الشامية
من غزه الى الفرات وفى هذه السنة اخلع السلطان على منكلى بغا الشمسى وولاه محتسبا
بالقاهرة عوضا عن القاضى زين الدين المدير وهو اول من تولى الحسبة من الاتراك
ولم يتولاها احد قبله من الاتراك **ومن الحوادث** فى تلك السنة ان ظهر بالقاهره
شخصا يدعى انه يصعد الى السما ويكلم البارى جل وعلا فى كل يوم مرة او مرتين فا
فاعتقده جماعة كثيرة من عوام مصر فلما شاع امره بين الناس فرسم السلطان بان
يعقد واله مجلسا بالصالحية فاجتمعوا هناك القضاه الاربع فاراد القاضى المالكى
ان يثبت عليه الكفر فشهد وا جماعة من اهل الطب بانه فى عقله خلل فسجنوه ولم
يثبت عليه كفرا وهذه الواقعة متفق على صحتها فى زمن المويد شيخ **ثم دخلت**
سبعة عشر وثمانماية فيها نوى عزم الملك المويد شيخ بان يخرج الى الشام بسبب عصيان
نوروز فعلق الجاليش وعرض العسكر ونفق عليهم وخرج من القاهرة فى موكب عظيم وصحبته
الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربع وساير الامرا وقرر الامير ططر نايب
الغيبه الى ان يحضر السلطان والامير سودون قرا سقل حاجب الحجاب يحكم بين الناس
فلما وصل الى دمشق فوجد نوروز حصن دمشق وركبا على سورها المدافع من كل جانب
فحاصره الملك المويد اشد المحاصرة ونصب حول مدينة دمشق عدة مناجنيق ولا زال
يحاصر نوروز مدة طويلة حتى عجز نوروز وارسل يطلب من شيخ الامان على نفسه
وكان بقلعة دمشق فلا زالوا على ذلك حتى غلب نوروز وسلم نفسه الى شيخ واخر
الامر قطع شيخ راس نوروز فى قلعة دمشق وارسلها الى القاهرة وعلقت على باب
زويله ثلاثة ايام ثم دفنت وكان شيخ باغى على نوروز فكان لسان نوروز يقول
، يا غادرا بى ولم اغدر بصحبته ، وكان منى مكان السمع والبصر ،
، فذكت من كلبك الناسى ان جبا ، فجاء ما قلته نقشا على حجر ،
قال الشيخ تقى الدين بن حجة الشاعر اوفى النيل المبارك فى سنة ستة عشر وثمانماية
فى اوايل مسرى فنزل الملك المويد وخلق المقياس وكسر على العادة وذلك قبل ان يتوجه

الى دمشق بسبب نوروز فانشد تقى فى ذلك اليوم مهنيا وهو قوله فيه
، ايا ملكا باسمه صار مويدا ، ومنتصبا فى ملكه نصب تمييز ،
، كسرت بمسرى سد مصر ومقتضى ، وحقك بعد الكسر ايام نوروز ،
فكان الفال بالمنطق وتوجه الملك المويد بعد ذلك الى نوروز وظفر به وكسره وانتصر
عليه **قيل** لما انتصر الملك المويد على نوروز وقطع راسه وارسلها الى مصر صحبة الامير
جرباش قاشوق وذلك فى جمادى الاول سنة سبعة عشر وثمانماية فاريحت لها مصر فاقام
بعد ذلك فى دمشق اياما حتى مهد البلاد الشاميه وعزل من عزل وولى من ولى فاخلع على
قانباى المحمدى واستقر به نايب الشام عوضا عن نوروز الحافظى واخلع على الامير اينال
الصلصلانى واستقر به نايب حلب واخلع على الامير سودون من عبد الرحمن واستقر
به نايب طرابلس واخلع على الامير تانى بك واستقر به نايب حماه ثم قصد التوجه الى مصر
فلما دخل الى مصر كان له يوما مشهودا وزينت له القاهرة وحملت على راسه القبة
والطير حتى طلع الى القلعة **ثم دخلت** سنة ثمانيه عشر وثمانماية فيها جاءت
الاخبار بان النواب المقدم ذكرهم تظاهروا بالعصيان وخرجوا عن الطاعة فجرد اليهم الملك
المويد ثانيا وخرج اليهم بنفسه والتقى معهم فانتصر عليهم وقبض على قانباى المحمدى نايب
الشام وقطع راسه ثم قبض على اينال الصلصلانى نايب حلب وقبض على ولده فقتل الابن
ذبحا ولده على صدره ثم قتل الاب بعد ذلك ثم انه ولى جماعة من الامرا نوابا بغيرهم لما
رجع الى الديار المصريه فلم يقم سوى مدة يسيرة وجاءت الاخبار بان النواب قد
تمردوا واظهروا العصيان فجرد اليهم ثالث مرة وخرج بنفسه فلما بلغ النواب مجيئه
هربوا من وجهه وتوجهوا الى عند قرا يوسف امير التركمان فاستقر بنواب غيرهم ممن
يثق بهم وفى هذه المرة قطع جادرت هذه النواب الذى كانوا الخارجين عليه ثم رجع الى مصر
وقد صفا له الوقت وانشاء له مماليك كثيرة وجدد له امرا وحسنت اوقاته بمصر
فكان ينزل من القلعة ويتوجه الى بولاق ويقيم عند القاضى ناصر الدين بن البارزى فى بولاق
وكان يعمل الموكب هناك ويجتمع عليه الامرا المقدمين وكان ينزل يوم فى بعض الاوقات
فى البحر وحوله الامرا والخاصكيه وكان يبناها فى يوم كسر سد النيل المبارك ويلزم الامرا
المقدمين بان كل واحد منهم يزين له حراقة ويجعل فيها الصناجق والكوسات فاذا
اوفى النيل يحضر واله بالذهبيه الى بولاق وينزل من قصر بن البارزى الذى فى بولاق
ويتوجه الى المقياس يخلق العمود ويكسر السد والامرا المقدمين حوله فى الحراريق المزينة
حتى يعيد والبحر من كثرة المراكب ويكون له يوما مشهودا لم يسمع بمثله فيما تقدم
وقد فاق فى ذلك ما كان يصنعه فى ذلك اليوم استاده الملك الظاهر برقوق وكان
يتناهى فى المواكب الجليلة الى الغاية وكان رجلا كثير النزه لا يقيم بالقلعة الا قليلا
واكثر ايامه فى بولاق وقيل كانت الرماة تلعب قدامه فى بولاق وهو ينظر

اليهم من البادزهر ولم يمشي احد من الملوك على طريقته في اللهو والقصف انتهى **وفيها**
توفي الصاحب سعد الدين ابراهيم البشيري وتوفي الشيخ مجد الدين الفيروزابادي الشيرازي
وهو مولف كتاب القاموس وكان من جملة مشايخ ابن حجر **وفيها** اشتغل السلطان بعمل جسر
تجاه منشية المهراني حتى تغلق الاسواق وتعطل حال الناس وخرجوا الناس قاطبة بسبب
التراب **ثم دخلت** سنة تسعة عشر وثمانماية فيها وقع الطاعون بالديار المصريه
وفتك غاية الفتك في البرية وقد قال بعض الشعرا

رعى الرحمن دهرا قد تولى ❊ يجازي بالسلامة كل شرط
وكان الناس في غفلات امن ❊ فجا طاعونهم من تحت ابط

ثم دخلت سنة عشرين وثمانماية فيها ظهرت العجوبة ولدت جاموسة بمدينة
بلبيس مولودة لها راسان واربعة ايدي وسلسلة ظهر وظهر واحد وفرج واحد
ولها رجلان في حقوها فاقامت اياما وماتت **ومن العجايب** ايضا ما ذكره العلامة
شهاب الدين بن حجر في تاريخه ان الصونة قاطمة بنت قاضي القضاة جلال الدين بن سراج
الدين عمر البلقيني ولدت ولدا ذكرا له ذكر وفرج وله يدان زايدتان في كتفيه وله
قرنان في راسه مثل قرون الثور فاقام ساعة ومات **وذكر** ايضا في تاريخه انه لما
ذبح بمدينة غزه بعد العشا فاضا لحم في الليل كما يضي الشمع وقيل ومن قطعة من
لحمه للكلب فلم ياكل منها شيا ولم يعلم سبب ذلك وهذا من العجايب التي وقعت
في تلك السنة **وفيها** رسم السلطان للقاضي الشافعي بان يجعل نواب عشرة فقط
وللقاضي الحنفي ان يجعل نواب خمسة فقط وكانوا بعد اكثر من مايتين نايب ورسم
للقاضي المالكي باربعة نواب فقط وللقاضي الحنبلي بثلاثة فقط **ثم دخلت** سنة
احدى وعشرين وثمانماية فيها وقع الطاعون ايضا بالديار المصرية واستمر يتسلسل حتى
دخلت سنة اثنين وعشرين وثمانماية فكان تارة يزيد وتارة ينقص وفيها وقع الغلا ايضا
بالديار المصريه ونزل الملك المويد شيخ واستسقا كما جرت بذلك العاده وقيل
ان الملك لما نزل الى الاستسقا لبس جبة صوف ابيض وعلى راسه عمامة صغيرة جدا
بعذبة موجه خلفه وعلى كتفه ميزر صوف ابيض وركب فرس بغير قماش حرير ولا
مسوح ذهب وذبح بين اغنام وابقار وفرقها على الفقرا وفرق في ذلك اليوم على الفقرا
ثلاثين الف رغيف وصلى على الرمل من غير سجادة وتواضع الى الله في ذلك اليوم فزاد
النيل واوفى في اواخر توت ثم انهبط النيل بسرعة وشرقت اكثر البلاد واستمر الغلا
بمصر سنة كاملة وعزت الاقوات فيها **ثم دخلت** سنه اثنين وعشرين وثمانماية
كملت عمارة جامع الملك المويد شيخ الذي هو داخل باب زويله وكان مكان هذا الجامع
سجنا يجلس فيه اصحاب الجرايم وكان يعرف بخزانة شمايل وكان شمايل هذا من جملة جاندارية
والي القاهرة فلما خرج الملك الكامل الى قتال الافرنج لما اخذوا ثغر دمياط فكان

شمايل هذا يمشي في ركاب الملك الكامل ويعوم في البحر تحت الليل ويكشف اخبار الفرنج
وياتي الملك الكامل بالاخبار فحظي عنده بذلك فلما انتصر الملك الكامل على الفرنج جعل
شمايل هذا والي القاهرة فبنى له هذا السجن فنسب اليه وقيل خزانة شمايل وكان الملك المويد
شيخ من جملة من حبس في خزانة شمايل في دولة الملك الناصر فرج ابن برقوق فقاسا
بها شدايد عظيمة فنذر في نفسه ان خلص من هذه الشدة وبقي سلطانا يهدم هذا السجن
ويبني مكانه جامعا لله تعالى فلما تولى الملك بمصر فهدم ذلك السجن وبنى مكانه هذا
الجامع وتانق في زخرفته ورخامه وسقوفه وابوابه فلم يبنى في القاهرة مثله ولا
مثل سقفه في هذا المكان ولكنه ظلم اعيان الناس في تحصيل رخامه وكانوا يكبسون
البيوت والحارات بسبب الرخام فظلم خلق الله حتى حصل هذا الرخام ومن جملة ظلمه
فيه انه اخذ باب مدرسة السلطان حسن والتنور الكبير وجعلها في جامعه واعطى
فيها بخس الاثمان واخذ العامود الماقي الذي في المحراب من جامع قوصون الذي
بالقرب من بركة الفيل ونزع اخشاب سقوفه وعمرها على اعيان المباشرين فكان كما قيل

بنى جامعا لله من غير حله ❊ فجا بحمد الله غير موفق
كمطعمة الايتام من كد فرجها ❊ لك الويل لا تزني ولا تتصدق

ولما تم بنا هذا الجامع اوقف عليه الاوقاف الجليلة من مستغلات وبلاد وقرر فيه
حضور وصوفية من بعد العصر ورتب لهم جوامك وخبز وقرر شيخ الحضور الشيخ شمس
الدين الديري الحنفي وجعل الخطابة للقاضي ناصر الدين بن البارزي واودع في هذا الجامع
خزانة كتب نفيسه **قيل** لما كملت عمارة هذا الجامع رسم السلطان بان تملا الفسقيه
التي في صحن الجامع سكر وقتا ليمون فملئت سكرا وقفوا روس النوب يفرقوا السكر
على الناس بالطاسات واخلع في ذلك اليوم على جماعة كثيرة من المشدين والمهندسين
والبنايين والنجارين والرخاميين فلما كان يوم الجمعة حضروا الجامع القضاة الاربع
وساير الامرا وارباب الوظايف واعيان العلما وخطب في ذلك اليوم القاضي ناصر
الدين بن البارزي كاتب السر الشريف خطبة بليغة وكان يوما مشهودا فلما كان وقت
الحضور في الجامع اجتمعوا الطلبة وخرج الشيخ شمس الدين الديري من الخلوة وقدامه
ولد السلطان المقر الصارمي ابراهيم وهو حامل سجادة الشيخ شمس الدين الديري فرشها
له في المحراب وفي ذلك يقول بعض شعرا العصر

ان ينزلوا سجادة فوق بحر ❊ لولي يمشي عليها كرامه
قلت هذي سجادة فوق بحر ❊ تحدث عنه بغير ملامه

ومن الحوادث في ايامه ان قطيعا من الغنم نحو عشرين الف راس خرجوا يرعوا في بعض
نواحي الصعيد فاتوا الى مرعى بارض الناحية فلما رعوا منها ماتوا عن اخرهم في ذلك اليوم
فقيل ان هذه المرعى كان بها نبات مسموم وهذا من العجايب **ومن الحوادث** انه لما توفا

ما ذنبى هذا الجامع فالت احداها الى السقوط عندما كملت فرسم السلطان بهدمها فهدمت
ثم اعيدت ثانيا **فقال** العلامة شهاب الدين بن حجر يداعب قاضى القضاة بدر الدين محمود
العينى الحنفى فى هذه الواقعه وهو قوله فى المادنة

بجامع مولانا المويد رونق … منارته تزهوا من الحسن والزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا … فليس على جسمى اضر من العينى

فاجاب عن ذلك بدر الدين العينى

منارة كعروس الحسن انجليت … وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا اصيبت بعين قلت ذا غلط … ما اوجب الهدم الا خسة الحجر

ومما عد له من المحاسن انه ابطل مكس الفواكه قاطبة ونقش ذلك على رخامة وجعلها بباب
هذا الجامع لما كمل بنايته **ثم دخلت** سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة فيها توفى المقر
الصارمى ابراهيم بن السلطان الملك المويد شيخ وقيل ان ابوه المويد سمه فى حلوى وسبب
ذلك ان سيدى ابراهيم كان شجاعا بطلا لا يمل من الحروب والقتال فمالت اليه قلوب الجند
وكان المويد لا يزال يعتريه ضربان المفاصل وكان قد ثقل عن الحركه فكان يحمل على اكتاف
المماليك اذا انتقل من مكان الى مكان فقال القاضى تاج الدين ابن البارزى للملك المويد
شيخ ان العسكر يقصدون خلعك من السلطنة وتولوا سيدى ابراهيم فحسن له ان يشغله
فلما اشغله ومات فحزنوا عليه الناس حزنا شديدا ودفن داخل القبة التى فى الجامع
المويدى فلما كان يوم الجمعة حضر السلطان الملك المويد فى الجامع وصلى الجمعة فى
ماتم ابنه فخطب القاضى تاج الدين بن البارزى خطبة فى معنى ذلك حتى ابكى عنه
كلام الناس فروى وهو على المنبر هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه لما ان دخل على ولده ابراهيم وهو يجود بنفسه فلما راه صلى الله عليه وسلم فجعلت
عيناه تذرفان وقال ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا
بفراقك يا ابراهيم لمحزونون فلما ان سمع الملك المويد ذلك فشق عليه وقال فى نفسه
يعزينى على ولدى حتى اقتله ثم يندم عليه فلما فرغ القاضى تاج الدين من صلاة الجمعة
قدم اليه السلطان سلطانية سكر واشغله فيها فتوجه الى بيته فاقام اياما ومات
والمجازاة من جنس العمل **ولما** تايد بالسلطان الامر فصلى صلاة العيد الفطر بالقصر
الكبير وخطب به فى ذلك اليوم وحمل السلطان على اكتاف المماليك **ثم دخلت**
سنة اربع وعشرين وثمانمائه فيها ثقل الملك المويد فى الضعف ولزم الفراش واستمر
على ذلك اياما حتى مات فى يوم الاثنين تاسع المحرم من السنة المذكورة فغسل
فى القلعة وكفن وصلى عليه ونزلوا به من القلعة والامراء مشاة قدامه حتى توجهوا به
الى الجامع فلم يدخلوا به من باب زويله فدخلوا به من الباب الذى عند الحضريين
وقيل مات وله من العمر خمسة وستين سنة وخلف من الاولاد ثلاثة صبى

ودفن

وبنتين وهم سيدى احمد الذى تسلطن بعده وهو ابن خوند سعادات وكان احدى بناته متزوجا
بالاتابكى قرقماس الشعبانى والاخرى متزوجة بالامير ينبك الفقيه الدوادار وهى
ام ولده سيدى يحيى **وكانت** مدة سلطنة الملك المويد شيخ بالديار المصرية والبلاد
الشامية ثمان سنين وخمسة اشهر وثمانية ايام وكان ملكا جليلا لا كفوا للسلطنة عارفا
باحوال المملكة وافر العقل مقداما فى الحروب وله مكايد وحيل وثبات وقت التقاء
الجيوش حتى يضرب به المثل فكان يقال نعوذ بالله من ثبات شيخ ومن حطة نوروز الحافظى
وكان المويد كريما على من يستحق الكرم وشحيحا على من يستحق الشح وكان يضع الشى فى
محله وهو الذى مهد البلاد الشامية والحلبية وقطع جادرت تلك النواب العصاة
الذى اخربوا غالب البلاد الشامية وكان يميل الى اللهو والطرب ويستعمل الراح ويميل الى
الملاح وكان يستعمل الاشيا المخدرة من المسطلات وكان يقرب ارباب الفنون وكانت
ارباب الفنون تتناهى فى ايامه فى فنونهم بجودة فهمه وحسن معرفته وكان يركز الفن وينظم
الشعر ومن نظم الوثيق قوله رحمه الله من قصيدة له

فتنتنا سوالف وخدود … وعيون نواعس وقدود
اسرتنا الظبا وهن نعاس … وخضعنا لهم ونحن الاسود

ولم يزل يكرر هذه الابيات الى ان يصل الى الاستشهاد باسمه … وانا الخاصكى شيخ المويد
نظم شعرى جواهر وعقود … وله اشيا كثيرة من هذا الفن دايره بين المغانى الى الان
وكان منقادا الى الشريعة ويحب اهل العلم ويقرب الفقها والصلحا ويكرمهم ويحب فعل
الخير وله اوقاف كثيرة من المساوى **منها** انه كان جهورى الصوت فصيحا فى
كلامه وكان غير مقبول الشكل واسع العينين كبير الكرش ذرى اللون كث اللحية معتدل
القامة مدور الوجه كبير الانف وكان سفاكا للدما قتل جماعة كثيرة من النواب والامرا
وكان اذا ظفر باحد من الاعدا لا يرحمه وكان كثير المصادرات للرعيه واحدث فى
ايامه اشيا كثيرة من ابواب المظالم لما كان يخرج الى التجاريد **واما ما انشاه** من العماير
بالديار المصرية وهو الجامع الكبير الذى داخل باب زويله وعمر الجامع الذى فى راس
الصوه مكان المدرسة الاشرفية التى هدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وعمر الجامع
الذى عند المقياس وعمر الخلاوى والمادنة التى فى المدرسة الخروبيه التى فى بر الجيزه
وجدد عمارة القبة التى فى قناطر الجمرة وجدد عمارة التاج والسبع وجوه الذى
كان بالترب من الكوم الابيض ولكن هدم ودرست معالمه فى دولة الملك الظاهر
جقمق وكان من جملة المتنزهات القديمة بمصر فهدمه الناصرى محمد بن اينال فوانه
الملك المظفر الظاهر جقمق وللملك المويد اثار كثيرة غير ذلك بمصر والشام
وكانت دولته ثابتة القواعد وصير الذيب والغنم يمشى سوا **واما قضاته**
الاربع فالقاضى جلال الدين بن سراج الدين البلقينى الشافعى والقاضى ولى الدين

العراقى الشافعى واما قضاة الحنفية فالقاضى بدر الدين محمود العينى الحنفى والقاضى التفهنى والقاضى صدر الدين بن العديم واما قضاة المالكية فالقاضى شمس الدين ابن التنسى المالكى واما قضاة الحنابلة فالقاضى علاى الدين بن مغلى الحنبلى واما من توفى فى ايامه من الاعيان وهو قاضى القضاة جلال الدين بن سراج الدين عمر البلقينى الشافعى قيل انه توفى فى منزلة الصالحية عند عود الملك المؤيد من البلاد الشامية فلما توفى جلال الدين فى الصالحية ودخل السلطان الى الديار المصرية فاشتوروا فيمن يولوه قاضيا عوضا عن جلال الدين فاجود السلطان ذكر ابنه تاج الدين واخاه علم الدين صالح فلما بلغ الشيخ شهاب الدين ذلك ابن حجر ذلك فانشد وهو يقول

مات جلال الدين قالوا ابنه * يخلفه او فالاخ الكاشح
فقلت تاج الدين لا لائق * بمنصب الحكم ولا صالح

ثم وقع الاختيار على تولية الشيخ ولى الدين العراقى فولى عوضا عن جلال الدين البلقينى وتوفى فى ايام المؤيد من الاعيان ايضا الشيخ شمس الدين القبانى وكان من كبار الحنفية وتوفى الشيخ مجد الدين الشيرازى وتوفى الشيخ خطاب الغمرى وكان من كبار المالكية وتوفى الشيخ جمال الدين بن ظهيرة قاضى قضاة الشافعية بمكة وتوفى الشيخ برهان الدين بن رفاعة الدمشقى وكان من اعيان دمشق وكان له شعر جيد وتوفى ابن هشام العجمى وتوفى الشيخ عز الدين الموصلى صاحب شرح البديعية وتوفى الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا وكان من فحول الشعرا وتوفى الشيخ علاى الدين بن ايبك الدمشقى وكان من فحول الشعرا وتوفى فى ايامه جماعة كثيرة من الاعيان ولما توفى الملك المؤيد شيخ تولى من بعده ابنه الملك المظفر احمد انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المؤيد شيخ على سبيل الاختصار منها

ذكر سلطنة الملك المظفر ابى السعادات احمد

ابن الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى وهو التاسع والعشرون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الخامس من ملوك الجراكسة واولادهم فى العدد تسلطن بعد موت ابيه الملك المؤيد شيخ فى يوم الاثنين تاسع المحرم سنة اربع وعشرين وثمانماية تسلطن وله من العمر سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام فكان مرضعه فكانت ولايته تقرب من ولاية سابور ذو الاكتاف الذى تولى الملك وهو فى بطن امه فوضعوا على بطنها تاج الملك وسابور حمل فكانت ولاية الملك المظفر احمد تقرب من ذلك فكانت امه خوند سعادات بنت الامير صرغتمش الناصرى فلما تسلطن كان الاتابكى الطنبغا القرمشى غايبا فى التجريدة هو وجماعة من الامرا نحو البلاد الشامية بسبب عصيان النواب وكان بمصر من الامرا الكبار السيفى ططر امير مجلس فلما توفى الملك المؤيد شيخ تعصبوا مماليكه وقالوا ما نسلطن الا ابن استاذنا وكانوا المماليك المؤيدية نحو خمسة الاف مملوكا فلما حضر الخليفة والقضاة الاربع وقصدوا المبايعة لاحمد

ابن الملك المؤيد توقف الخليفة فى ذلك وقال هذا صغير وتضيع احوال المسلمين بين الامرا فقالوا المماليك الامير ططر يكون مدبر المملكة الى ان يحضر الاتابكى الطنبغا فادعى الخليفة الامر بايعه على كره منه فسلطنوه ولقبوه بالملك المظفر ونودى باسمه فى القاهرة ثم اجلسوه على سرير الملك وهو فى حجر المرضعة وكان العادة اذا تسلطن سلطانا وجلس على سرير الملك فى القصر فدقت الكوسات داخل القصر فلما اجلسوا الملك المظفر احمد على سرير المملكة وهو فى حجر المرضعة ودقت الكوسات فى القصر على حين غفلة فاضطرب الملك المظفر اضطرابا شديدا واغمى عليه فحصل له فى الحال حولا فى عينيه من الرجفة واستمر فى كل وقت يضطرب الى ان مات فلما تم امره فى السلطنة فنادوا المماليك المؤيدية على الامير ططر بسبب الامريات والوظايف وصار ططر معهم فى غاية الضنك فاوسعهم الان يرضيهم بكل ما يمكن فاخلع على الامير على باى المؤيدى واستقر برددار كبير وكان امير عشرة ثم جعل جماعة من الامرا المؤيدية مقدمين الوف وجماعة منهم امرا طبلخاناة وجماعة منهم امرا عشراوات ثم انه فرق الاقطاعات السنية على المماليك المؤيدية ثم ان ططر قبض على جماعة من الامرا وهم جقمق العيساوى ويشبغا المظفرى وشيبك الساقى المعروف بالاعرج ثم جات الاخبار من البلاد الشامية بان جقمق الارغون شاوى نايب الشام قد خامر وخرج عن الطاعة وكذلك يشبك المؤيدى نايب حلب قد خامر ايضا وخرج عن الطاعة وكذلك بقية النواب قد خامروا وخرجوا عن الطاعة وكان الاتابكى القرمشى لما توجه الى الشام بسبب عصيان النواب فانتصر عليهم فكسروه ومن معه من الامرا فهربوا نحو صرخد ثم ان الاتابكى الطنبغا لما توجه الى صرخد جمع العربان والعشير ورجع الى دمشق والتقى مع نايب دمشق جقمق فانكسر جقمق منه وهرب الى نحو حلب فملك الاتابكى الطنبغا دمشق وتلقتها فلما بلغه وفاة الملك المؤيد وسلطنة ابنه فاظهر العصيان وخرج عن الطاعة واقام بدمشق وحصنها ونصب على سورها المكاحل بالمدافع والتفت عليه العربان والعشير فلما بلغ الامرا ذلك فاخلعوا على ططر واستقروا به اتابك العساكر عوضا عن الطنبغا القرمشى ثم اتفق الحال على ان الاتابكى ططر ياخذ السلطان فى محفة ويتوجه هو والعسكر الى دمشق بسبب الطنبغا القرمشى والنواب فخرج ططر من القاهرة وصحبته الملك المظفر احمد فى محفة والمرضعة معه وخرج من مصر سائر الامرا والعسكر وكانت خوند سعادات صحبة ابنها فى المحفة لما خرج الى الشام حتى تامن عليه من القتل وكانت خوند سعادات لما انقضت عدتها فمشت الامرا بينها وبين ططر بان يتزوج بها فتزوج بها فلما طلب ابنها الى الشام فخرجت معه فلما وصلوا به الى الشام فالقى الله تعالى الرعب فى قلب الطنبغا القرمشى وجقمق نايب الشام فلما دخل الملك المظفر الى الشام فحضر اليه الطنبغا القرمشى وفى رقبته منديل فباس الارض للملك المظفر وهو فى المحفة فلما

وثبت عليه بمن الاتابكى ططر فقبض عليه وسجنه بقلعة دمشق ثم قبض على جقمق نائب
الشام وسجنه بقلعة دمشق ايضا ثم امر بخنقه وخنق الطنبغا القرمشى فخنقا تحت
الليل ثم قبض على جماعة من النواب وقتلهم ثم اخذ فى اسباب القبض على جماعة من الامرا
المؤيدية فاحتال عليهما واظهر انه مريض واقام بقلعة دمشق فلما بلغ الامرا ذلك فطلعوا
ليسلموا عليه فلما دخلوا اليه قبض عليهم حتى قيل انه فى يوم واحد قبض على اربعين اميرا من الامرا
المؤيدية وحبسهم بقلعة دمشق ثم قبض على جماعة من المماليك المؤيدية نحو ثلثمائة
مملوك وحبسهم بقلعة دمشق فعند ذلك صفا لططر الوقت والتفت عليه خشداشيته
الظاهرية وفرق عليهم الاقطاعات والوظائف وقويت شوكته وعصبته وصار يمهد
لنفسه فى الباطن فعند ذلك خلع الملك المظفر من السلطنه وتسلطن عوضه بدمشق وكان
الخليفة المعتضد بالله داود صحبته والقضاة الاربع فبايعوا ططر وسلطنوه وذلك
فى يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان سنة اربع وعشرين وثمانماية وتلقب بالملك الظاهر
وخطب باسمه فى ذلك اليوم على منابر دمشق فلما تم امره فى السلطنه هناك تطلق
خوند سعادات ام الملك المظفر احمد وقد خاف على نفسه منها والذى خاف منه وقع
فيه كما سياتى ذكر ذلك فى موضعه فلم يزل من الدهر فخدع ثم لما تسلطن قصد التوجه
الى نحو البلاد المصرية واخذ معه الملك المظفر وامه ورجع الى مصر فلما دخل الى القاهرة
فكان له يوما مشهودا وزينت له المدينة وحملت على راسه القبة والطير ولعبوا
قدامه بالغواشى الذهب الى ان طلع الى القلعة فلما جلس على سرير الملك ارسل
الملك المظفر احمد الى السجن بثغر الاسكندرية وارسل معه المرضعة والداية **فكانت**
مدة سلطنته بمصر سبعة اشهر وعشرين يوما فما كان اغناه عن هذه السلطنة فاستفاد
الحول الذى حدث له فى عينه لما دقت الكوسات فى القصر يوم سلطنته كما تقدم
واخر الامر سجن واقام فى السجن الى ان مات بثغر الاسكندرية فى سنة ثلاث وثلاثين
وثمانماية فى دولة الاشرف برسباى ومات بالطاعون ثم نقل بعد موته الى القاهرة
ودفن على ابيه داخل القبة التى فى الجامع المؤيدى الذى داخل باب زويلة ومات
وله من العمر نحو احدى عشر سنة ولم يرى ايام سلطنته وانما وعى نفسه فى السجن الى
ان مات فيه وقد خلوا مماليك ابيه فى خطيئته حيث سلطنوه وهو فى هذا السن
وكان المظفر هذا حسن الشكل جميل الصورة وانما حدث له ذلك الحول فى عينيه
من يوم سلطنته كما تقدم **ومن الحوادث** ان فى هذه السنة سنة اربع وعشرين
وثمانماية فيها زاد النيل المبارك زيادة مفرطة واستمر ثابت الى اخرها نور من الشهور
القبطية وهذا قط ما عهد فى الاسلام وحصل للناس فى تلك السنة الضرر الشامل
واستبحرت الاراضى وغرق اكثر البساتين وفات الزرع عن اوانه وانقطعت الطرقات
من كثرة الما وفى ذلك يقول بعض الشعرا

يارب ان النيل زاد زيادة ۞ ادت الى هدم وفرط فتنتنا
ما ضره لو جاء على عاداته ۞ فى وقته او كان يدفع باللتى

واما من توفى فى ايامه من الاعيان قاضى القضاة الشافعى ولى الدين العراقى والشيخ شمس
الدين الحنفى وقيل بل مات فى اثنا دولة الملك الاشرف برسباى والله اعلم بذلك انتهى ما
اوردناه من اخبار الملك المظفر احمد بن الملك المؤيد شيخ المحمودى على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين ابى سعيد ططر

الظاهرى الجركسى وهو الثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو السادس
من ملوك الجراكسة واولادهم فى العدد الاول ــــــ وكان اصله من مماليك الظاهر برقوق
ومن مشترواته ثم اعتقه واخرج له خيلا وقماشا من جملة المماليك السلطانية الجمدارية
ثم هرب من الملك الناصر فرج وتوجه الى حلب والتف على جكم العوضى لما تسلطن بحلب
فلما قتل جكم فالتف ططر على شيخ ونوروز لما اظهروا العصيان بالشام فلما قتل الملك
الناصر فرج بالشام وتسلطن الخليفة العباس كان على ططر بامرية عشرة ثم بقى امير
اربعين فى دولة الملك المؤيد شيخ ثم بقى مقدم الف ثم بقى راس نوبة النوب ثم بقى امير
مجلس كل ذلك فى دولة الملك المؤيد شيخ فلما مات الملك المؤيد وتسلطن ابنه الملك
المظفر احمد فبقى ططر مدبر المملكة فلما اظهر العصيان الاتابكى الطنبغا القرمشى لما
كان بالشام فبقى ططر اتابك العساكر عوضا عنه فلما خرج الى الشام صحبة الملك المظفر
احمد وظفر بالاتابكى الطنبغا القرمشى والامير تغرى بردى امير سلاح ونائب
الشام جقمق الارغون شاوى وجماعة من النواب وقتلهم كما تقدم ذلك ثم قبض على
جماعة كثيرة من الامرا المؤيدية وسجنهم بقلعة دمشق فعند ذلك صفا له الوقت
وقويت شوكته والتف عليه خشداشيته الذين كانوا مغرّبين فى بلاد الشرق فعند
ذلك خلع الملك المظفر من السلطنة وتسلطن هو عوضه بالشام فلما خلع الملك
المظفر من السلطنه فطلق خوند سعادات ام الملك المظفر فقيل انها اشغلته فى منديل
الفراش لما فرغ من نكاحها ثم صفيت حتى مات لما خلع ابنها من السلطنه فمرض ططر
بالشام ودخل الى مصر وهو عليل واستمر يتسلسل فى المرض ولزم الفراش فهو كما قيل

فكان كالمتمنى ان يرى فلقا ۞ من الصباح فلما ان راه عمى

فلم يزل عليلا حتى مات فى يوم الاحد رابع ذى الحجة من سنة اربع وعشرين وثمانماية
ومات وله من العمر نحو خمسة وخمسين سنة ودفن بجوار قبر امام الليث بن سعد
رضى الله عنه **فكانت** مدة سلطنته بمصر والشام ثلاثة اشهر واياما وقد تحمل
فى هذه المدة اليسيرة اثم من قتله من الامرا والمماليك فى طلب السلطنه وكد ومهد لغيره
فكان كما قيل ۞ الا انما الارزاق يحرم ساهرا ۞ واخر يأتى رزقه وهو نائم ۞
ولما مرض ططر عهد بالسلطنه الى ابنه محمد انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الظاهر ططر

على سبيل الاختصار منها **ذكر سلطنة الملك الصالح صلاح الدين محمد ابن الملك الظاهر ططر** وهو الحادي والثلاثون من ملوك الترك واولادهم وهو السابع من ملوك الجراكسة واولادهم بالديار المصرية بويع له بالسلطنة في يوم الاحد رابع ذي الحجة من سنة اربع وعشرين وثمانمائة تسلطن وله من العمر نحو احدى عشرة سنة فلما بايعه الخليفة احضروا له خلعة السلطنة وتلقب بالملك الصالح ودقت له البشائر ونودي باسمه في القاهرة وجلس على سرير الملك فلما تم امره في السلطنة خلع على المقر الاتابكي جاني بك الصوفي واستقر اتابك العساكر على عادته ومدبر المملكة فصار الاتابكي جاني بك في تلك الايام صاحب الحل والعقد والابرام والنقض فعزّ ذلك على جماعة الامرا وصار الامير طرباي الظاهري حاجب الحجاب يرمي الفتن بين الاتابكي جاني بك الصوفي وبين المقر السيفي برسباي الدقماقي امير دوادار كبير ثم وثب الامير برسباي على الاتابكي جاني بك الصوفي في يوم عيد النحر فكان بينهم وقعة عظيمة في ذلك اليوم فانكسر جاني بك الصوفي وهرب في اواخر النهار ثم قبض عليه بعض المماليك واحضره الى الامير برسباي فقيده وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية فاجتمعت الكلمة في برسباي وصار صاحب الحل والعقد ثم ان برسباي وقع بينه وبين طرباي حاجب الحجاب فقبض عليه وارسله الى الاسكندرية فعند ذلك صفا للامير برسباي الوقت وقويت شوكته فنصبوا له جماعة من الامرا فخلعوا الملك الصالح محمد بن ططر من الملك وتسلطن برسباي **فكانت** مدة سلطنة الملك الصالح محمد ثلاثة اشهر واربعة وعشرين يوما لا غير وكان ليس له في السلطنة الا مجرد الاسم فقط فلما خلعه برسباي من السلطنة عطف عليه ولم يسجنه بثغر الاسكندرية كعادة اولاد الملوك بل انزله داخل دور الحرم واسكنه في قاعة البربرية هو وامه خوند بنت الامير سودون الفقيه ثم ان الاشرف برسباي زوج الملك الصالح ببنت الاتابكي يشبك الاعرج واستمر الملك الصالح ساكنا في القلعة بدور الحرم ورسم له الاشرف برسباي بان ينزل ويركب في كل جمعة ويزور قبر والده ططر فكان يركب صحبة المقر الناصري محمد بن الملك الاشرف برسباي ويسيروا نحو المطرية **اقول** وسيدي محمد هذا كان ابن الملك الاشرف برسباي وكان اكبر من ولده سيدي يوسف ولكن في حياة والده عقيب الفصل الذي جا في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وكان الملك الصالح محمد بن ططر هذا سهل كثير الخباط وكان يسمي الفرس البور الابيض فقال له بعض الخدام لا تقل الفرس الابيض وقل الفرس البور فحفظ منه ذلك الاسم فطلب يوما سلطانية صيني ابيض فقال هاتوا السلطانية البور فنهره بعض الخدام ونهاه عن ذلك فقال له لا لانك علمتني هذا وكان له من انواع هذا الخباط اشيا كثيرة فلبس طاسمني ولبس هذا فحلها فكان كما قيل في الامثال

في الناس من تسمع لا تنداد ، وفعله جميعه ادبار

واستمر الملك الصالح على ذلك حتى توفي في ليلة الخميس ثاني عشرين جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ومات بالطاعون الذي وقع في تلك السنة ودفن على والده ططر بجوار قبر امام الليث ومات وله من العمر نحو اثنين وعشرين سنة ولما مات الملك الصالح محمد رسم الملك الاشرف برسباي لاولاد الاسياد الذين كانوا في دور الحرم داخل القلعة بان ينزلوا ويسكنون بالمدينة وانعم على كل واحد منهم بفرس ومائة دينار فنزلوا من يومئذ وسكنوا بالمدينة وبطل امرهم انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر ططر على سبيل الاختصار **ذكر سلطنة الملك الاشرف سيف الدين ابي النصر برسباي الدقماقي** الظاهري وهو الثاني والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثامن من ملوك الجراكسة واولادهم في العدد بويع له بالسلطنة بعد خلع الملك الصالح محمد ابن الملك الظاهر ططر في يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة فلبس خلعة السلطنة من باب السلسلة وركب من المقعد وحملت على راسه القبة والطير حتى طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباس له الامرا الارض من الاكابر والاصاغر **وتلقب** بالملك الاشرف ودقت له البشائر ونودي باسمه في القاهرة وضج الناس له بالدعا من الخاص والعام **قيل** لما خلع الملك الصالح محمد بن ططر من السلطنة حضر امير المؤمنين المعتضد بالله داود والقضاة الاربع وحضر الاتابكي بيبغا الناصري المظفري وسائر الامرا فاشتوروا فيمن يولوه السلطنة فقال الاتابكي بيبغا الامير برسباي يكون سلطانا فهو احق بها مني فاشار بالسلطنة على نفسه وكان برسباي يومئذ دوادار كبير فولي السلطنة وهو دوادار كبير ولم يكن اتابك العساكر وكان الملك الاشرف برسباي اصله جركسي الجنس جلبه بعض التجار الى البلاد الشامية فاشتراه الامير دقماق المحمدي نائب ملطية مع جملة مماليك صغار ثم انه قدمه الى الملك الظاهر برقوق فاخذه وجعله من جملة المماليك السلطانية وانزله بطبقة الزمامية وكان اغاته الامير جركس القاسمي المصارع ثم ان الملك الظاهر برقوق اعتقه واخرج له خيلا وقماشا ثم بقي ساقيا في دولة الملك الناصر فرج ثم انضم على شيخ ونوروز الحافظي لما خامروا بالشام فلما قتل الملك الناصر فرج وتسلطن المؤيد شيخ جعله امير عشرة ثم بقي امير طبلخاناة ثم بقي مقدم الف ثم تولى نيابة طرابلس ثم قبض عليه الملك المؤيد وسجنه بقلعة المرقب مدة طويلة ثم اطلقه وانعم عليه بتقدمة الف بدمشق فلما خامر نائب الشام جقمق الارغون شاوي قبض على برسباي وسجنه بقلعة الشام فلما توجه ططر الى الشام وقبض على جقمق نائب الشام وخنقه في قلعة دمشق افرج عن برسباي واحضره صحبته الى القاهرة لما تسلطن بدمشق ثم انه

اخلع عليه واستقر بردوادار كبير عوضا عن الامير على باى المؤيدى واستمر برسباى
على ذلك حتى توفى الظاهر ططر وتسلطن ابنه الصالح محمد ثم وقعت الفتنه بين الاتابكى
جانى بك الصوفى وبين الامير برسباى فقبض على جانى بك الصوفى وارسله الى
السجن بثغر الاسكندريه فعند ذلك خلع الملك الصالح محمد من السلطنه وتسلطن هو عوضه
كما تقدم فلما استقر امره فى السلطنه عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم الامير
المقر الاتابكى بيبغا المظفرى واستقر به اتابك العساكر على عادته وكان بيبغا المظفرى
هذا غطمى اللسان قليل الكلام بالعربى يابس الطباع سيى الخلق فلم يوافق العسكر
على سلطنته فقنع بيبغا بالاتابكيه دون السلطنه فكان كما قيل فى المعنى
اذا امتنعت انجاز المعالى ۔ جنا ها الفض فانقنع بالشميم
واخلع على الامير قجق العيسادى واستقر به امير سلاح على عادته واخلع على الامير
اقبغا التمرازى واستقر به امير مجلس واخلع على الامير سودون من عبد الرحمن
واستقر به امير اخور كبير واخلع على الامير ازبك المحمدى واستقر به راس نوبة النوب
واخلع على المقر السيفى تانى بك واستقر به نايب الشام وانعم على جماعة من الامرا الخاصكيه
وعلى جماعة بامريات طبلخاناه وعلى جماعة بامريات عشرة ثم نفق على العسكر وفرق
الاقطاعات على جماعة منهم واستقامت احواله فى السلطنة وراق له الوقت ثم اخذ
فى اسباب تقريب جماعة من حاشية الملك المؤيد شيخ فاخلع على المقر الزينى عبد الباسط
ابن الفرسى خليل واستقر به ناظر الجيوش المنصورة وكبر فى ايامه الزينى عبد
الباسط حتى صار صاحب الحل والعقد فى تلك الايام وكان الملك الاشرف لا يبرم حكم
فى شى من احوال المملكة الا براى القاضى عبد الباسط فعظم فى تلك الايام حتى اطلق عليه
عظيم الدولة فى ايامه واستمر على ذلك الى اخر دولة الملك الاشرف كلها واستقر
اينمش الخضرى استادار العاليه واستقر ابن كاتب المناخ وزيرا ثم قرب الامير ناصر
الدين بن التاج واستقر به والى القاهرة على عادته وكان اصل التاج من الشوبك وكان
جدا من النصارى وكان ينادم الاشرف ولا يبلشر الا به وكان التاج واسطة خير
قليل الاذى لا يتكلم فى حق احد الا بخير ليس عنده ضرر ولا سو ولا مكروه وفيه يقول
الشيخ تقى الدين بن حجه ۔ سبع وجوه للتاج مصر ۔ تقول ما فى الوجود مثل شبيهى ۔
وعندنا ذو الوجوه الهى ۔ وانت تاج بتبرد وجه ۔
وقرب ايضا القاضى بدر الدين بن مزهر حتى صار كاتب السر الشريف بمصر وقرب ايضا
جماعة كثيرة من حاشية الملك المؤيد شيخ غير هولا انتهى **ثم دخلت** سنة ست وعشرين
وثمانماية فيها اوفى النيل المبارك فى ثانى عشر ابيب من الشهور القبطيه ولم يسمع بمثل
هذا فيما تقدم من السنين الماضية وفيه يقول بعض الشعرا
لما وفى النيل المبارك عاجلا ۔ عم البلاد ولم يوافى طعننا ۔

تشروا القلوع وبشروا بوفايه ۔ قالوا ابن البيضا عليه يالوفا ۔
وفى هذه السنة رسم السلطان للامير جرباش الكريمى المعروف بقاشق بان يتوجه الى ثغر
الاسكندريه بسبب حفر خليج الاسكندريه فانه ندم بالرمال وضعف جريان الما فيه
فتوجه اليه الامير جرباش وجمع ما قدر عليه من الرجال فجمع ثمانمايه وسبعين انسان وابتدا
فى حفره فى حادى عشر جمادى الاول من تلك السنة المذكورة ومشى فيه الما فى مدة اربع
اشهر وفرح الناس بذلك **ثم دخلت** سنة سبع وعشرين وثمانماية فيها تزايدت
عظمة الامير جانى بك الملك الاشرف برسباى وصار امير طبلخاناه ودوادار ثانى فاجتمعت
فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد فى دولة استاده وهو صاحب المدرسة التى بالتربة
من الجنينة وما يحكى عنه انه قتل الاتابكى بيبغا المظفرى الى ثغر دمياط من غير علم السلطان
فلما علم السلطان بذلك لم يقل له لايش فعلت ذلك وتناهت عظمته حتى التفت عليه جميع
العسكر وكانت الامرا المقدمين تنزل معه من القلعة الى بيته الذى بالتربة من سوق الجوار
ولم يزل جانى بك على ذلك حتى تخيل منه الملك الاشرف ان لا يوثب عليه فاشغله بسم
طرى فاستمر عليلا ملازم الفراش حتى مات فى اثنا دولة استاده ولو عاش لوثب على
استاده وتسلطن **ومن الحوادث** فى ايامه ان شخصا من العوام سنق نفسه وسبب
ذلك انه كانت له زوجة يحبها فطلقها فتزوجت بغيره فكلمه فيه فخنق نفسه من
قهره فمات كمدا **ثم دخلت** سنة ثمان وعشرين وثمانماية فيها حجت خوند جلبان
زوجة الملك الاشرف برسباى وهى ام ولده المقر الجمالى يوسف وكان المتسفر عليها القاضى
عبد الباسط **ثم دخلت** سنة تسع وعشرين وثمانماية فيها ارسل السلطان تجريدة
الى قبرس فاعطاه الله تعالى النصر وفتح مدينة قبرس فى تلك السنة واسر ملكها وجى
به الى القاهرة اسيرا فكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهودا وزينت المدينة سبعة
ايام ودخلوا عساكر الفرنج وهم فى زنا جير وملكهم راكب وعليه آلة الحرب وكانت
هذه النصرة على غير القياس وفى هذه السنة كملت عمارة مدرسة السلطان وهى المدرسة
الاشرفيه التى عند سوق الوراقين فلما وقعت هذه النصرة واسر ملك الفرنج فى تلك
السنة رسم السلطان بان تعلق خودة ملك الفرنج على باب المدرسة لتكون تذكار الله
وهى الى الان معلقه فى باب هذه المدرسة **ثم دخلت** سنة ثلاثين وثمانمايه
فيها جات الاخبار من ثغر الاسكندريه بان الاتابكى جانى بك الصوفى قد كسر قيده
وهرب من السجن وقيل ان جارية دخلت اليه فى السجن وقد تحيلت بمبرد لطيف فى فرجها
فبردت به قيده وهرب من اعلى حيطان البرج وقد دلاه حبل وقيل فى تعاطم كانوا عنده
بسبب كسرة القيد فنزل فى مركب صغير وهرب فلما بلغ الملك الاشرف ذلك اضطربت
جميع احواله وصار يكبس البيوت والحارات وقبض على اصحاب جانى بك الصوفى وعلى ممالكيه
وكذلك عياله ومماليكه وجرى بسبب ذلك على الناس ما لا خير فيه وصار كل من له عدو

٨٢٢

يكذب عليه ويقول جانى بك الصوفى مختفى عنده فيكبسوا بيت ذلك الرجل وينهبوا
ما فيه ويقاسى ذلك الرجل اشد العقوبة واستمر الملك الاشرف على ذلك وهو لا يهنا
له عيش حتى ظهر جانى بك فى بلاد التركمان عند اولاد قرا يوسف فعند ذلك سكن الاضطراب
من القاهرة انتهى **ومن النوادر** ان السلطان عمل المولد الشريف فى ليلة الجمعة خامس ربيع
الاول فعند ذلك من النوادر الغريبة وكان له سبب **ثم دخلت** سنة احدى وثلاثين
وثمانمائة فيها ابتدا السلطان الملك الاشرف بعمارة مدرسته التى فى الخانقاه سرياقوس
وقد تناها فى رخامها وزخرفها ثم عمل فيها خطبة ولم يعهد مثلها فى ذلك المكان وكان
اول من خطب فيها الشيخ عبد الرحيم الحموى الواعظ وقد قرره السلطان فى الخطابة بل كان
خطيبا فى الاشرفية التى عند سوق الوراقين ايضا **ثم دخلت** سنة اثنين وثلاثين
وثمانمائة فيها انعم على الامير جقمق العلائى واستقر امير اخور كبير عوضا عن الامير
قصروه من تمراز ومنها نزل السلطان الى الرماية وشق من المدينة وزينت له وكان يوما
مشهودا **ثم دخلت** سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فيها وقع الطاعون العظيم
بالديار المصرية وكان هذا الطاعون مخالفا لبقية الطواعين فان عادة الطعن يقع فى فصل
الربيع وهذا وقع فى فصل الشتا واستمر يتسلسل اربعة اشهر وكان قوة عمله فى الغربا
والاطفال والمماليك والعبيد والجوار فمات فيه من الناس ما لا يحصى عددهم وقيل انه مات
فيه فى يوم واحد اربعة وعشرون الف جنازة حتى ضجر الناس وصار يودع بعضهم بعضا
وفى ذلك يقول القايل

قد نغص الطاعون عيش الورى ، واهلك الوالد والولد
كم منزل كالشمع سكانه ، اطفاهم فى نفخة واحدة

فلما اصبحوا لم يمت فى ذلك اليوم غير طفل صغير يرضع وارتفع بالكلية فى ليلة واحدة
فسبحان الحى الذى لا يموت ولكن ما ارتفع حتى اخلى عدة مساكن ومات فيه من الاعيان
الملك الصالح بن ططر وسيدى محمد بن الاشرف برسباى وجاءت الاخبار من ثغر الاسكندرية
بموت الخليفة العباس الذى نفى هناك ومات هناك احمد بن المؤيد شيخ **قال** الحافظ بن حجر
لما كثر الطاعون بمصر اجتمعوا اعيان العلما بالجامع الازهر ودعوا الى الله تعالى برفعه
فازداد امر الطاعون ولم يتناقص **وقيل** لما تزايد امر الطاعون بمصر فنادى السلطان
للناس بصيام ثلاثة ايام وان يتوبوا الى الله تعالى من ذنوبهم فى هذه السنة ا[illegible] فى النيل فى ثامن
عشر ابيب ووقع مثل ذلك فى ايامه مرتين **ثم دخلت** سنة اربع وثلاثين وثمانمائة
فيها انكسفت الشمس وقت العصر حتى ظهرت النجوم بالنهار واستمرت مكسوفة نحو ساعة
الى قريب الغروب **ثم دخلت** سنة خمس وثلاثين وثمانمائة فيها حضر الى الابواب
الشريفة بعض التراكمة وصحبتهم راس الاتابكى جانى بك الصوفى قطعها بعض التراكمة
الذى كان عندهم وارسلها الى السلطان ليحظى عنده بذلك فلما حضرت الراس رسم السلطان

بان يطوفوا بها فى القاهرة فطافوا بها ثم علقوها على باب زويلة ثلاثة ايام ثم رسم السلطان
بان ترمى فى ميضئة جامع الحاكم فرميت **وفيها** كانت وفاة البدرى كاتب السر ابن مزهر وهو
والد الزينى ابو بكر كاتب السر الآن **وفيها** اخلع على السيد الشريف احمد الدمشقى واستقر
به كاتب السر بمصر عوضا عن الجلال بن بدر الدين بن مزهر وقد تولى فى تلك السنة ثلاثة من
كتاب السر والثالث شهاب الدين بن السفاح الحلبى انتهى **ثم دخلت** سنة ست وثلاثين
وثمانمائة فيها جاءت قصاد قرايلك الى السلطان وطلعوا الى القلعة وصحبتهم كتاب يتخاجج
بالامير برسباى وارسل هدية ومن جملتها قرص مراة مكفتة بالذهب ومن جملتها خروف
باليتين وخلعة للسلطان مخمل احمر مرقومة بالذهب وبعض اثواب مخمل وصقوره برسم
الصيد فلما راى السلطان الهدية استقلها وعز عليه امر الخلعة ثم انه رسم على قصاد قرا
يلك فى البرج ثم احضر تلك الخلعة والبسها لمخصى حبشى جشم من الشر بداريه وكان
مضحكا ورقص بها قدام السلطان فضحك عليه ثم احضر نارا واحرق تلك الخلعة بحضرة
القصاد وذبح الخروف وشواه واكله والحاضرون معه ثم قال للقصاد استاذكم اذا اراد
ان يهدى احدا ايش يعمل قيمته فقالوا له يرميه فى الما ثم رسم السلطان برميهم فى البحر
ثم من بعدها فاقاموا ساعة ثم طلعوا بهم ثم رسم السلطان بقص اذناب خيلهم وقال لهم
اخرجوا سافروا فى هذا الوقت وقولوا لاستاذكم بلا قلبى على الغزاة فلما جرى ذلك علق
السلطان الجاليش ونادى للعسكر بالعرض واخذ فى اسباب الخروج الى التجريدة وقد ارسل
الخروف بانكم عندنا مثل النعاج والمراة بانكم مثل النسا انظروا وجوهكم فى هذه المراة
وارسلوا الخلعة بانك نايبا من تحت يدنا ثم ان السلطان نفق على العسكر وعين من الامرا
اربع مقدمين يقيموا بالقاهرة مع جماعة من الحجاب وعين جماعة من الامرا يتوجهون الى البلاد
الشامية فلما انتهى شغل السلطان عزم على السفر وبرز رخامه الى نحو الريدانية ثم ان السلطان
طلب وخرج من الميدان الذى تحت القلعة فكان فى طلبه مايتى فرس ملبسه بالبركستوانات
الفولاد والحرير الملون وكان فيه كجاوتين زركش وكان فيه خمسين فرس بسروج ذهب
وكنابيش فكان له موكب عظيم وكان صحبته امير المومنين المعتضد بالله داود والقضاه
الاربع وهم العلامة بن حجر وبدر الدين العينى وشمس الدين البساطى والبغدادى الحنبلى
وخرج معه سائر الامرا من الاكابر والاصاغر فاقام بالريدانية يومين وقصد التوجه نحو
البلاد الشامية فكان له فى الشام موكبا عظيما وكذلك فى حلب ثم خرج من حلب
وقصد التوجه نحو امد من ديار بكر فلما وصل الى هناك حاصر قلعة امد اشد المحاصرة ونصب
عليها مجانيق فلم يقدر عليها فاقام هناك مدة فوقع فى العسكر الغلا فتقلق من ذلك فكانت
العوام تغنى وتقول امد المجنونة فى كل خيمة طاحونة الجندى يطحن والغلام يجيب
المونة فلما سمعوا المماليك ذلك ثارت اخلاقهم على السلطان وقصدوا الوثوب عليه
هناك فخشى الملك الاشرف ان تقع هناك فتنة فلم يقع بينهم ولا بين قرايلك وقعة

ولا قابله لتشي بعض الامرا بين قرايلك وبين الاشرف بالصلح فارسل اليه السلطان القاضي محب بن الاشقر نايبا كاتب السر فحلف قرايلك بانه لا يتعدى بلاد السلطان ولا يحصل منه فساد **فيل** ان السلطان اصرف على هذه التجريده من المال خمسمايه الف دينار ولم يظفر بطايل ورجع فلما رجع عاد قرايلك على ما كان عليه من العصيان ثم ان السلطان قصد التوجه الى نحو الديار المصرية **ثم دخلت** سنة سبع وثلاثين وثمانمايه فيها عاد السلطان الاشرف برسباي الى نحو الديار المصريه فدخل القاهرة في موكب عظيم وحملت على راسه القبة والطير وفرشت تحت حافر فرسه الشقق الحرير حتى طلع الى القلعة وهو اخر من جرد من الملوك وخرج بنفسه الى البلاد الشامية **ثم دخلت** سنة ثمان وثلاثين وثمانمايه فيها انعم على المقر السيفي جقمق العلاي واستقر به امير سلاح **وفيها** توفي الشيخ زين الدين بن الخراط وكان من فحول الشعرا وتوفي الشيخ تقي الدين الحصني شارح كتاب ابي شجاع على مذهب الامام الشافعي **وفيها** انعم السلطان على القاضي امين الدين ابن الهيصم واستقر به في الوزاره عوضا عن كريم الدين كاتب المناخات **ثم دخلت** سنة تسع وثلاثين وثمانمايه فيها استقر السيفي جقمق العلاي اتابك العساكر بمصر **وفيها** تزايدت عظمة الملك الاشرف برسباي حتى صارت مماليكه المشتروات خمسة الاف **وفيها** عمر السلطان الملك الاشرف تربته التي في الصحرا عند تربة الظاهر برقوق وجعل فيها مدرسة **وفيها** نزل السلطان الى الرمايه ومشى من القاهرة وزينت له وفيها توفي الشيخ صلاح الدين الاقفهسي وكان من اعيان العلما **ثم دخلت** سنة اربعين وثمانمايه فيها تشوش السلطان على اولاد الناس من اجناد الحلقه وصادرهم بسبب اقطاعاتهم واخذ منهم على العبرة القديمة فحصل لهم الضرر الشامل وكان المتكلم على ذلك المقر السيفي اركماس الظاهري امير دوادار كبير فجار عليهم وحصل لهم منه غاية الضرر ولم ينتفعوا منها وكان سبب ذلك ان بلغ السلطان ان شاه رخ بن تمرلنك تحرك على البلاد فقصد السلطان ان يجرد اليه بنفسه ثانيا فصادر اجناد الحلقه بسبب ذلك **وفيها** توفي الشيخ بدر الدين بن الدماميني المالكي المخزومي وكان من اهل العلم والفضل وله شعر جيد فمن ذلك قوله في قاضي القضاة التنسي المالكي لما ولاه ابو العقود في مبادي عمره فقال

يا قاضيا ليس يلفى	نظيره في الوجود
قد زدت في الفضل حتى	قلدتني بالعقود

وفيها انعم على الامير عبد الرحمن بن الكويز واستقر نايب ثغر الاسكندريه **وفيها** انعم على الامير الاجل صلاح الدين محمد بن نصر الله واستقر به كاتب السر بمصر ولبس الكلفتاه وكان لا يلبس زي الاتراك وهذا من النوادر **وفيها** توفي السعدي ابراهيم بن كاتب حكم وكان متولي نظارة الخاص فلما توفي استقر يوسف في نظارة الخاص عوضا عن اخيه ابراهيم فعظم امره جدا **ثم دخلت** سنة احدى واربعين وثمانمايه فيها وقع الطاعون بمصر

وهو الطاعون الثاني الذي جاء في اخر دولته وكان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذي جاء قبله فمات في هذا الفصل من الناس ما لا يحصى عددهم وهم من مماليك واطفال وجوار وعبيد وغير ذلك وفي هذه الواقعه يقول بعض الشعرا

تغيرت مصر لهوى وبصر فيها	بدا وعليه صفرة ونحول
ومع بها موت المنيم وكيف لا	وقد جاءه الطاعون وهو عليل

ثم ان الملك الاشرف مرض عقيب ذلك وسلسل في المرض وحصل له ماخوليه وخف عقله وترق بوسم بنفي الكلاب الى بر الجيزة فصار كل من مسك كلبا يأخذ له نصف فضه من صيرفي في باب السلسله فشكوا الغلمان من الكلاب نحو الف كلب ونفوهم الى بر الجيزه ثم انه نادى بان امراة لا تخرج من بيتها مطلقا فكانت الغاسلة اذا خرجت الى ميتة تأخذ اماورقة من المحتسب وتجعلها في راسها حتى تمشي في السوق ثم انه نادى في القاهرة بان فلاح لا يلبس زنطاري طلقا لا من كبير ولا صغير فامتثلوا الناس ذلك ثم انه امر بتوسيط الحكما توسط الرئيس خضر ووسط الرئيس شمس الدين بن العفيف واستمر على هذه الخرافات الى ان مات **فكانت** وفاته في يوم السبت بعد العصر فبات بالقلعة واخرجوه في يوم الاحد ثالث عشر ذي الحجة سنة احدى واربعين وثمانمايه ودفن في تربته التي انشاها عند الكبر تربة بالصحرا وصلى عليه العلامة ابن حجر **ومات** وله من العمر نحو خمسة وسبعين **فكانت** مدة سلطنته بالديار المصريه والبلاد الشامية ستة عشر سنة وثمانية اشهر وخمسة ايام فكثر عليه الحزن والاسف من الناس فان مصر كانت هاديه في ايامه من الفتن والحروب التي كانت قايمة في الدول الماضية وقد قال القايل

والمرء كالظل ولا بد ان	يزول ذلك الظل بعد امتداد

قيل ان الملك الاشرف لما ثقل في المرض فاحضر الخليفة داود والقضاة الاربع وسائر الجند والامرا وعهد الى ولده يوسف بالسلطنه وجعل جقمق الاتابكي وصيا عليه ونظام المملكة ثم انه رسم بان يعاد الى اجناد الحلقه من اولاد الناس ما اخذ منهم بسبب الاقطاعات كما تقدم ورسم للامير اركماس الظاهر بانه يعيد الى كل احد ما اخذ منه بالتمام والكمال ويكتب عليه شهادة بذلك فما عاد والى اجناد الحلقه ما كان اخذ منهم **وكان** الملك الاشرف برسباي ملكا جليلا مبجلا في موكبه وكان منقادا الى الشرع ويحب العلم ويقرب الفقها فكانت معاملته احسن المعاملات من جود الذهب والفضه ولا سيما الذهب الاشرفي في البر سبيبيهيه فانها من خالص الذهب المرجح والى الان يرغبون اليها الناس في المعامله **وكان** صفة الملك الاشرف برسباي عربي الوجه طويل القامة ابيض اللون مستدير اللحية شايب الذقن حسن الشكل صبيح الوجه عليه سكينة ووقار ومهابة مع لين جانب وكان عنده معرفة باحوال السلطنة كفوا للملك كثير البر والصدقة

وله معروف واثار لكنه كان عنده طمعا زائدا في تحصيل الاموال حتى انه جمع المال من المباشرين
وغيرهم ومما انشاه من العمائر في ايامه وهي المدرسة التي عند سوق الوراقين والمدرسة التي
في الصحرا التي دفن فيها والمدرسة التي في خانقة سرياقوس وعمر الوكالة التي في الصليبة
والربعين اللذين بها وله انشاآت كثيرة بالديار المصرية وغيرها وكان الامير طاسوك شادا
على عمايره وخلف من الاولاد صبيان وهم يوسف واحمد وكان من ازواجه خوند جلبان
وهي ام ولده يوسف وخوند بنت الظاهر ططر وخوند بنت الاتابكي دينبك الاعرج وخوند
احضر بنت عثمان ملك الروم ولكن لم يدخل عليها وكان خيار ملوك الجراكسة كما قيل

قالوا ترى جاد الزمان بمثله ۞ قلت الزمان بمثله لشحيح

واما من توفي في ايامه من الاعيان وهم قاضي القضاة الهروي وقاضي القضاة علاء الدين
مفلح الحنبلي وقاضي القضاة التفهني الحنفي والشيخ ناصر الدين الديري الحنفي والشيخ
ابن النقاش من اعيان العلما الشافعيه والشهاب بن الورخ المعزيزي والاتابكي بيبغا التامري
وغير ذلك من الاعيان انتهى ما اوردناه من اخبار دولة الملك الاشرف برسباي الدقماقي
الظاهري على سبيل الاختصار **ذكر سلطنة الملك العزيز ابي المحاسن
جمال الدين يوسف** بن الملك الاشرف برسباي الظاهري الدقماقي وهو الثالث
والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو التاسع من ملوك الجراكسة
واولادهم في العدد بويع له بالسلطنة بعد موت ابيه الملك الاشرف برسباي سنة
احدى واربعين وثمانمائة فتسلطن في يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة وله من العمر نحو اربعة
عشر سنة وامه جركسية تسمى جلبان فلما بايعوه بالسلطنة وجلس على سرير الملك وحمل
الاتابكي جقمق القبة والطير على راسه من باب الستارة الى القصر الكبير فلما جلس باسوا
له الامرا الارض **وتلقب** بالملك العزيز فاستقر بالاتابكي جقمق العلاي نظام المملكة
وصاحب الحل والعقد **ثم دخلت** سنة اثنين واربعين وثمانمائة فيها دبت
عقارب الفتن بين الاتابكي جقمق وبين الامرا الاشرفية وصاروا يعاكسوا الاتابكي جقمق
في ما يفعله من الامور وصار الملك العزيز مع جقمق مثل اللولب يديره كيف ما شا وليس
له في السلطنة غير مجرد الاسم فقط لاجل كتب العلامة على المراسيم وكان الاتابكي جقمق
مع الامرا الاشرفية في غاية الضنك وقصدوا قتله في القصر عدة مرار ولولا كان في
اجله فسحة والا كان قتل من يوم مات الاشرف ثم ان جماعة من الامرا المؤيدية والناصرية
التفوا على جقمق وتعصبوا له فوثبوا على الملك العزيز والتف عليه جماعة كثيرة من
المماليك السيفية فاتفقوا مع المماليك الاشرفية فلم تكن الا ساعة من النهار حتى
انكسروا المماليك الاشرفية واحاطت بهم كل تدبير فتشتتوا وتفرقوا ايدي سبا
وتمزقوا فلما انكسروا المماليك الاشرفية وقع الاتفاق وتحقق على سلطنة الاتابكي
جقمق فاحضروا الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربع فخلعوا الملك العزيز

من السلطنة وولوا الاتابكي جقمق فكان الذي خلع الملك العزيز قاضي القضاة شهاب
الدين بن حجر فلما تولى الاتابكي جقمق رسم للملك العزيز بان يدخل دور الحرم ولم يجهزه
لثغر الاسكندرية كعادة اولاد الملوك واخلى له قاعة البربرية واقام بها وكان قصد
السلطان جقمق بان يزوج الملك العزيز ويستمر ساكنا بالقلعة فاصبح الملك العزيز
ووقع منه ما سياتي ذكره في موضعه فكان كما قيل في المعنى

قد يدرك المتاني جل مقصده ۞ وقد يكون مع المستعجل الزلل

فكانت مدة سلطنة الملك العزيز يوسف بن الملك الاشرف برسباي بالديار المصرية
ثلاثة اشهر وخمسة ايام كانها اضغاث احلام **قيل** لما توفي الملك الاشرف برسباي
وتولى بعده ابنه العزيز يوسف وجد والده في الخزاين من المال قدر ستة نفقات على
العسكر وزيادة على ذلك فلما تولى جقمق بدد ذلك جميعه انتهى ما اوردناه من اخبار
الملك العزيز يوسف بن الملك الاشرف برسباي وذلك على سبيل الاختصار ومنها
**ذكر سلطنة الملك الظاهر سيف الدين ابي سعيد محمد
جقمق العلاي الظاهري** وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك واولادهم
بالديار المصرية وهو العاشر من ملوك الجراكسة واولادهم في العدد بويع له بالسلطنة
بعد خلع الملك العزيز يوسف بن الملك الاشرف برسباي في يوم الاربعا تاسع عشر
ربيع الاول سنة اثنين واربعين وثمانمائة فحضر الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة
الاربع فخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا جقمق ولقبوه بالملك الظاهر ثم
احضروا له خلعة السلطنة فلبسها من باب السلسلة وركب فرس النوبة وحمل القبة
والطير على راسه المقر السيفي قرقماش الشعباني امير سلاح وقد تقدم انه حضر مع
العسكر الذي كان في التجريدة فلما ركب من المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير
وجلس على سرير الملك ونودي باسمه في القاهرة وضجوا الناس له بالدعا ودقت
له البشاير في ذلك اليوم بالقلعة وفرح غالب الناس بتوليته لكونه انه كان رجلا
دينا خيرا قليل الاذى انتهى ـــــــ وكان اصل الملك الظاهر جقمق جركسي الاصل
والجنس جلبه الخواجا كزل فاشتراه منه العلاي علي بن الاتابكي اينال اليوسفي وقدمه
الى الملك الظاهر برقوق فصار من جملة المماليك السلطانية ثم بقي خاصكي ثم بقي ساقي
ثم مسك وحبس في دولة الملك الناصر فرج ثم اطلق وصار امير طبلخاناة خازندار
في دولة الملك المؤيد شيخ ثم بقي مقدم الف في دولة الملك الظاهر ططر ثم بقي حاجب
الحجاب في دولة الملك الاشرف برسباي ثم بقي امير اخور كبير ثم بقي امير سلاح ثم
بقي اتابك العساكر كل ذلك في دولة الملك الاشرف برسباي فلما مات الاشرف وتولى
ابنه العزيز يوسف بقي جقمق نظام المملكة ومشير الدولة وبقي مع المماليك الاشرفية
في غاية الضنك فاقام على ذلك مدة يسيرة ثم تعصب له جماعة من الامرا المؤيدية

والناصرية وخلعوا الملك العزيز من السلطنة وولوا جقمق فلما جلس على سرير الملك
وتم امره في السلطنة وباسوا له الارض ففي ذلك اليوم قبض على الامير جوهر الزمام
اللالا وسجنه في البرج بالقلعة ثم قرر فيروز الساقي في وظيفة الزمامية ثم توفي جوهر
اللالا في اثنا ذلك من الوجع ثم عمل الموكب في القصر واخلع على من يذكر من الامرا وهم
المقر السيفي قرقماش الشعباني واستقر به اتابك العساكر بمصر عوضا عن نفسه وقرره
في اقطاعه وهو نظام الملك وزاد عليه امرية ادنيين بدمشق واخلع على المقر السيفي اقبغا
التمرازي واستقر به امير سلاح عوضا عن قرقماس الشعباني واخلع على المقر السيفي يشبك
السودوني واستقر به امير مجلس عوضا عن اقبغا التمرازي واخلع على المقر السيفي تمراز
القرمشي واستقر به امير اخور كبير عوضا عن الامير جانم الاشرفي واخلع على المقر السيفي
قراجا الحسني واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن تمراز القرمشي واخلع على المقر
السيفي تغري بردي البكلمشي الشهير بالمودي واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن
يشبك السودوني واخلع على المقر السيفي اركماس الظاهري دوادار كبير على عادته كما
كان في دولة الملك الاشرف برسباي فهذا كان ترتيب الامرا المقدمين ارباب الوظائف
في مبتدا دولته ثم انتقلت الوظائف من بعد ذلك الى جماعة من الامرا حسبما يأتي
ذكر ذلك في موضعه عند انتقال الوظائف ثم ان الملك الظاهر انعم بتقادم الوف على
جماعة من الامرا ثم انعم على جماعة بامريات طبلخانات وعلى جماعة بامريات عشرة واقصى
جماعة المويدية والناصرية بكل ما يمكن من ذلك ثم انفق على العسكر لنفقة السلطنة
ثم انه فرق الاقطاعات على المماليك السلطانية والمماليك السيفية الذين كانوا سببا
لسلطنته فاقام في السلطنة مدة يسيرة والامر ساكن ثم بات الناس واصبحوا وقد اشيع
بان الملك العزيز يوسف قد نزل من القلعة ونزل بعد المغرب في صفة صبي طباخ
وعليه ثياب رثة وعلى راسه دست طعام وقد لوثوا وجهه بسواد الدست
فكان ذلك فالا عليه فلما وصل الى باب القلعة ضرب الطباخ الذي وراه واستحثه
في المشي فلما نزل من القلعة اضطربت الاحوال وكان مماليك ابوه الاشرفية اوقعوه
في البلية فلما وقع تخلفوا عنه وتبرا كل احد منه فكان كما قيل في المعنى

لقاء اكثر من يلقاك اوزار ¶ فلا تبالي اجانبوا عنك او كادوا
اخلاقهم حين تبلوهن اوعار ¶ وعقلهم كالوشم للمرء او عاروا
هم لديك اذا جاوك اوطار ¶ اذا قضوها تنحوا عنك او طاروا

ثم ان الملك العزيز استمر مختفيا نحو شهر والوالي كل ليلة يكبس البيوت والحارات
بسبب الملك العزيز وصار كل من له عدو يكذب عليه يكبسوا بيته واستمر الناس في
جمرة نار مطلوبة الى ان توجه الملك العزيز الى بعض الامرا تحت الليل فقبض عليه وطلع به
الى القلعة فتيده السلطان ودقت الكوسات تحت الليل بسبب ذلك فلما اصبح الصباح

نزلوا بالملك العزيز من القلعة وتوجهوا به الى البحر ومضى الى ثغر الاسكندرية فسجن بها
واخو الطب الكي ¶ وكم من عجلة اعقبت ندامة ¶ وكان قصد الظاهر بان يزوج الملك
العزيز ويبقى ساكنا بالقلعة فاستمر من مماليك ابيه وحسنوا له الهروب حتى هرب
وقد خلوا في خطيئته بوابهم المعكوس وفي هذه الواقعة يقول بعض الشعرا ابيات عظيمة منها

وكلنا له شاركت في الحسن يوسفا ¶ فشاركه ايضا في الدخول الى السجن

واستمر الملك العزيز في السجن مدة دولة الملك الظاهر جقمق كلها في اثنا دولة
الاشرف اينال تيسر للملك العزيز بالافراج وان يسكن في بعض دور الاسكندرية وان يركب
الى الجامع وقت صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة الملك الظاهر خشقدم فتوفي في
ثغر الاسكندرية كما سياتي ذكر ذلك في موضعه ومن هنا نرجع الى اخبار دولة الملك
الظاهر جقمق فانه لما رجع العسكر الذي كان قد توجه الى البلاد الشامية وحضر صحبة
العسكر المقر السيفي قرقماس الشعباني فلما حضر وجد الملك العزيز قد تسلطن وكان
قرقماس في نفسه من السلطنة شي فلما تسلطن جقمق جعله امير اخور كبير فاستمر على
ذلك اياما ثم لعب الاكره مع السلطان فقصد الاتابكي قرقماس بان يقبض على السلطان
وهو يلعب الاكره فدنا منه واراد ان يقبض عليه وهو راكب على الفرس فانجذب منه
السلطان وساق الى الدهيشة فلما انفضت الاكره ونزلوا الامرا الى بيوتهم فلبس الاتابكي
قرقماس آلة الحرب وطلع الى الرميلة فالتف عليه جماعة من الامرا والمماليك السلطانية
ولكن كان اكثر الامرا والعسكر مع الملك الظاهر جقمق فلما ركب قرقماس وطلع الى الرميلة
ووقف بسوق الخيل فنزل السلطان الى باب السلسلة وجلس في المقعد المطل على
الرميلة فلما اشتهر ان الامرا الذي من عصبة السلطان فطلع الى الرميلة عسكر امرا مقدمين
منهم الامير اسنبغا الطيار والامير تمرباي والامير قراجا الحسني والامير يشبك
السودوني والامير تمراز القرمشي والامير تغري بردي المودي وغير ذلك من الامرا
المقدمين وغيرهم فالتقوا مع قرقماس وتم امر عظيم فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد كسر
الاتابكي قرقماس وهرب واختفى في غيطه الذي عند الجزيرة الوسطى وسبب ذلك
ان مملوكا خرباطي حيمي بلبان كان في باب السلسلة فخرج على قرقماس وضربه بنشاب
فجاءت في تيزن فخرقتها من وسط كتفه فتالم قرقماس لذلك فهرب من وقته وانكسر فلما بلغ
السلطان ذلك انعم على بلبان المذكور باقطاع نفيل وجعله خاصكي ثم ان قرقماس اقام
في غيطه ثلاثة ايام وارسل يطلب من السلطان الامان فارسل اليه بعض الامرا فطلع به
الى القلعة فقيده السلطان وارسله الى السجن بثغر الاسكندرية وخمدت الفتنة
ولم ينل قرقماس مقصوده فكان كما قيل

يا خاطب الدنيا الى نفسه ¶ تنح عن خطبتها تسلم
ان الذي تخطب غرارة ¶ قريبة العرس من الماتم

ثم ان السلطان انعم على المقر السيفي اقبغا التمرازي واستقر به اتابك العساكر عوضا عن قرقماس الشعباني وجعله ايضا نايب السلطنة وصار يحكم بين الناس وعلى بابه راس نوبة ونقيبا وهو اخر من تولى نيابة السلطنة بالديار المصرية وكانت هذه الوظيفة قد بطلت من ايام محمد بن قلاوون وكانت اكبر من الاتابكية ويخرج النايب الاقطاعات المحلولة من غير مشورة السلطان **ثم دخلت** سنة ثلاث واربعين وثمانماية فيها جاءت الاخبار من البلاد الشامية بان اينال الجكمي نايب الشام قد خرج عن الطاعة واظهر العصيان وكذلك تغرى برمش نايب حلب فعين السلطان لهم تجريدة ثم انعم على المقر السيفي اقبغا التمرازي واستقر به نايب الشام عوضا عن اينال الجكمي وانعم على المقر السيفي يشبك السودوني واستقر به اتابك العساكر عوضا عن اقبغا التمرازي فلما توجه العسكر الى البلاد الشامية فانتصر على النواب فانكسروا النواب واسروهم وقطعوا روسهم وارسلوهم الى القاهرة فعلقوهم على باب زويلة وقد وقع للملك الظاهر في اوايل دولته خباط عظيم منها تسحب الملك العزيز من القلعة وهروبها وتوثب الاتابكي قرقماس عليه وعصيان النواب وحصل له غاية الاضطراب في اوايل دولته ثم انه اثبت على الاتابكي قرقماس كفرا وحكم فيه قاضي القضاة المالكي شمس الدين البساطي ومن النوادر ما حكاه بعض المورخين ان الاتابكي قرقماس لما ارادوا ضرب عنقه وهو في السجن فاحضروا له المشاعلي وضربه ثلاث ضربات بالسيف ولم يوثر فيه ذلك ففتشوه فوجدوا في فمه خاتم فضة مرصود وكان قرقماس اصله من مماليك الظاهر برقوق وكان ضرب عنقه في السجن وهو في ثغر الاسكندرية ثم ان الملك الظاهر صفا له الوقت من بعد ذلك وعاش في رغد عيش ودام في السلطنة الى ان مات على فراشه كما سياتي في موضعه فكان كما قيل

لا تايس الدهر في باساء يكشفها ... فلو اردت دوام البوس لم يدم

ثم دخلت سنة اربع واربعين وثمانماية فيها انعم السلطان على القاضي كمال الدين بن البارزي واستقر به كاتب السر الشريف بالديار المصرية وكان القاضي كمال الدين ابن البارزي صهر الظاهر جقمق زوج اخته توفيت في تلك الايام الى الغاية وانعم على القاضي جمال الدين يوسف بن كاتب جكم واستقر به ناظر الخواص الشريفة على عادته ثم قبض على القاضي عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة وصادره واستصفى امواله فاخذ منه نحو ماية الف دينار ثم نفاه الى مكة ثم نقله الى الشام ولما انفصل القاضي عبد الباسط من نظارة الجيش استقر بها القاضي محب الدين بن الاشقر عوضا عن القاضي عبد الباسط **وفيها** عزل السلطان قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر من القضاء وولى القاضي علم الدين صالح البلقيني فقال القاضي شهاب الدين بن حجر

يا ايها السلطان لا تستمع ... في امر قاضيك كلام الوشاة
والله لم تنعم بان امرا ... اهداله قط ولاند رشاة

فاقام القاضي علم الدين في قضاء القضاة مدة يسيرة وعزل عنها ثم اعيد ابن حجر الى القضاء ثاني مرة **ثم دخلت** سنة خمس واربعين وثمانماية فيها كانت وفاة امير المومنين المعتضد بالله داود بن المتوكل وكانت خلافته ثمانية وعشرين سنة وشهرين وقد بايع في ايامه من السلاطين ستة وهم المظفر احمد بن المويد شيخ والظاهر ططر وابنه والاشرف برسباي وابنه والملك الظاهر جقمق ولما مات الخليفة داود نزل السلطان وصلى عليه وكان كثير البر والصدقات وكانت وفاته في يوم الاحد رابع ربيع الاول من السنة المذكورة ولما مات المعتضد تولى من بعده اخوه سليمان بن المتوكل ولقب بالمستكفي بالله فقالوا الناس ورث سليمان داود **ثم دخلت** سنة ست واربعين وثمانماية ففيها من الحوادث ان طايفة من العبيد السود ثاروا على اسيادهم وعدوا الى بر الجيزة فاقاموا هنالك واظهروا العصيان وجعلوا لهم سلطانا ووزيرا وامير اخور ودوادار وصار سلطانهم يركب وعلى راسه صنجق اصفر وحوله جماعة من العبيد نحو خمسماية عبد فصاروا يفسدون هنالك وينهبون ما يمر عليهم من غلال وغير ذلك فحصل للناس منهم غاية الاذى فلما وصل السلطان ذلك فعين لهم بعض الامرا ومعه جماعة من المماليك السلطانية فتوجهوا اليهم وقتلوا منهم فانكسروا العبيد ومسكوا سلطانهم ومسكوا منهم جماعة وهربوا الباقون ورجعوا الى القاهرة فوسطهم السلطان ونادى في القاهرة بان كل من كان له عبد كبير يطلع به الى باب السلسلة ويقبض ثمنه اثنى عشر دينارا فامتثلوا الناس ذلك فاشترى منهم السلطان جماعة وارسلهم الى بلاد ابن عثمان وسمر ببيعهم هناك فتوجهوا بهم في مركب وهم في الخشب وباعوهم هناك وقطع جادرة العبيد الشناترة من مصر وخمدت تلك الفتنة التي كانت بين العبيد انتهى **وفيها** كان قاضي القضاة بدر الدين العيني محمود الحنفي محتسب القاهرة فكان يعزر السوقة بذهاب المال فمن وجد في بضاعته غش فيرسلها الى المحبوس ياكلونها فكان يعزر بذلك **ثم دخلت** سنة سبع واربعين وثمان ماية فيها تزايدت عظمة القاضي زين الدين ابو الخير بن النحاس حتى صار وكيل بيت المال وناظر الكسوة وناظر الجوالي فانفرد بالسلطان حتى قيل كان السلطان قصد بان يزوجه باحدى بناته وقد صار عزيز مصر في ايامه وابطل كلام جميع المباشرين واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد بمصر كما قد قيل في المعنى

يقول بيت المال لما راى ... تدبيره ذاك الجلي الجليل
الله اعطاني وكيلا رضى ... حسبي الله ونعم الوكيل

ثم دخلت سنة ثمان واربعين وثمانماية فيها ارسل السلطان خلف القاضي عبد الباسط وكان مقيما بمكة فلما حضر فاكرمه السلطان واقام في بيته بطالا وهو في غاية العز والعظمة وكان يطلع الى السلطان في راس كل شهر ويهنيه به فيكرمه السلطان ويبطره فاستمر على ذلك حتى مات **وفيها** وثبوا مماليك تغرى بردى المودي

عليه وهو في بيته فاروا عليه بالنشاب وهو جالس في المقعد فهرب ودخل الى البيت
واغلق عليه الباب واستمروا مماليكه يحاصروه من اول النهار الى بعد العصر فاستمر من الطربة
مريضا الى ان مات فانعم السلطان على الامير اينال العلاى واستقر دوادار كبير ثم
دخلت سنة تسع واربعين وثمانماية فيها وقع الطاعون بالديار المصرية ومات فيه
من الناس ما لا يحصى عددهم لكنه كان خفيفا بالنسبة الى الطاعون الذى جاء فى ايام الاشرف
برسباى وفيه يقول الشيخ شمس الدين النواجى رحمه الله

يا الهنا اهدى الى الخلق رحمة ❊ بوبا رجم الثواب العظيم
قد شربت النفوس منا فخذها ❊ بالرضا فى قضائك والتسليم

وفيها كان مولد الشيخ جلال الدين بن الشيخ كمال الدين الاسيوطى وذلك فى جمادى الاخر
من تلك السنه وفيها تولى الشيخ شمس الدين محمد القاياتى قاضى القضاة الشافعيه عوضا
عن ابن حجر فقال الشهاب المنصورى فى القاياتى تعصبا لابن حجر وهو قوله

ان كان شمس الدين قاياتيكم ❊ مستثقل الحركات والسكنات
لا تعجزوا ان اضحى حبانا فى الورى ❊ فالجبن منسوب الى القايات

وفيها توفيت عظمة الامير زين الدين استادار العالية وزنا فى ايام الملك الظاهر هذا
الى الغاية وهو صاحب الجامع الذى فى بولاق والجامع الذى فى الحبانية والجامع الذى
بين الصورين وله عدة جوامع بمصر وغيرها وكان له حرمة وافرة وكلمة نافذة وكان الملك
الظاهر منقاد اله لا يسمع فيه مرافعه ولم يجى احد من نياطيه فى الاستادارية بل كان
اخرهم ثم دخلت سنة خمسين وثمانماية فيها تغير خاطر السلطان على الامير
تانى بك الظاهرى حاجب الحجاب بسبب عبد قاسم الكاشف الذى كان قد اشتهر بالصلاح
ونفى الامير تانى بك الى ثغر دمياط لامر اوجب ذلك وفيها احضر السلطان خشقدم
الناصرى من الشام فلما حضر انعم عليه بتقدمة الف ثم دخلت سنة احدى وخمسين
سنة فيها توفى الاتابكى يشبك السودونى فانعم السلطان على المقر السيفى اينال العلاى
واستقر اتابك العساكر عوضا عن يشبك السودونى وانعم على الامير قانباى الجركسى
واستقر دوادار كبير عوضا عن الامير اينال العلاى ثم دخلت سنة اثنتين
وخمسين وثمانماية فيها كانت وفاة الشيخ الصالح السيد الشريف الحسيب النسيب شمس الدين
محمد الطباطبى اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته امين ودفن بالقرافة الكبرى عند
الشيخ فضل بن فضاله وفى هذه السنة كان مولدى وذلك فى يوم السبت سادس ربيع الاخر
من السنة المذكورة هكذا نقلته من خط والدى وفيها تولى قاضى القضاة الشافعيه
الشيخ شرف الدين يحيى المناوى وكان قاضيا على الوضع دينا خيرا من اهل العلم والصلاح
وفيها من الحوادث ان شخصا اعجميا صحب الشيخ اسد الدين وكان يدعى انه شريف
فجاء الى الشيخ على المحتسب وقال له اجمعنى على السلطان فانى اعرف صنعة الكيميا فجمعه

عليه فادعى اليه انه يعمل له كيميا وان هذا وجه حل فانصاغ السلطان الى كلامه واجرى عليه ما يحتاج
اليه من اسباب ذلك فاصرف عليه جملة مال نحو عشرة الاف دينار ولم ينجح معه الكيميا فكان
ياخذ الحجر الاحمر بالارطال ويوقده فى النار ولا يأكل شى فيه ودح فاتلف على الملك الظاهر
جملة مال ولم يفد من ذلك شيا فكان كما قيل فى المعنى

كأن الكنوز وكان الكيميا معا ❊ لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا
وقد تحدث قوم باجتماعهما ❊ وما اظنهما كانا ولا اجتمعا

فاوحى للسلطان ان هذا يعبد النار وتحدثوا فى حقه بكلمات كثيرة فارسله السلطان
المدرسة الصالحية فحكم فيه بعض نواب القاضى المالكى بدر الدين التنسى بانه كفر فضرب
عنقه تحت شباك الصالحية وكان له يوما مشهودا ثم دخلت سنة ثلاث
وخمسين وثمانماية فيها توقف النيل عن الوفا على ثلاثة اصابع وقيل اربعة واقام على ذلك
اياما لم يزد شيا فرسم السلطان بان يخرجوا الناس للاستسقا فخرجوا القضاة
الاربع وامير المومنين المستكفى بالله سليمان ومشايخ العلم والصلحا واعيان الناس
ولم ينزل السلطان فعز ذلك على الناس وقد تقدم ان الملك المويد شيخ نزل بنفسه
واستسقا مع الناس وكان عليه جبة صوف ابيض فلم يوافق الملك الظاهر على ذلك
وخرجوا اطفال المكاتب وعلى رووسهم المصاحف وخرجت طائفة اليهود وعلى رووسهم
التوراة وخرجوا طائفة النصارى وعلى رووسهم الانجيل وخرجوا معهم ببعض ابقار واغنام
وخرج معهم السواد الاعظم من رجال ونسا واطفال وضج الخلق يستغيثون بالله ارحمنا
وكان يوما نشكيا فيه العبرات فتوجهوا الى نحو الصحرا عند الجبل الاحمر واحضروا
هناك منبرا وكان قاضى القضاة الشافعيه يوميذ القاضى شرف الدين يحيى المناوى
فصعد المنبر وخطب خطبة الاستسقا على جارى العادة فلما اراد ان يحول رداه كما
جرت العادة فى خطبة الاستسقا فسقط الرداء الى الارض فتطير والناس من ذلك
فلما رجعوا الناس من الاستسقا طلع ابن الرداد ومعه رايات زعفران ونادى بزيادة
اصبع ففرحوا الناس بذلك وانعم السلطان على ابن الرداد بعمامة ودينار بسبب هذه الزيادة
ثم ان البحر نقص فى تلك الليلة اصبعين ومن النكت اللطيفة قيل ان بعض العلما خرج
فى بغداد ليستسقى بالناس وكان فى السما بعض سحاب وقت خروجه فلما خرج ودعا
للناس ورفع يديه بالدعا فسقط السحاب وصحت السما من الغيم فخجل ذلك العالم ورجع
الى منزله وفى ذلك يقول بعض الشعرا

خرجنا لنستسقى بفضل دعايه ❊ وقد كاد سحب الغيم ان يلحق الارضا
فلما ابتدا يدعوا تكشفت السما ❊ فما تم الا والسحاب قد انقضا

فلما ثبت البحر وقد بقى عن الوفا ثمانيه اصابع فرسم السلطان ان يكسروا السد ان زاد
البحر او لم يزد فكسروا السد فلم يجرى الما الا قليلا فدخل غالب الما الى بركة الفيل

من النيل ثم نزل البحر من بعد ذلك فاضطربت الاحوال بالديار المصرية وماجت الناس على بعضها وحصل الضرر الشامل وشرقت البلاد وعزت الاقوات وبلغ سعر القمح الى خمسة اشرفية كل اردب وغلا سعر كل شى من البضايع حتى روايا الما وعم الغلا ساير البلاد وشرقت غالب البساتين وماتت الاشجار وماتت البهايم فلما جرى ذلك حولوا الامر الشيوخهم الى سعى تهم ومنهم مماليكهم ملابسة حوزا من العوام ان لاينهبوا القمح فزان العوام رجموا القاضى او الخبر ابن النحاس وكيل بيت المال وقد بلغهم عنه انه قال للسلطان ان العوام يأكلوا بدرهم حشيش وبالملوخ بزبادية اضاف حلوى فالذى يأكلوا به حلوا يأكلوا به خبز ورجموه وهو نازل من القلعة وخطفوا عمامته من على راسه واخذوا خواتمه من اصابعه ثم رجموا العلاى على ابن النقيشي محتسب القاهرة بسبب الخبز فان وصل سعر كل رطل خبز نصفين فضة وقاسى الصاحب امين الدين بن الهيصم والامير زين الدين الاستادار فى هذه الغلوه من المماليك ما لاخير فيه وصاروا يضربوهم ويرجموهم وتشحط اللحم والجبن وساير البضايع حتى الروايا الما واستمرت هذه الغلوة نحو سنتين وقد رثا بعض الشعرا الخبز لما عز وتحجب فقال

فتنتنا بروح الخبز عند خروجه	من فرنه وله الغداة قرار
ورغايف منه تروقك وهى فى	سحب الثقال كانها اقمار
من كل مصقول السوالف احمر الخد	ين للشونيز فيه عذار
كالفضة البيضا لكن يغتدى	ذهبا اذا نوبت عليه النار
تلقى عليه فى الخوان جلالة	لاتستطيع تحمل الابصار
فكان باطنه بحكك درهم	وكان ظاهر لونه دينار
ماكان اجهلنا بواجب حقه	لولم تبينه لنا الاسعار
ان دام هذا السعر فاعلم انه	لاجنة تبقى ولا بنبار

ثم وقع الطاعون فى هذه السنة ايضا بالديار المصرية ومات فيه مالايحصى عدد دهم من مماليك واطفال وجوار وعبيد وغربا حتى قيل كان يموت فى كل يوم عشرة الاف انسان وفى ذلك يقول شمس الدين النوجى

دب فى الانام من هول طعن	قد قضى غالبا الورى فيه نحبه
رخصت قيمة النفوس فاضحت	كل روح تباع فيه بحبه

وفى اواخر هذه السنة كانت وفاة القاضى عبد الباسط ناظر الجيوش المنصورة فكانت وفاته فى سادس شوال من السنة المذكورة وكان له بر ومعروف وفعل خير وانشا عدة مدارس بمصر ومكه والمدينه وبيت المقدس وكان له محاير تطلع فى كل سنة برسم الحجاج المنقطعين وقطع من طريق العقبة وارسل تجاريد قطعوا منها ماكان يشوش على الحجاج وكان القاضى عبد الباسط فلما مات القاضى عبد الباسط تزوج السلطان بابنته بعد موته **وفيها** توفى الامير قراجا الحسنى امير اخور كبير وتوفى هو وولده فى يوم واحد وماتوا بالطعن

وفيها توفى قاضى القضاة بدر الدين التنسى المالكى **وفيها** توفى الشيخ العارف بالله تعالى محمد بن سلطان الشاذلى **وفيها** اخلع السلطان على الامير اسنبغا الطيارى واستقر به راس نوبة النوب **ثم دخلت** سنة اربع وخمسين وثمانمائة فيها كانت وفاة شيخ الاسلام قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلانى الكنانى الشافعى رحمة الله عليه وكانت جنازته مشهودة ولما مات لم يخلف احد من العلما مثله وقد رثاه الشيخ شهاب الدين المنصورى بقصيدة منها هذه الابيات وهى قوله

بكاك العلم حتى النحو اضحى	مع التصريف بعدك فى جدال
وقد اضحى البديع بلا بيان	وقد سفلت معانيه العوالى
وكم درسنا دروس العلم حزنا	وقد ضل الجواب عن السوال
تنكرت المعارف فى عيانى	وتمييزى غدا فى سوء حال
وما عوضنا من بذل وعطف	سوى توكيد سقمى واعتلال
وكم جنت المنون على كرام	وجدلت الكمى بلا قتال
فيا قبرا ثوى فيه تهنى	فقد حزت الجميل مع الجمال
سقاه الله غيثا سلسبيلا	واسبغ عليه من الظلال

وفيها تغير خاطر السلطان على الزينى ابو الخير بن النحاس فقبض عليه واحتاط على موجوده واموال يحيى فتحيى فى الديلم ايام ماقرنناه واستقر شرف الدين الانصارى فى وظايفه **ثم دخلت** سنة خمس وخمسين وثمانمائة فيها كانت وفاة امير المومنين المستكفى بالله سليمان بن المتوكل على الله محمد وكانت وفاته فى يوم الجمعة ثانى المحرم من السنة المذكورة **فكانت** مدة خلافته نحو عشر سنين الا ستين ولما مات نزل السلطان وصلى عليه ومشى فى جنازته ودفن عند اقاربه فى المشهد النفيسى ومات ولم يعهد لاحد من اخوته فلما كان يوم الاثنين خامس المحرم عقد السلطان مجلسا بالقصر الكبير وجمع فيه القضاة الاربع وهم قاضى القضاة الشافعيه شرف الدين يحيى المناوى وقاضى القضاة الحنفيه سعد الدين سعد الديرى وقاضى القضاة المالكيه شمس الدين البساطى وقاضى القضاه الحنابلة وكان المتكلم فى ذلك المجلس القاضى كمال محمد بن البارزى فاستدعا السلطان مبايعة الخليفة حمزة ولقبوه بالقايم بامر الله ثم احضر وا له التشريف فالبسوه له ونزل من القلعة فى موكب عظيم وقدامه القضاة الاربع واعيان الناس حتى وصل الى بيته وهو فى غاية العظمة فكان احق بقول القايل فى المعنى

كل اتى يهنيك بالتشريف محتفلا	يا من باياديه المعروف معروف
لكننى بك اختار الهنا له	فان قدرك فى التشريف تشريف

ومن الحوادث ان السلطان رسم بحرق شخوص خيال الظل جميعها وابطلها ورسم بابطال نوبة خاناه الطبلخانات التى كانت تدق بالقلعة بعد العشا وفيها توفى العلامة قاضى القضاة

بدر الدين محمود العيني الحنفي صاحب التاريخ البدري **ثم دخلت** سنة ست وخمسين
وثمانمائة فيها توفي القاضي كمال الدين بن القاضي ناصر الدين البارزي كاتب السر الشريف بمصر
فلما توفي القاضي كمال الدين البارزي فاخلع الملك الظاهر على القاضي محب الدين بن الاشقر
واستقر بر كاتب السر الشريف بمصر عوضا عن القاضي جمال الدين بن يوسف واستقر به
ناظر الجيوش المنصورة مع ما بيده من نظارة الخاص وانو لـــ وكان القاضي كمال الدين
ابن البارزي من اهل الفضل والعلم وله خط جيد وعبارة حسنة وكان له نظم رقيق
وتدفاق والد القاضي ناصر الدين البارزي **ومن النكت** اللطيفة قيل كتب القاضي ناصر
الدين البارزي على تقريض وقد استوفى الى اخر الورق فلما فرغ قالوا له لابد من كتابة ولدك
القاضي كمال الدين على هذا التقريض فامره بان يكتب تحت خطه ولم يبق من الورق الا قدر
اصبعين فكتب القاضي كمال الدين تحت خط والده وهو يقول

موت على فكري حلاوة نظمها … ماذا اقول وما عسى ان اصنعا
ووالدي دام بقا سود ده … لم يبق فيها للكمال موضعا

فانظر الى حسن ادبه مع بلوغ المقصد وحسن ما وقعت له بالتورية مع تضمين اسمه
مع عدم الحشو وحسن المقابلة بين الحلو والمر وهذا في غاية الرقة انتهى **ومن الحوادث**
في ايام الملك الظاهر جقمق ان البلاد لما شرقت رسم للمنطمين بان البلاد التي رويت
من ماء النيل في تلك السنة ياخذوا من الفلاحين من المنطبين نظيفتين ففعلوا ذلك
ومشى هذا الامر **ومن الحوادث** في ايامه ان بركات امير مكة كان قد اظهر العصيان
فتوجه اليه القاضي شرف الدين الانصاري بحضر صحبته فلما وصل نزل اليه السلطان
ولاقاه من المطعم فدخل صحبته وطلع الى القلعة فاخلع عليه واكرمه وزالت تلك
الوحشة التي كانت بينهما **ثم دخلت** سنة سبع وخمسين وثمانمائة فيها
توعك جسد السلطان ولزم الفراش وتسلسل في المرض فلما ثقل عليه المرض ارسل
خلف امير المؤمنين القائم بامر الله حمزة والقضاة الاربع فلما حضروا عهد بالملك
الى ولده المنصور الفخري عثمان وخلع نفسه من السلطنة واستمر قليلا ملازم الفراش الى
ان توفي الى رحمة الله تعالى في ليلة الثلاثاء رابع شهر صفر من السنة المذكورة فغسلوه
وكفنوه وصلى عليه الخليفة حمزة بالقلعة ونزلوا به من باب المدرج وتوجهوا به الى
تربة قانباي الجركسي التي عند دار الضيافة فدفن هناك وكثر عليه الحزن والاسف
من الناس **وقيل** مات وله من العمر نحو احدى وثمانين سنة **وكانت** مدة سلطنته
بالديار المصرية والبلاد الشامية وما مع ذلك اربعة عشر سنة وعشرة اشهر ويوم وقيل
يومين وكان ملكا جليلا دينا خيرا متواضعا كريما يحب فعل الخير وكان عنده لين
جانب يحب العلماء وينقاد الى الشريعة ويقوم الى العلماء اذا دخلوا عليه وكان يحب الايتام
ويكتب لهم الجوامك ولا يجحف انقطاع من له ولد الا الى ولده وكانت الدنيا في ايامه

مادبر من الفتن والمحاربة وكان يحسن للامرا التراكمة ويعطيهم العطايا الجزيلة فكانوا تحت
طاعته في مدة ولايته وكان الملك الظاهر طاهر الذيل عفيفا عن الزنا وعن اللواط وكان
صفته معتدل القامة غليظ الجسد دري اللون مترك الوجه مستدير اللحية حسن الشكل
عليه وقار وسكينة مهابا في العيون وكان فصيح اللسان بالعربية متفقها وله مسائل في الفقه
غريبة ويتوجع فيها العلماء لكنه كان صاحب ودينة ماشي على قاعدة الاتراك مثل الدعوى
لمن سبق وكان عنده حدة زائدة ومبادرة في الامر ومن مساويه انه كان عنده احراق في حق
العلماء منها انه سجن قاضي القضاة ولي الدين السفطي في المقشرة ومنها انه عزر الشيخ شمس
الدين الكاتب في وسط المدرسة الصالحية وكان يكره جماعة الاشرف برسباي ويقاصصهم
جماعة وصادر القاضي عبد الباسط واخذ امواله وانبت على الاتابكي قرقماس الشعباني كفرا
وارسل ضرب عنقه بثغر الاسكندرية وانبت على الامير بخشباي كفرا وضرب عنقه وكان
اذا سمع بان احدا يسكر ينفيه ويقطع جامكيته ويخرج اقطاعه وغضب في وقت على
النصارى فهدم جانبا من كنائسهم وحجر على بيع النبيذ وكتب على اليهود والنصارى قسائم
ان لا يعصروا النبيذ ثم صار يكبس البيوت والحارات بسبب ذلك واراق من الخمور
اشياء كثيرة ثم امر بسد خوخة باب البحر التي عند بركة الرطلي فاقام مسدودا اياما
ثم رسم بفتحه وكان له اشياء كثيرة من هذا النمط بحسب الوسائط السوء وفي الجملة كانت
محاسنه اكثر من مساويه وكان خيار ملوك الترك من الجراكسة بالنسبة الى غيره من الملوك كما
قيل

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها … كفى المرء فضلا ان تعد معايبه

ولما مات الملك الظاهر خلف من الاولاد ثلاثة صبي وبنتين وهم الملك المنصور عثمان
الذي تسلطن بعده **واما** البنات فاحداهن من خوند التي من بنت البارزي تزوجت
بالاتابكي ازبك والاخرى تزوجت بالامير جاني بك الظريف اولا ثم تزوجت بالاتابكي
ازبك بعد موت اختها **واما** نساءه فخوند بنت البارزي وخوند بنت الامير جرباش
الكردي امير سلاح وخوند بنت ابن عثمان وخوند الجركسية وتزوج بنت عبد الباسط
ناظر الجيش ايضا **وكانت** دولته ثابتة القواعد **واما** من توفي في ايامه من الاعيان
وهم الخليفة داود والخليفة سليمان وقاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي وقاضي
القضاة ولي الدين السفطي الشافعي وقاضي القضاة محب الدين البغدادي الحنبلي وقاضي
القضاة بدر الدين التنسي المالكي وقاضي القضاة محمود العيني الحنفي وكان العيني من اهل
الفضل وله عدة مصنفات في علوم جليلة وكان له شعر جيد ومنه يقول بعض المواليا
هذه الابيات المواليا وتدرج فيها الفنون السبع وهو قوله

ترنا لهذا الابيات ناظمي قد حل شاني … بكان وكان اتقدح بين الورى زيني
وانقل موشح مواليا بلا ميني … فاجر الشعرا نجراها من العيني

وتوفي الشيخ شمس الدين النواجي صاحب حلبة الكميت وكان من اعيان الشعرا وقد رثاه

الشهاب المنصوري حيث قال

رحم الله النواجي فقد * فقد الدنيا وابقى ما ودى
والطوى في شقة البين نيا * حسرة العشاق من فقد النواجي

انتهى ما اوردناه من اخبار دولة الملك الظاهر جقمق العلاي الظاهري على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المنصور ابي السعادات فخر الدين عثمان بن الملك الظاهر جقمق العلاي

وهو الخامس والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الحادي عشر من ملوك الجراكسة واولادهم في العدد بويع له بالسلطنة بعد خلع ابيه من السلطنة في يوم الخميس حادي عشرين المحرم سنة سبع وخمسين وثمانماية فتسلطن وله من العمر نحو تسعة عشر سنة وكانت امه رومية الجنس فلبس خلعة السلطنة من الدهيشة وركب وتوجه الى القصر الكبير والاتابكي اينال العلاي حامل القبة والطير على راسه فلما جلس على سرير الملك باست له الامرا الارض ودقت له البشاير ونودي باسمه في القاهرة وضج له الناس بالدعا هذا كله ووالده الملك الظاهر في قيد الحياة فاقام اثنى عشر يوما حتى توفي والده فلما تم امره في السلطنة اخلع على الامير تمربغا واستقر به دوادار كبير عوضا عن الامير دولاتباي المؤيدي ثم انه قبض على الامير زين الدين الاستادار فكان بينه وبينه حظ نفس من ايام والده فلما قبض عليه لم يرث له وسلمه الى الامير فيروز الزمام ثم اخلع على الامير جاني بك بكتابة جرة واستقر به استادارا عوضا عن زين الدين ثم نقل زين الدين من عند فيروز الزمام وسلمه الى الامير جاني بك ثاني جرة فعاقبه واحضر اليه المعاصير وعصره في اكعابه حتى كسرهم واستخرج منه نحو اربعين الف دينار واستمر في العقوبة اياما وفيه يقول بعض الشعرا

اخبار زين الدين قد شاعت بها * اعداوه بين الورى فتمردوا
لا تعزوان هم بالعوافي عصره * فالكرم يعصر والجواد يقيد

ثم ان الملك المنصور اخذ في اسباب نفقة على العسكر ولم يكن في الخزاين شيا من المال
قيل خلف الملك الظاهر جقمق من خزاين المال ثلاثين الف دينار لا غير فشكى ذلك الى القاضي جمال الدين يوسف ناظر الخاص فقال عليه ذلك ثم ضرب دنانير ذهب تنقص كل دينار عن الاشرفي قيراطين ذهب وسماهم الناصري فضرب منهم جملة كثيرة واراد ان ينفق ذلك على العسكر فلما كان يوم الاثنين مستهل ربيع الاول من السنة المذكورة فيه وثبوا المماليك الاشرفية والمؤيدية والتف عليهم جماعة من المماليك السيفية فلما وثبوا توجهوا الى بيت الاتابكي اينال العلاي فاركبوه غصبا واتوا به الى البيت الكبير الذي عند حدرة البقر فلما استقر به ارسل خلف امير المؤمنين حمزة فلما حضر اخذ في اسباب خلع الملك المنصور عثمان فكتبوا محضرا وشهد فيه جماعة من الخاصكية

ما وجب

ما يوجب خلعه فخلعه الخليفة من السلطنة وبايع الاتابكي اينال بالسلطنة واستمر الحرب ثايرا بين الفريقين من يوم الاثنين الى يوم الاحد سابع ربيع الاول فانكسر الملك المنصور عثمان في ذلك اليوم وكان الملك المنصور ارسل يحضر عربان من الشرقية وعربان من البحيرة فمنعه من ذلك الامير قايتباي الجركسي وما مكنه من ذلك وقال تطمع العرب في الترك ولا زال اينال يحاصر الملك المنصور وهو بالقلعة وقطع عنه الما ومنع عنه الاكل حتى ضجر وانكسر فملك اينال باب القلعة وولوا الظاهرية منهزمين كانهم لم يكونوا فلما تسلطن اينال قبض على الملك المنصور وقيده وسجنه بالبحرة فاقام بها الى يوم الاحد ثامن عشرين ربيع الاول فانزلوه من القلعة من باب القرافة وهو مقيد الى ان وصلوه الى البحر فانزلوه في الحراقة وتوجهوا به الى السجن ثغر الاسكندرية وكان المسفر عليه الامير خير بك الاشقر امير اخور ثاني فلما وصل الى الاسكندرية سجن بها ورجع الامير خير بك فكانت مدة سلطنة الملك المنصور عثمان بمصر ثلاثة واربعين يوما فكانت مدة سلطنته كسنة من النوم او يوم او بعض يوم كما قيل في المعنى

لم يغتفر الا بمقدار ما قلت له * اهلا وسهلا ومرحبا

واستمر الملك المنصور بثغر الاسكندرية الى دولة الملك الظاهر خشقدم فرسم له بالاطلاق وان يسكن في بعض دور الاسكندرية وان يركب الى صلاة الجمعة واستمر على ذلك الى دولة الاشرف قايتباي فنقله الى ثغر دمياط وكان يركب ويتصيد ثم طلب من السلطان اذن بالحج فانعم له بذلك فحضر الى القاهرة وطلع الى القلعة فاكرمه السلطان واخلع عليه ثم اقام له بركا وسنيح وتوجه الى الحجاز فحج وعاد الى القاهرة واقام بها نحو من شهرين فبقي هذه المدة كان يطلع الى القلعة ويضرب الاكره مع السلطان ورسم له السلطان بان يتوجه ببند اصطبل ليلعب الاكره فكان في غاية العز والعظمة وكان الملك الاشرف قايتباي مملوك ابيه الظاهر جقمق والاتابكي مملوك ابيه وصهره زوج اخته وساير الامرا الظاهرية مماليك ابيه وكان الاتابكي تمراز الشمسي متزوج بنت الملك المنصور فضاعفت الاقدار من كل جانب ثم رسم له السلطان بالعود الى ثغر دمياط فتوجه اليه دمياط واقام بها حتى توفي في اثنا دولة الملك الاشرف قايتباي ونقل بعد موته من دمياط ودفن في تربة ابيه الملك الظاهر ومات الملك المنصور وله من العمر اربعة وخمسين سنة وكان كريما سخيا لين الجانب انتهى ما اوردناه من اخبار الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق العلاي على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف ابي النصر سيف الدين اينال العلاي

الظاهري وهو السادس والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة واولادهم في العدد بويع له بالسلطنة بعد خلع الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول من سنة سبع وخمسين وثمانماية وتلقب بالملك الاشرف

ونودي باسمه في القاهرة ودعوا الناس له بالدعا ودقت له البشاير بالقلعة وحمل القبة
والطير على راسه ولده المقر الشهابي احمد وباسوا له الامرا الارض **اقول** وكان
اصله جركسي الجنس جلبه الخواجا علاي الدين فاشتراه منه الملك الظاهر برقوق
وصار من جملة مماليك السلطان فلما توفي الملك الظاهر برقوق وتولى ابنه الملك
الناصر فرج فاعتقه واخرج له خيلا وقماشا وبقي جمدارا ثم بقي خاصكي ثم بقي
في دولة الملك المظفر احمد بن المويد شيخ امير عشرة ثم بقي في دولة الاشرف امير اربعين
راس نوبة ثاني ثم بقي نايب غزة ثم نقله الاشرف برسباي لما توجه الى امد فجعله نايبا
الرها وذلك في سنة ست وثلاثين وثمانماية ثم احضره الملك الاشرف برسباي
الى القاهرة وانعم عليه بتقدمة الف واستمرت نيابة الرها بيده زيادة على التقدمة
ثم نقله الملك الاشرف برسباي الى نيابة صفد فخرج اليها في سنة اربعين وثمانماية
واستمر بصفد الى دولة الملك الظاهر جقمق فاحضره الى القاهرة وانعم عليه بتقدمة
الف فلما توفي الامير تغري بردي فانعم السلطان على الامير اينال واستقر به
دوادار كبير عوضا عن الامير تغري بردي المودي فلما توفي الاتابكي يشبك السودوني
فانعم السلطان على الامير اينال هذا واستقر به اتابك العساكر عوضا عن يشبك
السودوني وذلك سنة تسع واربعين واستمر على ذلك حتى توفي الملك الظاهر
جقمق وتولى ابنه فوثبوا عليه المماليك الاشرفية والمويدية وتوجهوا الى بيت الاتابكي
اينال واركبوه غصبا فاقام العسكر يتقع مع الملك المنصور سبعة ايام فانكسر
الملك المنصور وتسلطن الاتابكي اينال العلاي كما تقدم ذكر ذلك فلما تم امره في
السلطنة قبض على جماعة من الامرا الظاهرية منهم الامير قانباي الجركسي امير
اخور كبير ومنهم الامير تمربغا الدوادار ومنهم الامير تنم المويدي وغير هولاء من
الامرا الظاهرية فلما قبض عليهم قيدهم وارسلهم الى السجن بثغر الاسكندرية ثم انعم
على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي تاني بك واستقر به اتابك العساكر عوضا عن
نفسه وانعم على المقر السيفي خشقدم المويدي واستقر به امير سلاح وانعم على المقر
السيفي طوخ بوني بازق واستقر به امير مجلس وانعم على المقر السيفي قرقماس الجلب
الاشرفي واستقر به راس نوبة النوب وانعم على المقر السيفي يونس البواب واستقر
به دوادار كبير عوضا عن الامير تمربغا وانعم على المقر السيفي جرباش كرد الناصري
واستقر به امير اخور كبير عوضا عن الامير قانباي الجركسي وانعم على المقر السيفي جاني
بك القرماني واستقر به حاجب الحجاب وانعم على ولده المقر الشهابي بتقدمة الف
وانعم على جماعة من الامرا الاشرفية بتقادم الوف وعلى جماعة منهم بامريات طبلخانات
وجماعة بامريات عشرة وانعم على الامير تمراز الاشرفي بامرية اربعين واستقر
به دوادار ثاني فاقام مدة يسيرة فتغير خاطر السلطان عليه بسببا اوجبت

لذلك

لذلك نفاه الى نحو البلاد الشامية ثم انه انعم على مملوكه الامير بردبك واستقر به
دوادار ثاني عوضا عن تمراز الاشرفي فهذا كان ترتيب الامرا المقدمين ارباب الوظايف
في ابتداء دولته ثم انتقلت الوظايف من بعد ذلك الى جماعة كثيرة من الامرا حسبما ياتي
ذكر ذلك في موضعه بحسب الحوادث الواقعة ثم انه نفق على العسكر ووزع الاقطاعات
على المماليك وارضى العسكر بكل ما يمكن واستقام امره في السلطنة وراجت احواله
ثم انه انفصل قاضي القضاة الشافعي من شرف الدين يحيى المناوي واستقر بالقاضي علم
الدين صالح البلقيني عوضا عن المناوي بحكم انفصاله عن القضا **ومن** محاسن الملك الاشرف
اينال انه لما تسلطن زاد كسوة المماليك وجعلها ثلاثة الاف درهم وكانت قبل ذلك
الفين درهم فزادها الف ومن محاسنه انه نقل الامير اوزبك من ثغر الاسكندرية الى
القدس ثم احضره الى مصر فاقام بها بطالا **ثم دخلت** سنة ثمان وخمسين وثمانماية
فيها تغير خاطر السلطان على الامير زين الدين الاستادار فضربه ضربا موجعا في وسط
الدهيشة ورسم بنفيه الى المدينة الشريفة ثم انعم على السعدي سعد الدين فرج واستقر
به استادارا ثم استقر بالامير منصور البنطي في مدة انفصال الامير زين الدين من
الاستادارية استقر بعد بجماعة كثيرة من المباشرين فلم تطل مدته بها الى حين عود الامير
زين الدين اليها كما سياتي ذكر ذلك في موضعه **وفيها** انعم على العلاي علي ابن الاهناسي
واستقر به وزيرا بمصر **ثم دخلت** سنة تسع وخمسين وثمانماية فيها وثبوا
جماعة من المماليك الظاهرية ولبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فنزل السلطان الى
باب السلسلة وعلق الصنجق السلطاني ودقت الكوسات حربي وجلس في المقعد المطل
على الرميلة فطلعوا اليه جماعة كثيرة من الاشرفية والمويدية ثم ان المماليك الظاهرية توجهوا
الى بيت الخليفة حمزة واركبوه من بيته وتوجهوا به الى البيت الكبير الذي عند حدرة
البقر فاقام ساعة هناك ثم ان المماليك الظاهرية قاتلوا في ذلك اليوم قتالا هينا فلم
تكن الا ساعة يسيرة الا وقد انكسروا وانفض ذلك الجمع وولوا منهزمين فعند
ذلك قام الخليفة وتوجه الى بيته وكان السلطان لما بلغه امر هذه الحركة ارسل يقول
للخليفة غيب من بيتك الى ان تنقضي هذه الفتنة فلم يسمع ذلك واستمر مقيما في بيته
الى ان اركبوه وجرى ما جرى وكان يظن ان هذه الحركة يحصل له فيها كما حصل له في حركة
الملك المنصور عثمان فان الملك الاشرف اينال لما تسلطن انعم على الخليفة حمزة باشيا كثيرة
من المال والاقطاعات وغير ذلك وقد قام الخليفة حمزة في سلطنة اينال قياما عظيما
حتى سلطنه وامر بجرس سبيل المومنين حتى اخذ وامله الميدان الذي تحت القلعة فظن
الخليفة ان هذه الحركة يحصل له فيها كما حصل له في تلك الحركة فجاه الامر بخلاف ذلك
وكم من عجلة اعقبت ندامه وقد قيل

اذا ما اراد الله خير العبد • نيله وما للعبد ما يتخير

وقد يهلك الانسان من باب امنه ۞ وينجو بحول الله من حيث يحذر ۞

فلما خمدت هذه الفتنة طلب السلطان الخليفة حمزة فلما حضر بين يديه وبخه بالكلام فلم ينطق بالجواب وامسك لسانه كما قيل في المعنى ۞

۞ اذا كان وجه العذر ليس بواضح ۞ فان اطراح العذر خير من العذر ۞

ثم ان السلطان امر بادخاله في البحرة فاقام بها اياما ثم ارسله الى السجن بثغر الاسكندرية ونزل معه الامير جاني بك المزماني حاجب الحجاب حتى اوصله الى السجن فاقام هناك الى ان مات كما تقدم ذلك في اخبار الخلفا ثم ان السلطان جمع القضاة الاربع وهم القاضي علم الدين صالح البلقيني الشافعي والقاضي سعد الديري الحنفي والقاضي ولي الدين الاموي المالكي والقاضي عز الدين الحنبلي فلما تكامل المجلس بالقصر الكبير سكتوا القضاة ولم يتكلم منهم احد فلما سكتوا ساعة قال القاضي علم الدين البلقيني نقل بعض علما مذهبي بان السلطان له ان يعزل الخليفة ويولي غيره فهذا كان حاصل المسيلة في خلع الخليفة حمزة وولاية اخاه يوسف فقام القاضي محب الدين بن الاشقر كاتب السر الشريف فقال في ذلك المجلس فنشهد عليك يا مولانا السلطان انك خلعت الخليفة من الخلافة ووليت اخاه يوسف فقال نعم فعند ذلك احضر والجمالي يوسف اخو الخليفة والبسوه التشريفا وولاه الخلافة وتلقب بالمستنجد بالله ونزل من القلعة في موكب عظيم ومعه القضاة الاربع حتى اوصلوه الى بيته وهو في غاية العظمة انتهى ذلك ثم دخلت سنة ستين وثمانمائة فيها حجت خوند زوجة الملك الاشرف اينال وحج معها اولادها الرجال والنسا وهم المقر الشهابي احمد والمقر الناصري محمد وخوند زوجة الامير برد بك وخوند زوجة الامير يونس الدوادار الكبير فخرجوا من القاهرة في تجمل زايد فكان لهم يوما مشهودا لم يسمع بمثله كما قيل ۞ اذا هبت رياحك فاغتنمها ۞ فان لكل خافقة سكون ۞

وحج معها جماعة من الامرا الاعيان ومن اعيان المباشرين حتى رجعت لها مكة ثم دخلت سنة احدى وستين فيها رجعت خوند واولادها من الحجاز الشريف فكان يوم دخولها يوما مشهودا فلما طلعت الى القلعة حمل الامير فايز وز الزمام على راسها القبة والطير وفرشت لها الشقق الحرير من باب الستارة الى ان جلست على المرتبة ونثر على راسها الذهب والفضة وقدم اليها القاضي ناظر الخاص تقادم عظيمة فمن جملة ذلك قندورة مثلث ذهب ولولو وريش فكان مصروفها اثنى عشر الف ذهب هذا خارجا من بقية التقادم لها ولاولادها فاصرف ناظر الخاص في تلك السنة من المال ما لا يحصر وفي هذه السنة كانت وفاة الاتابكي تاني بك البردبكي الظاهري فلما مات فاخلع السلطان على ولده المقر الشهابي احمد واستقر به اتابك العساكر عوضا عن تاني بك الظاهري وانعم السلطان على ولده الصغير المقر الناصري محمد بتقدمة الف تعمل في كل سنة اربعة وعشرين الف دينار وفيها توفي قاضي القضاة ولي الدين الاموي المالكي فاخلع السلطان

على السيد الشريف حسام الدين بن حريز واستقر به قاضي قضاة المالكية عوضا عن ولي الدين الاموي ومن الحوادث ان في يوم الجمعة قبل الصلاة وقع حريق عظيم في بولاق فكان ابتداه من ربع الصاجاني الذي عند جامع زين الدين الاستادار واستمرت النار عماله في البيوت الى ان وصلت الى حمام بن البارزي التي عند بيت ناظر الخاص يوسف فاحترق نحو من ادبعماية بيت من ربوع ودكاكين وشون وبضايع واقامت النار عماله نحو سبعة ايام وقام ريح اسود مع وجود النار حتى كادت بولاق ان تحترق من اخرها ثم دخلت سنة اثنين وستين وثمانمائة فيها كانت وفاة القاضي جمال الدين يوسف بن عبد الكريم ابن بركة المعروف بابن كاتب جكم وكانت وفاته في اواخر ذي الحجة من تلك السنة وكان من اعيان المباشرين تولى من الوظايف الوزارة ونظارة الجيوش المنصورة ونظارة الخواص الشريفة وكان عزيز مصر في ايامه وصاحب الحل والعقد في امور المملكة وهو الذي اقام في ابطال المعاملة القديمة وضرب فضة جديدة تصرف معادده وابطل جميع ما كان من الفضة العتيقة ولكن خسرت الناس في هذه الحركة ثلث اموالهم وحصل لهم مشقة زايدة وصار الاشرفي يصرف بحسة وعشرين نصف فضة معادده وكان الاشرفي يصرف بادبعماية بالميزان فابطل ذلك جميعه وفيها كانت وفاة الرييس تاج الدين المارديني وكان من اعيان مغاني القاهرة وحظي عند اعيان الناس ولم يجي من بعد المارديني من يخلفه في السماع الطيب وكثرة الطرب وكان المارديني اعتراه خلط فالج فاقام به مدة وهو يسلسل في الضعف حتى مات في دولة الملك الاشرف اينال وقد رثاه الشهاب المنصوري بهذه الابيات فقال

۞ يا نزهة السمع سكنت الثرى ۞ فالملاهي ايما لهفي ۞

۞ كم لطمت من يد اوقدم ۞ في خدي الدكة والدف ۞ وقوله فيه

ايضا ۞ كانت بها لذاتنا موصولة ۞ فانقطعت بموته اللذات ۞

۞ وكانت الاصوات تزهو بهجة ۞ فارتفعت لموته الاصوات ۞

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثمانمائة فيها توفي القاضي محب الدين بن الاشقر كاتب السر الشريف فلما توفي اخلع السلطان على القاضي محب الدين بن الشحنة واستقر به كاتبا السر الشريف عوضا عن القاضي محب الدين بن الاشقر وكانت وفاته في رجب وفيها ظهر في السما في السما نجم له ذنب طويل نحو سبعة اذرع فكان يطلع من جهة الشرق ثم صار يذهب من جهة المغرب فاقام على ذلك مدة ثم اختفى ومن الحوادث في ايامه حضر الى الابواب الشريفة حاكم ابن ملك الفرنج وطلب من السلطان نجدة فعين السلطان معه تجريدة وكان باش العساكر الامير يونس الدوادار ثم ان السلطان شرع في عمارة مراكب اغربة بالجزيرة الوسطى وكان الشاد على عمارة هذه الاغربة الامير سنقر قرق شبق الزرد كاش فحصل منه غاية الظلم لاصحاب الغيطان بسبب الاخشاب فلما كملت عمارة تلك الاغربة نزل السلطان بنفسه وكشف على عمارة الاغربة وكان له يوما مشهودا وتوجه الى الجزيرة الوسطى قادموا اقدامه

ندامه الاغرق فى البحر والنفط والطبل عمالا حتى انتهى ذلك ثم رجع الى القلعة فلما خرجت التجريدة وتوجهوا الى بلاد الفرنج فلم يحصل من العسكر الذى توجه نتيجة ورجع الامير يونس الدوادار من التجريدة بسرعة وترك بقية العسكر فى قبرس ورجع الى القاهرة فما شكره احد من العسكر على ذلك وبقى ممقوتا عندهم الى ان مات **ثم دخلت** سنة اربع وستين وثمانماية فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وكان مبتداه من الشام وكان طاعونا عظيما جدا مات فيه ثلث المماليك والاطفال والجوار والعبيد والغربا واستمر عمالا نحو خمسة اشهر وكان الورد فى تلك السنة كثيرا فصاروا يجعلوا على التوابيت قواصر جريد ويجعلوا فيها الورد وتزايدت الجنايز كل يوم الى اثنى عشر الف جنازة فى كل يوم وقد قال القايل

اسفى على سكان مصر اذ غدا * للطعن فيها ذات وخز سارى
الموت ارخص ما يكون بحبة * لكن هذا صار بالقنطار

وفى هذه السنة كانت وفاة القاضى برهان الدين ابراهيم بن الجيعان كاتب الخزانة الشريفة ومستوفى ديوان الجيش رحمة الله تعالى عليه **ثم دخلت** سنة خمس وستين وثمانماية فيها توجه الاتابكى احمد بن المقام الشريف الى السرحة فلما عاد زينت له القاهرة وكان يوم دخوله يوما مشهودا وطلع الى القلعة فى موكب عظيم **وفيها** توفى الناصرى محمد بن اينمش ابن الخضرى بن اخت خوند بنت خاص بك توفى يوم دخول الاتابكى احمد الى القاهرة فكدر عليهم ذلك اليوم واستمر الملك الاشرف اينال قايما فى ملكه وهو فى رغد عيش واولاده حوله وكان غالب الامرا اصهاره والعسكر فى قبضة يده واستمر على ذلك حتى مرض بذات الخاصر وسلسل فى المرض حتى مات **وكانت** وفاته فى يوم الخميس بعد العصر خامس عشر جمادى الاول من السنة المذكورة ودفن فى يومه فى تربته التى انشاها له القاضى ناظر الخاص يوسف بالتربة من تربة القاضى عبد الباسط التى فى الصحرا وكثر عليه الحزن والاسف كما قيل

هى الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل بالذين بقوا * كما بمن مضى فعلت

وتوفى الملك اينال وله من العمر احدى وثمانين سنة **فكانت** مدة سلطنته بمصر والبلاد الشامية ثمان سنين وشهرين وستة ايام وخلف من الاولاد اربعة صبيين وبنتين ولم يتزوج غير ام اولاده خوند زينب بنت خاص بك ولما ثقل فى المرض عهد بالملك الى ولده الاتابكى احمد فتسلطن ووالده فى قيد الحياة وكان صفة الملك الاشرف اينال طويل القامة اسمر اللون عرى الوجه خفيف العوارض وكان يعرف باينال الاجرود وكان ملكا هينا لينا قليل الاذى ولولا جور مماليكه فى حق الناس لكان خيار ملوك الجراكسه وكان كل من يقع له من الزغلية يوسطه وكانت ايامه كلها هدو وانشراح وكان اميا لا يقرا ولا يكتب فكانوا يحطوا له على المراسيم وقيل انه فى مدة سلطنته لم يسفك

دما قط بغير وجه شرعى فهذه من النوادر **ومن الحوادث** فى ايامه انه كان يقع بالقاهرة فى كل ليلة حريق فى عدة اماكن فى الليل والنهار حتى ضجر الناس من ذلك ولم يعلم سبب هذه النازلة ولا من كان يفعل ذلك فاستمر الامر على ذلك مدة ثم بطل وفى ايامه تحرك ابن قرمان على بلاد السلطان فاخرج اليه تجريدة وكان باش العساكر المقر السيفى خشقدم امير سلاح فلما توجهوا الى بلاد ابن قرمان لم يقابلهم ولم يقع بينهم قتال فرجع العسكر الى الديار المصرية وهم سالمون **ومن الحوادث** ان خوند زوجة السلطان مرضت فنزلت الى بولاق واقامت فى الظاهرية فنزل السلطان وسلم عليها فلما حصل لها الشفا ناحرقوا فى بولاق احراقات نفط وخرجت تلك الليلة البنت فى خدرها بسبب الفرجة على ذلك وكانت تلك الليلة من الليالى المعدودة فى القصف والفرجة واستمر الملك الاشرف اينال فى السلطنة الى ان مات على فراشه وكانت دولته ثابتة القواعد **واما ما** انشاه من العماير فالسوق الذى فى الرميلة عند حدرة البقر وله فى القاهرة عدة ربوع ودكاكين وحمامات وغير ذلك **واما** من توفى فى ايامه من الاعيان وهم الشيخ كمال الدين ابن الهمام الحنفى شيخ الخانقاه الشيخونية واخاه الشيخ عز الدين ومن اعيان الدولة سعد الدين فرج والقاضى ابراهيم بن الجيعان وهو صاحب المدرسة التى فى بولاق وسيدى خليل ابن الملك الناصر فرج توفى بثغر الاسكندرية ونقل بعد موته الى القاهرة وتوفى الامير قانباى الجركسى بثغر الاسكندرية وتوفى الامير دولاتباى الدوادار وغير هولا جماعة كثيرة من الاعيان **واما** من توفى فى ايامه من الصلحا وهم الشيخ مدين الزاهد والشيخ احمد خروف المجذوب والشيخ ريحان الاسود والشيخ محمد المغربى المجذوب وغير ذلك من الصلحا **واما** من توفى فى ايامه من اعيان الشعرا وهم الشيخ شهاب الدين الحجازى وكان من فحول الشعرا وقد رثاه الشهاب المنصورى بهذه الابيات منها

زادنى فقد الحجازى شجا * هل يطيب العيش مع فقد الحجازى
سار فى ذورق نعش قاطعا * منك يا بحر المنايا لججا
ان يكن فى الترب امسى هابطا * فله فى الجنان الدرجا

وتوفى الشيخ شهاب الدين بن الشاب التايب وكان من فحول الشعرا ومن نظمه الرقيق وهو قوله فى شاب مليح تسلسل على جامه

توارى واختفى ليرى وصيفى * الى ما حن فيه رشا مدلل
تعامل قده واستحيى وكنى * علينا سيف ناظره تسلسل

انتهى ما اوردناه من اخبار دولة الملك الاشرف اينال العلاى وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك المؤيد شهاب الدين ابى الفتح احمد بن الملك الاشرف اينال العلاى

وهو السابع والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثالث عشر من ملوك الجراكسه واولادهم فى العدد بويع له بالسلطنة

في حياة والده وتسلطن ووالده في قيد الحياة واقام ايامًا بعد سلطنته حتى مات والده
وكانت سلطنته في يوم الاربعاء رابع عشر جمادى الاول سنة خمس وستين وثمانماية وتولى
الملك وله من العمر نحو اربعين سنة وامه خوند زينب بنت خاص بك فلما بويع له بالسلطنة
حضر الخليفة الجمالي يوسف والقضاة الاربع وهم القاضي علم الدين صالح البلقيني الشافعي
والقاضي سعد الدين الديري الحنفي والقاضي السيد الشريف بن حريز المالكي والقاضي عز الدين
الحنبلي فحضروا في الدهيشة وبايعوه بالسلطنة وتلقب بالملك المؤيد واحضروا له خلعة
السلطنة وهي جبة سودا وسيف بداوي فتقلد به وركب من باب الدهيشة وحمل المقر السيفي
خشقدم امير سلاح القبة والطير على راسه حتى وصل الى القصر الكبير وجلس على سرير
الملك وباسوا له الامرا الارض ودقت له البشاير ونودي باسمه في القاهرة وضجوا له
الناس بالدعا وفرحوا الناس قاطبة بولايته وتزايد له الدعا من الخاص والعام وفيه يقول
القايل

بمهجتي احمد مليكا غدا ۞ مويدا بالنصر كالشمس
فلو تراه فوق كرسيه ۞ لقلت هذا آية الكرسي

فلما تم امره في السلطنة اخلع على المقر السيفي خشقدم واستقر اتابك العساكر
عوضا عن نفسه واخلع على المقر السيفي جرباش كرد واستقر به امير سلاح عوضا عن خشقدم
ثم اخذ في اسباب نفقة العسكر فنفق عليهم وسد امر النفقة وساس الناس احسن سياسة
ومنع مماليك ابيه عما كانوا يفعلونه من تلك الافعال الشنيعة وكان ناظرا لمصالح الرعية
كفوا للسلطنة وافر العقل حازم الراي كامل الهيئة حسن الشكل مستدير اللحية طويل
القامة ابيض اللون ضخم الجسد عليه مهابة ووقار ولكن لم يساعده الزمان ولم ينل منه
الامان ثم ان المماليك الظاهرية لعبوا بعقل المماليك الاينالية وحسنوا لهم التنقيص
على ابن استاذهم والوثوب عليه فاجابوهم الى ذلك وتغيروا على ابن استاذهم وضمروا
له السوء ودبت بينهم عقارب الفتن فكان الامر في حال الملك المؤيد مع مماليك ابيه
كما قيل ۞ كنت من كربتي افر اليهم ۞ فهم كربتي فاين المفر ۞
فلما كان يوم الخميس رابع عشر شهر رمضان فيه وثبوا المماليك الظاهرية والاشرفية
والاينالية ولبسوا آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فنزل الملك المؤيد الى باب
السلسلة وجلس في المقعد المطل على الرميلة واقتتل معهم ثلاثة ايام وكان ذلك في قوة
الحر فنظر غالب العسكر في رمضان من غير سبب ولا عذر لهم في ذلك فلما كان يوم الاحد
سابع عشر رمضان فيه انكسر الملك المؤيد احمد وطلع الى القلعة واختفى في البحرة
هو واخاه الناصري محمد وقد خابت فيه الظنون كما قيل في المعنى

اذا طبع الزمان على اعوجاج ۞ فلا تطمع لنفسك في اعتدال

وكانوا جماعة الامرا الاشرفية لما تقلبوا على الملك المؤيد ارسلوا كاتبوا المقر السيفي جانم
الاشرفي نايب الشام وحلفوا له ساير الامرا وحطوا خطوط ايديهم بانهم رضيوا به
ان يكون سلطانا عليهم وارسلوا له ذلك الحلف في الدرج واكدوا عليه في سرعة المجي حتى
يولوه السلطنة فابطا عليهم ولم يصبروا له حتى يحضر فوثبوا على الملك المؤيد في رمضان
فلما تعذر حضور المقر السيفي جانم فابطا عليهم خبره فتوجه العسكر الى بيت الاتابكي
خشقدم فاركبوه وطلعوا به الى باب السلسلة واحضروا له الخليفة والقضاة الاربع
وولوه السلطنة ولم ينتظر لجانم شي فكان كما قيل

دع التعرض ان الامر مقدور ۞ وليس للسعي في الادراك تاثير
والمرء يعجز عن تحصيل خردلة ۞ بالسعي ان لم تساعده المقادير

فلما ملك خشقدم القلعة قبض على الملك المؤيد وقبض هو واخاه في البحرة ثم نزلوا بهما من
القلعة في قيود وركب خلفهما اوجاقي بخنجر وكان معهما قراجا الطويل الاينالي فنزلوا بهم
من الصليبة وقت الظهر على التكا والاجهار حتى وصلوا بهم الى البحر فانزلوهم في الحراقة وتوجهوا
بهما الى السجن بثغر الاسكندرية وكان المتسفر عليهم الامير خير بك المصارع فكثر الحزن
والاسف على الملك المؤيد فان الناس كانوا قد اجمعوا على محبته وانفسحت احوال الرعية في
تلك الايام ومشى الذيب مع الشاة في حندس الظلام فكان كما قيل

لو نطقت مصر قالت ۞ يا ملك العصر والاقالم
دولته للانام عيد ۞ باق وايامه مواسم
قد صير الشاة في حماه ۞ تمشي مع الذيب والضياغم

فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية اربعة اشهر وثلاثة ايام فلما توجه الامير خير
بك المصارع الى ثغر الاسكندرية فسجن الملك المؤيد هو واخاه في السجن ورجع فاقام
الملك المؤيد في السجن مدة دولة الملك الظاهر خشقدم ثم ان اخاه الناصري محمد توفي
هناك ونقل بعد موته الى مصر ودفن على ابيه الملك الاشرف اينال **واما الملك المؤيد**
فانه اقام في السجن الى دولة الملك الظاهر تمربغا فرسم باخراجه من السجن وان يسكن في اي
دار شا من دور الاسكندرية فلما كانت دولة الملك الاشرف قايتباي فارسل للملك المؤيد
فرس بسرج ذهب وكنبوش ورسم له بان يركب ويصلي الجمعة والعيد فعمر له قاعة
عظيمة بالاسكندرية وسكن بها ثم ان الامير يشبك من مهدي امير دوادار كبير تزوج
بنت الملك المؤيد هذا فعند ذلك عظم امره وتزايدت عظمته وكان الملك الاشرف
قايتباي متزوج ببنت ابن خال المؤيد هذا فساعدته الاقدار من كل جانب فاقام على
ذلك مدة ثم ان خوند ام الملك المؤيد مرضت مرض الموت فتوجه اليها الامير يشبك
ليسلم عليها فقالت اسال مقر السلطان ان يجمع لي بحضور ابني الملك المؤيد انظره قبل ان
اموت فطلع الامير يشبك وتكلم مع السلطان في ذلك فرسم باحضار الملك المؤيد
الى مصر وكتب له مراسيم بذلك فحضر الى القاهرة وطلع الى القلعة فعظمه السلطان
وقام له واخلع عليه خلعة عظيمة واركبه فرس بسرج ذهب وكنبوش ونزل الى بيته الذي

في الجسر الاعظم المطل على بركة قادون وتوجه من القلعة في موكب عظيم ومماليك ابيه الاينالية قدامه وكان حضور الملك المؤيد الى مصر في سنة خمس وثمانين وثمانمائة ثم ان الملك المؤيد اقام بمصر نحو اربعين يوما حتى توفت والدته ودفنها في تربة ابيه الملك الاشرف اينال **ومن عجائب الوقائع** ان الملك الاشرف قايتباي ترك الملك المؤيد بمصر بين مماليك ابيه الاينالية وتوجه الى ثغر الاسكندرية ليكشف على عمارة البرج الذي عمره هناك وترك الامرا والعسكر بمصر ولم ياخذ منهم احد فلما رجع الى مصر وانقضت مأتم خوند والدة الملك المؤيد فطلب من السلطان دستورا في العود الى ثغر الاسكندرية فاذن له في ذلك واخلع عليه خلعة السفر وتوجه الى الاسكندرية فاقام بها مدة هناك ومات في اثنائها ولد الملك الاشرف قايتباي فنقل بعد موته الى مصر ودفن على ابيه الملك الاشرف اينال وكان بين وفاة الملك المؤيد احمد بن اينال وبين وفاة الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق مدة يسيرة وكانت وفاة الملك المؤيد في اوايل سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة انتهى ما اوردناه من اخبار دولة الملك المؤيد احمد بن الملك الاشرف اينال على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر ابي سعيد سيف الدين خشقدم الناصري وهو الثامن والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو اول ملوك الروم بمصر ان لم يكن ايبك التركماني من الروم ولا لاجين من الروم فخشقدم اول ملوك الروم بمصر انتهى وكان الظاهر خشقدم اصله رومي الجنس جلبه الخواجا ناصر الدين وبه يعرف بالناصري فاشتراه منه المؤيد شيخ ودام على ذلك دهرا طويلا الى ان تسلطن الملك الظاهر جقمق فانعم عليه بامرة عشرة وذلك في سنة ست واربعين وثمانمائة وصار راس نوبة واستمر على ذلك الى سنة خمسين وثمانمائة فانعم عليه السلطان بتقدمة الف بدمشق فتوجه اليها ودام بدمشق الى ان تغير خاطر السلطان على الامير تاني بك الظاهري حاجب الحجاب بسبب محمد ناصر الكاشف الذي كان قد اشتهر بالصلاح فعند ذلك نفى السلطان الامير تاني بك الى ثغر دمياط فلما جرى ذلك سعى القاضي ابو الخير ابن النحاس وكيل بيت المال هو والامير تمربغا الدوادار الثاني الى الامير خشقدم فاحضره السلطان من دمشق وانعم عليه باقطاع الامير تاني بك حاجب الحجاب وذلك في صفر سنة اربع وخمسين وثمانمائة فاقام على ذلك الى ان مات الملك الظاهر جقمق وتسلطن الملك الاشرف اينال فبقي الامير خشقدم امير سلاح في دولة الاشرف اينال فبقي الامير خشقدم امير سلاح في دولة الاشرف اينال وسافر في ايامه باش العسكر في التجريدة التي توجهت الى حلب بسبب ابن قرمان فلما رجع من التجريدة اقام امير سلاح الى ان توفي الملك الاشرف اينال وتسلطن ولده الملك المؤيد استقر بالامير خشقدم اتابك العساكر عوضا عن نفسه وذلك في سنة خمس وستين وثمانمائة فلما وثبوا المماليك على الملك المؤيد في شهر رمضان كما تقدم

ذكر ذلك فاتفق راي الامرا على سلطنة الاتابكي خشقدم الى ان يحضر المقر السيفي جانم نايب الشام فيسلطنوه فلما بطا عليهم الامير جانم فسلطنوا الاتابكي خشقدم الى ان يحضر جانم فكانت سلطنة خشقدم نيابة عن جانم الى ان يحضر فكان كما قيل

وان صبابتي كانت مزاحا ، فصيرها الهوى حقا يقينا

فكانت سلطنة الاتابكي خشقدم في يوم الاحد سابع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة بعد صلاة الظهر وجلس في المقعد الذي في باب السلسلة وحضر الخليفة والقضاة الاربع وهم على الوصف المقدم ذكره فخلعوا الملك المؤيد من السلطنة وبايعوا الاتابكي خشقدم واحضروا له خلعة السلطنة فلبسها من المقعد الذي في باب السلسلة وركب من هناك وطلع الى باب سر القصر الكبير وحمل القبة والطير على راسه المقر السيفي جرباش كرد امير سلاح فلما جلس على سرير الملك وباس له الامرا الارض وتلقب بالملك الظاهر ودقت له البشاير ونودي باسمه في القاهرة وضج له الناس بالدعا ثم انه ارسل قيد الملك المؤيد واخذه في البحرة ثم انه ارسلها وقت الظهر من القلعة وخلفها اوجاقي بجنجر وارسلها الى السجن بثغر الاسكندرية وارسل معها الامير قراجا الطويل الاينالي وكان المتسفر عليها الامير خير بك المصارع فتوجه بها الى ثغر الاسكندرية وسجنها بها ورجع ثم ان السلطان كبس على خوند الخاصة بكبيه ام الملك المؤيد وجعل عليها عشرة من الخدام منهم خشقدم اللالا فصار يمشي على خوند الخاصة بكبيه ثم اخذ السلطان من خوند جملة كبيرة من المال نحو ماية الف دينار ثم ان في اواخر شهر رمضان توفي الامير يونس البواب الدوادار الكبير وكان صهر الملك الاشرف اينال فكثر عليه الحزن والاسف ثم ان السلطان عمل الموكب في القصر الكبير واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي جرباش المحمدي المعروف بكرد فاخلع عليه واستقر به اتابك العساكر عوضا عن نفسه واخلع على المقر السيفي قرقماس الجلب واستقر به امير سلاح عوضا عن جرباش كرد واخلع على المقر السيفي قانم التاجر المؤيدي واستقر به امير مجلس واخلع على المقر السيفي بيباي المؤيدي واستقر به حاجب الحجاب واخلع على المقر السيفي جاني بك نايب جدة واستقر به دوادار كبير عوضا عن الامير يونس البواب بحكم وفاته كما تقدم ثم انه نقل المقر السيفي بردبك البجمقدار واستقر به حاجب الحجاب واخلع على المقر السيفي بيبرس خال العزيز واستقر به راس نوبة النوب ثم اخذ عنه تمربغا لما مسك الامير بيبرس ونفي كما سيأتي ذلك في موضعه وكان تمربغا بمكة فلما حضر الى مصر استقر به راس نوبة النوب واخلع على المقر السيفي جاني بك الظريف واستقر به دوادار كبير ثاني وانعم عليه بتقدمة الف مع الدوادارية واخلع على المقر السيفي جاني بك الاشرفي واستقر به شاد الشربخاناه وانعم عليه بتقدمة الف مع الشادية واخلع على الامير اينال الاشقر واستقر به والي القاهرة واخلع على الامير تنم رصاص واستقر به محتسب القاهرة وانعم على جماعة كثيرة

من الامرا الاشرفيه وبامريات عشرة وليس كانت ولايات هذه الامرا في موكب واحد
بل كانت في مواكب متعددة حسبما ياتي ذكر ذلك في موضعه ثم ان الامير جاني نايب جدا
قرب جماعة من الاينالية ولم يمكن السلطان من التشويش عليهم منهم ازدمر الطويل وتاني بك
قرا وجاني باي الخشن وشاد بك اباظه وقانصوه المويدي وتاني المويدي فصار واهولا
من عصبة جاني بك نايب جده وكان متخيلا من جماعة الاشرفيه والمويدية فقوي بيت
شوكته وتعصبت له الاينالية واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد في تلك
الايام والسلطان خشقدم في قبضة يده يديره كيف يشا وكان السلطان خشقدم منه
ايضا باطنا فلازال الملك الظاهر خشقدم متسبب الى جاني نايب جده وبهاديه حتى انتهز
الفرصة في قتله وقتله كما سياتي ذكر ذلك في موضعه فكان لسان حال جاني بك نايب جده
يقول ❊ لانا متى عدوا دلودنا للصبيه ❊ لحبة السم تدعى في حالة الموت حبة ❊
انتهى فلما كان يوم التاسع والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة فيه جات الاخبار
بان المقر السيفي جانم وصل الى خانقاه سرياقوس وقد تقدم ان الامرا الاشرفيه ارسلوا
كاتبوه بان يحضر الى القاهرة مسرعة حتى يسلطنوه عوضا عن الملك المويد احمد بن الاشرف
اينال فلما ابطا عليهم وثبوا على الملك المويد وخلعوه من السلطنة وولوا الاتابكي خشقدم
سلطانا واستقر المقر السيفي جرباش كرد اتابك العساكر بمصر فلما حضر جانم من الشام
فوجد الفاعلة قد انخرمت والوظايف قد انقسمت وفات الشيا وعز المطلب فكان كما قيل
❊ وثب الثعلب يوما وثبة ❊ شغفا منه لعنقود العنب ❊
❊ لم ينله قال هذا حامض ❊ حصرم ليس لنا فيه ارب ❊
فلما بلغ الظاهر خشقدم حضور جانم نايب الشام فاضطربت احواله وترايدت اوجاله
فاجتمع بالامرا وضربوا في ذلك مشورة فوقع الاتفاق بان جانم يرجع الى الشام ولا يدخل
الى مصر وان يكون نايب الشام على عادته فتوجه اليه الصاحب علاي الدين بن الاهناسي
وصحبته خلعة الى الامير جانم بان يكون نايبا على عادته فتوجه اليه في ليلة عيد الفطر
وما له في الخانكة يوم العيد مده عظيمة ولم يمكن السلطان احدا من الامرا المقدمين
بان يتوجه اليه فتوجه اليه بعض امرا عشراوات من الاشرفيه منهم تمراز الشمسي وغير
ذلك ثم ان السلطان ارسل الى الامير جانم عشرة الاف دينار وانعم عليه بيرك الامير
يونس الدوادار وصيعه وصار يرضيه بكل ما يمكن فرجع الامير جانم الى الشام وهو يخفي
حنين وكان ذلك تو تيبا من الامير جاني بك نايب جده فانه كان كثير الحيل والخداع فلما
رجع الامير جانم الى الشام فارسل السلطان الى نايب قلعة الشام مراسيم في الدس بان يقبض
على جانم نايب الشام فادعى عليه بالمدافع وهو جالس في دار السعاده فهرب وقام من وقته
واخذ عياله واولاده وخرج من الشام هاربا فلما خرج نهبوا دار السعاده واخذوا
جميع بركه وقماشه فلما خرج من الشام توجه الى نحو مدينة الرها واستمر في هجاج وعصيان

فلما جات الاخبار الى القاهرة بذلك فعين له السلطان تجريدة وعين الامير جاني بك نايب
جده باش العسكر فاخذ في اسباب ذلك ثم ان السلطان انعم على خشقدم شبنه المقر السيفي
تنم المويدي واستقر به نايب الشام عوضا عن جانم الاشرفي لما تسحب من الشام فاقام الامير
تنم في نيابة الشام الى ان مات هناك ودفن بالشام **ثم دخلت** سنة ست
وستين وثمانماية فيها عمل السلطان الموكب في القصر الكبير فلما طلعوا الامرا واجتمعوا بالقصر
نقول في تلك الليلة على مسك جماعة من الامرا الاشرفيه فلما كان بعد العشا وغلقوا ابواب
القلعة دخلوا على الامرا وهم في القصر جماعة من المماليك الظاهرية وهم لابسين الزرد
والخود وبايديهم سيوف مسلولة ومع بعضهم قسي ونشاب فقبضوا على الامير جاني بك
الظريف والامير جاني بك المشد والامير بيبرس خال العزيز وغير ذلك من الامرا
الاشرفيه نحو من اثنى عشر انسان فلما قبضوا عليهم فقيدوا الامرا المقدمين ونزلوا بهم
من القلعة وهم الامير جاني بك الظريف والامير بيبرس خال الملك العزيز والامير
جاني بك المشد وغير ذلك من الامرا العشراوات فلما نزلوا بهم فتوجهوا بهم الى السجن بثغر
الاسكندرية فلما جرى ذلك وثبوا جماعة الاشرفيه على الملك الظاهر خشقدم ولبسوا
آلة الحرب وطلعوا الى الرميلة فنزلوا اليهم جماعة من المماليك الظاهرية فاتفقوا معهم
ثم ان المماليك الاشرفيه توجهوا الى الاتابكي جرباش كرد وكان في تربة الظاهر برقوق
بسبب موت ابنته التي ماتت نفسا وهي زوجة الامير اقبردي اليوسفي فلما توجهوا
اليه فاختفى الامير جرباش منهم في فسقية الوقى ولم يتابلهم فلازالوا ادابرين عليه
حتى طلعوه من فسقية الوقى وسلوا عليه السيوف واركبوه غصبا وشالوا على
راسه صنجق ودخلوا به من باب النصر وشقوا به من القاهرة ولقبوه بالملك الناصر
فصاروا العوام يضجون له بالدعا حتى وصل الى البيت الكبير الذي عند حدرة البقر
فاقام هناك ثم ان الاشرفيه قاتلوا قتالا هينا وكان راس هذه الفتنة الامير سنقر
قرق شبيق الزرد كاش وكان من شرار جماعة الاشرفيه فلم يطلبوا طبقة وصار ست
احوالهم سيبة ثم ان الملك الظاهر خشقدم ارسل الى الاتابكي جرباش بعض الخاصكيه
فتلطف به واخذه وطلع به الى القلعة فلما طلع تخلل عليه الامير جاني بك نايب
جده وقال له لله خفي كذى ملك ناصر فلم يرد عليه جواب فلما طلع الاتابكي جرباش
نزلوا المماليك الظاهرية واتفقوا مع المماليك الاشرفيه وقعة قوية فلم تكن الا ساعة
يسيرة حتى انكسروا المماليك الاشرفيه كسرة قوية واحاطت بهم كل دوية ولوا مدبرين
ورجعوا خايبين فعند ذلك توجه جماعة من المماليك الظاهرية الى بيت سنقر ونهبوا
ما فيه واحرقوه ثم قبضوا على الامير سنقر الزرد كاش وعلى جماعة كثيرة من الاشرفيه
ونفوهم في اماكن شتى وخمدت هذه الفتنة كانها لم تكن ثم ان السلطان نفى على جماعة
من الاينالية والناس ثم نفا الامير بردبك صهر الملك الاشرف اينال الى مكة

وفيها اخلع السلطان على خشداشه الامير جانى بك كوهيه واستقر به دوادارًا ثانى
عوضًا عن الامير جانى بك الظريف **وفيها** اخلع السلطان على الامير ايتبال الاشقر والى
القاهرة واستقر به نايب ملطية واخلع على الامير تمر الظاهرى واستقر به والى القاهرة
عوضًا عن اينال الاشقر **وفيها** عزل السلطان ناظر الخاص عبد الرحمن بن الكويز واستقر
بالقاضى شرف الدين الانصارى ناظر الخواص الشريفة عوضًا عن عبد الرحمن بن الكويز **وفيها**
انفصل السلطان قاضى القضاة علم الدين صالح من القضا واعاد القاضى شرف الدين يحيى
المناوى وكذلك انفصل القاضى سعد الدين الديرى من القضا وولى ابن الصواف عوضًا عنه
وفيها عزل السلطان الصاحب علاى الدين بن الاهناسى واخلع على الصاحب بن الصبعز
واستقر به وزيرًا **وفيها** عزل السلطان زين الدين يحيى الاستادار وولى مجد الدين بن
البزرى استادارًا عوضه **ومن الحوادث** فى هذه السنة ان النيل المبارك توقف فى
ابيب عند مبتدا الزيادة واقام فى ذلك التوقف نحو خمسة عشر يومًا لم يزد شيا فتحير
الناس من ذلك وتشحطت الغلال وضج سعر القمح الى الف درهم كل اردب وحصل للناس
الضرر الشامل لقلة الزيادة وقد خلت مصرى وقد قيل فى المعنى

ولقد عهدت النيل شيبا يرى ٭ عمرا ويتبع امره تشديدا
والآن اضحى فى الورى متشبها ٭ متوقفا ما ان يجى يزيدا

فلما استمر على ذلك رسم السلطان للقضاة ومشايخ الاسلام والعلما بان يتوجهوا للمقياس
ويبايتون به ويتلون هناك القرآن والحديث الشريف ويدعوا الى الله تعالى بزيادة النيل
فتوجه القاضى يحيى المناوى والسيد الشريف بن حريز المالكى وجماعة من العلما واقاموا
فى المقياس ايامًا ورجعوا ولم يزد النيل شيا فارسل السلطان الى الشيخ امين الدين يحيى
الاقصراى يستفتيه فى ذلك فقال الشيخ امين اجمعوا بنى العباس من الرجال والنسا
من صغارهم لكبارهم ثم يضعوا فى افواههم شيا من الماء ويجوز فى آنا ثم يصبونه فى
فسقية المقياس ففعلوا ذلك فكان فيه البركة ثم ان القاضى علم الدين البلقينى توجه
الى المقياس واقام هناك ثلاث ايام ففى اليوم الرابع زاد النيل ثلاث اصابع ففرحوا الناس
بذلك ودخل القاضى علم الدين وشق من القاهرة وقدامه رايات زعفران وانطلقت
له النسا بالزغاريت من الطبقات ثم زاد فى النيل فى تلك السنة وثبتت ثباتًا عظيمًا
الى اواخر توت وتوجه المقر السيفى قام التاجر وكسر السد وقد قال القايل

سد الخليج بكسره جبر الورى ٭ طرا فكل قد غدا مسرورا
البحر سلطان فكيف تواثبت ٭ عنه البشاير اذ غدا مكسورا

ثم عقيب ذلك عزل السلطان القاضى يحيى المناوى واعاد القاضى علم الدين صالح
البلقينى **وفيها** استقر الامير برسباى البجاسى فى نيابة طرابلس وخرج اليها واستقر
فى الحجوبية الكبرى الامير بردبك الجمقدار الظاهرى عوضًا عنه **ثم دخلت**

سنة سبع وستين وثمانمائة فيها جاءت الاخبار من حلب بان جانم نايب الشام قد قتل
وقيل ان بعض مماليكه قد قتله وهو فى قلعة الرها فلما صح هذا الخبر دقت الكوسات
ثلاث ايام وبطلت التجاريد التى كانت تعينت الى جانم نايب الشام ثم ان السلطان ارسل
قبض على الامير تمراز الاشرفى وسجنه فى قلعة المرقب ثم انه اشيع عنه انه قتل قتيلا فاتهمه
عليه السلطان كثيرًا وارسل اليه شخصا من المماليك يقال له الشادى فضرب عنقه على باب
السجن الذى بالمرقب وكان تمراز هذا سيئ الخلق مر اللسان مستحقًا لكل سوء وكان منفى
فى البلاد الشامية من اول دولة الملك الاشرف اينال واخر الامر قتل هناك ومضى امره
وفيها ارسل السلطان تجريدة الى نحو بلاد الفرنج برودس وكان باش العسكر الامير
بردبك الجمقدار **وفيها** كسفت الشمس كسوفًا فاحشًا من بعد الظهر الى قرب العصر
حتى اظلمت الدنيا فى اعين الناس **وفيها** اخلع السلطان على القاضى برهان الدين الديرى
واستقر به كاتب السر الشريف عوضًا عن القاضى محب الدين بن الشحنة واستقر القاضى
محب الدين بن الشحنة قاضى القضاة الحنفية عوضًا عن ابن الصواف **وفيها** توفى والد
المقر الشهابى احمد بن العينى وكانت وفاته فى يوم السبت فتوجه معها الى التربة الامير
جانى بك نايب جدة والقاضى ابراهيم كاتب السر بن الديرى فلما رجعوا من التربة خلط ابن
الديرى مع الامير جانى بك فى الكلام فقال لجانى بك ان هذه الميتة نزلت من القلعة
فى يوم السبت ولا بد ان يتبعها احد كبير واظنه السلطان فاخذ جانى بك منه هذا
الكلام ونقله الى السلطان فتغير خاطر السلطان على ابن الديرى فلما طلع الى الموكب فقال له
يا قاضى فى اى حديث ورد ان الميت اذا خرج فى يوم السبت لا بد ان يتبعه احد كبير
ثم قال له الزم بيتك فكان كما قيل

العقل زين والسكوت سلامة ٭ فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتى مرة ٭ ولقد ندمت على الكلام مرارا

ثم ان السلطان عزل ابراهيم بن الديرى من كتابة السر بسبب ذلك واخلع على القاضى زين
ابى بكر بن مزهر واستقر به كاتب السر الشريف عوضًا عن ابن الديرى فكانت مدة ولاية
القاضى برهان الدين بن الديرى دون الشهرين وتدسى فيها بخمسة الاف دينار **وفيها**
قبض السلطان على المهتار على قطلبس مهتار الاشرف اينال وسلمه الى الامير جانى بك نايب
جدة فضربه علقة قوية واخذ منه خمسة الاف دينار وباع املاكه وجميع ما يملكه حتى سد
تلك **وفيها** استعفا القاضى شرف الدين الانصارى من نظارة الخاص فاخلع عليه السلطان
واستقر به وكيل بيت المال واخلع على عبد الرحمن بن الكويز واعاده الى نظارة الخاص **وفيها**
توفى شيخ الاسلام قاضى القضاة الحنفى سعد الدين بن الديرى ودفن بتربة الظاهر خشقدم
وقد تولى القضا نحو ثلاثين سنة وكان من علما الحنفية **وفيها** استقر بركة كاشف المقال البرهان
مقدم المماليك عوضًا عن صندل الهندى **وفيها** استقر القاضى تاج الدين بن المقسى

فى نظارة الجيش عوضا عن الزينى بن مزهر **ثم دخلت** سنة ثمان وستين وثمانماية فيها عزل عبد الرحمن بن الكويز من نظارة الخاص واستقر بها الصاحب علاى الدين ابن الاهناسى واستقر ناظر الخاص ووزيرا فاقام على ذلك مدة ثم اختفى وغيب ناخلع السلطان على مجد الدين بن البقرى واستقر به وزيرا عوضا عن ابن الاهناسى واخلع على القاضى تاج الدين بن المقسى واستقر به ناظر الخاص ثم ان مجد الدين بن البقرى قبض على الصاحب علاى الدين بن الاهناسى فحبسه السلطان فى البرج الذى فى القلعة واحاط على موجوده فاخذ منه نحو ماية الف دينار ورسم بنفيه الى مكة فخرج وسافر فى البحر الملح وفى هذه السنة عظم امر الامير جانى بك نايب جدة والتف عليه جماعة الظاهرية من خشداشينه فكان ينزل من القلعة وعسكر مصر قدامه او لهم عند قناطر السباع واخرهم فى الرميله وساير المباشرين قدامه واستمر ذلك فى كل يوم وهو اول من احدث السعاة يمشون قدامه كلما ركب ونزل زيادة عظمة له فتثقل امره على الملك الظاهر خشقدم وكان الظاهر خشقدم انشا له مماليك كثيرة وثبتت قواعده فى السلطنة وصارت خشداشينه المويدية غالبهم امرا فعول على قتل جانى بك نايب جدة فى الباطن واضمر له السو ثم ان الامير جانى بك لما كملت عمارة العتبة التى انشاها فى ملتقيه المهراق فعمل هناك وقدة عظيمة واحضر صوارى طوال على البر وعلق فيهم قناديل وعمل على جماعة من الامرا ومد مدة عظيمة وكانت ليلة لم يسمع بمثلها وحضر هناك ابن رحاب المغنى وابراهيم بن الجندى وجماعة من قرا البلد والوعاظ وكان ذلك فى ليلة الجمعة فلما كان يوم الثلاثا تاسع ذى الحجة من السنة المذكورة فيه طلع الامير جانى بك نايب جدة الى القلعة على جارى العادة وكان معه تنم رصاص المحتسب وكان السلطان قد رسم جانى بك امير فى ذلك اليوم بمسك الامير قانم التاجر والامير قنبك المحمودى المويدى فطلع فى ذلك اليوم بيدرى وكانت المحمولية عليه والطبخة اليه كما قيل

ذكم من طالب يسعى لشى ● وفيه هلاكه لو كان يدرى

فلما طلع الى القلعة ودخل من باب القلعة ووصل الى الجامع فخرج اليه كمين من المماليك الاجلاب من مماليك الظاهر خشقدم فقتلوه هناك هو والامير تنم رصاص وادرموا على روسهما فى حجر بعد ان طعنوهما بالارماح حتى وقعا الى الارض موتا فلما اصبح الصباح غسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما بالقلعة ونزلوا بهما فدفن الامير جانى بك فى تربته التى انشاها خارج باب الزاقر فلما سمعوا مماليكه فلبسوا الة الحرب وطلعوا الى الرميله نادموا عليهم بالنشاب من باب السلسلة فولوا مدبرين وراحت على من راحت ولم ينتطح فى ذلك شاتين وكان الامير جانى بك نايب جدة اميرا عظيما صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة وكان صاحب حيل وخداع وهو الذى رتب الملك الظاهر خشقدم فى مسك الامرا الاشرفية ورجوع جانم نايب الشام الى الشام بعدما ترشح امره الى السلطنة

فكان حال جانى بك مع الظاهر خشقدم كما قيل فى المعنى

اعلمه الرماية كل يوم ● فلما اشتد ساعده رمانى

وكان الامير جانى بك مولعا بغرس الاشجار والشاعرة عيطان بجزيرة المهراق وكان كثير التنزه وكانت صفته اخضر اللون قصير القامة جدا مستدير اللحية شايب الذقن عارفا باحوال المملكة فصيح اللسان بالعربى اصله من مماليك الامير اسنبغا الطيارى وقدمه لمماليك الظاهر جقمق فهو معتوق الملك الظاهر جقمق من جملة مماليكه انتهى ذلك

ثم دخلت سنة تسع وستين وثمانماية فيها اخلع السلطان على خشداشه الفقيه بشبك واستقر به دوادار كبير عوضا عن الامير جانى بك نايب جدة واستقر فى الحسبة يشبك من البرد بكى المويدى عوضا عن تنم رصاص الظاهرى **وفيها** انعم السلطان على خشداشه الامير جانى بك كوهة بتقدمة الف واخلع على مملوكه الامير خير بك واستقر به دوادار ثانى عوضا عن جانى بك كوهة **وفيها** انعم السلطان على سبطه المقر الشهابى احمد بن العينى بتقدمة الف وفيه يقول سيدى على بن برد بك

يا طاهر الاصل يا سبط الملوك ● ومن حاز الطهارة من اصل بوجهين

البحر جدك والاجماع منعقد ● على طهارة ما البحر والعين

وفيها رسم السلطان للاتابكى جرباش كرد بان يتوجه الى ثغر دمياط هو وولده المقر الناصرى محمد بن خوند شقرا فخرجا من يومهما وتوجها الى دمياط واقاما بها فلما نفى الاتابكى جرباش كرد الى دمياط فاخلع السلطان على المقر السيفى قانم التاجر واستقر به اتابك العساكر عوضا عن جرباش كرد الناصرى **وفيها** عول السلطان على مسك جماعة من الامرا الظاهرية فعمل الموكب فى القصر الكبير فلما تكاملوا الامرا واجتمعوا بالقصر دخلوا عليهم جماعة من المماليك الاجلاب الخشقدمية فقبضوا على الامير تمر بغا الظاهرى راس نوبة النوب وقبضوا على الامير اذبك من ططخ صهر الملك الظاهر جقمق وقبضوا على الامير بوقوق احد الامرا المقدمين الاربعين وقانى باى الساقى فلما قبضوا عليهم قيدوهم ونزلوا بهم على الكاديش وخلف كل واحد اوجاقى بخنجر فتوجهوا بهم الى السجن بثغر الاسكندرية فلما ان وصلوا بهم الى ثغر الاسكندرية فاقاموا فى السجن ثلاثة ايام فطلع الاتابكى قانم التاجر الى القلعة ثم انه دخل هو وبقية الامرا وشفعوا فى الامرا الذى توجهوا الى السجن بثغر الاسكندرية فاجابهم السلطان الى ذلك ورسم باحضارهم فلما حضروا فاخلع عليهم ثم استقر بالامير تمر بغا امير مجلس عوضا عن قانم التاجر لما بقى اتابك العساكر واخلع على الامير ازبك من ططخ واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن تمر بغا ثم اخلع على الامير برد بك المحمدى واستقر به نايب حلب عوضا عن جانى بك الناجى واستقر جانى بك الناجى نايب الشام عوضا عن تنم المويدى فخرج اليهما وكان له طلبا عظيما ونزلوا معه الامرا الى ان وصلوا الى الريدانيه **وفيها** جات الاخبار من ثغر الاسكندرية بان الملك العزيز يوسف بن

الاشرف برسباى قد توفى الى رحمة الله تعالى فرسم السلطان باحضار جثته وان يدفن
على ابيه فى الصحرا ثم فى عقيب ذلك توفى اخاه سيدى احمد الذى كان مقيما عند الامير
تمر ناس الحلب ودفن على ابيه وقد انقرضت ذرية الملك الاشرف برسباى ولم يبق من
ذريته احد **وفيها** انفصل السلطان الصاحب مجد الدين بن البقرى من الوزاره واخلع
على الشرفى يونس دوادار الامير فيروز الزمام واستقر به وزيرا عوضا عن مجد الدين
ابن البقرى ولم يتم امره فى الوزاره فانفصله السلطان واخلع على الشمسى شمس الدين
محمد البباوى واستقر به وزيرا بمصر **اقول** وكان البباوى رجلا اميا لا يقرى
ولا يكتب وكان عاميا فى كلامه عن ثقله وهو اول زفورى تولى الوزارة وكان معاملا فى اللحم
وكانت صفته اسمر اللون غليظ الجسد اسود اللحية عنده عترسة ويبس وكان اصله
معاملا فى اللحم من جملة العاملين ولكن ادعو الله بذلك من الندم وفيه يقول بعض الشعرا

قالوا البباوى قد وزر ۞ فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب ـــ لا ۞ لا يد ور الا بالبقر ۞ وقال آخر
تجنب العلم والفضايل ۞ ومل الى الجهل ميل هايم
وكن حمارا مثل البباوى ۞ فالسعد فى طالع البهايم

فلما تولى الوزاره جار فيها على الوضع وسكن فى بيت الوزرا الذى فى بركة الرطلى ودقت
على بابه الكوسات ولبس الخف والمهامير وكان الظاهر خشقدم قد كان معه فرها بتله
جميع المباشرين وخافوا منه وكان يكبس البيوت على من ديبكر ويغرمه جملة مال تحت الليل
حتى ضجت الناس منه وكان له حرمة وافرة وكلمة نافذة وجاء على الناس مجى وحسى
فكان لا يقبل رسايل احد من الاكابر فضاد رفى ذرعة ولا بيته جماعة من اعيان الناس والتجار
وكان يكره من ديبكر ثم ان السلطان سلم الامير زين الدين الاستادار فاحضر له المعاصير
وقصد عصره فترامى عليه الامير زين الدين وصار يقبل اقدامه حتى عفى عنه من العصير
وكذلك جماعة كثيرة غير زين الدين الذين صاروا تحت امره واخذ اموالهم فكان كما قيل

ومن اعظم البلوى كريما اصابه ۞ قضاء وامسى تحت ذل لئيم

وفيها توفى قاضى القضاة الشافعى علم الدين صالح البلقينى فلما توفى القاضى علم الدين
صالح فاخلع السلطان على القاضى يحيى المناوى واعاده الى القضا ولم يتغير الامر جبيرة
وسعى عليه القاضى صلاح الدين بن احمد ابو كوت المكينى الشافعى فعزل السلطان القاضى
يحيى المناوى وولى صلاح الدين المكينى وفى ذلك اليوم عزل السلطان القاضى محب الدين
ابن الشحنة الحنفى وولى القاضى برهان الدين بن الديرى قاضى قضاة الحنفية فنزلوا
القاضيان فى يوم واحد ونزلوا من القلعة فى موكب واحد وعليهما التشاريف **وفيها** اخلع
السلطان على القاضى كمال الدين ابن القاضى جمال الدين ناظر الخاص واستقر به ناظر الجيش
وكان الساعى له الامير خايربك الدوادار الثانى فانه كان صهره زوج اخته

وفيها حجت خوند الاحمدية زوجة السلطان خشقدم وكان المقر الشهابى احمد بن العينى
امير المحمل وكان الشرفى يحيى بن الامير يشبك الفقيه امير اول وحج الامير يشبك الفقيه
مع ولده فى تلك السنة **اقول** وقد اظهر المقر الشهابى احمد بن العينى فى هذه
الحجة من العظمة والكبريا ما لا اظهره غيره من ابنا الملوك فصنع اكوازا من الذهب مرصعة
بفصوص ياقوت وبلخش وفيروز وصنع لها بيتا مثلث بذهب ولولو وريش وخرج
من القاهرة فى موكب عظيم وساير الامرا قدامه وخوند الاحمدية فى محفة زركش فكان له
يوما مشهودا **وفيها** توفى الامير جانى بك المرتد الناصرى ومات وهو طرخانا وكان
السلطان اخرج عنه التقدمة **وفيها** امطرت السما وجاء رعد وبرق وهبت ارياح
باردة وذلك فى اواخر بشنس بعد ان قلع السلطان الصوف فلبسوا الصوف بعد ذلك
اياما **وفيها** فى جمادى الاخر كانت وفاة الشيخ شهاب الدين بن ابى السعود احد شعرا
٨٧٠ العصر وهو من السبعين الشهب **ثم دخلت** سنة سبعين وثمانماية فيها عاد
المقر الشهابى احمد بن العينى من الحجاز وخوند الاحمدية وكان لهم يوما مشهودا **وفيها**
كانت وفاة الصاحب العلاى على ابن الاهناسى توفى بمكة المشرفة ودفن هناك وكذلك
الامير بردبك صهر الملك الاشرف اينال توفى بمكة ودفن هناك قيل مات قتيلا فى رابغ
من الريا ثم نقل من رابغ الى مكة ودفن بها **وفيها** عزل السلطان قاضى القضاة صلاح
الدين المكينى وولى القاضى ابو السعادات البلقينى فاقام فى قضايته القضا ادون شهر
ثم سعى عليه القاضى ولى الدين الاسيوطى وكان الساعى له الامير خيربك الدوادار
الثانى فتولى الاسيوطى وعزل القاضى ابو السعادات **وفيها** اعاد السلطان القاضى
محب الدين بن الشحنة الى قضاية الحنفية **وفيها** اخرج السلطان تجريدة الى بر الجيزة
بسبب فساد العربان وكان باش العسكر الامير بلباى المؤيدى امير اخور كبير والامير
بردبك هجين فطردوا من هناك العربان واقاموا مدة ورجعوا وقتل من المماليك السلطانية
ستة لما التقوا مع العربان **وفيها** نزل السلطان الى الرماية وشق من المدينة وزينت
له وكان له موكبا عظيما **وفيها** عزم المقر الاتابكى قايتباى على السلطان فى الربيع فنزل
اليه هو وساير الامرا والعسكر فمد له الاتابكى قايتباى هناك سماطا عظيما قيل كان مصروفه نحو
الف دينار فتفرق الاكل على جميع العسكر واحضر للسلطان هناك ارباب الملاعب من
المشعوذين وغير ذلك فانشرح السلطان فى ذلك اليوم الى الغاية هو والامرا ولما رجع السلطان
دخل الى بيت منصور الاستادار وتوجه الى الصاحب شمس الدين البباوى ثم طلع الى القلعة
فى موكب عظيم **وفيها** نزل السلطان وفتح الخليج وكسر السد وهذا لم يعهد من بعد
الملك المؤيد شيخ بان سلطانا لم ينزل ويكسر السد بنفسه **وفيها** اخلع السلطان على منصور
القبطى واستقر به وكيلا كاستادارا فاقام بها مدة ثم قبض عليه وسجنه بالمقشرة ثم اخلع
على شرف الدين بن كاتب غريب واستقر به استادارا ثم افرجوا على منصور القبطى كونه دقم يوما

عنده تحت شباك المدرسة الصالحية **وفيها** فى اواخر هذه السنة يوم الاربعا ثامن عشرين
ذى الحجة فيه نزل الصاحب شمس الدين البباوى من بيته الذى سكن فيه على بركة الرطلى
فنزل فى موكب عظيم وتوجه الى نحو قناطر ابو المنجا فلما رجع ووصل الى فم خليج الزربية
فانقلبت به المركب هناك فغرق قريب البر فطلعوا بجميع ما غرق معه حتى حق الدقاق
وهو لم يظهر له خبر ولا وقف له على اثر حتى ولا فى شطوف التى هى محط رجال الغرقا
فكان من يجيز قوم نوح اغرقوا فادخلوا نارا وقد قال القايل فيه

لا تكرهوا الموت ان فيه	حصاد من طاب مع خبيث
فمستريح ومستراح	منه كما جاء فى الحديث

فلما غرق البباوى اخلع السلطان على يحيى بن صنيعه ثم قاسم وعبد القادر واشتركا فى
التكلم فى الوزارة ثم انفرد بها الزينى قاسم واستمر على ذلك مدة طويلة **ثم دخلت**
سنة احدى وسبعين وثمانماية فيها توفى الاتابكى تانم التاجر وتدمات بحكاية سنة
ليلة واحدة فلما مات اخلع السلطان على المقر السيفى يشباى المويدى واستقر به اتابك
العساكر عوضا عن تانم التاجر ثم اخلع على المقر الشهابى احمد بن العينى واستقر به امير
اخور كبير عوضا عن يشباى المويدى فتزايدت عظمة المقر الشهابى احمد بن العينى فى
تلك الايام وصار صاحب الحل والعقد بمصر وصار له حرمة وافرة وكلمة نافذة
وهو الذى انشا القصر العظيم المطل على البحرة بجزيرة المهرانى ولما كملت عمارة هذا
القصر نزل السلطان اليه واقام هناك الى بعد العصر وتنزه فى ذلك اليوم على البحر
وانشرح وكان يوما بالسلطان **وفيها** عزل السلطان خازندار الامير جانى بك نايب
جدا المسمى برسباى وكان شاب صغير فناسفت عليه الناس **وفيها** حضر الى الابواب
الشريفة قاصد بن عثمان ملك الروم فاكرمه السلطان الى ان عاد الى بلاده **وفيها** نزل
السلطان الى المطرية والمطرية ولبس الصوف هناك وشق من المدينة وزينت له وكان
له موكب عظيم **ثم دخلت** سنة اثنين وسبعين وثمانماية فيها تزايدت عظمة ٨٧٢
السلطان خشقدم وبلغت عدة مماليكه نحو اربعة الاف مملوك وصارت غالب خشداشينه
مقدمين الوقت منهم الاتابكى يشباى والامير بيشبك الفقيه والامير مغلباى طاز والامير
قنبك المحمودى والامير جانى بك كوهيه وغير ذلك جماعة كثيرة امرا طبلخانات
وعشرات ثم امر جماعة كثيرة من مماليكه منهم الامير خيربك الدوادار ثانى ومنهم
الامير خشكلدى البيسقى ومنهم الامير كسباى والامير مغلباى المحتسب والمقر
الشهابى احمد بن العينى وغير ذلك جماعة كثيرة من مماليكه **وفيها** جاءت الاخبار من حلب
بان الخارجى تحرك على البلاد فقال له شاه سوار فرسم السلطان للامير برديك الجمقدار
نايب حلب بان يخرج اليه فخرج اليه ثم جات بعد ذلك الاخبار بان برديك نايب
حلب لما خرج الى سوار فالتقى عليه واظهر العصيان على السلطان وقصد التوجه الى

الشام فلما بلغ السلطان ذلك فاضطربت احواله وعين الى سوار تجريدة وبها من الامرا
جماعة مقدمين الوقت ثم ان السلطان دور المحمل الرجبى فى تلك السنة على جارى العادة
فلما كان ليلة حراقة النفط بالرميلة فاحترق بالنفط فى تلك الليلة سقف الاصطبل
السلطانى ولم يتم امره من بعد ذلك ثم ان النيل المبارك اوفى فى تلك السنة فنزل السلطان
لكسر السد بنفسه على جارى العادة فكان له موكبا عظيما وكان ذلك اخر مواكبه فلما
كسر السد وطلع الى القلعة حم من يومه ولزم الفراش ثم ثقل فى المرض وتسلسل وكان
القايم بتدبير امور المملكة الامير خيربك والمقر الشهابى احمد بن العينى ففيتو الامير
ازبك من ططخ راس نوبة النوب بان يخرج الى العقبة بسبب فساد العربان فخرج وتوجه
الى العقبة ثم عينوا الامير قرقماس الجلب امير سلاح والامير بيشبك الفقيه امير دوادار
كبير بان يتوجهوا الى نحو الصعيد بسبب فساد العربان وكل ذلك على لسان السلطان وهو
ملازم الفراش على غير استعداد فخرجوا هولا الامرا مسرعين من غير تاخير وكان الامير خيربك
متخيلا من هولاء الامرا فاخرجهم بسرعة حتى يصفا له الوقت ويبلغ قصده فكان كما قيل

وساعدتك الليالى فاغتررت بها	وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وفى مدة توعك السلطان اضطربت احوال الديار المصرية وصار الامير تمر الوالى
يطوف كل ليلة فى المدينة ومعه مماليكه ملبسة والمشاعلية تنادى فى الليل ان لا يمشى
احد بالليل وكان كل من راه يمشى بالليل يقطع انفه واذنه ثم استمر السلطان مريضا
نحو اربعين يوما فلما كان يوم السبت بعد الظهر عاشر ربيع الاول سنة اثنين وسبعين
وثمانماية فيه توفى الملك الظاهر خشقدم ودفن فى تربته التى انشاها فى الصحرا ومات
وله من العمر نحو خمسة وسبعين سنة ومات نحى كبير وخلف من الاولاد صبيان وهما
سيدى منصور واخيه **فكانت** مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية
ست سنين وخمسة اشهر وعشرون يوما بما فيه مدة توعكه وانقطاعه **وكان** ملكا
جليلا مهابا كفوا للسلطنة عارفا باحوال المملكة وكان حسن الشكل معتدل القامة مدور
الوجه احمر اللون مستدير اللحية ضخم الجسد شايب الذقن فصيح اللسان بالعربى **وكانا**
ماشيا على النظام القديم تابعا لطريقة الملوك السالفة فى عمل المواكب بالقصر الكبير
والبيت ابر فى كل ليلة اثنين وخميس وكان ماشيا على طريقة استاذه المويد شيخ فى كسر
السد بنفسه ولبس الصوف فى المطعم وكان كثير الرمايات فى كل سنة ويبنق من القاهرة
فى المواكب الجليلة **وكان** يدور فى كل سنة المحمل فى رجب ويشون الرماحة على جارى
العادة اربعين يوما ثم يلبسوا الاحمر وتزين القاهرة ثلاثة ايام ويخرج الناس فى القصف
والفرجة عن الحد وكانت ايامه كلها لهو وانشراح ولم يجا فى ايامه طاعون بمصر ولما
جرد تجريدة الى البلاد الشامية وكان ترفا فى ملبسه فصنع له ركبا من الذهب وهما ايز
من الذهب وكان يلبس الصوف الفاخر ويبطنه بالمخمل الاحمر الكفوى وكان يلبس

السمور الاسود الذي لون الحبر لا يوجد الآن وكان اذا ركب وساق لا ينزعج لميله
من تحت فخذه ولو ساق سوقا قويا وكان كريما على من يستحق الكرم بخيلا على من يستحق البخل
ولكن كان من مساويه جور مماليكه في حق الناس ومن مساويه انه كان سريع العزل للقضاة
والمباشرين ويأخذ اموالهم ويعزلهم بسرعة ومن مساويه قتل جاني بك نائب جدة من
غير ذنب واخذ اموال ابن الاهناسي حتى دخل بيته بغير حق ولم يترك لاولاده شيئا
وقتل جماعة من الامرا بغير ذنب وفي الجملة انه كان قليل الاذى بالنسبة لمن جاء من الملوك
وكان يحب العلما والصلحا وكان ينقاد الى الشريعة وكانت البلاد في ايامه هادئة من الفتن
وهو آخر من مشى من الملوك على النظام القديم **واما** من توفي في ايامه قاضي القضاة
سعد الدين الديري الحنفي وصالح البلقيني ويحيى المناوي وشمس الدين الزافي من اعيان
نواب المالكية والاتابكي قانم التاجر وسيدي محمد بن الاشرف اينال توفي بثغر الاسكندرية
وتوفي الامير تنم نائب الشام بدمشق وتوفي الامير جاني بك المرتد الناصري وتمر
باي ططر احدى المقدمين وتوفي الامير جاني بك الظريف يسجن المرقب ونقل بعد
موته الى مصر ودفن بالصحرا في التربة التي عمرت له بعد موته وتوفي من المشايخ الزهاد
الشيخ عمر الكردي والشيخ محمد الشريفي الشاذلي والشيخ علي الطيبي وتوفي في ايامه من الشعرا
شهاب الدين بن ابي السعود توفي بمكة وسيدي علي بن بردبك والشيخ شهاب الدين
ابن صالح وكان من فحول الشعرا ومن شعره فيمن اهدى اليه بطيخا وقطرا فقال في ذلك

بعثت الي بطيخا وقطرا ... يبشر ذاك هذا في الصفات
هما نوعان عند الذوق كل ... تولد في الحقيقة من نبات

انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الظاهر خشقدم وذلك على سبيل الاختصار منها

ذكر سلطنة الملك الظاهر ابي النصر سيف الدين بلباي المؤيدي

وهو التاسع والثلاثون من ملوك الترك واولادهم بمصر
وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة واولادهم في العدد بمصر بويع له بالسلطنة بعد
موت الملك الظاهر خشقدم فتسلطن في يوم السبت بعد العصر في اليوم العاشر
من ربيع الاول سنة اثنين وسبعين وثمانمائة اقول وكان اصله جركسي الجنس جلبه
الامير اينال ضضع من بلاد الجراكسة فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ في سنة عشرين
وثمانمائة فاقام في الطبقة مدة ثم اعتقه واخرج له خيلا وقماشا وصار جمدارا ثم بقي
خاصكي ثم بقي ساقي في دولة الملك الظاهر جقمق ثم بقي امير عشرة ثم بقي امير اربعين
ثم بقي مقدم الف في دولة الملك الاشرف اينال ثم بقي حاجب الحجاب في دولة الملك
الظاهر خشقدم ثم بقي امير اخور كبير ثم بقي اتابك العساكر بعد موت قانم التاجر
في سنة سبعين وثمانمائة فلما توفي الظاهر خشقدم وقع الاتفاق على سلطنته دون
الامرا فحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة الاربع فاجتمعوا في المقعد

الذي في باب السلسلة وبايعوه بالسلطنة ثم احضروا له خلعة السلطنة فلبسها
وركب من المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباسوا الامرا
الارض وتلقب بالملك الظاهر ودقت له البشاير ونودي باسمه في القاهرة وضجوا
الناس له بالدعا **ومن العجايب** انه لما تسلطن لم تحل على راسه القبة والطير لانه
تسلطن والباقي للمغرب خمسة درج فتفالوا الناس بسرعة زواله وقالوا الذي يتسلطن وقت
بعد العصر وقت المغرب فيستنقض فلما تم امره في السلطنة عمل الموكب وانعم على من يذكر من
الامرا وهم المقر السيفي تمربغا امير مجلس واستقر اتابك العساكر عوضا عن نفسه
وانعم على المقر الشهابي احمد بن العيني واستقر امير مجلس عوضا عن تمربغا فنزل ابن
العيني من باب السلسلة وسكن في بيت جاني بك نائب جدة المطل على الخليج ثم انعم على
المقر السيفي قنبك المحمودي واستقر امير سلاح عوضا عن قرقماس الجلب وانعم على
المقر السيفي بردبك هجين واستقر به امير اخور كبير عوضا عن ابن العيني فلما فعل ذلك
لم يتم امره في السلطنة وبان عليه العجز وكان حشني قليل العرفة لانه كان يدعى بلباي
المجنون فصار منقادا مع الامير خير بك الدوادار يشيره ولا يتصرف في شيء من امور
المملكة الا براية وصار مع المماليك الخشقدمية في غاية البلية ثم ان الامير خير بك
اشار على السلطان بان يمسك الامير قرقماس الجلب والامير ازغون شاة استادار
الصحبة فارسل بالقبض عليهما وكان الملك الظاهر خشقدم ارسلهما الى نحو الصعيد
مع تجريدة العقبة كما تقدم فارسل فقبض عليهم من هناك وارسلهما الى السجن بثغر الاسكندرية
فلما وقع ذلك نفرت منه قلوب الرعية وكان تدبيره في تدميره ثم لما انفق على
العسكر قطع نفقة اولاد الناس والخدام فكثر عليه الدعا ثم ان النفقة تشحطت
فذلك الى الامير خير بك فقال له يا مولانا السلطان ان كان في حاصلك شيا من المال
تنفقه على العسكر وقد صارت الخزاين بيدك خذ منها ما شيت فتم منه وطلع ماله
جبر حالة واحدة تنفقه على العسكر وقد نفدته ما كان حصله من حين كان جندي
ثم بعد ايام حضر الامير ازدمر من طوغ راس نوبة النوب والامير جاني بك قلقسيز
حاجب الحجاب وكان السلطان خشقدم ارسلهما الى العقبة بسبب فساد العربان فلما
حضرا كان صحبتهم جماعة كثيرة من العربان نحو ستماية انسان وكان الامير ازدمر انتهى
في هذه السفرة الى الازلم فلما عرضوا العربان على السلطان بلباي فامر بتوسيطهم اجمعين
ولم يعرف الظالم من المظلوم فصار ذلك اخذ منه وكان فيهم صغار دون البلوغ ثم لما رجع
الامير ازدمر من العقبة فاشار الامير خير بك على السلطان بلباي بان يستقر نايب
الشام فلما طلع الامير ازدمر يوم الجمعة الى القلعة فانعم عليه السلطان بعد صلاة الجمعة
وهو في باب الستارة خلعة واستقر به نائب الشام ورسم له بان يتوجه الى الشام بعد
ثلاثة ايام فخرج الى الشام في يوم الاثنين في اواخر ربيع الاول من السنة المذكورة فلما

الامير ازبك الى الشام فعمل السلطان الموكب واخلع على الامير قايتباى المحمودى واستقر
به راس نوبة النوب عوضا عن الامير ازبك لما بقى نايب الشام ثم ان الامير يشبك
الفقيه حضر من الصعيد فاقره على حاله دوادارا كبيرا كما كان وكل ذلك بتدبير الامير
خيربك الدوادار ثم ان الامير يشبك الفقيه قصد الوثوب على الامرا الخشقدمية
وان يقبض على جماعة منهم فجمع خشداشينه وهم تنبك المحمودى امير سلاح والامير
جانى بك كوهية والامير مغلباى طاز والامير طوخ الزردكاش وجماعة المؤيدية
كلهم فلبسوا آلة الحرب وركبوا في يوم الخميس فلما تحقق العسكر ذلك التف
عليهم جماعة الاينالية وجماعة الاشرفية والمماليك السيفية وتوجهوا الى بيت الامير
يشبك الفقيه فعند ذلك طلع الامير يشبك الى المدرسة التي تسمى الجاولية فقعد
هناك وحفر خنادقا عند المدرسة الصرغتمشية وواحدا عند الكبش وواحدا
عند قناطر السباع ثم ركبوا المكاحل في شباك المدرسة الجاولية واستمروا في ذلك
اليوم كله يتقنطروا مع المماليك الخشقدمية فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة نزل
الامير قايتباى راس نوبة النوب من القلعة ومعه جماعة من المماليك الاينالية والظاهرية
فتوجهوا الى عند الامير يشبك الفقيه واتقعوا معه فكان بينهم وقعة عظيمة
وقتل في ذلك اليوم ثلاثة من المماليك السلطانية فلما كانت ليلة السبت هرب
الامير يشبك الفقيه وهربوا جماعة الامرا المؤيدية وانكسروا كسرة قوية فنهبوا
العوام بيوتهم وولى سعدهم وانقلبت عكوسهم فخابت امالهم ولم يفد اجتهادهم كما قيل

اذا لم يكن عون من الله للفتى ٭ فاول ما يجنى عليه اجتهاده

فلما كان يوم السبت سابع جمادى الاول من السنة المذكورة اجتمعوا الامرا بالقلعة
واحضروا الخليفة والقضاة الاربع وخلعوا الظاهر بلباى من السلطنة ووقع
الاتفاق من الامرا على سلطنة الاتابكى تمربغا كما سياتى ذكر ذلك فى موضعه ثم ادخلوا
الظاهر بلباى الى البحرة وقيدوه ثم قبضوا على الامير تنبك المحمودى امير سلاح
وقيدوه وادخلوه البحرة ثم ان الامير يشبك الفقيه توجه الى عند الامير قايتباى
ثم قبضوا على الامير جانى بك كوهية ومغلباى طاز وطوخ الزردكاش وبقية
المؤيدية من كبير وصغير ولم يتركوا منهم احد فاما الملك الظاهر بلباى فانه اقام
فى البحرة يومين ثم نزلوا به هو والامير تنبك المحمودى وتوجهوا به الى السجن بثغر
الاسكندرية واما الامير يشبك الفقيه وطوخ الزردكاش فتوجهوا بهما الى ثغر
دمياط واما جانى بك كوهية ومغلباى طاز فما ادرى فى اى مكان توجهوا بهم قيل
الى ثغر دمياط مع الامير يشبك الفقيه فكانت مدة سلطنة الملك الظاهر
بلباى بخلاف شهرين الا اربعة ايام فكانت كانها سنة من النوم كما قيل فى المعنى

ركب الاهوال حتى ذوقته ٭ ثم ما سلم حتى ودعا

ودبر ذلك دولة المؤيدية كانها لم تكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير وكان الظاهر
بلباى من عمره ارذل قليل المعرفة وكان يعرف بلباى المجنون وكان عمره كله فى غلاسة
هو ومماليكه وكان ملبسه غلس من عمره وشكله سمج وتدبيره سيء فجمع بين قبح الفعل
والشكل وسوء الطباع وعقد اللسان فكان كما قيل

وفظ غليظ الطبع لا ود عنده ٭ وليس له بر للاخلا تانيس
تواضعه كبر وتقريبه جفا ٭ وترحيبه مقت وبشراه تعبيس

وقد زال سعده جملة واحدة وكانت ايامه اشر ايام مع قصرها وخرج ماله على النحس
وجا وكان مع خيربك الدوادار الثانى غاية الضنك ليس له فى السلطنة الا مجرد الاسم
فقط ولا يتصرف فى شى من امور المملكة الا بمشورة الامير خيربك حتى سمته العوام
ايش كنت انا اقول لو وكان خيربك جعل السلطان بلباى آلة وهو يمهد لنفسه فى
الباطن وقد تطمعت اماله فى السلطنة وحدثته نفسه بذلك والله غالب على امره انتهى
ما اوردناه من اخبار دولة الملك الظاهر بلباى وذلك على سبيل الاختصار منها تمت

ذكر سلطنة الملك الظاهر ابى سعيد تمربغا الظاهرى

وهو الاربعون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثانى من ملوك الروم
بمصر فى العدد الاول وكان اصله رومى الجنس من مشتروات الملك الظاهر جقمق
ورباه وهو صغير فلما تسلطن جقمق جعله خاصكيا ثم بقى من جملة السلحدارية ثم بقى
خازندار ثم بقى امير اربعين ثم بقى دوادار ثانى فى ايام دولة جقمق وسافر الى الحجاز
امير اول فى سنة تسع واربعين وثمانماية ثم بقى مقدم الف فى دولة الملك المنصور
عثمان بن جقمق ثم نفى الى ثغر الاسكندرية وسجن بها نحو ست سنين ثم نقله الملك
الاشرف اينال الى مكة فاقام بها نحو ثلاث سنين فلما تسلطن الظاهر خشقدم رسم
باحضاره من مكة فلما حضر اخلع عليه واستقر راس نوبة النوب عوضا عن قرقماس
الجلب فاقام على ذلك مدة ثم نفاه الظاهر خشقدم الى ثغر الاسكندرية فاقام فى
السجن ثلاثة ايام هو والامير ازبك من ططخ فشفع فيهم الاتابكى قانم التاجر فرسم
السلطان باحضارهم فلما حضر اقام على ذلك مدة ثم بقى امير مجلس لما بقى الاتابكى
جرباش كرد الى ثغر دمياط عندما بقى قانم التاجر اتابك العساكر ثم بقى اتابك العساكر
فى دولة الملك الظاهر بلباى عندما تسلطن فلما ركبوا المؤيدية وانكسر الامير يشبك
الفقيه فخلعوا بلباى من السلطنة ثم وقع الاتفاق من الامرا على سلطنة الاتابكى تمر
بغا فاحضروا الخليفة والقضاة الاربع وبايعوه بالسلطنة وذلك فى يوم السبت
سابع جمادى الاول سنة اثنين وسبعين وثمانماية فلبس خلعة السلطنة من الحراقة
التى فى باب السلسلة وركب من سلم المقعد وطلع من باب سر القصر الكبير وحمل
القبة والطير على راسه المقر السيفى قايتباى راس نوبة النوب فلما جلس على سرير الملك

باسوا له الأمرا الارض وتلقب بالملك الظاهر ايضا ودقت له الكوسات بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة وضجوا له الناس بالادعيه الفاخرة وفرح غالب الناس بولايته لانه كان رجلا عاقلا عارفا باحوال الرعية والمملكة وكان كفوا للسلطنة وقد اشتمل على جملة من المحاسن في علم الفروسية وغير ذلك من ساير الفنون حتى كان يعد بين في الفتيان وكان يعقد التركاوات الحرير بيده وله غير ذلك محاسن كثيرة في فنون لعب الرمح والنشاب ولكن لم يساعده الزمان وجنى عليه وخان فلم تكن حركاته سعيدة ولم تكن ايامه مديدة فكان كما قيل

؛ اني تاملت الزمان وفعله ؛ فخفض ذي شرف ورفع الارذل ؛
؛ كطبايع الميزان في افعاله ؛ نقص الرواجح والنواقص تعتلي ؛

فلما استقر امره في السلطنة عمل الموكب بالقصر الكبير فانعم على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي قايتباي المحمودي واستقر به اتابك العساكر عوضا عن نفسه وانعم على المقر السيفي جاني بك قلقسيز واستقر به امير سلاح عوضا عن قايتباي المحمودي وانعم على المقر السيفي خاير بك واستقر به دوادار كبير عوضا عن يشبك الفقيه وانعم على المقر السيفي خشكلدي البيسقي واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن قايتباي المحمودي وانعم على المقر السيفي تمر الوالي واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن برديك هجين لما بقي امير اخور كبير واستقر بها في دولة الملك الظاهر تمربغا وانعم على الامير كسباي الخشقدمي واستقر به دوادار ثاني عوضا عن الامير خاير بك وفي تلك الايام كتب الامير كسباي كتابه على خوند بنت الملك الاشرف اينال ولكنه لم يدخل عليها ثم ان السلطان تمربغا افرج عن الامير قرقماس الجلب واحضره من ثغر الاسكندرية ثم رسم بالافراج عن الامير تمراز الحسني واحضره من ثغر الاسكندرية ثم رسم بالافراج عن الامير تمراز الشمسي واحضره من ثغر دمياط وكذلك الامير دولاتباي النجمي وهو لاجين من مماليك الاشرف برسباي ثم انعم على الامير مغلباي الخشقدمي بتقدمة الف وانعم على جماعة كثيرة من الخشقدميه بامريات عشرة وامريات اربعين ثم انه رسم بتقدير المحمل الرجبي في تلك السنة فسافروا الرماحة على العادة في الزائد **ومن الحوادث** في ايامه انه قبض على الشرفي يحيى بن الامير يشبك الفقيه وصادره واخذ منه نحو عشرة الاف دينار وكان قصده يصادر اعيان الناس بسبب النفقة وقد صار مع المماليك الخشقدميه تحت الطبلخانة والنهر في كل يوم فلما كان يوم الاثنين سادس رجب عمل السلطان الموكب في القصر الكبير وطلعوا الامرا على جاري العادة الى القلعة فطلع الامير خاير بك ودخل الى القصر فلما كان وقت المترب واغلقوا باب القلعة فدخلوا جماعة من المماليك الخشقدميه ومعهم سيوف مسلولة فقبضوا على السلطان تمربغا وهو جالس في الخرجاه المطلة على الرميلة وقبضوا على جماعة من الامرا وحبسوهم تحت الخرجاه التي يجلس فيها السلطان وكان الامير خاير بك اتفق مع المماليك الاينالية في الباطن بانه يمسك الامرا الظاهرية والسلطان

وتقصير الاينالية والخشقدميه شيا واحدا وانه اذا مسك السلطان من فوق فتركب الاينالية من اسفل ويمسكوا بقية الامرا وان خاير بك يتسلطن فاخطوا منهم الحساب وضلوا عن الصواب كما قيل في المعنى

؛ يريد المرء ان يعطى مناه ؛ ويابي الله الا ما اراد ؛

فلما مسك السلطان تمربغا ومعه جماعة من الامرا الذي طلعوا الى القلعة في تلك الليلة ظن خاير بك انه قد تسلطن ووصل الى ذلك فجلس على سرير الملك وتلقب بالملك الظاهر مثل استاذه خشقدم وباسوا له الخشقدميه الارض وانعم على جماعة منهم بوظايف سنيه وتصرف في تلك الليلة بما يقتضيه له الاختيار ولسان الحال ينا ديه كلام الليل يمحوه النهار وكان الاتابكي قايتباي غايبا في الربيع لم يطلع في تلك الليلة مع الامرا فلما بلغه مسك السلطان والامرا فركب تحت الليل ودار على جماعة الظاهريه من خشداشينه ثم داروا على الاينالية واستمالوهم عن خاير بك وقالوا لهم نحن نرضيكم فوقع الاتفاق في تلك الليلة على خلع السلطان تمربغا وان الاتابكي قايتباي هو السلطان وان يقبضوا على الخشقدميه كلهم فلما وقع القرار على ذلك فباسوا الارض تحت الليل للاتابكي قايتباي اعيان الاينالية واركبوه وطلعوا به الى الرميلة فلما بلغ خاير بك ما جرى فاضطربت احواله وضاق به الامر وادركه طلوع النهار فاخرج السلطان تمربغا من تحت الخرجاه والامرا الذي سجنوا معه واجلس السلطان على مرتبته وباس له الارض ثم انسحب بين يديه وقال له وسطني فاني كنت باغي عليك فقال له السلطان يا امير دوادار لا انا ولا انت بقي لنا بقا فلما طلع النهار ملكوا الظاهرية والاينالية باب السلسلة وانكسرت الخشقدميه فطلع الاتابكي قايتباي الى باب السلسلة وجلس في المقعد الذي يطل على الرميلة وحضر الخليفة والقضاه الاربع ثم خلعوا الظاهر تمربغا من السلطنة وولوا الاتابكي قايتباي كما سياتي ذكر ذلك في موضعه فلما طلع السلطان قايتباي الى القلعة فقبض على المقر السيفي خاير بك وعلى المقر الشهابي احمد بن العيني وعلى الامير كسباي الدوادار والامير خشكلدي المعروف بالبيسقي وعلى الامير مغلباي وعلى جماعة كثيرة من الامرا الخشقدميه فقيد والامير خاير بك وابن العيني وسجنوا في مكان بالقلعة ومعهم المهتار عبد الكريم **واما** الملك الظاهر تمربغا فادخلوه الى البحرة من غير قيد وهو في غاية العز والعظمة واكرمه السلطان قايتباي غاية الاكرام فانه كان اغاته جميع ظاهرية خشقدم جقمق والكل كان آوامن بعده ثم ان السلطان رسم للملك الظاهر تمربغا بان يتوجه الى ثغر دمياط من غير قيد ولا بجني ورسم له بان يركب الى صلاة الجمعة وان يتنزه في غيطان دمياط فنزلوا به تحت الليل وتوجهوا به في مركب الى ثغر دمياط فاقام بها **فكانت** مدة سلطنته بمصر ثمانية وخمسون يوما لا غير فكانت كما قيل في المعنى ؛ ؛ ؛

لم استتم عناقه لقدومه ... حتى ابتدأت عناقه لوداعه

ولم يتم لاحد من ملوك الترك انه خلع من السلطنة فى اقل من هذه المدة ولم يبد من معرفة الملك الظاهر تمربغا شيئا وعارضه الزمان والاوان كما قيل فى المعنى

واذا جفاك الدهر وهو ابو الورى ... طرا فلا تعتب على ابنائه

فكيف كان تمربغا يمكث فى السلطنة والقسمة كانت فى القدم لقايتباى وقد قال القائل

الرزق فى الوجود للمرء ملتزم ... ما هو لشىء الا لمن قسم

واستمر الملك الظاهر تمربغا فى ثغر دمياط فى ارغد عيش حتى حسن له الشيطان بان يلتجى من ثغر دمياط فنفى من هناك كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الظاهر تمربغا على سبيل الاختصار ثم

ذكر سلطنة الملك الاشرف سيف الدين قايتباى المحمودى الظاهرى

وهو الحادى والاربعون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة واولادهم بمصر فى العدد اذ ... وكان اصله جركسى الجنس جلبه الى مصر الخواجا محمود فاشتراه منه الملك الاشرف برسباى فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة وكان جملة مشتراه خمسون دينارا فصار من جملة المماليك الكتابية فلما توفى الاشرف برسباى وتولى الظاهر جقمق فاشتراه من بيت المال على يد الامير حاسوك وصى الملك الاشرف برسباى واشترى معه عدة مماليك صغار كتابية منهم ازبك من ططخ وبرقوق وتانى بك الجمالى وازبك اليوسفى وتمر وبرسباى قرا وغير ذلك من المماليك الكتابية ثم ان الملك الظاهر جقمق اعتق قايتباى مع جملة مماليكه فهو من معاتيق الملك الظاهر جقمق ومن مشترواته ثم اخرج له خيلا وقماشا وبقى جمدارا ثم بقى خاصكى ثم بقى دوادار سكين فلما توفى الملك الظاهر جقمق وتولى الاشرف اينال فانعم عليه بامرية عشرة فاقام على ذلك الى ان توفى الملك الاشرف اينال وتولى الملك الظاهر خشقدم فجعله امير اربعين شاد الشربخاناه ثم صار معلم الرماحة الذين يسوقون فى المحمل عوضا عن الامير جانى بك الظريف فاظهر فنونا فى لعب الرمح مالا وقع لغيره من المعلمين ثم ان الظاهر خشقدم انعم عليه فى اواخر دولته بتقدمة الف ثم بقى راس نوبة النوب عوضا عن الظاهر يلباى عندما بقى الامير ازبك نايب الشام ثم بقى اتابك العساكر عندما تسلطن الملك الظاهر تمربغا فلما وثب الامير خيربك على الملك الظاهر تمربغا وقبض عليه دار الاتابكى قايتباى على الاينالية على انهم يكونوا هم والظاهرية شيئا واحدا ويشيلوا الخشقدمية من الوسط فتعصبوا الاينالية لقايتباى وقالوا ما يكون سلطاننا الا انت وكان الاتابكى قايتباى متزوج ببنت العلاى على بن خاص بك صهر الملك الاشرف اينال فمالت الاينالية الى قايتباى وخلوا عن خيربك بعد ما كانوا تعصبوا لخيربك فركب الاتابكى قايتباى تحت الليل ومعه جماعة الاينالية وركبوا الظاهرية وكان القائم معه الامير يشبك بن مهدى فطلعوا تحت الليل على باب السلسلة وملكوه فلما طلع النهار طلع الاتابكى قايتباى الى باب السلسلة وجلس فى المقعد المطل على الرميلة ثم ارسلوا خلف امير المؤمنين المستنجد بالله يوسف والقضاة الاربع فلما تكامل المجلس فكتبوا محضرا بخلع الملك الظاهر تمربغا وولاية الاتابكى قايتباى فلما انتهى ذلك احضروا له خلعة السلطنة وهى جبة سودا بطرز ذهب وعمامة سودا وسيف بداوى متقلد به وحمايلى فلما اراد ان يلبسوه خلعة السلطنة بكى وامتنع من ذلك غاية الامتناع فالبسوه الخلعة غصبا والسنة الحال تنادى بان ذوقها لم تكن تصلح الا له ولم يكن يصلح الا لها ثم ركب من على سلم الحراقة التى بالاسطبل ومشت الامرا قاطبة قدامه وحمل الامير السيفى جانى بك قلقسيز امير سلاح على راسه صنجقا لعدم القبة والطير فان المماليك الخشقدمية كانوا فى تلك الليلة نهبوا الزردخاناه وهجموا على حريم السلطان تمربغا ونهبوا كلما فى دور الحريم ثم طلع السلطان من باب سر القصر وجلس على سرير الملك وباسوا له الامرا الارض وصارت طاعته ... وتلقب بالملك الاشرف وسماه ... واشرف ودقت له بالقلعة البشاير وطفحت محبته الضماير ونودى باسمه فى القاهرة المعزية وارتفعت الاصوات له بالادعية السنية وفرح الناس بتوليته قاطبة ولا سيما لجمعه للمماليك الاجلاب الخائبة وكانت ولايته فى يوم الاثنين سادس شهر رجب الفرد سنة اثنين وسبعين وثمانمائة فلما قبل ان يلبس خلعة السلطنة اشرط على العسكر بان النفقة بطالة وقد نفد ما فى خزاين بيت المال من المال فرضيوا بذلك وتسلطن على ذلك الشرط فلم ينفق على العسكر شى وفيه يقول الشهاب المنصورى

سلطاننا الاشرف فى بذله ... وعدله قد جمع الفضلا

تقبل الله الذى قد ... بالنصر منه الظرف والعدلا

ثم فى اثناء ذلك ارسل قيد الامير خيربك بن العينى ثم قرر على الامير خيربك خمسين الف دينار يوردها فلما اورد ذلك نزل به وهو مقيد وتوجه الى السجن بثغر الاسكندرية فاقام به مدة ثم نقله من بعد ذلك الى مكة ثم نقله الى القدس فاقام به مدة ومات هناك ودفن بالقدس الشريف وذلك فى اثنا دولة الملك الاشرف قايتباى ثم نفى الامير السيفى خشكلدى راس نوبة النوب الى الشام فاقام بها مدة طويلة ثم عاد الى مصر كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه ثم نفى الامير كسباى الدوادار الثانى ثم نفى جماعة من الخشقدمية وشتت شملهم من البرية وقد زالت دولتهم كانها لم تكن فسبحان من لا يزول ولا يتغير وقد مات غالب المماليك الخشقدمية فى فتنة سوار ومن محاسن السلطان قايتباى انه لما تسلطن لم ينفى ابن السلطان خشقدم الى ثغر الاسكندرية كعادة اولاد السلاطين بل تركه بمصر عند امه وكانت الفعلة الحسنة فى محبته واما الشهاب

احمد بن العيني فان السلطان قرر عليه مال فلم يورد منه الا القليل فغضب عليه السلطان
وضربه علقة قوية بيده في وسط الدهيشة واخذ منه نحو مايتي الف دينار مابين صامت
وناطق وتركه في مصر بطالا ولم ينفيه ثم ان السلطان اخذ في اسباب تدبير مملكته
واوكب عدة مواكب بالقصر الكبير واخلع فيها على من يذكر من الامرا وهم الغز السيفي
جاني بك قلقسيز امير سلاح واستقر به اتابك العساكر عوضا عن نفسه واخلع على
الغز السيفي يردبك هجين واستقر به امير سلاح عوضا عن جاني بك سيز وسمر باحضار
الغز السيفي قوقاس الجلب من ثغر دمياط فلما حضر اخلع عليه واستقر به امير مجلس
وكان قبل ذلك امير سلاح واخلع على الغز السيفي تانق الظاهري واستقر به راس
نوبة النوب عوضا عن الامير خشكلدي البيسقي واخلع على الغز السيفي تنبك من
مهدي الظاهري واستقر به دوادار كبير عوضا عن خيربك الخشقدمي واخلع على
الغز السيفي جاني بك القلقيه واستقر به امير اخور كبير عوضا عن بردبك هجين
واخلع على الامير قانبردي الاينالي واستقر به دوادار كبير ثاني عوضا عن كسباي
الخشقدمي وانعم الامير تمر حاجب الحجاب على عادته وانعم على الغز السيفي تمراز
الشمسي الاشرفي بتقدمة الف وانعم على الامير لاجين الظاهري بتقدمة الف
وانعم على الامير خيربك من حديد بتقدمة الف وانعم على الامير قراجا الطويل الاينالي
بتقدمة الف وانعم على الامير برقوق الظاهري بتقدمة الف وانعم على الامير ازدمر الطويل
الاينالي بتقدمة الف وانعم على الامير ازبك اليوسفي الظاهري بتقدمة الف وانعم على
الامير قاني الاينالي بامرية عشرة واستقر به تاجر المماليك وانعم على الامير قاني
باي الحسني الاينالي بامرية عشرة واستقر به والي القاهرة وانعم على الامير قانصوه
الخفيف الاينالي بامرية عشرة واستقر به محتسب القاهرة فاقام بها مدة يسيرة
ثم بقي امير اربعين شاد الشربخاناه ثم بقي مقدم الف ثم انعم على الامير سيباي
الظاهري بامرية اربعين واقر الامير برسباي الظاهري استادار الصحبة على عادته
ثم انعم بامريات عشرة وامريات اربعين على جماعة كثيرة من الاينالية والظاهرية
والاشرفية ثم فرق الاقطاعات على العسكر وارضى الكبير والصغير من العسكر
فاستقامت اموره في السلطنة الى الغاية فهذا كان ترتيب الامرا المقدمين من ارباب
الوظايف في ابتداء دولته ثم من بعد ذلك انتقلت الوظايف الى جماعة كثيرة من الامرا
حسبما ياتي ذكر ذلك في مواضعه **واما ارباب الوظايف** من المباشرين فالقاضي
زين الدين ابو بكر بن مزهر كاتب السر الشريف والقاضي كمال الدين ابو بكر بن جيعان كاتب
ابن ناظر الخاص يوسف ناظر الجيوش المنصورة والقاضي علم الدين شاكر بن الجيعان
مستوفي الجيش وكاتب الخزاين الشريفة والقاضي تاج الدين بن المقسي وكيل بيت
المال والزيني قاسم متكلم في الوزارة والقاضي شرف الدين بن كاتب غريب متكلم

في الاستادارية والقاضي نور الدين بن الاينالي نايب كاتب السر الشريف والقاضي ابو الفضل
ابن جلود كاتب المماليك والقاضي يحيى بن البقري ناظر الاسطبلات الشريفة والقاضي
علاي الدين بن الصابوني ناظر الكسوة الشريفة والقاضي شرف الدين بن البقري ناظر
الاوقاف والناصري محمد بن ابو الفرج نقيب الجيوش المنصورة والزيني حسين بن الطيلوني
معلم المعلمين انتهى ذلك والقاضي تقي الدين ناظر الزردخاناه فهذا كان ترتيب الوظايف
من المباشرين في ابتداء دولته ثم من بعد ذلك انتقلت الوظايف الى جماعة كثيرة من المباشرين
حسبما ياتي ذكر ذلك في مواضعه من عزل وولاية **واما** السادة القضاة فعلى الحكم
الاول **واما** السادة الخدام فالامير الزمام جوهر التركماني الينشبكي والامير مثقال
البرهاني مقدم المماليك ونايبه المقدم الامير خالص التكروري وشاد الحوش الامير مرجان
الينشبكي انتهى ذلك **وفيها** جاءت الاخبار من حلب بان شاه سوار بن ذو الغادر
امير التركمان الذي كان قد تحرك على البلاد في اواخر دولة خشقدم وخرج اليه بردبك
الجمدار نايب حلب واسر كما تقدم وقتل في هذه المعركة جماعة كثيرة من عسكر حلب
فلما توفي السلطان خشقدم وتولى الاشرف قايتباي فاطلق سوار بردبك نايب
حلب ومن كان عنده من الامرا من عسكر حلب وكان سوار يظن ان السلطان قايتباي لما
تسلطن يخمد هذه الفتنة ويهادي سوار وتنتج بينهما المودة فاراد السلطان ان ياخذ
سوار بالقوة والغطرسة فلو انه ارسل هادى سوار بهدية وتلطف به لكان ذلك
عين الصواب ولكنه دخل في اموره ولم يتثبت فعين الى سوار تجريدة ثقيلة وعين
باش العسكر الاتابكي جاني بك قلقسيز الاشرفي والغز السيفي يردبك هجين امير
سلاح والغز السيفي تانق راس نوبة النوب وتخصص اخر من الامرا المقدمين وجماعة من
الامرا الطبلخانات والعشراوات وعين معهم سبعماية مملوك من المماليك السلطانية وكان اكثرهم من
المماليك الخشقدمية **وفيها** اخلع السلطان على الصاحب شمس الدين والد الصاحب
علاي الدين الاهناسي واستقر به وزيرا عوضا عن الزيني قاسم شغيته **ثم دخلت**
سنة ثلاث وسبعين وثمانماية فيها توفي الملك الظاهر يلباي بثغر الاسكندرية
وهو في السجن وكانت وفاته في شهر صفر **وفيها** توفي ايضا الامير قنبك المحمودي
امير سلاح كان وكانت وفاته بثغر الاسكندرية ايضا ودفن هو والظاهر يلباي هناك
وكان يلباي وقنبك قد قاربا من العمر نحو الثمانين سنة **وفيها** نفق السلطان على العسكر
المعينين للتجريدة وتوجهوا الى محاربة سوار فخرج الامرا والعسكر في يوم واحد وكان لهم
موكب عظيم **وفيها** عيب الصاحب شمس الدين الاهناسي والد الصاحب علاي الدين
فلما عيب فاخلع السلطان على الغز السيفي يشبك الدوادار واستقر به وزيرا ودوادار
كبير فلما استقر في الوزارة قطع لحوم المفنها جميعا والنسا والايتام واولاد الناس
وكان هذا ماشيا في الدول المتقدمة الى اخر دولة الظاهر خشقدم والناس يبيعوا الزيادي

اللحم وينادونها وهي ماشية تعرف للنسا والرجال والوزرا قيمة ذلك والحال
ماشيا الى دولة الاشرف قايتباي فتنطع ذلك جميعا وهذا اول الحوادث من ابواب
الظاهر في دولته واستمر الحال على ذلك وفي هذه السنة فيها وقع الطاعون بالديار المصرية
وكان مبداه من ثغر الاسكندرية فمات في هذه السنة ما لا يحصى من المماليك والعبيد
والجوار والاطفال والغربا اشيا كثيرة وكان قوة عمله من شهر شعبان ورمضان واقام نحو
اربعة اشهر كاملة وفيه يقول الشهاب المنصوري

يا نعم عيشة مصر ۞ وبئس ما قد دهاها ۞
لما فشى الطعن فيها ۞ حاكى السهام وباها ۞

وكان مبدا هذا الطاعون في اوائل الشتا وتوفي به من الاعيان قاضي القضاة حسام الدين
ابن حريز المالكي فلما توفي انعم السلطان على اخيه السيد سراج الدين بن حريز واستقر
به قاضي القضاة عوضا عن اخيه وتوفي الامير قانبردي الاينالي دوادار ثاني وكان
قد تزوج بخوند سوارباي زوجة الظاهر خشقدم ولما توفي الامير قانبردي
انعم السلطان على الامير قانى بك الاينالي واستقر به دوادار ثاني عوضا عن قانبردي
وتوفي به جماعة كثيرة من الاينالية والخشقدمية وتوفيت به خوند بنت الملك الاشرف
اينال توفيت بثغر الاسكندرية عندما توجهت لزيارة اخيها المؤيد وتوفيت خوند
بنت الاتابكي جانبك الاعرج زوجة الاشرف برسباي وحما السلطان قايتباي
ان وثبت ولما خرجت التجريدة كان الفصل حال فلما وصل العسكر الى سوار دخلوا الى
وادي تضيق وفيه اشجار كثيرة فالتقوا مع عسكر سوار هناك فانكسر العسكر المصري
كسرة قوية فقتل الامير قانى راس نوبة النوب والامير بردبك هجين امير سلاح
واسر الاتابكي جانى بك قلقسيز وقتل في هذه المعركة من عسكر مصر والشام ما لا
يحصى عددهم فلما جات الاخبار بذلك اضطربت الاحوال وتزايدت الاهوال
واتسع الخرق على الراقع وعظم امر هذا الواقع وكان سوار هذا من اولاد ذو الغادر
وكانوا اصلا في التراكمة وكان سوار شاه خرج عن الطاعة وكان طالع سعده عال
حتى جرى منه ما جرى فلما تحقق السلطان قتل الامرا واسر الاتابكي جانى بك قلقسيز
فعند ذلك ارسل السلطان خلف المقر السيفي ازبك نايب الشام وقد تقدم ان السلطان
قايتباي استقر به نايب الشام فلما حضر انعم عليه واستقر به اتابك العساكر بمصر
عوضا عن جانى بك قلقسيز وارسل تقليدا الى بردبك الجمقدار نايب حلب واستقر به
نايب الشام ونقل الامير اينال الاشقر من نيابة ملطية واستقر به نايب حلب
عوضا عن بردبك ثم انعم السلطان على الامير سودون القصروي واستقر به راس
نوبة النوب عوضا عن قانى بحكم قتله في وقعة سوار ثم ان سوار اطلق جانى بك قلقسيز
وقيل اشترى نفسه من سوار بمال حتى اطلقه فلما حضر الى الديار المصرية انعم

عليه السلطان واستقر به امير سلاح عوضا عن بردبك هجين بحكم قتله في وقعة
سوار وكان جانى بك قلقسيز اتابك العساكر فلما رجع من عند سوار بقي امير سلاح
ثم ان السلطان ارسل الى سوار بتجريدة ثانية وكان باش العساكر الاتابكي ازبك والمقر
السيفي قرقماس الجلب امير مجلس وسودون القصروي راس نوبة النوب وخمسماية مملوك
من المماليك السلطانية فتوجهوا الى قتال سوار ثانيا **ومن الحوادث** جات الاخبار
من ثغر دمياط بان السلطان تمربغا هرب من دمياط ونزل في مركب صغير وتوجه من
البحر المالح الى نحو غزة وكان سبب ذلك ان شيخ العرب ابن عجلان وعيسى بن سيف
كانا من اصحاب السلطان تمربغا فحسنا له عبارة بان ينزلا في مركب ويتوجها به في البحر
المالح ويطلعاه من الطينة فلاقيه العربان فياخذونه ويتوجهون الى غزة لان العسكر
كان هناك والامرا كلهم حينئذ مشتتة فيملك البلاد الشاميه والحلبيه ويتسلطن هناك
وكان سوار صاحب تمربغا فظن ان الاقدار تساعده من كل جانب فجات الامور بخلاف ذلك
كما قيل

۞ الرزق بالحظ وبالتقدير ۞ وليس بالسعي ولا التدبير ۞
۞ والرزق لا ياتي بسعي القائم ۞ وربما ياتي لشخص نائم ۞

وكان السلطان قايتباي اكرم الظاهر تمربغا لما خلع من السلطنة غاية الاكرام ولم يقيده
ولا سجنه ولا نزل به من القلعة وخلفه اوجاقي بخنجر كعادة السلاطين المتقدمين وكان
السبب في القبض على السلطان تمربغا انه لما هرب من دمياط فلاقاه نايب غزة الامير
ارغون شاه الاشرفي وقد بلغه هروب السلطان تمربغا فخرج اليه مع عساكر غزة وقبض عليه
وارسل يعلم السلطان بذلك فارسل السلطان الامير يشبك الدوادار فتسلم تمربغا
وتوجه به من هناك الى ثغر الاسكندرية وسامحه السلطان من هذا الذنب ولم يقيده ولم
يسجنه بالبرج بثغر الاسكندرية بل اسكنه في بعض دور الاسكندرية وكان يركب الى
صلاة الجمعة فاقام على ذلك مدة حتى توفي في اثنا دولة الملك الاشرف قايتباي
ودفن بثغر الاسكندرية فكان كما قيل في المعنى

۞ قليل الحظ ليس له دوا ۞ ولو كان المسيح له طبيب ۞

واما محمد بن عجلان الذي كان سببا فان السلطان قبض عليه وسجنه بالبرج الذي بالقلعة
فاقام مدة طويلة نحو ثلاثة عشر سنة ثم بعد ذلك اعاده السلطان الى مشيخته كما كان
ثم بعد مدة قبض عليه تغري بردي الاستادار وضربه علقة قوية فمات عقيب ذلك من
العلقة التي اكلها منه انتهى **وفيها** اعني في هذه السنة توجه السلطان الى السرحة
نحو الشرقية والغربية فاقام في هذه السرحة نحو اربعين يوما فلما عاد زينت له مصر
وكان يوم دخوله يوما مشهودا ودخل في موكب عظيم وحمل القبة والطير على راسه
المقر السيفي برقوق احد الامرا المقدمين وكاشف الشرقية وذلك بموجب غياب
الاتابكي ازبك في التجريدة فلم يكن بمصر اكبر من برقوق ثم رسم له الشقق الحرير

من المتاريس حتى طلع الى باب الدرج وهذا كان اول مواكبه بالقاهرة ثم توجه الى بر الجيزة
من بعد ذلك ونصب وطاقه تحت الاهرام وساير الامرا صحبته فاقام هناك نحو اربعة
ايام وكان ينصب له اشاير فوق الاهرام ثم توجه من هناك الى نحو الفيوم فاقام بها اياما
ثم عاد الى القلعة **ثم دخلت** سنة اربع وسبعين وثمانماية فيها جاءت الاخبار
بان سوار قد كسر العسكر ثاني مرة وقتل من المماليك السلطانية نحو النصف وقتل الامير
قرقماس الجلب امير مجلس وقتل الامير سودون القصروي وجماعة من الامرا العشراوات
ونهب جميع برك الامرا والعسكر فلما جاءت الاخبار بذلك الى الديار المصرية فاضطربت
الاحوال لعظم هذه البلية وصار في كل حارة نعي من ايام الوبا بسبب من قتل من العسكر
وصار الذي بقي من العسكر يدخلون الى القاهرة وهم في اسوأ حال من العري والجوع واكثرهم
مجروح ومنهم من دخل وهو راكب على حمار وكانت مصيبة عظيمة لعسكر مصر وقد قال القايل

يا رب ان سوارا قد بغى وبه ۞ قد اصبح الناس في ضيق وفي قلق
فاكسر سوارا وضعه في السلاسل في ۞ خوانق الامر يستعطي من الخلق

فلما رجع الاتابكي ازبك من التجريدة ومن بقي من الامرا وهم في اسوأ حال مما جرى عليهم فاخلع
السلطان على الامير لاجين الظاهري واستقر به امير مجلس عوضا عن قرقماس الجلب
بحكم وفاته ثم جاءت الاخبار بوفاة الامير برد بك البجمقدار نايب الشام فلما حضر
سيفه الى مصر فاخلع السلطان على الامير السيفي برقوق واستقر به نايب الشام عوضا عن
برد بك البجمقدار وارسل السلطان خلف الامير السيفي اينال الاشقر نايب حلب فلما
حضر اخلع عليه واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن سودون القصروي بحكم قتله
واخلع على الامير قرقماس الصغير الاينالي واستقر به نايب ملطية فحمل الى عسكر سوار
البطيط وقتل منهم جماعة كثيرة ثم ان سوار ظفر بقرقماس الصغير فلما ظفر به ادخله
مكان وبنى عليه حايطا حتى مات وقيل شنكله وضربه بالنشاب حتى صار مثل القنفد
ثم مات فلما مسك شاه سوار قال له السلطان قايتباي ما فعلت به قال مات فقال
السلطان بحياتي كيف مات فقال شاه سوار يا مولانا السلطان سنكلناه وضربناه
بالنشاب حتى مات فقال السلطان لمتولي شنكل سوار مثل ما فعل بقرقماس ولا تقرب(ه)
بالنشاب بل دعه حتى يموت والمجازاة من جنس العمل **ثم دخلت** سنة خمس وسبعين
وثمانماية فيها عقد السلطان مجلسا في الحوش وجمع فيه القضاة الاربع وهم القاضي
ولي الدين الاسيوطي الشافعي والقاضي محب الدين بن الشحنة الحنفي والقاضي سراج الدين
ابن حريز المالكي والقاضي عز الدين الحنبلي وحضر الشيخ امين الدين الاقصرائي والشيخ
محيي الدين الكافيجي فشكى اليهم السلطان بان الخزاين قد نفد ما فيها من المال وان
العدو سوار المخذول قد استولى على البلاد وقتل العباد وقد فسدت الاحوال
وكان المتكلم في ذلك المجلس عن لسان السلطان القاهري ابو بكر بن مزهر كاتب السر

الشريف فقال ان السلطان يقصد ان يخرج اوقاف الجوامع والمدارس ويترك لهم ما يقوم
بالشعاير فقط ويقوي العسكر بما يتحصل من الاوقاف حتى يتقوى به على الخروج الى التجاريد
فقال الشيخ امين الدين الاقصرائي لا سبيل الى ذلك ولكن السلطان ان اراد ان يفعل شيئا
يخالف الشرع ليس يجمعنا فانا نخاف ان الله تعالى يسالنا يوم القيامة ويقول لنا لم لا نهيتموه
عن ذلك لما ظهر لكم الحق واغلظ على السلطان في القول فاعجبه منه السلطان وانفصل
المجلس ما نفا ولم يمكنه من شي من ذلك فاين عين الشيخ امين الدين الاقصرائي تنظر الى هذه
الايام وكان حلما من السلطان قايتباي الذي رجع الى كلام الشيخ امين الدين ولم يخش في هذا
الامر ولو فعل ذلك لطلع بيده ولم يجد من يمنعه عن ذلك ولكن الهمه الله تعالى الى فعل الخير
ببركة انقياده الى الشرع وكان يرجع الى الحق فان الشيخ امين الدين قال له ان الله تعالى
يكفيك امر سوار بدعوة فقير صادق **ومن الحوادث** ان السلطان صادر الست
ساره والدة القاضي يوسف ناظر الخاص وقرر عليها ماية وخمسون الف دينار والزمها
ان لا تبيع ملكا ولا ضيعة ولا قماشا فاوردت ذلك المال جميعه ولم تبع شيا من املاكها
كما رسم لها السلطان فلما غلقت ذلك فاخلع عليها السلطان كاملية بمقلب سمور انتهى
ومن الحوادث في ايامه ان جماعة من العلما انكروا على الشيخ عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه
في بعض ابيات من ابياته التي قالها في التائية الكبرى فنسبوه فيها الى معنى الحلول فصرح
جماعة منهم بكفره وموجب ذلك قصور فهمهم عن معنى قوله فكان كما قال المتنبي

وكم من عايب قولا صحيحا ۞ وافته من الفهم السقيم
ولكن تاخذ الاذهان منه ۞ على قدر القرايح والفهوم

وكان ممن تعصب عليه قاضي القضاة بن الشحنة وولده عبد البر وقاضي القضاة عز
الدين الحنبلي والشيخ نور الدين المحلي والشيخ برهان الدين البقاعي وشمس الدين الحلبي
وغير هولا جماعة كثيرة من العلما قد انكروا عليه فيما قاله **واما من تعصب له** فالشيخ
محيي الدين الكافيجي الحنفي والشيخ قاسم الحنفي والشيخ زين الدين زكريا الشافعي والشيخ
جلال الدين بن الشيخ كمال الدين الاسيوطي الشافعي والشيخ كمال الدين الطويل والشيخ بدر
الدين بن الغرس الحنفي والشيخ تاج الدين بن شرف وغير ذلك من العلما فلما زاد الهرج في هذه
المسيلة وكثر القال والقيل بين العلما فكتب القاضي ابو بكر بن مزهر كاتب السر الشريف
بمصر هذا السوال وارسله للشيخ زين الدين زكريا الشافعي هذا السوال ما يقول الشيخ
الامام العالم العلامة البحر الفهامة زكريا الانصاري الشافعي نفع الله المسلمين ببركته فيمن
قال بكفر سيدنا ومولانا الشيخ عمر بن الفارض تغمده الله برحمته لاجل ان عقيدته فاسدة
بنا على ما فهمه من كلامه في مواضع موجبها الى اطلاقات معلومة عند السادة الصوفية
باصطلاح يخاطبهم لا يحذر دونها شرعا فهل يحمل كلام هذا العارف على اصطلاح اهل
طريقه ام على اصطلاح ملة غير الاسلام فالجواب عن ذلك فاجاب رضي الله عنه

بانه يحمل كلامه رحمه الله عليه وفهم يبركائه على اصطلاح اهل طريقته بل هو ما هو فيه عندهم
ان اللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي مجاز في غيره كما هو مقرر عند اهله
في محله ولا ينظر الى ما يوهمه تعبيره في بعض ابيات في التائيه من القول بالحلول والاتحاد
فانه ليس من ذلك في شي بقوله في حاله ومقاله المنظوم في تائيته بقوله

ولي من اتم الرويتين اشارة ۝ تنزه عن راي الحلول عقيدتي

وقد يصدر من العارف بالله تعالى اذا استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل
ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد
لقصور العبارة عن بيان حالته التي ترقا اليها كما قاله جماعة من علماء الكلام ولكن ينبغي
كتم تلك العبارات عمن لم يدركها فما كل قلب يصلح للسر ولا كل صدف يتطبق
على الدرر ولكل قوم مقال وما كل ما يعلم يقال ومن لم يدركها عدم الطعن فيها كما قال
بعضهم

فاذا كنت بالمدارك غرا ۝ ثم ابصرت حاذقا لا تمارى
واذا لم تر الهلال فسلم ۝ لاناس رواه بالابصار

ولو ذاق المنكر ما ذاق هذا العارف لما انكر عليه كما قال بعضهم

ولم يدر من عاد لي صبابتي ۝ صبي معي لكنه ما ذاقها

والحالة هذه والله يمنح بفضله ويمنع من يشا بعدله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم كتبه زكريا بن محمد الانصاري الشافعي انتهى فلما اجاب الشيخ زكريا بهذا
الجواب سكن الاضطراب وبطل القيل والقال وقد هجو الشعرا من انكر على ابن الفارض
فمن ذلك قول الشهاب المنصوري

ان البقاعي بما قد قاله مطالبا ۝ لا تحسبوه سالما فقلبه بها نها

وقال بعضهم في ابن الشحنة

اصبحت يا ابن الشحنة الحنفي في ۝ كل البقاع اوحد الازمان
في مصر عن ابي حنيفة تدعي ۝ جهلا وانت معرة النعمان

وقال ابو النجا القمني

انقذت يا حلبي بالصنع في قتاله ۝ حرف النصوص باكافر وما خلصت حتى المنقا [حاجدا]

وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا
فقد آذنته بالحرب اي اعلمته بانه محارب لي ثم في اثنا هذه الواقعة عزل السلطان
القاضي محب الدين بن الشحنة عن القضا واستمر معزولا الى ان مات وفي اثنا ذلك طلع
شخص الى السلطان يسمى نجم الدين التلعفيلي ويعرف بالنقود فانهى في الشيخ عبد
البر ابن الشحنة بانه لا يحسن قراة الفاتحة فرسم السلطان بان يجمع مشايخ القرا
واحضر الشيخ عبد البر وقرا بحضرتهم فاستحسنوا قراته في ذلك المجلس فلما ظهر
للسلطان كذب نجم الدين التلعفيلي في حق عبد البر ضربه علقة قوية وانتصر

عليه

عليه الشيخ عبد البر وهذا كله بموجب اعتراضهم على ابن الفارض انتهى **وفيها** افرج السلطان
على الاتابكي جرباش كرد الناصري وعن ولده سيدي محمد وكانا بثغر دمياط من ايام الظاهر
خشقدم وافرج عن الامير تنبك المعيني المويدي وعن طوخ الزردكاش وكانا بثغر
دمياط واحضر الامير جاني بك كوهية وجماعة من الامرا المويدية واستمروا بمصر
بطالين الى ان ماتوا اجمعين في دولته **وفيها** اخرج السلطان تغري برمش الامير سودون
الافرم وجعله بمصر طرخانا ورتب له ما يكفيه الى ان مات **وفيها** قبض خاطر السلطان
على الامير قانصوه الخسيف الاينالي فنفاه الى ثغر دمياط فاقام بها مدة يسيرة ثم بلغ
السلطان انه كان اذا سكر يقول لولا انا ما فرح السلطان قايتباي بالسلطنة فلما بلغه
ذلك نقله الى مكة واستمر مقيما بها الى ان مات ودفن هناك رحمه الله تعالى عليه ٨٧٤
ثم دخلت سنة ستة وسبعين وثمانمائة فيها ارسل السلطان تجريدة الى سوار
وهي التجريدة الثالثة وكان باش العسكر الاتابكي يشبك من مهدي امير اخور وجماعة
من الامرا المقدمين منهم الاتابكي تمراز الشمسي قريب المقام الشريف وغيره من الامرا
وكان من الامرا العشراوات والمماليك السلطانية اكثر من الجاريدة التي توجهت قبلها
فخرج الامير يشبك في طلب عظيم وامر العسكر بان يخرجوا وهم لابسون آلة الحرب
وعمل الامير يشبك في رنكه سبع وجت له القاهرة لما خرج واستبشرت الناس قاطبة
بان هذا الذي يقبض على سوار فلما دخل الامير يشبك الى الشام فاخذ صحبته برقوق
نايب الشام وكذلك ساير النواب وتوجهوا جميعا الى زمنطوا التي هي محل دخال سوار
فاقاموا هناك يحاصروا قلعتها مدة وسوار بها فلما اراد الله تعالى بخذلان سوار قلت
بيده وزال سعده ثم ارسل يسال في الصلح ويطلب الامان من الامير يشبك فاجابه الى ذلك
ثم ان سوار ارسل يطلب الامير تمراز قريب المقام الشريف فاشار الامير يشبك على الامير
تمراز بالتوجه الى سوار فتوجه اليه واخذ صحبته القاضي شمس الدين بن اجا قاضي العسكر
فطلعوا الى قلعة زمنطوا واجتمعوا بسوار فاضافهم واكل معهم ثم ان الامير تمراز
لا زال يتلطف بسوار وكان حلو اللسان حتى اجابه الى التوجه معه وان يقابل الامير
يشبك الدوادار فلا زال عليه حتى اخذه ونزل به وتقرر الحال على انه يقابل الامير
يشبك الدوادار ويلبس خلعة السلطنة ويعود الى قلعة زمنطوا فنزل معه في نفر قليل
من عسكره فلما قابل الامير يشبك قام له واكرمه وعظمه واحضر اليه خلعة فالبسها له
وقال له امضي الى نايب الشام سلم عليه فلما اتى الى نايب الشام الامير برقوق وقد حضر له
خلعة وفيها زنجير قيل فلما اراد ان يلبسه الخلعة فارمى في رقبته الزنجير ثم قبض على
من كان معه من التراكمة وكانوا نحو من عشرين ثم قبضوا على اخوته ومن كان معه وكان
برقوق لما اراد ان يقبض على سوار كمن له في الخيام جماعة من المماليك وهي ملبسة آلة
الحرب فلما قبض على سوار خرج ذلك الكمين من الخيام وقتلوا شجعان عسكر سوار

بالسيوف فشق ذلك على الامير تمراز لكون ان سوار ادكن اليه وتوله معه فلم يسمع له
يرتوق وحصل بينهم تشاجر بسبب ذلك وقيل ان يرتوق نايب الشام لكم الامير تمراز
لما اغلظ عليه في القول ثم ان الامير يشبك ولى احدى اخوة سوار مكانه قيل كان اسمه
يربطاق فلما جرى ذلك قصد العسكر التوجه الى الديار المصرية فدخلوا وصحبتهم سوار
شاة فصاروا كل مدينة يدخلونها تزين لهم واستمروا على ذلك حتى دخلوا الى الديار
المصرية فزينت لهم القاهرة زينة عظيمة وكان يوم دخولهم يوما مشهودا يعد من
الاعمار فخرجت البنت فخذ رها تنظر الى سوار الذي ملك البلاد وقتل العباد ويتم
الاطفال ونهب الاموال فبلغ كرى كل بيت اربع اشرفيه وكل دكان اشرفي بسبب
الفرجة على سوار فدخلوا الامرا في موكب فلما وصل الامير يشبك الدوادار ودخل
من باب النصر فكان قدامه سوارشاة وهو راكب على فرس بخلعة تماسيح بجلخ اسود
وعلى راسه عمامة كبيرة وهو في زنجير طويل ومشكوك معه في الزنجير شخص من الارا
العشراوات يقال له نعم الصنبع وكان من المماليك الظاهرية وكان مع سوار اخوته
واقاربه وجماعة من عسكره الذي نزلوا معه من قلعة زمنطوا فكانوا كلهم راكبون على
الاكاديش وفي اعناقهم زناجير فلما شقوا من القاهرة وطلعوا الى القلعة فلم يبق لهم
مغنية ولا مغنى حتى زف سوار وهو طالع الى القلعة وكان سوار حسن الشكل جميل
الصورة مستدير الوجه احمر اللون اشهل العينين اسود اللحية شابا له من العمر نحو
خمسة واربعون سنة وكان يقرب في الشكل من القاضي تاج الدين بن المقسي ناظر
الخاص فلما طلع الى القلعة ومثل بين يدي السلطان قال له مرحبا شاة سوار وعاتبه
عتابا خفيفا ثم رسم بتسليمه الى الامير يشبك من حيدر والى القاهرة فلما تسلمه
نزع الخلعة من عليه واحضر له جملا واركبوه له وجعلوا في عنقه جنزير وفيه جرس
ثم انهم اسمروا اخوته واقاربه على جمال وهم عرايا وروسهم مكشوفة والمشاعلية
تنادي عليهم هذا جزا من يعصي على السلطان فنزلوا به من الرميلة وشقوا به من القاهرة
من الصليبة ثم توجهوا بهم الى باب زويلة فانزلوا سوار من على الجمل وكشفوا راسه
وشنكلوه على باب زويلة هو واخوته وكان له اخا يقال له يحيى كاورمشك قبل
ان يمسك سوار وكان في البرج بالقلعة فلما شنكلوا سوار شنكلوه الاخر معه
وشنكلوا في اخوته واقاربه نحو سبعة ثم وسطوا بقية عسكره في بركة الكلاب
وخمدت فتنة سوار بعد ما ذهبت عليها ارواح واموال وكان دخول سوار الى القاهرة
في يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الاول من سنة سبع وسبعين وثمانماية فاقام سوار
معلقا على باب زويلة يومين فلما مات نزلوا به هو واخوته وغسلوهم وكفنوهم
ودفنوهم على تل عالي بالقرب من زاوية الشيخ كهنبوش وفي هذه الواقعة يقول الشهابي
المنصوري الهاير

يا أيها الملك الذي سطواته … تغني عن العسال والبتار
علق سوار فوق باب زويله … ان كنت منه اخذا بالثار
فلانت تعلم ان ذلك تنصير … ما كنت تتركه بغير سوار

وقوله في الامير يشبك لما دخل بسوار الى مصر رحمه الله تعالى

مذ وافا الامير يشبك مصرا … حبذا مصر موطن الاوطار
لبست حجل نيلها وتحلى … زند بابي زويلة بسوار

فلما بلغ الامير تمراز شنكلة سوار شق ذلك عليه واظهر الحمق على السلطان بسبب
سوار وكان قتل سوار عين الصواب فان حرمة المملكة كانت قد انهتكت وتبهدلت الاتراك
بسبب ما جرى عليهم من سوار وطمعت الفلاحين والعرب في البلاد فكيف كان يمكن ان السلطان
يطلق سوار ويرجع الى بلاده سنة ثمان وسبعين وثمانماية فيها جاءت
الاخبار من حلب بان حسن الطويل ملك العراقين قد تحرك على البلاد وقد وصل جاليش
عسكره الى البيره وان نايب البيرة محاصر معهم فلما جاءت الاخبار بذلك اضطربت
احوال الديار المصرية ونادى السلطان للعسكر بالعرض فاعرضهم ونفق على العسكر وحثهم
على الخروج قبل ان يملك العدو البلاد وقد طمعت ملوك الشرق في سلطان مصر بموجب
ما جرى عليه من سوار فما صدق العسكر انه استراح من سوار وخمدت فتنته فانثبر لهم
حسن الطويل فكان كما قيل في المعنى

شكوت جلوس انسان ثقيل … فجا اخر من ذاك اثقل
فكنت كمن شكى الطاعون يوما … فجا له على الطاعون دمل

وكان باش العسكر الامير يشبك الدوادار والامير جاني بك قلقسيز امير سلاح وجماعة
من الامرا المقدمين والعشراوات ومن المماليك السلطانية نحو من الفين مملوك وقيل اكثر
من ذلك فلما وصلوا الى الفرات عدى العسكر وتوجهوا الى البيرة فالتقوا هناك وقعة
عظيمة فقتل من عسكر حسن الطويل جماعة كثيرة وقتل من عسكر مصر شخصا من الامرا العشراوات
يقال له قرقماس العلاي الاشقر وكان امير اخور رابع وقتل من المماليك السلطانية بعض
شي وانكسر جاليش عسكر حسن الطويل فلما جاءت الاخبار بهذه النصرة السنية نخم
المبشر سایر البلاد المصرية وقالت الشعرا في هذه الواقعة فمن ذلك قول الشهابي المنصوري

ايها العسكر الذي صار قصدا … لقتال الطويل لا تنظروه
لا تطيلوا مع العدو كلاما … في وغى الحروب والطويل اقصروه

وقال الشيخ شمس الدين القادري

ايا حسن الطويل بعثت جيشا … كاغنام وحن لنا غنائم
فنار الحرب قد سبكت سوارا … وانت لسبكها لا شك خاتم

وقال شمس الدين بن شادي هجا

ايا حسن الطويل قصرت عمرا … وفاتتك المعالي والمفاخر
سوار قد سبقناه ابتداء … وانت تباره للسبك خاثر … وقوله
ايضا … عروس الحرب نقطها المواضي … بادواح الاعارب والاعاجم
وقد جليت وفي يدها سوار … وها حسن لكف الحرب خاتم

وفيها جات الاخبار بان برقوق نايب الشام قد توفي الى رحمة الله تعالى فلما تحقق السلطان ذلك فارسل خلعة الى الامير جاني بك قلقسيز وكان في التجريدة صحبة الامير يشبك الدوادار واستقر به نايب الشام عوضا عن برقوق بحكم وفاته فتوجه جاني بك قلقسيز الى الشام من هناك **وفيها** رجع العسكر الذي توجه الى قتال حسن الطويل ولم يفقد من الامرا سوى الامير قرقماس العلاي وبعض مماليك سلطانية ورجعوا بقية العسكر وهم سالمين **ثم دخلت** سنة تسع وسبعين وثمانماية فيها لما رجع العسكر من التجريدة فانعم السلطان على المقر السيفي اينال الاشقر واستقر به امير سلاح عوضا عن جاني بك قلقسيز فانعم على المقر السيفي تمراز الشمسي في ترتيب المقام الشريف واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن الامير اينال الاشقر وانعم على مملوكه قانصوه من طراباي واستقر به دوادار ثاني وكان يركب وهو يكون فيه بتندس الى ان بقي امير اخور كبير حتى لبس التخفيفة وكان يعرف قانصوه خمسماية **وفيها** جات الاخبار بان حسن الطويل طرق بلاد السلطان بنفسه على حين غفلة ووصل الى بعض ضياع حلب ولم يشوش على احد من الرعية قيل انه راى في منامه بعض الصالحين فنهاه عن ذلك ورجع الى بلاده ولم يحصل منه سوء **ثم دخلت** سنة ثمانين وثمانماية فيها جات الاخبار بان حسن الطويل قد مات فجاة قيل انه شرق وقيل انه قتل وكان قد جمع عساكرا عظيمة وقصد يمشي على حلب ويملكها فكفى الله الناس شره ولما مات حسن الطويل تولى من بعده يعقوب ولده فسكن ما كان عند السلطان من الاضطراب بسبب حسن الطويل وقد قيل

ايا ملكا صار في سعده … بموت الاعادي حقيقا بيوتا
لقد اهلك الله عنك العداة … وينصرك الله نصرا عزيزا

ثم دخلت سنة احدى وثمانين وثمانماية فيها وقع الطاعون بالديار المصرية وهو ثاني فصل جا في ايامه فمات فيه من المماليك والعبيد والجوار والاطفال والغربا ما لا يحصى عددهم من الكثرة فنزل الامير يشبك الدوادار مغسلا عند مدرسة السلطان حسن فكانوا ياتونه بمن يموت من الغربا على محمل فيحملونها الغاسلين حتى يحضروا بالاموات الى المغسل فيجهزونهم من هناك ثم ان الامير يشبك الجمالي محتسب القاهرة نادى بان لا احد يغطي ميتا بطرحة زركش ولا يخرج جنازة بذكارين فامتثلوا الناس ذلك وقال الشهابي المنصوري

لهفي على مصر وولدانها … امضوا الى الموت فيا فوتنا
ما نشر الموت سهام الردى … عليهم الا طواعينا

وتوفي عقيب هذا الفصل من الاعيان وهو الشيخ ابو المواهب بن زغدان المغربي الشاذلي وكان من اعيان مشايخ الصوفية وتوفي الامير اينال الاشقر امير سلاح وجماعة من الامرا العشراوات وغير ذلك من المماليك السلطانية **ثم دخلت** سنة اثنين وثمانين وثمانماية فيها انعم السلطان على المقر السيفي جاني بك الفقيه واستقر به امير سلاح عوضا عن اينال الاشقر بحكم وفاته **وفيها** انعم السلطان على الامير قجماس فقلده ملك الامرا وجعله نايب ثغر الاسكندرية ثم نقله من بعد ذلك واستقر به امير اخور كبير عوضا عن جاني بك الفقيه **وفيها** استعفى الامير يشبك الدوادار من وظيفة الاستادارية وناظر الخاص فاقام على ذلك مدة ثم اعيد الامير يشبك الى الاستادارية كما كان من قبل **وفيها** توجه السلطان الى ثغر الاسكندرية بسبب بنا البرج الذي انشاه هناك مكان المنار في البحر المالح وكان صحبته من الامرا الاتابكي ازبك والامير يشبك الدوادار الكبير والامير تمراز الشمسي راس نوبة النوب والامير ازدمر الطويل حاجب الحجاب وغير ذلك من الامرا العشراوات والخاصكية والمماليك السلطانية فلما دخل الى ثغر الاسكندرية كان له بها يوم عظيم ولاقاه الملك المؤيد بن الاشرف اينال وهو بالشاش والقماش ودخل قدامه في الموكب وكان في طلب السلطان مايتين وخمسين فرس ملبسة بالبركستوانات الفولاد والحرير الملون وكجا ونينين زركش وكان فيه فرس بسروج ذهب والكنابيش والاتابكي ازبك حامل القبة والطير على راس السلطان والامرا قدامه والملك المؤيد والمباشرين والامرا العشراوات والخاصكية مشاة بين يديه وقد زينت له مدينة الاسكندرية وخرجوا اهلها قاطبة ينظرون الى السلطان فلما شق من المدينة نثر على راسه بعض تجار الافرنج الف بندقي ذهب فتزاحمت الناس يلتقطون الذهب من الارض فكاد السلطان ان يسقط من على ظهر الفرس من شدة ازدحام الناس عليه فمشى قدامهم الامير تمراز راس نوبة النوب حتى خلص السلطان من الزحام فلما مشى خرج من باب البحر ونزل بالوطاق على شاطي البحر المالح فمد له الامير قجماس هناك مدة عظيمة فاقام السلطان هناك ثلاثة ايام ثم قصد التوجه الى القاهرة وشرع في عمارة البرج الذي انشاه هناك فلما عاد السلطان الى القاهرة اقام بها مدة يسيرة ثم خطر بباله ان يتوجه الى البلاد الشامية ويكشف على احوال النواب بنفسه فخرج من القاهرة على حين غفلة من الناس وترك الاتابكي ازبك بالقاهرة والامير يشبك الدوادار والامير تمراز الشمسي وساير الامرا المقدمين والامرا العشراوات وساير العسكر وترك الخليفة والقضاة الاربع واخذ صحبته من الامرا الامير تاني بك قرا الدوادار الثاني ومن الخاصكية والمماليك السلطانية نحو مائة انسان واخذ من المباشرين القاضي ابو بكر كاتب السر

الشريف بن مزهر والقاضي ابو البقا ابن الجيعان والقاضي شهاب الدين بن الناج الموقع
والشيخ برهان الدين بن الكركي الامام وغير ذلك جماعة من الغلمان وارباب الوظايف
وخرج من القاهرة تحت الليل والناس لا يعلمون ابن يتوجه فسافر وجد في السير
حتى وصل الى حلب واقام بها اياما ثم خرج من حلب وكشف عن بعض القلاع التي بالقرب
من حلب ثم انتهى الى الفراة ورجع الى حلب فاخذ تقادم النواب وهداياهم ثم قصد
التوجه الى الديار المصرية الشامية فلما كان في اثنا طريق الشام مرض مرضا شديدا حتى اشرف
فيه على الموت ولزم الفراش بالمحفة فدخل الى الشام وهو على خطة فلما اشيع ذلك
في القاهرة فاضطربت الاحوال وكثر القيل والقال بين الناس ودبت عقارب الفتن
بين الامرا واخذ كل واحد حذره من رفيقه واستمر والحال على ذلك اياما ثم حضر من
عند السلطان خاصكي يقال له بردبك سكر وعلى يده مثالات شريفة الى سائر الامرا
حتى الخليفة والقضاة الاربع واعيان الناس اجمعين فصار كل احد يخلع على بردبك
المذكور خلعة ودقت البشاير بالقلعة وكان مضمون ما في المثالات ان السلطان
كان قد حصل له توعك في جسده وقد حصل له من بعد ذلك الشفا وزال عنه ذلك
العارض وعقيب ذلك يحضر الى القاهرة ان شا الله تعالى فعند ذلك بطل القال والقيل
الذي كان بين الناس وقال الشهابي المنصوري

بعافيه السلطان مولى الانام قد ٭ تهلل وجه الدهر فهو جميل
وقد صحت الدنيا لصحة جسمه ٭ فليس بها غير النسيم عليل

ثم جاءت من بعد ذلك الاخبار بان السلطان خرج من غزه وهو قاصد نحو الديار المصرية
فقام الامير يشبك الدوادار حركة عظيمة وشرع يوسع الطرقات التي في الشارع
الاعظم وهدم في هذه الحركة عدة بيوت ودكاكين وكانوا يضيقون الطرقات
في اوقات المواكب فلما وسع الطرقات نادى بان كل بيت على القصبة يبيضه
صاحبه وكذلك الدكاكين فامتثلوا ذلك وبيضوا البيوت التي على القصبة من
باب النصر الى راس الصوه فاتسعت الطرقات من بعد ما كانت عند الشوابين والمرحلين
وغير ذلك وفي ذلك يقول الشهابي المنصوري

لما شكى الناس من مصر مضايقها ٭ وحاروا فيها من الحكام اقطار
فما تلقى اجور القاطنين بها ٭ الا الامير الذي بالرفق اماد
فهو الهمام النظام المرتقى درجات ٭ المفضل يشبك مولانا الدوادار

ورسم الامير يشبك باصلاح عتبة باب زويله فاغلقوا الباب اياما حتى عملوا عتبة
واصلحوا الباب ثم جاءت الاخبار بان السلطان قد وصل الى خانقة سرياقوس فخرجت
الامرا قاطبة الى تلقيه فلما كان يوم الخميس رابع شوال من السنة المذكورة فيه دخل
السلطان الى القاهرة فكان له موكب عظيم وزينت له القاهرة زينة عظيمة فدخل

من باب النصر وشق من المدينة فكان له موكب عظيم وحمل الاتابكي ازبك القبة والطير
ولعبوا قدامه بالغواشي الذهب وكان ماماي جوشن وتمراز جوشن ماسك كل واحد
منهم لجام وهي الجوشن والاتنه القضاة الاربع من المطوبه ودخلوا قدامه وفرشت
له الشقق الحرير من التبانه الى راس الصوه ومشت روس النوب قدامه والمماليك السلطانية
والشبابه والاوزان تمال قدامه وسائر الامرا بالشاش والقماش قدامه وكذلك العسكر
واستمر هذا الموكب المعظم حتى طلع الى القلعة وكانت مدة غيبة السلطان في هذه السفرة
نحو ثلاثة اشهر ونصف وقد حصل وقته من كل جانب فان الامرا والنواب كانوا اخشوا منه
والعسكر مماليكه وساعدته الاقدار فلم يختلف عليه اثنان ولا سل في وجهه سيف وعدت
هذه السفرة من النوادر قال الشيخ بدر الدين الزيتوني في هذه القطعة الزجل وقد
ذكر فيها صورة هذه الواقعة من حين سافر السلطان الى البلاد الشامية الى حين عوده الى
مصر وهي قطعة كلها غرر ومحاسن وكان التزم فيها نوع الجناس التام فهي كما قال فيها القايل

لحنها معرب واعجب من ذا ٭ ان اعراب غيرها ملحون

وهي هذه القطعة الموعود بذكرها قال

سلطاننا الاشرف خرج في اربعين ٭ من العساكر حين سافر حماه
دخل حلب ثم انتهى للفراة ٭ وعاد الى ملكوا وربه حماه
في مصر قد سار اربعين في العدد ٭ لدورة المحمل يبوفوا الجهاد
ورعبهم ساكن قلوب الملوك ٭ بردوا الخارج واهل العناد
خرج بهم سلطان مصر يفتخر ٭ على ملوك الشرق لاقصى البلاد
واخو اسوار لاقاه وفي صحبتو ٭ ولد حسن بك باتخدم ما اياه
فاخلع عليه اطلان واخلع على ٭ ولد حسن خلعة وشتتنا اياه
خرج لتطمين العباد في البلاد ٭ فكم شكر عادل وظالم نهر
عادل مظفر بالعدا لم يزل ٭ تجري دماهم من صحا ونهر
امامنا الاعظم مليك الورى ٭ اشرف وعدلو في الوجود اشتهر
كشف على النواب فمن حاف وجار ٭ انكر عليه فعلوا وبالعزل جاه
ومن راه عادل ورايه صواب ٭ اخلع عليه واعطاه منازل وجاه
لما دخل للشام توعك وكان ٭ من الهوا والتراب من ماء العيون
فقلنا كادت عاين تصيبوا فكان ٭ توعكو اجر ذرا لدفع العيون
وربنا عافاه وجبو النا ٭ سالم وقرت بو اجمع العيون
ومهد الدنيا وان بعد لوه ٭ ان سعى يبنى عزمو الشديد ما بناه
وفاز تبا ريخ ما فرح بو ملك ٭ قبلوا ونال القصد وبقي ثناه
واهل الفضايل والعلوم وردوا ٭ وكل واحد في الكتابه ذهب

يكتب تواريخ الملوك بالمداد … الا لقايتباى كتب بالذهب
هو فارس الاسلام وليث الوغا … وتهلوان العصر مبدى العجب
وخالقوا على مقامه الشريف … على الملوك وانشاه وقتما تراه
وكل ذا في اللوح تدبير في الازل … حظوة القلم جل الذى قد براه
لاجل الدوادار الكبير قد برز … امره بتوسيع الطريق المضيق
وكشف ابواب المساجد وما … بين المدارس كان على غير طريق
وصلح الابواب وشى جيصوا … واخلع على واحد مشد الطريق
ودكلوا بالقاهرة كل يوم … بنى بدور دكيا وقيد واعصاه
ويامر الناس بالبياض والدهان … طاع الجميع امره ولا احد عصاه ١١
صارت مدينتنا عروس للملك … وذا عجبا كيف العروس هو الولى
ونقشوها بالدهان ثم البياض … واصحت عروسه بالطراز تنجلى
وبدت المدات نهار الفرح … وزينوها بالحلى والحلل
وبان لها سيقان عواميد رخام … جلاها الصانع وتم جلاه
ودقت الكوسات نهار الدخول … وكان دخولوا في الموكب جلاه
تاريخ سنة اثنين عاد الاختيار … تلى ثمانين مع ثمان من مائتين
من هجرة الهادى عليه السلام … خير النبيين سيد المرسلين
تجهز السلطان يريد السفر … واخفا عن العسكر خرج في اربعين
وكثر لبيت المال خزائن ذهبا … ما يحصرها من قلم مع دواه
ونخ العسكر وكم من ضعيف … كان المخلف في بلاده دواه
هذا المعانى والبديع والجناس … من نظم زينونى لفنهم وادخول
ابو النجا العونى نظم في الملك … من حين خرجوا في السفر للدخول
فان تجد لو اعيب فسد الخلل … اذا اسمعتو في نظامو يقول
سلطاننا الاشرف خرج في اربعين … من العساكر حين سافر حماه
دخل حلب ثم انتهى للفراة … وعاد الى مملكوا وربه حماه

انتهى ذلك ولما رجع السلطان من البلاد الشاميه اتى وصحبته حسين بك ابن ابن حسن الطويل وكانت امه احضرته الى السلطان لما كان بحلب وكانت خافت عليه من اخوته لا يقتلونه فاتت به الى السلطان فاقام بمصر مدة طويلة وكان يركب وقدامه ساعى ثم انزعج وتوفي بالمدينة الشريفة **وفيها** تغير خاطر السلطان على الامير احمد بن عمر امير عربان هواره فتوجه اليه الامير يشبك الدوادار فقبض عليه وعلى اولاده واخوته فلما حضروا رسم السلطان بان يشنكلوهم على باب زويله كما فعلوا بسوار فشنكلوا الامير احمد بن عمر واولاده واخوته على باب زويله واقاموا ثلاثة ايام وهم معلقون

ثم لمنزلهم وكان بينهم وبين الامير يشبك حظ نفس لما كان كاشف الصعيد وجرحه في وجهه وذلك في دولة الظاهر خشقدم فاخذ بثاره منهم في هذه الايام ولا زال يقتلهم كما قيل … الجرح يبرا ولكن كلما نظرت … عينى الجريح اليه جدد الوجعا

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فيها توجه المقر السيفى جانى بك الفقيه امير سلاح الى الحجاز الشريف امير حاج امير المحمل وازبردى من اصحاب الاشرفى امير حاج اول فلما حجوا ورجعوا ارسل السلطان الى العقبة اوجاقى ينال له محمد بن قانباى وعلى يده مراسيم شريفه بالقبض على الامير جانى بك الفقيه امير سلاح فقبض عليه من هناك وتوجه به الى القدس الشريف فاقام هناك مدة ومات بالقدس ودفن هناك فلما دخلوا الحجاج الى القاهرة فاخلع السلطان على المقر السيفى يشبك الدوادار واستقر امير سلاح عوضا عن جانى بك الفقيه فتزايدت عظمة الامير يشبك وبقى امير سلاح ودوادار كبير ووزيرا واستادار وكاشف الكشاف ونظام المملكة فاجتمعت فيه هذه الوظايف السنية وصار صاحب الحل والعقد بمصر فكان كما قيل في المعنى … احسدتم في الذى خلدوا … ومن نامه الله لا يحسد

فكان الانسان اذا مر بباب يشبك الدوادار يخوط باية الكرسى لما يرى على بابه من الاهوال من كثرة المقفيا والرسل والسلاسل والاغلال انتهى **ثم دخلت** سنة اربع وثمانين وثمانمائة فيها في يوم السبت رابع عشرين المحرم كانت وفاة امير المومنين المستنجد بالله يوسف بن المتوكل على الله محمد توفى بالقلعة وصلى عليه الاشرف قايتباى ودفن عند اقاربه فكانت مدة خلافته نحو ستة وعشرين سنة الا اشهر وحضر مبايعة خمسة من السلاطين وهم المويد احمد بن اينال وخشقدم وبلباى وتمربغا وقايتباى فلما توفى اخلع السلطان على الخليفة عبد العزيز واستقر خليفة ولقب بالمتوكل وذلك في سادس عشرين المحرم من السنة المذكورة **ثم دخلت** سنة خمس وثمانين وثمانمائة فيها توجه السلطان الى ثغر الاسكندرية وهى السفرة الثانية وسبب ذلك انه لما انتهى عمارة البرج الذى قد انشاه هناك فتوجه لينظر بناه ثم نقل اليه من آلة الحرب والسلاح ما يحتاج به وجعل به جماعة من المجاهدين قاطنين به واجرى عليهم الجوامك والرواتب في كل شهر حسبما يكفيهم وجعل الامير قانصوه المحمدى شادا على هذا البرج **اقول** ولم يكن لاحد من الملوك اثارا اعظم من هذا البرج فانه بناه على جدار المنار القديم وجعل له ممشاة معقودة في البحر يدخل اليها الراكب والماشى وجعل في هذا البرج جامعا بخطبة وجعل فيه فرنا وطاحونا ومقعدا يشرف على البحر وينظر الى مراكب الفرنج لما يدخلوا الى الاسكندرية من مسيرة يوم كامل فيستعدون لذلك وجعل حول هذا البرج من الجهة المسلطة على مراكب الفرنج مكاحل معمرة بالمدافع ليلا ونهارا والمجاهدين مرابطين به

لا يخرجون من هذه البرج صاعز واحرة فهو كما قال القايل

لبس الفنا بغتا يستصناه به … حتى يكون له في الارض اثار

وفيها حضر الملك المويد احمد بن الاشرف اينال الى القاهرة بسبب توعك والدته فلما حضر فاكرمه السلطان وانعم عليه ونزل الى بيته في الجسر الاعظم فاقام بمصر حتى توفيت والدته وو فنها فتركه السلطان بمصر وتوجه الى ثغر الاسكندريه وقد تقدم ذكر ذلك في اخبار الملك المويد احمد ولما رجع السلطان من ثغر الاسكندريه اقام مدة يسيرة وتوجه الى ثغر دمياط وذلك على سبيل التنزه ونزل الى مركب صغير ودخل الى بحيرة تنيس ونظر الى صيد السمك البورى كيف يصيد وتر واقام هناك مدة وهو في ارغد عيش فجاء عليه عيد النحر وهو هناك فخرج اليه قاضي القضاة الشافعي ولي الدين الاسيوطي وتوجه الى دمياط وصلى به صلاة العيد وخطب به خطبة العيد فتعطلت على الناس ضحايا ايام الوتير في ديوان السلطان في هذه السنة بموجب غياب السلطان وحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك فلما رجع من دمياط اقام اياما وتوجه الى وادي العباسه واقام به اياما يتنزه وكان كثير الاسفار على حين غفله لا يقيم بالقلعة الا قليلا وغالب ايامه في تنادي

وفي هذه السنة اعني سنة خمس وثمانين وثمانماية **وفيها** قصد السلطان التوجه الى الحجاز فاطلع على الصاحب حتى تقدم الزمام واستقر به امير المحمل الشريف فعمل في تلك السنة مسايرة في شهر رمضان وتناهى فيها الى الغاية فلما خرج المحمل من القاهرة خرج في طلب عظيم فلما رحل المحمل من بركة الحاج فخرج السلطان من القاهرة بعد شيل المحمل بيومين فخرج تحت الليل ولم يشعر به احد من الناس وكان صحبته بعض امرا عشراوات وبعض مماليك سلطانيه وكان صحبته الشيخ برهان الدين بن الكركي الامام وجماعة من اولاد الجيعان ومن المباشرين بعض جماعة فلما دخل الى مكة فكان له موكب عظيم ولاقاه امير مكة محمد بن بركات في عسكر عظيم فلما دخل السلطان الى مكة نزل في مدرسته التي انشاها عند باب السلام المطلة على المسعى بالقرب من باب الخابز فاقام بمكة اياما ثم صعد الى الجبل وقضى مناسك الحج ثم رجع الى مكة واخلع على امير مكة وقضاتها واخذ خاطرهم ورحل من مكة قاصدا المدينة الشريفة فدخل المدينة وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وفرق على فقرا المدينة ومكة جملة مال ثم قصد التوجه الى نحو الديار المصريه فدخل قبل مجي الحاج بثمانيه ايام فنزل عند قبة الامير يشبك الدوادار التي انشاها بالمطرية فمد له هناك الاتابكي ازبك مدة عظيمة ثم ركب من هناك وشق من المدينه في موكب عظيم وطلب عظيم وحمل على راسه القبة والطير الاتابكي ازبك وحملوا قدامه بالغواشي الذهب ولاقته القضاة الاربع من باب النصر وطلعوا قدامه الى القلعة وفرشت له الشقق الحرير من الشبابيك الى القلعة ولاقته مغاني البلد حتى ابن رحاب واستمر قدامه حتى طلع الى القلعة فلاقته المغاني الستا من ساير الجوق التي بالمدينة

وفرشت له خوند الشقق الحرير المذهب من باب القلة الى الحوش السلطاني ونثرت خوند على الناس النثار وحريراً الاصفر وعلى جماعة من الخدام ارباب الوظايف وبعثت له خوند القلعة وهذا كان الموكب الثالث التي حملت فيه القبة والطير على راسه وشق من القاهرة وزينت له فان اول مواكبه لما اتى من المرحلة وثاني موكب لما قدم من الشام وثالث موكب لما اتى من الحجاز وارکب بثغر الاسكندريه موكبين فلما طلع الى القلعة مد له هناك الامير يشبك الدوادار مدة عظيمة اعظم من التي مدها له الاتابكي ازبك في المطرية ثم دخل عليه من الامرا ومن المباشرين ومن اعيان الناس تقادم تسد عين الشمس مالا ينحصر وقد هناه الشهاب المنصوري عند عوده من الحجاز الشريف بهذه القصيدة البديعة اللطيفة وهو قوله

قدم السرور بمقدم السلطان … من حجه المقبول بالرضوان
فدعاؤنا ببقائه في نعمة … وسلامة فرض على الاعيان
لما نوى حجا ولبى محرما … عمر الامان مرابع الغزلان
حظيت به ام القرى مذ زارها … واشتاق مصر ابو البلدان
والكعبة افتخرت وودت انها … في حد دولته من الحيلان
لو انها عقلت لخرت حرمة … لله ساجدة على الاذقان
وسلمت عليه جهرا وابدلت … سر السلام عليه بالاعلان
نطوف الملك الهمام بها الى … سبع ولولا الحد زاد ثمان
وصفا له قلب الصفا والمروة … استوثقت به موقي بني مروان
وافاض منذ افاض من عرفاتها … دمع اشتياق سال كالغدران
وعلى منى بلغ المنا من ربه … ورمى الجمار بمهجة الشيطان
وقضى مناسك حجه تاممها … مختومة بالحمد والشكران
فالحمد لله الذي جبر الورى … وحمى الغزى بسلامة السلطان
فاستبشرت مصر وهنا بعضها … بعضا بعودته الى الاوطان
ثم الصلاة على النبي المصطفى … خير الانام وسيد الثقلان
ما لاح برق وتالق بارق … او غردت ورق على العيدان

واما الحوادث في اشغال الوظايف فان الامير يشبك الدوادار استقر امير سلاح مع ما بيده من الوظايف واستقر الامير قجماس امير اخور كبير واستقر الامير قانصوه خمسماية دوادار ثاني وانعم على الامير ثاني بك قرا بتقدمة الف وانعم على الامير جانم نايب الشام الشريف بتقدمة الف **ومن الوقايع** ان الامير جانم تزوج باخت خوند وهي بنت العلاي علي بن خاص بك فكان طهارهما عظيما وكان له زفة لم يسمع بمثلها ومشت فيها الامرا المقدمين وكان الامير يشبك الدوادار ماشي وهو ماسك لجام

خوش الامير جانم هو والامير ازدمر الطويل حاجب الحجاب من بيته الذي في التبانة الى بيت ابن خاص بك الذي بين القصرين وزين في تلك الليلة الشارع بالشمع والقناديل وعلقوا له احمال موقوده بالقناديل من التبانة الى بين القصرين وكانت ليلة لم يسمع بمثلها في الفرجة والتقصف وكان الامير جانم حسن الشكل بهي المنظر قل ان يوجد في الاتراك مثله في الحسن والملاحة كما قال القائل

ماسمعنا والله فيما سمعنا ... بعروس تجلى عليها عروس

ثم دخلت سنة ست وثمانين وثمانمايه فيها كان عود السلطان من الحجاز الشريف وجرى ما تقدم ذكره عند دخوله الى القاهرة فاقام بالقلعة مدة يسيرة ثم خرج على حين غفلة وتوجه الى زيارة بيت المقدس وزيارة الخليل عليه السلام واقام هناك اياما وامر ببنا مدرسة على باب حرم القدس الشريف ثم رجع الى القاهرة ومن الحوادث في السنة المذكورة جآت الاخبار من المدينة الشريفة بان في اثنا شهر رمضان من سنة ست وثمانين وقعت صاعقة عظيمة من السما على المسجد الشريف النبوي فاحترق جميعه حتى القبة الخضرا والمقصورة الشريفة وكان ذلك في اواخر الليل وقد شاهدوا في الليل اطيارا بيض باعناق طوال قدر الرخم طايفين حول المسجد يطفون النار ان لا تحرق البيوت الذي حول المسجد فاحترقت سقوف المسجد كلها وحيطانه وابوابه فكتبوا بهذا الذي عاينوه محضرا وثبت على قضاة المسجد والمدينه وارسلوا المحضر الى السلطان فلما قراوه عليه فبكا وقد تعجبت الناس لهذه الواقعة كيف جرى ذلك في مثل هذا المكان الشريف فقيل لما اشيع ذلك في بلاد الفرنج فاظهروا الفرح والسرور فاجاب واعتذر عن ذلك الشهاب المنصوري

لم يحترق حرم النبي لحادث ... يخشى عليه ولا دهاه العار
لكنما ايدي الروافض لامست ... ذاك الجناب فطهرته النار

وقال الشيخ شمس الدين القادري

بطيبة سيآت الركب بدلها ... رب العباد حسنات عندما زاروا
وعندما قبلت صاحت لدى حرم الـ ... ـمختار من اهلنا قربانه النار

ثم ان السلطان عين الخواجا شمس الدين ابن الزمن بان يتوجه الى المدينة الشريفة بسبب عمارة المسجد الشريف النبوي وعين معه جماعة من البنايين والنجارين والمرخمين ودفع اليه نحو مائة الف دينار بسبب مصروف العمارة فتوجه الى السفر بسبب ذلك وكان في المحضر ان المؤذن طلع الى المادنة الشرقية يسبح الله سبحانه وتعالى فراى صاعقة عظيمة نزلت على القبة الشريفة في اواخر الليل فعلقت فيها النار فاحترقت فلما عاين المؤذن ذلك تخرس ونزل من المادنة فاقام ساعة ومات وعاينوا طيورا بيضا قدر الرخم تمنع النار عن البيوت التي حول المسجد ان لا تحترق ومن الحوادث

في هذ

في هذه السنة ايضا وقعت زلزلة عظيمة بالديار المصرية فاقامت نحو ست درج ثم في هذه الزلزلة عدة اماكن وبيوت ووقع بالمدرسة الصالحية حايط على قاضي القضاة الحنفي بن عبيد الدمشقي فمات من يومه ومات من الوجعة الجناب الزيني ابو بكر بن القاضي عبد الباسط ولم يقع زلزلة مثل هذه بمصر الا في زمن محمد بن قلاوون ومن الحوادث في هذه السنة انه لما كان مستهل جمادى الاخر فطلعوا القضاة يهنوا مولانا السلطان بالشهر على جاري العاده فتغير خاطره على القاضي ابي بكر بن مزهر كاتب السر وعلى قاضي القضاة الشافعي ولي الدين الاسيوطي وعلى قاضي القضاة الحنبلي بدر الدين السعدي فعزل الثلاثة في يوم واحد ورسم بنفي القاضي الحنبلي الى قوص فشفع فيه الاتابكي ازبك فبطل امر نفيه الى قوص وكان السلطان لما توفي قاضي القضاة عز الدين الحنبلي ستروى فيمن يوليه قاضي حنبلي فارسل طلب القاضي بن مفلح من دمشق ليوليه قاضي حنبلي فتعزز مجيئه الى مصر فاقامت القاهرة بلا قاضي حنبلي نحو سنة ثم ان القاضي كاتب السر سعى لبدر الدين السعدي فتولى على عقل من السلطان فلما تغير خاطره عليه ورسم بنفيه الى قوص فشفع فيه الاتابكي ازبك فاعيد الى وظيفته كما كان فاما القاضي كاتب السر فانه استمر معزولا نحو ثمانية عشر يوما ثم ان السلطان اخلع عليه واعيد الى وظيفته كما كان فلما نزل من القلعة الى بيته ثم زينت له المدينة بالشمع والزينة ولاقته المغاني وكان له يوما مشهودا بالتهاني وفي ذلك يقول زين الدين ابو الخير بن النحاس

مقام ابن مزهر فوق السها ... وقد زاد في اجلاله
وظيفته الدهر شموا به ... ولم تكن تصلح الا له

واما القاضي ولي الدين الاسيوطي فانه استمر معزولا وبقيت القاهرة نحو اربعين يوما بلا قاضي شافعي فلا بت في هذه المدة القاضي كاتب السر متكلما في وظيفة قضا القضاة فلما كان يوم الخميس سادس رجب فيه اخلع السلطان على الشيخ زكريا واستقر قاضي قضاة الشافعية عوضا عن الشيخ ولي الدين الاسيوطي وقد اقام في القضا نحو من ستة عشر سنة وقد تولى في اثنا دولة الظاهر خشقدم وقد اخذ عن القاضي ابو السعادات البلقيني وابو السعادات اخذ من صلاح الدين المكيني وصلاح الدين المكيني اخذ عن يحيى المناوي ويحيى المناوي اخذ عن علم الدين صالح البلقيني وكل ذلك كان في دولة الملك الظاهر خشقدم واستمر الاسيوطي معزولا الى ان مات ومن الحوادث في هذه السنة حضر الى الابواب الشريفة ابن عثمان المسمى بالجمجمة وقيل اسمه جام فلما وصل الى المطرية خرجت الامرا والعسكر قاطبة الى تلقيه فلما طلع الى القلعة فاخلع عليه السلطان خلعة سنيه وانزله في مكان قد اعد له وحضر صحبته والدته واولاده وعياله وكان سبب حضوره انه وقع بينه وبين اخيه ابي يزيد حظ نفس فخاف على نفسه من القتل فحضر الى مصر والتجا الى السلطان فاكرمه ورتب له ما يكفيه وفيها قبض السلطان على الامير ازدمر الطويل

حاجب الحجاب ونفاه الى الصعيد ثم ارسل قطع راسه واحضرها الى القاهرة **وفيها** اخلع السلطان على الامير برسباى قرا واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن ازدمر الطويل **وفيها** توفى الامير جانم ثانى ابن المقام الشريف فكثر عليه الحزن والاسف لكون انه كان شابا جميل الصورة وقيل ان الامير يشبك الدوادار اشغله فلما مات الامير جانم انعم السلطان على خوابنده اتبردى من على باى بتقدمة الامير جانم وبجميع بركه ومماليكه حتى زوجه باخت خوند زوجة الامير جانم **وفيها** قبض الامير يشبك من حيد رد الى القاهرة على امراة من الطفاف يقال لها خديجة الرجابية فضربها بنحو خمس ماية عصاه من غير ذنب ولا امر حب لذلك فاستمرت عليلة الى ان ماتت فكثر عليها الحزن والاسف فانها كانت اخر مغانى البلد فى الطرب والدخول وكان اصلها من مغانى العرب ثم حظيت عند اعيان الناس وارباب الدولة حتى تناها امرها الى الغاية وقد قيل فيها القايل

رجابية يجلى الشموس جمالها ❊ لها در الفاظ تناها كمالها

وقد خايلت بالبدر ليلة تمه ❊ فما زال عن عينى وقلبى خيالها

ومن الوقايع اللطيفة فى هذه السنة ان القاضى ابو بكر بن مزهر كاتب السر الشريف ختن اولاده وعمل المهم فى بركة الرطلى وذلك فى اواخر شهر شعبان من سنة ست وثمانين وثمانماية وعزم على الاكابر هناك وحضر المهم الجمجمة ابن عثمان واحرق فى تلك الليلة حراقة نفط ببركة الرطلى واوقد فيها وقدة لم يسمع بمثلها فيما تقدم واستمر الوقيد والنفط عمال لليلتين خرجت البنت واخذ دها تتفرج على ما وقع فى بركة الرطلى وبلغ كرى كل مركب فى تلك الليلة اربع اشرفية وعلقوا فى البيوت احمال وتنانير مسحونة بالقناديل حتى كان الانسان يدخل الخيط فى خرم الابرة من عظم ضوء القناديل التى وقدت فى بركة الرطلى فى تلك الليلة وفيها يقول الشيخ شمس الدين القادرى

يا حسنها بركة بالحسن ما برحت ❊ تزهو على ساير الخلجان والبرك

حفت بضوء مصابيح كشمس ضحى ❊ تضى فى حندس الديجور والحلك

فكان لما تلها نور بهجتها ❊ تحكى شموس الضحى فى دارة الفلك

وعندما نصبت اشراك بهجتها ❊ صادت طيور قلوب الناس بالشرك

واما ما وقع من انتقال النيابات فى ايامه فان جاءت الاخبار بوفاة نايب الشام جانى بك قلقسيز فارسل السلطان الى قانصوه اليحياوى تقليدا بنقله من حلب الى نيابة الشام عوضا عن جانى بك قلقسيز بحكم وفاته ونقل فى اثنائه ازدمر من طرابلس الى نيابة حلب ونقل بردبك المعمار من نيابة صفد الى نيابة طرابلس عوضا عن ازدمر ونقل مملوكه جانى بك الى نيابة صفد عوضا عن بردبك المعمار وكان ذلك فى اثنا سنة اربع وثمانين وثمانماية **وفيها** حج الجمجمة ابن عثمان فاقام له السلطان بركه وسنيح وجميع ما يحتاج اليه وكان المتسفر عليه القاضى شهاب الدين ناظر الجيش فلما رجع من الحجاز اقام بمصر مدة

وكان يحضر مواكب السلطان فى وقت الاعياد بالشاش والقماش وكان نيف فوق امير سلاح ثم انه طلب من السلطان دستورا بان يرجع الى بلاده ويجمع عساكر ابيه ويحارب اخيه فان نفدت العسكر كان معه فنهاه السلطان عن خروجه من مصر فلم ينتهى فاذن له فى السفر فترك امه واولاده وعياله بمصر وخرج هو بنفسه فلما كان فى اثنا الطريق فى البحر المالح خرج اليه جماعة من الفرنج فاسروه واستغر نوابه فى البلاد فانقطعت اخباره فاقام فى بلاد الفرنج الى ان مات فكان كما قيل ❊ ليس المقر بمجود ولو سلم **ثم دخلت** سنة سبع وثمانين وثمانماية فيها جاءت الاخبار من حماه بان الامير سيف من عربان بنى نعير من آل فضل قد خرج عن الطاعة واظهر العصيان واتفق مع نايب حماه وقتل فى المعركة جماعة كثيرة من عسكر حماه فلما جاءت الاخبار الى القاهرة بذلك فقال الامير يشبك الدوادار انا اتوجه اليه ومعى عسكرا وكان سبب رغبة الامير يشبك فى السفر فان بعض الاعجام حسن للامير يشبك بان مملكة حسن الطويل ساتيه وان ابنه يعقوب مشتغل بالسكر وان عسكره قد خلف فظن الامير يشبك انه اذا اخذ معه عسكرا وتقاتل مع ابن حسن بك فيغلبه ويأخذ منه مملكة العراق ويتفرد بها ويملك مصر فانه كان وقع بين الامير يشبك وبين مماليك السلطان بسبب موت الامير جانم قرابة السلطان فانه كان اتهم بانه اشغله فقصد باخذ مملكة العراق من يعقوب بن حسن بك ويستقل بها ويترك مصر فكان كما قيل فى المعنى

انظمع من ليلى بوصل وانما ❊ تقطع اعناق الرجال المطامع

فعين معه السلطان تجريده ثقيله وعين بها خمسماية مملوك وعين الامير برسباى قرا والامير تانى بك قرا وجماعة من الامراء العشراوات فخرج الامير يشبك من القاهرة بعد طلب ولا كوسات فتفاءلوا الناس بعدم عوده الى مصر وانطلقت السن الناس بانه قد توجه الى سيف فلما خرج من مصر دخل الى الشام واخذ معه نايب الشام قانصوه اليحياوى وكذلك نايب حلب ازدمر وكذلك نايب حماه وتوجه الى حلب ومعه نايب طرابلس وساير النواب بصحبته ثم خرج من حلب وتوجه الى نحو الرها فتعدى من هناك وتوجه الى نحو الرها وكان الامير يشبك لما توجه الى سيف ودخل حماه فهرب سيف من وجهه وقصد نحو الرها فتبعه الامير يشبك بمن معه من النواب والعسكر فلما دخل الرها حاصر اهل المدينة وكان نايب الرها شخصا من امراء يعقوب ابن حسن بك يقال له بيان دز فارسل الى الامير يشبك يتلطف به فى الكلام وقال له ضمان سيف على انا اقبض عليه واسلمه اليك ثم ان بيان دز ارسل يسال الامير يشبك ان يرحل عن الرها وهو ياخذ له من اهل المدينة قاطبة مال له جرم فابا الامير يشبك من ذلك وقد راى كثرة العساكر الذى معه فطمعت اماله فى اخذ مدينة الرها ويملكها ثم من بعد ذلك زحف على بلاد حسن الطويل حتى ياخذها بالسيف ثم ان الامير يشبك

نوى عزمه على قتال بيان در فلبس آلة الحرب وزعق النفير وركب العسكر قاطبة وبرز اليهم بيان در في الجم الغفير من العسكر فكان بينهم وقعة لم يسمع بمثلها في زمن تمرلنك فلم تكن الا ساعة يسيرة وقد انكسر الامير يشبك كسرة قوية واحاطوا بالعساكر المصرية فلم ينج منهم احد الا القليل ثم انهم قبضوا على الامير يشبك باليد وانزلوه عن فرسه واسروه وكذلك اسروا الامرا وهم الامير برسباى قرا والامير تانى بك قرا ونايب الشام قانصوه اليحياوى ونايب حلب ازدمر ونايب حماه وجماعة من الامرا العشراوات والمماليك السلطانيه خلايقا وفتحت عليهم شبكة ثم نهبوا وطاق العسكر بجميع ما فيه ثم ان بيان در قيد النواب ومن اسر من الامرا المصرية وارسلهم الى يعقوب ابن حسن بك وارسل اليه باعيان ما نهب من برك العسكر والسلاح الفاخر والخيول وغير ذلك اشيا كثيرة **واما يشبك** الدوادار فانه اقام عند بيان در ثلاثة ايام ثم ارسل اليه عبدا اسود من عبيد التراكمة فقطع راسه على قارعة الطريق وبقيت جثته مرمية على الطريق وعورته مكشوفة حتى سترها بعض الناس بحشيش الارض فسبحان من يعز ويذل وقد قيل في المعنى

ما اعجب الدهر في تقلبه ۞ والدهر لا تنقضي عجايبه
وكم راينا في الدهر من اسد ۞ بالت على راسه ثعالبه

فلما قطعت راس الامير يشبك فارسلها بيان در الى يعقوب بن حسن فطافوا بها في بلاد العجم على رمح والبسوا راسه تخفيفته الكبيرة لما طافوا بها واستمر النواب والامرا الذين اسروا عند يعقوب بن حسن في بلاد العجم الى ان افرج الله عنهم كما سياتي ذكر ذلك في موضعه وكانت هذه المصيبة التي جرت على عسكر مصر في هذه السنة لم يسمع بمثلها سوى في دفعة غازان عندما انكسر الناصر محمد بن قلاوون كما تقدم وقد ساق الله تعالى الامير يشبك الى تحت الارض من غير سبب حتى نفذ القضا والقدر **وقد روى** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد الله قبض روح عبد بارض جعل له اليها حاجة فلم ينتهي حتى يقدمها **ومن النكت اللطيفة** قيل ان ملك الموت زار سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسايه ويطيل النظر اليه فقال ذلك الرجل لسليمان عليه السلام من هذا الرجل الذي يطيل الي النظر فقال له سليمان هذا ملك الموت فقال الرجل لسليمان اقسمت عليك بالله يا نبي الله الا ما امرت الريح يحملني ويلقيني خلف جبل قاف فامر سليمان الريح ان تحمل ذلك الرجل وتلقيه خلف جبل قاف فقال ملك الموت لسليمان كان نظري الى هذا الرجل تعجبا منه لاني قد امرت بقبض روحه خلف جبل قاف وقد وجدته بحضرتك فصرت متعجبا من امره فلما مضى ذلك الرجل خلف جبل قاف قبض ملك الموت روحه هناك كما امر وهذا مصداقا الحديث الشريف وقد اراد الله قبض روح الامير يشبك بالرها فكيف كان يموت بمصر وقد كان الامير سيفا

سببا لذلك حتى خرج اليه الامير يشبك ومات هناك وقد نهى بعض الناس عن السفر الى بلاد الشرق وقال

اذا شيت ان تلقى دليلا الى الهدى ۞ وتقفوا اثار الهداية من كان
فخل بلاد الشرق عنك فانها ۞ بلاد بلا دال وشرق بلا قاف

فلما جاءت الاخبار بالديار المصرية بما جرى على العسكر من هذه البلية فاضطربت عند ذلك الاحوال وتزايدت الاهوال وصارت طايفة يكذبون بموت الامير يشبك وطايفة من الناس يصدقون واستمرت الفتنا والرسل على ماير اياما عديدة فما عن قريب الا وقد حضرت جثة الامير يشبك في محلية خشب فعند ذلك زال الشك باليقين وثبت موته عند الناس اجمعين ودفن في تربته التي انشاها عند زاوية كهنبوش وشاعت اخباره الى بلاد الجيوش وشالوا شكة الفتيا عن ماير وتقطعت من كل جانب اسبابه وقد قال القايل

كم من ملوك طغوا فينا وما عدلوا ۞ ولم تنل حتفهم دفنا مساكنهم
فاستغن بالسمع عن مراهم عظة ۞ فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم

وكان الامير يشبك هذا اميرا عظيما مهابا مليا عسوفا وكان له بمصر حرمة وافرة وكلمة نافذة وقد اجتمع فيه من الوظايف ما لا اجتمع في غيره من الامرا وكان صفته اشقر اللون مستدير الوجه اشهل العينين طويل القامة غليظ الجسد عارفا باحوال المملكة صلبا في محاكماته لا يزاد في الكلام وهو الذي انشا القبة التي في المطرية والقبة التي في الحسينيه وله غير ذلك اثار كثيرة على جهات بر وصدقة وكان له محاسن ومساوي كما قيل

مرجوا ويخشى حاليك الورى ۞ كانك الجنة والنار

فلما تحقق السلطان موت الامير يشبك فانعم على الغز السيفي تمراز الشمسي واستقر به امير سلاح عوضا عن يشبك وانعم على الغز السيفي اقبردي من على باي قرابة السلطان واستقر به امير دوادار كبير عوضا عن يشبك وذلك في اثنا سنة سبع وثمانين وثمانماية **وفيها** انعم على الامير قانصوه خمسماية واستقر به اميرا خور كبير عوضا عن قجماس لما بقي نايب الشام **وفيها** انعم السلطان بتقادم الوف على جماعة من الامرا وهم ازدمر تمساح ويشبك الجمالي وازدمر المسرطن الظاهري وانعم على الامير تغرى بردي المحمدي المعروف بالقادري وجعله متكلما في الاستادارية وانعم على الامير تغرى برمش وجعله متكلما في الوزاره ثم بعد مدة انعم على الصاحب قاسم واعيد الى الوزاره **وفيها** قبض السلطان على مجد الدين بن البقري وسجنه بالمقشره فاقام بها مدة طويله ثم بعد ذلك وسطه في بركة الكلاب قيل انه اظهر الشماتة بالامير يشبك لما قتل فحلف السلطان انه يوسطه فلما بلغه ذلك فلا زال حتى وسطه كما حلف انه يشنق القاضي تاج الدين بن المقسي وشنقه هو وشيخ العرب قاسم بن بيبرس في يوم واحد واحدتم ذلك **ثم دخلت** سنة ثمان وثمانين وثمانماية فيها ارسل السلطان تجريدة الى حلب وقد خشي ان يعقوب بن حسن بك ان يزحف على البلاد

ويطمع في عسكر مصر بسبب ما جرى للامير يشبك مما تقدم فارسل الاتابكي ازبك امير
كبير وجماعة من الامرا الطبلخانات ومن الامرا العشراوات منهم الامير جاني بك حبيب
امير اخور ثاني وغيره من الامرا فخرج الاتابكي ازبك والامرا والعسكر وتوجهوا الى حلب
فاقام بها الاتابكي ازبك ثم عين الامير جاني بك حبيب بان يتوجه الى يعقوب بن
حسن بك بسبب الامرا والنواب الذي عنده في الاسر فلما وصل الامير جاني بك حبيب
فاكرمه يعقوب بن حسن بك وشرع يعتذر له مما جرى وان ذلك من غير علمه وانه قد
كله شغل بيان دره فلا زال الامير جاني بك يتلطف به اي بيعقوب في الكلام وكان الامير
جاني بك حبيب حلو الكلام حتى اطلق من كان عنده من الامرا والنواب وهم نايب
الشام قانصوه اليحياوي ونايب حلب ازدمر ونايب حماه جانم ومن الامرا الامير
برسباي قرا والامير قاني بك قرا وغير ذلك من الامرا ممن كان عنده من المماليك اسرا
وكان الفاكر في اطلاق هولا الامرا والنواب والرغ يعقوب ابن حسن بك وقامت
علي ابرها يعقوب حتى اطلق من عنده من الاسرا وخمدت هذه الفتنة فلما وصلوا الى
حلب فقصد الاتابكي ازبك التوجه الى الديار المصرية فاتي وصحبته الامرا فارسل
السلطان مراسيم شريفه بان نايب الشام قانصوه اليحياوي يتوجه الى القدس بطالا
وقد تغير خاطر السلطان عليه قيل انه كان سببا لكسرة الامير يشبك حتى قتل
فلما اتو الامرا الى مصر فرح السلطان بذلك واخلع على الاتابكي ازبك خلعة سنية
ثم اخلع على الامير برسباي قرا الذي كان قد اسر عند يعقوب بن حسن بك فاستقر
به راس نوبة النوب عوضا عن تمراز الشمسي لما بقي امير سلاح واخلع على الامير قاني
بك قرا واستقر به حاجب الحجاب بعد ان قتل وردش ثم اعيد ازدمر الى نيابة حلب
كما كان واستمر الحال ساكنا مدة يسيرة فلما كان يوم الثلاثا عاشر جمادي الاولى
فيه ركبوا المماليك الجلب على الامير برسباي قرا راس نوبة النوب فاحرقوا بيته
ونهبوا قماشه ونهبوا التي حول بيته وحرقوهم وكانت فتنة عظيمة في ذلك اليوم
وهي اول باب الفتن الواقعة في ايام السلطان قايتباي واستمرت الفتنة من يوميذ
تتزايد كما سياتي ذكر ذلك في موضعه وكان سبب هذه الفتنة ان برسباي قرا
حكم بين جماعة من المماليك الاجلاب فتعصب لبعضهم فثارت من ذلك هذه الفتنة
العظيمة ثم ان السلطان نقل الامير برسباي قرا من راس نوبة النوب واستقر به
امير مجلس عوضا عن ازدمر نايب حلب لما عاد اليها ثانيا واخلع على الامير تغري
بردي ططر واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن برسباي قرا **ومن الحوادث**
ان السلطان اخلع على شخص من الاراذل يقال له محمد بن العظمة وكان اصله قرا واستقر
به ناظر الاوقاف فجار على الناس بالظلم وصار يشوش على اعيان الناس ويصادرهم
بسبب الاوقاف فحصل للناس منه غاية الضرر الشامل وكان السلطان سببا لذلك

الضرر الشامل كما قيل في المعنى

لبابك بواب عن الخير مانع ۞ اضاف لقبح الوجه سوء خطابه
فشاويت فيه من غدا يمنع القرا ۞ ومن يربط الكلب العقور ببابه

فكان ابن العظمة هذا يورد للسلطان في كل شهر جملة مال فلا يدري هي من حلال او من حرام
كما قيل ۞ فتمنى حرامه وحلاله ۞ فاجرت ابن العظمة هذا بمصر مظالم ما لاحد بها عهد
في زمانه انتهى **ثم دخلت** سنة تسع وثمانين وثمانمائة فيها وقعت مقارب الفتن
بين السلطان وبين محمد بن عثمان ملك الروم وذلك بسبب هدية اهداها بعض تجار الهند
الى ابن عثمان فشعر بها السلطان فاحتاط عليها وكان من جملة الهدية خنجر مرصعا بانواع
الفصوص الثمينه فلما سمع ابن عثمان بذلك فاخذ في اسباب جمع عساكره وقصد ان يزحف على
بلاد السلطان وقد طمع في عسكر مصر بسبب ما جرى لهم مع بيان در نايب الرها فلما بلغ السلطان
ذلك فاضطربت احواله فجمع الامرا وضرب في ذلك مشورة فاشاروا الامرا على السلطان بان
يرسل الى ابن عثمان قاصدا وعلى يده هدية جليلة ويلتمس بينهما صلحا فعند ذلك عين السلطان
الامير جاني بك حبيب امير اخور ثاني وارسل صحبته هدية جليلة الى ابن عثمان وجهز
صحبته تلك الهدية ذلك الخنجر الذي كان سببا لهذه الفتنة فكان كما قيل

جفاء جرى جهرا لدى الناس وانبسط ۞ وعذر اتى سرا فاكد ما فرط
ومن ظن ان يمحوا جلي جفاية ۞ خفي اعتذار فهو في غاية الغلط

فاخذ جاني بك تلك الهدية وتوجه نحو ثغر الاسكندرية ثم نزل من هناك في البحر المالح
وتوجه الى بلاد ابن عثمان وكان السلطان قبل ذلك بمدة ارسل السيفي الامير يشبك الجمالي
توبست ناظر الخاص قاصدا الى ابن عثمان فلم ير من ابن عثمان وجها فلما توجه الامير جاني
بك حبيب اقام عنده مدة ثم رجع الى مصر وهو عليل فلما رجع الامير جاني بك من عند
ابن عثمان فاخبر انه غير ناصح ولم ينصف الامير جاني بك ولم يجر على عادة القصاد
فاستمر الامير جاني بك مريضا الى ان مات ثم بعد مدة جات الاخبار من حلب بان جاليش
عسكر ابن عثمان قد وصل الى البلستين فلما تحقق السلطان ذلك فنادى في العسكر بالعرض
فعرض ونفق وكتب من المماليك السلطانية نحو ثلاثة الاف مملوكا وعين من الامرا المقدمين
ثمانية وهم الاتابكي ازبك باش العسكر والمقر السيفي تمراز الشمسي امير سلاح والمقر
السيفي برسباي قرا امير مجلس والمقر السيفي قانصوه خمسمائة امير اخور كبير والمقر السيفي
تغري بردي ططر راس نوبة النوب والمقر السيفي قاني بك الجمالي والمقر السيفي ازبك
اليوسفي والمقر السيفي ازدمر المرطن وغير ذلك من الامرا الطبلخانات والعشراوات
فخرجوا من القاهرة على حمية وكان لهم يوما مشهودا في الزحمة على الاطلاب وكان طلب
الاتابكي ازبك وطلب الامير قانصوه خمسمائة في غاية الحسن ونهاية في العظمة فلما خرجوا
من مصر توجهوا الى الشام فخرج معهم نايب الشام وكذلك نايب حلب ثم خرجوا من حلب

ونلاقوا مع عسكر ابن عثمان فكان بينهما وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها فانكسر عسكر ابن عثمان
وقتل منه نحو خمسين الف انسان على ما ذكر وولوا مدبرين واسر ابن هرسك باش عسكر ابن
عثمان ومعه جماعة من امرايه وعسكره ثم ان الاتابكي ازبك ارسل الى القاهرة رؤوس من قتل
من اعيان عسكر ابن عثمان وكانت هذه النصرة لعسكر مصر على غير القياس وجاءت الاخبار
بان الامير برسباي قرا والامير تغري بردي ططر قد توفيا الى رحمة الله تعالى من غير قتل **وفيها**
جاءت الاخبار بان درنايب الرها الذي قتل الامير يشبك الدوادار قد قتل وذلك
ان يعقوب ابن حسن بك لما قتل عليه امر عيان دركس عليه من قتله في سكر وارضى سلطان
مصر بذلك حتى تمهدت من بينهما الفتنة **ومن الحوادث** الواقعة ان السلطان ساق
فرسا في الحوش ولعب الاكرة فالكي بر الفرس وانقلب عليه فانكسرت رجله فاغمي عليه
فحمله بعض الخاصكية ودخل به الى قاعة الدهيشة فصنعوا له سريرا مقور وجلس عليه
وصنعت له الحكما والمزينون فاقام نحو شهرين وهو على السرير منقطع ولم يحضر الموكب
وكان العسكر غايبا في التجريدة فاشيع في البلاد بموت السلطان ثم حصل له الشفا
ودخل الحمام فكان له لما ركب وصلى الجمعة يوما مشهودا بالقلعة ووزعت خوند على الخاصكية
والخدام شقق حرير اصفر وطلعت جميع مغاني البلد يهنوا بعافية السلطان **وفيها**
تغير خاطر السلطان على محمد بن المعظم ناظر الاوقاف فضربه بالمقارع وارسله الى المقشرة
وكان تزايد في الظلم في حق الناس ولما شفا السلطان ودخل الحمام قال في ذلك الشهاب
المنصوري

وقد زعموا ان الجواد كبا به ... وحاشاه من عيب يضاف اليه
ولكن راي سلطان عز وهيبة ... فقبل وجه الارض بين يديه

وكان في مدة توعك السلطان تطلع الامرا في كل يوم الى الخدمة ويقفوا في الحوش حول
الدكه وكذلك المباشرين يقفوا ساعة ثم ينصرفوا **وفيها** قبض السلطان على الصاحب
خشقدم الزمام ونفاه الى سواكن واخذ جميع موجوده واستمر منفيا بسواكن الى ان مات
هناك وقبل ذلك بمدة نفى الامير مثقال البرهاني مقدم المماليك الى القدس وكذا مرو
شاد الحوش الى نحو بلاد الصعيد فاستمر هناك الى ان مات ونفا الامير خيربك من
حديد الى مكة فاستمر هناك الى ان مات **ثم دخلت** سنة تسعين وثمانماية فيها حضر
الاتابكي ازبك من التجريدة وبقية الامرا ولم يفقد منهم سوى الامير برسباي قرا
والامير تغري بردي ططر فلما حضر العسكر اخلع السلطان على الامير تاني بك الجمالي
واستقر به امير مجلس عوضا عن برسباي قرا واخلع على الامير ازبك اليوسفي واستقر
به راس نوبة النوب عوضا عن تغري بردي ططر بحكم وفاتهما **ومن الوقايع** اللطيفة
في ايامه بان السلطان نادى في القاهرة بان امراة لا تلبس عصابة مقنزعة ولا عصابة
قصيرة وكان يوميذ الامير يشبك الجمالي محتسبا بالقاهرة فكتب على الذين يبيعوا
اوراق عصايب النسا قسايم بان يكون طول كل ورقة نصف ذراع وهي مختمة

حتى

حتى لا ينقصون منها وصارت رسل المحتسب يطوفون في الشوارع والاسواق فان وجدوا
امراة بعصابة مقنزعة او بعصابة قصيرة يضربونها ويجرسونها والعصابة معلقة في
رقبتها فعسر امر ذلك على النسوان وصرن اذا خرجن الى الطرقات في حاجة يكشفن
رؤوسهن ويمشين بلا عصايب واستمروا على ذلك مدة فلما طال عليهن الامر فلبسن
العصايب الطوال التي رسم بها السلطان وفي ذلك يقول زين الدين ابو الخير بن النحاس الشاعر

امر الامام مليكنا بعصايب ... في لبسها عسر على النسوان
فخلقن ثم اطعنه ولبسنها ... ودخلن تحت عصايب السلطان

ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثمانماية فكان خليفة الوقت بها الامام امير المومنين
المتوكل على الله عبد العزيز وسلطان العصر الملك الاشرف ابي النصر قايتباي المحمودي والسادة
القضاه الاربع وهم قاضي القضاه الشافعيه زين الدين زكريا وقاضي القضاه الحنفيه القاضي
شمس الدين الغزي وقاضي القضاه المالكيه محيي الدين بن تقي وقاضي القضاه الحنابله بدر
الدين السعدي وكاتب الانشا الشريف القاضي ابو بكر بن مزهر وناظر الجيوش المنصورة
القاضي شهاب الدين احمد بن الجالي يوسف ناظر الخاص وناظر الخواص الشريفه القاضي علاي
الدين بن الصابوني ووكيل بيت المال ايضا ونايبا كاتب السر القاضي صلاح الدين بن الجيعان
ومستوفي الجيش القاضي ابو البقا ابن الجيعان وكاتب الخزاين الشريفه القاضي عبد الغني
ابن الجيعان وولده تاج الدين وناظر الاوقاف القاضي شرف الدين بن مدحي وناظر الاسطبلات
الشريفه يحيى البري وناظر الزردخاناه الشريفه عبد الباسط بن تقي الدين **فاما الامرا**
المقدمين فكان عدتهم يوميذ خمسة عشر اميرا وهم المقر الاتابكي ازبك من ططخ والمقر السيفي
تمراز الشمسي امير سلاح والمقر السيفي تاني بك الجمالي امير مجلس والمقر السيفي ازبك
اليوسفي راس نوبة النوب والمقر السيفي قانصوه من طراباي الشهير بخمسماية امير اخور
كبير وزير استادار وكاشف الكشاف ونظام المملكه والمقر السيفي تاني بك من شادبك
المعروف بقرا حاجب الحجاب والمقر السيفي يشبك الجمالي السيفي ناظر الخاص امير زردكاش
مقدم الف والمقر السيفي قانصوه الزيني المعروف بالشامي والمقر السيفي قانصوه الالفي
والمقر السيفي شادبك بن مصطفى والمقر السيفي جانم من تاني بك والمقر السيفي اينال
من يشبك والمقر السيفي جان بلاط من يشبك والمقر السيفي كرتباي **واما امرا الطبلخاناه**
فعدتهم يوميذ ثمانية انفس وهم ازبك اليوسفي المعروف بقشتق والامير برسباي اليوسفي
والامير اينال الحسني والامير تاني بك من محمود شاه والامير ماماي من قديبات والامير
قانصوه المحمدي والامير على باي الاشرفي وخشقدم الزمام وكان يوميذ الامير خالص
السيفي جرباش مقدم المماليك وعنبر نايبه وسرور السيفي جرباش شاد الحوش السلطاني
واما الامرا العشرات فكان عدتهم يوميذ خمسة وسبعين اميرا وكان عدة الخاصكيه
يوميذ نحو خمسة واربعين فهذا كان شرح حال الامرا المقدمين وارباب الوظايف

فى هذه السنة فقط ثم اشتغلت من بعد هذه السنة الوظايف والامريات الى جماعة كثيرة من الامرا والمباشرين حسبما ياتى ذكر ذلك فى مواضعه من ولاية وعزل ووفاة **ثم دخلت** سنة اثنين وتسعين وثمانماية فيها توجه الامير ايبردى الدوادار الى نحو جبل نابلس بسبب العربان واخذ صحبته القاضى ابو بكر بن مزهر كاتب السر الشريف فلما توجه الى جبل نابلس مرض القاضى كاتب السر هناك ورجع وهو عليل فاقام مدة وهو منقطع فى بيته الى ان مات فكانت وفاته فى ثالث شهر رمضان من هذه السنة وكانت مدة ولايته فى كتابة السر بمصر نحو خمسة وعشرين سنة ومات وله من العمر نحو خمس وسبعين سنة وقد تولى فى اثنا دولة الملك الظاهر خشقدم وكان اخر اعيان الروسا بمصر من المباشرين وقد رثيته بهذه الابيات وهو قولى

صارت مواليه كمثل اراملٍ ۞ تبكى باعينها دما وتترّب
وكذا الدواة تسودت اقلامها ۞ حزنا عليه واحتمت للكتب

فلما كان سادس عشر رمضان فيه اخلع السلطان على القاضى بدر الدين بن القاضى ابى بكر ابن مزهر واستقر به كاتب السر بمصر عوضا عن ابيه فنزل من القلعة فى موكب عظيم والقضاه قدامه واعيان الدولة وفيه اقول

ياكاتب الاسرار يامن وجهه ۞ قد جمّل الدنيا وزان المنصبا
اشرقت فى الافلاك يا بدر العلا ۞ يا غصن مزهر رجابك مرحبا

ومن الحوادث ان السلطان كان قاعدا ذات ليلة فى الحوش على التكة فجاء اليه بعض الخاصكية وقال له قم من هاهنا ولا تنم على التكة فلما قام نادى عليه بعض المماليك الاجلاب من طبقة مشد الحوش فلم انظر اسهم نشاب فجاءت فى المخدة التى كانت تحت راسه وسلم هو وقد عرف من فعل ذلك فما وسعه الا السكوت والتغافل عن ذلك وقد ادب جماعة من مماليكه بالضرب **ثم دخلت** سنة ثلاث وتسعين وثمانماية فيها جاءت الاخبار بان جاليش عسكر ابن عثمان زحف على البلاد فلما تحقق السلطان ذلك نادى بالعرض للعسكر فعرض ونفق على العسكر واخرج تجريدة الى ابن عثمان وهى التجريدة الثانية وكان باش العسكر الاتابكى ازبك وجماعة من الامرا بالشرح المتقدم ذكره فخرجوا من القاهرة فى تجمل زايد واطلاب فاخرة فلما خرجوا من القاهرة اخذوا معهم النواب وتوجهوا الى حرب ابن عثمان فلما تلاقى العسكران فكان بينهما وقعة عظيمة وقتل فيها جماعة كثيرة ثم انكسر عثمان كسرة قوية عظيمة وهى ثانى كسرة وقد اقاموا فى هذه التجريدة نحو سنة وهو بحلب وارسل لهم السلطان هناك نفقة ثم ان على دولات ارضى السلطان وقبض على شخص من نواب ابن عثمان يقال له اسكندر بن ميخال وهو اعز نوابه فلما حضر الى القاهرة سجنه السلطان فى البرج ولم يشوش عليه **ومن الوقايع** فى ايامه ان قطعا من الجبل المقطم وقع على جبن عقلة وكان تحته جماعة من الحجارين فماتوا اجمعين ومات من

المماليك

المماليك اثنان كانوا هناك لاجل النظارة ومات تحت الردم عدة حمير كانوا هناك بسبب النظارة **ومن العجايب** ان شخصا من المماليك نصلب عليه الحجارة فاقام ثلاثة ايام وهو بين تلك الحجارة والردم فيه حتى نبشوا له نقبا من بين الحجارة وخلصوه وعاش بعد ذلك مدة طويلة حتى مات باجله **ومن الوقايع فى ايامه** ان شخصا من اعيان الظاهرية يقال له ملاج وكان ساكنا فى الجودرية وله اولاد وهو ذو شيخوخة وكان من جملة الامرا العشراوات وكان له اقطاع خرابا فاتت شخص من الامرا وقف ملاج المذكور وطلب الظاهر وبدل ما بيده من الاقطاع الخراب فلم يوافقه السلطان على ذلك فنزل الى بيته وعمد الى حبل وربطه فى طبقة عنده فى البيت وشنق نفسه به فمات من ساعته ودفن من يومه وذلك من شدة قهره من السلطان كما قيل

لعمرى ما ضاقت بلاد باهلها ۞ ولكن اخلاق الرجال تضيق

ثم دخلت سنة اربع وتسعين وثمانماية فيها دخل العسكر الذى كان غايبا فى التجريدة ودخل الاتابكى ازبك وبقية الامرا فى اول يوم من المحرم فدخلوا فى موكب عظيم ومعهم روس من قتل من عسكر ابن عثمان فلما استقر العسكر بالقاهرة فطلبوا المماليك الاجلاب من السلطان نفقة حلاوة السلامة لما تقع احوالهم فطلبوا من السلطان لكل واحد مايتى دينار فابى السلطان من ذلك وشكى وقال ان الخزاين قد نفد جميع ما فيها على التجاريد لان كل تجريدة نفق عليها ماية وخمسين الف دينار فصاروا المماليك فى كل ليلة يشيعوا الركوب على السلطان والاحوال فى اضطراب فلما كان يوم السبت رابع ربيع الاخر من تلك السنة جلس السلطان فى الحوش وطلب القضاه الاربع وارسل خلف الاتابكى ازبك وساير الامرا ولما تكامل المجلس قام السلطان وفك ازراره وقال فى وسط المجلس اشهدوا على يا قضاة الاسلام انى قد خلعت نفسى من الملك ولّوا من تختاروه وحل وسطه وقصد ان يدخل الى الحجرة فضجوا الناس بالبكا ومنعوه من ذلك الامرا ثم ان المقر السيفى تمراز الشمسى امير سلاح مشى بين المماليك وبين السلطان بالصلح ووقع التراضى بينهم على ان السلطان ينفق عليهم لكل واحد من المماليك خمسون دينارا ووقع الاتفاق على ذلك ثم انهم طلبوا الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز فلما حضر بايع السلطان ثانيا واعاده الى الملك بحضرة القضاة الاربع وانفض المجلس على ذلك ثم ان السلطان شرع فى تحصيل النفقة على ما تقرر الحال عليه وشرع ان يوخذ من املاك القاهرة والاوقاف من البيوت والدكاكين اجرة شهرين كاملة فجبوا ذلك من الاملاك والاوقاف حتى اوقاف البيمارستان المنصورى وجميع اوقاف المدارس والجوامع وكان فتح باب هذه المظلمة على يد السلطان قايتباى فى صحيفته الى يوم القيامة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اى مردود فلما جبيت الشهرين التى احدثها على الناس ونفقها على مماليكه كما قبل

لست اعطيك حوام * ابدا الاحراما * تجددت هذه الفتنة **وفيها** كان دخول المقر السيفي قانصوه خمسمايه على بنت الاتابكي ازبك فزف لها جهاز عظيم وزجت له القاهرة وكان له يوما مشهودا واستمر بنصبها من الازبكيه الى قناطر السباع من باكر النهار الى بعد الظهر فشاهد رايه الناس من القماش والاوانى والتحف ما لا يسمع بمثله **ثم دخلت** سنة خمس وتسعين وثمانمايه فيها تزايد جور ابن عثمان في حق اهل مصر حتى انه منع التجار ان يحضروا الى مصر ببضايع او مماليك او صوف او صمور فعزت هذه الاصناف من مصر وساير البضايع التي تجلب من هناك ثم جات الاخبار بان ابن عثمان قد ارسل عساكرا ولم يرجع عما هو فيه فلما تحقق السلطان ما قيل من امر ابن عثمان فعين تجريده تتبله الى عسكر ابن عثمان وعين بها من الامرا المقدمين خمسة وهم الاتابكي ازبك امير كبير باش العسكر وتمراز الشمسي امير سلاح وتاني بك الجمالي امير مجلس وقانصوه خمسماية امير اخور كبير وازبك اليوسفي راس نوبة النوب وقرا حاجا الحاجب وقانصوه الالفي وقانصوه الشامي ويشبك الجمالي الزرد كاش ومقدم الف وعين جماعة من الامرا الطبلخاناة والامرا العشراوات وكتب نحو ثلاثة الاف مملوك وكانت هذه التجريده اكثر عسكرا مما تقدم من التجاريد السابقه وهي التجريدة الثالثه التي توجهت الى عسكر ابن عثمان فتفاءلوا الناس بان عسكر ابن عثمان مكسور في هذه التجريده لا محالة ولم تزل مصر يا فولها كما قيل في المعنى

* عدوك لا تخشاه يوما تاموه * تلاشى الى الذل وقهر ويجلا *
* وتظفر بكل اعدا وتنصر يا فتى * عليهم بعون الله ماشينا تفعلا *

ثم ان السلطان عرض العسكر ونفق عليهم وخرجت التجريده فكان لهم بالقاهرة يوما مشهودا وخرجوا وهم لابسون آلة الحرب واستمرت الاطلاب تنسحب من باكر النهار الى بعد الظهر ثم خرجوا الامرا على حميه وتوجهوا نحو الريدانيه فاقاموا هناك ثلاثة ايام ثم قصدوا التوجه الى نحو الديار الشاميه فخرجوا النواب صحبتهم وتوجهوا الى قتال ابن عثمان واطلقوا في خيولهم العنان **قيل** بلغت جملة النفقه على الامرا فقط مايتي الف دينار وثلاثة الاف دينار وبلغت نفقة العسكر مايتي الف دينار **ثم دخلت** سنة ست وتسعين وثمانمايه فيها في رجب كان ختان ابن السلطان وهو المقر الناصري محمد وكان له مهم عظيم الى الغايه بالقلعة واقام المهم عمال ثلاثة ايام وحضر واغاني البلد جميعها بالقلعة من النسا والرجال ثم ان السلطان في اليوم الثالث رسم لسيدي محمد ابو السعادات بالركوب من البحره ومشى قدامه جماعة من العسكر الاعيان من الامرا العشراوات والخاصكيه وهم بالشاش والقماش ومضى قاضي العسكر الحنفي وبقية القضاة الاربع وساير اعيان المباشرين وساير الامرا والخدام ورؤس النوب وكان ماسك لجام الفرس المقر السيفي اقبردي الدوادار الكبير والمقر الشهابي احمد بن العيني وموجب ذلك ان العسكر كان غايبا فلم يكن في القاهرة اكبر

مخوكا

من هولا الاميرين وكان اكثر اعيان الامرا غايبا في التجريده واختتن مع ابن السلطان جماعة من اولاد الامرا واعيان الناس منهم سيدي عمر بن امير المومنين عبد العزيز ومنهم ابي الجمعة ابن عثمان والباقي من اولاد الاعيان فركب ابن السلطان من قاعة البحرة ومشى في ذلك الموكب الى باب الستارة فنزل ودخل الى قاعة البيسرية ولاقته المغاني من هناك فختن في قاعة البيسرية **قيل** دخل على المزين الذي طاهره خمسة الاف دينار نابه منها على المزين بالف دينار وكسى السلطان من تختن مع ولده من اولاد الاعيان لكل واحد منهم كسوة فاخرة على قدر مقام ابيه ودخل للسلطان في هذه الحركه من الناس تقادم عظيمة لا تحصى فكان فيما قدمه الشهابي احمد بن العيني طشت وابريق ذهب فكان زنته الف مثقال وذلك برسم الختان هذا خارجا عما تبع ذلك من التقادم وزينت في هذه الحركه مصر والقاهرة حتى داخل الاسواق وكان العسكر غايبا في التجريده فخرجوا الناس في المقصف والمرجفة في الحد وقد امنوا من المماليك كونهم غايبين في التجريده **وفي اثنا هذه السنة** جات الاخبار من حلب بان العسكر قد انتصر على ابن عثمان وقد اسروا جماعة من امرا وعسكره مالا يحصى فلما جات الاخبار بذلك دقت الكوسات ثلاثة ايام وزينت القاهرة سبعة ايام وما النصر الا من عند الله ثم جات الاخبار بان الاتابكي ازبك قد خرج من الشام وهو قاصد نحو مصر فلما دخل الى القاهرة زينت له ودخل في موكب عظيم وكان له يوما مشهودا فدخل هو والامرا وقدامه الاسرى الذي اسروا من عسكر ابن عثمان وهو ابن هرسك قيل انه امير كبير عند ابن عثمان ومن الامرا طواشي رومي قيل انه لالا ابن عثمان وجماعة من امرايه وجماعة كبيرة من عسكره فكانوا الاعيان منهم راكبون على اكاديش وهم في زناجير واما بقية الاسرا من عسكره مشاة وهم في زناجير ورؤسهم مكشوفة وطوالع صناجقهم منكوسة فلما طلعوا الى القلعة ومثلوا بين يدي السلطان ثم رسم للامير قانصوه خمسماية امير اخور بان ياخذ اعيان عسكر ابن عثمان عنده الى ما تقتضيه الآرا الشريفه في امرهم ثم ان السلطان وزع بقيه عسكر ابن عثمان على جماعة من المباشرين واعيان الناس حتى على القضاة الاربع فاقاموا عندهم وهم في قيود فلما جرى لعسكر ابن عثمان ما جرى وانكسر هذه الكسرة العظيمة فخشي السلطان من ابن عثمان ان يزحف على البلاد بنفسه فاحتاط لذلك وارسل خلف القضاه الاربع وشكى لهم من هذه الاحوال واعتذر بان المال الذي كان في الخزاين قد نفد على التجاريد ولم يبق فيها شي ثم صرح لهم بانه يريد ياخذ من اجرة الاملاك والاوقاف سنة كاملة فسكتوا القضاه فتكلم معه قاضي القضاة عبد الغني بن تقي المالكي ثم تم الاتفاق على ان تكون خمسة اشهر وقبل ذلك شهرين كما تقدم فانفصل المجلس على ذلك وكان اجتماعهم في قبة الامير يشبك الدوادار الذي في راس الحسينية فعند ذلك رسم السلطان للامير تغري بردي الاستادار بان يكون متكلما في الاملاك الذي من دير الطين الى باب زويله ورسم للقاضي علاي الدين بن الصابوني ناظر الخاص بان يكون

تنكبوا على الاملاك التي هي من داخل باب زويلة الى اخر الحسينية فعند ذلك اضطربت الاحوال وترايدت الاهوال وتوجهوا الرسل الغلاظ الشداد في طلب الناس واطلقوا فيهم الزناد حتى صار الرجل يخرج من باب داره فيرى اربعة من الرسل في استنظاره فيكون نهاره يوم اغبر دهر في اذياله فيفتر فاستمروا الناس على ذلك حتى جبيت الاموال وبطل القيل والقال **قيل** ان امراة في الحسينية جاءها الرسل يطلبونها باجرة دارها التي هي فيها فلم يجدوا معها شيئا وظهر لهم انها فقيرة فراوا في دارها شجرة نبق فاحضروا اليها القطاعين فقطعوها واخذوها في نظير اجرة الدار فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك ثم ان السلطان صادر في هذه الحركة جماعة من التجار واخذ اموالهم بالعسف ثم ان السلطان اودع هذه الاموال تحت يد الامير قرنى يودى الاستادار والقاضي علاء الدين ابن الصابوني ناظر الخاص الى ان اصرفها فيما سياتي ذكره في موضعه وفي هذه الواقعة يقول بعض الموالة

عوضت شهرين من اجرة مكاني امس ۞ واصبحت مغموس في بحر المغارم عمسي

اقسم برب الخلايق والقمر والشمس ۞ ما طقت شهرين مقدم كيف الطبق الخمسي

وكان السلطان ارسل الامير جانبلاط من يشبك قاصدا الى ابن عثمان ليمشي بينه وبين السلطان بالصلح فلما توجه الى ابن عثمان تلطف معه في الكلام وكان الامير ماماي توجه اليه قبل ذلك بمدة وعوق عنده فلما توجه الامير جانبلاط فاطلق الامير ماماي وارسل صحبته قاصدا من قضاة الروم وعلى يده مفاتيح قلعة كولك التي كانت اصل الفتنة فلما حضر قاصد ابن عثمان فاكرمه السلطان واخلع عليه واحسن اليه ورجع الى بلاد ابن عثمان فلما راى السلطان ان ابن عثمان مائلا الى الصلح فعين اليه الامير ماماي ثاني مرة وكان الامير ماماي دوادار ثاني ثم ارسل صحبته هدية جليلة وتقادم عظيمة الى ابن عثمان وارسل صحبته من كان بمصر من الاسرا وهم ابن هرسك والطواشي لالا ابن عثمان واسكندر ابن ميخال الذي مسك قبل تاريخه كما تقدم واطلق جميع الاسرا الذي اسروا من عسكر ابن عثمان واخلع السلطان على ابن هرسك ولالا ابن عثمان واسكندر بن ميخال وكسى بقية العسكر كل واحد كسوة كاملة وتوجه الامير ماماي الى ابن عثمان واخذ هولا الجماعة صحبته فلما وصلوا الى ابن عثمان فاكرم الامير ماماي غاية الاكرام وانعقد بينهما الصلح وخمدت الفتنة وسكن الحال الذي كان بين السلطان وبين ابن عثمان ورجع ماماي من عند ابن عثمان الى مصر بهذه الاخبار **وفيها** اوفى النيل المبارك في ليلة عيد الفطر فاخر السلطان كسر السد حتى مضى يوم العيد ثم توجه الاتابكي ازبك ثاني العيد وكسر السد على العادة **ثم دخلت سنة سبع وتسعين** وثمانمائة فيها رجع الامير ماماي من عند ابن عثمان وقد انعقد الصلح على يديه **وفيها** وقع الطاعون بالديار المصرية وهو الفصل الثالث الذي جاء في ايامه فكان مبدا هذا الطاعون

من طوبة

من طوبة فكان طاعونا عظيما جدا وقد ابطا هذا الطاعون من مجيئه من سنة احدى وثمانين الى سنة سبع وتسعين وذلك نحو ستة عشر سنة لم يطوف فيها الطاعون بالديار المصرية وكان وقع في هذه المدة غلوة عظيمة وذلك في سنة خمس وتسعين وثمانمائة بموجب خسة النيل وانهباطه بسرعة فشرقت غالب البلاد وانحطت الغلال وتناهى سعر القمح الى اربعة اشرفية كل اردب ووصل سعر البطة الدقيق الى اربعماية درهم كل بطة وصارت الناس ياكلون الذرة وحضرت مراكب من الصعيد فيها ذرة فاستغنت الناس في هذه الغلوة وصار ياكل منه الغني والفقير فاستمرت هذه الشدة على الناس نحو ثمانية اشهر ثم تراجع الامر قليلا قليلا حتى انصلحت الاحوال فلما زاد جور المماليك في حق الناس وكثر الفساد وفشى الزنا وتجاهرت العاصي في هذه المدة فارسل الله تعالى هذا الطاعون وقد رتبها الى اثنى عشر الف جنازة في كل يوم ومات فيه من المماليك نحو الثلث ومن الجوار والعبيد والاطفال والغربا ما لا يحصى ومات للسلطان فيه بنت كانت مستحقة للزواج فماتت هي وامها في يوم واحد فاخرجوا البنت هي وامها في جنازة واحدة وكان هذا الفصل اقوى من الفصول الذي جات قبله وموجب ذلك انه غاب ستة عشر سنة وقد قال القايل في المعنى

زالت محاسن مصر سالف ۞ فيهن من هم ودهش

كادوا بنو النعش بها ۞ ان يلحقوا ببنات نعش

ايضا

يا رب بالهادي النبي المجتبى ۞ احمد عن الاسلام اسباب الوبا

وادفع اذى الطاعون عنا عاجلا ۞ واجرنا من هوله المستصعبا

واعيد ما عودتنا من نعمة ۞ الا نرى منك الكثير الطيبا

وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا بخس المكيال حبس القطر واذا كثر الزنا وقع الطاعون واذا كثر الكذب وقع الهرج **وعن** رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا اخذوا بالفنا **قال** العلامة شهاب الدين بن حجر والحكمة في الزنا المخفي حده ارهاق الروح في المحصن فاذا لم يقم فيه الحد فسلط الله عليهم الجن فيقتلونهم وذلك ان الزنا كان غالبا يقع في السر فسلط الله عليهم عدوا يقتلهم سرا من حيث لا يرونه وقاعدة العذاب انه اذا نزل يعم المستحق له وغيره ثم يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم **وقد** احصى من مات بالطاعون في هذه السنة وورد اسمه لديوان الخاص يزيدون على مائتي الف انسان هذا خارجا عن الغربا ومن لم يرد اسمه الى الديوان **ثم دخلت** سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فيها وقع الرخا بالديار المصرية وانحط سعر الغلال حتى ابيع كل اردب من القمح بدينار واقل من ذلك وابيعت كل بطة دقيق بانتصاف وعم الرخا والعدل اهل الديار المصرية وقد خمدت الفتن من امر التجاريد واطمان العسكر **ومن الحوادث** انه كان للسلطان حاصلا بالزرب من الحجر وفيه خيام فلما كان بعض الليالي فاحترق ذلك الخيام جميعه ولم يسلم من الخيام سوى خيمة المولد الشريف فنزل ذلك على

السلطان ولم يبق في الحواصل من الخيام شي وصارت الامرا تطلع وتسلم على خاطره بسبب
ذلك وكان امير المومنين عبد العزيز ساكنا بالقلعة داخل الحوش السلطاني في المكان الذي
كان عمه الجمالي ساكنا فيه فلما وقع امر هذا الحريق ظنوا ان ذلك من عيال الخليفة فرسم
له السلطان ان ينزل الى المدينة ويسكن بها هو وعياله وكان ذلك خيرة فان عمه الجمالي يوسف
استمر ساكنا بالقلعة الى ان مات بها وكان الظاهر خشقدم هو الذي احدث ذلك وفي
هذه السنة توجه المقر السيفي قانصوه خمسماية امير حاج المحمل الى الحجاز الشريف والجناب
الناصري محمد بن الاتابكي ازبك امير حاج اول **ثم دخلت** سنة تسع وتسعين
وثمانماية فيها رجع المقر السيفي قانصوه خمسماية من الحجاز الشريف فقاست الناس في تلك
السنة مشقة كبيرة من الغلا وموت الجمال فكان الامير قانصوه خمسماية يرمي احمال
الناس وياخذ الجمال من تحتها ورجع من الحجاز والناس غير راضية ولا اثنى عنه احد بخير
واستمر في عكس وخمول الى ان قتل كما سياتي ذكر ذلك في موضعه وكان الامير قانصوه
خمسماية ارشل قليل السعد غير مسعود الحركات في افعاله كما قد قيل في المعنى
اذا طبع الزمان على اعوجاج ... فلا تطمع لنفسك في اعتدال
اقول وفي اواخر هذا القرن ظهر بالديار المصرية دا وفشى في الناس يقال له
الحب الافرنجي وهو عزيز الدوا وابطى العلاج اعيا الحكما امره ولم يظهر هذا في الناس
الا في اواخر هذا القرن انتهى **ثم دخلت** سنة تسعماية فيها دبت عقارب الفتن
بين الامرا اقبردي الدوادار وبين المقر السيفي قانصوه خمسماية وكثر
بينهما القيل والقال وتزايدت عظمة الامير اقبردي في هذه الايام الى الغاية وصار
صاحب الحل والعقد في الديار المصرية فلما كان يوم الخميس مستهل ذي الحجة فيه وقعت
الفتنة العظيمة بين المقر السيفي اقبردي الدوادار وبين المقر السيفي قانصوه خمسماية
امير اخور فصار العسكر والامرا فرقتين فرقة مع اقبردي وفرقة مع قانصوه خمسماية
فلما لبسوا آلة الحرب فتوجه الامير قانصوه خمسماية والامير قانصوه الالفي والامير
قانصوه الشامي والامير تيبك الجمالي والامير اسنباي المبشر وجماعة من الامرا
العشراوات فتوجهوا الى بيت الاتابكي ازبك الذي في الازبكية فاجتمع هناك من
العسكر ما لا يحصى وكانت عصبة الامير قانصوه خمسماية اكثر من عصبة اقبردي
الدوادار فلما سمع السلطان ذلك خشي ان يتسع الامر وتكبر الفتنة فنزل الى
باب السلسلة وعلق الصنجق السلطاني ودقت الكوسات حربيا وجلس في المقعد المطل
على سوق الخيل ونادى للعسكر ان الطايع يطلع الى الرميلة ويقف تحت الصنجق السلطاني
فطلع العسكر والامرا الى الرميلة فلما بلغ العسكر الذي في الازبكية ان السلطان نادى
بان الطايع يطلع الى الرميلة خشي كل احد على نفسه فصاروا ينسحبون من الازبكية
ويطلعون الى الرميلة فتلاشى امر الامير قانصوه خمسماية وبانت عليه الكسرة

ولم يبق معه من العسكر الا القليل ثم ان السلطان ارسل الامير ازبك اليوسفي الى
الاتابكي ازبك وهو يقول له ثم كلم السلطان فلا زال يتلطف به حتى تم وطلع
معه بتخفيفته الصغيرة فلما طلع الى القلعة كادت المماليك الاجلاب ان تقطعه
بالسيوف من شدة حنقهم منه لانه كان صهر الامير قانصوه خمسماية زوج ابنته فلما
وقف بين يدي السلطان وبخه الامير اقبردي الدوادار بالكلام وسبه ثم ان
السلطان خشي على الاتابكي ازبك من الجلبان لا يقتلوه فرسم له بان يدخل الى البحرة
ودخل اليها فلما بلغ الامير قانصوه خمسماية ومن معه من الامرا بان لما طلع الاتابكي ازبك
الى القلعة تحوتر السلطان فلما تحققوا ذلك فقاموا وهربوا من الازبكية واختفوا
وانفض ذلك الجمع كانه لم يكن وكان قصد الامير قانصوه خمسماية ان يقبض على الامير
اقبردي وعصبته من الامرا فلم يتم له ما يريد وفاته الراي السديد كما قيل في المعنى
لو ان من قال نارا احترقت فمه ... لما تفوه باسم النار مخلوق
فلما هرب الامير قانصوه خمسماية والامرا وانفض ذلك الجمع فنادى السلطان بالامان
والاطمان وان العسكر يقلعوا آلة الحرب ويتوجهون الى بيوتهم فلما كان يوم الجمعة
صبيحة ذلك اليوم مسك الامير قانصوه الالفي من الجيزة واحضروه الى بيت الامير
اقبردي الدوادار فقيده وارسله الى البحرة فقتل صبرا ثم ان الامير قانصوه الشامي
كان مختفيا فارسل يطلب من السلطان الامان فلما ظهر اخلع عليه السلطان خلعة واستقر
به نايب حماه ورسم له بان يخرج من يومه وقبض الامير قيت الرجبي والي القاهرة و
والامير مصرباي الشريفي المعروف بالثور وقيدوهما في قيود وتوجهوا بهم الى الصبيبة فسجنوا
بها وقتل في هذه الحركة جماعة كثيرة من العشراوات والخاصكية ممن كان من عصبة قانصوه
خمسماية **فاما** المقر السيفي خمسماية فانه استمر مختفيا الى ان ظهر كما سياتي ذكر ذلك
في موضعه **واما** الاتابكي ازبك فانه استمر مقيما بقاعة البحرة ثمانية ايام فلما كان يوم
الجمعة رسم له السلطان بان يصلي الجمعة وهو بالشاش والقماش على عادته فخرج
وصلى الجمعة مع السلطان فلما فرغ من الصلاة اراد ان ينزل الى بيته فقيل له ان المماليك اتفقوا
في الرميلة ومتى نزلت الى بيتك فانهم يقتلوك لا محالة فرجع من الصلاة ودخل الى عند
السلطان فقال له انا ما بقي لي اقامة بمصر فالسلطان يرسم لي بان اتوجه الى مكة ثم شق
السلطان في ذلك فلما كان يوم السبت ثامن ذي الحجة اواخر سنة تسعماية نزل الاتابكي
ازبك من القلعة وهو راكب على فرس وعلى راسه تخفيفة صغيرة فتوجه الى نحو الطور ونزل
من هناك الى البحر المالح وتوجه من هناك الى مكة وفي ذلك اليوم رسم السلطان للامير
تنبك الجمالي بان يتوجه الى القدس بطالا فاقام هناك مدة ثم مات بالقدس ودفن
هناك **واما** الاتابكي ازبك فانه توجه الى مكة من البحر المالح واقام بها الى ان عاد الى
القاهرة كما سياتي ذكر ذلك في موضعه ثم ان السلطان لما توجه الاتابكي ازبك الى

مكة اخلع على المقر السيفي تمراز الشمسي قريب المقام الشريف واستقر بر اتابك العساكر
بمصر عوضا عن الاتابكي ازبك من ططخ **ثم دخلت** سنة احدى وتسعمائة فيها
في يوم الاثنين مستهل صفر اخلع السلطان على المقر السيفي تمراز الشمسي واستقر اتابك
العساكر واخلع على المقر السيفي تاني بك الجمالي واستقر امير سلاح عوضا عن تمراز الشمسي
واخلع على المقر السيفي ازبك اليوسفي واستقر امير مجلس عوضا عن تاني بك الجمالي واخلع
على المقر السيفي تاني بك قرا واستقر راس نوبة النوب عوضا عن ازبك اليوسفي واخلع
على المقر السيفي شاد بك واستقر امير اخور كبير عوضا عن قانصوه خمسمائة واخلع
على المقر السيفي اينال الخسيف واستقر حاجب الحجاب عوضا عن تاني بك قرا وانعم على
المقر السيفي قاصر قرابة السلطان بتقدمة الف عوضا عن جانبك الجمالي وانعم على الامير كرتباي
بتقدمة الف وانعم على جماعة بامريات اربعين وامريات عشرة ممن هو من عصبة الامير
اقبردي فتزايدت عظمته وقوي حلقه واستظهر على الامير قانصوه خمسمائة وشتت
عصبته فانفرد الامير اقبردي بالمملكة واجتمعت فيه الكلمة وصار صاحب الحل والعقد
في تلك الايام دون غيره من الامرا فكان كما قيل

انا السمهري والرايات البيضاء لي ، لا السيوف ومثل بني النعمان
لم يحل لي عيش العداة لانني ، نوديت يوم الحرب بالمران

ثم ان السلطان حصل له توعك في جسده وتزايدت عليه الالام فنادى للعسكر بالعرض
فلما طلعوا الى القلعة ورسم لهم بنفقته ونفق عليهم نفقة كاملة حتى على اولاد الناس
والخدام وكان امر هذه النفقة على وجهين الوجه الاول ان السلطان قال انا ما نفقت
على العسكر لما تسلطنت شي وهذه عوضا عنها **والوجه** الثاني ان السلطان لما اختفى
الامير قانصوه خمسمائة فكان له عناية معه في الباطن فلما قصد اظهاره فنفق هذه النفقة
على العسكر حتى يرضي كل واحد منهم بسبب ذلك وكان هذا المال الذي نفقه على العسكر
قاعدا مهيئا وهو المال الذي كان اخذه من الاملاك والاوقاف بسبب ابن عثمان وهي
المحنة الشهيرة المتقدم ذكرها فضاعت في البطال لا هو ردها الى اصحابها ولا هو الذي نفقها
على التجريدة بسبب ابن عثمان وقد تحمل اثم ذلك الى يوم القيامة وتفرقها على من لا يستحقها
ولم يلهمه الله تعالى ان يردها الى اربابها فجاد بها على العسكر فكان كما قيل

ويطعم الايتام من كد فرجها ، فديتك لا تزني ولا تتصدقي

فلما كان اواخر شهر شوال ظهر المقر السيفي قانصوه خمسمائة فلما طلع الى القلعة رسم
له السلطان بان ياخذ تحت ابطه ثوب بعلبكي حتى يرق قلب العسكر عليه ويبقى قدكا وكفنه
تحت ابطه ففعل ذلك فلما وقف بين يدي السلطان فاخلع عليه كاملية صوف ازرق
بسمور ونزل الى بيته في موكب عظيم ونزل صحبته الاتابكي تمراز والمقر السيفي اقبردي
الدوادار واستمر واعيه الى ان دخل بيته فكانت مدة اختفايه نحو تسعة اشهر فلما

دخل

دخل شهر ذي القعدة وثبو المماليك الاجلاب على الامير اقبردي وطلعوا الى الرميلة ولبسوا
آلة الحرب فنزل السلطان الى باب السلسلة وجلس في المقعد المطل على الرميلة فلما راى المماليك
تزايد شرهم وحرقوا بيت الامير اقبردي وخرجوا عن الطاعة ولم يسمعوا له شي فقام
وطلع من باب السلسلة بعد العصر وهو في غاية القهر من مماليكه فلزم الفراش وتخلل في المرض
ثم ان النيل اوفى عقيب ذلك ورسم للامير تمراز بان يتوجه الى المقياس ويكسر السد
فكسر السد على العادة وطلع الى القلعة ولبس الخلعة وكل ذلك والسلطان على فراشه لم
يعلم بشي فلما كان يوم الجمعة خامس عشرين ذي القعدة فطلع الاتابكي تمراز الى القلعة
ودخل على السلطان وقال له ان الاحوال قد فسدت وكثر القتال والقيل ومن الراي ان
تسلطن سيدي محمد فلم يرد عليه السلطان جوابا فاخذ سيدي محمد بن السلطان ونزل به الى
باب السلسلة وجلس في الحراقة ساعة ينتظر الامير اقبردي الدوادار حتى يطلع عليه
فلم يشعر الا وقد دهمته العساكر كامثال الجراد المنتشر وذلك ان الامير قانصوه خمسمائة
والامير كرتباي الاحمر لما بلغهما ذلك فلبسوا آلة الحرب واجتمع معهما جم الغفير
من العساكر ثم ركبوا وطلعوا الى باب السلسلة فملكوه وقبضوا على الاتابكي تمراز وقيدوه
وسجنوه في البرج الذي في باب السلسلة فلما بلغ الامير اقبردي ذلك فهرب من
بيته وكذلك من كان معه من الامرا والعسكر فلما هرب الامير اقبردي فنهبوا العوام
بيته وبيوت الامرا الذي كانوا من عصبته منهم اينال الخسيف وشاد بك وقانبك
وغير ذلك من الامرا فلما كان يوم السبت سادس عشرين ذي القعدة اجتمعوا الامرا
والعسكر بباب السلسلة وارسلوا خلف امير المومنين المتوكل على الله محمد العزيز والقضاة
الاربع وخلعوا الملك الاشرف قايتباي من السلطنة وبايعوا ابنه محمد ابو السعادات
وكل ذلك والسلطان في النزع لم يعلم بشي من ذلك فلما كان يوم الاحد سابع عشرين
ذي القعدة من سنة احدى وتسعمائة فيه توفي الملك الاشرف قايتباي الى رحمة الله تعالى
وذلك بعد العصر فبات بالقلعة واطلقوا له مناديا في القاهرة بان يصلى على العبد
الفقير الى الله الملك الاشرف قايتباي غدا باكر النهار فلما كان يوم الاثنين ثامن عشرين
ذي القعدة فيه شرعوا في تجهيزه واخراجه وكان في مدة مرضه منقطعا في المبيتا
الذي بالمزبا من قاعة البحرة فمات هناك وغسل بالمبيتا فاخرجوه في النعش من باب
البحرة الى عند النخلة التي في الحوش فصلوا عليه هناك وقيل مات بعلة البطن ثم
نزلوا به من باب المدرج والعسكر قاطبة مشاة قدامه وكانت جنازته مشهودة
فتوجهوا به الى تربته التي انشاها بالمزبا من تربة مزار الشيخ عبد الله المنوفي **وقيل**
انه عاش من العمر نحو ستة وثمانين سنة وكان في صحة من الجسد وقوة **وكانت**
مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرون سنة واربعة اشهر
وعشرون يوما فانه تسلطن في يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنين وسبعين وثمانماية

وتوفي يوم الاحد سابع عشرين ذي القعدة سنة احدى وتسعماية وهذه المدة لم تتفق لاحد من الملوك قبله ولا سيما ملوك الترك وعاش هذه المدة لم يرى فيها مكروه قط ولا نفي تطبل ولا سجن ولا تقيد بل عاش عمره كله في عز وفي عظمة وشهامة من قبل ان يتسلطن وكان في كل دولة عزيزا في ارغد عيش الى ان مات على فراشه فكان كما قيل في المعنى

ان الذي اغتر بالدنيا وزينتها ۞ وظل فيها بحب المال مفتونا
اتت اليه المنايا وهي مسرعة ۞ فاصبح الجسم تحت الترب مدفونا
قد فارق الاهل والاوطان وانقطعت ۞ اماله وغدا في القبر مرهونا
خلا باعماله ما كان من حسن ۞ او من قبيح به قد صار مقرونا

وكان صفة الملك الاشرف قايتباي طويل القامة عربي الوجه مصفر اللون ابيض اللحية نحيف الجسم مهاب الشكل مبجلا في مواكبه وكان شجاعا بطلا موصوفا بالفروسية وافر العقل حازم الراي غير عجول في الامور بطي العزل لارباب الوظايف عارفا باحوال المملكة يضع الاشيا في محلها وكان محبا لجمع المال بسبب التجاريد وكم تحرك عليه في ايامه شاه سوار وحسن بك الطويل ملك العراقين وابن عثمان ملك الروم ووجد في ايامه نحو تسع تجاريد وهو ثابت على سرير ملكه لم يتزحزح وقد حوى من المماليك ما لا حواه غيره من الملوك واختصرت المملكة فيه وفي مماليكه هذه المدة الطويلة ولم يختلف عليه اثنان وكان غالب مماليكه امرا مقدمين الوف وعشراوات وخاصكية وكان يتروى في عمل الشي قبل وقوعه بايام حتى يتعقله من عزل او ولاية ولما مات خلف من الاولاد واحد وهو ابنه محمد الذي تسلطن بعده ولم يتزوج من النسا غير خوند بنت العلاي علي ابن خاص بك

ومن الوقايع في ايامه ان خمسة اعياد جاوا في ايامه يوم الجمعة ولم يضره ذلك وكان يقال ان العيد اذا جا يوم الجمعة يكون فيه كمال سعد للسلطان لانه يدعى له مرتين على المنابر في الخطبة وقد جا في ايامه خمسة اعياد يوم الجمعة عيد فطر في سنة ثمان وسبعين وثمانماية وعيد فطر ايضا في سنة ست وثمانين وثمانماية وعيد نحر في سنة ثمان وثمانين وعيد نحر ايضا في سنة ست وتسعين وعيد فطر ايضا في سنة تسع وتسعين وثمانماية فهذه الخمسة اعياد جات في يوم الجمعة ولم يوثر فيه ذلك كما قيل

لا ترقب النجم في امر تحاوله ۞ فالله يفعل لا جدي ولا زحل
مع السعادة ما للنجم من اثر ۞ ولا يضرك مريخ ولا حمل

واما ما عد من مساويه فانه لما تولى امر السلطنة ندب الامير يشبك الدوادار لما تولى الوزاره فقطع لحوم الناس التي كانت من قديم الزمان مرتبة على الديوان وللايتام والارامل والنسا وكانت تباع وتشترى من الديوان الى اخر دولة الظاهر خشقدم ولم يتعرض احد من الملوك الى ذلك وفعل في امر الجوامك كذلك ومنها انه اخذ من اجرة الاملاك والاوقاف الذي بالقاهرة سبعة اشهر واصرفها في غير مستحقها وصارت

هذه

هذه السنة السيئة في صحيفته الى يوم القيامة ومنها انه صادر اليهود والنصارى في ايامه مرتين وصادر تجار الادبان والبرلسيه ومنها انه ادار على بلاد الشرقية شيئا يقال له الحمى فاخذ ذلك من خراج المقطعين وكان المتكلم في ذلك شرف الدين بن بدر حسن فما بقي في ممكن ومنها انه ضرب القاضي تاج الدين بن المقسي ناظر الخاص بالمقارع في يوم شديد البرد في الاسطبل السلطاني ثم بعد مدة سمره على جمل وطاف به القاهرة ثم شنقه هو وشيخ العرب قاسم بن ببرس في يوم واحد ومنها انه سجن مجد الدين بن البقري في المقشرة نحو ست سنين ثم بعد ذلك وسطه في بركة الكلاب ومنها انه ضرب الامير زين الدين الاستادار علقة قوية وسجنه في البرج بالقلعة الى ان مات في البرج ومنها انه كحل عيني شخص وقطع لسانه من غير ذنب وهو علي بن الرشوشي وكان ابوه من اعيان التجار ولم يرثي له ومنها انه ارسل الشهابي احمد بن الامير راس نوبة النوب الى الحبس بسببا تتروى في حظ نفس منه حتى شفع فيه الامير تمراز امير سلاح فاقام به يوما واحدا ثم اخرج ومنها انه سلم القاضي النابلسي وكيل بيت المال الى الامير يشبك الدوادار فاستمر يعاقبه الى ان مات تحت الضرب ومنها انه تغير خاطره على امامه برهان الدين بن الكركي فاخرج عنه وظايفه والزمه ان لا يخرج من بيته ولا يركب وكان من اعظم اخصايه المقربين ومنها انه نفى الامير خاير بك من حديد الى مكة واستمر مقيما بها الى ان مات وكان من اعز اصحابه ونفى الامير ازدمر الطويل الى الصعيد ثم ارسل قطع راسه ونفى الامير قانصوه الخسيف وجماعة من الكرا الاينالية وكانوا سببا لسلطنته ونفى الصاحب خشقدم الزمام الى نحو سواكن من غير ذنب فاقام بها منفيا الى ان مات وكذلك الامير مرودن شاد الحوش الى الصعيد فاقام بها الى ان مات ونفا جماعة كثيرة من غير ذنب وكان يتنفع عند حظ نفسه في مواضع كثيرة من غير موجب ومنها انه جعل على الفتح مكسى كل اردب نصف فضة ومنها انه ارسل القاضي ابو الفتح نايب جرم الى قاعة المجانين بالمرستان وهو ماشي في الحديد فاقام اياما به حتى شفع فيه بعض الامرا ومنها انه سلخ شخصا من حلب يقال له ابن الديوان فسلخه هو وولده وطاف بهما في القاهرة من غير ذنب ونفى الامير منقال مقدم المماليك ومما حدث في ايامه في المظالم ان الامير يشبك الدوادار صار ياخذ الحماية من المقطعين قبل وكان النيل ويحصل لهم غاية الضرر بسبب ذلك واما ما ابطله في ايامه من شعار المملكة وهو خدمة القصر الكبير بالشاش والقماش ولم يمشي على طريقة الملوك السالفة في ذلك وابطل تدوير المحمل في رجب وسوق الرماحة الذي كانوا يعملونها في تلك الايام وكان ذلك من شعار المملكة وابطل الموكب الكبير المسمى بالذهبية وكانت بموسم وفاء النيل من قديم الزمان وهو ايضا من شعار المملكة وكانوا يترلون به الملوك في يوم وفا النيل ويتوجهون الى المقياس فبطل امرها وبطل ايضا الموكب الكبير المسمى بالدورانه التي كانت تحمل

مثل الجوبين الشريفين وكانت ايضا من شعار المملكة وابطل ايضا ما كانت تفعله الملوك من
الرمايات في بركة الحاج ويدخلون الى القاهرة في المواكب الجليلة وهم بالقماش والقماش
والاقبية الصوف الملون وكذلك يوم لبس الصوف الذي كانوا الملوك يلبسونه في الطعم
الذي في الربدانيه ويدخلون من القاهرة في موكب عظيم وهو اول من احدث تعزير الجامكية
بحضرته ولم يفعل ذلك قبله احد من الملوك بل كان مقدم المماليك ينفق الجامكيه بحضرته
في الايوان ولم يحضر السلطان بذلك وقد اختصرت اشيا كثيرة من مساويه وكان اخيار
ملوك الترك بالنسبة الى من جا بعده من الملوك وكانت ايام دولته احسن من غيرها
وكانت امراوه ذو راى سديد **فاما** اتابكيته فالمقر السيفي قلق سز والمقر السيفي
ازبك من ططخ والمقر السيفي تمراز الشمسي **واما** الدوادارية فالمقر السيفي يشبك من
مهدي والمقر السيفي اقبردي من علي باي **واما** نوابه بالشام فالمقر السيفي ازبك من ططخ
ويرديك الجمدار ويرقوق وجاني بك قلق سز وقانصوه اليحياوي الى الشام ثانيا
واما نوابه بحلب برديك الجمدار واينال الاشقر ووردبش وقانصوه اليحياوي
وازدمر وغير ذلك **واما** قضاة الشافعية فالقاضي ولي الدين الاسيوطي والقاضي زين
الدين زكريا **واما** قضاة الحنفيه فالقاضي محب الدين بن الشحنه والامشيطي وابن عيد
الدمشقي والغزي ثم ناصر الدين بن الاخميمي **واما** قضاة المالكيه فالسيد حسام الدين
ابن حريز واخيه سراج الدين وبرهان الدين اللقاني ومحيي الدين بن تقي واخيه عبد الغني
واما قضاة الحنابلة فالقاضي عز الدين وبدر الدين السعدي **واما** كتاب سره فالقاضي
ابو بكر بن مزهر وولده بدر الدين **واما** نظار جيشه فالقاضي كمال الدين بن الجمالي يوسف
ناظر الخاص ثم اخيه شهاب الدين **واما** نظار الخاص فالقاضي تاج الدين بن المقسي
وبدر الدين بن مزهر وبدر الدين بن الكويز وعلاي الدين بن الصابوني **واما** وزرايه
فالزيني قاسم شغيته والصاحب شمس الدين والد الصاحب علاي الدين بن الاهناسي
والمقر السيفي يشبك الدوادار وزيرا واستادارا والامير خشقدم الزمام والجمالي يوسف
ابن الزرازيري والمقر السيفي اقبردي الدوادار وزيرا واستادارا **واما** استادارياته
فالامير تغري بردي المحمدي القادري وشرف الدين بن كاتب غريب والامير مجد
الدين البتري **واما** كتاب مماليكه فالقاضي ابو الفضل ابن جلود وولده كريم الدين
والجمالي يوسف ابن ابو النجم والقاضي فخر الدين بن العفيف **واما** نساوه فخوند بنت
العلاي علي بن خاص بك لم يتزوج بغيرها منذ عمره واقام معها الى ان مات **واما ما انشاه**
في ايامه من العماير بمصر وغيرها من البلاد **منها** انه جدد عمارة المسجد الشريف النبوي
لما احترق كما تقدم وانشاء مدرسة بمكة المشرفة على باب السلام وانشاء مدرسة بالمدينة
الشريفة ومدرسة بالقدس الشريف وانشاء برجا بثغر الاسكندرية كما تقدم وانشاء
برجا برشيد ومدرسة بالشام ومدرسة بغزة ومدرسة بثغر دمياط وجدد عمارة

جامع الروضة الذي كان بخط جاني بك نايب جدة واصرف عليه من مالة الف وخمسماية دينار
وانشا عدة جوامع ومساجد وزوايا بالديار المصرية وغيرها منها جامع باب الخرق تجاه
جامع سيدي سلطان شاه المجذوب وهو اسم شيخ مجذوب بني هذا الجامع تجاهه وبنى تجاه
جامع بالروضة وجامع بالكبش وجامع بالصحرا وجامع بباب الزاهر وجدد عمارة الايوان
الذي بالقلعة وانشا المقعد الكبير والبستان الذي في الحوش السلطاني وجدد عمارة الميدان
الكبير الذي بالناصرية وانشا عدة قناطر وجسور بالشرقيه والغربيه وبر الجيزه
وانشا بالديار المصرية عدة ربوع واماكن واوقفهم على جهات بر وصدقة وكان له اذكار
واوراد ومصنفات جليلة وكانت محاسنه تغطي مساويه بالنسبة الى من جا بعده
من الملوك كما قيل
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ٭ كفى المرء فضلا ان تعد معايبه

ذكر من توفي في ايامه من اعيان العلما وغيرهم من الاعيان وهم امير المومنين المستنجد
بالله يوسف والشيخ امين الدين الاقصرائي الحنفي شيخ المدرسة الاشرفيه وولده ابو
السعود توفي بطريق مكة والشيخ محيي الدين الكافيجي شيخ الخانقاه الشيخونيه والشيخ
سيف الدين الحنفي شيخ الجامع المويدي والشيخ قاسم الحنفي والشيخ عضد الدين الصيرامي
الحنفي شيخ المدرسة البرقوقيه والشيخ صلاح الدين الطرابلسي الحنفي شيخ المدرسة الاشرفيه
واما من توفي من اعيان الشافعية فالشيخ سراج الدين العبادي والشيخ جلال الدين البكري
شيخ الخانقاه البيبرسية والشيخ عبد الرحيم الاباسي والشيخ تقي الدين الحصني والجوجري
والشيخ ابراهيم بن الحموي المحدث توفي بطريق الحجاز والشيخ العمري المحدث المقدسي والشيخ
ناصر الدين الكلوتاتي والشيخ ابو الفضل خطيب مكة والقاضي ابراهيم بن ظهيره الشافعي
قاضي قضاة مكة **واما** من توفي في ايامه من قضاه القضاة بمصر فالقاضي محب الدين
ابن الشحنه الحنفي وقاضي القضاة شمس الدين الاسيوطي الحنفي وبرهان الدين ابن الديري
الحنفي وابن عيد الدمشقي الحنفي والقاضي ولي الدين الاسيوطي الشافعي والقاضي
صلاح الدين المكيني الشافعي والقاضي ابو السعادات البلقيني والقاضي حسام الدين
المالكي بن حريز واخيه سراج الدين والقاضي محيي الدين بن تقي المالكي والقاضي عز الدين
الحنبلي وقد اقام في ولاية القضا نحو من اربعين سنة والقاضي بدر الدين الدميري المعروف
بيكتوت وكانوا الناس يعيبون عليه كثيرا ويهجونه فمن ذلك قول سيدي علي بن بردبك
تدعي نيل صبري من خطيب الرتبه ٭ عقلي وطرفي مذهول ومبهوت
فان غدا الديك سلطانا فلا عجب ٭ فقد غدا قاضيا في الناس كتكوت
وللناس فيه مداعبات كثيرة وتوفي الشيخ جمال الدين يوسف سبط شيخ الاسلام شهاب
الدين بن حجر وتوفي الشيخ شمس الدين بن الحمصاني وتوفي الشيخ ابو حامد المقدسي وكان من
اهل العلم والفضل وله عدة مصنفات لكنه كان بليدا قليل الفهم ومما وقع له ان الاديب
ابو الخير ابن النحاس الشاعر هجاه بهذين البيتين واعرضهما عليه بمجلس القاضي كاتب

السر ابو بكر بن مزهر فاستحسنها وكتبها بخطه في تذكرته التي الفها وهما هذين

اباحامد انت الذي شاع ذكره ... بكثرة تاليف وجمع به والفرح
فانت الذي ما مثل حنطك في الورى ... وانت الذي ما مثل ذهنك في البلد

فاستحسنها ولم يعلم ما فيها من الدسيسه عليه واما من توفي في ايامه من اعيان اولاد اولاد الناس الجمالي يوسف بن الاتابكي تغرى بردى المورخ صاحب النجوم الزاهره في ملوك مصر والقاهرة **واما** من توفي في ايامه من المشايخ فالشيخ ابراهيم المتبولي توفي بمدينة اسدود ودفن بها وتوفي الشيخ ابو المواهب بن زغدان الشاذلي وتوفي الشيخ ابو الفضل من اولاد ابن ابي الوفا وتوفي الشيخ محمد السدار المجذوب والشيخ علي القليوبي المجذوب والشيخ رجب **واما** من توفي في ايامه من اعيان الشعرا فالشهابي المنصوري الهايم قيل انه عاش من العمر احدى وثمانين سنة وهو قوله

ان الثمانين من العمر قطعتها ... مثل عقود الجمان ما احوجنا
يوما يحيني الى عصا ... ولا سمعي الى ترجمان

وتوفي الشيخ شمس الدين القادري وكان من فحول الشعرا وله شعر جيد فمن ذلك ما في ميثاق واجاد الى الغاية بقوله

في صفحة الميقات بدر بحجه ... بالسعد تخدمه مدى الساعات
حج عيون الناس كعبة حسنه ... ونضت مناسكها من الميقات

وتوفي الزيني ابو الخير ابن النحاس الشاعر وكان من اعيان الشعرا وهو الذي هجا تقي الدين ابن محمود بهذه الابيات فقال

قف وقفة عند شباب الايام ترى ... تقي جوش اجفانه بالمرد قد كرنا
ومن توقد نيران الحشيش غدت ... عيناه ترمي جمالا بعد ما نفرت

وتوفي محمد بن شادي نجا العنبري وكان من اعيان الشعرا وله شعر جيد وتغزلات رقيقه انتهى ما اوردناه من اخبار دولة الملك الاشرف ابو النصر قايتباي على سبيل الاختصار منها

ذكر سلطنة الملك الناصر ابي السعادات ناصر الدين محمد بن الملك الاشرف ابي النصر قايتباي

وهو الثاني والاربعون من ملوك الترك واولادهم في العدد وهو السادس عشر من ملوك الجراكسه واولادهم بالديار المصرية بويع له بالسلطنه من غير عهد من ابيه وكان اباه في النزع فحضر المقر السيفي قانصوه خمسماية والمقر السيفي كرتباي الاحمر فارسلوا خلف امير المومنين المتوكل على الله عبد العزيز والقضاه الاربع وهم قاضي القضاة زين الدين زكريا الشافعي وقاضي القضاة ناصر الدين محمد بن الاخميمي الحنفي وقاضي القضاه عبد الغني بن تقي المالكي وقاضي القضاة بدر الدين السعدي الحنبلي وبقية الامرا فاجتمعوا في المقعد الذي في باب السلسله فخلعوا الملك الاشرف قايتباي

من السلطان

من السلطنه وولوا ابنه محمد **ولقبوه** بالملك الناصر واحضروا له خلعة السلطنة وركب من المقعد وحملت القبة والطير على راسه ومشت الامرا قدامه حتى طلع الى القصر الكبير وجلس على سرير المملكه وباسوا له الارض ودقت له البشاير ونودي باسمه في القاهرة وضجو له الناس بالدعا من الخاص والعام وكان الذي حمل القبة والطير على راس المقر السيفي قانصوه خمسماية وقد توشح الاتابكيه وكان ذلك في يوم السبت سادس عشرين ذي القعده من سنة احدى وتسعماية وذلك في الساعة الرابعة من اليوم المذكور **قيل** انه لما تسلطن كان له من العمر نحو اربعة عشر سنة وقد قارب البلوغ وكان مولده في سنة سبع وثمانين وثمانماية وامه ام ولد جركسيه تسمى اصل باي من سراري والد السلطان قايتباي وفيه يقول الشاعر

ان العناصر في سلطاننا اجتمعت ... شمايلا بهرت من حين مولده
فقد ناسب النار عزما والهوى خلقا ... والبحر جودا وملك الارض في يده

فلما كان يوم الاحد سابع عشرين ذي القعده فيه توفي السلطان قايتباي بعد العصر كما تقدم ذكر ذلك في اخبار السلطان قايتباي فلما كان مستهل ذي الحجة فيه نزلوا بالاتابكي تمراز وهو مقيد بقيدين وطوقا في بخنجي فنزلوا به من باب الزراير وتوجهوا به الى البحر فانزلوه في مركب وتوجهوا به الى ثغر الاسكندرية فسجنوه في البرج الذي هناك وهو في القيد وما كان الناس يظنوا ان الامر يتسلطن بعد موت الاشرف قايتباي فخابت فيه الظنون وخمدت حركاته وعادت سكونا فكان كما قيل في المعنى

وقايل لي لما ان راى قلقي ... من انتظاري لامالي تغنيتا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم ... محمودة قلت اخشى ان تخيبنا

ثم ان الملك الناصر عمل الموكب في الحوش السلطاني واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي قانصوه من طراباي المعروف بخمسماية واستقر به اتابك العساكر عوضا عن تمراز الشمسي واستقر تاني بك الجمالي امير سلاح على عادته واستقر الامير ازبك اليوسفي امير مجلس على عادته واخلع على المقر السيفي جان بلاط من يشبك واستقر به دوادار كبير عوضا عن الامير اقبردي بحكم اختفايه واخلع على المقر السيفي كرتباي الاحمر واستقر به وزيرا واستادارا وناظر المملكه عوضا عن الامير اقبردي وكان الامير كرتباي الاحمر قبل ذلك كاشف البحيرة مقدم الف فصار الامير كرتباي الاحمر في تلك الايام صاحب الحل والعقد بالديار المصرية ناظر العدل واحبه الناس في جملة ذلك انه امر السلطان بان يبطل ناظر نظاره الاوقاف فبطلت ونودي بذلك في القاهرة وضج الناس للملك الناصر بالادعية الفاخرة ثم ان السلطان انعم على الامير ماماي الدوادار الثاني بتقدمة الف وانعم على الامير يشبك قمر بتقدمة الف وانعم على الامير كسباي بتقدمة الف وانعم على جماعة كثيرة ممن هو من عصبة الاتابكي قانصوه خمسماية بامريات اربعين

وامريات عشرة واخلع على الامير مصرباى واستقر به والى القاهرة فتوليت عصبة
الاتابكى قانصوه خمسمائة وضعف عصبة الامير اقبردى الدوادار فكان كما قيل في
المعنى

لا تامنن الدهر وهو سالم * سلس القياد فقد يعود محاربا
واحذر تقلبه ولا تعجب له * ان اركب الماشى وامشى الراكبا

ثم دخلت سنة اثنين وتسعمائة فيها دخلوا الحجاج الى القاهرة وكان الامير
تانى بك قرا فى تلك السنة امير الحاج فلما وصل الى عجرود فارسلوا قبضوا عليه وقيدوه
وارسلوه من هناك الى ثغر الاسكندرية عند الاتابكى تمراز ثم ان السلطان ارسل خلف الامير
قانصوه الشامى وقد تقدم ان السلطان قايتباى لما وثب الامير قانصوه خمسمائة على الامير
اقبردى وجرى ما جرى مما تقدم ذكره فاخلع السلطان على الامير قانصوه الشامى واستقر
به نايب حماه وخرج اليها من يومه ونفى الامير قانصوه الالفى الى الصعيد فلما تسلطن الملك
الناصر فارسل خلفهما فلما حضرا اخلع السلطان على قانصوه الالفى واستقر به امير
اخور كبير عوضا عن شاد بك الاعور واخلع على الامير قانصوه الشامى واستقر به راس
نوبة النوب عوضا عن الامير تانى بك قرا ثم ان السلطان جمع الامرا واحضر لهم المصحف
العثمانى وحلفهم عليه بان يكونوا كلمة واحدة ولا ينادى بعضهم بعضا ويكونوا عباد الله
اخوانا فلما حلفوا نادى السلطان فى القاهرة بان الامرا المختفيين الذين من عصبة الامير
اقبردى يظهروا وعليهم امان الله تعالى فلما جرى ذلك فظهر الامير شادى بك امير
اخور والامير اينال الخسيف حاجب الحجاب والامير قانم قريب السلطان قايتباى
والامير جانم مصبغة فلما طلعوا الى القلعة فاخلع عليهم السلطان الملك الناصر
ونزلوا الى بيوتهم ثم فى اواخر النهار ارسل الاتابكى قانصوه خمسمائة خلف هولاء
الامرا الذين ظهروا وزعم انه يمد لهم سماطا فى بيته الذى فى قناطر السباع فتوجه اليه
امير شاد بك والامير اينال الخسيف والامير قانم وتاخر الامير جانم مصبغة لم يتوجه
معهم فلما دخلوا الى بيت الاتابكى قانصوه خمسمائة فاجتمعوا هناك بعد العصر
فاشغلهم بالكلام الى بعد العشا ثم حضر الامير مصرباى والى القاهرة ثم دخل عليهم
فقبض على هولا الامرا الثلاثة وتوجه بهم الى البحر فغرقهم الثلاثة تحت الليل وكان اخر
العهد بهم فلما اصبح الصباح فاشيع ذلك بين الناس وصح تغريقهم فلما كان يوم الثلاثا
ليلة الاربعا ثامن عشرين جمادى الاول من السنة المذكورة وثب فى تلك الليلة الاتابكى
قانصوه خمسمائة بعد العشا هو وخشداشينه وركب معه ساير الامرا من الاكابر والاصاغر
وساير العسكر من جلب وقرناص فملكوا باب السلسلة من غير مانع فبات به الاتابكى
قانصوه خمسمائة فى تلك الليلة ولم يكن عند السلطان فى القلعة من الامرا سوى خاله
الامير قانصوه شاد الشربخاناه وبعض مماليك اجلاب نحو الفى مملوك فلما اصبح يوم
الاربعا تاسع عشرين جمادى الاول اجتمعوا الامرا بباب السلسلة وارسلوا خلف امير

المومنين

المومنين عبد العزيز والقضاة الاربع فلما اجتمعوا تكلموا فى امر خلع الملك الناصر فخلعوه
وولوا الاتابكى قانصوه خمسمائة وتلقب بالملك الاشرف وباسوا له الامرا الارض ونودى
باسمه فى القاهرة وضج الناس له بالدعا وكان الاتابكى قانصوه خمسمائة محببا للناس لكنه
لم تسلطن لم يجلس على سرير الملك ولا لبس خلعة السلطنة ولا حملت على راسه القبة
والطير ولا كتب له تقليد من امير المومنين فلما تسلطن فى يوم الاربعا نادى فى القاهرة بان
اولاد الناس السلطنية يطلعون الى باب السلسلة ويباتون بها فلما كان يوم الخميس
سلخ جمادى الاول ارسل الملك اشرف قانصوه خمسمائة بعض الامرا الى الملك الناصر يقبض
عليه ويدخله الى قاعة البحرة وياخذ منه الترس والنمجاة والدواة فوجد المماليك
الاجلاب الذى كانوا بالقلعة قد التفوا على الامير قانصوه خال الملك الناصر وفتح الزردخاناه
وفرق عليهم القسى والنشاب والزرديات وكان عند الملك الناصر عبد نقطبه وكان
الدنبى حسن ابن الطيلونى معلم المماليك بالقلعة فحصنوها فى غاية ما يكون من التحصين
ثم وقع القتال العظيم بين الملك الناصر محمد وبين الملك الاشرف قانصوه خمسمايه
فلما كان يوم الجمعة مستهل جمادى الاخر وقع بينهما وقعة عظيمة وهى رخ باب السلسلة
اشد القتال واشد المحاصرة حتى اخرجوه من باب السلسلة ومن عنده من الامرا وملكوا
منه باب السلسلة ثم نزلوا مماليك مشاة من القلعة فملكوا راس الصوة وتحت الطبلخاناه
فلما خرج الملك الاشرف من باب السلسلة وفر وهو راكب عند سبيل المومنين فلم يبصر
الاوتد جانه وجرح فى وجهه ونبلهم سقط من على فرسه واغمى عليه فحملوه الغلمان على
اكتافهم ونزلوا به من الصليبة فلما وصلوا به الى المدرسة الجاولية فاركبوه على حمار فبقيت
رجلاه مدلاة كل هذا وهو مغمى عليه لا يدرى بما جرى له فلما وصلوا به الى الدرب الشمسى
فاختفى فى مكان هناك فلما جرى لقانصوه خمسمائة ما جرى من هذه الكسرة فتشتت
من كان معه من الامرا والعسكر فلما جرى ذلك نزلوا المماليك الاجلاب الى باب السلسلة
ونهبوا كل ما فيه من سلاح ومن قماش فى طشتخانات الامرا حتى طشتخاناه امير المومنين
وخطفوا عمايم القضاة وما سلم الخليفة والقضاة من القتل الا سلامة وكانت هذه النصرة
للملك الناصر على غير القياس بعد ان ملك قانصوه باب السلسلة واقام به ثلاثة ايام
وركب معه ساير الامرا والعسكر وباسوا له الامرا الارض من الاكابر والاصاغر ونودى باسمه
فى القاهرة فكيف خرج من باب السلسلة وهو على اقبح وجه واخس هيئة وكان هذا خذلان
من الله تعالى ليس هو فى قدرة بشر وكانت هذه الواقعة من اغرب الوقايع وعبرة المورخين
من شابع ودايع كما قال القايل

ويبنى اصطراك الليل والصبح معرك * بكر علينا جليلته بالعجايب
فلا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الافاعى من سموم العقارب

فلما كان يوم السبت مستهل جمادى الاخر طلع الخليفة الى القلعة والقضاة الاربع بهنود

السلطان الملك الناصر بالشهر وبهذه النصرة التي دفعت له ثم ان الخليفة جدد للملك الناصر مبايعة ثانية بحضرة القضاة **وقيل** ان الملك الناصر رشد في ذلك وثبتت
رشده بحضرة الحنفية والقضاة الاربع على ما قيل ودقت البشائر لهذه النصرة ثلاثة
ايام فلما انكسر قانصوه خمسماية واختفى فاختفت بسبب هذه الحركة اربعة عشر اميرا
مقدم الف غير الامرا الطبلخانات والامرا العشراوات فاقامت القاهرة اسبوعين لم
يظهر فيها امير مقدم الف في هذه المرة ومن غريب الاتفاق ان الامير قانصوه الشامي
لما جرى لقانصوه خمسماية ما جرى وانكسر فتوجه هو وجماعة من المماليك وكان معه
الامير مصرباي الوالي على جرايد الخيل الى نحو ثغر الاسكندرية وقصد وان يقتلوا
الاتابكي تمراز والامير تاني بك قرا وكانوا في السجن بثغر الاسكندرية فبينما هو في اثنا
الطريق فخرج اليه جماعة من العربان فاتفقوا معه فانكسر فقبضوا عليه ثم قتلوا
الامير مصرباي الوالي وقطعوا راسه وعلقوها على باب الاسكندرية واما الامير
قانصوه الشامي فانه لما قبضوا عليه احضروه الى ثغر الاسكندرية فسجنوه الى ان اتا في
البرج الذي كان فيه الاتابكي تمراز فاقام في السجن مدة يسيرة ثم ان السلطان ارسل
قطع راسه وهو في السجن ودفن بثغر الاسكندرية **وقيل** انه في ذلك اليوم الذي
قبضوا فيه على الامير قانصوه الشامي وادخلوه في البرج في ذلك اليوم جات المراسيم
الشريفة بالافراج عن الاتابكي تمراز الشمسي والامير تاني بك قرا فافرجت عنهما ولا
وسجن الامير قانصوه الشامي في ذلك اليوم فكان كما قيل في الامثال

وكم من طالب يسعى لشي … وفيه هلاكه لو كان يدري

فكان الامير قانصوه الشامي اول من قتل من الامرا ممن كان من عصبة قانصوه خمسماية
فلما فرح السلطان عن الاتابكي تمراز والامير تاني بك قرا فاحضروا الى الديار المصرية
فاخلع على الاتابكي تمراز واعاده الى الاتابكية كما كان اولا فكانت مدة سجن الاتابكي
تمراز بثغر الاسكندرية نحو ستة اشهر ونصف ثم اخلع السلطان على الامير تاني بك
قرا واستقر به امير مجلس عوضا عن الامير ازبك اليوسفي واخلع السلطان على خاله
المقر السيفي قانصوه واستقر به شاد الشربخاناه وانعم عليه بامرية اربعين وصار
صاحب الحل والعقد بالديار المصرية واستمر الامير قانصوه خمسماية مختفيا ومن
كان معه من عصبته من الامرا وصارت القاهرة مايجة والاحوال مضطربة وفي كل ليلة
يشيعوا الركوب على السلطان فرسم السلطان للاتابكي تمراز والامير تاني بك قرا بان
يطلعوا الى القلعة ويقيموا بها فطلعوا واقاموا في الجامع الذي هو داخل الحوش السلطاني
وانما فعل السلطان ذلك خوفا عليهم من كبسة تحت الليل وهم في بيوتهم فلما كان يوم الثلاثا
ثاني عشر جمادى الاخر فيه ظهر الامير قانصوه خمسماية وكان قد اشيع موته من الجرح
الذي حصل له في يوم الكسرة فيه وهو عند سبيل المؤمنين كما تقدم فلما كفانا من ذلك

بجمع وركب هو وخشداشيته وهم الامير قانصوه الالفي والامير ماماي والامير
كسباي والامير بيبك وغيرهم وجماعة من الامرا العشراوات والمماليك السلطانية فلما ظهر
توجه عند الميدان الذي عند البركة الناصرية فتسامع به العسكر فلبسوا آلة الحرب
وتوجهوا اليه فلما تكاثر عنده العسكر فخشى من ضيق المكان فتحول الى نحو بيت امير كبير
الذي في الازبكية كما فعل في الركبة الاولى كما تقدم فاقام هناك ذلك اليوم فلم ينتظم
امره ولم يحضر اليه من الامرا احد فبات هناك تلك الليلة فلما اصبح يوم الاربعا
تلاشى امره وتشتت العسكر الذي عنده ثم ان المماليك الاجلاب نزلوا من القلعة على جهة
فنزلوا وهم مشاة قاصدين الازبكية فلما بلغ الاشرف قانصوه ذلك فقام وهرب
هو ومن كان عنده من الامرا وخرجوا من الازبكية على وجوههم فتوجهوا الى نحو خانقة
سرياقوس ولم يقيموا بها وجد واتى السير على جرايد الخيل فلم يلحقهم الطلب وكان صحبتهم
من الامرا المقدمين الامير قانصوه الالفي والامير ماماي والامير كسباي والامير بيبك
ثم ومن الامرا الادوين الامير خير بك الزمام والامير اسنباي المبشر والامير
قانصوه الغريبي محتسب القاهرة والامير ولاتباي من جركسي والامير ازدمر
الخازندار والامير دولاتباي الصايغ والامير تمرباي المحمدي كاشف الشرقية وغير ذلك
بالجوجب دون الامرا العشراوات الامير سودون الدوادار والامير طوماي باي
اخو الامير جانم فكانت هذه ثالث كسرة وقعت لقانصوه خمسماية ولم ينتهي ما هو فيه
فكان كما قيل

توفي في الوغى عليشي لاني … رايت العيش في ارب النفوس

فلما انتهب قانصوه من الازبكية فنزلوا اليها المماليك الاجلاب ونهبوا بيوت الجيران
الذي في الازبكية حتى نهبوا بسط الجامع والقناديل الذي فيه حتى الحصر الذي فيه واحرقوا
بيت امير كبير ازبك حتى الربوع الذي حوله ودق الطبلخانات الذي به وكان هناك
حاصل للامير كبير فيه خيام ونشابا وبعض سلاح فنهبوا جميع ما فيه مع جملة ما
نهبوه للناس فكان كما قيل في المعنى

غيري جنى وانا المعاقب فيكم … فكانني سبابة المتندم

ومن هنا نرجع الى اخبار الامير اقبردي الدوادار فانه لما تسلطن الملك الناصر وقبضوا
على الاتابكي تمراز فاختفى الامير اقبردي في القاهرة مدة فصاروا يكبسون عليه البيوت
والحارات فلم يظفروا به فاستمر على ذلك الى ان حضر الامير اقباي نايب غزة الى القاهرة
فاقام بها مدة ثم اخلع عليه واستقر نايب غزة على عادته فلما خرج الى غزة فاخذ معه الامير
اقبردي في الخفية فلما توجه الى خانقة سرياقوس فارسل كرتباي الاحمر كبس على اقبردي في
ونكش سنجه بسبب اقبردي فلم يظفروا به فقيل انه اختفى في قدر ست كبير رخمه حتى
حملوا السنجه وخرجوا من خانقة سرياقوس فستر الله تعالى على الامير اقبردي حتى وصل
الى غزة فلما قام بها فحضر اليه الامير اينال باي نايب طرابلس وجماعة كثيرة من العربان

والعشاير وراج امره وقوى جانبه فلما ركب الاشرف قانصوه خمسماية وهى الركبة الثانيه التى توجه فيها للازبكيه وانكسر فلما خرج من الازبكيه حسن بباله ان يتوجه الى غزه بمن معه من الامرا والمماليك السلطانيه وينقل الامير اقبردى ومن معه من الامرا فعزم على ذلك وكان الحال يقول ، لقد حكيت ولكن ، فاتك الشنب ، فلما وصل الاشرف قانصوه خمسماية الى قرب غزه عند خان يونس فلاقاه الامير اقبردى هناك وكان السلطان ارسل الى الامير اقبردى بالامان وان يحضر الى مصر ويستقر على ما كان عليه فما يشعر الا وقانصوه خمسماية على راسه فحصل بينهما وقعة عظيمة هناك كما سياتى ذكر ذلك فى موضعه ومن هنا نرجع الى اخبار الملك الناصر ما جرى له من بعد هذه الحركة فانه صار مع المماليك فى غاية الضنك وكذلك الاتابكى تمراز فلما كان يوم السبت تاسع عشرين جمادى الاخر من سنة اثنين وتسعماية فيه حصل بين المماليك وبين الامرا تشاجر عظيم وسبب ذلك ان المماليك قالوا غيروا لقب السلطان ولقبوه بالملك الاشرف فقالوا لهم الامرا وكيف يكون ذلك بعد ان خرجت عدة مناشير ومربعات باسم الملك الناصر واشيع ذلك فى البلاد الشاميه وغيرها فاغلظوا عليهم المماليك وقالوا لا بد من ذلك فنادوا فى القاهرة ان السلطان قد صار لقبه الاشرف فتعجبوا الناس من ذلك كيف غيروا لقبه بعد هذه المدة وهذه الواقعه تقرب مما جرى للملك الصالح امير حاج بن الملك الاشرف شعبان فانه لما سلطنوه اولا لقبوه بالملك الصالح فلما خلع من السلطنه واعيد ثانى مرة لقبوه بالملك المنصور وقد تقدم ذكر ذلك وكان سبب تغيير لقب السلطان ان مماليك ابيه صاروا يسمون المماليك الاشرفيه والجم الذى اخرجه ابنه صاروا يسمونهم المماليك الناصريه فعز ذلك على مماليك ابيه وقالوا لقبوه بالملك الاشرف ونصير كلنا اشرفيه اسما واحدا فلما تغير لقب السلطان فصاروا الناس والخطبا تارة يسمونه الملك الناصر وتارة يسمونه الملك الاشرف ثم ان الملك الناصر تخيل من المماليك وصارت الاحوال مضطربة ثم رسم السلطان بسد باب السلسله فسدوه بالحجر النحت وكذلك باب الميدان وباب حوش الربيا فاستمروا على ذلك مدة طويلة لم يفتحوا فلما كان يوم الاثنين مستهل رجب فيه جات الاخبار بان الاشرف قانصوه خمسماية لما انحصر من الازبكيه توجه الى نحو غزه فلما وصل الى خان يونس الذى بالقرب من غزه فتلاقا هو والامير اقبردى هناك وكان الامير اقبردى قاصدا نحو الديار المصرية فالتقى هو والملك الاشرف قانصوه وقعة عظيمة فانكسر الامير اقبردى ودخل الى خان يونس فحاصروه وهو فى الخان واحرقوا بابه فاشرف عليهم الامير اقبردى من اعلا الخان وطلب من الاشرف قانصوه الامان فلم يعطه الامان وحال بينهما الليل فما شعروا الا وقد جاهم الامير اقباى نايب غزه والامير

اينال

اينال باى نايب طرابلس وشيخ العرب ابراهيم بن بقيعه ومعهم جماعة من العربان والعشاير فاتقعوا مع الاشرف قانصوه خمسماية وقعة عظيمة فلما حال بينهما الليل فانكسر قانصوه خمسماية ومن معه من الامرا والعسكر فكانت هذه رابع كسرة وقعت للاشرف قانصوه خمسماية فقتل الامير ماماى وقطعت راسه واسر الامير اسنباى المبشر والامير ترنباى الشرفى والامير دولات باى الصايغ والامير دولات باى من جركس والامير تمر باى الكاشف والامير ازدمر الخازندار وغير ذلك من الامرا العشراوات وقتل الامير سودون الدوادار وقطعت راسه هو والامير طاى **واما قانصوه** خمسماية فانه لما دخل عليه الليل فقيل انه قتل وقطعت راسه وقيل انه نجا بنفسه وركب على فرس فلم يعلم له خبر والله اعلم به كيف قتل والى الان يشكون الناس فى امره ويزعمون انه حى وهذا امر مستحيل ولا زال فى طلب الملك حتى جرى له ما جرى وفاته المطلوب فكان كما قيل

والنفس لا تنتهى عن نيل مرتبة ، حتى ترد من التى من دونها العطب ،

واما من اسر فى هذه الحركة من الامرا وهم الامير قانصوه الالفى والامير تنبك قرا والامير كسباى وغير ذلك من الامرا العشراوات والخاصكيه فلما كان يوم الخميس رابع رجب فيه ارسل الامير اقبردى اربعه وثلاثين راسا من رؤس اعيان من قتل فى هذه الحركة وهم راس الامير ماماى وراس الامير خير بك الزمام والباقى امرا عشراوات وخاصكيه وزعموا ان راس قانصوه خمسماية معهم فكانت اخر الكل وصفيرا وعليها عيبتين من زجاج فكان ظهر يوما مشهودا لما شقوا القاهرة وهم على ارماح والمشاعلية تنادى عليهم فلما طلعوا بهم الى القلعة ثم اعرضوا على السلطان ثم رجعوا بهم وعلقوهم على باب زويله وعلى باب النصر فدقت البشاير ثلاثة ايام بسبب هذه النصرة التى حصلت للسلطان على قانصوه خمسماية ثم ان السلطان ارسل الى الامير اقبردى فلما وصل الى الحطارة ارسل السلطان الى شيخ العرب احمد بن قاسم بان يقتل تلك الامرا التى اسروا فى هذه المعركة فقتلوا هناك وهم الامير قانصوه الالفى والامير كسباى والامير تنبك قرا وجماعة من الامرا الطبلخانات والعشراوات فقطعوا رؤسهم وتركوا اجسادهم فى الفلاه فناهشتهم الوحوش فكان كما قيل فى المعنى

ومثل ما تفعل شاة الحما ، فى غرض يفعل فى جلدها ،

فلما كان يوم الاحد رابع عشر رجب فيه دخل المقر السيفى اقبردى الدوادار الى القاهرة وزينت له ودخل فى موكب عظيم وطلب حفل وكان له يوما مشهودا ودخل معه من الامرا الامير اقباى نايب غزه والامير اينال باى نايب طرابلس وشيخ العرب ابراهيم ابن بقيعه فلما طلعوا الى القلعة فاخلع عليهم السلطان لكل واحد خلعة ونزلوا الى بيوتهم فلما كان يوم الخميس ثامن عشر رجب فيه عمل السلطان الموكب فى الحوش السلطانى فاخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفى اقبردى خلع باى واستقر امير سلاح

عوضا عن تاني بك الجمالي واستقر ايضا دوادار كبير وزيرا واستادارا كما كان يشبك
بن مهدي واخلع على الامير اقباي نايب غزه واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن
الامير ناصر الشامي وانعم على الامير جاتم الاجرود كاشف منفلوط بتقدمة الف
واما الامير اينال باي نايب طرابلس فاستقر على حاله واقام في القاهرة مدة ورجع
الى طرابلس على عادته فلما رجع الامير اقبردى الى القاهرة في هذه المدة لم تستقر احواله
ولم تنفذ له كلمة كما كان وصار في كل ليلة مهددا بالقتل من المماليك الذي من عصبة
ناصر الدين قانصوه خمسماية وفي هذه المدة التفت الناس على المقر السيفي قانصوه خال الملك الناصر
وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمعت فيه الكلمة فاختفت كلمة
الامير اقبردى وصار مهملا كما قيل في المعنى ۞ ۞

۞ ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها ۞ فحيث ما انقلبت يوما به انقلبوا ۞

۞ يعظمون اخا الدنيا فان وثبت ۞ عليه يوما بما لا يشتهي وثبوا ۞

فلما كان يوم السبت رابع شهر رمضان فيه وثبوا المماليك على الامير اقبردى فوقع
بينهم وقعة عظيمة فانكسر الامير اقبردى واختفى هو ومن ركب معه من الامرا ثم انه
هرب تحت الليل هو والامير اقباي نايب غزه وتوجه الى نحو الصعيد فاقام به الى ان
عاد الى الديار المصرية كما سياتي ذكر ذلك في موضعه وفي اواخر هذه السنة كثرت
المناسر بمصر وهجموا على سوق مرجوش تحت الليل ونهبوا منه عدة دكاكين وكذلك
سوق تحت الربع وكذلك سوق جامع طولون وصاروا كل ليلة يبطشون في حارة
وفي ايديهم شابيات وسيوف ونشاب وكسروا الوالي عدة مرار وصارت الاحوال في
اضطراب ثم ان السلطان ارسل الامير ابايزيد الصغير ومعه خلعة ومرس بسرج
ذهب وكنبوش وعلى يده مراسيم شريفة بان يكون الامير اقبردى في وظيفته
حتى يكون له حرمة واقوة على الفلاحين فاقام على ذلك مدة ثم ان الملك الناصر
ارسل خلف الامير اقبردى من الصعيد وكان الملك الناصر له عناية زايدة على
الامير اقبردى في الباطن فلما جاءت الاخبار بان الامير اقبردى قد وصل الى
بر الجيزه فلما كان يوم الخميس رابع عشرين ذي القعدة خرج العسكر قاطبة الى
ملتقاه ولم يخرج الامير قانصوه خال السلطان فاضطربت الاحوال فقام الاتابكي
تمراز على الامير قانصوه خال السلطان حتى اركبه وتوجه به الى عند السواقي التي
في الهد فاراد الامير قانصوه ان يعدي من هناك الى بر الجيزه ويسلم على الامير اقبردي
فمنعوه المماليك من ذلك وكان العسكر فرقتان فرقة مع خال السلطان وفرقة مع
الامير اقبردى فلما كثر القال والقيل رجع الامير قانصوه من هناك ولم يعدي
الى اقبردى فلما رجع الامير قانصوه من هناك تزايد الامر ولبسوا المماليك آلة
الحرب وثارت الفتنة فاحرقوا بيت الامير اقبردى الذي في حدرة البقر ونهبوا

اخشابه وابوابه هذا كله جرى من قبل ان يدخل الامير اقبردى فلما كان يوم الجمعة خامس
عشرينه عدى الامير اقبردى من الجيزة واقام عند مصلة خولان بالقرافة الكبرى
فتوجه اليه الاتابكي تمراز والامير تاني بك قرا وجماعة كثيرة من الامرا والعسكر ثم ان
الامير اقبردى ارسل خلف جماعة من العربان من بني وايل من عربان الشرقية وارسل اليه
كاشف الغربية جماعة من عربان محاربة فلما اجتمعوا عنده في القرافة صاروا يشوشوا على
المتفرجين ويعرونهم فخرجوا اليهم جماعة من المماليك والتقوا معهم في باب الوزير فقتل
في ذلك اليوم جماعة من الغلمان ومن المماليك السلطانية اثنين ثم دخل الليل فلما اصبح
يوم السبت سادس عشرين ذي القعدة من اواخر سنة اثنين فيه دخل الامير اقبردى الى
المدينة فكان يوم دخوله يوما مشهودا ادخل من عند مشهد السيدة نفيسه رضي الله
عنها وشق من الصليبة وتوجه الى بيته الذي عند حدرة البقر فاقام هناك واجتمع
عنده الامرا ثم دخل تلك العربان الذي جمعهم عنده والطوايفات من كثرتهم وكان في
ايديهم ارماح طوال عشاريه فلما بلغ ذلك الامير قانصوه خال السلطان فارسل خلف
طايفة من العربان يقال لهم بنو حرام فصاروا الاتراك يتقووا مع بعضهم والعربان يتقووا
مع بعضهم واستمر الحرب ثاير بين الفريقين في كل يوم ثم ان الامير اقبردى احضر
اشياء كثيرة من الاخشاب وشرع في عمل طوارق واحضر نحاس بسبب مكحلة كبيرة
ثم انه نفق على العسكر الذي كان عنده جامكية شهر وكان يمد في كل ليلة سماطا للامرا الذي
تجتمع عنده ويحضر لهم في كل الليل الحلوى والفاكهة والبطيخ الصيفي واصرف في هذه
الحركة من ماله نحو مايتي الف دينار في هذه المدة اليسيرة واما ما كان من عصبته من الامرا
المقدمين الذين ركبوا معه فهم الاتابكي تمراز الشمسي والمقر السيفي تاني بك قرا امير
مجلس والمقر السيفي اقباي نايب غزه وراس نوبة النوب والمقر السيفي كرتباي امير
اخور كبير والمقر السيفي جاتم مصبغه حاجب الحجاب والامير جاتم الاجرود الاجرود
كاشف منفلوط احدى الامرا المقدمين والامير بردبك نايب حلب احدى الامرا
المقدمين والامير قيتبك نايب الاسكندرية احدى الامرا المقدمين والامير كرتباي
اخو الامير اقبردى الدوادار احدى الامرا المقدمين واما الامرا الطبلخانات والعشرات
فكثير ومن المماليك السلطانية نحو النصف من العسكر هذا جملة من كان معه من الامرا
واما من كان عند السلطان الملك الناصر فوق القلعة فالمقر السيفي سودون العجمي
والامير جان بلاط الغوري والامير قاني باي قرا المردود بالرماح والمقر السيفي قانصوه
خال السلطان شاد الشربخاناة فلما اشرف الامير اقبردى على اخذ القلعة فخشوا الامرا
الذي كانوا فيها اختفوا من جهة ركبوا مع الملك الاشرف قانصوه خمسماية ان لا يملك
الامير اقبردى القلعة فظهر الامير كرتباي الاحمر والامير جان بلاط الدوادار والامير
تنبك الرجبي والامير قرقماس بن ولي الدين والامير قانصوه المحمدي المعروف بالبرجي

وغير ذلك من الامرا ثم ارسلوا خلف ازبك اليوسفي وغير ذلك من الامرا فلما تكاملوا [illegible]
القلعة فتوثبت عصبة الملك الناصر ومن كان عنده في القلعة من العسكر وجدوا في
القتال ثم حصروا القلعة بالمكاحل والمدافع والبندق الرصاص فكان مع الذي فوق
القلعة من باب المدرج الى التبانة الى باب زويلة الى اخر القاهرة وكان مع الامير اقبردي
مدرسة السلطان حسن وسبيل المؤمنين وباب الزراني والصليبة الى قناطر السباع
الى مصر العتيقة وكان مع الامير اقبردي صنجق سلطاني ومع العسكر الذي فوق القلعة
صنجق سلطاني والزينيين يقولون الله ينصر السلطان فغادوا الناس بينهم متحيرين
لا يعرفون الطايع من العاصي ثم اتى عيد النحر وهما في اشد القتال فتوقى الامير
اقبردي الضحية على العسكر الذي عنده من اغنام وابقار حتى عمهم بالتفرقة من كبير وصغير
فكان لهم يوم العيد وقعة عظيمة تشيب منها النواصي وقتل من الاعيان في مدة هذه
الوقعة ممن كان مع الامير اقبردي وهم الامير جانم من نايبناي والامير قصروه نايب
سيجن والامير طومان باي نايب بهنسا وهو من الذي كانوا فوق القلعة فلما طال
امر هذه الوقعة اضطربت احوال البلاد الشرقية والغربية ونهبوا العربان الغلال واحرقوا
الجرون فتشحطت الغلال بالديار المصرية ووقع الغلا وتناهى سعر القمح الى نحو ثلاثة
اشرفية كل اردب وتعطل البيع والشرا من جميع الاسواق وغلقت من اجلها وتوقف
عند ليالي الوفا فلما كان يوم الاثنين ثاني عشرين ذي الحجة الموافق لسابع عشرين مسرى
فيه اوفى النيل المبارك وكسر في ثامن عشرين مسرى فلما اوفى النيل ارسل الامير اقبردي
والي القاهرة فكسر السد وقيل ان الشيخ عبد القادر الدشطوطي كسر السد قبل ان يجي
الوالي ولم يلتفت احد الى وفا النيل ولا كسر السد لما جرى من فساد الاحوال والفتن
القايمة بمصر بين الاتراك فكان كما قيل

اطلب من زمانك ذا وفاء ... وتنكره الاجهلا من بنيه
لئن عدم الوفاء به وافى ... لا اعجب من وفاء النيل فيه

فلما كسر السد اقام النيل في الزيادة مدة يسيرة وانهبط سريعا فشرقت غالب البلاد
واستمر القتال عمال نحو سنة ثم ان الامير اقبردي احضر المعلم ... وشرع في عمل
مكحلة كبيرة فابطا في عملها مدة طويلة فتقلق العسكر الذي مع الامير اقبردي وصاروا
ينسحبون من عنده ويطلعون الى القلعة فتلاشى امر الامير اقبردي وانفل عنه اكثر
العسكر الذي كان عنده فلما كان يوم الجمعة سادس عشرين ذي الحجة فيه اضطربت احوال
الامير اقبردي واشيع بين الناس ان الامير كرتباي الاحمر عزم على ان يكبس على الامير
اقبردي في تلك الليلة فلما كان بعد المغرب في ليلة السبت نزل الامير كرتباي الاحمر
من القلعة ونزل معه ساير المماليك الذي في الطباق من كبار وصغار وهم مشاة لاهجموا
على من كان في مدرسة السلطان حسن من الامرا فاحرقوا باب المدرسة ثم نهبوا بسط

المدرسة

المدرسة والقناديل وما كان فيها من قماش الامرا واخذوا شبابيك القبة المدفن
والرخام الذي في القبة واحرقوا ربع الامير يشبك الجاور للمدرسة وتوجهت طايفة
من المماليك الى سبيل المؤمنين فاحرقوه واحرقوا الربع الذي حوله فبات الامير اقبردي
تيقظ منهم بطول الليل هو ومماليكه فقط فلما اصبح يوم السبت سابع عشرين ذي الحجة
فيه انكسر الامير اقبردي بعد ان راى عين الغلب وتسحب من كان عنده من العسكر
ولم يبق معه ما اصرفه عليهم من المال واخذوا به فلما تحقق ان الكسرة عليه توجه الى بيته
واخذ زردخانته ومماليكه وبركه وقماشه وخرج من بيته مع طلوع الفجر فكان
صحبته من الامرا الامير تاني بك قرا امير مجلس والامير اقباي نايب غزة راس نوبة
النوب والامير جانم مصبغة حاجب الحجاب والامير قنبك نايب الاسكندرية والامير
كرتباي اخو الامير اقبردي وجماعة كثيرة من الامرا العشراوات منهم الامير اينال
الصغير وغير ذلك من الامرا وكان معه نحو الف مملوك من مماليكه ومماليك السلطان
والامرا الذي معه وخرج من بيته وعلى راسه صنجق وقدامه طبلين ومزمارين ونفير
فدخل من الدرب الذي عند حمام الفارقاني وخرج من الدرب الذي قدام المدرسة الجاولية
وتوجه من هناك الى بولاق وطلع من جزيرة النيل ثم خرج الى الفضا حتى توجه الى
خانقة سرياقوس وقيل لما ان اراد ان يخرج من بيته ارسل خلف الاتابكي تمراز وكان
عنده مقيما في مدة هذه الوقعة في البيت الصغير الذي بجوار المدرسة البندقدارية
فلما ارسل خلفه ليتوجه معه فابطا عليه في المجي وكان الاتابكي تمراز حصل له توعكا
في جسده في هذه المدة فلما ابطا عليه ركب ومضى وقيل لما توجه الامير اقبردي ومر على
بلاد الشرقية توجهوا العربان من بني حرام وما خلص منهم الا بعد جهد عظيم فكانت مدة
هذه الوقعة بالديار المصرية من حين دخل الامير اقبردي في يوم السبت سادس عشرين
ذي القعدة الحجه وجملة ذلك ثلاثين يوما وهذه ثالث كسرة وقعت للامير اقبردي
بمصر ولم يسمع بمثل هذه الوقعة فيما تقدم وكان من مساوي الامير اقبردي تلك العربان
الذي ادخلهم صحبته الى مصر فقد حصل للناس منه غاية الضرر ولا سيما ما وقع منهم
في الزراني في حارات الصالحية من النهب والقتل وفعلوا مثل ذلك في اطراف القاهرة فكثر
الدعا من الناس على الامير اقبردي بسبب ذلك حتى انكسر هذه الكسرة الفاحشة ولم
يحصل له من ذلك العربان نفع لما انكسر ولا قاتلوا معه فكان عدمهم ووجودهم سوى
وكان الامير اقبردي غير محبب للناس ولا سيما ما وقع منه في هذه المدة من الافعال
الشنيعة بسبب جمع العربان وغيره من الفساد ومن هنا نرجع الى اخبار الاتابكي تمراز
فانه كان متوعكا في جسده فلما انكسر الامير اقبردي وبلغه ذلك فبقي عنده الشك
من هذا الكلام فلبس قماشه وركب وخرج من البيت الذي كان فيه فلما وصل الى بيت الامير
تاني بك قرا فلاقاه جماعة من المماليك الاجلاب فقبضوا عليه ودخلوا الى بيت الامير

تانى بك قرا وقصد واقتله هناك ثم بدا لهم ان يطلعوا به الى القلعة فلما خرجوا به من بيت تانى بك قرا لحقني عند السكاكينيين الذى فى الصليبة فلاقاه طائفة من المماليك فبرهوكلا فنظروه من على فرسه فوقع على الارض فطلعوا به على دكان وقطعوا راسه على تلك الدكان وكان الذى قتله شخصا من الاتراك يسمى بردبك فتيل الامر قطع راسه بالسيف فلم تنقطع فكسرها حتى تخلصت عن جثته ثم اخذها فى فوطه وطلع بها الى السلطان فعز ذلك عليه لكون انه كان قرابته الملك الاشرف قايتباى ثم ان بعض مماليك الاتابكى تمراز احضر تابوتا واخذ فيه جثته وتوجه بها الى مكان بالتربة من بيت الامير تغرى بردى الاستادار فغسلوه هناك ثم ان السلطان ارسل راس الاتابكى تمراز وارسل معها ثوبا بعلبكى عال وثلاثون دينارا ليخيطوا راس الاتابكى تمراز على جثته ويغسلوه ثم احضروا الامير كرتباى امير اخور كبير الذى قتل فى مدرسة السلطان حسن فغسلوه معه وكفنوه واخرجوهما سوى فصلوا عليهما فى باب الوزير وتوجهوا بهما الى تربة الاشرف قايتباى فى الصحراء التى هو فيها ودفن الامير كرتباى على الامير جانم قرابة السلطان وكان الاتابكى تمراز اميرا عظيما دينا خيرا كثير البر والمعروف وله اثار ومعروف ولا سيما ما فعله فى الجسور التى صنعها فى الغربية وباشر ذلك بنفسه وهى باقية الى الآن وكان الاتابكى تمراز اصله من مماليك الاشرف برسباى وكان ابن اخت السلطان قايتباى وترقى ايامه الى الغاية وكان الاتابكى تمراز قليل الاذى واسطة خير محببا للناس وقد رثيته بهذه الابيات وهو قولى

ارغمت يا دهر انوف الورى … بقتل تمراز ويتم العباد
اتابك العسكر ذا رأفة … بالجود قد شاع لاقصى البلاد
اخطأت يا قاتله كيف قد … قتلت من يمنع اهل الفساد
مصيبة حلت فمن اجلها … قد صيرت فى كل قلب زناد
لكن له فى قتله اسوة … بالحسين ابن على الجواد
ان اودعوا الرمس ما ضيعوا … بل كان كنزا فى صميم الفؤاد
فالله يجزيه على ما جرى … من قتله بالعفو يوم المعاد

فلما قتل الاتابكى تمراز وهرب الامير اقبردى هاجت المدينة واضطربت الاحوال ونزلوا المماليك الاجلاب من الطباق فتطمطوا فى المدينة وصاروا يدخلون الى الحارات وينهبوا البيوت والارباع ودخلوا الى حارة زويلة ونهبوا كل ما فيها وسبب ذلك ان الامير اقبردى كان له حاصل هناك فنهبوه ونهبوا البيوت التى حوله من بيوت اليهود وغيرها وصار كل من ظفر به من جماعة الامير اقبردى فيقتلوه اشر قتلة ثم ان الامير كرتباى الاحمر قبض على المعلم دمينكوا الذى سبك المكحلة للامير اقبردى فقطع راسه وعلقها على باب السلسلة واستمر القتل والنهب عمال فى القاهرة

يومين ولم يجد والى يرد هم عن ذلك وراح الصالح بالطالح وربما عوقب من لا جنى

ذكر من قتل فى هذه الحركة من الامراء وهم الامير شادى بك امير اخور والامير اينال الخسيف حاجب الحجاب والامير تانى قرابة السلطان فهولاء قتلوا لما توجهوا الى بيت الاتابكى قانصوه خمسمائة كما تقدم ذكر ذلك ثم قتل فى الوقعة التى كانت على خان يونس بالقرب من غزة وهم الملك الاشرف قانصوه خمسمائة كما تقدم ذكر ذلك وقتل الامير ماماى والامير فيروز الزمام ومن الامراء العشراوات الامير سودون الدوادار والامير طومان باى اخو الامير جانم وغير ذلك من الامراء والذى قتلوا فى الخطارة عند جسر الريف احمد بن قاسم وهم الامير قانصوه الالفى والامير كسباى والامير يشبك ثم ومن الامراء الطبلخانات الامير اسنباى المبشر والامير قرقماس التربجا المحتسب والامير دولاتباى من جركس والامير تمرباى كاشف الشرقيه والامير ازدمر الخازندار والامير دولاتباى المصارع وقتل الامير قانصوه الشامى شنقا باسكندرية كما تقدم ذكر ذلك **واما من قتل** الامير اقبردى من الامراء وهم الاتابكى تمراز الشمسى والامير كرتباى امير اخور والامير جانم الاجرود والامير مصرباى الوالى ايضا قتل بطريق الاسكندرية فى الريف وقتل فى هذه الوقعة من الامراء العشراوات الامير جانم تانباى والامير قصروه نايب سيس والامير طومان نايب بهسنا وغير ذلك من الخاصكية والمماليك السلطانية والله اعلم فكانت عدة من قتل فى هذه السنة من الامراء المقدمين اثنى عشر اميرا امير مايه مقدم الف ومن الامراء الطبلخانات والعشراوات نحو ثلاثة عشر اميرا هذا غير من قتل من النواب فى البلاد الشامية والحلبية **واما** من توفى فى هذه السنة من القضاة والمباشرين فقاضى القضاه نجم الدين بن الاخميمى الحنفى وقاضى القضاة بدر الدين السعدى الحنبلى وقتل القاضى ابو البقا ابن الجيعان وهو طالع الى القلعة وقت الصبح قتله بعض المماليك بخنجر فى بطنه فخرجت مصارينه فمات من يومه ودفن وكان قتله فى اواخر هذه السنة وقد جرى فى هذه السنة من العجايب والغرايب ما لا يجتمع بمثله وكانت عبرة لمن اعتبر وقد قيل فى المعنى

يسعى ابن ادم فى تقضى اوطاره … والموت يتبعه على اثاره
يلهو وكف الموت فى اطوائه … كالكبش يلعب فى يدى جزاره
يمشى وقد امن الحوادث ليله … فلربما تطرقه فى اسحاره
فمن اراد يعلم كيف تفجع داره … من بعده فلينظر بجواره

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعمائة فكان مستهلها فى يوم الثلاثاء ووافق ذلك يوم النوروز وهو اول يوم من السنة القبطية بموجب تحويلها الى السنة العربية ففى ذلك اليوم اخلع السلطان على الشيخ برهان الدين بن الكركى واستقر به قاضى قضاة الحنفية عوضا عن القاضى نجم الدين بن الاخميمى الحنفى واخلع على القاضى شهاب الدين احمد

الشليشيني الحنبلي واستقر بر قاضي القضاة الحنابلة عوضا عن القاضي بدر الدين السعدي الحنبلي وكان قد حضر من مكة بطلب الولاية واخلع على القاضي صلاح الدين بن الجيعان واستقر به مستوفي الجيش عوضا عن اخيه ابي البقا واخلع على الشيخ عبد البر بن الشحنة واستقر به شيخ مدرسة الاشرفية عوضا عن ابن الكركي فلم يتم بها غير ثلاثة ايام ثم اعيد اليها ابن الكركي مع ما بيده من نصابه الحنفية **وفيها** عمل السلطان الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفي كرتباي الاحمر واستقر بر امير سلاح عوضا عن الامير اقبردي واخلع على المقر السيفي قانصوه خال السلطان واستقر به دوادار كبير عوضا عن اقبردي ثم بعد مدة يسيرة استقر به وزيرا واستادارا كما كان اقبردي واخلع على المقر السيفي ازبك اليوسفي واستقر به مشير المملكة واخلع على المقر السيفي قانصوه المحمدي المعروف بالبرجي واستقر به امير مجلس عوضا عن تاني بك قرا واخلع على المقر السيفي تينبك الرجبي واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن الامير جانم مصبغه واخلع على المقر تاني باي الرماح واستقر به امير اخور كبير عوضا عن الامير كرتباي الذي قتل في وقعة الامير اقبردي واخلع على المقر السيفي جان بلاط الغوري واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن الامير اتباي نائب غزة واخلع على المقر السيفي طومان باي واستقر به دوادار ثاني امير اربعين ولم يكن ولاية هولا الامرا في موكب واحد بل كانت في مواكب متفرقة ثم ان السلطان رسم باحضار ماماي اتابكي ازبك من مكة فبرزت المراسيم الشريفة اليه بالاحضار وانعم السلطان على جماعة من الامرا بتقادم الوف وانعم على جماعة بامريات اربعين وبامريات عشرة عوضا عمن قتل في هذه الحركة وعوضا عمن تسحب مع الامير اقبردي كما تقدم **وفيها** في يوم الخميس ثامن عشرين ربيع الاول فيه حضر الاتابكي ازبك من مكة وكان مقيما بها من حين وثب قانصوه خمسمائة على اقبردي كما تقدم فكان مدة غيبته بمكة سنتين وثلاثة اشهر واثني عشر يوما فلما حضر الى مصر فاخلع عليه السلطان واستقر بر اتابك العساكر عوضا عن تمراز الشمسي كما كان اولا **وفيها** في يوم الخميس مستهل صفر كانت وفاة امير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل فكانت مدة خلافته ستة عشر سنة وايام ومات وله من العمر نحو اربعة وثمانين سنة وحضر مبايعة الملك الناصر محمد بن الاشرف قايتباي وبايع قانصوه خمسمائة فلما كان يوم السبت ثالث صفر من هذه السنة عمل السلطان الموكب واخلع على سيدي يعقوب بن عبد العزيز واستقر بر خليفة عوضا عن ابيه وتلقب بالمستمسك بالله ابي الصبر **واقعة** قيل بلغ الامير كرتباي الاحمر ان السلطان ذبح كبشا جيدا وقال هكذا اذبح كرتباي الاحمر وهذا غاية الخفة منه **وفيها** قرر ازدمر من على باي في شادية الشرابخاناه عوضا عن قانصوه خال السلطان وقرر تمر في الزردكاشية وقرر بيبرس في نيابة القلعة وقرر قانصوه كرد في الخازندارية وانعم على سيباي نائب سيس بتقدمة الف وقرر ازبك قفص راس نوبة ثاني وقرر

جان بلاط الموتر في الحسبة وذلك بعد موت جاني بك من حديد وانعم على الامير تاني الغوري بتقدمة الف في اواخر سنة ثلاث وتسعمائة وقرر طراباي امير اخور ثاني **وفيها** توفي القاضي ابو الفتح نائب جده وتوفي بمكة الشيخ شمس الدين السخاوي وكان من اعيان العلما وله تاريخ مطول غير مفيد **وفيها** القاضي ابي البقا ابن الجيعان ومن محاسن القاضي ابي البقا ابن الجيعان انه جدد بناية الزاوية الحمرا وجعل بها خطبة تقام في كل جمعة وبقصد وبها الناس في ايام المتفرجات وصارت من محاسن مصر **وفيها** انعم السلطان على تاني باي الرماح بتقدمة الف بعد ما كان نائب صهيون **وفيها** قرر السلطان وقا الاوردي في امرية شكار وكان من الاعوام فتزيا بزي الاتراك وكان غلطا منه وانعم على الامير جانم الاجرود كاشف منفلوط بتقدمة الف **وفيها** توفي خالص مقدم المماليك وقرر عوضه سنقر الحبشي **ومن الحوادث** في اثنا هذه السنة ان الملك الناصر قبض على القاضي كاتب السر بدر الدين بن مزهر وعصره بالعرقانة واخذ منه نحو اثني عشر الف دينار ولكن ابقاه على وظيفته وسبب ذلك ان القاضي بدر الدين كان دفع نحوا من الف دينار للملك الاشرف خمسمائة لما تسلطن فلما انكسر اخذ منه الملك الناصر محمد بسبب ذلك انتهى **وفيها** حضر سيف نائب الشام قانصوه اليحياوي فعند ذلك اخلع السلطان على المقر السيفي كرتباي الاحمر واستقر بر نائب الشام عوضا عن قانصوه اليحياوي وكان الملك الناصر يختشي من الامير كرتباي الاحمر فسلط عليه المماليك الاجلاب يقصد واقتله مرة مرار فلما توفي نائب الشام سال الامير كرتباي الاحمر بان يكون نائب الشام فاجابه السلطان الى ذلك واخلع عليه واستقر بر نائب الشام عوضا عن اليحياوي وفي اثنا ذلك ظهر الامير جان بلاط الدوادار فلما ظهر فاخلع عليه السلطان واستقر بر نائب حلب عوضا عن اينال الذي كان بها وقتل كما سياتي ذكر ذلك في موضعه ان شا الله تعالى **ومن هنا نرجع الى الاخبار** الامير اقبردي فانه لما انكسر وخرج من القاهرة كما تقدم ذلك فتوجه الى نحو الشام وحاصر مدينتها اشد المحاصره وكان نائب الشام قد توفي فلم يقدر على اخذ المدينة فنهب الضياع التي حولها واحرق البيوت والبساتين الذي بها فلما لم يقدر عليها توجه الى حلب وفعل بها ايضا اضعاف ما فعله في الشام فلم يقدر عليها فلما بلغ ذلك الامرا تعينوا له بتجريده وكان باش العسكر الامير كرتباي الاحمر والامير جان بلاط نائب حلب وصحبتهم جماعة من الامرا المقدمين ونحو الف مملوك من المماليك السلطانية فلما بلغ الامير اقبردي مجي التجريدة من مصر توجه الى عند علي دولات باي اخو سوار فلما كان يوم الثلاثا رابع ربيع الاخر فيه خرج العسكر من القاهرة وكان لهم يوما مشهودا وطلبوا الامرا في ذلك اليوم الطلب ناحية حتى رجت لهم القاهرة وخرجوا على هيئة قاصدين البلاد الشامية فلما خرج الامير كرتباي الاحمر من القاهرة صفا للملك الناصر الوقت فطاش في تلك الايام

حتى خرج عن الحد وصار ينزل فى كل ليلة ويشق المدينه بعد العشا وقدامه فانوسين اكرع واربع مشاعل ومعه اولاد عمه وبعض خاصكيه وكان يطوف المدينه وقدامه عبيد سود ومعهم مكاحل نفط فكان كل من يراه يمشى بالليل يقطع اذنيه وانفه وشى يضرب به بالمدافع ومشى بوسطه ويرميه على الطريق ثم انه نادى فى القاهرة بان يعلقوا على كل دكان فى القصبة قنديلا فكان اذا مر ورأى دكانا ما عليها قنديلا يسمر الدكان وهو واقف بنفسه عليها حتى يسمروها قدامه فلما فتح الابعد جهد كبير ثم نادى فى القاهرة بان يبيضوا الدكاكين التى فى الشارع ويزخرفوها بالدهان فحصل لاصحاب الدكاكين الضرر الشامل بسبب ذلك ثم انه صار ينزل الى بولاق فى ليالى سيدى اسماعيل الانبابى ويشق البحر فى مركب ومعه جماعة من العوام والمغانى على السداد والاجهار ويحرق فى تلك الليلة حراقة نفط فى بولاق هناك وقد فعل ذلك مرتين حتى تبهدل حرمة المملكة فى ايامه وقد جاوز الحد عن ذلك فى الخلاعة والفسق واستخف بالامرا والناس اى خف كما قال المعمار

ذى دولة جواضهم	تشوتيه معترز
خليلى وشامى	والحجار متحبر

ثم ان الملك الناصر صار ينزل الى قبة الامير يشبك التى فى المطرية ويبات بها ثم يشق من القاهرة فى موكب عظيم والامرا قدامه وكان يصنع قدامه طبلين وزمرين ومكاحل نفط مع العبيد السود يرمون بها قدامه وكان فى الغالب لا يركب معه سوى خاله المقر السيفى قانصوه الدوادار **ومن الحوادث** فى ايامه انه لما كثرت عليه المماليك قد اضاف لكل امير من الامرا المقدمين ثلاثون مملوكا من المماليك الاجلاب ياخذون من اقطاعه فى كل سنة عشرة الاف درهم لكل مملوك واضاف الى امير كبير ازبك اربعين مملوكا واضاف لكل امير اربعين عشرة من المماليك ولكل امير عشرة خمسة من المماليك فحصل للامرا بسبب ذلك غاية الضرر الشامل وصاروا المماليك يدخلون الى بيوت الامرا وهم راكبون ويشوشون على مباشرين الامرا بسبب استخراج المال الذى تعزز لهم ولا يصبرون حتى يجبا المال من البلاد ثم ان السلطان نادى فى القاهرة للامرا الذى ركبوا مع الامير اقبردى واختفوا بان يظهروا وعليهم امان الله تعالى فظهر الامير ابا يزيد الصغير والامير قنبك ابوشامة وظهر جماعة كثيرة ممن كان ركب مع الامير اقبردى فلما ظهروا وطلعوا الى القلعة وكان السلطان انوج من الامير مصرباى وكان بالسجن بثغر الاسكندرية من حين هرب الامير اقبردى فلما ظهروا هولا الامرا فعين السلطان الامير مصرباى امير اخور كبير وعين الامير ابا يزيد الصغير دوادار ثانى وعين الامير قنبك ابوشامة نايب القلعة فلما ان بلغ المماليك ذلك فثارت فتنة كبيرة بسبب ذلك ووثبوا على بعضهم بالقلعة وسيباى الاشقر ونزلوا بجنبه على حمار وهرب الامير مصرباى والامير قنبك ابوشامه ونزلوا الى المدينة واختفوا وكانت فتنة عظيمة ونهبوا ابنها

بعض اماكن من جملتهم بيت الناصري محمد بن خاص بك وكان ذلك فى يوم الخميس حادى عشر جمادى الاول من تلك السنة فلما جرى ذلك فطلع الاتابكى ازبك الى القلعة ولام السلطان على هذه الافعال التى تقع منه لخمد الفتنه ونزل وكان السلطان يميل الى الامير اقبردى والى الذى هو من عصبته فى الباطن **وفيها** ظهر الامير تانى بك الجمالى وكان الامير تانى بك الجمالى مختفيا من حين ركب مع قانصوه خمسماية فلما طلع فاخلع عليه السلطان واعاده امير سلاح كما كان اولا وكان فى هذه المدة استقر الامير كرتباى الاحمر امير سلاح فلما بقى نايب الشام استقر الامير تانى بك الجمالى امير سلاح كما كان اولا على عادته **وفيها** وقع الطاعون بالديار المصرية وكان مبداه من غزه ثم وقع بمصر وابتدا من جمادى الاخر وكان قوة عمله فى شهر رمضان فمات فى هذه المدة من المماليك والاطفال والجوار والعبيد والغربا ما لا يحصى عددهم ومات فيه من الاعيان الامير جان بلاط الغورى راس نوبة النوب والامير صنطباى المبشر وغير ذلك من الاعيان فكان كما قيل

الا ان هذا الوبا قد سبا	وقد عمنا طعن طوفانه
ولا عاصم اليوم من امره	سوى رحمة الله سبحانه

ومن الحوادث ان الوالى قبض على شخص يسرق اكفان الموتى فى الليل فعرضه على السلطان فامر بقطع وجهه وعلقه على باب النصر فاستمر معلقا الى ان مات ونادى للحفارين يحفظ اكفان الموتى ثم صار الطعن عمال والمماليك يجورون على الناس فى اخذ اموالهم وبضايعهم وتمادوا فى النهب والقتل وطمعوا فى السلطان لكونه صغيرا ولم يجد من يردهم عن ذلك الافعال الشنيعة وقد قلت فى ذلك

اقول للطاعون والمماليك	جاوزتما الحد فى النكاية
ترفقا بالورى قليلا	فى واحد منكما كفاية

وفيها جاءت الاخبار من حلب بان الامير كرتباى الاحمر لما وصل الى حلب توجه الى عند الامير اقبردى وكان اقبردى لما بلغه مجى التجريده توجه الى عند على دولات فحصل بين الامير اقبردى وبين الامير كرتباى الاحمر وقعة عظيمة خارجا عن حلب فانكسر الامير اقبردى ومن معه من الامرا وقتل الامير اينال نايب حلب وجماعة من عسكره وابن على دولات فلما انكسر اقبردى عدى من الفرات وتوجه الى نحو البيرة فاقام بها ورجع العسكر الى حلب فاقام جان بلاط نايب حلب بها وتوجه كرتباى الاحمر نايب الشام الى الشام فاقام بها ثم ان الامير كرتباى الاحمر ارسل الى القاهرة احدى وثلاثون راسا من اعيان من قتل من عسكر اقبردى فى هذه المعركه فكان لهم يوما مشهودا ودخلوا بهم على ارماح وشقوا بهم من القاهرة ثم علقوهم على باب المدينه وكان ذلك فى رابع عشر شوال من السنة المذكورة ولما استقر الامير كرتباى الاحمر بالشام استقل بها وملك فى تلك الايام قلعة الشام واظهر العصيان على الملك الناصر وكان الملك الناصر يخشى من سطوته وكان الامير كرتباى

الامير فتيصد القبض على الملك الناصر فلم يقدر على ذلك **ومن الحوادث** في هذه السنة ان المقر
السيفي قانصوه الدوادار خال السلطان خرج الى السرحة نحو الشرقيه والغربيه فغاب في
هذه السرحة احد وعشرون يوما فلما عاد الى القاهرة فدخل في موكب عظيم و زينت له
القاهرة فلما طلع الى القلعة فاخلع عليه السلطان ونزل الى بيته فلما وصل الى الرميلة قابلوه
به المماليك ومسكوا عليه الدبابيس وقالوا له اطلب لنا من السلطان نفقة بسبب هذه
النصرة التي حصلت له على اقبردي فقال لهم نعم حتى اشاور السلطان فما نزل الى بيته الا
بعد جهد كبير وهو مهدد من المماليك بالقتل فلما كان يوم الاثنين خامس عشرين ذي الحجة
من تلك السنة فيه وثبوا المماليك على السلطان ولبسوا آلة الحرب فطلعوا الامرا الى القلعة
والاتابك ازبك فمشوا بين المماليك وبين السلطان بالصلح وتقرر الحال على ان السلطان
ينفق عليهم لكل واحد من المماليك خمسين دينارا فتراضوا على ذلك وعدت النفقة
ثم ان السلطان وزع هذه النفقه على المباشرين والتجار واعيان الناس حتى على القضاة
الاربع حتى على طايفة اليهود والنصارى وكتبوا بذلك قوايم وتسلمهم القاضي تاج الدين
الصعدي وكيل بيت المال وكان المتكلم في ذلك المقر السيفي قانصوه خال السلطان فجلس
في بيته واحضر المعاصير وحمى حديد على النار واحضر الكسارات والمقارع ثم
طلب الناس بالرسل الغلاظ الشداد فصادر جميع المباشرين من الاكابر والاصاغر وصادر
جماعة من التجار واولاد الناس والقضاة الاربع حتى جماعة من السوقة وطايفة اليهود
والنصارى واستخرج ذلك من الناس في اسرع مدة فلما تكامل جمع المال فنفقه جميعه على
المماليك فحصل للناس الضرر الشامل من البهدلة والتراسيم والضرب والحبس فكثر
الدعا على الملك الناصر بسبب ذلك وغيره من افعاله الشنيعة وقد اجتمع في هذه السنة
الغلا والفنا واخذ اموال الناس واضطربت احوال البلاد الشرقيه والغربيه وزاد شر
العربان في سائر البلاد واضطربت احوال البلاد الشاميه والحلبية بسبب ما جرى من
الامير اقبردي فكان كما قيل في المعنى

كم زمان بكيت منه فلما ۝ صرت في غيره بكيت عليه

ثم دخلت سنة اربع وتسعماية فيها في رابع المحرم كان وفا النيل المبارك الموافق ٩٠٤
لتاسع عشرين مسرى وكان السلطان الملك الناصر عول على انه يكسر السد في هذه السنة
بنفسه وقصد ان يظهر من الفتك ما لا يجتمع بمثله فما مكنوه الامرا من ذلك فلما اوفى النيل
السلطاني وكسر السد بعد العشا وهو راكب ومعه الفوانيس والمشاعل وتوجه الى قنطرة
قديدار فكسرها ايضا بنفسه وهو راكب على فرسه فاصبحوا الناس فوجدوا البر
والخلجان معطلة بالما فقطع فرجة الناس يوم الوفا ثم توجه الى جسر بني النجا فكسره
ايضا بنفسه ثم نادى لسكان بركة الرطلي بانهم في كل ليلة يعلقوا في البيوت قناديل
فاقاموا على ذلك نحو عشرة ايام ثم نزل في بعض الليالي وشق بركة الرطلي في الليل

في مركب واطلقت له النسا بالزغاريت ثم صار يهجم البيوت ويطلع للناس من الحيطان
هو واولاد عمه جانم واخيه فان وجد واحد امراة مليحة اخذها من زوجها غصبا ويضرب
الزوج بالمقارع فارتابت منه الناس وصار على راسهم الطير ثم ان السلطان شرع في عمل
سيخ في الحسينية وقصد ان يخرج الى البلاد الشامية ويكون عونا للامير اقبردي حتى يدخله
الى مصر فلما بلغ الامرا ذلك كبسوا المكان الذي فيه السيخ ونهبوه المماليك ومنعوه من
السفر فعز ذلك عليه فلما كان مستهل صفر جات الاخبار من البحيره بان العربان طافشه
في البلاد وقد فسدت الاحوال فعند ذلك عين لهم السلطان تجريدة فلم يخرج احد من الامرا
الى البحيره وكثر القال والقيل بين الامرا واشيع بين الناس ان السلطان يقصد ان يمسك
جماعة من الامرا فلما بلغهم ذلك فامتنعوا من الطلوع الى القلعه وصاروا يجتمعون في
بيت المقر السيفي قانصوه خال السلطان ويضربون مشورة في ذلك فلما كان يوم الاثنين
تاسع عشرين صفر فيه نادى السلطان للعسكر بالعرض في الميدان الذي تحت القلعة
فلما طلعوا العسكر الى الرميله وقفوا ساعة فلم ينزل اليهم السلطان الى الميدان فرجعوا
الى بيوتهم وانفض المجلس ما تما فلما كان مستهل ربيع الاول طلعوا القضاه الاربع الى القلعة
يهنون السلطان بالشهر فلما تكامل المجلس احضر السلطان المصحف العثماني وحلف عليه
العسكر قاطبة من امير وجندي بحضرة القضاه الاربع فلما حلفوا الامرا قالوا مثل
ما حلفنا للسلطان يحلف هو ايضا لنا بانه لا يمسك احدا من الامرا فتوقف السلطان
في ذلك وكان المتكلم بين السلطان والامرا المقر السيفي تاني بك الجمالي امير سلاح
لما انفض المجلس ما نفعا ونزلوا الامرا على غير رضي فلما كان يوم الجمعة لم يطلعوا الامرا الى
القلعة ولم يصلوا الجمعة مع السلطان ولم يمكنوا المقر السيفي قانصوه خال السلطان
بان يطلع الى القلعة واستمر الحال على ذلك مدة ايام ثم ان السلطان ارسل نقيب الجيش
الى الامير طومان باي الدوادار الثاني والامير طراباي والامير ازدمر والامير آنص
باي وهو يقول لهم رسم السلطان بان تكتبوا وصية وتخرجوا في هذا اليوم وتتوجهوا
الى مكة فلم يلتفتوا الى كلامه وقالوا ما نخرج من مصر الى موضع ومهما تعمله بنا يفعل فعند
ذلك اضمروا له السوء وتغيرت عليه الخواطر وهو في غفلة عما يراد به وكان سي التدبير
قليل المعرفه طايش العقل جاهل تقع منه امور ما تقع من المجانين الذي في عقلهم خلل فكان
كما قيل

ما تفعل الاعدا في جاهل ۝ ما يفعل الجاهل في نفسه

فلما كان يوم السبت حادي عشر ربيع الاول فيه عمل السلطان المولد الشريف فلم يطلع اليه
احد من الامرا سوى الاتابكي ازبك والمقر السيفي تاني بك الجمالي امير سلاح وبعض امرا
عشراوات والقضاه فلما انفض المجلس وامر المولد قاسوا الامرا من المماليك الاجلاب
الذي في الطباق عند نزولهم من القلعه ما لا خير فيه وما خلصوا الا بعد جهد كبير
فلما كان يوم الاحد ثاني عشر ربيع الاول رسم السلطان للامير طومان باي بان

الدوادار الثانى بان يتوجه الى البحيره بسبب فساد العربان فبرز خامه فى بر الجيزه ومعه
جماعة من المماليك السلطانيه ثم فى يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول منه حسن ببال الملك
الناصر ان يتوجه الى قناطر العشره وكان اواخر النيل فاخذ ما تاخر من احتياج المولد ونزل
من القلعة فى اليوم المذكور واخذ معه اولاد عمه قيت وجانم واخيه فعدى الى بر الجيزه
ومعه بعض خاصكيه ومماليك سلطانيه ولم يتوجه معه احد من الكراخنى ولا خاله الامير
قانصوه فلما عدى الى هناك نصب له وطاق عظيم عند القناطر واحضر عنده مغانى
عرب والوديس ابو الخير الذى يعمل خيال الظل وبربوه ربيع الحبظلين وخرج عن الحد فى اللهو
وفى الخلاعة ومد هناك اسمطه عظيمة ومن حلوى وفاكهة بخلاف العاده وانعم على من
كان معه من الخاصكيه بخيول وجمال وانشرح فى تلك الايام غاية الانشراح وتزايد سروره
مع الافراح وتلاعبت به الدنيا كما تلاعبت بغيره ولم يتفكر فى عواقب اموره فكان كما قيل

تزود من الدنيا فانك لا تدرى ... اذا جن ليلك هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حينا من الدهر
وكم من فتى يمسى ويصبح ضاحكا ... وقد نسجت اكفانه وهو لا يدرى

فاقام السلطان هناك ثلاثة ايام وهو فى ارغد عيش فلما كان يوم الاربعا صلى السلطان
العصر وركب وكانت ليلة الخاصكيه فاذن للخاصكيه والمماليك الذى كانوا معه بان
يتوجهوا فامتثلوا ذلك فلم يبق مع السلطان سوى اولاد عمه قيت وجانم واخيه
وبعض سلحداريه فلما ركب مر من على الطالبيه وكان الامير طومان هناك متوجه الى
البحيره كما تقدم فلما مر عليه خرج اليه مسرعا وعزم عليه فلم ينزل عنده فخرج
بجفنة فيها لبن فوقف السلطان وهو راكب على فرسه ومد يده الى الجفنه واكل من اللبن
فبينما هو ياكل من اللبن فقبض الامير طومان باى على لجام الفرس وصاح فخرج اليه
جماعة من المماليك نحو من خمسين انسان وهم لابسون آلة الحرب فاحاطوا به وعاجلوه
بالحسام قبل الكلام وقتلوه اشر قتله وحملوا عليه اى حملوه فوقع الى الارض عاجلا
وشاعت به القبايل فقتل هو واولاد عمه جانم واخيه وبعض سلحداريه وكانت
قتلته فى يوم الاربعا بعد العصر خامس عشر ربيع الاول من سنة اربع وتسعمايه وكانت
قتلته بارض الطالبيه وكانوا الامرا لما راوا السلطان تزايد فى هذه الافعال الشنيعه
فاجتمع راى الكل على قتله واضمروا له السوء وكانوا مماليك ابيه سببا لقتله فانه اراد
مسك جماعة منهم فبادروا اليه بالكلية واذاقوه كاس المنيه فكان كما قيل

الى الله اشكو من بلعثم ... فابن ديبى الذى تدعض بالماء
انى وجدت السم عند اجنتى ... فهل عند اعداى يكون دواى

فلما نزل السلطان الى قناطر العشرة فاغتنموا مماليك ابيه هذه الفرصة وكرزوا له المماليك
فى الطرقات التى يمر عليها عند رجوعه فلما اراد السلطان الرجوع الى القلعة مر على الطالبيه

فقتلوه هناك كما تقدم فلما قتل الملك الناصر صار مرمى على الارض ورحل العسكر وتركوه
هناك وتوجهوا الى القاهرة فاضطربت الاحوال وجاءت الاخبار الى القاهرة بعد المغرب
بما جرى فماجت المدينة ولبسوا العسكر آلة الحرب فلما قتل الملك الناصر فاخذ شيخ
الطالبيه وادخله فى مسجد هناك فبات به وهو ميت على حصير هو واولاد عمه الذى
قتلوا معه هناك فلما اصبح يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول فارسل الامير قانصوه
خال السلطان ثلاث توابيت الى الطالبيه واحضر جثة السلطان واولاد عمه جانم واخيه
فلما عدوا بهم الى بر مصر واتوا بهم الى بيت السلطان قايتباى الذى عند حمام الفارقانى
فغسلوهم واخرجوهم وصلوا عليهم فى باب الوزير وتوجهوا بهم الى تربة السلطان قايتباى
فدفن الملك الناصر على والده داخل القبه وكذلك اولاد عمه وكان الملك الناصر محمد
حسن الشكل ابيض اللون عربى الوجه نحيف الجسد معتدل القامه لما بدا عذاره فى وجهه
ومات وله من العمر نحو سبعة عشر سنة وكان كريم لكنه كان قبيح الفعل كثير الجهل مشى
فى المملكه على اقبح سيرة وعاشر من العوام الاراذل فبيس العشيرة فبهدل حرمة المملكة
فى ايامه واختل الملك عن نظامه وفيه اقول

سلطاننا الناصر المعتدى ... اخباره نقلها صحيح
بالجهل اضحى قبيح فعل ... فلم يفد شكله المليح

فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية نحو سنتين وثلاثة اشهر وتسعة عشر يوما
وكانت ايامه كلها فتن وشرور ولم تر الرعيه فى ايامه شيا من السرور وقد تقدم اخبار
ذلك وما قاسته الناس من المهالك ولم يكن قصد السلطان قايتباى ان يسلطنوا
ولده من بعده والذى خاف منه وقع فيه وكان قصده ان يكون مثل اولاد السلاطين
الذى بمصر كما فعل هو بهم فما تم له ما اراد وخاب الاجتهاد ولما مات الملك الناصر رثيته
بهذه الابيات وهو قولى

ياقبر لا تظلم عليه فطالما ... جلى بطلعته دجى الاظلام
عجبا لقبر قد حواه كيف لا ... يحكى السماء وفيه بدر تمام

انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الناصر محمد بن الملك الاشرف قايتباى على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الظاهر ابى سعيد قانصوه من قانصوه الاشرفى

وهو الثالث والاربعون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو السابع
عشر من ملوك الجراكسه واولادهم فى العدد وكان اصله جركسى الجنس قدم الامير قانصوه
الى الملك الاشرف قايتباى فى سنة ثمان وثمانين وثمانمايه فلما حضر الى الديار المصرية
ظهر انه اخو خوند اصل باى ام الملك الناصر فاقام فى الطبقة مدة يسيرة ثم اخرج له خيلا
وقماشا وصار من جملة الجمداريه وتوفى السلطان قايتباى وهو على ذلك فلما توفى السلطان
قايتباى وتولى ابنه الناصر جعله خازندارا كبيرا وصار يدعى خال السلطان ثم ان الملك

الناصر جعله امير اربعين واخلع عليه واستقر به شاد الشرابخاناة فعظم امره بين الناس فلما جرى للامير اقبردى ما جرى وانكسر فاخلع عليه السلطان واستقر به دوادار كبير عوضا عن الامير اقبردى وذلك في سنة ثلاث وتسعمائه ثم بقي وزيرا ثم بقي من بعد ذلك استادارا ايضا فلما قتل الملك الناصر وقع الاختيار على سلطنته من دون الامرا فلما كان يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاول سنة اربع وتسعمائة اجتمعوا الامرا في بيت الامير قانصوه خال السلطان ووقع الاتفاق على سلطنته فركب من البيت الذي بالقرب من حمام الفارقاني وطلع الى باب السلسله وحضر الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربع والاتابكي ازبك اليوسفي امير مجلس وبقية الامرا والعسكر فاشيع في ذلك اليوم ان الاشرف قانصوه خمسمائة في قيد الحياة فاشهر والنداء في القاهرة بان قانصوه خمسمائة يظهر وله الامان لم يظهر لهذا الكلام نتيجه فقالوا للاتابك ازبك اعمل انت سلطانا فابى من ذلك وكذلك بقية الامرا الترافصة الكبار فلما ابوا من ذلك فاحضروا خلعة السلطنه الى المقر السيفي قانصوه خال السلطان فلبسها من الحوائز التي في باب السلسلة وركب من هناك والاتابك ازبك حامل القبة والطير على راسه الغاشية الذهب على راسه وذلك لعدم القبة والطير من الزردخاناه فركب والامرا مشاة بين يديه الى ان طلع من باب سر القصر الكبير وجلس على سرير الملك وباسوا له الامرا الارض فكان اول من باس له الارض الاتابكي ازبك امير كبير وكان الاتابكي ازبك احق بالسلطنة من كل احد وقد فاتته السلطنة عدة مرار لشوم حظه وقلة سعده فكان كما قيل في المعنى

وكم في العرس ابهى من عروس ... ولكن للعروس الوقت ساعد

فلما تسلطن في يوم الجمعة وكان في اواخر الساعة الرابعه وهي لم تطل دقت له البشاير ثلاثة ايام ونودي باسمه في القاهرة وتلقب بالملك الظاهر فضجوا الناس له بالدعا وخطب باسمه على المنابر وفي ذلك اقول ان السعد والقبول الذي وقع للملك الظاهر قانصوه هذا لم يقع لاحد قبله من الملوك من مبتدا دولة الاتراك والى اليوم وذلك انه لما جاء من بلاد جركس لم يتعرف الطبقة الامرة بسيرة وبقي امير اربعين من قبل ان يبقى خاصكي وبقي مقدم الف دوادار كبير كل ذلك في نحو سنتين ثم بقي من بعد ذلك سلطانا فكان بين دخوله الى مصر وبين سلطنته نحو ست سنين وتولى السلطنة وله من العمر نحو خمسة وعشرين سنة وصفته ابيض اللون يميل الى الصفرة نحيف الجسد قصير القامة مستدير اللحية اسود الشعر عربي الوجه وكان لين الجانب كثير الحلم وكان مسلوب الاختيار مع الامرا مهما قالوا له يقول بختي فنبه العوام بختي كما سموا الظاهر بلباي قلوا فكان امر الملك الظاهر قانصوه امر الخ وعده الله به من القدم وفي ذلك اقول

اذا خص الرحمن عبدا بنعمة ... فكل حسود بعد ذلك فيخمع

فيا طالب العليا مهلا ولا تطل ... فليس يحيى المرء ما لم يشا يصنع

فلما تم امره في السلطنه انعم على من يذكر من الامرا وهم الاتابك ازبك على عادته امير كبير وكذلك بقية الامرا كل واحد على وظيفته ثم اخلع على المقر السيفي طومان باي واستقر به دوادار كبير ووزيرا واستادارا عوضا عن نفسه واخلع على الامير طراباي واستقر به دوادار ثاني عوضا عن طومان باي ثم في حال جلوسه على سرير الملك جاء سيف الامير كرتباي الاحمر نائب الشام وقد مات الملك الناصر بجمعة ولم يرى يوم كرتباي الاحمر فانه كان يتمنا ذلك لكون ان كرتباي الاحمر كان يعارض الملك الناصر في افعاله ويحجر عليه في اموره فاخرجه الى الشام حتى يكتفي شره فلما صح موت الامير كرتباي الاحمر فارسل السلطان الملك الظاهر قانصوه خلعة الى المقر السيفي جان بلاط نائب حلب بان يكون نائب الشام عوضا عن الامير كرتباي الاحمر واخلع على المقر السيفي قصروه واستقر به نائب حلب عوضا عن جان بلاط فخرج الامير قصروه الى حلب من غير تاخير بسرعة ثم ان السلطان عزل القاضي شهاب الدين ناظر الجيش واستقر بالقاضي محيى الدين عبد القادر القصروي في نظارة الجيوش المنصورة عوضا عن القاضي شهاب الدين بن الجالي يوسف ناظر الخاص وفي رابع ولايته وثبوا المماليك الناصرية على الامير طومان باي الدوادار وهو في بيته ولبسوا آلة الحرب فاقاموا على ذلك ساعة ثم انفضوا من غير طائل فلما بلغ السلطان ذلك امر بمسك جماعة من المماليك ونفاهم الى قوص فعظم امر الامير طومان باي وصار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية ثم ان الامير طومان باي قبض على الوحيى نور الدين ابن دحاب المغني وضربه مقارع وجرسه في القاهرة وهو عريان على حمار وراسه مكشوفة وسبب ذلك ان ابن دحاب كان ظالما فانه ادخل نفسه في شي لا يعنيه واظهر التعصب للامير اقبردي الدوادار وصار يهجي الامرا بالهجو الفاحش ويطلق لسانه في حق الامرا بما لا يليق فادبه الامير طومان باي وفعل به ما تقدم ذكره فكان كما قيل

احفظ لسانك ان تقول فتبتلى ... ان البلا موكل بالمنطق

ولما كان يوم الاثنين وقفوا المماليك وطلبوا من السلطان النفقه فشكا وقال ان الخزاين السلطانيه قد نفد جميع ما فيها من الاموال فاصبروا علينا حتى نجمع المال من البلاد فاغلظوا عليه القول وصار يتلطف بهم بالنفقه نحو ثلاثة اشهر ثم نفق عليهم من بعد ذلك ثم في اواخر ولله جاءت الاخبار من البلاد الحلبية بان الامير اقبردي قد حاصر مدينة حلب وقد اشرف على اخذها واحرق الضياع التي حولها ونهب ما فيهم ثم انضم عليه جماعة كثيرة من التركمان والعربان وكان الامير جان بلاط نائب حلب فقاتل معه اشد القتال وحصن مدينة حلب اشد التحصين فلما بلغ السلطان ذلك عين له تجريدة وعين بها من الامرا الامير تاني بك الجمالي امير سلاح باش العسكر والامير تاني بك قرا امير اخور كبير والامير سودون العجمي والامير بلباي المؤيدي وجماعة من الامرا العشرات والخاصكيه والمماليك السلطانيه فخرجوا من القاهرة يوم الاثنين عاشر

جمادى الاول سنة اربع وتسعمائة فلما وصلوا الى حلب وجد والبضايع والعليق ما يوجد فارسلوا يطلبوا من السلطان نفقة ثانية بسبب الغلا الذى هناك فارسل لهم السلطان نفقة صحبة الامير ماماى الصغير حاجب ثانى وفى سادس عشرين جمادى الاخر كبس بعض المماليك على الامير قنبك ابو شامة وكان مختفيا من حين ركب مع الامير اقبردى فى الوقعة التى توجه منها الى حلب وكان الامير قنبك ابو شامة من عصبة الامير اقبردى فكبسوا عليه فى مكان بالقرب من حارة زويلة فهجموا عليه وقطعوه بالسيوف حتى مات من وقته ولما كان يوم الجمعة رابع شهر رجب فيه توجه المقر السيفى طومان باى الدوادار الى نحو بلاد الصعيد بسبب اصلاح الوجه القبلى وكان الامير حميد بن عمر قد اظهر العصيان وخرج عن الطاعة فلا زال الامير طومان باى يحتال عليه حتى قبض عليه وقطع راسه وارسلها الى القاهرة فعلقت على باب زويلة ثلاثة ايام وفى حادى عشر شعبان حضر الامير خيربك اخو الامير قانصوه البرجى امير مجلس وكان الملك الناصر ابن قايتباى ارسله الى ابن عثمان وصحبته هدية عظيمة فلما وصل اليه اكرمه وقبل الهدية منه وفرح بسلطنة الملك الناصر وقال هذا ابن ناس مثلى واسمه محمد فلما كان الامير خيربك عنده جاءت الاخبار الى بلاد ابن عثمان بان الملك الناصر قتل وان مماليك ابيه قتلوه فشق عليه ذلك ولام مماليك ابيه على ذلك وتصديعوف الامير خيربك عنده ثم اذن له فى التوجه الى مصر وفى يوم الاثنين حادى عشر شهر رمضان تولى القاضى بهاى الدين بن قدامه قاضى قضاة الحنابله بالديار المصرية عوضا عن القاضى شهاب الدين الشيشينى فاقام بها شهرا وادبعة ايام ثم عزل عنها واعيد الشيشينى الى قضاء الحنابله كما كان قبل ذلك

ومن الحوادث فى هذا الشهر انه فى يوم الاحد رابع عشرين شهر رمضان فيه توفى الاتابكى ازبك من ططخ امير كبير وكانت جنازته مشهودة ونزل السلطان وصلى عليه فى سبيل المومنين ودفن عند استاذه الظاهر جقمق فى تربة قانى باى الجركسى وكان قد بلغ من العمر نحو خمسة وثمانين سنة وكان اميرا مهابا ذات شهامة وحرمة مليا من المال كفواه للتجاريد وطرد العدو وكان ذو واهية عالية وكلمة نافذة وتولى من الوظايف بمصر حاجب الحجاب وراس نوبة النوب ونيابة الشام وتولى الاتابكية فى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة فى اوايل دولة الملك قايتباى واقام فى الاتابكية نحو ثلاثين سنة ونكسور وكان اصله من مماليك الملك الاشرف برسباى الكتابية واشتراه الملك الظاهر جقمق من بيت المال واعتقه وهو من جملة معاتيق الملك الظاهر جقمق وانعم عليه لما زوجه بابنته بامرية عشرة وصاهر الملك الظاهر جقمق مرتين وكان من اكابر الامرا الظاهرية وقد نالته السلطنة عدة مرار وقد نال من العز والرفعة فى دولة الملك الاشرف قايتباى ما لا ناله احد من الامرا وكان الملك الاشرف قايتباى

بعظا

ينظر فايز التعظيم ولا سيما لما توجه الملك الاشرف قايتباى الى البلاد الشامية كما تقدم لما ابطا هناك ارسل مرسوما شريفا الى الاتابك ازبك بان يتوجه الى المطعم الذى فى الريدانية ويلبس الامرا الصوف فخرج الاتابكى ازبك الى المطعم فى موكب عظيم والامرا صحبته حتى توجه الى المطعم والبس الامرا الصوف هناك ورجع الى بيته وجود عدة تجاريد وهو باش العسكر وكان اذا خرج يطلب اطلابا عظيما وكان فى سعة من المال الذى لم يسمع بمثله ولما مات وجد عنده من الذهب العين ما ينفا عن مايتى الف الف دينار هذا غير ما وجد له من البرك والقماش والسلاح والحواصل التى فيها من ساير الاصناف والاملاك والضياع اشيا كثيرة وامرف على التجاريد وعمارة الازبكية اضعاف هذا المال ولما مات خلف من الاولاد الجناب الناصرى محمد والجناب الشرفى يحيى ومات وله من البنات شى كثير احداهن زوجة الاشرف قانصوه خمسمائة وقد ماتت فى الفصل فى سنة سبع وتسعين وثمانمائة ولما مات الاتابك ازبك توارعت اولاده عند الظاهر قانصوه لما خاط على موجوده من المال والبرك وغير ذلك ولا سيما وجد عنده من جهاز ابنته التى ماتت زوجة قانصوه خمسمائة وكان لها من الجواهر واللولو والذهب والفضة والقماش والتحف ما لا يسمع بمثله وكان الاتابك ازبك ورث بنت الاتابك اس الملك الظاهر جقمق التى ماتت معه وهى التى من بنت البارزى فخلفت من الاولاد ما لا يحصى فاحاط الملك الظاهر قانصوه على ذلك جميعه وكان ذلك من جملة سعد الملك الظاهر قانصوه الذى قد ورث الاتابك ازبك وتمكن فى ماله فكان حال الاتابك ازبك كما قال القايل فى المعنى

وانت من الهلاك على شفير	اتلهوا فى نعيمك فى قصور
يؤدير الى اجل قصير	فيا من عزه امل طويل
تؤيك مكان قبرك فى القبور	اتفرح والمنية كل يوم
فان الحزن عاقبة السرور	هى الدنيا فان سرتك يوما
كعارية ترد على المعير	ستسلب كلما جمعت منها

وكان الاتابك ازبك شديد الغضب عظيم القسوة اذا غضب على احد ما يرحمه واذا سجن احدا ما يطلقه وكان عنده حدة زايدة مع شدة باس والاتابك ازبك هو الذى انشا الازبكية المنسوبة اليه الآن وكان ابتدا عمارتها فى سنة ثمانين وثمانمائة وكانت هذه البقعة ساحة ارض خراب ذات كيمان سبخة الارض وبها اشجار اثل وكانت قديما عامرة تسمى مناظر اللوق وكان بها خليجا جارى من بحر النيل يسمى خليج الذكر وكان بها مكانا يسمى المنكه وكان من جملة منتزهات القاهرة وكانت ذات اشجار وغيطان ومناظر عماره الى سنة خمس وخمسين وستمائة واستمرت على ذلك الى دولة محمد بن قلاوون ولما حفر الخليج الناصرى تلاشى امر خليج الذكر وطمست معالمه فعند ذلك تلاشى من يومئذ

ابو هريرة المنتفع الى الخراب ولما كانت من جملة منتزهات القاهرة قال فيها الاديب ابراهيم
ابن المعمار ، يا طالب النكتة نلت المنى ، وفزت منها ببلوغ الوطر ،
، قنطرة من فوقها سكة ، وتحتها تلقى خليج الذكر ،

فاستمرت هذه البقعة خرابا لما ذكرنا مدة طويلة الى ان كانت سنة ثمانين وثمانمائة في دولة الاشرف قايتباي فحسن ببال الاتابك ازبك ان يعمر هناك مناظر للمجالس وكان ساكنا بالقرب من هذه البقعة فلما عمر هناك المناظر حلا له العمارة فاوسع فيها وعمر هذه القاعات والقصور والجامع والربوع والحمامات وغير ذلك ثم حفر هذه البركة العظيمة وبنا عليها هذا الرصيف واجرى اليها الما من الخليج الناصري وعمر القنطرة التي على هذا الخليج وكان يكسر سد هذه البركة بعد وفا النيل بمدة يسيرة وكان يوم كسرها يوما مشهودا ويخرج الناس اليه بسبب الفرجة وكان يصنع في كل سنة في ايام النيل في هذه البركة حراقة نفط ووقود ويجتمع بها مراكب كثيرة وينفق في تلك الليلة جملة مال بسبب الفرجة ولا زالت هذه البقعة تتزايد في العمارة واصرفوا عليها الناس جملة اموال وقد رغبوا جماعة من اعيان الناس في السكنى بها وقد انشا في هذه الواقعة الشيخ شمس الدين القادري مقامة عظيمة تشتمل على جملة من المحاسن في النظم والنثر وقد اوردتها في كتابي المسمى بنزهة الامم في العجايب والحكم ومما يحضرني من ابياتها الآن وهو قوله هذه الابيات في انشا عمارة هذه البقعة منها قوله ،

، لا زال مولانا الغز عمارة ، بها السعد يسموا للنجوم الشوابك ،
، بمملكة الاسلام لم ير مثلها ، ولا الناس طرا في جميع الممالك ،
، بها جامع للحسن اصبح جامعا ، تزين العيدان من كل ناسك ،
، به شرفت تلك العمارة واعتدت ، مكرمة عند الملوك والملايك ،
، اذا قال قوم من اتى يك للعلا ، تقول لهم سعد المعتز الاتابكي ،

ومن هنا نرجع الى اخبار التاريخ وفي يوم الاحد المذكور وهو الرابع والعشرون من شهر رمضان الذي توفي فيه الاتابك ازبك اليوسفي كان مات في اليوم المذكور بعد العصر فنزل السلطان ثاني مره وصلى عليه في سبيل المومنين ثم رجعوا به الى مدرسته التي انشاها في درب ابن البابا ودفنوه بها وكان الامير ازبك اليوسفي اميرا دينا خيرا كثير البر والمعروف قليل الاذى لين الجانب وكان الملك الظاهر اخذ منه التقدمة وانعم بها على الامير ازدمر من علي باي وهو الامير الدوادار الكبير الآن واستمر الامير ازبك بطالا في بيته الى ان مات ولما كان يوم السبت سلخ رمضان فيه جاءت الاخبار بان عرب غزاله نهبوا بعض ضياع البحيرة فخرج اليهم الكاشف فهربوا منه وعدوا من البحيره وطلعوا نحو شبرا ثم توجهوا وطلعوا من ورا الجبل الاحمر وقصدوا نحو المعصره فلما بلغ السلطان ذلك عين لهم جماعة من الامرا وهم

الامير قانصوه البرجي امير مجلس والامير قرقماس راس نوبة النوب والامير قيت الرجبي حاجب الحجاب والامير سيباي نايب سلسي وجماعة من الامرا الطبلخانات والعشراوات والمماليك السلطانية فخرجوا اليهم في ليلة عيد الفطر وتوجهوا نحو المعيصرة فالتقوا مع العرب هناك فانكسروا الامرا والمماليك السلطانية كسرة قوية وقتل في هذه المعركة نحو من خمسين مملوكا ومن الغلمان والعبيد جماعة كثيرة وجرح من الامرا جماعة منهم الامير قرقماس راس نوبة النوب والامير قيت الرجبي والامير طراباي الدوادار الثاني قيل انه ذبح لكنه لم يمت وجرح جماعة كثيرة من العسكر ثم العرب لما كسروا هذه الكسرة نهبوا جميع ما معهم من برك وقماش وغير ذلك فلما كان يوم العيد جات الاخبار بما جرى في هذه الحركة للعسكر فماجت القاهرة واضطربت ونادى في ذلك اليوم للعسكر بان يخرجوا قاطبة الى العرب فخرجوا وهم لابسون آلة الحرب وتوجهوا الى نحو المعيصره ثم ان العسكر ارسل يطلب من القاهرة عدة توابيت ليحملوا فيها من قتل هناك من العسكر ثم حضر الامير طراباي في موكب وتوجه الى بيته وهو محمول على ترس من شدة الجرح به وصاروا يحضروا بمن قتل هناك من العسكر في توابيت في يوم العيد فصار في القاهرة زعقات وصعقات مثل ايام الفصول وسبب انهزام الكسرة ان الترك استخفوا بالعرب فاكمنوا لهم حتى طمعوا فيهم الترك ثم خرج عليهم ذلك الكمين من ورايهم فانكسروا الترك هذه الكسرة وكانت من الحوادث الغريبة وفي ذلك اقول ،

، الا قل للعرب قد كسروا ، لحرب لبيتهم يخشوا عقبيه ،
، سهام مليكنا امضى نفوذا ، ونرجو ان تكون لهم مصيبة ،

ومن الحوادث في شهر شوال ان الامير ولاتياي الفلاح احد المقدمين من الامرا خرج في يوم الاربعا الى نحو الرصد على سبيل النزهة فلعب هناك بالاكره وساق الفرس فتقنطر به فوقع على حجر هناك فمات فحملوه على نعش حال واحضروه الى بيته ثم اخرجوه في يوم الخميس ونزل السلطان وصلى عليه ثم ان السلطان في ذلك اليوم دخل الى طراباي الدوادار وسلم عليه بسبب ما جرى له مما تقدم ذكره ولما كان يوم الخميس رابع ذي القعدة دخل المقر السيفي طومان باي الدوادار وكان توجه الى بلاد الصعيد بسبب فساد العربان لما تقدم فلما بلغه ما جرى للامرا من عرب غزاله زحف من هناك عليهم هو والامير يوسف ابن الزرازيري كاشف الوجه القبلي فالتقى مع العرب وكسرهم كسرة قوية ونهب اغنامهم وقتل جماعة منهم واسر جماعة كثيرة منهم من رجال ونسا وصغار وكانوا نحو ثلثماية انسان فلما دخل الامير طومان باي طلع من الصليبة في موكب عظيم وقدامه من اسر من عرب غزاله ما بين رجال ونسا وصغار فالرجال في زناجير والنسا والصغار في حبال وعلقوا رووس من قتل من الرجال في ارقاب النسا فشقوا بهم من الصليبة وطلعوا بهم الى القلعة فلما انعرضوا على السلطان فامر بتسمير الرجال وان يشنكلوهم على ابواب

المدينة ودسر بيجي النسا ثم ان السلطان اخلع على الامير طومان باي ونزل الى بيته
ثم نزلوا بعربيا عزاله دهم على جمال مسمرين فشنكلوهم على ابواب القاهرة وبيجوز النسا
وقد استقامت حرمة المملكة بعد ما كانت قد بطلت وانهتكت حرمة الترك الى الغاية
بسبب ما وقع لهم من العربيا كما تقدم وهذه الواقعة تقرب مما جرى في ايام الظاهر برقوق
مع بدر بن سلام كبير العربان بالبحيرة وقد تقدم ذكر ذلك في اخبار برقوق **ولما كان**
يوم الثلاثا حادي عشرين ذي الحجه من السنة المذكورة فيها اوفى النيل المبارك في اليوم الموافق
لخامس مسرى فكانت زيادته في ثالث يوم من مسرى ثلاثون اصبعا وفي رابع يوم منها
اربعون اصبعا وفي خامس يوم منها عشرون اصبعا ثم اوفى في خامس مسرى وكسر في اليوم
السادس الموافق لحادي عشرين الحجة فلما اوفى رسم السلطان للمقر السيفي طومان باي
بان يكسر السد فتوجه الى المقياس وخلق العامود ونزل في الحراقة وتوجه الى السد وفتحه
وكان له موكبا عظيما وزين الجامع الحلوى والشنات الفاكهة اشيا كثيرة ولم يكن في
مصر يوميذ امير كبير من حين توفي الاتابكي ازبك وهي شاغرة وكان في تلك الايام
العسكر غايبا في التجريدة نحو حلب بسبب الامير اقبردي الدوادار فلم يكن في القاهرة
يوميذ اعظم منه اي من الامير طومان باي الدوادار **ثم دخلت** سنة خمس وتسعماية ٩٠٥
فيها اخلع السلطان على الامير قانصوه البجاوي واستقر به نايب صفد وكان اصله
من مماليك الشرفي ابن الامير يشبك الفقيه فلذلك كان يدعى البجاوي **وفيها** في
يوم الخميس ثامن المحرم قبض السلطان على القاضي علاى الدين بن الصابوني ناظر الخاص
واقام في الترسيم ثم استقر بالقاضي شهاب الدين بن الرملي في نظارة الخاص عوضا
عن ابن الصابوني **وفيها** دخل العسكر الذي كان قد توجه بسبب محاربة الامير اقبردي
فلما دخل الى حلب وجد هناك غلا عظيم فتقلق العسكر من ذلك وكان اقبردي مقيما
بالمرعش عند علي دولات اخو اسوار من حين خرج من القاهرة وقد حاصر الشام وحلب
ولم يحصل له طايل فاقام عند دولات هو والامرا الذي معه فلما طال الامر على العسكر
وتقلق وكان الامير قصروه نايب حلب فارسل الامير اقبردي في الصلح وان يكون
نايبا في بعض البلاد فعند ذلك ارسل الامير قصروه نايب حلب الامير تاني باي الدماح
امير اخور كبير فتوجه الى عند الامير اقبردي وحلف له انه مهما جرى عليه يكون
هو المامور به فلما وثق منه الامير اقبردي اذعن للصلح ودخل بمحبته الى حلب طايعا
فتلقاه نايب حلب وساير الامرا الذي هناك وكان الامير اقبردي حصل له ضعف
في جسده فدخل الى حلب وهو متوعك فلما جرى ذلك ارسلوا كاتبوا السلطان بما جرى
من امر الصلح وكان السلطان والامرا يخشون من الامير اقبردي فما صدقوا بامر الصلح
فارسل السلطان للامير اقبردي فرس بسرج ذهب وخلعة وكنبوش وعين له نيابة
طرابلس وما طاق المحصل ثم في اثنا ذلك جات الاخبار من حلب بان الامير اقبردي

توفي الى رحمة الله تعالى وانه مات بحلب في ثامن ذي الحجة سنة اربع وتسعماية ودفن
عند سيدي سعد الانصاري ثم نقل بعد مدة الى القاهرة ودفن في تربته التي انشاها بالصحرا
وقيل انه مات بالاكلة طلعت له في وجهه فمات بها ونقل الى مصر في اواخر صفر من سنة
خمس وتسعماية وكان الامير اقبردي اميرا مليا نافذ الكلمة وافر الحرمة تولى الدوادارية
بعد الامير يشبك من مهدي في سنة سبع وثمانين وثمانماية **فكانت** مدة اقامته في
الدوادارية الكبرى نحو ستة عشر سنة وتولى من الوظايف بمصر دوادار كبير وامير سلاح
ووزير واستادار وغير ذلك من الوظايف وكان صاحب الحل والعقد بمصر وكان عديل
السلطان متزوجا ببنت العلاي على ابن خاص بك اخت خوند وكان صفته اسمر اللون
عربيا الوجه طويل القامة نحيف الجسد اسود اللحية بشوش الوجه تمر عبوسا ومات
وله من العمر نحو اربعين سنة وعظم امره في دولة الاشرف قايتباي الى الغاية وكان شجاعا
بطلا اقام بعد قايتباي يحارب عسكر مصر بمفرده نحو ثلاث سنين ولم يسلم نفسه عن
عجز كما جرى لبقية الامرا ولم يختفي قط ولم يقيد ونهبت امواله عدة مرار ولم يظهر عليه
العجز ودفع له من المحن ما لا يقع لاحد غيره من الامرا وكان لا يكل ولا يمل من الحرب
واخر الامر مات على فراشه من غير قتل كما جرى لمن قبله من الامرا وفيه اقول مع التضمين والاقتباس

مات اقبردي الامير وولى ... بعد عز وجاه جاها ومالا
فاتاه من بعد ذا ريب دهر ... نال سته من العنا ما انالا
وقضى نحبه بغير قتال ... وكفى الله المومنين القتالا

ولما مات الامير اقبردي رسم السلطان للامرا الذي كانوا معه وهم الامير تاني بك قرا
امير مجلس كان والامير اقباي نايب غزه راس نوبة النوب والامير جانم مصبغه
حاجب الحجاب كان والامير قنبك نايب الاسكندرية احد الامرا المقدمين فاما الامير
تاني بك قرا والامير اقباي نايب غزه فرسم لهما السلطان بان يتوجها الى القدس الشريف
فتوجها اليه واما الامير اقباي فاقام بالقدس مدة يسيرة ومات هناك واستمر
الامير تاني بك قرا مقيما بالقدس وتوجهت اليه عياله واولاده واقام هناك الى ان مات
كما سياتي ذكر ذلك في موضعه واما الامير جانم مصبغه والامير قنبك فاقاموا بالشام
عند الامير قصروه نايب الشام **ومن الحوادث** في اوايل سنة خمس وتسعماية ان
العرب خرجوا على الحجاج عند العود بالقرب من الشرفة فنهبوا الركب الغزاوي بتمامه وكماله
واسروا من الحجاج جماعة كثيرة من الرجال والنسا ونهبوا اطراف الركب الاول المصري
ولولا ادركهم امير المحمل لكان اخذ الركب الاول المصري بتمامه وكان في تلك السنة
امير المحمل المقر السيفي قرقماس راس نوبة النوب وامير اول الخباب الناصري محمد بن خاص
بك اخو خوند زوجة الملك الاشرف قايتباي فقاسوا الحجاج في تلك السنة ما لا خير
فيه من فساد العربان عليهم **وفيها** في يوم الخميس سادس صفر حضر الى الابواب الشريفة

المقر السيفي جان بلاط بن يشبك نائب الشام فلما حضر اخلع عليه واستقر براتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الاتابكي ازبك من ططخ فنزل في موكب عظيم وسكن في الازبكية في بيت الاتابك ازبك وارسل السلطان خلعة الى المقر السيفي قصروه نائب حلب واستقر به نائب الشام عوضا عن جان بلاط واستقر بالامير دولات باي تفاح نائب حلب عوضا عن قصروه **وفيها** في ثالث عشر صفر توفي الشيخ الزاهد ابو العباس احمد الغزي ودفن في جامع والده الذي بالقرب من باب القوس وفي اواخر ربيع الاول من السنة المذكورة فيه ولد للسلطان الملك الظاهر قانصوه ولد صبي من خوندجان كلدي وسماه احمد فاقام المهم عمال بالقلعة سبعة ايام فلما كان يوم السابع اجتمع بالقلعة ساير النسا من الاعيان وحملت القبة والطير على راس خوندجان كلدي فحملها الزمام جوهر المعيني حتى جلست على المرتبة ونثر في ذلك اليوم على راسها الذهب والفضة وكان لها يوما مشهودا بالقلعة **وفيها** في يوم الاثنين ثاني جمادى الاول فيه نزل السلطان الى قبة الامير يشبك التي بالمطرية وبات بها فلما اصبح شق من المدينة وطلع الى القلعة في موكب عظيم وساير الاكابر والاصاغر قدامه وزينت له المدينة في ذلك اليوم وشق من الصليبة ونثروا على راسه الفضة **وفيها** في يوم الجمعة ثامن جمادى الاخر فيه كان عقد الاتابكي جان بلاط على خوند اصل باي ام الملك الناصر محمد ابن قايتباي وهي اخت الملك الظاهر قانصوه فعقد العقد بجامع القلعة واجتمع فيه القضاة الاربع وساير الاكراد الباشرين واعيان الناس وفي ذلك اليوم توفي الشيخ احمد البتوني المجذوب وكان من كبار الصالحين رحمة الله تعالى عليه **وفيها** في يوم الثلاثا ثاني عشر جمادى الاخر فيه توجه الامير طومان باي الدوادار الى نحو بلاد الشرقية والغربية بسبب تمهيد البلاد من فساد العربان فلما توجه الى البلاد اختاط على جميع الجبول الذي في الشرقية والغربية ولم يترك بها فرس فاقام في هذه السرحة نحو شهر ونصف **وفيها** في حادي عشر رجب قبض السلطان على القاضي بدر الدين بن مزهر كاتب السر الشريف واقام في الترسيم ثم اخلع السلطان على اخيه القاضي كمال الدين واستقر به كاتب السر عوضا عن اخيه **ومن الحوادث** ان في يوم السبت سادس شهر شعبان جات الاخبار بقتل الامير ثاني بك وكان مقيما بالقدس كما تقدم فقيل انه مات خنقا وكان قتله في يوم السبت ثامن عشرين رجب وكان اميرا ديناخيرا وانه الفضل مشهورا بالفروسية وكان اصله من مماليك الاشرف اينال وتولى من الوظايف في دولة الملك الاشرف قايتباي دوادار ثاني وحاجب الحجاب وراس نوبة النوب وامير مجلس وكان محبا للناس كافة ومما رثيته بقولي هذا

تبكيك الدعوى في الاكرا فترا ... للشيخ بالقلم المقدور ما قرا

تذكرت اطراء من دقوع حامه ... والان دمعي كالدماء وتد جرى

لم يقتلوه فوق ظهر جواده ... لكن قاتله تعدى وافترى

بالهف قلبي قد تجرع فقده ... وتجددت احزانه بين الورى

قد غادر الكرام جور زمانهم ... فالحكم للرحمن فيما قدرا

يا ربنا اجعل قبره في روضة ... واجعل برحمتك الجنان له قرا

فلما كان يوم الخميس حادي عشر شعبان فيه توجه الامير قانصوه الشهير بكرت الخازندار احد الامرا الطبلخانات قاصدا الى ابن عثمان ملك الروم وصحبته هدايا وتقادم عظيمة الى ابن عثمان وقصد السلطان بذلك فتح المودة بينه وبين ابن عثمان وفي يوم السبت ثالث عشر شعبان فيه توفي ابن السلطان المقدم ذكره فكانت مدة حياته الى ان مات اربعة اشهر وثلاثة عشر يوما ودفن في تربة ابيه التي انشاها بالصحرا فكان كما قيل

بدا وفي حاله توارى ... فيالها طلعة شريفة

جوهرة ما تملت الا ... دموع عيني لها عتيقة

وفي اواخر هذا الشهر توفي القاضي شهاب الدين بن الصيرفي وكان من اعيان نواب الشافعية وفي يوم الثلاثا مستهل شهر رمضان فيه اخلع السلطان الملك الظاهر قانصوه على المقر السيفي قرقماس راس نوبة النوب واستقر به نائب حلب وفي سادس شهر رمضان عرض السلطان المحابيس الذي في الحبوس حتى النسا التي في الحجرة وصالح السلطان منهم اصحاب الديون وقد ضاع على الناس حقوقهم فاطلق في ذلك اليوم نحو ما بين النسا ما بين رجال وكسا فكان كما قال القايل

رام نفعا فضر من غير قصد ... ومن البر ما يكون عقوقا

ولما كان يوم الاثنين رابع عشر شهر رمضان فيه اخرج السلطان تجريدة الى نحو الكرك بسبب ما جرى على الحجاج في العرب كما تقدم ذكر ذلك وكان باش العسكر الامير سيباي نائب سيس وصحبته جماعة من المماليك السلطانية وفي اثنا شهر رمضان جات الاخبار من دمشق بان نايب الشام الامير قصروه قد خرج عن الطاعة واظهر العصيان وقد استخف بامر السلطان فلما كان يوم الاحد وهو العشرون من شهر رمضان فيه رسم السلطان للامير تنبك احد الدوادارية بان يتوجه الى دمشق لكشف اخبار نايب الشام فخرج في اليوم المذكور وتوجه الى الشام ولما كان يوم عيد الفطر فيه تلع السلطان الصوف وصلى بالابيض حتى ركب تونس بوز ابيض قرطاسي وكان كلما عليه ابيض حتى انه لبس في رجله سرموجة بوغالي ابيض وفي يوم الجمعة ثاني شوال فيه توجه المقر السيفي طومان باي الدوادار الى نحو بلاد الصعيد بسبب اصلاح الوجه القبلي وكان قد وقع بين السلطان وبين المقر السيفي طومان باي الدوادار واشيع بين الناس بقصد مسك الامير طومان باي فخرج من القاهرة وفي نفسه من السلطان شي وكان قد تغير خاطره على السلطان واضمر له السو فكان كما قيل في المعنى

بت في قلوب اسود ❊ لا في قلوب رجال

فالكيد للناس لا لي ❊ بهاير الجهال

فنزل الامير طومان باي من القلعة في موكب عظيم وسافر معه جماعة من الامرا والخاصكية
والمماليك السلطانيه فعدى الى بر الجيزه ثم توجه من هناك ثم جآت الاخبار بان الامير
قصروه نايب الشام تعدى على كافل دمشق وقبض على نايبها وسجنه وملك جميع ما
قلعة دمشق فعند ذلك عين السلطان الامير اقباي الطويل ناظر الجوالي بان يتوجه الى الشام
ويمشي بين السلطان وبين نايب الشام فخرج في اوايل شوال وتوجه الى دمشق وفي يوم الاربعا
تاسع شوال خرج المحمل من القاهرة في تجمل زايد وكان امير المحمل في تلك السنة المقر السيفي
قانصوه المحمدى البرجى امير مجلس وامير الاول جان بلاط المحتسب فلما نزلوا من القلعة
نزل معه الاتابكى جان بلاط وساير الامرا واستمر المحمل مقيما في بركه الحاج ثم ارتحل الى
يوم الخميس الخامس والعشرون وهذا لم يتفق قط وسبب ذلك ان غلمان الامير الاول
هرب اكثرهم من البركه فتغير حاله بسبب ذلك ثم رحلوا من ذلك من البركه ولما كان يوم
الاثنين ثالث ذى القعده فيه انعم السلطان على الامير قيت الرجبى حاجب الحجاب
واستقر نايب طرابلس واخلع على المقر السيفي قانصوه الغورى واستقر راس
نوبة النوب وانعم على الامير طراباى الدوادار الثاني بتقدمة الف وانعم على الامير اقبردى
باي شاد الشرابخاناه بتقدمة الف **ولما كان** يوم الخميس ثالث عشر ذى القعدة حضر
الى الابواب الشريفه الامير اقباي الطويل ناظر الجوالى وكان السلطان ارسله الى الشام
لكشف الاخبار فرد الجواب بان قصروه نايب الشام مستمرا على العصيان ولم يدخل
تحت طاعة السلطان فعند ذلك اعرض السلطان العسكر وكتب تجريده وعين بها من
الامرا ثمان مقدمين ونحو الفين مملوك سلطانيه وفي اثنا ذلك حضر سيف الامير
قنبك الدوادار الذى ارسله السلطان لكشف اخبار قصروه وكان سافر الى حلب من
البحر المالح وفي اثنا ذلك جآت الاخبار بان الامير سيباى نايب سيس والعسكر
الذى معه الذى كان السلطان ارسلهم الى الكرك بسبب العربان الذى شوشوا على الحجاج
فلما وصلوا الى غزه توجهوا الى قصروه نايب الشام فعند ذلك اضطربت احوال الملك
الظاهر قانصوه وفي مدة عصيان قصروه نايب الشام تعطلت احوال التجار وقل
الجالب من الاصناف الذى كانت تجلب الى مصر من الصوف والسنجاب والبعلبكى
والماورد وغير ذلك من البضايع التى كانت تجلب من هناك فعزت ولم توجد من قلة
الجالب **ومن الحوادث** في هذه الايام ان المنسر هجم على سوق الوراقين والهرامزه
في ليلة الثلاثا خامس عشرين ذى القعده ونهبوا عدة دكاكين وقتلوا الخفير وكسروا ابواب
الاسواق والدكاكين ونهب للتجار من القماش والمال اشيا كثيره حتى قيل جملة ذلك
بنحو اثنى عشر الف دينار وقيل كان المنسر نحو ماية انسان ومنهم فتى وشباب

وهذا لم يتفق قط في سوق الوراقين والهرامزه ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم ولما جرى
ذلك لم ينتطح فيه شاتين وضاع على التجار اموالهم في هذه الحركه جملة واحدة وكانت احوال
الديار المصرية مضطربة في تلك الايام وفي اثنا هذا الشهر توفي الرييس نور الدين علي ابن
رحاب وكان اخر مغاني البلد في الدخول والطرب وتركيز الحنايا والالحان الغريبه
وقد راى في ايامه حظا عظيما من الاكابر والاعيان ثم ان السلطان لما راى الاحوال غير
صالحة ارسل يستحث الامير طومان باي في الحضور الى مصر وكان توجه الى نحو بلاد
الصعيد كما تقدم وقد وقع بينه وبين السلطان في الباطن ثم ان السلطان ارسل الامير طراباى
الى الامير طومان باي الدوادار وعلى يده صورة حلف في ورقة بان السلطان لا يشوش عليه
ولا يقبض عليه وحلف له ايمان عظيمه بذلك فتوجه اليه الامير طراباى فلما وصل اليه
لم يثق الامير طومان باي بذلك واظهر العصيان ثم رجع الامير طراباى بالجواب
الذى غير صالح ثم ان السلطان اخذ في اسباب تحصين القلعة وملو الصهاريج الذى بها
وطلع فيها باشيا كثيرة من البقسماط والملح وغير ذلك فلما كان يوم الاربعا سادس
عشرين ذى القعده وصل الامير طومان باي الدوادار الى الجيزه وضرب خيامه هناك
فخرج اليه الامرا والعسكر قاطبة فلما وصلوا اليه قبض على جماعة من الامرا وهم الامير قانى
باي قرا امير اخور كبير والامير طراباى والامير اينال باي والامير تمر المحتسب قريب
السلطان ثم ان الامير طومان باي افرج عن الامير طراباى والامير آقبردى باي وادى في
رقبة الامير قانى باي قرا وتخيل هو والامير تمر المحتسب قرابة السلطان ثم ان الامير
طومان باي عدى من بر الجيزه في يوم الاربعا المذكور بعد العصر وطلع من بولاق وتوجه
الى الازبكيه الى بيت الاتابكى جان بلاط فاجتمع عنده ساير الامرا المقدمين والطبلخانات
والعشراوات وساير العسكر من المماليك السلطانيه فلما كان يوم الخميس سابع عشرين
القعده لبس العسكر آلة الحرب وركب الاتابكى جان بلاط والمقر السيفي طومان وبقية
الامرا وتوجهوا من الازبكيه الى بيت الظاهر تمر بغا الذى عند سوق السلاح واجتمع
العسكر هناك ولم يكن عند الملك الظاهر قانصوه من العسكر فوق القلعة سوى نايب
القلعة الامير جان بلاط اللاج وبعض امرا عشراوات ومن المماليك نحو الفين مملوك
لا غير وبقية الامرا والعسكر مع الامير طومان باي وكان الظاهر قانصوه عصى في القلعة
وسد باب الاسطبل الذى من جهة باب القرافه وجمع عنده جماعة من الزرخ يرمون
من فوق القلعة بالبندق الرصاص والنشاب وركب المدافع على الابراج فلما كان يوم
الجمعة وقع بين السلطان وبين الامير طومان وقعة عظيمه واستمر الحرب قايما بينهما
الى بعد المغرب فملك الامير طومان باي مدرسة السلطان حسن وصار يرمى بالبندق
الرصاص على من بالقلعة فلما كان يوم السبت تاسع عشرين ذى القعده فيه انكسر
الملك الظاهر قانصوه قبل الظهر فلما ضاق عليه الامر فقيل انه نزل من القلعة في زى امراة

بإيزار ونقاب وشعرية وهو مكشوف الراس فنزل من الترب واختفا وزال عنه سعده جملة
واحدة فكان كما قيل في المعنى

وقائلة لي دهتك الهموم * وامرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على غصتي * فان الهموم بقدر الهمم

وكانت النصرة للامير طومان باي على الظاهر قانصوه لم يجسر الامير طومان باي ان
يتسلطن وكان قدامه الاتابكي جان بلاط فاستمرت القاهرة بلا سلطان من يوم السبت
تاسع عشرين ذي القعدة الى يوم الاحد وهو مستهل ذي الحجة لم يقع الاتفاق على سلطنة
احد من الامرا فعرضوا على العسكر سلطنة الاتابكي جان بلاط فلم يرضوا به فعرضوا عليهم
سلطنة الامير تاني بك الجمالي امير سلاح فلم يرضوا به ثم انه اشيع بين الناس ان
قانصوه خمسماية موجودا في قيد الحياة ونادوا في القاهرة ان قانصوه خمسماية
يظهر وله الامان فلم يكن لهذا الكلام صحة واستمر الامر على ذلك الى يوم الاثنين ثاني
ذي الحجة والمدينة بلا سلطان ثم وقع الاختيار على سلطنة الاتابكي جان بلاط وتعصب
له في ذلك الامير طومان باي الدوادار فتسلطن الاتابكي جان بلاط على كره من العسكر
هذا ما كان من امر الامير طومان واما ما كان من امر الملك الظاهر قانصوه فانه من حين
تسحب من القلعة ونزل في زي امراة كما تقدم فاختفا واستمر مختفيا فصاروا يكبسوا
عليه الحارات والاماكن من يوم نزل من القلعة وهو يوم السبت تاسع عشرين ذي
القعدة الى يوم الاحد ثاني عشرين ذي الحجة وفي مدة اختفايه صاروا يكبسوا عليه الحارات
فلم يظهر له خبر ثم ان السلطان جان بلاط ضرب الطواشي مسك فاقر على خوند
جان كلدي بانها تعرف طريقه فنزل الوالي الى بيت خوند جان كلدي فسالها عنه فلم تقر
بشي فاحضر لها المعاصير وعصرها في رجليها هي وجماعة من الجوار فلم يقروا بشي
ونزل مع الوالي الامير طراباي وجماعة من الخاصكية فلما جرى ذلك فظهر في اثنا
ذلك في مكان بخط سويقة صفية عند شخص من اولاد الناس يقال له محمد بن اينال
ساكنا عند الزيني المعلق في سويقة صفية فلما قبضوا عليه اركبوه بغلة وقيل
زنجيروه ثم توجهوا به الى بيت الامير ازدمر احد الامرا المقدمين فاقام عنده
ثلاثة ايام حتى كتب وصية ثم قيدوه وتوجهوا به في ليلة الثلاثا خامس عشرين ذي
الحجة فنزلوا به في مركب وتوجهوا الى ثغر الاسكندرية فسجن بها وكان المتسفر عليه
الامير ازدمر ومعه جماعة من الامرا العشراوات والمماليك السلطانية ثم ان الاشرف
جان بلاط ارسل اليه خمسة آلاف دينار وامر له بكسوة واشيا كثيرة من انواع البر
لاجل انه صهره وتوجهوا به الى ثغر الاسكندرية ورجع الامير ازدمر ومن معه الى
القاهرة فكانت مدة سلطنة الملك الظاهر قانصوه بالديار المصرية
الى يوم تسحبه من القلعة سنة وثمانية اشهر وثلاثة عشر يوما وكان ملكا

هينا لينا قليل الاذى ولم يكن من مساويه الا قتله للامير تاني بك قرا كما تقدم وكان
على قدر ما هو حليم قليل الكلام بالعربي ساس المملكة في هذه المدة احسن سياسة
وقد انصلحت احوال البلاد الشرقية والغربية في ايامه من فساد العربان ومنع المماليك
عما كانوا يفعلون بالناس وكانت ايامه احسن من ايام الملك الناصر محمد بن قايتباي
على كل حال انتهى ما اوردناه من اخبار الملك الظاهر قانصوه وذلك على سبيل الاختصار

ذكر سلطنة الملك الاشرف ابي النصر جان بلاط من يشبك

الاشرفي وهو الرابع والاربعون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثامن
عشر من ملوك الجراكسة واولادهم بالديار المصرية واصله جركسي الجنس اشتراه
الامير يشبك من مهدي الدوادار واقام عنده مدة وحفظ القرآن ثم ان الامير يشبك
قدمه للسلطان الملك الاشرف قايتباي فصار من جملة المماليك السلطانية ثم ان الملك
الاشرف قايتباي اعتقه وصار من جملة معاتيق الاشرف قايتباي ثم اخرج له خيلا
وقماشا وصار من جملة المماليك الجمدارية ثم بعد مدة بقي خاصكي ودوادار سكين
ثم بعد مدة بقي امير عشرة ثم بعد مدة بقي امير اربعين تاجر المماليك وسافر الى بني
عثمان قاصدا ثم بقي مقدم الف تاجر المماليك كل ذلك في دولة الملك الاشرف قايتباي
ثم بقي دوادار كبير في دولة الملك الناصر محمد بن الملك الاشرف قايتباي ثم بقي نايب
حلب وخرج اليها في ايام الملك الناصر محمد بن الملك الاشرف قايتباي ثم نقله الملك
الظاهر قانصوه الى نيابة الشام بعد موت الامير قرتباي الاحمر ثم احضره الملك
الظاهر قانصوه الى الديار المصرية واستقر به اتابك العساكر عوضا عن الاتابكي
ازبك من ططخ فاستمر على ذلك مدة يسيرة الى ان وثب الامير طومان باي الدوادار
على الملك الظاهر قانصوه وخلعه من الملك فاستقر الاتابك جان بلاط سلطانا
عوضا عن الظاهر قانصوه وكانت صفة سلطنته وذلك لما تسحب الظاهر قانصوه
من القلعة فاشتوروا الامرا والعسكر فيمن يولوه سلطانا ثم وقع الاتفاق على توليته
فتولى على كره من العسكر فقام من بيت الظاهر تمربغا وركب وطلع الى باب السلسلة
وحضر الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربع وبايعه الخليفة بالسلطنة
ثم احضروا له خلعة السلطنة ولبسها وركب من الحراقة التي في الاسطبل وحمل القبة
والطير على راسه المقر السيفي تاني بك الجمالي امير سلاح فطلع من باب سر القصر
وجلس على سرير الملك وباسوا له الامرا الارض ودقت له البشاير وتلقب بالملك الاشرف
ونودي باسمه في القاهرة وضجوا له الناس بالدعا وقيل تسلطن في ساعة الاسد والشمس
فلما تم امره في السلطنة امر بالافراج عن الامير قاني باي امير اخور كبير وكان عند
الامير طومان باي الدوادار في الحديد كما تقدم فاخلع عليه واعيد الى وظيفته
كما كان وامر بالافراج عن الامير طراباي وكان في الترسيم عند الامير طومان باي

ثم انه عاين الا تابكيه الى قصروه نايب الشام ثم فى يوم الثلاثا ثالث ذى الحجه جلس
فى الدهيشة واعرض مماليك الظاهر قانصوه ومسح منهم جماعة وفى ذلك اليوم انعم
على الامير طومان باى بعدة جهة قاصى من خوله لما كان امير كبير فتقبل عدتهم ثلثمائة
فرس وفى يوم الخميس خامس ذى الحجة فيه اخلع السلطان على جميع الامرا واستمر كل واحد
على وظيفته ونزلوا الى بيوتهم ثم اخلع على القاضى بدر الدين بن مزهر واعيد الى كتابة السر
وانفصل اخيه كمال الدين واخلع على القاضى شهاب الدين ناظر الجيش واعيد الى نظارة
الجيش وانفصل عنها القاضى زين الدين عبد القادر القصروى واخلع على القاضى علاى
الدين بن الصابونى واعيد الى نظارة الخاص وانفصل عنها القاضى شهاب الدين بن الرملى
واخلع على الامير قيت الرجبى واعيد الى حاجب الحجاب كما كان وبطل سفره الى طرابلس
واخلع على الامير ازبك واستقر به نايب القلعة عوضا عن الامير جان بلاط الاح بحكم
وانعم على الامير مصرباى وبردبك المحمدى مقدم الوف وكذلك خيربك اخو قانصوه
البرجى المحمدى ثم فى اوايل دولته قبض على جماعة من الاعيان وصادرهم منهم القاضى
زين الدين عبد القادر القصروى ناظر الجيش والقاضى شهاب الدين بن الرملى ناظر الخاص
والامير تمر ترابتر الظاهر قانصوه والامير قانى بك الخازندار والمهتار رمضان
البابا والطواشى مسك ومحسن ومختص وقبض على جماعة كثيرة من حاشية الملك
الظاهر قانصوه وصادرهم ولما قبض على المهتار رمضان ضرب علقه وقيل عصره واخذ
منه ثلاثون الف دينار وكان المهتار رمضان نال من العز والرفعه فى ايام الاشرف قايتباى
ما لا ناله احد قبله وكان مهتار الطشتخاناة ناظر الكسوة الشريفة وقد اقام على ذلك
نحو ثلاث وثلاثين سنة ثم ان السلطان الملك الاشرف جان بلاط لما طالبوه المماليك
بالنفقه فشكا وقال قد نفدت الخزاين من الاموال ولم يبق فيها شى فعند ذلك
وزع امر النفقه على جماعة من اعيان المباشرين ومساتير الناس حتى على نواب القضاة
ونوابهم وجماعة من التجار الاكابر والاصاغر حتى على طايفة اليهود والنصارى وغير
ذلك من اعيان الناس وكان المتكلم فى ذلك القاضى بدر بن مزهر كاتب السر الشريف
فاظهر العزم فى هذه الحركه وصار يعين من الناس من يختار منهم ويقرر عليهم
من المال حسبما يختار وكان الاشرف جان بلاط متزوجا باخت الملك الظاهر قانصوه
وهى ام الملك الناصر فطلق اخت القاضى كاتب السر لاجل ذلك فلما جرت هذه
الحركة ناظهر بنجعة من ابواب الظلم فلما ان كملت هذه التوزيعة نفق على العسكر فاعطى
طايفة من المماليك لكل واحد مائة دينار وجماعة منهم خمسون دينارا وجماعة منهم ثلاثون
دينارا وجماعة منهم عشرون دينارا ولم يعطى لاحد من اولاد الناس ولا الخدام شيا
واخر نفقة الامرا المقدمين والعشراوات مدة ثم نفق عليهم **ومن الحوادث** ان فى
ليلة الجمعة سابع عشرين ذى الحجة من سنة خمس وتسعماية فيها وقعت زلزلة عظيمة

نصف الليل واقامت نحو درجة والدنيا مضطربة وقد شاهدوا وقت الزلزلة بعض
نجوم تتناثر فى السما **ثم دخلت** سنة ست وتسعماية فيها فى يوم الثلاثا
مستهل المحرم طلعت خوند ام الملك الناصر محمد بن قايتباى الى القلعة وكان لها موكبا
عظيما وطلعت من الصليبية من البيت الذى بالقرب من حمام الفارقانى الذى انشاه
الملك الاشرف قايتباى فطلعت فى محفة زركش وكان قدامها جميع المباشرين والخدام
من العال للدون وجماعة من المماليك بالشاش والقماش نحو خمسين مملوكا ونحو مائة
انسان من المماليك بالملاليك والكوافى وكان معها نحو مائتى امراة على المكارية والذى
وقع لخوند اصل باى هذه لم وقع لاحد قبلها من الخوندات فكانت سرية الملك
الاشرف قايتباى وام الناصر محمد واخت الملك الظاهر قانصوه وزوجة الملك
الاشرف جان بلاط وهذا الاتفاق عزيز الوجود قليل الوقوع وكانت ذات عقل ودين
وفى يوم الخميس ثالث المحرم سنة ست وتسعماية فيه جات الاخبار من البلاد الشامية
بان قصروه نايب الشام استمر على العصيان ولم يدخل ايضا تحت طاعة الملك الاشرف
جان بلاط وقد اتفق على المخامرة هو والامير دولات باى نايب حلب فعند ذلك
اضطربت احوال الملك الاشرف جان بلاط فلما كان يوم الجمعة رابع المحرم صلى السلطان
الجمعة ثم اخلع على المقر السيفى قانى بك الجمالى واستقر به اتابك العساكر بمصر وكان
السلطان اخر هذه الوظيفه للامير قصروه نايب الشام واخلع على المقر السيفى طومان
باى الدوادار واستقر به امير سلاح ودوادار كبير ووزير واستادار كما كان قبل ذلك
من مهدى وفى يوم السبت خامس المحرم حضر الامير ازدمر والامير اينال الطويل
وبقية الامرا الذى توجهوا صحبة الظاهر قانصوه الى ثغر الاسكندرية فسجنوه بها
ورجعوا وفى يوم السبت المذكور زاد فى النيل المبارك وكان موافقا لثانى مسرى فكسر
يوم الاحد سادس المحرم فلما اوفى رسم السلطان للامير طومان باى الدوادار بان
يكسر السد فتوجه الى المقياس فى موكب عظيم وكسر السد ووقع فى ذلك اليوم
نحو مائة قمع حلوى ومائة مشنة فاكهة حتى قوق البطيخ الصيفى ونثر للعوام فضة
وهو داخل الى خليج السد فارتفعت الاصوات له بالدعا وكان له يوما مشهودا لم
يسمع بمثله وفى يوم الاثنين خامس عشر المحرم حضر الى الابواب الشريفة قصروه
الصغير احدى الامرا العشراوات وكان السلطان قد ارسله الى قصروه نايب الشام
بخلعة وفرس بسرج ذهب وكنبوش فرجع من عنده واخبر انه باقى على العصيان ولم يلبس
خلعة السلطان واراد ان يوسط الامير قصروه لولا شفعوا فيه الامرا فلما سمع السلطان
اضطربت احواله وجمع الامرا وضربوا مشورة فى الدهيشة ثم ان السلطان علق الجاليش
واعرض العسكر فى يوم الخميس ثامن عشر المحرم ثم ان الامرا قد اشاروا على السلطان بان
يرسل الى نايب الشام قاصدا اخر فعند ذلك عين السلطان شخصين من الامرا احدهم

الامير ازدمر الفقيه والآخر بيبرس اصباى فتوجها الى نائب الشام ولما كان يوم السبت
عشرين المحرم سنة ست وتسعماية فيه حضر الى الابواب الشريفة الامير سيباى نائب
سيس والعسكر الذى كان ارسلهم الى الكرك بسبب العربان الذى قطعوا على الحجاج الطريق
وقد تقدم ذكر ذلك فلما حضروا العسكر فاخبروا بان قصروه نائب الشام مستمرا
على العصيان ولم يطيع امر السلطان بوجه من الوجوه وفى يوم الخميس خامس عشرين المحرم
دخل فيه الحاج الى القاهرة وقد قاسا شدة فى هذه السنة ومشقة بسبب فساد العربان
فى الطريق ثم ان السلطان عين الامير تمرباى خازندار الامير طومان باى الدوادار بان
يتوجه الى قصروه نائب الشام بكتاب الامير طومان باى لعله يرجع عن العصيان
فتوجه الى الشام فى يوم الاثنين تاسع عشرين المحرم سنة ست وتسعماية وفى اثنا هذا
الشهر حضر الى الابواب الشريفة الامير خيربك الكاشف الذى كان الملك قانصوه
نفاه وحصل له مشقة عظيمة وكان توجه عند قصروه نائب الشام فلما بلغه سلطنة
الاشرف جان بلاط حضر الى القاهرة فاخلع عليه السلطان واقره على حاله **فلما كان**
يوم الاثنين وهو العشرون من شهر صفر فيه اخلع السلطان على ابن النقيب الشيخ عبد
القادر واستقر به قاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة
زكريا فكانت مدة قاضى القضاة زكريا فى القضا نحو عشرين سنة وقد تولى فى دولة
الاشرف قايتباى فى سنة ست وثمانين وثمانماية فى سادس رجب وفى يوم الاربعا ثامن
عشرين صفر فيه نزل السلطان الملك الاشرف جان بلاط الى بيت المقر السيفى طومان
باى الدوادار فلما دخل الى بيته نزل عن فرسه ودخل الى عند الامير طومان باى فى
المبيت واقام عنده ساعة ثم طلع الى القلعة فارسل اليه الامير طومان باى
تقدمة عظيمة ما بين ذهب وقماش وخيول وسكر وغير ذلك وفى يوم الاثنين حادى
عشر ربيع الاول فيه عمل السلطان المولد الشريف واجتمع فيه القضاة والامرا بالحوش
السلطانى وفى ذلك اليوم خرج خيربك اخو الامير قانصوه الى نحو مدينة غزة ليقيم
بها خشية من قصروه نائب الشام ان لا يملك غزه وفى يوم السبت سادس ربيع
الاول فيه اعرض السلطان العسكر ونفق عليهم ورسم لهم بان يخرجوا بعد ثمانية ايام
وقد ماجت القاهرة فى تلك الايام وقد كثر القال والقيل فى امر قصروه نائب
الشام وفى يوم الثلاثا سادس عشرين ربيع الاول من سنة ست وتسعماية فيه خرج
جاليش العسكر الذى عينه السلطان بسبب قصروه نائب الشام فخرج الامير قيت
الرجبى والامير اصطمر من ولى الدين والامير سودون الدوادار وجماعة من المماليك
السلطانية ثم فى يوم السبت مستهل ربيع الاخر من السنة المذكورة فيه خرج جماعة
من النواب الذى قد تعينوا الى البلاد الشامية قبل تاريخه وهم الامير قرقماس نائب
حلب وبرديبك الطويل نائب طرابلس وقانصوه بن اللوقر نائب حماه قبل الوقت

هو سلطان

هو سلطان جركس فخرجوا فى ذلك اليوم **ولما كان** يوم الاثنين ثانى ربيع الاخر فيه خرج
باش العسكر وهو المقر السيفى طومان باى امير سلاح وامير دوادار كبير ووزير واستادار
وما مع ذلك من الوظايف السنية فخرج من القاهرة فى اليوم المذكور وكان له موكب عظيم
وطلب عظيم الى الغاية وخرج صحبته من الامرا الامير تانى باى قرا امير اخور كبير والامير
قانصوه الغورى راس نوبة النوب والامير ازدمر احدى الامرا المتقدمين ثم اخلع السلطان
على المقر السيفى طومان باى خلعة عظيمة وهو فوقانى ازرق بوجه اخضر بطراز يلبغاوى
عريض طويل كان طوله ثلاث اذرع فى عرض ذراعين ونصف قيل لم يعمل لامير قبله مثله
وقيل دخل فى ذلك الطراز ثمانماية مثقال ذهب بنادقة وكان الملك الاشرف جان بلاط
يراضى الامير طومان باى بكل ما يمكن فكان كما قيل فى المعنى

افاسى المنون لنيل المنى ... ويا ليت هذا بهذا يفى

ولما نزل من القلعة نزل معه ساير الامرا والمباشرين وشق من القاهرة وارتفعت الاصوات
له بالدعا من الخاص والعام وكان محببا للناس فكان عدة من خرج فى التجريدة من الامرا المقدمين
والنواب اثنى عشر اميرا غير الامرا الطبلخانات والعشراوات والخاصكية والمماليك
السلطانية وكان الامير طومان باى مسعودا فى الحركات من افعاله وكانت المملكة بيده
يتصرف فيها كيف شا فاقام فى الريدانية اياما ثم توجه الى نحو البلاد الشامية **ومن
الحوادث** فى هذه السنة ان السلطان قبض على القاضى بدر الدين بن مزهر كاتب
السر وسجنه بالعرقانة ورسم على حاشيته وغلمانه وسبب ذلك ان القاضى بدر الدين
كان سببا لهذه المصادرة التى كانت على الناس ثم انهم الناس عند السلطان انه اخذ
فى هذه الحركة من الناس لنفسه اضعاف ذلك فتغير خاطر السلطان عليه وقرر عليه
جملة مال فشكا من ذلك ولم يورد شيئا فضرب ضربا شديدا عدة مرار فكان ذلك
بدعا الناس عليه فانه اخذ من الجانب الذى يامن اليه فان الاشرف جان بلاط كان صهره
فقصد ان يظهر له نتيجة باذى الناس فكان كما قيل

فكان كالمتمنى ان يرى فلقا ... من الصباح فلما ان راه عمى

وكان لما قبض الملك الظاهر قانصوه على القاضى بدر الدين كاتب السر هذا فضمنه الملك
الاشرف جان بلاط وهو اتابك العساكر واخذه عنده وانزله فى بيته فهرب من عنده
وصار مطلوبا به من الملك الظاهر قانصوه فما تخلص القاضى بدر الدين الا بعد مشقة
زايدة فصار فى نفسه منه بسبب ذلك وغيره فلما بقى جان بلاط سلطانا ظن انه نسى ذنبه
الذى وقع منه فكان كما قيل فى المعنى

اذا رايت ثنايا الليث كاشرة ... فلا تظن ان الليث يبتسم

وكان اكثر الامرا يكرهون القاضى بدر الدين كاتب السر فانه كان لا يراعى فى الكلام خليل
ولا يقبل رسالة من احد من الامرا **ولما كان** يوم الخميس ثانى ربيع الاخر من السنة المذكورة

اخلع على القاضي صلاح الدين بن الجيعان واستقر به كاتب السر عوضا عن القاضي بدر
الدين بن مزهر واستمر ابن مزهر في الترسيم **ومن الحوادث** في هذه السنة ان في
ليلة الجمعة ثالث عشره خسف جرم القمر في ثلث الليلة خسوفا عظيما واقام مخسوفا
من نصف الليل الى وقت التسبيح ومال الى الغروب وهو مخسوف وفي يوم السبت ثامن
عشرين ربيع الاخر حضر الى الابواب الشريفة الامير تمرباي خازندار المقر السيفي طومان
باي وكان قد توجه الى قصروه نايب الشام في امر الصلح فرجع الامير تمرباي من امر الصلح
بخفي حنين **ولما كان** يوم الاثنين خامس جمادى الاول من السنة المذكورة فيه جاءت
الاخبار من البلاد الشامية بان العسكر لما خرج وتوجه الى الشام فحصل هناك فتنة عظيمة
بين الامرا واشيع في الديار المصرية ان المقر السيفي طومان باي امير سلاح وامير
دوادار كبير قد تسلطن هناك وتلقب بالملك العادل وقد التف عليه جماعة من الامرا
والعسكر وكان الامير طومان باي متوالي هو وقصروه نايب الشام على الملك الاشرف
جان بلاط فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت احواله كما قيل في الامثال

كذلك من يستنصح الاعادي ٭ يردونه بالغش والفساد

وفي يوم الاربعا عاشر جمادى الاول توفي فيه الامير الزمام جوهر العيني فظهر له
تركة عظيمة من مال وقماش وغير ذلك وفي هذا الشهر اخلع على الامير خير بك
الكاشف واستقر به كاشف الغربية على عادته وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الاول
فيه جاءت الاخبار بصحة ما جرى من امر هذه الحركة التي جرت بالشام وسبب
ذلك ان الامرا والعسكر لما وصلوا الى مكان يسمى الكسوة بالقرب من دمشق وقيل الى
مكان يسمى سعسع فقيل ان نايب الشام قصروه حضر الى الامرا والعسكر في نفر
قليل من عسكره واظهر انه طايع فاذعن اليه العسكر ودخل الى الشام وهو مبطن خلافه فلما
دخلوا الى الشام اجتمعوا الامرا والعسكر في القصر الذي في الميدان بدمشق وارسلوا
خلف الامير قصروه نايب الشام ليقرؤا عليه مراسيم السلطان فلما حضر لم يلتفت
الى مراسيم السلطان وقبض على جماعة من الامرا والخاصكية وهم الامير قرقماس نايب
حلب والامير ازدمر والامير خير بك اخو قانصوه البرجي والامير سودون
الدواداري والامير قانصوه ابن اللوقز نايب حماه وغير ذلك من الامرا والعشراوات
والخاصكية وجماعة كثيرة ثم ان قصروه نايب الشام باس الارض للامير طومان
باي وجماعة من الامرا الذين هم من عصبة الامير طومان باي فسلطنوه هناك وتلقب
بالملك العادل وقد اطاعه العسكر والنواب وكان نايب حلب خشداشه وهو الامير
دولات باي **وقيل** ان الاشرف جان بلاط كان قصد القبض على الامير طومان باي
فلما تحقق ذلك دخل الى الشام فاتفق هو والامير قصروه نايب الشام على العصيان
وان يكون الامير طومان باي سلطانا والامير قصروه يكون اتابك العساكر بمصر

فخالفا

فخالفا على ذلك فلما تسلطن هناك وقبض على الامرا المصرية هو والامير قصروه نايب
الشام وجماعة من النواب فلما بلغ السلطان الملك الاشرف جان بلاط ما جرا في الشام من
هذا الامر فتحقق ذلك فلما كان يوم الجمعة سادس عشرين جمادى الاول رسم السلطان
باحضار المصحف العثماني وارسل خلف الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة
الاربع فحلف ساير الامرا من الاكابر والاصاغر بحضرة الخليفة والقضاة وحلف كل واحد من
الامرا بمفرده بان يكونوا كلمة واحدة مع السلطان ولا يغدر ولا يخون وحلفوا
على ذلك وكتب بذلك صورة حلف في دفتر واشهد عليهم الخليفة والقضاة الاربع
ثم ان السلطان عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا عوضا عمن خامر على السلطان بالشام
مع الامير طومان باي فاخلع على المقر السيفي قانصوه المحمدي الشهير بالبرجي واستقر
به امير سلاح عوضا عن الامير طومان باي واخلع على الامير خشكلدي البيسقي
واستقر به امير مجلس عوضا عن قانصوه البرجي واخلع على المقر السيفي مصرباي واستقر
به دوادار كبير عوضا عن الامير طومان باي واخلع على المقر السيفي سيباي نايب سيس
واستقر به امير اخور كبير عوضا عن الامير قاني باي قرا الرماح واخلع على المقر السيفي
سودون العجمي واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن المقر السيفي قانصوه الغوري
واخلع على الامير يردبك الاينالي واستقر به حاجب الحجاب عوضا عن الامير قيت
الرجبي واخلع على الامير قصروه الصغير واستقر به والي القاهرة واخلع على الامير
تاني بك الاج واستقر به شاد الشربخاناه واخلع على الامير تمرباي امير مشوي
واستقر به امير اخور ثاني واخلع على الامير تمرباي الطويل واستقر به شاد الصحبة
واخلع على الامير اقباي الطويل واستقر به تاجر المماليك وانعم على جماعة من الامرا
بتقادم الوفا منهم الامير بيبردي الزهلوان قرابة قانصوه خمسماية ومنهم الامير
تمر ازجوشن والامير قرقماس الشريفي وخشكلدي من ولي الدين والامير ازبك
من طراباي والامير تمر الزردكاش والامير دولات باي والامير ازدمر فكانت
عدة الامرا المقدمين في ايامه سبعة عشر اميرا ومن الامرا الطبلخانات والعشراوات
جماعة كثيرة ما يحضرني اسماهم الان ثم ان السلطان فرق اقطاعات الخاصكية
والمماليك الذي من عصبة الامير طومان باي وتوجهوا معه الى الشام ثم ان السلطان
اخذ في اسباب تحصين القلعة بالمدافع وتركيب المكاحل وادخر فيها ما يحتاج اليه
الحال من بشماط ودقيق وجبن وعسل وحطب وعليق وملا الصهاريج بالما على الجمال
وادخر في القلعة اشيا كثيرة من اغنام وابقار واشيا كثيرة من احتياج الحصار ثم بني
برجا محيطا على باب السلسلة بالنقض الحجر وبنى بابا بالحجر النحت على باب المدرج وحصن
الابراج الذي حول القلعة ثم ان السلطان صار ينزل الى الرمله ويكشف على البنايين
الذين يبنون الابراج ثم انه رسم بهدم مدرسة السلطان حسن القبة والمدق فلم

يتردد وا على بعض الهدم فتكلم الامير تغرى بردى الاستادار مع السلطان فى ترك ذلك
فرجع السلطان عن هدمها وكانت الناس قد تاسفت على هدمها فانه لم يبنى فى الدنيا
مثلها من مبتدا الاسلام وقد قال القايل فى المعنى رحمة الله عليه

هُتكت قبة الحسن * واستغنى دمنها الحسن
ان فى ذا العبرة * لكن المستغنى منى

ثم فى يوم الاربعا مستهل جمادى الاخر فيه اخلع السلطان على الامير عبد اللطيف
واستقر به زماما عوضا عن جوهر المعينى بحكم وفاته ثم ان السلطان فى يوم السبت
رابع جمادى الاول علق الصنجق السلطانى بان سائر العسكر والامرا يطلعون الى القلعة
بسلاحهم ويبيتون بها ثم رسم للقضاة الاربع والمباشرين جميعها بان يطلعوا الى القلعة
ويبيتون بها فامتثلوا ذلك وطلعوا اجمعين ولم يسمع بان سلطانا فعله حصن قلعة
مصر مثل هذا التحصين ولم يفده من ذلك شيا فكان كما قيل فى المعنى

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فاول ما يجنى عليه اجتهاده

وكان الاشرف جان بلاط لطيف القلب يحب الحرب ويكره اللقاه فلما كان يوم الاربعا
ثامن جمادى الاخر جات الاخبار بان المقر السيفى قصروه نايب الشام والمقر السيفى
دولات باى نكباش نايب حلب ونايب طرابلس ونايب حماه والملك العادل طومان
باى وبقية الامرا قد وصلوا الى الخانقه سرياقوس فعند ذلك ماجت القاهرة واضطربت
وكثر القال والقيل بين الناس فكان كما قيل فى المعنى

قد كان يرجفنى فى ليالى وصله * قلبى فكيف الان عند صدوده

فلما كان يوم الخميس تاسع جمادى الاخر وصل العسكر الى عند المطرية فخرج اليهم بعض جماعة
من المماليك السلطانية فتقاتلوا معهم هناك قتالا هينا فاول من دخل تحت طاعة الملك
العادل طومان باى الامير ازبك النصرانى امير شكار ناظر عليه واستقر به والى القاهرة
ثم ان بعض المماليك احرقوا بيت الملك العادل وهو بيت الظاهر تمربغا الذى عند
البندقانيين احرقوا مقعده ومبيته فلما كان يوم السبت حادى عشر جمادى الاخر دخل الملك
العادل طومان باى القاهرة وصحبته النواب والامرا فدخل من باب الفتوح وشق القاهرة
فضجوا له الناس بالدعا وكان محببا للعوام وكان معه من الامرا الامير قانصوه الغورى
راس نوبة النوب والامير تانى باى قرا امير اخور والامير قيت الرجبى حاجب الحجاب
والامير اصطمر من ولى الدين وبقية الامرا والامير قصروه نايب الشام ودولات باى
نايب حلب ونايب طرابلس ونايب حماه وبقية العسكر الذى كانوا معه فى التجريدة
فلما دخل الملك العادل الى القاهرة كان على راسه صنجق خليفتى ثم نادى فى القاهرة
بالامان والاطمان والبيع والشرا وان لا احد يشوش على احد من الرعية فتزايدت
الادعية له بالنصر وكان له يوما مشهودا لم يسمع بمثله وكان الناس يقولون اذا

اذا دخل العسكر والنواب الى القاهرة فتخرب من الجور والظلم فلم يحصل للناس الا كل خير
فى هذه الحركة وسكن ما كان من الاضطراب بمصر فلما دخل الملك العادل طومان باى نزل
فى بيت الامير تانى بك قرا الذى عند حمام الفارقانى ونزل الامير قصروه نايب الشام
فى مدرسة السلطان حسن ونزل الامير دولات باى نايب حلب فى جامع شيخو ومعه
جماعة من النواب وتوزعوا الامرا كل واحد فى مكان بالقرب من الصليبة فكان بينهم وبين
الملك الاشرف جان بلاط فى ذلك اليوم وقعة عظيمة من شروق الشمس الى غروبها فقيل ان
فى ذلك اليوم قتل بعض مماليك سلطانيه وبعض غلمان فلما كان يوم الاحد صبيحة ذلك
اليوم امر المقر السيفى قصروه بحفر خنادق فحفروا خندقا عند راس الرميله عند
سويقة عبد المنعم عند سبيل السلطان وخندقا عند مدرسة السلطان حسن وخندقا
عند حدرة البقر وخندقا عند باب الوزير وخندقا عند راس سوق جامع ابن طولون
واحضر الملك العادل طومان باى اخشاب كثيرة ورسم بعمل طوارق واحضر صواركا
ورسم بعمل منجنيق وجمع النجارين لاجل عمل سلالم خشب على عجل وركب الامير قصروه
مكاحل وفيها مدافع على مدرسة السلطان حسن وصار يرمى على القلعة المدافع والبندق
الرصاص وكذلك من فى القلعة صاروا يرمون على من فى الرميله ومدرسة السلطان
حسن وركبوا المكحلة بحجر كبير يقال له المجنون اذا خرج منها الحجر لا يثبت له الجبل
وكانت هذه الوقعة تقرب من وقعة الامير اقبردى لو طالت وكان الملك الاشرف
جان بلاط لما بلغه عصيان المقر السيفى طومان باى اراد ان يقبض على الامير تمرباى
الخازندار وكان بالقاهرة فى اشتغال الامير طومان باى فلما اشيع بين الناس ان
الامير طومان باى قد تسلطن بالشام هرب الامير تمرباى تحت الليل وتوجه الى
عند الامير طومان باى وهو بالشام قبل ان يتسلطن فلما بلغ الملك الاشرف جان
بلاط هروب تمرباى شنق اسماعيل ابن زامل شيخ العرب على باب الميدان بسبب
الامير تمرباى الذى مكنه من الرواح وقد تحزن عليه فلما دخل الملك العادل
الى القاهرة ارادوا عربان الشرقية ان يدخلوا معه ويقاتلوا كما فعل اقبردى
فلم يوافقوا الامرا على ذلك ومنعوا العربان من الدخول الى القاهرة خشية ان يحصل
منهم فسادا كما فعلوا فى وقعة اقبردى فلم يحتاج الملك العادل الى ذلك ولما كان
يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الاخر اشتد الحرب ما بين الفريقين فكان اعظم فى ذلك
اليوم وقعة عند باب الوزير فتشيب منها النواصى فجرح فيها شخص من الامرا الطبلخانات
يقال له تمرباى شاد الصحبة فجرح جرحا مولما واخذ فرسه ولبسه فاقام من بعد
ذلك اياما ومات من الجرح الذى فى وجهه وقد نكث عليه وتقنطر فى ذلك اليوم
فى القتال الامير مصرباى الدوادار واخذ فرسه وجرح وكانت سلامته على غير
القياس وقتل فى ذلك اليوم من العسكر الذى فوق القلعة ثمان مماليك سلطانية

وبقى العسكر الذى استقل ادبع مماليك سلطانيه واستمر القتال عمال بين الفريقين الى يوم الاربعا خامس عشر جمادى الاخرة ففى ذلك اليوم قتل نايب طرابلس الذى صار صحبة نايب الشام وقتل فى ذلك اليوم جماعة من المماليك السلطانيه والامير قنبك نايب الاسكندريه وكان يوم الخميس سادس عشر جمادى الاخرة فيه نفق الملك العادل الجامكية على العسكر فى بيت الامير قانى باى قرا ثم نفق على العسكر الذى كانوا معه استقل ثم ان الملك الاشرف جان بلاط نفق الجامكية على من كان عنده فى القلعة ثم صار جماعة من الامرا والعسكر ينسحبون من القلعة وينزلون الى عند الملك العادل طومان باى فنزل جماعة من الامرا العشراوات والخاصكيه والمماليك السلطانيه وسبب ذلك ان الملك الاشرف جان بلاط كان قد اوعد العسكر بان ينفق عليهم مع الجامكيه فوق القلعة فلم ينفق عليهم شى مع الجامكية وقال لهم ما انفق الا بعد النصرة فعند ذلك قل عنه العسكر وصاروا ينسحبون من القلعة وينزلون الى بيوتهم ثم نزل القاضى زين الدين عبد القادر القصروى ناظر الجيش الى عند الملك العادل فاحضر له خلعة فولاه ناظر الجيش وانفصل القاضى شهاب الدين بن ناظر الخاص ولما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاخرة فيه صلى الملك العادل الجمعة فى جامع شيخو فحضر معه جماعة من النواب والامرا فخرج من بيت الامير قانى بك قرا الى الجامع وعليه سلارى جوخ احمر مفرى بسمور وعلى راسه تخفيفه صغيره فضجوا الناس له بالدعا وانطلقت النسا له بالزغاريت فلما خطب الخطيب خطب باسم الملك العادل فى ذلك اليوم قبل ان يتسلطن بمصر فاول من خطب باسمه فى جامع شيخو الشرفى يحيى بن العداس فلما تسلطن كتب له جامكيه الف درهم فى كل شهر فى نظير ذلك وكانت لوايح النصرة لايحة عليه فلما كان يوم السبت ثامن عشر جمادى الاخرة نزل من القلعة الامير خيربك الكاشف والامير تانى بك الاج شاد الشرابخاناه والامير جان بردى الغزالى وجماعة كثيرة من المماليك السلطانيه وتوجهوا الى عند الملك العادل فعند ذلك اضطربت احوال الملك الاشرف وكل من فى القلعة ثم ان الاشرف جان بلاط اصرف الجامكيه على المماليك فى الاسطبل فى يوم السبت المذكور فبينما هم مشغولون فى امر الجامكيه فلم تشعر الناس الا وقد ماجت الرميله واضطرب العسكر واشيع بين الناس ان الملك الاشرف جان بلاط قد هرب ونزل من القلعة ووقع النهب فى الجامكيه بالاسطبل السلطانى وفى بعض اماكن بالقلعة حتى طشتخاناه السلطان والبيوتات التى بالحوش وكان عند السلطان جان بلاط الاتابكى تانى بك الجمالى والامير طراباى وجماعة من الامرا وكان سبب هذه الكسرة ان السلطان دخل الى دور الحرم صبيحة يوم السبت المذكور نايما فى الحريم فاخذ الامير طراباى النمجاة والترس ونزل بهما الى عند السلطان وخرج الاتابكى تانى بك الجمالى من القصر

واشاع ان السلطان قد هرب فعند ذلك انسحب من كان فى القلعة من المماليك ونزلوا الى عند الملك العادل وتمت الكسرة على الملك الاشرف جان بلاط وكان هذا على غير القياس فان الاشرف جان بلاط كان قد احتاط كل الاحتياط وحصن القلعة ما لا حصنها احد قبله من السلاطين وكانوا الناس يظنون ان الامر يطول بينهم فجاءت هذه الكسرة على حين غفلة ولم يفد من تحصينه للقلعة شيا ولا فاد ذلك الاجتهاد الذى اجتهده وقد ضبط الامور كما تقدم وفى هذه الواقعة اقول ــــ

تحصن خوفا جان بلاط بقلعة ۞ فلم تدفع الاعدا عنه المدافع
فكانت مدافعه كفارغ بندق ۞ خلى من المعنى ولكن تفرقع

ثم المقر قصروه لما سمع بذلك ركب من مدرسة السلطان حسن وطلع الى القلعة وملكها من غير مانع وطلع العسكر الذى كان استقل ونهبوا جميع ما كان فى القلعة من خيول وقماش وغير ذلك مما كان مع العسكر فوق القلعة ونهبوا جميع ما كان ادخره الملك الاشرف جان بلاط من اغنام وابقار وعليق وبقسماط ودقيق وغير ذلك وقد اقام الاشرف جان بلاط يجمع فى ذلك نحو شهرين ثم ان الملك العادل ركب من بيت الامير تانى بك قرا وطلع الى باب السلسله وملكها وتسلطن كما سيأتى ذكر ذلك فى موضعه ثم ان الاشرف جان بلاط اقام مختفيا فى دور الحرم حتى مسك من مكان مهجور فى القلعة وقيل من بيت الخلا وكان الملك الاشرف جان بلاط عظيم القلب فلما مسك قيدوه وادخلوه فى قاعة البحرة واقام فى الترسيم ثم رسموا على زوجته وهى خوند ام الملك الناصر ورسموا عليها جماعة من الطواشيه وطلبوا منها جملة مال واقامت فى الترسيم فى تربة الملك الاشرف قايتباى مدة والمماليك مترسمين عليها حتى باعت جميع قماشها من ذهب ولولو وفضه وفصوص وقماش حتى تحصلت ما جا عليها من المال فى هذه المصادرة قيل اخذ منها نحو اربعين الف دينار واما الملك الاشرف جان بلاط فانه اقام فى الترسيم فى قاعة البحرة وهو مقيد الى يوم الاثنين خامس رجب من السنة المذكوره وهو مقيد فنزلوا بعد الظهر من اليوم المذكور وهو مقيد من باب الدرفيل وتوجهوا به من على الجسر حتى وصلوا به الى البحر فنزل فى مركب وتوجهوا به الى السجن بثغر الاسكندرية وكان المتسفر عليه الامير آقباى احد المقدمين والامير قانى بردى احد الامرا العشراوات وجماعة من الخاصكيه والمماليك السلطانيه فكان اقامة الاشرف جان بلاط فى قاعة البحرة وهو فى الترسيم ثمانية عشر يوما حتى توجهوا به الى ثغر الاسكندرية وقيل انه اقام هذه المدة حتى طلب منه مال واورده **فكانت** مدة سلطنة الملك الاشرف جان بلاط بمصر ستة اشهر وثمانية عشر يوما لا غير وتولى الملك وله من العمر نحو خمسة واربعين سنة وكان صفته ابيض اللون اسود اللحية طويل القامة غليظ الجسد مستدير الوجه وكانت ايام الظاهر قانصوه احسن من ايامه انتهت اخبار دولة الاشرف جان بلاط على الاختصار

ذكر سلطنة الملك العادل ابي النصر طومان باي الاشرفي

وهو الخامس والاربعون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو التاسع عشر من ملوك الجراكسة واولادهم بالديار المصرية اصله جركسي الجنس قدم به المقر السيفي قانصوه البحياوي نائب الشام مع جماعة من المماليك الى الملك الاشرف قايتباي فاقام في الطبقة مدة ثم اعتقه واخرج له خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك السلطانية ثم بقي في اواخر دولة الملك الاشرف قايتباي خازندار كبيرا ثم بقي في دولة الملك الناصر محمد امير عشرة ثم بقي امير اربعين دوادار ثاني ثم بقي مقدم الف دوادار كبير ووزيرا واستادار في دولة الملك الظاهر قانصوه ثم بقي امير سلاح دوادار كبير في دولة الاشرف جان بلاط وسافر الى الشام بسبب قصروه نائب الشام فتسلطن هناك كما تقدم ذكر ذلك فلما دخل الى الديار المصرية هو والمقر السيفي قصروه نائب الشام ونائب حلب وبقية النواب فقام معه الامير قصروه نائب الشام قياما عظيما وحارب الملك الاشرف جان بلاط اشد المحاربة وحفر الخنادق وصار يشيل التراب بالقفة بنفسه على كتفه هو ومماليكه لاجل نصرة الملك العادل طومان باي كما تقدم ذكر ذلك وذلك في يوم السبت ثامن عشر جمادى الاخر سنة ست وتسعماية فطلع المقر السيفي قصروه وملك باب السلسلة ثم طلع الملك العادل من بيت تاني بك قرا وعلى راسه الصنجق السلطاني فلما طلع الى باب السلسلة احضروا الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الاربع وبايعه الخليفة بحضرة القضاة الاربع وكان الاشرف جان بلاط عزل قاضي القضاة الشافعي زكريا وولي القاضي محيي الدين عبد القادر بن النقيب فلما تولى الملك العادل طومان باي ارسل خلف قاضي القضاة زكريا واعاده الى القضا وعزل ابن النقيب عنه فحضر القاضي زكريا مبايعة الملك العادل طومان باي في ذلك اليوم فاحضروا له الكلفتة السلطنة فلبسها من الحواصل التي في الاسطبل السلطاني ثم ركب من هناك وحمل القبة والطير على راسه المقر السيفي قصروه فطلع من باب سر القصر وجلس على سرير الملك وباسوا له الامرا الارض واستقر على لقبه الملك العادل كما تلقب بالشام ثم دقت له البشاير ثلاثة ايام ونودي باسمه في القاهرة وضجوا له الناس بالدعا من العام والخاص وكانت سلطنته في يوم السبت ثامن جمادى الاخر من سنة ست وتسعماية الموافق لرابع عشر شهر طوبة من الشهور القبطية ثم انه نادى في القاهرة بالزينة فزينت له القاهرة سبعة ايام وتخلقوا الناس له بالزعفران من العال والدون وهذا لم يتفق لملك قبله يوم سلطنته ولم يتفق هذا لاستاذه الملك الاشرف قايتباي ولا لمن قبله من الملوك في يوم سلطنته يتم له مثل ذلك وفي اثنا هذا اليوم وهو يوم السبت فيه اخلع السلطان الملك العادل طومان باي على المقر السيفي قصروه واستقر به اتابك العساكر بمصر فنزل من القلعة في موكب عظيم وتوجه الى الازبكية وسكن في بيت الاتابكي ازبك

وفي ذلك

وفي ذلك اليوم اخلع على قاضي القضاة زكريا واعاده الى قضاية الشافعية عوضا عن ابن النقيب ثم ان السلطان الملك العادل قبض على قاضي القضاة عبد القادر النقيب وكان بالقلعة في مدة المحاصرة كما تقدم فنزلوا به وهو ماشي متحطط بين الرسل والاوجاقية ولولا جاه بعض الاتراك لقتلوه العوام وهو نازل من القلعة وسبب ذلك انه تداشيع عنه انه قال للملك الاشرف جان بلاط يجب ان يقتل الثلث من العوام لاصلاح الثلثين ولم يكن لهذا الكلام صحة والاشاعة باطلة فكادت العوام ان ترجمه وهو نازل من القلعة فلما نزل اقام في الترسيم مدة وطلب منه مال بعد هذه البهدلة التي حصلت له في ذلك اليوم كما تقدم وكان من اهل العلم والفضل فكانت مدة اقامته في القضا ثلاثة اشهر وثمانية وعشرين يوما لاغير وقد ذهب ماله وعرضه وفي ذلك اقول مع التضمين

ولوك اشرف منصب يا قاضيا ... لكن ان عدل الزمان سينسخ
طبخوا بنار العزل قلبك بردا ... وكذا القلوب على المناصب تطبخ

ثم في اثنا يوم السبت افرج عن القاضي بدر الدين بن مزهر كاتب السر وتوجه الى بيته وكان مقيما في الترسيم في العرقانة من ايام الاشرف جان بلاط كما تقدم وفي اليوم المذكور اخلع على القاضي عبد القادر القصروي واستقر به ناظر الجيش وانفصل القاضي شهاب الدين ابن ناظر الخاص يوسف ثم ان السلطان الملك العادل عمل الموكب واخلع على من يذكر من الامرا وهم الامير دولات باي واستقر به نائب الشام عوضا عن الاتابكي قصروه واخلع على المقر السيفي قانصوه الغوري واستقر به دوادار كبير ووزيرا واستادارا عوضا عن الامير مصرباي بحكم اختفايه واعيد تاني باي قرا امير اخور كبير على عادته واخلع على المقر السيفي قيت الرجبي واستقر به امير سلاح واعيد الامير قانصوه البرجي امير مجلس كما كان اولا واخلع على الامير اصطمر بن ولي الدين واستقر حاجب الحجاب عوضا عن الامير يردبك المحمدي الاينالي واخلع على الامير نابا سيبي واستقر راس نوبة النوب عوضا عن سودون العجمي واخلع على الامير قرقماس المقري واستقر به محتسب القاهرة واخلع على الامير ازبك النقرافي واستقر والي القاهرة عوضا عن قصروه الصغير وانعم على جماعة من الامرا بتقادم الوف وعلى جماعة بامريات اربعين وعلى جماعة بامريات عشرة وقد تمت اموره في السلطنة ثم في يوم الثلاثا حادي عشرين جمادى الاخر اخلع على الشيخ عبد البر بن الشحنة واستقر به قاضي قضاة الحنفية عوضا عن الشيخ برهان الدين بن الكركي واستمر الشيخ عبد البر شيخ الخانقاه الشيخونية وقاضي قضاة الحنفية وفي يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الاخر اخلع على الامير تمرباي خازندار الملك العادل واستقر به خازندار ثاني واستمرت القاهرة مزينة له سبعة ايام والكوسات عماله ورايات زعفران معلقة حتى انهم زينوا اهل الاسواق مثل سوق الشرب والوراقين وغير ذلك ولما كان يوم الخميس ثامن رجب فيه قبض السلطان على الامير قانصوه

المحمدى الشهير بالبرجى وقبض على جان بردى الغزالى وجماعة كثيرة من الخاصكية والامرا
ثم اخلع على الامير تمرازجوشن واستقر به حاجب الحجاب بدمشق وخرج من يومه ورسم
للامير قانصوه البرجى بالتوجه الى مكة فخرج اليها وتناجاعة ايضا ونفا الامير جان بلاط
الموتر الذى كان محتسبا وقد بقى فى العسكر بحسبما كان يختار ونفى نفاه وشى عزته
وكان هذا على غير القياس منه وكانت الناس تدعوا له قاطبة فنفرت عنه القلوب
بسبب هذه الافعال الشنيعه فكان كما قيل فى المعنى لبعضهم من ابيات كثيرة

لاتشكرن امرا حتى تجربه ... ولاتذمنه من غير تجريب
فشكرك المرء مالم تختبره خطا ... وذمك المرء بعد الشكر تكذيب

ولما كان يوم الجمعة تاسع رجب فيه عقد السلطان الملك العادل طومان باى على خوند
بنت العلاى على ابن خاص بك وهى زوجة استاذه الملك الاشرف قايتباى فاجتمعوا
القضاه الاربع وساير الامرا بالجامع الذى بالقلعة وعقد والعقد فى ذلك اليوم
وفى يوم السبت عاشر رجب اخلع السلطان على الامير قان بردى واستقر به دوادار
ثانى ثم انعم عليه بتقدمة القاسم الدوادارية وفى يوم الاثنين تاسع رجب حضر الى
الابواب الشريفة الامير خير بك اخو الامير قانصوه البرجى وكان من جملة من يحجى
بقلعة دمشق كما تقدم فلما حضر انعم عليه السلطان بتقدمة الف كما كان وانعم على الامير
ماماى جوشن بتقدمة الف وفى يوم الثلاثا ثالث عشرين رجب فيه اخلع السلطان
على من يذكر من الامرا وهم المقر السيفى دولات باى قرا واستقر به نايب الشام
واخلع على الامير جانم واستقر به نايب طرابلس واخلع على الامير سيباى واستقر
به نايب حماه واخلع على الامير قانصوه الفاجر واستقر به نايب صفد واخلع فى
ذلك اليوم على جماعة كثيرة من الامرا وفيه خرج الامير جانم نايب طرابلس بعد الظهر
بتبرطليه وتوجه الى السفر وفى يوم السبت ثامن عشرين رجب اخلع على المقر السيفى
طراباى واستقر به راس نوبة النوب عوضا عن سيباى نايب طرابلس وفى هذا الشهر
سافر الامير قانصوه البرجى امير مجلس الى مكة من البحر المالح وفى اثنا شهر رجب
انفصل القاضى عبد البر عن قضاية الحنفية فكانت مدته بها دون الشهر وعزل
عنها بسرعة وفى ذلك اقول

ولوك قاضى القضاة لكن ... جاوك بالعزل عن قريب
فمدة الحكم منك كانت ... اقصر من جلسة الخطيب

فلما انفصل القاضى عبد البر عنها اعيد القاضى برهان الدين بن الكركى الى قضاية الحنفية
كما كان اولا بها وفى ذلك اقول

بقاضى القضاه استبشرت مصر فرحة ... بعوده فى منصب للشرايع
محمد قيل من اولى بمرتبة القضا ... على مذهب النعمان من كل بارع

اشار

اشار اليه بالايادى مليكها ... واومى اليه نيلها بالاصابع

وفى يوم السبت ثانى شهر شعبان فيه طلع جهاز خوند بنت خاص بك الى القلعه فطلع
من بيتها الذى فى قنطرة سنقر وشق من الصليبه وطلع الى القلعة وكان الجهاز كله مغطى
وفى يوم الاثنين رابع شهر شعبان فيه جات الاخبار بان الملك الاشرف جان بلاط قد مات
وهو بالبرج بثغر الاسكندريه وقيل انه مات خنقا وهو فى البرج مقيد فكانت مدة اقامته
فى البرج بثغر الاسكندريه دون الشهر ومات ودفن بثغر الاسكندريه ثم نقل من بعد ذلك
الى القاهرة كما سياتى ذكر ذلك فى موضعه وفى هذه الواقعة اقول

جنبلاط بدا له ... طالع العكس اظركه
نجمه لاح مخبرا ... بنحوس مشاء بدره
عندما ظن انه ... نال بالملك مقصده
جاءه الموت عاجلا ... فى بروج مشيده

وفى يوم الخميس سابع شهر شعبان فيه طلعت خوند بنت خاص بك الى القلعة وهى ليلة
الدخول على الملك العادل طومان باى فطلعت من بيتها الذى عند قنطرة سنقر وشقت
من الصليبة وهى فى موكب عظيم فى محفة زركش على بغل احمر وهى مرقومة بالذهب
ورصافيات المحفة لولو وكان قدامها الجمع والبخ السلطانيه وطشت وابريق بلور
ومباخر فضه واربع مشاعل بفوط زركش وكان قدامها مشاة من رؤوس النوب
بالشاش والقماش وجماعة من الحجاب ونقيب الجيش والوالى ومن المماليك السلطانيه
والخاصكيه نحو مايتى انسان وكان قدامها المباشرين والخدام واولاد الناس وكان معها
من نسا الامرا واولاد الناس نحو مايتى امراة على مكارية حول المحفة فلما طلعت الى
القلعة فرشت لها الشقق الحرير ولما وصلت الى باب الستاره حل الزمام على راسها
القبة والطير حتى جلست على مرتبتها بقاعة العواميد ولم يتفق هذا لخوند قبلها الا انها
عادت الى القلعة وجلست على مرتبتها على هذا الوجه واقام المهم عمال بالقلعة ثلاثة ايام
وكان بويعد خوند اسنى من الملك العادل طومان باى فى العمر وقد نظمت فى هذه الواقعه
قصيدة لطيفه فى المعنى كما تقدم ذكره فقلت

عاودت خوند الى سرور ثانى ... مذ زوجت بالعادل السلطان
فى وجهها الاقبال والبشر الذى ... يثنى الوجه به بكل لسان
طلعت كشمس الافق ضمن محفة ... تجلى كحور العين وسط جنان
فى موكب يحكى مواكب قيصر ... صاحت على كسرى انوشروانا
لما اتت عند الصعود لقلعة ... نثرت عليها الدر بالعقيان
عادت الى الاوطان فى بشر وفى ... عز واقبال وصفو زمان
قالت مراتب عزها مذ اقبلت ... عاد السرور بمقدم السكان

واستبشرت دارايها سكنت وقد رقصت لها طربا على الميدان
وتبسمت ازهار اغصان الربا نوحا بها فى روضة البستان
بحر السماح عند ابراحة كفها تروى العطاش بمنهل الاحسان
وبجود من فيض الندا بمكارم فيكون منه شفا للظمان
والله يكفيها مونة حاسد ويطيل ايامها بامان
ماماس غصن فى الرياض وكلت ايدى الغمام شقايق النعمان

وفى يوم السبت تاسع شعبان فيه نفق السلطان على العسكر نفقة السلطنة وفى حادى عشره توجه المقر السيفى دولات باى نايب الشام الى السفر وخرج بغير طلب وفيه اخلع السلطان على الامير طوغ المحمدى واستقر به نايب القلعة وفى ثامن عشره اخلع على القاضى شمس الدين ابن المنصور واستقر كاتب الخزينة الشريفه مشاركا للقاضى صلاح الدين بن الجيعان وفى هذا الشهر قبض السلطان على القاضى عبد القادر القصروى ناظر الجيش واعيد القاضى شهاب الدين احمد بن ناظر الخاص كما كان وفى خامس عشرينه غيب الامير خشكلدى البيسقى وكان السلطان قد رسم له بان يتوجه الى القدس بطالا فلما هرب تغير خاطر السلطان على الامير اصطمر بن ولى الدين لكون انه صهر خشكلدى ولما كان مستهل شهر رمضان رسم السلطان للخليفة المستمسك بالله بان ينزل من القلعة ويسكن فى بيته اقا دير كما كان وفى يوم الاثنين ثالث شهر رمضان انفصل القاضى صلاح الدين بن الجيعان من كتابة السر ثم ان السلطان اخلع على القاضى محمود بن اجا الحلبى الحنفى واستقر به كاتب السر واخلع على الشهابى احمد واستقر به نايب كاتب السر بمصر وفيه نفق السلطان على العسكر الكسوة لكل واحد ثلاثة الاف درهم وفى يوم السبت تاسع شهر رمضان اخلع السلطان على القاضى علاى الدين بن الامام واستقر به ناظر خاص عوضا عن ابن الصابونى بحكم وفاته وفى ذلك اليوم اخرج السلطان الملك العادل خرجا من المماليك الذى فى الطباق نحو خمسماية مملوك وانعم عليهم بخيل وقماش وصار ذيسموهم العادليه بين المماليك وفى هذا الشهر كثر الاضطراب بمصر واشيع بين الناس ان الاشرف قانصوه خمسماية موجودا وسيظهر فصاروا يكبسون بسببا ذلك البيوت والحارات فى كل يوم وليلة جماعة كثيرة من المماليك والخاصكيه مع الوالى وجماعة من الامرا وهم لابسون آلة الحرب فكبسوا عدة اماكن من بيوت الامرا وغيرهم وفى هذا الشهر عرضوا كسوة الكعبة الشريفه والبرقع ومقام ابراهيم عليه السلام على السلطان فى الحوش وكان ظهر يوما مشهودا **ولما كان** يوم الاحد سلخ شهر رمضان فيه وثبوا المماليك على الملك العادل ولبسوا آلة الحرب وظهرت الامرا الذين كانوا قد اختفوا من ايام الاشرف جان بلاط وهم الاتابكى تانى بك الجمالى والامير خشكلدى البيسقى والامير مصرباى الدوادار والامير جان بردى الغزالى الذى كان الملك العادل نفاه الى قوص وهرب

فى اثنا

فى اثنا الطريق فلما تحقق الملك العادل ان هذه الوكبة عليه نزل الى باب السلسله وجلس فى المقعد المطل على سوق الخيل فلم يطلع عليه احد من الامرا فحصل فى ذلك اليوم بعض قتال هين ثم ان الملك العادل نادى فى القاهرة ان الطايع يطلع الى القلعة فلم يطلع احد اليه من العسكر وتسحب من كان عنده فى القلعة من الامرا والعسكر فلما دخل عليهم الليل فراى الملك العادل بعين العقل وقد تسحب من كان عنده من العسكر فاد سمع الملك العادل الا انه هرب تحت الليل هو والامير تمرباى الخازندار وكانت ليلة عيد الفطر فحصل للناس مشقة عظيمة فى تلك الليلة كون انها ليلة عيد وكانت ابواب الامرا مزينة والناس فرحانين بالعيد فحصل هذا النكد فى تلك الليلة ولما نزل الملك العادل من القلعة واختفى ماجت المدينة واضطربت واستمر العسكر لابس آلة الحرب فى تلك الليلة وظهر من كان مختفيا من الامرا والمماليك وفى هذه الواقعة اقول

فى ليله العيد انى سلطاننا كل الضرر
فلم تكن كسرته الا لمح بالبصر

وكان سبب هذه الفتنة فى ذلك اليوم ان الملك العادل كان قد عول على مسك جماعة من الامرا فى يوم العيد وهم مجتمعون فى جامع القلعة وقت صلاة العيد فلما بلغ الامرا ذلك وثبوا عليه اخر يوم من شهر رمضان ليلة العيد فهرب فى تلك الليله واختفى **فكانت** مدة سلطنة الملك العادل ابى النصر طومان باى بالديار المصرية ثلاثة اشهر وعشرة ايام وهى عبارة عن مابين يوم هذا خارجا من سلطنته بدمشق فلما كان يوم العيد اجتمع الامرا فى بيت الامير اشرف قانصوه خمسماية الذى عند قناطر السباع وحضر الى عندهم الاتابكى تانى بك الجمالى وكان مختفيا من ايام الملك العادل فلما انقضت صلاة العيد طلع الاتابكى تانى بك الجمالى ومعه جماعة من الامرا وعلى راسه الصنجق السلطانى فظن الناس ان تانى بك الجمالى هو السلطان ولا يشكوا فى ذلك فلما طلعوا الى باب السلسلة اشاعوا بين الناس والعسكر ان قانصوه خمسماية موجودا فى قيد الحياة ثم اشتهر والكذا فى القاهرة فان بعد ستة ايام ان لم يظهر قانصوه خمسماية فيولوا من يختاره الله تعالى فانفصل المجلس ما لها وانفض العسكر من الرميله ثم من بعد ذلك اجتمعوا الامرا جميعا فى الحراقة فى باب السلسلة واشتوروا فيمن يولوه سلطانا فارضوا العسكر بالاتابكى تانى بك الجمالى ولا بالامير قيت الرجبى امير سلاح ثم وقع الاتفاق من الامرا والعسكر على سلطنة المقر السيفى **قانصوه الغورى** امير دوادار كبير فاحضروا له خلعة السلطنة فامتنع من ذلك كل الامتناع وصار يبكى ويدخل على الامرا فى ترك ذلك فلم يسمعوا له شيا والبسوه خلعة السلطنة ولما ارادوا ان يركبوه الفرس وهو بشعار الملك فاراد ان يرمى نفسه من على الفرس فلم يمكنوه من ذلك حتى سلطنوه غصبا فتشاءم له من القدم دون غيره من الامرا فكان كما قيل فى المعنى

تم الجزء الثالث ويتلوه اخبار دولة الملك الاشرف قانصوه الغوري

فتاحش الناس في الدنيا وقد كثرت ، تصنعوها لك ممزوج بتكدير
لم يرزقوها بسعي عند ما شمت ، لكنما رزقوها بالمقادير
لو كان عن طلب يالسعي تدركها ، طار البزاه بارزاق العصافير

انتهى ما اوردناه من اخبار الملك العادل طومان باي على سبيل الاختصار انتهى

تالبنا في نجمه معترد ، بيني من الرخص والمطرب
ناصغى له واسمع احاجيه ، تلهيك من اكل ومن مشرب

ويتلوه اول الجزء الرابع وحوادث سنة اثنين وعشرين

مناقب الاشرف الغوري قد شرفت ، على جميع ملوك الارض في الخبر
لانه العقد في جيد الملوك ولا ، يقاس قط عقود الجذع بالدرر

٩٢٢ ثم دخلت سنة اثنين وعشرين وتسعمائة المباركة فكان مستهل المحرم يوم الاثنين فكان بها خليفة الوقت امير المؤمنين المتوكل على الله محمد بن امير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب عز شرفهما وسلطان مصر بها الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغوري عز نصره واما السادة القضاة الاربعة فالقاضي الشافعي كمال الدين الطويل والقاضي الحنفي قاضي القضاة حسام الدين محمود بن قاضي القضاة سري الدين عبد البر بن الشحنة الحلبي والمالكي قاضي القضاة محيي الدين بن قاضي القضاة برهان الدميري والقاضي الحنبلي قاضي القضاة شهاب الدين الفتوحي ايد الله بهم الاسلام واما عدة الامرا المقدمين فكان عدتهم يوميذ ستة وعشرون اميرا مقدمين الوف منهم ارباب الوظايف ستة وهم الاتابكي سودون العجمي امير كبير وكانت يوميذ امرية السلاح شاغرة والامير اركماس من طراباي امير مجلس والمقر الناصري محمد ولد المقام الشريف امير اخور كبير والامير سودون الدوادارى راس نوبة النوب والامير انسباي مصطفى حاجب الحجاب والامير طومان باي قانصوه اخو السلطان امير دوادار كبير وقد جمع بين الدوادارية الكبرى والاستادارية العالية وكاشف الكشاف واما الامرا المقدمين غير ارباب الوظايف اولهم الامير بخشباي من عبد الكريم نايب طرابلس كان والامير قانصوه من كسباي بن سلطان جركس المعروف بابن اللونز والامير تمر الحسني المعروف بالزردكاش والامير قانصوه ابو سنة الوالي كان السيفي تبشبك وقيل ان السلطان عين تقدمة الى الامير حسين نايب جدة وتوجهت اليه المبشرين من ماتقل والامير طقطباي العلاي نايب القلعة والامير قانصوه كرت من تمرباي والامير جان بلاط المحمدي المعروف بالموتر والامير قانبك العجمي والامير ازدمر الشريفي الناشف والامير تاني بك من تبشبك المعروف بالخازندار والامير قانصوه من تبشبك المعروف برجله نايب قطيا والامير خيربك السيفي اينال والامير قانصوه الغاصي والامير ارنبك من طراباي المعروف بالمكحل والامير بيبرس من عبد الكريم والامير ابرك الاشرفي والامير علان من قراجا وقد جمع بين التقدمة والدوادارية الثانية والامير خذابردي

الاشرفي نايب الاسكندرية والامير اقباي من قانصوه وقد جمع بين امرية اخورية الثانية والتقدمة والامير خايربك من ملباي نايب حلب العلاي المعروف بالمعمار واما نواب البلاد الشامية والحلبية قانصوه الحبيبي سيباي من بخت نجا والمقر السيفي خايربك من ملباي نايب حلب وتمراز الاشرفي نايب طرابلس وجان بردي الغزالي نايب حماه ويوسف الذي كان نايب القدس انتقل الى نيابة صفد ونايب غزه دولتباي وقد اضيف اليه نيابة القدس والكرك مع نيابة غزة واما الامرا الطبلخانات ارباب الوظايف فالامير يوسف الناصري الذي كان نايب حماه شاد الشربخاناه الشريفة والامير مغلباي الشريفي الزردكاش الكبير والامير نوروز تاجر المماليك والامير قانصوه من دولات بردي استادار الصحبة والامير قانبك من بخشباي راس نوبة ثاني والامير طومان باي قرا حاجب ثاني والامير كرتباي الاشرفي والي الشرطة والامير ازدمر المهمندار والشريفي يونس نقيب الجيوش المنصورة والامير بخشباي قرا شاد الشون والامير يونس الترجمان ومعلم المعلمين البدري حسن بن الطولوني وكان الوظيفة بيد ولده احمد من حين كسف بصره وانقطع واما الامرا الروس فكثير لم نوردهم خشية الاطالة واما ارباب الوظايف من اعيان المباشرين المتعممين فالمقر القاضوي المحبي محمود بن اجا الحلبي كاتب السر الشريف وناظر ديوان الانشا ونايبه المقر الشهابي احمد بن الجيعان والمقر القاضوي محيي الدين عبد القادر الشهير بالقصروي ناظر الجيش الشريف والزيني عبد القادر واخوه ابو بكر اولاد المالكي مستوفيان ديوان الجيوش الشريف والمقر العلاي علي بن الامام ناظر الخاص الشريف وناظر الاوقاف وكانت الوزاره يوميذ شاغرة من حين عزل عنها يوسف البدري فكان القاضي شرف الدين الصغير ناظر الدولة ومتكلم في ديوان الوزاره وقد جمع بين نظارة الدولة ومتكلم في ديوان الوزارة وقد جمع بين نظارة الدولة وكتابة المماليك وكانت وظيفة الاستادارية يوميذ بيد الامير طومان باي الدوادار والقاضي ابو البقا ناظر الاسطبل الشريف ومستوفي ديوان الخاص والقاضي عبد الباسط تقي الدين ناظر الزردخاناه والقاضي عبد الكريم بن الادمي مستوفي الزردخاناه والقاضي زين الدين بركات موسى ناظر الحسبة الشريفة وغير ذلك من الوظايف والامير شرف الدين يونس النابلسي استادار العالية كان وناظر الاحباس بدر الدين العيني ونقيب الاشراف السيد الشريف افضل الدين محمد والان صار يتحدث نائبا استيفا ديوان جيش الشام والقاضي كريم الدين اخو القاضي شرف الدين بن الجيعان والشمسي محمد بن القاضي صلاح الدين بن الجيعان يتحدثا في الخزاين الشريفة والشمسي محمد بن ابراهيم الترابيشي يتحدث في وظيفة الزمامية والعلاي علي بن البرديني يتحدث في جهات الديوان المفرد وبردادارية السلطان وعبد العظيم الصيرفي يتحدث في الشون السلطانية وامر العليق وغير ذلك من المباشرين واعيان الدولة واما الاعيان من الخدام الطواشية فان وظيفة الزمامية شاغرة وهي شاغرة من حين توفي الامير عبد اللطيف الزمام والان الامير جوهر بن مصطفى راس نوبة السقاة والامير مرجان من قانصوه

ساقي خوند والامير سنبل العثماني مقدم المماليك ونايبه جوهر الرومي والامير سرور الحبشي شاد الحوش الشريف وغير ذلك من اعيان الخدام **وفي هذه السنة** تكاملت خاصكية السلطان نحو الف وماتين خاصكي من مشتروات ونفر منهم جماعة كثيرة ارباب وظايف ما بين دواداريه سكين وسلحدارية وزردكاشية وامير اخورية دستاه وغير ذلك من الوظايف وقد تكاملت في هذه السنة من الكثرة الطبلخانات والعشراوات فوق الثلثماية امير وقد كثر العسكر وثقل الوزن انتهى ذلك **ولما كان مستهل الشهر** يوم الاثنين جلس السلطان في الميدان وطلع اليه الخليفة والقضاه الاربع وهنوا السلطان بالعام الجديد ورجعوا الى دورهم وفي ذلك اليوم نزل الزيني بركات بن موسى المحتسب وصحبته الامير كرتباي والي القاهرة واشهروا المناداه في القاهرة بالامان والاطمان والبيع والشرا وان لا احد من الناس يكثر كلام وان كل شي على حكمه يبقى في امر المشاهرة والجامعة التي قررت على الحسبة وان لا احد من الناس يخرج من بعد العشا بسلاح ولا يترايا بزي ولا يغطي وجهه في الاسواق ومن فعل ذلك شنق من غير معاودة وان لا احد من الناس يحتمي على المحتسب وقد تقدم القول في الجزء التاسع على ان المماليك الجلبان اثاروا فتنة كبيرة حتى هرب منهم السلطان وتوجه الى المقياس واقام به ثلاثة ايام فمشت الامرا بينه وبين مماليكه بالصلح على انه يعزل الوزير يوسف البدري من الوزاره والامير كرتباي من الولايه والزيني بركات بن موسى من الحسبة ويبطل المشاهرة والجامعة التي قررت على السوقة ارباب البضايع وقد تقدم القول بما كان بسبب ذلك فلما ان طلع السلطان الى القلعة وبات بها فلما اصبح نادى في القاهرة بما تقدم ذكره ولم يفعل شيا مما تقدم ذكره ولم يفعل شيا مما وقع عليه الاتفاق مع المماليك الجلبان فشق عليهم هذه المناداه واشيع الى اثارة هذه الفتنة ثانيا وكثر القال والقيل بين الناس وكانت الناس استبشروا بان السلطان ينادي بابطال المشاهرة والجامعة فلما نادى كل شي على حكمه نزل على الناس حيرة بسبب ذلك **وفي يوم الثلاثا** ثاني الشهر جلس السلطان في الحوش وعرض اغاوات الطباق فلما وقفوا بين يديه وبخهم بالكلام وقال لا تسمعوا المماليك الزناطه التي ترمي بيني وبينكم وتشمتوا العدو فينا وابن عثمان متحرك علينا ولا بد خروج تجريدة عن قريب حصلوا معكم ذهب بينفعكم اذا سافرتم والذي هو منكم متزوج يطلق زوجته ما بقي وراكم الغناير اذا سافرتم في التجريدة فلما سمعوا ذلك شق عليهم وقصدوا يثيروا فتنة في ذلك اليوم وتزايد الاضطراب وماج الناس لوقوع فتنة عظيمة وقد استوعدوا المماليك بن موسى المحتسب بالقتل لانه لما نزل في ذلك اليوم ونادى بان كل شي على حكمه فخلقت جماعته بالزعفران في عمايمهم وشق من القاهرة فتنكد المماليك الجلبان لذلك وقالوا قد سمعت فينا وقال المماليك لم يطلع من ايديهم شيا وقد تخلق جماعته بالزعفران حكارة فينا والله ما نرجع حتى نقتله وقد تقدم القول بان المماليك قالوا للسلطان سلمنا ابن موسى المحتسب نقتله بسبب غلو البضايع

من كل شي

من كل شي في الاسواق **وفي يوم الاحد** سابعه توفي الشرفي يحيي بن القاضي صلاح الدين ابن الجيعان وكان شابا حسن الشكل ضخم الجسد ومات وله من العمر نحو عشرين سنة وكانت جنازته حافلة وفي اثنا ذلك اليوم ركب الزيني بركات بن موسى وشق من القاهرة وقبض على جماعة من السوقة ارباب البضايع وضربهم ضربا مبرحا واشهرهم في القاهرة واشهر المناداه في ذلك اليوم وسعر اللحم والدقيق والخبز والجبن وساير البضايع وكل ذلك من خوفه من المماليك الجلبان **وفيه** حضر الى الابواب الشريفة قاصد من عند سوار الذي تنصب له ابن عثمان عوضا من دولات فحضر صحبته تقدمه فشرويه للسلطان وجودها وعدمها سوا وهي خمسة عشر جمل بخاتي وثمان الاديش وستة ابغال من غير زيادة على ذلك وارسل يترفق للسلطان في مطالعته فاستشار السلطان الامرا بان يقبل منه تلك التقدمه ام يردها عليه فاقامت الامرا عند السلطان الى قريب الظهر ولم يعلم ما وقع عليه الاتفاق في ذلك اليوم **وفيه** خرج الامير طومان باي الدوادار وصحبته الامير ازدمر الكاشف احد الامرا المقدمين فتوجها الى جهة الفيوم ليكشفا على الجسر الذي هناك وقد قيل انه لما كان النيل عاليا في هذه السنة انقلب وكان السلطان قبل وقوع فتنة المماليك المقدم ذكرها قصد ان يتوجه هناك بنفسه ويكشف عن امر هذا الجسر فما تم له ذلك فرسم الى الامير الدوادار بان يتوجه الى هناك ويكشف عن امر هذا الجسر **وفيه** نادى السلطان للعسكر بان يطلعوا الى القلعة بسبب الجموم المنكسرة فطلع الجم الغفير من العسكر فالذي معه وصول بالجم المنكسر نزل تلامهم والذي ما معه وصول بالجم المنكسر لم ينزل وقد تجمع للعسكر من الجموم المكسورة في ديوان الوزارة فوق اربعين الف دينار فثقل امر هذا على السلطان **وفيه** نادى السلطان بان الامير يوسف البدري يظهر وعليه امان الله تعالى وكان مختفيا من حين اسنو عدته المماليك الجلبان بالقتل فظهر في يوم الثلاثا تاسعه فلما قابل السلطان اخلع عليه كاملية بسمور ونزل الى داره **وفي يوم** السبت ثالث عشره رسم السلطان بتوسيط خمسة انفار من المنسر الذي شاع امره في القاهرة وقد قبض عليهم شيخ العرب ابن ابو الشوارب فرسم السلطان بتوسيطهم في ذلك اليوم وكان فيهم شخصا يسمى ابو عز رابل وهو كبيرهم فوسطهم اجمعين **وفي هذا الشهر** او في الشهر الذي قبله كانت وفاة الشيخ العارف بالله تعالى الولي المعتقد سيدي محمد بن عثمان رحمة الله عليه وكان من اعيان المشايخ الصوفية وله شهرة بالصلاحية والاعتقاد بين الناس **وفي يوم الاثنين** خامس عشره حضر الى الابواب الشريفة الامير قانصوه جانبه وكان قد توجه الى طرابلس بسبب المشاه بن الرباب الذي يجرجو امام العسكر في التجريدة فاحضر الاموال صحبته ودخل الى الخزاين الشريفة **وفي يوم الثلاثا** سادس عشره فيه ابتدا السلطان بتفرقة ثمن الجموم الذي مكسورة للعسكر فصار يستدعيهم واحدا بعد واحد مثل تفرقة الجامكية وكان فيهم من له عشرة اشهر مكسورة ومنهم من له اكثر **وفي يوم** الخميس ثامن عشره كان دخول الامير قايتباي احد الامرا

الطبلخانات وهو قريب زوجة الاتابكي قانم التاجر على ابنة الامير طقطبداي نائب
القلعة احد المقدمين فكان هذا هو العرس من الاعراس الحافلة وقيل اجتمع فيه من المغاني
خمسة وعشرين رئيسة وبدوا فيه اسمطة حافلة من الاطعمة الفاخرة وصنعوا فيه شموع
مزهرة وشامات وكان من المهمات المشهورة **وفي يوم** الاثنين ثاني عشر رجب دخل امير حاج
الركب الاول وهو المقر العلائي علي ابن الملك المؤيد فاخلع عليه السلطان ونزل الى بيته
في موكب حافل **وفي يوم** الثلاثاء ثالث عشر رجب دخل الامير علان امير حاج ودخل صحبته
المحمل الشريف وكان يوما مشهودا فطلع الامير علان الى القلعة واخلع عليه السلطان خلعة
سنية ونزل الى بيته في موكب حافل وقد اثنى عليه الحجاج خيرا كثيرا مما فعله في طريق
الحجاز من وجوه البر وقد حصل في هذه السنة للحجاج مشقة عظيمة في مغاير شعيب
بسبب السيل الذي نزل عليهم هناك وهلك من الحجاج في هذه السنة جماعة كثيرة وكان
معهم الغلا موجودا وكانت العربان طائشة في درب الحجاز ولا سيما ما وقع للمبشر في هذه
السنة وقد تقدم القول على ان العرب عروه واخذوا كل ما معه حتى كتب الحجاج فلم يصل
لاحد من الحجاج في هذه السنة مكتوبا ولا علم لهم خبر ولما حضر الامير علان اشيع انه
في مكة قبض على شخص يقال له المعلم احمد الشامي وكان اصله من غلمان الزردخاناه فوجد
معه مال بقيت منه في مكة فلما بلغ امره للامير علان قبض عليه وكان له رفيق تهرب
من هناك فلما دخل احمد الشامي هذا الى القاهرة استرت القضية على ان الواقعة التي
كانت بالقلعة وسرقوا من مال السلطان للمعلم يعقوب اليهودي معلم دار الضرب فلما حضر
احمد الشامي بين يدي السلطان اعترف بذلك فلما اعترف سلمه السلطان للوالي يعاقبه
حتى يتخلص منه المال الذي اخذه ثم ان احمد الشامي اقر على شخص كان معهم لما اخذوا
المال وهو كان بالقاهرة مقيما فلما اقر عليه خاف على نفسه من الضرب فدفع للسلطان
اربعة الاف دينار وقال هذا هو القدر الذي تبقى من المال ولم يحصل شيئا غير ذلك
فلم يكتف منه السلطان بذلك ورسم عليه وشكه في الحديد حتى يحضر بقية المال
الذي سرق من دار الضرب بعد مدة طويلة فعد ذلك من جملة سعد السلطان **وفي يوم**
الخميس خامس عشر رجب حضر قاصد من عند ملك الحبشة اقول ان قصاد ملوك الحبشة
لها مدة طويلة لم يدخل احد منهم الى مصر وقد دخل قاصد من عند ملك الحبشة في دولة
الملك الاشرف قايتباي وذلك في سنة ستة وثمانين وثمانمائة **وفي هذه المدة**
لم يدخل قاصد من عند ملك الحبشة سوى هذا القاصد لان بلادهم بعيدة وما هم شغل
في مصر فلما حضر هذا القاصد عمل له السلطان موكب حافل بالحوش من غير شاش ولا قماش
كما تقدم للاشرف قايتباي فجلس السلطان على المصطبة التي انشاها بالحوش ونشر على راسه
الصحابة الزركش واصطفت الامراء عن يمينه وشماله وكل واحد في منزلته ثم طلع القاصد
من الصليبة وصحبته الامير ازدمر المهمندار وجماعة من رؤوس النوب والمماليك السلطانية

وغير ذلك وكان القاصد معه من اعيان امرا الحبشة نحو خمسة من القواد والبقية كلهم لبط
ومنهم من هو عريان مكشوف الراس وعلى راسه شوشة شعر ومنهم من في اذنه حلق ذهب
قدر الرغيف وفي ايديهم اساور ذهب واما القاصد الكبير ذكروا انه كان ابن امير كبير
الحبشة وقيل ان اباه هو الذي حضر في دولة الملك الاشرف قايتباي فكان على راسه خوذة
مخمل احمر وفيها صفائح الذهب وفيها بعض فصوص وعلى راس الخوذة درة كبيرة مثمنة
وعليه شاياه حرير ملون وعلى بقية امرا الحبشة شاياه حرير ملون وعلى رؤوسهم شدود
حرير وذكروا ان فيهم شخص شريفا فكان مجموع هذه الحبشة الذين حضروا الى مصر نحو ستمائة
انسان واوساطهم مشدودة بحوايص كهيئة الدنانير وكان معه لما شقوا من الصليبة طبلين
على جمل يضربوا عليهما وكان صحبتهم البترك وعليه برنس حرير ازرق وكان اعيانهم راكبة
على خيول والبقية مشاة فطلعوا الى القلعة من سلم المدرج والبترك ماشي قدامهم
فلما وصلوا الى باب الحوش كان صحبتهم كراسي حديد عالية وقصدوا انهم يجلسون عليها
بحضرة السلطان فما مكنوهم رؤوس النوب من ذلك وقد وقع في ايام الملك الاشرف قايتباي
مثل ذلك وطلعوا معهم بكراسي فما مكنوهم من الجلوس عليها بحضرة السلطان فلما وصل
هذا القاصد الى الحوش قبل الارض فلما وصل الى اوائل البساط قبل الارض هو ومن معه من
اعيان الحبشة ولم يدخل قدام السلطان غير سبعة انفس والبقية لم يدخلوا فلما قربوا
فلما قربوا من السلطان قبلوا الارض بين يديه ثالث مرة ثم قدموا كتاب ملك الحبشة
قبلا ثم في ضمن غلاف من الفضة وقيل من الذهب ولما قرئ على السلطان وجد فيه الفاظ
حسنة وتعظيم للسلطان وان قصادنا اتوا الى مصر ليزوروا القمامة التي
بالقدس فلا تمنعوهم من ذلك فاستمروا على اقدامهم واقفين نحو خمس درج حتى قرؤوا
كتابهم ثم انصرفوا ونزلوا من القلعة ورسم لهم السلطان ان يقيموا في ميدان المهارة الذي
بالقرب من قناطر السباع الى ان يسافروا وارسل لهم خيام ضربها لهم من داخل الميدان
ووكل بباب الميدان جماعة من المماليك يمنعون من يدخل اليهم من العوام فلما نزلوا من القلعة
نزل معهم الوالي والمهمندار وجماعة من رؤوس النوب فوصلوهم الى الميدان خوفا عليهم من
العوام ان لا يرجموهم فكان لهم يوما مشهودا فان قصاد ملوك الحبشة لا يدخلون الى مصر
الا قليلا فان بلادهم بعيدة حتى قيل ان هذا القاصد له تسعة اشهر مسافر حتى دخل الى مصر
ثم ان القاصد ارسل الى السلطان تقدمة لم تكن كبيرة امر قيل قومت بنحو خمسة الاف
دينار او دون ذلك فلما عاينها السلطان وقع الذي طلع له واحضر له بنحو اربع هدايا
ملوك الحبشة الى الملوك السالفة مثل الاشرف برسباي والظاهر جقمق والاشرف قايتباي
وغير ذلك من الملوك واحضر عدة تواريخ يذكر فيها هدايا ملوك الحبشة الى ملوك
مصر فزاد عليه ولكن ضعف امر ملوك الحبشة بالنسبة الى ما كانوا عليه من قديم
الزمان حتى نقل بعض المؤرخين ان كان لملوك الحبشة على النيل سنون مملكة لا ينازع

بعضها بعضا فيما بايديهم من الاراضى التى هناك والآن قد ضعف امرهم بالنسبة الى ما كانوا عليه من قبل ذلك وقد ارسل بعض الملوك الحبشة تقدمة للملك الاشرف الناصر محمد ابن قلاوون فى سنة اثنى عشر وسبعماية فقومت بمايتى الف دينار او اكثر من ذلك حتى عدت من النوادر فوان قاصد الحبشة اقام فى الميدان ثلاثة ايام وسافر هو ومن معه من الحبشة الى القدس ليزوروا القمامة **وفيه** حضر الامير طومان باى الدوادار وقد تقدم القول على انه سافر الى جهة الفيوم هو والامير ازدمر الناشف ليكشفا على الجسر الذى هناك وقد انقلب من الما وكان السلطان قصد ان يتوجه الى هناك بنفسه فتم له ذلك فلما توجه الامير الدوادار الى هناك قدروا على عمارة هذا الجسر نحو ثلاثين الف دينار فلما رجعا اخبر السلطان بذلك **وفيه** اخلع السلطان على شخص يقال له شمس الدين السكندرى وقرره اماما عوضا عن الشيخ محيى الدين الشاذلى الامام بحكم وفاته **قيل** ان شمس الدين السكندرى سعى فى هذه الوظيفة بالف ومايتى دينار حتى قرر بها **وفيه** احتمل السلطان نفقة ثمن اللحوم التى كانت منكسرة للعسكر وقيل ان السلطان اخرج من الخزاين الشريفة خمسة عشر الف دينار وسلمها للقاضى شرف الدين الصغير ناظر الدولة يشترى بها اغنام بسبب نفقة لحوم المماليك وقال ما بقيت اكسر للعسكر لحوم وقد ثقل عليه ما اصرفه للعسكر بسبب اللحوم التى كانت منكسرة لهم حتى قيل ان ما اصرف فى حركة نفقة اللحوم فوق الاربعين الف دينار عن ما قيل واستمر على الوزارة شاغر من حين عزل عنها يوسف البدرى **وفيه** نادى للعسكر بان كل من كان له فرس او اكثر فى الديوان يطلع فيتبقى ثمنه من حين تحقق السلطان ان ابن عثمان زاحف على البلاد السلطانية وهو يأخذ بخواطر المماليك الزاعقة ويرضيهم بكل ما يمكن واصرف لهم اللحوم التى كانت منكسرة واعطاهم ثمن الخيول التى كانت لهم فى الديوان **وفيه** اخرج السلطان خرجا من مماليكه الغورية ففرق عليهم فى ذلك اليوم زردياتا وسيوفا وتراكيش وقسى ونشاب وكانوا نحو ثلثماية مملوكا **وفيه** توفى الامير قنبك من ططوك احد الامرا الطبلخانات وهو ابن عم الاتابكى ازبك من ططخ وكان قد شاخ وكبر سنه وعجز عن الحركة **وفيه** ارسل السلطان الى عبد الرزاق اخو دولات والى اولاده على دولات الكبار والصغار ثمانية الاف دينار تقسمت بينهم وارسل يقول لهم اعملوا بهذه النفقة يرقكم واخرجوا اسافروا قبل خروج التجريدة فاجمعوا عساكركم من التركمان الى ان احضر انا والعسكر **وفيه** ارسل السلطان مكاحل حديد ومدافع صوان الى ثغر الاسكندرية وغيض فى مراكب الى هناك فكانوا نحو ماتين مكحلة وقد بلغه بان ابن عثمان جهز عدة مراكب تجى على السواحل للديار المصرية **وفيه** نادى السلطان فى القاهرة بان اصحاب الدكاكين والاملاك ينظفوا الاراضى من الاسواق والشوارع فامتثلوا ذلك وشرعوا فى العمل لكن حصل للناس مشقة زايدة فى الصرف على ذلك الجماعة الوالى والترابة فى نقل التراب وقد وقع له مثل ذلك فى اوايل

سلطنته فى سنة ست وتسعماية وقطع الطرقات قاطبة وادعى ان الاراضى قد علبت وقد تقدم لى ان قلت فى ذلك

فى دولة الغورى قد راينا العجب ، وقد حملنا فوق ما لا نطيق
وقد كفى ذا عامنا ما قد جرى ، من قلة الامن وقطع الطريق

وفى يوم الخميس خامس عشريه اظهر السلطان العدل واشهر المناداة عن لسان السلطان فى سوق اهل مصر العتيقة وبولاق بان المكوس الذى كانت تؤخذ على الغلال بطالة وكانت مظلمة عظيمة من البدع المنكرة وهو انه كان يؤخذ على كل اردب قمح او شعير او فول يباع او يشترى نصف فضة وكان الاشرف قايتباى ابطل ذلك فلما تسلطن ابنه الملك الناصر اعاد هذه المظلمة فلما تسلطن الاشرف قانصوه الغورى تزايد الامر حتى صار يؤخذ على كل اردب ثلاثة انصاف من البايع والمشترى وصار رسمى الوجب ثم اشتغلوا من الغلال الى ان جعلوا على البطيخ مكسا ايضا فاستمر ذلك مدة طويلة الى ان الهمه الله تعالى السلطان الى ابطال ذلك جميعا **وفى يوم** السبت سابع عشريه كان دخول الامير الماس احد الامرا العشراوات على ابنة الامير قانى باى قرا امير اخور كبير كان فكان ذلك المهم من المهمات المشهورة وحضر فى هذه المدة الاتابكى سودون العجمى والمقر الناصرى محمد نجل المقام الشريف وساير الامرا من كبير وصغير وكان يوما مشهودا **وفى يوم** الاثنين تاسع عشريه احل السلطان نفقة ثمن الخيول التى كانت للعسكر وعوق بعض اللحوم التى كانت منكسرة لجماعة من مباشرى الزردخاناه وفى ذلك اليوم طرق السلطان اخبار رديه بسبب ابن عثمان فتنكد لذلك وطلع هو والامرا يضربوا مشورة فى امر ابن عثمان **وفى يوم** الثلاثا سلخ هذا الشهر اشهر السلطان المناداة فى القاهرة للعسكر بالعرض يوم الخميس وان لا يتاخر عن العرض احد من العسكر من كبير ولا صغير فاضطربت لذلك احوال العسكر قاطبة **وفى يوم** الاربعا مستهل صفر طلع الخليفة والقضاة الاربع للتهنية بالشهر فقال السلطان للخليفة لما جلس اعمل بوقك الى السفر وكن على نبيظة فانا مسافر الى حلب بسبب ابن عثمان وقال للقضاة الاربع مثل ما قال للخليفة اعملوا يرقكم وكونوا على نبيظة حتى تخرجوا صحبتى فقالوا الرسوم مرسومك **وفى ذلك اليوم** اخلع السلطان على شخص من الفقرا يقال له شهاب الدين بن الوردى وقرره اماما عوضا عن عبد الرزاق بحكم وفاته وقيل انه سعى فى ذلك بالف دينار حتى قرر بها **وفى يوم** الخميس ثانيه جلس السلطان بالميدان وعرض العسكر من كبير وصغير وكتب الجامكية فعرض فى ذلك اليوم اربع طباق ولم يتخلف من العسكر احد **وفى ذلك اليوم** كانت وفاة الامير خيربك بن اينال احد الامرا المقدمين ويعرف بكاشف الغربية واصله من مماليك الامير اينال الاشقر امير سلاح كان وقد ساعده الاقدار باشى العسكر حتى بقى كاشف الغربية ثم انعم عليه السلطان بتقدمة الف وسافر الى الحجاز باشى العسكر فى التجريدة التى خرجت بسبب الحجاز فى

وانتصر على العربان من قبيلة بنى ابراهيم فحز رؤسهم وارسلها الى القاهرة وكان مسعود
الحركات فلما مات نزل السلطان وصلى عليه وكانت جنازته مشهودة وكان فى سعة من
المال فخلف من الموجود مالا يحصى **وفى يوم** السبت رابعه عرض السلطان مماليك خاير
بك المتوفى واخذ منهم ما اختاره وارسلهم الى الطباق ثم ارسل رسم على اولاد خاير بك
وعلى مباشرينه وشكهم فى الحديد وكان الامير خاير بك كتب وصية وبرّا جماعته فلم
يلتفت السلطان الى وصيته **وفى اثناء** هذا الشهر كانت وفاة الشيخ نور الدين على المحلى
رحمة الله عليه وكان يعرف بنزيه وكان من اعيان علما الشافعية وله شهرة زايدة بين الناس
وفى الحوادث فى هذا اليوم ما وقع لعلم الدين جلبى السلطان وهو انه كان ساكنا فى
الحسينية وكان السلطان رسم للوالى بان يباشر قطع اراضى الاسواق بنفسه فلما انتهى
فى القطع الى الحسينية واحد واحد من حمام الجمالين حتى ينقلوا عليها التراب الذى
يقطعونه من ذلك جماعة علم الدين مع مماليك الوالى فجاء عبد علم الدين فى الحمام فقال علم
الدين اضربوا مماليك الوالى فافتكوا منهم وضربوهم ضربا مبرحا حتى نجوا بعضهم وكسروا
ايدى بعضهم فلما سمع الوالى بذلك ركب واتى الى علم الدين فاغلظ عليه علم الدين فى القول
وربما سفه على الوالى فقبض الوالى على عبد علم الدين الذى ضرب مماليك الوالى ثم وضعه
فى الحديد ثم طلع الوالى الى السلطان واحضر مماليكه الذى ضربوا بين يدى السلطان
فلما عاين السلطان ذلك شق عليه ما فعل علم الدين فى حق الوالى فلما طلع علم الدين الى عند السلطان
وظن ان السلطان يقوم فى ناصره فلما عاين السلطان علم الدين رسم لنقيب الجيش بان
يقبض على علم الدين ويمضى به الى الوالى يوسطه فصمم السلطان على توسيطه فقبض نقيب
الجيش على علم الدين وقلع سلاريه من عليه وفك ازرار ملوطته واركبه على بغلة
ومضى به الى عند الوالى يوسطه فاستدرك الوالى نزوله فى هذه الواقعة وركب
فى اثناء ذلك اليوم واتى الى امير كبير سودون العجمى وترامى عليه بسبب علم الدين بان
يطلع يشفع فيه عند السلطان من التوسيط فطلع امير كبير فشفع فيه فقبلت شفاعته
ثم ان الوالى البس علم الدين كامليه صوف سمور وطلع الى السلطان ليبوس الارض فنثر
فيه السلطان لما راه وقال له الزم بيتك ولا ترينى وجهك ابدا فقيل ان علم الدين خدم
السلطان بمال له صورة حتى رضى عليه وخدم الوالى ايضا بمال لكنه استمر ممنوعا من
الطلوع الى القلعة من بعد ذلك وقد تزايد هذا الامر الغشروى حتى خرج عن الحد وكان
علم الدين لما قرر السلطان طاش وكان فى خدمة السلطان من حين كان امير عشرة وكان
علم الدين عنده من المقربين وصار يلبس سلارى بكم قصير مثل الامرا العشراوات ويشق
القاهرة والركبدار قدامه يمشى فى شقته يفسح له الطريق وطغمه بجحق دار وعلى كتفه
بوطه حرير وهو راكب على بغلة عالية فكانت المماليك كلما راوه يلعنونه فى الباطن ويا له
كانت صافية وربما يوعدوه بالقتل فانه اصله كان من ابنا السياسة التى بالحسينية

وعنده كثافة فى طبعه وقلة فضيلة فكان كما قيل فى المعنى

نقصت عقلا وفهما	وزدت شحما ولحما
ورثت طالوت جسما	ولم ترث منه علما

وفى يوم الاثنين سادسه جلس السلطان بالميدان وعرض من العسكر فى ذلك اليوم
اربع طباق **وفى الحوادث** اللطيفة فى ذلك اليوم ان السلطان امر بابطال المشاهرة
والجامعة التى كانت على الحسبة واشهر المناداة فى مصر والقاهرة بسبب ذلك وان
محتسب الحجرى الذى كان يوخذ على الغلال بطالا فارتفعت له الاصوات بالدعا بالنصر
وانطلقت له الثنا بالزغاريت من الطبقات وتعطفت الناس المشاعلية بالفضة الذى
بشروا بهذه البشارة وكان يوما مشهودا قلت فى هذه الواقعة هذه الابيات

قد جاه سلطان الورى	بعدله فى القاهرة
مذ رخص الاسعار مع	ابطاله المشاهرة
كم جابر من فرحة	يدعوله مجاهرة
وكم حزين قلبه	بالكسر اضحى جابرة
وقد عفى عن الثنا	من المكوس الجائرة
دام فى الحكم الذى	ارضى به عساكره
فارتفعت ايدى الورى	له بفضل شاكره
وحاز اجرا ناله	من الدنيا والاخرة
وقد علانا وبجه	بين النجوم الزاهرة
لا نرى فى عصره	بين الملوك نادرة
يا لها من سنة	خيراتها مبادرة
فكم له فى الخير من	انعام برظاهرة
يا رب فاجعل يده	بكل صابغ طائرة

وكانت هذه المشاهرة من اكبر اسباب الفساد فى حق المسلمين فان الوسايط السوء حسنوا
للسلطان بان يجعل على السوقة فى كل شهر مال يرد ونه للمحتسب فتزايد الامر الى ان صار
مقررا على السوقة فى كل شهر فوق الفين دينار من هذه الجهة وغيرها من الجهات التكلم
عليها الزينى بركات بن موسى وكان جماعة من الامرا الذى يغير اقاطيع يحال فى كل شهر
على الزينى بركات بن موسى بما يحصل من المشاهرة والجامعة فكانت السوقة يحجزون على اسعار
البضايع ولا يحسبرا احد من الناس يكلمهم فيقولون علينا مال للسلطان نوزده فى كل شهر
فاستمر ذلك من اول دولة السلطان الى ان الهم الله تعالى ابطالها **وفيه** وجد مملوكا من
من مماليك السلطان مقتولا بباب الوزير وكان ذلك المملوك من جلبانه وكان مسارعا
ولا يعلم من قتله فتنكد المماليك بسبب ذلك **وفى يوم** الثلاثا سابعه عرض السلطان

الامرا المقدمين والامرا الطبلخانات والعشراوات وقد دار عليهم نقيب الجيش واعلمهم ان العرض
يوم الثلاثا فطلعوا اجمعين ستة عشر اميرا واما الامرا الطبلخانات والعشراوات فلم
يبقى منهم احدا الا القليل وقال لهم الذي له عذر يبوتز عن السفر يذكره لي فاعفى منهم جماعة
وفي يوم الخميس تاسعه اكمل السلطان عرض العسكر قاطبة ولم يبقى منهم احدا وفي ذلك
اليوم اخلع السلطان على القاضي بركات بن موسى وقرره ناظر الدخيرة الشريفة كما كان
شمس الدين بن عوض ولم يبعد الزيني بركات الى الحسبة فنزل من القلعة في موكب حافل
وصحبته الامير طومان باي الدوادار وقدامه السعاه ماشية وشق من الصليبة واستمرت
الحسبة شاغرة الى الآن لم يليها احد وفي يوم الجمعة عاشره صلى السلطان صلاة الصبح ونزل
الى الميدان ثم خرج من باب الميدان الذي عند باب القرافة وتوجه من هناك الى الروضة وعدى
الى المقياس واقام به ذلك اليوم واشيع ان السلطان يتوجه من هناك الى الفيوم ليكشف على
امر الجسر الذي انقلب هناك من ايام وقد توجه الامير طومان باي دوادار والامير ازدمر
الناشف الى هناك قبل ذلك وكشفوا عن امر الجسر فقدروا عليه ثلاثين الف دينار نفرق
على عمارته وقيل اكثر من ذلك فلم يكتفي السلطان بهذه الاخبار وتوجه الى هناك بنفسه ليكشف
عن امر هذا الجسر فكان صحبته من الامرا المقدمين وهم الاتابكي سودون العجمي والامير اركماس
امير مجلس والامير سودون الدوادري راس نوبة النوب والامير اسباي حاجب الحجاب
والامير طومان باي الدوادار والامير تمر الزردكاش احد المقدمين وبعض امرا عشراوات
ونحو خمسين خاصكيا وبعض جماعة من المباشرين واقام في المقياس يوم الجمعة وصلى الجمعة
وعدى الى الجيزة ونصب له وطاق عند الاهرام فنام ذلك اليوم هناك ثم توجه الى الفيوم
من تحت الجبل ومن الوقايع الغريبة ان السلطان لما غضب على علم الدين الحلبي بسبب
ما تقدم فاستمر علم الدين ممنوعا من طلوع القلعة فقال السلطان لمحمد المهتار ابصر لنا
حلبي يحلق راسي فاعرض عليه عدة حلبية فما اعجبه منهم احد فقال له محمد عندنا صبي
صغير امرد وسمى عبد الرزاق اصله من باب الوزير وهو يتيم وكان يحلق لجماعة
من الخدام وهو يحلق مليح فقال السلطان احضره حتى يحلق لي فلما احلق له اعجبه حلاقته
فاستقر به حلبي السلطان عوضا عن علم الدين فسافر هذا الصبي مع السلطان الى الفيوم
وانعم عليه بكسوة حافلة واخرج له اكديشا وبغلة وصار حلبي السلطان في ساعة واحدة
واذا اعطى لا مانع والله عند القلوب المنكسرة جابر فعد ذلك من النوادر والعبد يسعد
لا بابيه ولا بجده وقيل في الامثال السائرة في الناس من قسمه وفعله جميع ادبار وفي
يوم الاثنين ثالث عشره خرج عبد الرزاق اخو دولات واولاد علي دولات الذي
كانوا احضروا الى مصر فلما حضروا ارسل اليهم السلطان ثمانية الاف دينار عملوا بهم يرق
وخرجوا وسافروا في ذلك اليوم وقصدوا التوجه الى حلب وفي يوم الخميس سادس
سادس عشره جلس نائب القلعة وقدم المماليك عند باب القلعة وفرقوا الجامكية على

المماليك

على المماليك والعسكر في غيبة السلطان على جاري العادة وفي يوم الاحد تاسع عشره حضر السلطان
من الفيوم وعدى من الجيزة فلاقاه الخليفة والقضاة الاربع فشق من الصليبة وقدامه القضاه
الاربع والاتابكي سودون العجمي وسائر الامرا المقدمين واعيان المباشرين وانجب الجنايب
قدامه وطلع الى القلعة في موكب حافل وكانت مدة غيبته في الفيوم نحو عشر ايام فكشف على
الجسر الذي هناك وعاد وقدم عليه تقادم كثيرة من الكشاف ومن المدركين ما بين خيول
واغنام واتبان ما شيع بين الناس وغير ذلك من التقادم الفاخرة وقيل لما توجه الخليفة
يسلم على السلطان فلم يجتمع به هناك فطلع بعد العصر الى القلعة وسلم على السلطان وهناه
بالسلامه ومن الحوادث في ذلك اليوم لما عدى الى الجيزة كان في ذلك ريح عاصفة
فغرقت مركب قدام المقياس وقد ازدحمت فيها الخيول وشبت على بعضها فاشيع ان المركب
قد انقلبت بما فيها ثم خمدت تلك الاشاعة عن ذلك الخبر وفي يوم الاثنين عشرينه كان
فطر النصارى وهو اول يوم في الخماسين وكانت خماسين مباركة لم يظهر فيها شي بمصر
ولا باعمالها قاطبة وفي يوم الخميس ثالث عشرينه اشيع بين الناس ان النيل قد زاد
نصف ذراع وكان النيل يومئذ في اثنا عشر ذراعا وثلاث اصابع فزاد على ذلك نصف
ذراع وكان ذلك في شهر برموده وسبب هذه الزيادة ان الامطار كانت باعلا بلاد
الصعيد فانحدرت السيول الى النيل فزاد هذه الزيادة في غير اوانها وقد وقع مثل ذلك
في بعض السنين الماضية وزاد فيها النيل في غير اوانه بسبب السيول فزاد نحو ذراعين
وفي يوم السبت خامس عشرينه جلس السلطان في الميدان وعرض الامرا الطبلخانات والعشراوات
ورؤس النوب فلما عرضهم قال لهم اعملوا يرقكم وكونوا على نقطة من السفر ثاني النفقة واخرج
في جمعتي فنزلوا على ذلك وفي يوم الخميس سلخ هذا الشهر حضر ساع وقيل اثنان من عند
نائب حلب وعلى ايديهما مطالعة فلما قرئت على السلطان فاذا فيها ان شاه اسماعيل الصوفي
ملك العراقين جمع من العسكر ما لا يحصى وهو زاحف على بلاد ابن عثمان وكان في سنة
عشرين وتسعمائة حصل بينه وبين سليم شاه ملك الروم وقعة مهولة وقد تقدم القول
على ذلك وانكسر اسماعيل شاه الصوفي كما تقدم فاستمر الصوفي من حين جرى له ما جرى
وهو في جمع عساكر واستعان بملوك التتار فقيل انه جمع الجم الغفير من العساكر فان ابن عثمان
كان قد قتل غالب عسكره في الوقعة المتقدم ذكرها فلما راج امر الصوفي وجمع العساكر فقصد
الزحف على بلاد ابن عثمان فقيل انه كبس على جماعة ابن عثمان الذي كانوا في امد وقد ملكها
من يد الصوفي فلما تحاربا معه وانكسر الصوفي فجعل ابن عثمان نايب من قبله فاشيع ان الصوفي
كبس على من كان بامد على حين غفله وقتل من كان فيها من العثمانية واستخلصها من يد جماعة
ابن عثمان وانتصر عليهم فلما طرق السلطان هذا الخبر اجتمع بالامرا في الميدان واقاموا
في ضرب مشورة بسبب ذلك الى قرب الظهر فاشيع ان السلطان قال انا اخرج بنفسي
واقعد في حلب حتى انظر ما يكون من الصوفي وابن عثمان فان كل من انتصر منها على

على عزمه لابد ان يزحف على بلاده فانفض المجلس على انه لابد من خروج تجريده تقيم
بحلب وتحرس البلاد الحلبية واشيع في ذلك اليوم باحضار الكشاف ومشايخ العربان
والزمهم ان يشرعوا في تحصيل عشرين الف خيال من العشير وفرسان العرب ويوزعوا ذلك
على ساير البلاد من الشرقيه والغربيه وجهات الصعيد وهذا اكبر اسباب الفساد في حق
الجند والمقطعين فان الكشاف ومشايخ العربان يأخذوا في هذه الحركه من البلاد المثل
عشره امثال لانفسهم والامر في ذلك لله تعالى وفي شهر ربيع الاول كان مستهله
يوم الجمعة فطلع الخليفة والقضاة الاربع وهنوا السلطان بالشهر وقيل ان السلطان
ارسل شمس الدين بن ناشى وبركات ابن الظريف بنجم التوا الى الخليفة وهو يقول اعمل برقك
الى السفر فان لابد من سفر السلطان الى حلب وانت تنشي وتخرج في شهر واحد فتنكد الخليفة
لهذا الخبر وفي يوم الاحد ثالثه جلس السلطان بالميدان وعرض خاصكيه الخواص وعين
منهم جماعة الى السفر ثم طلع ودخل الى قاعة البيسرية وفتح الحواصل واخرج منها
عدة سروج بلور وعقيق وكنابيش زركش وسروج ذهب وبركستوانات فولاد
مكفته بذهب وغير ذلك وافرد منهم ماحسن باله لاجل الطلب اذا اخرج وسافر
وهذا كله حتى يشاع بين السلاطين سفر السلطان الى حلب وفي يوم الثلاثا خامسه
جلس السلطان بالميدان وعرض الامرا الطبلخانات والعشراوات والزم كل امير بان
يستخدم عنده مماليك فمن منهم قيل خمسة ومن منهم قيل ثلاثه ومن اثنان بحسب
الطاقه والزمهم ان بعد المولد يعرضهم ثانيه بالميدان وهم باللبس الكامل والخود
المطلقه وكل من لايفعل ذلك يخرج عن امرته ويجعله طرخان وفي يوم الثلاثا المذكور
اعلاه نزل القاضي شهاب الدين بن الجيعان النايب كاتب السر عن لسان السلطان الى امير
المومنين المتوكل على الله بسبب عمل برق الخليفة في الاقامة القديمه ان الخليفه اذا
سافر صحبة السلطان يكون جميع برقه على السلطان فكتب الخليفة قوايم بمبرو فعمل
البرق فكان ذلك بعشرة الاف دينار وقيل خمسة الاف دينار فاخذ الشهابي احمد
تلك القوايم وطلع الى القلعة حتى يعرضهم على السلطان وفي اخر هذا الشهر اخلع
السلطان على الامير طراباي الذي كان نايب صفد واعاده الى نيابة صفد كما كان وعزل
عنها يوسف الذي كان نايب القدس وولي نيابة صفد عن قريب وله دون السنه وعزل
عنها وفي يوم الاربعا خامسه جلس السلطان بالميدان وعرض مماليكه الجلبان قاطبة
وعينهم الى السفر صحبته اجمعين ولم يبقى عن احد منهم سوى المماليك الصغار الكتابية
المرد وفي يوم الخميس سادسه رسم السلطان للطواشية بان تدور على المماليك البطالة
واولاد الناس الذي كان السلطان قطع جوامكهم بان يطلعوا يوم السبت للعرض فالذي
يصلح للسفر يعيد السلطان له جامكيته ويكتبه للسفر ثم من بعد ذلك ظهر ان اشاعة
رد الجوامك التي قطعت فلما كان يوم السبت ثامنه جلس السلطان بالميدان

وعرض

وعرض جماعة من المماليك القرانصه الشيوخ والعواجز واولاد الناس اصحاب الجوامك فلما
عرضهم عين منهم جماعة للشرقيه يكونوا مع الكاشف حين يخرج وعين منهم جماعة مع كاشف
الغربيه وجماعة منهم الى البحيرة وجماعة منهم الى الطرانه وجماعة الى المنوفيه وجماعة الى
منفلوط وجماعة الى الجيزه والزمهم بان يكونوا مع الكشاف لرد العربان اذا ظهر منهم فساد
في البلاد في غيبة السلطان اذا سافر وقد قويت الاشاعات بسفر السلطان الى حلب
وقد دارت الطواشيه على المماليك القرانصه واولاد الناس بسبب هذا العرض حتى عينت
هذه الجماعة الى هذه الجهات المذكورة لا بسبب رد الجوامك التي كانت قطعت للمماليك
العواجز واولاد الناس واستقرت هذه الواقعة على ما ذكرناه اعلاه وفي يوم الاحد
عاشره نزل السلطان وعدا الى بر الجيزه وعرض جمال الامير خاير بك كاشف الغربيه
التي توفي ثم عاد وطلع الى القلعة ودخل الى قاعة البيسرية وعرض في ذلك اليوم كابر
وقرقلات وجواشن وغير ذلك اشيا كثيرة من آلة السلاح من حواصل الذخيره وفي يوم
الاثنين حادي عشره عمل السلطان المولد الشريف النبوي على العاده ونصب الخيمة العظيم
التي صنعها الملك الاشرف وهذه الخيمة كهيئة قاعة فيها لواوين ثلاثه وفيها قبة على
اربعة اعمدة لم يعمل في الدنيا قط لها نظير وهي من قماش ملون وهذه الخيمة لا ينصبها
الا نحو ثلاثماية رجل من النواتيه وقيل ان مصروفها ستة وثلاثون الف دينار ونصبها
بالحوش ونصب الشربداريه في الحوش احواض جلد مملوة بالما الحلو وعلقوا شوكا
بالكيزان الفاخرة ووضعوا الاواني الصيني والطاسات النحاس وارسعوا في زينة
الشربخاناه الزينة الفاخرة اكثر من كل سنة ثم جلس السلطان في الخيمة وحضر الاتابكي
سودون العجمي وساير الامرا المقدمين وغيرهم وحضر القضاة الاربع من اعيان الناس
والمباشرين على العادة ثم حضر قرا البلد قاطبة على العادة والوعاظ ثم مدوا السماط
الحافل واوسعوا في امره وكان ذلك مشهورا وابهج مما تقدم من الموالد الماضيه وفي
يوم الخميس رابع عشره ورد على السلطان مطالعة من عند سيباي نايب السلطان بالشام
وقد بلغه حركة سفر السلطان الى البلاد الشاميه فارسل يقول له يا مولانا السلطان
ان البلاد الشاميه مقلبه والعليق والتبن ما يوجد والزرع في الارض لم يحصد
ولا ثم عدو متحرك ولا يتعب السلطان سره ولا يسافر وان كان ثم عدو متحرك فيخلو له
له كتابة فلم يلتفت السلطان الى كلامه واستمر باقي على حركة السفر الى حلب وفي يوم الاثنين
ثامن عشره اخلع السلطان على الامير ازدمر الكاشف احد المقدمين وقرره امير حاج
بركب المحمل واخلع على الامير برسباي القتيل احد الامرا الطبلخانات وقرره امير حاج الركب
الاول نزل من القلعة في موكب حافل وفي ذلك اليوم اخلع السلطان على الامير
الماس احد الامرا العشراوات ويرف بدوادار سكين وقرره في ولاية الشرطيه بالقاهره
عوضا عن الامير كرتباي بحكم انتقاله الى تقدمة الف وكان الامير كرتباي من اعيان

بماليك السلطان وولى كاشف الشرقية وولاية القاهرة ثم انعم عليه السلطان بتقدمة الف
وقيل ان الامير الماس سعى في الولاية باحد واربعين الف دينار منها عشرين الف دينار
معجلة والعشرين يدفعها على نقدات منجمة وفي ذلك اليوم اخلع السلطان على مملوك
الامير ماماي الصغير وقرره في نظر الحسبة الشريفة عوضا عن الزيني بركات بن موسى
في الحسبة بحكم انتقاله الى استادارية الذخيره وكانت مدة اقامة الزيني بركات
ابن موسى في الحسبة احد عشرة سنة الا اشهر وعزل والناس عنه راضيه قيل ان الامير
ماماي الصغير سعى في الحسبة بخمسة عشر الف دينار حتى وليها وكانت الحسبة والولاية
في قديم الزمان من اقل الوظائف ووليها جماعة كثيرة من اولاد الناس والفقها ولكن
عظم امرهما في الوظيفتين الى الغاية وصاروا من اجل الوظايف وهذه الاموال العظيمة
التي سعوا بها هولا ما يتخلصوها من اضلاع المسلمين والامر الى الله وفي ذلك اليوم
نفق السلطان على العسكر نفقة السفر وقد تحقق امر خروج التجريدة فنفق على كل مملوك
مائة دينار وجامكية اربعة اشهر بثمانية الف وثمن جل سبعة اشرفية ثم ان السلطان
كتب اولاد الناس قاطبة الى السفر ولم يعطهم نفقة بل اعطاهم جامكية اربعة شهور
بثمانية الاف وكان سبب ذلك ان القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك
قال للسلطان انا نظرنا في بعض التواريخ ان الملك الظاهر برقوق لما خرج للتجريدة
لم ينفق على اولاد الناس شيئا فاعجب السلطان من ذلك وقطع نفقة اولاد الناس
قاطبة فكثر عليه الدعا من اولاد الناس بسبب ذلك وكانت هذه الواقعة من اعظم مساويه
في حق اولاد الناس وحصل لهم كسر خاطر وفي يوم الاحد سابع عشره ظهر احمد
ابن الصايغ كان عند الزيني بركات بن موسى في الحسبة وكان له مدة وهو مختفي
فظهر في ذلك اليوم وقابل السلطان ثم خدامه ولم يجتمع مع وجود الزيني بركات
ابن موسى وفي يوم الخميس حادي عشرينه وقف جماعة من اولاد الناس الى السلطان
بسبب النفقة فلما وقفوا ساعدهم الامير علان الدوادار وبقية الامرا فلم يرق لهم
السلطان وقال انا ما عندي نفقة الذي ما له قدرة على السفر يرد الاربع شهور
الذي اخذها وانا اترك له شهر ويقعد يستريح وعنى يقطع جامكيته فرد جماعة
كثيرة الاربعة اشهر الذي اخذوها واستمر امرهم مبني على السكون وفي يوم الاربعا
ويوم الخميس نفق السلطان على بقية العسكر النفقة وفي يوم السبت ثالث عشرينه
اكمل السلطان النفقة على العسكر قاطبة من قرانصه وجلبانه ونادى لهم في الحوش انا
السفر اول الشهر فاضطرب احوال العسكر وارتجت القاهرة وعز وجود الجمال والبغال
وصارت المماليك يهجموا الطواحين وياخذوا منها الجمال والبغال والاكاديش
فتعطلت الطواحين قاطبة وامتنع الخبز من الاسواق وكذلك الدقيق ووقع الخبط
بين الناس وضج العوام وكثر الدعا وغلقت اسواق القماش من المماليك واختفت

الصنايعة

الصنايعيه والخياطين واضطرب احوال القاهرة واختفى جماعة من التجار خوفا من
المماليك واختفى طايفة من الغلمان لاجل السفر وصارت احوال مصر مثل يوم القيامة
كل واحد يقول روحي وقد عاب العسكر على السلطان هذا الوهج الذي يبتغ منه ولم يمشي
على طريق الملوك السالفة عند خروجهم الى السفر ولم يكن امرا يستحق لهذا الوهج العظيم
ولا جات اخبار بان ابن عثمان قد وصل الى حلب ولا جا لبيشه ولا تحرك من بلاده وقد
عاب على السلطان ايضا عرضه لعسكر مصر قاطبة في اربعة ايام ونفق عليهم مع المرضى
فخشوا ان يشاع هذا الخبر في بلاد ابن عثمان وبلاد الصوفي ان السلطان قد عرض عساكره
في اربعة ايام فينسبوهم الى القلة وان ما قر بمصر عسكر وربما يطمع العدو واذا سمع
بذلك وما كان هذا عين الصواب وفي يوم السبت المقدم ذكره ارسل السلطان
نفقة للامرا المقدمين فارسل للاتابكي سودون العجمي خمسة الاف دينار والامير اركماس
امير مجلس والامير سودون الدواداري راس نوبة النوب والامير اسنباي حاجب
الحجاب لكل واحد اربعة الاف دينار وبقية الامرا المقدمين الذين هم بغير وظايف
لكل واحد منهم ثلاثة الاف دينار واين هذه النفقة من النفقة التي كانت يرسلها الاشرف
قايتباي للامرا المقدمين عند خروجهم الى تجاريد ابن عثمان فكان يرسل للاتابكي ازبك
وحده ثلاثون الف دينار والامير تمراز امير سلاح عشرون الف دينار والامير مجلس
مثل ذلك وبقية الامرا ارباب الوظايف لكل واحد منهم خمسة عشر الف دينار وبقية
الامرا المقدمين لكل واحد منهم عشرة الاف دينار حتى عد ذلك من النوادر الغريبة
ولم يفعل الاشرف قايتباي ذلك الا في اخر تجاريده لابن عثمان سنة خمس وتسعين
وثمانماية فبلغت نفقة الامرا قاطبة دون الجند مائة الف دينار وفي يوم الاحد
رابع عشرينه نزل السلطان وتوجه الى المدرسة التي بالشوايين فاقام بها الى بعد
العصر فاشيع انه قد عرض موجود خوند زوجته التي توفيت فان حواصلها كانت
هناك فظهر موجود عظيم ما بين ذهب وفضة عين ونصوص وقماش فاخر وفي يوم
الاثنين خامس عشرينه نفق السلطان على الامرا الطبلخانات والامرا العشراوات وصار
يستدعيهم واحدا بعد واحد مثل تفرقة الجامكية فاعطى لكل امير طبلخاناه خمسماية
دينار واعطى لكل امير عشرة مائتا دينار واما الخليفة فلم يرسل له نفقة فحصل
للخليفة غاية المشقة وترامى على جماعة من الامرا في ان يترضوه مبلغا بقايه ودخل
في جملة دين وهذا الامر قط لم يتفق لان السلطان اذا سافر البلاد الشامية وصحبته
الخليفة ان يخرج بلا نفقة وكانت عادة جميع برك الخليفة اذا سافروا يكون على السلطان
وكانا يرسل اليه خمسماية دينار لاجل جوامكه من ماله فلم يلتفت السلطان لشي
من ذلك ووقع معه في امر النفقة وكان الخليفة مظلوما مع السلطان في هذه الواقعة
ثم انه عرض المماليك الزائفه الشيوخ العواجز وكتب منهم جماعة الى الاقاليم بلا نفقة

وكانوا نحو خمسمائة مملوك **وفي يوم** الثلاثاء سادس عشرينه نزل السلطان من القلعة وتوجه
الى الريدانية ورتب الزردكاشية كيف ينصبوا الوطاق اذا برز السلطان ورتب منازل
الامراء كيف يكون منازل السلطان في الريدانية **وفي ذلك** اليوم رسم السلطان بان
ولده امير اخور كبير بان يعمل يرق وديوانا في صحبته وكان في الاول رسم بان يكون مقيما
بباب السلسلة الى ان يحضر السلطان ثم بطل ذلك ورسم ان يشرع في عمل يرق **وفي يوم**
الجمعة ثامن عشرينه الموافق لسادس بشنس القبطي فيه خلع السلطان الصوف ولبس
البياض **وفيه** كان اول جمعة خوند زوجة السلطان التي توفيت فصنع لها السلطان
مدة حافلة وحضر هناك الخليفة والقضاة الاربعة وجماعة من الامراء المقدمين **وحضر**
قراء البلد قاطبة والوعاظ وكانت ليلة مشهودة بمدرسة السلطان التي بالشرابشيين
وفي ربيع الاخر كان مستهله يوم السبت فجلس السلطان بالميدان وطلع اليه الخليفة
والقضاة الاربع فهنوه بالشهر وعادوا الى بيوتهم **وفي ذلك اليوم** اخلع السلطان على ولد
المقر المشار حسن الشربدار الذي تقدم ذكر وفاته وقرره في وظيفة ابيه في مهترة الشربخاناه
عوضا عن ابيه بحكم وفاته **وفي يوم** ثانيه فرق السلطان على مماليكه الجلبان لبوس خيل
جديد ملون وخود واتراس وبدلات ما بين زنود وركب فولاد وغير ذلك من آلة
السلاح التي في الزردخاناه فتزاحمت عليه المماليك وصاروا يخطفوا اللبوس السلاح
بايديهم ولم يرضوا بالذي يفرقه السلطان فعجز عن رضاهم في ذلك اليوم وكثر تمردهم
في هذه الايام الى الغاية **اعجوبة** قيل ان امراة ولدت ولدا له راسان واربع
ايدي واربعة ارجل فلما شاهده السلطان تعجب منه وقيل وقع مثل ذلك في زمن الامام
علي رضي الله عنه **ومن جملة** انعام الله تعالى على المسلمين ان السلطان ابطل تلك الرماية
التي كان اوردها على البلاد الشرقية والغربية والصعيد وقد تقدم القول على ان السلطان
قصد ان ياخذ معه في التجريدة جماعة من الخيالة من فرسان العرب يكونوا امام العسكر
وقت الحرب فاحضر مشايخ العربان والكشاف واورد عليهم نحو خمسمائة خيال وقيل
خمسة الاف خيال ونزلوا الى البلاد قاطبة وصاروا يزيدوا على كل بلد خيالين بمائة
دينار وعلى البلاد الكبيرة اربع خيالة بمائتي دينار فلما سمعوا هذا اهل النواحي من الفلاحين
بذلك اخلوا من البلاد وتركوا زرعهم في الارض ورحلوا وخرب بعض بلاد في هذه
الحركة فلما بلغ الامراء ذلك وقفوا للسلطان وشكوا له من ذلك وعلى ان غالب البلاد
خرب واخلى منها الفلاحين واغلظوا الامراء على السلطان في القول وقالوا له نحن نسافر
معك ونخرب بلادنا في اين ناكل ولمن ندبينا اذا سافرنا فاستحى منهم السلطان
وامر بابطال ذلك واخرج مراسيم شريفة الى الكشاف ومشايخ العربان بابطال ما كان
رسم به في الاول واعادة ما اخذ من الفلاحين بالنواحي فخرجت المراسيم الشريفة الى البلاد
بمنع ذلك ولو استمر على قوله الاول لخربت مصر عن آخرها ووقع بها الغلا العظيم من خراب

البلاد

البلاد ولله الحمد على ذلك **ومن الحوادث** ان السلطان ابنة الامير خاير بك كاشف
الغربية احد الامراء المقدمين وهي زوجة الامير تاني بك الخازندار احد الامراء المقدمين
وهي التي كانت وقع لها ذلك الامر الفاحش المتقدم ذكره فلما صادرها قرر عليها مالا
ثقيلا له صورة فارسل رسم على جماعة من الطواشية فلما تحققت ذلك شرعت في بيع جهازها
وجميع ما تملكه من صامت وناطق **وكان** سبب ذلك ان لما توفي والدها الامير خاير بك
تكلموا الاعداء في حقها بانها اخذت من مال ابيها ثلاث قدور فيها مال جزيل له جرم
فارسل طلبها فلما حضرت بين يديه سالها عن ذلك فانكرت وحلفت انها ما رات تلك
القدور والذهب الذي اتهموها بها فحنق منها السلطان وقال لها انتي ذنبك يعني
نظير الصبي الذي وجدوه عندها فحلف السلطان ان لم تحضر بالمال الذي اخذته
من مال ابيها والا يغرقها وصمم على ذلك **فلما** جرى ذلك شرعت في بيع جهازها حتى
ترد المال الذي قرر عليها فصار في كل يوم سبت وثلاث يحضر الزيني بركات بن موسى
وجماعة من المباشرين ويبيعوا قماشها مثل التركة وقد وقع لها كما وقع لابنة يشبك
الدوادار زوجة الامير قانباي امير اخور كبير وقد وقع مثل هذه الواقعة بينهما وصودرت
وباعت جهازها وقماشها وجوارها مثل التركة وغلقت ما عليها من المال وقد تقدم ذكرها
وفي يوم الخميس سادسه انفق السلطان للعسكر المتوجه للسفر نفقة المحرم المنكسرة لهم
على ثلاثة اشهر لكي ينفقوا سلوانهم ولم يعرف للذي تاخروا بمصر شيئا واخاهم على الطباقيين
بمصر نواهم في غيبته **وفي ذلك** اليوم برز السلطان خيامه الى الريدانية وقد تحقق
امر سفره الى البلاد الشامية ثم نادى بالميدان ان كل من جهز يرق ولا بقي له عائق يخرج
ويبرز ويتقدم قبل خروج السلطان ولكن الى الآن لم يعلق جاليشه وكانت العادة
اذا سافروا الى البلاد الشامية يعلقوا الجاليش قبل خروجهم باربعين يوما فلم يمشي
السلطان على طريق الملوك السالفة **وفي يوم** الخميس المذكور ارسل السلطان الى امير
المومنين محمد المتوكل على الله نفقة السفر على يد حسام الدين الالواحي بواب الدهيشة
الف دينار وكان الساعي له في ذلك الامير طومان باي الدوادار الكبير ولولاه ما كان
ارسل له شي فان القضاة الاربع ارسل يقول لهم اعملوا يرقكم ولم يرسل لهم شي ابدا
من النفقة وقد حصل لهم غاية الطفشة والشفقة لان من حين سافر الاشرف برسباي
الى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة لم يخرج الخليفة ولا القضاة الاربع الى البلاد الشامية
صحبته وكان للخليفة والقضاة على السلطان عادة اذا سافر الى البلاد الشامية يرسل
لهم نفقة فتغافل السلطان عن ذلك ثم بعد ايام ارسل السلطان الى الخليفة سيفا
مسقط بالذهب على يد شخص من الزردكاشية يقال له محمد العادلي وقد تقدم القول
على انه ارسل له توسعة خام حرير فكان مجموع ما حصل له من السلطان من الانعام ذهب
وغير ذلك دون الالفين دينار وقد تكلفت الخليفة في هذه الحركة على مصروف يرقه

وغير ذلك نحو خمسة الاف او اكثر من ذلك وفي يوم الجمعة سابعه خرج جماعة كثيرة
من مماليك السلطان وتوجهوا الى السفر نحو البلاد الشامية وقد نادى لهم السلطان من
قبل ذلك ان كل من جهز نفسه يخرج ويسافر قبل خروج السلطان فصار يخرج في كل يوم
جماعة من العسكر شيئا فشيئا ولم يسافروا وفي ذلك اليوم حضر خليفة سيدي احمد البدوي
رحمة الله تعالى عليه وقد حضر بطلب من السلطان فلما سمع ذلك تقلق واظهر انه ضعيف
ولم يقدر يسافر فحنق منه السلطان والزمه بالسفر ولم يقبل له عذرا وارسل يقول لخليفة
سيدي احمد الرفاعي رحمة الله تعالى عليه اعمل برقك حتى تسافر صحبتي فلما تحقق القضاه
سفر السلطان اخذوا في اسباب عمل برقهم وعينوا معهم جماعة كثيرة من النواب فتقلقوا
في امر السفر فعند ذلك اوضعوا القضاه الاربع على نوابهم مبلغ له صورة كل واحد منهم
على قدر مقامه فقامت النايرة والاشلة على القضاه بسبب ذلك فلما بلغ السلطان
ذلك انكر على القضاه هذه الفعله فلما كان يوم الجمعة طلع قاضي القضاه الشافعي كمال
الدين الطويل وصلى بالناس صلاة الجمعة ثم استاذن في الدخول ودخل عليه وهو بالدهيشه
فلما جلس بين يدى السلطان شرع يحلف له انه لم يدخل كيسه شي مما قرروه على النواب
وانما النواب الذين عينوا للسفر قالوا اجعلوا كلفتنا على النواب الذين يقيمون بمصر فلما
سمع السلطان ذلك قال لا تشوشوا على احد من النواب ولا تاخذوا منهم احدا بالغصب
فالذي يسافر من تلقا نفسه يسافر والذي ما يسافر لا تغصبوه على السفر فبطلت
تلك الحادثة الشنيعة ولله الحمد بعد ما كان جماعة من النواب شرعوا في بيع قماشهم وكتبهم
وقد حصل لهم الضرر بسبب ما قرروه عليهم كما تقدم ولم يقع للقضاه مع نوابهم مثل
ذلك لما سافر الاشرف برسباي الى امد وفيه عرض السلطان غلمان البيوتات
من الفراشين والبابيه والركبخاناه والجاريين والشربداريه وغلمان الزرد خاناه
من الشغطية وغير ذلك وطلب الامير علم الدين يحكم على الطبال والزمار والزمه
ان يعرض على من يسافر صحبته من الطبالين والزمارين والنفريين من كيسه وقال انتم
تاكلوا معلوم هذه الوظيفة عدة سنين فانفق عليهم من عندك والا عندنا من يلي هذه
الوظيفة ويفعل ثم اعرض مفاني البركه وهم احمد ابو سنة والمحوجب والمحلاوي
وعينهم بان يسافروا صحبته ثم عرض هولا المذكورين ولم ينفق عليهم شيئا بل امر
لهم جامكية اربع شهور لا غير ولا يعطيهم نفقة وقال لهم انتم تاكلوا جوامك السلطان
كم سنة فعند ما سافرت تطلبوا مني نفقة وكان قبل ذلك لما قرروا القضاه على نوابهم
مبلغا صاعلة للنواب الذي يسافروا فاقرر شمس الدين الطريني نقيب القرا على جماعة
من القرا والوعاظ والموذنين ان يسافروا صحبة السلطان كما فعلوا القضاه في نوابهم
وفي يوم الاحد تاسعه حضر الى الابواب الشريفة العجمي الشنقجي نديم السلطان
الذي كان توجه بالاتيان الى نايب الشام ونايب حلب وقد ابطا مدة طويلة حتى اشاعوا
موته غير ما مرة فظهر ان السلطان ارسله الى شاه اسماعيل الصوفي في الحفية في خبر سر
بين السلطان وبين اسماعيل كما اشيع ذلك بين الناس وفي يوم الاثنين عاشر ربيع الاخر
خرج طلب السلطان وكان من خلص امره انه خرج بالطلب من الميدان قبل طلوع الشمس ومشى
به من الرميله ونزل به من حدره البقر وطلع به من الصليبة وكان ما اشتمل عليه ذلك
الطلب انه جر فيه خمسة عشر نوبتر هجن باكوار زركش وكنابيش زركش وخمسة عشر
نوبة باكوار مخمل ملون واما الخيول فثلثماية فرس منها ماية فرس بير كستوانات
فولاد مكفت بذهب وجواشن مكفته بالذهب وشي مخمل ملون ومنها ثلاث طوابيل
بكنابيش زركش وسروج بدادي وطبول بازات وكان في الطلب اربعة وعشرون تختا
باغشية حرير اطلس اصفر وكجاوتين مخمل زركش وهما انجو شنان وكان فيه ستة
خزاين باغشية حرير اصفر وكان فيه محفتان على البغال باغشية حرير اصفر وكان بالطلب
اروس خيل خاصات منها اثنان بارقابيه مزركش وكنابيش وسروج بلور مزيكه
بذهب ومنى عتيق وطبول بازات بلور مزيكه بذهب وكان به فرسين بكنابيش وسروج
ذهب وعليها غواشي ذهب وعليها هلالات ذهب عوضا عن الطيور وكان راكبا
بالطلب بعض امرا عشرات ودوس نوب بالشاش والقماش وبعض خدام من الطواشية
وكان راكبا من المباشرين القاضي محمود بن اجا كاتب السر والقاضي محيي الدين التغري
ناظر الجيش والقاضي علاى الدين بن الامام ناظر الخاص والقاضي شهاب الدين احمد
بن الجيعان كاتم السر والقاضي ابي البقا ناظر الاسطبل والقاضي بركات بن موسى
المحتسب والقاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك وناظر الدوله والشرفي يونس
النابلسي الاستادار والقاضي كريم الدين الجيعان واولاد المالكي وغير ذلك
من المباشرين ثم جا الصنجق السلطاني والجرت الكوسات والصناجق السلطانية
والخليفة وكان به اربع طبول واربع زمور وعشرة احمال كوسات وكان عادة طلب
السلطان ان يكون به اربعين حمل من الكوسات ففي طلب السلطان من الرميلة واصطف
وانجم الغفير من الناس بسبب الزحمة على الطلب فلما مر الطلب لم يعجب الناس واستقلوا
الخيول الذي به وقال من ادرك طلب الاشرف برسباي لما خرج الى امد كان في طلبه
الف جنيب دوابه فرس مزينة بالبركستوانات المخمل الملون والفولاد وميز بعض الناس طلب
يشبك الدوادار لما خرج الى سوار على طلب السلطان وشكره على هذا الطلب وكان ارتب
من طلب السلطان ونزل مرعلى باب الوزير ودخل من باب زويله وشق من القاهرة
وكان يوما مشهودا حتى رجت له القاهرة في ذلك اليوم فاستمر يمضي حتى خرج من باب
النصر وتوجه الى المخيم الشريف بالريدانيه وفي ذلك اليوم خرج سيدي امير المومنين
المتوكل على الله وكان قدامه طبلين وزمرين ونفير ولم يخرج في ذلك اليوم غير
طلب السلطان فقط وكانت العادة القديمة ان يخرج السلطان عقب طلبه ثم تمضي

اطلاب الامرا بعدما شيا فشيا فلم يمشى السلطان على النظام القديم وخالف عوايد
الملوك فى اشيا كثيرة من افعاله منها انه لم يجلس الجاليش على الطبلخانات كعادة
الملوك السالفة فانهم كانوا يعلقوا الجاليش ويعرضوا العسكر ثم ينفق عليهم نفقة السفر
ويستمر الجاليش معلق الى ان يخرج السلطان ولو بعد شهرين وقد حكى عن الظاهر برقوق
لما جرد الى تمرلنك خرج طلبه فتنحب من باب الميدان وكان الظاهر برقوق يرتب طلبه
بنفسه وهو راكب على فرسه وفى يده طبر وصار يكر بفرسه من باب الميدان الى الصوه
قيل ان السلاطين المتقدمة كانوا يخرجون الى البلاد الشامية عند ما تنتقل الشمس الى برج
الحمل فى اوايل فصل الربيع والوقت رطب واما الغورى فانه سافر فى وقت الحر والشمس
فى برج السرطان فحصل للعسكر مشقة فى الطريق واما العادة القديمة كان السلطان
يخرج من التراب من القاهرة ولا يشق القاهرة الا عند العود وكان السلطان الغورى
لا يقتدى الا براى نفسه فى جميع الامور وفى يوم الخميس ثالث عشره اشيع بين الناس
ان شخصا من مماليك السلطان الجلبان يقال له جانم الاينجى وكان مخزما عايقا
مسرفا على نفسه فبلغ السلطان انه لما خرج صحبة المماليك السلطانية فصار جانم هذا
يخطف كل شى لاح له ويوذى الناس بطول الطريق فلما بلغ السلطان ذلك
ارسل مراسيم شريفة الى ارباب الادراك بانهم يقبضوا عليه ويشنقوه حيث وجدوه
فقيل انهم قبضوا عليه وشنقوه على شجرة فى بلبيس وهو بقماشه وسيفه وتركاشه
ووضعوا اغلاله فى الحديد الى ان اتوا بهم الى المقشرة وفى يوم الجمعة رابع عشره
نزل السلطان من القلعة وتوجه الى الزيارة وزار قبر الامام الشافعى والامام الليث رضى
الله عنهما وكان صحبته ولده امير اخور كبير وقيل تصدق فى ذلك اليوم بمال له جرم
وفى ذلك اليوم نزل سنجق السلطان وتوجه الى الريدانية وكذلك الامرا خرج
سنجقهم فلما كان يوم السبت خامس عشر ربيع الاخر خرج السلطان الملك الاشرف
ابو النصر قانصوه الغورى خرج الى البلاد الشامية والحلبية وللناس مدة طويلة
لم راوا سلطانا خرج الى البلاد الشامية على هذا الوجه من حين توجه الاشرف برسباى
العلاى الى امد وذلك فى منتهى سنة ثلاثين وثمانماية المدة نحو سبعين وثمانين سنة
فلما كان صبيحة يوم السبت المذكور اجتمع ساير الامرا المقدمين عند السلطان بالميدان
وهم بالشاش والقماش فاخلع السلطان فى ذلك اليوم متمر واطلسين على الامير
اركماس من طراباى امير مجلس وقرره فى امرية السلاح وكانت شاغرة من حين قرر الامير
سودون العجمى فى الاتابكية فكانت عدة الامرا المقدمين الذين تعينوا للسفر صحبة الركاب
الشريف خمسة عشر اميرا منهم ارباب الوظايف خمسة وهم المقر الاتابكى سودون
من جانبك الشهير بالعجمى والمقر السيفى اركماس امير سلاح والمقر الناصرى محمد بن
المقام الشريف امير اخور كبير والمقر السيفى سودون الدوادار راس نوبة النوب

والمقر

والمقر السيفى قانصوه بن سلطان جركس وتمر الحسنى الشهير بالزردكاش وعلان
من قراجا دوادار ثانى احد المقدمين والامير قانصوه كرت والامير بيبرس قريب
السلطان والامير ابرك الاشرفى والامير قنباى الطويل امير اخور ثانى احد المقدمين واما
الامرا الطبلخانات من ارباب الوظايف منهم الامير يوسف الناصرى شاد الشربخاناه والامير
مغلباى الشريفى الزردكاش الكبير والامير قانبك من بخشباى راس نوبة ثانى والامير
طومان باى قراجا حاجب ثانى وغير ذلك من الامرا الطبلخانات واما الامرا العشراوات
فعين منهم جماعة كثيرة يخرجون الى السفر صحبة الركاب الشريف واما الامرا الذين
تخلفوا بالقاهرة وهم المقر السيفى طومان باى امير دوادار كبير اخو السلطان وقد تعين
ان يكون نايب السلطنة عن السلطان الى ان يحضر والامير طقطباى نايب القلعة احد
المقدمين والامير ازدمر الشهير بالناشف والامير قانى بك لحا احد المقدمين وكان
قرر امير حاج المحمل والامير قانصوه الفاجر احد مقدمين الالوف والامير بخشباى
احد المقدمين وكان توجه الى الفيوم بسبب عمارة الجسر الذى هناك والامير خاير بك
المعمار احد المقدمين وكان مقيما بثغر رشيد بسبب عمارة الابراج الذى هناك والسور
الذى هناك والامير خداى بردى نايب اسكندرية احد المقدمين وكان مقيما بها
والامير قانصوه الشهير برحلوا احد الامرا المقدمين نايب قطية وكان مقيما بها فلما
فلما اشرقت شمس يوم السبت خامس عشر ربيع الاخر المقدم ذكره انسحبت الامرا
المقدمين الذى تقدموا صحبة الركاب الشريف فكان اولهم طلب الامير كرتباى احد
المقدمين وهو الذى كان والى القاهرة وبعده طلب الامير اينباى الطويل امير اخور ثانى
احد المقدمين وبعده طلب الامير تانى بك الخازندار وبعده طلب الامير ابرك
الاشرفى احد المقدمين وبعده طلب الامير علان من قراجا الدوادار الثانى احد
المقدمين وبعده طلب الامير بيبرس قريب السلطان وبعده طلب الامير
جان بلاط الشهير بالموتر وبعده طلب الامير قانصوه كرت وبعده طلب الامير
تمر الحسنى الشهير بالزردكاش وبعده طلب الامير قانصوه سلطان جركس
وبعده طلب الامير انسباى من مصطفى حاجب الحجاب وبعده طلب الامير سودون
الدوادارى راس نوبة النوب وبعده طلب المقر الناصرى محمد نجل المقام الشريف
امير اخور كبير وبعده طلب الامير اركماس من طراباى امير مجلس وقد قرر فى ذلك
امير سلاح ثم من بعد ذلك مشى طلب الاتابكى سودون من جانى بك الشهير
بالعجمى وكان طلبه غاية فى الحسن فلما انقضى امر الاطلاب خرج السلطان من باب
الاصطبل الذى عند السلم المدرج فخرج وقدامه المقير السلطانى المسمى بالبرغشى
وهو فى موكب عظيم قل ان يتفق لسلطان ان يتم له موكب مثل ذلك الموكب
فكان اول الموكب الافيال الثلاث وهى مزينة بالصناجق ثم تزاد فى العسكر المنصور

بالشاش والقماش ثم الامرا الودس النوب بالعصى ينحون الناس وقد ترادفت الامرا
الطبلخانات والامرا العشرات قاطبة ثم ارباب الوظايف من المباشرين منهم المعز
القاضوي محب الدين محمود بن اجا الحلبي كاتم السر الشريف ومنهم ناظر الجيش محب
الدين احمد بن الجيعان نايب كاتم السر ومستوفي ديوان الانشا الشريف والشيخ شرف
الدين الصغير ناظر الدولة الشريفة وكاتب العساكر المنصوره والشيخ بركات بن
ابي موسى ناظر الحسبة الشريفة واستادار الذخيره والشرفي يونس النابلسي كاتب
جيش الشام واستادار العاليه كان والقاضي ابو البقا ناظر الاسطبلات الشريفة واولاد
الجيعان كتاب الخزاين الشريفه واولاد الملكي كتاب استيفا الجيش وكتاب الزرد خاناه
وغير ذلك من ارباب الوظايف من المباشرين والشرفي يونس نقيب الجيوش المنصوره وكان
حاضرا هذا الموكب السادة الاشراف اخوة الشريف بركات امير مكة فكانوا قدام الامرا
المقدمين ثم تقدمت الامرا المقدمين قاطبة وصحبتهم ولد السلطان المعز الناصري امير
اخور كبير والى جانبه الاتابكي سودون العجمي ثم من بعد ذلك تقدمت السادة القضاة
الاربع مشايخ الاسلام وهم قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل والقاضي الحنفي
حسام الدين محمود بن الشحنة وقاضي القضاة المالكي محيي الدين يحيى بن الدميري وقاضي
القضاه الحنبلي شهاب الدين احمد الفتوحي الشهير بابن النجار ثم من بعدهم اتى امير
المومنين المتوكل على الله محمد بن المستمسك بالله يعقوب العباسي وهو لابس العمامة
البغدادية التي بالعذبتين وعليه قبا بعلبكي بطراز اسود حرير لم يكن على راسه صنجق
خليفتي وقد اختصر في هذا الخليفة اشيا كثيرة مما كان يعمل الخلفا المتقدمين من
اقاربه ثم مشت الجنايب السلطانيه فكانوا طو الذين خيل بعراقي وسروج بغواشي حرير
اصفر وطبول بازات وطو الذين خيل بركا ببيش وسروج ذهب وبيانز زركش
وبعضهم بسروج بلور مزيك بالذهب وشي عقيق مزيك بمينه وقد تقدم امير الطلب
بما شرح من وصفه قبل ذلك ثم تقدمت جماعة من الودس النوبا مشاة والجاويشيه
والطبردارية مشاة قدامه بالاطيار ولم يكن قدامه لاوطان ولا شبابة سلطانيه
كما هي عادة السلاطين في المواكب ثم مشت السبع والجامع معطية بالحرير الاصفر
ومشى المجوزي بالمجرة قدامه ثم اقبل السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري
عز نصره وكان الخليفة قدامه بنحو عشرين خطوة وكان السلطان راكبا على فرس اشقر
بسرج ذهب وكنبوش وعلى راسه كلسوتا وهو لابس قبا بعلبكي ابيض بطرز ذهبا
على حرير اسود عريض قيل فيه خمسماية مثقال ذهب بنادقي وكان ذلك اليوم في
غاية الابهة والعظمة فلما كان حسن الهيئة تملا منه العيون مجلا في الموكب ثم اقبل
والصنجق السلطاني على راسه ومقدم المماليك سنبل العثماني خلفه وصحبته السلحدارية
بالشاش والقماش والجم الكثير من الخاصكية والجمدارية فدخل من باب زويلة وشق

القاهرة

القاهرة في ذلك الموكب الحافل فارتجت له القاهرة في هذا اليوم وضجت الناس له بالدعا
من العوام وغيرهم وانطلقت النسا بالزغاريت من الطيقان فاستمر في ذلك الموكب
حتى خرج من باب النصر وكان يوما مشهودا ثم وصل الى المخيم السعيد بالريدانيه ثم في
عقيب ذلك اليوم نزلت خوجخانات فيها ما بين ذهب وفضه وقيل ان ثمنها من
الذهب العين الف الف دينار خارجا عن المعادن وقد فرغ الخزاين من الاموال التي جمعها
من اوايل سلطنته الى ان خرج في هذه التجريدة وفرغ ايضا حواصل الذخيره واخذ ما فيها
من التحف والة السلاح الفاخرة مما كان بها من ذخاير الملوك السالفة من سروج ذهبا
وبلور وعقيق وغير ذلك من كنابيش زركش وطبول بازات بلور وبسط وبركستوانات
مكفته واكوار زركش وغير ذلك من التحف الملوكية فانزل جماعة من كتاب الخزانة
صحبة الخوجخانات وجماعة من الخازندارية وهم بالشاش والقماش فكانت ثلاث
الخوجخانات محملة على خمسين جمل ثم نزلت الزرد خانة وهي محملة على ماية جمل وقدامها
طبلان وزمران وعبدان تفر على جمال فتوجهوا الى الوطاق وفي يوم الاحد سادس
عشره ارسل السلطان نادى في القاهرة ان السلطان يرحل يوم الجمعة عشرينه فلا يتاخر
من العسكر الذي تعين للسفر احد ولا يحتج بحجة ولا عذر فلما اقام السلطان
في الوطاق تعين جماعة من نواب السادة القضاه ان يتوجهوا صحبة الركاب الشريف
فاما نواب الشافعية الشيخ زين العابدين نجل القاضي كمال الدين الطويل والقاضي شمس
الدين بن وحيش والقاضي شمس الدين السمهودي امام الامير اركماس امير سلاح والقاضي
زين الدين الظاهري فجملة ذلك اربعة من نواب الشافعية وتعين من مشايخ العلم
من الشافعية الشيخ جمال الدين الصاني مفتي المسلمين والشيخ صلاح الدين القليوبي
قارئ الحديث الشريف وسافر صحبة السلطان السادة الاشراف اخوة السيد بركات
امير مكة واما من تعين من نواب السادة الحنفية فمنهم اربعة الشيخ السيد الشريف
البرديني والشيخ زين الدين الترفقاني والشيخ شرف الدين البلقيني والشيخ
عز الدين خليل واما نواب السادة المالكية فمنهم القاضي شمس الدين المديني والقاضي
والقاضي معين الدين بن يعقوب واما نواب السادة الحنابلة فمنهم القاضي شهاب
الدين الهيثمي والقاضي شمس الدين الطرابلسي واما من توجه صحبة الركاب الشريف
من مشايخ الصوفية فمنهم السادة الاشراف القادرية وخليفة سيدي احمد البدوي
رضي الله عنه وخليفة سيدي احمد الرفاعي رضي الله عنه ومنهم الشيخ محمد بن كتيلة
والشيخ عفيف الدين شيخ مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها واما من توجه صحبة
الركاب الشريف من ايمة السلطان منهم قاضي القضاة الحنفية كان شمس الدين السمديسي
والشيخ شهاب الدين بن الرومي واما من توجه من مشايخ القرا صحبته فمنهم الشيخ
شمس الدين بن الطويل والخواص والرومي وحسن الطنتداوي وابن القاضي خليل

وابو الفضل الغاز وابنا عثمان الاثنان واما الموذنون فمنهم نور الدين الخواص ونور
الدين الحسني وطال دنا صر واما من توجه صحبة السلطان من الموقعين فمنهم القاضي
رضي الدين الحلبي وعمر بن سعين وعلم الدين العباسي ومحب الدين الظاهري وشمس الدين
الجيزي وسعد الدين بن السرمي واما من توجه صحبته من كتاب الخزائن فمنهم القاضي
كريم الدين عبد الكريم بن الجيعان اخو الشهابي احمد وشمس الدين محمد بن القاضي صلاح
الدين بن الجيعان وغير ذلك واما كتاب الزردخاناه فمنهم القاضي زين الدين عبد الباسط
والقاضي عبد الكريم بن الاذرعي وغير ذلك من المباشرين واما من توجه صحبة السلطان
من الاطبا فمنهم محمد بن الوبيلي شمس الدين القوصوني وهو راس الاطبا الآن وصحبته
جماعة من الاطبا ومن الكحالين عبد الرحمن بن الشريف ومحمد بن المعنيف واخرين من الكحالين
ومن المزينين عبد القادر الرشيدي واخرين من الجرائحية واما من توجه صحبة السلطان
من مغاني الدكة نور الدين المحوجب واحمد بن ابو سنة واحمد المحلاوي وتوجه صحبة
السلطان جماعة كثيرة من البنائين والنجارين والحدادين كما جرت به العاده وسافر
معه شيخ المشايخ المسمى شيخ الحرافيش وجنده وصنجقه وطبله وكان قدام طلب
السلطان لما دخل الى دمشق كما جرت به العوايد القديمة عند خروج التجاريد فلما
كان يوم الثلاثا ثامن عشر ربيع الاخر رحل من المخيم الشريف ثلاثة من الامرا المقدمين
وهم الامير كرتباي الاشرفي الذي كان والي القاهرة وبقي مقدم الف وكان جملة ما معه
من مماليكه اربعين مملوكا والامير ابرك الاشرفي والامير بيبرس قريب السلطان وكان
جملة ما معه من مماليكه اربعة واربعين مملوكا وفي يوم الاربعا تاسع عشره رحل من
الامرا المقدمين ثلاثة وهم الامير تاني بك الخازندار وكان جملة ما معه من المماليك
اثنان وخمسون مملوكا والامير قانصوه كرت وكان جملة ما معه من مماليكه اثنان
وستون مملوكا والامير قانصوه بن السلطان جركس وكان جملة ما معه من المماليك
سبعون مملوكا وفي يوم الخميس عشرينه رحل من الامرا المقدمين ثلاثه وهم الامير
علان وكان جملة ما معه من مماليكه ست وسبعون مملوكا والامير تمر الزردكاش
كان جملة ما معه من مماليكه اثنين وسبعين مملوكا وفي يوم الجمعة حادي عشرينه رحل
من الامرا المقدمين من ارباب الوظايف ثلاثة وهم الامير انسباي حاجب الحجاب
وكان جملة ما معه من مماليكه اربعين مملوكا والامير سودون الدوادار راس نوبة النوب
وكان جملة ما معه من المماليك اربعة وستون مملوكا والامير اركماس امير سلاح
كان جملة ما معه من المماليك سبعة وستين مملوكا واما الاتابكي سودون
العجمي هو والمقر الناصري ولد السلطان امير اخور كبير والامير انباي الطويل امير اخور
ثاني فانهم ما برحوا الا في ركاب السلطان وكان جملة ما مع الاتابكي سودون من
مماليكه مائة وخمسة وثلاثون مملوكا وولد السلطان عشرين مملوكا تجاه صعقاد

المخز

المخزومة وكان جملة ما مع الامير انباي الطويل من مماليكه خمسة واربعين مملوكا فكان جملة
ما مع الامرا الذين توجهوا صحبة السلطان ثمانمائة واربعة واربعين مملوكا على ما قيل ويقال
ان عدة المماليك الذين خرجوا في هذه التجريدة من الرماحة والجلبان واولاد الناس
خمسة الاف نفر على ما قيل والله اعلم وقيل تاخر بالقاهرة من المماليك الرماحة و
والعواجز والشيوخ والمماليك الجلبان في الطباق والقلعة واولاد الناس نحو الفين
نفر على ما قيل وفي يوم الجمعة حادي عشرينه رحل من الريدانية الاتابكي سودون العجمي
هو ومماليكه وتاخر ابن السلطان والامير انباي الطويل امير اخور ثاني واشيع انهما رحلا
صحبة السلطان ولما كان السلطان بالمخيم الشريف ورد عليه مطالعة من عند نايب حلب
بان ابن عثمان ارسل قاصدا الى نحو ثغر النايب عنده واخذ الكتاب منه وارسله الى
السلطان فوصل اليه وهو بالمخيم بالريدانيه فلما فكه السلطان وقراه فاذا فيه عبارة
حسنة والفاظ رقيقه منها انه ارسل يقول له انت والدي وسالتك الدعا واني ما
زحفت على بلاد علي دولات الا باذنك وانه كان باغيا علي وهو الذي اثار الفتنة
القديمة بين والدي والسلطان قايتباي حتى جرى بينهما ما جرى وهذا كان غاية
الفساد في مملكته وكان قتله عين الصواب واما ابن سوار الذي ولي مكانه فانه حسن
بباكم ان تبقوه على بلاد ابيه او تولوا غيره فالامر راجع اليكم واما التجار الذي
يجلبوا المماليك الجراكسة فاني ما منعتهم وانما هم تضرروا من معاملتكم في الذهب
والفضة فامتنعوا من جلب المماليك اليكم وان البلاد الذي اخذتها من علي دولات
اعيدها لكم وجميع ما تريدوه ويرموه السلطان فعلناه فلما سمع السلطان ذلك
احضر الامرا المقدمين وقرا عليهم كتاب ابن عثمان فانشرح الامرا والسلطان لهذا الخبر
واستبشروا بامر الصلح والعود الى الاوطان عن قريب وهذا كله حيل وخداع من ابن عثمان
حتى يبلغ بذلك مقاصده وقد ظهر حقيقة ذلك فيما بعد ولما عقيب ذلك
حضر الامير اينال باي دوادار سكين الذي كان توجه الى حلب بسبب كشف خبر
ابن عثمان فلما حضر وجد السلطان قد برز خيامه الى السفر وخرج من القاهرة فاخبر
ان قاصد ابن عثمان وصل الى حلب وان ابن عثمان يقصد الصلح بينه وبين السلطان فقدم
اينال باي هناك تقدمة عظيمة ومما وقع للسلطان وهو بالوطاق ان ليلة رحيله
من الريدانيه انعم على الامير طومان باي الدوادار كاملية بصمور حافله وقرره
نايب الغيبة بالقاهرة الى ان يحضر وانعم على القاضي بركات ابن موسى وقرره في
الحسبة عوضا عن الامير ماماي الى ان يحضر وجعل الزيني بركات بن موسى متحدثا
في جميع امور السلطنة وكان في ليلة رحيل السلطان من الوطاق احضر مشاعل موقودة
فطار منها شراره على خيمة السلطان فاحترق جانب منها فلم تتفال الناس بذلك
بسبب السلطان فتشاءمت عظم الزيني بركات بن موسى الى الغاية وصار في مقام

نظام الملك وهو المتصرف فى امور المملكة والامير الدوادار الكبير معه مثل اللولب
بدوره كيف شا واخلع على الامير الماس وقرره والى القاهرة واقره فيها واوصاه
بضبط القاهرة وعدم الظلم واخلع على الامير ماماى المحتسب ورسم له بالسفر معه
الى حلب ثم جهز الامير الدوادار من عند السلطان وشق من الصليبة فى موكب حافل وقدامه
المشاعليه تنادى بالامان والاطمان والبيع والشرا وان لا احدا من الناس يمشى من
بعد العشا بسلاح وان لا مملوكا ولا غلاما يشوش على متسبب وان من كان ظلاما او
حق شرعى على احد ولم يدفعه له فعليه بباب الدوادار فارتفعت له الاصوات
من الناس بالدعا وكان الامير الدوادار محببا للرعيه قليل الاذى فى حق الناس ثم شق
الصليبة فى موكب حافل وقدامه البسماه والنفطيه والسنايين والجم الكثير من الناس
والمماليك السلطانيه فتوجه الى منزله فى ذلك الموكب وقد قلت فى هذه الواقعة

لقد شرف الاكوان نايب غيبة … اميرا دوادارا الى النهى والامر
كبير شجاع فى المعامع فارس … له نصرة فى الحرب بالبيض والسمر
اذا يشتكى المظلوم من جور ظالم … له طلعة بالعدل تؤذن باليسر
فيارب كن عونا له ومساعدا … على كل من يخشاه من حادث الدهر
وابن ابن موسى للرعية انه … كليم القلب آمن من السحر
جناب كبير ناظر حسبة … ومولده كان فى ليلة القدر
والسادة الاشراف ينظر بالتقى … ونال بهذا فايز بالفوز بالاجر
وصار لديوان الذخيره ناظرا … وعامله فى اعناق اعدايه يجرى
عزيز بمصر حاز طلعة يوسف … اعينه بالنجم والنور للحشر

وفى يوم السبت ثانى عشرين ربيع الاخر رحل السلطان من المخيم الشريف بالريدانيه
وصحبته الخليفة والقضاة الاربعة وولده المقر الناصرى محمد امير اخور كبير واقباى
الطويل امير اخور ثانى فصلى صلاة الصبح ورحل وتوجه الى خانقاه سرياقوس وكانت مدة
اقامته فى الوطاق بالريدانيه سبعة ايام فلما توجه الى خانقاه سرياقوس اقام بها
يوما وليلة ورحل عنها يوم الاحد ثالث عشرينه وفى يوم الاثنين رابع عشرينه نفقت
الجامكية الثالثه على العسكر الذى تاخر بمصر بمجلس الامير طقطباى عند سلم المدرج وهى
الجامكية بحضرته وهذه اول جامكيه نفقت فى غيبة السلطان وفى ذلك اليوم رسم
الامير الدوادار للامرا المقدمين الذين عينهم السلطان الى الشرقيه والغربيه بان يخرجوا
ويقيموا الى اجل حفظ البلاد من فساد العربان فتوجه الامير تانى بك الى نحو الشرقيه
والامير ازبك المكحل الى نحو الغربيه والامير قانصوه الفاجر الى المنوفيه والامير قانصوه
ابو سنه الى البحيرة والامير بخشباى كان مسافرا الى جهة الفيوم بسبب عمارة الجسر
الذى هناك ثم نادى الامير الدوادار فى القاهرة بان المماليك السلطانيه المعينين

الى الشرقية والغربية يخرجوا صحبة الامرا الذى سافروا ولا يتاخر عن ذلك احد من المماليك
المعينة الى السفر فامتثلوا ذلك وفى يوم الاثنين رابع عشرينه توفى الامير نوروز تاجر
المماليك احد الامرا الطبلخانات وكان اصله من مماليك الاشرف قايتباى وكان قد شاخ
وكبر وثقل فى الشحم حتى عجز عن الحركة واستمر على ذلك حتى مات فاشيع ان السلطان
انعم على مملوكه ماماى الذى قرر فى الحسبة بتركة نوروز وخيوله وقماشه وغلاله على ما قيل
والله اعلم وفى ذلك اليوم اظلم الجو وارعد وابرق وامطرت السما مطرا غزيرا وكان
ذلك فى اول بونه من الشهور القبطيه فاستمر المطر عمال ثلاثة ايام متواليه حتى عد ذلك
من النوادر وقام عقيب ذلك رياح واصفر الجو صفرة عظيمة وقت المغرب فقال الناس
بوقوع فتن فى الوجود ولكن جرى بعد وفى ذلك اليوم جاءت الاخبار من عند السلطان
انه لما رحل من الخانقاه وجد فى وطاقه شخص من السعادنه زعموا انه فداوى ارسله علم الدين
حلبى السلطان الذى تغير خاطره عليه لما تقدم ذكر ذلك ثم زعموا اعدا علم الدين انه ارسل
ذلك الفداوى ليقتل الصبى عبد الرزاق الذى صار حلبى السلطان عوضا عن علم الدين
فقبضوا على ذلك الرجل الذى زعموا انه فداوى واحضروه بين يدى السلطان فقرره
فانكر ثم رسم بشنقه ثم ان السلطان ارسل يقول للامير الماس والى القاهرة بان يكبس على علم
الدين وعلى اقاربه ويقبض عليهم ويشنق علم الدين على بابه فلما بلغ علم الدين الحلبى
ذلك اختفى وهرب من بيته ثم ان الوالى قبض على جماعة من الساسه من اقارب علم الدين
ووضعهم فى الحديد فاشيع بين الناس انهم يشنقوهم فى المقشره او يسجنوهم حتى يحضر السلطان
وكان قبل ذلك حرق للاكراعة شونا ودبس فى الحسينية بخط النخل وبيار فنسبوا ان
ذلك فعل جماعة من الساسة من اقارب علم الدين حلبى واذا وقعت البقرة كثرت
سكاكينها واستمر الطلب الحثيث على علم الدين الحلبى الى ان ظهر وابه فقيل ان الوالى
لما هرب علم الدين ارسل مماليكه بالملبس الكامل فى طلب علم الدين فلم يظهر وابه وفى يوم
الجمعة ثامن عشرينه خرج الامير الدوادار وسافر بسبب سد جسر النيل وجسر ابى النجا
وقد ابى الحوله سدها وكان النيل قد زاد قبل المناداه وكان فى اثنى عشر ذراعا فتعب الامير
الدوادار فى سد ذلك الجسور غاية التعب وكسر مركبا فى اساس السدين ولما يقوى على
ما يبتغون وفى جمادى الاولى خرج الامير ماماى الصغير المحتسب وسافر
ولحق السلطان وخرج صحبته صبى صغير عمره ثلاث عشر سنة ويقال له قاسم بن احمد
بك بن ابى يزيد بن عثمان وكان عمه سليم شاة بن عثمان لما قتل اخاه احمد بك فر ابنه
قاسم هذا هو ولالاه ودخل الى حلب فى خفية واقام بها الى ان خرج السلطان الى البلاد
الشامية فاخذه صحبته ليبلغ بذلك مقاصده فلم يبد من ذلك شيا فلما خرج صحبة
الامير ماماى خرج وقدامه جنايب وكان السلطان قد اقام له برك ورتب ذلك عنه
بخط النخل ديارا حتى يظهر امره ويشاع ذكره فى بلاد ابن عثمان بان فى مصر من اولاد

ابن عثمان ولد ذكر ولظن السلطان ان عسكر ابن عثمان اذا سمعوا ذلك يجا مروا على سليم
شاة ويأتوا الى هذا الصبى قاسم فلم يظهر لهذا الامر نتيجه ولا افاد من هذا شيا شنق من
الصليبة وعلى راسه عمامة تركمانيه وفى وسطه خنجر **وقيل** ان فى اذنه بلخشة مثمنه
وصحبته جماعة من العثمانيه وخرج صحبة الامير ماماى والامير اينال باى دوادار سكين
الذى كان قد حضر من البلاد الشامية ثم رسم له السلطان بالعود ثانيا بصحبته الى حلب
ومن الحوادث فى غيبة السلطان ان الامير الماس والى الشرطية صار يحجر على الناس
بان يعمروا على الحارات والازقة دروبا فى اماكن شتى فعمر دربا فى راس سوق الدريس
ودربا فى الحسينيه ودربا على قنطرة الحاجب ودربا عند الزاهيين واخر عند خوخة
المنظانيين واخر عند المغنى وعدة دروب فى اماكن شتى وسد عدة خوخ كانت بالقاهرة
وصار على راس الناس طيرة بسبب المناسر والحريق ونودى بالقاهرة بان يعلقوا على كل
دكان قنديل وان لا احدا من الناس يخرج من بيته بعد العشا ولا يمشى بسلاح **ومن
الوقائع** اللطيفة ان الامير الدوادار لم يشوش على احد من اجناد الحلقة ولا الزمهم
بالمبيت فى القلعة فى غيبة السلطان وكانت العادة القديمة ان السلطان اذا سافر نحو
البلاد الشامية تتسلط نقبا العسكر على اولاد الناس من نقبا الحلقة ويلزموهم بالمبيت
بالقلعة فى كل ليلة فى مدة غيبة السلطان الى ان يحضر من السفر فيحصل لهم مشقة
زايدة ويقاسوا التعب كل ليلة فى مدة غيبة السلطان فى طلوعهم الى القلعة ويباتوا بها
عن بيوتهم فى الشتا والذى ما يبات يقيم له بدل يبات عنه بالقلعة وكان ذلك
يعمل الى ايام الاشرف قايتباى لما كان يسافر فلم يتعرض الامير الدوادار لما سافر الغورى
احدا من الناس من اجناد الحلقة فكتب ذلك فى صحيفة الامير الدوادار لما سافر
الغورى ودعوا له اولاد الناس الذى ابطل عنهم هذه السنة السيئة **ومن الحوادث**
فى غيبة السلطان ان شخصا من مماليك السلطان الجلبان قصد ان يشترى قمحا من مركب
على شاطى البحر فلما اشتراه لم يجد ترّاسا فوجد شخصا من فلاحين الصعايدة ومعه حمار
وزكيبة فاخذ المملوك ذلك الحمار والزكيبه فلم يعطه الفلاح اياها فضربه ذلك
المملوك ضربا مبرحا على راسه حتى سال دمه فالقى الرجل نفسه فى البحر فاغمى عليه فمات
فعند ذلك تكاثرت الناس على ذلك المملوك فمسكوه واتوا به الى بيت الامير الدوادار
ووضعه فى الحديد وارسله الى الوالى **فلما** بلغ خشداشينه اتوا الى بيت الدوادار
فوجدوه غايبا الى خوجسر النيض بسبب سره فقيل للمماليك ان ذلك المملوك سلمه
الامير الدوادار الى الامير الوالى فعند ذلك نزل من الطباق الجم الكثير من المماليك الجلبان
ان ينهبوا بيت الوالى ويحرقوه فتغافل الامير الدوادار عن امر ذلك القتيل وراح
على من راح **ومن الحوادث** فى غيبة السلطان ان شخصا من الطواشية يقال له
عنبر مقدم طبقة الاشرفيه وكان ساكنا بالقلعة فى خرايب التتر وكان منها بالمال

وكان

وكان عنده ودايع من جوامك المماليك فنزل عليه الحراميه وهو راقد فى بيته وضربوه
على راسه بالمجليات حتى اشتهر امره فمات واخذوا جميع ما فى بيته وقتلوا عبده
وجاريته ولم تنتطح فيها شاتان حتى تحير الامير طقطباى نايب القلعة من ذلك
كيف جرى فى وسط القلعة والابواب تغلق من بعد المغرب فعد ذلك من العجايب **وفى يوم**
الثلاثا حادى عشره توفى قاضى القضاة الشافعيه وهو جمال الدين ابراهيم بن الشيخ علاى
الدين القلقشندى رحمة الله تعالى عليه وكان من اهل العلم والدين والفضل وله سند
عال فى الحديث الشريف وولى منصب القضا فى ايام الاشرف الغورى مرتين وكان قد
كبر وشاخ وتجاوز السبعين سنة وكان من اعيان علما الشافعية رحمة الله تعالى عليه
وفيه وردت الاخبار بان السلطان دخل الى الصالحية فى يوم الثلاثا خامس عشرين ربيع
الاخر **قيل** انه لما اراد الرحيل منها اذن للخليفة والقضاة الاربع ان يتقدموا الى
غزه ثم وصل الى قطيا فلاقاه الامير قانصوه نايب قطيا ومد له هناك مدة حافلة
وقدم له تقدمة جيدة على ما قيل **ومن الاشاعات** التى اشيعت ان فى اثنا الطريق
سرقت بغلة القاضى الحنفى ثم ظهرت بعد ذلك وتكلفت عليها الحلوان حتى رجعت
اليه واشيع ان نجعة فيها قماش قاضى القضاة الحنبلى سرقت من خيمته واشيع انه قد
سرق للسلطان جمل عليه مال له صورة فقبض على من فعل ذلك ووسط من الجماله ثمانية
انفار وكل ذلك اشاعات ليس لها صحة ثم وردت الاخبار ان السلطان دخل مدينة
غزه ومد له مدة حافلة فقيل اقام بغزة خمسة ايام ورحل عنها واشيع ان السلطان
لما كان بغزة اخلع على جمال الدين الالواحى بواب الدهيشه وقرره معلم المعلمين
عوضا عن الشهابى احمد بن الطولونى بحكم انفصاله عنها وكان هذا من غلطات الزمان
فى تولية البلاد غير اهلها **وفى يوم** الجمعة تاسع عشره طلع ابن الرداد ببشارة النيل
المبارك فاخذ القاعدة فجاءت اثنى عشر ذراعا وهذا من النوادر وقد بقى من الوفا ستة
اذرع وهكذا نقله المقريزى فى الخطط وزاد ذلك الشيخ جلال الدين السيوطى فى كتابه
المسمى كوكب الروضة من اربعة وعشرين ذراعا من ايام الناصر محمد بن قلاوون
ما راوا القاعدة جاءت اثنى عشر ذراعا وكان الوفا سادس مسرى فان فى ايامه سنة
احدى وستين وسبعماية جاءت القاعدة اثنى عشر ذراعا وبلغت الزيادة فى تلك السنة
الى ما يقرب من اربعة وعشرين ذراعا فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل واستقلوا
فى هبوطه حتى انهبط بعد ما مكث الى اخر توت ثم فى ايام الاشرف برسباى فى سنة ثمان
وثلاثين وثمانماية جاءت القاعدة احد عشر ذراعا وعشرة اصابع وكان الوفا ثانى مسرى
وبلغت الزيادة فى تلك السنة الى عشرين اصبعا من عشرين ذراعا ومكث الى اواخر بابه
فلما جاءت القاعدة فى هذه السنة اثنى عشر ذراعا خشيت الناس ان النيل يمكث على
الاراضى لاوان الزرع وان يبقى فى تغيير اوانه فما حصل فى هذا الامر خير وفا النيل

في اوائل وسياق الكلام عليه في موضعه **وفي يوم** السبت سابع عشرينه توفي الامير جاني
باي من طبقة الزمامية وكان من امرا الطبلخانات واصله من مماليك الاشرف قايتباي
وكان لا باس به وفيه اخرجوا الفلوس جدد وابطلوا الفلوس العتق فنادوا بان
الفلوس العتق تصرف بنصف الرطل والجدد معاددة فوقف حال الناس بسبب ذلك وصار
البضايع تباع بسعرين سعر بالفلوس الجدد وسعر بالفلوس العتق **وفي جمادى الاخر**
كان مستهله يوم الثلاثا فتوجه جماعة من نواب القضاه الى بيت الامير الدوادار وهنوه
بالشهر **وفي هذا الشهر** وردت الاخبار بان السلطان دخل الى دمشق المحروسه يوم
الاثنين ثامن عشر جمادى الاول فلاقاه سيباي نايب الشام ودخل في موكب حافل
وقدامه الخليفة والقضاه الاربع وساير الامرا المقدمين وامرا الطبلخانات والعشراوات
وارباب الوظايف من المباشرين والجم الكثير من العسكر والناس فلاقوه امرا الشام
وعساكرها وحمل على راسه القبة والطير كما جرت به عوايد الملوك من قديم الزمان
ثم زينت له مدينة دمشق زينة حافلة ودقت له البشاير بقلعة دمشق ونثر على
راسه بعض تجار الافرنج ذهبا وفضة وفرش له سيباي تحت حافر فرسه الشقق
الحرير وازدحمت عليه المماليك بسبب نثار الذهب والفضه فكاد السلطان ان
يسقط من على ظهر الفرس من شدة ازدحام الناس عليه فمنهم من نثار الذهب والفضه
ومن فرش الشقق الحرير تحت حافر فرسه فكان له بدمشق يوم مشهود وعد ذلك
من المواكب المشهودة فاستمر ذلك الموكب المحفل حتى دخل من باب النصر الذي
بدمشق وخرج الى الفضا منها وتوجه الى المسطبة التي يقال لها مسطبة السلطان
وهي بالقابون التحتاني فنزل هناك ورسم لبعض حجاب دمشق بها دونها وكانت
قد تشعثت من قدم السنين وهذا الموكب لم يتفق لسلطان من بعد الاشرف برسباي
لما توجه الى الشام سنة ست وثلاثين وثمانمايه سوى الملك الاشرف قانصوه الغوري
ثم ان السلطان اقام بالمسطبة التي بالقابون نحو عشر ايام **وقيل** ان قاضي القضاة
كمال الدين الطويل خطب بجامع بني امية جمعتين ولم يحضر السلطان هناك
صلاة الجمعة وقيل استمرت مدينة دمشق مزينة سبعة ايام ثم ان السلطان رحل
من هناك وتوجه الى حمص ثم رحل عنها وتوجه الى حماه فلاقاه نايبها جان بردي
الغزالي **فقيل** انه مد له هناك مدة حافلة اعظم من مدة الشام على ما اشيع وقيل
ان السلطان لما رحل عن حماه ترك بها قاسم بك بن احمد بن عثمان الذي تقدم ذكره
عند ما خرج من مصر وسافر صحبة الامير ماماي المحتسب كما تقدم **وقيل** ان في ليلة
الاثنين رابع هذا الشهر جرم القمر خسوفا فاحشا حتى اظلمت الدنيا واقام في
الخسوف فوق من خمسين درجة وتغطى بالسواد جميعه واستمر في الخسوف الى ثلث
الليل الاخير **وفي يوم** الاثنين رابع عشره رسم الامير الدوادار بشنق شخص من العربان

المنشدين على قنطرة الحاجب وقد ضبط الامير الدوادار احوال الديار المصرية في غيبة السلطان
ضبطا جيدا ورسم للامير الماس والي القاهرة بان يطوف في كل ليلة بعد العشا ومعه
مائة مملوك من المماليك الجلبان يطوفون معه كل ليلة وتنزل جماعة من المماليك من طباقهم
بالنوبة ويطوفون مع الوالي الى طلوع الفجر فلم يقع في غيبة السلطان في القاهرة الا كل
خير وكان ذلك على غير القياس وكان الامير الدوادار في كل وقت يفخم الماس الوالي بسبب
ما اخذه من الناس لاجل الدروب وقد افشى الظلم في هذه الحركة وكان يتفق مع ارباب
الادراك والخفرا ويجبوا اسكان الخطط والحارات لاجل عمارة الدروب فجبوا
من الناس اموالا طاصورة فكانت الخفرا اذا وقفوا على احد من السكان يقرروا عليه من
الدراهم بحسب ما يختاروه من ذلك فاذا هرب صاحب الدار سمروا الباب على اولاده
وعياله حتى يظهر ويدفع لهم ما قرروه عليه والامراة الارملة يسمروا بابها عليها ويتركوها
بالجوع والعطش حتى ترمي لهم من الطاق المحابس والطراحة فكانوا يقرروا على بيوت
الفقرا من الناس نصف اشرفي ونصف اشرفيين واما بيوت اعيان الناس فكانوا يقرروا
عليهم نحو خمسة اشرفية ونحو عشر اشرفية بحسب ما يختاروه ففعلوا مثل ذلك بخط
المقس وخط باب البحر وسويقة اللبن والحسينيه وسوق الدريس وخط بركة
الرطلي وغير ذلك من الاماكن والخطط ففعلوا في هذه الحركة ما لا فعله هناد من جور
الظلم وهم يزعمون ان بذلك نفعا للمسلمين في عمارة الدروب فجبوا في هذه الحركة
مالا له صورة ولم يصرفوا منه الا القليل ثم حسنوا للوالي عبارة بان يجبي جامع طولون
الى مشهد السيدة نفيسة الى اخر السوق الطولوني على جميع الاملاك والدكاكين التي
هناك وزعموا انهم ينشوا سورا على حدرة ابن قميحة الى باب القرافة وزعموا ان ذلك
يمنع هجمة العربان على حين غفلة وكل هذا حيلة على اخذ مال الناس فشرعوا في كتب اسما
الدكاكين والاملاك **فلما** بلغ الامير الدوادار زجر الماس وحط عليه وكان اشاع
ذلك على لسان الامير الدوادار فحلف الامير الدوادار ايمان مغلظة انه ما له علم
بذلك وابطل هذه الحادثة المهولة فدعوا له الناس قاطبة ثم ان جماعة حاجب الحجاب
قصد وان ينشوا مظلمة اخرى وقصد وان يجبوا من املاك بركة الرطلي مال له
صورة بسبب قطع فم خليج البركه فانه كان قد علا جدا حتى امتنع دخول المراكب
للبركه فلما بلغ الامير الدوادار ذلك ابطل هذه الفعله ورسم بسد فم البركه حتى
لا تدخل اليها المراكب **وفي يوم** السبت تاسع عشره حضر الامير الدوادار وكان قد
توجه الى الفيوم ليكشف على الجسر الذي عمره الامير بخشباي هناك فكشف عليه وعاد
بعد ايام وفي غيبة السلطان كان الامير الدوادار يركب كل يوم ومعه الامرا العشراوات
الذين بمصر ويسيروا الى نحو المطرية وبركة الحاج فاذا رجع يدخل من باب النصر وقدامه
الجم الكثير من الامرا والعسكر وكل هذا لاجل الرعب والفلاحين حتى لا يطمعوا ان ما بقي

في مصر عسكر وكان هذا من الآرا الحسنة **وفي يوم** الاثنين حادي عشرين جمادى الاخر
الموافق لسابع عشرين ابيب فيه كان وفا النيل المبارك وفتح السد يوم الثلاثا ثاني عشرينه
الموافق لثامن عشرين ابيب وقد وفى قبل دخول مسرى باربعة ايام وللناس مدة طويلة
من سنة خمس واربعين وثمانماية ما راوا النيل اوفى في سابع عشرين ابيب فصنف متاديين
البحر هذه الكلمات • اوفى النيل في ابيب • حتى يا حبيبا • وقد غنينا في هنا
يا فرحنا • وكلمات اخر غير ذلك فلما اوفى النيل توجه الامير طومان باي الدوادار
نايب الغيبة لفتح السد فنزل في موكب حافل وتوجه الى المقياس وخلق العامود ثم
نزل من المقياس في الحراقة وصحبته جماعة من الامرا المقدمين الذين كانوا بمصر منهم الامير
طقطباي نايب القلعة والامير ازدمر الناشف واخرين من الامرا فتوجه لفتح السد
وكان يوما مشهودا فلما فتح السد عاد الامير الدوادار الى بيته في موكب حافل وقدامه
الامرا بالشاش والقماش وجماعة من المباشرين فتوجه الى داره **فلما** فتح السد جرى الما
في الخلجان بعزم قوي وسر الناس في ذلك اليوم بوفا النيل قبل ميعاده وقد قيل في المعنى

• تمتع بما النيل قبل وفايه • فقد طاب منه الشرب وهو لنا طيب •
• وقد سكبت منه الجداول فيضها • فاضحى بلا شك حلاوة سكب •

ومن الحوادث ان الامير الدوادار نايب الغيبة منع الناس ان لا يسكنون الجسر
الذي ببركة الرطلي ولا في الخلجان قاطبة وعمل جسرا على خليج الزربيه عند قنطرة
موردة الجبس فآل امر الجزيرة الوسطى الى الخراب ولم يسكن بها بيت ولا بني فيها
دكان ومنع المقاصفيه ان لا ينصبوا مقصفا في الجسر ولا في الزربية فلم يكرى في
الجسر ولا في الزربية بيتا ولا دكانا ولم يسكن المصطاحي ولا حكر الشامي ولا الزربية
وصارت بيوت بركة الرطلي خرابا خاوية على عروشها ولا سيما بيوت اولاد الجيعان
وبيت كاتب السر وغير ذلك من بيوت الاعيان فحصل للناس في هذه السنة غاية
الانكار بسبب ذلك وخمر والناس كرى بيوتهم واشيع سد خوخة الجسر فتلطف
القاضي بركات بن موسى المحتسب بالامير الدوادار على ان يسمح للناس في دخول
على العادة وان يسكن الجسر فابى من ذلك وقال ان العوام تفسد وقد كثرت الاغوات
المسافرين صحبة السلطان في هذه النيلية واستمر مصمما على منع ذلك فلما كان في اواخر
النيلية شفع القاضي بركات بن موسى في خمس مراكب للبياعين ان يدخلوا في البركة
على العادة كدخل الحلواني والجبان والفاكهاني والعداس والسوبجاني لا غير فاقاموا
اياما يبيعون فلم يجد ومن يبيعوا عليه فمضوا الى حال سبيلهم واستمرت بركة
الرطلي ليس بها ديار ولا نافخ نار فعند ذلك عمل الشيخ بدر الدين الزيتوني هذه
الموشحة اللطيفة في واقعة الحال فقال

• سالت اله العرش ينعم بالنصر • لسلطاننا الغوري فهو ابو النصر •

• مليك عزيز اشرف ومظفر • مؤيد دين ظاهر كامل القدر •
• لتنبيه اضحى على الكون وحشة • بها بركة الرطلي مدمعها يجري •
• يحق لنا نوفي المقاصف بالبكا • خصوصا في المصطاح مع لذة الجسر •
• لقد كان فيه للخلايع تواصل • لعمرك انا الوصل خير من الهجر •
• وكان بها جميزة طاب ظلها • فنام عليها الطير والوحش في القفر •
• على ما جرى للجسر ساقية بكت • وصاحت بقلب صار في غاية الكسر •
• وسادوحة تبكي بجامعه دما • وقد اصبح الشامي يبكي على الحكر •
• واضحت بيوت الجسر خاليه فلا • لصاحبها سكنى ولا احد يكري •
• وقد اصبحت تلك القصور رحوالها • فيا وحشة السكان من كل ذي خصر •
• على بركة الرطلي نوحوا وعددوا • لما حل فيها من نكال ومن ضر •
• وكان بها للقادسي حلاوة • مشبكها يشد من المسك والعطر •
• وكان بها الكنفاني يسعى بمركب • بخوخ ورمان يبشر بالبشر •
• وكان بها الجبان يقلي بمركب • فيجمع بين النار والما في البحر •
• وكان بها للآكلين خطايف • بها عطش تسقي من الغيث بالقطر •
• لها رونق في الصحن من فستق بها • وسكرها يروي حديث ابي ذر •
• وكان بها الحشاش يرد بهجة • ويز فطعوا لذاته صاد في فكر •
• وكان بها السكير في غاية الهنا • يدير كوس الراح في ليلة البدر •
• وكان بها للراكبين مراكب • مسيرة فيها واخرى بلا ستر •
• وكم داخل فيها مغن ومنشد • بنغمه كم من خفيف ومن شعر •
• وكم آلة للمطربين عهدتها • وجنك وعواد بعزف كالدري •
• وقد درست تلك المعاهد كلها • وناحت بها الغربان والبوم في وكر •
• وشق شقيق الروض فيها ثيابه • وادمى غصين الروح ما فيه من زهر •
• وقد لبس الشحرور سود ثيابه • وابدا خرير الما لطم من النهر •
• وسالت دموع السحب من اعين السما • وصار ضيا الصبح كالليل اذ يسري •
• وقد كسفت شمس الضحى في سمايها • واظلم نور البدر يوم الخسف بالسحر •
• جزيرتنا الوسطى خراب لانها • وضعوا بها سدا لمايها يجري •
• وقد اخذوا انقاضها لمبيعها • ولم يبق فيها من بنا سوى الجدر •
• وقد اصبح النوتي في غاية الضنا • ولا يلتقي فيها معاش ولا مكرى •
• وقلع قماش الستر منها وقلعها • وباع المداري حين يدري ولا يدري •
• فيا مقلتي جودي بدمعي تحسرا • ويا مهجتي صبرا وناهيك بالصبر •
• رعى الله اياما تقضت بطيبها • ونحن في مصر في امان وفي بشر •

وكان الدوادار الكبير هو الذى ... اشار بهذا النفع بالنهى والامر
اراد بهذا النفع صون حريمهم ... غدا صحبة السلطان والبعد فى الحذر
فكان بهذا الامر اكرم صاين ... حريم جميع الناس من آكز الدهر
ولولا ابن موسى كان فى الجمع نافعا ... وقد قال شكر الساكنين مع الاجر
لما سح فيها بمركب باتيح ... ولا لاح فيها من جانبى على الجسر
فيهما ربنا انعم علينا بنصرة ... لسلطاننا الغورى والعسكر المصرى
وانعم بعود الكل خير مقدم ... الى الاهل والاوطان فى غاية الجبر
وصل على المختار من آل هاشم ... محمد الهادى الى الخير والبشر
كذا الآل والاصحاب والتبع الذى ... لهم غاية الاحسان فى الحشر
عليهم صلاة الله ماهبت الصبا ... صباحا على عود وما غرد القمرى
وناظمها العوفى يدعو الكل من ... راى عيب زيغى ويقيم بالستر

وفى يوم الجمعة خامس عشرينه توفى الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى عليه وكان من اعيان مشايخ الصوفية وله شهرة طايلة بالصلاح بين الناس وكان لا باس به وفى شهر رجب توفى الامير طراباى احد الامرا العشراوات وكان مسترلة يوم الخميس فتوجه جماعة من نواب القضاة الى بيت الامير الدوادار نايب الغيبة ودفنوه بالتنهير وفى يوم الخميس ثامنه توفى تمرى بردى المردف بالشتمانى وكان يدعى انه من الامرا العشراوات وكان قيل انه من جملة السنناه فمات من غير اقاطيع ورزق مشتر دانه وكان فى سعة من الرزق وكان ينسب الى شح زايد وبخل وفيه جات الاخبار بوفاة شخص من الامرا العشراوات يقال له مسابد وكان مسافرا صحبة السلطان فى التجريدة وكان اصله من مماليك الاشرف قايتباى وفيه دخل الامرا الذين كانوا يتوجهون الى نحو الشرقية والغربية كما تقدم ذكر ذلك فرجعوا عندما اوفى النيل وانقطعت الطرقات بالمياه وفيه تقلقت الناس بسبب الفلوس الجدد فصارت البضايع تباع بسعرين ووصل سعر النصف الفضة بالفلوس العتق الى ستة عشر درهم وكانت الفلوس الجدد تصرف معادة وهى فى غاية الخفة فتضرر الناس لذلك وتشحط الخبز وساير البضايع وكادت ان تنتشى منه لك غلوة وفيه وردت الاخبار بان السلطان وصل الى حلب ودخلها فى يوم الخميس عاشر جمادى الآخر وكان لدخوله يوما مشهودا وقدامه الخليفة والقضاة الاربع وساير الامرا كوكبه بالشام وحملت القبة والجلالة على راسه وكان حاملها ملك الامرا خاير بك نايب حلب كما فعل سيباى نايب الشام وقت دخول السلطان الى حلب حضر قصاد سليم شاة بن عثمان ملك الروم فقيل ارسل اليه قاضى عسكره وهو شخص يقال له ركن الدين واحدى امرايه يقال له قراجا باشاه وصحبتهم سبعماية عليقة فنزلوا بمدينة حلب وبلغنى من الكتب الواردة بالاخبار ان السلطان لما حضروا بين يديه

قاضى

قاضى ابن عثمان وقراجا باشاة شرع يعتبهم فى افعال ابن عثمان وما يبلغه عنه فى حقه واخذه لبلاد علىدولات فقال له القاضى وقراجا باشاه نحن ما عرض لنا استاذنا الامر وقال ما اختاره السلطان افعلوه ولا تقتنا وروق وكل هذا حيل وخداع حتى يبطل همة السلطان عن القتال ويلثنى عزمه عن ذلك وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد ثم ان قاضى ابن عثمان احضر فتاوى من علما بلادهم وقد افتوا بقتل شاه اسماعيل الصوفى وان قتله جايز فى الشرع ومن جملة مخادعة السلطان ابن عثمان للسلطان الغورى انه ارسل يطلب منه سكر وحلوى فارسل له ماية قنطار سكر وحلوى فى علب بكاز وهذا حيل منه فانه ما يحل عنه حتى يقطع جادرته من على وجه الارض ولا تدخل بيننا فيما يكون من امر الصلح واظهر انه قاصدا نحو الصوفى ليحاربه والامر بخلاف ذلك فى الباطن وذكروا انه على العليسارية بقصد التوجه الى الصوفى ثم ان السلطان اطلع على قاصد ابن عثمان الخلع السنية وقيل ان السلطان ابن عثمان ارسل الى السلطان تقدمة حافلة وللخليفة والامير كبير سودون العجمى فكان ما ارسله ابن عثمان من التقدمة اربعين مملوكا وابدان سمور واثواب مخمل واثواب صوف واصواف بعلبكى وغير ذلك وكان ما ارسله الى الخليفة بدنين سمور وثوبا مخمل بكفوف قصب وثوبين صوف عال وارسل اليه قاضى عسكر ابن عثمان ثوبين صوف وسجاده عال وارسل اليه قراجا باشاه ثوبين صوف وسجاده وبغله وارسل ابن عثمان تقدمه الى امير كبير ايضا تقدمة حافلة ما بين سمور ومخمل وصوف ومن المماليك اثنين ثم ان السلطان عين مغلباى دوادار سكين بان يتوجه الى ابن عثمان وعلى يده مطالعة من عند الخليفة السلطان الى ابن عثمان تتضمن امر الصلح بينهما والامرا والعسكر منتظرين رد الجواب عن ذلك وقد نظمت هذه القصيدة فى معنى واقعة سفر السلطان من حين خروجه من مصر الى دخوله مدينة حلب وقد قلنا فى المعنى

ادعوا بنصر للمليك الاشرف ... سلطان مصر ذى المقام الاشرف
قد قدر الرحمن نقل ركابه ... نحو الشام وحصنها المستنظرف
اختار ان يطا البلاد لكشفها ... فغدت بجود له يجود المختف
خضعت له الرقاب طوعا بالقنا ... من غير حرب او حسام مشرف
لو كان ذو القرنين حيا فى الورى ... لاتاه بالاكرام والفضل الوفى
تاريخه فاق الملوك تناظما ... فاصغى له واسمع بغير تكلف
عاينته يوما مضى فى موكب ... يزهوا على بدر وفى دهر الاشرف
ركب الخليفة والقضاة امامه ... وجيوشه من حوله بالمرهف
عودت طلعته بسورة يوسف ... وجميع عسكره باية زخرف
فى غزوه كان يوم دخوله ... يوم الخميس بعسكر مترادف
ثالث دمشق من بعد ذلك اتى ... اهلا بمن اتى بين الرعايا منصف

وتهللت بالنور جبهة ربوة ، لما اكتست بالزهر حلة يوسفا
وحماه احماها بصارم عدله ، فاطاعه العاصي بغير توقف
واشنا نهر الزراه لما اتى ، تياره بالماء في عزم وفي
واستانست حلب به مذ زارها ، واستوحشت مصر له بتكلف
شرفت به حلب وقالت فرحة ، يا حبذا من قادم مستظرف
سلطاننا الغوري صار مؤيدا ، مذ خصه الرحمن باللطف الخفي
فالله يبقيه على طول المدا ، ما اسكرت ريح الصبا بترشف
قد هنا لابن اياس شعر قاله ، لكن نظمي قد اتى بتضعف
ثم الصلاة على النبي المصطفى ، خير البرية يا له من مسعف
والآل والاصحاب ما جن الدجى ، او ما الصباح بليل او طفى
وختامه مسك يفوح ابدا ، سلطان مصر ذي المقام الاشرف

واما ما حكي ان السلطان لما دخل الى حلب رسم لقاضي القضاة كمال الدين الطويل بان يخطب في الجامع الكبير الذي بحلب فاجتمع في الجامع الجم الكثير من الناس من اهل حلب فخرج قاضي القضاه كمال الدين الطويل ورقا المنبر وخطب خطبة بليغه واورد احاديث شريفه في معنى الصلح واذن المؤذنون في الجامع وقرا واحزاب السلطان هناك وعملت الوعاظ في الجامع ولم يحضر السلطان ولم يصل صلاة الجمعة هناك كما فعل بدمشق فعابوا عليه ذلك فكان قاضي القضاه كمال الدين يخطب بالجامع الكبير مدة اقامة السلطان بحلب **ومن الحوادث** التي وقعت من السلطان بحلب انه انعم على خاصكيه نايب حلب بنحو من الف وعلى يوسف الناصري نايب الزردخاناه الذي كان نايب حماه وعلى طراباي نايب صفد وعلى تمر نايب طرابلس **ومنها** انه نفق على اولاد الناس الذين توجهوا صحبته بالنفقة لكل واحد منهم ثلاثين دينارا وكان رسم لهم قبل ذلك لكل واحد منهم خمسين دينارا فعارضهم في ذلك كاتب المماليك وجعلها ثلاثون دينارا وامر في العسكر بمن اللحم من ثلاث شهور ثم ان السلطان فرق على مماليكه الجلبان من حواصل قلعة حلب عدة سلاح ولم يعبر عنها وفرق عليهم خيول مالها عدد وصار ينعم عليهم بالعطايا الجزيلة من مال وخيول خاص وسلاح بطول الطريق ولم يعط للمماليك القرانصه شي فعز ذلك عليهم في الباطن ثم ان السلطان نزل خاصته في الميدان الكبير بحلب في يوم الخميس ليلة الجمعة وحضر امير المؤمنين المتوكل على الله والقضاة الاربعة ومشايخ الزوايا فصلى امير المؤمنين بالسلطان في الميدان في الخيمة صلاة العصر وصلاة المغرب ثم انعم السلطان عليه في ذلك اليوم باربعماية دينار ومايه راس غنم وانعم على قاضي القضاة الشافعي بسبعين دينارا ولنوابه ومن معه من العلما بسبعين دينارا والقاضي الحنفي بالمثل وانعم على القاضي المالكي بخمسين دينارا ولنوابه الثلاثة بثلاثين دينارا وكذلك

قاضي

قاضي القضاه الحنبلي وانعم على مشايخ الزوايا لكل واحد منهم بعشرة دنانير وانعم على الفقرا الذين حضروا ختم الختم من فقرا حلب وغيرها لكل واحد بخمسين دينارا **وفي** عقيب ذلك احضر السلطان الامرا المقدمين الالوف والنواب والامرا الطبلخانات والامرا العشراوات وحلفهم على مصحف شريف بانهم لا يخونوه ولا يغدروه فحلفوا كلهم على ذلك ثم نادى للعسكر بالعرض في الميدان الذي في حلب فعرضوا وهم باللبس الكامل وادعلهم من تحت سيفه هيبة تنظر كما هي عادة الاتراك وعندهم ان هذا هو القسم العظيم ثم ان السلطان ارسل خلعة لناصر بك في حماه فطلبه واخلع عليه واشهر امره بحلب ثم وردت الاخبار الى حلب بان سليم شاه ابن عثمان قبض على قاصد السلطان الذي جهزه لابن عثمان وهو مغلباي احد الدواداريه ووضعه في الحديد **وكان** السلطان جهز الامير كرتباي الاشرفي احد الامرا المقدمين الذي كان والي القاهرة الى ابن عثمان وصحبته هدية حافلة بنحو عشرة الاف دينار واخلع على قاضي عسكر ابن عثمان وقراجا باشاه الذي تقدم ذكرهم خلعتين سنية بطرز يلبغاوي عريض واذن لهم بالعود الى بلادهم وكان هذا هو عين الغلط من السلطان الذي اطلق قصاد ابن عثمان قبل ان يحضر مغلباي دوادار سكين ويظهر له من ابن عثمان ما يعتمد عليه **فلما** وصل الامير كرتباي الى عنتاب فبلغ السلطان ان ابن عثمان ابى الصلح وانه يهدد مغلباي ووضعه في الحديد وقصد شنقه حتى شفع فيه بعض وزرايه وقصد حلق لحيته وقد قاسا منه من البهدلة ما لا يحكى شرحه **فلما** تحقق الامير كرتباي ذلك رجع الى حلب واعلم السلطان بما فعله سليم شاه بن عثمان وان طوالع عسكره قد وصل الى عنتاب قلعة ملطيه وبهنسا وكركر وغير ذلك من القلاع **فلما** وصل كرتباي بهذه الاخبار الردية الى السلطان اضطربت احواله واحوال الناس واحوال العسكر قاطبه ثم ان السلطان اخلع على الامير عبد الرزاق وولاه على اقليم اولاد ذو الغادر ديه فخرج من حلب وصحبته ملك الامرا خاير بك في موكب حافل فخرج نايب حلب وامرايها وعسكرها ونزلوا عن حلب بيوم وصحبتهم من المشاة خمسة الاف ماشي وتفق عليهم السلطان جامكية شهر واحد ثم خرج بعده ملك الامرا سيباي نايب الشام وتمراز نايب طرابلس وطراباي نايب صفد ونايب حمص ونايب غزه فخرجوا من حلب يوم السابع عشر من شهر رجب وقد اشيع ان ابن عثمان ماشي من جهة وابن سوار ماشي من جهة ثم ان السلطان نادى للعسكر بالرحيل من حلب والنزول على حيلان لقتال الباغي ابن عثمان وان السلطان والامرا عن قريب يخرجوا الى القتال والذي يريده الله هو الذي يكون وهذا ما نقل من شرح كتاب امير المؤمنين الى والده امير المؤمنين يعقوب ثم ذكر فيه عن امر الاسعار في حلب فالشعير كل اردب بسبعة وعشرين نصف والخبز كل رطل بثلاث دراهم والجبن بنصف الرطل واللحم بتسعة دراهم كل رطل بالمصري والديس بنصف فضة الرطل المصري وتناهى سعر اللحم الى الاشرفيين كل اردب والكرسنه

عليق الجمال بماية واربعة وعشرين دينارا ثم ان السلطان ارسل مثال شريف الى الامير
الدويدار يتضمن الوصية بالرعية وان المماليك الجلبان الذى بالطباق يكفوا الاذى
عن الناس ولا يشوشوا على احد من المتسببين وان الامير الدويدار يعرض جميع ما فى
الحبوس قاطبة من رجال ونسا ويطلق منهم جماعة من المديونين وغيرهم ولا يترك
بالحبوس غير اصحاب الجرايم ومن عليه دم وكذلك من فى الحجرة من النسا وارسل ايضا
يقول اذا كان درب الحجاز آمنا من العربان يخرج الحاج من القاهرة وان كان مخوفا
فلا يسافر احد من الحجاج فى هذه السنة **وارسل** ايضا مثال شريف الى المماليك الجلبان
الذى بالطباق بانهم لا ينزلون من الطباق الى المدينة ولا يشوشون على احد من الناس
قاطبة ومن يفعل ذلك يشنق من غير معاودة فقرى عليهم هذا المثال بالقلعة
وارسل بالسلام على الامرا والعسكر قاطبة **وفى شهر شعبان** كان مستهله يوم الجمعة
ووافق ذلك اول النوروز من السنة القبطية فعد ذلك من النوادر وقد دخلت
قبطية فى اول يوم من الشهور العربية ولا سيما يوم الجمعة وهو يعد يوم فيه ساعة
الاجابة **وفى يوم** السبت اخلع الامير الدويدار على شخص من الخاصكية يقال له جانى
بك القصير وهو من مماليك السلطان وقرره فى كشف منفلوط عوضا عن اينال
من جانى بك الذى كان بها وقد ضعف بصره **وفى يوم** الاحد ثالثه عرض الامير
الدويدار الحبابيس الذى بالسجون وعرض النسا الذى بالحجرة فاطلق منهم جماعة
ممن عليهم دين وقبل صالح عن جماعة ممن عليهم دين من ماله وارضى اصحاب الديون
واستتوب جماعة من الحرامية وسمر بتوسيط جماعة ممن عليهم الدم وابقى منهم
جماعة فى السجون الى ان يحضر السلطان ثم ان الامير الدويدار تصدق على الناس
بمبلغ له صورة وسمر بزينة خيمات فى جميع الاسواق وقال لهم ادعو السلطان
بالنصر **وفى يوم** الاثنين رابعه اخلع الامير الدويدار على يوسف البدرى واعاده
على الوزاره كما كان وهذا رابع ولاية له بالوزاره **وفى ذلك** اليوم نودى فى القاهرة
بسفر الحاج على العاده وكان اشيع ببطلان الحاج فى هذه السنة **وفى يوم** الثلاثا
خامسه فى ليلة الاربعا توفى قاضى الحنفية كان برهان الدين بن الكركى الحنفى وكان
عالما فاضلا رئيسا حشيما وهو ابراهيم ابن الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن
اسماعيل من اعيان الحنفية سمع على الشيخ محى الدين الكافيجى والشيخ سيف الدين واخرين
من علما الحنفية وكان امام الاشرف قايتباى وراى فى ايامه غاية العز والعظمة
وولى عدة وظايف سنية منها انه ولى مشيخة ام السلطان التى فى التبانة ومنها
استيفا الصحبة ثم ولى قاضى قضاة الحنفية مرتين ثم ولى مشيخة مدرسة الاشرفية
وقاسى محن وشدايد من الاشرف وكان يشوش الوجه عنده وفى حاشية ولطافة
غير كثيف الطبع ومات فى عشر الثمانين وعاش سعيدا ومات شهيدا وكان له

ارغد عيش

ارغد عيش من المال والجاه وكان سبب موته انه كان ساكنا على بركة الفيل فخرج يتوضا
على سلم التيطون وفى رجله قبقاب فنزلت رجله بالقبقاب فوقع فى البركه وكانت
فى قوة ملوها فى ايام النيل **فلما** وقع ثقل عليه الثياب فمات من وقته رحمه الله تعالى
عليه ومات شهيدا **وفيه** اخلع الامير الدوادار على شخص من الخاصكيه يقال له قجماس
وقرره بكشف المنوفية عوضا عن قانصوه الذى كان بها **وفيه** جات الاخبار من حلب
بوفاة شمس الدين محمد بن ناشى شيخ سوق الكتبيين وكان مقربا عند السلطان حاز عدة
وظايف سنية **وفيه** جات الاخبار بوفاة الامير يوسف الشهير بالبطس الذى
كان نايب صفد وعزل عنها ثم توفى بحلب واشيع وفاة ابرك الذى كان كاشف
اقليم الجيزه وكان من الامرا العشراوات واشيع بوفاة جماعة كثيرة كانوا صحبة السلطان
نحصل لهم ونحو ذلك فمات فى غزه وفى الشام وفى حلب من الامرا العشراوات والخاصكية
والغلمان وغير ذلك ما لا يحصى عددهم مما ترا من كثرة الادخام التى كانت معهم بطول
الطريق **وفيه** جات الاخبار بصحة ما تقدم ذكره ان السلطان لما كان بحلب انعم تبنادم
الوقت على جماعة من الامرا منهم الامير يوسف الناصرى شاد الشربخاناه ومنهم طراباى
من يشبك نايب صفد ومنهم قانصوه استادار الصحبة **ومنهم** قانصوه الاشرفى نايب
قلعة حلب ومنهم تمراز نايب طرابلس واخرين والذى ظهر من امر السلطان انه كان يبطل
جماعة من الامرا المقدمين العواجز ويجعل هولا عوضا عنهم **وفى يوم** الجمعة خامس عشر
شعبان توفى الحاج على البرماوى يوددار السلطان والمتحدث على جهات الديوان
المفرد وقد راى من العز والعظمة ما لا راه غيره من الاستادارية وساعدته الاقدار
حتى وصل الى ما وصل اليه فى هذه الوظيفة وكان سبب موته انه طلع له شقفة
فى ظهره فانقطع اثنى عشر يوما ومات **وكان** اصله من فلاحين برمة يبيع الخام
والطرح فى الاسواق وهو راكب على حمار الى ان فتح الله تعالى عليه وكان لا باس به وعنده
لين جانب مع تواضع **وظهر** له من المال الموجود بعد موته من الذهب العين خمسة
الاف دينار ووجد له فى مكان اثنى عشر الف دينار وستماية دينار ذهب عين ووجد
له من الجوخ والمهاره نحو خمسة واربعين راسا ومن الجاموس مايتين راس ومن الغنم
الضان الف نعجة ووجد له بالدواليب ارنيابة ثور وضاع له عند الفلاحين بالبلاد
اكثر مما تقدم ذكره فقوم ذلك الموجود بمايتين الف دينار **وفى يوم السبت**
سادس عشر شعبان اشيعت هذه الكاينة العظيمة التى طمت وعمت وزلزلت لها
الاقطار وما ذاك الا ان اخبار السلطان والعسكر انقطعت مدة طويلة ثم حضر كتاب
على يد ساعى مطرود من عند الامير علان دوادار ثانى احد الامرا المقدمين ان السلطان
كان يكذب فى امر سليم شاة بن عثمان ولا يصدق الى ان حضر مغلباى دوادار سكين
وهو فى حال سحق بزنط اقرع على راسه وهو لابس كبر عتيق دنى وهو راكب على

على اكديش هزيل وقد نهب بركه واخذت جنوله وقماشه واخبر ان ابن عثمان ابى الصلح
وقال له قل لاستاذك يلاقيني على مرج دابق واخبره انه رسم في الحديد وقصد
ان يحلق لحيته وقدمه الى السنق ثلاث مرات حتى شفع فيه بعض وزرايه وحمله
الزمل من تحت حيله على قفة على راسه وقاسى منه من التهدد له ما لا خير فيه فلما سمع
السلطان تحقق وقوع الفتنة بينه وبين ابن عثمان فانعم الامر على مغلباي بالف دينار
وخيول وقماش في نظير ما ذهب له والذي استفاض للناس من اخبار السلطان انه صلى
الظهر وركب وخرج من ميدان حلب يوم الثلاثا في العشرين من رجب وصحبته امير المومنين
المتوكل على الله والقضاة الاربع وكان قدامه نايب الشام ونايب حلب وجماعة من
النواب فخرجوا اباطلاب حربية وطبول وزموط حتى ارتجت لهم حلب فلما خرج السلطان
من حلب توجه الى حيلان فبات بها فلما اصبح يوم الاربعا حادي عشرين رجب رحل
السلطان من حيلان وتوجه الى مرج دابق فاقام به الى يوم الاحد سابع عشرين رجب
وهو يوم نحس مستمر فما يشعر الا وقد دهمته عساكر سليم شاه بن عثمان فصلى السلطان
صلاة الصبح ثم ركب وتوجه الى زعزعين وتل الفار قيل هناك مشهد نبي الله داود
عليه السلام فركب السلطان وهو بتخفيفة صغيرة وملوطه وعلى كتفه طبر وصار
يرتب العسكر بنفسه فكان امير المومنين على الميمنة وهو بتخفيفة وملوطه وعلى
كتفه طبر مثل السلطان وعلى راسه الصنجق الخليفتي وكان حول السلطان اربعين
مصحفا في اكياس حرير اصفر على روس جماعة اشراف وفيهم مصحف بخط الامام عثمان
ابن عفان رضي الله عنه وكان حول السلطان جماعة من الفقرا وهم خليفة سيدي احمد
البدوي ومعه اعلام والسادة الاشراف القادرية ومعهم اعلام خضر وخليفة سيدي
احمد الرفاعي ومعه اعلام خليفتي والشيخ عفيف الدين خادم السيدة نفيسة رضي الله
عنها باعلام سود وكان الصبي قاسم بك بن احمد بن عثمان المقدم ذكره واقفا بازا
الخليفة وعلى راسه صنجق حرير اصفر وقبل احمر وكان الصنجق السلطاني واقفا
على ظهر السلطان اي خلف ظهره بنحو عشرين ذراعا وتحته مقدم المماليك سنبل
العثماني والسادة القضاة الاربعة والامير تمر الزردكاش احد المقدمين وكان ميمنة
العسكر سيباي نايب الشام وعلى الميسرة خاير بك نايب حلب فكان اول من برز
الى القتال الاتابكي سودون العجمي وملك الامرا سيباي نايب الشام والمماليك القرانصة
دون المماليك الجلبان فقاتلوا قتالا شديدا هم وجماعة من النواب فهزموا عسكر
ابن عثمان وكسروهم كسرة مهولة واخذوا منهم سبع صناجق واخذوا المكاحل التي
على العجل ورماة البندق فهم ابن عثمان بالهروب او بطلب الامان وقد قتل من
عسكره نحو العشرة الاف انسان وكانت النصرة لعسكر مصر اولا ويا ليت لو تم
ذلك ثم بلغ المماليك القرانصة ان السلطان قال للمماليك الجلبان لا تقاتلوا

شي

شي وخلوا المماليك القرانصة تقاتل وحدهم فلما بلغهم ذلك فتروا عزمهم عن القتال
فبينما هم على ذلك واذا بالاتابكي سودون العجمي قد قتل في المعركة وقتل ملك الامرا سيباي
نايب الشام فانهزم من الميمنة من العسكر ثم ان خاير بك نايب حلب انهزم وهرب وكسر
الميسرة واسر الامير قانصوه بن سلطان جركس وقيل قتل وقيل ان خاير بك كان موالسا
على السلطان في الباطن وهو مع ابن عثمان على السلطان وقد ظهر مصداق ذلك فيما بعد
فكان هو اول من هرب قبل العسكر قاطبة وكان ظهر من الله تعالى قبل ذلك خذلان لعسكر
مصر حتى نفذ القضا والقدر وصار السلطان واقفا تحت الصنجق في نفر قليل من المماليك
فزع ينادي يا اغوات هذا وقت المروة فلم يسمع له احد قول وصاروا يتسحبون من
حوله وقال لهم ادعوا الى الله تعالى بالنصر فهذا وقت دعايكم وصار لا يجد له معين
ولا ناصر فانطلق في قلبه جمرة نار لا تطفى وكان ذلك شديد الحر وانعقد بين العسكرين
غبار حتى صاروا لا يرون بعضهم بعضا وكان نهار غضب من الله تعالى قد انصب على عسكر
مصر وغلت ايديهم عن القتال وشخصت منهم الابصار وقد قلت في هذه الواقعة هذه
الابيات

لما التقى الجيشان مع سلطاننا ● في مرج دابق قال هل من مسعفي ●
فله اجاب الحال قايلا ● عرضت نفسك للبلا فاستهدف ●
واشتد بالجلبان رعبا كلهم ● وغدوا يقولون اي ارض تختفي ●
والنهب اطعمهم لذل نفوسهم ● حتى اتاهم بالبلاد المتلف ●

فلما اضطربت الاحوال وزاد الحال خاف الامير تمر الزردكاش على الصنجق فانزله
وطواه واخفاه ثم تقدم الى السلطان وقال له يا مولانا السلطان ان عسكر ابن عثمان قد
ادركنا فانج بنفسك وادخل الى حلب فلما تحقق السلطان ذلك نزل عليه خلط
فالج ابطل شقته في الحال وارخى حنكه فطلب ماء فاتوا بماء في طاسة ذهب فشرب منه
قليلا والتفت بفرسه على انه يهرب فمشى خطوتين وانقلب من على الفرس الى الارض
فاقام نحو درجة وخرجت روحه ومات من شدة قهره وقيل تفقيت مرارته وطلع
من حلقه دم احمر فلما اشيع بموته زحف عسكر بن عثمان على من كان حول السلطان
فقتلوا الامير بيبرس احد الامرا المقدمين قريب السلطان والامير اقباي الطويل
امير اخور ثاني احد المقدمين وقتلوا جماعة من الخاصكية وغلمان السلطان ممن كان حوله
واما السلطان من حين مات لم يعلم له خبر ولا وقف له على اثر ولا ظهرت
جثته بين القتلى فكان الارض قد ابتلعته في الحال وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وداسوا
العثمانية المصاحف التي كانت حول السلطان بارجل الخيول وفقد المصحف العثماني
واعلام الفقرا وصناجق الامرا ووقع النهب في عسكر مصر وزال ملك الاشرف
الغوري في لمح البصر فكانه لم يكن فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتغير بعد ما تصرف
في ملك مصر واعمالها والبلاد الشامية واعمالها فكانت مدة سلطنته خمسة عشر

سنة وتسعة اشهر وعشرين يوما فانه ولي مصر في مستهل شوال سنة ست وتسعمائة وتوفي في الخامس والعشرين من رجب سنة اثنين وعشرين وتسعمائة فكانت الناس معه في هذه المدة في غاية الضنك وفيه قلت في المعنى

المجبو الاشرف الغوري الذي * مذ تزايد ظلمه في القاهرة
زال عنه ملكه في ساعة * خسر الدنيا اذا والاخرة

وقد اقامت هذه الواقعة من طلوع الشمس الى بعد الظهر وانتهى الحال على امر قد قدره الله تعالى فقتل في تلك الساعة من عسكر السلطان بن عثمان ومن عسكر سلطان مصر ما لا يحصى عدده فقتل من الامرا المقدمين ثلاثة وهم الاتابكي سودون العجمي وبيبرس قريب السلطان واقباي الطويل واسر واتانضوه بن سلطان جركس وقتل سيباي نايب الشام وتمراز نايب طرابلس وطراباي نايب صفد واصلان نايب حمص وغير ذلك جماعة كثيرة من امرا دمشق وامرا حلب وطرابلس وقتل من امرا مصر جماعة كثيرة من امرا الطبلخاناة والعشراوات والخاصكيه واكثر ما قتل من عسكر المماليك القرانصه ولم يقتل من المماليك الجلبان الا القليل فانهم لم يقاتلوا في هذه الوقعه ولا ظهر لهم فروسية فكانهم خشب مسندة وقتل من عسكر ابن عثمان ما لا يحصى ضبطه وقتل من امرا مصر ومن دمشق وحلب نحو الاربعين امير وقتل في ذلك اليوم القاضي ناظر الجيش عبد القادر القصروي وجماعة كثيرة من الجند ولم يقف الكلام على ذلك في موضعه فكانت ساعة يشيب منها الوليد ويذيبا لسطوتها الحديد فكان مرج دابق فيه جثث مرمية وابدان بلا روس ووجوه معفرة بالتراب قد تغيرت محاسنها وصار في ذلك المكان خيول مرمية موتى وسروج معرق وسيوف مسقطة بذهب وبركستوانات ولاد بذهب وخود وزردبات وغير ذلك قماش لم يلتفت اليها احد وكل من العسكرين قد اشتغل بما هو اهم من ذلك وقال بعض الادبا في المعنى

صفق جوادي وقد حييت يوم الحرب * عودي فغنت صوارم شرقها والغرب
طربت غادة تنقط في سماع الحرب * روس الاعادي وترقص داخله في الضرب

ثم ان ابن عثمان زحف بعسكره واتى الى وطاق السلطان وجلس في خيامه وجلس في الدد واحتوى على الطشتخاناة وما فيها من الاواني الفاخرة وعلى الزردخاناه وما فيها من السلاح وعلى خزاين المال والتحف ونزل كل امير من امرايه في وطاق امير من امرا الغوري واحتوى على ما فيها فاحتوى على وطاق خمسة عشر امير مقدم الوف خارجا عن الامرا الطبلخانات والعشراوات واحتوى العسكر العثماني على جمال العسكر المصري والشامي والحلبي وغير ذلك **كما قيل** مصايب قوم عند قوم فوايد ولم يتم قط لملوك ابن عثمان اخذ هذه النصرة على احد من الملوك قاطبة بل ان تمرلنك زحف على بلاد ابن عثمان وحارب احد اجدادهم وهو شخص يقال له يلدرم فلما طارده انكسر

ناسره

ناسره تيمورلنك ووضعه في قفص حديد وصار يجيء عليه في بلاد العجم فما طاق ابن عثمان ذلك فابتلع له فص الماس فمات وهو في ذلك القفص الحديد ولم يقع قط لاحد من سلاطين مصر مثل هذه الكاينة ومات تحت صنجقه في يوم واحد عدة من الامرا وجمع من العساكر وانكسر على هذا الوجه ابدا ولا سمع بمثل ذلك وذهب ماله وبركه بيد عدوه غير قانصوه الغوري وكان ذلك في الكتاب مسطورا **وكان** السلطان والامرا ما منهم احد ينظر في مصالح المومنين بعين العدل والانصاف فردت اليهم اعمالهم ونياتهم وسلط عليهم ابن عثمان حتى جرى لهم ما جرى كما قيل في المعنى

ان الملوك الذي في الارض قد ظلموا * والله منهم لقد اخلى اماكنهم

ثم ان السلطان ابن عثمان تحول عن مرج دابق ودخل الى حلب فملكها من غير مانع فنزل بالميدان الذي بها في المكان الذي كان به السلطان وهذا ما انتهى الينا من ملخص هذه الواقعة مع ما فيها من زيادة ونقصان فهذا ما كان من امر السلطان ابن عثمان **واما ما كان من امر الامرا والعسكر بعد الكسرة** فانهم توجهوا الى حلب وارادوا الدخول بها فوثب عليهم اهل حلب قاطبة وقتلوا جماعة من العسكر ونهبوا اسلاحهم وخيولهم وبركهم وودايعهم التي كانت بحلب وجرى عليهم من عسكر ابن عثمان ومن اهل حلب ما لا جرى على غيرهم وكان اهل حلب بينهم وبين المماليك السلطانيه حظ نفس من حين توجهوا قبل ذلك صحبة قاني باي امير اخور كبير فنزلوا في بيوت اهل حلب غصبا وفسقوا في نسايهم واولادهم وحصل منهم غاية الضرر لاهل حلب فاصدقوا اهل حلب بهذه الكسرة التي وقعت لهم فاخذوا بثارهم **فلما** راو الامرا وبقية العسكر ذلك خرجوا من حلب وتوجهوا الى دمشق ودخلوها وهم في اخس حال لا بركه ولا قماش ولا خيول ودخل غالب العسكر الى الشام وبعضهم راكب على حمار وبعضهم راكب على جمل وبعضهم عريان وعليه عباة او لبشت ولم يقع لعسكر مصر مثل هذه الكاينة فاقام الامرا والباشرين والعسكر في الشام حتى تكاملوا البقية وتظهر السالم من العاطب **قيل** ان الامرا لما دخلوا الى الشام صاروا في حر الشمس فلم يجدوا ما يستظلون به حتى صنعوا لهم الغلمان عرايش من فروع الشجر يستظلون بها **واما ما كان** من امر سليم سليم شاه بن عثمان فانه اقام بالميدان الذي في حلب فتوجه اليه امير المومنين المتوكل على الله والقضاه الثلاثة وهم قاضي القضاه الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاه محي الدين بن الدميري المالكي وقاضي القضاه شهاب الدين الفتوحي الحنبلي واما قاضي القضاه محمود بن الشحنه فانه هرب مع العسكر الى الشام وترك جميع بركه ودخل الى الشام في اخس حال **قيل** لما دخل امير المومنين على ابن عثمان وهو بالميدان عظمه واجلسه وجلس بين يديه فاشيع انه قال له اصلكم من اين فقال له من بغداد فقال له ابن عثمان نعيدكم الى بغداد كما كنتم والا تزال في ذلك كثيرة

فلما اراد الخليفة الانصراف اخلع عليه دلقة حرير من ملابسه وانعم عليه بمال له صورة
ورده الى حلب ووكل به ان لا يهرب من حلب وقيل لما دخل عليه قاضي القضاة وبخهم
بالكلام وقال لهم انتم تاخذوا الرشوة على احكامكم الشرعية وتشعوا بالمال حتى تتولوا
القضا لبئس ما كنتم تمنعوا سلطانكم عن المظالم التي كان يفعلها بالناس واشاعوا من
هذه الاخبار الاكاذيب والتراكيب والمعول في ذلك على الصحة واخبرني من راى سليم شاة
ابن عثمان انه مربوع القامة واسع الصدر اقتص العنق مكرفس الاكتاف مترك الوجه
واسع العينين دري اللون واقنى الانف ملئ الجسد حليق اللحية ليس له غير الشوارب
كبير الراس عمامته صغيرة دون عمائم امرائه فلما ملك حلب سلمه اهلها المدينة
وهرب نائب قلعتها الاشرف نائب القلعة وتوجه الى الشام مع العسكر وترك ابواب قلعة
حلب مفتحة فلما بلغ ابن عثمان ذلك ارسل اليها شخص من جماعته وهو اعوج اجرود
وفي يده دبوس خشب فطلع الى قلعة حلب فلم يجد بها مانع يرده فختم على الحواصل
الذي بها واحتوى على ما فيها من مال وسلاح وتحف وغير ذلك وقد فعل ابن عثمان
ايامه انه اخذ قلعة حلب بشخص اعوج وفي يده دبوس خشب وهو اضعف من في
عسكره وقيل في المعنى لا تحتقرن صغيرا في مخاصمة ان الذبابة ادمت مقلة الاسد
فاشيع ان ابن عثمان من حين استولى على مدينة حلب لم يدخلها غير ثلاث مرات
المرة الاولى دخلها وطلع الى القلعة بسبب عرض حواصلها فلما عرضها راى ما ادهش
من مال وسلاح وتحف واحتوى على ما كان فيها من المال نحو مائة الف الف دينار
والكنابيش الزركش والرقاب الزركش والطبر والسروج الدبلجي والبلور وطيور
البالات السنية والجم المرصعة بالفصوص المثمنة والبركستوانات العقوق لاد
الملون والبيوت المسقطة بالذهب والزرديات والخود الفاخرة وغير ذلك
من السلاح فراى ما لا راه قط ولا وقع به احد من اجداده ولا احد من ملوك الروم
والذي جمعه الغوري من الاموال من وجوه المظالم والتحف التي احرزها الغوري
من الخزائن من ذخائر الملوك السالفة من عهد ملوك الترك الجراكسة احتوى عليها
سليم شاة بن عثمان من غير تعب ولا شقا هذا خارج عما كان للامرا المقدمين وكلامهم
الطبلخانات والعشراوات والمباشرين والعساكر قاطبة من الودايع بحلب من مال
وسلاح وقماش وبرك فاحتوى ابن عثمان على ذلك جميعه وقيل انه ملك ثلاثة
عشر قلعة من معاملة بلاد السلطان واحتوى على ما فيها من سلاح ومال
وغير ذلك من التحف فكان الذي ظفر به سليم شاة ابن عثمان في هذه السنة
من الاموال والسلاح ما لا ينحصر ولا ينضبط وقد فتح له ذلك من الغنم واحتوى
على خيول وجمال ما لا يحصى عددهم واحتوى على خيام وبرك ولا سيما ما
كان مع السلطان وامرا العساكر كما قيل في المعنى

الا انما

الا انما الايام تحرم ساهرا ۔ واخر بابنه وزنه وهو نايم
ودخل المرة الثانية فصلى صلاة الجمعة في جامع الاطروش الذي بحلب وخطب باسمه
ودعي له على المنابر في مدينة حلب واعمالها ولما صلى بها صلاة الجمعة زينت له مدينة
حلب ووقد له الشموع على الدكاكين وارتفعت له الاصوات بالدعا واثنى عليه
الخواجا ابراهيم السمرقندي والخواجا يونس العادلي والعجمي الشنقشي وكانوا هولا
من خواص الغوري وكانوا مع ابن عثمان في الباطن ويكاتبوه باحوال السلطان وما
يقع من اخبار المملكة فلما فقد السلطان اظهروا عين المحبة لابن عثمان وصاروا من جماعته
ونسوا احسان الغوري اليهم كما قيل في المعنى

لقد اكثر من يلقاك او زار ۔ فلا تبالي احد واعتنك اولادرا
اظاتهم حين تلوحن اوعار ۔ وفعلهم منكر للمرء او عار
لهم اذ جاد الدنيا او طار ۔ اذا نفضوها تحوا عنك او طاردرا

وممن كان مع السلطان في الباطن وهو خاير بك نائب حلب فانه اول من كسر
عسكر السلطان وهرب من ميسرة السلطان حتى انكسر فتوجه الى حماه فلما ملك ابن
عثمان حلب ارسل خلفه واخلع عليه وصار من جملة امرائه ولبس زي التراكمة المدورة و
والدلامة وقص ذقنه وسماه خاين بك لكونه خان سلطانه واطاع ابن عثمان فسماه
ذلك الاسم فلما جرى ذلك تسحب مماليك خاير بك وتوجهوا صحبة العسكر الى مصر
ودخل هو تحت طاعة بن عثمان وهذه الواقعة قريبا من واقعة ابن العلقمي وزير بغداد
وقتل الخليفة فصار ابن العلقمي مقربا عندهلاكوا ثم انقلب عليه وقتله وقال انت
ما فيك خير لاستاذك يكون فيك الخير لي وربما يقع لخاير بك مثل ذلك ثم ان
ابن عثمان دخل الى مدينة حلب ثالث مرة بسبب انه دخل بها الحمام وانعم على معلم
الحمام بمبلغ له صورة واستمر الخليفة والقضاة الثلاثة الشافعي والمالكي والحنبلي
في الترسيم بحلب لا يخرجون منها حتى يوذن لهم من ابن عثمان واقام بحلب جماعة كثيرة
من اعيان الناس بعد العسكر منهم القاضي عبد الكريم بن الجيعان كاتب الخزاين الشريفة
وعبد الكريم ابن خيرة احد كتاب المماليك وعبد الكريم ابن الاذن في مستوفي الوزر وكاتبه
والوزير محمد بن التبصوفي امام السلطان السمديسي الذي كان قاضي القضاه الحنفية
وامام السلطان بن الوردي والخواص موذن السلطان ورفيقه رصاص الموذن وكبير
ابن بكير ورفيقه وجماعة اخرين ما يحضرني اسماوهم الان فهولا تخلفوا بحلب
بعد الكسرة وغير ذلك اخرين وقيل لما دخل ابن عثمان الى مدينة حلب نادى فيها
بالامان والاطمان والبيع والشرا وكان كل من كان عنده للامرا والعسكر من خيول
وسلاح وقماش يحضر ما عنده وان لم يحضر ما عنده وغمز عليه شنق على باب
داره من غير معاودة واما من قتل من الامراء واعيان الناس في هذه المعركة فالذي

يحضرني من ذلك وتحققته قتل الاتابكي سودون العجمي وملك الامرا سيباي من تحت
نجا نايب الشام والامير قانصوه ابن سلطان جركس وقيل لم يقتل واسر الامير بيبرس
قريب السلطان وهو صاحب المدرسة التي بالقرب من الجودرية والامير اقباي الاشرفي
الطويل احد المقدمين امير اخور ثاني فهذا الذي قتل من الامرا المقدمين في هذه الوقعة
واما من قتل من النواب نمراز الاشرفي نايب طرابلس ونايب صفد واصلان نايب
حمص وجماعة كثيرة من نواب الشام وحلب **واما** من قتل من امرا الطبلخانات والعشراوات
فجماعة كثيرة منهم طومان باي تابيا قرا حاجب ثاني وجاني بك العادلي شاد الشربخاناه
كان وقانصوه الذي كان استادار الصحبة وبخشباي قراجا شاد الشون وقيت
الاحول وقرقماس المزي توفي بالشام ويوسف الخلش الذي كان نايب صفد ومن الامرا
العشراوات جانم المحمدي وجان بردي الذي كان كاشف الرملة وبرسباي احد الامرا
العشراوات وتوفي اقباي الطويل الذي كان كاشف الشرقية وصلاح الذي كان نايب
القدس وان بردي وطراباي اخو الاتابكي قيت الرجبي وخدابردي وقانصوه الاعرج
وجانم الطويل وقايتباي اخو اصطمر وتوفي مسابد وتوفي طراباي قراد الظوه
الطويل خادم السادة وجان بلاط الذي كان والي قطيا وبرسباي احد الامرا العشراوات
وصهره وتوفي لاجين ناظر مقام سيدي احمد البدوي رضي الله عنه توفي بغزه
وقانصوه الناصري وتوفي طراباي الاشرقي وتوفي الامير اينال خازن دار الامير
تاني باي امير اخور كبير وكان من الامرا الطبلخانات وغير ذلك ممن ياتي ذكره
حتى قيل مات في الوقعة من امرا مصر والشام وحلب وغير ذلك نحو اربعين امير
لم يحضرني اسماهم الآن وقيل ازبك العجمي امير طبلخاناه وقيل جان بلاط الساقي
امير طبلخاناه وتوفي شاد بك نايب المهمندار وتوفي الامير اياس المستطوب
راس نوبة عصاه من العشراوات **واما** من توفي من المباشرين القاضي ناظر الجيش
عبد القادر القصروي قتل بوطاق السلطان وقتل محمد العفيف رئيس الكحالين وتوفي
جلال الدين احد كتاب المماليك توفي بغزه عند العود **واما** موت خليفة سيدي
احمد البدوي رضي الله عنه وغير ذلك ممن لا يحضرني اسماهم **واما** القاضي جمال الدين
عبد الله مباشر دقن تاني باي الجركسي قيل انه قتل في الوقعة **واما** من توفي من
الناس الزيني يونس بن قانصوه احد اولاد بنت قراتاني احد الطبردارية وشخص
يقال له محمد بن قرقماس الجمالي احد الطبردارية ايضا وقتل ابراهيم قرابز الزيني يونس
نقيب الجيوش المنصورة واخرين من الاعيان ما لا يحضرني اسماهم الآن وقيل بعد
الوقعة بحلب عبد الكريم اللادقي مستوفي الزردخاناه وقتل ابن علي الزردي **ومن**
هنا نرجع الى اخبار القاهرة بعد هذه الوقعة كان لما ورد كتاب الامير علان
الدوادار الثاني ما وقع من امر هذه الوقعة وقتل الامرا فقام العزا والصراخ في بيت

الاتابكي سودون العجمي وكان امير اخور اد ابنا لبني الجانبها وكان يعرف بسودون من
جاني بك **وكان** اصله من مماليك الاشرف قايتباي وولي عدة وظايف سنية منها امير
مجلس وامير سلاح والاتابكي سودون اظهر الفروسية في هذه الوقعة واستمر يقاتل
حتى قتل على ظهر فرسه رحمة الله عليه فقام نعي السلطان في ذلك اليوم ونعي الامرا الذين
قتلوا في ذلك اليوم وصار في كل حارة نعي بسبب من قتل من العسكر ورجت القاهرة في
ذلك اليوم وكثر الاضطراب والقال والقيل في القاهرة **وفي يوم** الاحد سابع عشر شعبان
وردت الاخبار على الامير الدوادار بان عربان بني عطية والمعايز نهبوا ضياع الشرقية
واخذوا منها نحو اربعماية راس غنم منها للسلطان والدوادار وخلوا وادي العباسة
فلما بلغ الامير الدوادار ذلك صلى الظهر ثم ركب وخرج اليهم وصحبته خمسماية
مملوك فكبس عليهم فهربوا من وجهه وغنموا ما نهبوه من الاموال والمواشي والغلال
وغير ذلك ثم رجع الامير الدوادار الى داره وفيه اخلع الامير الدوادار على الزيني
بركات بن موسى وشق القاهرة واشهر النداء بالامان والاطمان وان المشاهرة
والجامعة بطالة وجميع المظالم الحادثة بطالة وان الزيني بركات بن موسى على عادته
ولا يجني عليه احد وقد تضاعفت حرمته وتنافذت كلمته فوق ما كان ويجمع
معه عدة وظايف سنية وصار هو المتصرف في جميع امور المملكة وليس على يده يد
وفي يوم الاثنين ثامن عشره نفق الامير الدوادار الجامكية على العسكر الذي في القاهرة
فجلس الامير طقطباي نايب القلعة عند سلم المدرج ونفق الجامكية هناك
والاشاعات قايمة بموت السلطان والاحوال مضطربة **وفيه** رسم الدوادار
بعرض من في السجون حتى النسا التي في الحجرة فلما عرضهم افرج على جماعة كثيرة منهم
جان بلاط وبيدار الامير طراباي وكان له مدة وهو في السجن في المقشرة بسبب
المال الذي بقي عليه من حين كان متحدثا في نظر الديوان المفرد وافرج عن القاضي
بدر الدين بن تغلب قاضي اسيوط وكان له مدة وهو في المقشرة على بقايا من مال
القاهرة وافرج عن ولده شمس الدين واخيه نجم الدين وافرج عن صلاح الدين بن كاتب
غريب ابن اخي ابي الفضل وافرج عن المعلم شلشو اليهودي الذي كان معلم يهودي
واسلم وقد تقدم سجنه وافرج عن المعلم يعقوب الصايغ معلم دار الضرب وافرج عن
جماعة كثيرة من العمال والفلاحين والفرج عن النسا التي كانت بالحجرة وممن كان في
السجون من الاعيان ولم يبق في السجون غير ارباب الجرايم ومن عليه دم تدبير ولم
يترك في السجن الا القليل ممن قتل او سرق وقطع ايدي جماعة واطلقهم ووسط جماعة
من المجرمين منهم شخص يقال له عبد القادر ابو دبه واخرين منهم وقطع ايدي جماعة
من الحرامية وافرج عن القاضي صلاح الدين بن ابي السعود بن القاضي ابراهيم بن ظهيرة
قاضي قضاة مكة وكان له مدة وهو في الحديد في بيت الزيني بركات بن موسى لاجل

الترسيم واقام على ذلك مدة طويلة حتى افرج الله عنه وكان سببها ذلك شخص يقال
ابراهيم السمرقندي رافعه عند السلطان حتى اثر للتي خبيئة بمكة عند التجار فيها مال كثير
وارسل السلطان احضره على غير صورة مرضية من مكة قال له المال الذي لقيته احضر
فانكر ذلك فوضعه السلطان في الحديد وسلمه الى ابراهيم فاقام عنده في الترسيم في
الحديد مدة طويلة بغير ذنب وفي يوم الثلاثا تاسع عشره اخلع الامير الدوادار على
الشهابي احمد بن البدري حسن بن الطولوني واعاده الى وظيفة معلم المعلمين وكان
السلطان اخرجها عنه وجعل جمال الدين الالواحي بواب الدهيشة متكلما في المعلمين
عوضا عن ابن الطولوني وفيه رسم الامير الدوادار نايب الغيبة باشهار المناداة
في القاهرة بابطال المكوس الحادثة بطاله ويجري على ما كانت عليه ايام الاشرف
قايتباي من غير زيادة على ذلك وفي ذلك اليوم شنق الزيني بركات بن موسى الناظر
وسعر جميع الاسعار حتى الكنافة سعرها بدرهمين الرطل وكانت باربعة دراهم كل
رطل وسعر الاجبان واللحوم وفي اثناء ذلك الشهر فتح سد ابو المنجا وكان النيل يوميذ
في عشرين ذراعا سوى ووافق ذلك ثاني عشرين توت اول الشهور القبطية وكان
الامير الدوادار في مدة غيبة السلطان يركب في كل يوم ويسير نحو المطرية فاذا رجع
يدخل من باب النصر ويشق من القاهرة وقدامه الاكثر المقدمين الذين تخلفوا بمصر
وانجم الكثير من العسكر فيشق القاهرة وقدامه السعاه العبيد السود النفطية ومماليكه
بسيوف وبايديهم رماح بشطفات حرير ملون فترج له القاهرة وترتفع له الاصوات
بالدعا من الناس فكانت نفسه تحدثه بالسلطنة قبل وقوعها وقد عظم امره جدا
وفي يوم الجمعة لما تحقق موت السلطان لم تدع الخطبا في ذلك اليوم على المنابر
باسم السلطان بل دعوا باسم الخليفة فقط ولم يذكروا اسم السلطان وبعضهم
قال اللهم ول علينا خيارنا ولا تول علينا اشرارنا واستمر الحال على ذلك مدة
طويلة ومصر بلا سلطان وكذلك البلاد الشامية وفي تلك الايام وقع الفساد
من العربان في الشرقية وغيرها من البلاد فنهبوا عدة بلاد من المنزلة وغيرها من ضواحي
الشرقية ولم يبقوا لهم مواشي ولا بقر ولا غنم حتى اخذوا صبية النسا وقتل من
الفلاحين في هذه الحركة ما لا يحصى عددهم من الفساد وانقطعت جميع الطرقات
من المسافرين ولا سيما لما تحققوا موت السلطان وصارت مصر في اضطراب
والاشاعات قايمة بالاخبار الردية عما جرى للسلطان والعسكر وكان الاكثر من شنع
هذه الغارات اولاد شيخ العرب الامير احمد بن بقر وجماعة من العشير وفعلوا ما اعظم
من ذلك العسكر والتجار الذي دخلوا صحبة الثقل فقتلوا من العسكر والتجار ما لا
يحصى عددهم واخذوا اموالهم وجمالهم والذي عروه وجرى على العسكر ما لا جرى
عليهم من عسكر ابن عثمان ووقع لهم ذلك بين قطيا والصالحية عندما وصلوا الى

الامان

الامان وفي ذلك الشهر اشيع ان المماليك الجلبان قصدوا ان ينزلوا من الطباق وينهبوا
خان الخليلي ثم يحرقونه ويقتلون من به من تجار الاروام وقالوا هولا التجار من جهة
ابن عثمان وقد شمتوا باستاذنا لما مات فلما بلغ الامير الدوادار ذلك احضر
اغوات الطباق وقال لهم لا اعرف هذه الفتنة الا منكم فمنعوهم من النزول من الطباق
ولولا الامير الدوادار قام في هذه الحركة حتى خمدت هذه الفتنة لخربت مصر على ايديها
من المماليك الجلبان وفيه اهتم الامير الدوادار بعمل طوارق خشب ومكاحل
بندقيات وغير ذلك من آلات الحرب واشيع انه يتسلطن قبل مجي العسكر وكان القايم
في ذلك الامير طقطباي نايب القلعة والامير علان الدوادار الثاني احد المقدمين
وفي يوم الجمعة الثانية لم تذكر الخطبا اسم سلطان في الدعا كما فعلوا في الجمعة الماضية
وقيل من حين ورد كتاب الامير علان بما جرى للعسكر من امر الكسرة وامر السلطان
لم يرد من بعد ذلك اخبار صحيحة وانقطعت الاخبار عن مصر نحو اربعين يوما لم يرد
فيها خبر صحيح وكثر القال والقيل في ذلك على انواع شتى ومن جملة ما اشيع ان
جان بردي الغزالي نايب الشام منع الاخبار ان لا يصل الى مصر وعوق العسكر بالشام
وفيه ورد اخبار من عند الامير حسين نايب جدة والريس سلمان العثماني انهما لما توجها
الى الهند صحبة العسكر المقدم ذكرهم وصلا الى كمران وهي ضيعة من ضياع الهند قالوا
هناك قلعة ذات ابراج فتكمل بناؤها في نحو خمسة اشهر ثم ان الامير حسين ارسل
طايفة من العسكر نحو مكان يسمى المخبة وارسل طايفة من العسكر الى مكان يسمى مور
واقام الامير حسين هو وبقية العسكر في مكان يسمى بيت الفقيه فاقاموا بها نحو
شهر ثم ان الامير حسين والريس سلمان والعسكر توجهوا الى نحو زبيد من ضياع
الهند وحاصروا صاحبها عبد الملك اخو الشيخ عامر فملكوا منه زبيد وذلك صبيحة يوم
الجمعة في العشرين من جمادى الاخرة سنة اثنين وعشرين وتسعماية وقتلوا بها من الامم
ما لا يحصى عددهم ثم ذكروا في الكتاب ان الامير حسين لما ان فتح زبيد توجه الى
حصار مدينة عدن وانه اشرف على اخذها ولما ملكوا زبيد اقاموا بها شخصا من مماليك
الاشرف الغوري وهو من امرا العشراوات يسمى برسباي هو وبعض جماعة من المماليك
وجماعة من اولاد الناس الذين كانوا صحبتهم والتف عليهم جماعة من العربان نحو عشرة الاف
انسان ولما ملك برسباي زبيد تسلطن بها ورتب له دوادار وخازندار وامرا
وارباب وظايف كعادة السلطان وغنم منها اموالا جزيلة هو ومن معه من العسكر وفيه
توجه الى حصار عدن ايضا وملكها كما قيل وفي هذا الشهر عرض الامير الدوادار العسكر
الذي في القاهرة وكان ذلك العرض في بيته وكان سبب هذا العرض ان بلغ الامير
الدوادار عدة مراكب وصلت الى ثغر الاسكندرية ونحو رشيد فخشي انها تكون من عند
ابن عثمان فبادر وعرض العسكر وقال لهم كونوا على يقظة وعبوا على بركم حتى نسمع

هذا الخبر فانفصل المجلس على ذلك فانصرف العسكر **وفي شهر رمضان كان مستهله**
يوم السبت فتوجه لبيت الامير الدوادار جماعة من نواب القضاة وهنوه بالشهر
وتوجه قاضي القضاة محمود بن الشحنة الحنفي وكانت القضاة الثلاثة والخليفة
في اسر سليم شاه ابن عثمان بحلب لا يمكنهم من العود الى مصر **وفي يوم** الاحد ثانيه
كان اول بابه من الشهور القبطية فثبت فيه النيل المبارك على عشرين ذراعا سوا
وكان في العام الماضي ادرج من ذلك واستمر في ثبات الى اول هاتور **وفيه** وردت
الاخبار على يد ساعي بان الامرا والعسكر دخلوا الى الشام وهم في اسوء حال وقد نهب
بركهم وجواهرهم وجمالهم وجميع ما يملكوه وكذلك العسكر واخبر ذلك الساعي ان اهل
الشام لما تحققوا موت السلطان وثب بعضهم على بعض ونهبوا زرع الشام وجارت
السمرة واخذوا اموالهم وقتل منهم جماعة واضطرب احوال البلاد الشامية غاية
الاضطراب **وفيه** دخل قاضي القضاة محمود بن الشحنة وقد نهب جميع بركه وكلما
يملكه واخبر ان ابن عثمان ملك ثلاث عشر قلعة وخطب باسمه فيها ومشى حكمه
من الفرات الى حلب واخبر ان الخليفة والقضاة الثلاثة في اسر ابن عثمان بحلب ولولا
هرب مع العسكر والا كان اسر معهم واخبر ان ابراهيم السمرقندي ويونس العادلي
والمحمي الشنقشي الذين كانوا من اخصا السلطان الغوري لما مات انضموا على سليم
شاه ابن عثمان وصاروا من جماعته وصاروا يتقربون اليه بمرافعة جماعة الغوري
ولم يتذكروا اشياء من احسان الغوري لهم ولا سيما ما احسنه الغوري الى الشنقشي
من سلاريات دمشق وصمور ومال وانعامات جزيله فلم يثمر ذلك فيهم
فلما بلغ الامير الدويدار ذلك رسم للوالي ان يكبس على بيت السمرقندي ويونس
العادلي فتوجه اليهم الوالي وقبض على عيال السمرقندي ويونس العادلي وظهر انهم كانوا
موالسين على السلطان وكانوا يكاتبوا سليم شاه ابن عثمان في الباطن باحوال السلطان
وامور المملكة وصاحب البيت ادرى بالذي فيه **وفي يوم** الجمعة سابعه صلى الامير
الدويدار صلاة الجمعة وخرج الى ملاقاة الامرا المقدمين الذين حضروا من الشام
وقد بلغه وصولهم الى بلبيس فدخل القاضي محمود كاتب السر بن اجا وهو في محفة
وصحبته الشهابي احمد بن الجيعان ودخل الامير انسباي حاجب الحجاب وتمر الزردكاش
والامير علان الدوادار الثاني واخرين من الامرا ثم دخل بقية العسكر وهم في اسوء
الاحوال من العري والجوع والمقت وجميع الامرا والعسكر يدخلون الى مصر
واطواقهم مفككة واظهروا الحزن على السلطان وصاروا الامرا والعسكر يدخلون
شيا فشيا **وفي يوم** الخميس ثالث عشره دخل الامير سودون الدواداري راس
نوبة النوب والامير قانصوه والامير جان بردي الغزالي الذي كان نايب حماه
ودخل المقر الناصري محمد نجل السلطان الغوري والامير جان بلاط الموتر والامير

ابو...

ابوك الاشرفي والامير قاني بك الخازندار والامير كرتباي **وفيه** لما تم دخول الامرا
فسلم عليهم الامير الدوادار ورجع الى منزله ودخل صحبته الامير قانصوه الاشرفي
الذي كان نايب قلعة حلب وسلم القلعة بما فيها من المال والسلاح والقماش وغير
ذلك من التحف فسلمها قانصوه هذا والامرا من غير قتال ولا محاصرة مع ان قلعة
حلب حصينة مانعة فلما قابل الامير الدوادار وبخه بالكلام ورسم بسجنه في البرج
الذي في القلعة واستوعده بكل سوء **فلما** دخل الامرا الى القاهرة اجتمع راي الجميع
على سلطنة طومان باي الدوادار وترشح امره ان يلي السلطنة فصار يمتنع من ذلك
غاية الامتناع والامرا كلهم يقولون ما عندنا سلطنة الا انت طوعا او كرها ثم ان الامير
الدويدار ركب وصحبته جماعة من الامرا المقدمين منهم الامير علان والامير انسباي
حاجب الحجاب والامير تمر والامير تنطباي نايب القلعة واخرين من الامرا وتوجهوا
الى عند الشيخ الذي في كوم الجارح **فلما** تكامل المجلس ذكروا للشيخ امر سلطنة
الدوادار وانه امتنع من ذلك فاحضر لهم الشيخ مصحف شريف وحلفوا الامرا
الذين حضروا صحبة الدوادار بانهم اذا سلطنوه لا يخونوه ولا يغدروه ولا
يتآمروا عليه ويرضوا بقوله وفعله فحلفوا الجميع على ذلك **ثم** ان الشيخ
حلفهم ان لا يعودوا يظلموا الرعية ولا يجددوا مظلمة ويبطلوا جميع ما احدثه
الغوري من المظالم ويبطلوا ما كان على الدكاكين من المشاهرة والمجامعة وان يجروا
الامور على ما كانت عليه من ايام الاشرف قايتباي ويمشوا الحسبة على ضربة
يشبك الجمالي لما كان محتسبا فحلفوا على ذلك ثم ان الشيخ حلف للامرا ان الله تعالى
ما كسركم وخذلكم وسلط عليكم ابن عثمان الا بدعا الخلق عليكم في البر والبحر
فقالوا له تبنا الى الله تعالى من اليوم عن الظلم ثم انفض المجلس على ذلك وخرجوا من
عند الشيخ ابو السعود على ان يسلطنوا الامير الدوادار واخذ الشيخ عليهم العهد
بجميع ما حلفهم عليه بحضرته كما تقدم وترشح امر الامير الدوادار الى السلطنه
وتسلطن كما سياتي ذكر ذلك في موضعه **ومن هنا نرجع الى اخبار**
الاشرف الغوري فانه خرج من القاهرة خامس عشر ربيع الاخر من هذه السنة واستمر
نافذ الكلمة وافر الحرمة الى ان دخل الى حلب واقام بها وارسل اليه ابن عثمان عدة قصاد
وهو تارة يظهر الصلح وتارة يابى والسلطان مسلوب الاختيار معه في جميع ما يرسل
به ويخلع على قصاده الخلع السنيه وينعم عليهم بالعطايا الجزيله **فلما** رجع من عنده
قاصده وهو في غاية البهدله كما تقدم وكان السلطان ارسل قاصده مغلباي هذا الى
ابن عثمان وهو لابس آلة الحرب باللبس الكامل فشق ذلك على ابن عثمان وبهدله **وفيه**
حضر الى عند السلطان واعلمه ان ابن عثمان ابى الصلح **فلما** تحقق ذلك السلطان
ان ابن عثمان قد وصل اليه نادى للعسكر بالرحيل والخروج من حلب فخرج العسكر قاطبة

ابو السعود

دهر كالنجوم الزاهرة من آلة السلاح والخيول الغايرة وكل فارس منهم بالف فارس من عسكر ابن عثمان فتوجهوا الى مرج دابق يوم الاحد خامس عشرين رجب من هذه السنة فلما بلغه ان عسكر ابن عثمان قد وصل الى تل الفار ركب صبيحة يوم الاحد المذكور وهو يوم نحس مستمر فبرز بهم الى قتال ابن عثمان وكانت الكسرة اولا على عسكر ابن عثمان ثم بدل الله تعالى هذا الامر وعادت الكسرة على عسكر مصر فلما راى السلطان عين الغلب من عسكره اراد ان يلفت فرسه ليهرب وينجوا بنفسه فاعتراه سار نز من الوجنة كالمغمى عليه فسقط من ظهر فرسه الى الارض فطلعت روحه في تلك الساعة وهو ملقى على الارض فرجعت عليه عسكر ابن عثمان ففر من كان حوله من الخاصكية والسلحدارية والمماليك وتركوا جثته على الارض فكان اخر العهد به ولا يرى له جثة ولا يعرف له مكان قبر فكانما ابتلعته الارض ولم يقف له احد من الناس على خبر ومن العجايب انه لم يدفن في مدرسته التي اصرف عليها نحو مايتي الف دينار فصار مرمى في البراري وقد تناهشته الذباب والنمورة ومات وله من العمر نحو ثمانية وسبعين سنة فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية خمس عشر سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرين يوما وكانت هذه المدة على الناس كل يوم كالف سنة مما تعدون وكان صفته طويل القامة غليظ الجسد ذو كرش كبير ابيض اللون مدور الوجه مشحم العينين جهوري الصوت مستدير اللحية ولم يظهر بلحيته الشيب الا قليلا وكان ملكا مهابا جليلا مبجلا في المواكب تملا العيون منه في النظر ولولا ظلمه وكثرة مصادرته للرعية لكان خيار ملوك الجراكسة بل وخيار ملوك مصر كافة وكان يوم الاثنين والخميس بالحوش السلطاني ويوم السبت والثلاثا بالميدان فينزل من السبع حدرات وقدامه طوالبين خيل بسروج ذهب وكنابيش وبياتر زركش وكان يكثر في الاسفار من ركوب الجورة بالسروج البداوي والركب الزاهي وكان يشد في وسطه حياصة ذهب عوضا عن الشد البعلبكي وكان يلبس في اصابعه الخواتم الياقوت والفيروزج والزمرد والماس وعين الهر وكان مولعا بشم الرايحة الطيبة من المسك والعود والبخور وكان ترفا في ملبسه وزي دون الازهار والفواكه ويميل الى ابنا العجم وربما كان يميل الى مذهب التيمية من ميله الى معاشرة الاعاجم وكان مولعا بغرس الاشجار وحب الرياضات وسماع الاطيار المغردة وشم الازهار العطرة والبخور وكان يستعمل الطاسات الذهب يشرب فيها الماء وكان يستعمل الاشيا المفرحة وكان نهما في الاكل والشرب وكان يهوى طيور المسموع وكان يعرف بما يصبوه من بيبردي الغوري واستمر يتنعم في رياض ملك مصر على ما ذكرناه من التنعم والرفاهية وهو نافذ الكلمة وافر الحرمة والاكرام والنواب والعسكر في قبضة يده لم يختلف عليه اثنان في كلمة الى ان دهمت هذه

الوقعة

الوقعة بينه وبين سليم شاه بن عثمان ملك الروم فخرج اليه وجرى له ما جرى هذه الكاينة العظمى التي لم تقع لملك من ملوك مصر وغيرها من الملوك وكان ذلك في الكتاب مسطورا وقد قلنا في معنى ذلك

طالع في تاريخ الملوك فهل ترى	سمعت ظهر بجواح مما جرى
لا زالت الايام تبدوا فعلها	عجايبا وغرايبا بين الورى
لكن هذا حادث ما مثله	سبقت لسلطان ولا منا مرا
والاشرف الغوري كان مليكا	لكنه قد جار فيها وافترى
والموت ادركه هو مع جيشه	قد كان ذلك في الكتاب مسطرا
اماله ردت عليه بما قد جنى	والدهر جازاه بامر قدرا

وكان للغوري محاسن ومساوي لكن مساويه اكثر من محاسنه واما ما عد من محاسنه فانه كان رضي الخلق يملك نفسه عند الغضب وليس له زيادة حدة عند قوة غضبه ومنها انه كان له اعتقاد زايد في الفقرا والصالحين ومنها انه كان يعرف مقادير الناس على قدر طبقاتهم ومنها انه كان ماسك اللسان عن سب الناس في شدة غضبه ومنها انه كان ينظم الشعر ويحب سماع الالات والغنا وليس له هرج وكان مغرما بقراات التواريخ والسير ودواوين الاشعار وكان قريبا من الناس يحب المزح والمجاز في مجلسه غير انه كثيف الطبع في ذاته وكان عنده لين جانب ورياضة بخلاف طبع الاتراك ولم يكن عنده شمم ولا تكبر نفس ولا رقاعة زايدة بخلاف عادة الملوك في افعالها واما ما عد من مساويه فانها كانت كثيرة لا تحصى ومنها انه احدث في ايام دولته من انواع المظالم ما لا احدث في ساير الدول من قبله ومنها ان معاملته في الذهب والفضة والفلوس الجدد اضحى المعاملات جميعها دغل ونحاس وغش لا يجد صرفها ولا يجوز في ملة من الملل ومنها ما قرره على الحسبة في كل شهر وهو مبلغ الثان وسبعماية دينار وكانت السوقة تبيع البضايع بما يختاروه من الاثمان ولا يقدر احد يكلمهم فيقولون علينا مال للسلطان فكانت ساير البضايع في ايامه غالية بسبب ذلك وقرر على دار الضرب مالا له صورة في كل شهر فكانوا يغشون في الذهب والفضة النحاس والرصاص جهارا فكان الاشرفي الذهب اذا صنعوه يظهر فيه اثنا عشر نقصا وقد سلم السلطان دار الضرب الى شخص يسمى جمال الدين فلعب في اموال المسلمين واللف العاملة وسبك ذهب السلاطين المتقدمة حتى صار لا يوجد لاحد من الناس منها لا دينار ولا درهم ومنها شنق جمال الدين قرر في دار الضرب المعلم يعقوب اليهودي فمشى على طريقة جمال الدين وقد استباح اموال المسلمين فكان النصف الفضة ينكشف في ليلته ويصير من جملة الفلوس الحمر فاستمر الغش في معاملته في مدة دولته الى الان ما تغير وقد ورد في الحديث الشريف من غشنا ليس منا ومنها انه كان يولي الكشاف ومشايخ

العربان على البلاد المقطعين والاوقاف فياخذ كل منهم المثل امثال فضعفت امر الجند
من يوميذ وتلاشى حال البلاد الشاميه والحلبيه وقرر عليهم الاموال الجزيله فى كل سنة
بقدر معلوم فياخذونه من الرعية بالظلم والعسف وكان كل واحد منهم ينفى الرجل
من بلاده الى غيرها من عظم الظلم الذى يصيبهم من النواب ولاسيما ما حصل لعربان جبل
نابلس بسبب المال الذى اخذه منهم لاجل المشاة عند خروج التجريده فما حصل على اهل البلاد
الشاميه بسبب ذلك خير وكان حسين نايب جده ياخذ العشر من تجار الهند المثل عشرة
امثال فامتنعت التجار من دخول بندر جده وآل امره الى الخراب وعز وجود الشاشات
من مصر وعز وجود الاصناف التى كانت تجلب من بلاد الافرنج والاوز والقطاع
واخرب البندر وكذلك بندر الاسكندريه وبندر دمياط فامتنعت تجار الافرنج
من الدخول الى تلك البلاد من كثرة الظلم وكان كل احد من اراذل الناس يتقرب الى
خاطر السلطان بنوع من انواع المظالم فقرر على بيع الغلال قدرا معلوما ياخذ
على كل اردب غلال اضاف من البايع والمشترى وكذلك على البطيخ والرمان حتى خرج
على بيع الملح وجدد عدة مكوس من هذا النمط مالا يحتمله هتاد من زمانه ولم يعرفه
من اعيان التجار احد حتى صادره ودخل فى جملة ديون حتى اورده ما قرر عليه
واما من مات تحت عقوبته بسبب المال القاضى بدر الدين بن كاتم السر مزهر
ومنهم شمس الدين بن عوض ومعين الدين بن شمس الدين وعلم الدين كاتب الخزانه
وغير ذلك جماعة كثيرة من المباشرين والعمال ما توفى فى سجنه بسبب المال والمصادرات
واما افعاله الشنيعه مافعله مع اولاد الناس من خروجهم اقطاعاتهم ورزقهم من
غير سبب واعطا ذلك الى مماليكه الجلبان ومنها قطع جوامك الايتام من الرجال
والنسا والصغار وحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك ومنها انه ارسل فك الرخام
الذى بقاعة ناظر الجيش الخاص يوسف التى تسمى نصف الدنيا فوضع ذلك الرخام
فى قاعة البحر سيه التى بالقلعة ومنها انه قطع معتادات الناس من الديوان
المعتد من تقادم الزمان وجدد اخذ الحمايات من المقطعين من قبل ان يزيد النيل وتزرع
الاراضى وكانت المقطعين تقاسى الجهد لاجل ما لاجرفيه ثم تزايد شحه حتى صار
يحاسب السواقين الذى فى سواقى القلعة والخولة التى فى سواقى الميدان بالجملة
روث الابقار وما يتحصل من ذلك فى كل يوم يبيعها وقرر عليهم مبلغا يوردونه
للذخيره الشريفه وكانت ارباب الوظايف من المباشرين والعمال معه فى غاية الضيق
لا ينفك عنهم من المصادرات ساعة واحدة وكان من جملة ذوقه انه امر خاير بك الخازندار
يباشر ضبط امر الخزانة بنفسه ما يدخل اليها وما يخرج منها وما يعرضوا عليه لا مور
فى ذلك حسبه من الوصولات وما يصرف من الخزاين فى كل يوم وكانت هذه الاموال
العظيمة التى تدخل له يصرفها فى عماير ليس بها نفع للمسلمين ويزخرف الحيطان

والسقوف

والسقوف بالذهب وهذا عين الاسراف لبيت مال المسلمين وكان يهرب من المحاكمات
كما يهرب الصغير من الكتاب وما كانت له محاكمه تخرج على وجه مرضى بل على امور مستحيله
وكان يتغافل عن امر القتلا ويدفعهم الى الشرع وتضيع حقوق الناس عليهم وكان يكسل
من علامة المراسيم فلا يعلم على راس المراسيم الا قليلا فتتوقف اشغال الناس بسبب ذلك
حتى كانت تشترى العلامة العتيقه باشرفى على ان تلصق على المرسوم ولاجل قضا الحوايج
ولو شرحنا مساويه كلها لطال الشرح فى ذلك كله انتهى واما من تولى الخلافه فى ايامه فامير
المومنين محمد المتوكل على الله نجل امير المومنين المستمسك بالله يعقوب واما قضاة
الشافعيه اولهم شيخ الاسلام قاضى القضاه زكريا وقاضى القضاه محيى الدين عبد القادر
النقيب تولى وظيفة القضا فى ايامه خمس مرات وقاضى القضاه برهان الدين بن ابى
شريف المقدسى وقاضى القضاه شهاب الدين بن ابو نور المقدسى وقاضى القضاه جمال
الدين القلقشندى تولى القضا فى ايامه مرتين وقاضى القضاة كمال الدين محمد بن على
الشهير بالطويل القادرى وقاضى القضاه بدر الدين المكينى وقاضى القضاة علاى الدين
ابن النقيب ثم اعيد قاضى القضاه كمال الدين الطويل وقد ولى القضا فى دولته اربع
مرات واما قضاة الحنفيه فالقاضى سرى الدين عبد البر بن الشحنة ثم القاضى
برهان الدين بن الكركى ثم القاضى شمس الدين محمد السمديسى ثم القاضى حسام الدين
محمود بن الشحنة واما قضاة المالكية فالقاضى عبد الغنى بن تقى الدين ثم القاضى
برهان الدين الدميرى ثم ولده محيى الدين يحيى ثم جلال الدين بن قاسم ثم اعيد
محيى الدين بن الدميرى ثانيا واما قضاه الحنابله فالقاضى شهاب الدين احمد
الشيشينى ثم ولده عز الدين محمد ثم شهاب الدين الفتوحى واما كتاب سره فالقاضى
محب الدين الحلبى واما نظار جيشه فالقاضى شهاب الدين احمد بن الجمالى يوسف ناظر
الخاص والقاضى عبد القادر القصروى واما نظار خواصه فالقاضى علاى الدين
ابن الصابونى اولا ثم علاى الدين بن الامام ثم ناصر الدين الصفدى ثم اعيد ابن الامام
ثانيا واما وزرايه فالامير قطلباى من ولى الدين وجمع بين الوزارة والاستادارية
ثم الامير تغرى بردى ثم الامير يوسف البدرى واما استادارية فالامير تغرى
بردى بن سلباى القادرى ثم الامير تمرباى خازندار الملك العادل طومان باى
ثم الشرفى يونس النابلسى ثم قرر الامير طومان باى الدوادار فى الاستادارية
مضافا لما فى يده من الدوادارية الكبرى واستمر بها الى ان تسلطن واما من ولى
الحسبة فى ايامه فالامير قرقماس المقرى ثم الزينى بركات بن موسى ثم الامير ماماى
الصغير واما اتابكيته فاولهم قيت الرجبى وقرقماس من ولى الدين ودولات باى
من اركماس وسودون العجمى واما دواداريته فاولهم مصرباى ثم اردبرمن على
باى ثم طومان باى الذى تسلطن بعده واما حجابه فالامير خاير بك الذى قرر

في نيابة حلب والامير انسباي من مصطفى واما بقية الكرا وارباب الوظايف على حكم
ماتقدم من اخبارهم واما نواب بالشام فالامير دولات باي من ادكماس فرقا بصوه
المحمدى الشهير بالبرجا وسيباى من تحت جحا واما نوابه بحلب اركماس من طراباى
ايضا وتخشباى بن عبد الكريم وسودون من جنبيك وجانم وجنبيك وابرك الاشرفى
وتمراز الاشرفى واما نوابه بصعد قانصوه من قرا وقانى باى العثمانى وسودون
الدوادارى واما نوابه بغزه صلاح الدين الذى كان نايب القدس وازبك الصوفى
الذى كان نايب القدس واقباى الذى كان كاشف الشرقية واخر من ولى بها فى ايامه
دولات باى الاعمش وقد جمع له بين نيابة القدس والكرك ونيابة غزه وولى
بها اخرين غير هولا ماذكر واما انشاآته التى بالقاهرة فمن ذلك الجامع والمدرسة
اللتان انشاهما عند الشرابشيين والوكالة والحواصل والربوع الذى انشاه هاخلف
المدرسة عند المصبغه ومن انشايه المادنه التى عمرها بالجامع الازهر وهى براسين وانشا
هناك الربع والحوانيت التى بالسوق خلف الجامع وانشا الربوع الذى بخان الخليلى
وجدد عمارة خان الخليلى وانشا به الحواصل والدكاكين وانشا فى باب القنطره
ربعين ودكاكين وكذلك الربعين اللذان بين الصورين والطاحون عند المصبغة
وانشا البيت الذى فى البند فابنين لولم وتناهى فى زخرفته وانشا هناك ربعا
ووكالة وانشا الميدان الذى كان تحت القلعة ونقل اليه الاشجار من البلاد الشامية
واجرى اليه ما النيل من سواقى نقاله وانشا به المناظر والبحرة والمقعد والبيت
برسم المحاكمه وانشا جامعا خلف الميدان عند حوش العرب بخطبة ومادنه وجدد
غالب عمارة القلعة منها الدهيشه وقاعة البيسريه وقاعة العواميد وقاعة
البحرة وانشا المقعد القبلى الذى بالحوش وجدد عمارة المطبخ الذى فى القلعة
وجدد عمارة القصر الكبير الذى بالقلعة وساير البيوتات التى بها وجدد عمارة
سبيل المومنين وجعل سقفه عقود بالحجر وانشا الربع والدكاكين الذى تحت سوق
عبد المنعم وانشا الربع والوكاله اللذان بالجسر الاعظم وجدد عمارة ميدان المهارة
الذى بالقرب من قناطر السباع وبناه بالحجر النحيت المشهر بعد ماكان بنى بالطوب اللبن
وانشا المجراه ونقلها من درب الحوذى الى موردة الحلفا وجدد عمارة المقياس وانشا
به القصر على تلك المسطبه التى كانت بها وانشا بها المقعد المطل على البحر وجدد
عمارة المقياس والجامع الذى هناك وجدد عمارة قنطرة بنى وايل والقنطرة الجديدة
وقنطرة الحاجب وقنطرة الجزوى وعلاها حتى صارت تدخل المراكب من تحتها وجدد
عمارة قناطر السباع وانشا المصاطب وعليها الدعاير عند قبة الامير يشبك التى بالمطريه
وانشا بالطينه على ساحل البحر المالح قلعة لطيفه بها ابراج وجامع بخطبة وانشا
بثغر رشيد صورا وابراج لحفظ الثغر وجدد عمارة الابراج بالاسكندرية واصلح

قاعدة

طريق

طريق العقبة ودوارحفو وانشا هناك خانا وابراجا على بابه وجعل الحواصل لاجل ودايع
الحجاج وانشا فى الازلم خان لاجل ودايع الحجاج وجعل فيه الحواصل مثل الخان الذى
فى العقبة وحفر هناك ابارا فى عدة مواضع من مناهل الحجاج وانشا بمكه المشرفه مدرسة
ورباطا للمجاورين والمنقطعين هناك واجرى عين بازان بعد ماكانت انقطعت من
سنين وانشا بجدة سورا على ساحل البحر المالح وفيه عدة ابراج بسبب حفظ البندر وجدة
من الافرنج وجعل هذا السور من احسن المبانى هناك وله غير ذلك من الاثار الحسنة
عدة مبانى بها نفع للمسلمين وفى الجملة ان السلطان الغورى كان خيار ملوك الجراكسه
على عوج فيه ولم يجى احد من الملوك يشابهه فى افعاله وعلو همته ولا عزمه فى الامور
وكان كفوا تاما للسلطنه مجلا فى المواكب تملا منه العيون واما من توفى فى ايامه
من اعيان الحكما ومشايخ الاسلام وقضاه القضاة فمن ذلك توفى الشيخ بدر الدين بن عبد
الرحمن الديرى رحمة الله عليه وكان من اعيان علماء الحنفية مفتيا اصيلا مدرسا عريفا
ولى مشيخة الجامع المويدى وكان من خيار ابناء الديرى وتوفى الشيخ شهاب الدين
خليفة سيدى احمد البدوى رحمة الله عليه وكان من اعيان مشايخ الحنفيه وجات
الاخبار بوفاة قاضى القضاة الحنبلى بهاء الدين بن قدامه توفى بدمشق وولى قضا
الحنابلة بمصر والشام وتوفى الحافظ العلامة جلال الدين عبد الرحمن وكان من اعيان
علما الشافعية بلغت مصنفاته ستماية تاليفا وكان بارعا فى علم الحديث وتوفى فى
جمادى الاولى سنة احدى عشر وتسعماية وتوفى الشيخ ابراهيم المواهبى الشاذلى رحمه
الله تعالى وكان من اعيان مشايخ الصوفيه وتوفى العلامة تقى الدين الاوجاقى شيخ الحديث
رحمة الله عليه وتوفى قاضى القضاه المالكيه برهان الدين الدميرى سنة ثلاثة عشر
وتسعمايه وتوفى الشيخ ناصر الدين محمد بن جرباش وكان من اعيان علما الحنفية وتوفى
الشيخ علاى الدين الملك العجمى الشافعى شيخ تربة جانى بك نايب جده وكان من اعيان علماء
الشافعيه وتوفى قاضى القضاه الحنبلى شهاب الدين احمد الشيشينى وكان علامه
فى مذهبه توفى سنة تسع عشر وتسعمايه وتوفى الشيخ عبد الباسط بن خليل المورخ
وكان من اعيان الحنفية وكانت وفاته فى ربيع سنة عشرين وتسعماية وتوفى الشيخ العارف
بالله تعالى محمد بن عنان رحمة الله عليه وكان من اعيان مشايخ الصوفيه وتوفى قاضى القضاه
كمال الدين ابراهيم بن علاى الدين الزمخشرى الشافعى وكان من اعيان علما الشافعية
وتوفى الشيخ نور الدين على المحلى وكان يعرف بنزبيه وكان من اعيان علما الشافعيه وتوفى
الشيخ تاج الدين الذاكر وكان من اعيان الصوفيه وتوفى قاضى القضاه الحنفيه وكان
قبيس برهان الدين الكركى وكان من اعيان علما الحنفيه مات عزيزا فى ايام دولته وغير
هولا جماعة كثيرة من الاعيان لم نذكرهم هنا خشية الاطالة انتهى ذلك ولا باس
بايراد هذه من نظم الشيخ بدر الدين رحمه الله تعالى وقد رثا بها الملك الاشرف الغورى

وفاة الشيخ جلال الدين السيوطي ملخص

عند وقوع تلك الفتنة المتقدم ذكرها مما جرى له وهو قوله هذه المنظمة الزجل وهو هذا

عزبت شمس دولة الغوريا   وابن عثمان نجمو طلع سايب
ويهذا رب السما حاضر   والفلك دار ولم يزل دايب
ابن عثمان باداه باخذ القلع   ومنع التاجر مع الجلاب
انجيبوا الى مصر مملوك   ولا فروه صمور ولا سنجاب
ولا دمشق نقلب يجلبوا   ومن الصوف ماعاد يجينا ثياب
على الصوف لما فقدنا سنين   مايجى من عند وولاتا جر
والاماره جو الملك قالوا   ابن عثمان باغى عليك جاير
الامير الكبير سمى سودون العجم   قنبر اخلاف النباسى
والاتو الاشرف التالى   هو امير سلاح سمى دكماسى
وسودون راس نوبة النوب   لو رياضة مع سايرالاجناسى
والنبائ هو حاجب الحجاب   لو شجاعة بالحروب بالباشر
ومحمد يدعى اميرا خور   نجل سلطان اشرف عز وناصر
والدوادار الثانى امير علان   وان اردت المقدمين تذكر
ابن جوكس مقدم كبير   وتمر بالزردكاش يذكر
وكذا جان بلاط معو كرتباى   واربعين فذى العدد واكثر
وتبعهم من الاماره كثير   طبلخاناه بالنصر تتباشر
والعساكر معهم كبير فرسان   عشراوات من ترك تتكاثر
ضربوا الكل بينهم مشورة   قالوا املت من القلوب والنفوس
نحن نخرج جميع لاجل القتال   بالجنايب والسلاح والملبوس
ونجرد لنصرة السلطان   نكسر الروم والاراضى ندوس
راهنوا بالنفوس وهم التجار   كل واحد بهم تجتوا قامر
ولا يدرى ما قد جرى فى الغيب   من تقادير القادر القاهر
خامس العشر من ربيع اخر   شهر ايرا اثنين وعشرين عام
ودخوها من هجرة الهادى   شافع الخلق فى نهار القيام
كان خروج السلطان بجر بدو   لابن عثمان طالب بلاد الشام
والامارة وخدمتوا مو كبين   بالمماليك والطلب تتفاخر
وخروج الجليل من القاهرة   كان تقدير الواحد القاهر
فى محفه خرج معو القاضى   كاتم السر المنتجب محمود
والخليفه المتوكل ولد يعقوب   هو محمود فعلو الجميل محمود
وقضاة القضاه ومن معهم   كل نايب قد ابدل المجهود

وخرج معو لاجل الخلع   ناظر الخاص الناهى الامر
هو البباش لخاص وهو العامل   وكذا القصروى يجيش ناظر
ودخلوا الشام الركب بهم موكب   ماسمعنا موكب راى مثله
ولا نالوا ملك ولا سلطان   فى المواكب ولا احد قبله
ومن الشام خرج دخل حلب   وقطع من دعوه الى سهله
وسليم شاه لما سمع اظهر   ان طيبوا منها نفى حابر
طلب الصلح ارسلهم قاصد   بالهدايا والملابس الفاخر
قالوا الصلح سيد الاحكام   من يخالف يرجع هداه فى ضلال
والامانة فى محمل الانسان   وابا حملها عوا عوالى الجبال
ونقضى ربنا بحقن الدما   وكفى الله المومنين القتال
بواجر اسلبى للاشرف الغوريا   اعلموه انو عليه ماكر
قالوا احذر تركن الى صلحو   واعلم انو باغى عليك غادر
حقق القول ومن حلب برز   والعساكر معو لاجل القتال
وجد الروم مجهزين بالسلاح   والتراكيش مع بالنبال
ووقع بين العسكرين وقعه   للزنبقين شابت لها الاطفال
نصر الله للمصرى على الرومى   وتجلوا امضى عليه تمآبير
ولا يدرى ما قد جرى له فى الغيب   ولا يدرى ماهو اليه صاير
ابن عثمان كان لو من العسكر   خلق كانوا على الشمال كامنين
فى اشتغال العسكر بنهب الروم   خرجوا فى القتال لاجل اليمين
واستغاث الملك وبو سادته   ارمتوا الارض من جواد وبنين
جا ابن عمه بيبرس واقبال الطويل   كل واحد لنصرتوا بادر
والشجاعة ما تغلب الكثره   قطعوهم بالصارم الباتر
جل ربى محرك الحركات   جعل لكل قتله سلب
والمحبى كانه فى قتلة الغوريا   فى التواريخ تكتب بماء الذهب
شهر ايرا اثنين وعشرين عام   ما جرى لو خامس عشر رجب
فسال الله ان يحسن العاقبة   ويجيب الواح هو الخاسر
يكشف العار باخذ التار   ويرد الكسرة على الكافر
اشتهى التار لقتلة الغوريا   ولعلى ان ابلغ الاوطار
بعد هذا ما اخشى عذاب البين   ان زعق فى دارنا ادطار
والعجايب فى قتلة الغوريا   راح يرجلوا لتنقلوا خاطر
وحسبنا كل الحساب الا   ما جرى لو ماهو بالخاطر

ودمعة العين مني على الغوري — من دماها تجري بحزني عليه
اربجي عين في الناس تساعدني — من صباحي حتى تغيب العينا
كان عليه ترقب زمان ملكوا — والسماه حتى اصابو عيني
الجواد نجاب بين العدا ارضاه — ماتوادو معو من العيون غاير
كل من غار منو ابقى فرحانا — بعد ما كان غاير على المغاير
ذي العساكر شبهها روضة — فيها اغصان فرسان عليها تدور
والنسيم في الزهر فضل لد — واذا السيف ظهر مشهور
والملبوس من فوق الخدود تحكي — ورد احمر بين الرياض مشهور
ومن البان شطفان تصون — بذهبه وجاها صناجق الامر
وحكى الياسمين بدن مجروح — وشقيق النعمان عليه دابر
فسما حرب عسكر السلطان — تطلع انجم فرسان تزين الملبوس
والاسنة تحكي شهب ثاقبة — وخوذهم مثل النجوم في الشموس
والملك بينهم بدر مخسوف — وحكى الرعد ضربهم في الترس
ظلت اسهم من قوس قزح ترمي — للعساكر في ليل غبار عساكر
والسحاب صار يمطر سهام فارقة — الاعادي ولم تزل ماطر
ذي العساكر بستان وفيه فاكهة — ودماهم خمر العنب مدفوم
واحد اصفر لونا حكى شمس — وذا لون العناب وذا مختوم
ما راى احد مثل ذي الوقعة — لا نقل اي الناصر ولا برقوق
والاماري تحكي شجرة مثمرة — في رياض نشر وغدا عاطر
والمدافع ترمي سن جبل كباد — والارمان تحكي من النخيل ناخر
كم اسلي قلبي عن الغوري — واقول يا قلب التفكر
ابن سليمان وابن النمرود — وابن هو فرعون وابن هو قيصر
وابن ملوك الزمان وذو القرنين — والاسبيا ان مع الاسكندر
وابن كسرى انوشروان وابوانو — مات والايوان بعدو بقي داثر
كل حادث بامر القديم راحل — والاثار للاول الاخر
لو يكن في هذا البلد حال — وبياهن في واجب المطلوب
نحن عصبة نحزن على غلبه — لما بقي وسنوا عليه مغلوبا
فانتش تقول سلطاننا الغوري — لما جرد قتل ومات مكروبا
بعد ملكوا عشر سنين تسعة — اشهر بالكاتب الحاصر
ويليها خمسة وعشرين يوم — غير كاتب حاسب اميني ذاكر
اللي كان في قتلة الغوري — كل مقدر لا يمنع المحذور

ويوم خرجوا من بلد او كيب — ولا يدري ما في الجبين مسطر
بالقدرة الا لو لسان الحال — قد بقي من عمرك ثلاث شهور
انتبه من رقدة الغفله — واعمل الطول من الامل قاصر
بعد الاشهر تسعة ايام — والمنيه تكن في العاشر
ذي الملك كان ديبي وهو المقدم — وابن عثمان مؤخر ولاح عسكره
خنفس الريح عليه وحل موكبو — وابن عثمان عوم وبان نصره
غرق السفن واخرب السفن — وسبيو الادمي الجميع بجرم
من جنتهم وفيه ماهر صار — بجرم بو بالحنث صادر
وتركهم لا رجع مقلم — برهم بحر بالدما حادر
نذ طالو عروس جمال — ملكو خالق الخلق ربنا ذو الجلال
وخيالوا انه بيتغ ميت — عن جواد ويوم القتال
وزوالو انه يموت مشهور — ولا يعرف قبره ليوم الزوال
كم تظاهر بالرسل والرمال — طائر الله هو اعظم الطائر
طار حابو وكل لما امل — وبهذا ما طار عليه طائر
ابتدائي في النظم والخاطر — بمديحي في المصطفى المختار
كلمو الضب والذراع والبعير — وسعت لو في خدمتو الاشجار
والغزاله حديثها مشهور — ونطق لو في راحتو الاحجار
والتراشنق لو تضعضعين — بعد ما كان كامل صحيح ثائر
واشبع الجيش كلو بيبقى الزاد — وجرى الماء من اصبعو فائر
ان تقولوا ابو النجا المعوفي — في نظامو ما في البلاد مثلو
يا الذي جا بيمم عقود نظم خذ — وهو رعنه بديع نقلوا
وان انا لك من يطلب التاريخ — والوقايع عند الملوك نقل لوا
غربت شمس دولة الغوري — وابن عثمان بنجوا طلع سائر
وبهذا رب السما قد حكم — والفلك لم يزل دائر

وهذا آخر ما انتهى الينا من اخبار الملك الاشرف ابو النصر قانصوه الغوري رحمة الله عليه وقد فتح اوايل دولته بمصادرات وظلم واخذ اموال بغير حق واختتمت اواخر دولته بفتن وضرب سيف وذهاب اموال وارواح وامور مهولة وحوادث غريبة وفتن عظيمة ليس لها آخر والامر الى الله تعالى من قبل ومن بعد يفعل ما يشا ولا يسال عما يفعل واستمر سليم شاة ابن عثمان مستولي على البلاد الشاميه والحلبية وملك قلعتها واعمالها وحكم من الفراة الى الشام ثلاث شهور وملك ثلاثة عشر قلعة بالامان من غير حرب ولا قتال وملك قبل ذلك عدة قلاع من معاملة بلاد شاة اسماعيل الصوفي

والذى وقع لسليم شاة بن عثمان من السعد والنصرة على الغورى وسلطان مصر واخذ
اموالهم بوكهم وجوهم واحتوى على بلادهم واحتوى على خزاين اموال الامرا واموال
السلطان الغورى وناهيك بها وهذا امر ما وقع قط لاحد من ملوك الروم قبله ولا بعده
وهذا الامر من الله تعالى وقد وعد بذلك من القدم ان وعد الله حق وهو لا يخلف الميعاد

ذكر سلطنة الاشرف طومان باى من قانصوه الناصرى

رابع عشر رمضان سنه ٩٢٢ وهو السابع والاربعون من ملوك الترك واولادهم
بالديار المصريه وهو الحادى والعشرون من ملوك الجراكسه واولادهم بالديار المصريه
فى العدد اتول وكان اصله من كتابية الاشرف قايتباى اشتراه الملك الاشرف قانصوه
الغورى وكان يلوذ به بقرابة فلما اشتراه قدمه الى الاشرف قايتباى وهذا يدعى من
قانصوه فصار من جملة مماليكه الكتابيه واستمر على ذلك حتى تسلطن قرابته قانصوه
الغورى فانعم عليه بامرية عشرة واستمر على ذلك الى سنة عشره وتسعماية فلما توفى
ابن السلطان المقر الناصرى فى الفصل الذى بجابها انعم عليه السلطان بامرية طبلخاناه
وجعله شاد الشرنخاناه عوضا عن ولده بحكم وفاته واستمر على ذلك الى سنة ثلاثه
عشر وتسعماية فلما توفى الامير اذدمر من على باى الدوادار الكبير فى جمادى الاول
وهو مسافر بجبل نابلس انعم عليه السلطان ونزره فى الدوادارية الكبرى عوضا عن
الامير اذدمر بحكم وفاته فاستمر فى الدوادارية الكبرى الى ان خرج السلطان الى التجريد
بسبب ابن عثمان فجعله نايبا الغيبه عوضا عن نفسه الى ان يحضر من السفر فساس الناس
فى غيبة السلطان احسن سياسة وكانت الناس عنه راضيه واطاعه العسكر الذى تخلف
بمصر قاطبة وقد جمع بين الدوادارية الكبرى والاستادارية العاليه وكاشف الكشاف
ونايب الغيبة وكان يركب فى كل يوم اثنين وخميس ويسير نحو المطرية ويدخل من باب
النصر ويشق القاهرة وقدامه الجم الكثير من العسكر والامرا المقدمين قدامه وقدامه
سعاه وعبيد نفطيه يرمون بالنفط من المكاحل فترتج له القاهرة كلما شق منها وفتح
السد فى غيبة السلطان وكان له يوم مشهود ولم يزل على ذلك حتى ثبت موت السلطان
الغورى ورجعت الامرا من التجريده فوقع الاختيار منهم على سلطنته فامتنع غاية
الامتناع والامرا تقول ما عندنا سلطان الا انت وهو يمتنع من ذلك ثم ركب هو
والامير علان وجماعة من الامرا المقدمين وتوجهوا الى كوم الجارح عند الشيخ ابو السعود
فلما جلسوا بين يديه وذكروا له ذلك فتعلل الامير طومان باى من السلطنه بانواع
من العلل منها ان الخزاين بيت مال المسلمين ليس فيها درهم ولا دينار فاذا تسلطن ما
ينفق على العسكر شيا ومنها ان ابن عثمان ملك البلاد الشامية وهو زاحف على مصر
وان الامرا لا يطاوعوا على الرجوع الى السفر ثانيا ومنها انه اذا تسلطن يغدروا به
ويركبوا عليه ويخلعوه من السلطنة ويرسلوه الى السجن بثغر الاسكندريه ولا يبقوه فى

السلطنة الا مدة يسيرة ثم ان الشيخ ابو السعود احضر بين يدى الامرا مصحفا شريفا
وحلف عليه الامرا الذى جاوا بصحبته وحلفهم عليه بانهم اذا سلطنوه لا يتامروا عليه
ولا يغدروه ولا يثيروا فتنة وانهم ينتهوا عن مظالم المسلمين قاطبة فحلفوا كلهم على
المصحف الشريف بمعنى ذلك فلما تحالفوا ترشح امر طومان باى الى السلطنه واتفق
المجلس على ذلك وتوجهوا الامرا الى بيوتهم **فلما** كان يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان
من هذه السنة صلى الامير الدوادار صلاة الفجر وركب ومعه الامرا المقدمين وقدامه
النوائبى والمشاعل فطلع الى باب السلسلة وجلس به فلما ركب من بيته الذى فى
درب الجماميز شق من الصليبة وهو بتخفيفه صغيره وملوطه بيضا وكذلك الامرا الذى
بصحبته فارتفعت له الاصوات بالدعا وانطلقت له النسا بالزغاريت من الطيقان
فلما استقر بباب السلسله ارسل خلف امير المومنين يعقوب والد امير المومنين المتوكل
على الله وصحبته سيدى هارون ولد الخليفة المتوكل على الله واولاد ابن عمهم خليل وحضر
قاضى القضاه الحنفى حسام الدين محمود بن الشحنه والقاضى شرف الدين يحيى بن البرديني
احد نواب الشافعيه وجماعة من نواب القضاه الذى بالقاهرة فلما تكامل المجلس واجتمع
سائر الامرا المقدمين وغيرهم من الاكابر والاصاغر والعسكر فاظهر امير المومنين يعقوب
وكالة مطلقة عن ولده محمد المتوكل على الله بانه وكله فى جميع اموره وما يتعلق به
من امور الخلافة وغيرها وكالة مفوضة وثبت ذلك على يد القاضى شمس الدين
وحلبى فاكتفوا بذلك وكان اشيع ان يولوا الخلافة الى احد من اولاد سيدى خليل
الكبير فان الخليفة المتوكل على الله كان فى اسر ابن عثمان ووالده يعقوب عزل نفسه
من الخلافة فلما احضر هذه الوكالة عن ولده اكتفوا بذلك وكان قاضى القضاه المالكيه
والشافعيه والحنبلى فى اسر ابن عثمان فلم يحضر هذه المبايعة من اعيان نواب
الشافعية الا الشرفى يحيى بن البرديني فبايع السلطان الخليفه امير المومنين يعقوب
وشهد عليه بذلك الشرفى يحيى بن البرديني وجماعة من نواب القضاه نيابة عن
محمد المتوكل وحضر فى اخر المجلس قاضى القضاه الحنفى محمود بن الشحنة فلما تمت
له البيعة احضر واله خلعة السلطنة وهى الجبة السودا والعمامة السودا والسيف
البداوى فافيض عليه شعار الملك وتلقب بالملك الاشرف مثل قرابته الغورى
ثم قدموا له فرس النوبه بغير كنبوش ولا سرج ذهب ولا وجد واله فى الزردخاناه
لا قبة ولا طير ولا الغواشى الذهب فركب من على سلم الحراقة التى بباب السلسلة
والخليفه قدامه فطلع من باب سر القصر الكبير وجلس على كرسى المملكة وقبلوا له
الامرا الارض ودقت له البشاير بالقلعة ونودى باسمه فى القاهرة وارتفعت له
الاصوات بالدعا وفرح كل احد بسلطنته وكان محبا للعوام فانه كان لين الجانب
قليل الاذى غير متكبر ولا متجبر **فلما** انتهى امر المبايعة اخلع السلطان على امير

المؤمنين ونزل الى داره فى موكب حفل وزالت دولة الغورى كانها لم تكن فسبحان من
لا يزول ملكه ولا يتغير على طول المدا وقد قال محمد بن قانصوه
فذهب الغورى الى ربه وذا الذى قدره الله ۔ الملك لله من شاء من عباده للملك ولاه
فلما كان وقت صلاة الجمعة فى ذلك اليوم خرج السلطان وصلى صلاة الجمعة وخطب
به الشرفى يحيى بن البردينى واستمر يخطب به فى كل يوم جمعة ثم ان الخطبا خطبوا
باسمه فى ذلك اليوم على منابر مصر فى القاهرة بعد ما كانت الخطبا لم يذكروا فى
الخطبة اسم سلطان ولا يدعوا له نحو خمسين يوما بل كانوا يدعوا للخليفة فقط وفى
ذلك اليوم قبض السلطان على قانصوه الاشرفى نايب قلعة حلب الذى سلم القلعة
الى ابن عثمان من غير حرب ولا محاصرة فلما حضر قانصوه هذا صحبة العسكر تغير
خاطر السلطان عليه بسبب ذلك فقبض عليه واودعه فى البرج بالقلعة حتى يكون
من امره ما يكون وفى يوم السبت خامس عشر شهر رمضان حضر جماعة من الامرا
ممن تخلف بعد العسكر بدمشق فحضر الامير جان بردى الغزالى نايب حماه وقد ترشح
امره انه يلى نيابة الشام والامير سودون الدوادار راس نوبة النوب والامير
قانصوه كرت احد المقدمين وكان مريضا فلما حضروا وجد والد الدوادار كانا
قد ذكر انه يلى السلطنة وهو بالشام فلم يتم له ذلك فلما حضروا طلعوا الى القلعة
وباسوا الارض للسلطان ونزلوا الى دورهم ثم جات الاخبار من بعد ذلك بان الامير
ناصر الدين بن الحنش شيخ عربان حماه بلغه ان ابن عثمان ارسل جاليش عسكره وصحبته
ابن سوار الذى كان تنصب له فلما وصلوا الى قابون بالقرب من دمشق لاقاهم ابن الحنش
وحصل بينه وبين عسكر ابن عثمان مقتلة مهولة وقتل منهم جماعة واطلق عليهم الما من
نهر دمشق حتى صار كل من دخل فى تلك المياه بفرسه يوحل فلا يقدر على الخلاص
فهلك من عسكر ابن عثمان جماعة كثيرة حسبما اشيع بذلك الاخبار وقد قلت فى
المعنى

قل لابن عثمان اذا قابلته ۔ اقبل نصيحة ناصح ودع الطيش

واحذر تعارض شامنا جهالة ۔ يحتمى عليك اللدغ من ابن الحنش

فلما دخل الكرا دخل صحبتهم جماعة كثيرة من اعيان اهل دمشق واولادهم
وعيالهم وسبب ذلك انه لما حصل لعسكر مصر هذه الكسرة وقتل سيباى نايب الشام
واضطربت الاحوال وثب اهل الشام بعضهم على بعض ونهبوا حارة السمرة وقتلوا منهم
جماعة واخذوا اموالهم وكذلك فعلوا بتجار الافرنج الذى هناك ونهبوا اموالهم
وكانت فتنة مهولة ونهبوا بيوت اعيان دمشق من القضاه والتجار فخرج غالب
اعيان دمشق منها بسبب ذلك بسبب فتنة ابن عثمان وفساد الاحوال بمصر والبلاد
الشامية فلما بلغ السلطان ما فعله ناصر الدين بن الحنش مع عسكر ابن عثمان رسم
له بنيابة صفد وقيل برزت له المراسيم الشريفة انه اذا كسر عسكر ابن عثمان

قرره السلطان فى الاتابكية بدمشق فان ابن الحنش ارسل يقول للسلطان مدنى ببعض
العسكر وانا اجمع العربان واضمن كسرة عسكر ابن عثمان علىّ وكان فى قديم الزمان
بعض اجداد الحنش متولى على نيابة حمص وفيه حضر شخص يقال له اينال الاعور وكان
جان بردى الغزالى قرره فى نيابة صفد فلما بعث اليها دواداره ومباشرينه وثب
عليهم اهل صفد ولم يمكنوهم من الدخول الى المدينة وربما قتلوا منهم جماعة فحضر الى
مصر ليلبس خلعة ويمضى الى صفد ليقتص من اهلها وفى يوم الاثنين سابع عشره نفق
السلطان الجامكية على العسكر فى الحوش وحصل فى ذلك اليوم بين الكرا خلف بسبب
الوظايف وحصل بين الامير علان الدوادار الثانى وبين جان بردى الغزالى تشاجر
حتى خرجا فيه عن الحد وفى ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بالعرض وهو العسكر
الذى كان مقيما بمصر لم يخرج فى التجريدة صحبة السلطان ونادى ايضا ان كل من اخذ
شيا من نهب سلاح العسكر او قماشهم يورده ومن لم يورد شى وغمز عليه شنق من غير
معاودة وقد بلغ ان جماعة من الغلمان والعبيد ممن كان فى التجريدة نهب شيا كثيرا
من مال وسلاح وغير ذلك ومن الوقايع اللطيفة ان السلطان لما ان تسلطن امر بهدم
المسطبة التى كان انشاها السلطان الغورى بالحوش ايضا عوضا عن الدكة التى كان
يجلس عليها الاشرف قايتباى فهدم السلطان المسطبة واعاد الدكة كما كانت
فى اول الامر وجلس عليها وكانت قد تكسرت فاصلحوها وجعل لها عتبا من الجوخ
الاحمر وصار يجلس عليها للمحاكمات كما كان يجلس الاشرف قايتباى وقد قلت
فى المعنى

قد عادت الدكة للحكم ۔ وانهدمت مصطبة الظلم

وصار طومان باى بين الورى ۔ يمشى الشاه مع الضيغم

فياله من ملك عدله ۔ قد شاع بين العرب والعجم

وفى يوم الثلاثا ثامن عشره جلس السلطان على الدكة وعرض العسكر بالحوش وكتب
منهم نحو الفين مملوك وعين من الامرا المقدمين الذين كانوا بمصر نحو ست مقدمين
وعين الامير جان بردى الغزالى باشا على العسكر وقد ترشح امره بان يلى نيابة
الشام وفيه قبض السلطان على المهتار محمد العجولى وعلى حسبه على مهتار الطشتخاناه
وبخدمة السلطان الغورى وقبض على جمال الدين الالواحى بواب الدهيشة وهذا كان
اول حكم السلطان طومان باى وسبب ذلك ان السلطان لما ان تسلطن عرض الخزاين
فوجدها فارغة ليس فيها درهم ولا دينار وكان محمد المهتار وجمال الدين البواب
من حين توفى الامير خاير بك الخازندار جعلهما السلطان الغورى متحدثان فى امور
الخزاين الشريفة فصارا يتصرفان فيها كيف يختارا فطاش جمال الدين البواب ومحمد
وركبا فى غير سرجهما وما كانا يظنان ان السلطان الغورى يموت فى هذا الزمان
فكان ذلك من اكبر امور الفساد فى حقهما كما يقال فى المعنى

امور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها اللبيب

وفي يوم الخميس عشرين شهر رمضان عمل السلطان الموكب بالشاش والقماش وجلس على الدكة بالحوش واخلع على من نذكر من الامرا وهم المقر السيفي سودون الشهابي الدوادار في قدر اتابكي العساكر عوضا عن سودون العجمي بحكم قتله في وقعة ابن عثمان واخلع على المقر السيفي جان بلاط بردي الغزالي وقرر في نيابة الشام عوضا عن سيباي من بخت بحكم قتله في وقعة ابن عثمان واخلع على المقر السيفي اركماس امير سلاح واخلع على المقر السيفي اصباي بن مصطفى وقرر امير اخور كبير واخلع على المقر السيفي بخشباي بن عبد الكريم وقرر امير مجلس عوضا عن اركماس بحكم وفاته واخلع على اشباي وقرره امير اخور عوضا عن نجل المقام الشريف الغوري بحكم انفصاله عنها واخلع على تمر الحسني وقرر راس نوبة النوب عوضا عن سودون الدوادار بحكم انتقاله الى الاتابكية واخلع على طقطباي العلاي نايب القلعة وقرر حاجب الحجاب عوضا عن اشباي بحكم انتقاله الى امرية اخور كبير واخلع على الامير علان من قراجا وقرر امير دوادار كبير عوضا عن المقام الشريف بحكم انتقاله الى السلطنة واخلع على الامير ابرك الاشرفي وقرره وزيرا واستادارا وكاشف الكشاف عوضا عن المقام الشريف واخلع على كرتباي الاشرفي احد الامرا المقدمين وقرره دوادارا ثانيا مقدم الف كما كان علان واخلع على ماماي دوادار قانى باى قرا امير اخور كبير كان وقرر امير اخور ثانيا عوضا عن قانباي الطويل بحكم قتله في وقعة ابن عثمان واخلع على شخص من الاتراك يقال له تنم السيفي تغلباي الساقي وقرره في نيابة الاسكندرية عوضا عن خدابردي الاشرفي بحكم انه بقي مقدم الف واخلع على شخص يقال له بخشباي الذي كان كاشف البهنسا وقرره في نيابة صفد واخلع على شخص اخر من الاتراك وقرره في نيابة طرابلس واخلع على شخص يقال له ناني بك الاشرفي وقرره في نيابة القلعة عوضا عن طقطباي بحكم انتقاله الى الحجوبية الكبرى واخلع على قطوع وقرره كاشف الشرقية ثم بطل ذلك فيما بعد واخلع على الامير بيشبك النتبه وقرره خازندار كبير عوضا عن خاير بك الذي توفي واخلع على خيبتمر وقرره خازندارا ثانيا واخلع على ماماي الصغير واقره في الحسبة على حاله واخلع على جماعة كثيرة وقررهم في وظايف معلومة واما ارباب الوظايف من المباشرين فاخلع على القاضي محمود كاتب السر بن اجا وقرره على حاله واقر الشهابي احمد ناظر الخاص بن يوسف متحدثا في نظارة الجيش عوضا عن النصرودي بحكم قتله هناك واخلع على ساير المباشرين من الوظايف باستمرارهم على وظايفهم واخلع على نقيب الجيش واد مهتار والماس والي الشرطة وسنبل مقدم المماليك باستمرارهم على عادتهم وفي يوم الثلاثا سادس عشرينه اخلع السلطان على شيخ العرب الامير احمد بن بقر باستمراره على عادته وقد حصل من اولاد احمد بن بقر في هذه السنة من الفساد ما لا يحصل في بلاد الفرنج من قتل النفوس ونهب الاموال ولاسيما ما فعله ابن الجداي بالعسكر لما رجع وهو مكسور وما فعله اولاد عبد الدايم بالشرقية من نهب الاموال وقتل النفوس ولم تنتطح فيها شاتان واخلع عليه وراحت على من راحت وفي يوم الخميس سابع عشرينه اخلع السلطان على مصرباي احد الامرا الطبلخاناه وقرره في الحجوبية الثانية عوضا عن طومان باي قرا بحكم قتله في وقعة ابن عثمان واخلع على تمرباي العادلي وقرره تاجر المماليك عوضا عن نوروز بحكم وفاته واخلع على شاد بك وقرره شاد الشربخاناه عوضا عن يوسف الناصري بحكم انتقاله الى التقدمة واخلع على علي بك وقرره على نظر الجوالي عوضا عن النصرودي واخلع على فخر الدين بن عوض واستقر به ثالث قلم في كتابة المماليك عوضا عن جلال الدين بحكم وفاته واخلع على حاجب الحجاب بدمشق باستمراره على عادته وفي اواخر هذا الشهر توفي مهد السلطان بحضرة امير المومنين يعقوب وقاضي القضاه الحنفي وجماعة من النواب وبحضرة جماعة من المقدمين على العادة وقيل ان السلطان انعم على امير المومنين يعقوب لما بايعه بالسلطنة بخمسة ونصف وثلث في ملسبية وهشو ركانه عليه في ذلك اليوم بما ذكرناه وفي يوم السبت تاسع عشرينه طلع ناظر الخاص بخلع العيد وعرضها على السلطان وهي موضوعة على رؤس الحمالين وفي يوم الاحد سلخ هذا الشهر حضر الناصري محمد بن بلباي المويدي حاجب ميسرة بدمشق واخبر ان سليم شاه بن عثمان قد ملك مدينة دمشق وملك قلعتها وقتل علي باي نايب القلعة وقتل ستة وثلاثين اميرا من امراء دمشق غير من قتل من الرعية بالشام وحضر ابن بلباي هذا وهو في زي العرب بيشت وزنط على راسه فلما اشيعت هذه الاخبار في القاهرة بان ابن عثمان ملك الشام صارت الناس في امر مريب بسبب ذلك وقالوا ما بقي بعد اخذ الشام الا مصر وجزموا بهذا الامر وعول بعض الناس على الهروب الى الجهة الصعيد فتنكد السلطان والامرا والناس قاطبة لهذا الخبر ولاسيما كانت ليلة عيد الفطر والناس في حزن وطي بسبب موت السلطان وكسرة العسكر والاشله قايمة بسبب من قتل من العسكر فقلت

يا سليم شاه كن من اخذ مصر	بلد شرفنا بخير امام
فهو شافعي قطب ولي	نجل ادريس عمدة الاسلام
هي تدعى كنانة من غزاها	قصم الله ظهره بالحسام

وفي شوال كان مستهله يوم الاثنين صلى السلطان صلاة العيد واخلع على الامرا ومن له عادة بخطب بالسلطان في ذلك اليوم الزيني يحيى بن البرديني وكان موكب العيد حفلا وفي يوم الجمعة خامسه الموافق لرابع هاتور القبطي فيه قلع السلطان البياض ولبس الصوف وقد عجل بلبس الصوف وفيه توفي الامير جانم الابراهيمي احد الامرا

الجلبيا ناة **وفي يوم** السبت سادسه طلع الى السلطان شخص فقال له على الشعباني
نقيب المحتسب وشخص اخر فقال له ابن خبيز السمسار تكلما معه بان يجعلوا على الحسبة
مال معين وعلى الغلال ايضا ولم يحصل من ذلك ضرر للمسلمين فلم يلتفت السلطان الى
كلامهما فضرب على الشعباني بالمقارع وابن خبيز واشهر الشعباني فى القاهرة وهو ماشي
مكشوف الراس وقد ضرب بالمقارع ونودي عليه على من يتنباون فى انشا المظالم فى الدولة
العادلة بعد ما بطلت وامر السلطان بعزل الشعباني من التحدث فى امر الحسبة فاقام
الشعباني بعد ذلك اياما يسيرة واشيع موته من الضرب الذى حصل له كما تقدم **وفي يوم**
الاثنين ثامنه حضر دوادار نايب غزه المسمى بعلي بك الاحدب واخبر بان ابن عثمان
من حين دخل الى الشام تلاشى امره ووقع الوخم فى عسكره فصار يموت منهم كل يوم جماعة
وعز عندهم وجود الاقوات من الغلال والعلف وقد ضيقت عليه العربان ومنعوا
عنه ما يجلب من القمح والشعير والتبن وكل من خرج من عسكره الى الضياع قتلوه
العرب وقد تحجون بدخوله فلا بقي يمكنه الخروج منها وصارت خيول عسكره سايبة
تاكل من ورق الشجر وهو فى غاية الحصر **فلما** حضر خدابردي نايب الاسكندرية
وخرج ابن هاشم الذى قرره وحضر الامير خاير بك المعمار الذى كان توجه الى
ثغر رشيد بسبب عمارة الصور والابراج الذى هناك كما تقدم **وفيه** اخلع السلطان
على شخص من الاتراك يقال له مليباي المشرف وقرره فى استادارية الصحبة عوضا
عن قانصوه الاشرفي بحكم قتله فى وقعة ابن عثمان **وفي يوم** الثلاثا تاسعه كانت
كاينة الزيني بركات بن موسى مع الشيخ ابو السعود وسبب ذلك ان شخصا مدابغي
يبيع الجلود فقال له الدمرداوي مكاسا على بيع الجلود فجار عليه ابن موسى فوقع بينه
وبين ابن موسى حظ نفس فقصد ابن موسى ان يقبض عليه فتوجه الدمرداوي الى عند
الشيخ ابو السعود واحتمى به فارسل خلفه الشيخ ابو السعود رسالة بسبب ذلك وقد
شفع فيه فتوقف ابن موسى فى امره ولم يلتفت الى رسالة الشيخ وطاوله فى امر
الدمرداوي فارسل الشيخ خلف ابن موسى **فلما** حضر عنده فى كوم الجارح وبخه
الشيخ بالكلام وقال له يا كلب كم تظلم المسلمين فحنق منه ابن موسى وقام من عنده على غير
رضا فامر الشيخ بكشف راس بن موسى وضربه بالنعال فضربوه بالنعال على راسه
حتى كاد يهلك ووضعه فى مكان وارسل خلف الامير علان الدوادار فلما حضر قال له
ادضعه فى الحديد واطلع وشاور السلطان عليه واعلمه بانه يوذي المسلمين **فلما**
طلع الامير علان وشاوره فى امر ابن موسى وما جرى له مع الشيخ ابى السعود فارسل
السلطان يقول للشيخ ابى السعود مهما اتفقنا رايك فيه افعله فلما رد الجواب على الشيخ
بذلك امر الشيخ باشهار ابن موسى فى القاهرة ثم يشنقوه على باب زويله فاخرجوا
ابن موسى من زاوية الشيخ التى فى كوم الجارح وهو ماشي مكشوف الراس بكبر

طاقيه

طاقيه وهو فى الحديد ينادى عليه هذا جزى من يوذي المسلمين فتوجهوا من كوم الجارح
الى ساحل مصر العتيقة وهم ينادوا عليه الى ان وصل الى بيت الامير علان الدوادار
الذى بالناصرية فاراد ان يوقع فيه فعل جنتق اولكز بن ثم عادوا والشيخ فى امره
بان عليه مال للسلطان ومتى شنق ضاع على السلطان ماله فعفى الشيخ عنه من القتل
واستمر ابن موسى عند الامير علان وهو فى الحديد حتى يكون من امره ما يكون وقد اشرف
ابن موسى على الهلاك فى هذه الواقعه وقد قلت فى هذه الواقعه

تعجبوا مما جرى فى الوجود ❊ من ابن موسى كان وبين ابى السعود
تشاجرا قد طال ما بينهم ❊ واشتعلت نيرانهم بالوقود
فصرح الشيخ بعزلانه ❊ واكد القول بان لا يعود
ويغلب الله على امره ❊ ويرغم القاهر انف الحسود
فليت شعري ذا الهبوط الذى ❊ نال ابن موسى بعده من صعود

ولما جرى لابن موسى ما جرى ظهر غريمه شهاب الدين بن الصايغ وكان مختفي عليه فى
ايام الغوري **فلما** وقعت هذه الكاينه لابن موسى انتدب الى مرافعته ابن الصايغ
وقال انا اثبت فى جهة ابن موسى مايتي الف دينار للسلطان ثم ان ابن الصايغ توجه الى
بيت المقدس وصحبته طواشيه وقواسه وجماعة كثيرة وكبس على بيت ابن موسى الذى بين
وقبض عليهن ونهب ما فى بيوتهن من قماش وامتعة وقبض على عبيده وغلمانه وحاشيته
فلما راى السلطان ما قد حل فى امره توقف عما كان فيه من ابتداء ابن موسى ثم ان ابن
موسى قال انا اثبت فى جهة ابن الصايغ مايتي الف دينار وقال للامير علان ارسل
خلف ابن الصايغ واوضعه فى الحديد حتى يعمل حسابه **فلما** حضر ابن الصايغ وضعه
علان فى الحديد حتى يعمل حسابه مع ابن موسى **واما** ما كان من امر الشيخ ابو السعود من
انه لما فعل بابن موسى ما فعل قامت عليه الترك والاشله وانكروا عليه الناس ذلك الفعل
وقالوا ايش للشيخ شغل فى امور السلطنه واستغلت الناس به ولم يشكره احد على
فعله بابن موسى **وفي يوم** الاحد رابع عشره طلعت الى القلعة خوند بنت الامير
اقبردى الدوادار وهى زوجة السلطان وامها بنت خاص بك اخت خوند زوجة
الاشرف قايتباي فطلعت وقت صلاة الصبح على التوالى والمشاعل وصحبتها الجم
الكثير من المشاعل والخوندات والستات واعيان نسا الامرا والمباشرين فاستمرت
فى موكبها حتى طلعت الى القلعة ودخلت الى قاعة العواميد وحمل الامير بشير الطواشي
راس نوبة السقاة على راسها القبة والطير حتى جلست على مرتبتها وكان لها يوما
مشهودا بالقلعة **وفي يوم** الاحد عرض الامير علان الدوادار ابن موسى وابن الصايغ
وكان قرر على ابن موسى عشرين الف دينار وان يورد منها على الحال مكيه عشرة الاف
دينار فلم يورد منها شي فبطحه على الارض وضربه فوق الدماير عصى قاد عدانه

يورد ذلك القدر ثم طلب احد الصايغ وضربه فوق ادبعماية عصى حتى كاد ان يهلك
واشيع بين الناس موته وفي يوم الخميس ثامن عشره لم يخرج المحمل من القاهرة ولم يخرج
احد من الناس قاطبة بسبب فتنة ابن عثمان واشيع انه يرسل جماعة من عسكره الى مكة
المشرفة ومحبتهم كسوة الى الكعبة فلم يثبت ذلك ثم ان السلطان ارسل الطواشي
موهف في البحر المالح وصحبته كسوة الكعبة المشرفة والصرر لاهل مكة والمدينة فتوجه
الى الطور ونزل من هناك الى البحر وفي يوم الجمعة تاسع عشره اشيع ان الحج ابو السعود
ارسل خلف ابن موسى وقد رضي عليه وفكه من الحديد واظهر انه قد رضي عليه وصار
يتصرف في امور المملكة من ولاية وعزل فانكروا عليه الناس ذلك وفي يوم السبت
عشرينه طلع الزيني بركات بن موسى الى السلطان على انه يعيده الى وظايفه فلم يلتفت
اليه ونزل من عنده بغير طايل وهو في الترسيم حتى يغلق ما قرر عليه من المال
فتوجه الى بيته وهو في غاية الذل بعدما نبت له حادثة في سونيه اللبن وتخلفت
جماعته بالاعتران فنزل عليهم حجرة بسبب ذلك وفي يوم الاحد عشرينه اخلع السلطان
على شرف الدين بن عوض وقرره في استادارية الذخيرة عوضا عن ابن موسى بحكم انفصاله
عنها وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه نادى السلطان للعسكر بان يوم الثلاثا اول
النفقه وفيه وردت الاخبار من الهند بان المراكب الذي كان ارسلها السلطان الغوري
قد غرقت بما فيها من مكاحل ومدافع والات سلاح وغير ذلك وان قد وقع بين
الرايس سلمان العثماني وبين الامير حسين نايب جده وان كلا منهما توجه الى جهة
من جهات الهند وفيه اخلع السلطان على شخص من الاتراك يقال له قجماس وكان
شاد في بيتها العسل فقرره في كشوفية الشرقية وبطل ما كان قد قرر بها وفيه نفق
السلطان على العسكر المعين للتجريده فاعطا لكل مملوك خمسين دينارا فردها عليه
وقالوا ابن ابن وخرجوا الى باب الحوش على حمية وقصدوا ان يثيروا فتنة فاشار بعض
الامرا على السلطان بان يرضيهم وان ينفق عليهم كل واحد مائة دينار على جاري العادة
فاسترد من خرج من العسكر على غير رضا ثم لما رد وانفق لكل مملوك مائة دينار وجامكية
للاثة شهور عبارة عن مائة وعشرين دينارا لكل مملوك فنفق في ذلك على ادبع طباق
واشيع ان هذا العسكر لما خرج يقيم في غزه هو والامرا ويحرسوا المدينه الى ان يخرج
التجريده الكبيرة بعد الربيع وفيه ارسل السلطان قبض على جماعة من الاروام الذين
كانوا في خان الخليلي وقد بلغه عنهم انهم يكاتبوا ابن عثمان بما يقع في مصر من امور
المملكه وعندهم جواسيس لابن عثمان فارسل قبض عليهم ووضعهم في الحديد وفيه
اشيع ان السلطان طلع ابن عثمان الصبي الصغير الذي يقال له قاسم بك الذي هو ابن
احمد بك بن عثمان الذي توجه مع السلطان الغوري الى التجريده فلما انكسر العسكر
رجع مع الامرا الى مصر فبلغ السلطان ان جماعة يقصدون قتله فخاف عليه السلطان

من القتل فطلع به الى القلعة واسكنه في مكان بالبحيرة ورتب له ما يكفيه في كل يوم هو
وجماعته وفيه حضر الى الابواب الشريفة الشرفي يحيى بن الاتابكي ازبك من ططخ وكان
مقيما بجاه فلما ملكها ابن عثمان فر منه وجا الى مصر من البحر المالح من على طرابلس وفيه
اخلع السلطان على الامير طقطباي حاجب الحجاب وجعله متحدثا في كشوفية البحيرة
عوضا عن يوسف البدري مضافا لما بيده من الحجوبية الكبرى وفي يوم الجمعة سادس
عشرينه حضر الى الابواب الشريفة القاضي عبد الكريم بن الجيعان اخو المنهاجي احمد
ابن الجيعان وكان في الاسر عند ابن عثمان بالشام ففر منه وحضر وهو في زي جمال وعليه
بشت وعلى راسه زنط وحضر صحبته شخص يقال له احمد الدمياطي وهو تاجر في الوراقين
وفيه حضر اخبار بان ابن عثمان قد تلاشى امره وان عسكره تخلف عليه وان ناصر الدين
ابن الحنش ضيق عليه الطرقات وصارت العربان تقتل منهم كل من انفرد من عسكره في
الضياع وانه خير انه ملك مدينة الشام وقلعتها وملك قلعة نابلس وصفد
واعمالها وصار بيده من الشام الى الغزاة وتسيب في هذه المدن التي ملكها جماعة من امرايه
كما فعل في حلب وحماه وحمص وغير ذلك من البلاد وقيل ان ابن الحنش ارسل الى
السلطان مطالعة يحثه في ارسال تجريده بسرعة قبل ان يزحف ابن عثمان الى غزه
ثم ان السلطان اخلع على القاضي عبد الكريم ونزل الى بيته وفي يوم الاثنين تاسع عشرينه
اخلع السلطان على ابن خليفة سيدي احمد البدوي الذي قتله ابن عثمان في حلب
وقرره عوضا عن ابيه بحكم قتله فنزل من القلعة في موكب حفل وعلى راسه الاعلام وقدامه
سائر الفقرا الاحمدية وفي شهر ذي القعدة كان مستهله يوم الثلاثا فجلس السلطان على
الدكة بالحوش واخلع في ذلك اليوم على الزيني يحيى بن البرديني وقرره في قضا الشافعية
عوضا عن قاضي القضاه كمال الدين الطويل بحكم اسره عند ابن عثمان واخلع على حسام
الدين محمود بن الشحنة واقره في قضا الحنفية على عادته واخلع على الشيخ شمس الدين القرافي
وقرره في قضا المالكية على عادته واخلع وقد ولوا هولا القضاه في القاهرة وهم في غاية
الاضطراب بسبب مجي ابن عثمان واخلع على قاضي القضاه عز الدين الشيشيني واعاده
الى قضا الحنابلة عوضا عن شهاب الدين الفتوحي بحكم اسره عند ابن عثمان وهذه ثاني
ولاية وقعت لعز الدين بن الشيشيني فلما اخلع السلطان على القضاه الاربعة في يوم
واحد وعليهم التشاريف ونزلوا من القلعة فرجت لهم القاهرة في ذلك اليوم واصطفت
لهم الناس على الدكاكين بسبب الفرجه وفي ذلك اليوم اكمل السلطان النفقه على العسكر
المعين للتجريده واخذ وافي اسباب عمل البرق والخروج الى غزه قيل ان السلطان نفق
على نحو الفين مملوك المعينة للسفر وفي يوم الجمعة رابعه طلع ملك الامرا جان بردي
الغزالي نايب الشام الى القلعة فصلى مع السلطان صلاة الجمعة ثم اخلع عليه السلطان
وجعله باشاه على العسكر المعين للتجريده فلما نزل من القلعة توجه الى وطاقه الذي بالريدانيه

وخرج من غير طلب بل قدامه بعض جنايب خيول بعراقى وطبول بازات وقدامه عصيد
منطبه فتوجه الى الريدانيه فى ذلك اليوم قبل خروج الامرا والعساكر **وفى يوم** السبت
خامسه نادى السلطان فى الحوش للعسكر المعينين للتجريده بان يخرجوا صحبة الباشى
فى ذلك اليوم ومن لا يخرج لا يسال عما يجرى له فوقفت له جماعة من المماليك المعينة
وقالوا ما نخرج ولا نسافر حتى تنفق علينا تمن جمال ست اشرفيه وتصرف لنا العليق
وثمن اللحم المنكسر فحصل فى ذلك اليوم بعض اضطراب وخرج المجلس مانع والعسكر
غير راضى والاحوال غير صالحة وابن عثمان زاحف على غزه ونايب غزه ارسل يقول
ادركونا بالعسكر قبل ان يملك ابن عثمان غزه وتنهبوا فى ظاهر البلاد من بعد
وفى يوم الاحد سادسه خرج جماعة من الامرا المقدمين الالوف المعينين للسفر وصار
فى كل يوم يخرج منهم الى الوطاق جماعة شيا فشيا والباشى جان بردى مقيما بالريدانيه
حتى يكمل خروج العسكر **وفى يوم** الاثنين سابعه نفق السلطان على العسكر المعينين للسفر
ثمن اللحم عن ثلاث اشهر فخص كل مملوك نحو اربع اشرفيه ونصف توسعة عليهم ليشتغلوا
بذلك **وفى ذلك** اليوم حضر شخصان من المماليك السلطانيه وكانا فى بعض الضياع
عند العرب فدخلوا مصر فى هيئة الغلمان باجشات وعليهم زموط واخبرا بان
ابن عثمان قد تلاشا امره وان عسكره مختلف عليه وقد وقع بينه وبين خايربك نايب
حلب وربما اشاعوا قتله ولم يكن لهذا الخبر صحة فى امر ابن عثمان ولم تثبت صحة هذه
الاخبار **وفى يوم** الاربعا تاسعه حضر دواد ارخاير بك نايب حلب وزعم انه فر
من ابن عثمان واخبر ان ابن عثمان ارسل عسكرا نحو خمسة الاف فارس صحبة ابن سوار
وقد اشرفوا على اخذ غزه بل اشاعوا اخذها وان نايب غزه قد هرب فاضطربت
الاحوال لهذه الاخبار وتنكد السلطان الى الغاية ونادى فى ذلك اليوم بخروج العسكر
من غير تاخير ومن تاخر لا يسال عما يجرى عليه **فلما** كان ذلك اليوم خرج العسكر
على وجوههم مسرعين واشيع سفر السلطان بنفسه وصحبته الامرا قاطبة وانه هو الذى
يلاقى ابن عثمان بنفسه وصحبته نايب حلب وامير كبير اختلف وهو فى الحديد
وجماعة من اجناد الحلقة بغزه وهم فى الحديد وارسل نايب غزه يرافع فيهم بانهم
كاتبوا ابن عثمان بان يحضر الى غزه ويملكها من غير مانع **فلما** حضروا بين يدى
السلطان حلفوا له ان هذا الامر ما وقع منهم ولا كاتبوا ابن عثمان وانما وقع
باى نايب غزه بينه وبين اجناد غزه حظ نفس فكذب عليهم بهذه التهمة الباطلة
فصدقهم السلطان على ذلك وارسل جان بردى الغزالى الى نايب الشام يشفع فيهم
ويبريهم مما قالوه فى حقهم بالباطل ففكهم السلطان من الحديد وارسلهم الى بيتيبا الجلبى
حتى ينصرف امرهم **وفى يوم** الخميس المقدم ذكره اخلع السلطان على الامير يوسف
البدرى الذى كان وزيرا وقرره ناظر الذخيرة الشريفة ووكيل بيت المال عوضا

عن الزينى

عن الزينى بركات بن موسى بحكم انفصاله **وفى يوم** الجمعة حادى عشره تزايد امر الاشاعات
بان ابن عثمان ارسل الى غزه عسكرا صحبة جماعة من امرائه وهم شخص يسمى اسكندر باشا
والاخر يسمى داود باشا واخرين من امرائه واشيع انهم قد ملكوا مدينة غزه واحرقوا
منها بعض بيوت وان نايب غزه هرب وعسكر ابن عثمان زاحفا على مصر وان الاحوال
غير صالحة **فلما** تحقق السلطان هذه الاخبار اشيع انه يخرج الى لقا ابن عثمان بنفسه
ونادى فى ذلك اليوم بان الزعر والشطار والمغاربة وكل من كان مختفى على قتل قتيل
او عليه دم يظهر وعليه امان الله والرضى لهم فى الديوان وان السلطان يصرف لهم الجوامك
والمركوب ويكونوا صحبة الزردخاناة اذا سافر السلطان فتعجب الناس من هذه
المناداه لقوله ولو كانوا قد قتلوا القتلا يظهروا وعليهم امان الله وكان السكوت
عن هذا اجمل فاضطربت الاحوال فى ذلك اليوم وارتجت القاهرة وخرج العسكر
المعينين للسفر على وجوههم مسرعين **وفى ذلك** اليوم خرج الامير خدابردى الاشرفى
احد المقدمين الذى كان نايب الاسكندرية فخرج فى موكب حفل بغير طلب وقدامه
الجنايب الحربيه وصحبته الجم الكثير من العسكر من مماليكه وقيل كان عنده ثلثماية مملوك
فارتفعت له الاصوات بالدعا من الناس قاطبة والنصرة للعسكر على ابن عثمان
وقد صار الناس فى وجل بسبب ابن عثمان **وفى يوم** السبت ثانى عشره جلس السلطان
على الدكه بالحوش وحضر الامرا فاستحثهم السلطان على ان يخرجوا كلهم فى ذلك اليوم
فقال الامير طقطباى حاجب الحجاب انا عزمت على السفر الى البحيرة وكان السلطان
قد جعله مخدث فى كشوفية البحيرة فقالت الامرا الخروج الى قتال ابن عثمان اوجب
من الخروج الى البحيرة وانت ما خرجت صحبة السلطان الغورى لما سافر ولا نهب
لك بيوت ولا قماش فتقلل انه صنيف فحصل بينه وبين الامرا فناجر عظيم بحضرة
السلطان وقصدوا المماليك الجلبان ان ينزلوا ينهبوا بيته ويحرقوه **قيل** ان
بعض المماليك كلمه وقاسى بهدلة زايدة فتنزه الحال على انه يخرج الى المجردين صحبة
الامرا ومنع السلطان من نهب بيته **وفى ذلك** اليوم نادى السلطان للعسكر
بالعرض قاطبة **وفى ذلك يوم** خرج نايب حماه الذى كان قرر عوضا عن جان بردى الغزالى
فخرج بطلب حربى **وفيه** خرج الامير ازدمر الداشى احد المقدمين وطلب
طلبا حربيا وكان قدامه جنايب وطبالين وعلى راسه صنجق وصارت الامرا تخرج
شيا بعد شى الى قتال ابن عثمان **وفى يوم** الاحد ثالث عشره جلس السلطان بالميدان
وعرض العسكر الذى كان مسافرا الى التجريده فكتبهم الى السفر ثانيا ولم يترك منهم الا القليل
وعرض فى ذلك اليوم اربع طباق وكتب غالب من فيها من المماليك ثم فى ذلك اليوم
عرض السلطان عجل من خشب يجرها ابقار وفيها رماه بالبندق الرصاص وكانوا نحو
ثلاثين عجله او نحو ذلك وعرض جمال وفوقها مكاحل ورجال يرمون بالبندق الرصاص

بن الكلاحل توفى ظهور الجمال وعرض طوارق خشب بسبب الرماه بالنشاب فنوى طلب
العسكر فى ذلك اليوم على القتال واظهر السلطان انه يخرج بنفسه الى قتال ابن عثمان
واستحثت بقية الامرا على الخروج بسرعة ولم يبق على الامرا شيئا وقال لهم اخرجوا
قاتلوا عن انفسكم واولادكم وازواجكم فان بيت المال لم يبق فيه لا درهم ولا دينار
وانا واحد منكم ان خرجتم خرجت معكم وان قعدتم قعدت معكم وما عندى نفقة
انفقها عليكم وفى يوم الاثنين رابع عشره جلس السلطان بالحوش وعرض من العسكر
ربع طباق وفى ذلك اليوم اشيع بان السلطان تغير خاطره على الزينى بركات بن موسى
واعاده الى الترسيم بعد ما كان ترنح امره الى اعادته فى وظائفه وكان سبب ذلك ان السلطان
لما حصل لابن موسى ما حصل قرر عليه مالا فلم يرد منه الا القليل وادعى العجز فلما الجا على
السلطان امر نفقة العسكر وخروجهم بسرعة ضيق على اصحاب المصادرات منهم ابن موسى
ومحمد المهتار وجمال الدين بواب الدهيشه واخرين ممن بقى عليهم بواقى الاموال المنكسرة
ليستعين بذلك على نفقة العسكر من حين قرر يوسف البدرى فى وظائف ابن موسى
وال امره الى العكس والزوال وفيه خرج الامير قانصوه الفاجر احد المقدمين وتوجه
الى السفر وفى يوم الاثنين المقدم ذكره خرج الامير طقطباى حاجب الحجاب وتوجه
الى السفر فطلب طلبا وقدامه طبلين وزمرين وبعض جنايب كما خرج ازبك الناشف
وفى يوم الثلاثا خامس عشره جلس السلطان بالميدان وعرض بقيه العسكر ثم نادى فى
ذلك اليوم بان الامرا وبقية العسكر يخرجوا فى هذا اليوم ومن تاخر لا يسال ما يجرى
عليه وقد خرج هذا العسكر فى قلب الشتا فى وسط الاربعانيه وقاسى غاية المشقه وفى
هذا اليوم خرج الامير تانى بك النجمى احد الكرا المقدمين بطلب حربى وفى يوم الخميس
سابع عشره خرج الامير الماس والى القاهرة وبرز الى السفر فى ذلك اليوم وفيه قبض
على شخص عجمى كان يصنع السنبوسك عند قناطر السباع فوجد وه قد عمد الى كلب
اسود سمين فذبحه وسلخه وعمل منه السنبوسك فلما قبضوا عليه احضروه بين يدى
الامير ماماى المحتسب فضرب الاعجمى بالمقارع واشهره فى القاهرة والكلب معلق فى
رقبته فطافوا به هو ورفيقه فى المدينه ثم سجنوهما فى المقشرة ولم تزل الاعجام تتم
منهم هذه الواحدة الشنيعه من قبل وفى يوم الاثنين حادى عشره وقع فيه من الحوادث
ان بعض المماليك السلطانيه خرجوا الى بير واخو المطرية فراوا جماعة مقبلين من نحو
بركة الحاج فلما قربوا منهم نادام من جماعة ابن عثمان فقالوا لهم من اين اتيتوا قالوا نحن
قصاد من عند السلطان سليم شاة ابن عثمان وكانوا نحو خمسة عشر انسانا وفيهم
القاصد الكبير وهو رجل شيخ بلحيا بيضا وعليه ثياب تجمل ورأوا صحبتهم شخص من
مصر فقيل له عبد البر بن محاسن كان كاتب الخزانة عند الاتابكى سودون العجمى فلما
قتل وملك ابن عثمان حلب والشام تحشر فيه بواسطة يونس العادلى والسمرقندى

فلما ارسل ابن عثمان هذا القاصد ما جردا بجوا من على غزه فان نايب الشام جان
بردى الغزالى كان بالترب من غزه يحاصر جماعة بن عثمان الذى بغزه فبرطل القاصد
بعض العربان بمال له صورة حتى اتوا بهم من غير طريق الدرب السلطانى وطلع بهم من على
التيه واتوا بهم الى عجرود فما شعروا بهم اهل مصر الا وهم فى وسط المدينه فلما صادفوهم
هولا المماليك قبضوا على القاصد وعلى جماعته وعلى محاسن ووجد وا معهم ثلاثه من العربان
فقبضوا على الجميع فبينما هم على ذلك فراوا ثلاثه انفار من الادوام الذى فى خان الخليلى
قد اتوا اليهم وسلموا عليهم وباسوا ايديهم فقبضوا عليهم هولا المماليك وقالوا لهم من اين
علمتم ان هذا القاصد يجى اليوم حتى اتيتوا اليه ما انتوا الا جواسيس من عند ابن عثمان
فقبضوا عليهم بعد ما اشبعوهم ضربا واتوا بهم الكل الى بيت الامير علان الدوادار الكبير
فلما دخل القاصد الى بيت الامير علان قالوا له انزل عن فرسك وسلم على الامير
الدوادار فلم يوافق على ذلك واغلظ عليهم فى القول ثم سل سيفه وهاش على من حوله
من جماعة الدوادار فلما راى الدوادار الكبير ذلك رسم لمماليكه ان ينزلوه
عن فرسه غصبا فانزلوه واخذوا سيفه منه ثم بهدلوه ومن معه من العثمانيه وضربوهم
وصكوهم وعروهم من اثوابهم ووضعوهم فى الحديد بعد ما قاسوا غاية البهدلة من جماعة
الدوادار فلما بلغ السلطان ذلك رسم للامير مغلباى دوادار سكين الذى كان
ارسله السلطان الغورى الى ابن عثمان وحصل منه فى حقه غاية البهدلة فقال لهم السلطان
انزل وبهدل قاصد بن عثمان كما بهدلك لتاخذ خشداشينه وتوجه بهم الى بيت الامير
علان على انهم يوفوا فى جماعة ابن عثمان فعلا من انواع البهدلة فما مكنهم الامير علان
من ذلك ثم قبضوا على عبد البر بن محاسن الذى حضر صحبتهم فلما مثل بين يدى السلطان
شرع يطنب فى اوصاف ابن عثمان وفى تزايد عظمته فمن جملة ما حكى عنه انه لما دخل
الى حلب قطع فى يوم ثمانماية راس من جماعة اهل مصر من جملتهم خليفة سيدى احمد
البدوى واخرين من الاعيان ممن تخلفوا بحلب واخبر ان عسكر ابن عثمان فوق الستين
الف انسان وانه خطب باسمه من بغداد الى الشام وان معاملته ماشيه من بغداد
الى الشام وانه لما دخل الى الشام وملكها شرع فى عمارة سورا وابراجا من القابون الى
مدينة دمشق وجعل فى ذلك الصور ابوابا تغلق على المدينه وهو فى همة زايدة
وبقول ما ارجع حتى املك مصر واقتل جميع من بها من المماليك الجراكسه واخبر
ان ابن عثمان يحتجب عن عسكره اياما لا يظهر فيها فى هذه المدة ينهتكوا عسكره فى المدينة
ويتجاهروا بالمعاصى والفسوق وانهم لا يصوموا فى شهر رمضان ويشربون فيه الخمر
والبوزة ويستعملون فيه الحشيش والتخبيب ويفعلون الفاحشة فى الصبيان المرد
فى شهر رمضان وان ابن عثمان لا يصلى صلاة الجمعة الا قليلا وقد اشيع عن ابن عثمان
هذه الاشاعة الشنيعة من غير ابن محاسن ممن شاهد هذا من افعال عسكره بحلب

والشام فلما اطلع ابن محاسن فى اخبار ابن عثمان حمق منه السلطان وقال له انت جاسوس
من عند ابن عثمان اتيت لتكشف اخبارنا وتطالعه بذلك ورسم بسجنه فى البرج الذى
بالقلعة فسجن به اياما حتى طلع الاتابكى سودون الدواداري وشفع فيه فاطلقه
من البرج وقد قطع قلبها العسكر بما حكاه عن ابن عثمان ثم ان السلطان رسم بشنق اثنان
من الربان الذى اتوا بالقاصد من هذه الطريق التى كانت مختفية عليهم واشيع ان حضر
مع القاصد من جماعة ابن عثمان نحو اربعين نفرا كانوا اختفوا فى القاهرة **فلما** بلغ السلطان
ذلك نادى فى خان الخليلى بان ما احد يأوى عنده غريبا من جماعة ابن عثمان ومن
عثر عليه بان عنده احد من العثمانية شنق من غير معاودة **ثم ان السلطان** ارسل
اخذ المطالعات الذى حضروا على يد القاصد ولم يتبين له توجه واقعة عن مطالعات
للامرا والمباشرين واعيان الديار المصرية فالذى اشيع عن مطالعة السلطان ان غالب
الفاظها تركيه فكان من مضمونها من القابه السعيد الى الامير طومان باى **اما بعد**
فان الله تعالى قد اوحى الى بان املك البلاد شرقا وغربا كما ملكها اسكندر ذو
القرنين ومن جملة المطالعة وعد ووعيد وتهديد وتشديد فمن جملة ذلك انك
مملوك تباع وتشترى ولا تصلح لك ولاية وانا ملك ابن ملك الى عشرين جد
وقد توليت الملك بعهد من الخليفة والقضاة وذكر فى مطالعته اشياء كثيرة من هذا
النمط ثم ذكر فى اثنا المطالعة وان اردت ان تنجوا من سطوتنا فاضرب السكة
فى مصر باسمنا وكذلك الخطبة وتكون نائبا بمصر ولك من غزه الى مصر ولنا من
الشام الى الفرات وان لم تدخل تحت طاعتنا والا ادخل الى مصر واقتل جميع من بها من
الاتراك حتى اشق بطون الحوامل واقتل الجنين الذى فى بطونها من الاتراك واظهر
التعاظم وقوة الباس ولعل الله تعالى ان يخذله بسبب هذا التعاظم الزائد
وفى اخر مطالعته وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **فلما قريت هذه**
المطالعة على السلطان بكا وحصل له غاية الرهب وكانت المماليك الجلبان
اتفقوا على انهم اذا طلع القاصد الى القلعة يقطعوه بالسيوف فلم يطلع الى القلعة
بسبب ذلك وفيه اشيع بين الناس بما فى مطالعة ابن عثمان من هذه الدعاوى العريضة
كما تقدم ذكره ثم اضطربت احوال الديار المصرية واخذ كل احد حذره من ابن عثمان
وقالوا مثل ما طرقتنا قضاده على حين غفلة كذلك هو يطرقنا ايضا على حين غفلة
فشرع الناس فى تحصيل اماكن فى اطراف المدينة وجوانبها ليختفوا فيها اذا دخل
ابن عثمان الى مصر وبعض الناس عول على انه ينزل هو واولاده وعياله ويتوجه الى
اعلا الصعيد اذا تحقق مجى ابن عثمان واشيع ان خاير بك نائب حلب الذى عصى
ودخل تحت طاعة ابن عثمان ارسل مطالعات الى بعض المقدمين وهو يرغبهم فى الدخول
تحت طاعة ابن عثمان وشرع يطنب فى محاسنه وعدله بين الرعيه وانه اذا دخل

مصر يبقى كل احد من الامرا على وظيفته وعلى رزقه وكل هذا حيل وخداع حتى يتمكن من
الدخول الى مصر ثم ان السلطان نادى للعسكر بان اول النفقه يوم الاربعا ثالث
عشرين الشهر فجلس السلطان بالحوش على الدكه وطلع العسكر ليقبض النفقه فلما طلعوا
نفق عليهم لكل مملوك ثلاثون دينارا وجامكيه ثلاثة اشهر بعشرين دينارا فاردوا النفقه
النفقه فى وجهه وقالوا ما نسافر حتى ناخذ مائة دينار كل مملوك فاننا لم يبق عندنا
لا خيول ولا قماش ولا برك ولا سلاح فنزلوا الكل من القلعة على حمية وهم على غير
رضا فحنق منهم السلطان وقام من على الدكه وطلع المقعد وقال ما اقدر على مائة
دينار لكل مملوك والخزاين فارغة من المال وان لم ترضوا بذلك فولوا لكم من تختاروه
فى السلطنة وانا اتوجه الى مكة او غيرها من البلاد فوقع فى ذلك اليوم بعض اضطراب
واشيع ان بعض المماليك قال للسلطان ان كنت تعمل سلطانا فامشى على طريقة من
تقدمك من الملوك وان رحت لعنة الله عليك يجى غيرك يعمل سلطانا فمنع ذلك
باذنه منهم واشيع ان السلطان قال للعسكر انتم اخذتم من السلطان الغورى الف الف
دينارا ولم تقاتلوا شيئا وكسرتوا السلطان واخذتموا به حتى قتل فنزل العسكر على
غير رضا واشيع اثارة فتنه بين العسكر ثم ان فى ذلك اليوم نادى السلطان بان
جميع الامرا من الاكابر والاصاغر يطلعوا غدا باكر النهار فان العرض عاما فانفض المجلس
على ذلك **فلما** كان يوم الخميس رابع عشرينه جلس السلطان على الدكه بالحوش وطلع
الامرا قاطبة والعسكر وطلع ابن السلطان الغورى فقال السلطان هذا ابن استاذكم
اسالوه ان اباه ترك فى الخزاين شيئا من المال يخبركم بذلك وان كان قد سلطنتموه
فانا اول من يبوس له الارض فقالت المماليك الجلبان نحن نسافر بلا نفقه حتى
تاخذ ابن استاذنا وقالت المماليك القرانصه نحن ما نسافر حتى ناخذ مائة دينار
وثلاثين دينارا كما اعطى من سافر قبلنا فانفض المجلس ما نعا ايضا وكثر القال والقيل
فى ذلك اليوم واشيع ان بعض الامرا قال للسلطان اعمل كما عمل الاشرف قايتباى والسلطان
الغورى وخذ من الاملاك والرزق والاقطاعات لتستعين بذلك على النفقه بسبب
دفع العدو عن مصر فلم يوافق السلطان على ذلك وقال ما احدث فى ايامى مظلمة
ابدا فشكروه الناس على ذلك ودعوا له ولو فعل ذلك جاز وقالوا بعذره لاجل دفع
العدو وما فى الخزاين مال ولكن وفقه الله تعالى الى فعل الخير وسطر اجر ذلك فى
صحيفته الى يوم القيامة فكان كما قيل فى المعنى

للخير اهل لا تزال ... وجوههم تدعو اليه
طوبى لمن جرت ... الامور الصالحات على يديه

وفى هذا اليوم اشيع ان السلطان ارسل يقول لابن الملك المويد واولاد الملك المنصور
واولاد الامرا الذين بمصر اعملوا برقكم واخرجوا للسفر والذى ما يسافر منكم يقيم له

بدل عوضه للسفر وقيل دفع على جماعة من المباشرين والخدام من الطواشية مالا له
صورة ساعدة للسلطان على النفقه وشرع السلطان فى بيع قماش وسلاح وتحف وذخائر
وصوف وسمور وبعلبكى وغير ذلك من الاصناف واخذ من ابن السلطان مال له صورة
ساعدة للسلطان على النفقه وفى ذلك اليوم ان السلطان ارسل بعض الخاصكيه الى
الاتابكى قيت الرجبى ليبتله من ثغر الاسكندريه الى ثغر دمياط وارسل بمراسيم تزنيد
الى الظاهر قانصوه الذى بثغر الاسكندريه بان يسكن فى قاعة الملك المؤيد التى بالاسكندرية
وان يركب ويصلى صلاة الجمعة مع الناس فى الجامع وان يسير نحو البساتين الذى
بالاسكندرية وفى يوم الجمعة خامس عشرينه خرج الامير خاير بك المعمار احد الامرا
المقدمين والامير ازبك المكحل فخرجا فى ذلك اليوم الى التجريده فطلب اطلابا حربية
وفى يوم السبت سادس عشرينه طلع العسكر بسبب الرمح ولم يطلع فى ذلك اليوم
احد من الامرا المقدمين واحتجب السلطان فى الدهيشه ولم يخرج الى العسكر فنزلوا
الى بيوتهم من غير طائل وفى هذا اليوم نادى السلطان بان لا احد من الناس يتجاهر
بالمعاصى وان لا يهودى ولا نصرانى يبيع جرة خمر ومن شهر عليه يبيع الخمر شنق من غير
معاودة وكذلك البوزة والحشيش فلم يسمع له احد ذلك ولم يكفوا عما هم فيه
وفى ذى الحجة كان مستهل الشهر يوم الخميس فطلع القضاة الذى نزلوا جديد
فى الشهر الماضى وهنوا السلطان بالشهر ونزلوا الى بيوتهم وفى ذلك اليوم نادى
السلطان للعسكر بان اول النفقه يوم السبت ثالث الشهر وقد اتفق مع العسكر
انه ينفق لكل مملوك خمسين دينارا ويصرف ثمن اللحم المنكسر خمسة اشهر والعليق المنكسر
فتراضوا وفيه انعم السلطان بامرة عشرة على جماعة من الخاصكية نحو عشرة انفس
منهم شخص يقال له خايربك الجمقدار وهو من خيار المماليك الاشرف قايتباى وفيه
اشيع ان السلطان خرج عن الف دينار فرقها على الفقرا الذى فى الزوايا وفى المزارات
التى بالقرافه وغيرها من المزارات وفرق عليهم ايضا قمحا لكل زاوية خمسة ارادب
وقال لهم ادعوا بالنصر للسلطان وهلاك العدو وقراءة ختمات فى المزارات
منهم عند الامام الشافعى والامام الليث رضى الله عنه وغير ذلك من المزارات
وفيه استحث السلطان اولاد السلاطين واولاد الامرا والمباشرين والخدام فيما
قرره عليهم من المال بسبب النفقه واشيع انه اخذ من ابن السلطان مال له صورة
وقيل ان السلطان الغورى كان قد حصص ولده قبل ان يسافر الى البلاد الشامية
بمائتى الف دينار هكذا اشيع وفى يوم السبت ثالثه طلع العسكر الى القلعة ليقبضوا
النفقه فلما نادى لهم ورد على السلطان فى ذلك اليوم اخبار رديه بان العسكر الذى
توجه الى غزه قد انكسر فى يوم الاحد رابع عشرين ذى القعدة ومن العجايب
ان الوقعة الاولى التى انكسر فيها السلطان الغورى كانت يوم الاحد خامس عشرين

رجب فكان التفاوت بينهم وبين هذه الواقعه يوم واحد وهذا من العجايب وهذه الكسرة
الثانيه كانت يوم الاحد وكان ملخص اخبار هذه الكسرة ان جان بردى الغزالى نائب
الشام خرج الى التجريده قبل العسكر بمدة ايام وصارت الامرا والعسكر يخرجون بعده
متفرقين متكاسلين زايد فلما ابطوا على الغزالى جمع بعض عربان وتقدم الى غزه هو والامير
ازدمر الناشف احد المقدمين الذى ولى نائب حماه ودولات باى نائب غزه
واصله من مماليك السلطان الغورى وجماعة من المماليك السلطانيه فتقاطعوا على
عسكر ابن عثمان من طريق الدرب السلطانى فنزلا قوام عسكر ابن عثمان على الشريعة
بالقرب من بيسان وكان باش العسكر العثمانيه سنان باشاه واخرين من امرايه
ومن العساكر العثمانيه الجم الكثير وكان جان بردى الغزالى فى فئه قليلة من العسكر
فوقع بين الفريقين هناك وقعة مهولة تشيب منها النواصى وكان ذلك بالقرب
من بيسان فانكسر الامير جان بردى الغزالى ومن معه من العساكر والامرا وقتل الامير
خدابردى احد الامرا المقدمين وقتل الامير على باى السيفى وازدمر الدوادار احد
الامرا الطبلخاناه واشيع موت جماعة من الامرا ولكن لم اقف على صحة من قتل من الاعيان
فى هذه المعركة واشيع ان جان بردى الغزالى قد جرح والامير ازدمر الناشف
ايضا وقتل من المماليك السلطانيه جماعة ومن الغلمان ما لا يحصى عددهم وقد جرت
دماهم وقيل ان هذا الخبر ورد من عند الامير طقطباى حاجب الحجاب وكان
من حين خرج الى السفر وهو مقيم بالصالحية فورد عليه بعض المماليك السلطانيه
واخبره بذلك فطالع السلطان بما قد جرى من امر هذه الحركة المهولة واشيع ان
عسكر ابن عثمان قد احتوى على برك الغزالى وان ازدمر الناشف لما وقعت الكسرة
لم يتركوا لها بركا لا خيول ولا جمال ولا سلاح وقد تغنم العثمانيه ثانيا بهذه
الكسرة الثانيه ولم ينجوا من عسكر مصر فى هذه المعركة الا من طال عمره وقيل ان
مماليك الغورى هم الذين اخذوا بالعسكر وبادروا بالهروب حتى وقعت هذه
الكسرة الثانيه وفيه تزايدت الاقوال عن الامير سنبل مقدم المماليك بان يتوجه
الى الصالحية ليكشف الاخبار فخرج من يومه وسافر وفى يوم الاحد وقعت حادثة
مهولة وهو ان السلطان نزل الميدان واجتمع الامرا والعسكر فلم يشعروا الا وقامت
صيحة كبيرة فى الرميلة واشاعوا ان عسكر ابن عثمان قد وصل الى الريدانيه فقال
السلطان كم نقول لكم اخرجوا التجريده لم ترضوا حتى دزوا ما خرجوا الا وابن عثمان
فلبس العسكر آلة الحرب وركبوا قاطبة ورجت القاهرة رجا مهولا وزرع الناس
قماشهم فى الاماكن المخفية فلما اضطربت الاحوال ركب العسكر فتوجهوا الى الريدانيه
فلم يروا هناك احدا من العثمانيه فرجع العسكر الى بيوتهم بعد ما دخلت وعولت الناس
على ان يختفوا فى خبايا الوقت ثم اسفرت هذه الواقعة على ان جماعة من العربان نزلوا

من الجبل واتوا الى الويدانيه فاشاع الذى ذاهر عن بعد انهم من العثمانيه فانتشرت هذه
الاخبار فى القاهرة من غير سبب وفى هذا اليوم افرج السلطان عن الامير قانصوه
الاشرفى الذى كان نايب حلب وسلم القلعة الى ابن عثمان من غير مشقة ولا محاصرة
فتغير خاطر السلطان عليه بسبب ذلك فسجنه فى البرج بالقلعة فاقام به مدة ثم
افرج عنه فى ذلك اليوم وفى يوم الاثنين خامسه دخل الامرا والعسكر الذين توجهوا
الى غزه وانكسروا من عسكر ابن عثمان فدخل جان بردى الغزالى وازدمر الناشف وبقية
امرا على حمير ومشى على جمال وقد نهب قماشهم وامرا عشراوات ودخل العسكر وهم فى
اتحس حال مما جرى عليهم من النهب والقتل اتحس من المرة الاولى فدخل بعض المماليك
السلطانيه وهو راكب حمار ومشى على جمال وقد نهب جوخهم وسلاحهم ولم يسلم من القتل
الا من كان فى اجله مدة وذكروا عن ابن عثمان ان معهم ارماح بطلاليب يخطفوا بها الفارس
من على فرسه ويلقوه على الارض وانهم ادركوا جان بردى ولولا غلمانه قاتلوا عنه العثمانيه
والا كان حز راسه مثل الامير خداردى الذى قتل وحكوا عن عسكر ابن عثمان انهم
مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم وان معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات
خشب تسحبها ابقار وجاموس فى اول العسكر وحكوا عنهم اشيا كثيرة من هذا النمط
وحضر صحبته الامير دولات باى نايب غزه الذى كان والى القاهرة وكان اشيع
موته فى الوقعه التى وقعت فى مرج دابق فظهر انه فى قيد الحياة وكان مختبيا عند
العرب فحضر فى ذلك اليوم وحضر ايضا جماعة وحضر ايضا مختفى من الامرا العشرات
يقال له قرقماس الرجبى وكان اشيع موته فى الوقعة التى كانت على مرج دابق فظهر انه
فى قيد الحياة وحضر ايضا جماعة كثيرة كان اشيع موتهم فظهر انهم فى قيد الحياه فلما
طلع الامير جان بردى الغزالى والامير ازدمر الزردكاش الى القلعة البسهما السلطان
سلاريات بسمور ونزلا الى دورهما وقد فرح كثير من الناس بسلامتهما لانهما فرسان
الاسلام فدقت لهما البشاير على ابواب دورهما فلما حضر الغزالى ومن معه من الامرا
والعسكر ظهر امر من قتل من الامرا العشراوات والعسكر والغلمان فصار فى كل حارة نعيا
مثل ايام الفصول وفى ذلك اليوم نادى السلطان للعسكر بان اول النفقة يوم
الثلاثا سادسه فلما طلع النهار بادر العسكر بالطلوع الى القلعة فابتدا السلطان
بتفرقة النفقة على العسكر فاعطى لكل مملوك خمسة وعشرين دينارا واعطاهم ثمن لحمهم
على العادة وكان اولا ساهم السلطان بان يعطيهم ثلاثين دينارا كل مملوك فابوا
من ذلك فلما راوا عين الجد وابن عثمان زاحف على البلاد وقد وصل الى قطيا فرضوا
بخمسة وعشرين دينارا نفقة ونزلوا من القلعة واخذوا فى اسباب الة السفر وفيه
ورد على السلطان اخبار ردية بان سنان باشا احد امرا ابن عثمان الذى ملك مدينة
غزه قد لعب فى اهل غزه بالسيف وقتل منهم نحو الف انسان ما بين نساء ورجال

وصغار حتى الصغار كذلك وكان سبب ذلك ان الغزالى لما تلاقا مع سنان باشا على
الشريعه فاشيع فى غزه ان الغزالى قد انتصر على عسكر ابن عثمان وقتل سنان باشا وعسكر
ابن عثمان فبادر على باى دوادار نايب غزه واجناده فنهبوا اوطاق العثمانيه واحرقوا
خيامهم وقتلوا من كان فى الوطاق والمدينه من العثمانيه نحو اربعماية انسان ما بين شيوخ
وصبيان ومن كان بها مريضا واحرقوا الخيام الذى كان فى وطاقهم فلما ظهر ان الكسرة
على عسكر مصر وقتل من قتل من الامرا رجع سنان باشا الى غزه فوجد من كان بها قتل
ونهب الوطاق فجمع اهل غزه قاطبة وقال لهم من فعل بنا ذلك فقالوا على باى دوادار
نايب غزه واجناد غزه ولم نفعل نحن شيا من ذلك فامر سنان باشا بكبس بيوت
غزه فوجد وا فيها قماش العثمانيه وجوخهم وخيامهم فقال لهم سنان باشا نحن لما
دخلنا غزه شوشنا على احد منكم او نهبنا لكم شيا قالوا لا فقال لهم كيف فعلتم بعسكرنا
ذلك فلم ياتوا بجواب ولا حجة ولا عذر فعند ذلك امر عسكره ان يلعبوا فيهم بالسيف
فقتلوا منهم ما لا يحصى عدده وراح الصالح بالطالح وكان ذلك فى الكتاب مسطورا
وقيل فى المعنى ، ان ترمك الاقدار عن امة ، او جبها اجرامك السالفه ،
، فادع الى ربك فى كشفها ، ليس لها من دون الله كاشفة ،
وفى يوم الاربعا سابعه حضر الى الابواب الشريفه من جماعة طوايف العربان من عزاله
ومحارب ومن عربان هواره وكان السلطان الزم مشايخ العربان ان يا تواصحبتهم
جماعة من فرسان العربان ممن هو انجبهم حتى يتوجهوا صحبة التجريدة مع العسكر
فلما حضروا نزلوا بالجيزه والناس قاطبة فاجتمع بهم الجم الكثير من العربان
ثم دخلوا الى الرميلة ونزلوا بها حتى يعرضهم السلطان فى الميدان وقد اختلط امر
الترك عند العرب والفلاحين بسبب هذه الكسرات الذى وقعت للعسكر وتملك
ابن عثمان من البلاد الشامية وثبت عند الناس ان دولة الاتراك قد زالت الى الانقراض
وان ابن عثمان هو الذى يملك البلاد وصار جماعة من الفلاحين اذا اتاهم قاصد من
باب استاذهم يقولون ما نقدر نعطى خراج حتى يتبين لنا ان البلاد لكم او لابن
عثمان فنبقى نوزن الخراج مرتين وقد اضطربت الاحوال برا وبحرا والامر الى الله
تعالى وفى ذلك اليوم اشيع بين الناس ان السلطان رسم بتغريق القاصد الذى حضر
من عند ابن عثمان وقد تقدم ذكر ذلك فاشيع انهم غرقوه ومن معه من العثمانيه تحت
الليل هكذا اشيع وفيه ابتدا السلطان بتفرقة الاضحية على العسكر ولم يعطى المماليك
الذين كانوا صحبة الغزالى وانكسروا فقال لهم السلطان انتم هربتم ولم تقاتلوا اشيا
واختفيتوا بالكرا حتى انكسروا فلم يعطهم اضحية وفيه اشيع بين الناس ان اوايل
عسكر ابن عثمان قد وصل الى قطيا وقد تملكوا القلعة التى بالطينه وهرب من كان بها
من اولاد الناس القاطنين بها وقيل لم يثبت امر هذه الاشاعة وفى يوم السبت

عاشره كان عيد النحر فخرج السلطان وصلى صلاة العيد وطلعت الامرا بالشاش
والقماش على جارى العادة وكان موكب العيد حافلا لكن كانت الناس فى غاية الوجل
والخوف من ابن عثمان وقد بلغ الناس ان اوايل عسكره وصل الى قطيا ولاسيما ما بلغ الناس
من فعل عسكر ابن عثمان باهل غزه من القتل والنهب وسبى النسا وقتل الاطفال
لما اشيع ذلك وفى يوم الاثنين ثانى عشره اخرج السلطان الزردخاناة الشريفة
التى يخرجها صحبة العسكر فجلس بالميدان واخرجت قدامه العجلات الخشب
التى صنعها بسبب التجريده فكان عدتها مايه عجلة وتسمى عند العثمانيه عربية
وكل عربة منها يسحبها زوج ابقار وفيها مكحلة نحاس ترمى بالبندق الرصاص
فنزل السلطان من المقعد وركب وفى يده عصا وصار يرتب العجل ومشيها فى
الميدان ثم اسحب بعد العجل مايتا جمل تحمله طوارق نحو الف وحمايه طارقه
وتحمله ايضا بارود ورصاص وحديد ورماح خشب وغيره لذلك وقدام العجلات
اربع طبول واربع زمور وقدامها من الرماه نحو مايتين انسان ما بين تركمان ومغاربة
وبايديهم صناجق بعلبكى ابيض وكندكى احمر وهم يقولون الله ينصر السلطان
وجماعة من النفطية ما بين عبيد وجماعة نفطيه يرمون بالنفط قدام العجلات
وركب قدامها الامير مغلباى الزردكاش الكبير ويوسف الزردكاش الثانى وجماعة
من الزردكاشية وعبد الباسط ناظر الزردخاناه والشهابى احمد بن الطولونى وتقدم
الجم الكثير من النجارين والحدادين الذين نسبوا للسفر مع التجريده فخرجوا من باب
الميدان الى الرميلة ونزلوا من الصليبة وشقوا من على السبعيين ودخلوا من باب زويلة
وشقوا من القاهرة فرجت لهم فى ذلك اليوم واصطفت الناس على الدكاكين بسبب
الفرجة وكان يوما مشهودا وارتفعت له الاصوات بالدعا بالنصر على ابن عثمان
الباغى وتباكت الناس لما عاينوا تلك العجلات والمكاحل والهمة العالية التى من
السلطان فيما صنعه واستمروا شاقين من القاهرة حتى خرجوا من باب النصر
وتوجهوا الى الريدانيه عند تربة العادل الذى هناك واشيع ان امراة قتلت فى ذلك
اليوم من شدة الازدحام فلما وصلوا الى العجل الى تربة العادل صفوهم هناك الى
ان تخرج الامرا فكان ذلك اليوم من الايام المشهودة فى الفرجة وفى يوم الثلاثا
ثالث عشره اشيع ان بعض الناس شنع فى المماليك الذين حضروا من غزه ولم يعرفهم
لهم السلطان المحبة ناصرفها لهم فى ذلك اليوم بعد ما وبخهم بالكلام وقال لهم
كيف هربتوا حتى كسرتوا الامرا ولم تقاتلوا شيا ويبقى وجهكم اسود بين الناس
وفى يوم الاربعا رابع عشره حضر الى الابواب الشريفة الناصرى محمد بن شمس الدين
التوصوقى ونبس الطب وكان فى حلب فى اسر عند ابن عثمان فهرب من هناك مع
العربان وعزم لهم مال له صورة حتى جابه الى مصر فطلع وقابل السلطان فى ذلك

اليوم وهو على غير هيئته وحلق ذقنه وتزايا فى زى العرب حتى تخلص من جماعة
ابن عثمان واخبر السلطان انه قد بلغه من ابن عثمان ان عسكره تخلف عليه وان مات
له من الجمال والخيول ما لا يحصى عددها من الثلج الذى وقع بالشام وان الغلا معهم موجود
وان عسكره قد تقلق من البرد والثلج وموت الخيول واشيع فى ذلك اليوم بان عسكر
ابن عثمان كان فى غزه ورحل عنها وقد صادفت العربان فقتل منهم جماعة كثيرة ممن
يجدونه فى الضياع فيقتلونهم وهربوا فى الجبال وفى يوم الاثنين خامس عشره طلع
العسكر ابتيض الجامكيه فقالوا لهم الحواشيه يا اغوات ما فى هذا اليوم جامكيه البلاد
خراب والعرب مفتتنة فى الطرقات والدركين ومشايخ العربان ما ارسلوا من
القناسيط والذى عليهم شيا وقد تعطلت الجوامك وفى ثالث اليوم السلطان
اخلع على ناصره فان حصل شيا على يوم الاثنين فيعطيكم فنزل العسكر من القلعة
وهو فى غاية النكد فلما اخلع على ناصره وهلو احد المقدمين الذى كان نايب قطيا
وقرره كاشف الشرقيه عوضا عن قجماس الذى كان بها فانه كان عاجزا عن اصلاح احوال
الشرقيه واخلع على الماس كاشف الغربيه بان يستمر على عادته فى كشف الغربيه واخلع
على الامير ابو بكر الوزير والاستادار باستمراره على عادته وكان اشيع عزله وقد صادت
احوال الديار المصرية فى هذه الايام فى غاية الاضطراب من وجوه شتى وفى يوم
الجمعة صلى السلطان صلاة الجمعة ثم اخلع على الاتابكى سودون الدوادارى وقرره
باش العسكر الى التجريده وفيه حضر الامير طقطباى حاجب الحجاب وكان قد توجه
صحبة التجريده المعينه الى غزه فاظهر انه مريض فاقام بالصالحية فلما انكسر جان بردى
الغزالى ورجع الى مصر اقام بتربة الامرا فى الصالحية الى ان تخرج التجريده التى تعينت
ثانيا وفيه حضر الامير تنتطباى دون الامرا الذى هناك عن ذلك على الامرا والعسكر
ونسبوه الى العجز وصار ممقوتا بين العسكر قاطبة وفيه اشيع ان السلطان
رسم لطوايف العربان الذين حضروا ان يرجعوا الى بلادهم وقد اشار بعض الامرا
على السلطان ان العرب ليس بهم فايدة فى خروجهم مع التجريده فرسم لهم بالعود الى
بلادهم وفى يوم الاحد ثامن عشره ورد على السلطان اخبار رديئة بان ابن عثمان خرج
من الشام بنفسه هو وعساكره وهو قاصد الى مصر وقد اشيع انه قسم عسكره فرقتين
فرقة تجى من على الدرب السلطانى وفرقة تجى من على التيه وفى اثنا هذا الشهر اخلع
السلطان على الامير اينال خازندار الامير طراباى احد الامرا العشراوات وقرره فى
نيابة دمياط عوضا عمن كان بها فلما بلغ السلطان هذا الخبر ارسل احضر الامرا
وضربوا مشورة فى ذلك واشيع ان السلطان يخرج الى الريدانيه ويقيم بها ويقسم
العسكر فرقتين فرقة تتوجه الى ناحية بحرود وكانت الامرا عولوا على خروج المتجردين
من اول السنة الجديده فلما ورد عليهم هذه الاخبار اضطربت احوالهم ودسم

لهم السلطان ان يبرزوا خيامهم فى الريدانيه بسرعة ويكونوا على يقظه فان ابن عثمان
قد وصل الى غزه وقيل انه يتوجه يزور بيت المقدس ثم يمشى بعساكره على عسكر مصر
وقد كثر القال والقيل فى ذلك واضطربت احوال الناس قاطبة الى ان يذهبوا الى هذه
الفتنه الى حين تنقضى **وفى ذلك** اليوم برز السلطان لتنبيه الجيش بان يبرزوا على الار
المقدمين ويقول لهم ابرزوا خيامكم بالريدانيه وفى هذا اليوم خرج نظام جماعة من
الامرا فى ذلك اليوم الى الريدانيه وفى هذا اليوم نادى السلطان بان جميع المغاربة الذى
فى مصر والقاهرة يحضروا غدا للعرض **وفى يوم** الاثنين تاسع عشره جلس السلطان
على الدكه فى الحوش وطلع الجم الكثير من المغاربه **فلما** طلعوا الى القلعة لم يجتمع عليهم
السلطان وارسل اليهم الامير شادبك الاعور فقال لهم السلطان يقول لكم عينوا انتم
الف انسان من شجعانكم حتى يخرجوا مع التجريده فارسلوا يقولوا للسلطان نحن ما لنا
عاده نخرج مع العسكر ونحن ما لنا نقتل الا الافرنج ما نقاتل مسلمين واظهروا التعصب
لابن عثمان فلما عاد الجواب على السلطان بما قالوه المغاربة فنفر على السلطان ذلك
فارسل يقول لهم ان تخرجوا وتقاتلوا ابن عثمان والا المماليك الجلبان يقتلوا كل
مغربى فى مصر حتى ما يخلوا فيها مغربى يلوح فنزلوا من القلعة على غير رضا من السلطان
وفيه اشيع ان ابن عثمان ارسل كتابا الى شيخ العرب احمد بن بقر الذى كان عاصيا وهو
يقول له فيه ادخل تحت طاعتنا ولك الامان ولاتينا من الصالحية وصحبتك الف
اردب شعير واشيع ان ابن عبد الدايم احمد بن بقر الذى كان عاصيا توجه الى ابن
عثمان لغزه والاشاعات فى اخبار ابن عثمان كثيرة **وفى يوم** الاثنين المقدم ذكره نادى
السلطان للعسكر قاطبة من كبير وصغير بان يعرضوا غدا فى الريدانيه وهم باللبس
الكامل من آلة السلاح ثم ان السلطان نزل الى الميدان وصلى صلاة العصر وركب
من هناك وتوجه الى الريدانيه وبات بها فى الوطاق وهذا اول نزوله من حين ولى
السلطنه **وفى يوم** الثلاثا عشرينه لبس العسكر آلة الحرب وخرج للعرض بالريدانيه
بحضره السلطان **وفى ذلك** اليوم صارت الامرا المقدمين يخرجون الى الريدانيه
وهم الامرا الذين تعينوا للتجريدة وصاروا يخرجون شيا بعد شى وهم بالطلب
حربيه ومماليكهم لابسة آلة الحرب وهم على جرائد الخيل ثم خرج الاتابكى سودون
الدوادارى وجان بردى الغزالى نايب الشام وازدكماس امير سلاح وبخشباى
امير مجلس وانصباى امير اخور كبير وتمرباى راس نوبة النوب وعلان الدوادار الكبير
وقنطباى حاجب الحجاب وقيل بل عفى عن السفر بسبب ضعفه ولكن الاصح سفره
وخرجت بقية الامرا المقدمين الالوف قاطبة والامرا الطبلخانات والعشراوات
وعساكر مصر ولم يبق منها الا الامرا والعسكر الا القليل وهذه التجريده اكثر عسكرا
من التجريده التى خرجت مع السلطان الغورى وكان هذا السلطان له عزم شديد

على هذه التجريدات وسبك المكاحل وعمل البندق الرصاص وجمع من الرماه ما لا يحصى
وكانت له همة عالية ومقصدة جميلا ولعل الله تعالى ان ينصره على ابن عثمان وكان ابن
عثمان باغيا على عسكر مصر وقد عاداهم وتعدى عليهم بغير سبب والباغى له مصرع
وفيه اشيع ان السلطان وسم بان الافيال الكبار يخرجوا صحبة العسكر اذا تقابلوا
مع ابن عثمان بعد ثلاثة ايام **وفى ذلك** اليوم لما خرج العسكر ركب السلطان من
الوطاق وقد توجه الى المسطبة التى بالريدانيه التى تسمى المطعم فجلس بها واجتمع
الجم الكثير وهم لابسون آلة السلاح وقد سدوا الفضا واجتمع هناك السواد الاعظم
من العوام حتى النسا وقد اطلقوا الزغاريت هناك وارتفعت الاصوات له بالدعا
للسلطان بالنصر وكان هناك يوما مشهودا فلما نظر السلطان الى العسكر لم يعرضهم
باستدعا هناك بل نادى بان جميع العسكر المنصور من كبير وصغير لا يتاخر منهم احد
وان العرض فى الصالحية وان السلطان يتوجه الى الصالحية حتى يخرج العسكر قدامه
من هناك ثم يعود الى القلعة وكان ذلك عين الصواب **وفى يوم** الاربعا حادى عشرينه
استمر السلطان مقيما بالريدانيه وخرج فى ذلك اليوم بقيه العسكر وقد تزايدت
فى الخروج من غير عذر ولا حجة والسلطان يستحثهم فى سرعة الخروج ولما نزل السلطان
من القلعة اخذ صحبته قاسم بك وهو الصبى الذى من اولاد ابن عثمان وقد تقدم ذكره
فجعل له السلطان برك وسنجق على انفراده ورسم له بان يبقى صحبة العسكر ويقف
وقت الحرب تحت الصنجق السلطانى واشيع ان سليم شاه فى قلبه الواجس من هذا
الصبى وقيل ان غالب عسكره مايلا الى هذا الصبى ويقولون اذا انكسر سليم شاة ما لنا
الا ابن استاذنا هذا نسلطنه عوضا من سليم شاة **وفى ذلك** اليوم اشيع ان صاحب
رودس ارسل الى السلطان الف رامى نار من جماعته يرمون بالبندق والرصاص وارسل
اليه عدة مراكب فيها بارود ودخلت تلك المراكب الى ثغر دمياط وارسلوا اعلموا
السلطان بذلك وهذه عونه من صاحب رودس الى سلطان مصر حتى يستعين بذلك
على قتال ابن عثمان الباغى على اهل مصر فلم يظهر لهذه الاشاعة خبر ولا نتيجة
وانما هى اشاعة ليس لها صحة فيما نقل عنها ولما خرج السلطان الى الريدانيه اشيع انه
يتوجه من هناك الى الصالحية وقالوا اما ننم بيننا وبينه قتال الا فى الريدانيه ثم ان
التجار صارت تنقل امتعتها واموالها من الدكاكين الذى فى الاسواق ويدخلون بها
فى الاماكن المنسية حتى تسلم وما سلمت فيما بعد وفيه تحول غالب الناس من اطراف
المدينه ودخلوا القاهرة وسكنوا بها ونقل اعيان الناس قماشهم الى الترب والى المدارس
والزوايا والمزارات والى بيوت العوام الذى فى الارباع لعله يسلم وما يسلم فيما بعد
كما سياتى الكلام فى ذلك فى موضعه **وفى اخر** هذه السنة توفى الشهابى احمد بن الامير
اسنبغا الطيارى راس نوبة النوب كان وكان الشهابى احمد من اعيان اولاد الناس

فتنوه الامرا

الروسا وكان حشيما رئيسا لا باس به ومات وله من العمر ما قارب التسعين سنة
وكان من المعمرين في الارض وفي يوم الخميس ثاني عشرينه وردت الاخبار بان ابن عثمان
قد خرج من غزه وان اوائل عسكره قد وصل الى العريش واشيع ان السلطان رسم بحفر
خندق من سبيل علان الى الجبل الاحمر والى اخر غيطان المطرية ثم ان السلطان نصب
على ذلك الخندق الطوارق والمكاحل معمره بالمدافع وصف حولها العربات الخشب
التي صنعها بالقلعة كما تقدم ذكر ذلك ثم ان السلطان رسم للامير ماماي الصغير
المحتسب بان ينادي في القاهرة للسوقة وارباب البضايع من الزياتين والخبازين
والطحانين بان يحولوا بضايعهم الى الوطاق عند تربة العادل ويبنوا هناك سوقا
ويبيعوا على العسكر الذي هناك ثم ان السلطان رسم للوالي بان ينادي في القاهرة
للعسكر الذي تاخر بان يخرج الى الريدانيه ولم يتاخر منهم احد فنادت المشاعليه
في الحارات والازقة بان المماليك السلطانيه تخرج في ذلك اليوم الى الوطاق وكل
من تاخر منهم شنق على باب منزله من غير معاودة وجعل يكرر المناداه في ذلك اليوم
مرتين فلما قد بلغ السلطان ان جماعة من المماليك السلطانيه صاروا يتوجهون
الى الوطاق في باكر النهار حتى ينظرهم السلطان ثم يرجعون الى بيوتهم ويباتون بها
فشق ذلك على السلطان وحجر عليهم بان يباتوا في الوطاق في كل ليلة وفي يوم الجمعة
ثالث عشرينه وردت الاخبار بان عسكر ابن عثمان قد وصل اوايله الى قطيا فاضطربت
احوال الناس لذلك وفي يوم السبت رابع عشرينه عرض السلطان العسكر الذي
بالوطاق فاجتمع منهم الجم الكثير فاوعدهم السلطان انهم اذا قاتلوا عسكر ابن عثمان
وغلب وانتصر عليهم ينفق عليهم كل واحد عشرة اشرفيه وينعم على كل واحد منهم
بسيف وترس ورسم للامير اقبردي امير اخور بان يصلح بين زعر الصليبية وزعر
المدينه وفي ذلك اليوم اشيع ان السلطان اهتم بعمل حايط يستتر بها على المكاحل
التي نصبها بالريدانيه واشيع ان السلطان جعل يحمل الحجارة بنفسه مع البنايين
فلما راوا العسكر ان السلطان حمل الحجارة بنفسه فصارت المماليك يحملون الحجارة
ويشيلون التراب مع الفعله في حفر الخندق وعمل الحايط التي تستتر على المكاحل ثم
وردت الاخبار بان عسكر ابن عثمان قد وصل الى بلبيس وفي يوم الاحد خامس عشرينه
حضر الامير قانصوه العادلي الذي كان كاشف الشرقيه وكان السلطان ارسله
ليكشف اخبار عسكر ابن عثمان واخبر انهم قد وصلوا الى هناك اي الى الزرب من
الصالحية فلما وصل الامير قانصوه الصالحية راى جماعة من عسكر ابن عثمان قد
وصلوا الى هناك فقبض على شخصين منهم وحز روسهما واحضرهما الى بين يدي
السلطان وكان صحبة تلك الروس شخصا من ابنا حلب من جماعة خاير بك نايب
حلب الذي غدر على السلطان الغوري والتف على ابن عثمان فلما وقفا بين يدي

السلطان طومان باي اخبره ان الواصل اليك خاير بك نايب حلب وصحبته ابن سوار وصحبته
جماعة من امرا ابن عثمان وان هذا الذي ليس فيه من عسكر ابن عثمان ثمانيه الاف فارس
وقد بطلت خيولهم من التعب والجوع وان الغلا موجود في عسكره ووجد وامع ذلك
الرجل الحلبي عدة مطالعات من خاير بك نايب حلب الى الامرا المقدمين الذي بمصر
فاخذ السلطان المطالعات الذي كانوا معه ووضع ذلك الرجل الحلبي في الحديد
واشيع ان عسكر ابن عثمان لما دخل الى بلبيس نادى لاهل بلبيس بالامان والاطمان
وان لا احد من العثمانيه يشوش على احد من اهل بلبيس والفلاحين قاطبة ثم اشيع
ان عسكر ابن عثمان قد وصل الى العكرشه فلما تحقق السلطان ذلك اراد ان يخرج
بالعسكر ويلاقيهم من هناك فلم تمكنه الامرا من ذلك ولولا قاهرهم من هناك كان عين الصواب
فان خيولهم كانت بطلت من الجوع وكان غالب عسكر ابن عثمان مشاه على اقدامهم من
حين خرج من الشام وهم في غاية التعب فكان ربما يكسرهم قبل ان يدخلوا الى الخانكه
ويجدوا العليق والماكل والمشرب والراحة من التعب فلم يتفق للسلطان ان يلاقيهم
من هناك حتى تمكنوا من الدخول الى الخانكاه ثم رسم السلطان للعسكر بان يبات
الليلة قدام الوطاق وهم على ظهور خيولهم لابسون آلة الحرب ولا ينامون الا
بالنوبه خوفا من هجمة تحت الليل من العثمانيه وقد اشتد الرعب في قلوب الاتراك
من عسكر ابن عثمان فلما قرب عسكر ابن عثمان من الخانكاه خرج منها غالب اهلها
باولادهم وعيالهم وقماشهم ودخلوا الى القاهرة خوفا على انفسهم من عسكر ابن
عثمان وكذلك غالب فلاحين الشرقيه واهل بلبيس قد دخلوا الى القاهرة خوفا
من النهب والقتل من العثمانيه ثم ان العربان من السوالمه صاروا يخطفون على كل
من يلوح لهم من العثمانيه ويقطعون روسهم ويحضرونها الى بين يدي السلطان
ورسم السلطان بان تعلق على باب النصر وباب زويله ثم ان السلطان عرض
العسكر بالريدانيه وهم لابسون آلة الحرب حتى عرض الامرا المقدمين والعشراوات
فحضرت الامرا المقدمين وهم بالطبول والزمور وكان لهم يوما مشهودا بالريدانيه
ثم ان السلطان سار الى بركه الحاج وصحبته الامرا والعسكر قاطبة فسير بهم حتى
رجع الى الوطاق وقدامه الطبول والزمور والنفوط فامتدت العسكر من الجبل
الاحمر الى غيطان المطرية حتى سد الفضا واشيع ان السلطان لما تحقق وصول ابن
عثمان الى بلبيس رسم بحرق الشون الذي في الخانكاه واحرقوا اشيا كثيرة من التبن
والدريس وغير ذلك من الفحم والشعير والفول وذلك لاجل عسكر ابن عثمان
حتى لا ينهبوها لخيولهم ويتقووا على القتال وفي هذه المدة صارت العربان
تقطع روس العثمانيه الذي يظفروا بهم في الطرقات فيرسل السلطان بتعليق
تلك الروس على ابواب المدينة ومن الحوادث في هذه السنة اشيع ان السلطان

كان جالسا فى الخيمة واذا بشخص من التركمان قد دخل عليه وهو لابس زنط احمر
وفى وسطه بخنجر وتركاش وقد ضرب على وجهه لثام وكان السلطان فى نفر قليل
من الخاصكيه فلما هجم ذلك الشخص على السلطان وقرب منه تدنعه بعض الطواشيه
الذى كان واقفا بين يدى السلطان فلما صد ذلك الشخص وجد فى صدره ثديين
طوال فكشف اللثام عن وجهه فاذا ذلك الشخص امراة من نسا التركمان فتوهم السلطان
انما تقصد قتله فقال اخرجوها من قدامى فلما خرجت من بين يديه وجدوها لابسة
زردية من تحت ثيابها فلما عاينوها المماليك الجلبان قطعوها بالسيوف وقد تحقق
انها هجمت على السلطان تريد قتله لا محالة فلما قتلوها رسم السلطان بان يعلقوها
على باب النصر فاتوا بها وهى عريانه وصاروا يسحبونها من الريدانيه الى باب النصر
حتى علقوها هناك وكانت تجاه باب النصر واستمرت معلقه هناك يومين حتى
دفنت وصارت عريانه وعورتها مكشوفه بين الناس وما قاست خبرتم ان السلطان
ارسل مع دواداره الوالى راسان مقطوعتان وزعموا ان احداهما راس ابراهيم السمرقندى
والاخرى راس امير من امرا ابن عثمان فعلقوهما على ما كان عند باب زويله وقد تحيل
بعض العربان على ابراهيم بن السمرقندى وامنا فر وبات عندهم وكان السمرقندى اتى
صحبة ابن عثمان فلما بات تلك الليلة عند الفلاح حز راسه تحت الليل فلما
طلع النهار احضرها بين يدى السلطان طومان باى وقال له الذى باتيك براس
ابراهيم بن السمرقندى ايش تعطيه فقال له السلطان اعطيه الف دينار فاخرج
راس السمرقندى من تحت برنسه وقال له هذه راس السمرقندى فلما تحقق السلطان
ذلك دفع له الف دينار وكان اسمه ابراهيم السمرقندى اصله من المدينه المنورة
وطاف البلاد من العجم الى بلاد الروم وكان يعرف باللغة التركيه فلما دخل الى مصر
تحشر فى السلطان الغورى وصار من جملة اخصائه فلما جرى للغورى ما جرى
وانكسر التف على سليم شاه بن عثمان وصار من اخصائه وقيل هو الذى حسن لابن
عثمان ان يدخل الى مصر ويملكها ويقطع جادرة الجراكسه من مصر واطمعه فى ذلك
حتى دخل الى مصر وكان السمرقندى من الظلمة الفجار ولو عاش الى ان ملك ابن عثمان
مصر ما كان يحصل لاهلها منه خير قط وكان يرافع فى اعيان مصر اشد المرافعه
فاراح الله تعالى منه الناس قاطبة وكفوا شره وفى يوم الاربعا ثامن عشرين ذى
الحجة وردت الاخبار بان جاليش عسكر ابن عثمان قد نزل ببركة الحاج فاضطربت
احوال عسكر مصر واغلق باب الفتوح وباب النصر وباب الشعريه وباب البحر
وباب القنطره وغير ذلك من ابواب المدينه وغلقت الاسواق التى بالقاهرة
وتعطلت الطواحين وتخطف الدقيق والخبز من الاسواق ثم ان السلطان لما تحقق
وصول عسكر ابن عثمان الى بركة الحاج زعق النفير بالوطاق وركب العسكر قاطبة

وركب

وركب قاصدا ابن عثمان فاجتمع من الصناجق نحو ثلاثين صنجقا واجتمع من العساكر
من ارباب الوطاق من المماليك السلطانيه ومماليك الامرا والعربان نحو عشرين الف
فارس ودقت الطبول والزمور حربيا وصار السلطان طومان باى راكبا بنفسه
وهو يرتب الامرا على قدر منازلهم وصف العسكر من الجبل الاحمر الى غيط المطرية
فاجتمع هناك الجم الكثير من العسكر وكان السلطان طومان باى له همة عالية
ولو كان السلطان الغورى حيا ما كان يثور ربع ما ثار به السلطان طومان باى
لكنه لم يعطه الله تعالى النصر على ابن عثمان فلم يقع فى ذلك اليوم بين الفريقين
قتال ولم يبرز كل منهما الى غريمه وفى ذلك قطعوا بعض رؤس من العثمانيه وارسلوا
يعلقوها على ابواب المدينه فلما كان يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة فيه
وقعت كاينه عظيمة تذهل عند سماعها عقول اولى الالباب وتنقل لهولها الآراء عن
الصواب وما ذاك الا ان السلطان طومان باى لما توجه الى الريدانيه ونصب بها
الوطاق وحصن الوطاق بالمكاحل والمدافع وصف هناك طوارق وصنع هناك
ستائر من خشب وحفر خندقا من الجبل الاحمر الى غيط المطريه وقد تقدم القول
على ذلك ثم ان السلطان جعل خلف المكاحل نحو الف جمل وعليها ركائب فيها
عليق وعلى اقتابها صناجق بيض وحمر تخفق فى الهوى وجمع عدة ابقار بسبب جر
العجل وظن ان القتال يطول بينه وبين ابن عثمان وان الحصار يطول مدة طويلة
فجاء الامر بخلاف ذلك فلما نزل عسكر ابن عثمان ببركة الحاج اقام بها يومين
لم يحسن السلطان طومان باى ان يتوجه اليهم ولو توجه اليهم وقاتلهم هناك
قبل ان يدخلوا الى الريدانيه لكان عين الصواب فلما كان يوم الخميس المقدم ذكره
زحف عسكر ابن عثمان ووصلوا اوايله الى الجبل الاحمر فلما بلغ السلطان طومان
باى ذلك زعق النفير فى الوطاق ونادى السلطان للعسكر بالخروج الى قتال
ابن عثمان وركب الامرا المقدمين ودقوا الطبول حربيا وركب العسكر قاطبة حتى
سد الفضا واقبل عسكر ابن عثمان كالجراد المنتشر وهم السواد الاعظم فتلاقيا
الجيشان فى اوايل الريدانيه فكان بين الفريقين وقعة عظيمة مهولة يطول
شرحها اعظم من الوقعة التى كانت فى مرج دابق فقتل من العثمانيه ما لا يحصى
عددهم وقتل سنان باشا لالا ابن عثمان وكان اكبر وزرايه وقتل من امرايه
وعسكره ما لا يحصى عددهم حتى صارت الجثث مرمية على الارض من سبيل علان
الى تربة الامير يشبك الدوادار ثم ان العثمانيه تحايوا وجآوا افواجا افواجا
ثم انقسموا فرقتين فرقة جاتنا من تحت الجبل الاحمر وفرقة جاءت للعسكر عند
الوطاق بالريدانيه فطرشوهم بالبندق الرصاص فقتل من عسكر مصر ما لا يحصى
عددهم وقتل من الامرا المقدمين جماعة كثيرة منهم ازبك المكحل واخرين منهم

وجرح الاتابكى سودون الدوادار جرحا بالغا وقيل انكسر فخذه فاختفى فى غيط هنالك
وجرح الامير علان فلم تكن الا ساعة يسيرة مقدار خمس درج حتى انكسر عسكر مصر
وولى مدبرا وتمت عليهم الكسرة فثبت بعد الكسرة السلطان طومان باى نحو عشرين
درجة وهو يقاتل بنفسه فى نفر قليل من العبيد الرماه والمماليك السلحدارية فقتل من
عسكر ابن عثمان ما لا يحصى عددهم فلما تكاثرت عليه العثمانيه وراى العسكر قد رحل
من حوله فخاف على نفسه ان يقبضوا عليه فطوى الصنجق السلطانى وولى واختفى قيل
انه توجه الى نحو طرا وهذه ثالث كسرة وقعت لعسكر مصر واما الوزير العثمانيه التى
توجهت من تحت الجبل الاحمر فانها نزلت على الوطاق السلطانى وعلى وطاق الامرا
والعسكر فنهبوا كل ما كان فيه من قماش وسلاح وخام وخيول وجمال وابقار وغير ذلك
ثم نهبوا المكاحل الذى نصبهم السلطان هناك ونهبوا تلك الطوارق والمنشا تاير
الخشب والعربان الذى نصب السلطان واصرف عليهم جملة مال ولم يغنوا منه ذلك
شى ونهبوا البارود الذى هناك ولم يبقوا بالوطاق شيئا لا قليلا ولا كثيرا فكان
ذلك مما جرت به المقادير والحكم لله العلى الكبير ثم ان جماعة من العثمانيه لما هرب
السلطان ونهبوا الوطاق دخلوا الى القاهرة وقد ملكوها بالسيف عنوة فتوجهوا
جماعة من العثمانيه الى المقشرة واحرقوا بابها واخرجوا من كان بها من المحابيس وكان
بها جماعة من العثمانيه سجنهم السلطان لما كان بالريدانيه فاطلقوهم اجمعين
واطلقوا من كان فى الديلم والرحبة والقاعة اجمعين ثم توجهوا الى بيت الامير
خاير بك المعمار احد المقدمين فنهبوا ما فيه وكذلك بيت يونس الترجمان وكذلك
بيوت جماعة من الامرا واعيان المباشرين وساير الناس وصارت الزعر والغلمان
ينهبوا البيوت فى جهة العثمانيه فانطلق فى اهل مصر جمرة نار ثم دخلوا جماعة
من العثمانيه الى الطواحين واخذوا ما فيها من البغال والاكاديش واخذوا اعدة
جمال من السقايين وصارت العثمانيه تنهب جميع ما يلوح لهم من القماش وغير
ذلك وصاروا يخطفوا جماعة من الصبيان المرد والعبيد السود واستمر النهب
عمال فى ذلك اليوم الى بعد المغرب ثم توجهوا الى شون القمح الذى بمصر وبولاق
ونهبوا ما فيها من الغلال وهذه الحادثة التى وقعت لم تكن لاحد على بال وكان
ذلك مما جرت به الاقدار فى الازل وقتل فى هذه المعركة ابن سوار قتل فى الريدانيه
ودفن على جده سوار فى تربته التى انشاها تجاه يشبك الدوادار وقتل سنان
باشا وزير ابن عثمان الاكبر وقال الشيخ بدر الدين الزيتونى فى هذه الواقعة

نبكى على مصر وسكانها ❊ قد خربت اركانها العامرة
واصبحت بالذل مقهورة ❊ من بعد ما كانت هى القاهرة

وفى يوم الاثنين سلخ سنة اثنين وعشرين وتسعماية فيه دخل امير المومنين محمد

المتوكل على الله الى القاهرة وصحبته وزرا ابن عثمان ومن عساكره الجم الكثير ودخل ملك
الامرا خاير بك ودخل قاضى القضاة الشافعيه كمال الدين الطويل والقاضى المالكى محيى
الدين الدميرى والقاضى الحنبلى شهاب الدين الفتوحى وهولا كانوا فى اسر ابن عثمان من حين
مات السلطان الغورى **فلما** دخل الخليفة دخل من باب النصر وشق فى القاهرة
وقدامه المشاعليه تنادى للناس بالامان والاطمان والبيع والشرا والاخذ والعطا
وان لا احدا من الناس يشوش على احد من الرعية وقد غلق باب الظلم وفتح باب العدل
وان كل من كان عنده مملوك جركسى ولا يغمز عليه شنق من غير معاودة والدعا للملك
المظفر سليم شاه بالنصر فضج له الناس بالدعا من العوام فلم تسمع العثمانيه لهذه
المناداه وصاروا ينهبوا بيوت اولاد الناس حتى بيوت الارباع فى جهة انهم يفتشوا
على المماليك الجراكسه فاستمر النهب والفجر عمال فى بيوت الامرا والعسكر ثلاثة ايام
متوالية وهم ينهبون القماش والابغال فى بيوت الامرا والعسكر فما ابقوا فى ذلك
ممكن ودخل فى ذلك يونس العادلى وخشقدم الذى كان مشد الشون بمصر الذى
كان من الغورى الى بلاد ابن عثمان وكان سببا لهذه الفتنة العظيمة **وفى ذلك** اليوم خطب
باسم السلطان سليم شاة على منابر مصر والقاهرة وقد ترجم له بعض الخطبا
فى خطبته فقال وانصر اللهم السلطان بن السلطان ملك البرين والبحرين
وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر
سليم شاة اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا يا مالك الدنيا والاخرة
يا رب العالمين انتهى ما اوردناه من اخبار حوادث سنة اثنين وعشرين وتسعماية

وقد قلت فى ذلك

ختم العام بحرب وكدر ❊ وحصل للناس غايات الضرر
وانا هم حادث من دهرهم ❊ وهذا بقضاء وقدر

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وتسعماية فكان مستهل المحرم فى يوم السبت
ثم ان السلطان سليم شاة ارسل جماعة من الانكشاريه واوقفهم على ابواب المدينة
يمنعون الرعايه من نهب البيوت ولما انكسر عسكر مصر حول السلطان سليم شاة
وطاقه من بركة الحاج ونصبه فى الريدانيه وصارت العثمانيه يقبضوا على المماليك
الجراكسه من الترب من فساقى الموتى ومن غيطان المطرية فلما يحضروهم بين يدى
السلطان يامر بضرب اعناقهم ثم ان بعض مشايخ العربان قبض على الاتابكى سودون
الدوادارى واحضره بين يدى ابن عثمان **فلما** حضر بين يديه وبخه
بالكلام وهو جريح قد جرح وكسر فخذه وهو فى حالة الاموات فاركبه على حمار
والبسه عمامة زرقا وجرسه فى وطاقه وقصد يشهره فى القاهرة فمات وهو
فى التجريس بالوطاق فلما مات حزوا راسه بعد الموت وعلقوها فى الوطاق

وصاروا العثمانيه يكبسون الترب ويقبضون على المماليك الجراكسه منها وكل تربة وجدوا فيها مملوك جركسي حزوا راسه وراس من بالترب من المجاورين وغيرها ويبلوا روسهم بالوطاق فضرب في يوم واحد ثلثماية وثلاثين راسا من سكان الصحرا وقيل كان فيهم بيابعه واشراف نزاحوا ظلما لاذنب لهم وصاروا يكبسون الحارات ويفتشوا على المماليك الجراكسه من اصطبلاتهم ويقبضوهم باليد ويتوجهوا بهم الى الوطاق بالوبيه فيضربوا اعناقهم هناك فلما كثرت روس القتلا بالوبدانيه نصبوا صواري وعلقوا حبال وعلقوا عليها روس من قتل من المماليك الجراكسه وغيرها حتى قيل قتل في هذه الوقعة بالوبدانيه فوق اربعة الاف راس ما بين جراكسه وغلمان ومن عربان الشرقيه والغربيه وصارت الجثث مرميه من سبيل علان الى تربة الاشرف قايتباي فجافت منهم الارض وصارت لاتعرف جثة الامير المقدم الف من جثة المملوك وهم ابدان بلا روس واما من قتل من عسكر ابن عثمان في هذه الوقعه فلا يحصى عددهم ثم ان ابن عثمان ارسل خلف المقر الناصري محمد بن السلطان الغوري فلما حضر اليه فاخلع عليه قفطان مخمل احمر مذهب والبسه عمامة عثمانيه واعطاه وزنر بالامان على نفسه ورسم له بان يسكن في مدرسة ابيه التي انشاها بالشرابشيين واسكن الدفتردار في بيته الذي في البندقانيين وهو احد وزرا سليم شاة ثم توجه اليه الامير يوسف البدري الوزير فاعطاه امانا والبسه قفطانا مخمل واقره متحدث على جهات الغربيه وكذلك اخلع على قارس السيفي تمراز الشمسي واقره كاشف المنيه وغير ذلك من الجهات القبليه واخلع على الزيني بركات بن موسى وجعله متحدث في الحسبة على ان يقررها من تجاره وفي يوم الاحد ثاني المحرم اشيع ان السلطان سليم شاه نقل وطاقة من الوبدانيه ونصبه في بولاق من تحت الرصيف الى اخر الجزيرة الوسطى وقد احضروا اليه مفاتيح قلعة الجبل فلم يلتفت الى ذلك واختار الاقامة على شاطي النيل فلما كثرت العثمانيه بالقاهرة صاروا كل من راوه من اولاد الناس لابس زنط احمر بخفيفه يقولون له انت جركسي فيقطعوا راسه فقلبت اولاد الناس كلها عمايم حتى اولاد الامرا والسلاطين قاطبة وابطلوا لبس الخفايف والزنوط من مصر وفي يوم الاثنين ثالث المحرم اركب السلطان سليم شاة ودخل الى القاهرة من باب النصر وشق المدينة في موكب حافل وقدامه الجنايب الكثيره والعساكر مابين مشاة وركاب حتى ملاوا الشوارع واستمر شاقا من المدينه حتى دخل من باب زويله ثم عرج من تحت الربع وتوجه من هناك الى بولاق ونزل بالوطاق الذي نصبه تحت الرصيف فلما شق من المدينة ارتفعت له الاصوات بالدعا من الناس قاطبة وقيل ان صفته دري اللون وحليق الذقن وافر الانف واسع العينين قصير القامة وعلى راسه عمامة صغيرة وعليه جبة ودرج كبير

الثلث

الثلثت اذا ركب الفرس وقيل ان له من العمر نحو اربعين سنة او دون ذلك وليس له نظام يعرف مثل نظام الملوك السالفه وكان سي الخلق سفاكا للدما شديد الغضب لايراجع في القول ولما شق من القاهرة كان قدامه الخليفة والقضاه الاربع وجماعة من المباشرين الذي كانوا بمصر فكان ينادي كل يوم في القاهرة بالامان والاطمان والزهيب عمال من جماعته ولايحتمون لمناداته وحصل للناس منه الضرر الشامل ومما اشيع عنه انه قال في بعض مجالسه بين اخصايه وهو بالشام اذا دخلت الى مصر احرق بيوتها قاطبه والعب في اهلها بالسيف فتلطف به الخليفة حتى رجع عن ذلك ولو فعل ذلك ماكان يجد له من مانع يمنعه من ذلك والله غالب على امره فلما طفشت العثمانيه في القاهرة صارت اعيان المباشرين يجعلون على ابوابهم جماعة من العثمانيه يحفظو من النهب وصارت العثمانيه يمسكون اولاد الناس من الطرقات ويقولون لهم انتم جراكسه فيستشهدون عندهم الناس انهم ماهم جراكسه فيقولون لهم اشتروا انفسكم منا من القتل فياخذون منهم ما يختاروه من المبلغ وصارت اهل مصر تحت اسرهم ثم صاروا الناس من عياق مصر يغمزون على حواصل الخوندات والستات فينهبوا ما فيها من القماش الفاخر فانفتحت للعثمانيه كنوز الارض بمصر من ذهب وقماش وسلاح وخيول وبغال وجوار وعبيد وغير ذلك من كل شي فاخر واحتووا على اموال وقماش ما فرحوا به قط في بلادهم ولا استادهم الكبير ومن هنا نرجع في ترجمة سليم شاه ابن عثمان وذلك على سبيل الاختصار من اخبار عجب فالتفسير لمعنى ذلك على ما مشى عليه طريقة التاريخ من مبتداه الى هذه الواقعة الذي لم يتفق بمثلها

ذكر سلطنة الملك المظفر سليم شاة بن السلطان ابي يزيد ابن السلطان محمد بن السلطان مراد خان بن ابي يزيد المعروف بيلدرم بن اورخان بن اردن علي بن عثمان الكبير سنة

ثلاث وعشرين وتسعماية في خامس المحرم ابن سليمان بن عثمان الكبير الشهير بالغزاه بعد ان عاش تسعة وتسعين سنة الشهير بابن عثمان من خلاصة ملوك الروم وهو الثامن والاربعون من ملوك الترك واولادهم بالديار المصرية وهو الثالث من من ملوك الروم بمصر فان اول ملوك الروم بمصر الظاهر خشقدم والثاني الظاهر تمربغا والثالث سليم خان بن عثمان ملك القاهرة عنوة بقايم سيفه وقد حصل له سعد عظيم ما لا حصل لآبائه ولا لاجداده من قبله وقد ساعدته الاقدار على بلوغ الاوطار فتصدى الى قتال شاه اسماعيل الصوفي سنة احدى وعشرين وتسعماية فانكسر منه الصوفي وقتل غالب عسكره واحتوى على امواله وسلاحه من غير مانع وملك غالب بلاده الذي بالعراقين وتوجه الى قتال الملك الاشرف قانصوه الغوري وتلاقا معه على مرج دابق في رجب سنة اثنين وعشرين وتسعماية فلم يجد غير ساعة ودرج وانكسر

[illegible] في محرم سنة ٩٢٣

ومات قهرا فى وسط الحرب وملك مدينة حلب وقلعتها من غير محاصرة فلما ملك
قلعة حلب ارسل اليها شخص من جماعته اعور اعرج وفى يده دبوس خشب وهو ماشى
على اقدامه فتسلم الاموال والسلاح التى كانت بها حتى قيل كان بها من اموال السلطان
الغورى مايه الف الف دينار وثمانمايه الف دينار خارجا عن السلاح والكنابيش الذهب
والسروج الذهب والبلور والعقيق والخلع الذى بالطرز الذهب البغدادى وغير
ذلك من التحف الفاخرة فاحتوى على ذلك جميعه خارجا عن برك السلطان والامرا
واولادهم واموالهم وخيولهم وبغالهم وجمالهم وخيامهم فاحتوى على ذلك جميعه
ثم توجه الى الشام ملكها بالامان ثم نزل اليه غالب اهل الشام بالامان من الامرا
ونزل اليه نايب الشام بالامان فقتله وقتل معه نحو اربعين اميرا من امرا الشام وملك
قلعة الشام واحتوى على ما فيها من الاموال والسلاح والغلال والبارود وغير ذلك
مما كان بها ثم خرج من الشام وقصد التوجه الى نحو الديار المصريه فتسلم طرابلس
وصفد وغزه وبيت المقدس وجبل نابلس وعدة بلاد من حولها فتسلم الكل بالامان
من غير حرب ولا مانع ولم يتفق لاحد من الملوك قبله ثم توجه الى القاهرة فتلاقا
مع الاشرف طومان باى على الريدانيه فوقع بينهما قتال هاين فلم يكن الا لحظه ودرج
وانكسر الاشرف طومان باى وولى منهزم وقتل من العسكر ما لا يحصى عدده واخر
الامر ملك مصر والقاهرة عنوة بغاير سيفه **اقول** ومن عهد عمرو بن العاص
رضى الله عنه لما فتح مصر سنة اثنين وعشرين من الهجرة النبوية فتحها عنوة بقايم
سيفه لم يفتحها احد من الملوك وحده عنوة سوى سليم شاة بن عثمان ولم يقع مثل
ذلك سوى لبخت نصر الكابلى من تدبير الزمان **ومن هنا نرجع** الى اخبار ابن عثمان
فانه لما نزل بالوطاق الذى نصبه فى بولاق عند الرصيف اقام به الى يوم الثلاثا رابع
المحرم **فلما كانت** ليلة الاربعا خامس الشهر بعد صلاة العشا لم يشعر ابن عثمان
الا وقد هجم عليه الاشرف طومان باى بالوطاق واحاط به فاضطربت احوال
ابن عثمان الى الغاية فظن انه ماخوذ لا محالة واشيع انه هجم عليه بجال وهى محله
ساس واطلق فيها النار فاحترق بعض خيام من وطاق ابن عثمان ووقع فيهم
السيف تحت الليل فقتل من عسكر ابن عثمان ما لا يحصى عدده واجتمع هناك
الجم الغفير من الزعر وعياق بولاق من النواتيه وغيرها وصاروا يرجمون بالمقاليع
وفيها الحجارة واستمر واعلى ذلك الى ان طلع النهار فلاقاهم الامير علان الدوادار
الكبير من الناصرية عند الميدان الكبير فكان بين عسكر ابن عثمان وعسكر مصر هناك
وقعة تشيب منها النواصى فملكوا منهم من راس الجزيرة الوسطى الى قنطرة باب
البحر والى قنطرة قديدار واستمر الحرب ثايرا بين الفريقين من طلوع الفجر الى بعد
الغروب واشيع ان العربان لما وقعت هذه الحركه نهبوا وطاق العثمانيه الذى كان

بالريدانيه ثم ان المماليك الجراكسه صاروا يكبسون البيوت والحارات على العثمانيه
لما كانت العثمانيه تكبس البيوت على الجراكسه ومثل ما فعل شاة الجمى فى الترض بعجل
الترض فى جلدها فصار الاتراك كل من يظفروا به من العثمانيه يقطعوا راسه ويحضروا
بها بين يدى السلطان طومان باى وصار الطالب مطلوب **فلما كان يوم** الخميس سادس
المحرم اشتد القتال بين العثمانيه وبين الاتراك ونادى السلطان فى الناصريه وقناطر
السباع للزعر والعياق بان كل من قبض على عثمانى ياخذ عريه ويقطع راسه ويحضرها
بين يدى السلطان ثم ان العثمانيه طردوا الاتراك من بولاق وجزيرة الفيل وملكوها
منهم ثم ان الاتراك خرقوا قنطرة قديدار خوفا من العثمانيه ان يهجموا عليهم ثم ان
العثمانيه هجموا على زاوية الشيخ عماد الدين التى بالناصريه وتحصنوا منها على مماليك
جراكسه فاحرقوا البيوت الذى حول الزاويه وقتلوا جماعة كبيرة من العوام وفيهم
صغار وشيوخ ثم ان العثمانيه طردوا الاتراك عن الناصرية الى قناطر السباع ثم
ان السلطان طومان باى نزل فى جامع شيخون الذى بالصليبة وصار يركب بنفسه
ويكر من الصليبة الى قناطر السباع فى نفر قليل من العسكر ثم رسم بحفر خندق
فى راس الصليبة واخر عند قناطر السباع واخر عند راس الرميلة واخر عند جامع ابن
طولون واخر عند حدرة البقر ثم ان السلطان قسم العسكر اربع فرق ففرقة الى
جهة قناطر السباع وفرقة الى جهة الرميله وفرقة الى جهة جامع ابن طولون وفرقة
الى جهة باب زويله فلم يقاتل من المماليك السلطانيه الا القليل وصاروا يختفون فى
الاصطبلات خوفا من القتال وقد دخل الرعب فى قلوبهم من العثمانيه ما بقى يخرج
منها ثم ان طايفة من العثمانيه توجهوا من على مصر العتيقه وطلعوا من على باب القرافه
الكبرى وسلكوا من باب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها فدخلوا الى
ضريحها وداسوا على قبرها واخذوا قناديلها الفضه والشمع الذى كان عند قبرها
وبسط الزاويه واخذوا من نحاسها شى كثير وقتلوا ايضا فى مقامها مماليك جراكسه
وغير ذلك من الناس الذين لانوا احتموا بها ثم ان السلطان نصب بهدم قناطر السباع
فاحرق من عندها بعض شى ثم ان الاتراك تحصنوا جماعة من العثمانيه وطلعوا الى مآذن
الجوامع وطلعوا مادنة المويد وصاروا يرمون على الناس بالبندق الرصاص ويمنعوهم
من الدخول الى باب زويله واستمر واعلى ذلك حتى طلعوا لهم الاتراك وقتلوهم فى المآذن
اشر قتله ثم صارت القتلا من الاتراك والعثمانيه اجسادهم مرمية من بولاق الى
قناطر السباع والى الرميلة والى تحت القلعة وفى الحارات والازقة من الاتراك والعثمانيه
وهم ابدان بلا روس هذا والعربان واقفة عند قنطرة الحاجب يسلخون الناس ويعرونهم
اثوابهم ويقتلونهم ويقتلوا كل من يلوح لهم من العثمانيه ولولا لطف الله تعالى لهجموا
على الناس فى القاهرة ونهبوا اسواقها ودورها ثم ان السلطان طومان باى نادى

في القاهرة ان كل من مسك احدا من العثمانية وطلب منه الامان لا يقتله ومن العجائب ان السلطان طومان باي لما ظهر خطب باسمه في القاهرة وكان بالجمعة الماضية خطب باسم سليم شاه ابن عثمان فكان كما يقال في المعنى لا تيأس من فرج ولطف وقوة تظهر من بعد ضعف فاستمر السلطان طومان باي يتقع مع عسكر ابن عثمان ويقتل منهم في كل يوم ما لا يحصى عدده من يوم الاربعا الى يوم الجمعة وقت طلوع الشمس ثامن المحرم فراى عين الغلب وقد تكاسل العسكر عن القتال واختفوا في بيوتهم وترك الامرا كل واحد في ناحية واستمر السلطان يقاتل في عسكر ابن عثمان وحده بمفرده في نفر قليل من العبيد الرماة وبعض مماليك سلطانية وبعض امرا منهم شادبك الاعور واخرين من الامرا العشرات فلما ظهر له الغلب هرب وتوجه الى نحو بركة الحبش وكان قليل الحظ غير مسعود الحركات في افعاله كما قيل في المعنى

قليل الحظ ليس له دواء ... ولو كان المسيح له طبيب

وهلاك رابع كسرة وقعت للعسكر الذي بمصر مع عسكر ابن عثمان وقد غلت ايديهم عن القتال حتى نفذ القضا والقدر وكان ذلك في الكتاب مسطورا ولما هرب السلطان طومان باي وقع في القاهرة المصيبة العظمى التي لم يسمع بمثلها فيما تقدم من الزمان فلما انهزم السلطان صبيحة يوم السبت ثامن المحرم طفشت العثمانية في الصليبة واحرقوا جامع شيخون فاحترق سقف الايوان الكبير والقبة التي كانت به كون ان السلطان طومان باي كان به وقت الحرب واحرقوا البيوت الذي حوله في درب ابن عزيز ثم قبضوا على الشرفي يحيى بن العداس خطيب الجامع واحضروه الى بين يدي سليم شاه بن عثمان فهم بضرب عنقه فلما بلغ الخليفة ذلك ركب واتى الى ابن عثمان وشفع في ابن العداس وخلصه من القتل ولولا كان في اجله فسحة لضربوا عنقه في الحال وقاسى شدة من الطرية ثم ان العثمانية طفشت في العبيد والغلمان والعوام من الزعر وغيرهم ولعبوا فيهم بالسيف وراح الصالح بالطالح وربما عوقب من لا ذنب له فصارت جثثهم مرمية على الطرقات من باب زويلة الى الرميلة الى الصليبة الى قناطر السباع الى الناصرية الى مصر العتيقة فكان مقدار من قتل في هذه الواقعة من بولاق الى الجزيرة الوسطى الى الصليبة فوق عشرة الاف انسان في مدة هذه الوقعة الاربعة ايام ولولا لطف الله تعالى لعب السيف في اهل مصر قاطبة ثم ان العثمانية صارت تكبس على المماليك الجراكسة في البيوت والحارات فمن وجدوه منهم ضربوا عنقه ثم صاروا العثمانية تهجم على الجوامع وتاخذ منها المماليك الجراكسة فهجموا على الجامع الازهر وجامع الحاكم وجامع طولون وغير ذلك من الجوامع والمدارس والمزارات ويقتلوا من كان فيها من المماليك الجراكسة فقتل بعضوا على نحو ثمانمائة مملوك ما بين امرا عشرات وخاصكية ومماليك سلطانية فضربوا

رقابهم اجمعين بين يدي ابن عثمان وقيل ان المشاعلي الذي كان هناك ازدجيا وقيل رومي من الروم فكان اذا ضرب عنق احد من الجراكسة يقول رؤوسها وحدها ورؤوس الغلمان والعربان وحدها ثم ينصب الخشب على الصواري ويعلق عليها تلك الرؤوس في الوطاق الذي بالجزيرة الوسطى وكان المشاعلي اذا حز راس المماليك يرمي جثتهم في البحر واخبرني من اثق به انه شاهد جثة الامير قانصوه روح احد المقدمين الذي كان نائب قطيا وهي مرمية قدام سبيل السلطان والكلاب تنهش في مصارينه وتنجم بطنه فانه كان رجلا جسيما وقتل في هذه الوقعة الامير بخشباي الذي صار امير مجلس كما تقدم وقتل اخرين من امرا الطبلخاناه والعشرات والخاصكية وغير ذلك وصارت الجثث مرمية في الرميلة الى سوق الخيل الى الخيميين وقد نهشت الكلاب اجسادهم ولم تقاسي اهل مصر شدة مثل هذه قط الا ان كان في زمن البخت نصر البابلي لما اتى من بابل وزحف على البلاد بعسكره واخربها وهدم بيت المقدس ثم دخل الى مصر واخربها من اخرها وقتل من اهلها مائة الف الف انسان حتى اقامت مصر اربعين سنة وهي خراب ليس بها ديار ولا نافخ نار فكان النيل يطلع وينهبط فلم يجد من يزرع عليه الاراضي ولا ينتفع به لكن هذه الوقعة كانت فوق الفين سنة قبل ظهور عيسى بن مريم عليه السلام ثم وقع مثل ذلك في بغداد في فتنة هلاكو وهو المعروف بتتار لما زحف على بغداد واخرب بيوتها وقتل الخليفة المستعصم بالله واستمرت من بعد ذلك خرابا الى الآن ثم لم يقع لاهل مصر ما يقرب من ذلك وما زالت الايام تبدي العجائب فلما هرب السلطان طومان باي وقتل من قتل من الامرا والعسكر رجع السلطان سليم شاه الى وطاقه الذي في الجزيرة الوسطى ونصب في وطاقه صنجقين احدهما ابيض والاخر احمر وذلك اشارة عندهم لرفع السيف وفي هذا الشهر توفي الشيخ شهاب الدين القسطلاني وكان علامة في الحديث وله شهرة طائلة بين الناس وكان لا باس به وفي تلك الايام صار الخليفة المتوكل على الله هو صاحب الحل والعقد والامر والنهي بالديار المصرية وصار اولاد السلاطين جالسة في دهاليز بيته مثل المقر العلائي علي بن المؤيد احمد وابن الظاهر خشقدم واولاد الملك المنصور عثمان وغيره لكثير من اولاد الامرا واعيان الناس من الروسا والمباشرين وجماعة من الامرا مثل قانبك راس نوبة ثاني وسنبل مقدم المماليك وغير ذلك من الامرا في دهاليز بيته لم يلتفت اليهم وصار ركبه مضرب على غالب البيوت وكانت رسالته ماشية في المدينة لا ترد شفاعته في الناس وصار هو في مقام السلطان في مصر في نفاذ الكلمة واظهار العظمة في تلك الايام ودخل عليه من الناس اموال وتقادم عظيمة ما لا فرح به اباؤه ولا اجداده وصارت جماعة من الستات والخوندات مرمية في دهاليز بيته وصارت خوند زوجة الامير اقبردي الدوادار زوجة السلطان طومان باي مختفية في بيته وقد قرر عليها السلطان سليم

شاه حتى حط عنها مال جزيل بزده فما زال الخليفة يتلطف بالسلطان سليم شاه حتى
حط عنها جانب من المال الذى قرره عليها وحصل له من الستات والخوندات خدم
جزيله فطاش الخليفة فى تلك الايام الى الغاية وظن ان هذا الامر يتم له فكان العيان
باخره كما قيل فى المعنى ٥ امور تضحك السفهاء منها ٥ ويبكى من عواقبها اللبيب ٥
ومن العجايب ان اولاد الزنكلونى الذى جرى لهم مع السلطان الغورى ما جرى ومات
ابوهما تحت الضرب وابن نور الدين المشالى الذى شنقه الغورى كما تقدم فلما تغيرت
الدول ودخل ابن عثمان الى القاهرة ونادى من كانت له ظلامة يرفع امره الى السلطان
سليم فثارت اولاد الزنكلونى وابن نور الدين المشالى على القاضى شمس الدين بن وحيش
وقالوا له انت كنت سببا لشنق نور الدين المشالى وضرب الزنكلونى وقصدوا وامعنوا
الى ابن عثمان يقطع راسه فترامى على الخليفة فى عمل المصلحة بينه وبين اولاد الزنكلونى
وابن المشالى فتكلم الخليفة بينهم وبين على ابن وحيش بدفع الى اولاد الزنكلونى
ثلثمايه دينار تابوا من ذلك واستمرت دعوتهم باقيه على شمس الدين بن وحيش
الى ان يرضوا ذلك على ابن عثمان وفى يوم الثلاثا حادى عشر المحرم نادى السلطان
سليم شاه بعد العصر فى القاهرة بان الامرا المقدمين والامرا الاربعينات والامرا
العشراوات الذى اختفوا بعد الوقعه يظهروا وعليهم امان الله تعالى وقيل ان
السلطان سليم شاه كتب للامرا امان فى دفتر طويله وعلقها المشاعلى على جوبرة
ونادى ايضا بان الامرا المقدمين المختفيين يظهروا ويتوجهوا الى مدرسة السلطان
الغورى فظهر الامير اركماس امير سلاح والامير انصباى امير اخور كبير والامير
تمر الحسنى راس نوبة النوب والامير تنطباى حاجب الحجاب والامير تانى بك
الخازندار احد المقدمين والامير تانى بك النجمى احد المقدمين والامير قانصوه
ابو سنه احد المقدمين ومن الامرا الطبلخانات الامير مصرباى الافرع والامير
تانى بك راس نوبة ثانى والامير بيبك الفقيه ودوادار السلطان طومان باى
لما كان دوادارا كبير وكان مختفيا فى الجامع الازهر فطلع بالامان فظهر من الامرا
العشراوات نحو اربعين اميرا او اكثر من ذلك واخرين من الخاصكيه فلما ظهروا واجتمعوا
فى المدرسة الغوريه واحتاط بهم جماعة من العثمانيه وقد تحوطوا وصادفوا الترسيم
عليهم ثم اشيع ان الامرا المذكورين قابلوا السلطان ابن عثمان فى الوطاق فلما قابلوه وبخهم
بالكلام وبصق على وجوههم وذكر ظلمهم وما كانوا يصنعون ثم رسم بان يطلعوا
الى القلعة ويقيدون بها ويحتفظ بهم فطلعوا الى القلعة وفيه اشيع ان جان بردى
الغزالى ارسل يطلب الامان من السلطان سليم شاه وقد وصل الى الخانكاه وصحبته
جماعة من المماليك الجراكسه الذى هربوا بعد الكسرة فارسل له السلطان سليم شاه
امان وفيه اشيع ان السلطان طومان باى لما وقعت له تلك الكسرة التى كانت

بالصليبية وهرب ظهر بعد ذلك انه توجه الى البهنسا واقام بها فلما فرغ من الذى قاساه
من الحروب والشرور ارسل القاضى عبد السلام قاضى البهنسا ليطلب له الخليفة الامان
من السلطان سليم شاه وفيه اشيع ان العثمانيه هجموا على مقام الامام الشافعى رضى الله
عنه ونهبوا ما فيه البسط ومن القناديل فى نجمة المماليك الجراكسه وكذلك مقام
امام الليث بن سعد ايضا نهبوا ما فيه وفى يوم الثلاثا ثامن عشر المحرم دخل جان
بردى الغزالى الى القاهره وعلى راسه ودفترجيها امان من السلطان سليم شاه فتوجه
اليه وهو بالوطاق وقابله هناك وكان الغزالى لما انكسر السلطان طومان باى فى
الوبدانيه اشيع ان الغزالى هرب الى عكه وقيل الى غزه ومعه جماعة من المماليك الجراكسه
فكان جان بردى الغزالى متواطى مع ابن عثمان فى الباطن من ايام الغورى وكان سببا
لكسرة العسكر فى مرج دابق هو وخاير بك نايب حلب واهتز مواخيل العسكر واشاعوا
الكسرة على عسكر مصر وفى يوم الاربعا تاسع عشر المحرم اشيع ان المماليك الذى ظهروا
صحبة الغزالى رسموا عليهم وقيل يحبسوهم بالقلعة وكانوا نحو اربعماية مملوك وقد ظهروا
بالامان من ابن عثمان فلما ظهروا قبض عليهم وغدرهم فى امانه وكان من عادته
يعطى الامان للامرا والمماليك ثم يغدر فى امانه فى الحال فكان لا يثق احد منه بالامان
اذا اعطاه لاحد من الناس وفيه قرر السلطان سليم شاه جماعة من امرايه منهم نايب
غزه ومنهم كاشف المحله والشرقيه والغربيه وولى عدة كشاف فى اماكن مختلفة من
البلاد وفى يوم الخميس عشرين المحرم نادى السلطان سليم شاه فى الصليبه وقناطر
السباع بان اصحاب الاملاك الذى فى الصليبه وجامع طولون يخلوا من بيوتهم
فان السلطان سليم شاه طالع الى القلعة ليقيم بها وصار يكرر المناداه فى كل يوم
بذلك المعنى ولما ان طلع الى القلعة نادى للناس بالامان والاطمان فخرجت
الناس من بيوتهم على وجوههم وانطلقت فى قلوبهم جمرة نار وهجمت عليهم العثمانيه
فى بيوتهم وسكنوا بها فى عدة اماكن من بيوت القاهرة حتى صارت الحارات والازقة
ما تنتفض منهم وصاروا كالجراد المنتشر من كثرتهم من الصليبية الى الجامع فوصلوا
الى قناطر السباع الى داخل باب زويله وما خلا منهم موضع فى المدينه وصارت
الناس تسد ابوابها وتضبتها مثل الخوخ حتى لا تدخل حيزها الخيول ولم يبق من ذلك
شى وهدموا ما بنوه وسكنوا بها ثم ان السلطان سليم شاه طلع الى القلعة فى موكب
حافل من المماليك الذى طلعوا بالامان فقيدوهم واودعوهم فى الوكاله التى خلف
مدرسة السلطان الغورى وفى اوايل هذه السنة كانت وفاة الشيخ الامام العالم
العلامة برهان الدين ابراهيم بن ابى شريف المقدسى الشافعى كان عالما فاضلا فى مذهبه
بارعا فى العلوم وولى قضا الشافعيه فى ايام السلطان الغورى فى مشيخة مدرسته
وقاسى فى اواخر عمره شدايد ومحن من السلطان الغورى واقام مدة طويلة وهو

عليل حتى مات وعاش من العمر نحو من الثمانين سنة ولما ان مات كان الحروب والفتن قايمة فلم يشعر بموته احد من الناس رحمه الله عليه **وتوفى** ايضا البدرى حسن ابن الطولونى معلم المعلمين وكان رئيس الطب حشيما من اعيان اولاد الناس وكان كف بصره قبل موته بمدة طويلة وكان انشا له تاريخ بضبط الوقايع وكان علامة فى كل فن رحمه الله عليه **وفى يوم** الثلاثا خامس عشرين المحرم اظهر الدفتردار على الشرفى يونس الاستادار قفطان مخمل بذهب وجعله متحدثا على بلاد الشرقيه ليبيع البلاد ويكشف ما فيها من اقطاعات المماليك الجراكسه ونجيرة لها من الرزق والاوقاف فياخذوا فوكبر من اولاد بن الجيعان بمعنى ذلك ونزل الى الشرقيه فما ابقى من ابواب المظالم شيئا حتى فعله بالشرقيه وقرر فخر الدين بن عوض وبركات اخو شرف الدين الصغير متحدثان فى جهة الغربيه وقرر الزينى بركات بن موسى متحدثا على جهات المحله وقرر شرف الدين الصغير وابو البقا ناظر الاسطبل متحدثا فى الجهة القبلية فاظهر كل منهم انواعا من المظالم فى حق الناس بسبب الاقطاعات والرزق واشيع ان السلطان سليم شاة ادفع امر المناشير الذى بيد اولاد الناس بسبب اقاطيعهم فحصل لهم غاية الضرر بسبب ذلك **وفى اخر هذا الشهر** تشحطت الغلال وارتفع الخبز من الاسواق وسبب هذا الامر ان العثمانية لما دخلوا الى القاهرة نهبوا الغل الذى فى الشون واطعموه لخيولهم حتى لم يبق فى الشون شى من امر الغلال ونهبوا القمح الذى كان بالطواحين واضطربت احوال الناس قاطبة ثم ان الاخبار ترادفت ان طومان باى ظهر امره فى الصعيد عند اولاد عمر ومنع المراكب من الدخول الى مصر بالغلال فموجب ذلك وقعت التخبيطة بمصر **ولما** طلع ابن عثمان الى القلعة كان محتجبا عن الناس ولم يظهر لاحد ولا جلس على الدكة بالحوش السلطانى جلوسا عاما وحكم بين الظالم والمظلوم بل كان يحدث منه ومن وزرايه كل يوم مظلمة جديدة من قتل ومن اخذ اموال الناس بغير حق وكان هذا على غير القياس فانه كان اشيع العدل الزايد من اولاد ابن عثمان وهم فى بلادهم قبل ان يدخل سليم شاة على قواعد السلاطين السالفة بمصر ولم يكن له نظام يعرف لا هو ولا وزرايه ولا امرايه ولا عسكره بل كانوا همج لا يعرف الغلام من الاستاذ **ولما** اقام ابن عثمان بالقلعة ربط الخيول فى الحوش الى باب القلعة عند الايوان الكبير وباب الجامع الذى بالقلعة وصار زبل الخيل هناك كالكيمان على الارض واخرب غالب الاماكن الذى بالقلعة وفك رخامها ونزل به فى المراكب يتوجهوا به الى اسطنبول **ولما اقام** سليم شاه بالقلعة نصب وطاق عسكره بالرمله من باب الزاند الى سوق الخيل ثم ان العثمانيه نصبوا خيمة فى وسط الرميله وجعلوا فيها ادنان بوظة وخيمه

اخرى فيها خص حشيش وخيمة اخرى فيها صبيان مرد وجعلوا ذلك كله ثم فى بلادهم **وفى يوم** الجمعة جات الاخبار من بلاد الصعيد بان السلطان طومان باى قويت شوكته والتف عليه جماعة كثيرة من العربان واجتمع عنده من الامرا والعسكر جم الكثير واشيع ان وصل اليه من ثغر الاسكندريه زردخاناه ما بين نشاب وقسى وبارود **فلما** تحقق السلطان سليم شاه ذلك اخذ حذره من الملك الاشرف طومان باى وصار على راس اهل مصر طيره مما جرى عليهم فى تلك الوقعه التى كانت بالصليبه فخشوا من ذلك **وفى شهر صفر** كان مستهله يوم الاحد وفى يوم الثلاثا ثالثه حضر الملاى على ناظر الخواص وكان قد توجه الى ثغر الاسكندريه **فلما** حضر احضر صحبته جماعة من المماليك الجراكسه كانوا هناك فاحضرهم فى زنا جير ثم اشيع بعد ذلك ان ناظر الخواص كان قد توجه الى

بياض بالاصل

ويقول لهم يا سبحان الله ان كنتم نسيتونا فنحن ما نسيناكم وارسل يعتب عليهم ويحرشهم
ثم من بعد ايام اشيع ان طومان باى ارسل يقول لابن عثمان ان كنت تروم انا نجعل
الخطبة والسكة باسمك واكون نايبا عنك بمصر واحمل اليك خراج مصر حسبما
يقع الاتفاق عليه بيننا من المال الذى احمله اليك فى كل سنة فارحل عن مصر انت وعسكرك
الى الصالحية وصن دما المسلمين بيننا ولا تدخل فى خطية اهل مصر من كبار وصغار
وشيوخ ونسا وان كنت ما ترضى بذلك فاخرج ولاقينى فى بر الجيزه ويعطى الله
النصر لمن يشا منا **فلما** وقف السلطان سليم شاه على مطالعة السلطان طومان باى
ارسل خلف امير المومنين والقضاه الاربعة فتوجهوا واحضر جماعة من وزرايه
وكتب بحضرتهم صورة حلف الى السلطان طومان باى بذلك الحلف على ايديهم
ثم ان ابن عثمان اخلع على القضاه الاربعة قفاطين مخمل وقال لهم انزلوا اعملوا بر فكم
حتى توجهوا الى طومان باى نحو الصعيد فنزلوا من القلعة على ذلك ثم ان الخليفه امتنع
من التوجه الى السلطان طومان باى وقال انا ارسل دوادارى بردبك الى طومان باى
صحبة القضاه الاربعه واشيع ان المطالعه التى ارسلها طومان باى الى ابن عثمان
ذكر فى ذيل المطالعة ولا تحسب انى ارسلت اسالك فى امر الصلح عن عجز فان معى
ثلاثين اميرا ما بين مقدمين الوف واربعينات وعشراوات ومعى من المماليك السلطانيه
والعربان نحو عشرين الفا واما انا ما انا بعاجز عن قتالك ولكن الصلح اصلح لصون
دما المسلمين ثم فى عقيب ذلك توجهت القضاه الاربعة وبردبك دوادار
الخليفة الى عند السلطان طومان باى الى الصعيد **وفى هذه الايام** قويت الاشاعة
بان السلطان طومان باى جمع من العساكر والعربان ما لا يحصى عددهم وهو زاحف
على ابن عثمان فى بر الجيزه فكثر القيل والقال بسبب ذلك ووقع الاضطراب فى
القاهرة بسبب ذلك وفى اثنا هذا الشهر اشيع ان الامير علان من قراجا الدوادار
الكبير قد توفى بالصعيد ودفن فى بعض الضياع هناك وصلى عليه السلطان طومان
باى والامرا الذى كانوا هناك وكان الامير علان جرح فى الوقعة التى كانت فى الريدانيه
واستمر عليلا من ذلك حتى مات هناك وكان من فحول الامرا واشجعهم والله تعالى
اعلم **وفى يوم** الاثنين سادس عشرى صفر تزايد فساد العربان بالشرقيه وصاروا
يقطعون الطريق على العثمانيه ويقتلونهم وياخذون خيولهم وقماشهم وسلاحهم ونهبوا
بلاد عبد الداير ابى الشوارب واحرقوها ونهبوا عدة بلاد من القليوبيه منهم قليوب
وترشيحه وغير ذلك من البلاد ووصلوا الى شبرا وصاروا بعد ذلك من شبرا الى قنطرة
الحاجب **فلما** تزايد الامر ارسل اليهم السلطان سليم شاه تجريده فيها من العسكر نحو
الف وخمسماية عثمانى وجعل باشهم جان بردى الغزالى فخرجوا من القاهرة على حمية
وتوجهوا الى الشرقيه فاقاموا بها اياما فاخذت العربان من وجوههم وصدوا الى

الى الجبال نرجع العسكر من وكرا العربان **وفى اثنا** هذا الشهر وردت الاخبار من الصعيد
بان القضاة الاربع وبرد بك دوادار الخليفة قاصد ابن عثمان مصلح الدين الذى كان
ارسله معهم وجماعة من العثمانية **فلما** وصلوا الى قرب البهنسا خرج عليهم جماعة من
الاتراك فقتلوا العثمانية وهرب بردبك دوادار الخليفة وعروه واخذوا اثوابه
وهرب حتى نجا من القتل ونهب جميع ما معه من القماش وغيره واشيع قتل قاضى البهنسا
عبد السلام ونهبوا ما كان مع القضاة من البرك وما سلموا من القتل الا بعد جهد كبير
فلما بلغ ابن عثمان ذلك اضطربت احواله وتحقق ان السلطان طومان باى قد ابى من
الصلح بعد ان ارسل يطلب الامان ثم ان ابن عثمان نقل وطاقه من الجزيرة الوسطى الى بركة
الحبش **وفى يوم** السبت حادى عشرين صفر نزل السلطان سليم شاه من القلعة ومعه الجم
الكثير من العساكر الى بركة الحبش وتوجهت المباشرين صحبته حتى القاضى كاتب السر
وفى تلك الايام اختفت السنابين بجامعهم وزواياهم حتى لا يبقا فى زاوية الى
الصعيد بسبب السلطان طومان باى ان كان يهرب منه الى بلاد الزنج فوصل ثمن
الراوية الى ادبعة انصاف **وفى يوم** السبت ثامن عشرين صفر اشيع ان اوائل عسكر
السلطان طومان باى قد وصل الى ترسة بالقرب من الجيزة فرسم ابن عثمان بعمل
وحسات على شاطى البحر بطرا لاجل تقوية العسكر وكذلك فى بر مصر العتيقة
وفى هذه الايام امتنع الجالب من البضائع التى كانت تدخل الى القاهرة من الاجان
والسمن والقشطة وغير ذلك من البضائع التى كانت تدخل الى القاهرة من الجيزة
ومن قليوب والمنيا وشبرا واضطربت احوال القاهرة جدا بسبب اقامة هذه الفتن
وفى شهر ربيع الاول كان مستهله يوم الثلاثا فاشيع ان جان بردى الغزالى لما خرج
من بلاد الشرقية كبس على عدة بلاد منها حتى وصل الى النيل والنهر والى زنكلون فنهب
ما فيها من الابقار والاغنام والاوز والدجاج واسر نسا الفلاحين واولادهم الصبيان
والبنات وصاروا يبيعونهم فى القاهرة بابخس الاثمان كما فعل اقبردى الدوادار
فى الاعادة واولادهم فاشترى بعض الناس بنتا باربع اشرفية واعتقها واوهبها
الى امها وقد رق عليها ثم ان جان بردى الغزالى فعل فى الشرقية ما لا فعله الجن نصر
لما دخل الى مصر ثم ان يونس باشا نادى فى القاهرة ان كل من اشترى شيا من نهب
بلاد الشرقية من الابقار والاغنام يرده على اصحابه وكذلك اولاد الفلاحين ولام
الغزالى فيما فعله فى الشرقية وقد قيل فى المعنى

يا دهر رب المعالى صرعا ۔ بيع الهوان دجت ام لم ترتدع
قدم واخر من اردت من الورى ۔ مات الذى كنا منه نختشى

وفى يوم الاربعا ثانى ربيع الاول رسم السلطان سليم شاه بالامرا الذين كانوا بالقلعة
فى الترسيم ان يحضروا بين يديه فى الوطاق الذى فى بركة الحبش فنزلوا بهم من القلعة

وهم على بغال وشى على حمير وشى مشاة وهم فى جنازير وعليهم كبوت عتيق وعلى رؤسهم
كوافى بغير شاشات وقيل كان فيهم من الامرا المقدمين سبعة وهم اركماس امير سلاح
وانسباى امير اخور كبير وتمر راس نوبة النوب وقنطباى حاجب الحجاب وقانى بك
الخازندار وقانى بك البجمى وقانصوه ابو سنة **واما** الطبلخانات فمنهم قانى بك
راس نوبة ثانى ومصرباى الاينع والماس والى القاهرة وماماى الصغير المحتسب
ويوسف الاشرفى الزردكاش الثانى واخرين من امرا الطبلخانات لم يحضرنى اسماهم
الآن **واما** الامرا العشراوات فجماعة كثيرة ما يحضرنى اسماهم فكان مجموع هولا المتقدم
ذكرهم اربعة وخمسين اميرا ما بين مقدمين الوف وغير ذلك **فلما** مثلوا بين يدى
السلطان سليم شاه وبخهم بالكلام ثم امر بضرب اعناقهم اجمعين فضرب اعناقهم
فى الوطاق الذى ببركة الحبش وذلك فى يوم السبت سادس ربيع الاول وصارت
اجسادهم مرمية على الارض تنهشهم الكلاب بالنهار والضباع والذياب بالليل وصار
نسا الامرا المقدمين تبرطل المشاعلية بمال له صورة حتى يمكنوها من نقل جثة زوجها
فتحضر له تابوت وحمالين فيحملوه من بركة الحبش الى المدينة فتغسله وتكفنه وتدفنه
فى تربته ان كان له تربة وصارت جثة البقية هناك مرمية تنهشها الكلاب
وكانت هذه الكائنة من اعظم الكائنات فى حق الامرا وقد ظهر ان الامان لابن عثمان غير
غدرهم وقتلهم فكان لا يثق احد له بامان وليس له قول ولا فعل وقيل كان سبب
قتل هولا الامرا ان السلطان طومان باى لما قتل قاصد ابن عثمان وجماعة من عسكره
الذى توجهوا صحبة القضاة الاربعة لما طلب طومان باى الامان من ابن عثمان فلما
نقل ذلك على ابن عثمان انه قد ابى من الصلح فقتل هولا الامرا ظلما بعد ان اعطاهم الامان
وقد قلت فى هذه الواقعة

جل الذى افنى عساكر من ۔ دولة اتراكها من جركسى
واتت اجناد ولد ابن عثمان من ۔ اولاد ابن عثمان ذى الفعل المسى
قتلوا اكابرنا بابير حيلة ۔ عملت فيهم لا باسهام القسى
ياليت شعرى دولة الاتراك هل ۔ تاتى كما كانت وتذكر ما نسى

وفى الحوادث ان السلطان سليم شاه لما قتل هولا الامرا قبض على شبابهم ورسم عليهم
وارسلهم الى بيت ناظر الخاص وقد اشيع انه قصد بيصادرهم ووزع عليهم مال فاقاموا
فى بيت ناظر الخاص اياما ولم يردوا من المال شيا فنقلوهم الى بيت الدفتردار فقصد
ان يبايعهم وقيل سجن منهم جماعة فى الجرة حتى يردوا ما وزع عليهم من المال ورسم على
مباشرين الامرا الذين قتلوا حتى يقيموا حساب اقطاعاتهم فاقاموا فى الترسيم مدة
وفى يوم الاحد سادس ربيع الاول عدا السلطان سليم الى بر الجيزة بسبب قتال
الاشرف طومان باى وقد بلغه انه وصل الى المناوات ومعه من العربان والعسكر

والمماليك الجراكسه الجم الكثير **فلما** عدى الى بر الجيزه اقام بها الى يوم الخميس عاشر
شهر ربيع الاول تلاقا عسكر ابن عثمان وعسكر السلطان طومان باى على وردان وقيل
على المنادات فكان بين الفريقين وقعة لم يسمع بمثلها اعظم من الوقعة التى كانت بالريدانيه
وقيل كانت هذه الوقعه عند كوم الحمام فكان بين الفريقين وقعة مهولة وانكسر عسكر
ابن عثمان فوق ما امره وطردتهم الاتراك حتى القوا انفسهم فى البحر وكانت الكسرة عليهم
اولا وقتل منهم جماعة كثيرة ثم بعد ذلك تكاثرت العثمانيه على الاتراك وطرشوهم
الرماه بالبندق الرصاص فهزموهم ووقعت الكسرة على الاتراك وولى السلطان طومان
باى مهزوما فتوجه الى قرية تسمى البوطه فى اعلا تروجه وهذه خامس كسرة وقعت
على عسكر مصر وكان السلطان طومان باى ليس له سعد فى حركاته كل ما رام ان ينتصر
على ابن عثمان ينعكس كما قيل فى المعنى

اذا لم يكن عون من الله للفتى ، فاول ما يجنى عليه اجتهاده

فلما انتصر ابن عثمان على عسكر مصر قطع روس المماليك من الجراكسه وقطع روس
جماعة كثيرة من العربان الذى كانوا مع السلطان طومان باى فلما تكاملت قطع
الروس رسم ابن عثمان باحضار مراكب فلما حضرت وضعوا فيها الروس الذى قتلوا
فلما عدوا الى بر بولاق صنعوا مدارى خشب وعلقوا عليها تلك الروس وحملتها
النواتيه على اكتافهم وقدامهم الطبول والزمور ونادوا فى القاهرة بالزينه فزينت
زينة حفلة وشقوا بتلك الروس من البحر الى باب القنطرة وطلعوا بهم من على
سوق مرجوش وشقوا بهم من القاهرة وكان ذلك يوم مشهود وقيل كان عدة
الروس الذى قتلوا فى هذه الوقعة ودخلوا القاهرة نحو ثمانمائة راس ما بين
اتراك وعربان وغير ذلك والذى قتلوا هناك والقوهم فى البحر اكثر من ذلك
وفى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الاول كانت ليلة المولد النبوى فلم يشعر به احد
من الناس وبطل ما كان يعمل فى ليلة المولد من اجتماع القضاه الاربعة والامرا
بالحوش السلطانى والاسمطه التى كانت تعمل فى ذلك اليوم وما كان يحصل
للمتربين من الشقق والانعام فى تلك الليلة فبطل ذلك جميعه واشيع ان ابن عثمان
لما طلع الى القلعة وعرض الحواصل الذى بها فراى خيمة المولد فباعها للمغاربة
باربعمائة دينار فقطعوها قطعا وباعوها للناس ستاير وستر وكانت هذه الخيمة
من جملة عجايب الدنيا لم يعمل مثلها قط قيل ان مصروفها على الاشرف قايتباى
ثلاثين الف دينار وقيل اكثر من ذلك وكان بها يحمل لما تنصب يوم المولد
الشريف وكانت كهيئة القاعة ولها اربع لواوين وفوقهم قبة بقمريات والكل
من قماش وكان فيها تقاصيص غريبة وصنايع لم يعمل الان مثلها ابدا وكانت
اذا نصبت ايام المولد يحضروا بجماعة من النواتيه نحو من خمسماية انسان حتى

ينصبونها فى الحوش السلطانى وكانت من جملة شعاير المملكة فابتاعها بابخس الاثمان
ولم يعرف ابن عثمان قيمتها وفقدتها الملوك من بعده فحصل منه الضرر الشامل
وهذا من جملة مساويه التى فعلها بمصر **وفيه** اشيع ان السلطان سليم شاه لما
بلغه ان الدفتردار رسم على نسا الامرا الذين قتلوا فانكر على الدفتردار ذلك وامر باطلاقهن
من الترسيم وامر ان لا احدا ياخذ منهن شيا وبترك لهم ما تاخر عليهم من المال
فارتفعت له الاصوات بالدعا فلم يظهر لهذا الكلام نتيجه فيما بعد واستمرت
المصادرات عماله كما كانت وازدادت اضعافا فوق ما كانت **وفيه** جاءت
الاخبار من البهنسا بان قاضى القضاه الحنفى حسام الدين محمود بن قاضى القضاة
عبد البر بن الشحنة قد قتل هو واخوه ابو بكر وكان السلطان سليم شاة ارسله مع
القضاه الثلاثه الى السلطان طومان باى الى البهنسا لما ارسل يطلب من ابن عثمان
الامان فكتب له امان وصورة حلف وارسله على يد قاضى القضاه وارسل صحبتهم
اميرا من امرآيه وجماعة من العثمانيه **فلما** وصلوا الى هناك فلم يوافق السلطان طومان
باى على الصلح ولم يمكنوه الامرا من ذلك وثاروا على جماعة ابن عثمان وقتلوهم عن اخرهم
وقتلوا عبد السلام قاضى البهنسا وقتلوا قاضى القضاه محمود بن الشحنة وقيل ان
كان سبب قتله ان اخاه ابا بكر كان عنده حفة ورهج وكان عنده عترسه وملوحة
رقبة فشموه الناس الموتر فزعموا على انه غمز على شخص من المماليك الجراكسه كان مختفيا
فى مكان فدل العثمانيه عليه فهجموا على ذلك المملوك وقطعوا راسه فلما سافر قاضى
القضاه محمود بن الشحنه الى السلطان طومان باى بسبب الامان الذى ارسله اليه ابن
عثمان فسافر ابو بكر صحبة اخيه محمود الى البهنسا فثارت الاتراك على جماعة ابن عثمان
فقتلوهم هناك فكان للمملوك الذى قتل اخا هناك فغمز بعض المماليك على ابى بكر
وقالوا له هذا الذى غمز على اخيك حتى قطعوا راسه فوثب ذلك المملوك على ابى بكر
وقطع راسه هناك فتعصب اخوه محمود فقطع راس الاخر وقتل هناك وهذا ما
اشيع واستفاض بين الناس من امرهما **فلما** انتصر ابن عثمان على عسكر مصر اقام فى
بر الجيزه اياما وسير هناك وتفرج على الاهرام وتعجب من بناها **وفى يوم** الاربعا
سابع عشره نادى فى القاهرة بابطال الفلوس العتق وضربوا للناس فلوسا جدد
كل اثنين بدرهم وعليه اسم سليم شاة فكانوا فى غاية الخفه فتضرر الناس منها الى
الغاية **وفى اثناء هذا الشهر** كانت وفاة صاحبنا الناصرى محمد الاشقر شيخ الشيوخ
بخانقاه سرياقوس وكان اصيلا عريقا من ذوى البيوت وكان ولد القاضى محب
الدين الاشقر ولى نظارة الجيش وكتابة السر بالديار المصرية وكان من اعيان
الروسا رحمة الله عليه فمات وله من العمر فوق الثمانين سنة وكان عنده لين جانب
مع تواضع زايد وكان اسمر اللون جدا وكانت امه جارية حبشية مستولدة ابن

الاشقر ومن هنا نرجع الى اخبار السلطان طومان باى فانه لما تلاقا مع عسكر ابن عثمان على المناوات وقيل بوردان وانكسر عسكر السلطان طومان باى كما تقدم القول على ذلك فلما انكسر توجه الى نحو تروجة بالغربية فلاقاه حسن بن مرعى وشكر ابن اخيه مشايخ البحيرة فى ضيعة تسمى البوطه فعزم حسن بن مرعى وشكر على السلطان طومان باى وكان حسن بن مرعى بينه وبين السلطان طومان باى صداقة قديمة ونادى له السلطان طومان باى ونزل عنده على سبيل الضيافة ثم ان السلطان طومان باى احضر الى حسن بن شكر مصحفا شريفا وحلفه هو وابن اخيه شكر عليه انهما لا يخونانه ولا يغدرانه ولا يدلسا عليه حيث من الاشيا ولا بسبب من اسباب المسك فحلفا له على المصحف سبعة ايمان بمعنى ذلك فطاب قلب السلطان طومان باى عند ذلك واقام عنده فلما استقر عنده احاطت به العربان من كل جانب وارسل اعلم السلطان سليم شاه بذلك فارسل اليه جماعة من عسكره فقبضوا عليه ووضعوه فى الحديد وتوجهوا به الى ابن عثمان فلما راى من كان مع السلطان طومان باى من الامرا والعسكر انهم قبضوا عليه تفرقوا من حوله وتشتتوا فى البلاد وتمت الحيلة على السلطان طومان باى وخانه حسن بن مرعى بعد ان حلفه على المصحف الشريف وركن اليه وكان حسن بن مرعى من اعز اصحاب طومان باى وله عليه غاية الفضل والمساعدات من ايام السلطان الغورى وقام بما عليه من المال فلم يذكر له شى من ذلك ولا اثمر فيه الخير كما قيل فى المعنى

لا تركنن الى الحريف فانه ٭ مستوخم وهواه خطاف
يمشى مع الاجسام مشى صديقها ٭ ومن الصديق على الصديق يخاف

فلما احضروا السلطان طومان باى بين يدى ابن عثمان كان عليه مثل لبس العرب الهواره زنط وعليه شاش وملوطه باكمام بكار فلما وقفت بين يدى ابن عثمان عليه فقام له ثم عاتبه ببعض كلمات فلما خرجوا به من قدامه توجهوا به الى خيمة فاقام بها واحاطوا به الانكشارية بالسيوف لاجل الحفظ به فاقام هناك اياما وهو بوطاق ابن عثمان ببر انبابه وفيه وردت الاخبار الى القاهرة بمسكه وطابقة لا تصدق بذلك فاقام السلطان طومان باى فى الوطاق عند ابن عثمان وهو فى الحديد الى يوم الاثنين ثانى عشرين ربيع الاول من تلك السنة وكان ذلك اليوم يوم الخماسين وهو يوم نظر النصارى وعيدهم الاكبر فعدوا بالسلطان طومان باى من بر انبابه الى بولاق فطلعوا به من هناك وهو راكب على اكديش وهو فى الحديد وعليه لبس العرب الهواره كما تقدم وكان السلطان طومان باى لما قبضوا عليه اقام فى الوطاق عند ابن عثمان نحو سبعة عشر يوما وكان اشيع ان ابن عثمان يرسل طومان باى الى مكه ولا يقتله ثم بدا له بعد ذلك ما سنذكره فلما علم ابن عثمان ان الناس لا تصدق بمسكه تحقق من ذلك وعدى به فلما طلع من بولاق شق من

المدينة وقدامه نحو اربعمائة عثمانى ورماة بالنفط فطلع من على سوق مرجوش وشق من القاهرة فجعل يسلم على الناس بطول الطريق حتى وصل الى باب زويلة وهو لا يدرى ما يفعل به فلما اتوا الى باب زويلة انزلوه من على فرسه وارخوا له الحبال ووقفت حوله العثمانية بالسيوف فلما تحقق انه يشنق وقف على قدميه على باب زويلة وقال للناس الذى حوله اقروا الى الفاتحة ثلاث مرات فبسط يده وقرا الفاتحة ثلاث مرات وقرات الناس معه ثم قال للمشاعلى اعمل شغلك فلما وضعوا الخية فى رقبته ورفعوا الحبل فانقطع به فسقط على عتبة باب زويلة وقيل انقطع به الحبل مرتين وهو يقع الى الارض ثم شنقوه وهو يقع ثم شنقوه وهو مكشوف الراس وعليه جندشايا جوخ احمر وفوقها ملوطه بيضا باكمام بكار وفى رجليه لباس جوخ ازرق فلما شنق وطلعت روحه صرخة عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والاسف فانه كان شابا حسن الشكل سنه نحو اربع واربعين سنة وكان شجاعا بطلا تصدى لقتال ابن عثمان وثبت وقت الحرب بنفسه وفتك فى عسكر ابن عثمان وقتل منهم ما لا يحصى وكسرهم ثلاث مرات وهو فى نفر قليل من عسكره ووقع منه فى الحرب امور ما لا تقع من الابطال ولما سافر عمه السلطان الغورى جعله نايب الغيبة عنه الى ان يحضر من حلب فساس الناس فى غيبة السلطان احسن سياسة وكانت الناس عنه راضية فى غيبة السلطان وكانت القاهرة فى تلك الايام فى غاية الامن من المناسر والحرامية وغير ذلك فلما مات السلطان الغورى عمه وتسلطن عوضه ابطل من المظالم اشيا كثيرة مما كان يعمل فى ايام الغورى ولم يشوش على احد من المباشرين فى مدة سلطنته ولما وصل ابن عثمان الى الشام وقصد ان يخرج اليه فشكى له ان الخزاين خالية من الاموال فقالوا له الامرا وجماعة المباشرين افعل كما فعل السلطان الغورى وخذ اجرة املاك القاهرة سبعة اشهر وخذ على الرزق والاقطاعات خراج سنة فلم يوافق على ذلك وامتنع وقال ما اجعل هذا يكون فى صحيفتى الى يوم القيامة وكان ملكا حليما قليل الاذى كثير الخير وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية ثلاثة اشهر واربعة عشر يوما فانه تسلطن رابع عشر يوم فى رمضان وانكسر وهرب تاسع عشرين ذى الحجة وكان فى هذه المدة فى غاية النكد والتعب وقاسى شدايد ومحن وحروب وشرور وهجاج فى البلدان واخر الامر شنق على باب زويلة واقام ثلاثة ايام وهو معلق على الباب حتى فاحت رايحته وفى اليوم الثالث انزلوه واحضروا له تابوتا ووضعوه فيه وتوجهوا به الى مدرسة السلطان الغورى عمه فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فى الحوش التى خلف المدرسة ومضت دولته كانها لم تكن وقد قلت ابياتا

٭ ٭ ٭
لهفى على سلطان مصر كيف قد ٭ ولى وزال كانه لم يذكرا ٭

شنقوه ظلما فوق باب زويله ❊ ولقد اذاقوه الوبال الاكبرا
يارب فاعف عن عظايم جرمه ❊ واجعل جنات النعيم له قرا

وكان شنق السلطان طومان باى من غايات سعد السلطان سليم شاة ابن عثمان
ولم ينتج امره من بعد ذلك ولم يسمع بمثل هذه الواقعه فيما تقدم من الزمان ان سلطان
مصر شنق على باب زويله قط ولا علقت راس سلطان على باب زويله قط ولم يسمع
بمثل هذه الواقعه فيما تقدم ومن عهد شاه سوار لما قبروه على باب زويله لم يجلس
عليه من له شهرة طايله غير السلطان طومان باى ثم ابن عثمان لما شنق السلطان
صفا له الوقت وفعل بعد ذلك امورا ياتى الكلام عليها ثم اخذ فى اسباب التوجه
الى بلاده اصطنبول ثم اطلع على شخص من جماعته وقرره نايب غزه واطلع على شخص
اخر وقرره نايب القدس فخرجا من القاهرة فى اوايل هذا الشهر وقدامهما طبلين وزمرين
وجنايب وخرجا فى موكب حفل **وفى يوم** الاربعا رابع عشرينه صنع بعض القنطبة
الى السلطان نفطا وتوجه بر الى وطاقه بانبابه فاحرقوه قدامه بالوطاق **ومن الحوادث**
المهملة قد اشيع ان السلطان سليم شاه عول على جماعة من اهل مصر من اعيانهم يرسلها
الى بلاد اصطنبول **وفى يوم** الجمعة سادس عشرينه اتى السلطان سليم شاه من وطاقه
الذى فى انبابه وعدى الى بولاق وتوجه الى القاهرة وشق من باب الخرق ودخل
من باب زويله وتوجه من هناك الى الجامع الازهر وصلى الجمعة فتصدق هناك
بمبلغ له صورة ثم توجه الى بولاق من الطريق التى اتى منها وكان فى موكب حفل
ثم بعد ايام اشيع انه دخل الى حمام الاستدار التى ببولاق فاتى من على الرمل ولم
يشق بولاق وكانوا اهل بولاق زينوا له السوق ولما خرج من الحمام عاد من الطريق
التى اتى منها وقيل انه انعم على الحمامى فى ذلك اليوم بعشرين دينارا واعجبه حمام
وشكر منها ثم عاد الى الوطاق ثم ان جماعة من وزرا ابن عثمان جلسوا فى المدرسة
الغوريه وشرعوا يطلبوا جماعة من القضاه والشهود والمباشرين واعيان تجار القاريه
وتجار الوراقين وتجار الترب والباسطيه وجماعة من البرددارية والرسل وجماعة
من السوقة المتسببين فى البضايع وجماعة من النجارين والبنايين والمرخمين والمبلطين
والحدادين وغير ذلك من المعلمين حتى طلبوا جماعة من اعيان اليهود فلما تكاملوا عوقوهم
فى المدرسة الغوريه وعينوا جماعة من اعيان اليهود وعينوا جماعة منهم ان يسافروا
الى اصطنبول فكتبوا اسماهم فى توآكر والزموا كل واحد منهم بان يحضر له ضامن
يضمنه فلما احضروا اظهر بضمان اطلقوهم الى حال سبيلهم وياتى الكلام من بعد
ذلك فى امرهم وما تم لهم فى هذه الحركة **وفى يوم** الاحد ثامن عشرينه قبض الوالى
على شخص من المشاعليه قيل انه خطف امراة من السوق وزنا بها **فلما** بلغ ابن عثمان
ذلك امر الوالى بان يقطع راسه فى الحال وطاف به فى القاهرة وهو على دح

تظهر من ابن عثمان فى ذلك اليوم عدل عظيم فلعل ان يعتبروا بقية العسكر ويكفوا عن
الاذى **وفى آخر هذا الشهر** وقع ان ابن عثمان شرع فى فك الرخام الذى بالقلعه
فى قاعة البيسريه والدهيشه وقاعة البحرة والقصر الكبير وغير ذلك من الاماكن
بالقلعة وفك العواميد السماقيه الذى كانوا فى الايوان الكبير قيل انه يقصد ان ينشى
له مدرسة فى اسطنبول مثل مدرسة السلطان الغورى فلا تقبل الله منه ذلك ثم
صار يحيى بن بكار يركب وياخذ معه جماعة من الرخامين فيهجموا قاعات الناس وياخذ
ما فيها من الرخام السماقى والزرزورى الملون فاخربوا عدة قاعات من قاعات
السلاطين وبيوت الاكابر قاطبة حتى القاعات التى ببولاق وقاعات الشهابى احمد
ناظر الجيش بن ناظر الخاص التى على بركة الرطلى وغير ذلك من قاعات المباشرين والتجار
وابنا الناس وغير ذلك من المدارس التى فيها الكتب النفيسة فنقلوها عندهم
ووضعوا ايديهم عليها ولم يعرفوا الحلال والحرام فى ذلك **وفيه** نادوا فى القاهرة
بابطال الفلوس العتق وضربوا للناس فلوس جدد خفاف جدا ثم تحجر وانهم الثلث
ونقف حال الناس بسبب ذلك فصارت البضايع تباع بسعرين سعر بالفلوس العتق
وسعر بالفلوس الجدد **وفيه** صاروا يقبضوا على جماعة من مباشرين الامرا ويقولوا لهم
حاسبونا على خراج الامرا الذين قد قتلوا فى المعركه **وفى شهر ربيع الاخر** كان مستهله
يوم الاربعا فيه اشيع ان قد حضر قاصدا من شاه اسماعيل الصوفى وعلى يده مطالعة
الى ابن عثمان **فلما** قراها تنكد وقصد يقبض عليه فهرب ذلك القاصد من عند ابن
عثمان وكان بالمقياس **فلما** هرب صاروا يكبسوا بيوت مصر العتيقه وبيوت
الروضة فلم يحصلوه لا فى البر ولا فى البحر فحصل لاهل مصر العتيقه غاية الضرر
من كبس البيوت بسبب هروب القاصد فمن الناس من يقول قبضوا عليه فيما بعد وقطع
راسه ومنهم من يقول انه لم يحصله واستمر هاربا **ومن الحوادث** ان شخصا من تجار
الاروام كان له دين على الزينى عبد القادر الملكى واخيه ابو بكر بن الملكى وذلك الدين
خمسة الاف دينار فكان كلما يطالبهما به ماطلاه فماطلاه مدة طويلة فشكاهما من
عند الدفتردار فارسل خلفهما فلما حضرا اعترفا بذلك للتاجر بالقدر المذكور
فامرهما الدفتردار بان يدفعا له ذلك القدر فقالا ما معنا شى حتى يبعث الله
لنا وقد ماطلوه مدة طويله فقال لهما ما بقيت اصبر عليكما شى تحقق من تهما
الدفتردار وامر بسجن عبد القادر واخيه ابى بكر فسجنا فى سجن الديلم واقاما به
اياما حتى سعى الشهابى احمد بن الجيعان واطلقهما من السجن ثم استرضوا بذلك التاجر
حتى افرج عنهما **وفى اوايل هذا الشهر** حضر قاضى القضاة الشافعى كمال الدين الطويل
والقاضى المالكى محيى الدين بن الدميرى والقاضى الحنبلى شهاب الدين الفتوحى وكانوا
توجهوا الى نحو البهنسا بسبب الامان الذى توجهوا به من عند ابن عثمان الى السلطان

طومان باي ولم يبد من توجه هذه القضاة اليه شي ولما حضروا هولا القضاه
اخبروا بصحة قتل قاضي القضاه حسام الدين محمود بن الشحنه الحنفي واخيه ابو بكر
وقد تقدم القول على سبب قتلهما وقد تقدم هناك **وفي يوم** الاثنين سادسه اشيع ان ابن
عثمان عدى الى المقياس وكان في ذلك اليوم رياح عاصفه فكاد ان يغرق وما بقي من
عمره شي فلما سلم من الغرق اقام بالمقياس ونقل وطاقه الى الروضة ومصر العتيقه
ثم ان امراوه طردوا السكان الذي بالروضه وبمصر العتيقه وسكنوا في دورهم
فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك فاعجبه المقياس فاقام به مدة ايام وكانت
وزرايه يعدون الى الروضه في كل يوم ويطالعونه بالامور التي يفعلونها بالناس
من خير او شر **وفي يوم** الثلاثا سابعه توفت ام الامير تيشبك من مهدي امير دوادار
وهي زوجة قاني باي امير اخور كبير وقاست قبل موتها شدايد ومحن وصودرت
غير ما مره من السلطان الغوري ومن ابن عثمان واستمرت مختفيه حتى ماتت
وكانت من اعيان الستات في سعة من المال وكانت لاباس بها **وفيه** اطلع على شخص من
العلما يقال له الشيخ شمس الدين بن ياسين الطرابلسي وقرره في قضا الحنفيه عوضا
عن محمود بن الشحنه بحكم قتله كما تقدم **وفيه** وقعت كاينة عظيمة لخوند ابنة
الشرف انبردي الدوادار وهي زوجة السلطان طومان باي وما ذاك الا ان كان عندها
جارية بيضا جركسيه رقاصة فهربت من عندها وتوجهت الى بعض وزرا ابن عثمان
فعرفته بمكان حاصل سيدتها فتوجهوا اليه ونقلوا كلما كان فيه من قماش زركش
وعنبر وقناعد صمور وسمور وشق وعصايب ذهب ولولو مرصع وكوامل ذهب
وغير ذلك من القماش الفاخر واواني بلور واواني فضه ونحاس مكفت وصيني
ولازورد وغير ذلك فنقلوا ما كان لها جميعا في الحاصل فذهب لها اشيا كثيرة نحو
خمسين الف دينار وما قنع ابن عثمان بذلك فصادرها وقرر عليها وعلى والدتها
بنت العلاي علي ابن خاص بك عشرين الف دينار وقيل اكثر من ذلك القدر فحصل
لها ولوالدتها الضرر الشامل وقاسوا شدايد عظيمة وسجن وبهدلة وتهديد
بالقتل وما جرى عليها خيرا **وفي يوم** الجمعة سابع عشره رسم الدفتردار باخراج طايفة
من اليهود ممن كان تعين الى السفر الى اسطنبول فخرجوا في ذلك اليوم جملة واحدة
فنزلوا في المراكب وتوجهوا الى ثغر الاسكندريه الى ان يمضوا الى اسطنبول فاخذوا
نساهم واولادهم ومضوا **وفي عقيب** ذلك اليوم خرجت طايفة من البنايين
والمهندسين والنجارين والحدادين والمرخمين والبلاطين وفيهم من المسلمين والنصارى
حتى طايفة من الفعلا وذلك بسبب المدرسه التي اراد ابن عثمان ان يبنيها باسطنبول
مثل مدرسة السلطان الغوري واشيع انه ارسل طايفة من المغاربة ايضا تقيم
باسطنبول **وفي يوم** السبت ثامن عشره خرج الى السفر لاسطنبول طايفة اخرى

من نواب القضاة والشهود فمنهم القاضي شمس الدين الحلبي احد نواب القضاه الشافعيه
وقد قاسى من العثمانيه غاية البهدلة من الضرب والسك وانزلوه المركب على رغم
انفه وخرج الزيني زين الدين الشرنقاشي احد نواب الحنفيه والقاضي شمس الدين
بن جلال الدين الاسيوطي احد نواب الشافعيه والقاضي بدر الدين الهلبيتي نقيب
قاضي القضاه الشافعي والقاضي شهاب الدين بن الهيثمي احد نواب الحنابله والزين
البرديني الحنفي واخرين من نواب القضاه الاربعة وخرج في ذلك اليوم جماعة كثيرة
من تجار الشرب والوراقين منهم محمد المسكي الاسود ومن تجار الباسطيه منهم شهاب
الدين الخطيب الاسمر ومن تجار خان الخليلي وخرج يوسف الذي كان ناظر الاوقاف
وخرج ابن شقيره التاجر الذي من مرجوش ومن تجار الهرامزة وغير ذلك من التجار
والاعيان من مشاهير الناس فهولاء خرجوا في ذلك اليوم ثم تبعها طايفة اخرى بافي
الايام عقيبها وكانت هذه الواقعه من اشنع الوقايع المنكرة التي لم يقع لاهل مصر قط
مثلها فيما تقدم من الزمان وهذه عبارة على انه ارسل المسلمين وتقام الى اسطنبول
وفي يوم الثلاثا حادي عشره اشيع بين الناس ان ابن عثمان كان في اصبعه خاتما من
الفضه وهو مرصود للمقابلة وكان يتبرك به فسقط من اصبعه في البحر وهو سائح
المقياس فاسف عليه غاية الاسف واحضر الغطاسين فغطسوا عليه عدة مرار
فلم يجدوه في ذلك المكان ويقال ان هذا الخاتم كان في ذخاير اجداد ابن عثمان حتى
فقد منه **وفي اواخر هذا الشهر** ارسل ابن عثمان يقول للامير المومنين اعمل برقك
حتى تسافر الى اسطنبول فلما تحقق الخليفه ذلك اضطربت احواله وشرع في عمايل
برق سافر انت واولاد عمك خليل وصهرك محمد بن خاص بك **قلما** ترك ابن عثمان
بالرخام الذي فكه من القلعة توضعه في صناديق خشب ونزل به في المراكب ليتوجهوا
به الى اسطنبول **ومن العجايب** ان السلطان الغوري ظلم اولاد ناظر الخاص يوسف واخذ
رخام قاعتهم الذي تسمى بنصف الدنيا وجعل ذلك الرخام في قاعة البيسرية ولم
ينتفع به احد من بعده والمجازاة من جنس العمل وقد خرج هذا الشهر عن الناس وهم في امر
مريب مما جرى عليهم من ابن عثمان ومن حين فتح عمرو بن العاص لم يقع لاهلها شدة
اعظم من هذه الشدة **وفي شهر جمادى الاولى** كان مستهله يوم الجمعة ففي ذلك
اليوم خرج المقر العلاي علي بن الملك المويد واحمد بن الملك الاشرف اينال وكان تعين
الى السفر الى اسطنبول وايضا شمس الدين ابن عبد الرووف وكان القاضي بدر الدين بن
الوقاد احد نواب الحنفيه تعين الى سفر اسطنبول **فلما** تحقق ذلك اختفى وحصل
لنقيبه الجبيشي من الدفتردار ما لا خير فيه وبهدله وضربه كون انه كان ضامنه **وفي يوم**
السبت ثاني الشهر عرض السلطان سليم شاه عسكره ببر الجيزه وعين منهم جماعة
يتوجهون صحبته الى ثغر الاسكندرية واشيع سفره الى هناك **وفي يوم** الاثنين رابعه

عدى ابن عثمان من المقياس الى بر مصر العتيقة دشق من جامع طولون وطلع الى القلعة
ثم عاد من يومه الى المقياس واقام به **ومن الحوادث** ان شخصا من نواب الشافعيه قيل
عنه انه ازوج امراة من نسا الاتراك لشخص من العثمانيه فظهر انها لم تكمل انقضا العدة
زوجها الذى مات فدلس ذلك على القاضى الذى ازوجها الى العثمانى **فلما** وقع امرها
الى العثمانيه احضر ذلك القاضى ولم يقبل لذلك القاضى عذرا وبطحه وضربه ضربا
شديدا ثم كشف راسه والبسه عليها كرشا من كروش البقر بروثه واركبه على حمار مقلوبا
واشهره فى القاهرة وكان قبل ذلك نادى السلطان فى القاهرة بان لا احدا من قضاة
مصر يعقد عقد العثمانى ولا يزوجه باحد من نسا الاتراك وكذلك الشهود وشدد
عليهم فى ذلك الى الغاية فلم يسمعوا له قضاة مصر شيا من ذلك وصار يزوجوا
العثمانيه بنسا الاتراك الذين قتلوا فى الحروب كما تقدم القول على ذلك **وفى يوم** الخميس
سابع هذا الشهر نزل السلطان سليم شاة من المقياس فى مركب هو وجماعته وتوجهوا
الى ثغر الاسكندريه وقيل كان معه من فرسان عسكره الف فارس وتوجه يونس باشاه
من البر من على سنترو وجه بعسكر اخر يلاقيه من هناك **وفى يوم** الثلاثا ثانى عشر جمادى
الاول خرج امير المومنين المتوكل على الله قاصدا السفر الى اصطنبول وخرج صحبته اولاد
عمه خليل وهما ابو بكر واحمد وخرج صحبته القاضى محمد بن العلاى على ابن خاص بك صهر
الخليفه وخرج الشرفى يونس بن الاتابكى سودون العجمى واخرين من الاعيان فتوجهوا
الى بولاق ونزلوا من هناك ليتوجهوا الى ثغر رشيد فحصل للناس على فقد امير المومنين
من مصر غاية الاسف وقالوا قد انقطعت الخلفا من مصر وصارت باسطنبول
وهذه من الحوادث المهوله ثم ان الخليفة عوم من بولاق الى رشيد ثم بعد ذلك وردت
الاخبار ان الخليفة مقيما بالمركب ببر بولاق الى يوم الثلاثا تاسع عشره فعوم فى اثنا
ذلك اليوم من بولاق وتوجه الى رشيد ثم بعد ذلك وردت الاخبار بان الخليفة
قد وصل الى ثغر رشيد واقام بها وجماعة من الذين سافروا ودخلوا الى ثغر الاسكندرية
وجدوا الصهاريج الذى بها مشحونة من الما فبلغ ملى كل كوز بو زخمسة انصاف
وذلك من كثرة الخلق التى اجتمعت هناك ولاسيما لما دخل اليها عسكر ابن عثمان فاشيع
ان السلطان سليم شاة لما ان دخل الى ثغر الاسكندرية دسر بان الجماعة الذين اتوا
من مصر يسجنوا فى الخانات وفى ابراج الاسكندريه الى ان تيكاملوا قربيا فزواد فنفر
واحدة فوضعوهم فى الابراج وسنادهم فى الخانات فقاسوا مشقة عظيمة بسبب
ذلك وخرج فى عقيب ذلك مقدم المماليك سنبل وسافر الى اصطنبول وثانيه
جوهر وقيل توجه سنبل الى بيت المقدس من بعد ذلك **وفى يوم الجمعة** المقدم ذكره
حضر السلطان سليم شاة من ثغر الاسكندريه فكانت مدة غيبته فى هذه السفرة خمسة
عشر يوما ذهابا وايابا وقيل انه اقام بثغر الاسكندريه ثلاثة ايام لا غير وقيل

دخل عليه من التقادم من مشايخ العربان بالغربيه ما بين خيول وجمال وابقار وغير ذلك
فلما حضر الى المقياس وشق من على الروضة بالمراكب فانطلقت له المشاعل من
الطبقات بالرغاريب **وفى يوم** الثلاثا ثالث عشرينه عرض يونس باشاه الذى قرر بمصر
نايب السلطنه فعرض عسكر ابن عثمان فى ذلك اليوم واشيع ان ابن عثمان قد طرقته الاخبار
الرديه من عند الصوفى انه قد زحف على بلاده وملك منها عدة بلاد **وفى يوم** الجمعة
تاسع عشرين جمادى الاول خرج الى السفر الى اسطنبول الشيخ زين العابدين بن قاضى القضاه
الشيخ كمال الدين الشافعى الطويل فكثر عليه الاسف والحزن فانه كان محبا للناس وخرج
زين الدين البقنوقى ناظر المواريث واخرين من المباشرين وخرج جماعة من الزرد كاشية
منهم يحيى بن يونس ومحمد العادلى المعروف بابن البد ديه وزين الدين بن محمود الاعور
واحمد بن الهوادين واخرين من صناع الزرد خاناه وخرج ابراهيم مقدم الدوله وخرج
جماعة من مباشرين الحوش كاناه **وفى اثنا هذا الشهر** توفى تقى الدين بن الطرينى كاتب
الشهير بالشون السلطانيه وكان لا باس به **وفى يوم** السبت سلخ هذا الشهر طلع
ابن الرداد ببشارة النيل المبارك وجات القاعدة ثمانيه اذرع وستة عشر اصبعا وكانت
القاعدة فى العام الماضى لما اخذ قاع النيل اثنى عشر ذراعا حتى عد ذلك من النوادر الغريبه
وفى جمادى الاخر كان مستهله يوم الاحد ففى ذلك اليوم كان اول المناداه على
النيل المبارك فزاد ثلاثة اصابع **وفى ذلك اليوم** اشيع ان السلطان سليم شاه اطلع
على تدبيره يونس باشاه وقرره نايبا عنه بمصر واعمالها اذا سافر الى بلاده **فلما**
تقرر يونس باشاه فى النيابه بمصر واشيع سفر ابن عثمان ظهر جماعة كثيرة من المماليك
الجراكسه وتزايوا بزى العثمانيه ولبسوا الطراطير والعنطانات الحرير وصاروا
يخالطوا العثمانيه ويركبوا معهم فى الاسواق بطول النهار **وفى يوم** الاربعا رابع هذا
الشهر نادى السلطان فى عسكره بان كل من كان متزوج من مصر بامراة يطلقها
والا يشنق من غير معاودة فمنهم من طلق زوجته ومنهم من ابقاها فى عصمته **ومن
الحوادث** ان القاضى بدر الدين بن الوقاد لما نفى الى سفر اصطنبول وضمنه
نقيب الجيش فلما تخلص غيب واختفى ايام فانغاظ عليه فقبضوه من المكان الذى كان
به فلما احضروه بين يدى الدفتدار وبخه بالكلام وبطحه على الارض وهم بضربه
حتى شفع به بعض الحاضرين وقاسى من البهدلة والسب ما لا خير فيه وعدم ماله
له صورة واخر الامر سافر الى اصطنبول والذى خاف منه وقع فيه **وفى يوم** الخميس
خامسه عدى السلطان سليم شاه من الروضة وطلع الى الرمله وعرض عسكره فى الميدان
الذى تحت القلعة وعين منهم جماعة يقيمون بمصر يونس باشا وعين جماعة يسافروا
صحبته ورسم للمشاة من عسكره بان يسافروا فى البحر واستمر يعرض عسكره ثلاثة ايام
متواليه **وفى ذلك** اليوم خرج حريم ملك الامرا خاير بك وحريم جان بردى الغزالى

يقيمون بحلب الى ان ياتى السلطان الى هناك وقد تواترت الاشاعات بسفر السلطان
عن قريب وفى يوم الجمعة سادس هذا الشهر خرج جماعة من المباشرين الى سفر اسطنبول
منهم القاضى عبد الكريم اخو الشهابى احمد بن الجيعان كاتب الخزاين ايضا وخرج
الناصرى محمد بن القاضى صلاح الدين بن الجيعان كاتب الخزاين الشريفة ايضا وخرج
الزينى عبد القادر الملكى مستوفى ديوان الجيش وخرج شخص من اولاد بن البارددى
يقال له بهاء الدين وخرج محمد الجوجلى مهتار السلطان الغورى بالطشتخاناه الشريفة
وخرج عبد الباسط بن تقى الدين ناظر الزرد خاناه وولده زين وخرج فى ذلك اليوم
بعض نصارى من كتاب الخزائن وخرج كمال الدين سر ددار الطرابيه وخرج فخر ابن
البويدى راس نوبة حاجب الحجاب وخرج فخر الدين بن تخيره احد كتاب المماليك
وخرج جماعة من البرددارية والرسل وارباب الصنايع من كل فن ممن تعين الى اسطنبول
وخرج الشهابى احمد بن البريرى وحسن بن الطولونى معلم المعلمين وخرج يحيى
شكار ددار الوالى وشيخ سوق الغزل بدر الدين وخرج ابراهيم مقدم الدولة
وخرج جماعة كثيرة غير هولاء فى اوقات متفرقة ونزلوا فى المراكب وتوجهوا الى
ثغر الاسكندرية ومن هناك يتوجهوا الى اسطنبول وقيل ان عدة من خرج من اهل مصر
الى اسطنبول الف وثمانماية انسان وقيل دون ذلك وقيل ان السلطان سليم شاه
لما اخذ من مصر هولا الجماعة احضر غيرهم من اسطنبول يقيمون بمصر عوضا
عن الذى خرجوا منها وقيل ان هذه عادة عندهم اذا فتحوا مدينة ياخذوا من اهلها جماعة
يبعثون الى بلاده ويحضر من بلاده جماعة يقيموا فى تلك المدينة عوضا عن الجماعة
التى اخذها وفيه نادى فى القاهرة بان لا عبد ولا جارية ولا امراة ولا صبى امرد
يخرجوا الى السوق حتى يخرج العسكر العثمانى من مصر وذلك خوفا عليهم من التركمان
ان يخطفوهم ويأذوهم فلما توجه السلطان سليم شاه الى بير البلسان
التى بالمطرية واضافه هناك الناصرى محمد بن الرئيس شمس الدين بن القوصونى ومد
له هناك مدة حفلة وكذلك الخواجه مردادش واشترى ابن عثمان فى ذلك اليوم الى
الغاية وغسل وجهه من ماءها واقام هناك الى بعد العصر ثم رجع الى الوطاق ومن
الحوادث فى هذا الشهر ان الدفتردار ضيق على الناس اصحاب الاملاك وندب
الشرفى يونس نقيب الجيش الى ضبط البيوت الذى فى القاهرة قاطبة فصاروا الناس
يعرضون عليه مكاتيبهم فالذى يكون من الاعيان يخرج له من يثبته ويخدم نقيب
الجيش بشى من الدراهم ويكتب على مكتوبه عرض والذى يكون جاريا فى تملك
المماليك الجراكسه ولم يظهر له اصحاب يكون ملكا للسلطان ويدخل الى الذخيرة
وقرب من هذه الواقعة ان الدفتردار رسم لقاضى القضاة المنفصل علاى الدين بن
النقيب ان يتحدث على اوقاف الحرمين الشريفين قاطبة ورفع يد قاضى

القضاه كمال الدين الطويل الشافعى من التحدث على اوقاف الحرمين الشريفين فكانت
اصحاب الاوقاف يعرضون مكاتيبهم على قاضى القضاه علاى الدين ويكتب عليهم
عرض ثم يبعثوا بهم الى الدفتردار فيخرج مراسيمهم بالافراج من ذلك فيقع عليهم كلفة
للقاضى علا الدين وكلفة لمراسيم الدفتردار وان لم يفعلوا اصحاب الاوقاف ذلك
ويخرج مراسيم الدفتردار بالافراج عن جهات الاوقاف والا تقع المباشرين والظلمة
ايديهم على بلاد الاوقاف ويستخرجون منهم الخراج ويروح ذلك على النظار وهذا
من جملة مساوى ابن عثمان فيما فعله فى اهل مصر من الانكار والضرر الشامل لهم
وفى يوم الجمعة ثالث شهر جمادى الاخر حضر الشرفى يونس النابلسى الاستادار
وكان قد توجه الى جهات بلاد الشرقيه بسبب جمع الخراج من بلاد المقطعين والاتراك
والكار الذين قتلوا فى المعركة فنهب بلاد الشرقيه قاطبة وحصل منه غاية الضرر وضيق
على الناس فى ارزاقها من قتل رجال ووضع يده على خراجهم بغير حق وما حصل لاحد
منه خير فكان كما يقال فى المعنى

مباشر فى الورى لم تخف سيرته ... بين الانام وما تخفى من الريب
تنجو به رجله مما جنت يده ... كانه القط فى خطف وفى هرب

وفى يوم الاحد خامس عشره حضر الى الابواب الشريفه ابن السيد الشريف بركات
امير مكة وكان سبب حضوره انه حضر وافى ليهنى ابن عثمان بمملكة مصر واحضر
صحبته تقادم ناخره اليه وحضر صحبته بيبردى بن كسباى احد الامرا العشراوات
الذى كان يباشر الجدة وبندر مكة وحضر قراكز الذى كان محتسبا بمكة فلما حضر اشيع
بين الناس ان حسين ناظر جده قد قتل على يد الرئيس سليمان العثمانى وقيل انه غرق
فى البحر وكان حسين قد ظلم وجار على اهل مكة وجده فى ايام الغورى وكان عين المفسدين
فى الارض فقتل كما تقدم وكان غير محب لاهل جده ومكة ومن الحوادث ان النيل
المبارك توقف فى ايام الزياده واستمر فى التوقف ستة ايام فتقلق الناس لذلك
وزاد سعر القمح وتخبطت ساير الغلال واضطربت الاحوال جدا ثم بعد ذلك
زاد النيل المبارك اصبعا واحدا فسكن الحال قليلا وفى يوم الاثنين سادس عشره
حضر جماعة من المباشرين الذى كانوا قد توجهوا الى الغربيه والمنوفيه والمحلة لحضر
ابو البقا ناظر الاسطبل وبركات اخو شرف الدين الصغير ويحيى بن الطلساوى
واخرين من المباشرين وفى يوم الثلاثا سابع عشره اشيع ان بيبردى باش الجدة وبندر
وقراكز المحتسب والمماليك الذى حضروا صحبتهما من مكة فقيل ان ابن الشريف
بركات شفع فيهم عند ابن عثمان من القتل فرسم ان يتوجهوا الى اسطنبول فخرجوا فى
ذلك اليوم ونزلوا فى المراكب وتوجهوا الى ثغر الاسكندريه ومن هناك يتوجهوا الى
اسطنبول وفى يوم الاربعا ثامن عشره حضر الزينى بركات بن موسى المحتسب

وحضر فخر الدين عوض وكان فى بعض جهات الغربية بسبب استخراج الخراج وعمارة الجسور الذى هناك **وفى يوم** الخميس تاسع عشره توفيت ابنة السلطان طومان باى وكان لها من العمر ثلاث سنين وكان قد حصل لها طوبة من ابيها لما قتل **وفى يوم** الاحد ثانى عشرينه اضطربت احوال القاهرة وصارت الاوراك تقف على ابواب المدينة ويمسكون الناس من رئيس ووضيع ويجنبونهم فى الحبال حتى من يلوح لهم من الفضلاء والشهود وما يعلم ما يصنع بهم فلما طلعوا بهم الى القلعة اشتهرت هذه الواقعة انهم جمعوا الناس حتى يسحبون المكاحل النحاس الكبار الذى كانوا بالقلعة وينزلون الى شاطى البحر ثم يضعونهم فى المراكب ويجيبوا بهم الى اصطنبول وكان قبل ذلك بمدة نزلوا بالعامود بن السماقى الذى قلعوها من الايوان الذى بالقلعة فادخن لها الصليبة لما ان نزلوا بها من القلعة وقاست الناس فى سحبها غاية المشقة وحصل لهم بهدلة من الضرب والصك وخطف العمايم والتشديد فى عقيب ذلك نزلوا بالمكاحل من القلعة وصاروا يربطون الناس بالحبال فى ارقابهم ويسوقونهم بالضرب الشديد على ظهورهم ولو انهم من اعيان الناس فحصل للناس بسبب ذلك ما لا خير فيه **وفى يوم** الخميس سادس عشرينه رسم السلطان سليم شاه باحضار الف راس من الغنم ومائة جمل ومائة بقرة فلما ان حضروا بين يديه امر ان تفرق قربانا على مجاورين الجامع الازهر والمساجد والزوايا ومزارات الصالحين التى بالقرافة وغيرها من المزارات المشهورة حتى على ابواب ترب السلاطين المتقدمة ففرقوا ذلك جميعه وصاروا يذبحون البقر والغنم والجمال على ابواب الجوامع والمساجد والزوايا ويفرقونها على المجاورين الذى بها **قيل** ان سبب ذلك انه لهم عادة فى بلادهم اذا نقلت الشمس الى برج الاسد يفرقون هذا القربان على مجاورين الجوامع والمساجد والزوايا ويفرقونها على المجاورين الذى فى بلادهم قاطبة ففعل مثل ذلك بمصر **وفيه** اشيع ان السلطان سليم شاه نزل فى موكب وتوجه نحو الاثار الشريف فقام عليه ريح عاصف فانقلبت به المركب فى البحر فكاد ان يغرق او اغمى عليه وما بقى من موته شى **ومن الحوادث** فى هذا الشهر ان الخليفة لما سافر الى اصطنبول اخرجوا عنه نظر مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها وكان ذلك بيد الخلفا من قديم الزمان وكان من جملة نظارهم وكان يحصل لهم من هذه الجهة غاية الخير من الشموع والرتب وكان يحصل لهم فى كل يوم من الصندوق الذى تحت راس السيدة نفيسة مبلغ له صورة من النذور التى كانت تدخل عليهم فخرج ذلك كله عنه وحصل للخليفة يعقوب والد المتوكل على الله غاية الضرر بسبب ذلك وشق عليه ذلك ولم يبق معه من ذلك شى **وفى اثنا هذا الشهر** خرج الشرفى يحيى بن البرديكى الذى كان ولى قاضى القضاة فى دولة الاشرف طومان باى **فلما راى** الاحوال مضطربة وبعثوا اعيان الناس الى

اصطـ

اصطنبول فشق عليه ما له صورة حتى قرر فى مشيخة الحرم الشريف النبوى كما كان شاهين الجمالى فخرج فى هذا الشهر وسافر فى البحر المالح وتوجه الى المدينة الشريفة من الينبع وكان من تدبير الزمان لا يلى مشيخة الحرم الا الطواشيه **وفيه** اشيع ان السلطان سليم شاه لما كان بالمقياس احضر فى بعض الليالى خيال الظل فلما جلس للفرجة قيل ان المخايل صنع صورة باب زويلة وصورة السلطان طومان باى لما شنق عليها وقطع به الحبل مرتين فانشرح ابن عثمان لذلك وانعم على المخايل فى تلك الليلة بثمانين دينارا واخلع عليه قفطانا مخمل مذهب وقال له اذا سافرت الى اصطنبول فامض معنا حتى يتفرج ابنى على ذلك **وفيه** اشيع ان السلطان سليم شاه انشا له قصرا خشب بالمقياس فوق القصر الذى انشاه السلطان الغورى فوق بسطة المقياس وصار يجلس به فى اليوم المحرر واحضر جماعة من النجارين والبنايين فى بنايه حتى فرغ فى اسرع مدة وقد قلت فى ذلك

لو علم الغورى ان قصره ٭ يسكن للمظفر المؤيد

اضرم فيه النار من يومه ٭ ولم يدع فى جدره جلمد

وفى شهر رجب كان مستهله يوم الاثنين ففى يوم الاربعا ثالثه توفى القاضى رضى الدين الحلبى الموقع وكان شابا حسن الشكل والهيئة وكان من خصا القاضى كاتب السر محمود بن اجا وكان من اعيان الموقعين وكان من جملة اصحابنا رحمة الله عليه وكان له مدة وهو متوعك فى جسده وكان تعين الى سفر اصطنبول فمرض عقيب ذلك فدخل انكشارى من العثمانية فراه مريضا فقال له اخرج من هذا اليوم وسافر فقال له لا استطيع القيام فحمله العثمانى بالنطع الذى تحته واراد يخرج به من الباب فدخلوا عليه ودفعوا له سبع اشرفية حتى تركه ومضى فمات تلك الليلة من الرجفة التى حصلت له **وفى يوم** الخميس رابعه خرج الى السفر ابن السيد الشريف بركات امير مكة فتوجه الى وطاق بالريدانية فكان له موكب حافل واخلع عليه قفطان تماسيح مذهب وقدامه الرماه بالنفط وخرج صحبته غالب الحجازيين الذين كانوا بالقاهرة فخرج صحبته الى اصطنبول واشيع ان السلطان سليم شاه كتب مراسيم للسيد الشريف بركات امير مكة بان يكون عوضا عن الباش الذى كان بها وجعله هو المتصرف فى امر مكة قاطبة واضاف اليه نظر الحسبة بمكة ايضا وانصفه غاية الانصاف فتزايد عظمة السيد الشريف بركات الى الغاية واكرم ولده غاية الاكرام **وفيه** ترافع جماعة من المباشرين فى بعضهم وانتبذوا الى عمل حسابهم والوزير بركات بن موسى والزموهم بالعود الى البلاد ثانيا ليغلقوا ما كان بقى عليهم من الخراج فى البلاد فانهم كانوا ارسلوا طلبهم بالاستعجال الى سفر اصطنبول **وفى اثنا** هذا الشهر توفى القاضى ناصر الدين محمد ابن المرى موقع الامير يشبك الدوادار وكان من المعمرين فى الارض **ومن الحوادث**

ان الدفتدار اوقف المناشير الذى بيد اولاد الناس بسبب اقطاعاتهم ولم يمشى غير
الاوقاف والرزق الذى بالمكاتيب والرزقات الجيشية فقط فحصل لاولاد الناس
غاية الضرر بسبب ذلك ووضعوا المباشرين ايديهم على خراجهم وراح عليهم الخراج
فى هذه السنة بين الفلاحين وبين المباشرين **وفى يوم** الاربعا عاشر رجب حضر شيخ
العرب احمد بن بقر وقد ارسل اليه ابن عثمان امانا بالاحضار فحضر وقابل يونس باشاه
وبقية الوزرا وكان له مدة وهو عاصى فى وادى العباسة ومعه جماعة من المماليك
الجراكسه وكان يحمى اليهم بالعليق وغير ذلك من القوت **وفى يوم** السبت ثالث
عشر رجب الموافق لثامن مسرى من الشهور القبطيه اظلم الجو ظلمة شديدة وامطرت
السما مطرا غزيرا حتى اوحلت منه الارض والاسواق وكانت الشمس فى برج الاسد
فتعجب الناس من ذلك غاية العجب كون ان المطر جا فى غير اوانه وكان قد بقى من ميعاد
الوفا اربعة وستين اصبعا والنيل فى قوة الزيادة فخشيت الناس على النيل من النقص
واشيع كسوف الشمس فى ذلك اليوم **وفى يوم** الثلاثا سادس عشره تحول السلطان
سليم شاه من المقياس واتى الى بيت الاشرف قايتباى الذى خلف حمام الفارقانى المطل
على بركة الفيل فاقام به فتعجب الناس لذلك كيف ترك المقياس فى ليالى الوفا وسكن
فى هذا المكان الذى بين الدروب واختلف الناس فى الاقوال فى سبب ذلك ولم يعلم
ما سبب تحوله من المقياس الى هذا المكان مع وجود كثرة رغبته فى اقامته بالمقياس
فلما سكن فى ذلك المكان طمنت عساكره فى بيوت الناس الذى حول الصليبة
واعمالها وطردوا اصحابها عنها وسكنوها فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك
وفى يوم الخميس ثامن عشره طلع ابن عثمان الى القلعه ودخل الحمام الذى بها بالبحرة
ثم رجع الى بيت الاشرف قايتباى فقيل اصطفت عساكره من الصليبه الى باب السلسلة
ما بين مشاة وركاب **وفيه** وردت الاخبار من البحيرة بان حسن بن مرعى حاصر ام
الجوبلى فارسلها السلطان تجريدة الى البحيره وعين بها الف عثمانى من عسكره **ومن
الحوادث** المهولة ان النيل المبارك توقف فى ليالى الوفا على اصبع واحد وكان قد
مضى من مسرى ثمانية عشر يوما فاضطربت احوال الديار المصريه بسبب ذلك
ولولا خافت السوقة من ابن عثمان لرفعوا الخبز من الاسواق وكادوا يشتو الغلوة
عظيمة وقد توقف النيل فى هذه السنة مرتين ستة ايام فى ابيب وستة ايام
فى مسرى ولولا بعث الله الزيادة بعد ذلك لاكلت الناس بعضها بعضا وقال القايل
فى المعنى
، لو نطق النيل قال قولا ، يشفى بر غاية الشفا ،
، تذكرت الجور قاعد ردنى ، لما توقفت فى الوفا ،
فلما كان يوم السبت سابع عشر رجب الموافق لثانى عشرين مسرى زاد الله تعالى النيل
المبارك اصبعا واحدا من النقص الذى كان نقصه واوفى يوم الاحد ثالث عشرين مسرى

القبطي

375
القبطي الموافق لثامن عشرين رجب زاد النيل ما كان نقصه وزاد فى ستة عشر ذراعا
واصبعا من سبعة عشر ذراعا وكان النقص اربعة اصابع من الوفا فزاد النقص واوفى
وزاد اصبعا من السابع عشر وذلك من فضل الله تعالى على عباده فلما كان يوم الاثنين
تاسع عشرين رجب الموافق لرابع عشرين مسرى فتح السد وجرى الما فى الخليج الحاكمى
والناصرى وقد قيل فى المعنى ،
، عجبى لنيل مصر حين اوفى ، على جور الامام العاد بات ،
، فخضنا فى حديث النيل لكن ، مزجناه باوصاف الغزاة ،
وكان الذى فتح السد فى ذلك اليوم يونس باشاه نايب السلطنه فلم يكن ليوم الوفا
بهجة مثل العادة وبطل ما كان يعمل فى ذلك اليوم من الاسمطة التى كانت تصنع
بالمقياس والجامع الحلوى والمشنات الفاكهة التى كانت تصنع بالمقياس وتنزل فى
ذلك اليوم فنزل يونس باشاه فى الحراقة السلطانيه وتوجه الى السد وفتحه على
العادة ولكن الثريا من يد المتناول بالنسبة لما كان يعمل يوم الوفا بمصر
ومن الحوادث ان لما دخل الملك الى بركة الرطلى سكنت العثمانية فى بيوت الجسر قاطبة
وربطوا خيولهم فى البساطين المطلة على البركه واخذوا الابواب والطيقان و
والدرابزينات واوقدوهم فى النار وكذلك بيوت المصطاحى وحكر الشامى
وسكنوا فى بيوت الاكابر التى كانت على البركه قاطبة فامتنعت مراكب البياعين
من الدخول الى البركه وكذلك المتزججين ومنعوا المتزججين من الدخول الى الجسر
وصاروا يرشوا على الناس بالحصى واما الجزيرة الوسطى فانها خربت عن اخرها
ولم يبق منها الا الجدر ونقلوا اصحاب الاملاك سقوف البيوت والابواب والطيقان
ولم يبقوا منها غير الحيطان **واما** بركة الازبكية فان التركمان نضبوا وطاقهم بها
ومنعوا الناس من الدخول اليها واخربوا غالب بيوتها واخذوا ما فيهم من الابواب
والطيقان وغير ذلك من الاخشاب **وفى يوم** الثلاثا سلخ شهر رجب اشيع ان حسن
ابن مرعى شيخ عربان البحيرة قد حضر بالامان وكان قد التجى له ادلال على ان ابن
عثمان من حين دخل على السلطان طومان باى وقبض عليه فلما قابل ابن عثمان قبض
عليه وسجنه بالبرج الذى بالقلعة وعلى ابن سنقر وقبض على ابن اخو الجو يلى وسجنوهم
فى البرج وكان شيخ العرب احمد بن بقر اتى ليقابل ابن عثمان **فلما** راى ما جرى
على مشايخ العربان هو ولا رجع بعد ان دخل الى القاهرة ومضى الى الشرقيه وقد شمتنا
فى حسن بن مرعى كل الناس فانه كان سببا لمسك السلطان طومان باى حتى شنق
والمجازاة من جنس العمل **وفى اخر هذا الشهر** توفى صاحبنا القاضى ابو الفتح السراجى
احد نواب الحنفيه رحمة الله عليه وكان عالما فاضلا بارعا فى النحو وكان له شعر
جيد والف عدة كتب وكان من الافاضل فى عصره عارفا بطريق صنعة التوقيع حسن

العبارة وكان يجلسه بخط جامع طولون وعاش من العمر ما قارب السبعين سنة وكان حسن المهبة

نوحوا على مصر لامر قد جرى ❊ من حادث عمت مصيبته الورى

زالت عساكرها من الاتراك فى ❊ غمض العيون كانها سنة الكرى

واتى اليها عسكر سيماهم ❊ حلق الدقون ولبس طرطور يرى

لا يعرف الاستاذ من غلمانه ❊ واميرهم بين الانام تحقرا

جل الاله مصدقا عن ما حكى ❊ فى سورة الروم العظيم اخبرا

قد ادعوا الرحمن وعدا صادقا ❊ ان ابن عثمان يلى وكذا جرى

ولاه رب العرش سلطانا على ❊ مصر وهذا الامر كان مقدرا

اين الملوك بمصر من طغا نها ❊ مثل البدور رنقناه وكانت انورا

يالهف قلبى للمواكب كيف لم ❊ تلقى تبلغنها الجرنبة عسكرا

لهفى عن ذاك النظام وحسنه ❊ ما كان فى الترتيب منه افخرا

لهفى على ضرب الكراة ولعبها ❊ فى الحوش صارت فى الحضيض الى ولا

لهفى على النشاب والرمح الذى ❊ كان امع الدبوس تكسر عنترا

لهفى على لبس الكلفتة والقبا ❊ كان بها التجميل لا ذى الازدرا

لهفى على تلك التخافيف التى ❊ كانت على الامرا تزهو امنظرا

لهفى على لبس الكواف بغندس ❊ بطلت والتواكل زرمط احمرا

لهفى على المهمار والخف الذى ❊ كانوا نهار الحرب اصون للثرا

لهفى على اعياد مصر كيف قد ❊ اضحت نشاريخها بها ومتمرا

وكذا الكنابيش التى تدزخرفت ❊ كانت كبرق او كليل اقمرا

لهفى على الابواب كيف تكسرت ❊ وخلت اماكنها وصاحبها سرا

وكذا المرودج المزفات بلمعها ❊ كانت تشدخيولها عند السرا

لهفى على نهب القماش وبيعه ❊ وبابخس الاثمان صارت تشترا

واشيع بيع الخيمة العظمى التى ❊ للمولد النبوى احسن ما يرى

بيعت بابخس قيمة عما حكى ❊ يالهف قلبى كم يزيد تحسرا

لهفى على شيخوا وجامعه الذى ❊ قد كان للصلوات مجمع للورا

درست معالمه بحرق صار من ❊ بعد التزخرف والرياضة اغبرا

لهفى على سوق الصليبه كيف قد ❊ اخلت حوانيت به مما جرا

لهفى على تلك الرخام ونقله ❊ من كل بيت كان زاه ازهرا

زالت محاسن مصر من اشيا قد ❊ كانت بها تزهو على كل القرا

لهفى على الاترا كيف تشتتوا ❊ وخلت منازلهم وعادت مقفرا

لهفى على اتراك مصر اذ غدت ❊ مكسورة وقلوبها لن تجبرا

لهفى على الفرسان كيف تقطعت ❊ اعناقها بيد العدو اذا اذترا

صارت على الطرقات من اجسادهم ❊ رمما اكلت عبد القحبا الاكبرا

لهفى على ذاك الحرير وحسنه ❊ من يدهمون فى الحرير تحدرا

وبتيمت اطفال جند قد غدت ❊ اجسامهم نهش الكلاب على الثرا

لما نكبوت الجراكسة الذى ❊ كانوا بمصر اذ لهم رب الورا

لهفى على سلطان مصر كيف قد ❊ ولى وزال كانه لم يذكرا

شنقوه فوق باب زويله ❊ وقد اذاقوه الوبال الاكبرا

يارب فاعف عن عظائم جرمه ❊ واجعل جنات النعيم له قرا

يالهف قلبى للخليفة كيف قد ❊ طردوه عن مصر بجور وافترا

واذاقوه ذل السوال وفاته الى ❊ ابدى واذاهم بما قد قهرا

وكذا بنو اعمامه قد اخرجوا ❊ معه لاصطنبول واصدروا السرا

وكذا ابنا الملوك تغيبوا ❊ عند الخروج ولم يراعوا الا وترا

وكذا اعيان التجار وغيرهم ❊ ممن بمصر صار ومعوا نهرا

لهفى على الشرع الشريف وحكمه ❊ قد كان فى زمن القضاه موقرا

يالهف قلبى للشهود بمجلس ❊ كانوا بهم تقضى الحوايج للورى

الله اكبر انها لمصيبة وقعت ❊ بمصر ما لها مثل يرا

ولقد وقفت على تاريخ مضت ❊ لم يذكروا اجنها باعجب ما جرا

لهفى على عيش مصر قد خلت ❊ ايامه كالحلم ولى مدبرا

واتى من المنكر ما لا مخبر ❊ سمعت به اذنى ولا عينى ترا

وتوقف النيل السعيد عن الوفا ❊ فى هذه الايام اخر ساحرا

وتزايد الكرب العظيم لاجله ❊ حتى وفا وبه المنادى بشرا

قد كان هذا الانتقام بمصر ما ❊ سبقت به الاقدار كان مقدرا

ياليت شعرى بعد هذا كله ❊ تفنى الهموم ونحو نجحا ترى

يارب انا بالنبى المصطفى ❊ والانبيا الكل سادات الورى

فالك كشف الامور بسرعة ❊ واعف عن الاجرام عفوا واغفرا

قد جاد لابن اياس شعر قاله ❊ لكن منه النظم يحكى جوهرا

ثم الصلاة على النبى محمد ❊ والال والاصحاب ممن بشرا

ما ماس غصن فى الرياض وغردت ❊ اطياره عند النسيم اذا سرا

وفى شعبان المكرم كان مستهله يوم الاربعا ففى ذلك اليوم الشيخ انجم العرب احمد ابن بقر لما راى ان السلطان سليم شاة قبض على حسن بن مرعى شيخ عربان البحيره وسجنه بالبرج خاف على نفسه وخرج من القاهرة على حين غفلة وتوجه الى الجهات الشرقية

ولاقته العربان ولو تكاسل يوما واحدا لقبض عليه ابن عثمان وسجنه كما فعل بحسن بن مرعي
وفيه اشيع ان جماعة من العثمانية قتلوا اميرا من امرا ابن عثمان وهو نايم على فراشه وكان
صاحب صنجق ولم يعلم ما سبب ذلك وقيل قبضوا على من فعل ذلك من العثمانية وشنق
جماعة منهم بسبب ذلك وفيه اشيع ان السلطان سليم شاه بدا له ان يعزل يونس باشا
من نيابة السلطنة بمصر ويولي ملك الامرا خاير بك عوضا عنه لامر تدعو له ومن الحوادث
ان ابن عثمان لما سكن في بيت الاشرف قايتباي المطل على بركة الفيل فلما جرى الما في الخليج
الحاكمي امر بسد الخليج من عند قنطرة عمر شاه حتى تمتلي بركة الفيل بالمياه بسرعة وفي يوم
الجمعة ثالث شعبان اشيع ان ابن عثمان قوي عزمه على العود الى بلاده وخروجه من مصر
فعين شخصا من امرايه يقال له علي بك في ذلك اليوم وصحبته جماعة من العثمانية بسبب
اصلاح الابار في طريق غزه وتنظيف الطرقات من الوعر قبل خروج السلطان فلما
تحقق عسكره امر خروجه الى السفر اصطنبول شرعوا في عمل بيرقهم ومشترى زوادتهم
فارتجت لهم القاهرة بسبب ذلك وفي يوم السبت رابع شعبان وقعت حادثة مهولة
وهو ان سليم شاه قبض على جماعة من عسكره نحو اربعة وعشرين انسانا وقيل اكثر من
ذلك فلما قبض عليهم رسم بشنق جماعة منهم في اماكن مختلفة وكلب منهم اثنان على
زويله واثنان على باب الصاغة واثنان بين القصرين والبقيه عند جامع قوصون
وشي في الصليبة وشي في قناطر السباع واشيع ان سبب ذلك ان جماعة من الانكشارية
قصدوا ان يقتلوا ابن عثمان لما كان بالمقياس فاستدرك نفسه وتحول الى بيت السلطان
قايتباي الذي خلف حمام الفارقاني وصار يقبض على من كان سببا لاشاعة قتله
وفيه حضر الريس سلمان العثماني الذي كان قد توجه صحبة المراكب التي كان ارسلها
السلطان الغوري الى الهند وفيه اشيع ان الريس سلمان العثماني هو الذي اغرق حسين
نايب جده وكان بينهما عداوة من ايام الغوري فلما مات الغوري وظفر سلمان
بحسين قتله عما قيل ولما حضر الريس سلمان احضر صحبته جماعة من الافرنج الذي
كان اسرهم من بحر الهند ممن كان يعبث به ويقطع الطريق على مراكب التجار الذي يرد
من هناك واشيع ان الريس سلمان وحسين نايب جده كانا فتحا عدة بلاد بالهند
من بلاد الشيخ عامر وغنموا منها اموالا جزيله لا تحصى هم والعسكر الذين توجهوا
صحبتهما في ايام الغوري وهم من عسكر الطبقة الخامسة الذي كان جددها الغوري
في زمانه وفي يوم السبت ثاني عشر شعبان كان يوم النوروز وهو اول السنة القبطيه
سنة ثلاث وعشرين وتسعماية وفيه ان ابن عثمان ارسل الى خاير بك الذي قرره في نيابة
السلطنة صنجقا وتحقق انه نايب السلطنة بمصر عوضا عن يونس باشا وكان ابن
عثمان قرره في نيابة السلطنة قبل ذلك وفيه عرض ابن عثمان عسكره بالميدان الذي
تحت القلعة وهم لابسون الزرديات وفي ايديهم الرماح والاتراس واشيع سفره

اوايل

اوايل الشهر الى اصطنبول وفي يوم الثلاثا رابع عشره وقفت جماعة الوالي على ابواب
المدينة وصاروا يقبضون على من يلوح لهم من العوام ويقيدهم واذا قبضوا عليهم يضعونهم
في الحبال فصاروا يقبضون على الناس من شطوط بولاق ومن شطوط مصر العتيقة
وكذلك يقبضون على جمال السقايين بالروايا التي عليها فاضطربت احوال الناس وغلقت
الاسواق والدكاكين واختفت الناس في البيوت وكثر القال والقيل في ذلك فمن الناس
من يقول انهم يقبضوا عليهم بسبب انهم يمسكوا الخيول الجنايب اذا سافر ابن عثمان ومنهم
من يقول انهم قبضوا عليهم حتى يسافروا بهم الى اصطنبول في المراكب فحصل للناس الضرر
الشامل بسبب هذا واما سبب مسك جمال السقايين فانهم اشاعوا ان ابن عثمان اذا
خرج ياخذ معه جمال السقايين بالروايا الى ان يصل الى غزه فامتنعت السقايين من
الخروج في هذه الايام وعز وجود الما وضجت الناس لذلك فاقاموا على ذلك ثلاثة
ايام متواليه وفيه خرج الوالي الذي كان ابن عثمان قرره في ولاية القاهرة
فخرج وبرز الى الريدانيه الى ان يخرج ابن عثمان وفيه اشيع ان ابن عثمان اطلق الجماعة
الذي كان قبض عليهم من العوام والفلاحين والسوقة الذي كانوا اشيع عنهم انهم
يتوجهوا بهم الى اصطنبول وكانوا لما قبضوا عليهم يسجنوهم في اماكن متفرقة حتى يكون
من امرهم ما يكون ثم نادى في القاهرة بان لا احدا يشوش على احد من العوام ولا
من الفلاحين فسكن الاضطراب قليلا وفتحت الدكاكين في الاسواق وبطلت هذه
الحركة وفيه ان بعض وزرا ابن عثمان شفع عنده في اطلاق الناس الذي يسجنوهم
كما تقدم وفي يوم الجمعة سابع عشره توجه السلطان سليم شاه الى الجامع الازهر
وصلى به الجمعة وتصدق في ذلك اليوم بمال له صورة ثم شق من القاهرة في موكب
وكان ذلك اليوم اخر مواكبه في القاهرة ثم رجع الى المكان الذي اتى منه وفي يوم
الاثنين حادي عشرينه عرض السلطان سليم شاه كسوة الكعبة الشريفه وكسوة
الضريح النبوي وكسوة ضريح سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وصنع للمحمل الشريف
كسوة وقد تناهى في كسوة الكعبة بخلاف العادة وتناهى في زركشة البرقع الى الغاية
وكذلك في ثوب المحمل الشريف وما ابقى في ذلك ممكنا وفيه اطلق ملك الامرا
خاير بك نايب السلطنة جماعة كثيرة من المماليك الجراكسه الذي كانوا في سجن الديلم
اجمعين وكانوا نحو اربعة وخمسين مملوكا وقد راج امر المماليك الجراكسه قليلا وفي
يوم الاربعا ثاني عشرينه خرج القاضي محب الدين بن اجا كاتم السر سكن في بيته الذي
كان عند قنطرة سنقر الوزير يوسف البدري وفي يوم الخميس ثالث عشرين شعبان قيل انه
خرج وتوجه الى السفر سلطان مصر الملك المظفر سليم شاه ابن عثمان فخرج من بيت
السلطان قايتباي الذي خلف حمام الفارقاني وشق من على الصليبة وطلع الى الرميلة
فخرج في موكب حفل وقدامه ملك الامرا خاير بك نايب حلب وجان بردي الغزالي

نائب الشام وقدام العسكر طبلين وزمرين وعدة جنائب حربيه وكان راكبا على بغله صفرا اليه قيل انها من بغال السلطان الغوري كان يركبها في الاسفار وكان عليه قفطان مخمل احمر وقدامه جماعة من الوزرا منهم يونس باشاه والدفتدار وخلفه الوزراء الاربع والجم الكثير من عساكره ما بين مشاة وركابا فطلع من على الصور ونزل من على تربة الاشرف قايتباي ووقف هناك وقرا سورة الفاتحه واهداها اليه وكان قدامه جماعة كثيرة من الرماة بالنفوط الموعبه ثم شق من بين الترب الى تربة العادل التي بالنصا واستمر على ذلك حتى نزل بالوطاق الذي نصبه ببركة الحاج ولو شق من القاهرة لكان يوما مشهودا ولكن خرج على حين غفلة فلم يشعر به احد من الناس ولما خرج من بين الترب نشر عسكره فرقتان فرقة مرت من تحت الجبل الاحمر وفرقة من على تربة العادل ثم تلاقوا على بركة الحاج **فلما** وصل الى الوطاق لم ينزل به وتوجه على ظهر الى الخانقاه فنزل هناك ثم ان ابن عثمان لما خرج من مصر ترك بها من عسكره ممن يقيم بالقاهرة خمسة الاف فارس ومن الرماة بالبندق الرصاص خمسماية رامي وقرر من امرآيه شخصا يقال له خير الدين باشاه وجعله نائب القلعة فيقيم بها ولا ينزل الى المدينة

ومن العجائب ان مصر صارت نيابة بعد ما كان سلطان مصر اعظم السلاطين في سائر البلاد قاطبة لانه خادم الحرمين الشريفين وحاوي مصر الذي افتخر فرعون اللعين بها حيث قال اليس لي ملك مصر وقد تباهى بملك مصر على سائر الممالك من الدنيا ولكن ابن عثمان هتك حريم مصر وما خرج منها حتى غنم اموالها وقتل ابطالها ويتم اطفالها واسر رجالها وبدد احوالها واظهر اهوالها فلم يدخل اليها احد من الخوارج ولا انتظ ملكها احد ولا جرى عليها ما جرى الا ان كان في زمن بخت نصر البابلي فقد جرى عليها من ابن عثمان بعض ما جرى عليها من بخت نصر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد اشيع ان ابن عثمان خرج من مصر ومعه الف جمل محمل ما بين ذهب وفضه هذا خارج عما غنمه من التحف والسلاح والصيني والنحاس والكفت والخيول والبغال والجمال وغير ذلك حتى نقل منها الرخام الفاخر واخذ منها من كل شي احسنه ما لا فرح به اباه ولا اجداده من قبله ابدا وكذلك ما غنمه وزرايه من الاموال الجزيله وكذلك عسكره فانهم غنموا من الذهب ما لا يحصى وصار اقل ما فيهم اعظم من امير ماية ومقدم الف مما غنموه من مال وسلاح وخيول وغير ذلك فما رحلوا من الديار المصريه الا والناس في غاية البلية وفي مدة اقامة ابن عثمان بالقاهرة حصل لاهلها الضرر الشامل وبطل منها نحو خمسين صنعة وتعطلت منها اصحاب ولم تعمل بها في ايامه بمصر **وكانت مدة** اقامة ابن عثمان بمصر ثمانيه اشهر الا اياما قليلا ومن حين قتل السلطان الغوري واستولى على حلب فيكون مدة استيلاه على مصر والبلاد الشاميه والحلبية سنة وشهرا واحدا وهو مالك من الزاويه الى مصر الى الشام

ويخطب

ويخطب فيها باسمه وكذلك السكة على الذهب والفضه باسمه وكذلك ما حول العراقين وقد دعوه الله بذلك وفي مدة اقامة ابن عثمان بمصر لم يجلس قط في قلعة الجبل على سرير الملك جلوسا عاما ولا راه احد ولا انصف مظلوم من ظالم بل كان مشتغلا باللذة وسكره واقامته في المقياس بين الصبيان المرد ويجعل الحكم لوزرايه بما يختاروه وكان ابن عثمان لا يظهر الا عند سفك دما الجراكسه وما كان له امانا اذا اعطاه لاحد من الناس وليس له قول ولا فعل وكلامه ناقض ومنقوض لا يثبت على قول واحد كقول الملوك وعادتهم في افعالهم وليس له سماط يعرف ولا نظام كعادة السلاطين في سماطهم وكانت تجلس عليه الخاصكيه في كل يوم **واما** عسكره كانوا جيعانين العين نفوسهم قذره ياكلون الاكل وهم راكبون خيولهم في الاسواق وعندهم عفاشة في انفسهم زايده وقلة دين يتجاهرون بشرب الخمر في الاسواق بين الناس ولما جاهم شهر رمضان فكان غالبهم لا يصوم ولا يصلي في الجامع ولا صلاة الجمعة الا القليل منهم ولم يكن عندهم ادب ولا حشمة وليس لهم نظام يعرف لا هم ولا امراهم ولا وزرايهم وهم همج كالبهايم **فلما** خرج ابن عثمان من مصر رسم لابن السلطان الغوري بان يسافر معه فبرز سنجقه وخرج وسافر صحبته واشيع ان جان بردي الغزالي لما خرج مع ابن عثمان كان ادعى بنيابة الشام بل قيل انه ولاه نيابة طرابلس ونيابة صفد ونيابة غزه والرمله ولم يوله نيابة الشام فشق ذلك عليه ثم قرره في نيابة الشام وتوجه اليها صحبته **وفي يوم** السبت خامس عشر شعبان نادى خايربك بان المماليك الجراكسه يظهروا وعليهم امان الله تعالى فظهر منهم الجم الكثير وهم في سو حال في زي الفلاحين وعليهم زنوط قرع وبرد سود ومنضاف باكمام كبار فاذا راهم لا يفرق بينهم وبين الفلاحين **وفيه** وردت الاخبار بان ابن عثمان قد ورد الى بلبيس وحصل له توعك في جسده فارسل الى خايربك يطلب محفة فارسل له خايربك محفة الى بلبيس **وفي يوم** الاحد سادس عشرين شعبان طلع الامير السيفي خايربك من ملباي نائب السلطان بالديار المصرية الى قلعة الجبل فكان له موكب حفل وقدامه عدة جنائب بقواشي حرير اصفر وقدامه جماعة كثيرة من العثمانيه مشاة يرمون بالنفط وقدامه الجم الكثير من العثمانية فشق من الصليبة بعد طلوع الشمس وطلع القلعة واقام بها وصارت نيابة بعد ان كانت سلطنة وتقلبت الاحوال وكثرت الاهوال وقد قلت في خايربك لما تولى نيابة السلطنه شعرا وهو قولي هذه الابيات

مصر المحب في سرور عندما ● تولى النيابة خايربك
فلسان الحال عنها قايلا ● يا لمرى قد اتانا خيربك

فلما اقام خايربك بالقلعة اخلع على شخص من الاتراك يقال له كشيفا وقرره في ولاية القاهرة وهو مملوكه **وفيه** اخلع ملك الامرا خايربك على جماعة من المباشرين وقررهم

فى وظايف سنيه فاخلع على القاضى ناظر الجيش علاى الدين بن الامام وقرره كاتم السر
الشريف عوضا عن محمود بن اجا بحكم توجهه الى السفر وقرره ناظر الجيش ايضا عوضا
عن الشهابى احمد بن ناظر الخاص وابقى علا الدين فى نظارة الخاص ايضا مضاف لما بيده
من هذه الوظايف وقيل انه قرره فى نظر الكسوة الشريفه وجعله امير ركب المحمل ايضا
فصار بيده خمس وظايف سنية فتضاعفت عظمته فوق ما كان واخلع على الزينى بركات
ابن موسى وجعله مدبر المملكة وناظر الحسبة الشريفه وغير ذلك من الوظايف وتزايدت
عظمته واجتمعت الكلمة فيه وصار عزيز مصر فى هذه الايام المتاخره فتوجه الناس الى بابه
لقضا حوايجها وصار هو حاكم البلد وقد قلت فيه هذه الابيات

يا نجل موسى عد بالبركات ۞ فى اعلا المراتب حيث كنت وازيدا

قد كان قطعا زال عنك ولم تزل ۞ فى السعد عالا على رغم العدا

واخلع على الشهابى احمد بن الجيعان وجعله نايب كاتم السر على عادته ورسم له بان
يتوجه الى مكه من البحر المالح وكسوة الكعبة بصحبته واخلع على القاضى شرف الدين
الصغير وقرره متحدثا فى ديوان الوزاره واخلع على فخر الشرفى يونس النابلسى وقرره
استدار العاليه وصاحب الديوان المفرد واخلع على فخر الدين واخيه شمس الدين كاتب
المماليك على عادتهم وقررها فى التحدث على جهات الذخيرة واخلع على عبد العظيم الصيرفى
وقرره فى استدارية الشمسير وغير ذلك من الوظايف فنزلوا من القلعة وهم بالشاشات
المحمل عوضا عن الخلع فاخلع على هولا الجماعة فى يوم واحد وهذا اول تصرف خاير بك
فى احوال المملكه **وفيه** اشيع ان قد عقد لخاير بك على خوند مصرباى زوجة السلطان
قانصوه **وفيه** ظهر الزينى ابو بكر بن الملكى وكان له مدة وهو مختفى فلما ظهر اخلع
عليه خاير بك فقطان مخمل وقرره فى استيفا الجيش على عادته **وفى يوم** الثلاثا ثامن
عشرين شهر شعبان حضر الامير قايتباى الذى كان نايب الكرك وكان توجه الى ابن عثمان
ارسله خاير بك بمطالعة من عنده الى ابن عثمان لاجل ان جماعة من عسكره الانكشارية
ثاروا على خاير بك وقالوا له رتب لنا جامكيه كما كانت تاخذ المماليك الجراكسه
واجمل النايم وعليق مثل الجراكسه فغالطهم حتى ارسل اطالع استاذكم بذلك فارسل
الامير قايتباى نايب الكرك الى ابن عثمان لما دخل بسبب ذلك **وفيه** حضر قايتباى
ما اعلم بما ذا جات الاخبار عن ابن عثمان عن تلك المطالعة التى ارسلها بسبب الانكشارية
كما تقدم فلما حضر قايتباى اشيع ان ابن عثمان لما دخل الى الخطاره قتل يونس باشاه
وقطع راسه ولا يعلم ما سبب ذلك وكان يونس باشاه اعظم وزرايه وكان لطيف
الذات وعنده رفق وحاشية بخلاف طبع الترك وكان قرره اولا فى ان يكون نايبا عنه
بمصر ثم رجع عن ذلك وقرر خاير بك فى النيابه وكان يونس باشاه متغربا عند
ابن عثمان الى الغاية بخلاف بقية الوزرا وقيل ان يونس باشاه هو الذى كان سببا

لولاية

لولاية سليم شاة على مملكة الروم دون اخوته نفيى فى ذلك حتى ولاه الروم ولكن
سليم شاة بن عثمان ليس له صاحب ولا صديق ولا امان لاحد من وزرايه ولا من
عسكره ومن طبعه الهوج والخفه ويحب سفك الدما ولو كان على ولده وقيل انه قتل
اباه واخوته لاجل مملكة الروم واخر الامر قتل يونس باشاه لكونه انه صار له عليه
يد قديمه وكان يونس باشاه يظن انه يرعى له الود القديم فكان كما قيل فى المعنى

ربما يرجو الفتى نفع فتى ۞ خوفه اولى به من امله

رب من ترجو به دفع الاذى ۞ سوف ياتيك الاذى من قبله

فلما اشيع قتل يونس باشاه اضطربت القاهرة وغلقت ابواب المدينه من بعد العصر
وخشوا من هجمة العربان على المدينه ثم سكن ذلك الاضطراب قليلا **وفى شهر رمضان**
المعظم قدره كان مستهله يوم الخميس فلما كانت ليلة الرويا ركب الزينى بركات بن
موسى المحتسب من الدور وسط المنصور به وقدامه الفوانيس موقوده والمشاعل على عادته
وكان له موكب حافل فلما كانت صبيحة شهر رمضان اخلع ملك الامرا خاير بك على القاضى
شرف الدين الصغير وابن موسى فقط بان تخلع كما هى عادتهم فى اول شهر رمضان ونادى
فى القاهرة بان لا احد يحتمى على الزينى بركات بن موسى ناظر الحسبة الشريفه **وفى يوم**
الخميس مستهل الشهر اخلع ملك الامرا خاير بك على الامير قايتباى الشهير بنايب الكرك
وقرره فى الدوادارية وكانت شاغرة من حين مات الامير علان الدوادار **وفى يوم**
الخميس ثامن شهر رمضان طلعت الى القلعة خوند مصرباى وقد تقدم القول ان خاير
بك قد تزوج بها وطلعت الى القلعة فى ذلك اليوم قبل شروق الشمس وصحبتها نسا
كثيرة من نسا الاعيان وهى على مكاريه **وفى يوم** الجمعة تاسع الشهر اشهر والى القاهرة
اربع نسوة وهن على حمير ووجوههن ملطخة بالسواد **قيل** كانوا يجمعوا عندهم جماعة
من الترك فى رمضان ويعرصوا عليهم مع النسا الاجانب فعزروا عليهن حتى اشهروهن
وفى يوم السبت عاشره ظهر الامير قانصوه العادلى الذى كان كاشف الشرقيه وقد
ارسل اليه ملك الامرا خاير بك منديل الامان وصحبته جماعة من المماليك الجراكسه فلما
ان طلع الى القلعة وقابل خاير بك اخلع عليه قفطان مخمل ونزل سكن فى بيت الامير
قانصوه جركس الذى فى حارة السقايين واشيع ظهور جماعة من الامرا العشراوات
وفيه قابل شيخ العرب احمد بن بقر واخلع عليه وعلى ولده بيبرس وقد التزما باصلاح
جهات الشرقيه ولم يتم ذلك واستمرت احوال الشرقيه فى غاية الفساد من ابن بقر
واخوته **وفى يوم** الاثنين ثانى عشر رمضان كان اول بابه من الشهور القبطيه فيه ثبت
النيل المبارك على اربعة عشر اصبعا من تسعة عشر ذراعا واستمر فى ثبات الى ايام
بابه لكن شرق غالب بلاد الصعيد واكثر البلاد المطلوبه وهى البلاد التى لا تروى الا
من عشرين ذراعا وكان نيلا شحيحا من اوله الى اخره **وفيه** ظهر ابو البقا ناظر الاسطبل

وكان مختفيا فلما ظهر البسه خاير بك قفطان مخمل واقره على عادته متحدث على جهات
الاسطبل الخاص **وفي يوم الاثنين** المقدم ذكره عرض ملك الامرا خاير بك كسوة الكعبة
الشريفة والبرقع الشريف ومقام ابراهيم عليه السلام وكسوة لضريح النبي صلى الله عليه
وسلم ستور وكسوة لضريح ابراهيم الخليل عليه السلام وعمل من قبل ابن عثمان وقد تناهوا
في زركش البرقع ونسج الكسوة بخلاف العادة الى الغاية فشقوا من القاهرة وقدامهم
الاعيان من المباشرين وجم الكثير من الناس العثمانية ومن الرماة جماعة كثيرة يرمون
بالنفط فشقوا من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا فلما طلعوا الى القلعة عرضوا على
خاير بك نايب السلطنة ثم رجعوا ثانيا من حيث جاوا **وفي يوم** الاربعا رابع عشر رمضان
نادى ملك الامرا خاير بك بان المماليك الجراكسة الذين ظهروا بمصر يركبون الخيل ويتقلدون
السلاح وكان قبل ذلك نادى في القاهرة لتجار النشو بانهم لا يبيعون على المماليك الجراكسة
شيا من آلة السلاح فشق ذلك على العثمانية ووقفوا لخاير بك في الحوش وكلموه وارادوا
معه فتح باب الشر فقالوا له نحن ما يكفينا هذا القدر الذي رتبتوه لنا وهو ثلاثة
انصاف في كل يوم وكل شي في السوق غالي ثم قالوا له رتب لنا جوامك في كل شهر
القبين ولحم وعليق ورزق علينا اقطاعات مثل ما كانت المماليك الجراكسة واغلظوا
عليه في القول فقال لهم انا سلطان حتى ارزق عليكم الاقطاعات واجعل لكم الجوامك
واللحوم والعليق فلما سمعوا ذلك منه سبوه سبا قبيحا وهموا بقتله فقام ودخل
البيت مسرعا واغلق عليه الباب فوقع في ذلك بعض اضطراب بالقلعة وكادت
ان تكون فتنة عظيمة ونادوا على خير الدين الذي جعله نايب السلطنة فاغلق باب
القلعة واختفى واشيع ان خاير بك ارسل الى ابن عثمان ساعي يخبره بما وقع من امر
هذه الحركة وعول خاير بك على رد الجواب عن ذلك **وفي يوم** الاحد ثامن عشر
رمضان نادوا في القاهرة بان المماليك الجراكسة الذين ظهروا يلبسوا الزنوط الحمر
والملاليط على عادتهم ولا يتزيوا بزي العثمانية ويخرجوا الى الطرقات واشيع ان
ثم جماعة من الجراكسة يتزيوا بزي العثمانية ويخرجوا الى الطرقات ويخطفوا القماش
التي تمر بهم ويخطفوا العمايم في جهة العثمانية فنادى خاير بك بان المماليك
الجراكسة يلبسوا الزنوط الحمر والملاليط حتى يتميزوا عن العثمانية وقد صارت
الجراكسة يلبسون القفاطين والعمايم مثل العثمانية ويخطفوا عمايم الناس وما يلوح
لهم من البضايع وغيرها **وفي يوم** الاثنين تاسع شهر رمضان فيه خرج الشهابي احمد
ابن الجيعان نايب كاتب السر ومصلح الدين خازندار ابن عثمان وخرج صحبتهما كسوة
الكعبة الشريفة وهي محزومة محملة على الجمال واشيع انهما يتوجهان من البحر المالح
الى جدة الى مكة المشرفة فكان لهما في القاهرة موكب حفل وكان ذلك اليوم مشهودا
وخرج صحبتهما نحو الفين عثماني وقدامهم طبلين وزمرين ورماة بالنفط وركب

قدامها

قدامها الامير كايتباي الدوادار الكبير واعيان جماعة من المباشرين فلما خرجوا من القاهرة
رجعوا فخرجوا من باب النصر وتوجهوا الى الوطاق بالريدانية **وفي ذلك** اليوم ثارت
جماعة من العثمانية على الزيني بركات بن موسى المحتسب بسبب الفلوس الجدد فان
ابن عثمان ضرب فلوس جدد وجعل فيها اسمه ورسم للسوقة ونادى لهم بان يصرف
كل ستة عشر جديدا بنصف فضة معاددة وكانت هذه الفلوس في غاية الخفة
فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك ووقف حال الناس وغلقت الدكاكين فلما
جرى ذلك نادى الزيني بركات ابن موسى بان النصف الفضة يصرف باربعة وعشرين
جديدا ليصرف الدرهم الفلوس من الدرهمين في المعاملة فثارت العثمانية على
ابن موسى وقالوا له سليم شاه ما مات حتى تبطل من مصر معاملته وهو
يضربه فنادى في ذلك اليوم كل شي على حاله في امر الفلوس الجدد بان يصرف
النصف الفضة بستة عشر جديدا كما كان اولا فاغلقت السوقة دكاكينهم ودفنوا
البضايع ووقع في القاهرة بعض اضطراب واشيع ان خاير بك نايب السلطنة
صنع من الخوازيق الحديد عدة وانه بعد العيد يخوزق ويشنق جماعة من السوقة
على باب القاهرة فلما اشيع ذلك خافت السوقة وفتحت الدكاكين ومشي امر
النصف بستة عشر جديدا كما كان في الاول **وفي يوم** الثلاثا عشرين شهر رمضان
نزل ملك الامرا خاير بك من القلعة وتوجه الى تربة العادل ليودع مصلح الدين
والشهابي احمد بن الجيعان فودعهما ورجع ودخل من باب النصر وشق من القاهرة
في موكب حفل وقدامه نحو الفين من العثمانية وجماعة مشاة يرمون بالنفط قدامه
وزجت له القاهرة في ذلك اليوم وارتفعت له الاصوات بالدعا من الناس قاطبة
وهذا اول موكبه بالقاهرة من حين تولى نيابة السلطنة **وفي يوم** الخميس ثاني عشرينه
نزل ملك الامرا من القلعة ثانيا وتوجه الى باب الشعرية وزار الشيخ عبد القادر
الدشطوطي وجلس عنده ساعة فقيل ان الشيخ عبد القادر قال له اوصوا بالرعية
فانك تسال عن ذلك يوم القيامة فبكى خاير بك وباس يده وخرج من عنده وعاد
الى القلعة من يومه **وفي يوم** السبت رابع عشرين شهر رمضان فيه ظهر الامير ازدمر
الناشف احد الامرا المقدمين فلما طلع الى القلعة وقابل ملك الامرا خاير بك فطلع
ومنديل الامان على راسه فقام له خاير بك واعتنقه واجلسه بين يديه وكان لما
طلع الى القلعة كان لابسا زي العرب وعليه زنط وشاش وملوطه باكمام فالبسه
خاير بك قفطان مخمل بتماسيح والبسه عمامة عثمانية وكان لما قابل طلع معه ستة
انفار ما بين امرا عشراوات وخاصكية فاخلع عليهم قفاطين مخمل ونزلوا من القلعة
الى اماكنهم عند الظهر **وفي يوم** الاربعا ثامن عشرين شهر رمضان ختم صحيح البخاري بالقلعة
وحضر ملك الامرا خاير بك والقضاة الاربعة وجماعة من اعيان العلما والفقها واعيان

المباشرين فلما انفض المجلس اخلع خاير بك على القضاة قناطين جوخ ازرق بوجه
صوف دنوق على النتها والعلما صرر فيها دراهم وكان ختما حفلا وشتان ما بين هذا
الختم وما كان يعمل في زمن السلاطين الماضيه مثل هذا اليوم ولما سافر سليم شاه بن
عثمان وخرج من مصر استمرت الخطبة والسكة عماله في مصر باسمه فكان ساير الخطبا
يدعوا في يوم الجمعة باسمه وتقول اللهم انصر السلطان الملك المظفر سليم شاه وكذلك
اسمه على الدنانير والدراهم والفلوس الجدد واستمر ذلك عمالا بعد خروج ابن عثمان
الى الآن وفي شهر شوال كان مستهل الشهر يوم السبت فطلع القضاة الاربعة وجماعة
من اعيان المباشرين فخرج ملك الامرا خاير بك وصلى صلاة العيد بجامع القلعة ثم انه
مد مدة حفله لجماعة من العثمانيه فنزلوا على ذلك السماط مثل الصقوره فلم يبقوا اثر
الطعام ولم يفضل لغلمان القلعة شياء وكان خاير بك يظن ان الكرا الجراكسه الذين
ظهروا والخاصكية يطلعوا ويحضروا المدة فلم يطلع له احد منهم ولا دخل فيها انها
مكيدة وحيلة فلم يطلعوا وكان هذا العيد وهذا اليوم في غاية الجمود في كل شي وفي هذا
العيد لم يخلع خاير بك على احد من نقباء القضاة ولا احد من المباشرين قاطبة وفي يوم
الثلاثا حادي عشره نزل ملك الامرا خاير بك من القلعة وتوجه الى نحو البرير على
سبيل النزه ونصب له خيام واراد ان يبات على شاطي النيل واحضر جماعة ممن
يتقلون السمك وقصد ان ينشرح في ذلك اليوم هناك فصنع له السيد نقيب
الاشراف مدة حافله واحضرها له هناك فخرج عليها جماعة من العثمانيه في اثنا الطريق
فخطفوا ذلك الاكل من على روس الحمالين فلما بلغ خاير بك ذلك تنكد من العثمانيه
بسبب هذه الفعله ولم يكن له عند العثمانيه حرمة ولا وقار ولا مراعاة له في ساير
الاحوال وفي ذلك اليوم فتح البرير بحضرة خاير بك واحضر جماعة من الصيادين
في مراكب ومعهم اسماك كثيرة فصارت الفلاحين تقلي من ذلك الاسماك وتطعم
العسكر الذي اتوا صحبته وانشرح في ذلك اليوم الى الغاية واقام هناك الى بعد العصر
ثم نزل في مركب وشق من على الروضة وطلع من بر مصر الى القلعة وفي ذلك اليوم اشيع
ان السلطان سليم شاه ابن عثمان ارسل بكتب مطالعة الى خاير بك على يد ساعي فكان من
مضمونها انه وصل الى الشام ودخل اليها وزينت له لما دخلها ومن مضمون تلك
المطالعة ان ابن عثمان ارسل يطلب من خاير بك اربعين الف اردب شعير وقمح يرسلها
له في مراكب من البحر المالح الى الشام فالزم خاير بك المباشرين بذلك فاخذوا في اسباب
ذلك القمح والشعير حتى يرسلوها اليه من البحر وفي اثنا هذا الشهر وردت الاخبار
من عند الجماعة الذين خرجوا من مصر وتوجهوا الى اصطنبول واخبروا في كتبهم بان مركبا
من المراكب الذي توجهوا قد غرقت في البحر المالح وغرق للناس فيها جملة مال وغرق
فيها اربعماية انسان وفيها جماعة من الاعيان الذين خرجوا من مصر ولكن لم يثبت

الى الآن

الى الآن اسما من غرق فيها من الاعيان وقد اشيع ان فيها بيبردي من كسباي احد الامرا
المقدمين بين العشرات الذي كان باش المجاورين وحضر صحبة ابن الشريف بركات امير مكة
وقد تقدم القول على ذلك وكان بتلك المركب قراكز الحكيمي وابن نوبة عصاه الذي كان
محتسبا بمكة وكان بها نحو اربعين مملوكا الذي كانوا صحبة باش المجاورين بمكة وكان
بتلك المركب محمد بن ابراهيم الشرابيشي الذي كان ناظر الاوقاف المتعلقة بالزماميه في
ايام السلطان الغوري وكان بها غير هولا جماعة كثيرة من الناس فاشيع غرقهم اجمعين
وكان لم يتأكد القول بذلك الى الآن واشيع غرق جماعة من البردادية الذي كانوا خرجوا
من مصر ليتوجهوا الى اصطنبول واشيع ان الطاعون عمالا باصطنبول وبها الوخم والغلا
وهذا ما اشيع والله اعلم بصحة ذلك وفي يوم السبت خامس عشر شوال حضر امير من عند
ابن عثمان من الشام يقال له الامير على خيل هو الذي كان واليا بالقاهرة لما كان بها ابن عثمان
فخرج الامير قايتباي الدوادار الى ملاقاته ودخل من باب النصر وحضر صحبته جماعة
كثيرة من العثمانيه وحضر صحبته جماعة كثيرة من العثمانيه ايضا جماعة من المماليك
المتعلقه بملك الامرا خاير بك الذي كانوا بحلب قيل انهم ثلثمائة مملوك فانزلوا هذا
القاصد في بيت الاتابكي سودون العجمي الذي كان في قنطرة سنقر فلم يعجبه هذه الاشاغر [?]
وانزلوه في مكان غير ذلك المكان الذي ذكروه فاخبر هذا القاصد بان ابن عثمان
دخل الشام وهو مقيم بها وقيل يشتي هناك وان اهل الشام مع عسكره في غاية الضنك
وطردوهم من بيوتهم وسكنوا بها وحصل منهم لاهل الشام غاية الضرر الشامل اكثر
ما حصل لاهل مصر واخبر ان الغلا بالشام حتى بلغ ثمن العليقه الواحدة ستة انصاف
ولا توجد واختلف الاقوال في مجي هذا القاصد فمن الناس من يقول جا بسبب استعجال
هذا الغلل الذي ارسل يطلبه ابن عثمان ومن الناس من يقول ان ابن عثمان ولاه نيابة
اسكندريه وقيل جا بسبب غير ذلك والاقوال في ذلك كثيرة وفي يوم الاحد سادس
عشره نزل ملك الامرا خاير بك من القلعة وتوجه الى المنشية المهراني بسبب وسق المراكب
بالغلل الذي ارسل يطلبه ابن عثمان فقيل جهز من الغلل نحو ثلاثين الف اردب قمح وشعير
وقيل اكثر من ذلك وفي يوم الاثنين سابع عشر شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة ولم
يحمل زايد وكان امير ركب المحمل في تلك السنة القاضي علا الدين بن الامام ناظر الخاص
الذي قرر في كتابة السر كما تقدم وقد خرج الحاج في هذه السنة قليل جدا خوفا من فساد
العربان في الطريق فان في السنة الماضية في دولة الاشرف طومان باي لم يخرج المحمل
من القاهرة ولم يخرج فيها احد من الناس ولما خرج القاضي ناظر الخاص طلب طلبا حربيا
يشتمل على اربعة نوب هجن باكوار مخمل وبعض خيول جنايب عليها بركستوانات فولاد
وفي جملتها بغل بقش زركش وثلاث خوانى باغشيها حرير اصفر ومحفة جوخ ازرق وقدامه
طبلين وزمرين من غير صنجق وقد احتفل بعمل سنجق حفل بسبب من خرج معه من العثمانيه

وفى هذه السنة ولما اشتق من القاهرة كان قدامه الامير قايتباى الدوادار والامير ازدمر
الكاشف احد الامرا المقدمين الالوف الذى ظهر عن قريب والامير قانصوه العادلى
الذى كان كاشف الشرقيه وكان قدامه جماعة من امرا ابن عثمان ومن عسكره وركب
قدامه سائر الاعيان من المباشرين من كبير وصغير ثم اتى بعده المحمل وقدامه القضاه الاربع
على العاده وكان ممن حج فى هذه السنة من الاعيان قاضى القضاه محيى الدين المالكى وهو
ابن الدميرى فالبسه خايربك قفطان مخمل مزهر وقرره قاضى المحمل وحج اخرون
من الاعيان ما يحضرنى اسماهم الآن وقد جدد ابن عثمان كسوة المحمل فى هذه السنة
وصنع له كسوة فاخرة كلها زركش وكتب عليها اسمه ولما اشقوا من القاهرة كان
لهم يوم مشهود على العادة القديمه وهذا ما كان من ملخص خروج المحمل فى ذلك اليوم
وفى يوم السبت عشرينه اخلع ملك الامرا خايربك على قانصوه العادلى قفطان مخمل
تماسيح وقرره كاشف الشرقيه كما كان اولا وفى يوم الاحد ثالث عشرينه قبض الوالى على
جماعة من العثمانيه اشيع انهم يخطفوا العمايم ويعروا الناس فى الطرقات ويخطفوا
النسا والصبيان المرد وانهم تزايد منهم الفساد فلما قبض عليهم رسم سنان باشاه احد
امرا ابن عثمان ان يشنقوا على باب زويله وواحد على باب الشعريه واما الاثنان
فقد شنق بها من الشنق فى ذلك اليوم شيخنا وكانت العثمانيه الذى بمصر كثير منهم
الاذى فى حق اهل مصر من جهة رحل ابن عثمان عنهم وصاروا لا يحتمون لخايربك ولا
ولا الله عليه حرمة وفى يوم الاثنين رابع عشرين شوال توجهت المماليك الجراكسه
الى بيت الامير قايتباى الدوادار بسبب انه اوعد المماليك انهم لم يصرف لهم جوامك
فى ذلك اليوم فطلع الى القلعة واجتمع بملك الامرا خايربك واقام بالقلعة الى قريب
الظهر والمماليك الجراكسه فى انتظاره على بابه فلما نزل قال لهم يا اغاوات شاورت
ملك الامرا من امركم فقال حتى يجمع المال وتنفق عليهم الجوامك ولم يواعدهم على يوم
معين فرجعوا من عنده بغير طايل وقد صارت المماليك الجراكسه فى غاية الذل من الفقر
والعرى ومنهم من سال الناس فى رغيف يتقنات به ومنهم من يطوف فى الاسواق ببال
التجار والسوقه فى درهم يشترى به كبشة فول يا كلها فسبحان من يعز ويذل وصاروا
يمشون فى الاسواق لا خيول لهم ولا قماش ولا سلاح ولا بيوت تاويهم ولا اسطبلات
ولا عبيد ولا غلمان وقد نظر الله تعالى اليهم بعين المقت جزا بما كانوا يعملونه وفى يوم
الاحد كان مستهل القعده الحرام فطلع القضاه الاربع الى القلعة وهنوا ملك الامرا
خايربك نايب السلطنه بالشهر ثم عادوا الى بيوتهم وفى يوم الخميس خامسه اخلع ملك
الامرا خايربك على يوسف البدرى واعاده الى الوزاره كما كان اولا فاخلع عليه قفطان
مخمل وقد صارت الامرا الجراكسه الذى ظهروا كلهم بقفطانات مخمل وشى بقفطانات
جوخ وطواطير جوخ اسود وعليهم عمايم مدوره وفى ارجلهم سقمانات جلد فزى

العثمانيه

العثمانيه فصارت الامرا الجراكسه والمماليك السلطانيه كلهم على هذه الهيئة واختلطوا العثمانيه
مع الجراكسه حتى صاروا لا يعرف هذا من هذا والكل بقفطانات مخمل وسقمانات جلد
وطواطير جوخ اسود وعليهم عمايم وصارت المماليك الجراكسه تعرف بدقونهم والعثمانيه
بغير دقون وقد قلت فى المعنى موال

امشى مع الدهر ما امكنك يا غلطان ۰ واخلع ثياب الموكب وابتع السلطان
فى لبس سقمان او طرطور او قفطان ۰ وكن مع القوم فى الملبوس والاوطان

وفى يوم الاحد ثامن الشهر نزل ملك الامرا خايربك من القلعة باكر النهار وتوجه الى نحو
تربة الامير يشبك الدوادار التى على الخلفه بالمطريه واقام هناك الى اخر النهار ومد
فى ذلك اليوم مدة حافلة واهدت اليه جماعة من المباشرين عدة حمالين عليها مجامع
حلوى ومشنات فاكهة وحمالين عليها سكر وخراف شوى واقفاص اوز ودجاج وغير
ذلك اشيا فاخرة وكان ذلك اليوم سلطانى ومن الحوادث فى ذلك ان بعد العصر
نزل جماعة من العربان من نحو الجبل الاحمر بالقرب من سبيل علان فقطعوا الطريق على جماعة
من الفلاحين معهم جمال محمله قمح وبطيخ واخذوا منهم نحو اربعين جملا وذهبوا بهم الى الجبل
وصفوا بهم ولم ينتطح فيها شاتان فلما بلغ ملك الامرا ذلك تنكد غاية النكد بسبب
ذلك فلما ذهبت العرب بالجمال اتت الفلاحين الى بين يدى خايربك واستغاثوا
به وبكوا فنام من وقته وهو متنكد وطلع الى القلعة بعد العصر ولم يطلع من بيتى
بيبرشى فى رد الجمال من ايد العرب الى اصحابها وفى يوم الثلاثا عاشر ذى القعده
حضر الى الابواب الشريفه شيخ العرب عبد الدايم بن شيخ العرب احمد بن بقر شيخ عربان
الشرقيه وقد حضر بالامان من خايربك وكان ارسل له منديل الامان على يد الامير
قانصوه العادلى كاشف الشرقيه فلما توجه اليه صار يتلطف به فى الكلام ولا زال عليه
حتى اطاع وحضر صحبته وكان عبد الدايم عاصيا على السلطنه من ايام السلطان الغورى
لم يدخل تحت طاعة ثم عصى على ابن عثمان فلما ارسل اليه خايربك قانصوه العادلى بالامان
حضر وقابل خايربك وقدامه تقدمه ما بين خيول وجمال واغنام فلما مثل بين يدى
خايربك اخلع عليه قفطان مخمل مزهر ونزل من القلعة فى موكب حفل وقدامه رايات
زعفران وكان عبد الدايم هذا من اكبر اسباب الفساد فى الشرقيه فاخرب غالب بلاد
الشرقيه ونهب اموالها وقطع الطريق على الاقفال الوارده من الشام فى فتنة ابن عثمان
واخذ ما لا يحصى من اموال التجار وقتل جماعة من المماليك السلطانيه واخذ ما كان معهم
من الخيول والسلاح وكذلك الامرا لما دقت عليهم الكسرة فى الريدانيه وتنقوا فى بلاد
الشرقيه فصار ياخذ منهم الثياب والسلاح والخيول وغير ذلك وفرح باموال وتحف
ما لا فرح به اباه ولا اجداده وقد غنم اموال التجار واموال العسكر من المماليك الجراكسه
وغيرها من اموال المنقطعين من البلاد وعمل من المفاسد فى الشرقيه ما لا يحيم بمثلها وفى يوم

الخميس تاسع عشر ذى القعدة وقع فى القاهرة اضطراب عظيم وغلقت ابواب المدينة
قاطبة حتى غلقت ابواب الدروب والخوخ واقامت الابواب مغلوقة الى ضحوة نهار
ثم فتحت بعد ذلك واشيع ان حسن بن مرعى شيخ عربان البحيرة الذى كان سببا لمسك
السلطان طومان باى قد تحيل عليه السلطان سليم شاة بن عثمان حتى قبض عليه وقيده بقيدين
واودعه فى الاعتقال فى طبقة عند باب القلعة ووكل به جماعة من العثمانيه يحفظونه
فاقام على ذلك مدة وتحايل وبرد القيد بمبرد حديد وتدلى بحبل من السور الذى
بالقلعة وهرب بعد العشا من القلعة فلما بلغ ملك الامرا هروب حسن بن مرعى وقاز
بذلك وفيه وردت اخبار من الشام بان لما اقام بها ابن عثمان وقع بها فى تلك الايام وخم
عظيم ومات فيه من عسكر ابن عثمان جماعة كثيرة من ذلك الوخم واشيع بموت حليم
جلبى نديم ابن عثمان ونديمه واشيع موت اخو حليم جلبى ايضا ومات من امرائه
جماعة كثيرة وان وقع بالشام غلا عظيم حتى وصلت كل عليقة الى خمسة انصاف ووصل
سعر الرغيف الخبز نصف فضة وان عسكره تقلق من الغلا والوخم وقد نزلوا عنه فى
الضياع والجبال واشيع ان عسكر ابن عثمان اخرب غيطان الشام ونهب الفواكه من
على الاشجار ورعت خيولهم فى الغيطان واكلوا اوراق الاشجار وطردوا الناس عن
بيوتهم وسكنوا بها واخربوا غالب بيوت الشام وحصل منهم لاهل الشام غاية الضرر
اكثر ما حصل منهم فى حق اهل مصر من الفساد بها ومن الحوادث الشنيعة ما وقع فى هذا
الشهر ان جماعة من المباشرين بالديوان المفرد منهم يونس النابلسى الاستادار وفخر
الدين واخيه اولاد بن عوض وبركات اخو شرف الدين الصغير واخيه شرف الدين
وابو بكر بن الملكى مستوفى ديوان الجيش وبركات ابن موسى وعلا الدين ناظر الخاص
وعبد العظيم استادار الشعير فهولا السبعة الرهط الذين يفسدون ولا يصلحون قد اتفقوا
على اخذ اموال المسلمين فاستباحوا اموالهم ودماهم وما ذاك الا ان غالب البلاد قد شرقت
فى هذه السنة بسبب خفة النيل وشراقى الاراضى وكانت المباشرين التزموا بتعليق المال
الذى فى البلاد فلما حصل هذا الشراقى ضربوا مشورة فى بعضهم وقالوا نحن فى العام الماضى
اوقفنا اقطاعات اولاد الناس الذى بالمناشير واخذنا خراجهم فى هذه السنة اوقفوا
الرزق التى بالمربعات الجيشية ونضع ايدينا على خراجها فى هذه السنة فى نظير شراقى
البلاد فطلعوا الى ملك الامرا خاير بك وعرضوا عليه ذلك وحسنوا له عبارة فى استخراج
خراج الرزق فى هذه السنة فى نظير الشراقى فقال لهم اتركوا افعلوا ذلك فنزلوا فى عنفا
واطلقوا فى الناس النار وارسلوا العمال بالمراسيم الى البلاد ليستخرجوا منها الاموال
من الرزق الذى بالمربعات قاطبة حتى الرزق الاحباسية هكذا اشاعوا بين الناس
ولو كانت الرزق فدانا بمربعة شريفة فضجت اولاد الناس والنسا من هذه الحادثة
المهولة وحصل الضرر الشامل للارامل مع الايتام والله سبحانه وتعالى لا يغفل ولا ينام

وصاروا

وصاروا يسالون الاستادار بمال يدفعونه له حتى يفرج عن رزقهم ولا يبقى لهم حاجة
ثم ان فخر الدين عوض استدرج من الرزق الى خراج بلاد الاوقاف الذى كانت بالمكاتيب
الشرعية فصار يستخرج خراج الاوقاف ويا كلها على اصحابها غصبا على انفهم فحصل للناس
فى هذه الحركة الضرر الشامل وقد اشتد الامر على الناس فى هذه الحركة وكل هذا من المباشرين
واذاهم فى حق المسلمين كما قيل فى المعنى موالا

كان ابن عثمان مذ جا مصر مثل الضيف ۞ رحل وولى علينا كل صاحب حيف
مباشرين يجوروا فى الشتا وفى الصيف ۞ اطراف اقلامهم تفعل فعال السيف

وفى يوم الاحد ثانى عشرين ذى القعدة خرج الامير قايتباى الدوادار وعدى الى بر الجيزه
وخرج صحبته جماعة كثيرة من العثمانيه ومعهم مكاحل نحاس ومدافع على عجل وقد اشيع
ان عدة قبايل العربان نزلوا على الجزيرة فافتتنوا مع العرب وتقاتلوا مع عرب عزاله وحصل
منهم غاية الفساد فخرج الامير يوسف قايتباى وصحبته نحو بريه وعسكر من الجراكسه بسبب
العربان وطردهم عن البلاد فخرج واقام فى بر الجيزه الى ان تتكامل العسكر وفى يوم
الاثنين ثالث عشرينه اجتمعت المماليك الجراكسه فى بيت الامير قايتباى الدوادار
وهو بيت الاتابكى قرقماس الذى عند حوض العظام واجتمع القاضى شرف الدين الصغير
كاتب المماليك ولم يكن الامير قايتباى الدوادار حاضرا بل حضر اخوه جان بلاط
ونفقوا على المماليك الجراكسه لكل واحد منهم الفين درهم وصاروا يفرقونهم طبقة
بعد طبقة فنفقوا عليهم يوم الاثنين ويوم الثلاثا رابع عشرينه ونفقوا يوم الاربعا ويوم
الخميس ايضا وقد ظهر من المماليك الجراكسه الجم الكثير نحو الخمسة الاف مملوك وقد
كانوا متوزعين فى البلاد عند الفلاحين واخرين قد اختفوا فى البيوت والحارات حتى خمدت
الفتنة ثم ظهروا بعد ذلك وفى يوم الخميس سادس عشرينه اشيع ان الامير قايتباى
الدوادار لما توجه الى بر الجيزه بسبب فساد العربان اقام هناك اياما حتى تتكامل عنده
العسكر وردت الاخبار من هناك بان العسكر العثمانيه لما توجهوا الى هناك وقع بينهم
خلف فى بعضهم فوثبوا على باشتهم وهو شخص من امرا ابن عثمان وراموا قتله فهرب
واستجار بالامير قايتباى فلما جرى ذلك ارسل الامير قايتباى كاتب ملك الامرا
بما جرى من العثمانيه فى حق باشتهم ثم اشيع واستفاض بين الناس ان حماد شيخ عربان
عزاله قد حضر الى عند ملك الامرا خاير بك واخبره ان العربان الذى اتوا الى بر الجيزه
عدة قبايل لا تحصى وان العسكر الذى ارسله ما يطيق طاقة مع هذه العربان الكثيرة وانهم
فوق العشرين الف انسان ثم قال له ان لم تخرج انت بنفسك وتعدى الى هناك فانتم للعسكر
انفاق بينهم فصلى ملك الامرا خاير بك صلاة الفجر ثم نزل من القلعة وقدامه جماعة كثيرة
من الرماة بالنفوط والجم الكثير من العثمانيه ومعهم صناجق حرير احمر فنزل من الصليبة
وتوجه الى بولاق على انه يعدى من بولاق وصحبته العساكر من العثمانيه والمماليك

كسر خاطرهم بسبب ذلك وقد بطل اشيا كثيرة من شعار المملكة مما كان يعمل السلاطين الماضيه
في الاعياد وصارت مصر لا يعرف لها نظام مما كان يعمل بها **وفي يوم** الجمعة سابع عشرينه
حضر الامير قايتباي الدوادار وكان قد خرج باثر التجريده التي توجهت الى العرب فلم
يظفر بحسن بن مرعي فرجع من غير طايل واشيع ان باش عسكر العثمانيه هو الذي فتنه
في امر حسن بن مرعي حتى اخفاه من وجه العسكر ومضى بجمعه ودخل الى الاوديه والجبال
في ذلك اليوم **وفيه** وقع بين القاضي فخر الدين بن عوض وبين خشقدم الاشرفي مملوك
السلطان الغوري وقد تقدم القول على ذلك حين كان باش السنون وهرب وتوجه
الى بلاد ابن عثمان وكان سببا لانشا هذه الفتنة بين سليم شاه بن عثمان وبين السلطان
الغوري فلما دخل ابن عثمان الى مصر وملكها حضر خشقدم هذا كاشف اسيوط مع
منفلوط **فلما** رحل ابن عثمان وقرر ملك الامرا خاير بك نايب السلطنة بمصر عزل
خشقدم من التحدث على اسيوط فلما حضر خشقدم من اسيوط وقعت بينه وبين
فخر الدين بن عوض بسبب الرزق الذي هناك فحصل بينهما تشاجر عظيم فتشاتما
وتسابا سبا قبيحا وقال فخر الدين ابن عوض لخشقدم انت كنت سببا لوقوع الفتنة
بين استاذك الغوري وبين ابن عثمان فحمل خشقدم على خاطره من فخر الدين بن عوض
وشق عليه ذلك **فلما** كان يوم السبت ثامن عشرينه طلع خشقدم الى القلعة ودخل
الى ملك الامرا خاير بك وشكا له من فخر الدين بن عوض فيما قاله في حقه فتعصب
له جماعة من العثمانيه واغلظوا على خاير بك في القول بسبب فخر الدين بن عوض فلما
طلع ابن عوض الى القلعة بيوم السبت وبخه خاير بك بالكلام وقامت عليه الدايرة
من امرا ابن عثمان الذي بمصر وقالوا له خلا استاذك الغوري وهرب من عنده وجا
الى الخنكار وصار من جماعته وانت تتهدده وتشتمه فقامت البينة على ابن عوض
واوضعه في الحديد واسلمه الى الوالي ورسم له ان يوسطه فقصد الوالي ان ينزل
به من القلعة ليوسطه فقامت جماعة من المباشرين وقد دخلوا على خشقدم واصلحوا
بينه وبين فخر الدين بن عوض ودخل الى ملك الامرا خاير بك وشفع فيه من التوسيط
وقاسى ابن عوض ذلك اليوم غاية البهدلة من امرا ابن عثمان بسبب خشقدم وكان
ابن عوض مستحقا لذلك فانه صار في هذه الايام من وسايط السو ولا سيما ما فعله
في جهات الزينية ووضع يده على رزق الناس واوقافهم واستخرج خراجهم وضاعت
على الناس حقوقهم وحصل منه الضرر ولا حول ولا قوة الا بالله **وفي ذلك اليوم**
حضر هجان بكتب الحاج وقد حضر في السابع والعشرين من ذي الحجة واشيع ان في كتب
الحاج ان مكة مغلية وقد وصل الحمل الدقيق الى اربعين دينارا ووصل الاردب القمح
الى عشر اشرفيه ووصلت البطة الدقيق الى ثلاث اشرفيه وكذلك اشتد السعر في
ساير البضايع والاصناف والغلال وذكروا ان مات من الجمال ما لا يحصى حتى وصل

كرا الوجهة

كرا الوجهية الى اربعين دينارا وذكروا من هذا النمط اشيا كثيرة وان امير مكة السيد
الشريف نادى في مكة ان لا احدا من الناس يجاور في مكة بسبب الغلا واشيع في كتب
الحاج ان الشهابي احمد بن الجيعان قد جاور بمكة وكذلك مصلح الدين خازندار بن عثمان وغير
ذلك من الاعيان والذين كانوا بها نزلوا صحبة الحاج لما اشتد امر الغلا بمكة انتهى ما اوردناه
من حوادث سنة ثلاث وعشرين وتسعمايه وقد خرجت هذه السنة على خير وكانت سنة
صعبة شديدة على الناس كثيرة الحوادث والفتن جرى فيها امور شنيعة لم تجري في
سالف الازمان وقتل بها جماعة من الامرا والعسكر والمماليك السلطانيه في فتنة ابن عثمان
وقتل فيها من اهل مصر ما ليس له ذنب فراح ظلما فقتل من الناس ما لا يحصى عددهم
ولعب السيف في اهل مصر سبعة ايام وقتل فيها ثلاث سلاطين وهم الاشرف الغوري
والاشرف طومان باي والظاهر برقوق قانصوه قتل في البرج بثغر الاسكندريه
وتغير فيها ثلاث دول وخرب فيها دور كثيرة ونهب فيها اموال وقماش ما لا يحصى
قدره ويتم فيها اطفال وترمل فيها نسا وجرى فيها مفاسد كثيرة ما لا يسمع بمثلها
ولم تقاسي اهل مصر شدة اعظم من هذه الا في زمن البخت نصر البابلي فانه اخرب مصر
واحرقها حتى اقامت اربعين سنة خرابا فكان النيل يطلع ويهبط ويفرش على الارض
فلم يجد من يزرعه ولا من يزرع اراضي مصر وهذا كله بتقدير الله تعالى فيما جرى على
اهل مصر ونسال الله تعالى حسن الخاتمة ورد العاقبة الى خير وقد وقفت على كتاب تاليف
الشيخ جلال الدين السيوطي رحمة الله عليه ذكر فيه ان في هذا الزمان يبدو الخراب في مصر
في سنة ثلاث وعشرين وتسعمايه ثم تزايد الامر الى سنة خمسين وتسعمايه فيقع فيها فتنا
عظيم حتى يفنى من اهل مصر نحو النصف وقد ظهرت العلامه في هذه السنة ومن اعظم
مساوي ابن عثمان خروج اعيان الروسا بمصر ونفيهم الى اصطنبول ونحن نذكر منهم ما تيسر
ذكره **ذكر من توجه في هذه السنة الى القسطنطينيه من اعيان**
روسا الديار المصرية وهم مولانا امير المومنين المتوكل على الله بن المستمسك
بالله يعقوب واولاد ابن عمه سيدي خليل وهما ابو بكر وسيدي احمد والمعز العلاي
علي بن الملك المويد احمد بن الاشرف اينال ومن اولاد الامرا الشرفي يونس بن الاتابكي
سودون العجمي والجناب الناصري محمد بن العلاي علي بن خاص بك صهر الاشرف قايتباي
ومن الامرا بيبردي من كسباي الذي كان باش المجاورين احد الامرا العشراوات وقراكز
الحكمي احد الامرا العشراوات وقانصوه اليتيم باش المدينة الشريفه وجماعة من المماليك
السلطانيه الذين كانوا مجاورين بمكة وجاربك دوادار الامير طراباي ومن اولاد
الناس الشهابي احمد بن البدري حسن بن الطولوني معلم المعلمين يوسف بن ابي الفتح الذي
كان نقيب الجيش ويحيى بكار الذي كان دوادار الوالي ومن نواب السادة الشافعية
الشيخ زين العابدين بن قاضي القضاه كمال الدين الطويل والشيخ شرف الدين بن روق والشيخ

شمس الدين الحلبي والشيخ شمس الدين ابن وحيش والشيخ كمال الدين بن مظفر والشيخ
بدر الدين البلقيني والشيخ برهان الدين الابناسي والشيخ شمس الدين الجوجري والشيخ
شمس الدين بن الادمي الدمياطي والقاضي شمس الدين المنسي المزيزي والسيد الشريف
الجار والقاضي ولي الدين البلقوني بن الشرمساحي والقاضي شمس الدين بن جمال الدين
الشرنقاشي والسيد الشريف البرديني والشيخ بدر الدين بن الوقاد السعودي والشيخ بدر
الدين محمد بن الرددي ومن نواب السادة المالكية الشيخ شهاب الدين احمد الغيشي والشيخ
شهاب الدين الاينادي ومن نواب السادة الحنابلة الشيخ شهاب الدين الهيثمي والشيخ
جلال الدين الطنبدي والقاضي جمال الدين الحنبلي واما من توجه الى اسطنبول من المباشرين
السلطانية وهم المقر الشهابي احمد ناظر الجيش ابن ناظر الخاص يوسف وابن اخيه
بدر الدين بن كمال الدين والجناب الشمسي محمد بن القاضي صلاح الدين بن الجيعان كاتب
الخزاين الشريفة والقاضي زين الدين عبد القادر بن الملكي مستوفي ديوان الجيوش المنصورة
والشمسي محمد البارزي ومن كتاب المماليك شمس الدين محمد بن فخر الدين احد كتاب
المماليك وسعد الدين وفرج وكريم الدين وفخر الدين من اولاد بن خيره وابن ابي
المنصور ومحمد بن عبد العظيم ويحيى الدين بن بهاء الدين من اولاد بن البقري واولاد
وابو الحسن بن الوفيق وعبد العظيم بن ابي غالب ويحيى بن الطلساوي وشهاب
الدين بن عبد العظيم وعبد العظيم بن تقي الدين ناظر الزردخانه وولده زين وتاج
الدين اخو عبد الكريم اللادني وكمال الدين من اولاد بن البقري وشرف الدين وعلي الرجوعي
واخو يونس الاستادار وابن الزكي ومحمد بن علي كاتب الخزانه واحمد بن قريميط
وعبد القادر بن قريميط وابو السعادات وافضل الدين المنوفي وناصر الدين الغزي
الوقع وولي الدين ناظر المواريث وعامل المواريث وسعد الدين اخو علا الدين ناظر
الخاص وبركات المنوفي وسعد الدين المنوفي ومحمد الكويز ناظر الخاص واحمد بن حشر
الطين وابن نصر الله وكريم الدين صهر عبد الفتاح ومحمد بن ابي غالب وصفي الدين بن
الهيصم وتاج الدين بن البقري وشقيقه بركات بن سليمان وكمال الدين الناصري وعلي
المزوق زين وعبد الرحمن مباشر امير اخور كبير وبدر الدين بن خازندار ورفيقه وابو
الفضل مباشر بن الوالي ورفيقه والعبادي ورفيقه وبدر الدين مباشر الامير السباي
وكمال الدين العايق مباشر امير اخور كبير واخرين من المباشرين ما يحضرني اسماؤهم
الآن ومن اعيان الناس المهتار محمد النحولي مهتار السلطان الغوري والمهتار سليم
ومحمد بن يوسف الذي كان ناظر الاوقاف وعلم الدين جلبي السلطان الغوري وعلي
مقدم الدولة ومن الزردكاشية يحيى بن يونس ومحمد العادلي الشهير بابن البدوية
وزين العابدين بن محمود والاعور وجماعة من السبوتية والصباقلة والسباكين
والحدادين ومن البواسطية شهاب الدين الخطيب الاسمر واحمد الصنبر وعلي واولاد

نقلبس

ابن نقلبس وعلي بن حشيم ومن تجار سوق مرجوش بن الشنبره وابو العز الحمصاني
وبدر الدين الغزولي شيخ سوق الغزل ومن تجار المغاربة الشيخ سالم وسعيد الباجوري
وسعيد المهدي وابو سعيد واخرين لم يحضرني اسماؤهم من المباشرين والتجار الذي
توجهوا الى اسطنبول ومن الخدام مقدم المماليك سنبل العثماني ونائبه عثمان الرومي وشهاب
الدين احمد الجارجي قيل مات من الوجعة قبل سفره بايام ومن البردداريه كمال الدين ابن
برددار امير كبير وعبد القادر وابن النقار وابن الشيخ ومحمد بن رسلان ونظام الدين ومحمد
الكاتب واسماعيل وابو بكر وابن السرهيني ويحيى بن يحيى وبركات بن المبيض ومحمد بن
الجيعان وبركات النايب وسعد الدين بن العجلان ويحيى مقدم الخاص وحسن نايب
البرماوي والسوهاجي ومحمد قطاره ومحمد بن ترد شيخ جهات الامبريه واخرين
ما يحضرني اسماؤهم الآن ومن رؤس النوب فرج ابن البرديني واخرين ما يحضرني اسماؤهم
من رؤس النوب ومن مقدمين السقايين عبيد وابو الخير وابن فرج النار وتوجه الى
اسطنبول جماعة من البنايين والنجارين والحدادين والمرخمين والفعلا جماعة كثيرة
والمبلطين والخواطين والمهندسين والحجارين جماعة كثيرة ما يحضرني اسماؤهم
الآن وقد زعموا ان الخنكار ابن عثمان يقصد ان ينشي له مدرسة في اسطنبول مثل
مدرسة السلطان الغوري التي بالشرابشيين وتوجه الى اسطنبول جماعة من طايفة اليهود
والسمرة ومن طايفة النصارى ابونيب الكاتب بالخزاين الشريفة وابو سعيد وامين
الدولة ويوحنا الصغير ويوسف ابن حيولي وشيخ المكين السكندري وولده واخرين
من النصارى واليهود ما يحضرني اسماؤهم فيقال ان جميع من خرج من اهل مصر وتوجه
الى اسطنبول دون الالف انسان والله اعلم بحقيقة ذلك ومنهم نسوان ايضا
واولادهم صغار رضع ومشي بكار ولم تقاسي اهل مصر من تدبير الزمان اعظم من هذه
الشرع ولا سمع بمثلها في التواريخ القديمة وكان ذلك في الكتاب مسطورا ففارقت
الناس اوطانهم واولادهم واهاليهم وتغربوا من بلادهم الى بلد لم يربطوها قط وخالطوا
قوما غير جنسهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكانت مشومة على الناس
مباركة على المباشرين الذي بمصر وصار واهم الملوك يتصرفوا في المملكة بما يختار وفيه
من الامور ولا سيما ما فعلوه في جهات الشرقية والغربية وجهات الصعيد ووضعوا
ايديهم على رزق الناس والاقطاعات ثم استدرجوا الى ان اخذوا اموال الناس
ثم استدرجوا ثانيا الى اخذ اموال الاوقاف وصار والبس على يديهم يد يفعلون
ما شاؤا من هذا النمط فغنموا في هذه السنة اموالا جزيلة من البلاد مما اخذوه من
خراج الناس فكان مجي ابن عثمان رحمة في حق المباشرين وغيرهم من الناس ممن وضعوا
عندهم الامراء والعسكر من الاموال والقماش وقتلوا في الوقعة فتعقدوا على تلك الودايع
وراح من راح فكان كما يقال في المعنى مصايب قوم عند قوم فوايد

ثم دخلت سنة اربع وعشرين وتسعمائة فيها كان افتتاح شهر محرم الحرام
يوم الاربعا فطلعوا القضاه الى القلعة وهنوا ملك الامرا خاير بك بالعام الجديد
ثم رجعوا الى دورهم فلما كان يوم السبت رابع المحرم شكى الناس من اذى العثمانيه الذى
بمصر وتزايد منهم الفساد فى حق الناس وصاروا يتوجهون الى الاماكن الذى فى زقاق الكحل
والمصطاحى والذى فى بحر دحكر الشامى والازبكيه وياخذون ما بها من الابواب
والسقوف والشبابيك الحديد والطيقان ويحملونها على الجمال بين الناس على النداء
والاجهار ويبيعونها بابخس الاثمان ولم يجد واحد يردهم عن ذلك ثم صاروا يطلعوا
بالنسا الى القلعة ويحشروها فى اطباق المماليك الذى بالقلعة وصنعوا بالطباق
من الابواب والسقوف ويطبخون بها الطعام حتى اخربوا غالب السقوف التى بالقلعة
ثم تزايد منهم الفساد حتى صاروا يخطفون النسا والصبيان المرد وعمايم الناس من
الطرقات والازقة والاسواق فى النهار والليل وصاروا الناس على روسهم طيرة
من العثمانيه ويجدون القتلى مرميه فى الطرقات فلما تزايد هذا الامر دخل جماعة
من الناس الى القاضى الذى جعله ابن عثمان فى المدرسة الصالحية امينا على قضاة مصر
فشكوا اليه من افعال العثمانيه وما يفعلونه بالناس فلما سمع هذا الكلام ركب وتوجه
الى بيت الامير قايتباى الدوادار واركبه وطلع به الى القلعة واخبروا ملك الامرا
خاير بك بهذه الاحوال الذى تصدر من العثمانيه ثم ان قاضى ابن عثمان اغلظ على خاير
بك فى القول وقال له انظر فى احوال المسلمين والا تخرب مصر عن قريب فقد فسدت
الاحوال جدا ومتى بلغ الخنكار هذه الاخبار يرسل يخرب اعناقنا ويقول كيف كتمتوا
عنى اخبار مصر وغفلتوا عن احوال المسلمين حتى جرى ما جرى **فلما** سمع ملك الامرا
خاير بك هذا الكلام واعد القاضى والامير قايتباى الى يوم السبت ثانى عشر الشهر
فا حضر الانكشاريه والاصباهية واعرضهم والخص عن من يفعل هذا فتهما ثم ان
خاير بك نادى فى القاهرة بان لا امراة تخرج من بيتها ولا صبى امرد ولا يتوجهون
فى هذا العصر الى السبع تربيه ولا الى المشهد الحسينى ولا الى بين القصرين وان الدكاكين
والاسواق تغلق من بعد المغرب ولا يمشى احد من الناس من بعد المغرب **وفى يوم**
الاحد ثانى عشر المحرم حضر من الشام من عند ابن عثمان قاصدين يزعموا انهما من اعيان
امراه وقيل ان احدهما اغا طايفة الانكشارية والاخر اغاة الاصباهيه **فلما**
بلغ الامرا حضورهما نزلوا من القلعة ولاقوهما وكان لهما موكب حفل فطلعا الى القلعة
واجتمعت الامرا العثمانيه والامير قايتباى الدوادار وقروا مطالعة الخنكار ثم اشيع
بان ابن عثمان ارسل يطلب الامير ازدمر الناشف والامير تمرباى العادلى وارسل
يطلب جماعة من الانكشارية وجماعة من الاصباهية الذى قد كان تركهم بمصر فكثر
القيل والقال فى ذلك **فلما** كان يوم الثلاثا رابع عشره ارسل خاير بك الى الامير

ازدمر الناشف احد الامرا اربعمائة دينار وقال له هذه نفقة السفر فاعمل بها يرقك
واخرج سافر فشكى ازدمر من ذلك وقال ايش يكفينى هذا القدر لعمل يرق السفر
ثم ركب وتوجه الى بيت الامير قايتباى الدوادار وشكى له من امر هذه النفقه فقال
له حتى اطلع الى ملك الامرا خاير بك فى ذلك اليوم ثم فى يوم الاربعا خامس عشره اشيع
بين الناس ان جماعة من الانكشارية والاصباهية لما تحققوا ان الخنكار ارسل يطلبهم
اظهروا العصيان وخرج بعضهم الى نحو الشرقيه والغربيه وتفرقوا فى البلاد **ومن الحوادث**
الغريبه ان فى يوم الجمعة سابع عشر المحرم من هذه السنة اشيع واستفاض بين الناس
ان قد قبض على قاسم بك بن احمد بن محمد بن عثمان ملك الروم وقاسم بك هذا هو الذى
كان قانصوه الغورى اجتهد كل الاجتهاد حتى ادخله الى مصر وصار ضد الى سليم
شاه ابن عثمان وكان سليم يخشى من امر قاسم بك هذا ان يلتف على عسكر الروم من
عساكر جم ويولوه مملكة الروم وسافر قاسم بك هذا صحبة الغورى الى حلب وصنع له
يرق وسنجق حفل وجعل له صنجق حرير اخضر واحمر كما هى عادة ملوك الروم وحضر
الوقعه التى كانت فى مرج دابق فلما فقد السلطان الغورى وجرى ما جرى رجع قاسم
بك صحبة الامرا الى مصر وصار معظما عند السلطان طومان باى وحضر معه فى الوقعة
التى كانت بالمطرية **فلما** انكسر السلطان طومان هرب معه الى الجهة الصعيد **فلما**
ارتفع السلطان هو وابن عثمان فى الجيزه بالقرب من وردان وانكسر طومان باى
وهرب فلما قبضوا عليه وشنق اختفى قاسم بك ولم يعلم له خبر مدة طويلة وقد
فاتر القتل مرارا عديدة وكان السلطان حاسبا حسابه جدا ليلا ونهارا وكان عسكر
ابن عثمان تصدم المخاصرة عليه والتوجه الى قاسم بك وقد اشيع بين الناس انه لما
هرب بعد كسرة طومان باى توجه مع بعض العربان الى نحو الجبل الاخضر الذى باعلا
البحيرة وكان قد تسنى امره **فلما** كان يوم الجمعة المقدم ذكره اشاعوا انهم قد قبضوا
عليه فى مكان عند المطوف بالقرب من البرنبيه وقد غمز عليه بعض عثمانيه فى ذلك
المكان فتوجه اليه كشبغا والى القاهرة وشخص اخر يقال له خاير الخزاندار شاد الشون
بجامع ملك الامرا خاير بك وهو واداره الآن فتوجها اليه وقبضا عليه من ذلك
المكان المذكور فلما قبضوا عليه عروه من اثوابه وقلعوا عمامته والبسوه برنس اسود
وغطوا وجهه وسبب ذلك انهم خشوا ان العثمانيه متى سلمهم انهم قد قبضوا عليه وهو
طالع الى القلعة فيخلصونه ويقتلون من معه وتثور بين العثمانيه فتنة عظيمة وتكون
سببا لزوال ملك سليم شاه بن عثمان فلما طلعوا به الى القلعة بعد العصر قريب المغرب
من يوم الجمعة فعرضوه على خاير بك ورسم بادخاله الى سجن العرقانه الذى هو داخل
الحوش السلطانى فادخلوه به واغلقوا عليه باب السجن ثم اجتمع خاير بك والامير
قايتباى الدوادار ومن الامرا العثمانيه فايق بك وسنان بك ومصطفى بك وخير

الدين بك نايب القلعة **فلما** اجتمعوا ضربوا مشورة في امر قاسم بك فقال ملك الامرا
خاير بك دعوه في السجن وارسلوا الى الخنكار في امره وانتظروا الجواب فيما يرسم به
فقال نايب بك هذا ما هو راى متى بات في قيد الحياة تدخل التراكمة وتقتلنا عن اخرنا
وتقع فتنة كبيرة **فلما** دخل وقت العشا عصروا العشا على ودخلوا عليه وهو في الزردخانة
فخنقوه بها وكان اخر العهد به **فلما** اصبح يوم السبت ثامن عشره اخرجوا قاسم بك
من الزردخانة وهو ميت واقعدوه على مصطبة بالحوش وكشفوا عن وجهه وارسلوا خلف
العثمانية قاطبة حتى راوه فقالوا هو هذا قاسم بك ابن احمد بك بن عثمان ثم بعد
ذلك ارسل ملك الامرا خاير بك خلف قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي
القضاة الحنفي الطرابلسي وقامت عندهما البينة بصحة قاسم بك هذا فكتبوا بذلك
محضرا وثبت على يد قاضي القضاة ثم انهم شرعوا في تجهيزه فغسلوه وكفنوه واخرجوه
الى قدام الدكة التي بالحوش السلطاني فصلوا عليه هناك وكان الذي صلى عليه قاضي
القضاة الشافعي وكان يوم السبت اطلقوا له نداء في القاهرة بان الصلاة على الشاب
الشهيد قاسم بك بن عثمان ينزل من القلعة ثم ان خاير بك اشهر المناداة في القاهرة
بان يصلى على قاسم بك ابن عثمان صلاة الغيبة في الجوامع كل هذا حتى يتحقق الناس موته
عن يقين فلما صلوا عليه بالحوش حملت الاكراد نعشه على اكتافهم ثم نزلوا به من سلم المدرج
ووضعوا عمامته على نعشه ودفنوا عليه علما ابيض ثم توجهوا به الى تربة الجاسي فدفنوه
بها على اقاربه وكانت جنازته مشهودة وكثر عليه الاسف والحزن من الناس فانه كان
شابا جميل الصورة حسن المنظر له من العمر سبعة عشر سنه وقد قتل ظلما من غير ذنب
وقد تناحت عليه العثمانية بالبكا فلما دفنوه ولحدوه قطعوا راسه ووضعوها
في علبة وتوجه به جانم الحمزاوي هو والمحضر الذي جا من عند الخنكار بالشام هذا
ما اشيع واستفاض بين الناس والله اعلم بصحة ذلك وقد عد مسك قاسم بك وقتله
اعظم من مسك الاشرف طومان باي وقتله فتعجب الناس من قوة سعد سليم شاه بن
عثمان من مبتداه الى منتهاه وهذا امر من الله تعالى ليس في قدرة بشر وكان الناس
تقليس ان قاسم بك هذا سيلي مملكة الروم بعد عمه سليم شاه فخابت فيه الظنون وعاجله
ريب المنون وكان ذلك مما سبق به الاقدار والحكم لله الواحد القهار **وفي يوم** الاحد
تاسع عشره نفقوا الجامكية على المماليك الجراكسة في بيت الامير قايتباي الدوادار فنفقوا
لكل مملوك اثنين دينار وهي جامكية شهر واحد فنفقوا عليهم يوم الاحد ويوم الاثنين
وفي ذلك اليوم نادى خاير بك في القاهرة بان لا احد من الناس يخبي في بيته عثماني
ولا انكشاري من عسكر ابن عثمان وكل من خبا عنده احدا وغمز عليه شنق على باب داره من
غير معاودة وسبب ذلك ان الخنكار ابن عثمان لما ارسل يطلب جماعة من الانكشارية
ومن الاصباهية اختفى منهم جماعة وجماعة تزينوا في الترنيه والزيبة وتوجهوا البها

هاربين

هاربين في البلاد واظهروا العصيان وقد تقدم القول على ذلك **وفي يوم الاثنين** سابع
عشرينه اشهروا المناداة في القاهرة حسبما رسم الملك بان جميع الانكشارية والاصباهية
يخرجوا يوم الاثنين صحبة القصاد وكل من تاخر منهما شنق من غير معاودة فشق من القاهرة
جماعة من العثمانية وقدامهم مشاعلي ينادي بالتركي واخر ينادي بالعربي وذلك بعد الظهر
فلما بلغ العثمانية ذلك اضطربت احوالهم وخرج غالبهم الى نحو الشرقية وقد التفت عليهم
المماليك الجراكسة وصاروا يرموا بينهم وبين الامرا العثمانية الذي بمصر الفتن حتى يقع
بينهم الشر ويظهروا العصيان على ابن عثمان **وفي يوم** الثلاثا ثامن عشرين المحرم دخل الحاج الى
القاهرة ودخل المحمل الشريف والقاضي علا الدين ناظر الخاص امير ركب المحمل وقاضي قضاة
المالكية محي الدين بن الدميري وبقية الحجاج واخبروا انهم قاسوا في هذه الحركة مشقة
زايدة وشدايد عظيمة من الغلا وموت الجمال وفساد العربان في الطريق وكثرة الامطار
والسيول وقلة العليق ومشى غالب الحاج على اقدامه في الرجعة وقد اثنوا على ناظر الخاص
فيما فعله بالحاج في الطريق من البر والصدقات وفعل الخير وكان اذا راى احدا من الحاج
منقطعا يركبه على جماله وينعم عليه بالمال والبقسماط في الطلعة والرجعة فرجع الحجاج
وهم عنه راضيون فيما فعله بهم وقد رفق بهم في مشي الركب بسبب المنقطعين من الحجاج
وقد اثنوا عليه خيرا **وفي يوم** الاربعا تاسع عشرينه دخل القاهرة الامير قانصوه العادلي
كاشف جهات الشرقيه وكان اشيع عنه العصيان من حين مضى السفر فاتى حتى تبطل عنه
الاشاعات **فلما** طلع يوم الخميس الى القلعة اخلع عليه ملك الامرا خاير بك قفطان
بحمل مذهب ونزل يعمل يرقه وقد مضى هذا الشهر وعسكر ابن عثمان في خلف بينهم بسبب
السفر الى الشام واستمرت الانكشارية في امر العصيان عن السفر وصاروا يكبسوا عليهم
بيوتهم وحاراتهم ويقبضون على نسايهم التي تزوجوا بهن من مصر وحصل لهن الضرر الشامل
بسبب ذلك **وفي شهر صفر** الخير كان مستهل الشهر يوم الجمعة فطلع قضاة القضاة
الى القلعة فهنوا ملك الامرا خاير بك بالشهر ورجعوا الى دورهم **وفي ذلك** اليوم
خرج جماعة من الانكشارية والاصباهية من الطايعين منهم دون العاصين الذين هربوا
كما تقدم فخرجوا صحبة القصاد الذين جاوا يطلبهم من الشام قيل انه ارسل يطلب الفاشان
من الاصباهية ومن الانكشارية اربعمايه **وفي يوم** الاثنين رابع صفر خرج بقية العسكر
العثماني الذي تعين للسفر وخرج الامرا المعينين الى السفر وهم ازدمر الناشف احد
المقدمين والامير قانصوه العادلي كاشف الشرقية والامير تمرباي العادلي والامير
خشقدم الاشرفي كان شاد الشون ايام السلطان الغوري فلم يشعر بخروجهم احد من الناس
ولم يطلبوا طلبا على جاري العادة فلما خرجوا توجهوا الى الريدانية وتولوا بها الى ان يرحلوا
منها **وفي هذه** الايام تزايد القال والقيل بين الناس بوقوع فتنة كبيرة **وفي يوم**
الثلاثا خامس صفر فيه اخلع خاير بك على شيخ العرب احمد بن بقر وقرره في مشيخة جهات

الشرقيه عوضا عن ابنه عبد الدايم وقد اظهر عبد الدايم العصيان ونهب منية غمر واحرقها
واخرب من بلاد الشرقيه ووقع الاضطراب بها وطفشت العربان في البلاد بالفساد والنهب
وحصل منهم الضرر الشامل وصار عبد الدايم راس كل فتنة في كل دولة وقد تقدم القول
على ذلك **وفي يوم** السبت تاسعه تزايدت الاشاعات بعصيان عبد الدايم وان قد التف
عليه عربان كثيرة من الشرقيه والغربيه وطرد اباه من الشرقيه واضطربت احوال الشرقيه
الى الغاية واشيع في البلاد ان مصر ما بقي فيها احد من عساكر ابن عثمان **فلما** بلغ ملك
الامرا خاير بك ذلك رسم لخير الدين بك نايب القلعة وجماعة من الامرا العثمانية
بان يشقوا من القاهرة ومعهم من الانكشارية الذي تاخروا بمصر فنزل من القلعة وقدامه
من الانكشارية نحو ثلثمائة انسان وهم مشاة وبايديهم مكاحل وشق من الصليبة ودخل
من بين الصورين وطلع من على سوق مرجوش وشق من القاهرة فرجت له في ذلك اليوم
ثم عاد الى القلعة وفيه اشيع ان ملك الامرا خاير بك اخذ في اسباب تحصين القلعة
وسد منها عدة ابواب وابقى منها الابواب الكبار على حكمهم وقصد يسد بعض ابواب
من القاهرة واظهر الخوف والفزع وقد خلت راسه الجواب من عبد الدايم بن بقر وكثرة
العربان التي اجتمعت معه وكثر القيل والقال في ذلك والروايات مختلفه **وفيه** اشيع
ان الرئيس سليمان العثماني الذي كان في البرج بالقلعة وضعه خاير بك في الحديد وارسله
الى ابن عثمان بالشام وكثرة الحوادث في هذه الايام جدا **وفي يوم** الاثنين حادي عشر
اشيع ان خاير بك عين الامير قايتباي الدوادار بان يخرج الى عبد الدايم بن بقر وصحبته
جماعة من المماليك الجراكسه ومن العثمانيه وعرض في ذلك اليوم طايفة من العثمانيه بقال
لهم كلميا فعرضهم في بيت سنان باشاه العثماني وعين منهم جماعة يخرجوا الى الشرقيه
بسبب عصيان شيخ العرب عبد الدايم بن بقر وقد تزايدت الاشاعات بعصيانه وقد التف
جماعة كثيرة من العربان وتشدد احوال الشرقيه قاطبة في قطع الطرق على القصاد
ونهب البلاد ووقع الاضطراب جدا هناك حتى كادت ان تخرب بلاد الشرقيه والمعرض
الامير قايتباي الجراكسه وجد غالبهم مشاة على اقدامهم بغير خيول ولا سلاح فبطل
امر العرض والتجريده **وفي يوم** السبت ثالث عشرينه خرج شيخ العرب بيبرس بن بقر
اخو عبد الدايم وصحبته الشيخ ابو الحسن ابن الشيخ ابي العباس الغزي فيسعون بين عبد الدايم
وبين ابيه الامير احمد وبين اخوته في الصلح واشيع ان خاير بك ارسل صحبتهما خلعة
لعبد الدايم ولعل يتم الصلح على ايديهما وكذا جرى **وفي يوم** السبت مستهل ربيع الاول
حضر جانم الحمزاوي دوادار ملك الامرا خاير بك وقد تقدم القول انه كان توجه الى الشام
الى عند السلطان سليم شاه **فلما** اخبر سليم شاه بذلك سر الى الغاية واشيع انه انعم
على جانم الحمزاوي بنيابة ثغر الاسكندريه ثم رسم له بالعود الى القاهرة وارسل على يده
خلعة الى ملك الامرا خاير بك في استمراره بنيابة السلطنة بمصر على عادته

وارسل

وارسل خلعة الى الامير قايتباي الدوادار وقيل الى كشبغا والي القاهرة كونه انه قبض
على قاسم بك ابن عثمان **فلما** وصل القاصد صحبة جانم الحمزاوي الى الريدانيه بات
في تربة العادل فلما كان يوم السبت مستهل شهر ربيع الاول نزل ملك الامرا خاير بك
من القلعة وصحبته الامير قايتباي الدوادار وامرا العثمانيه الذي بمصر وطايفة
الانكشارية والاسباهيه وغير ذلك من الطوايف الذين تركهم ابن عثمان بمصر وصحبتهم
جماعة كثيرة من الامرا الجراكسه والمماليك الجراكسه الذين ظهروا كما تقدم وخرج الجم
الكثير من العساكر العثمانيه وفيهم جماعة يرمون بالنفوط فتوجه الى تربة العادل وجلس
على المصطبة التي هناك ثم ان ملك الامرا خاير بك لبس القفطان المخمل المذهب
الذي ارسله له السلطان سليم شاه فاشيع في ذلك اليوم ان ابن عثمان جعله مستمرا
على نيابة مصر على عادته وان يجعل السكة والخطبه باسمه فلم يصح هذه الاشاعات
بما بعد ثم ان ملك الامرا ركب من هناك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة
في موكب حفل وقدامه قضاه القضاة وموجب ذلك ان كان ذلك مستهل الشهر
فتوجه اليه القضاة هناك ليهنوه بالشهر **فلما** رجع الى القاهرة رجعوا صحبته
وركبوا قدامه الى ان طلع الى القلعة وركب قدامه اعيان المباشرين ولاقته النصارى
بالشموع في ايديهم من باب النصر **فلما** وصل الى بين القصرين ومر على بيت قايتباي
الدوادار نثر على راسه كبشة جيدة من الفضة فتخاطفها الناس **فلما** شق من القاهرة
زينت له زينة خفيفة في بعض اماكن وارتفعت له الاصوات بالدعا من الناس
واشهر والنداء قدامه بالامان والاطمان والبيع والشرا وان لا احد يشوش على احد
من الرعيه وان كل من ظلم او قهر فعليه بباب ملك الامرا خاير بك والدعا بالنصر
لمولانا السلطان سليم شاه بن عثمان فضج الناس له بالدعا قاطبة واستمرت
الانكشاريه يرمون قدامه بالنفوط وهم مشاة حتى طلع الى القلعة وكانوا نحو
اربعمائة انسان وكان اشيع ان ملك الامرا خاير بك يستقل بمملكة مصر ويجعل
السكه والخطبه باسمه حسبما رسم الخنكار بن عثمان فلم يصح هذه الاشاعة من الكلام
وحدث كانها لم تكن واستمر نايبا على حكمه وكانت هذه الاشاعة من الكلام المختلط
من جملة كذب الناس وصار غالب اهل مصر في هذه الايام يختلقون الكلام الكذب
والكل ليس بصحة وهو من جملة المختلق وقال القايل في المعنى

ابناء مصر فعالهم عجب ... تواتر الصدق منه مرفوض
مقالهم لا يزال مختلف ... وكلهم ناقض ومنقوض

فلما حضر جانم الحمزاوي اشيع بين الناس ان السلطان سليم شاه لما اقام بالشام رسم
لقاضي القضاه الشافعي كمال الدين بن قاضي القضاه شهاب الدين بن فرفور
بان يتقلد بمذهب الامام ابي حنيفه ويترك مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه

واشيع ان لا يحكم بالشام غير قاضي القضاه الحنفيه لا غير كما هي عادة بلاد الروم
وابطل من الشام المذاهب الثلاثه فتفال الناس بذلك له بسرعة الزوال عن قريب
واشيع انه ابطل الوكلا والرسل من ابواب القضاه ونوابهم **فلما** بلغ ملك الامرا
خايربك ذلك رسم لقاضي القضاه بمصر ان يختفوا من نوابهم ثم رسم لقاضي القضاه الشافعي
بخمسة من النواب وقاضي القضاه الحنفي باربعة من النواب وقاضي القضاه المالكي بثلاثة
من النواب وقاضي القضاه الحنبلي باثنين من النواب من غير زيادة على ذلك ثم ان ملك
الامرا خايربك رسم لنواب القضاه ان يبطلوا الوكلا والرسل من المدرسة الصالحية
وان نواب القضاه لا يحكموا الا في بيوتهم من غير رسل ولا وكلا فلم يتم هذا الامر ولم
يتمم له شي **وفي هذه الايام** وقع من الحوادث الشنيعه ان شخصا من اغوات ابن
عثمان صار يجلس على دكة بباب الصالحية فيسمونه المحضر وحوله جماعة من الانكشارية
فكان لا يجري امر من الاحكام الشرعيه حتى يعرض عليه فكان يقف بين يديه الشاكي
والمشتكي ويخاطبونه بترجمان بينهما عن امر الشكاه فكان يقرر على كل محكمة على الاشرفي
سنه نقره ويأخذها لنفسه من الشاكي والمشتكي ويسمون ذلك مصليات وكان اذا
ثبتت لا تعارضه القضاه وكان يزعم انه مستوفي على القضاه في الامور الشرعيه وكان
يضرب من يستحق الضرب ويسجن من يستحق السجن ولا يراجع القضاه في ذلك فكان
يتحصل له في كل يوم من ذلك القدر المعلوم مال له صوره يأخذه من الشاكي والمشتكي
ثم انهم احدثوا مظلمة اخرى وهو انهم قرروا على كل من كان من الشهود ومجالس القضاه
الذي بمصر والقاهره قاطبة كل شهر ستة انصاف ويزعمون انهم يوردون ذلك
القدر لبيت المال السلطاني ويجهزونه الى السلطان ابن عثمان وقد ضعف شوكة الشرع
في هذه الايام جدا وقد قال القايل في المعنى

يا رب زاد الظلم واستحوذوا ... والنمل منهم ليس يخفى عليك
ومالنا الا الاله فانظر لنا ... ونجنا منهم وخذهم اليك

فلما حضر الامير جانم الحمزاوي دوادار ملك الامرا اخبر بان السلطان سليم شاه
لما دخل الى الشام استقر بالامير جان بردي الغزالي نايب الشام وجعل له التحدث
من غزه الى الشام واعطاها يولي بها من يختار ويعزل من يختار واشيع ان عسكر ابن عثمان
لما دخلوا الى الشام طردوا الناس من بيوتها وسكنوا ابنيتها كما فعلوا باهل مصر واخربوا
غيطانها وزروعها وقطعوا اشجارها واكلوا اجبيع توكها **وفي يوم** الاثنين ثالث ربيع
الاول اشيع بين الناس بالمراسيم التي حضرت من عند الخنكار سليم شاه على يد الامير
جانم الحمزاوي كان مضمونها انه يرسل يقول لملك الامرا خايربك اصرف لاولاد الناس
جوامكهم على العاده وكذلك المماليك الجراكسه وكل من كان له جامكيه نصرهم الله ويجري
الناس على عوايدهم من كبير او صغير فشكروا له الناس ذلك ودعوا له **فلما** بلغ اولاد

الناس

الناس ذلك طلعوا الى القلعة ونزلوا اسماهم عند القاضي شرف الدين الصغير كاتب
المماليك حتى من كان له جامكية اشرفي او ما يقارب ذهب وارسل يقول له احتفظ بالزعير
وفي يوم الاثنين عاشره طلع المماليك الجراكسه الى الميدان الذي تحت القلعة وحضر
كاتب المماليك شرف الدين الصغير وتفق على المماليك جامكية شهر واحد وبقي لهم شهرين
مكسورة ولم يحضر ملك الامرا تفرقة الجامكية بالميدان بل حضر شرف الدين الصغير
وجماعة من كتاب المماليك وشرع شرف الدين كاتب المماليك يقول للمماليك يا اغوات
كل من اخذ الجامكيه يعمل يرق السفر ويقول له اذا طلبت منك هولا المماليك للسفر
ما حضرهم فنزلوا من القلعة على ذلك **وفي يوم** الثلاثا حادي عشر ربيع الاول كان
ليلة المولد النبوي فصنع له ملك الامرا مولد لم يشعر به احد من الناس فقيل حضر عنده
عشر جوق مغربين فضجوا من ذلك وقالوا الحق كان علينا في مولد السلطان لكل واحد
منا مايه شقفه فكيف ناخذ في مولد ملك الامرا جوخه باشرفيين فرسم لكل واحد
منهم بجوخه باربعة اشرفيه لا غير ثم بعد العصر مد سماطا في المقعد الثاني الذي
بالحوش ليس بكبير تخاطفته العثمانيه على لمح البصر وبات تمالبا الفقها بلا عشا
واين الحسام من المنجلي بالنسبة لما كان يعمل في مولد السلاطين الماضية من الاسمطه
الحفله والشقق الحرير التي كانت تدخل على جوق المقربين والوعاظ ولا سيما ما كان يعمل
في مولد السلطان الغوري فكان يصرف على مولده فوق من الالف دينار ولم يحضر عنده
في تلك الخيمة المعظمة التي لم ينسج الزمان بمثلها ابدا القضاه الاربعة ومن الامرا
المقدمين اربعة وعشرين اميرا مقدم الف غير بقيه الامرا والعسكر وهم بالشاش والقماش
فاين ذلك النظام المعظم فيا اسفي على تلك الايام كانها منا مات وقد قال القايل في المعنى

يا دهر ويح رتب المعالي صرعا ... بيع وبخت امرهم مسرج
فقدم واخر من اردت من الورى ... راح الذي كنت منه تستحي

وفي يوم السبت خامس عشرين ربيع الاول اخلع ملك الامرا خايربك على الزيني بركات
ابن موسى المحتسب واستقر امير ركب المحمل الشريف وكانت هذه الوظيفه لا يشتغل
بها الا امير مقدم ولعمري ان هذه الوظيفه قد هانت حتى ساسها كل مفلس قاطع عليه
شيطان محل مذهب ونزل من القلعة في موكب حفل وقدامه اعيان المباشرين والامرا
العثمانية وجماعة من الامرا الجراكسه والمماليك الجراكسه فزينت له القاهرة في ذلك
اليوم وزينت له الدكاكين بالشموع وعلقت له الاحمال بالقناديل ولاقته مشايخ
العربان من بني هلال وكاشف الشرقيه ومشت قدامه جماعة من الفواسه نحو ثلثمايه
انسان وجماعة من الانكشاريه نحو مايتي انسان يرمون بالنفوط ومشت قدامه جماعة
السقايين يرشون قدامه الماء بطول الطريق ومشت قدامه الضويه بالمشاعل وعليها
النفوط الزركش ومشت قدامه جميع الرسل قاطبة وبايديهم العصي ولاقاه الشعرا

والشبابة السلطانية مثل مواكب السلاطين ولاقاه المغانى من النسا بالطارات وانطلق
له النسا بالزغاريت من الطيقان وسافوا قدامه البرجاس عوضا بنى حرام وكان ذلك
من الايام المشهوده فلان يقى يقع لاحد من الامرا مثل ذلك فيتبجح بهذا الموكب لعله كان
نهاية سعد الزينى بركات بن موسى ولم يقع مثل هذا الموكب لملك المظفر سليم شاه بن
عثمان لما دخل الى مصر القاهرة حين ملكها **فلما** نزل الزينى بركات بن موسى الى داره
انعم على الانكشاريه بلغاية دينار فحصل لكل واحد منهم اشرفى وانعم على النواسه والنفا
ايضا بمبلغ جيد وقد قلت فى هذه الواقعه ابياتا

ان ابن موسى لم تزل حركاته	تاتى بسعد فارق بين الورى
عاينته بموكب حفل فلا	سمعت به اذن ولا عين ترى
فى يوم سبت شرفوه بخلعة	فاق الملوك وصار يزهو منظرا
لما استقر امير محمل ربنا	واستبشرت لقدومه ام القرى
وتفاال الحجاج ان يكسبه	يلقوا الرضا والامن ممن بشرا
يارب طل بنابه فى نعمة	يحمد بها الركبان عاقبة السرى

وفى يوم الاحد ثالث عشرينه نفق ملك الامرا على جماعة من الامرا الجراكسه فاعطى لكل
امير طبلخاناة اربعين دينارا واعطى لكل امير عشرة عشر اشرفية وقيل خمسة وعشرين
اشرفيا فى نظير نفقاتهم وكحوهم وعليقهم واعطى المماليك الجراكسه لكل واحد منهم
الفين درهما من غير زيادة على ذلك **وفى يوم** الاثنين رابع عشرين ربيع الاول وافق ذلك
اليوم دخول اول يوم من الخماسين وهو يوم عيد النصارى وفطرهم ومن جملة انعام الله
تعالى انه لم يقع فى هذه الخماسين طاعون بمصر ولا غيرها من البلاد **وفى ذلك** اليوم
كانت وفاة صاحبنا الناصرى محمد بن منكلى بغا وكان موته فجاءه وكان لطيف الذات
نكه المحاضرة حسن العبارة فى كلامه رقيق الطباع عشر الناس وكان لا باس به **وفى
هذا الشهر** الناصرى محمد المعروف بابن الوزه لعب الشطرنج وكان بالشام من جملة من ارسل
خلفه السلطان سليم شاه وكان السلطان ارسل له مبلغا له صورة بسبب ذلك فلما
توجه الى الشام وجد الخنكار ماهو منشرح بسبب الصوفى فاقام مدة بالشام ثم استاذن
السلطان فى عوده الى مصر فاذن له بالعود الى مصر فاخبر الناصرى محمد بن الوزه ان
قصاد الصوفى قدموا على ابن عثمان وهو بالشام من مكان غير الطريق السالكه فما شعر بهم
ابن عثمان الا وهم بين يديه فدفعوا اليه مطالعة من عند الصوفى وتقدمة حفلة
فلما قرا ابن عثمان المطالعة وجد فيها عبارة لطيفة والفاظ رقيقه تتضمن امر الصلح بينه
وبين الصوفى وتفنته بافات عظيمه فى المطالعة **فلما** قرا المطالعة اضطرب لذلك
وقال هذا كله مخادعة من الصوفى حتى يبطل عزمى عن ملاقاته ثم يطرقنى على حين غفلة
كما فعلت انا مع السلطان الغورى فرحل من الشام على الفور وقصد التوجه الى حلب

وقال لو ذكر

وقال لو ذكر به انا اعلم من حيل اسماعيل الصوفى ومخادعته ما لا تعلمونه فكان كما يقال فى المعنى

توقع كيد من خاصمت يوما	ولا تركن الى ود الاعادى
فان الجرح ينكس كل حين	اذا كان البنا على فساد

ثم اشيع ان ابن عثمان لما دخل الى حلب اخذ فى اسباب تحصين المدينه ثم قبض على جماعة من
اهل حلب بانفوسه ممن كان مشهورا بالفساد فشنق منهم ثم اشيع انه صادر جماعة من اهل حلب
واخذ عليهم الاموال الجزيله وحصل لاهل حلب منه ومن عساكره غاية الضرر والامر الى الله تعالى
وفى شهر ربيع الاخر كان مستهل الشهر يوم الاحد ففى يوم الخميس خامسه قدم الى الابواب
الشريفه مصلح الدين بك خازندار ابن عثمان وكان توجه الى مكة من البحر المالح صحبة الشهابى
احمد بن الجيعان ثم عاد من البحر المالح ايضا قبل حضور الشهابى احمد بن الجيعان فلما نزل ببركة
الحاج خرج الامير قايتباى الدوادار الى ملاقاته وكذلك اعيان المباشرين **فلما** طلع الى
القلعة وقابل ملك الامرا خايربك اخلع عليه ونزل الى منزله فى موكب حفل وقدامه
الامرا العثمانيه والجراكسه والجم الغفير من العسكر **وفى يوم الثلاثا** عاشره وقعت حادثة
غريبة وهو ان ملك الامرا خايربك اشهر المناداة فى القاهرة بان كل من راى كلبا يقتله ويعلق
على دكانه فبادرت الناس بالقبض على الكلاب وصارت التراكمه يمسكوا الكلاب فى الطرقات
ويوسطونهم بالسيوف نصفين فقتلوا فى ذلك اليوم فوق الخمسماية كلبا على ما اشيع
وصارت الصبيان يمسكون الكلاب من الحارات والازقة ويقتلونهم اشر قتله وصاروا
يعلقونهم على الدكاكين ولم يعلم ما سبب ذلك ثم اشيع ان عادة التراكمه فى بلادهم اذا
كثرت عندهم الكلاب فى البلاد يقتلوا منها جانب كبير فى ايام الخماسين يزعمون ان ذلك
يخف الطاعون من المدينه فصارت عندهم عادة ثم استمر السيف يعمل فى الكلاب يوما
وليلة حتى هجت الكلاب ممالكهم الى الترب والصحرا وقد قلت فى المعنى

تاملوا ما جرى بمصر	من حادث عم بالعذاب
فادعوا الترك فى دما	فكيف يعوادها الكلاب

فلما تزايد الامر فى قتل الكلاب طلع الزينى بركات بن موسى المحتسب الى ملك الامرا
خايربك وشفع فى الكلاب من القتل وقال لملك الامرا لا تشرض لقتل الكلاب لان ازبك
امير كبير تعرض لقتل الكلاب بالازبكيه فلم يعش بعد ذلك غير سنة واحدة ومات
فرجع ملك الامرا عن قتل الكلاب ونادى فى القاهرة بان يرفعوا القتل عن الكلاب وكل من
قبض على كلب يطلقه الى حال سبيله فدعوا الناس للزينى بركات بن موسى الذى شفع
فى الكلاب من القتل ثم سكن الاضطراب الذى كان بالقاهرة بسبب قتل الكلاب **وفى ذلك
اليوم اشيع** ان ملك الامرا خايربك اخذ فى اسباب تحصين القلعة وسد منها عدة
ابواب وحصن الابراج الذى بها وركب عليها المكاحل وشرع فى عمل عجلات وعمل مكاحل
ومدافع وعمل نشاب وما يعلم سبب ذلك ثم اشيع ان ملك الامرا خايربك احضر

مصحفا شريفا واحضر الامرا العثمانيه الذى بمصر وحلفهم بانهم لا يخونوه ولا يغدروا
وان يكونوا هم واياه على كلمة واحدة ثم ان حلف الامير قايتباى الدوادار يمينا لملك
الامرا فاقاموا الامرا بالقلعة الى بعد الظهر وهم فى ضرب مشورة بينهم وفى يوم الاربعاء رابع
عشره نزل ملك الامرا خاير بك من القلعة وعدى الى الروضة واقام بالمقياس وكان
صحبته الامير قايتباى الدوادار وجماعة من العثمانيه واضافهم ضيافة حفله وبسط
لهم اسمطه وسبب ذلك ان خاير بك كان بينه وبين الامير قايتباى وحشة
وقد صار بعض الوسايط يرمى بينهما الفتن ثم ان ملك الامرا خاير بك حلف الامير
قايتباى الدوادار على مصحف شريف بان يكون هو واياه على كلمة واحدة ولا يخون
بعضهم بعضا وقد تقدم القول على ذلك فلما تحالفا زال ما بينهما من الوحشة وكان
نقل الى ملك الامرا ان الامير قايتباى الدوادار متفق مع المماليك الجراكسه على قتله والله
وكانت هذه فتنة من الاعدا ثم اشيع بين الناس ان الشيخ ابو بكر كان يرمى بينهما الفتن
وينقل الكلام الباطل فصنع ملك الامرا تلك الوليمه فى المقياس وعزم على الامير
قايتباى وجماعة من الامرا العثمانيه واقام ملك الامرا بالمقياس الى اخر النهار فارسل
اليه الزينى بركات بن موسى هناك مدة حفله على ورس الحلابين وصار كل واحد
من المباشرين يهدى اليه شيا من الماكول الفاخر وغير ذلك وكان يوم سلطانى
ثم عاد ملك الامرا الى القلعة بعد العصر من يومه وفيه حضر شخص من حلب بهلوان
ونصب فى بركة الرطل التى بالجزيرة صوارى وحبال وكان يوم الجمعة فاجتمع الجم
الكثير من الخلايق فلما صعد على الحبال اظهر اشيا غريبه فى صنعة البهلوانيه وهو
واقف على الحبال ومنها انه نصب له ارماح وبلبيه وادى بالنشاب فى البلبيه وهو
واقف على الحبال ومنها انه مشى على الحبل وفى رجله قبقاب وتحته الواح صابون
ورمى فى الامواج وهو واقف على حمل سيوف مسلولة ومنها انه مشى على الحبال مقلوب
وهو يمشى على ايديه واظهر من هذه الانواع العجايب والغرايب وكان لمصر مدة طويلة
من ايام الاشرف برسباى لم يدخلها مثل هذا فى صنعة البهلوانيه وكان هذا البهلوان
شابا جميل الصورة ويسمى يوسف وقيل انه من ابنا حلب وقيل انه نشا بالادنيه
وله عبيد علمهم صنعة البهلوانيه يمشوا على الحبال ايضا ويظهروا العتوقات
وفيه حضر الزينى طيلان راس نوبه وكان توجه الى مكة المشرفة من البحر المالح صحبة
مصلح الدين بك والشهابى احمد بن الجيعان وكان اشيع عنه انه توجه الى اسطنبول
مع جملة من توجه الى هناك فلم يصح ذلك وانما كان توجه الى مكه وحضر فى البحر المالح
ايضا وفيه توفى العلاى على بن طوغان الذى كان دوادار الاشرف قانصوه خمسمايه
وكان من اعيان اولاد الناس وكان رئيسا حشما لين الجانب سيوسا فى افعاله
وقاسى فى اواخر عمره شدايد ومحن بسبب قانصوه خمسمايه وفيه حضر قاصد

ابن عثمان

ابن عثمان فلما حضر اشيع بين الناس ان السلطان مقيما بحلب وان شاه اسماعيل
الصوفى متحركا على ابن عثمان وهو فى جمع كبير من العساكر وان ابن عثمان احترز منه
واشيع بين الناس ان نايب الشام جان بردى الغزالى تحايل على ناصر الدين بن الحنش
شيخ الاعراب والبقاع وغير ذلك من جهات دمشق فلما تحايل عليه وتمت حيلته
عليه وقتل شخص اخر من مشايخ العربان يقال له ابن الحرفوش وكان ناصر الدين بن الحنش
كثير العصيان على النواب بل وعلى سلاطين مصر ايضا وكان لما ملك ابن عثمان دمشق
امتنع من المقابله له فتحايل عليه جان بردى الغزالى حتى اخذه بغتة وقتله وحز راسه
هو وابن الحرفوش وارسل روسهما الى ابن عثمان وهو بحلب فعد ذلك من جملة سعد
ابن عثمان ولولا تحيل الغزالى على قتل ابن الحنش وقتله بحيلة لما كان قدر على قتله ابدا
وقد عجزت عن ذلك سلاطين مصر وفيه اشيع ان الخنكار سليم شاه لما توجه الى حلب
ارسل سيدى محمد بن السلطان الغورى الى اسطنبول من هناك وارسل صحبته اخرين من
من امرايه يحتفظون به الى ان يدخل الى اسطنبول واشيع ان الخنكار لما دخل الى حلب
اقام بها مدة وحصن سورها وابراجها وابوابها ورمم جميع ما يحتاج اليه من العمارة وقيل
من اهل حارة بانقوسه جماعة من فقرا اهلها وقيل وزع على جماعة من اعيان حلب مال له
صورة وعمل فيهم التخبيط فلما بلغه ان شاه اسماعيل الصوفى قصد ان يزحف على البلاد
الحلبيه اخذ قليلا فى خواطر اهل حلب ودفع عنهم ما احدث عليهم من المظالم وقد تقدم القول
على ابن عثمان لما كان مقيما بدمشق طرقته قصاد الصوفى على حين غفلة من طريق غير الطريق
السالكه وهى اسره قليلة السالك وهى طريق يقال لها الحلوبيه بالقرب من تدمر فاستشعر
ابن عثمان الا وهم بين يديه فقال لهم لولا اتيتم من الطريق السالكه فقالوا له ان شاه اسماعيل
الصوفى ارسل اليك عدة قصاد ونوابك الذى فى البلاد يقتلوهم فقال لنا توجهوا من
هذه الطريق ثم قدموا اليه مطالعة الصوفى فاشيع ان مضمونها انه ارسل يترفق له فى
المطالعة ونعت فيها بالفاظ عظيمه بانك ملكت البلاد والعباد وملكت مصر
وصرت خادم الحرمين الشريفين وانت الان اسكندر عصرك والماضى بيننا لا يعاد
تتوجه انت الى بلادك وانا اتوجه الى بلادى وتصون دما المسلمين بيننا ومهما كان
تقصدك نفعله لك فلما وقف السلطان على مطالعة الصوفى قال لو زراءه ان
هذه الهديه التى ارسلها الينا وهذا الكلام الذى فى المطالعة كله حيل وخداع حتى يبطل
عزمى عن ملاقاته ويطرقنى على حين غفلة كما فعلته قصاده فقيل انه اخذ الهدية التى
ارسلها وقتل القصاد وما ابقى منهم سوى كبيرهم فكان كما قيل فى امثال الصادح والباغم
وان من يستنصح الاعادى يردونه بالغش والفساد ثم ان ابن عثمان لما وردت قصاد
الصوفى وهو بالشام رحل عنها وتوجه الى حلب واخذ فى اسباب تحصينها كما تقدم
وفى شهر جمادى الاول كان مستهل الشهر يوم الثلاثا فطلع القضاه الى القلعة وهنوا

ملك الامرا بالشهر ثم عاد الى منازلهم وفي يوم الاربعا ثانيه توفت زوجة الامير
قايتباي الدوادار وهي سريه الملك الاشرف طومان باي التي تدعى نال باي فلما ماتت
دفنت في حوش مدرسة السلطان الغوري وفي يوم الخميس ثالثه قدم القاضي شهاب
الدين احمد الجيعان نايب كاتم السر وكان توجه الى مكة المشرفة من البحر المالح صحبة
مصلح الدين خازندار ابن عثمان نسبته مصلح الدين وتاخر بعده مدة ثم حضر فلما حضر
طلع الى القلعة وقابل ملك الامرا فاخلع عليه قفطان احمر مخمل مذهب ونزل من القلعة
في موكب حفل وقدامه علا الدين بن الامام كاتم السر واعيان المباشرين من ارباب الوظايف
وركب قدامه نقيب الجيش الشرفي يونس وجماعة من الامرا العثمانيه ومن الامرا الجراكسه
ثم زينت له حارة البندقانيين ووقدوا له بها الشموع على الدكاكين وتخلقت جماعة
بالزعفران وكان ذلك اليوم مشهودا في التعصب والزحمة وفيه رسم ملك الامرا
بالافراج عن ما بايدي اولاد الناس والنسا من المربعات الذي كانوا اوقفوهم من اول
السنة ولم يمشوها المباشرين بجملة مال فحصل لاولاد الناس الضرر الشامل بسبب ذلك
وعملت المباشرين بجملة مال له صورة ومنت الناس الافراج عن رزقهم وانقطاعهم
ونفعوا الناس غاية النفع ولم يشعر ملك الامرا بشي من ذلك وفيه وقعت حادثة
شنيعة وهو ان شخصا من العوام كان اصله مزين دخل الى بعض الغيطان وقطع عيدان
خيار شنبر ووضعهم في قفة فقبض عليه الخولي وحصل بينهم تشاجر فاغلظ عليه الخولي
واتى به الى بيت الوالي وقص عليه امره وطلع به الوالي الى ملك الامرا وعرضه عليه
وهو حامل القفة التي بها الخيار الشنبر فلما علم ملك الامرا بذلك وكان ملك الامرا
حجر على بيع خيار الشنبر وصار يشتريه على ذمته ويتجر فيه ثم ان ملك الامرا رسم
للوالي بشنق ذلك الرجل الذي سرق خيار الشنبر فاشهره في القاهرة وعلق القفة
التي فيها الخيار الشنبر في رقبته وشق به من القاهرة حتى اتى به الى القنطرة الجديدة
التي بقناة الكحل فشنقه هناك واقام ثلاثة ايام وهو مصلوب لم يدفن وراح ذلك الرجل
ظلما على بعض عيدان خيار شنبر ما تساوي الربع الفضة وتاسف الناس عليه
كيف راح ظلما على شي ما يستحق هذا القتل وكان له اولاد وزوجة وكان ملك الامرا
يبات يسكر طول الليل ويصبح في خمار السكر يحكم بين الناس بما يقول له عقله
ولم يظهر العدل في حكمه قط منذ ولي على مصر وفي يوم الثلاثا خامس عشره في تلك
الليلة خسف القمر واقام في الخسف ثمانيه واربعون درجة وفيه نفق ملك الامرا
الجامكيه على الطبلخاناه كل واحد اربعون دينارا واعطى الامرا العشراوات كل واحد
منهم خمسة وعشرين دينارا كما نفق عليهم في الشهر الماضي ونفق على المماليك كل واحد
منهم الفين درهم على العاده ونفق على اولاد الناس ممن نزل اسمه في الديوان ونفق
على العسكر جامكية شهرين كانت منكسرة لهم في الديوان من غير لحوم ولا عليق وفي يوم

السبت

السبت تاسع عشره توفيت والدة الشهابي احمد بن الجيعان وكان لها جنازة حافلة وفي يوم
الاحد عشرينه وقعت حادثة مهولة وهو ان ملك الامرا خاير بك كان بين جماعة من
الانكشاريه والاصباهيه لانهم بادروا الى الخنكار بجلب صحبة مصلح الدين فلما
قصد مصلح الدين السفر هربت الانكشارية والاصباهية في تلك الليلة وكسروا ابواب
القلعة ونزلوا منها على حمية وتوجهوا الى مصر العتيقة فنزلوا في المراكب ثم اخذوا
جماعة من النواتيه وسافروا في المراكب وقصدوا ان يتوجهوا الى جهة الصعيد فلما
بلغ ملك الامرا ذلك ارسل يقول للامير قايتباي الدوادار اخرج في هذه الساعة
وسافر خلف الانكشارية وكل من ظفرت به منهم اقتله فصلى الامير قايتباي صلاة
الصبح وركب وخرج على حمية وصحبته الامير جانم الحمزاوي والامير علي العثماني
وجماعة كثيرة من المماليك الجراكسه وجماعة من العساكر العثمانيه فعدوا الى بر الجيزه
فاقاموا به ذلك اليوم حتى تكامل العسكر وخرجوا افواجا افواجا وخرجت لهم القاهرة
في ذلك اليوم وكثر القيل والقال بسبب ذلك واضطربت احوال العثمانيه في بعضهم
وصاروا فرقتان فرقة مع ملك الامرا وفرقة منهم عليه ثم ان الامير قايتباي رحل
من الجيزه هو والعسكر وتوجهوا الى نحو الميمون بالقرب من جزيرة بني عدي فتلاقوا
هناك مع الانكشارية والاصباهية الذي هربوا هناك ثم ان الزيني بركات بن موسى
المحتسب رسم له ملك الامرا خاير بك بان يتوجه الى مصر العتيقة ويمسك مراكب
ويرسل فيها زواده للامرا والعسكر الذي توجه الى الميمون فاوسق عدة مراكب فيها زواده
ما بين بقسماط وجبن حالوم وارز وسمن وعسل وغير ذلك وارسل ذلك الى العسكر
ثم في يوم الاربعا ثالث عشرينه وردت الاخبار بان الامير قايتباي الدوادار قد
انتصر على الانكشارية في المراكب والاصباهيه الذي هربوا فلما تلاقوا معه على جزيرة
بني عدي فتصدى الى قتالهم الامير جانم الحمزاوي والامير علي العثماني فحاصروهم
في المراكب ورموا عليهم بالمدافع والبندق والرصاص فخرقوا مراكبهم فطلبوا الامان
من الامير علي والامير جانم الحمزاوي وتدارموا غالبهم البحر فغرق من غرق وقبضوا
على الباقي واسروهم وحزوا رؤسهم وكانوا نحو ستة وثلاثين راسا واسروا الباقي
بالحياة ثم ان الامير قايتباي ارسل تلك الرؤس والاسارى الى ملك الامرا في المراكب
فلما طلعوا بهم علقوهم على مداري كما فعلوا برؤس الجراكسه والمجازاة من جنس العمل
فلما طلعوا بهم الى القلعة قصد ملك الامرا ان يعلق تلك الرؤس على ابواب المدينه
فشق ذلك على بقية العثمانيه وشفعوا ملك الامرا من ذلك واما بقية الانكشارية الذي
قتلوا والذي هربوا والذي غرقوا نحو مائة وخمسين انسانا على ما قيل ومن العجايب
ان الزراكه كانت في العام الماضي يقتلون اولاد الجراكسه فاعن قريب حتى صارت
المماليك الجراكسه تقتل الزراكه في الليل والنهار وهذا عجيب وقد ورد في بعض الاخبار

لا تكرهوا الفتن فان فيها حصاد المنافقين وقد قيل في المعنى

لا تكرهوا الحروب ان فيه ۞ حصاد تدل مع الخبيث

فمستريح ومستراح ۞ منه كما جاء في الحديث

فلما خرج مصلح الدين خازندار ابن عثمان الذي قدم من مكة توجه الى الريدانيه وقصد السفر الى الخنكار بن عثمان وقد اشيع ان ابن عثمان كان قد ارسل خلفه فلما اقام بالريدانيه نزل اليه ملك الامرا وودعه ثم رجع ودخل من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حفل وارتفعت له الاصوات من الناس بالدعا واستمر على ذلك حتى طلع الى القلعة ثم ان مصلح الدين اقام بالريدانيه اياما ثم عاد الى القاهرة حتى يدخل قاصد صاحب اليمن الى القاهرة ويأخذه صحبته مع التقدمه ويمضي الى الخنكار فهذا كان سبب رجوع مصلح الدين الى القاهرة **وفيه** رسم ملك الامرا للقضاه بان يتوجهوا الى مقام الامام الشافعي ويقروا هناك ويدعوا الى الله تعالى بالنصر الى السلطان سليم شاة على اسماعيل الصوفي فتوجهوا القضاه القضاه الى مقام الامام الشافعي وقروا هناك ختمة وقروا اجزا الربعة على الحاضرين فقروا في اجزا الربعة عشر مرار واحد واهدوا ثواب ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ثم الى السلطان سليم شاة ودعوا له بالنصر على الصوفي **وفي يوم** السبت سادس عشرينه حضر الامير قايتباي الدوادار والامير جانم الحمزاوي والامير على بيك العثماني وكانوا توجهوا الى البحيرة بسبب محاربة الانكشارية الذي هربوا كما تقدم فلما انتصروا عليهم وقتلوهم رجعوا وطلعوا الى القلعة فاخلع عليهم ملك الامرا ونزلوا الى بيوتهم **وفيه** حضر الى القاهرة الامير ازدمر الناشف احد الامرا المقدمين وكان لما ظهر ارسل الخنكار طلبه وهو بحلب فتوجه اليه هو والامير قانصوه العادلي والامير قرباي العادلي واقام عنده مدة ثم رسم له بالعود الى القاهرة وكان اشيع بين الناس ان ابن عثمان قرره في الاتابكيه بمصر فلما حضر لم يظهر لهذه الاشاعة نتيجة واستمر بطالا مقيما بمنزله ولما حضر حضر صحبته الامير شاد بك نايب المهمندار والامير جاهم الطويل احد الامرا العشراوات وكان اشيع موتهما بموج دائع فلما حضروا اظهر انهم في قيد الحياة **وفي اخر هذا الشهر** كثرت الاشاعات بان عربان السوالم قد حضر منهم ما لا يحصى وقد قصدوا الحرب بني بغو واظهروا عايتر الفساد بالشرقيه **وفي شهر جمادي الاخر** كان مستهل الشهر يوم الخميس فطلع القضاه الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفي يوم** الخميس ثامنه رسم ملك الامرا بقراة ثمان ختمات واحدة في مقام الامام الشافعي وواحدة في مقام الليث وواحدة في مقام الشيخ عمر بن الفارض وواحدة في مقام الشيخ ابو الحسن الدينوري وواحدة في مقام الشيخ ابو الخير الكليباتي رضى الله عنهم اجمعين وواحدة في المقياس وواحدة في الجامع الازهر ورسم بان يهدوا ثواب ذلك الى السلطان

سليم شاة

سليم شاه ابن عثمان فانه خرج الى ملاقاة اسماعيل شاه الصوفي **وفيه** قدم رسول صاحب اليمن وعلى يده تقدمه حفله للسلطان سليم شاة ابن عثمان واستمر القاصد مقيما بالقاهرة الى ان سافر صحبته مصلح الدين كما سياتي الكلام على ذلك **وفي يوم** الاحد حادي عشره طلع ابن الرداد ببشارة النيل واخذ قاع النيل فجاءت القاعدة ستة اذرع وعشرة اصابع انقص من السنة الخاليه بذراعين فانه كانت القاعدة في الخالية ثمانية اذرع وستة عشر اصبعا **وفي يوم** السبت سابع عشره طرقت ملك الامرا اخبار رديه بان عربان السوالم قد طغيت حتى وصلت الى بركة الحاج ووصل اوايلهم الى المطرية **فلما** بلغ ملك الامرا ذلك تنكد وارسل الى الامير قايتباي الدوادار يقول له اخرج في هذه الساعة واطرد العربان فخرج من يومه هو والماليك الجراكسه وجماعة من العثمانيه ورماه من الانكشارية فوجدهم القاهرة في ذلك اليوم فخرجوا وهم سايقين الى بركة الحاج فقيل حصل بين الترك والعرب معركة يسيرة فقتل فيها جماعة من العرب واسر منهم جماعة وقطعوا ادرس اربعة ثم رجعوا الاتراك بعد المغرب وقد وقعت خيولهم ومشى منهم تموت من العطش وما قاسوا خير فهربت العرب من وجوههم وصعدوا الى الجبل ثم رسم ملك الامرا بشنق من قبض منهم على باب قنطرة الحاجب وعلقوا عليها تلك الروس التي قطعوها من العرب وقيل قتلوا من الاتراك جماعة ورجعوا من غير طايل من العربان **وفي يوم** الاربعا حادي عشرينه وقعت حادثة شنيعة وهو ان شخصا يقال له حسين وكان طشدار عند الامير يوزدار احد الامرا المقدمين ثم بقى في طشتخاناه السلطان الغوري وهو رجل شيخ مسن زعم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له امض الى سليم شاه ابن عثمان وقل له يرجع الى بلاده ويكف القتال عن المسلمين بسبب اسماعيل شاه الصوفي وادعى ان ابن عثمان دفع اليه مال له صوره فلم يقبله منه ثم اتى ذلك الرجل الى ملك الامرا خاير بك وقص عليه تلك الروية فنهاه عن خير بك بكلامه ثم ان ذلك الرجل قال لخاير بك ارجع عن مظالم العباد والمباشرين خرب مصر بظلمكم ثم سب المباشرين بحضرة خاير بك سبا قبيحا وقال لبركات ابن موسى انت لو حججت في هذه السنة ما يقبلك النبي صلى الله عليه وسلم **فلما** تزايد القول حنق منه ملك الامرا فامر بضرب عنقه فضرب في الميدان **وقيل** ان ذلك الرجل تكلم بكلام كثير واظهر انه كشف عن امور تاتي في اواخر هذه السنة من الاهوال فان كان صادقا فيما يقوله وادعاه من هذه الاخبار التي ذكرها فسوف تقع ويظهر اثره او صلاحه او كذبه **وفيه** اشهر ملك الامرا النداء في القاهرة بان لا احدا من الحجاج يسافر في البحر المالح ولا يرسل له احمالا من البحر وموجب ذلك فساد العربان في الطرقات وتعبث الفرنج في سواحل البحر المالح **وفي يوم** الخميس ثاني عشرينه خرج مصلح الدين خازندار بن عثمان وتوجه الى نحو الريدانيه وقصد السفر الى الخنكار

ابن عثمان فخرج وقت صلاة الصبح وصحبته الامير قايتباى الدوادار واعيان المباشرين
والامرا العثمانيه فكان له موكب حفل ثم خرج بعد ذلك تقدمة حفله ارسلها ملك الامرا
الى الخنكار ولده سليمان بيك الذى باسطنبول فكان ما اشتملت عليه تلك التقدمة
كان بها من الخيول اربعين فرسا خاصا عليها عبى تلعى بسيحبها اربعون فرسا من
الاكاديش واثنان واربعون جملا محملة قماش محزومة قيل ضمنها تفاصيل سكندرى
وابدان منزلاوى وقماش قارسكوريا وغير ذلك من شاشات وغير ذلك من مقاطع
خمسينى وخام ودنع وغير ذلك ومن جملتها اربعة وستين جملا محملا سكر صنادين
جويد باعشية لباد ابيض قيل جملة ذلك اربعماية قنطار وقيل ان ملك الامرا كرر
السكر ثانيا وجعل فيه المسك والعنبر الخام ومن جملة التقدمة احمال شقادف
ضمنها مراطبين اشربه مربى واشيع ان ملك الامرا ارسل الى الخنكار ابن عثمان
احمال عليها مال من خراج مصر عن سنة ثلاث وعشرين وتسعماية ولم يعلم ما قدر
ذلك فلما مضت تقدمة ملك الامرا طلع فى عقيب ذلك تقدمة صاحب اليمن
وهى تقدمة حفلة تشتمل على شاشات وازر وتحف ومعادن ولولو وفصوص
وطواشيه وغير ذلك فلما مضت تقدمة امير الامرا وصاحب اليمن طلعت تقدمة
على ابن عمر صاحب جهات الصعيد وهى تقدمة حفلة مابين قنطار سكر ودقيق
مابين عبيد وجوار وخيل وجمال وغير ذلك اشيا حفلة تصلح للملوك وفى يوم الجمعة
ثالث عشرينه دخل مصطفى الديبى من الريدانية وقد سرق من تحت راسه بقجة قماش
وقيل ان فيها مبلغ له صورة وفى يوم الجمعة المذكور طرق ملك الامرا اخبار ردية
بان حسن ابن موسى شيخ عربان البحيرة اظهر العصيان وخرج عن الطاعة والتفت
عليه العربان وقبايل البحيره وغيرها فلما تحقق ملك الامرا صحة هذا الخبر نزل
الى الميدان قبل صلاة الجمعة وعرض المماليك الجراكسه والعسكر العثمانى فكتب من
الزرقيين نحو خمسماية انسان مابين انكشارية ورماة وعين صحبتهم عشر عجلات
تكون قدام العسكر وعين الامير قايتباى الدوادار باش المماليك الجراكسه وعين
امير اخور باش العثمانيه وفى ثلاث الايام اضطربت احوال ملك الامرا جدا وقد بلغه
ان العربان طردوا اسماعيل ابن الجويلى عن ارض البساط وملكوها منه واضطربت
احوال الغربيه الى الغاية والشرقية بسبب عربان السوالم وعبد الدايم ابن بقر واخوته
واضطربت ايضا احوال جهات الصعيد وقد ضاعت مصالح المسلمين بينهم وخرب
من الشرقيه والغربية عدة بلاد وظهر الفساد والفتن برا وبحرا والامر الى الله تعالى
وفى يوم السبت رابع عشرينه ارسل حسن بن موسى اخو شكر يطلب الامان لنفسه من
ملك الامرا فارسل اليه ملك الامرا منديل الامان وصورة حلف على يد القاضى فخر
الدين بن عوض وارسل اليه قفطان حرير مخمل واخلع على شخص من اقارب حسن بن

موسى

موسى الذى جاء يطلب له الامان من ملك الامرا وفى يوم الاحد خامس عشرينه خرجت
التجريده التى كانت تعينت الى حسن بن موسى وكان باش العسكر امير اخور ملك الامرا
وصحبته جماعة من العثمانيه مابين انكشارية ورماة البندق وخرج صحبة العسكر عشر
عجلات وخرج طايفة من المماليك الجراكسه وتوجهوا الى البحيره وصحبتهم الامان والخلعة
الى حسن بن موسى وفى هذا الشهر قدم الاخبار من مكة بان عدة مراكب بها الفرنج يقفون
فى البحر المالح ويقطعون الطريق على المسافرين من البحر وارسل السيد الشريف مطالعة الى
ملك الامرا بان يرسل له تجريدة سرعة وقد خشى على بندر جدة ان لا تظفر الافرنج
على حين غفله ويملكونه من المسلمين وفى يوم الثلاثا سابع عشرينه نزل ملك الامرا الى
الميدان الذى تحت القلعة وعرض العسكر وعين منهم جماعة يسافروا الى جدة بسبب
حفظ البندر وفيه عرض العسكر كتب منهم جماعة مابين جراكسه واولاد ناس ومغاربة
وغير ذلك وكان مجموع ماكتبه من العسكر فى ذلك اليوم على طايفة المغاربه على حكم
ماكان ينفق عليهم السلطان الغورى فنزلوا من القلعة وشرعوا فى اسبابهم على بر فهم
الى السفر واما بقية العسكر لم ينفق عليهم شيئا وقد تضبر حتى يرد عليهم من مكه خبر
اخر فى امر الافرنج بيعتمد عليه وفى اول شهر رجب كان مستهل الشهر يوم الجمعة
فطلعوا القضاه وهنوا ملك الامرا بالشهر وعادوا الى دورهم وفى يوم الاثنين
رابعه حضر جان بك دوادار الامير قايتباى والامير بخشى باى قرا الذى كان
شاد الشون والقاضى عبد الفتاح واخرين من المباشرين وكانوا هولا توجهوا الى نحو
الشرقيه بسبب انهم مسحوا جهات الشرقيه وميزوا الشراقى من الرى ومسحوا الاقاطيع
فى المساحة ثم اشتغلوا من الرزق والاقاطيع الى جهات الاوقاف فمسحوها وصادروا
ينزلون على البلاد ويزيدون عليها المال ويجمعون الفلاحين فى الحديد بعد الضرب
المولم ويقرروا على كل بلد بحسب ما يختاروه من الاموال فجبوا من الشرقيه فى هذه
الحركة فوق ماية الف دينار وخرب فى هذه الحركة غالب بلاد الشرقيه ورحل منها
الفلاحين وكان اكبر اسباب الفساد فى حق الناس فعمت هذه الحادثه اصحاب الرزق
والاوقاف وكان هذا كله بواسطة ملك الامرا خاير بك فانه كان سببا لذلك فعد
هذا من جملة مساويه فى حق اهل مصر وحصل فى هذه الحركة غاية الضرر للمباشرين
الذين تكلموا فى امر هذه المساحة بالشرقيه والامر لله وفى يوم الاثنين حادى
عشره اشهر ملك الامرا خاير بك المناداه فى القاهرة بان المماليك الجراكسه لا يلبسوا
زموط ولا يمشوا نتيا تيا فى الاسواق ولا يجلسوا على المساطب فى الحارات
ولا على ابواب الجوامع وكان ملك الامرا سامحهم فى الاول عن ذلك ثم ضيق عليهم
ومنعهم من هذه الافعال فيما بعد وفى يوم السبت سادس عشره رسم ملك الامرا
بشنق شخص عجمى خنقا وكان هذا الشخص تاجرا ذا سعة من المال فلما حضر من بلاد

الرزق كان معه متجر بمال له صورة فطمع ملك الامرا في ماله وزعم انه جاسوسا
من عند شاه اسماعيل الصوفي حضر ليكشف عن مصر واحوالها ويطالع الصوفي بذلك
فشنقه ظلما واحتاط على جميع امواله وجعل له ذنبا انه جا من عند الصوفي جاسوسا
وفي يوم الاربعا عشرينه حضر شيخ العرب شكر اخو حسن ابن موسى شيخ جهات البحيرة
بحضر صحبة القاضي فخر الدين بن عوض وقد تقدم القول على ان ملك الامرا كان ارسل له
منديل الامان على يد ابن عوض فاطاع وحضر الى القلعة وقابل ملك الامرا فاخلع عليه
قفطان حرير ونزل من القلعة وتوجه ليحضر اخاه حسن بن موسى فتوجه الى نحو قليوب
وصحبته القاضي بركات بن موسى المحتسب وارسل له ملك الامرا منديل الامان على
يد القاضي بركات بن موسى المحتسب ثم في اثنا ذلك اليوم حضر حسن بن موسى
ودخل القاهرة وعلى راسه منديل الامان وصحبته جماعة من العثمانية وامير اخور ملك
الامرا والزيني بركات المحتسب وفخر الدين بن عوض وجماعة كثيرة من العربان فشق
من القاهرة ومنديل الامان على راسه فلما طلع الى ملك الامرا الى القلعة وقابله
اخلع عليه قفطان مخمل مزهر ونزل من القلعة في موكب حفل وكان اشيع ان ملك
الامرا سيقبض عليه لانه دخل في ذنب عظيم وسبب ذلك انه كان مسجونا بالقلعة
من حين قبض عليه الخنكار وسجنه بالقلعة فنقب من هناك ليلا وهرب واستمر
في عصيانه وهجاج مدة طويلة وكثر القتل والقتال بسببه والتفت عليه جماعة كثيرة
من عربان الغربية فلما طلع وقابل ملك الامرا واخلع عليه بطلت تلك الاشاعات
التي كانت تشاع بين الناس بسبب عصيانه وفي يوم الاثنين خامس عشرين رجب فيه
كان وفاة صاحبنا الشيخ بدر الدين بن محمد الزيتوني العوفي رحمة الله عليه وكان احد
نواب السادة الشافعية وكان فاضلا عارفا بصنعة القضا والتوقيع ماهرا في
الخطب وكان فكه المحاضرة كثير العشرة للناس وكان علامة في فن الزجل وكان
ينظم الشعر على فنون وهو الشعر ودوبيت والمواليات والموشحات وكان له
شعر جيد ونظم ارجوزة مبدعة في الفقه وشرحها شرحا على الاوضاع مفيدا في
معناه ومن شعره الرقيق وهو قوله ملغزا في اسم حمزه

يا سائلي عن اسم من — خدوده كالعندم

فيه خمس وثلاث — وفي فوادي المغرم

وكان مولده سنة احدى وثلاثين وثمانماية وذلك في شهر شعبان في سادسه
فكانت مدة حياته اربعة وثمانون سنة الا يوما فلما مات حضر القضاة الاربع
وصلوا عليه وكان له جنازة حفلة ودفن بحوش تربة الصوفية رحمة الله تعالى عليه
ولما توفي الشيخ بدر الدين الزيتوني رثاه ولده القاضي بدر الدين محمد بهذه القطعة
الزجل اللطيفة وهو قوله هذا

يحق لي ان ادفى لموت والدي — كان انهج النظام وعقلوا دبجج

في درج الاكفان للعليا ما اندرج — واجب علي نقد وبنوى ا احجج

كان والدي في فن الازجال تقصدوا — حفاظ مصر والكل بيه بيتنوى

وفي جميع العلوم ما لو نظير — فقيه مدرس في جميع الفنون

يدري الاصول والنحو مع رب خطيب — ونطق في الصرف قائل مصوت

جا الموت خطرا واصبحت بين الورى — نونية وجمع الناس يحزني تبلج

وبيتدبوا هي عليه بالغرا ق — وما جرى من جفن عيني الزنج

توموا بنا جمع الموالي والصحاب — نرثي الذي قد كان وكان في الدهور

زين الوجود ما لو وجود في الورى — عارف بفن الشعر والكل قد ر

اصحابنا زيد والنواح والنحيب — على اديب يدري اصول البحور

مثلوا احد يحسن دجل في الانام — ولا موشح لو ودو بيت صحيح

والرزق ظاهر مثل صبح الدجى — ما بين قاضي الكل والا بورج

كان في الادب ناظم وناثر فصيح — وقد حوى جملة محاسن ملاح

ان قلت في التحرير حريري النظام — بل سيبويه لما انتقد الفصاح

او عنتر العبسي نهار المجال — او نثر حاتم طي عند السماح

وما الشماخ دتنوا في البديع — وقيس ما بين ناس ينطقوا النبج

وسائر الحفاظ تواهر لديه — ما ينقد وا الا ينقلوا الصحيح

يا من روى الاخبار كان والدي — محتفي بالاداب وكان لي مقيد

مفتاح لباب الرزق للضيق فرج — وجو سرور كعبوا مبارك سعيد

مختار لفعل الخير وشاير الفرج — برشد ويحسن كلما فيه مليح

يا نونيا الخط وجوهر الذي — ذوقوا صباح ظاهر وجوهر اصح

كان احق النظام وبحر العلوم — وروض تربة زاهر بديع الصفا

وتغلدان مع راح وريحان ودوح — جمع ضريحو ذي المعاني الشتات

كيف لا تحرك للضريح مساكني — وابكي عليه طول الحيا للممات

ومشتكي حزني وروضي الترب — والنقل والراح الذي لم يريح

والروح والريحان وما ثم عدم — من الوجود موجود بذاك الضريح

بعد وعلى الدوم قد الفت النواح — والحزن من يعقوب ورثت النحيب

اصبحت من ما نوح سفيني غريق — والدمع طوفان ما طفا لي لهيب

يا رب هب لي صبر ايوب عليه — وارسل رحمات وهم بطله الحبيب

قلبي من اجلو صار يحزني كليم — والدمع لو في صحن خدي مسج

وما غربي يحرق بنار الخليل — وشبه اسماعيل يجز ثوا ذبيج

قد نظم الجوهر تأليف كتاب ... حاوي علوم الفقه سهل البيان
وقد شرح لو شرح واضح مفيد ... وصار لو بيه تذكار بطول الزمان
وقال ذخيره لي ليوم النشور ... اسكنه ربي في فسيح الجنان
دار النعيم فيها مقيم لم يزل ... ما بين انهار وكوثر بهيج
والحور والولدان وما يشتهيه ... من الفواكه مع مقام فسيح
ونا ابن زيتون غريق النسب ... يا رب الارباب يا لطيف يا خبير
اجبر بلطفك كسر قلبي الحزين ... يا جابر الكسر الرحيم الكبير
واعطف على بجنتوا لوري ... وما تعسر فاجعلوا لي يسير
مدح المجيد المختار ابن شفا ... به يهتدي قلبي وبو استريح
ونا ادير امدح محمد عسى ... يطفي لهيبي واهتدي بالمديح
صلوا على المختار حبيب الاله ... من ارسله الله للخلايق شفيع
يوم القيامة والخلايق زمر ... ياتوا لادم يقول ما استطيع
اشفع تشفع في امتك يسمع ال ... مولى ويغفر كل ذنب قبيح
ويدخلوا الجنة كذا قد ورد ... عن النبي مسند حديث صحيح

وفي اخر هذا الشهر توقف النيل وسلسل في الزيادة وصار يزيد في كل يوم اصبع وتارة اصبعين وقد مضى من مسرى عشرة ايام ولم يصل النيل الى عشرة اذرع فاضطربت احوال الناس في تلك الايام وتشحطت الغلال وبلغ سعر البطة الدقيق اثنى عشر نصفا فعند ذلك رسم ملك الامرا بان ينزل الوالي ويكبس الروضة فنزل هو وجماعة من الامرا العثمانيه وكبس الروضة وفك الخيام التي كانت بها واشهر المناداه هنالك بان لا احدا يتجاهر بالمعاصي ولا يجتمع جموع ولا ينصب خيمة على شاطي البحر ومن يفعل ذلك شنق على باب داره من غير معاودة في ذلك فانكف الناس عن التجاهر بالمعاصي بالروضة فنزل في ذلك اليوم غالب الناس من الروضة **وفي اول شهر شعبان** كان مستهله يوم الاحد طلع القضاه الاربع وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفي يوم الاثنين** تاسع الشهر كانت وفاة الشيخ الصالح القطب العارف بالله تعالى الورع الزاهد الناسك الشيخ محيي الدين عبد القادر ابن الشيخ الصالح العارف بالله تعالى بدر الدين حسن ابن الشيخ الصالح العارف بالله تعالى بدر الدين المدعو شرف الدين بن موسى الدشطوطي رحمة الله عليهم اجمعين وكان الشيخ عبد القادر شافعي المذهب مجذوب واعي وكان مكشوف الراس واعيا وقيل كان دايما بشعر راسه وعلى جسده جبة خشنة دايما سواحا لا يتخذ له سكن ولا زوجة ولا ولد ولا عيال وكان يتغذى بالفراقيش والزعتر دايما وكان لا ياكل الطعام واللحم الا قليلا وكان مهابا معظما عند الملوك والسلاطين واعيان الناس وكانت رسايله عندهم لا ترد وكان في اواخر

عمره حصل له كفاف في عينيه واستمر على ذلك حتى مات وقد عاش من العمر نحو ثمانية وثمانين سنة او فوق ذلك وكان محبا للناس وكانت النذور التي تدخل عليه من الاكابر يبني بها جوامع وخطب ومساجد وله عدة جوامع ومساجد في اماكن شتى ولما توفي ارتجت له القاهرة ونزل ملك الامرا العثمانيه والامير قايتباي الدوادار والقضاه الاربعة واعيان الناس وارباب الدولة وخرج نعشه من بين العلم حسني الصياد المهندس خارج باب الشعرية ودفنت له الاعلام على نعشه وحضر الفقرا المكاتبا وعلى رؤوسهم المصاحف ومشوا حول نعشه واستمر على ذلك حتى وصل الى مدرسته التي انشاها تجاه سيدي يحيى البجلي فدفن بها وكانت جنازة حفلة رحمة الله عليه وعلى تربته السالك الصالح من الاوليا **وفي هذا الشهر** قبض ملك الامرا على يوسف البدري الوزير والكاشف ورسم عليه وعلى زوجته وعياله وغلمانه وحاشيته وقرر على يوسف البدري مالا له صورة وعلى زوجته وجماعته وتمادى امره في المصادره حتى ذهب ما يملكه جميعا من صامت وناطق حتى اباع اساس البيت من قطارميز وزلع حتى الحصر وغير ذلك واستمر في المصادره شهرين هو وزوجته وهو في الترسيم وعياله واخر الامر ارسلوه الى اصطنبول وسياتي الكلام على ذلك في موضعه **وفيه** نادى ملك الامرا في القاهرة للمباشرين والعمال لا يحتجوا من بلاد الشرقيه والغربيه من سنة اربع وعشرين وتسعماية شيا الا برسوم من عند ملك الامرا فاضطربت احوال المسلمين والمباشرين وكثر بينهم القيل والقال بسبب ذلك **وفي يوم** الجمعة ثالث عشره الموافق لسابع عشرين مسرى اوفى النيل المبارك وزاد اصبعا من السابع عشر وفتح السد في ذلك اليوم فلما اوفى نزل ملك الامرا وتوجه الى المقياس وخلق العامود ومد هناك مدة حفلة وحضر الامرا العثمانيه ثم نزل في الحراقه وصحبته الامرا العثمانيه وتوجه الى السد وفتحه وكان يوما مشهودا وركب وهو طالع الى القلعة موكبا حفلا وكان وفا النيل في هذه السنة على غير القياس لانه كان نيلا شحيحا وسلسل في الزيادة وتوقف اياما وتشحطت اسعار الغلال جميعا ثم اوفى بعد ذلك ففرح به كل احد من الناس وكان الامر كما قاله المعمار

النيل وافا وزال الهم والترحت ... عنا الهموم وهان الشح ثم دمى
وراح خزانه للنيل ينظره ... فاستكثر الماء في عينيه ثم دمى

ومن الحوادث في يوم وفا النيل ان شخصا من العثمانيه غرق في البحر وتنكد ملك الامرا على ذلك والعثمانيه بسببه **وفي يوم** الثلاثا سابع عشره حضر قاصد من البحر من عند الخنكار ابن عثمان ولم يعلم ما قد جا به وما سبب مجيئه وكثر القيل والقال في ذلك وسنذكر ذلك ان شا الله تعالى في موضعه ولما فتح السد وجرى الما في الخليجان لم تسكن البيوت التي في الجسر ولا التي في المسطاحي ولا حكر الناصري فشكى اصحاب الاملاك من ذلك الى والي القاهرة فنادى للناس في الجسر بان يسكنوا وعليهم امان الله تعالى

والذى ما يسكن فى بيته ولا يعمره يخرب عليه ملك الامرا ونكه ويصير ملكه فصار يكو رهنه المناداه للناس ثلاثة ايام فتوا اليه فسكن فى الجسر بعض بيوت ودخل بركه الرطلى بعض مراكب بياعين واما الجزيرة الوسطى من يوميذ خربت عن اخرها ولم يبق منها غير الجدر ورسوم البيوت لا غير واتباع اصحاب الاملاك بيوتها انقاضا وكان السلطان الغورى سد خليج الزربية بحجر عند قنطرة مورده الحلبس فتلاشى امر الجزيرة الوسطى من يوميذ وخلت بيوتها من السكان وكانت من اجل متنزهات الديار المصرية وكان مبتدا منشاها فى دولة الاشرف اينال سنة اثنين وستين وثمانماية ولا زالت الناس تنشى فيها الاملاك الجليلة الى سنة احدى وعشرين وتسعماية فتلاشى امرها وخربت جملة واحدة لما دخل ابن عثمان الى القاهرة وجرى منه ما جرى ونزل فى بر الجيزه على رملة البحر فصار عسكره يخرب بيوت الجزيرة ويا خذوا سقوفها وابوابها وطيقانها فخربت بالكلية من يوميذ وانقطع الرجا من عمارتها ثانيا والاصل فى ذلك انها اسست على غير تقوى وكانت بقعة فسق وزنا فآل امرها الى الخراب سريعا **وفى يوم** الاثنين ثالث عشرين هذا الشهر وافق ذلك اليوم يوم النوروز وهو اول سنة اربع وعشرين وتسعماية القبطية فدخل النوروز والنيل فى ستة عشر ذراعا ولم يدخل فى الذراع السابع عشر وكان من مبتداه الى منتهاه نيلا شحيحا **وفى يوم** الثلاثا رابع عشرينه توفى سودون العجمى كان نايبا دمياط وهو احد الامرا العشراوات مات بطالا **وفى شهر رمضان** كان مستهله يوم الاثنين فطلع القضاه الاربعة وهنوا ملك الامرا بالصوم ثم عادوا الى دورهم ولما دخل شهر رمضان كانت الاسعار مشططه فى ساير البضايع وقد تناهى سعر اللحم الى اثنى عشر كل اردب والبطة الدقيق الى اربعة عشر نصف وعمت هذه التشحيطة ساير البضايع وساير الحبوب حتى الخضر وسبب ذلك ان الزينى بركات بن موسى كان مشغولا بعمل برق الحجاز وقد اهمل امور الحسبة ولم يلتفت اليها فجارت السوقة على الناس وهم فى امر مريب بسبب هذه التشحيطة التى وقعت فى تلك الايام وكادت الناس ان تاكل بعضها بعضا **وفى يوم** السبت ثالث عشره جلس ملك الامرا فى المقعد الذى بالحوش فتكاثرت عليه المماليك الجراكسه فى المقعد فحنق منهم فقال للانكشاريه الذى حوله اضربوهم واطردوهم من المقعد فلما سمعوا منه ذلك ضربوا المماليك الجراكسه بالعصى على وجوههم ضربا فاحشا فجاء آخر ضربة على اكتاف جانى بك دوادار الامير قايتباى الدوادار فانزعج كتفه فحصل للمماليك الجراكسه كسر خاطر ونزلوا من القلعة على اقبح وجه ثم فى عقيب ذلك اليوم طلع المماليك الجراكسه الى الميدان بسبب تاخر الاطلاق فحضر القاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك وفرق الاطلاق واعطى لجماعة من المماليك فدان ونصف طين ومنى فدان ومنى

نصف

نصف فدان فتضرر المماليك من ذلك وقالوا ايش يكفينا النصف فدان وشكوا من ذلك فسبهم القاضى شرف الدين سبا قبيحا وقال يا كلاب يا زرابين انتوا بقى لكم بابا والا راس حتى تتكلموا ايش بيجننوا وجوهكم فى ايش حتى تستحقوا الطاقات وبهدلهم غاية البهدلة فنزلوا من الميدان على اقبح وجه وقد قلت ابياتا فى ذلك

لما تكبرت الجراكسه الذى ... كانوا بمصر ذوى رتب الورى
واذاقهم ذل السوال وقد نزال ... ايدى دادبهم بما قد جرى

وفى اخر هذا الشهر وقعت بين ملك الامرا وبين الامير قايتباى الدوادار وحشة كما طلع بمفتنه وكان عنده شخص من عربان السوالم فارسل اليه انكشارى اخذه من عنده ووضعه فى الحديد فصار بينهما حظ نفس فى الباطن **وفيه** قدمت الاخبار من اسطنبول على يد شخص من العثمانيه وصار يفرق على عيال من توجه الى اسطنبول كتب فذكروا فى كتبهم وفاة جماعة كبيرة من اهل مصر ممن توجه الى اسطنبول لم يحضرنى اسماوهم الآن واشيع ان الخنكار لما دخل من حلب توجه الى ولايات ياس فنزل بالمرعش واقام بها مدة ثم رحل من هناك وتوجه الى اسطنبول وهى القسطنطينية العظمى محل مملكته كرسى ابن عثمان فقيل ان امير المومنين محمد المتوكل على الله لما بلغه مجى الخنكار خرج من اسطنبول ولاقاه هو واولاد عمه والعلاى على ابن الملك المويد واولاد الامرا الذى هناك والتاجرين واولاد الجيعان الذى هناك واولاد الناس من اهل مصر الذى توجهوا الى اسطنبول فلما وقعت عين الخليفة على ابن عثمان اراد ان ينزل له عن فرسه فحلف عليه الخنكار ومنعه من النزول وقيل انه عظمه غاية التعظيم واما بقية اعيان اهل مصر الذى هناك لم يلتفت اليهم لما خرجوا اليه ولاقوه هكذا اشيع بين الناس وكانوا يظنون ان الخنكار اذا دخل الى اسطنبول يفرج عنهم ويرسم لهم بالعود الى مصر فلم يخاطب منهم احدا ولم يلتفت اليهم واشيع انه لما دخل الى اسطنبول دخل فى موكب حفل فاقام نحو ستة ايام ورحل عنها وتوجه الى بلد من اعمال مملكته يقال لها ادرنه فاقام بها وسبب ذلك انه لما دخل الى اسطنبول وجد بها فناء عظيم وقد فتك بها الطاعون فتكا عظيما ومات بها من عسكره ما لا يحصى عدده وقيل مات من اهل مصر ممن توجه الى اسطنبول نحو من ثمانين انسان منهم اعيان وغير اعيان ولكن لم اقف على حقيقة اسما من مات هناك من الاعيان وسيظهر فيما بعد **ومن العجايب** ان الفلكيه وارباب النجوم حكموا بان سليم شاه ابن عثمان لم يبق يدخل الى بلده اسطنبول فكذبهم الله تعالى فيما قالوه ودخلها واقام بها اياما وبطلت اقوالهم الكاذبة كما يقال فى المعنى

لا ترقب النجم فى امر تحاوله ... فالله يفعل لا جدى ولا حمل
مع السعادة لا نجم ولا اثر ... فلا يضرك مريخ ولا زحل

ولما بلغ الخنكار ان شاه اسماعيل الصوفى طرد عسكر ابن عثمان من البلاد الذى كان ملكها

واستناب بها جماعة من العثمانية نطردهم الصوفى واستخلصها من ايديهم فلما بلغ ابن
ابن عثمان ذلك خرج من اسطنبول مسرعا واقام بادرنة حتى يرى ما يكون من امر شاه
اسماعيل الصوفى هكذا اشيع بين الناس والله اعلم بحقيقة ذلك وفى يوم الخميس ليلة
الجمعة عشرين شهر رمضان صنع له الزينى بركات ابن موسى مسايرة حفلة وركب
معه جماعة من المباشرين فشق من القاهرة بعد صلاة العشا باربعين درجة وقدامه
الكشافين وقواسه ومشاه وتوابيس ومشاعل كثيرة فانطلقت له النسا بالزغاريت
من الطبقان وارتفعت له الاصوات بالدعا وكانت من الايام المشهودة وارتجت له
القاهرة فى تلك الليلة وكان محبا للناس قاطبة وفيه وقع من الحوادث ان شخصا
من العثمانية كان فى خان الخليلى فقبض على شخص من العوام وزعم انه سرق من جيبه اربعة
انصاف فلما قبض عليه طلع به الى ملك الامرا فلما وقف بين يديه وقص عليه قصته
وما فعله به فى خان الخليلى فانه قبض على يده وهى فى جيبه واخذ من جيبه وهو
ماشى اربعة انصاف فلما سمع ملك الامرا ذلك رسم للوالى ان يقطع يده
فقطع يده وعلقها فى رقبته واشهره فى القاهرة فتاسف الناس عليه كيف قطعت
يده على اربعة انصاف وقد راح ظلما وقد تقدم القول على ان ملك الامرا شنق رجلا
على عيدان خيار شنبر وكان ملك الامرا يحب وهو مجور يحكم بين الناس بالعسف
والظلم ما لا يسوغ الشرع مما لا يجوز وكان الغالب عليه الجهل وقلة الدين فى افعاله كلها
وفى يوم الخميس خامس عشرينه حضر شيخ العرب عبد الدايم ابن بقر وكان ملك الامرا
ارسل اليه منديل الامان وخلعة بان يستقر فى مشيخة الشرقية فلما ان حضر وقابل
ملك الامرا تقدم اليه والده شيخ العرب الامير احمد بن بقر وسك ابنه عبد الدايم
من طوقه ثم التفت الى ملك الامرا وقال له متى اطلقت هذا صار فتنة من هنا الى يوم
القيامة واخرب الشرقية من اخرها فتعصب للامير احمد خير الدين بك نايب
القلعة وقال لملك الامرا اذا كان ابوه يشكى منه فكيف تطلقه انت فتفاقم على ذلك
سنان باشاه فلما سمع ملك الامرا الامر وضعه فى الحديد وسلمه الى خير الدين
نايب القلعة ثم ان ملك الامرا قبض على جماعة عبد الدايم الذى كانوا حضروا صحبته
قاطبة فقتل نحو ثلاثين نفر من اعيان العربان من جماعته ووضعهم فى الحديد وارسلهم
الى السجن ثم احضر قفطان حرير اخضر والبسه على الامير بيبرس بن الامير احمد بن
بقر وقرره فى مشيخة الشرقية عوضا عن عبد الدايم وقد سر بمسك عبد الدايم كل احد
من الناس فانه كان من المفسدين فى الارض ووقع منه امور شنيعة من حين دخل ابن عثمان
الى مصر وقطع الطريق على القفول التى تاتى من الشام وقتل التجار واخذ اموالهم
وقتل جماعة كثيرة من المماليك الجراكسة الذى كانوا قد طفشوا فى البلاد واخذ سلاحهم
وخيولهم وقد فعل من هذه الافعال الشنيعة ما لا يحصى ووضع يده على خراج بلاد

الاوقات

الاوقات واستخرجها وفعل من هذا النمط اشيا كثيرة ثم ان ملك الامرا ارسل حوط على
موجود عبد الدايم من صامت وناطق حتى على مواشيه وزرعه ومواشيه وتبوانه والقماش
وغير ذلك والذى حدث لا يحصى الا اكثر وفى يوم السبت سابع عشرين رمضان ثبت
النيل المبارك على ستة اصابع من تسعة عشر ذراعا وانهبط سريعا ولم يزد فى بابه
غير خمسة ايام ونقص ولم يزد بعده فى بابه شيا وكان نيلا شحيحا من مبتداه الى منتهاه
وفى ذلك اليوم نزل ملك الامرا وشق من القاهرة وقد بلغه ان قاصدا حضر من عند
الخنكار بن عثمان فنزل الى ملاقاته فلما شق من القاهرة ضجت اليه العوام من قلة
الخبز فى الاسواق وانطلقت السنتهم فى حق ملك الامرا بالظلم القبيح وقالوا الله انظر
فى احوال المسلمين بنور الله تعالى والا بصيرة لك فى ذلك فتنكد ملك الامرا من
ذلك وكان صحبته الزينى بركات ابن موسى المحتسب فقاسى فى ذلك اليوم من ملك
الامرا ما لا خير فيه وقال له قد عطلت عن الناس حتى صارت مملوءة بمصر ثم ان ملك
الامرا لما طلع الى القلعة رسم بنخز شونتين وان تفرق على الطحانين وفى يوم الثلاثا
سلخ شهر رمضان ارسل ملك الامرا الى الامير قايتباى وقال له قد رسم لك ملك الامرا
ان تدق على بابك فى هذه الليلة طبلخاناة دكوسات فلما سمع الامير قايتباى
ارسل يقول لملك الامرا دق الطبلخاناة على بابى دايما والا فى هذه الليلة فقط فلما
عاد هذا الجواب الى ملك الامرا قال قل له فى هذه الليلة فقط فلما بلغ الامير قايتباى
ذلك لم يوافق على دق الطبلخاناة على بابه فى هذه الليلة فقط وقال ادق الطبلخاناه
على بابى ليلة واحرمها حتى تضحك على الناس وامتنع من ذلك ولم يدق الطبلخاناه
على بابه فى تلك الليلة وقد بطل امر الطبلخاناه من على باب الامرا من حين دخل ابن عثمان
الى مصر وقد قلت فى ذلك المعنى ابياتا اهنى على الكوسات كيف دقت على باب
بسعد اميره قد بشرا وفى اول شهر شوال كان عيد الفطر يوم الاربعا فخرج ملك
الامرا وصلى صلاة العيد فى جامع القلعة وخطب بها قاضى القضاة كمال الدين الشافعى
وانقضى موكب العيد كانه لم يكن ولم يخلع فيه ملك الامرا على احد من المباشرين ولا
على الامير قايتباى الدوادار وبطل ما كان يعمل فى يوم العيد من تلك المواكب الجليلة
والخلع والتشاريف السنية وبطل تلك الطرز اليلبغاوى المراسى والفوقانيات
الحرير الاخضر وبطل اشيا كثيرة كانت من شعار المملكة وقع لى فى المرثية التى قلتها
فى مصر وقد قلت فيها ابياتا فى معنى ذلك وهو قولى

لهفى على اعياد مصر كيف قد ❊ بطلت فشاربها بها ومفترا
وكذا الكبابيش التى قد زخرفت ❊ كانت لسد جبوبها عند السرا
وكذا الخيول المزركشات بلمعها ❊ كانت كبرق او كليل اقمرا
ذلك محاسن مصر من اشيا قد ❊ كانت بها تزهوا على كل القرا

ثم نزل الزيني بركات من القلعة في موكب حفل وقدامه الملالية والمشاعل بالقوط الزركش
عليها والاكنادير بالقوط قدامه والفواسة قدامه مشاة فشق من القاهرة في ذلك
الموكب **وفي يوم** الخميس ثاني شوال طلع جماعة من اعيان المباشرين الى القلعة على جاري العادة
فلما تكاملوا اخرج اليهم ملك الامرا مرسوم الخنكار ابن عثمان بأن ارسل هذا المرسوم
على يد صوباشي من العثمانية الذي تقدم ذكر حضوره من البحر المالح وكان مضمون ذلك
المرسوم انه ارسل بطلب خمسة من المباشرين يتوجهون الى اسطنبول وهم العلاي علي
ناظر الخواص الشريفة والشرفي يونس النابلسي والقاضي ابو البقا ناظر الاسطبل
وارسل بطلب الامير يوسف البدري الوزير الذي كان كاشف الغربية وارسل بطلب
الشرفي يونس نقيب الجيش **فلما** تحققوا ذلك اضطربت احوالهم ورسموا
عليهم بالقلعة وقالوا لهم اكتبوا وصاياكم ويوم الجمعة تسافروا من البحر ثم في ذلك
اليوم اخلع ملك الامرا على القاضي شهاب الدين بن الجيعان واستقر به في كتابة السر عوضا
عن العلاي ناظر الخاص واخلع على القاضي شرف الدين بن عوض اخو فخر الدين واستقر به
في كتابة الخزانة وتحدث في جهات الشرقية واخلع على القاضي بركات بن موسى واستقر
في الحسبة على عادته وجعله متحدثا على الاستادارية عوضا عن يونس النابلسي واستقر
معه الشرفي يونس النابلسي استادار ملك الامرا واخلع على يوسف بن نقيب الجيش واستقر
به في نيابة الجيش عوضا عن ابيه فاخلع على هولا الجماعة في يوم واحد ونزلوا من القلعة
وعليهم القفاطين **وفي يوم** السبت رابع شوال نزل ملك الامرا من القلعة وسار نحو
بركة الحاج وصحبته الامير قايتباي الدوادار والامير سنان باشاه وقايت بك وجماعة
من الامرا العثمانية وجماعة من المماليك الجراكسة **فلما** وصل الى سبيل علان رسما قوا
قدامه الركابة بالخيل الجنايب وساقوا معهم خيول الامرا فسبق فرس الامير قايتباي
الدوادار فرس سنان بك فقيل ان هذه عادة عند العثمانية ان في ايام العيد يخرج
الخنكار ويسير في الفضا ويسوقوا قدامه بالخيول فمن سبق فرسه ينعم عليه الخنكار
بماية دينار والذي فرسه تقصر عن السباق ينعم عليه ببطيخة وهذا من انواع المماجنة
فانشرح ملك الامرا في ذلك اليوم الى الغاية وفيه قبض ملك الامرا على الخواجا
شهاب الدين احمد بن ابو بكر السكندري ووضعه في الحديد وقرر عليه مالا له صورة
واشيع ان الخنكار ارسل بطلبه الى اسطنبول فاضطربت احواله بسبب ذلك الى الغاية
وفيه اخلع على محيي الدين بن يوسف بن ابي اصبع وقرره على عادته استادار الذخيرة
الشريفة **وفي يوم** الجمعة عاشره حضر القاضي شهاب الدين الصغير كاتب المماليك
الى نحو الميدان وعرض جماعة من اولاد الناس ومن المماليك وكتب منهم جماعة يتوجهون
الى العقبة ايلا ويقيمون بالازلم فكتب منهم نحو ستين انسانا او فوق ذلك فحصل
للاولاد بسبب ذلك غاية الضرر لاجل قلة العليق وكانت القاهرة في تلك الايام

في غاية

في غاية الانشحات من قلة العليق وعدم الجمال بسبب خروج الحاج **وفي يوم** السبت
حادي عشره نزل ملك الامرا وجلس بالميدان وعرض عليه كسوة الكعبة الشريفة ومقام
ابراهيم والمحمل وشقوا بهم من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا **وفي يوم** الاحد
ثاني عشره اشيع ان ملك الامرا فرج عن القاضي نور الدين علي البنوبي الحنفي وكان له
مدة وهو في الترسيم بالقلعة بسبب مكتوب ثبت عليه وكان غريمه محمود السبرة شخ
امثاله وجرت له وقائع كثيرة **وفي يوم** الاثنين ثالث عشره نفق ملك الامرا على
العسكر الذي تعين للعقبة والازلم فاعطى لكل واحد منهم جامكية ثلاثة اشهر معجلا
وهي عبارة عن ستة الاف درهم وقيل رتب لكل واحد منهم في كل يوم رطلين بقسماط
تفرق لهم في العقبة ورسم لهم بان يلاقوا الحاج اذا حضر الى القاهرة وسبب توجه
هذا العسكر الى هناك لاجل حفظ ودايع الحجاج وملاقاتهم التي تتوجه لهم من مصر فان
العربان تزايد فسادهم في حق الحجاج وارسلوا يطلبوا لهم نجدة عند عودهم الى مصر
وفي يوم الاربعا خامس عشره رسم ملك الامرا بشنق عشرة انفار من جماعة عبد الدايم
ابن بقر فانهم كانوا من المفسدين فشنقوا وعلقوا في اماكن شتى من القاهرة **وفي يوم** الجمعة
سابع عشر شوال انزلوا من القلعة جماعة من المباشرين ممن كان في الترسيم وقد تقدم
القول على انهم يتوجهوا بهم الى اسطنبول فانزلوهم من القلعة بعد صلاة الصبح ومنهم
من هو راكب على بغلة ومنهم من هو راكب على حمار فشقوا بهم من الصليبة وتوجهوا بهم
الى بولاق وحولهم جماعة من الانكشارية مشاة بالسيوف في اوساطهم والصوباشي
الذي هو متسفر عليهم راكب قدامهم فكثر عليهم الاسف والحزن والبكا من الناس
وكان عدتهم سبعة انفس فلما وصلوا الى بولاق نزلوا بمنظرة ناظر الخاص الذي هناك حتى
تنتهي اشغالهم فحصل لنسا القاضي ابو البقا والقاضي بركات على ازواجهن غاية
الحزن فقاموا عليهم ودقوا عليهم بالطارات وكذلك زوجة يوسف البدري وبقية
المباشرين وكانت هذه الحادثة من اشنع الحوادث التي لم يقع قط مثلها فيما مضى من
الزمان فاستمروا بمنظرة ناظر الخاص ببولاق الى يوم الاثنين عشرين شوال فنزلوا في
مركب وتوجهوا الى ثغر الاسكندرية وكان هولا المباشرين لما صفي لهم الوقت طاشوا
وصادروا الملوك بمصر يتصرفون في امور المملكة بما يختاروه ولم ينس على يدهم يد
واستغرقوا في اللذات وانهمكوا على شرب الخمور وسماع الزمور ولم يتفكروا في عواقب
الامور فاستمروا على ذلك حتى طرقتهم الاخبار الردية واحاط بهم كل رزية فكان
كما قيل في المعنى * من يونس صفو الزمان * يبقى يوما بالكدر *
ثم عقيب ذلك سافر الى اسطنبول القاضي محمد بن الوزة لاعب الشطرنج ورفيقه
الشهابي احمد بن الاسكندراني وقيل ان الخنكار سليم شاه ارسل بطلبهما الى اسطنبول
على لسان الخواجا يونس العادلي وارسل لهما مبلغا له صورة بسبب لعبة الشطر

وحمل الزواده وقيل ان جماعة من المباشرين الذي توجهوا الى اسطنبول سالوا ملك
الامرا بان يعطوه مال له صورة ويعفيهم من السفر الى اسطنبول فما ابعد رعلى ذلك **وفي يوم**
السبت ثامن عشرين شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل عظيم وكان امير الركب
الزيني بركات بن موسى المحتسب فخرج بطلب حفل فكان ما اشتمل عليه الطلب خمسة عشر
نوبة من الهجن عليهم اكوار ما بين مخمل ملون وجوخ اصفر وبعض جنايب بعركستوانات
فولاد وبغلبول ومحنيين جوخ للنشابة وثلاث خزاين على العاده وكاسات على العاده
وطبلين وزمرين وعلى راسه صنجق عثماني حرير احمر وركب صحبته جماعة من المباشرين
الذين تاخروا بمصر وكان قدامه الكشاف وقواسة نحو مايتين انسانا **فلما** شق من القاهرة
دعواله العوام وانطلقت له النسا بالزغاريت من الطيقان وكان ذلك مشهودا فتفال
الناس بان يكون ذلك اخر سعده وخرج في هذه السنة حجاج كثير وغالبهم فلاحين
ورعايا واشيع ان العرب مفتتنة بالطريق وان الغلا موجود امامهم من حين خرجوا
من مصر وكذلك العليق كان منحوزا فلما خرج الحجاج وقف جماعة من اولاد الناس
والمماليك الذي عينوا الى العقبة الى ملك الامرا وشكوا اليه من عدم الجمال وانها ما
توجد فرسم بابطال جماعة منهم نحو ثلاثين انسانا وكانوا الذي تعينوا في الاول نحو
ستين انسانا دون ذلك واشيع ان ارباب الادراك من العربان وقفوا الى القاضي
بركات ابن موسى بسبب عاداتهم من الصر فطفش عليهم وتهورهم وسبهم فخرجوا من
عنده على غير رضا وقيل ان ناظر الخاص لما حج في السنة الخالية انعم على العربان وارباب
الادراك بالف جوخة حتى رجع بالحاج وهو سالم وبيض وجهه عن الناس **وفي شهر
ذي القعدة** كان مستهله يوم الجمعة فطلع القضاة الاربعة للتهنية بالشهر فلما
تكامل المجلس وقع تشاجر بين قاضي القضاة المالكي محيي الدين يحيى الدميري وبين
قاضي القضاة نور الدين علي الطرابلسي الحنفي فتقارض الكلام في ذلك حتى خرجا عن الحد
بسبب وقف الامير يشبك من مهدي الدوادار الكبير فانه اشرط في وقفه النظر
والتكلم للامير تغري بردي الاستادار فسمت ابنة الامير يشبك عند قاضي القضاة
عبد البر ابن الشحنة في ابطال ما كان شرطه والدها للامير تغري بردي وتجعلها الناظر
على ذلك والمتحدث وقد ساعدها على ذلك السلطان الغوري فلما ثبت ذلك على
القاضي عبد البر حكم بما ثبت وابطل ما كان اشرطه الامير يشبك لتغري بردي فلما
توفي قاضي القضاة عبد البر وتوفيت ابنة يشبك فسعى جماعة من معاتيق يشبك الد
لتغري بردي وحكم بصحته وتبع في ذلك شرط الواقف فلما جرى ذلك عز على بقية
القضاة ذلك كونه نقض حكم قاضي القضاة عبد البر فحضر في ذلك اليوم شخص من
اولاد عبد البر فقال لقاضي القضاة نور الدين الطرابلسي استنقض حكم شيخ الاسلام
عبد البر وانت من بعض طلبته وساعد القضاة على ذلك وحط عليه ملك الامرا

خايربك

كاذو

خاير بك وكان المجلس كله عليه فما وسعه في ذلك المجلس الا انه قال رجعت عن حكمي وانبت
حكم القاضي عبد البر على ما كان عليه فتشهد واعليه في ذلك المجلس بابطال ما حكم به فعد
ذلك نقيصة في حق قاضي القضاة نور الدين الطرابلسي ولامه الناس على سرعة نقضه
حكمه في الحال فعد ذلك من النوادر الغريبة وصارت الوحشة عمالة بين قاضي القضاة
المالكي والحنفي في الباطن فنزل قاضي القضاة الحنفي من القلعة في ذلك اليوم وهو في
غاية التنكيد وفي عقيب ذلك عزل قاضي القضاة الشافعي كمال الدين الطويل ونوابه
اجمعين ولم يبق منهم سوى ابن النقيب لا غير فاستمروا على ذلك مدة ثم انه فوض
لجماعة من اعيان نوابه ممن اختاره **وفي مستهل هذا الشهر** انعم ملك الامرا على القاضي
عبد العظيم الصيرفي وقرره في نظر الحسبة الشريفة عوضا عن الزيني بركات ابن موسى
الى ان يحضر من الحجاز فلما ولي القاضي عبد العظيم امر الحسبة اظهر النتيجة العظمى في الحط
سائر الاسعار في البضايع بعد ما كانت اشتطت الاسعار في تلك الايام وصارت غلوة
كبيرة بمصر واضطربت احوال الناس وارتفع الخبز من الاسواق وتعلقت الطواحين
وارتجت القاهرة بسبب ذلك وكان عقيب خروج الحجاج وسافر المحتسب فجارت
السوقة على الناس في سائر البضايع فلما ولي القاضي عبد العظيم صار يطوف القاهرة في كل
يوم ثلاث مرات وشرع يضرب الطحانين والخبازين ضربا مبرحا ويشهرهم في القاهرة
فمات في ليلة قتيلا وكذلك الطحانين والخبازين والزياتين وصار يوعدهم بالشنق
والخوزقة حتى انحطت اسعار البضايع قليلا وسكن ذلك الاضطراب الذي كان بمصر
ثم رسم للجبانين والسماكين بان يقلوا بالشيرج الطري دايما وكتب قسايم على المعلمين
انهم لا يعملون الزيت الحلو ابدا ثم نادى في القاهرة بتسعير اللحم الضاني والبقري
والجبن وساير البضايع ثم سعر الدقيق وجعل كل بطة بثلاثة عشر نصف فضة فنفع
الناس غاية النفع بعد ما صار بمصر غلوة شديدة فارتفعت له الاصوات بالدعا من
الناس قاطبة ثم احضر البزازين والتجار وعمل معدلهم في بيع الغزل والقماطع الخام
وساير القماش الابيض قاطبة فهابته التجار والسوقة ودخل في الحسبة دخول الهمام ولا
وصار له حرمة وافرة وكلمة نافذة **وفيه** توفي الامير ماماي امير اخور ثاني كان وكان
من امرا الطبلخاناة واصله من مماليك الامير ثاني باي امير اخور كبير وكان موته فجاة
على حين غفلة وقيل انه كان في صحبة مع العثمانية فوقع بينهما تشاجر فضربه احدهم
فمات في ليلته **وفيه** ثارت العثمانية على ملك الامرا وقالوا الله زد في جوامكنا والا اعطنا
دستورا نرجع الى بلادنا وعيالنا وان في مصر غلا وكل شي تعالى وهذه الجوامك ما تكفينا
فاوعدهم انه يرسل خبرا وعلمهم الخنكار كان امهلهم الى شهرين وكان القايم في هذه الحركة
جماعة الاسباهية **وفيه** كثرت الاخبار من الصعيد بان قد فشى الموت هناك في الابقار
والاغنام فمات منها ما لا يحصى عدده ووقع مثل ذلك بالشام ونواحيها ووقع مثل

ذلك بجهات الشرقيه والغربيه وزيادة على ذلك ان الدوده دعت البرسيم في ارض
الجيزة وغيرها من الاراضي التي زرعت بدري ووقع في اواخر هذه السنة تشحطة
عظيمة في ساير الغلال **وفي يوم** الاربعا سادسه رسم ملك الامرا بحبس القار من جامع
عبد الذاكر ابن بغر انهم حبشوا فشنقوا في عدة اماكن **وفي يوم** السبت تاسعه نودي في
القاهرة بان لا احدا من الناس يصنع خيال الظل ولا مقاني عرب ولا غير ذلك ولا
يبيطي بونة مرهي الى بعد العشا ولا يمشي في الاسواق من بعد العشا وان الاسواق تغلق
من بعد المغرب وسبب ذلك ان العثمانيه صاروا يشوشوا على الناس في الليل ويخطفون
العمايم والشدود ويخطفون النسا والمردان من الطرقات ليلا ونهارا وحصل للناس
منهم غاية الضرر الشامل فصارت المماليك العثمانيه تؤذي الناس وصارت المسالك
من بعد المغرب تقفر من قلة السالك بها وصار على الوجود خمود **وفيه** قدمت الاخبار
من ثغر الاسكندريه بان الجماعة الذي توجهوا هناك من المباشرين لما نزلوا في المراكب
وسافروا في البحر المالح غابوا فيه ثلاث ايام ثم عادوا الى ثغر رشيد وسبب ذلك
ان في تلك الايام نادي ريح عظيم فرد المراكب من حيث جاوا فاقاموا في رشيد اياما
حتى طاب الريح ثم سافروا وقصدوا التوجه الى اسطنبول **وفيه** اشيع ان القاضي
بركات بن موسى المحتسب ارسل يطلب من ملك الامرا تجريده ثلاثيه من الازلم
عند عود الحاج فان العربان شوشوا على الحجاج واخذوا منهم جمال بحملها بما عليها من الاحمال
وحصل منهم غاية الفساد في حق الحجاج **فلما** بلغ ملك الامرا ذلك نزل الى الميدان وعرض
جماعة من العسكر وعين تجريده تلاقي الحجاج من الازلم فكتب جماعة من المماليك الجراكسه
وجماعة من العسكر وجماعة من اولاد الناس واستحثهم في سرعة الخروج الى الازلم **وفي يوم**
الاثنين خامس عشرينه نزل ملك الامرا من القلعة بعد صلاة الصبح وعدى الى بر الجيزه
وتوجه الى نحو شبرمنت وقناطر العشره وذلك على سبيل التنزه فصنع الشهابي احمد
ابن الجيعان هناك مدة حفلة وكذلك القاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك
وكان صحبته المماليك والامير قايتباي الدوادار والامير ازدمر الكاشف وسنان
باشاه وقانبك وجماعة من الامرا العثمانيه وجماعة كبيرة من المماليك الجراكسه فاستمر
هناك الى بعد العصر فركب وعدى من بر الجيزه وطلع الى القلعة واشيع ان كان بين
ملك الامرا وبين الامير قايتباي الدوادار حظ نفس في الباطن فعزم عليه هناك وزال
ما بينهم من الوحشة وطابت الخواطر منهما **وفي يوم** الجمعه سلخ الشهر خرج الامير قايتباي
الدوادار وسافر نحو البهنسا وسبب ذلك انه غيب من المماليك الجراكسه من يحصل لهم
لاجل ترتيز الاضحية فانها كانت غالية ومحورة ولا توجد **وفي شهر ذي الحجة** كان
مستهل الشهر يوم السبت فطلع القضاه الاربع الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر وعادوا
الى دورهم **وفي يوم** الخميس سادسه خرج العسكر المعين الى الازلم وكان باش هذا التجريده

يتخص

تخص بيال له اياس فخرج في ذلك العسكر **فلما** قدمت الاخبار من الصعيد بان الامير
علي بن عمر خرج يغزو صاحب النوبه وان الصعيد احواله مضطربه **وفي يوم** الجمعه
سابعه خرج الامير جانم الحمزاوي دوادار ملك الامرا وقصد التوجه الى نحو البلاد الشاميه
وسبب ذلك ان ملك الامرا ارسل على يده تقدمة حفلة الى شخص من امرا ابن عثمان يقال
له بيري باشاه وكان من اعيان امرا ابن عثمان وكان مقيما على البيره وقيل بحلب **فلما**
خرج جانم الحمزاوي ووصل الى العكرشا وردت الاخبار عليه من هناك بان الامير بيري باشا
الذي خرج بسببه قد توجه الى اسطنبول وقد تغلب عليه العسكر الذي كان على البيره
من الغلا وشدة البرد فرجع الى اسطنبول الى ان يذهب الشتا فلما تحقق الامير جانم
الحمزاوي ذلك ارسل قاصدا ورمل الامرا ان يرجع الى مصر او يسافر الى حلب فرسم له ملك
الامرا بالعود الى مصر فرجع من العكرشا وصحبته التقدمة التي عينت لبيري باشا **ومن
الحوادث** ان ملك الامرا رسم للوالي ان ينادي في القاهرة بسد قناطر الخزو بي
الثلاثه فوزعوا سد هذه القناطر على السكان الذي في بيوتهم فوق الصور وحصل
للسكان الذي في بيوتهم فوق الصور غاية الضرر من مصروف العمارة على ذلك واشيع
سد قناطر السباع وقنطرة الموسكي ولم يعلم ما القصد من ذلك وسد والقناطر الخزوبي
الثلاثه بالحجار نحو ذلك من النوادر الغريبة وكثر القيل والقال في ذلك **وفي يوم** الاثنين
عاشره كان عيد النحر فلم يفرق ملك الامرا على احد اضحية لا من الامرا ولا من العسكر
وقطع ضحايا الفقها والمباشرين حتى ضحايا الزوايا والمزارات التي في القرافة وغيرها
وقال انا ما اعطي الا على طريقة ابن عثمان في سائر افعاله وقطع ساير الاضحية التي كانت
تفرق في الاعياد **وفي اواخر هذا الشهر** وقع بين ملك الامرا وبين الاسباهية من
عسكر ابن عثمان وقالوا له اعطنا دستور لنسافر الى بلادنا فان اشتقنا الى بلادنا وعيالنا
فقال لهم حتى ارسل اشاور الخنكار فقالوا نحن ما نصبر حتى تشاور واغلظوا على سنان
باشاه في القول وقالوا له هذا كله شغلك فاتفق معهم ملك الامرا الى بعد مضي
الشتا يأذن لهم بالسفر والعود الى بلادهم انهى ما اوردناه من اخبار سنة اربع
وعشرين وتسعماية وخرجت عن الناس على خير وكانت سنة كثيرة الحوادث
منها خفة النيل ووقع الغلا في ساير البضايع والغلال واستمرت هذه التشحيطة
تتزايد الى اواخر السنة ووقع من الحوادث نفي المباشرين الى اسطنبول وغير ذلك
حوادث كثيره **ثم دخلت سنة خمس وعشرين** وتسعماية المباركه كان مستهل الشهر
يوم الاثنين فطلع القضاه الاربع الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالعام الجديد ثم عادوا
الى دورهم **وفيه** امطرت السما مطرا غزيرا فتفاءل الناس بذلك ان العام يكون مباركا
خصبا **وفي يوم** الخميس رابع المحرم حضر من نايب الشام جان بردي الغزالي الى ملك الامرا
خاير بك تقدمة للبيت عظيمة امر وهي اربعة رؤوس خيل وثمان شقادف تشتمل على

على نظار مبيز ضمنها مخللا وفي بعض الشقادف كمثرى وتفاح وسفرجل وارسل ملك
الامرا جان بردي الى الامير قايتباي الدوادار فرسا واربع شقادف ومثل ذلك للامير
ازدمر الناشف ومثل ذلك الى جماعة من الامرا العثمانية فشكروا له **وفي يوم** الجمعة
خامس المحرم حضر مبشر الحاج واخبر بالامن والسلامة غير ان معهم الغلا الشديد وموت
الجمال فوصل كرا الجمل الى ماية وعشرين دينارا وان مكة مغلية غلا شديدا ونزل غالب من
بها من المجاورين بسبب الغلا وان العربان جايرة في الطريق وكانت سنة شديدة صعبة
وفي يوم الاحد سابع المحرم قدمت الاخبار من قطيا بان والي قطيا وهو شخص من
الاتراك يقال له قانبردي واصله من مماليك الظاهر بوفوق وقيل من مماليك الغوري
فارسل اليه ملك الامرا خاير بك جماعة من الانكشارية يطالبوه بمال قطيا فلم يعطهم
شيئا فاغلظوا عليه في القول وقالوا له ما خذك معنا في الحديد الى ملك الامرا فطرحهما
الى الارض وضربهما بالمقارع حتى اشرفا على الموت وقيل مات احدهما من الضرب
وقال لهما امضوا الى استاذكم وقولوا له ايش ما طلع بيدك افعله فحضر احدهما واخبر
ملك الامرا بذلك فلما مضوا من قطيا اخذ والي قطيا ماله وعياله وغلمانه وتوجه
الى عند جان بردي الغزالي في غزة بسبب ملاقاة الحاج وقيل كان عند والي قطيا جماعة
كثيرة من المماليك الجراكسة فلما توجه الى الغزالي توجهوا معه **فلما** بلغ ملك الامرا
ذلك اخلع على شخص من الاتراك وقرره في ولاية قطيا عوضا عن قانبردي بحكم
عصيانه كما تقدم **وفي يوم** الاربعا سابع عشره ركب محمد العظم الصغير في نايب المحتسب
ونادى في القاهرة بان ارباب الدكاكين من السوق يبيضوا دكاكينهم ويزخرفوها
بالدهان ويبيضوا الات النحاس الذي عندهم في الدكاكين لاجل مجي القاضي بركات
ابن موسى المحتسب من الحجاز **وفي يوم** الاربعا المقدم ذكره وقعت حادثة مهولة وهو
ان ملك الامرا نزل من القلعة وتوجه الى نحو بركة الحبش وعزم على وردبش دوادار
نايب الشام الذي حضر مع التقدمة فصنع له هناك مدة حفلة ونصب سيباي له
هناك سحابة عظيمة وحضر عنده الامير قايتباي الدوادار وجماعة من الامرا الجراكسة
وحضر جماعة من الامرا العثمانية منهم سنان باشاه وفايق بك وحضر الامرا العثمانية
منهم الامير كشبغا والي القاهرة وجماعة من المماليك الجراكسة **فلما** انقضى امر
المدة احضر ملك الامرا سفرة الشراب فلما دارت عليهم الكاسات وطلع الخمر في
رؤوسهم طرح ما كان في قلوبهم من الغدر فقال فايق بك لكشبغا الوالي الجركسي واجرى
ذكر جان بردي الغزالي بما لا يليق فقال له كشبغا الله يعلم من هو الذي خان منا نحن
او انتم وقد كتبتم اماناتكم في اوراق ودفعتموها على الامرا ووضعوها على رؤوسهم
وطلعوا اليكم بالامان فغدرتموهم وقتلتموهم فمن خان نحن او انتم ثم تزايد بينهم الكلام
القبيح حتى خرجا عن الحد فوثب فايق بك على كشبغا الوالي بخنجر ليقتله فجاءت الضربة

في قنطاط

في قنطاط فانحرف فوثب كشبغا الوالي بخنجر على فايق ليقتله فحال بينهما الحاضرون
ثم ركب كشبغا على فرسه وركب جماعة من المماليك الجراكسة وسلوا سيوفهم وركب جماعة
من العثمانية وسلوا سيوفهم وقصدوا الوثوب على بعضهم وكادت تكون فتنة عظيمة
تذهب فيها الارواح فتنكد ملك الامرا لذلك وركب على الفور وحال بين الفريقين وخمد
هذه الفتنة قليلا ورسم للعثمانية ان يمضوا من على طريق مصر العتيقة ومضى هو والامرا
الجراكسة من على طريق الزرائر واستمر على ذلك حتى طلع الى القلعة من الميدان فاراد
لنفسه في اللعمة وفي عينه قطرة وقد اضطرب احواله وخاف ان هذه الفتنة تتسع
فقيل انه حلف لا يشرب خمرا في هذه السنة واستمرت النفوس قايمة بين فايق وبين
كشبغا الوالي وهذه الحادثة اول حوادث سنة خمس وعشرين وتسعماية ثم ان ملك الامرا
بعد وقوع هذه الحركة احتجب عن الناس ثلاثة ايام لم يظهر لاحد من الناس من شدة تكدره
مما قاساه في ذلك اليوم **وفي يوم** الاثنين ثاني عشره خرجت المدورة الى بركة الحاج
بسبب الملاقاة فلما اقامت المدورة هناك يوما وليلة اشيع انها رجعت الى القاهرة
وسبب ذلك ان الزيني بركات ابن موسى ارسل هجانا الى ملك الامرا واخبره ان الحجاج
ما وصلوا الى عيون القصب الا وهم في غاية النكد بسبب موت الجمال والغلا وفتنة
العربان فتنكد الناس لذلك ورجع من كان طلع الى بركة الحاج من الملاقيين **وفي يوم**
السبت سابع عشره حضر قاصد من عند ابن عثمان وحضر صحبته الناصري محمد الحلبي
مهمندار ملك الامرا وحضر قاصد الامير علي ابن عمر شيخ عربان جهات الصعيد وكان
قد توجه صحبة التقدمة الذي ارسلها الى ابن عثمان **فلما** بلغ ملك الامرا وصول القاصد
الى مرياقوس نزل من القلعة وتلقاه من تربة العادل التي بالمطرية وخرج صحبته الامرا
العثمانية والامرا الجراكسة واعيان المباشرين والعسكر العثماني والانكشارية قدامه
مشاة يرمون قدامه بالنفوط فلما وصل الى تربة العادل نزل وجلس على المسطبة
التي هناك ثم حضر القاصد فاخرج قفطانا مخمل تماسيح على اجرا رسله اليه الخنكار
ابن عثمان بالاستمرار على نيابة مصر فلبسه ملك الامرا وقبل الارض مرارا وارسل
قفاطين تماسيح الى فايق بك وسنان باشاه وخير الدين بك نايب القلعة وارسل
قفطان الى الامير قايتباي الدوادار باستمراره في الدوادارية فلبسه ثم ركب
ملك الامرا من هناك ودخل من باب النصر وشق القاهرة في موكب حافل ولاقته
القضاة الاربع من باب النصر ثم مشت طايفة النصارى قدامه بالشموع وكان ذلك
اليوم السبت فلم تحضر فيه طايفة اليهود في ذلك اليوم واستمر في ذلك اليوم
الموكب الى ان طلع القلعة فلما اقام القاصد اياما اشيع بين الناس انه حضر بطلب
طايفة الاسباهية الذي بمصر واشيع ان الخنكار ابن عثمان ارسل تقدمة حافلة الى
الامير علي بن عمر شيخ عربان الصعيد وارسل اليه قفطان تماسيح باستمراره على عادته

ورسم ان الشدبه والقفطان تتوجه اليه صحبة قاصد الى الصعيد **وفي يوم** الاحد ثامن
عشرينه نزل الحاج بالبركه وحضر المحمل الشريف صحبة القاضي بركات بن موسى المحتسب
امير الحاج فتغدى في بركه الحاج وتوجه الى مدرسة السلطان الغوري فلما طلع النهار
من يوم الاثنين ركب من هناك وطلع الى عند ملك الامرا وقابله فاخلع عليه قفطان مخمل
احمر مذهب ونزل من عنده وشق القاهرة في موكب حفل وقدامه جماعة من الانكشارية
مشاة يرمون بالنفوط فكانوا نحو مايتين انسان فشق الزيني بركات من القاهرة وهو
لابس عمامة هواريه على زنط وصاروب لثام ثم اشيع بين الناس ان الحجاج قاسوا
في هذه السنة مشقة زايدة من الغلا وموت الجمال وقلة العليق وكانت سنة صعبة
شديدة بفساد العربان والغلا وقد منعوا مبشر الحاج من الدخول الى القاهرة ثم اشيع
وفاة الطواشي الامير بشير راس نوبة السقاه وكان قد توجه الى المدينة الشريفة من
حين دخل ابن عثمان الى القاهرة فتوجه صحبة قاضي القضاة الشرفي يحيى بن البرديني
شيخ الحرم النبوي فاقام هناك الى ان مات ودفن بالمدينة واشيع موت اخرين من الاعيان
وكان غالب الناس قطع وجزم بعدم عود الزيني بركات بن موسى الى القاهرة فانه حمل
ما لا يطيق كونه طلع الى الحجاز امير حاج وكانت هذه الوظيفة للامرا المقدمين وكانت
هذه السنه صعبة من فساد العربان في طريق الحجاز وشدة الغلا وموت الجمال فاعانه
الله تعالى على ذلك ورجع مع السلامه **وفيه** وقعت حادثة غريبة وهو ان جماعة من
الاسباهية تغايروا على صبية فلما توجهت الى غيرهم كبسوها بالوالي في ذلك
المكان الذي كانت فيه وزعموا انها كانت عند شخص نصراني فقبضوا عليها وعلى ذلك
النصراني **فلما** عرضوا على ملك الامرا رسم بان تعرى المراة من اثوابها وتكتف ايديها
وارجلها وان تربط من رجليها في ذنب الكديش وتسحب على وجهها من الكداشين الى
باب زويله ففعلوا بها ذلك وشنقوا بها من القاهرة وقصدوا شنقها على باب
زويله فقيل انها ماتت في اثنا الطريق وقيل بل غرقوها في البحر عند الجزيرة الوسطى
وقد مضى امرها وقد قاست ما لا خير فيه حتى ماتت **وفي شهر صفر** كان مستهله
يوم الثلاثا فطلع القضاة الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم
وفي اوايل هذا الشهر قدمت الاخبار من ثغر الاسكندرية مع بعض التجار البنادقة
ان جماعة المباشرين الذي خرجوا من مصر وتوجهوا الى اسطنبول في البحر المالح انهم لما
وصلوا الى قريب جزيرة اقريطش خرج عليهم طايفة من الافرنج فتحاربوا مع الجماعة
العثمانية الذي خرجوا صحبة المباشرين فقتلوا منهم جماعة ومن جملتهم الخواجا هاشم
وكان من ابنا العجم وكان من اخصا ملك الامرا خاير بك وكان قرره في نظر المارستان
ونظر جهات الجوالي فقتل في هذه المعركة وكان قصده ان يتوجه الى الخنكار صحبة
المباشرين فلما خرجت عليهم الافرنج تحاربوا معهم حتى قتل في المركب التي كان فيها

الشرفي

الشرفي يونس النابلسي الاستادار والقاضي بركات كاتب الوجه اخو القاضي شرف
الدين الصغير كاتب المماليك وكان بهذه المركب يوسف البدري الوزير والناصري
محمد بن الوزه لاعب الشطرنج ايضا **فلما** خرجت عليهم الافرنج ارموا على مركبهم بالمدافع
فانخرقت وغرق كل من كان فيها من المباشرين وغيرهم فغرقوا هم واموالهم التي كانت
معهم جميعا فغرق الشرفي يونس النابلسي الاستادار وبركات كاتب الوجه ويوسف
البدري الوزير ومحمد بن الوزه لاعب الشطرنج وقيل سلم من الغرق احمد الاسكندراني
ورفيقه ثم اشيع بان المركب التي كان بها علا الدين ناظر الخاص وفخر الدين بن عوض والقاضي
ابو البقا ناظر الخاص الاسطبل والشرفي يونس نقيب الجيش واحمد الاسكندراني لاعب
الشطرنج فقيل ان المركب الذي كان فيها سلمت من الغرق فسار بها الهوى الى نحو جزيرة
اقريطش وهم عراة حفاة مكشفين الرووس نحو سبعة ايام حتى اعيوا من المشي وتورمت
اقدامهم واشرفوا على الموت مرارا فاما الشرفي يونس نقيب الجيش فانه مرض هناك ومات
ودفن بجزيرة اقريطش واما علا الدين ناظر الخاص فانه مرض وعيا من المشي فحمله بعض
الافرنج على اكتافه وكذلك ابو البقا ناظر الاسطبل وفخر الدين بن عوض فاستمروا
على ذلك مدة سبعة ايام حتى وصلوا الى صاحب جزيرة اقريطش **فلما** راهم احسن
اليهم وكساهم واقاموا عنده مدة طويلة ثم جهزهم وارسلهم الى اسطنبول هكذا اشيع
والعلم لله تعالى **فلما** ثبت موت هولا المباشرين خرج نعيهم وطاف بالقاهرة ودقوا
عليهم بالطارات وكان هولا المباشرين تزايد ظلمهم على اولاد الناس وضيقوا عليهم بسبب
ارزاقهم واوقافهم واقطاعاتهم ولاسيما ما فعله فخر الدين ابن عوض في جهات الغربيه
من وجوه الظلم فكثر عليهم الدعا من الناس وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
وكان كما قيل في المعنى ٭ فاستغن بالسمع عن مرآهم عظة ٭ فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ٭
وصاروا يفتحوا على الناس ابوابا من المظالم شيا بعد شي ووضعوا ايديهم على البلاد
قاطبة حتى على الاوقاف الذي على الجوامع والمساجد والزوايا وضاع على الناس خراجهم
وحصل لهم الضرر الشامل ثم انهم ابطلوا الاقطاعات التي بالمناشير وادخلوها
في ديوان السلطان ثم في السنة الثانيه اوقفوا الرزق التي بالمربعات الجيشية التي
بيد اولاد الناس والنسا وغير ذلك وصاروا يضعوا ايديهم على بلاد الاوقاف
ويستخرجوا منها الاموال ولا يخرجوا عنها الا بعد جهد كبير لمن ياخذ وابرطيله وكانوا
اذا قرروا مع ملك الامرا شيا من امر البلاد يطاوعهم على الفساد ويقول لهم افعلوا
ذلك وهو في ايديهم مثل اللولب يديرونه كيف شاوا وكان الوقت قد صفا لهم
وصاروا هم المتصرفين في احوال المملكة مما يختاروه فاخذهم الله اخذا وبيلا ولم
يجدوا لهم من الله سبيلا وتكدرت اوقاتهم بعد الصفا وخانهم الدهر بعد
الوفا وقد قلت في هذا المعنى ٭ ٭ ٭

اذا صفا الدهر يوما ❊ الى التكدير يرجع
هل من لبيب تراه ❊ بايسر الرزق يقنع
فالبعض من يشاهد ❊ لمصرع بعد مصرع

وفيه قدمت الاخبار من دمشق بان الحاج الشامى قد اشتق لواطيه العربان وعوقوهم من
الدخول الى البلاد الشاميه ونهبوا اموالهم وجمالهم وغنموا منهم اموالا لها صورة فلما
بلغ الامير جان بردى الغزالى ذلك خرج الى العربان من يومه وخرج صحبته نايب غزه
بعساكر غزه ونايب الكرك فاقتتل مع العربان وانتصر عليهم وقتل منهم جماعة كثيرة
وغنم اموالهم وما كانوا غنموه من الحاج الشامى وهو شى لا ينحصر فاحاط على جميع ما معهم
وهربوا من وجهه الى الجبال وخلص ما كانوا اسروه من رجال ونسا وصبيان وغلمان
فكان له الشكر على ذلك وفيه تزايد الضرر من الاسباهية فى حق الناس وصاروا
يخطفون النسا من الطرقات وكذلك الصبيان المرد حتى قيل انهم خطفوا امراة عند
سلم المدرسة المويدية تحت دكان الذى يبيع الكعك والناس ينظرون اليهم وهم
يفسقون بها فلم يجسر احد من الناس ان يخلصها منهم ثم صاروا يخطفون الطرقات
على نسا المسلمين وعلى البياعين وصار واهل مصر فى غاية الضنك والامر لله تعالى
وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه نزل ملك الامرا الى الميدان واحضر سنان باشاه اغات
الاسباهية وقد صار بينه وبينهم وحشة بسبب جوامكهم فكان ياخذ من ملك الامرا
المال ولا يصرف لهم شيا فلما وقع الحساب وجد فى جهته لهم احد وثمانين الف
دينار فاعترف انها فى جهته وسيوصله الى الخنكار فحصل بينه وبين الاسباهيه
فى ذلك اليوم تشاجر بسبب ذلك فقالت الاسباهيه لا نبقوا نعطوا سنان باشا من
جوامكنا شيا واصرف لنا مثل جوامك المماليك فى كل شهر على البساط وفى يوم الثلاثا
ويوم الاربعا سلخ الشهر عرض ملك الامرا الاسباهية مثل ما وجد عند سنان باشا
وجد فى جهة قايتباى بك من المال وقال مثل قوله فكثر بينهما القال والقيل بسبب ذلك
وقد دهبت عقارب الفتن بين الاسباهية وبين سنان باشاه وقايتباى بك واستوعد
سنان باشاه بالقتل غير ما مره وفى شهر ربيع الاول كان مستهله يوم الخميس فطلع
القضاه الاربع الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الاثنين
خامس الشهر نزل ملك الامرا فى الميدان وعرض الاسباهية وعلم من فقد منهم ومن بقى
ثم ظهر له ما كان ياخذ سنان باشاه وقايتباى بك من جوامك الاسباهيه وليس له
وجود فظهر ذنبه فى هذه الحركه فغضب ملك الامرا وفى يوم الخميس ثامن الشهر
غضب ملك الامرا على طيلان راس نوبه وضربه بين يديه بالمقارع فى الحوش ضربا
مبرحا وكان سبب ذلك ان اخت السلطان طومان باى اودعت عنده ثمانية الاف
دينار فانكر طيلان ذلك وحلف انها ما اودعت عنده شيا من ذلك فلما تزايد

الامر من افواه الناس بسبب هذه الوديعة وصار طيلان ينكر ذلك حنق منه ملك
الامرا وامر بضربه بالمقارع وهو لم يعترف بشى فنزل من القلعة وهو فى الترسيم حتى يجى
ذلك وفى يوم الاحد حادى عشره ليلة الاثنين كان المولد الشريف النبوى فجلس ملك
الامرا فى المقعد الذى فى الحوش السلطانى واجتمع عنده من القرا والوعاظ ثلاثة عشر جوقة
ثم فى اواخر النهار مد السماط لا يسمن ولا يغنى من جوع واين هذا كان مما يعمل فى مواليد
من تقدم من السلاطين ثم انه خلع على الوعاظ قفاطين واستردها بعد رهين وفى يوم
الاثنين ثانى عشره اخلع ملك الامرا على مملوكه برسباى واستقر به امير ركب الحاج
الشريف فنزل من القلعة فى موكب حفل وفى يوم الخميس خامس عشره حضر قاصد
من عند نايب حلب وصحبته تقدمة حفلة الى ملك الامرا واشيع ان الامير جان بردى
الغزالى نايب الشام قد قبض على اربعة من عربان مشايخ جبل نابلس منهم قراجا بن طراباى
فلما قبض عليهم حز رووسهم وارسلهم الى الخنكار بادر كلما فعل ذلك اضطربت
احوال اهل جبل نابلس وصارت العربان ياتوا الضياع التى حول جبل نابلس ويقتلوا
اهلها وتزايد الغلا بالشام من قلة الجالب اليها وفى يوم الثلاثا عشرينه قدمت الاخبار
من الغربيه بان اينال السيفى طراباى كاشف الغربية قد احتال على حسن بن مرعى
واخيه شكر مشايخ الغربية وهما اللذان كانا سببا لمسك السلطان طومان باى وقد
تقدم ذكر ذلك فعزم اينال على حسن بن مرعى واخيه شكر فى مكان بالغربية من سنهور
فاتوا اليه وركنوا اليه وظنوا انه من تم قد نسى بما قد فعلوه فكان كما يقال فى المعنى
❊ قالت ترقب عيون الحى ان لها ❊ عينا عليك اذا ما نمت لم تنم ❊
فلما انقضى ذلك اليوم مد لهما مدة حفلة ثم بعد ذلك احضر لهما سفرة الشراب
فلما شربا ودخلا فى السكر هجم عليهما جماعة من المماليك الجراكسه ممن كان عند اينال
فقاتلوا حسن وشكر بالحسام قبل الكلام فقطعوا رووسهما واشتفوا منهما حتى قيل
ان بعض المماليك الجراكسه شرب من دمهما وبعضهم جزل لحومهما بالسيف والمجازاه من
جنس العمل وكما تدين تدان وفى يوم الاربعا حادى عشرينه حضر الى القاهرة راس حسن
ابن مرعى وراس شكر فرسم ملك الامرا للوالى ان يعلقهما على باب النصر وقيل انهم لما دخلوا
برووسهما علقوهما فى رقبة فرس السلطان طومان باى الذى كان راكبا عليها لما قبضوا
عليه فى تروجه فصادفوا هذه الفرس كانت تحت حسن بن مرعى لما اتى الى اينال فقعد
ذلك من النوادر الغريبه وقيل ان عيال السلطان طومان باى لما علقت راس حسن وشكر
على باب النصر اظهروا فى ذلك اليوم الفرح والسرور واطلقوا الزغاريت وخلقوا
بالزعفران واشيع ان اخا حسن بن مرعى كان مختفيا بالقاهرة لما قتل اخوه فغمز عليه
من بيت بعض اصحابه وفى يوم الجمعه ثالث عشرينه قدمت الاخبار من ثغر دمياط
بان وصل الى ثغر دمياط قاصد من البحر ارسله الخنكار ابن عثمان بطلب سنان باشا

وقايتباى بك فلما سمعا ذلك تنكدا لهذا الخبر وقالوا لملك الامرا خاير بك هذا كله شغلك
انت تكاتب فينا الخنكار في الدس وتوانع فينا عنده فلما وردت الاخبار بمجي القاصد
من دمياط رسم ملك الامرا للقاضي بركات بن موسى بالتوجه الى ملاقاته فخرج الى قليوب
وادعى على البلاد من الشرقيه والغربيه الاوز والدجاج فمد له القاضي بركات بن موسى
مدة حفلة فاشيع انه صنع له في تلك المدة اربعماية راس غنم ومثلها اوز ومثلها
دجاج وخمسماية مجمع حلوى وقيل الف مجمع ثم مد له في ابي المنجا مدة ثانية مثل
الاولى **فلما** وصل القاصد الى هناك فاذا هما اميران احدهما يسمى اسكندر باشا
والاخر يسمى فرحات بك وصحبتهما من الغلمان نحو مايتي انسان فلما انتهى امر المدة
احضر القاضي بركات بن موسى بين ايديهما وقالا له الخنكار يسلم عليك ويشكر
لك بين الله وجهك الذي رجعت بالحجاج سالمين بخلاف ما جرى على الحاج الشامي
فقام وقبل الارض مدة مرارا وكشف راسه فلما وصلوا القصاد الى شبرا خرج الامير
قايتباى الدوادار الى ملاقاتهم وجماعة من الامرا الجراكسه فسلموا عليهم ورجعوا الى
دورهم **وفي يوم** الثلاثا سابع عشرينه دخلوا القصاد الى القاهرة وقت صلاة الصبح
فطلعوا من على الجزيرة الوسطى واتوا من على باب الخرق واتوا الى تحت الربع وتوجهوا
من على الزربيين فانزلوهم في بيت الاتابكي قرقماس من ولي الدين الذي عند حوض العظام
فانزلوا اسكندر باشاه وانزلوا فرحات بك في بيت الامير كسباى المحتسب
الذي عند مدرسة سودون من زاده فمد لهما القاضي بركات بن موسى هناك مدة
حفلة ثالثة لكل واحد منهما على الزيادة واستمروا هناك الى يوم الثلاثا سابع عشرينه
طلع القصاد الاربعة الى القلعة واجتمعوا بملك الامرا وقروا مطالعة الخنكار ارسل
يطلب سنان باشاه وقايتباى بك وخير الدين نايب القلعة واجتمعوا بملك الامرا
وارسل يقول لملك الامرا خاير بك بان يتوصا بالجراكسه وان يصرف لهم جوامكهم على
العاده وعليقهم وان ينظروا في احوال المعامله ويزول عنها الغش في الذهب
والفضه ويحفظوا الثغور **فلما** تحقق سنان باشاه وقايتباى بك ان السلطان ارسل
يطلبهما اضطربت احوالهما وهموا بقتل ملك الامرا خاير بك وعلموا ان هذا كله مما كان
يراسل به للخنكار فتنكروا منه فاختفى ملك الامرا في الحريم ثلاثة ايام لم يظهر لاحد
من الناس حتى اشيع انه تدرهب من القلعة فاضطربت احوال القاهرة ووقع الناس منهم
في الحواصل وهج الناس بوقوع فتنة عظيمة تخرب فيها القاهرة وتنهب من اخرها من
الاسباهية والانكشاريه فاقامت الناس على وجل ثلاثة ايام ثم طلع القاضي بركات
ابن موسى الى ملك الامرا وقال له ارسم للوالي ينادي في القاهرة للناس بالامان والاطمان
والبيع والشرا وان الاسواق والدكاكين تفتح وان لا احدا يكثر كلامه ولا يتحدث في
شي لا يعنيه ومن تكلم في شي لا يعنيه يشنق من غير معاودة فطاف الوالي في القاهرة

واشتهر الندا بذلك وصار ملك الامرا على راسه طبيرة من الاسباهيه فينا حايطا تجاه
باب السلسلة وصارت الاشاعات قايمة بوقوع فتنة عظيمة من الاسباهية وكان
عدتهم نحو الفين انسانا غير الكمليه وصاروا يركبون في كل يوم ويقفون في الرميله ويسبون
ملك الامرا سبا قبيحا ويهمون بالهجم عليه **وفيه** قدمت الاخبار من الشرقيه بقتل شيخ
العرب علي الاسمر بن ابي الشوارب وقد احتال عليه كاشف المنوفيه وعزم عليه واسكره
وهجم عليه دواداره فقتله بغته وضرب عنقه بالسيف فلما جرى ذلك خاف شيخ العرب
حسام الدين بن بغداد على نفسه فاختفى مدة ايام وقد قوي عزم المماليك الجراكسه من حين
قتل الامير اينال كاشف الغربيه حسن بن مرعي وشكر **وفيه** تغير خاطر ملك الامرا
على يونس جلبي وقيل ان اصله فلاحا من الشرقيه فبقي استادارا وكان مجمقدارا عند ملك
الامرا بسبب انسحاب المال على الجامكيه فبطحه في الحوش وضربه ضربا مبرحا نحو سبعماية
عصاه فنزل الى بيته وهو مبطوح على حمار فاقام اياما ومات وقد نال منه الضرب
حتى مات **وفي شهر ربيع الاخر** في يوم الاثنين رابعه وقعت فتنة عظيمة بالقلعة
بين الاسباهية والانكشاريه من عسكر ابن عثمان وقتل فيها من الاسباهيه شخص
وقيل اثنان فرسم ملك الامرا للانكشاريه بان يقيموا بالقلعة دايما ولا ينزلون الى
المدينه فبطل امر الانكشاريه الذي كانوا يجلسون على ابواب المدينه ويشتكون
الناس بهم في خلاص الحقوق من بعضهم فرسم لهم ملك الامرا بان يسكنوا باطباق المماليك
الذي بالقلعة ولا ينزلون الى المدينه ابدا وكان يحصل منهم غاية الفساد في حق الناس
من خطف النسا والصبيان والصباقات والبضايع من ايدي المسلمين وقد نجوا من
ذلك **وفيه** اشيع ان سنان باشاه وقايتباى بك قد برزوا خيامهم الى الريدانيه بسبب
السفر الى اسطنبول واشيع انهما يتوجهان من البحر وبركهم يتوجهون من البر
وفي يوم الاثنين حادي عشره خرج سنان باشاه وقايتباى بك وتوجها الى بولاق وشقا
من الصليبه في موكب حفل وقدامهما الاسباهية قاطبة والانكشاريه والبس كلا
منهما قفطانا مخملا وقيل انعم عليهما كل واحد بالف دينار فاستمروا ومعهما العسكر
العثماني حتى انزلوهما في المراكب من بولاق وتوجهوا الى ثغر دمياط ومن هناك ينزلوا
في الاغربة **وفي يوم** الجمعة خامس عشره انتهى العمل من الجامع الذي انشاه المقر الشهابي احمد
ابن الجيعان الذي عند بركة الرطلي بالقرب من خط قنطرة الموسكي وخطب به في ذلك اليوم
وكان مسجدا قديما بني في دولة الناصر محمد بن قلاوون سنة اربع واربعين وسبعماية
ودفن به الشيخ خليل الرطلي وهو الذي تنسب اليه بركة الرطلي فاستمر على ذلك حتى
خرب فجدده الصاحب سعد الدين ابرهيم البشيري في دولة الملك المويد شيخ فاقام
به مدة طويلة وجعل به خطبة كون انه كان بجوار بيته الذي بالبركه فاستمر على ذلك
الى ان خرب واقام مدة طويلة وهو خراب فجدده بنايه القاضي شهاب الدين احمد

ابن الجيعان نايب كاتب السر في هذه السنه وفي يوم الاحد سابع عشره اشيع ان المملوك
الذي قتل علي الاسمر بن ابي الشوارب قد قبض عليه الكاشف واحضره الى ملك الامرا
فرسم بشنقه فشنق على باب زويله وقيل ان اصله من مماليك الاتابكي سودون
الدوادارى قاضي ملك الامرا ومشايخ العربان فشنق هذا المملوك وفي يوم السبت
ثالث عشرينه وقعت فتنة كبيرة بين الانكشاريه وبين الاسباهية فاغلقوا باب
السلسله وباب الميدان في ذلك اليوم واستمر الشر عمال بين الفريقين الى بعد الظهر
فنزل الكتخدا الكبير ليصلح بين الفريقين فضربوه فولى هاربا وفي يوم الاثنين خامس
عشرينه كان يوم فطر النصارى وهو اول الخماسين وفي شهر جمادى الاولى كان مستهله
يوم السبت فطلع القضاه الاربعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم
ومن الحوادث في ذلك اليوم ان ملك الامرا احضر طايفة الانكشارية الى القلعة
ورسم لهم ان يحضروا ما معهم من سلاح والبندق والرصاص الذي عندهم فلما احضروهم رسم
ملك الامرا بادخالهم في الزردخانة ورسم للانكشاريه بان يقيموا في الاطباق
الذي بالقلعة ولا ينزلون الى المدينة ابدا فشق ذلك عليهم الى الغاية وانقضت
عليهم طايفة الاسباهيه الى الغاية وفي يوم الاربعا خامسه نزل ملك الامرا
في الموكب الى قصر ابن العيني الذي بالمنشية ثم توجه من هناك الى بولاق واقام
بالسبكيه ثم طلع القلعة في اواخر النهار وانشرح في ذلك اليوم الى الغايه وفيه
اخلع على القاضي شرف الدين الصغير والقاضي شرف الدين بن عوض واستقر في
التحدث في جهات الشرقيه عوضا عن يونس الذي كان استادار وما تحت
العنوبه وفي يوم الاحد تاسعه خرج القاضي بركات بن موسى المحتسب الى ساحل
بلاد الصعيد واستخراج الغلال الذي كان بها وكانت هذه وظيفة الامير خيربك الدوادار
والامير اقبردى الدوادار وغيرهما من الدوادارية فخرج في موكب حفل وقدامه
الانكشاريه يرمون بالنفوط وسافر معه جماعة من المماليك الجراكسه وذلك في
امر السنجق والخيام والبرك ما عجز عنه الامرا المقدمين وقد ساعدته الاقدار على
بلوغ الاوطار وراى من العز والعظمة في دولة ابن عثمان ما لا راه في دولة السلطان
الغوري وفي يوم الخميس ثالث عشره توفي الشيخ الصالح المعتقد عبد الرحمن
البهنساوي الذي كان مقيما بالمدرسة البرقوقيه وكان للناس فيه اعتقادا وفيه
عرض ملك الامرا خاير بك طيلان راس نوبه وضربه بين يديه بالمقارع ثانيا وسبب
ذلك انه تاخر عليه الفين دينار مما كان تقرر عليه من المال الذي يورده ثم بعد الضرب
ارسله الى سجن الديلم فاقام به وفيه قبض ملك الامرا على جماعة من اليهود من معلمين
دار الضرب ومن الصيارف وسبب ذلك ان معاملة السلطان بن عثمان في الذهب
والفضه قد ذهبت وفسدت وصارت كلها غش وزغل فقبض على معلم دار الضرب

والزمه

والزمه بان يورد الى الخزاين الشريفه مايتين الف دينار وان معلم المعلمين دار الضرب قاطبتهم
يتوجهون الى اسطنبول او يلتزمون باصلاح المعاملة فلما جرى ذلك اغلظوا عليه
جماعة من اليهود وقالوا له ارنا مرسوم الخنكار ان كان ارسل بطلبنا الى اسطنبول
واقاموا اياما بالسجن حتى يكون من امرهم ما يكون وفيه تغير خاطر ملك الامرا على الامير
كسباي الوالي القاهرة فحمى كسباي الوالي من ملك الامرا فلما نزل الى بيته اغلق الباب
وطرد النقبا من بابه وشال دكته واقام اياما لم يخرج من بيته فنزل اليه الامير جانم
الحمزاوي وطلع به الى ملك الامرا وقابل به فاخلع عليه قفطان مخمل ونزل الى داره
على عادته بعد ما كان اشيع وقوع فتنة عظيمة وقيل انه اورد الى ملك الامرا سبعة الاف
دينار وفيه اشيع ان ملك الامرا ضرب زوجة خوند مصرباي الجركسيه حتى كادت
ان تموت ولم يعلم ما سبب ذلك وكثر في ذلك القال والقيل وفي يوم الاثنين
سادس عشرينه حضر من عند الخنكار اولاق يبشر بمجي العسكر عوضا عن الاسباهيه
الذي بمصر وقد عين الخنكار عسكرا وهو في ادرنه بان يحضروا الى مصر وزعم هذا
القاصد انه اتى من ادرنه الى مصر في احدى وعشرين يوما وكانت الاسباهية قد
تقلقوا من الاقامه بمصر فجاء هذا الاولاق يبشر بمجي هذا العسكر حتى تطمين هذه
الاسباهية بذلك وفي شهر جمادى الاخر كان مستهله يوم الاثنين فطلع
القضاه الاربعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم الثلاثا
تاسعه توفي طيلان راس نوبه وقد نال الضرب بالمقارع كما تقدم فاستمر عليلا حتى
مات وكان من وسايط السوء ظالما عسوفا من جملة اعيان الظلمة وفي يوم الثلاثا
سادس عشره حضر قاصد ايضا من عند الخنكار وارسل يقول لملك الامرا بان يحفظ
الثغور ويحصن ثغر الاسكندرية وثغر دمياط بالمكاحل واالة السلاح وغير ذلك
وفي يوم السبت ثالث عشرينه طلع ابن الرداد ببشارة النيل واخذ القاع فجاءت
القاعدة سنة اذرع وعشرين اصبعا ارجح من العام الاول بعشرة اصابع وكانت الزيادة
اول يوم خمسة اصابع فتفال الناس بذلك وفي يوم الاثنين خامس عشرينه حضر
شخص من عند ابن عثمان وزعم انه قرره في نقابة الاشراف واظهر مرسوم الخنكار
بذلك واشيع ان الخنكار ارسل يطلب الاسباهية بان يتوجهوا الى اسطنبول فاخذوا
في اسباب عمل يرقهم وفي يوم السبت سابع عشرينه اخلع ملك الامرا على القاضي عبد
العظيم واستقر به في التحدث في نظر الحسبة الشريفة عوضا عن الزيني بركات ابن
ابن موسى وكان مسافرا نحو الصعيد كما تقدم وكان سبب ذلك ان ابن موسى لما
سافر الى الصعيد جعل شخصا من العثمانيه يتحدث عنه في الحسبة الى ان يحضر من
من السفر فضاع احوال المسلمين في هذه الايام ووقع الغلا بمصر وتحطت الغلال
وعز وجود الخبز من الاسواق وتناهى سعر الاردب القمح الى الف درهم وتناهى

سعر البطة الدقيق الى عشرين نصفه كل بطه وعز وجود الشعير والفول والتبن فضج الناس
من ذلك وعز وجود الجبن والسمن والشيرج وغير ذلك فتوجه طايفه من التركمان
الى بيت ابن موسى وضربوا الباشرين والرسل الذى على الباب وهرب التركمانى
الذى كان يتحدث فى الحسبة ثم ان التركمان توجهوا الى بيت القاضى عبد العظيم
وهجموا عليه من حريمه واخذوه واركبوه غصبًا وطلعوا به الى ملك الامرا وقالوا
له ان لم تولى هذا الحسبة والا تخرب مصر على ايامك وتنهب المدينه عن اخرها
فادرك ملك الامرا الامر اخلع عليه واستقر به ناظر الحسبة عوضا عن ابن موسى
فنزل من القلعة بعد العصر وشق من القاهرة وارتفعت له الاصوات بالدعا من الناس
وكان يوما لاهل مصر قاطبة ففرح كل احد من الناس بولايته وظهر الخبز فى ذلك اليوم
على الدكاكين وتفاءل الناس بكعبه بالرخا وسكن ذلك الاضطراب الذى كان فيه الناس
قليلا وفى هذه الايام توقف النيل اياما عن الزيادة فقلق الناس لذلك وفى يوم
الاثنين سلخ هذا الشهر ثارت طايفه الاسباهية على الامير جانم الحمزاوى وهو نازل
من القلعة وعينوا له الضرب وقالوا له قل لملك الامرا قد متنا من الجوع نحن وخيلنا
من قلة الشعير ولا نلتقى فى الاسواق خبز فاما ياذن لنا فى السفر او انه يكفينا
من القوت فما خلص منهم الامير جانم الحمزاوى الا بعد جهد كبير وذكروا انهم لهم
ثلاث اشهر جامكية مكسورة فى الديوان وفى شهر رجب كان مستهله يوم الثلاثا
فطلع القضاه الاربعة وهنوا ملك الامرا بالشهر وعادوا الى دورهم وقد قلق الناس
من امر الاسباهية ثم ان النيل استمر فى التوقف لم يزد شيا فامر ملك الامرا بابطال
المحرمات من النبيذ والحشيش والبوزه ومنع بنات الخطا من عمل الفواحش ثم
ان الوالى قبض على امراه يقال لها انس وكانت ساكنة فى الازبكية تجمع عندها بنات
الخطا التى يعملن الفاحشة وكان عليها مبلغ مقرر تورده فى كل شهر للوالى وكان
امرها مشهور فرسم ملك الامرا بتغريقها هى وامراة اخرى يقال لها بدير زوجة
احد الناس يقال له البهنسى كانت ماشية على غير طريقة انس هذه فى جمعها
لبنات الخطا فلما قبض الوالى على انس توجه بها الى عند قصر العينى الذى فى المنشيه
وغرقها هناك بعد العصر فاجتمع الجم الكثير من الناس للفرجة عليها وكان يوما
مشهودا فغرقت على الندا والاجهار واراح الله تعالى المسلمين منها وطهرت الارض
منها وفى يوم الجمعة رابع الشهر صلى ملك الامرا صلاة الجمعة بالقلعة ثم نزل
منها وتوجه الى المقياس وفرق هناك ختمة ومدمرة للفقرا واستمر النيل سبعة
ايام لم يزد فيها شيا واشيع انه نقص اربعة اصابع فقلق الناس لذلك ووقع
الغلا فى سائر البضايع والاصناف وفى يوم السبت خامس رجب زاد الله تعالى فى
النيل المبارك اصبعا واحدا بعد ان او فى النقص ففرح الناس بذلك وسكن

الاضطراب

الاضطراب الذى كان بمصر قليلا وفى ذلك يقول الناصرى محمد بن قانصوه

قد امحى الخزان مذ زاد هذا ۔ النيل بعد النقص فى بوسى
وقد غدا يقرا فى مصحفه ۔ قراة تنسب لموسى

فلما زاد النيل هذا الاصبع وسكن الاضطراب خرج القاضى عبد العظيم المحتسب فى الشعير
البضايع قاطبة فانصلح احوال مصر قليلا ووقع الرخا وتفاءل الناس بكعبه بالخير
وقد قلت فى المعنى

ياقاضى قد قضى بالله محتسبا ۔ على الاعادى ولم يخش من باس
رخصت اسعارنا من ما غلبت ۔ وحزت حسن الثنا من السن الناس
لما توليت زاد النيل وانزجت ۔ وقد خزى كل خزان ودواسى
ان زال هذا الغلا من مصر لا عجب ۔ فكيسكم احضر يزهو على الاس

وفى الحوادث ان فى يوم الخميس عاشر رجب وقعت واقعة شنيعة وهو ان اسكندر
بك احد امرا ابن عثمان كان حضر الى مصر عوضا عن سنان باشاه لما اقام بمصر صار يعارض
قضاة القضاه فى الاحكام الشرعيه ووقع بينه وبين نور الدين على المحوفى نقيب قاضى
القضاه الشافعى ثم انه فى يوم الخميس رسم بعزل على المحوفى من النيابة فلم يكتف بذلك
ثم تكلم مع ملك الامرا فى نفيه فنفاه الى دمنهور واخرجه من يومه ثم ان ملك الامرا
رسم بابطال نواب قضاة القضاه الاربعة ومنع جماعة من الوكلا والرسل ايضا
وحصل لقضاة القضاة منه غاية التعب والمقت بسبب نوابهم وقد تقدم القول
على ان ملك الامرا لما توقف النيل سبعة ايام وامر بابطال بيوت الحشيش وبيوت
الخمامير وبيوت البوزه وغرق انس التى كانت تجمع عندها بنات الخطا التى
كانوا يعملوا الفواحش من امر الزنا فلما زاد النيل رجع كل شى على حاله وسبب ذلك
ان العثمانيه تعصبوا فى اعادة ذلك فان اكثرهم كان يبيع البوزه فى الدكاكين ورسم
ملك الامرا بان اولاد انس لا يعارضون فيما يفعلون من جمع بنات الخطا كما كانت
تفعل امهم انس وفى يوم الخميس عاشر رجب قدم الاخبار من حلب بان الخنكار ارسل
عسكر يقيمون بمصر عوضا عن الاسباهيه الذى كانوا بها وفى يوم السبت حادى
عشره رسم ملك الامرا بشنق شخص سردجى فشنق عند خان الخليلى وسبب ذلك
انه كان له عبد وباعه لبعض المماليك الجراكسه فلما جرى ما جرى خدم عند بعض
التركمان ثم ان السردجى توجه الى سيدى احمد البدوى فصادف ذلك العبد هناك
فقبض عليه واحضره الى القاهرة فهرب ذلك العبد من بيت السردجى واتى الى عند
التركمان وادعى انه لم يكن على ملك السردجى وانه معتوق فطلع التركمانى وقص
خبر العبد على ملك الامرا فاحضر له السردجى وقال له انت بعته لمملوك جركسى
وقتل فى الوقعة ومضى امره فلم يثبت للسردجى عليه حق فاغلظ السردجى على

ملك الامرا في النزول لحمو منه وتسمر بشنقه هشنق عند خان الخليلي فقيل ان السروجي
سال ملك الامرا ان يفدي نفسه من الشنق بخمسمايه دينار فابى ملك الامرا من ذلك
وشنقه فراح ظلما وفي يوم الاثنين رابع عشره وقعت حادثه مهوله وهو ان جماعه
من الجملية والاسباهيه وقفوا الى ملك الامرا يطلبوا منه جوامكهم من ثلاثة اشهر
وياذن لهم بالسفر الى بلادهم فلم يلتفت اليهم فنزلوا من عنده ووقفوا بالرميله
فلما طلع الامير جانم الحمزاوي احاطوا به وضربوه وانزلوه من على فرسه وارادوا قطع
راسه فهرب ودخل الى الميدان وهو مكشوف الراس فوقف في وجوههم شخص من
امرا الجراكسه يقال له الامير بخشباي اخي قيتباي الذي كان كاشف البهنسا فارموا
عليهم فيه فقطعوه بالسيوف حتى اشيع موته فحملوه وادخلوه الى باب السلسله
ثم ان الجملية استمروا بالرميله طالبين شرا مع الجراكسه وانفتح بينهما باب الشر
بسبب جانم الحمزاوي ثم انزلوا الامير بخشباي الى بيته فاقام الى يوم الاحد عشرينه
ومات وقد جرح في راسه جرحا بالغا ومات به واشيع ان ملك الامرا كتب له محضر
بان الجملية قتلوه وارسل ذلك المحضر الى الخنكار بادرنه ثم حضر جماعة من الامرا
الجراكسه وصلوا على الامير بخشباي وكانت له جنازة حفلة وصنعوا له كفارة
وفيه قدمت الاخبار من حلب بوفاة القاضي محب الدين محمود بن القاضي شمس الدين
محمد بن اجا الحلبي وكان رئيسا حشيما اصيلا عريقا فاضلا ولي قاضي قضاة الحنفية
بحلب ثم ولي كتابة السر بالديار المصريه واقام في هذه الولايه ستة عشر سنة وهو
عزيز بمصر نافذ الكلمة وافر الحرمة وهو اخر كتاب السر بمصر ولم يوجد بعده من يناظره
في الرياسة والتنافس والنظام ومشى مشي الروسا المتقدمين في كتابة السر وكان مولده
سنة اثنين وخمسين وثمانماية ومات في سته واربعين سنة وكان كثير الامراض
في جسده واكثر اقامته في داره والناس تسعى اليه في اشغالها ولما مات رثاه الاديب
ناصر الدين محمد بن قانصوه من لطف الله بهذه المرثية

الا في سبيل الله محمود اجا الذي … بحلب اذا عدت فضايله الفكر
فضايله كالزهر والزهر ذكرها … ومنظرها اذ فيها النشر والبشر
كم بابن الملك كان كم اهتدى … به من بليل الهم ضل به الحجر
كتابة السر الملك مات لكونها … به ختمت والسر من بعده جهر
لذا كان محمودا وبالقلب ذكره … دعى الله محمودا له الحمد والشكر
فمن مثل محمود ومن مثل قلبه … وذا القلب ممدوح يليق به الذكر
لقد كان كالنعمان في العلم والسخا … وفي الفخر نعم العلم والجود والفخر
له فكرة كانت تمد براعه … ببابكم لفظ نظم ابداعها الدر
لعمرك ما في الفضل والوصل مثلها … بيان معانيها لرب الحجا سحر

اري الله

اري الله منه الروح روحا تفضلا … عليه وريحانا وزيد له الاجر
وصير قبرا ضمه خير روضة … يطيب بها فيه له اللطف والنشر

تمت المرثية في القاضي محمود كاتب السر بن اجا رحمه الله تعالى عليه وفي يوم الخميس عشرينه
ثارت الاسباهية على ملك الامرا وطلعوا الى الرميلة ووقفوا بها فاغلقوا في وجوههم
باب السلسلة وباب الميدان فصاروا يسبوا ملك الامرا سبا فاحشا وكان سبب
ذلك ان كان لهم ثلاثة اشهر جامكيه منكسرة فنفقوا عليهم شهرين وتاخر شهرا واحدا
فقالوا ما نسافر حتى تنفق علينا الشهر المنكسر والا نزلنا نهبنا المدينة وشوشنا على الناس
فوقع الاضطراب بالقاهرة وغلقت الاسواق والدكاكين في ذلك اليوم ثم ان الاسباهيه
توجهوا الى بيت الامير قايتباي الدوادار بجوكا واركبوه من بيته غصبا وطلعوا به
الى عند ملك الامرا وطلعوا ايضا بالامير كشبغا الوالي فاجتمعا بملك الامرا وحدثاه
في امر الاسباهيه بان ينفق عليهم ذلك الشهر الذي تاخر لهم فتوقف في ذلك ثم رسم
لهم بان ينفق عليهم ذلك الشهر فيما بعد واخذ وافي اسباب عمل برقهم والتوجه الى
اسطنبول وفيه اشيع انحضر من اسطنبول جماعة ممن كان بها من السيوفيه والحدادين
ومن البنايين والنجارين والرخامين وغير ذلك من ارباب الصنايع واشيع ان الخنكار
انشا له هناك جامعا وحماما فلما انتهى العمل منهما وقفوا له وقالوا له ان خلفنا
اولاد وعيال وقد انهينا العمل الذي رسم به الخنكار وما بقي لنا شغل فرسم لهم
بالعود الى بلادهم وكتب لهم لكل واحد ورقة بعدم المعارضة لهم وحضر صحبتهم
ايضا الجمالي يوسف بن نقيب الجيش بن ابي الرز وتخلص من اقارب بن الطولوني
وقد اقاموا مدة بالقسطنطينية واخبر الجمالي يوسف بوفاة جماعة كثيرة من الاعيان
الذين توجهوا من مصر الى اسطنبول وما يحضرني اسماؤهم وفي شهر شعبان
كان مستهله يوم الخميس فطلع القضاه الاربعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا
الى دورهم وفي يوم الثلاثا سادس الشهر حضر القاصد الذي ارسله الخنكار بطلب
الاسباهية وقد ارسل عسكرا صحبة هذا القاصد عوضا عن الاسباهيه فلما وصلوا الى
الريدانيه رسم لهم ملك الامرا ان يطلعوا من بين الترب ولا يشقوا من القاهرة وقيل
ان عدتهم دون الف نفس والباش الذي عليهم يقال له قراموسى فلما وصل الى تحت القلعة
انزله ملك الامرا بالميدان الذي تحت القلعة فنصب خيامه به وصارت التركمان
الذي حضروا صحبته يهجمون على الناس في بيوتهم ويسكنون بها فلما كان يوم الاثنين
ثاني عشره خرج اسكندربك وخرج صحبته الاسباهية الذي كانوا بمصر قاطبة
فكان هو الباش عليهم فشق عليه خروجه من مصر وكان هو المشار اليه في امور مصر
وصار ربما رضى فقضاء القضاة في الاحكام الشرعية فقلق الناس منه الى الغاية
حتى بعث الله تعالى بالفرج واخرجه من مصر عاجلا فلما خرج اسكندر نزل اليه ملك

الامرا واودعه دائم عليه باشيا كثيرة من مال وخيول وزواده وغير ذلك ولما دخل
هذه الطايفة من التركمان الى مصر صادت الناس تضيق ابوابها حتى لا يدخل منه راكب
لاجل التركمان **وفى يوم** الثلاثا ثالث عشره رسم ملك الامرا بشنق سبعة انفار من
طايفة الدكلية وقيل هم الذين قتلوا الامير بخشباى كما تقدم فشنق منهم ستة انفار
على شجرة بتوت والاخر شنق عند باب النصر فشنق ذلك على الدكلية ولم يطلع من يدهم
شيئا **وفى يوم** الجمعة سادس عشر شعبان كان وفا النيل المبارك ووافق ذلك تاسع
عشر شهر مسرى فتح السد يوم السبت سابع عشر شعبان الموافق لعشرين مسرى قاد فى
الستة عشر ذراعا وزاد من الذراع السابع عشر اصبعين وفتح السد فى العام الماضى ليلة
النصف من شعبان فكان التفاوت بينهما يومين وقد قال الناصرى محمد بن قانصوه من
صادق

شاهدت عند النيل يوم الوفا ، حر اعطيا جانبا الشط
للعين والنظرة فيه غدت ، كتابة بالكسر والبسط

فلما طلع ابن الرداد واخبر ملك الامرا بوفا النيل المبارك نزل من القلعة وتوجه
الى المقياس وخلق العامود ومد هناك مدة حفلة ثم قدموا له الحركب الغراب الذى
كان عمره السلطان الغورى فنزل فيه وتوجه الى نحو السد الذى عند راس المنشية
ففتحه واظهر التعاظم فى ذلك اليوم وفرق الجامع الحلوى والمشنات الفاكهة
وكان ذلك اليوم مشهودا من كثرة المراكب والتنوط والطبول والزمور ثم ركب
ملك الامرا من هناك وتوجه الى القلعة ثم توجه الامير كشبغا الوالى وفتح السد
الذى عند قنطرة السد وفتح سد قنطرة قديدار ورجع الى داره وكان يوما مشهودا
وفيه نفق ملك الامرا الجامكية على المماليك الجراكسة فنفق لهم شهرين وكان لهم
جامكية اربعة اشهر مكسورة ثم ان القاضى شرف الدين الصغير عوق جامكية جماعة
من اولاد الناس بسبب ذلك **وفيه** تغير خاطر ملك الامرا على جان بك كاشف
الشرقية فارسل بالقبض عليه واحضاره فى الحديد وقد كثرت فيه الشكاوى من
الناس واستغاثوا من ظلمه فلما حضر بين يدى ملك الامرا وبخه بالكلام ثم
وضعه فى جنزير فى عنقه وقيل فى رجله وارسله صحبة جماعة من الانكشارية الى
الشرقية ورسم باشهار المناداة فى الشرقية بان من ظلمه جان بك كاشف الشرقية
عليه بملك الامرا يخلص حقه ثم عزل جان بك من كشف الشرقية واستقر بشخص
من الاتراك يقال له اياس وكان دوادار بخدمة جان بك المعمار فقدها وقد نفى باش
العسكر الذى كان قد نفى الى حلب ولم يتم له ذلك ثم ان ملك الامرا فى عقيب ذلك
ارسل بالقبض على اينال السيفى طراباى كاشف الغربية واحضره فى الترسيم واستمر
على ذلك الى الان لم يخلص من الترسيم **وفى اواخر هذا الشهر** قدمت الاخبار من مكة
المشرفة بوفاة ابنة العلاى على بن خاص بك وهى خوند زوجة الاشرف قايتباى

كانت

كانت دبيسة حشيمة فى سعة من المال وقد تزوجت ببعض امرا مقدمين الوف وهى حماة
الاشرف طومان باى وجاورت بمكة وتوفيت هناك **وفى يوم** الخميس اخر الشهر كانت
ليلة رويتر هلال رمضان فتوجهوا القضاه الى المدرسة المنصورية التى بين القصرين
وحضر القاضى عبد العظيم المحتسب فلما راى الهلال وانفض المجلس قام القاضى عبد العظيم
وركب من المدرسة المنصورية فلاقته الفوانيس والمشاعل من هناك وعلقت له القناديل
على الدكاكين واشعلت له الشموع ومشت قدامه الشماع الموقوده وكانت تلك الليلة
من الليالى المشهودة فى الفرجة والقصف وفيه يقول الاديب تاج الدين محمد بن قانصوه

كعب عبد العظيم كعب رخا ، بح تستغيره الرخا وحناه
باشر الحسبة الشريفة فى المحل ، فراح الغلا وجاء الرخاء
من كذا كعبه لذى المحل خصب ، وهو طب للداء فيه دواء
دايم فيهما مدبر الحكم بالحكمة ، ما قابل الصباح المساء

وفى شهر رمضان المعظم كان مستهله يوم الجمعة فطلع القضاه الاربع وهنوا ملك
الامرا بالشهر ومما وقع فى ذلك اليوم ان قاضى القضاه الشافعى كمال الدين تكلم مع ملك
الامرا فى ذلك المجلس بسبب نقيبه نور الدين على الميمونى وقد تقدم القول ان ملك الامرا
نفاه الى دمنهور فلما كلمه القاضى كمال الدين بسبب ذلك رسم باعادته الى مصر بشرط
ان يكون بطالا ولا يتكلم فى النقابة بباب القاضى ابدا ومنع نقيبه القضاه ان لا
يجعلوا لهم نقيبا على ابوابهم ثم انفض المجلس على ذلك وقامت القضاه **وفى يوم** الثلاثا
خامس رمضان كان يوم النوروز وهو اول السنة القبطية سنة خمس وعشرين وتسعماية
الخراجية **وفيه** قدمت الاخبار من مكة فى البحر المالح ان حول جدة نحو اربعين مركبا
من مراكب الفرنج يتعبثون على التجار ويقطعون عليهم الطرقات **فلما** بلغ ملك
الامرا ذلك عرض جماعة من المماليك الجراكسة وغيرها وعين منهم نحو ثلثماية مملوك
ودكلية يتوجهون صحبة الحجاج ويقيمون بجدة خوفا من ان يطرقها بعض الفرنج
على حين غفلة **وفيه** اشيع بين الناس ان ناصر الدين الشراوى الذى كان قد استقر فى
نيابة جدة جمع المال الذى يحصل من جدة ووضع يده عليه واخذ المكاحل التى كانت
هناك والسلاح ونزل فى مراكب وتوجه نحو بلاد هرمز فتنكد ملك الامرا لهذه الاخبار
الردية **وفيه** حضر شخص يقال له كيخية ارسله ابن عثمان يقيم بمصر عوضا عن اغات
الانكشارية الذى كان بمصر فانه اراد الحج فى هذه السنة الى بيت الله الحرام **وفى يوم**
الثلاثا تاسع عشر رمضان قبض على شخص من تجار الوراقين يقال له الحلاوى وكان شيخ
السيرة مشهور باكل الربا وقد اتهموا فى حقه انه يبيع الخمر والمعجون للتركمان فى شهر رمضان
وقد شهد عليه جماعة من الوراقين فلما عرض على ملك الامرا رسم بتسليمه الى الوالى
حتى يحرر امره فتسلمه الوالى ونزل به ليعاقبه حتى يقر بما نقل عنه من بيع الخمر والمعجون

وقد وعده ملك الامرا بالشنق بعد العيد فلما نزل به الوالي الى بيته قصد ان يكتب محضر
بسيرته فجاء اليه جماعة من الانكشارية من اصحاب المحلاوي الذي كان يبيعهم المعجون
فمنعوا الوالي من ذلك واغلظوا عليه في القول ثم توجهوا الى سوق الوراقين وضربوا التجار
الذين تعصبوا على المحلاوي وقصدوا نهب التجار فاغلقوا الدكاكين قاطبة فلما
كان يوم الاربعا عشرين رمضان طلع التجار الى ملك الامرا واخبروه بما جرى من الانكشارية
في حقهم ورسم للوالي بان يوسط المحلاوي على باب الميدان فوسطه هناك ولم تنتطح
في ذلك شاتان ثم قبضوا على عبد المحلاوي فادعى انه قد اعتقه استاذه قبل ان يتوسط
فقطع الوالي اذنه واطلقه الى حال سبيله فعد ذلك من الحوادث المهولة وما كان يجب
على المحلاوي توسيط وراح ظلما وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه فيه وقع من الحوادث
ان ملك الامرا كان صنع في الرميلة عند القاصين تجاه سبيل المؤمنين قفصين خشب
مثل كهيئة المشنقة ووضع فيها حبال وكلاليب حديد كبار واشيع بين الناس ان ملك
الامرا يقصد بعد العيد ان يشنق جماعة من مشايخ العربان ويشنق جان بك كاشف الشرقية
واينال كاشف الغربية ويشنق جماعة من الجلبية والانكشارية فقامت الانكشارية
وجاؤا الى تلك المشنقة ورموا الاخشاب التي هناك وقطعوا الكلاليب والحبال
ورموا الاخشاب ثم توجهوا الى بيت كشبغا الوالي وقصدوا ان يهجموا عليه ثم ضربوا
النقيب الذي على بابه ثم توجهوا الى الوراقين وقصدوا ان يقتلون الجماعة الذين كانوا
تعصبوا على المحلاوي حتى وسطوه فكادت ان تكون فتنة عظيمة وباتوا على ما كانوا
عليه من طلب الشر مع ملك الامرا وفي يوم السبت عشرينه نادت الجلبية والانكشارية
وطلعوا الى الرميلة وقصدوا نحو المماليك الجراكسة وكان الامير قانبك ابا يزيد الدوادار
واقفا قدام باب السلسلة فلما راى التركمان تزايد الامر منهم سل السيف هو ومن معه
من الامرا الجراكسة وقصدوا ان يتقاتلوا مع التركمان واغلظوا التركمان على المماليك الجراكسة
وقالوا لهم ايش انتم واقفين تتفرجوا علينا نحن في بعضنا نقتتل ايش دخلكم بيننا
ثم انفض ذلك الجمع على غير رضا ونزل كل احد الى داره ثم ان التجار نقلوا امتعتهم
من الدكاكين خوفا من النهب واختفى غالب تجار الوراقين الذي كانوا تعصبوا على المحلاوي
وفي يوم السبت المذكور توجه جماعة من الانكشارية والاسباهية الى بيت شخص من
تجار الوراقين يقال له كريم الدين البلادي فنهبوا كلما فيه وقبضوا على اولاده ودنانير
وعبيده وجواره ولم يطلقوا دابة ثم اشيع انهم قبضوا على جماعة من الوراقين ووضعوهم
في الحديد وقيل انهم من تعصبوا وشهدوا على المحلاوي بما قيل عنه فتنكد جميع التجار
لهذه الواقعة وصادروا على دورهم الطيرة من التركمان وحولوا امتعتهم من الدكاكين وصار
الناس على وجل خوفا مما يأتي منهم واستمروا التركمان على ما هم عليه من اقامة فتنة عظيمة
والامر لله تعالى وفي يوم الاثنين خامس عشرينه نادى ملك الامرا بالقاهرة بان الخلعي

تجار الوراقين يظهر وعليه امان الله تعالى وان لم يظهر بعد ثلاثة ايام وعثر عليه يحرق المكان
الذي هو فيه والحارة ايضا واستمر كشبغا الوالي مختفي لم يظهر وقد عينوا ظهر التركمان
خمسة من تجار الوراقين وشخص من تجار الجملون يقال له ابن ظلام هم الذين تعصبوا على المحلاوي
ما تقدم وتعصبوا عليه واستمر الاضطراب عمال بسبب ذلك وفي يوم الثلاثا سادس عشرينه
حضر القاضي بركات ابن موسى المحتسب وكان مسافرا نحو الصعيد بسبب ضم الغلال وغير
ذلك وكان له خمسة اشهر وهو مسافر ونزل الى داره ثم بيتت له سوابيه الليلي وركب
الحشاشين وفي يوم الاربعا سابع عشرينه اخلع ملك الامرا على الامير كشبغا الوالي
واعيد الى الولاية وكان له عدة ايام وهو مختفي لم يظهر بسبب واقعة المحلاوي وقد
وقع بينه وبين الجلبية فتنة وقصدوا قتله فاختفى واغلق ابوابه اياما فلما تلافا
ملك الامرا خواطر التركمان وارضاهم وزاد جوامكهم وخمدت تلك الفتنة ظهر كشبغا
واخلع عليه واستقر على عادته ثم حضر ذلك على التركمان ولما حضر القاضي بركات ابن
موسى المحتسب ضمن ابن ظلام تاجر سوق الجملون وخلصه من الحديد والبسه قفطان
ونزل داره تاجر الجملون كما كان وضمنه في مال له صورة يورده الى ملك الامرا وكان ابن
ظلام صهر القاضي بركات بن موسى فبذل معه المجهود حتى خلصه وفي يوم الخميس
ثامن عشرينه خرج العسكر المعين الى بندر جدة فخرجت تلك التجريدة في ذلك اليوم
وهم ما بين مماليك جراكسة وتركمان وكان عدتهم نحو ثلثماية انسان من الزربنية
وكان الباش عليهم شخص من العثمانية يقال له اغاة الجلبية وقيل انهم يتوجهون الى
السويس وينزلون من هناك في المراكب الى البحر المالح حتى يصلون الى جدة وقد كثرت
الاشاعات بسبب فساد الافرنج وتعبثهم في البحر على التجار وقد جاؤا نحو بندر جدة
وفي شهر شوال كان مستهله يوم الاحد فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وصلوا
مع ملك الامرا صلاة العيد ثم نزلوا الى دورهم وبطل ما كان يخلع في ذلك اليوم
من الخلع على القضاة والامرا والمباشرين وارباب الوظائف قاطبة وزال ذلك
النظام من مصر كانه ما كان ابدا وفي يوم الخميس خامس شوال وافق ذلك اليوم اول
يوم من بابه فيه ثبت النيل المبارك على ثمانية اصابع من عشرين ذراعا وكان ارجح من
نيل العام الماضي بذراعين واصبعين وفي يوم الاثنين تاسع شوال جلس ملك الامرا
وعرض عليه كسوة الكعبة الشريفة والمحمل الشريف وكان يوما مشهودا وفي يوم الخميس
تاسع عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل عظيم وكان ذلك اليوم مشهودا
وكان امير ركب المحمل في هذه السنة الامير برسباي دوادار ملك الامرا فطلب
طلبا حفلا يشتمل على محاسن كثيرة كما هي عادة الاطلاب القديمة وشق من القاهرة في
موكب حفل وقدامه جماعة من الامرا الجراكسة والعثمانية واعيان المباشرين والجم
الكثير من العثمانية والانكشارية يرمون بالنفوط وجماعة من القواسة وخرج صحبته

سنج عظيم من الزاد والما وكانت الحجاج قليلا لاجل غلو العليق والكرى مشتط فى
هذه السنة الى الغاية **وفى شهر ذى القعدة** كان مستهله يوم الثلاثا فطلع القضاه
الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم رجعوا الى دورهم **وفيه** حضر قاصد
من عند ابن عثمان واشيع بين الناس ان سبب حضور هذا القاصد ان الخليفه محمد
المتوكل على الله لما توجه الى اسطنبول توجه صحبته اولاد عمه خليل وهما ابو بكر واحمد
فوقع بينهم هناك فتنة عظيمة فترافعوا الى الخنكار بانه لما كان بمصر تعدى على ودايع
كثيرة ما بين مال وقماش الذى اودعوه عنده الامرا الذى قتلوا واخذ من خوند
زوجة السلطان طومان باى وامها مال كثير وكذا اخذ من نسا الامرا المقدمين الذى
قتلوا من الاموال ما لا ينحصر ولم يطالع الخنكار على شى وتكلموا فى حقه بالبلع والذلع
وما بلغوا فى ذلك ممكن فما عدل الخنكار على الخليفة المتوكل على الله والحط قدره عنده
وساعدت الوزرا اولاد عمه خليل وكان الخليفه لما اقام باسطنبول اظهر تنكا زايدا
وانهمك فى لذة العيش واشترى له جوار يضربن بالجنك ثم انه قطع معلوم اولاد
عمه فشكوه الى الخنكار فحنق الخنكار من الخليفه وقال اجعلهانم تقتسم بينهم ثلاث الثلاث
من الجميع بالسوية فارسل هذا القاصد بسبب ذلك فلما حضر القاصد رسم على مباشرين
الخليفه وعلى دواداره بردبك وقال لهم قيموا الناحساب معلوم اولاد خليل
فى غاية الانصاف **وفى يوم** الاحد رابع عشره خسف جرم القمر خسوفا فاحشا
حتى اظلم منه الجو واقام فى الخسوف فوق اربعين درجة وقد خسف اول ما اشرق
عند طلوعه واستمر يتزايد فى الخسوف حتى مضى من الليل جانبا كبيرا ووقع
مثل هذا الخسوف فى السنة التى مات فيها السلطان الغورى وكان بين موته
وبين الخسوف نحو شهرين وجرى ما جرى من الاهوال عقيب ذلك ونسال الله اللطف
فى هذا الخسوف الثانى **وفى يوم** الاربعا سادس عشره نزل ملك الامرا من القلعة
وتوجه الى خليج الزعفران وسبب ذلك ان الامير كشبغا الوالى صنع له هناك مدة
حفلة واصناف فنزل اليه واقام هناك الى اخر النهار ثم عاد الى القلعة وكان
قبل ذلك اليوم بيوم توجه الى نصر ابن العينى الذى بالمشية وقيل انه اقام الى بعد
العصر وعاد الى القلعه من يومه **وفى يوم** الاثنين خامس عشرينه وقع بين خير الدين
نايب القلعة وبين قراموسى اغاة الاسباهية بحضرة ملك الامرا بالقلعة وسبب
ذلك ان وقعت فتنة كبيرة بين الانكشاريه وبين الاسباهية وصار فى كل ليلة
يوجد فى الازقة والطرقات جماعة مقتولين بالسيوف فعز ذلك على قراموسى
وقال لنايب القلعة خير الدين هذا كله فى ذمتك انت الذى اطمعت الانكشارية
فى حق الناس حتى صاروا يخطفون النسا والصبيان ويخطفوا عمايم الناس بايديهم
ويعرونهم ويقتلونهم ويخطفوا البضايع من السوق والخنكار ما يدرى بشى من ذلك
وان بلغه

وان بلغه ذلك فما يحصل عليك خير ثم فى عقيب ذلك صار كتخدا اغاة الانكشارية
يركب فى كل يوم ويشق من القاهرة فان وجد فى طريقه انكشاريا ياخذ عصايه ويكسرها
ويقول له اطلع الى القلعة واقعد فى طبقته ولا تنزل الى المدينه ابدا وقيل انه منع
الناس ان لا يشتكوا احدا من الناس بانكشارى مطلقا واستمرت الفتنه ثايرة بين
الاسباهيه والانكشاريه الى الان وكل منهما على حذر من رفيقه ومما وقع فى هذا الشهر
من الحوادث ان جماعة من المماليك الجراكسه نحو عشرة مماليك وقيل فيهم شخص من قرابه
الامير قانصوه بن الامير جركس وشخص اخر كان والى قلبوب خرجوا على حين غفله
وقصدوا ان يتوجهوا الى عند الامير جان بردى الغزالى نايب الشام فلما وصلوا الى
قطيا الظهروا مرسوم من عند ملك الامرا الى نايب قطيا ان يضرب رقابهم اجمعين
فامتثل ذلك وضرب رقاب العشر مماليك وكان فيهم شخص من العربان يرشدهم الى
الطريق فضرب عنقه ايضا وكان قتلهم فى مكان بين الصالحية وقطيا يسمى جسر
والعاقوله فلما اشيع هذا الخبر عن ذلك دشق على نايب الشام ايضا ووقعت الوحشة
بينه وبين خاير بك من يوميذ وقد بدا بينهما عقارب الفتن **وفى يوم** الاثنين خامس
عشرينه كانت وفاة الكاتب عبد المجيد ابو المفضل محمد السنباطى المعروف بالاعرج
قيل انه مات فجاة على حين غفلة وكان له خط **وفى شهر ذى الحجة** كان مستهله
يوم الخميس فطلع القضاة الاربعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم
وفى يوم الخميس خرجت تجريدة الى الازلم تلاقى الحجاج وكان بها نحو ماية مملوك وكان
الباش عليهم اياس كاشف الشرقية وصحبته جماعة من الانكشارية يرمون بالبندق
الرصاص وكان الباش عليهم شخصا من العثمانية **وفى يوم** السبت عاشره وكان عيد
الاضحية فى غاية الغلو ولا توجد فلم يضحى من الناس الا القليل وكان اللحم الضانى يباع
فى تلك الايام بنصف نصفه كل رطل فلم يفرق ملك الامرا لاحد من الناس اضحية
فى هذه السنه وقطع اضحية الزوايا قاطبة كما فعل فى السنة الماضية **وفى يوم** الاحد
سابع عشره نزل ملك الامرا الى القلعة وعدا بر الجيزه وتوجه الى نحو شبرامنت على
سبيل التنزه فاقام هناك من يوم الاحد الى يوم الثلاثا واخذ معه خام كبير وسيخ
وصنع له القاضى شرف الدين الصغير هناك مدة حفله وكان صحبته جماعة من العثمانية
وغير ذلك من المماليك الجراكسه فلما رجع من شبرامنت اقام بالقلعة ثلاثة ايام ثم عزم
عليه الامير كشبغا الوالى فى خليج الزعفران ومد له هناك مدة حفلة واقام عنده الى
بعد العصر ثم عاد الى القلعة فى يومه وكان نهار شمس وغبار وهوى مريسى فلم
ينتهى بالنزهة فى ذلك اليوم **وفيه** حضر قاسم الشروانى الذى كان نايب جده وجرى
منه ما جرى ثم تقدم ذكره فارسل ملك الامرا خلفه واحضره فى الحديد فاحضره الشريف
بركات امير مكه فى البحر المالح فلما حضر سجنه ملك الامرا بالمرقانة التى هى داخل

الجوشن السلطاني الى ان يكون من امره ما يكون **وفيه** حضر مبشر الحاج واخبر بالامن
والسلامه وان الوقفة كانت عندهم بالجمعة وان الاسعار انحطت عما كانت
عليه قليلا واخبر المبشر ايضا انه لما دخل الحاج الى مكة كادت فتنة عظيمة بين
عبيد امير مكة بركات وبين جماعة من العثمانيه وقتل من الزينيين نحو عشرة انفار
ثم خمدت تلك الفتنة وزال الشر قليلا بعد ما كاد ان يتسع **وفيه** توفي صاحبنا
الشرفي يحيى بن الناصري محمد الازبكي الذي كان لقاف الغوري فاشيع بعد موته
بان وجد له من الذهب العين عشرة الاف دينار ونحو ذلك من النوادر فان اباه محمد
الازبكي لم يكن في سعة من المال ولا اجداده ولا اقاربه **وفي يوم** الخميس سلخ هذا الشهر
فيه توفي الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن الشيخ زين الدين قاسم المالكي وكان عالما
فاضلا علامه في مذهبه ولي قضاه المالكية في ايام السلطان الغوري اخذها عن قاضي
القضاه برهان الدين ابراهيم بن ابي شريف **وفي ثالث اليوم** وقع بالقلعة خباط بين
وهوان ملك الامرا وقف له طايفة من المماليك الجركسه بسبب انهم جامكية شهرين
مكسورة فلما وقفوا بين يديه وبخهم بالكلام وطفش فيهم وقال لهم لا زلتوا حتى
اوقعتوا بيني وبين نايب الشام وانتوا تغزوا وتروحوا تشكوني عنده فقام الامير
تاني بك الدوادار وجعل يرقع المماليك ويقول له هولا مماليكك وعبيدك
وانما بمطلوا ذلك من الجوع والقلة فقال ملك الامرا والله لولا انا ما خلا
الخنكار منكم مملوك يلوح على وجه الارض حتى انا شفعت فيكم من القتل فقال
له الامير تاني بك الكل صار رعيتك ولهم اولاد وعيال وقد مسهم الفقر والفا
والآن يطلبوا صدقة الخنكار وصدقتك فرسم لهم بشهر واحد يصرف لهم من
جامكيتهم وكان لهم شهرين مكسورة في الديوان انتهى ذلك وقد خرجت هذه السنة
عن الناس على خير دهر مرتابين من الغلا وقلة الامن وجور التركمان عليهم وتناهى
سعر الاردب القمح الى ثلاث اشرفية واثنا عشر نصف كل اردب والبطة الدقيق
باشرفي ونصف الصاف وقد انحطت الاسعار في ساير البضايع من الماكل والمشرب
حتى الما وصارت التركمان يخطفون عمايم الناس من على روسهم جهارا ولا يجدوا
من يمنعهم من ذلك ويقطعون الطريق على المتسببين والصبيان التي تطلع من
البلاد وصاروا يخطفون النسا والمرد من الطرقات كل يوم من بين الناس ولا يجدوا
من يخلصهم من ايديهم وحصل للناس منهم غاية الضرر ووقف حال بسبب المعاملة
من الفضة فانها كلها غش ونحاس وزغل وصار الاشرفي القايتبايه يصرف بخمسه
وسبعين نصف فضه والسوقه لا تقبل من الفضة الا القليل وكذلك الفلوس الجدد
وقاست اهل مصر في هذه السنة شدة عظيمة ما قاساها قط احد من الناس وكان امر
الى الله تعالى من قبل ومن بعد انتهى ما اوردناه من اخبار حوادث سنة خمس

وعشرين

وعشرين وتسعماية **ثم دخلت سنة ست وعشرين وتسعماية** كان مستهل المحرم
يوم السبت فطلع القضاه الاربع الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالعام الجديد ثم
رجعوا الى دورهم **وفي يوم** الثلاثا رابعه كان ختان ولد قاضي القضاه المالكي يحيى
ابن قاضي القضاه برهان الدين ابراهيم الدميري رحمة الله تعالى عليه فكان له في ذلك
اليوم زفة حفلة وزينت له القاهرة فمشت من الجامع المويدي الى المدرسة الصالحية
ومشى فيها اعيان الروسا من المباشرين والتجار ومشاهير الناس وغير ذلك من الاعيان
ووقدت له الشموع على الدكاكين وكان يوما مشهودا **وفي يوم** الاثنين رابع عشرينه
دخل الحاج الى القاهرة صحبة المحمل الشريف وامير الحاج الامير برسباي وقد اثنوا
عليه الحجاج خيرا فيما فعله في طريق الحجاز وان كان معهم الامن والرخا بطول الطريق
وفي شهر صفر اهل يوم الاحد فطلع القضاه الثلاثة الى القلعة وهنوا ملك
الامرا بالشهر ولم يطلع قاضي القضاه الشافعية وكان مريضا منقطعا بداره مدة
طويلة لم يركب **وفيه** وقع من الحوادث ان ملك الامرا عزل الشرفي يحيى بن التاج
عن مشيخة الحضور بالجامع المويدي واستقر بشخص من ابنا العجم وقيل من العثمانيه
عوضا عن يحيى بن التاج وكان ذلك الشخص عاريا عن العلم والفضيلة ليس له شهرة
بين الناس فقامت الاشلة على ملك الامرا من العلما والفقها وانكروا عليه ذلك
كونه انه عزل يحيى بن التاج عن مشيخة الحضور بالجامع المويدي من غير جنحة ولا
سبب وقررها من هو من غير اهلها ولم يكن يستحق ذلك وهذا من البدع المنكره **وفي**
يوم الخميس خامسه نزل ملك الامرا من القلعة وصحبته الامير تاني بك الدوادار
وجماعة من الامرا الجراكسه ومن الامرا العثمانيه جماعة كبيره ومن المماليك الجراكسه
نحو خمسماية مملوك وقيل اكثر من ذلك ومن الاسباهية والكملية والانكشارية
الجم الكثير ورماه بالبندق الرصاص فاشيع عنه انه قصد التوجه نحو بلاد الشرقية
فصلى صلاة الجمعة ونزل وشق من القاهرة وشق من بين القصرين واستمر سايرا والامرا
حوله والعسكر حتى نزل بالعكرشا ثم توجه الى شيبين ثم توجه الى مرصفا وقد اختلفت
الاقوال في ذلك فمن الناس من يقول انه خرج يبرح في الشرقيه على سبيل التنزه والتفرج
ومن الناس من يقول انه خرج بسبب محاربة عربان السوالم والاول اصح فخرج صحبته
ساير المباشرين قاطبة **فلما** كان يوم الثلاثا عاشره حضر القاضي بركات ابن
موسى من عند ملك الامرا وعليه عمامة هوارية وقد اخلع عليه قفطان مخمل مذهب
وحضر صحبته العاربوات وقد سلخوا وحشوا تبنا فقيل انهم من عربان السوالم
فاركبوهم على جمال وعليها بركستوانات مخمل والبسوهم جوخ وشاشات على زنط
على روسهم وقدامهم اثنى عشر راسا مقطوعة وهي على رماح فقيل انهم من اعيان عربان
السوالم فشقوا بهم من القاهرة وعلقوا جماعة من المسلوخين ومن الروس على باب

منهم نهاية الضرر الشامل وهذا كله بسوء تدبير اياس كاشف الشرقيه فانه استفحل بقتل
مشايخ عربان السوالم وكانوا من توابع اعيان السوالم وقيل كان فيهم من هو من اولاد طراباى
شيخ جبل نابلس فسح الجليل ومنهم من هرب بحيهم واخذوا الهم ومواشيهم واسروا
حريمهم حتى قيل انهم اسروا واستنبئن امراة من اعيان نسايهم واسروا اولادهم فلما طفشوا
فى البلاد ارسل ملك الامرا يقول للكاشف اطلق نسا السوالم واولادهم الذى عندك
من كل بد وسبب وقد استدرك ملك الامرا غلطه بما وقع منه فى حق مشايخ عربان السوالم
وقد اتسع هذا الفتنة من كل جانب واستمرت ارباب هذه الدولة فى آرا معكوسة
ليس لاحد منهم راى سديد ولا له مستشار يرجع اليه وصار كل منهما يستبد براى غير
صواب ويتكلم بكلام غير مفيد وقد ضاعت الكلمة بينهم وآل امر مملكة مصر الى الخراب
وكل هذا من سوء تدبيرهم وقلة عرفانهم وعدم تجاربهم للامور وقلة نظرهم فى العواقب
بما يوول امره من خير او شر فنسال الله تعالى اصلاح الحال وحسن الخاتمه واخماد هذا
الفتن عن قريب وفى يوم الجمعة ثالث عشره اخلع ملك الامرا على اخوتهم واستقر به
شيخ العايد عوضا عن اخيه بخ وقد بلغه ان احوال الشرقيه قد اضطربت الى الغاية وثارت
بها العربان بسبب الفساد فلما اطلع عليه خرج من يومه الى الشرقيه بسبب هذا الفساد وفى
يوم السبت رابع عشره كتب ملك الامرا تجريده الى الشرقيه وعين بها نحو مايه مملوك
من الجراكسه وعين جماعة من الجملية والاسباهيه ومن الانكشاريه الرماة وجهز عجلات
تخرج صحبتهم اذا خرجوا وقيل ان اياس كاشف الشرقيه محاصر مع العرب فى بلبيس وقد
ارسل يطلب نجده بسرعة واشيع ان عربان بخ شيخ العايد لما عسك صاروا يرون الناس
فى راس المطريه وعند تربة العادل وفيه اشيع ان جماعة من الانكشاريه هجموا على سوق
النحاسين واخذوا ما فيه من النحاس حتى يسبكوه مكاحل للبندق الرصاص فحصل للتجار
الضرر الشامل من ذلك وكانت حركه هذه الجماعة الذى قتلوا من عرب السوالم من اكبر
اسباب الفساد فى احوال المملكة وانهم لو ابقوهم فى قيد الحياة وسجنوهم لكان ذلك
عين الصواب وارجا لخمود هذه الفتن ولكن عجلوا بقتلهم حين ظفروا بهم فكان كما قال

امور تضحك السفها منها ، ويبكى من عواقبها اللبيب

وفى يوم الثلاثا سابع عشره خرجت التجريدة الذى عينها ملك الامرا الى السوالم وكان
الباش عليها شخصا من امرا المتشرادات يقال له جان بردى الغزالى الذى كان كاشف
البحيرة اخو تنم الذى كان خازندار الملك الناصر محمد بن الاشرف قايتباى وكان
بها من المماليك الجراكسه وغيرها مايه مملوك وتوجه قبل ذلك الى عند كاشف الشرقيه
ستين مملوكا يقيمون عنده فخرجت التجريده فى ذلك اليوم وتوجهوا الى خانقة سرياقوس
وفى يوم السبت حادى عشرينه حضر اياس كاشف الشرقيه وصحبته جماعة ممن بقى من
اعيان عربان السوالم وقد اتوا الى اياس طايعين بعد ان داروا عين الطلب فاحضرهم الى

زويله وعلقوا الباقى على باب النصر وكان من ملخص هذه الواقعه ما اشيع واستفاض
بين الناس ان اياس كاشف الشرقيه تحيل على مشايخ عربان السوالم وارسل لهم بالامان
فاركنوا اليه وحضروا اليه فصنع لهم ضيافة فلما استقروا اعتدى ارسل اعلم ملك الامرا
بذلك فارسل له القاضى بركات بن موسى ومعه جماعة من المماليك الجراكسه فتوجهوا الى
نحو العرب السوالم وخرج صحبتهم عربان البلاد المجاورة من منية حل والجوسق والحمرة
وغير ذلك من البلاد المجاورة فالتقوا مع السوالم وكان بينهم وقعة مهولة فانكسرت
السوالم وقبضوا على نخبة مشايخهم ثم ان العسكر والعربان نهبوا بخ السوالم عن اخره
وغنموا منه مالا يحصى من جمال وخيول وسلاح حتى اخذوا نساهم واولادهم فلما
وقعت هذه الكسرة على السوالم هرب من بقى منهم الى الاودية والجبال فلما جرى ذلك
سلخ الكاشف مشايخهم وارسلهم الى القاهرة كما تقدم ذكر ذلك وقيل كان فيهم من
هو من اولاد قراجا بن طراباى شيخ جبل نابلس على ما قيل عنه واشيع ان ملك الامرا
رحل من على مرصفا وتوجه الى بنها العسل وارسل سنجقه ومطبخه الى القلعة واشيع
عوده الى القاهرة وفى يوم الاربعا حادى عشره رجع ملك الامرا الى القاهرة فاتى من
على قنطرة الحاجب ودخل من على باب الشعرية وخرج من باب القنطرة وطلع من على
سوق مرجوش وشق من القاهرة فى موكب حفل وقدامه جماعة من الانكشاريه الرماه
وقدامه جماعة من الاسباهية وبعض جنايب ولاقاه الشعرا والشبابه من باب الشعريه
وكان عليه قفطان جوخ احمر وكان قدامه ما اصطاده من الكراكى والاوز العراقى
فاستمر فى ذلك الموكب حتى طلع الى القلعه وكان يوما مشهودا وكانت مدة غيبته
فى هذه الرحلة سبعة ايام بلياليها ثم دخل بعده بخ شيخ العرب بخ شيخ العايد وهو فى الحديد
وقد نسبوه انه كان متواطى مع عربان السوالم وهو من اغراضهم فقبض عليه ملك الامرا
ووضعه فى الحديد حتى يكون من امره ما يكون ولم يكن نزول ملك الامرا الى الشرقيه
خيرا للناس فرعى العسكر زرع البلاد وقدمت له مشايخ العربان نحو الفين راس غنم
توزعوا ذلك على بلاد الشرقيه واحضروا له من شيبين ستماية اردب شعير وذلك
غير التقادم من خيول وجمال وغير ذلك من ذهب عين فوق العشرة الاف دينار
وقيل ان ملك الامرا كان فى هذه الرحلة لا يصحى من السكر ليلا ولا نهارا حتى اشيع
عنه انه اخذ معه اربعين بغلا وهى محملة نبيذ وبطشى فكان فى نزوله هناك نهاية
الضرر فى حق الناس ولولا اخذوا عرب السوالم بحيلة لما قدروا عليهم ابدا انتهى
ذلك وفى يوم تاريخه عاين مولفه هذه الواقعه بالمشاهدة من حضور القاضى بركات
ابن موسى المحتسب ومن طلوع ملك الامرا فى ذلك الموكب المقدم ذكره فلما طلع ملك
الامرا الى القلعة قدمت الاخبار من الشرقيه بان عربان السوالم لما حصلت لهم تلك
الكسرة توجهوا الى الصالحية ونهبوا ما فيها واحرقوا ما حولها من الضياع وحصل

ملك الامرا فلما قابلوه اخلع عليهم واتوجهوا فى مشيخة السواكر عوضا عمن قتل منهم
وحدث فتنة عربان السواكر وكان ذلك على غير النياس من هذه الفتنة **وفى شهر**
ربيع الاول كان مستهله يوم الاثنين فصعد القضاه الاربعة الى القلعة وهنوا ملك
الامرا بالشهر ورجعوا الى دورهم وفى ذلك اليوم حضر قاصد من عند الخنكار سليم
شاه بن عثمان وقد حضر من البحر المالح الى ثغر الاسكندريه فلما طلع الى القلعة قرا
مراسيم الخنكار ارسل يقول لملك الامرا ان يتوصا بالمماليك الجراكسه ويصرف لهم جوامكهم
ولحومهم وعليقهم والاضحية والكسوة على العادة واشيع انه ارسل يقول لملك الامرا
كل من شوش من الاتركان على احد من الرعايا تشنقه من غير معاودة وارسل يقول بان ينادى
للناس بفتح الطرقات والشوارع والاسواق قاطبة فاخذ الناس فى اسباب ذلك
وشرعوا فى فتح الطرقات ثم اشهروا المناداه فى القاهرة على لسان الخنكار حسبما رسم
بان لا احدا من الانكشاريه ولا من الاسباهية يشوش على احد من الناس وكل من شوش
على احد يمسكه من طوقه ويتوجه به الى خير الدين نائب القلعة فاشهروا المناداه بذلك
اربعة مشاعليه اثنان ينادوا بالتركى واثنان ينادوا بالعربى وهم قدام الامير كشبغا
والى القاهرة واظهر العدل فى ذلك اليوم وليته لو دام ثم اشيع بين الناس ان الخنكار
ارسل الى ملك الامرا يطلب سنان باشاه ونابى بك بالخصوص والاسباهية
الى اسطنبول فلما وصلوا الى هناك احضر سنان باشاه بين يديه فامر بشنقه فاقام
مصلوبا ثلاثة ايام لم يدفن واشيع ان طايفة من الاسباهية الذى كانوا بمصر وارسل
طلبهم فلما دخلوا الى اسطنبول ضرب رقاب اربعماية اسباهى منهم ممن اشيع عنه النهب
بمصر من جماعة سنان باشاه واشيع ان الخنكار ارسل يحط على ملك الامرا خاير بك
بسبب دخوله فى طايفة الانكشاريه والاسباهية حتى جاروا على الناس وصادروا وشوشوا
على الرعيه وقد بلغ الخنكار ما يصنعوا بمصر من خطف النسا والمرد وبضايع السوقين
وخطف عمايم الناس فلما حضر القاصد فى ذلك اليوم وقروا مرسوم الخنكار
بحضرة قضاه القضاه شهدوا بان ملك الامرا ناظرا فى مصالح احوال الرعيه والناس
منه راضيه وكانت هذه الشهادة عين الريا واتباع الجاه لاجل المناصب ثم ان
ملك الامرا قصد ان يكتب محضرا ويأخذ عليه خط القضاه الاربعة بان مصر فى
غاية العدل والرخا والامن فلم يوافقه القضاه على ذلك وقالوا نكتب خطوطنا ايدينا
بشى باطل ويبلغ الخنكار بخلاف ذلك فنخشى على انفسنا منه بان نذكر مصر فى
غاية العدل والامن والرخا وان الاتراك لم يشوشوا على احد من الرعية وهذا باطل
لا يجوز فرجع عن ذلك **وفى يوم** الخميس حادى عشره عمل ملك الامرا المولد الشريف النبوى
بالقلعة وجلس فى المقعد الذى بالحوش السلطانى وحضر القضاه الاربع على حكم
السنة الماضية **وفيه** قدمت الاخبار من مكة المشرفة بان وقع بين الشريف بركات امير

مكة وبين نائبها جرو اغات الحملية الذى يسمى الكيخيه واضطربت احوال مكة الى الغاية
وفى يوم الاحد رابع عشره اخلع ملك الامرا على الامير جانم كاشف البهنسا والفيوم
وقرره امير الحاج فنزل من القلعة فى موكب حفل **وفيه** كانت كاينة الامير جان بردى
الاشقر احد الامرا المقدمين بمصر وهو اخو تمر الذى كان نائب الاسكندرية
قبل ان عزم عليه شخص يسمى تمر الظاهرى فلما دخل عليهما الليل وقع بينهما تشاجر
فثارت فى تلك المجلس فتنة كبيرة فقتل فيها جان بردى الاشقر ولا يعلم من قتله من
الحاضرين وقبضوا على من كان حاضرا واختفى تمر صاحب البيت وكانت واقعة مهولة
فلما بلغ ملك الامرا ذلك شق عليه قتل جان بردى الاشقر لانه كان صاحبه فاخذ
فى الفحص على من قتله والزم الوالى باحضار تمر الذى قتل فى بيته **وفيه** اخرج ملك
الامرا تجريدة الى ثغر الاسكندرية بسبب تعبث الافرنج هناك على المسافرين وكان
بها من العسكر نحو مايتين انسان ما بين مماليك جراكسه واولاد ناس وعثمانيه وغير ذلك
وفى شهر ربيع الاخر كان مستهله يوم الثلاثا فطلع قضاه القضاه الى القلعة
وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفى يوم** الخميس ثالثه خرج الامير
جانم الحمزاوى الى السفر وقصد التوجه الى اسطنبول فخرج فى موكب حفل وصحبته
الامرا الجراكسه والباشات وارباب الدولة من الامرا العثمانيه وقد ارسل ملك الامرا
صحبته تقدمة حفله الى السلطان وكان ما اشتمل عليه تلك التقدمة من ما قيل
من الخيول الخاص خمسين فرسا وخمس بغله قيل منها نحو خمساية دينار ومن القماش
الحرير والتفاصيل السكندرى واشيا كثيرة ومن الشاشات اشيا كثيرة ومن جملة هذه
الهدية خمسماية قنطار سكر معمولة بمسك ومن الاشربة والمربيات اشيا كثيرة
وارسل اليه من الفصوص والمعادن واللولو اشيا كثيرة ومن الصينى اللازوردى
والشفاف اشيا كثيرة وغير ذلك من التحف الغريبة اشيا كثيرة ما يهدى للملوك
وفيه قدمت الاخبار من تونس ببلاد الغرب بان قد وقع بها فتنة عظيمة فى اوايل
صفر وقتل فى هذه المعركة نحو اربعين الف انسان واخر الامر وقع بين صاحب تونس
وبين الشيخ محمد بن تلمس صاحب تلمسان وقعة عظيمة وانتصر السلطان حسن بن محمد
صاحب تونس على ابن تلمس وغنم منه غنايم جزيلة ما بين مال وقماش وسلاح
وخيول وجمال وغير ذلك **وفيه** نزل ملك الامرا الى بولاق واقام بها الى الخريف الظهر
فاحضر اليه القاضى بركات بن موسى المحتسب هناك مدة حفله ثم ان ملك الامرا
اعرض المراكب الاغربة التى انشاها ولعبوا قدامه فى البحر وانشرحوا فى ذلك اليوم
الى الغاية ونصب له صحابة فى الجزيرة التى تجاه الانبابه وكان يوما مشهودا **وفى يوم**
الاثنين حادى عشرينه كان عيد النصارى وهو اول يوم فى الخماسين وكانت خماسين مباركة
لم يظهر فيها الطاعون بمصر ولا فى غيرها من الثغور **وفيه** وقع ان امراة مسلمة

كبست مع شخص يهودى فلما شاع امرها قبض على اليهودى وعلى المراه وعلى المكارى الذى
اركب المراة وقبض على شخص اسكافى الذى كان واسطة بين المراة واليهودى فلما
عرض امرهم على ملك الامرا ضربهم بالمقارع هو والاسكافى وسجن المراة بالجرح وسجن
اليهودى بالديلم حتى يرى من امرهم ما يكون **وفيه** قدمت الاخبار من حلب بان
عبد الرزاق اخو علد ولات وثب على ابن اخيه سوار وقد التف عليه جماعة من التركمان
الباصيه والاكراد فحصل بينهما وقعة مهولة فقتل بها جماعة كثيرة من التركمان
واشيع قتل سوار فى المعركه وتملك عبد الرازق من ابن سوار الابلستين والمرعش
وغير ذلك من البلاد واستمر الحرب ثايرا بين الفريقين ثمانيه ايام وانتصر عبد الرزاق
على ابن سوار ثم خمدت هذه الاشاعات من بعد ذلك كانها لم تكن **وفى شهر جمادى**
الاولى كان مستهله يوم الخميس فطلع القضاه الى القلعة وهنوا ملك الامرا
بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفى هذا الشهر** تزايد امر الغلا بمصر وبلغ سعر القمح ثلاث
اشرفيه كل اردب وسطح السعر فى ساير الحبوبات وبلغ كل رطل سمن اربعة انصاف
والسيرج بثلاثة انصاف كل رطل والاجبان قاطبة فى ساير الغلو واللحم الضان كل
رطل بثمانيه عشر درهم واللحم البقرى كل رطل بستة عشر نقره وبلغ سعر العسل
الاسود كل رطل ثلاثة انصاف وبلغ سعر الصابون كل رطل خمسة انصاف وعلى
هذا فقس ساير البضايع والغلال وغير ذلك حتى بلغ سعر الراوية الما اربعة انصاف
وعم هذا الغلا حتى فى القماش قاطبة والبياض والملون والحرير والصوف والجوخ
وغير ذلك من القماش قاطبة وسبب ذلك الغش فى المعاملة من الذهب والفضة
وصار الاشرفى البرسبيهى يصرف بثلاثة اشرفيه فضه والاشرفى القايتبيهى يصرف
باشرفيين وثمانيه انصاف والاشرفى الغورى يصرف باشرفيين واربعة انصاف
وكذلك الاشرفى العثمانى ضرب الخنكار واما الفضة فجميعها فى غاية الغش
والفساد وصارت الناس فى امر مريب بسبب ذلك وقد تغيرت احوال مصر
تغيرا فاحشا الى الغاية وفوق ذلك جور التركمان فى حق اهل مصر فى الخطف
والنهب واخذ اموال الناس بغير حق وخطف النسا والمرد من الطرقات
وفى يوم الجمعة تاسعه قدمت الاخبار من حلب بان خارجيا من التركمان يقال له
جلال المهندى قد تصدى لمحاربة الامير على ابن شاه سوار والتف عليه جماعة
كبيرة من التركمان وكان جلال هذا من فقرا الروم فقال لها اق شوى بو زتكان
بينه وبين الامير على بن سوار وقعة مهولة وقتل من التركمان نحو ثلاثة الاف
انسان واشيع ان الامير على ابن سوار قد خرج فى وجهه بطبر وهرب واختفى
وانتصر ابن سوار على ذلك الخارجى الذى يقال له جلال المهندى وفر منه الى بلاده فاطلع
ملك الامرا على المجاه الذى اتى بهذا الخبر ثم خمدت هذه الاشاعة كانها لم تكن **وفى**

ليلة الخميس خامس عشره خسف جرم القمر واظلمت الدنيا فاقام فى الخسوف نحو ساعة
ثم انجلى عنه ذلك الخسف **وفى يوم** الخميس خامس عشره نفى القاضى بركات بن موسى
المحتسب على اخو محمد بن جبير وضربه ضربا مبرحا حتى كاد ان يهلك ثم اشهره فى
بولاق وكان سبب ذلك انه حجر على بيع الفول وصار يتنزير على من يبيعه ويجوز فحطط
سعر الفول فى تلك الايام وكان اخاه محمد بن جبير متحدث فى امر الغلال الذى يرد
من البلاد قاطبة وكان يحتمى بالامير جانم الحمزاوى فجار على الناس بسبب بيع الغلال
فحنق منه القاضى بركات بن موسى وضربه كما تقدم **ومن الحوادث** الشنيعه ان ملك
الامرا كان سعر الذهب العثمانى ان يصرف باشرفيين من غير زياده على ذلك وكان قبل
ذلك يصرف باشرفيين وخمسة انصاف وصار البيع بيعان بيع بالذهب وبيع بالفضة
توقفت احوال الناس بسبب ذلك بورود معاملة الفضه وكل من ردها شنق من غير معاوده
وكانت الفضة يوميذ فى غاية الغش كلها نحاس اذا باتت ليلة تنكشف كلها وكانت
الانكشاريه تدخل الاسواق وترمى تلك الفضه النحاس على التجار فكل من ردها منهم
تنهب دكانه ويضرب ذلك التاجر حتى يأخذها غصبا على رغم انفه فياخذ وامنه
اشرفى ذهب ويعطوه اشرفيين من تلك الفضه النحاس فحصل للناس فى ذلك غاية
الضرر الشامل **وفى يوم** الجمعة سادس عشره خطب فى مدرسة الست خديجة ابنة
درهم ونصف التى بالقرب من جامع التركمانى عند طاحون السدرة فاجتمع هناك
القضاه الاربعة واعيان المباشرين واعيان الناس وخطب بها فى ذلك اليوم قاضى
القضاه الشافعى كمال الدين الطويل وكان ذلك اليوم مشهودا وكانت ... هذه المدرسة
قاعة انشاها الدرهم ونصف ثم بدا لابنته خديجة ان تجعلها مدرسة فانشات
بها المحراب وجعلت بها منبرا ومادنه وجعلت فيها خلاوى للصوفيه ثم انها وقفت
عليها جميع جهاتها المخلفة عن والدها فجاءت من محاسن الزمان وكان ذلك عين الصواب
وقصدت بذلك الاجر والثواب **وفى هذا الشهر** قدم جماعة كثيرة من اسطنبول
ممن كان نفى اليها من الاعيان بمصر منهم كمال الدين بن معين الدين الوقع وابن نصر الله
ومرعى الذى كان من جماعة الاتابكى سودون العجمى واحمد الصغير وطى ومحمد بن قرقماس
جهات الاميريه ومحمد بن ابراهيم الذى كان متحدثا على الزمام ومحمد بن القاضى فخر
الدين بن الضعيف الذى كان كاتب المماليك ومحمد بن على كاتب الخزانه وابن الزريجى
وحسام الدين بواب الدهيشه واخرون منهم لم يحضرنى اسماؤهم الان والكل فروا
من اسطنبول من غير اذن الخنكار بن عثمان وحضروا وجماعة من السيوفيه والحداديه
والنجاريه والبنايين والمرخمين وغير ذلك ممن كان توجه الى اسطنبول فحضروا الكل
هاربين من غير علم السلطان **فلما** حضروا اشيع بموت ابن شقيره التاجر الذى
من سوق مرجوش واشيع بموت جماعة كثيرة هناك من اعيان اهل مصر قبل ذلك

وقدمت الاخبار بوفاة جان بك دوادار الامير طراباى وكان من وسايط السوء وتوفى
محمد بن يوسف الذى كان ناظر الاوقاف وكان من وسايط السوء ايضا وتوفى محمد المسكى
الذى كان من سوق الوراقين وتوفى هناك جماعة كثيرة ما يحضرنى اسماؤهم الان
وفيه قبض ملك الامرا على شخص من اليهود الصيارف من جماعة المعلم يعقوب اليهودى
فضربه بالمقارع ثم قطع يده وعلقها فى عنقه واشهره فى القاهرة وكان سبب ذلك
انه اشيع عنه انه يبلزى الفضه النحاس المغشوشه ويبيعها فى الجامكيه وقد تقلق
العسكر من ذلك وفى يوم الخميس ثالث عشرينه كان دخول الشرفى يحيى بن الامير طراباى
راس نوبة النوب على ابنة الامير بيبرس بن بنت سيرين ولست اعلم اسم اباه ولا جده
وهو يزعم انه ينتسب الى الملك الظاهر برقوق بذكره فكان كما قيل فى المعنى

وما هو الا كالعقاب فامه * معلومة وله اب مجهول

فكان له مهم حفل من المهمات المشهورة وفيه رسم ملك الامرا بشنق شخص من عمال
البلاد فشنق على قنطرة الحاجب بعد العصر وكان سبب ذلك انه اشيع عنه انه زور مراسيم
على لسان بعض المباشرين باستخراج الرزق التى بالمغربية فلما بلغ ملك الامرا ارسل
احضره فلما حضر امر بشنقه من يومه بعد العصر واراح الله الناس منه وفى شهر
جمادى الاخر اهل يوم الجمعة فطلع القضاه الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامرا
بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى يوم الاثنين رابعه قدم قاصد من البحر المالح وعلى يده
مراسيم من عند الخنكار فكان من مضمونها انه ارسل يطلب الامير كستبغا والى القاهرة
وقد بلغه ما فتحه من ابواب المظالم بمصر وقد كثرت به الشكاوى من الناس عنده
الخنكار فطلبه من ملك الامرا عدة مرار وهو يحامى عنه فلما راى الطلب حثيثا
فى امره ما وسعه الا انه ارسله فخرج على وجهه فى اثنا هذا الشهر وسافر الى اسطنبول
من البر دون البحر وكان من وسايط السوء ظالما غاشما عسوفا سفاكا للدما اسباح
اموال الناس ودماهم فلم يتاسف لخروجه احد من الناس وفرح غالب الناس لخروجه
من مصر وكان اصل كستبغا هذا من مماليك ملك الامرا وولى الحسبة بحلب مدة
وفى هذا الشهر اضطربت احوال القاهرة وغلت
الاسعار بسبب صرف الدنانير الذهب باكثر من اشرفيين فضة واشيع ان شخصا
حجازى من الصيارف صرف اشرفى ذهب باشرفيين فضه وخمسة انصاف فرسم ملك
الامرا باشهاره فى القاهرة وخرم انفه وعلق فيها الميزان ثم شنقه فراح ظلما وفيه
توفى محمد بن الرئيس فتات العنبر رئيس المحبظين وكان استاذ فى صنعة الخيال
وكان نافق على ابن بوه فى هذا الفن وفى يوم الاثنين خامس عشرينه قدم الى الشريف
بركات امير مكة وهو الذى يسمى نقيبه وصحبته صهره عرار فلما حضر خرج الامرا
الجراكسه والامرا العثمانيه الى ملتقاه فدخل القاهره فى موكب حفل وقدامه

الانكشاريه يرمون بالنفوط فلما صعد الى القلعة تلقاه ملك الامرا من وسط الحوش
السلطانى وبالغ فى اكرامه الى الغاية واخلع عليه قفطان واخلع على صهره وعلى من معه
من العربان وانزلوهم فى مكان عدهم وفيه توفى الامير قطبغا استادار الصحبة
احد الامرا العشراوات فلما مات دفنه ملك الامرا فى مدرسته التى فى باب الوزير
وفى شهر رجب اهل يوم السبت فطلع القضاه الاربعة الى القلعة وهنوا ملك
الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفى ذلك اليوم قرى كتاب الشريف بركات امير مكة
بحضرة قاضى القضاه الشافعيه بمكة صلاح الدين بن ظهيره عليه فكان من مضمونه
انه ارسل يطلب من ملك الامرا فى استقراره قاضى القضاه الشافعيه بمكة المشرفه
فاجيب الى ذلك ثم عين فى ذلك اليوم قاضى مالكى وقاضى حنبلى الى المدينة الشريفه
وانفض المجلس على ذلك وفى يوم الاربعا خامس رجب طلع ابن الرداد ببشاره النيل
المبارك وجاءت القاعدة ستة اذرع وعشرة اصابع وكانت فى العام الماضى ارجح
من ذلك بعشرة اصابع وفى يوم الجمعة سادسه رسم ملك الامرا بشنق شخص من
اعيان الاسباهية وكان من اكابر المفسدين يخطف النسا والمرد والعمايم الظهر ولا يجد
من يرده عن ذلك فلما كثرت به الشكاوى تعصب على شنقه ملك الامرا وقرا موسى
احد امرا ابن عثمان وقام فى ذلك غاية القيام واغلظ على ملك الامرا فى القول وقال لو
الخنكار ما يرى شيى من ذلك فلما شنق ذلك الشخص عز على الاسباهيه وتاسفوا
عليه وانزلوه من المشنقه وغسلوه وكفنوه وقيل شنق معه فى ذلك اليوم اثنان
من الاسباهية كانا من كبار المفسدين وهما اللذان توجها الى بيت شاد البرلس ونهبوا
ما فيه وسبوا حريمه ولم يكن له ذنب يوجب ذلك وتقدم القول على هذه الواقعة
وفى يوم الثلاثا ثانى عشره خرج قاسم الشروانى الذى كان نايب جدة وعزل عنها وجرى
عليه شدايد ومحن وسجنه ملك الامرا بالعرقانة وقيده ثم ان الخنكار ابن عثمان
ارسل طلبه فتوجه الى اسطنبول وسافر اليها فى ذلك اليوم وفى الحوادث فى هذا
الشهر ان ملك الامرا تكلم مع القضاة الاربعة بان يخففوا من نوابهم واغلظ عليهم فى
القول فاقتصر قاضى القضاه الشافعى على خمسة عشر نايبا واما القاضى الحنفى فانه
عزل نوابه كلها واقتصر على اثنين وهما شهاب الدين بن شبرين وابن بنت البدرى
محمد بن الدهانه الذى كان شيخ الجامع المويدى فاما القاضى المالكى فاقتصر على
سبعة من النواب واما القاضى الحنبلى فاقتصر على سبعة من النواب ولم يتم ذلك
فيما بعد وحصل للنواب فى هذه الحركة غاية الضرر وكان سبب ذلك ان نايبا من نواب
القاضى الحنفى طلب امراة الى الشرع فامتنعت من الحضور فقبض عليها القاضى وضربها
نحو ثمانين عصاه فوقع له مثل ذلك مرتين ثم ان امراة طلعت وشكته الى ملك الامرا
فمقت القاضى بسبب نوابه وما يفعلون وقال اعزلوا جماعة من نوابكم المناحيس

الانكشاريه

وفيه توفي الامير ماماي السافي احد الامرا العشراوات الطبلخاناه وكان اصله من مماليك
الغوري وكان رئيسا حشيما لاباس به فنزل ملك الامرا وصلى عليه وكانت جنازة
حفلة وفي يوم الثلاثا ثامن عشره كان ختان ولد القاضي شهاب الدين احمد بن شبرينا
احد نواب الحنفيه فكان له زفة حفلة مشى فيها اعيان الناس من المباشرين وغير ذلك
وفي شهر شعبان اهل يوم الاثنين فصعد القضاه الاربع وهنوا ملك الامرا
بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفيه كانت كاينة محب الدين بن اصيل الكبيسي فكان من ملخص
واقعته ان كان بيده مشيخة مدرسة البنجوبيه والجالية اخذها بنزول عن شخص من
القضاه واقام بيده مدة ثم انتدب له من زاحمه وقال له شرط الواقف ان يكون
مشيخة الجاليه لاعلم علما الشافعيه وانت شخص عاري عن العلم فاخرجه ملك الامرا
وقضيته مشهورة وقررها شيخ الاسلام زين الدين زكريا الانصاري الشافعي فنشق
ذلك على محب الدين بن اصيل وحصل له غاية الضرر والبهدلة من ملك الامرا وقضيته
مشهورة بما جرى له وفيه وقعت كاينة عظيمة للامير الماس اخو امير كبير قرقماس
من ولي الدين وكان من ملخص هذه الواقعه ان كان عند الامير الماس مملوكا عاتيا يتزايا
بزي العثمانيه ويخرج بالليل يقطع الطريق ويخطف العمايم وقد وجدنا هذا المملوك
يقطع الطريق في بولاق وغيرها من الاماكن فقال ملك الامرا وهذا مملوك من قبل
له هذا مملوك الامير الماس فقال له ملك الامرا ايش ماكنت تزجر مملوكك عن
الفساد فقال الامير الماس ما كان يسمع لي فقال ملك الامرا ايش ماشكوته لي وانا
كنت انصفك منه فطال بينهما الكلام ثم ان الامير الماس اغلظ على ملك الامرا
في القول فحنق منه فبطحه على الارض وضربه ضربا مبرحا حتى عاين الموت قيل
ضربه عشر نوب ثم رسم بنفيه الى منفلوط ونقل الى قوص ثم رسم بتسليم ذلك
المملوك الى الوالي ليعاقبه وخرج الامير الماس منفيا الى قوص من يومه وفيه نزل
ملك الامرا وسار الى نحو بلقس ثم رجع من هناك ودخل من باب النصر وشق القاهره
فلما شق منها لم يدع له احد من الناس بالنصر ولا زغرتت له النسا من الطيقان
بل اغلظ عليه بعض العوام وقال له انظر في احوال المسلمين بالشفقه في سبب الخبز
والدقيق وساير الاسعار في البضايع مشتطه وفيه الثلاثا تاسعه توفي القاضي
شمس الدين محمد بن عبد الكافي احد نواب الشافعيه وكان من اعيان النواب وكان
ضخم الجسد ممتلا باللحم جدا وفيه الاربعا عاشره كان اول مصري من الشهور القبطيه
وفيه زاد الله تعالى في النيل المبارك عشرة اصابع فسر الناس بذلك وكان في اول
الزيادة اصبع اصبع نحو عشرة اصابع على عشرة ايام متواليه ثم في اليوم الثاني من مصرى
زاد الله تعالى النيل المبارك خمسة عشر اصبعا في دفعة واحده وفيه الاحد ليلة
الاثنين كانت ليلة النصف من شعبان فنزل ملك الامرا في تلك الليلة ختم بالقلعة

وادعى

وادعى القضاه الاربعه فلما تكامل المجلس شرع قاضي القضاه محيى الدين يحيى بن قاضي
القضاه برهان الدين الدميري المالكي يتكلم مع ملك الامرا بان يشفع في القاضي نور
الدين علي البيجوري وقد تقدم القول على ان ملك الامرا تغير خاطره عليه فنفاه الى دمنهور
واقام بها مدة طويلة فلما شفع فيه القاضي المالكي رسم باحضاره من دمنهور فكان
احد نواب الحنفية فكثرت فيه الشكاوى وكان غير محمود السيرة فنفاه ملك الامرا
الى دمنهور وتغير خاطره عليه واستمر هناك حتى شفع فيه ثم في ذلك المجلس
شفع قاضي القضاه المالكي ايضا في شمس الدين محمد السمرساجي فتوقف ملك الامرا
في امره قليلا ووعد له جملة مساوى فما زال قاضي القضاه يتلطف به حتى رضي عليه
وكان منعه ان لا يعمل قاضيا ولا شاهدا ويلزم بيته دايما فكتب عليه قسايم بذلك
ثم رضي عنه في ذلك المجلس ثم ان قاضي القضاه شفع في نور الدين علي المحسني
المعروف برصاص المؤذن بان تعاد له وظايفه التي كانت في المدرسة الغورية
وكانت خرجت عنه لما توجه الى اسطنبول واقام بها فلما شفع فيه رسم باعادة
وظايفه التي كانت بالغوريه وكان قاضي القضاه المالكي عند ملك الامرا من المقربين
وكان يحضر مجلس محاكماته في كل يوم السبت يفصل المحاكمات بحضرة ملك الامرا
ورأى في ايامه غاية العز والعظمة فوق ما رآه قاضي القضاه الحنفي عبد البر بن الشحنة
في ايام الملك الاشرف قانصوه الغوري فعد ذلك من النوادر في طاعة ملك الامرا
قاضي القضاه المالكي في جميع ما شفع فيه في ذلك المجلس بالاجابة ولم يرد له شفاعة
في امر من الامور وفيه قدمت الاخبار من اسطنبول بان الامير جانم الحمزاوي لما
وصل الى اسطنبول قابل الخنكار وقبل منه الهديه التي ارسلها ملك الامرا واكرمه
الى الغاية واذن له بالعود الى مصر وهو واصل عن قريب واشيع في الاخبار الوارده
من اسطنبول ان جماعة من الاعيان تسحبوا من اسطنبول منهم القاضي علا الدين
ناظر الخاص وعلي بن الامام واخوه محمد والقاضي ابو البقا ناظر الاسطبل واخيه
يحيى اولاد ابراهيم المستوفي وبها الدين بن البارزي وجلال الدين بن الشبرا ادي
شق ذلك عليه وكلات فلما بلغ الخنكار ذلك فشق عليه وارسل خلفهم سنجق جاويشا
فقبضوا عليهم من اثنا الطريق ووضعوهم في الحديد وقاسوا من البهدله والضرب
ما لا يمكن شرحه وردوهم الى اسطنبول وهم مشاة في الحديد ثم سجنوهم ولا
يعلم ما جرى لهم من بعد ذلك وفيه قدمت الاخبار من بلاد الغرب بان يتوجهوا
جربه وهي من اجل المداين ثم ان جماعة من ملوك الافرنج حاربوا بها من ملوك
الغرب فكان بين الفريقين وقعة مهولة وقتل بها من الفريقين نحو ثلاثين الفا
وكانت النصرة لصاحب جربه على ملوك الافرنج وغنموا منهم اشيا كثيرة وفي يوم
السبت عشرينه اخلع ملك الامرا على ابن الشريف بركات امير مكة واخلع على صهره

عمار واذن لهما بالعود الى بلادها فكان لها موكب حفل فلما شقوا من القاهرة وصحبتها
الامرا الجراكسه والامرا العثمانيه والجم الكثير من العثمانيه والانكشاريه يرمون بالنقوط
وكان يوما مشهودا وفي يوم الثلاثا ثالث عشرينه كان ختان اولاد قاضي القضاه الحنبلي
شهاب الدين الفتوحي المعروف بابن النجار فكان له زفة حفلة مشى فيها جماعة من
الاعيان لكن قصر وصغرها عن زفة اولاد قاضي القضاه محيي الدين الدميري المالكي
وابن الحسام من الحنبلي ومن الحوادث الشنيعة ان شخصا يقال له يحيى تمرقي
البردار له ابنة صغيرة لها من العمر نحو سبع سنين وكان ابوها ساكن في المراغة بالقرب
من مزار السيدة نفيسه رضي الله عنها وكان لهم جار صبي امرد يعمل صنعة الزرابات
فلعبت عينه على الكوفيه الذهب التي على راسها وكان على راسها كوفيه ذهب فوقفت
تلعب مع الصغار في الحارة فقال لها ذلك الصبي امكي في السيدة نفيسه وارسلت
نظليك الى هناك فمضت معه واخذ معه عبد اسود فلما مضوا توجهوا بتلك البنت
الى تربه خراب خلف مزار السيدة نفيسه فذبحوها هناك هو والعبد الذي معه والقوها
في فسقية موتى هناك واخذوا الكوفيه من على راسها وتركوها هناك تتلبط في دمها
فاقامت هناك يوما وليلة فكثر التفتيش عليها من امها وابيها فنزل ابوها الى السوق
واوصى الدلال على الكوفيه الذهب التي كانت على راس البنت فبينما هو في الصاغه واذا
بالصبي الامرد الذي اخذ الكوفيه وذبح البنت في الصاغة ومعه الكوفيه فاشهرها
في المناداه فتناهى سعرها الى اربعين اشرفيا فقال بعتك فقال له الدلال احضر لك
ضامن ثقة فلم يجد من يضمنه فقبضوا عليه واحضروا ابو البنت فقبض عليه من
باب الامير كشبغا فلما اعرضوه على الوالي ضربه بعض عصى فاقر انه اخذ الكوفيه
من على راس البنت وذبحها وارماها في فسقية موتى خلف مزار السيدة نفيسه
رضي الله عنها فقالوا له امض معنا وارنا ذلك المكان الذي ارميتها فيه فخرجوهم
في الحديد واتى بهم الى تلك الفسقيه التي ارماها فيها فنزل ابو البنت اليها
فوجدها وهي مذبوحة وذبحها بعض ذبح ولم ينقطع وريدها من الذبح فحملها
ابوها وطلع بها من تلك الفسقية فلما بلغ ملك الامرا ذلك ارسل احضر الجميع
بين يديه وقصوا عليه قصة الصبي وما جرى له مع البنت فحزن عليها ملك
الامرا وقال لها من فعل بك هكذا فاشارت الى الصبي والعبد الاسود فشنقا على
باب البيت الذي اخذوا منه البنت واحضروا للبنت من قطب لها مكان الذبح
التي برقبتها وعاشت بعد ذلك وبريت من الذبح فعد ذلك من العجايب والنوادر
الغريبة قيل ان البنت لما ارماها الصبي في الفسقيه وهي مذبوحة احكت
وقالت لما بت في الفسقيه دخلت علي امراة على وجهها برقع وقالت لها لا تخافي
انا السيدة نفيسه وغدا اخلصك من هذا المكان ثم مسحت الدم من على رقبتها

فانقطع

فانقطع في الحال وسكن دمها مما كانت فيه وهذه الواقعة قد اشتهرت في القاهرة وفي شهر
رمضان كان مستهله يوم الثلاثا فطلع القضاه الاربعة وهنوا ملك الامرا بالشهر
والصوم ورجعوا الى دورهم وفي ليلة الرويا توجه القاضي بركات بن موسى المحتسب
الى المدرسة المنصورية التي بين القصرين واجتمع القضاه الاربعة هناك فلم يثبت
رويته للهلال الا بعد العشا فلما رجع القاضي الى داره لاقاه ابن عوض ولاقاه الزمالي
والمناجيق وعدة مشاعل كثيرة وكان له ليلة حفله ومن الحوادث ان النيل المبارك
كان على وفاه ولم يتاخر عليه غير اربع اصابع وكانت ليلة وفا فاشيع بعد العصر ان
ان النيل نقص في تلك الليلة اصبعين فاضطربت احوال الناس بسبب ذلك فكان
قد مضى من مسرى ثلاثة وعشرين يوما ولم يوف النيل وكانت اسعار الغلال والبضايع
كلها في غاية الارتفاع ووجا النيل غطى الحق فكان كما يقال في المعنى

رب وف النيل انا	منه في كرب وبلوه
ما بقى للناس صبر	يحملون اليوم علوه

فاستمر النيل في هذا التوقف على اربع اصابع وقيل نقص بعد ذلك اربع اصابع فاستمر
على ذلك خمسة ايام فلم يزد فيها شيا فرسم ملك الامرا للقضاه الاربع ومشايخ
العلم ومشايخ الصوفيه بان يتوجهوا الى المقياس ويبتهلون الى الله تعالى بالدعا في وفا
النيل فتوجه القضاه الاربع ومشايخ الصوفيه فلما توجهوا الى هناك وباتوا بالمقياس
نقص النيل في تلك الليلة اصبعين فصار النقص ستة اصابع ونقص من بعد ذلك
عشر اصابع فصار النقص اربع عشر اصبعا من الوفا فلما كان يوم الاحد سادس
رمضان نزل ملك الامرا وتوجه الى المقياس وكان قد مضى من مسرى سبعة وعشرون
يوما فاقام ملك الامرا في المقياس ذلك اليوم وفرقوا اجزا الربعة على الحاضرين
من الفقها فقروا فيها عشرين دورا ثم قروا صحيح البخاري هناك واشيع ان
ملك الامرا فرق هناك على الفقها مالا له صورة فاحضروا الاطفال الايتام
وفرق عليهم مبلغا له صورة واحضر الاثار الشريفة من المدرسة الغورية
ووضعه في فسقية المقياس وغسلوه في الما الذي بها وكثر هناك الضجيج والبكا
والتضرع الى الله تعالى بالزيادة فاقام ملك الامرا في المقياس الى قريب الظهر ثم
طلع الى القلعة فلما طلع امر باطلاق من في السجون من الرجال والنسا والاطفال
فاطلق منهم نحو ثمانين انسانا ونزل من القلعة وزار من بها من الصالحين وفرق
على الزوايا التي هناك مالا له صورة وفعل من وجوه البر والصدقات اشيا
كثيرة وما ابقى في ذلك ممكن فلما كان يوم الاربعا تاسع رمضان الموافق لتاسع
عشرين مسرى عول ملك الامرا بان يخرج الى الاستسقا وصحبته الناس قاطبة يوم
الخميس وقد تزايد قلق الناس الى الغاية واشتد الامر عليهم بسبب نقص النيل عند

ليالى الوفا وقد قلـــ الفاضل فى المعنى

بمسرى النيل ما اوفى فضجوا ، ودب القحط فينا من ابيب

ولم اضرع لمخلوق لانى ، وجدت الله اشفق من ابى بى

وفى هذه الواقعه يقول الاديب البارع الناصرى محمد بن قانصوه من صادق وقد اجاد حين

قال اسبل النيل من عيونى عبرة ، مذ رآنى من النقص عبره

بابها عبرة نوبت بفؤادى ، ورمت بالهموم فى القلب جمره

شهر مسرى تسع وعشرون يوما ، فيه فات الوفا فاين المسره

ربنا الطف بالخلق فى النيل واطلق ، بزياداته من النقص اسره

واشرح الصدر بالوفا منك واسبل ، يا سميع الدعا بفضلك ستره

واجعل الارض منه فى خير خصب ، ورخا واخير بلطفك كسره

فلما كان يوم الاربعا تاسع عشرين مسرى طلع ابن الرداد الى ملك الامرا بعد الظهر وبشره بان النيل قد زاد من النقص ثلاث اصابع فسر ملك الامرا بذلك وقيل انعم عليه بمائة دينار وقوس والبسه قفطان بمخمل مذهب وانعم على الصبى الصياح الذى ينادى على البحر بحو خمسين فلما اشيع ذلك سر به الناس قاطبة وانطلقت النسا بالزغاريت من الطيقان فلما كان يوم الجمعة حادى عشر رمضان الموافق لاول ايام النسى زاد الله تعالى فى النيل المبارك خمسة اصابع فسر الناس بهذه الزيادة وقد تاخر عن الوفا ستة اصابع فكانت مدة توقفه عن الزيادة ثمانيه ايام متوالية حتى آيس الناس من طلوعه فى هذه السنه ثم فى ليلة السبت اوفى الله الستة عشر ذراعا وفتح السد فى يوم السبت ثانى عشر رمضان الموافق للثانى من ايام النسى زاد فى الستة عشر ذراعا واصبعين من السابع عشر وقد فات من ميعاده حتى مضت مسرى ودخل ايام النسى ولكن تقدم ان النيل تاخر عن الوفا الى سادس ايام النسى وذلك فى سنة اربع وتسعين وثمانماية وبلغت الزيادة فى تلك السنة الى ستة عشر ذراعا ثم انهبط سريعا ولم يثبت فشرقت البلاد ووقع الغلا واتفق مثل ذلك ان النيل وفا فى آخر ايام النسى وذلك فى سنة ثلاث عشر وسبعماية وكان نيلا شحيحا لم يثبت وشرقت البلاد ووقع الغلا نقل ذلك الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى عليه فلما وفا النيل نزل ملك الامرا وتوجه الى المقياس وخلق العامود ونزل فى الحراقة وفتح السد وكان يوما مشهودا كما وقع له فى السنة الخالية وكان الوفا على غير القياس ما جرى على النيل فى هذه السنة وقد قال الناصرى محمد بن قانصوه من صادق حيث

قال الحمد لله زاد النيل وانشرحت ، صدور وربنا وارانا بشره فرحا

والقلب اصبح بعد الكسر منجبرا ، والامر اسى عقيبها الضيق منفسحا

وقال آخر

تهنتك الخلق بالتخليق قلت لهم ، ما احسن الستر قالوا العفو مامول

ستر الاله علينا لا يزال كما ، اصلى تهنتكا والستر مسبول

وفى يوم الاربعا سادس عشر رمضان كان اول النوروز وهو اول السنة القبطية وهى سنة ست وعشرين وتسعماية ففى ذلك اليوم زاد الله فى النيل المبارك سبعة اصابع قاد فى الله السبعة عشر ذراعا واصبع من الذراع الثامن عشر فسر الناس بذلك وفى يوم السبت سادس عشرينه قدمت الاخبار بان الامير جانم الحمزاوى قد وصل الى قطيا وقد تقدم القول بانه كان توجه الى السلطان سليم شاه بن عثمان وصحبته هدية من ملك الامرا الى الخنكار فلما قابله اكرمه واخلع عليه وقبل منه تلك الهدية فاقام هناك مدة ثم ان ابن عثمان رسم للامير جانم بعوده الى مصر وكان اكثر الناس جزموا بعدم عوده الى مصر فجا الامر بخلاف ذلك وفيه اشيع وصوله الى قطيا خرج اعيان الناس الى ملتقاه وخرج الامير ناصر الدين محمد المهمندار والامير برسباى الدوادار وسائر المباشرين قاطبة فلما كان يوم الاحد سابع عشرينه ختم صحيح البخارى بالقلعة على العادة وفرقت الصرر على الفقها ومن له عادة واخلع على قاضى القضاه وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه فيه دخل الامير جانم الحمزاوى الى القاهرة بتربة العادل وفى يوم الثلاثا تاسع عشرينه نزل ملك الامرا من القلعة وتوجه الى تربة العادل ونزل على المسطبة التى هناك ولبس خلعة الخنكار التى ارسلها له على يد الامير جانم الحمزاوى باستقراره فى النيابة بمصر وهو قفطان تماسيح على مخمل احمر وركب من هناك ودخل من باب النصر وشق من القاهرة فى موكب حفل وقدامه جماعة من الامرا الجراكسه ومن الامرا العثمانيه والاسباهيه والانكشارية مشاه يرمون بالنفوط ولاقاه القضاه الاربعة ولاقاه طايفة من النصارى وبايديهم الشموع موقوده ولاقاه الشرفا والشبابه السلطانيه ولما وصل الى خيمة الامير يشبك التى فى راس الحسينيه لاقاه القضاه الاربعة فكان القاضى الشافعى عن يمينه والحنفى عن يساره والمالكى والحنبلى قدامه والامير جانم الحمزاوى قدامه وعليه قفطان مخمل مذهب الذى البسه له الخنكار فاستمر فى ذلك الموكب الى ان طلع القلعة وكان يوما مشهودا فكانت مدة غيبة الامير جانم الحمزاوى فى اسطنبول عند الخنكار ستة اشهر وقيل انه قابل الخنكار فيها مرة واحدة واما ترجمة الامير جانم الحمزاوى فهو جانم ابن يوسف ابن اركماس السيفى قانى باى الحمزاوى نايب الشام كان من اعيان ابنا الناس وقد رقى فى دولة ملك الامرا خاير بك وصار صاحب الحل والعقد بمصر وصار فى مقام امير كبير بمصر ولما استقر الامير جانم الحمزاوى فى وزاره اشيع بين الناس ان الامير جانم الحمزاوى اخبر ان الخنكار ابن عثمان تغير خاطره على الخليفه محمد بن يعقوب المتوكل على الله الذى توجه الى اسطنبول فلما تغير خاطره عليه اخرجه من اسطنبول على غير صورة مرضيه وهو فى غاية البهدلة ونفاه الى مكان عسر يسمى السبع قلبات

قبل ان بينه وبين اسطنبول سبعة ايام وهذا المكان الذي نفي فيه الخنكار امواله
وتحفه لكونه في غاية التحصين وقد اختلف في تغير خاطره عليه باي سبب فمن
جملة الاقوال ان اولاد ابن عمه خليل رافعوه بسبب اقطاع الخلافة ان يعطيهم منه
الثلث ويأخذ هو الثلثين فأبى الوجه الثاني ان الخليفة طاش هناك وصار بينهم
في ارغد عيش واشترى له جوارا يضربن له بالجنك وغيره في البسط والانشراح
غاية الفتك فبلغ ذلك الخنكار فتغير خاطره عليه وكانت الوزرا مساعدين اولاد
عمه خليل ومحطين على الخليفة الوجه الثالث ان جماعة كثيرة من اهل مصر ممن كان
باسطنبول تسحبوا من هناك منهم بدر الدين بن القاضي كمال الدين ناظر الجيش وتسحب
اخرون من الاعيان فخشيت الوزرا ان الخليفة يتسحب من هناك فقبضوا عليه والله
اعلم **وفي شهر شوال** كان عيد الفطر يوم الخميس فطلع القضاة الاربعة وصلوا مع
الامرا صلاة العيد وخطب به قاضي القضاة الشافعي خطبة بليغة وكان موكب العيد
موكبا حفلا **وفي يوم** الاحد رابع شوال جلس ملك الامرا بالدهيشة وارسل خلف
القضاة الاربعة وارسل خلف اعيان التجار ومشايخ الاسواق بسبب امر المعاملة
في الذهب والفضة فلما تكامل المجلس قام ملك الامرا ودخل الى الاشرفية التي تجاه
الدهيشة ودخل معه القضاة الاربع وارسل خلف الامرا العثمانية وهم قرا موسى
وفرحات وخير الدين نائب القلعة والقاصد الذي حضر صحبة الامير جانم الحمزاوي
فلما دخلوا الى الاشرفية فلم يدخلها غير هولاء ولم ياذن للامرا الجراكسة بالدخول
معهم ثم ان القاضي احضر مرسوم الخنكار الذي ارسله صحبة الامير جانم الحمزاوي
فاجلس القضاة الاربعة على اربع كراسي واجلس الامرا العثمانية على اربع كراسي وقرا
عليهم مرسوم الخنكار وذلك على طريقة النسق العثماني فكان الفاظ ذلك المرسوم
باللغة التركية فكان من مضمونه ما اشيع بين الناس انه قد ارسل يامر ملك الامرا
بالتوصية على الرعية غاية الوصية وان يعرف للمماليك الجراكسة جوامكهم ولحومهم
وعليقهم على العادة القديمة وارسل يقول لملك الامرا ان يتوصى باولاد الناس قاطبة
وكل من كان له جامكية وقطعت يصرفها له ويردها اليه وارسل يقول له في اصلاح
المعاملة من الذهب والفضة فاحضروا من حل تلك الالفاظ التركية التي في
المرسوم فكان هذا معناها ثم ضربوا مشورة في امر المعاملة فاشار الحاضرون على
ملك الامرا ان يبقي كل شي على حاله من امر المعاملة حتى يراجع الخنكار في ذلك
مرة اخرى بان الذهب والفضة تنقص في هذه الحركة الثلث فخرج ملك الامرا واشهر
المناداة في القاهرة بان كل شي على حاله وان الاشرفي العثماني والغوري لا يتصرف
باكثر من خمسين نصفا فضة من غير زيادة على ذلك وان النصف الفضة النحاس
يرمى وما عدا ذلك يمشي ثم انفض المجلس على ذلك ونزل القضاة الى دورهم وسكن

الاضطراب قليلا في امر المعاملة **وفي يوم** الجمعة تاسع شوال قدم من البحر المالح الى ثغر
الاسكندرية جماعة نحو سبعة انفار ممن كان اسر وتوجه الى اسطنبول فحضر في ذلك اليوم
الشيخ بدر الدين محمد السعودي المعروف بابن الوقاد احد نواب الحنفية كان وحضر كمال
الدين الذي كان بردار الامير طومان باي وحضر القاضي كريم الدين الجوهلي احد نواب
الشافعية كان وحضر كمال الدين العابق مباشر امير اخور كبير وحضر زين العابدين حامل
الموره وحضر الخواجا عمر بن معوز المزرفي وحضر المهتار بدر العادلي والخواجا زين الدين
العجمي ويوسف مناخير والمعلم حسين معلم المحك بدار الضرب وكانوا هولا باسطنبول
وشكوا الى الوزرا بان وظايفهم التي بمصر خرجت عنهم وتعطلت جهاتهم واخذت الناس
امولهم بموجب غيابهم في اسطنبول فقالوا لهم الوزرا اعطوا الكم ضمانا وتوجهوا الى مصر
صحبة جماعة من الانكشارية واكشفوا على جهاتكم ووظايفكم وارجعوا الى اسطنبول
على وجه الصيف ففعلوا ذلك وحضروا الى مصر وصحبتهم الانكشارية وفيهم من ترك
اولاده وعياله باسطنبول الى ان يرجع اليها ثم في عقيب ذلك اشيع ان حضر ايضا
من اسطنبول جماعة منهم شمس الدين بن الموفق المباشر وفرج بن البرديدي والطواشي
مسك **وقيل** ان الطواشي اقام في الشام عند الغزالي نائب الشام ورتب له ما يكفيه
في كل شهر ومحمد بن علي كاتب الخزانة واخرون حضروا في الحنفية وصاروا يتسحبوا من
اسطنبول شيئا بعد شي ويحضرون وكل ذلك من غير علم الخنكار فالله يلطف
بهم **وفي يوم** الجمعة سادس عشره الموافق لاول يوم من مسرى ثبت النيل المبارك
على خمسة اصابع من تسعة عشر ذراعا وكان في العام الماضي ثبت على ثمانية اصابع من
عشرين ذراعا فكان هذا النيل انقص من النيل الماضي بذراع وثلاثة اصابع وكان ميلا
شحيحا من مبتدا زيادته الى حين هبوطه وقد شرق غالب البلاد واشتد امر الغلا بمصر
وتكالب الناس على مشترى القمح وارتفع القمح من السواحل وصار اذا وصلت مركب
قمح لا تباع ولا تشترى الا باوراق من عند المحتسب ولو كان صيانة من الخراج فحصل
للناس الضرر الشامل وارتجت القاهرة بسبب منع القمح ووقع الاضطراب الشديد
فكادت ان تكون غلوة كبيرة **وفي يوم** الاحد ثامن عشره توفي شخص من الامرا الطبلخاناه
يقال له ماماي الصغير ودفن في المدرسة الغورية **وفي يوم** الاثنين تاسع عشره خرج
المحمل الشريف من القاهرة في محفل عظيم وكان امير المحمل الامير جانم كاشف منفلوط
والبهنساوية فطلب طلبا حفلا على العادة القديمة كعادة الامرا المقدمين واخلع
على الامير بيجاي احد الامرا العشراوات واستقر به في مشيخة الحرم النبوي عوضا عن
الشرفي يحيى بن البرديني بحكم انفصاله عنها وكان قاضي المحمل في تلك السنة الشيخ فخر الدين
ابن ابو الفتح الوفاي المالكي احد النواب بل من الاعيان فحصل للحاج به غاية النفع ولم يحج
في هذه السنة من الاعيان الا القليل وكان اكثر الحجاج قلاحين ودياقة من البلاد

وفي شهر ذي القعدة كان مستهله يوم السبت فطلع القضاه الاربعة وهنوا ملك
الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم وفي يوم مستهله وقع لقاضي القضاه الحنفي الطرابلسي
بين يدي ملك الامرا في ذلك اليوم بعض توبيخ بسبب نايبه كمال الدين بن ذريق وقد
انكشف رخه في مكتوب ظهر انه زوره وجرى في ذلك امور يطول شرحها تحصل للقاضي
بعض منت من ملك الامرا فما وسعه الا انه عزل كمال الدين بن ذريق بحضره ملك الامرا
عزلا موبدا مادام حيا وانفض المجلس على ذلك وفي ذلك اليوم رسم ملك الامرا باشهار
المناداه في القاهرة بسبب المعامله في الذهب والفضه فاطلق اربع مشاعليه في القاهرة
ومصر العتيقه ان الاشرفي الذهب العثماني والغوري يصرفا بخمسين نصفا من غير زيادة
على ذلك وان الاشرفي الذي هو ضرب جمال الدين يصرف باثنين واربعين نصفا وان النصف
على حالها لابد منها الا النصف المكشوف وكل من خالف في ذلك شنق من غير معاودة
فسكن الاضطراب قليلا بهذه المناداه بعدما كان اشيع بابطال هذه المعاملة كلها وتخسر
الناس من اموالها الثلث فتعطلت الناس من البيع والشرا اياما وغلقت الاسواق
فلما نادوا باتقا كل شي على حاله فسكن الرهج الذي كان بين الناس قيل ان ملك الامرا
ارسل قبيا ورالخنكار ابن عثمان في امر المعاملة اذا بطلت تخسر الناس من اموالها الثلث
والامر في ذلك معول على الجواب وفي يوم الاحد ثاني الشهر اخلع ملك الامرا على شخص
من العثمانيه يقال له الامير علي الكيخيا اغاة الانكشاريه واستقر به في ولاية القاهرة
عوضا عن كشبغا الذي كان والي القاهرة وتوجه الى اسطنبول كما تقدم وفي يوم الخميس
سادسه نزل ملك الامرا من القلعة وتوجه الى الروضه ونصب له خيام في اخر طوم
الروضة تجاه قصر ابن العيني فنزل هناك وكان صحبته جماعة من الامرا العثمانيه
والقاصد الذي حضر مع الامير جانم الحمزاوي والامير تاني بك الدوادار وبعض امرا
من الجراكسه والجم الكثير من الاسباهيه والانكشارية فلما استقر هناك احضر اليه
القاضي بركات ابن موسى المحتسب مدة حفلة قيل صرف عليها نحو خمسمايه دينار وما
ابقى ممكنا فيما صنعه في هذه المدة من الاشيا التي تصلح للملوك فشكره ملك الامرا
على ذلك واثنا عليه بحضرة الامرا وكان القاضي بركات بن موسى المحتسب عالي الهمة
نافذ الكلمة مسعود الحركات في ساير افعاله وقد وقع له اشيا غريبه لم تقع لاحد
قبله من الباشرين ولا غيرهم ولاسيما ما كان يصنعه للسلطان فاقام ملك الامرا
الى بعد العشا ثم عدى من هناك وطلع الى القلعة وتقضى ذلك اليوم السلطاني وفي
يوم السبت ثامنه وقعت كاينة مهولة وسبب ذلك ان ملك الامرا جلس للمحاكمات
على العاده فعرض عليه ثلاث محاكمات في ذلك اليوم الاولى ان شخصا من الشهود
يقال له شمس الدين محمد البساطي كان يجلس على راس حارة زويله وكان يخطب
في جامع ابن ترمبط الذي في حارة زويله فجاءت اليه مبايعة جارية حبشيه كانت

على ملك شخص من النصارى فابتاعها لشخص من الافرنج فهربت واتت الى بيت الوالي
وقالت له انا جارية مسلمة كنت عند شخص نصراني فباعني لشخص افرنجي وقصد ان يسافر
بي الى بلاد الفرنج فهربت من عنده واتيت اليكم فعرض الوالي هذه الواقعة على ملك الامرا
فطلب النصراني البايع فهرب وهرب الافرنجي المشتري فقبض على شخص كان واسطة
وعلى شمس الدين البساطي وقيل قبض على النصراني وعلى الافرنجي فيما بعد وعوقبا
وقرر عليهما مال له صورة فلما وقف شمس الدين البساطي بين يدي ملك الامرا قال له
ليش ما سالت الجارية ان كانت مسلمة او غير مسلمة فاخلط في الكلام وتلجلج لسانه
عن الجواب فاشتد غيظ ملك الامرا عليه ورسم بقطع يده اليمنى فقطعت وان يشهر في
القاهرة ففعل به ذلك وكان حاضرا في المجلس قاضي القضاه المالكي محيي الدين الدميري
والقاضي شهاب الدين بن شبير بن احد نواب الحنفيه والقاضي شمس الدين العبادي
والامير اردمك الناشف وجماعة من الامرا العثمانيه فلم يجسر احد منهم ان يشفع فيه
لشدة غضب ملك الامرا عليه وكان يوما مهولا في المحاكمة والثاني عرض عليه شخص يقال
له محمد بن عز الدين كان اباه من جملة رسل الصالحية وكان يعرف بابن عرب وكان ابنه
قبيح الصورة وقبيح السيرة مشهورا بتزوير المراسيم عن لسان الباشرين وسبقت له
وقايع كثيره عن لسان الاكابر فقيل انه زور مرسوما على لسان القاضي شرف الدين بن
عوض فقبض عليه ابن العباني واحضره الى بين يدي ملك الامرا فكثرت فيه من الناس
الشكاوى فرسم بان يشنق فشنق وشهر في القاهرة وهو مجزوم الانف ومقطع الاذان
فان الله تعالى اراح الناس منه فانه كان كثير النصب والحيل ويحكى عنه العجايب والغرايب
في امر الحيل والنصب والتزوير والمحاكمه الثالثه عرض عليه شخص من الفلاحين سرق
ثورا فرسم بان يخوزق وقطع انفه واذانه واركبه على الثور واشهره في القاهرة ثم
خوزقه وكان ملك الامرا عجولا في امر القتل وقد شنق وخوزق ووسط في ايام ولايته
من مصر ما لا يحصى عددهم من الناس والغالب راح ظلما من غير ذنب وكان ملك الامرا
شديد القسوة صلب في الامور جدا وكان الامر كما قيل في المعنى

احذر فثاشر من يكون طبعهم ظلم الورا وابا دان احسنوا
لقول رب العرش سبحانه في محكم الذكر ولا تركنوا

وفي يوم الخميس ثالث عشره رسم ملك الامرا بشنق ثلاثة انفار من القواسه كانوا حراسا
على قصب فاتى اليهم بعض التركمان ليجني من القصب فضربه احد القواسه فجاءت الضربة
صايبه فمات ذلك التركماني فلما بلغ جماعته توجهوا الى شبرا ونهبوا ما فيها ثم
قبضوا على القواسه وعرضوا على ملك الامرا ورسم بشنقهم فشنقوا في ذلك اليوم ومضى
امرهم ويقال انهم اخذوا ظلما لان الذين قتلوا التركماني والذين قتلوا هربوا ولم
يحصلوهم وراحوا ظلما وقد وقع لملك الامرا انه قتل ثمانية انفس في هذه الجمعة شنق

منهم جماعة وخوزق منهم جماعة واقترحوا لهم العذاب حتى صادوا يخوزقوهم في اصلاعهم
وراح غالبهم ظلما والامر الى الله تعالى **وفي يوم** الجمعة رابع عشره ارسل كاشف الشرقية
اثنان من العربان المفسدين القطاع الطريق فرسم ملك الامرا بشنقهما فشنقا وقد وقع
لملك الامرا انه شنق وخوزق في هذا الشهر جماعة كثيرة بخلاف العادة **وفيه** اشيع
ان صبيان صغار قعدوا يلعبون في بعض الحارات فعمل واحد منهم ملك الامرا واخر
والى القاهرة ونادوا ان لا احد يخرج من بعد العشا فقام بعض الصبيان واخذ عمامة
اخر يعيب عليه فقبضوا عليه واحضروه بين يدي الذي جعلوه ملك الامرا فرسم
للذي اقاموه واليا بان يقبض عليه ويخوزقه فدقوا له عصاة في الارض واقعدوه
عليها غصبا فمنهم من قال ان الصبي مات من وقته ومنهم من يقول لم يمت فلما جرى
ذلك نهوا رعيا الصغار وحال سبيلهم وقد هان القتل في هذه الايام حتى عند الصغار وهذه
الواقعة لم تثبت الا اشاعات **وفي يوم** الثلاثا ثامن عشره قدمت الاخبار بان الفرنج
قد اتوا الى ساحل بيروت وحاصروا من بها فكسروهم وملكوا مدينة بيروت واقامت
معهم ثلاثة ايام فلما بلغ ملك الامرا نائب الشام جان بردى الغزالي ذلك عين دوادارة
ومعه جمع كثير من العساكر فتوجهوا الى بيروت واقتتلوا مع الفرنج واسروا منهم نحو ثلثمائة
انسان وغنموا منهم اشيا كثيرة من سلاح وقماش وغير ذلك وقتل واسر جماعة من اولاد
ملوك الفرنج وملكوا ثلاث بوشات من مراكبهم وكانت النصرة للغزالي نائب الشام
بعد ما ملكوا الفرنج بيروت واقامت معهم ثلاثة ايام وهم مستولون عليها فطردوا
من عليها بعون الله تعالى **ومن الحوادث العظيمة** الغريبة ما وقع يوم الاربعا تاسع
عشر ذي القعدة من سنة ست وعشرين وتسعماية قدم قاصد من البحر المالح وعلى يده
مرسوم من عند السلطان سليمان بن السلطان سليم شاه ابن عثمان يخبر فيه ان سليم
شاه توفي الى رحمة الله تعالى وحضر صحبة القاصد مطالعة من عند الرئيس شمس الدين
محمد بن القوصوني الى صهره قاضي القضاه محيي الدين بن الدميري تتضمن اخبار موت
السلطان سليم شاه بن عثمان وهي الاخبار الصحيحة فاخبر ان السلطان سليم شاه
خرج يتصيد فرد من التصيد وهو متوعك في جسده وقد طلعت له فوطة جمرة فتالم
لها ولزم الفراش اياما وثقل في المرض واشتد عليه الامر جدا فمات في يوم الخميس
تاسع شوال سنة ست وعشرين وتسعماية فلما مات كتم موته عن العسكر ثلاثة ايام
ولم يدفن وكان ولده سليمان غايبا عن اسطنبول فلما حضر ودخل الى اسطنبول وجلس
على سرير الملك فعند ذلك اشيع موت ابيه سليم شاه فاحضروه في تابوته وهو مصبر
وصلوا عليه ومشت الوزرا والعسكر قاطبة قدامه ودفن على اجداده واقاربه وكان
دفنه يوم الاثنين ثاني عشر شوال كما قيل ودفن على جامع السلطان محمد بن عثمان في مدرسته
باسطنبول ومضى الى رحمة الله تعالى كان لم يكن وزال عنه الملك في طرفة عين فسبحان

وفاة السلطان سليم فاتح مصر

من لا يزول ملكه ولا يتغير وفي ذلك يقول تاج الدين محمد بن قانصوه من صادق في المعنى

> عظم الله اجركم ... في مليك الورى سليم
> عنه قد زال ملكه ... وغدا في الثرى رميم

وقيل توفي الملك المظفر سليم شاه وله من العمر سبعة واربعين سنة على ما اشيع ذلك
ووقع له من الامور الغريبة ما لا وقع لاحد لا اباه ولا اجداده بل ولا لاحد من ملوك
الشرق ولا ملوك الغرب على غيرها فانه زحف على شاه اسماعيل الصوفي ملك العراقين
وحاربه فكسره وقتل من عسكره ما لا يحصى عدده حتى قيل نحو الخمسين الفا وملك بلاده
وطرده عنها ثم تحرش بسلطان مصر ولا زال يخادعه ويظهر انه تحت طاعته حتى خرج
اليه وغدره وحاربه وانكسر منه وفقد وقد طوقر على حين غفلة وجرى عليه منه ما
جرى كما تقدم ذكر ذلك فملك مدينة حلب وقلعتها في خمسة درج واحتوى على موجود
السلطان الغوري الذي كانت بقلعة حلب من غير مانع ثم توجه الى دمشق فملكها وملك
قلعتها من غير مانع في اسرع من طرفة عين ثم توجه الى الديار المصرية وحارب السلطان
طومان باي فكسره وقتل غالب عسكر مصر من المماليك الجراكسة وقتل من الامرا ما تقدم
ذكره وملك الديار المصرية في نحو عشر درج ومن اراد ان ينظر ما وقع منه بالديار
المصرية فلينظر الى الجزء العاشر من تاريخنا بدايع الزهور في وقايع الدهور **وكانت**
مدة استيلايه على حلب والشام ومصر اربع سنين وثلاثة اشهر وهو يخطب باسمه على
منابر حلب واعمالها ثم خطب باسمه بالديار المصرية واعمالها وثغورها ودمشق واعمالها
وضربت السكة باسمه في هذه المدة فكان استيلاوه على مدينة حلب في اواخر رجب سنة
اثنين وعشرين وتسعماية وكانت مدة اقامته في القاهرة نحو ثمان شهور من مستهل المحرم
سنة ثلاث وعشرين وتسعماية الى اواخر شعبان واستقر بخاير بك نايبا عنه بمصر واما
مدة استيلايه على مملكة الروم من حين توفي والده السلطان ابو يزيد الى الآن نحو تسع
سنين الا شهر فان والده ابو يزيد توفي في ثاني جمادى الاولى سنة ثمانية عشر وتسعماية
وكان استيلاوه على مملكة الروم في حياة والده باشهر فان والده اقام موعوكا ملازما
للفراش مدة طويلة فيقال انه عجل على ابيه وقتله لاجل الملك ثم انه خنق اخاه ثم قتل
وقتل اخاه احمد وظن ان الوقت قد صفا له فتلاعبت به الدنيا كما تلاعبت بغيره من
الملوك ودهاه الموت الذي لا يدفع بقوة ولا حيلة وقد صار في رمسه رهين الذنوب
لا يعلم هو في نعيم او في عذاب وقد رثيته بهذه الابيات

> لابن عثمان قصة فاسمعوها ... واعجبوا من صنع رب تعالى
> ملك الشام للغزاة واضحى ... فاتكا في الانام روحا ومالا
> واراد الدخول في ارض مصر ... تلك جهات دمت هذا المحالا
> طرقته عنا سهام الدياجي ... بدعاء فيها يفوق النبالا

بعد ما جار فى الانام بقتل ۔ من جيوش تدك منها الجبالا
منذ جاروا دبالغوا فى اذاهم ۔ فسالنا الآله يكشف حالا
فاستجاب الدعا ومن علينا ۔ بانزاح الهموم جل تعالى
واتتنا اخباره بزوال ۔ صيرت رشده حقيقة محالا
كم ملوك اذلها بعز عز ۔ وسطا فيهم واذنى الرجالا
لهف قلبى على ملوك تفانوا ۔ من سطى سيفه وطال استطالا
ذلت الروم بعد ما قد دهاهم ۔ موت استاذهم وشاعوا القتالا
زالت عنا بموته دون حرب ۔ وكفى الله المومنين القتال

وفى ذلك اليوم اشيع موت ابن ملك الامرا الذى كان مقيما باسطنبول عند ابن عثمان من حين استولى ابوه على نيابة السلطنه بمصر فلما تحقق ملك الامرا موت السلطان سليم اظهر الحزن والاسف وشق اثوابه ولبس السواد وكذلك الامير قرا موسى وخير الدين نايب القلعة وفرحات وساير الامرا العثمانيه لبسوا السواد حتى الامير قايتباى الدوادار لبس السواد ووضع على راسه شد ازرق واظهر الحزن وفى يوم الخميس عشرينه وسم ملك الامرا بان بعثر مشاعليه تنادى فى القاهرة امان امان ياد وابالترك واتان باد وابالعربى ترحموا على الملك المظفر سليم شاه وادعوا بالنصر للملك المظفر سليمان فارتجت القاهره فى ذلك اليوم وتحققوا موت سليم شاه من غير شك وقالوا سبحان مهد الجبابرة واما المماليك الجراكسه تزايد عندهم الفرح والسرور وتغيروا بالفرح كما قيل مصايب قوم عند قوم فوايد فاستمرت الامرا وهم لابسون السواد ثلاثة ايام متواليه وهم يظهرون الحزن على سليم شاه ابن عثمان وكان موته من الغرايب على حين غفلة ولو عاش وصفا له الوقت ما حصل لاحد منه خير فكفى الله الناس شره انتهى ما اوردناه من اخبار دولة الملك المظفر سليم شاه بن عثمان وذلك على سبيل الاختصار منها وقد وقع فيها العجايب والغرايب ما لا وقع فى غيرها من الدول

ذكر سلطنة الملك المظفر سليمان بن الملك المظفر سليم شاه ابن عثمان

وهو التاسع من ملوك الترك واولادهم بالديار الرومية من بنى عثمان استولى على الروم بالقسطنطينيه العظمى فى يوم الاحد ثانى عشر شوال سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على سرير الملك بعد وفاة ابيه سليم شاه وصار متملكا على الديار الرومية والديار المصرية وما مع ذلك من الممالك قبل استولى على الملك وله من العمر نحو ثمانية وعشرين سنة وله اولاد ذكور واناس وقيل عنه انه من ذوى العقول وفيه اقول

سررنا لما ولى سلطاننا ۔ ابن عثمان وصرنا فى امان
وارثا للملك عن اجداده ۔ فهو فى الملك سليمان الزمان

واما توجمه فهو سليمان ابن سليم شاه الذى اخذ مصر عنوة بالسيف ثم والده ابو يزيد ولد سنة احدى وخمسين وثمانمائة وولى على مملكة الروم وجلس على سرير ملكه يوم السبت تاسع عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة وتوفى سنة ثمانية عشر وتسعماية وكانت مدة سلطنته ببلاد الروم نحو ثلاثة وثلاثين سنة ثم والده السلطان محمد وهو اول ملك تلقب بالسلطان من ملوك الروم ولد سنة خمسة وستين وسبعماية فكانت مدة حياته نحو ستين سنة ثم والده مراد خان ويدعى غازى ايضا ولد سنة عشر وسبعماية وكانت مدة سلطنته بمملكة الروم احد وثلاثين سنة وعاش من العمر نحو ثمانية وستين سنة ثم والده ابو يزيد المعروف ببلدرم وبلدرم باللغة التركيه اسم البرق وهو الذى اسره تمرلنك ووضعه فى قفص من حديد وطاف به فى البلاد يتعجب عليه وكانت وفاته فى القفص سنة خمس وثمانمايه وكانت مدة مملكته على بلاد الروم تسع سنين او نحو ذلك ثم ابيه اورخان عاش نحو ثمانيه وستين سنة ثم ابيه على اردن ثم ابيه عثمان الثانى ثم ابيه سليمان ولد فى بلاد الروم وكانت مدة استيلاء هو عثمان الثانى على مملكة الروم من سنة سبع وثمانين وستماية واستمر على ذلك حتى قتل فى الغزاه ببلاد الفرنج وخلف ابنه سليمان فهولا كلهم من نسل عثمان الثانى فاطلق عليهم ملك الروم من بنى عثمان وهم تسعة بالعدد واما جدهم الكبير عثمان قال بعض المورخين انه ولد سنة ثمان وخمسين وستماية وعاش من العمر تسع وستين سنة وان اصله من عرب الحجاز من وادى الصفرا بالقرب من المدينه المنورة فلما وقع الغلا بالمدينه خرج منها عثمان فارا الى بلاد قرمان فنزل هناك وكان شجاعا بطلا فتزايا بزى اهل قونيا وكان ملك الروم يوميذ بيد طايفة يقال لهم السلجوقيه فصار عثمان فى خدمة الامير على بن قرمان فعظم امر عثمان ومشى على طريقتهم وتكلم باللغة التركيه وصار له اتباع كثيرة واعوان وعدة عساكر نحو عشرين الفا فعند ذلك خرج من طاعة السلجوقيه والقرمانيه وصار له عدة بلاد افتتحها وصار يغزو بلاد الفرنج فى كل سنة ويغنم اموالهم ففتح عدة حصون تلى خليج القسطنطينيه ولا زال ملك ابن عثمان يكثر وجنودهم تكثر واظهروا العدل فى الرعيه وعمروا التكايا والزوايا والجوامع وكان عثمان يحب العلما ويقرب الصلحا وكان طويل القامة اسمر اللون اقنى الانف وقيل عاش نحو سبعين سنة ومات شهيدا فى بعض غزاه الفرنج وهو جد بنى عثمان قاطبة قال الشيخ تقى الدين المقريزى لم يكن فى ابا عثمان من تلقب بملك ولا بسلطان بل كانوا اذا كاتبهم احد من ملوك مصر وعظمهم يقولون الخنكار او الامير فلان قال المقريزى نسب ابن عثمان انهم ينتسبون الى مسلم الخراسانى صاحب دعوة خلفا بنى العباس الذى نصب لهم وترع الخلافة من بد الامويه وردها الى العباسية انتهى ما اوردناه من نسب ابن عثمان وهذا هو النسب الصحيح والله اعلم

واما توجمه

بحقيقة ذلك ومن هنا نرجع الى خبر الملك المظفر سليمان بن سليم شاه بن عثمان والذى
اخبر به ابن الموصوفى فى كتابه ان السلطان سليمان لما جلس على سرير الملك اظهر العدل
فى الرعيه فارسل احضر الخليفه من المكان الذى كان سجنه فيه والده سليم شاه فاحضر
الى اسطنبول كما كان ورتب له فى كل يوم ستين درهما وافرج عن علا الدين ناظر الخاص
وعن جماعة كبيرة من المباشرين الذى كان سجنهم والده وافرج عن جماعة من التجار الاعجام
الذى كان والده سجنهم وزعم انه من عند الصوفى واخذ منهم حرير بنحو اثنا عشر الف
دينار فلما آل اليه الملك افرج عنهم واعاد لهم الحرير الذى كان اخذه والده منهم ورسم
لهم بالعود الى بلادهم وذكر عنه اشياء كثيرة من العدل من هذا النمط وفى يوم الجمعة عشرينه
رسم ملك الامرا بان يصلى على السلطان سليم شاه ابن عثمان صلاة الغيبة بالقلعة
وسائر الجوامع فى القاهرة وان يدعى للسلطان سليمان على المنابر ومضى امر السلطان
سليم شاه كانه لم يكن وفى يوم السبت حادى عشرينه نودى فى القاهرة بالزينة
ثلاثة ايام متواليه بسبب سلطنة الملك المظفر سليمان فزينت مصر والقاهرة زينة
حفلة حتى داخل الاسواق وغالب الحارات ولاسيما خان الخليلى فان تجاره
زينوا زينة عظيمة وصار الامير على الكيخيه والى القاهرة يطوف فى كل يوم عدة
مرار وقدامه جماعة من الانكشاريه وهو ينادى بالامان والاطمان والبيع والشرا
وان لا احد يشوش على احد من الرعيه وصار يحرج على تعويز الزينه ويضرب اصحاب
الدكاكين بسبب الزينه وفى ذلك يقول الناصرى محمد بن قانصوه من صادق وهو قوله

زينت مصر واضحت ، بعد حزن فى تهان ،
وزعدت بعد سليم ، لسليمان الزمان ،

ومن الحوادث ان طايفة من الانكشاريه قصدوا ان ينهبوا حارة زويله وقيل
جرت العادة عندهم اذا مات السلطان ينهب العسكر حارة اليهود فقصد طايفة
الانكشاريه ان يفعلوا ذلك فمنعهم خاير الدين نايب القلعة وقرا موسى وفرقات
فتعصبوا معهم وتوجهوا الى بركة الحبش على انهم يدخلوا على جيبة وينهبوا القاهرة عن
اخرها فترددت الرسل بينهم وبين ملك الامرا على انه ينفق على طايفة الانكشاريه
لكل واحد منهم مائة دينار فتراضوا على ذلك وعلى انه لم ينفق على طايفة الاسباهيه
ولا الكمليه شيا فتقرر الحال على ذلك ثم فى ذلك اليوم ارسل ملك الامرا الى الامير
قايتباى الدوادار قفطان حرير صادى وشاش وفكهم فى ذلك السبت ثم ان ملك
الامرا صار يتراضا بخواطر المماليك الجراكسه ويأخذ بخواطرهم فنفق عليهم جامكية
شهرين دفعة وصار القاضى شرف الدين الصغير يأخذ بخواطر المماليك الجراكسه
ايضا ويخاطبهم بالاغوات بعدما كان يقول لهم يا كلاب يا زرابين وقد انقادت المماليك
الجراكسه صدورها من حين سمعوا بموت سليم شاه ابن عثمان وفى يوم الاثنين رابع

عشرينه

عشرينه اشيع ان طايفة الاسباهية وقفوا الى ملك الامرا وقالوا مثل ما نفقت على
الانكشاريه ثمانون دينارا انفق علينا ايضا مثلهم فقال لهم الانكشاريه مماليك الخنكار
وانتم خدامينه وما عندى ما انفقه عليكم فنزلوا من عنده على غير رضا واشيع انهم
يقصدوا نهب الرعيه فبادروا الناس بفك الزينه ووقع الاضطراب فى ذلك اليوم
وفى يوم الثلاثا خامس عشرينه نفق ملك الامرا على الانكشاريه فقط فاعطى لكل واحد
منهم اربعين اشرفيا ذهبا يصرف بستة نصف اشرفى فضه واعطى السوباشيه اغوات
الانكشاريه لكل واحد منهم مايتى دينار فشق ذلك على الاسباهيه والكمليه واشيع
اقامة فتنة وفى يوم الاربعا سابع عشرينه حضر قاصد من عند نايب الشام الامير
جان بردى الغزالى فقال له خشقدم البجاوى وهو احد الامرا العشراوات بدمشق
وكان امير جكان عند قانصوه البجاوى فلما حضر الى بين يدى ملك الامرا دفع
اليه مطالعة نايب الشام ومطالعة الى الامرا فلما قريت اضطربت احواله ولا علم
ما فى تلك المطالعات فانزلوا القاصد فى بيت الامير جانم الحمزاوى فاقام عنده فى
الترسيم وهو محتفظ به ثم اشيع ان ملك الامرا من حين حضر قاصد نايب الشام
وهو متنكد وشرع فى تحصين قلعة الجبل وركب على ابراجها المكاحل ووزع اعيان
الناس امتعتهم فى حواصل وتزايد القيل والقال بين الناس فى امر جان بردى الغزالى
نايب الشام واشيع عصيانه بالشام وجمع من العساكر ما لا يحصى عددهم ثم فى يوم الخميس
سابع عشرينه رسم ملك الامرا ان طايفة الانكشاريه يقيمون فى القلعة فى الطباق
ولا ينزلون الى المدينة وان طايفة الاسباهية يسكنون حول القلعة وبالقرب من
بيت قراموسى ففعلوا ذلك وفى يوم الخميس خرج قاصد من عند ملك الامرا يقال
له امير شيخ وارسل على يديه مطالعات الى السلطان سليمان بن عثمان يعزيه فى والده
السلطان سليم شاه ويهنيه باستقراره فى الملك عوضا عن ابيه ثم اشيع ان ملك
الامرا ارسل قاصد نايب الشام وهو خشقدم البجاوى الذى حضر على يديه المطالعات
فارسله الى السلطان سليمان وصحبته تلك المطالعات الوارده من عند نايب الشام
فقيل ارسله فى الحديد وتوجه امير شيخ فى البحر المالح الى اسطنبول ثم اشيع من ذلك
ان القاصد قد غرقوه تحت الليل وكان اخر العهد به والله اعلم بحقيقة ذلك
ومما استفاض بين الناس من امر واقعة نايب الشام جان بردى الغزالى انه تسلطن
بالشام وقبل له العسكر الارض وخطب باسمه على منابر دمشق وضرب السكة
باسمه على الذهب والفضه فلما تحقق ملك الامرا ذلك ارسل يعلم السلطان
سليمان بذلك بما وقع من نايب الشام بسلطنته بالشام وارسل اليه المطالعات التى
وردت عليه بما جرى منه وصار الامر موقوفا على الجواب عن ذلك وقد تحقق عصيان
نايب الشام وخروجه عن الطاعة وفى شهر ذى الحجة كان مستهله يوم الاثنين قطع

الفضاة الاربع الى القلعة وهنوا املك الامرا بالشهر فلما تكامل المجلس احضر ملك الامرا
الجراكسه والامرا العثمانيه فتقدم الامير ازدمر الناشف وحلف انه يكون تحت طاعة
السلطان سليمان كما كان تحت طاعة والده سليم شاه وانه لا يخون ولا يغدر ولا يتجاهر
عليه فحلف على ذلك بحضرة القضاة الاربعة ثم تقدم الامير قايتباى الدوادار
وحلف بمعنى ما حلف الامير ازدمر الناشف ثم صارت الامرا الجراكسه يحضرو
اثنان ويحلفوا على المصحف الشريف بمعنى ذلك ثم قام شخص يقال له قراجا الطويل
وقال يا امير الامرا مثل ما حلفنا للامرا العثمانيه يحلفوا هم لنا ايضا فقال ملك الامرا
واجب علينا ذلك فتقدم ملك الامرا وحلف على المصحف الشريف واوسع في الفاظ الحلف
واكد في ذلك ثم تقدم قراموسى وحلف وكذلك قرمات وخير الدين نايب القلعة
والكيخيه الكبير اغات الانكشاريه فلما تكامل الحلف رسم ملك الامرا ان ينادى في القاهرة
بالعربى والتركى بالامان والاطمان والبيع والشرا وان التجار تفتح دكاكينها وان لا احد
يكثر كلام ولا يدخل نفسه فيما لا يعنيه ولا ينقل له قماش من داره والدعا بالنصر
للسلطان سليمان بن عثمان فلما نودى بذلك سكن الاضطراب الذى كان بين الناس
قليلا وفي ذلك اليوم عرض على ملك الامرا شخص من النصارى قيل عنه انه وقع في
حق النبى صلى الله عليه وسلم بكلام فاحش وشهد واعليه بذلك فحكم القاضى الحنفى
بكفره فضرب عنقه تحت شباك المدرسة الصالحية ثم ان العوام احرقوه بالنار حتى
صارت جثته رمادا **ومن الحوادث** الغريبه والنوادر العجيبة اشيع ان بحر النيل
زاد في هذه الايام بعد ما قد مضى من هاتور نصفه فزاد نحو ثلاثة اذرع حتى قيل بقى من
تمام الوفا ستة عشر اصبعا فعد ذلك من الوقايع الغريبه التى لم يقع مثلها فيما مضى
من الزمان ولم يحصل بهذه الزيادة نفعا للناس بل اغرقت الازروع التى ازرعت وهذا
من جملة عجايب صنع الله تعالى فكان كما قيل في المعنى

النيل افرط فيضنا	بفيضه المتتابع
فصار مما دهانا	حديثنا بالاصابع

ثم اشيع من بعد ذلك ان النيل قد دخل الى الخليج الزربيه من عند قنطرة العيسى فتطير
الناس من ذلك ثم اشيع ان الما دخل الى الخليج الناصرى وقاضى حتى دخل الى بركة الرطلى
وغرق الزرع الذى كان بها فعد ذلك من النوادر الغريبة فاشيع ان في جهات المنوفيه
غرق ما كان زرع بها وهى عدة افدنة كثيرة وكذلك غرق غالب البرسيم الذى بالجيزه
وما حصل بهذه الزيادة للناس خير **وفيه** افرج ملك الامرا عن نجم شيخ المؤيد واخلع
عليه واعاده في مشيخة المؤيد كما كان اولا واخلع على اربعة انفار من مشايخ عربان السوالم
وقرر معهم ان يجمعوا من العربان ما يقدروا عليه بسبب ملاقاة نايب الشام جان بردى
الغزالى فانه قد تزايدت الاخبار بسلطنته بالشام وقد تلقب بالملك الاشرف ابو الفتوحات

وفاة شيخ الاسلام
زكريا في الحجة
٩٢٦ سنة

وزينت له دمشق ثلاثة ايام ووقدت له الشموع على الدكاكين وقبل له الارض الامرا
وقد جمع العسكر الكثير وهو قاصد نحو الديار المصرية **وفي يوم** الاربعا ثالث شهر ذى
الحجة توفى الامام العالم العلامه شيخ الاسلام والمسلمين مفتى الانام في العالمين بقية السلف
وعمدة الخلف عالم الوجود على الاطلاق وذكره قد شاع في الافاق وهو اخر علما الشافعية
وهو شيخ الاسلام زين الدين زكريا بن محمد الانصارى السنيكى الشافعى رحمة الله عليه وكان
مولده في سنة اربع وعشرين وثمانماية ومات وله من العمر ماية سنة وسنتان بعدها وكان
دينا حشيما في سعة من المال وولى قضا الشافعيه في دولة الاشرف قايتباى واقام به
نحو عشرين سنة ومات وهو معزول من القضا وقد كف بصره قبل وفاته بمدة طويلة
وحضر مبايعة خمسة من السلاطين وهم الناصر محمد بن قايتباى وخاله الظاهر قانصوه
والاشرف جان بلاط والعادل طومان باى والاشرف الغورى وولى تدريس قبة الامام
الشافعى رحمه الله في اواخر عمره ومدرسة الجمالية فكان بيده عدة تداريس والف الكتب
الجليلة في العلوم المفيدة وافتى ودرس بالقاهرة نحو ثمانين سنه وانتفع منه غالب
الناس وخلف ولدا ذكرا من جارية سودا **فلما** بلغ ملك الامرا وفاته ارسل اليه ثوب
بعلبكى وخمسون دينارا على يد الامير جانم الحمزاوى وحضر غسله ودفن عليه واخرجت
جنازته من عند المدرسة الساباتيه ومشى في جنازته قضاة القضاة واعيان الناس وصلوا
عليه في سبيل المؤمنين ونزل ملك الامرا وصلى عليه وحمل نعشه في سبيل المؤمنين وكانت
جنازته حفله فلما صلوا عليه توجهوا به الى مقام الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه
ودفن عند الشيخ محمد الجلشانى تجاه قبر الامام الشافعى رضى الله عنه فكان احق بقول
القايل فيه حيث قال

لقد عظمت رزيتنا فيه	لها عمر ودم حجج الليالى
فما زالت ذى الاقدار تلقى	من الايام انواع النكال
وكم جنت المنون على رجال	وجدلت الكماة بلا قتال
وادى لبس بشفيه دواه	وجوى لا يؤول الى اندمال
به الايام قد كانت تضاد	تولى من لياليها الطوال
وكان ذخير في بنها وكنزى	وكان هدايتى عند الضلال
لقد درست دروس العلم حزنا	وقد مثل الجواب عن السؤال
ودق الناس ابواب الفتاوى	وقد وصلوا الى باب الصبال
بكاك العلم حتى النحو اضحى	مع التعريف بعدك في جدال
بكت اورادنا بيض المواضى	وما وبراعه سمر العوالى
وعيش دوائر عمشت والتنه	تمينا لا تداوى بالكحال
تذكرت المعارف في عيانى	وتمييزى غدا في سوء حال

وما عوضت من بدل وعطف ٭ سوى توكيد سقمي واعتلال
فيا قبرا سوى فيه شهي ٭ لقد حزت الجميل مع الجمال
سقاه الله غيثا سلسلا ٭ واسبغ ما عليه من الظلال
وبواه من الفردوس فضلا ٭ ورقاه الى الغرف العوالي

وفي يوم الاربعا توفي الشيخ شمس الدين محمد البساطي الشاهد الذي قطع ملك الامرا يده
لاجل ظلما وذلك انه ادعى ذلك واشيع ان ملك الامرا ارسل اليه مايتي دينار على انه يحالله
على ما وقع منه فابى ان ياخذ المايتي دينار وقال حتى اقف انا واياه بين يدي الله وقيل ان يده
التي قطعت استمرت عنده الى ان مات فدفنت معه فمات شهيدا وفي يوم الثلاثا
تاسع ذي الحجة قدمت على ملك الامرا اخبار رديه بان العربان نزلوا على قطيا ونهبوا ما فيها
واستمر النهب عمال من قطيا الى الخطارة وطفشت العربان في الشرقيه واضطربت
احوالها واشيع ان شيخ العرب احمد بن بقر ارسل حريمه واولادهم الى القاهرة وودع امواله
وقماشه ومواشيه خوفا من النهب في البلاد وقد وردت عليه اخبار غير صالحه وصار
القيل والقال في كل يوم عمال بين الناس والاخبار الكذب اكثر من الصدق وفي يوم الاربعا
عاشره كان عيد النحر ووقع في هذا العيد امور غريبة بسبب الاضحية فبلغ سعر كل بقره
نحو الثلاثين دينارا وشي منهم ابيع باربعين دينارا ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من
الزمان وابيع الخروف الكبير بعشر اشرفيه وشي باثني عشر فعد ذلك من النوادر
الغريبه وسبب هذا الامر في الذهب العثماني صار يصرف بخمسين نصفا من الفضه
واما المعاملة من الفضة فانها غالبها نحاس واكثرها غش فوقف حال الناس بسبب ذلك
وصار الشي يباع المثل بمثلين وصار كل من البضايع وغيرها يباع باغلا الاثمان وموجب
ذلك قلة المطر والاغنام في هذه الايام وصارت الابقار تجلب الى دمشق وتباع هناك
باغلا الاثمان فان الابقار الذي بدمشق دخل فيها الفنا وقل نسلها من هناك جدا
وفي يوم الخميس حادي عشره خرج الامير ناصر الدين محمد الحلبي المهمندار وتوجه الى
نحو ثغر الاسكندريه بسبب تفقد الابراج التي هناك خوفا من الافرنج ان لا يطرقوا
الثغر على حين غفله وقد تزايد عبث الافرنج في البحر المالح وقد طمعوا في اخذ البلاد
من حين مات سليم شاه ابن عثمان وفيه اشيع ان حضر ساعي من البلاد الشاميه
وعلى يده مطالعة الى ملك الامرا فقال له ان كان معك مطالعات الى الامرا فاعرض علينا
فانكر الساعي ذلك فحنق منه ملك الامرا وضربه ضربا مبرحا وسجنه ولم يقر بشي من
المطالعات وفي يوم الجمعة ثاني عشره اشيع ان الامير شيخ الذي ارسله ملك الامرا الى
السلطان سليمان بن عثمان يهنيه بالملك ويعزيه في ابيه السلطان سليم شاه انه رجع
الى ثغر الاسكندريه وانه وجد البحر المالح قد امتلى بمراكب الافرنج فلم يستطع التوجه
الى اسطنبول ورجع الى ثغر الاسكندريه وارسل يعلم ملك الامرا بما وقع له وفي يوم الاحد

دايم عشره

رابع عشره نزل ملك الامرا الى الميدان الذي تحت القلعة وعرض مكاحله وعرض العربات
وهي العجلات التي صنعها وفرق على مماليك عدة سلاح ورماح وغير ذلك ورسم لهم بان
يعملوا يرقهم بسبب ملاقاة نايب الشام الامير جان بردي الغزالي ورسم للعسكر العثماني
ان يعملوا يرقهم ايضا وفي يوم الاثنين خامس عشره رسم ملك الامرا للمماليك الجراكسه
بان يعملوا يرقهم ايضا ويجهزوا امورهم بسبب السفر فتوجهوا الى سوق الشرب وجامع طولون
واشتروا ما يحتاجون اليه بسبب السفر واشيع ان ملك الامرا قال لطايفة الاسباهية
والكملية بان يخرجوا الى الصالحية ويقيمون بها الى ان يخرج العسكر فامتنعوا من ذلك
وقالوا نحن لم نخرج الا في ركاب ملك الامرا اذا خرج وان لم يخرج ما نخرج فوقع الخلف بينهما
في هذا الامر وكثر القال والقيل بين الناس وان ملك الامرا انفق على الانكشارية والعزب
ولم ينفق على الاسباهية ولا على الكملية شيا فحنقوا منه وفيه اشيع ان اليهود حولوا
جميع قماشهم من حارة زويله وبنوا على ازقتها خوخ قصار وقد اخذ واحد منهم من الذهب
وكذلك اعيان المباشرين وفيه اشيع ان شخصا من الامرا العشراوات يقال له قانى قلج
وهو الذي كان نايب قطيا حضر في مجلس لهم فلما سكر نقل عن ملك الامرا كلاما لم يقله
فلما بلغ ملك الامرا ما قاله قاني قلج رسم للامير قايتباي الدوادار بان يودع قانى
قلج عنده في الترسيم حتى يعرضه عليه ويحقق ما قاله عنه فاستمر في الترسيم عند
قايتباي وفيه اشيع ان ملك الامرا ملا الصهاريج الكبار الذي بباب السلسله
وملا عدة صهاريج بقلعة الجبل واخذ في تحصين القلعة بكل ما يمكن وطلع الى القلعة
باحمال بقسماط وارز ودقيق وشعير وتبن وغير ذلك وارسل طلب من ابن ترمبيط
المتحدث على شيري حمسين ثورا من الثيران الكبار بسبب سحب المكاحل التي على الجمال
وسبب العربان واشيع ان ملك الامرا طلب شيخ المغاربه وقال له احضر لي الفين من
من شجعان المغاربة وهذه الواقعه تقرب من واقعة السلطان جان بلاط لما تسلطن العادل
طومان باي بالشام ودخل هو ونصروه نايب الشام الى القاهرة وقد تقدم ذلك
في الجزو الثالث وكان الاشرف جان بلاط حصن القلعة اعظم من هذا التحصين ولم
يفد منه شيا وانكسر واخذت منه قلعة الجبل في خمسة ايام ثم قبض عليه ونفي
الى ثغر الاسكندريه وفي يوم الثلاثا سادس عشره نودي في القاهرة بان اولاد الناس
ومن بمصر من الاروام يطلعون الى القلعة للعرض بين يدي ملك الامرا فصار جماعة من
خان الخليلي من الطباخين ومن يعمل الزراميج ومن يعمل السنبوسك يطلعون الى القلعة ويكتبون
اسماهم في الديوان ويقيمون انفسهم انكشارية ويأخذوا اليرق وصار العسكر ملفق من
ساير الطوايف والاجناس في سبيل الله خيار السبيل ثم ان طايفة الاسباهية والكملية
تغلبوا على ملك الامرا وقالوا نحن ما نخرج الى قتال نايب الشام الا بمرسوم من عند
السلطان سليمان ونحن ما علينا الا حفظ درك القلعة والمدينة فان دخل علينا

نايب الشام جانبرداه توقع الخلف بين العسكر العثماني وبين ملك الامرا بسبب ذلك
وكان من حين تولى السلطان سليمان مملكة الروم لم يرسل الى ملك الامرا خلعة الاستمرار
فطمع فيه كل احد بسبب ذلك وصارت الاخبار في كل يوم ترد على ملك الامرا بان جان
بردى الغزالي نايب الشام قد زحف وخرج من الشام في عسكر كثيف وقصد نحو الديار
المصرية ومعه طايفة كثيرة من الاكراد من عربان جبل نابلس ومن عربان بني عطا وبني
عطية وغير ذلك من طوايف العربان وغيرها من عساكر دمشق **وفيه** قدمت الاخبار
بان عربان بني عطا وبني عطية اتفقوا مع عربان طايفة السوالم وكسروا طوايا
ابن قراجا شيخ عربان جبل نابلس وكان ملك الامرا خلع عليه وعلى جماعة من مشايخ عربان
جبل نابلس وانعم عليهم بمال له صورة على انهم يلاقوا جان بردى الغزالي ويحاربوه
قبل ان يدخل الى القاهرة **وفيه** قدمت الاخبار بان جماعة من عربان الغربية تادوا
على كاشف الغربية فهرب منهم فارسل يعلم ملك الامرا بذلك على انه يبعث لهم
تجريدة **وفيه** حضر شيخ العرب بيبرس بن بقر وقابل ملك الامرا فاخلع عليه وكان
اشيع عصيانه **وفيه** عرض ملك الامرا من بالسجون فاطلق منهم عشرين انسانا
وقبل صالح من جماعة منهم ممن عليه الديون وقام بذلك من ماله **وفيه** تغير ملك
الامرا على شخص من الغلمان كان عند قان بردى نايب قطيا الذي تسحب منها فلما
تغير عليه ومثل بين يديه قال له اخبرني عن احوال الغزالي كيف تسلطن فقال
ما عندي منه علم وكان اشيع عن ذلك الغلام انه اتى من عند الغزالي بمطالعات الى الامرا
الذي بالقاهرة **فلما** انكر الغلام ذلك حنق منه ملك الامرا ورسم بتوسيطه
فوسطه عند باب السلسلة تحت الغرب ومضى امره **وفي يوم** الخميس خامس عشرينه
حضر مبشر الحاج واخبر بان حصل للحجاج شدة عظيمة بسبب الغلا في سائر الاصناف
والبضايع ومات من الحجاج جماعة كثيرة واشيع الثنا الجميل لامير الحاج **وفيه**
قدم الخبر بان نايب الشام جان بردى الغزالي توجه الى حلب ومن معه من العساكر
وحاصر المدينة اشد المحاصرة وقد حاربوه اهل حلب وتعصبوا عليه ولم يمكنوه من
اخذ المدينة فقد انفصلت هذه السنة عن الناس وهم في امر مريب من استمرار الغلا
ومن قلة الامن والفتن القايمة في البلاد الشامية والحلبية وكثر القال والقيل بين
الناس بسبب جان بردى الغزالي فانه اشيع عنه انه تسلطن بالشام وتلقب بالملك الاشرف
ومن معظم حوادث هذه السنة موت الخنكار سليم شاه بن عثمان فانه موتر كان من
العجايب والنوايب ولاسيما ما جرى منه في حق اهل مصر من الفعايل الشنيعة مما تقدم
ذكره ومن لطف صنايع الله تعالى لم يقع في هذه السنة الطاعون ولا غيرها في البلاد
الشامية ولا اعمال الديار المصرية انتهى ما اوردناه من اخبار سنة ست وعشرين وتسعماية
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وتسعماية كان مستهل المحرم يوم الاربعا

قطع

قطع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر والعام الجديد ثم رجعوا
الى دورهم **وفي ذلك** اليوم حضر قاصد من عند السلطان سليمان ابن عثمان وعلى يده
مراسيم تركية فكان من مضمونها ان ملك الامرا خاير بك على عادته في النيابة بالديار
المصرية ثم اشيع ان السلطان سليمان ارسل يقول لملك الامرا انه عين تجريدة عظيمة الى
نايب الشام جان بردى الغزالي وارسل يقول لا تخرج تجريدة حتى تكفيك امره **وفيه**
قدمت الاخبار بان جاليش عسكر نايب الشام لما توجه الى حلب وحاصر المدينة انكسر ذلك
الجاليش ثم اشيع ان عربان الكرك قد استولوا على مدينة الكرك ودفعوا ايدي جماعة نايب
الشام وقد انتدب الى محاربتهم جان بردى الغزالي شخص من عربان جبل نابلس يقال له
جنيما شيخ عربان الكرك **وفي** رابع الشهر وقع فيه كاينة عظيمة لشخص من الاتراك يقال
اياس قيل انه من مماليك الامير يشبك الدوادار رسم ملك الامرا بتوسيطه فوسط
في الرميلة وكان سبب ذلك انه كان في مجلس هو وحضر في ذلك المجلس جماعة من الاسباهية
فخلط اياس في الكلام مع الاسباهية في ذلك المجلس فقال بلغني عن ملك الامرا انه
يقصد ان يتسلطن بمصر كما تسلطن الغزالي بالشام **وفيه** حضر جماعة من العثمانية
عند ملك الامرا قالوا له بلغنا انك تقصد ان تتسلطن بمصر كما تسلطن الغزالي
بالشام فقال لهم ومن نقل عني ذلك فقالوا شخص من الاتراك يقال له اياس فامر
باحضاره فلما حضر قال له من قال لك عني اني اقصد اتسلطن بمصر فقال له اياس
انا سمعت ذلك من العوام فقال له ملك الامرا احضر لي من نقل عني ذلك فانعقد
لسانه وانوهم من ذلك واضطربت احواله وصار لا يدري ما يقول فاخذ الامير
قايتباي الدوادار يترقع له خلل فطفش ملك الامرا وكان ان يفتك فيه ثم ان ملك
الامرا رسم للوالي بان يقبض على اياس المذكور فقبض عليه ونزل به من القلعة الى الرميلة
فوسطه بسوق الخيل وراح ظلما من غير ذنب يوجب ذلك فان اكثر الناس كانوا
يخلطون في ذلك من حين اشيع سلطنة جان بردى الغزالي بالشام واستمر
اياس مرمي في الرميلة والكلاب ينهشون جثته في الليل ورسم انه لا احد يدفنه
وكان اياس شيخا مسنا وله اولاد وعيال ولكن اشتد غضب ملك الامرا عليه
في ذلك فقد ذلك من مساوي ملك الامرا **ثم في الثلاثا سابعه** وقع من ملك
الامرا ما هو اشنع من ذلك وهو انه رسم بتوسيط محمد بن شمس الدين محمد الزنوي وسبب
ذلك ان الزنوي قبض على فلاح وسجنه فانه كان مباشر وقف السلطان حسن فلما
سجن ذلك الفلاح حمل بعض اقارب الفلاح على ابن الزنوي شخصا من العثمانية فتكلم
ابن الزنوي في خلاص ذلك الفلاح فلم يوافق ابن الزنوي على اطلاقه فاغلظ عليه
العثماني في القول وسبه فقال ابن الزنوي عن قريب يحضر جان بردى الغزالي
نايب الشام ويخرجوا على ابشمه فطلع العثماني وشكى ابن الزنوي الى ملك الامرا

واقعة
محمد بن محمد
الزنوي مع ملك
الامرا خاير بك
٧٢٧

فاحضر ابن الزرنوى وقال له كيف تقول عن قريب يحضر الغزالى ويتسلطن بمصر فانكر
ابن الزرنوى ذلك فاحضر الشاد جماعة ممن كان حاضرا فشهد واعلى ابن الزرنوى بانه
قال ذلك فحنق منه ملك الامرا ورسم بتوسيطه فوسط فى الرميلة وراح ظلما كان دينه
لا باس وكان ابن الزرنوى هذا من اعيان الناس كان امام الامير اقبردى الدوادار
والامير يشبك الدوادار **وفيه** صار ملك الامرا يتصدق على الاطفال بالمكاتب فاعطى
لكل طفل لابس القماش فوق ما لا له صورة وصارت الاطفال يقرون له الفاتحة
ويدعون له فى صحيفة ملك الامرا وصار يتصدق على الزوايا والمزارات التى بالقرافة
ويتصدق على المجاورين بالجامع الازهر فقيل انه صرف من ماله فى هذه السنة نحو خمسمائة
دينار **وفيه** عزل كاشف الشرقية اياس واستقر عوضه شخص من الاتراك يقال له جانى
بك وقد تقدم انه ولى كشف الشرقية قبل ذلك **وفى يوم** الخميس ثالث عشرينه طرق
ملك الامرا اخبار ردية بان العربان قد زحفوا على قطيا وقد وصلوا الى الصالحية
فتنكد ملك الامرا لذلك وعين لهم تجريدة فخرج اليهم طايفة من الاسباهية وطايفة
من الكملية فتوجهوا اليهم على الفور من يومهم وكثر القال والقيل بسبب العربان ونحوها
وفى يوم الاحد سادس عشرين المحرم دخل الحاج الى القاهرة مع الامن والسلامة
صحبة الامير جانم امير المحمل ودخل قاضى المحمل الشيخ ابو الفتح فخر الدين الوفاى المالكى
ودخل صحبته الشيخ شرف الدين يحيى بن البرديني شيخ الحرم النبوى وكان السلطان
سليم شاه قرره فى مشيخة الحرم النبوى فشنعوا عليه فعزل واستقر بها الامير سجكاى
كما تقدم ذكر ذلك فلما عزل الشرفى يحيى ابن البرديني عن مشيخة الحرم حضر صحبة
الحاج واشيع ان الحاج قاسا فى الرجعة غاية المشقة من الغلا وموت الجمال وتعرضت
لهم جماعة من العربان فا وقعوا مع الامير جانم امير الحاج فانتصر عليهم وقتل منهم جماعة
ورجع الحجاج وهم راضيون عن امير الحاج جانم واثنوا عليه كل جميل وشالوا له الرايات
البيض فى بركة الحاج **وفى شهر صفر** اهل يوم الجمعة فصعد القضاه الاربعة الى
القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفيه** جات الاخبار بان
الاسباهية والكملية التى توجهوا الى الصالحية بسبب محاربة العربان فطهر منهم
غاية الفساد وصاروا ينهبون الضياع الذى حول بلبيس والصالحية وياخذوا ما فيها
من الدجاج والاوز والشعير والتبن فخرجوا اهل الضياع من ذلك فاتوا الفلا حين
وشكوا الى ملك الامرا من ذلك بان الترك تهبوا مغلهم ودخلوا فى نسايهم وبناتهم
ولم يحصل بهم نفع **وفيه** رسم ملك الامرا بشنق شخص يقال له الحاج يا قوت
وكان من جملة تجار الوراقين ولم شهرة وهو فى سعة من المال فشنق من غير ذنب يوجب
ذلك **وفيه** نزل ملك الامرا من القلعة وتوجه الى بولاق وكشف عن المراكب التى
عمرها هناك فانزلوها فى البحر قدامه ثم رجع وشق من القاهرة فارتفعت له الاصوات

بالدعا وكان يوما مشهودا **وفيه** خرج الامير جانى بك اخو الامير قايتباى الدوادار
فتوجه من البحر وسافر نحو البلاد الشاميه ليكشف اخبار نايب الشام جان بردى الغزالى
وغير ذلك من الاشغال السلطانيه **وفيه** انقطعت الاخبار من البلاد الشاميه وامتنعت
الاقفال والمسافرين من الدرب السلطانى وانكتمت اخبار نايب الشام واستمر الامر على
ذلك ثلاثة اشهر وحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك ومنع الاقفال وجلب
البضايع الشاميه **وفى شهر ربيع الاول** اهل يوم السبت فطلع القضاه الاربعة
الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا **وفى يوم** الثلاثا رابعه نزل ملك الامرا
من القلعة وتوجه الى بركة الحبش والبريم فاقام هناك الى بعد الظهر فارسل القاضى
بركات ابن موسى المحتسب مايتى حمل ما بين خرفان شوى وحلوى وفاكهه وغير ذلك
من مجامع صحنها مامونيه وسنبوسك بسكر وغير ذلك اشيا فاخرة ثم ان ملك الامرا
نزل من هناك فى الحراقة وتوجه الى الروضة وكشف على المراكب التى عمرها هناك ثم شق
من البحر وطلع من عند قصر ابن العينى وتوجه من هناك الى القلعة فانطلقت له
النسا بالزغاريت من الطيقان والنشر فى ذلك اليوم الى الغاية **ومن الوقايع** اللطيفة
ما وقع فى يوم الاحد تاسع الشهر وذلك ان وقع بين شخص من ارباب الفن يقال له محمد
ابن السريه وشخص يقال له محمد الاوجاقى ويعرف ايضا بالشرابى فوقع بينهما رهان
فى فن الموسيقا فقال محمد ابن السريه انا اعرف قطعة ما سمعها احد من اهل مصر قط
فقال محمد الاوجاقى ان كان حقا ما تدعيه فتجمع مشايخ ارباب الفن وتجمع مغانى البلد
قاطبة ويكون ذلك يوم الاحد فى وسط بركة الرطلى وكان ذلك فى زمن الربيع فلما
كان يوم الاحد يوم الميعاد حضر جماعة من ارباب الفن وحضر مغانى البلد واتوا
الى بركة الرطلى فجلسوا فى وسطها واجتمع هناك الجم الكثير من المتفرجين فغنى كل
احد من المغانى فى ذلك اليوم احسن ما عنده من الغنا نوبة وابتهج الناس فى ذلك اليوم
غاية البهجة واما محمد ابن السريه فانزاح بانه ضعيف وقال الرهان ياتى الى يوم الاحد
الثانى فظهر عليه العجز ولم يفى بما ادعاه مما تقدم فكان كما قيل فى المعنى

، كل من يدعى بما ليس فيه ، كذبته شواهد الامتحان ،

فانفض ذلك الجمع وعد ذلك من النوادر فى الفرجة والتصف **وفى يوم** الاثنين عاشره
اشيع ان حضر قاصد من عند السلطان سليمان وعلى يده ظفر الاستقرار الى ملك الامرا
فحضر القاصد وصحبته الامير شيخ والامير على المحضر وبرسباى استادار الصحبة مملوك
الامرا الذى كان ارسله السلطان سليمان بن عثمان يهنيه بالملك ويعزيه فى ابيه السلطان
سليم شاه فلما حضر طلع القلعة ومعهم مرسوم مختوم من عند السلطان سليمان بن عثمان
فاجتمع بالقلعة الامرا العثمانيه والامرا الجراكسه وقرى عليهم مرسوم السلطان سليمان
وهو مكتوب باللغة التركيه فكان من مضمونه ان السلطان ارسل يقول لملك الامرا

ان يوفى اليه نيابة مصر وما معها من الثغور والاعمال ويعزل من يعزل ويولى من يولى ولم
يرسل اليه خلعة الاستمرار فعز ذلك على ملك الامرا وكثر بسبب ذلك القيل والقال
بين الناس **وفي يوم** الثلاثا حادي عشره كان المولد الشريف النبوي بالقلعة على حكم ما ذكرنا
في السنة الماضية **وفي يوم** الخميس ثالث عشره نودي في القاهرة عن لسان ملك الامرا
خايربك بان من كان له حاجة بالشام او في غزه فيتوجه الى هناك فان الدرب السلطاني
قد انفتح وكان الدرب السلطاني له نحو اربعة اشهر لم يسلك ولم يجي منه الاخبار
حتى عزت البضايع التي كانت تجلب من هناك وذلك بسبب عصيان نايب الشام
واشيع ان جماعة من العربان ارتفعوا مع جان بردي الغزالي وانكسر منهم وهرب
فقصد ملك الامرا ان يعلم الناس بان الدرب قد انفتح وسلك **وفيه** اخلع ملك الامرا
على قراموسي احد امرا ابن عثمان وقرره في نيابة غزه فخرج اليها وسافر في يوم الخميس
وفيه قدمت الاخبار من الشام بان السلطان سليمان بن عثمان ارسل الى نايب الشام
جان بردي الغزالي عساكر عظيمة وصحبتهم ابن سوار فتقعوا مع الغزالي في ثاني
عشرين صفر وكان بين الفريقين وقعة مهولة على حلب فانكسر منهم وهرب الى حماه فتبعوه
وارتفعوا معه فانهزم وهرب وقصد التوجه الى الشام وقطع قناطر الرستن
فتبعوه فكان بين الفريقين وقعة عظيمة خارج مدينة دمشق فقتل في تلك المعركة
نحو عشرة آلاف انسان وقيل اكثر من ذلك ما بين عربان ومماليك وجماعة من عوام
الشام وفيهم اطفال وصغار من اهل ضياع الشام وغير ذلك ممن حضر هذه الوقعه
فكانت هذه الوقعه تقرب من وقعة تمرلنك لما ملك الشام وجرى منه ما جرى
من قتل ونهب وسبي وحرق ضياع وما ابقى في ذلك ممكن وليس العيان كالخبر
والذي قتل تحت ارجل الخيل ما لا ينحصر واخر الامر انكسر نايب الشام الغزالي كسرة
مهولة وقبض عليه وقتل وحزت راسه وارسلت الى اسطنبول مع رؤوس جماعة من
اصحاب الغزالي ممن كان عصبته ونهبت وطاق الغزالي وبركه عن اخره وكان من الوقايع
العظيمة التي لم يسمع بمثلها وكانت مدة ولايته على نيابة الشام ثلاث سنين
وسبعة اشهر الا اياما وزال كان لم يكن وكان الغزالي عنده هوج وخفة زايدة اهوج
الطبع ليس له راي سديد وهاج في الامور ليس له تامل وكان ولي نيابة الشام وهو
في غاية العظمة من الحرمة الوافرة والكلمة النافذة وتداعت الجهات الشاميه في ايامه
حتى مشى الذيب والشاه سوا كما يقال في المعنى

يا ايها الملك الذي من سطواته ** في البيدا يختشي ذيبها من شواته

ولما كان بالشام التف عليه الجم الكثير من العساكر ما بين عربان جبل نابلس والكرك وغير
ذلك والتف عليه جماعة كثيرة من المماليك الجراكسه وصاروا يخرجون من مصر في الخفية
ويتوجهون اليه والتف عليه طايفة من الاكراد والتركمان حتى اجتمع عنده اثني عشر

الف مقاتل وفيهم رماه بالبندق الرصاص نحو خمسماية واكثر وقيل اكثر من ذلك وحسنوا
له ذلك فعند ذلك حدثته نفسه بالسلطنة وتورتر الجهله بالسلطنة وتلقب
بالملك الاشرف وقبلوا له الارض هناك وخطب باسمه على المنابر وجوامع دمشق
وكل ذلك عين الغلط منه وكم من عجلة اعقبت ندامه فكان كما قيل في المعنى

والنفس لا تنتهي عن نيل مرتبة ** حتى تروم الذي من دونها العطب

فلما تحقق ملك الامرا بان الغزالي قد تسلطن بالشام وقبلوا له الارض اضطربت احواله
وسرت المماليك الجراكسه بذلك واستبشروا بالفرج ويا فرحة لا تمت **اقول**
وكان اصل جان بردي الغزالي من مماليك الاشرف قايتباي اشتراه واعتقه واخرج له
خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك السلطانيه ثم ان الامير تغري بردي الاستادار
قرره شادا في ضيعه بالشرقيه يقال لها منية غزال فنسب اليها وقيل له الغزالي مضافا
لاسم تلك الضيعة ثم ان الاشرف قايتباي جعله جمدارا وقرره في كشف الشرقيه
ثم بقي امير عشرة في اواخر دولة الناصر محمد بن قايتباي ثم بقي محتسب القاهره في
دولة السلطان الغوري ثم قرره في حجوبية الحجاب بحلب فخرج اليها من يومه وذلك
بعد وقعة مصرباي لما انكسر ثم ان الغوري نقله من حجوبية الحجاب بحلب الى نيابة صفد
وذلك في سنة سبع عشر وتسعماية ثم نقله من نيابة صفد الى نيابة حماه الى ان توجه
السلطان الغوري الى حلب وانكسر وجرى له ما جرى فرجع الغزالي صحبة العسكر الى مصر
ثم جا الاشرف طومان باي قد تسلطن عوضا عن الغوري فاستقر بالغزالي نايبا الشام
وقد تقدم القول على ذلك **فلما** ملك السلطان سليم بن عثمان مصر اقره على عادته
في نيابة الشام وجعل له التحدث على الشام وحماه وحمص وصيدا وبيروت وبيت
المقدس ورملة لد والكرك وغير ذلك من الاعمال الشامية والطرابلسية فلو قنع
بذلك لكان خيرا له فكان كما يقال في الامثال السايره من شرب بكاس الطمع شرق به
وفي يوم الاحد ثالث عشرينه قدمت الاخبار بان وصل قاصد من عند السلطان سليمان
ابن عثمان **فلما** تحقق ملك الامرا ذلك نزل من القلعة وتوجه الى تربة العادل
وبات بها لاجل ملاقاة القاصد الذي حضر وكان ملك الامرا ارسل القاضي بركات
بن موسى المحتسب الى الخانكاه حتى مد له مدة هناك فلما كان يوم الاثنين رابع عشرينه
نادى ملك الامرا في القاهرة بالزينه بسبب دخول القاصد فزينت زينة حفله **فلما**
دخل القاصد لاقاه ملك الامرا من هناك ودخلوا واياه من باب النصر وشق من
القاهرة في موكب حفل وقدامه العسكر قاطبة من الجراكسه والعثمانيه وقدامه جماعة
كثيره من الانكشاريه رماه وهم يرمون بالنفوط ونزل قدامه عشره رؤوس مشايخ عربان
ممن كان من عصبة نايب الشام جان بردي الغزالي فشق من القاهرة هو والقاصد وكان
يوما مشهودا **وفي يوم** السبت سلخ الشهر قدم قاصد ثانيا من عند السلطان واشيع

انزل الى ملك الامرا بخلعة الاستمرار فلما وصل الى تربة العادل نزل اليه ملك الامرا
ولاقاه من هناك فجلس على تلك المسطبة التي هناك فالبسه هناك القاصد الخلعة
وهو قفطان مخمل احمر بتماسيح مذهب ثم قام من هناك هو والقاصد ودخل من باب النصر
وشق من القاهرة في موكب حفل اعظم من ذلك الموكب المتقدم ذكره وركب قدامه القضاه
الاربعة والامرا الجراكسة قاطبة والامرا العثمانيه ومشت قدامه الانكشاريه والرماة
وهم يرمون بالنفوط ومشت قدامه طايفة النصارى بالشموع الموقودة واصطفت
الناس له على الدكاكين بسبب الفرجة وكانت القاهرة مزينة في قوة الزينة وعلقوا له
احمال وتربات معمرة بالقناديل الموقودة بطول المدينه ووقدوا له الشموع على الدكاكين
ولاسيما ما فعله تجار الوراقين من الشموع الموكبيات الكبار واطلقوا له المجامر بالعود
القماري ومرشات الماورد الممسك ثم ان جماعة من التجار نثروا على راسه الفضة
في عدة اماكن من المدينة وارتفعت له الاصوات من الناس بالدعا وانطلقت له النسا
بالزغاريت من كل جانب من البيوت والدكاكين وفرشت له السقق الحرير تحت حافر
فرسه من عند خان مسرور واستمر في هذا الموكب الحفل حتى طلع الى القلعة وعليه خلعة
الاستمرار من عند السلطان وكان ذلك اليوم مشهودا في الفرجة وانقصف **فلما**
طلع الى القلعة اخلع على الامير قايتباي الدوادار قفطان مخمل ونزل الى منزله ثم نادى
للناس بفك الزينة وقد اقامت الناس مزينة نحو عشرة ايام وتكلفت الناس بسبب
ذلك كلفة عظيمة من وقد شموع وقناديل ومشترى زيت وحصل في هذه الزينة
من المنكرات غاية الفساد من خطف النسا والصبيان المرد والتجاهر بالمعاصي ليلا ونهارا
حتى خرجوا في ذلك عن الحد ولاسيما ما كان يفعل في خان الخليلي من الفسق وقد ابتهج
الناس بهذه الزينة غاية البهجة وفي هذه الواقعة يقول صاحبنا الناصري محمد بن
قانصوه من صادق يمدح السلطان سليمان بن السلطان سليم شاه بن عثمان واجاد حيث
قال

الحمد لله اضحى الملك يبتسما ... من بعد ما كان ابدى وجهه كظما
وكيف لا يبدي وجهه كظما ... على سليم وقد اضحى يرى دما
وصار بعد سليم لابنه وغدا ... من السرور به بالبشر مبتسما
وافتر عن شنب الثغر المبين ثم اد ... نضر الزهر له بالسعد نبه لما
قد قطعت روس العدا بحربية ... وسيفه عم على البطاح دما
وكيف لا وسليمان مدبره ... بخاتم الملك منه مذ به اختتما
وصار من كعبه يمنا العلا رخا ... والخوف امنا جا والنور عمما
والنيل قد زاد فيها فوق من فرح ... به وروى اراضي مصر بعد ظما
وكان ابطا لفوت بالوفا حزنا ... على سليم وما روى البلاد بما
ومصر من فرح في زينة رقصت ... لما رات لرخاها كعبه علما

واصبحت

واصبحت جنة من سعد خاير بك ... بعد الجحيم ونادى العدل من ظلما
وكيف لا وهو خير قد احل بها ... لو لم يكن هو خير قط ما حكما
يا ايها الملك الممدوح دم فرحا ... وانظر لقصد عبد يشتكي الظما
فانت بالطب ادرى من سواك به ... ومن سواك يرى في حكمه حكما
لا زلت من ابوه قانصوه ترى ... منعشا بمديح مبدع حكما
وموكب الملك يبدير وانت بها ... كما راينا بمصر والسرور نما
وانت في نوح تبدو وفي فرح ... والملك مبتسم منه ترى نعما
وكوكب السعد يبدي في سما شرف ... عليك في ساير الاوقات محتكما
وقايلا حاورا مذ صار مبتسما ... والحمد لله اضحى الملك مبتسما

انتهى ذلك وقد مضى هذا الشهر عن الناس على خير وكان كثير الحوادث ووقع فيه امور
غريبة واحوال عجيبة ولاسيما ما وقع بالبلاد الشامية من الفتن العظيمة من القتل والنهب
وحرق الضياع وذهاب الغلال وسبب ذلك عصيان نايب الشام جان بردي الغزالي
واظهاره للسلطنة ووقع مثل ذلك بحماه وحمص وغير ذلك من البلاد الشامية
وفي شهر ربيع الاخر كان مستهله يوم الاحد ففي ذلك اليوم بلغ ملك الامرا
قدوم قاصد من عند ابن عثمان قد وصل وعلى يديه خلعة ثانيه الى ملك الامرا وهذا
القاصد يقال له الامير علي **فلما** تحقق ملك الامرا وصوله نزل اليه من القلعة ولاقاه
من عند تربة العادل ولبس الخلعة هناك ودخل من باب النصر وشق القاهرة في موكب
حفل وصحبته الامير علي الذي حضر ولم يكن صحبته من القضاه سوى قاضي القضاه
المالكي محيي الدين يحيى بن الدميري وكان هذا الموكب على حكم الموكب الذي تقدم ذكره
ومن العجايب ان ملك الامرا ركب ثلاث مواكب حفله وشق من القاهرة ثلاث مرات
في مدة ثلاثة ايام فعد ذلك من النوادر الغريبة **وفي يوم** الاثنين ثاني هذا الشهر خرج الامير
قراموسي العثماني الذي قرر في نيابة غزه فخرج من بين الترب ولم يشق من القاهرة
وخرج صحبته الجم الكثير من الاسباهيه ومن التجار فان الدرب السلطاني كان له مدة
طويلة وهو منقطع من حين جرى من الغزالي ما جرى الى ان اشيع قتله **وفي يوم** الاثنين
تاسعه كان وفاة صاحبنا القاضي محب الدين بن اصيل وكان رئيسا حشيما من ذوي
البيوت وكان قد كف بصره قبل وفاته بمدة طويلة وحصل له شدايد ومحن ومات
وهو في غاية القهر بسبب خروج المشيخة بمدرسة الجمالية عنه الى ابن الشيخ زكريا وقد تقدم
القول على ذلك **وفي يوم** الاربعا حادي عشره توجه ملك الامرا الى قبة الامير يشبك
الدوادار الذي بالمطرية على سبيل التنزه فصنع له المقر الشهابي احمد بن الجيعان هناك
مدة حفلة وكذلك الخواجا هاشم ناظر المارستان فما ابقى في ذلك ممكن **ومن الحوادث**
الشنيعة ان ملك الامرا في يوم السبت رابع عشره رسم بقطع ثلاثة روس من اعيان المماليك

الجراكسه فقطع رؤسهم فى ذلك اليوم تحت شباك الدهيشه واشهر تلك الرؤس على
ارماح ثم علقها على باب زويله فمنهم شخص يسمى ماماى الساقى وشخص يسمى قانى بك
الاشقر وهم من مماليك السلطان الغورى وكان سبب ذلك ان هولا المماليك كانوا بالقاهرة
وكان ملك الامرا يحسن اليهم غاية الاحسان **فلما** اشيع عن جان بردى الغزالى نايب الشام
انه تسلطن هناك وتلقب بالملك الاشرف فتسحبوا هولا المماليك من مصر وتوجهوا الى
الشام ودخلوا تحت طاعة الغزالى فلما انكسر الغزالى وقتل وجرى ما جرى حضروا هولا
المماليك واختفوا فى القاهرة فغمزوا عليهم فلما بلغ ملك الامرا ذلك ارسل الوالى فقبض
عليهم واحضرهم الى بين يديه فلما مثلوا بين يديه وبخهم بالكلام فاغلظ عليه فى القول
ماماى الساقى فحنق منه فرسم بقطع رقابهم بين يديه ورسم للوالى بان من كان عند الغزالى
من المماليك وحضر الى مصر يوسطه من غير اذن ولو كان من الامرا واشتد غضب ملك
الامرا فى ذلك اليوم بحيث انه حم جسده فى ذلك اليوم ولزم الفراش وانقطع عن
المحاكمات ثلاثة ايام واشيع انه قد طلع له تشاليك فى ظهره واشتد الالم عليه وانقطع
عن الخروج وصار يتصدق على الزوايا والمزارات بمال له صورة وصار يذبح الذبايح
من الابقار على ابواب الجوامع الكبار ويتصدق بلحومها على المجاورين بالجوامع والزوايا
وفى يوم الثلاثا سابع عشره نودى فى القاهرة عن لسان ملك الامرا معاشر الناس كافة
ان كل من عنده مملوك من المماليك الجراكسه ممن كانوا عند الغزالى نايب الشام واخفاه
ولا يغمز به شنق على باب داره من غير معاودة وصارت هذه المناداه تتكرر فى كل يوم
نحو ثلاثة ايام على لسان اربع مشاعليه اثنان بالتركى واثنان بالعربى وقد اضطربت
الاحوال فى هذه الايام الى الغاية بسبب جان بردى الغزالى نايب الشام فمن الناس من
يقول انه باق فى قيد الحياة وان الراس التى قطعت غير راسه ومن الناس من يقول
انه قتل فى الوقعة التى كانت على القابون وحزت راسه وارسلت الى اسطنبول
والاصح انه قتل على القابون من ضيعة من الشام وهذه الواقعه تقرب من واقعة قانصوه
خمسماية لما شكوا الناس فى قتله **وفى يوم** الخميس تاسع عشر ربيع الاخر فيه كانت
وفاة امير المومنين المستمسك بالله يعقوب ابن امير المومنين عبد العزيز المتوكل
على الله وكان مولده سنة احدى وخمسين وثمانماية وامه تسمى امنه وهى ابنة امير
المومنين ابو الربيع سليمان بن محمد المتوكل على الله فهو هاشمى الابوين وكان رئيسا
حشيما دينا خيرا صالحا لين الجانب متواضعا ولى الخلافة فى دولة الملك الناصر
محمد بن قايتباى الاشرف واقام فيها احدى عشر سنة ونصف وبايع اربعة من السلاطين
ثم صرف عن الخلافة فى دولة الغورى وعهد الى محمد المتوكل على الله وقاسى شدايد ومحن
وقد تقدم ذكر ذلك وكان حصل له ضعف فى بصره وكان لا يقرا ولا يكتب وكان رجلا
مباركا لم يعهد له صبوة قط ومات وله من العمر نحو ثمانين سنة او دون ذلك

وكان

وكان ولده غايبا باسطنبول من حين نفاه السلطان سليم شاه ابن عثمان ولما مات رثاه
الاديب البارع ناصر الدين محمد بن قانصوه من صادق بهذه المرثيه واجاد حيث قال

رشق الموت فى مرامى القلوب ۝ من قسى الجوى سهام الكروب
يا لها من سهام كرب عظيم ۝ فى مرامى الحشى برمى مصيب
صيرت دورنا خرابا وصرنا ۝ بعد عز مذلة للخطوب
يا لها من مذلة بعد عز ۝ صرنا من عظمها فى لغوب
ابن خير الانام والال والصحب ۝ واهل الملوك اهل الحروب
قد قضى الله بالممات عليهم ۝ مثل ما قد قضى على يعقوب
الذى كف من فراق فتاه ۝ وتلقى البلاء عن ايوب
غاب عنه ابنه فاسف بحزن ۝ كلما من يطيق فقد الحبيب
ابن عبد العزيز اعنى ۝ امير المومنين النجيب بن النجيب
صاحب العهد والخلافة والعقد ۝ مع الحل واللوا والقضيب
قلب صبرا على الذى حل لما ۝ فذا شان ذا الزمان العجيب
هاشمى ابا واما وهذا ۝ غاية المجد للحسيب النسيب
الذى كان الارامل والايتام كهفا ۝ وكان ماوى الغريب
يا يتامى وارامل فابكوا ۝ واهطلوا عينكم بدمع سكوب
واسالوا الله ان يسكنه الفردوس ۝ تفضلا فانه خير مجيب
والى مصر ان يجى فتى ربنا ۝ ابنه فى هنا وعيش خصيب
صبر الله روح والده سمى ۝ خيره وبشر بشر وطيب
وكذا روح من رثاه بهذا ۝ ان يمت مثله باوفى نصيب
وكذا قانصوه ابوه امتنانا ۝ منه ما صاح ذو بكا ونحيب
قايلا والعيون تجرى عيونا ۝ رشق الموت فى مرامى القلوب

ولما توفى الخليفه يعقوب لم يستطع ملك الامرا ان ينزل من القلعة ويصلى عليه لانه
كان فى غاية الضرر من ذلك التشاليك الذى طلع له فى ظهره فحضر مشهد الخليفه
يعقوب قضاة القضاه الاربعة وبعض امرا فصلوا عليه ودفن عند اقاربه بالمشهد
النفيسى رحمة الله عليه ودفن يوم الجمعه عشرينه وتوفى بردداره الحاج على فى ذلك
اليوم ودفن عقيب دفن استاذه يعقوب **وفيه** فى يوم السبت حادى عشرينه خرج الامير
قاسم العثمانى ويعرف بكزل الذى حضر صحبة الاسباهية توجه الى اسطنبول
وجماعة كثيرة من العسكر العثمانى الذى كان بمصر فاستعادوا عودهم الى بلادهم اسطنبول
وهم هولا الذين حضروا صحبة الخلعة التى حضرت الى ملك الامرا من عند السلطان
سليمان ابن عثمان **وفيه** حضر الى الديار المصرية القاضى بدر الدين محمد السعودى من اولاد

وكان توجه الى اسطنبول مع جملة من توجه من الاسارى فاقام فى اسطنبول مدة طويلة
الى ان مات السلطان سليم شاه وولى ابنه سليمان فاستاذن الوزرا فى الحضور الى مصر
لسفر احواله ثم يعود الى اسطنبول فاذنوا له فى ذلك فحضر الى مصر وهو فى الترسيم
بجاويش موسم عليه وحضر صحبته كمال الدين برددار الامير طراباى وكمال الدين
العاينى وكزبر الدين المجولى ويوسف مناخير وبدر العالى وهو معتوق الناصرى محمد
ومحمد بن فارس فلما حضروا الى مصر اقاموا بها مدة فلما انقضى الميعاد الذى قرره
لهم الجاويش استحثهم على الخروج والسفر الى اسطنبول فلما كان ليلة الرحيل اختفى
القاضى بدر الدين الوقاد ولم يظهر فشق ذلك على الجاويش الذى كان موسم عليهم
وكان اختفا ابن الوقاد باذن ملك الامرا حتى قيل ان ابن الوقاد خدم ملك الامرا
فى هذه الحركة بالف دينار فى الخفيه وصار ملك الامرا يظهر الغيظ على ابن الوقاد
ويشد فى طلبه ورسم على اصحابه وجيرانه واظهر للجاويش الذى حضر صحبته انه
محتاط فى طلبه والامر بخلاف ذلك ثم ان ذلك الجاويش قبض على كمال الدين برددار
طراباى وعلى كمال الدين العاينى ويوسف مناخير وكزبر الدين المجولى ووضعهم
فى الحديد واخرجهم من مصر على اقبح وجه وسافروا من البحر الى اسطنبول وقاسوا
شدايد ومحن **وفيه** توفى المعلم عبد الرحمن ابن طبيله العامل فى الدجاج والاوز وكان
علامة عصره فى هذا الفن وكان فى سعة من المال لاباس به وله بر ومعروف **وفى يوم**
الاثنين ثالث عشرينه كان عيد النصارى وهو اول يوم من الخماسين وكان ذلك
اليوم رطبا وفى السما غيم وهذا فال للنيل بان يكون فى تلك السنة عاليا جدا
فى الزيادة **وفى يوم** الثلاثا رابع عشرينه حضر اولاق من عند السلطان سليمان بن
عثمان وعلى يده مراسيم تتضمن بان قرقماس بك الذى حضر وعلى يده خلعة
الاستمرار لملك الامرا بان يستقر فى نيابة حلب عوضا عمن كان بها وقيل ان قرقماس بك
هذا وضع مع السلطان سليم شاه وقد صارت النيابات كلها بيد جماعة ابن عثمان
فكان هذا قررفى نيابة حلب وشخص آخر يقال له اياس فى نيابة الشام عوضا عن
الغزالى وقرر فرحات بك فى نيابة طرابلس وقرر قراموسى فى نيابة غزة وقد اشتملوا
العثمانية النيابات الذى كانوا اعيان المملكة المصرية **وفيه** توفى الشيخ شهاب الدين
احمد بن نباته الحنفى وكان لاباس به وفيه لم يظهر القاضى بدر الدين الوقاد ولا كزبر
الدين المجولى فلما طال الامر على الجاويش الذى كان متوكلا بهما فتقلق وسافر من
البحر وصحبته كمال الدين برددار الامير طراباى وكمال الدين العاينى مباشر ابراخور
والخواجا عمر بن معوز المغربى وزين العابدين حامل المزرة وبدر العادلى وحسين
ويوسف مناخير فخرجوا من القاهرة على اقبح وجه من الجاويش الذى موسم عليهم
ووضعهم فى الحديد وكتف بعضهم بالحبال وساقهم مشاة قدامه حتى وصلوا الى

بولاق فانزلهم فى المراكب وسافروا نحو اسطنبول وحصل لهم الضرر الشامل من الجاويش
وقد حمق من ابن الوقاد والمجولى وحط عينه فى هولاء ولم يتاخر بمصر ممن حضر صحبة
الجاويش سوى بدر الدين بن الوقاد والمجولى وزين الدين العجمى فشفع فيه ملك الامرا
من التوجه الى اسطنبول **وفيه** ارسل الامير على بن عمر شيخ جهات الصعيد تقدمة
حافلة الى السلطان سليمان بن عثمان ثم ارسل الى الامير على بن عمر خلعة الاستمرار على
حاله بمشيخة الصعيد وقد راى الامير على بن عمر فى دولة ابن عثمان ما لا راه احد من
اجداده ولا اقاربه من العز والعظمة والمال العظيم انتهى ذلك **وفى شهر جمادى**
الاولى كان مستهله يوم الثلاثا فطلع القضاة الاربعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم
رجعوا الى دورهم ولما طلعوا الى ملك الامرا وجدوه بالاشرفيه الذى بجوار الدهيشه
فنام لهم وكان له مدة وهو متوعك فى جسده بسبب طلوع السلوك التى فى مشعره
وقد اشرف على الشفا وبرى من ذلك العارض وفى ذلك يقول ابن قانصوه

الحمد لله ثغور الهنا ، سرورنا منها ارتنا شفاه
لالى نايبنا شاهدت ، فابتسمت من فرح عن شفاه

وفى يوم الثلاثا منه ركب ملك الامرا ونزل من القلعة وقد شفى من ذلك العارض الذى
كان قد اعتراه فلما نزل من القلعة توجه الى بيت الامير فرحات بك الذى قرر فى
نيابة طرابلس فنزل اليه وودعه واقام عنده الى قريب الظهر ثم عاد الى القلعة وشق
من الصليبة وقدامه جماعة من الانكشارية يرمون بالنفوط وقد هناه بالشفا الاديب
البارع محمد بن قانصوه وهو قوله

الحمد لله زال الهم والالم ، عنا لبرءك والاعدا لها سقم
وقلعة الملك اضحى وجهها طلق ، من بعد ما كان فيه قد بدا الكظم
واصبحت مصر بعد الحزن فى فرح ، بكم واضحت ثغور البشر تبتسم
وقد غدت بلسان الحال قائلة ، الحمد لله زال الهم والالم

وفى يوم الجمعة حادى عشره قدم الامير جانى بك وهو اخو الامير قايتباى وقد تقدم
القول على انه توجه الى كشف البلاد الشاميه وارسل ملك الامرا على يده تقدمة حافلة
الى الامير اياس العثمانى الذى استقر فى نيابة الشام عوضا عن جان بردى الغزالى فلما قابل
ملك الامرا خلع عليه ونزل الى منزله فى غاية التعظيم **وفى يوم** الجمعة المقدم ذكره
خرج ملك الامرا وصلى الجمعة فى جامع القلعة وكان له مدة منقطع لم يصل الجمعة فى جامع
القلعة فلما خرج من الصلاة اخلع على المزينين والحكما وقيل خلع على المزينين والحكما الفا
وخمسماية دينار من تحت ملك الامرا ومن مراديه ومن الامير جانم الحمزاوى ومن الامير سباى
الخازندار والمهمندار والمباشرين وارباب الدولة قاطبة ومن الامرا العثمانيه وغير ذلك
من اعيان الناس **وفى يوم** السبت ثانى عشره اخلع ملك الامرا على الامير جانم الحمزاوى

واخلع على الامير جانم كاشف الفيوم وقرره فى امرية الحاج على عادته واخلع على الامير
واصل بن الاحدب شيخ جماعة الصعيد وقرره على عادته فى مشيخته **وفيه** قدمت
الاخبار بان الامير قرحاش الذى قرر فى نيابة نابلس لما وصل الى الصالحية وجد العربان
هناك مفتتنة فارسل يطلب من ملك الامرا نجدة فان العربان قد تناددوا عليه فى الطريق
وكادوا يقتلونه فارسل اليه جماعة من الاسباهية والكملية مسرعة على الفور حتى ادركوه
واستمروا معه الى نابلس وكانت العربان فى هذه الايام فى غاية الفساد بالبلاد الشامية
من عربان بنى عطا وبنى عطية **وفى يوم** الاحد عشرينه توفى القاضى بدر الدين محمد
المعروف بابن العليسى ناظر ديوان الاحباس وكان رئيسا محتشما حسن السيرة وكان
لا بأس به **وفى يوم** الخميس خامس عشرينه وقع ان ملك الامرا تغير خاطره على شخص
من الخدام يقال له مثقال نظم القبة واذيته ورسم بنفيه الى مكة فنزل من القلعة والدم
يقطر من انفه واذنيه ولم يكن له ذنب كبير يوجب ذلك **وفيه** حضر جماعة كثيرة
من اسطنبول ممن كان السلطان سليم شاة اسرهم واخرجهم من مصر فلما مات سليم
شاه ابن عثمان واستقر سليمان ولده بعده رسم بعود الاسرا قاطبة الى بلادهم
ووزن عليهم واظهر العدل فيهم فحضر منهم جماعة فى هذا الشهر منهم شهاب الدين
احمد بن غميط ومحيى الدين وزين الدين بن بها الدين احمد كتاب المماليك والجوامع
ابو الطيب بن الوس يحيى المزين ومحمد الحنبلى ابن الفارتاجر بالجمالونة وابو الفضل
ابن بركات الشمسار فى البعلبكى وتاج الدين بن ابراهيم بن القاضى سالم وبدر الدين
محمد مباشر الامير اينبك حاجب الحجاب واخرون لم يحضرنى اسماؤهم الآن **وفى يوم**
الاثنين ثامن عشرينه ظهر كريم الدين الجوجلى وبدر الدين السعودى بن الوقاد وقد
تقدم القول فى سبب اختفائهم من الجاويش الذى كان مترسما عليهم وحثهم فى الخروج
الى اسطنبول **وفى شهر جمادى الاخر** كان مستهله يوم الاربعا فطلع القضاة الاربع
وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفى يوم الخميس** ثانى الشهر خرج الامير
جانم الحمزاوى وقصد التوجه الى اسطنبول وكان ملك الامرا عينه الى السفر الى السلطان
سليمان كما كان يرسله الى والده سليم شاة وقيل ان هذه التقدمة الذى ارسلت على
يد الامير جانم الحمزاوى قومت بما ينفى الف دينار او فوق ذلك فخرج الامير جانم
فى موكب حفل ولم يبق من القاهرة بل خرج من الترب وكان الامير جانم الحمزاوى يوميذ
من ارباب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمعت فيه الكلمة وراى من العز والعظمة
فى دولة ملك الامرا خاير بك ما لا راه غيره من الامرا واشيع ان ملك الامرا رسم
لكريم الدين الجوجلى بان يسافر الى اسطنبول صحبة الامير جانم واما القاضى بدر الدين
السعودى بن الوقاد اشيع انه خدم ملك الامرا بالف دينار حتى اقام بمصر وكاتب
عنه ملك الامرا بانه لا يستطيع السفر الى اسطنبول **وفيه** قدم الشيخ شمس الدين محمد

السمد

السمديسى الحنفى الذى كان ولى قضاه الحنفية فى دولة الغورى وكان السلطان سليم شاه
ابن عثمان لما انكسر الغورى ومات بحلب وملك سليم شاه حلب قبض على السمديسى
وارسله من هناك الى اسطنبول فاقام بها حتى رسم السلطان سليمان بعود الاسرا الى بلادهم
فحضر السمديسى مع جملة من حضر الى مصر وحضر صحبته محب الدين الحنفى الذى كان
يقيم بالخانقاه الشيخونية وحضر ابو العز الحصاوى وافضل الدين موقع السلطان
طومان باى الدوادار الذى تسلطن وحضر شمس الدين محمد القبسى احد نواب الشافعية
فحضروا كلهم من البحر المالح من دمياط **وفيه** دخل الامير جانم من الخانقاه وسافر
وفيه حضر من اسطنبول المهتار محمد الجوجلى مهتار السلطان الغورى وحضر من التجار
ابن ابى عوانة البرلسى واخرون **وفيه** استقر فى نيابة جدة شخص من تجار الاروام
يقال له عيسى توفر دى نيابة جدة عوضا عن حسين الذى كان بها **وفى هذا الشهر**
ظهر شمس الدين محمد بن ابراهيم الطرابلسى الذى كان متحدثا فى اوقاف الزمامية
وكان له مدة من حين حضر من اسطنبول فى الخفية فظهر والماقرح السلطان سليمان
ابن عثمان عن الامرا الذين كانوا باسطنبول **وفى يوم** الاربعا خامس عشره توفى القاضى محب
الدين النبراوى احد نواب الحنابلة وكان عالما فاضلا علامة فى مذهبه فمات وله
من العمر ماية سنة وسنتان بعدها وهو اخر نواب الحنابلة ممن ولى عن قاضى القضاه
عز الدين العسقلانى وكان لا بأس به وفيه اعتقاد عظيم بالصلاح **وفيه** توفى الشيخ
عبد الصمد خطيب المدرسة الجيعانية وكان لا بأس به **ومن الحوادث** ان فى يوم الجمعة
سابع عشره ثارت فتنة عظيمة بين الاسباهية وبين الانكشارية وغلقوا باب
القلعة ومنعوا القاضى الشافعى ان يطلع الى القلعة ويصلى بملك الامرا صلاة الجمعة
واستمرت هذه الفتنة عمالة بين الفريقين يومين وصارت الانكشارية ينزلون من
من القلعة مشاة ويرتفقون مع الاسباهية فى الرميلة ويجرونهم الى الصليبة
فقتل من الاسباهية شخص من اعيانهم فلما تزايد الامر دخل بينهم اغواتهم والكيخية
الكبير فاصلحوا بينهما فاصطلحا على فساد وخمدت هذه الفتنة ولله الحمد **وفيه** قدمت
الاخبار بان عربان الشرقية قد خرجوا عن الطاعة واظهروا العصيان ونهبوا مغل الضياع
فعند ذلك عين ملك الامرا قايتباى الدوادار وصحبته جماعة من المماليك الجراكسة
بان يخرجوا الى العرب ويحاربوهم فخرج الامير قايتباى من يومه على جرايد الخيل
وتوجه الى بلبيس واقام بها ثم اشيع ان الامير قايتباى قد وقع بينه وبين شيخ
العرب بيبرس بن بقر وكبس عليه تحت الليل فهرب منه واظهر العصيان وتوجه
الى نحو الطور واقام به فلما اظهر العصيان بيبرس بن بقر اضطربت احوال الشرقية الى
الغاية حتى اشيع ان ملك الامرا يخرج الى العربان بنفسه فان سبع طوايف من العربان
كلهم تخالفوا على العصيان والخروج عن الطاعة وهم بنى عطية وبنى عطا وبنى حرام

وغير ذلك من طوايف العربان المفسدين ثم ان ملك الامرا خلع على الامير احمد بن بقر
واستقر به في مشيخة الشرقية عوضا عن ابيه بيبرس **وفي شهر رجب** كان مستهله
يوم الخميس واتفق ان ذلك اليوم كان عيد ميكاييل ونزلت النقطة بالليل مستهل
الشهر فتفال الناس بان النيل سيكون في تلك السنة عاليا مباركا فلما اهل الشهر طلع
القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفي يوم**
الاحد رابعه قبض ملك الامرا على شخص من الاسباهية قتل شخصا من المماليك
السلطانية في محل سكر فنصب على قتله خير الدين بك نايب القلعة وربطوه في
ذنب اكديش وهو على ظهره ثم سحبوه وطلعوا به الى القلعة وشنقوه ومضى امره
وفيه نزل ملك الامرا من القلعة فتوجه الى قصر ابن العيني الذي بالمقشية واقام
هناك الى قرب الظهر ثم عاد وكان له مدة لم ينتزه في الروضة ولا غيرها من المنتزهات
وسبب ذلك من العارض الذي طلع له ولم يختم الى الآن **وفيه** قدم جماعة من اسطنبول
ممن كان هناك من اهل مصر واشيع ان السلطان سليمان نادى في اسطنبول بان جماعة
الاسرا الذي من اهل مصر يرجعون الى بلادهم ولا يتاخر منهم احد وكل من تاخر
منهم شنق ولم يتاخر باسطنبول سوى سيدي علي بن الملك المويد احمد بن الاشرف
اينال وابن السلطان الغوري والناصري محمد بن خاص بك ومن المباشرين محمد بن صلاح
الدين بن الجيعان واخوه من الاعيان وعبد القادر بن الملكي وعبد الكريم اخو الشهابي
احمد بن الجيعان واخوه من اعيان مصر فحضر من جملة من حضر من اسطنبول
القاضي شمس الدين محمد الحلبي احد نواب الشافعية بمصر وولي امانة الحكم ايضا
ومن العجايب انه لما حضر الى القاهرة حصل له توعك في جسده في مدة اقامته في
البحر المالح فلما وصل الى منزله اقام به ليلة واحدة ومات رحمة الله عليه فكان تربته
بمصر وحضر زين الدين المتوفي الموقع وابن عمه افضل الدين وحضر نور الدين علي
ابن عبد الغني مباشر الدشيشة وحضر عبد العزيز الشمسار في البهار وحضر عبد
العظيم بن ابي غالب المباشر وحضر القاضي شهاب الدين احمد بن العيني احد نواب
الحنابلة وحضر شمس الدين محمد بن عبد العظيم احد كتاب المماليك وحضر يحيى بن يحيى
مقدم الخاص وحضر الخواجا ابو بكر الهاشمي وحضر عبد الباسط بن تقي الدين ناظر
الزردخاناه وولده زين وحضر بن الطنتداي يحيى مباشر الديوان المفرد وابن
السبرجي وغير ذلك اخرون **وفيه** قدم شخص من الامرا العثمانية يقال له نصوح
بك فلما بلغ ملك الامرا قدومه نزل اليه ولاقاه من عند تربة العادل ودخل صحبته
وشق من القاهرة وهو راكب عن يمينه فانزله في بيت ازدمر الدوادار ورتب له
في كل يوم ما يكفيه من دجاج وغنم وارز ودقيق وسكر وغير ذلك واشيع انه يقيم
بمصر عوضا عن قرحان الذي قرر في نيابة حماه **وفي يوم** الثلاثا ثاني عشره نزل

نزل اليه ملك الامرا فانعم عليه بخمسة الاف دينار برسم النفقة على جماعته برسم الجوامك
وفي يوم الخميس خامس عشره طلع ابن الرداد ببشارة النيل المبارك فجاءت القاعدة ستة
اذرع وثمانية اصابع **وفي يوم** الجمعة سادس عشره حضر الامير قايتباي الدوادار من
الشرقية وقد تقدم القول على انه توجه الى الشرقية بسبب العربان وفسادهم وعصيان بيبرس
ابن بقر فلما وصلوا الى الطور رجع الامير قايتباي الدوادار الى القاهرة وحضر القاضي بركات
ابن موسى المحتسب صحبته فانه كان توجه الى الشرقية ايضا **وفيه** توجه ملك الامرا الى الجزيرة
الوسطى وسبب ذلك ان الامير تنم الناظر على وقف الدشيشة كان صنع هناك مركبا
عظيما بسبب حمل غلال الدشيشة وكان طولها ماية وعشرين ذراعا وبها قصر وطاحون
وصهريج لتما الحلو ومقعد ومبيت واصطبل للخيل فعرضها على ملك الامرا ثم قلع
اخشابها وارسلها على ظهور الجمال الى الطور ومن هناك يرسلها الى البحر المالح فلما نزل اليه
ملك الامرا مد له مدة حفلة واقام عنده الى قريب الظهر ثم عاد الى القلعة **وفيه** قدمت
الاخبار من دمشق بان جماعة من عربان دمشق ثاروا على نايب الشام الامير اياس بك
فلما خرج اليهم واقتتل معهم انكسر منهم وخرج ورد الى الشام وهو مكسور من العرب
وقتل من عساكر الشام والانكشارية ومن عربان جبل نابلس وكانت فتنة مهولة بدمشق
وفيه نزل ملك الامرا من القلعة وتوجه الى تربة العادل ثم دخل من باب النصر
وشق من القاهرة في موكب حفل والامير نصوح صحبته فلما شق من القاهرة ارتفعت
له الاصوات بالدعا من الناس **وفي شهر شعبان** كان مستهل الشهر يوم الجمعة فطلع
القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى منازلهم **وفيه** قدمت
الاخبار من اسطنبول بان طايفة من طوايف الافرنج يقال لها انكرس قد تخالفوا على
قتال السلطان سليمان بن عثمان **فلما** تحقق ذلك جمع العساكر من كبير وصغير
وخرج من اسطنبول وتوجه الى قتالهم في الجم الكثير من العساكر والفرسان **وفيه** تغير
خاطر ملك الامرا على شخص من الاتراك يقال له قان قلج فسجنه بالعرقانة ووعده
بالتوسيط وكان سبب ذلك انه كان ساكنا في بيت شخص من ابنا الناس وهو ابن
الامير شاهين الجمالي بالاجرة فلم يعطه شيا وسبه سبا فاحشا فطلع ابن
شاهين وشكاه الى ملك الامرا فارسل خلف جان قلج فلم يطلع في ذلك اليوم واستخفى
على قاصد ملك الامرا وعلى قاصد نقيب الجيش فبلغ ملك الامرا ذلك ثم ان جان قلج
طلع بعد ذلك الى ملك الامرا وقابله فقبض عليه وسجنه بالعرقانة وكان تقدم له
مع ملك الامرا واقعة مهولة فاستمر في نفس ملك الامرا منه اشيا وكان جان قلج
عنده بادرة وكلام يابس كثير التجور **ومن الحوادث** المهولة ايضا واقعة سيدي
عمر بن الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جقمق وذلك ان سيدي عمر كان متزوج
بابنة الامير جانم الاشرفي الذي كان نايب الشام وكانت زوجة تمراز الشمسي فكان

لما وزنتر وقف عليها وبها فلاحين فلما تزوج بها سيدي عمر تكلم على جماعتها فقيل انه
جار على فلاحين تلك الوزنتر ولم يمشي لهم امر الشراقي في الحصة فتضرر الفلاحين
لذلك فتوجهوا الى ملك الامرا وشكوا له من سيدي عمر بانه قد جار عليهم واخذ منهم ازيد
من الخراج عن المقطعين بالناحيه فارسل اليه ملك الامرا يقول له انظر في حالهم ولا
تجور عليهم فقال سيدي عمر وايش كان ملك الامرا حتى يدخل بيني وبين فلاحيني في شي
لا له فيه شغل فبلغ ملك الامرا ذلك فتغير خاطره على سيدي عمر فارسل اليه سيدي
ملك الامرا قاصدا فاغلظ عليه في القول ولم يطلع فحنق منه ملك الامرا وارسل اليه
جماعة من الانكشارية فقبضوا عليه غصبا وبهدلوه وطلعوا به الى القلعة فلما دخلوا
الحوش قبضوا عليه وادخلوه العرقانه فسجن بها وبات تلك الليلة واقام بها اليوم
الثاني الى الظهر حتى شفع فيه بعض الامرا فمضى الى داره بعد ان قاسا غاية البهدلة من
الانكشاريه فما شكر احد من الناس ملك الامرا على هذه الفعله الفاحشه على شي لا يستحق
ذلك كله وفي هذا الشهر كانت وفاة الشيخ زين الدين المزي وكان صالحا معتقدا
دينا خيرا وله اشتغال بالعلم وكان يقيم بمقام الامام الشافعي رضي الله عنه وكان
لا باس به وفي يوم الخميس ثامن عشرين هذا الشهر قدم مخص من عند السلطان سليمان
ابن عثمان يقال له محمد بن ادريس ويعرف بتلغنسز الدفتركار وصحبته مخص يقال
له الامير كمال فلما وصل الى تربة العادل نزل اليه ملك الامرا ولاقاه من هناك
ثم دخل هو واياه من باب النصر وشق من القاهرة في موكب حفل وقدامه الانكشارية
والطلبة مشاة يرمون بالنفوط فاستمر في ذلك الموكب حتى طلع الى القلعة وانزل
الدفتردار في بيت الامير خيربك الدوادار الذي في حدرة البقر ومد له هناك
مدة حفلة وانزل الامير كمال في مكان اخر واشيع ان الامير كمال حضر انه يروم الحج
الى بيت الله الحرام والدفتردار حضر بسبب ضبط مال الثغور من الجهات المصرية
وفي شهر رمضان كان مستهله يوم السبت وكان الهلال عسر الرويه على خمس
درج وقيل على اربع درج فراه بعض الناس وثبت على القاضي زكريا وركب القاضي بركات
ابن موسى من المدرسة المنصورية بعد المغرب وقدامه المشاعل والفوانيس وشق
من القاهرة في موكب حفل على العاده وفي يوم السبت مستهل الشهر كان وفا النيل
المبارك اوفى الله الستة عشر ذراعا وستة اصابع من الذراع السابع عشر ثم فتح السد
يوم الاحد ثاني شهر رمضان الموافق لحادي عشر مسرى ووقع مثل ذلك في دولة
الاشرف قايتباي ان السد فتح في اول يوم من رمضان فلما اوفى النيل نزل ملك الامرا
الى المقياس وخلق العامود ونزل في الحراقة وتوجه الى السد ففتحه على جاري العادة
وكان اليوم مشهودا من الزحمة والقصف كما يقال في المعنى

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض عطفوا على نهر ازاهره

والوفا عمود من اصابعهم * مخلق تملا الدنيا بشايره
وفي يوم الثلاثا رابع شهر رمضان صعد الدفتردار محمد بن ادريس الى القلعة واجتمع
الامرا العثمانيه بالقلعة وقروا عليهم مرسوم السلطان سليمان ابن عثمان فكان من مضمونه
التوصية بالرعيه غاية الوصية وان ملك الامرا ينظر في اصلاح المعاملة من الذهب
والفضه فوقع في المجلس بعض تشاجر بين الدفتردار وبين ملك الامرا بسبب ذلك
فقال ملك الامرا انا ما اغير معاملة السلطان سليم شاه ولا اخرج عما وقع في ايامه
بان الاشرفي الذهب يصرف في المعاملة بخمسين نصفا على العاده ثم ان ملك الامرا
رسم باحضار التجار فلما حضروا الى القلعة تكلموا معهم في امر صرف الاشرفي الذهب
الواسع بخمسين نصف فضه فتضرروا من ذلك وقالوا ما يوافقنا احد من الناس على
ذلك وانفض المجلس مانعا من ذلك ثم ان القاضي بركات بن موسى المحتسب تكلم
مع ملك الامرا بان يصرف الاشرفي الذهب بخمسة واربعين نصفا وقيل بخمسة واربعين
عثمانيا في البيع والشرا بخمسة واربعين نصفا فوقع الاتفاق على ذلك ونودي
في القاهرة بذلك فسكن الاضطراب قليلا ثم ان القاضي بركات جعل القاضي حمزة
العثماني متكلما على دار الضرب ثم بعد ذلك لم يتم امر صرف الاشرفي الذهب
الواسع بخمسة واربعين نصفا وصار يصرف باربعين نصفا وعز وجود الفضة جدا
وصار الاشرفي الذهب يصرف بمشقة زائدة من السوقة وحطوا فيه الصنف فضة
والصنف فلوس جدد وحصل للناس الضرر الشامل وفيه قدمت الاخبار من
اسطنبول بان وقع فيها طاعون عظيم وصار يموت بها في كل يوم ما لا يحصى
توجه الدفتردار الذي حضر الى ثغر دمياط والبرلس وثغر الاسكندرية ايضا
بسبب جبي الاموال التي اضيفت الى خزاين الخنكار بالروم وتوجه الدفتردار وصحبته
القاضي حمزة وفي يوم السبت خامس عشرين رمضان قدمت الملكة خاتون عمة السلطان
سليمان بن عثمان وولدها مصطفى صحبتها واشيع انها قدمت الى مصر تروم الحج
الى بيت الله الحرام فاكرمها ملك الامرا غاية الاكرام وانزلها في مكان مطل على بركة
الفيل ورتب لها في كل يوم اسمطة حفلة لها ولجماعتها الذين قدموا معها من بلاد
الروم وفي يوم الخميس سابع عشرين رمضان كان يوم النوروز وهو اول يوم من السنة
القبطية وهي سنة سبع وعشرين وستماية القبطية وكان اولها يوم النوروز
وفي ذلك اليوم بلغ النيل في الزيادة سبعة عشر اصبعا من تسعة عشر ذراعا
واستمر الا في الزيادة وفي سلخ شهر رمضان حضر الدفتردار محمد بن ادريس
الذي كان توجه الى دمياط بسبب جبي الاموال التي اضيفت الى خزاين الخنكار فلما
وصل الى بولاق نزل اليه ملك الامرا ولاقاه من هناك واستمر معه حتى وصله
الى منزله وفي شهر شوال كان عيد الفطر يوم الاثنين وقد ثبتت رؤية الهلال

بسبب ان هلال رمضان ثبت على القاضي زكريا احد نواب الشافعيه وشكوا الناس
في ذلك وقالوا ان ذلك اليوم الذي صاموه كان اخر يوم من شعبان ووقع الشك
بسبب ذلك وما قاسى القاضي زكريا خيرا من الناس بسبب ان هلال رمضان ثبت
عليه وكانت المباشرة حكموا بانه لا يرى في تلك الليلة ابدا فلما كان هلال شوال
ارسل ملك الامرا يقول للقاضي الشافعي انتم اثبتم هلال رمضان على اربع وعشرين وقد
شكوا الناس في ذلك فما تعملوا في هلال شوال فارسل يقول له قاضي الشافعي هلال
رمضان قد ثبت حقا وقامت فيه البينة وزكيت وهذا من شوال محقق ثم ان قاضي
الشافعي نادى في القاهرة غدا من شوال وهذا ما اتفق قط ان ينادى غدا من شوال
فعد ذلك من النوادر وكان موكب العيد حفلا بالقلعة **وفيه** كان دخول زوجة المقر
الشهابي احمد احد المقدمين الالوف وهي التي كانت زوجة الامير قاني باي
الخازندار احد الامرا المقدمين وكانت غير محمودة السيرة في افعالها وقبل ذلك
بمدة يسيرة تزوج القاضي ابو بكر بن الملكي بابنة الامير قانصوه المعروف بابي
سنة احد الامرا المقدمين ولا ينكر ذلك عليهم في هذا الزمان **وفي يوم** الخميس ثاني
عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة في تجمل زائد وكان امير ركب المحمل الامير جانم
كاشف الفيوم وخرج صحبته الملكة خاتون عمة السلطان سليمان وولدها
مصطفى بك فطلب الامير جانم طلبا حفلا وكان به ستة عجلات يجرها
الاكاديش وعليهم مكاحل نحاس ومدافع حجر بسبب قتال العربان الذي في طريق
الحجاز فانه كان في السنة الماضية في غاية الاضطراب بسبب فساد العربان
وفي يوم الاربعا رابع عشرينه نودي في القاهرة عن لسان ملك الامرا بان لا مملوكا
ولا عثمانيا يلبس زنطا احمر وحتى اولاد الناس ايضا ومن لبس زنطا بعد المناداه
شنق من غير معاودة في ذلك ثم اشيع ان ملك الامرا راى عبيد وغلمان يجمقدارية
وهم بزنوط حمر فقال امسكوا بهم الى الوالي يشنقهم حتى شفع فيهم بعض الامرا ثم اشيع
بان بعض الامرا رسم للامرا الجراكسه بانهم لا يلبسوا سرموجة تركي ولا يطلعوا
الى القلعة وهذا كله عين المقت للجراكسه وبغضا فيهم قاطبة **وفي يوم** السبت
سابع عشرينه وذلك الموافق لاول يوم من مسرى من الشهور القبطيه ثبت النيل المبارك
على ثلاثة وعشرين اصبعا من عشرين ذراعا فكان منتهى الزيادة عشرين ذراعا الا اصبعا
واحدا وكان نيلا عظيما الى الغاية وللناس مدة طويلة ما راوا نيلا مثل هذا فتفتكت
الناس في الفرجة والقصف وسكن غالب بيوت الجسر بعدما كان آل الى الخراب
وتهدمت بيوته وكاد ان يبقى مثل الجزيرة الوسطى في الخراب **وفي شهر ذي القعدة**
كان مستهله يوم الاربعا فطلع القضاة الاربعة الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر
ثم عاد الى داره **وفي يوم** الجمعة ثالثه نودي في القاهرة عن لسان ملك الامرا

بان للامير

بان لا امير من الجراكسه ولا خاصكي يركب وخلفه بغل وعليه قماش راكب بل يمشي على
طريقة العثمانيه في افعالهم باخذ الغلام القماش على كتفه ويمشي قدامه **وفي يوم**
الاربعا ثامن الشهر نفق ملك الامرا الجامكيه على المماليك الجراكسه بعد ما عوق
جوامكهم وعليقهم ستة اشهر واخرهم ثلاثة اشهر ولم يصرف لهم العليق فقبض في
ذلك اليوم كل مملوك من الجراكسه احد عشر اشرفي ذهب باشرفيين فضه فحسبوا
في صرف كل اشرفي عشرة انصاف فضة فكانت حساباتهم في الشهرين اشرفي خمس اشرفيه
ونصفين فضه فحصل لهم الضرر الشامل بسبب ذلك بعد صبرهم ستة اشهر
بلا جامكيه ولا عليق فاصرف لهم ثلاثة اشهر واخرهم ثلاثة اشهر واخر العليق عليهم
واشيع ان الديوان مشحوت غاية الانشحات وان ملك الامرا عليه ستين الف دينار
والمباشرين استخرجوا من البلاد القسط الاول اربعة اشهر معجلا من مغل سنة سبعة
وعشرين وتسعمايه القبطيه قبل ان يجي النيل ويزرعوا الفلاحين ويودي الاراضي
فحصل للفلاحين غاية الضرر من ذلك ورحل بعض فلاحين بسبب ذلك من الظلم
والجور وقد انحط سعر الغلال عن ما كانت اولا من الارتفاع وكان سبب انشحات
الديوان من اشيا توجب ذلك فان المال الذي يجي ينقسم على سبع طوايف من العسكر
وهم المماليك الجراكسه وامراهم الذين ناخذوا بمصر ثم الصوباشيه والانكشارية
والكملية ثم الاسباهيه وامراهم ثم مماليك ملك الامرا وذلك خارجا عن كلفة من
يرد من المملكة الرومية من القصاد والمترددين من اسطنبول وغيرها فكان ملك
الامرا ينعم عليهم بالعطايا الجزيله وقد بلغني ممن اثق به ان كان متحصل مصر في
دولة ابن عثمان لما ملكوها الف الف دينار وثلاث مايه الف دينار ومن الغلال
ستمايه الف اردب منها قمح ثلثمايه الف اردب وثلثمايه الف اردب شعير وفول
وغير ذلك واين هذا القدر مما كان يحمل من خراج مصر في الزمن القديم **نقل** الشيخ
تقي الدين المقريزي في الخطط قد بلغ خراج مصر مايه الف الف دينار وثمانين الف
الف دينار وكان جملة خراجها في زمن الفراعنة الف الف دينار بالدينار الفرعوني وهو
ثلاث مثاقيل من مثاقيلنا الآن وكانت مساحة اراضي مصر في زمن الفراعنة مايه الف
الف فدان وثمانين الف الف فدان تزرع غير البور وجبي خراج مصر في زمن عمرو
ابن العاص على يد عبد الله بن ابي سرح في صدر الاسلام اثنى عشر الف الف دينار
غير الدنانير المعمول بها الآن وجبي خراج مصر في ايام الامير احمد بن طولون مع
وجود الرخا اربعة الاف الف دينار وثلثمايه الف دينار غير ما يتحصل من
المكوس والغلال وجبي خراج مصر في ايام الاخشيدية فكان الفي الف دينار
غير دنانير الآن وجبي خراج مصر في ايام الملك الظاهر بيبرس البندقداري
فكان اثنى عشرة الف الف دينار ثم تلاشى الاحوال بمصر وانحطاط خراجها

الى ذلك وكان موجب انحطاط الديوان فى ايام ملك الامرا خاير بك ان الاسباهية والانكشارية
والجملية لما استقروا بمصر رتب ملك الامرا جوامك فى كل شهر فكان يعطى جماعة من
الاسباهية فى كل شهر ستين دينارا وجماعة منهم خمسين دينارا وجماعة منهم اربعين
دينارا وجماعة منهم ثلاثين دينارا وباقيهم عشرين فى كل شهر واما الانكشارية فكان الغالب
فيهم من كان جامكيته كل شهر خمسة عشر دينارا وباقيهم اثنى عشر دينارا فى كل شهر **واما**
الصوباشية فلهم فى كل شهر ثلاثين دينارا لكل واحد **واما** الجملية فكان الغالب
فيهم من كان جامكيته فى كل شهر اثنى عشر دينارا وباقيهم عشرة دنانير وجماعة منهم
ثمانية دنانير فى كل شهر وهذا كله خارج عن جامكية ملك الامرا **واما** المماليك
الجراكسة فان ملك الامرا رتب لكل واحد منهم سبعة دنانير فى كل شهر نظير الجامكية
واللحم وذلك خارج عما رتب للامرا الجراكسة القاطنين بمصر وذلك خارج عن انعام
ملك الامرا للمترددين من المملكة الرومية وغيرها حتى قيل كان يصرف من ملك الامرا
على ما ذكرناه فى كل سنة نحو الف الف دينار وستمائة الف دينار فبواسطة ذلك
كله ضاق الحال فتصرف الجوامك فى كل شهر **واما** المال الذى كان يرد من ثغر الاسكندرية
ودمياط والبرلس وجدة وغير ذلك من الثغور فانه كان يحمل على خزاين السلطان سليم
شاه وولده السلطان سليمان فلا يتصرف ملك الامرا فى شى من ذلك وما كان يتحصل
غير خراج الشرقية والغربية والبحيرة وجهات الصعيد فقط لا غير فان قال قايل
بان السلطان الغورى كان يبد امر الجوامك فى كل شهر وكان العسكر اكثر من ذلك
والامرا اربعة وعشرون مقدم الف غير الامرا الطبلخاناة والعشراوات والخاصكية
دون الف خاصكى اقول بان السلطان الغورى كان يتحصل له بكثرة المصادرات
للمباشرين واعيان التجار وغير ذلك من مساتير الناس وكان يرد عليه اموال الثغور
واموال البلاد الشامية والحلبية والطرابلسية وغير ذلك والآن البلاد الشامية
والحلبية والطرابلسية فى غاية الاضطراب ولم يرد منها شى من الاموال فبموجب
ذلك ضاق الامر بالمال على ملك الامرا ونرجو من الله تعالى اصلاح الحال **وفى يوم**
الاثنين ثالث عشره خرج الدفتردار محمد بن ادريس وتوجه صحبته الى تربة العادل
وكذلك الكرماطية وخرج صحبته جماعة كثيرة من الاسباهية والانكشارية
فتوجه طايفة منهم فى البحر واشيع انهم توجهوا الى اسطنبول بطلب من السلطان وقد
بلغه انهم يشوشوا على اهل مصر غاية التشويش فارسل اخذ منهم خمسماية انسان
من الاسباهية والانكشارية واراح الله المسلمين منهم فانهم كانوا من كبار المفسدين
فخرج الدفتردار فى ذلك اليوم فى موكب حفل لما تقدم **وفيه** كانت وفاة الناصرى
محمد بن الامير جانى بك كوهيه وكان رئيسا حشما دينا خيرا من اولاد الناس حسن
السيرة لا باس به **وفيه** قدم من اسطنبول السيد محمد بن الكويز وكان توجه الى نحو

اسطنبول مع جملة من اسر من اهل مصر فلما افرج السلطان سليمان عنهم حضر الى مصر
وكان حسن السيرة فى امر المحدث فى امر الحوادث **وفى يوم** الثلاثا رابع عشره حضر
اولاد من عند السلطان سليمان وعلى يده مراسيم تتضمن انه قد انتصر على الافرنج نصرة
عظيمة وفتح عدة مداين من مداين الافرنج وملك عدة قلاع من قلاعهم وصار كل ما يملك
مدينة من مداينهم يجعل كنايسهم جوامع بمحاريب ومنابر وخطب باسمه فيها وكانت
هذه النصرة على غير القياس **فلما** تحقق ملك الامرا ذلك رسم بدق البشاير فى القلعة
ونادى فى القاهرة بالزينة فزينت سبعة ايام متوالية ففتك الناس فى هذه الزينة
فتكا ذريعا حتى خرجوا فى ذلك عن الحد وتجاهروا بالمعاصى ليلا ونهارا وفى هذه
النصرة يقول الاديب البارع محمد بن قانصوه من صادق واجاد حيث قال

اهدى سليمان من مليك ... ليس له فى الورى مقايس
اذكر ساداتها وهدت ... من دوسه وهو خير دايس
ومنه صادت لخير دين ... مدارسا الحسن كالعرايس
مذ سلطت جوده عليها ... وصيرت حبها الكنايس
من اجل ذا زينت سرورا ... مصرا واضحت زكا وآنس
وادمات وهى فى رخاء ... ثغور بشر لكل بايس
والناس فى نزهة عليها ... كنزهة العرس والعرايس
لكونه نصرة شراها ... سلطان ذا العصر بالنفايس
وبعد فى ردوس سيندوا ... ويحترها اهل النجايس
وهو بسيفنا الاله تنصرا ... فى عنق المشركين ما يس

وفى الحوادث الشنيعه ما وقع يوم الجمعة سابع عشره وهو ان القاضى بشر احد
نواب الحنفية اخذ تدريسا فى المدرسة الجمالية وسكن هناك فلما زينت القاهرة
اتى الى بيته ثلاث يباشرين من النصارى ليتفرجوا على الزينة فسكروا هناك سكرا فاحشا
وتجاهروا بالمعاصى حتى خرجوا فى ذلك عن الحد فارسل القاضى بشر يزجرهم عن ذلك
فاسمعوه الله شيئا وتزايد منهم الحال فجاء بنفسه واغلظ عليهم فى القول وسبهم فسبوه
ولخشوا فى السب له وسبوا دين الاسلام علنا قيل فارسل القاضى بشر من قبض عليهم
وتوجه بهم الى المدرسة الصالحية وحضر قضاة القضاه الاربعة وكان ذلك اليوم
يوم الجمعة قبل الصلاة فلما حضر قاضى القضاه المالكى محيى الدين بن الدميرى فثبت
عنده البينة بما وقع من النصارى فى حق القاضى بشر الحنفى توقف القاضى المالكى
فى قتل النصارى ثم قال يجب عليهم التعزير لانهم كانوا سكارى وكذلك قال نقيب القضاه
فلما سمع القاضى بشر بذلك وقضى الدين بن الدهان الحنفى كبر واعلى القضاه واغلظوا
عليهم فى القول وعلى قاضى القضاه المالكى واجتمع بالمدرسة الصالحية الجم الكثير منهم

العوام فهموا بان يرجموا القضاه في ذلك اليوم وما حصل على قاضي القضاه المالكي
في ذلك اليوم خير من السنه العوام ثم ان بعض الانكشاريه قبض على النصارى واخرجوهم
من المدرسة الصالحية فلما اخرجوا بهم قطعوهم بالاطبار قطعا قطعا ثم ان النصرا في
الثالث اسلم وخاه بعض الانكشاريه من القتل فلما قطعت النصارى اجتمع السواد الاعظم
من العوام بباب المدرسة الصالحية واخذوا دم النصارى واحرقوهم تحت شباك المدرسة
الصالحية واطلقوا فيهم النار واخذوا السقائف الذي على الدكاكين ووضعوها عليهم
واشعلوهم بالنار فاحترقوا وصاروا كالرماد فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم
اشد الاضطراب حتى كادت ان تخرب وقصدوا العوام ان يرجموا القضاه وقتلوا
هولا النصارى واحرقوهم بالنار بغير حكم ولم يثبت عليهم في الشرع قتلا وفعل ذلك
العوام بايديهم جهلا وعدوانا **وفي يوم** الخميس ثالث عشرينه توجه ملك الامرا
الى بحر الجزيرة بالقرب من المقياس واقام بها في ذلك اليوم على سبيل النزهه فارسل
اليه القاضي بركات بن موسى المحتسب هناك مده حفلة فتعدى ملك الامرا
ورسم بان الذي فضل من المده يحمل الى القلعة وقد فضل منها اشيا كثيرة ثم ان ملك
الامرا خلع على القاضي بركات بن موسى قفطان مذهب وشكر له ما صنعه من
تلك المده **وفي يوم** الاحد سادس عشرينه رسم ملك الامرا بشنق شخص من المماليك
الجراكسه قيل هو من مماليك امير اخور كبير وقيل هو خازنداره وكان شابا حسنا
فشق ذلك على الاتراك قاطبة وشنق في ذلك اليوم اربعة من الحرامية وقد تزايد شرهم
في هذه الايام **وفيه** اشيع بين الناس ان الانكشاريه الذي كانوا بالقاهرة وتوجهوا
الى اسطنبول فلما دخلوا الى اسكندريه وقع بينهم هناك فتنة عظيمة وقتل منهم جماعة
فلما بلغ ملك الامرا ذلك تنكد لهذا الخبر وعين الكيخيا الكبير اغاتهم يسافر الى
الاسكندرية في ساعته حتى يصلح بينهم ويكشف عن اصل هذه الفتنة ومن اثارها
من الانكشارية او من الكملية الذي سافروا من القاهرة فتوجه الكيخيا الى ثغر الاسكندرية
بسبب ذلك **وفي شهر ذي الحجة** اهل يوم الجمعة فطلع القضاه الاربعة وهنوا
ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى دورهم **وفي يوم** السبت المبارك ثانيه فيه حضر
قاصد من مكة وصحبته راسين في علبة منقولة زعموا ان الاولى راس شخص يقال له
اسكندر وكان اصله من مماليك السلطان الغوري فلما ارسله صحبة التجريدة
التي ارسلها الى بلاد الهند بسبب محاربة الشيخ عامر متملك زبيد وعدن وكمران
فلما توجهوا العسكر الذي ارسلهم السلطان الغوري تحاربوا معه فانكسر منهم وقتل
في المعركة فملكوا منه البلاد واموالها ثم ان اسكندر المذكور ملك بلاد الشيخ عامر وتسلطن
بها وعصى على السلطان الغوري وجعل له هناك امرا وعسكر وخطب باسمه
على منابر بلاد الشيخ عامر واستمر على ذلك ولم يدخل تحت طاعة السلطان سليم شاه

ابن عثمان لما ملك الديار المصرية ولم يخطب باسمه ولم يضرب السكة باسمه هناك
فلم يزل نائب جدة يتحيل عليه حتى قتله وحز راسه وارسلها الى القاهرة فعرضت
على ملك الامرا وهو بالميدان ثم ان ملك الامرا شهر تلك الروس في القاهرة والراس
الاخرى قيل انها راس دواداره او وزيره ثم علقت تلك الروس على باب النصر وكان
اسكندر هذا شجاعا بطلا مقداما في الحروب قوي القلب ملك البلاد واحتوى على اموالها
وفرقها على عسكره وجعل له امرا وحجاب ودوادارية ولولا احتالوا عليه حتى قتلوه
لما كانوا يقدرون عليه من شجاعته وحيله **وفيه** وقع نادرة غريبة وهو ان حضر قاصد
من اسطنبول الى الشام ثم حضر الى القاهرة فلما استقر بها اظهر مراسيم من عند
السلطان سليمان واحضر معه ذراعا من الحديد يزيد على الذراع الهاشمي الذي تتعامل
به اهل مصر بخمسة قراريط واحضر معه صنج نحاس وارطال على طريقة اسطنبول واشيع
ان السلطان سليمان ابن عثمان رسم بابطال الذراع والصنج الذي يتعامل به اهل مصر
وان التجار وارباب البضائع لا يبيعوا ولا يشتروا الا بهذا الذراع وهذه الصنج فامتثل
ملك الامرا ذلك واجاب بالسمع والطاعة ورسم للقاضي بركات بن موسى المحتسب
بان ينادي في القاهرة حسبما رسم الخنكار بابطال الذراع الهاشمي من مصر واستعمال
الذراع الاسطنبولي فنزل المحتسب مع الوالي ونادوا في القاهرة بذلك ثم ان
القاضي بركات ابن موسى المحتسب كتب قسايم على التجار انهم لا يبيعون ولا يشترون
الا بهذا الذراع الاسطنبولي فشق ذلك على التجار وارباب البضائع فلما اشهر المحتسب
المناداه بذلك وان كل من خالف مرسوم الخنكار شنق على دكانه من غير معاودة
ثم صارت رسل المحتسب تطلع الى دكاكين التجار الذي في الاسواق وتاخذ الاذرعة
الحديد وترميها في الطرقات فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم اشد الاضطراب
ثم صاروا يكرروا المناداه بذلك في امر المعاملة بتلك الذراع الاسطنبولي
واستمر ذلك في البيع والشرا الى الان **وفيه** وقع كاينة عظيمة للوكلا الذي بالمدرسة
الصالحية وكان سبب ذلك ان شخصا من الوكلا يقال له علي الازهري توكل على
شخص من اليهود في شغل فاخذ منه في ذلك الشغل اربعين دينارا وقيل خمسين دينارا
فلما بلغ المحضر الذي في المدرسة الصالحية ذلك طلب علي الازهري وساله عن ذلك
فانكر وقال ما اخذت منه هذا القدر ابدا وحلف واقسم فحنق منه المحضر وامر بضربه
بين يديه ثم ان المحضر طلع الى ملك الامرا واخبره بامر الوكلا وما يصنعون ثم رسم
باحضار ساير الوكلا فاختفى منهم جماعة وقبضوا على اربعة منهم وهم علي الازهري
ومسعود وسالم والحكري فطلعوا بهم الى القلعة وعرضوهم على ملك الامرا فاستوعدهم
بكل سوء ثم ارسلهم الى بيت الوالي الى سجن الديلم فسجنوا به الى ان يظهر القضية وكان
الذي رافع في الوكلا واشتكاهم بدر الدين بن الوري وتعصب معه خير الدين نايب

نقلعه وقال لملك الامرا هذه الافعال التي تفعله الوكلا في المدرسة الصالحية لا تحل
ولا تجوز فاضطربت احوال القضاة الى الغاية ثم ان الوكلا الذين يحضروا في مجي الدبلم
شنع عليهم القاضي حمزة وقبل الامير على احد الامرا العثمانية ثم اقامت الوكلا في مجي ايام
ثم احتجوا منه **وفيه** نودي في القاهرة عن لسان ملك الامرا بمنع الصيارف الحجازيين
قاطبة ان لا يصرفوا دينارا ذهبا فانه قد اشيع عنهم ان جماعة منهم يصنعون الزغل
في الذهب والفضة ويطيرونها على الناس في الصرف فمنعوا من ذلك **وفيه** قدم
قاصد من عند السلطان سليمان بن عثمان يقال له قاسم بك وعلى يده مرسوم شريف
فكان من مضمونه انه انتصر على الافرنج نصرة ثانيه وملك منهم عدة قلاع وقد ظفر
بجماعة منهم وقتلهم فلما تحقق ملك الامرا ذلك نادى في القاهرة بالزينه ثم زينت
ووافق ذلك اليوم يوم عيد النحر فحصل للناس المشقه الزايده بهذه الزينه
واشتغلوا بذلك عن الاضحية والعيد ووقع في ذلك اليوم مطر غزير فاعدم قماش
الناس الذي زينوا به وصار الوالي يبطح الناس على الارض ويضرب الذي ما زين دكانه
فما حصل على احد من الناس خير واستمرت الزينه معلقه الى ان نزل ملك الامرا
وتوجه الى بولاق بسبب ملاقاة القاصد الذي حضر من البحر فطلع من سوق مرجوش
وشق القاهرة وهي مزينة والقاصد صحبته ومشى القاضي بركات بن موسى
المحتسب قدامه بعصاه الى ان طلع الى القلعة واوقدوا له الشموع بالدكاكين بالنهار
فاستمر في ذلك الموكب الى ان طلع الى القلعة ثم فكت الزينه في ذلك اليوم وانقضى
امرها **وفي يوم** السبت سادس عشره جلس ملك الامرا بالمقعد الذي بالحوش السلطاني
وطلب قضاه القضاه الاربعة فلما حضروا احضر القاضي حمزة قاضي ابن عثمان فلما
تكامل المجلس تكلم ملك الامرا مع القضاه في امر نوابهم وما يفعلون وفي امر
الوكلا فوقع في ذلك المجلس غاية ما يكون من اللغط وكان القاضي حمزة في ذلك المجلس
اشد ما يكون على القضاة بكل ما فيه بسبب نوابهم وصار يقول لهم نوابكم يفعلون
ما هو كيت وكيت فحنق ملك الامرا على القضاه بكل ما فيه بسبب نوابهم وقد كثر
اللغط فتكلم معهم ملك الامرا في ذلك فوقع الاتفاق في المجلس بان كل قاضي من القضاه
الاربعة يقتصر على اربعة من النواب لا غير على عدد ايام الجمعة والقاضي من النواب
يجلس في بيت قاضي القضاة في نوبته ويسمع الدعوى هناك بمفرده وان القاضي
اذا عقد عقد نكاح ياخذ على من تزوج البكر ستون نصفا وعلى الثيب ثلاثون نصفا
ياخذ العاقد شيا والشهود شيا والبقيه يحمل الى بيت الوالي ولا يتزوج احد من
الناس ولا يطلق الا في بيت احد من القضاه الاربعة وان الوكلا تبطل قاطبة من
المدرسة الصالحية فانفض المجلس على ذلك وقامت القضاه فقيل لهم امشوا على
النسق العثماني فاضطربت احوال القضاه والشهود قاطبة وبطلت اسبابهم

ومشوا على هذا الحكم وصار مقدم الوالي والجلبية يأتون في كل يوم من ايام الجمعة
ويجلس في بيت كل قاضي من القضاه الاربعه الى بعد العصر وياخذ ما يتحصل من عقود
الانكحة ويمضي به الى بيت الوالي كما تقرر الحال على قواعد النسق العثماني فصار الذي
يتزوج او يطلق تقع غرامته نحو اربعين اشرفيه فامتنع الزواج والطلاق في تلك الايام
وبطلت سنة النكاح والامر لله تعالى **وفيه** نزل من القلعة القاضي بركات بن موسى
المحتسب واشهر المناداه في القاهرة وصحبته الوالي بان لا قاضي ولا شاهد يحكم في
المدرسة الصالحية وان لكل قاضي من القضاه اربعة من النواب لا غير يحكم كل نايب يوما
في بيت قاضي القضاه الاربعة ويسمع الدعوى في بيت مستنيبه وان لكل نايب من النواب
شاهدين لا غير وان القاضي ياخذ على نكاح البنت البكر ستين نصف فضه وياخذ
على الثيب ثلاثين نصفا وان ساير النواب والشهود بطالة عن الاحكام الشرعيه وهذا
حسبما رسم به ملك الامرا والمشي على النسق العثماني **فلما** سمع ذلك الناس اضطربت
احوالهم غاية الاضطراب ولا سيما النواب والشهود حصل لهم الضرر الشامل وصارت
المدرسة الصالحية ليس يلوح بها قاضي ولا شاهد بعدما كانت قلعة العلما **وفي
هذه الواقعة** يقول البدري بدر الدين محمد بن محمد بن الزيتوني احد نواب الشافعيه
وظيفته الحكم العزيز بالديار المصرية هذه القطعة وهي من فن الزجل في معنى هذه
الواقعة ، اسمعوا ما جرى في مصر وابكوا بدموع غزار ، كان شعار الدين ظاهر كمثل الشموس ،

، والمجالس من الناس في جلوس ، مثل اقمار ترتاح اليها النفوس ،
، هم جمال الاسلام ونفع النفوس ،
، اختفت ذي الشموس بظلم النهار ، وقضاه الاسلام محو رسمهم ،
، والشهود اختفوا وضاع اسمهم ، صار على العقد جاليه وسمهم ،
، وقضاه القضاه بتوسيمهم ، طول الايام مع الايمن في انحصار ،
، ثم دوا جالية على المسلمينا ، في العقودات صارت خفايفينا ،
، فاعتبروا يا اولي الابصار ،
، قلعة الدين صالحية مصر ، فخلوها وندرابيها العابر ،
، وفي هذي الامور تحير الفكر ، كل هذا عبرة لاهل النظر ،
، يا الهي عجل باخذ الثار ،
، علما المسلمين بالازهر ، خرجوا ابتهالوا الحلمين جهر ،
، بمصاحف واعلام وجمع اكبر ، يرفع للمظلمة فما تنتهر ،
، عاد وابدعوا عليه بجار مع صغار ،
، في الاحاديث قد سطروا بالقلم ، حاش يفلح من عاب ومن قد ظلم ،
، عن قريب تسمع على الذي تقدم ، من يعادي اهل العلم يندم ،

من بعضهم قد ابغض الجبار

يا حليم حكامنا قد طغوا بالجود ۔ وافسدوا وعدوا الحدود
صارت الناس منا عدم في الوجود ۔ يهدلوا اللذين سال الدمع بالخدود

يا الهي لا تكشف الاستار

الحوانيت فيها المحرم جهار ۔ وبنات الخطا تنتف بالنهار
ويزدحم على ذى العثرار ۔ والمجالس تمتنع من اهل الوقار

هذا يرضى من من الكفار

من يبيع منكر هو الى طاير ۔ قالوا اما شى سبب من الاسباب
والحشايش والنبيذ والطيطا ۔ ما يحبه الفتى لا من طاق ولا من باب

قوموا نتسبب نبيع لنا امزار

ضجت الناس لما راوا ذى الحرقا ۔ والمنادم وما حدث فى الفسق
واستباحوا النكاح بهذا النسق ۔ وفسد حالهم وزاد الحنق

قالوا وانطق هذا العيار

سادس العشر شهر ذى الحجة ۔ عام سبعة وعشرين جرت ضجة
ثانى عشر سنه حصل وهجه ۔ للشهود والقضاه بلا حجه

ينصر الله الدين على الفجار

وهذه القطعة الزجل مطولة وهذا ما وقع عليه اختيارى منها **ومن الحوادث** ما وقع فى اواخر الشهر وهو يوم الاحد خلع ملك الامرا على شخص يسمى جمال الدين يوسف ابن ابى الفرج ويعرف بابن الحاكية وهو ابن محمد الذى كان نقيب الجيش من اولاد ابن ابى الفرج واستقر فى وظيفة التفتيش عن الوزنا **فلما** تقرر فى هذه الوظيفة احذ حذره منه ساير اعيان الناس ودخلت راسهم منه الجواب فلما استقر نادى له ملك الامرا عن لسانه حسبما رسم ملك الامرا ان لا احدا من الناس يحتمى على الامير جمال الدين يوسف بن ابى الفرج ولا يعارضه وانه مسموع الكلمة وافر الحرمة فلما جرى ذلك طغى الامير يوسف بن ابى الفرج وتجبر وصار معه الجم الكثير من الرسل والبرددارية وصار يطلب اعيان الناس من رجال ونسا بالرسل الغلاظ الشداد فاذا حضروا الى بابه وعمهم مكاتيبهم وربعاتهم فاذا قراهم يجحش لهم فيها ويتول لهم اردنى اصولهم واصول الاصول فاذا عجزوا عن ذلك يرسلهم الى بيت القاضى الحنفى ويشهد عليهم ان لا حق لهم فى هذه المكاتيب ولا استحقاقا وياخذ منهم ما معهم من المكاتيب والربعات ويمضوا اخا بيابين فيطلع بالمكاتيب والربعات الى ملك الامرا فعمل من هذا النمط بجماعة كثيرة من اعيان الناس واخذ من الجمالى يوسف نقيب الجيش بن الترقى يوسف نقيب الجيش سبعة عشر رزقه

بمكاتيب شرعية وحذف عليه ملك الامرا ما عنده من المكاتيب جميعها وطلع له بها ونعل بجماعة كثيرة من اعيان الناس والستات مثل ذلك والامر لله تعالى **وفيه** حضر موكب من الاغربة التى كان عمرها ملك الامرا وارسلها صحبة الاروام والمغاربة البحارة فلما دخلوا الى البحر المالح وجدوا جماعة من الفرنج يعبثون فى سواحل البحر المالح فارتقوا معهم وقاتلوهم فانكسروا الافرنج وقبضوا عليهم واسروهم واحتووا على مراكبهم فوجدوا فيها بضايع وجوخ واصناف فاخرة فاخذوا جميع ما كان فيها وقبضوا على من كان فيها من الافرنج ووضعوهم فى الحديد وارسلوهم الى ملك الامرا فلما عرضوا عليه وسر بتوسيطهم فوسطوا منهم تسعة عشر رجلا وسجنوا الباقين واخذ ملك الامرا جميع اموالهم ثم تبين بعد ذلك انهم كانوا تجار اتوا من بلاد الفرنج فلما راوهم قاتلوهم فانكسروا واسروا واخذت جميع اموالهم واشيع انهم كانوا يعبثون فى سواحل البحر المالح **وفيه** قدم جماعة من اسطنبول ممن كان اسر من اهل مصر فى ايام السلطان سليم شاه بن عثمان فحضر علم الدين جلبى بن السلطان الغورى وحضر عقيب ذلك المقر الشهابى احمد ناظر الجيش كان وهو ابن المقر الجمالى يوسف ناظر الخاص وحضر كمال الدين برددار الامير طراباى وحضر الرئيس عبد الرحمن بن الشرنبلى الكحال وحضر الناصرى محمد بن العلاى على بن خاص بك وحضر القاضى شمس الدين محمد الحجازى احد نواب الشافعيه وحضر اخرون من الاسرا ما يحضرنى اسماءهم الان **وفى يوم** الخميس ثامن عشرينه قدم مبشر الحاج من مكة واخبر بالامن والسلامة عن الحجاج واخبر ان الغلا معهم عمال فى ساير الغلال والماكول قاطبة واخبر بموت الجمال مع الحجاج فاخلع عليه ملك الامرا ونزل الى منزله وقد خرجت هذه السنة على خير وسلامة وكانت سنة مباركة ووقع فيها الرخا فى ساير الغلال قاطبة بعد ما كان تناهى سعر القمح الى دينار اشرفيه ذهب كل اردب وكان النيل فيها عاليا عم ساير اراضى مصر قاطبة ونبت نباتا جيدا الى اواخر بابه ومن محاسن هذه السنة خرجت عن الناس ولم يكن فيها الطاعون فى الديار المصرية ولا شى من عماطا قاطبة ولكن وقع فى اواخر السنة حوادث مهولة منها عصيان الامير جان بردى الغزالى نايب الشام اقام بها مرة وما وقع فى فتنته والاضطراب **ومن الحوادث** ما وقع للشيخ عبد المجيد الطريني وقضيته مشهورة **ومن الحوادث** منع الوكلا من باب المدرسة الصالحية وعزل نواب القضاه واقتصار القضاه على سبعة نواب لكل قاضى من غير زيادة على ذلك **ومنها** واقتصار العقود وما تقرر على تزويج البكر ستين نصفا والثيب ثلاثين نصفا وقد تقدم الكلام على ذلك فكان ذلك من اشد الكربا على المسلمين **ومنها** جلوس مقدم الوالى والجبليه على ابواب القضاه من اول النهار الى اخره لياخذوا ما يتحصل من عقود الانكحة ويمضون به الى بيت الوالى ويسمون ذلك اليسق العثمانى ولا يتزوج احد من الناس ولا يطلق

الا في بيت قاضي من القضاة الاربعة فضيقوا على الناس غاية الضيق ومن الحوادث
الشنيعة ان ملك الامرا خلع على شخص يقال له جمال الدين يوسف بن ابي الفرج
ويعرف بابن الحاكية وقرره في وظيفة وسماه مفتش الرزق الجيشية فلما استقر
في هذه الوظيفة اطلق في الناس النار ودافع الشهابي احمد بن الجيعان بان اخذ من ديوان
الجيشي اقاطيع سلطانية ووزن جيشية وصنع لها مكاتيب شرعية وباعها
على الناس بنحو عشرين الف دينار واظن هذا الكلام ليس له صحة وهذا باطل لا محالة
فتغير خاطر ملك الامرا على الشهابي احمد بن الجيعان وصار اذا طلع الى القلعة
لا يخاطبه اصلا ورسم للزيني ابو البقا الجلبي موقع ملك الامرا من حين كان بحلب
يقرا عليه القصص عوضا عن الشهابي احمد بن الجيعان فعظم امر الزيني ابو البقا في هذه
الايام جدا حتى صار في مقام من تقدم من كتاب السر وصار من اعيان الوزرا بمصر
ثم ان الجمالي يوسف بن ابي الفرج اخذ من الناصري محمد بن قاضي بكا وزنتين بمكاتيب
شرعية فطعن في هذه الرزق وقال له اصل هذه الرزق اقاطيع سلطانية فاخذ منه
المكاتيب واشهد عليه بان لا حق له فيها وطلع بها الى ملك الامرا وصار يفعل مع
الناس من هذا النمط بجماعة كثيرة من رجال ونسا وياخذ مكاتيبهم من ايديهم ويشهد
عليهم ان لا حق لهم فيها ويطلع بالمكاتيب الى ملك الامرا فاطلق في الناس جمرة
نار وضج منه الناس قاطبة حتى قيل اخذ من ايدي الناس نحو الثمانين رزقة
بمكاتيب شرعية وطلع بها الى ملك الامرا وحصل للناس منه الضرر الشامل ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما اكتفى ملك الامرا بيوسف بن ابي الفرج حيث
جعله مفتش الرزق الجيشية يجعل الامير علي العثماني مفتش الاوقاف ايضا من
بلاد وبيوت وغير ذلك فاضيف على مباشر الوسل الغلاظ الشداد والبرددارية
وصاروا يطلبون الناس اصحاب الاوقاف فاذا حضروا ومعهم مكاتيبهم يحيفوا
عليهم ويقولون لهم ايش على هذا الوقف مصارفها وايش متحصله في كل شهر
فيدعوا اصحاب الوقف في الترسيم ويقرروا عليهم مبلغا تقيلا للامير علي هو ودوادار
والبرددار والوسل ومن عنده من المباشرين ويكتبون له على مكاتيبه عوض ثم
يطلقوه بعد ان يلتهب من الزامه بوفق ما لا يطيق فصار الامير علي متوكل على نوع
من ابواب المظالم المهولة فاطلق في الناس النار الواقدة وانقلب ان اولاد
ابن ابي الفرج من عمرهم بيت ظلم وعسف وطبعهم الاذى هم واجدادهم من ايام
الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق وقد تقدم القول على ذلك ومن الحوادث
في اواخر هذه السنة ان ملك الامرا جهز مراكب اغربة وفيها عدة جماعة من المقاتلين
فتوجهوا الى البحر المالح وقد بلغه ان جماعة من الفرنج ينعبثون في السواحل على المسافرين
فلما توجهوا الى البحر المالح وجدوا مركبا فيها تجار من الافرنج ومعهم بضائع

بنحو خمسين الف دينار فقتلوا منهم وكسروا الافرنج وقبضوا عليهم واحتاطوا على ما معهم
من البضائع فلما حضروا الى مصر وعرضوا على ملك الامرا رسم بضرب اعناقهم وكانوا
تسعة عشر نفرا من الافرنج فراحوا ظلما واخذت اموالهم وربما يثور من هذه الحركة
فتنة كبيرة بين الافرنج وبين اهل مصر بسبب ذلك ويمسكوا التجار من الموارد في البحر
ويقتلوهم كما فعلوا بالفرنج المقدم ذكرهم وفي هذه السنة قتل ملك الامرا من الناس ما لا
يحصى عددهم بتوسيط وشنق وحز رقبة واكثرهم راح ظلما والامر الى الله تعالى انتهى
ما اوردناه من حوادث سنة سبع وعشرين وتسعماية ثم دخلت سنة ثمان
وعشرين وتسعماية فيها في المحرم كان مستهله يوم الاحد المبارك فطلع القضاة
الاربعة وهنوا ملك الامرا بالعام الجديد ثم عادوا الى منازلهم وفي هذا الشهر
تزايد ظلم الجمالي يوسف بن ابي الفرج وفتك في الناس فتكا ذريعا وكثر على مباشر الوسل
والبرددارية وصار يطلب اعيان الناس من كبير وصغير فيحضروا معهم مكاتيبهم
فلم يلتفت الى ما في المكاتيب وياخذها من ايدي الناس اصحابها غصبا ويشهد عليهم
لا حق لهم فيها ولا استحقاقا ويطلع بها الى ملك الامرا واستمر على ذلك يتزايد ظلمه
الشنيع كل يوم حتى ضج منه الناس والامر لله تعالى وفيه توفي الشهابي احمد بن الغازي
وكان من مشاهير اولاد الناس وكان امير جكار وقد ترحل حاله في اواخر عمره ومات
فقيرا وفي يوم الخميس خامسه حضر جماعة من اسطنبول فحضر بها الدين بن البارزي
وجلال الدين بن الخواجا بدر الدين حسين الشيرازي والخواجا يحيى بن عبد الدايم
الملبدي المزالي من تجار جامع طولون واخرون ممن كان باسطنبول وفي يوم السبت
سابعه نزل ملك الامرا من القلعة وتوجه الى تربة العادل التي بالريدانية وجلس
هناك على المسطبة القديمة وكان القاصد الذي حضر بالامس صحبته فدله هنالك
مدة حفلة واحضر سنقر وكلايا سلاق وادي القاصد رماية هناك وانشرح في
ذلك اليوم الى الغاية فبينما هو على ذلك واذا بجماعة من اعيانهم فحضر بين يديه شمس
الدين محمد اللقاني المالكي والشيخ شمس الدين محمد المعروف بالديروطي الشافعي والشيخ
شهاب الدين احمد بن الجلبي واخرون من العلما فلما اجتمعوا قالوا يا ملك الامرا
قد ابطلتوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرتوا تاخذوا على زواج البنت
ستين نصفا وعلى زواج المراة ثلاثين نصفا ويتبع ذلك اجرة الشهود وقد منع
الوالي وغير ذلك وهذا يخالف الشرع الشريف وقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خاتم فضة وعلى ستة انصاف فضة وعقد على اية من كتاب الله وقد منع الاسلام
في هذه الايام وتجاهرت الناس بالمعاصي والمنكرات وتزايد الامر في ذلك ثم ذكروا
له ايات في كتاب الله تعالى واحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت
ملك الامرا الى شي من ذلك وقال الشيخ شمس الدين محمد اللقاني المالكي اسمع يا سيدي

الشيخ ايش كنت انا الخنكار رسم بهذا وقال امشوا في مصر على هذا الشنق فقال له شخص
من طلبة العلم يقال له عيسى المزيا هذا شنق الكفر فحنق منه ملك الامرا ثم رسم
بتسليمه الى الوالى ليعاقبه فتوجهوا به الى بيت الوالى ثم شفع فيه بعض الامرا وفي عقيب
ذلك توجه الى ملك الامرا جماعة من المجاورين والقلاقطه وعلى روسهم مصاحف وهم
يستغيثون الله بنصر السلطان سليمان فظن ملك الامرا انهم من الجامع الازهر ثم تبين
انهم مجاورين وقلاقطه اتوا يشتكوا في الشاد على المراكب التي عمرها ملك الامرا لمن حوله
من الانكشارية بضربهم لما كثر منهم الضجيج فتشوشوا اجمعين ثم طال المجلس بين
ملك الامرا وبين مشايخ العلم الذي حضروا فكان من جواب الشيخ شمس الدين اللقاني
المالكي يا سيدي الشيخ انا اخاف على رقبتي اكثر من رقابكم امضوا باسم الله فقاموا
من عنده وهم في غاية القهر يتشاورون في اذى باطهم ولم يلتفت الى اقوالهم فقال له بعض
الفقها الذي حضروا نحن نسافر الى السلطان سليمان نصره الله تعالى ونخبره بما
يفعل في مصر فتنكد ملك الامرا في ذلك اليوم بعد ما كان منشرح ثم قام من هناك
وطلع الى القلعة وخرج القاصد من عند ملك الامرا وتوجه الى السفر من هناك
من يومه وسافر الى اسطنبول فلما رجعوا الفقها من عند ملك الامرا قامت الاشلة
والقاير على ملك الامرا وكثر عليه الدعا بسبب عقود الانكحة وصاروا يقفلون
ابواب الجوامع والمساجد فلما جرى ذلك ارسل ملك الامرا الزيني ابو الوفا الموقع
ياخذ بخاطر الشيخ شمس الدين محمد اللقاني وقال لا تواخذ ملك الامرا فانه لم يكن يعرفك
وارسل على يد الزيني ابو الوفا الموقع مايتين دينار واربع بقرات تفرقت على مجاورين
الجامع الازهر وارسل مثل ذلك الى مقام الامام الشافعي وامام الليث رضي الله
عنهما وغير ذلك من الزوايا والمزارات والمساجد وقصد ان يستجلب خواطر العلما
والفقها بما فعله من الافعال الشنيعة ليمحو اذاك بذلك وهذا من المحالات لا يزال

جناة جرى بجهر الدى للناس وانبسط ✿ وعذر ادنى سرا فاكد ما فرط
ومن ظن ان يمحوا اجل جنايه ✿ خفي اعتذار فهو في غاية الغلط

وفي يوم الاثنين سادس عشره نفق ملك الامرا على المماليك الجراكسه وكان لهم خمسة
اشهر جامكيه منكسرة وقد ضاع عليهم عليق اربعة اشهر فنفق ملك الامرا
عليهم في ذلك اليوم شهرين واخرهم ثلاثة اشهر فاضر ذلك بحالهم وفيه اجتمع
العسكر ليقبض الجامكيه في الميدان فنزل لهم المقر الشهابي احمد بن الجيعان والقاضي بركات
المحتسب وابن ابي اصبع فقالوا المماليك الجراكسه ملك الامرا يقول لكم ان سافر بعد
الربيع فالذي له قدرة يعمل يرقه والذي ما له قدرة على السفر لا ياخذ جامكيه
ويقعد في بيته فلما سمع العسكر ذلك اضطربت احوالهم ثم ان ملك الامرا جلس
في شباك الدهيشة وارسل خلف المماليك الجراكسه فلما طلعوا وقفوا بين يديه

استدعاهم واحدا بعد واحد وصار يختار من كل عشره مماليك مملوكا واحدا الذي
يجده شابا وله قدرة على السفر فيبقيه على جامكيته والذي يجده من الشيوخ العواجز
يقطع جامكيته فابطل في ذلك اليوم الف مملوك من المماليك الجراكسه والناس وغير
ذلك ومنهم من هو من الاعوان من مماليك الاشرف قايتباي فلقد ابدت تشوشهم في ذلك
اليوم عليهم ومما وقع في ذلك اليوم من النوادر الغريبه ان ملك الامرا لما عرض المماليك
فصار كل من راه من المماليك وله لحية طويلة يقص منها نصفها ويعطيها له في يده
ويقول له امشي على القانون العثماني في قص اللحا وتضييق الاكمام وكلما يفعلون
العثمانيه فنزلوا المماليك الجراكسه من القلعة في ذلك اليوم وهم في غاية النكد
ما جرى عليهم من كسر خاطرهم وكان سبب قطع جوامك جماعة من المماليك الجراكسه
ان الديوان كان يومئذ في غاية الانشحات وقد كثر العسكر وصار المال ينقسم على
سبعة طوايف من العسكر ما بين امرا عثمانيه وطايفة الاسباهية وطايفة الانكشارية
وطايفة الكملية وطايفة الامرا الجراكسه وطايفة المماليك الجراكسه ومماليك ملك
الامرا طايفة سابعة فكان يصرف في كل شهر لطايفة الاسباهية احد
عشر الف دينار ويصرف لطايفة الانكشارية في كل شهر ثلاثة عشر الف دينار ويصرف
لطايفة الكملية في كل شهر احد عشر الف دينار ويصرف لطايفة المماليك الجراكسه
واولاد الناس احد عشر الف دينار ويصرف لمماليكه وخدامه وحاشيته وغير ذلك
من عليه من الرواتب في كل شهر ثلاثة عشر الف دينار وذلك خارجا عن جامكية الامرا
الجراكسه والامرا العثمانيه والمترددين من القصاد العثمانيه فبموجب ذلك وقع
الانشحات في تاخير الجوامك وكسرها الاشهر وكان السلطان الغوري لا يستعين
على سد الجوامك في كل شهر الا بكثرة المصادرات للتجار وغيرهم من مساتير الناس
واعيانهم وكان يبدو من مظالم العباد ويجبر اثر ذلك عليه وفيه اشيع ان ملك
الامرا قد تغير خاطره على خوند مصرباي الجركسيه وانزلها من القلعة ورسم لها بان
تسكن بعد دسنها التي بباب الوزير ورتب لها في كل شهر ما يكفيها من النفقة وسبب
ذلك بلغ ملك الامرا قد دم زوجته ام اولاده من اسطنبول فاختار بان تكون
صاحبة القاعة عوضا عن خوند مصرباي فشق ذلك عليها وفي يوم الخميس تاسع عشره
الحل ملك الامرا نفقة الجامكية على العسكر واوقف جوامك كثيرة من المماليك الجراكسه
ومن اولاد الناس ومن العواجز والشيوخ وقال للذي اصرف لهم الجوامك في كل شهر
كونوا على تيقظه واعملوا برقكم فان الخنكار يرسل يطلبكم على حين غفله فقالوا كلهم
السمع والطاعة ونزلوا على ذلك وفيه اشيع ان الامير فرحات العثماني نايب
طرابلس استقر في نيابة الشام عوضا عن اياس الذي كان بها وتوجه اياس الى اسطنبول
فصار الامير فرحات بيده نيابة الشام وطرابلس وفي يوم الاربعا خامس عشرينه

دخل الحاج الى القاهرة ودخل الامير جانم امير ركب المحمل وصحبته المحمل الشريف ثم
اشيع ان الحاج قد قاسى فى هذه السنة مشقة زايدة من الغلا وموت الجمال ولما طلع
الى العقبة اشتد عليه البرد هناك والرياح العاصفة فمات من الحجاج مالا يحصى
حتى قيل مات منهم من العقبة حتى دخلوا القاهرة نحو ثمانين انسانا ودخل الباقون مرضا
من شدة البرد العاصف المضر بالاجساد ولما دخل الحاج اشيع موت الامير بكباى
الذى كان ولى مشيخة الحرم النبوى واشيع موت شخص من الامرا العثمانيه كان
اغات الانكشارية توفى لما دخل المدينة الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام
ودفن بالبقيع وكان من خيار العثمانيه وتوفى الامير مقرن امير عربان بنى جبر متملك
جزيرة بنى الزهرين الى بلاد هرمز الاعلى وكان اميرا عظيما جليل القدر مبجلا فى سعة
من المال وكان مالكى المذهب سيد عربان الشرق على الاطلاق وكان اتى الى مكة وحج فى
العام الماضى وكان يجلب الى مكة اللولو والمعادن الفاخرة من المسك والزعفران
والعنبر الخام والعود القمارى والحرير الملون وغير ذلك من الاشيا المختلفة قيل انه
لما دخل الى مكة والمدينة تصدق على اهل مكة والمدينة بخمسين الف دينار **فلما** حج
ورجع الى بلاده لاقته الزنج فى الطريق وتحاربت معه فانكسر الامير مقرن منهم وقبضوا
عليه باليد واسروه فتساهر بان يشترى نفسه منهم بالف الف دينار فابو الزنج من
ذلك وقتلوه بين ايديهم ولم يغن عنه ماله شيا وملكوا منه جزيرة بنى الزهرين
وملكوا قلعتها التى هناك واستولوا على اموال الامير مقرن وبلاده وكان ذلك
اشد الحوادث فى الاسلام واعظمها وقد تزايد شر الزنج على سواحل البحر الهندى
والامر لله تعالى ولما رجع الحاج اثنى على الامير جانم امير الحاج بكل جميل فى حفظه
للحاج ومنع الضرر عنهم وغير ذلك من انواع البر والمعروف **وفى شهر صفر** كان
مستهله يوم الاثنين فطلع القضاه الاربع الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم
عادوا الى دورهم **وفى يوم** الاربعا ثالثه خرج الامير قايتباى الدوادار وجماعة من الامرا
الجراكسه الى ملاقاة الامير جانم الحمزاوى الذى كان توجه الى اسطنبول وصحبته تقدمة
حفلة الى السلطان سليمان بن عثمان ارسلها ملك الامرا خاير بك اليه على يد الامير
جانم كما تقدم فاكرمه واحسن اليه وقبل منه تلك التقدمة فاقام باسطنبول مدة
ثم رسم له بالعود الى مصر **فلما** بلغ ملك الامرا قدومه الى مصر خرجوا اليه
قاطبة وخرجت اليه اعيان المباشرين قاطبة وجميع مشايخ العربان والكشاف
المدركين قاطبة **فلما** كان يوم الجمعة ثانى عشر صفر وصل الامير جانم الحمزاوى
الى خانقاه سرياقوس فمد له القاضى بركات المحتسب مدة حفلة هذا بعد ان لاقاه من
الصالحية واشيع انه حضر صحبة الامير جانم الحمزاوى مرسوم ملك الامرا الذى كان
باسطنبول من حين ملك السلطان سليم شاه الديار المصرية فلما توفى وتولى السلطنة

رسم بعود

رسم بعود حريم ملك الامرا واولاده اليه **وفيه** حضرت زوجة ملك الامرا وطلعت
الى القلعه تحت الليل على المشاعل والفوانيس وهى فى محفة **فلما** طلع النهار طلع اليها
جميع المغانى يهنوها بالسلامه ثم ان الامير جانم الحمزاوى دخل من الخانقاه وتوجه
الى تربة العادل وبات بها فلما كان يوم السبت ثالث عشره صلى ملك الامرا صلاة الفجر
ونزل من القلعة وتوجه الى تربة العادل التى بالريدانيه فجلس على المسطبة التى هناك
وسلم على الامير جانم الحمزاوى ثم احضرت اليه الخلعة التى ارسلها له السلطان
سليمان ابن عثمان باستمراره على نيابة مصر عوضا عنه فقام ولبسها وقبل الارض
الى نحو القبلة وكانت الخلعة تماسيح مذهب على احمر ثم قصد الدخول من باب النصر وشق
من القاهرة فاصطفت له الناس على الدكاكين بسبب الفرجه واوقدت له الشموع
على الدكاكين وعلقت له القناديل والتزيينات ولم تزين له القاهرة فى ذلك اليوم
وكان سبب ذلك ان بلغ ملك الامرا ان السلطان سليمان قد مات له ولد ذكر
مراهق فمنع الزينة بسبب ذلك **فلما** وصل الى قبة الامير يشبك الدوادار لاقته
الامرا الجراكسه والعسكر من المماليك الجراكسه قاطبة ولاقته قضاة القضاه الاربع
وهم كمال الدين الطويل الشافعى ونور الدين على الطرابلسى الحنفى ومحيى الدين الدميرى
المالكى وشهاب الدين احمد الحنبلى الفتوحى ولاقته الامرا العثمانيه وهم الامير على
والامير خير الدين نايب القلعة والامير قصروه وغير ذلك من الامرا العثمانيه
وخرج اليه طايفة الاسباهيه وامراوها والكواخى من اغوات الانكشاريه ومشوا
قدامه الانكشارية قاطبة والطلبة قاطبة وهم يرمون بالنفوط ودخل الامير جانم
الحمزاوى وعليه خلعة السلطان سليمان وهى تخل مذهب فلما دخل من باب النصر
نزل القاضى بركات بن موسى عن فرسه ومشى بالعصا قدام ملك الامرا من باب
النصر الى ان طلع الى القلعة وكذلك الجمالى يوسف نقيب الجيش ولاقته الشعرا
بالدف والشبابة السلطانيه فلما وصل مدرسة الناصر نثر عليه الحلوانى الذى
هناك شيا من الفضه فقال له ملك الامرا نعم نعمة كثر الله خيرك فلما وصل الى باب
سوق الوراقين اطلقوا له بجامع الحجر بالعود القمارى وتركز له الطبول والزمور
والمغانى من النسا والرجال فى عدة اماكن من القاهرة وانطلقت النسا بالزغاريت
من الطيقان وقدت له الشموع على الدكاكين ولاسيما تجار الوراقين فانهم اوقدوا
الموكبيات الكبار مذهب وصار ملك الامرا يسلم على الناس لما مر عليهم يمينا وشمالا
فارتفعت له الاصوات بالدعا من الناس قاطبة وكان الامير جانم الحمزاوى قدامه
وعليه خلعة السلطان وعن يمينه الامير قايتباى الدوادار وعن يساره الامير ازدمك
الناشف واعيان المباشرين قدامه ودخل صحبة الامير جانم الحمزاوى جماعة من اعيان
مصر ممن كان اسر مع السلطان سليم شاه فلما مات وتولى ولده السلطنة رسم لهم

بالعود الى مصر فعد ذلك من جملة محاسنه وعدله وفعله الحسن بحضرة الامير جانم
الحمزاوى الشرفى يونس بن الاتابكى سودون العجمى والشمسى محمد بن القاضى صلاح
الدين بن الجيعان والزينى عبد القادر بن القاضى بركات بن قريميط احد كتاب
المماليك والقاضى كريم الدين بن امرجكل والقاضى كريم الدين الجولى وسعد الدين بن
جلال الدين واخوه بركات وكمال الدين القايتى بباشر ابن اخو دكبير وشهاب الدين
احمد بن اخو الاستادار يونس النابلسى والحاج بدر العادلى المهتار واخرون ممن كان
باسطنبول واسر من اهل مصر واستمر ملك الامرا فى موكب حفل حتى دخل الميدان
الذى تحت القلعة وتدطلع من على الميتانه من على مدرسة السلطان حسن وقد شاهدت
هذا الموكب بالمعاينه وكان من المواكب المشهودة الجليلة فلما استقر ملك الامرا بالقلعة
اخلع على الامير على العثمانى والامير قصوه والامير خير الدين نايب القلعة وللامير
شيخ واخلع على القاضى بركات بن موسى المحتسب قفطان بحمل كون انه مشى بالعصاه
قدامه من باب النصر الى القلعة وكونه انه مد للامير جانم الحمزاوى مدة عند ما انزل
فى بلبيس ثم فى الخانقاه وغير ذلك من الاماكن وفى هذه الواقعه يقول الاديب
البارع الفاضل ناصر الدين محمد بن قانصوه من صادق واجاد بقوله حيث قال

اهلا بمن عنه التواصم رادى … شرفا ومنه الجود جود ارادى
شرقا له تخر الروس لكونه … شرفا علو العز قد بين يسادى
يا مرحبا من قادم اعنى به … مولى العز جانم الحمزادى
من جا مصر بخلعة عز مثبت … والعز من ذى الملك تحرا هادى
شرف من اسطنبول سعد بها انى … منه بخابر بلبك وخير نادى
لله ذاك اليوم وهو بها يرى … وسلامه ذاك القلوب بوادى
فى موكب الملك العظيم وحوله … اسد سطاها الراسيات تعادى
والناس فى فرح وفى فرح به … والجو مثل النحل منهم داوى
وصباحهم بالنصر مع عظم الدعا … وعدوه كالكلب حق يا عادى
ولبعضهم بعضا اصابعهم غدت … تبدى الاشارة والروس تلادى
جانم المعتدى ونايب مصرنا … والعز فيه الخلعتين سمادى
لازال شرح مثليهما مرقاهما … فيه على رجل بغير تهادى
يبقا ذا الملك الذى اضحى له … شرف على كرسى وقيصر سادى
اعنى سليمان المعظم بعد له … امن البيه من تروع بادى
والمدح من قانصوه له ابـ … يبدى على كبد العدو مكادى
ولسان حال مصر قايل ومقاله … ذا العدل انه مدادى
ان فاخرت بالنيل مصر مجاورها … فنواله لبلاد مصر تنادى

انتهى ذلك ثم اشيع ان السلطان سليمان نصره الله ارسل سبع قفاطين حرير الى مشايخ
العربان الذى بالصعيد والذى بالغربية والذى بالشرقية والذى بالبحيرة وارسل
لكل واحد مرسوما شريفا على انفراده مع القفطان وارسل على يد الامير جانم الحمزاوى قفطان
بحمل مذهب للسيد الشريف بركات امير مكة المشرفة وارسل قفطان بحمل للامير على بن
عمر شيخ عربان الصعيد وارسل قفطان لشيخ العرب واصل بن الاحدب امير هوارة
وارسل قفطان بحمل الى الامير احمد بن بقر امير جدام وامير الرايشى وارسل قفطان
بحمل لشيخ العرب حسام الدين بن بغداد شيخ عربان الغربية وارسل قفطان بحمل لشيخ
العرب اسماعيل بن اخو الجويلى شيخ عربان البحيرة فارسلوا ذلك مع المراسيم وكان
منهم من كان حاضرا فى القاهرة فلبس قفطانه بحضرة ملك الامرا وفى يوم الاحد رابع
عشره حضر بين يدى ملك الامرا الامير على العثمانى وخير الدين نايب القلعة والامير
قصوه والامير شيخ والقاضى حمزة وغير ذلك من الكواخى ثم احضر الامير جانم
الحمزاوى مرسوم السلطان سليمان بن عثمان فقاموا اليه الامرا العثمانيه قاطبة
وملك الامرا ولم يحضر ذلك المجلس احد من الامرا الجراكسه ثم قرى عليهم ذلك
المرسوم فكانت الفاظه باللغة التركيه فاحضروا من قراها بالعربية فكان من
مضمونه ان السلطان سليمان نعت فى ملك الامرا نعتا عظيما وفوض له التكلم
على مصر واعمالها يعزل بها من يختار ويولى من يختار من الثغور والبلاد الشرقيه والغربيه
وبلاد الصعيد ومن مضمونه انه اذا قدم عليه قاصد من بلاد الروم فلا ينعم عليه
باكثر من الف دينار فان بلغ السلطان سليمان انه ينعم على قصاده الواردة عليه
من بلاد الروم بمال جزيل منعه من ذلك ومن مضمونه ان ملك الامرا ينظر فى احوال
الرعيه ويصرف للجند جوامكهم فى كل شهر على العادة وان ينظر فى امر المعاملة فى
الذهب والفضه ومن مضمونه انه ارسل يطلب جماعة من الاسباهية يمضون الى
اسطنبول ويجى الى مصر غيرهم وارسل يقول لملك الامرا ان ينظر فى امر تسعير البضايع
واظهر غاية العدل فى مرسوم ملك الامرا واكد عليه للنظر فى احوال الرعيه قاطبة
وفيه يقول الناصرى محمد بن قانصوه من صادق

كعب سليمان كعب خير … اعنى به ابن عثمان دام ملكه
من كعبه مصر فى رخا … ومن سطاه الملك تملكه

وفيه اشيع ان السلطان رسم للامير جانم الحمزاوى انه اذا دخل الى حلب يطلع القلعة
وياخذ المال الذى كان السلطان الغورى اودعه بها لما خرج الى ملاقاة السلطان سليم
وكان نحو ستمائة الف دينار وكسور ورسم السلطان سليمان بحمل ذلك الى عند ملك
الامرا خايربك وانه يسبك الفضة ويضربها باسم السلطان سليمان بمصر ويمشي المعاملة
للناس والله اعلم بحقيقة ذلك ان كان له صحة وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه نزل

ملك الامرا من القلعة وعدى الى بر الجيزة ونزل بشبرمنت على سبيل النزهة وكان
صحبته الامير قانصوه واخرون من امرا الجراكسة والامرا العثمانية والقاضي شرف الدين
الصغير والشهابي احمد بن الجيعان والقاضي بركات بن موسى المحتسب واخرون من
المباشرين **وفيه** نزل بشبرمنت اقام بها الى يوم الاربعا رابع عشرين صفر ودخل من شبر
منت وارسل يطلب عليق وتبن وغير ذلك من دجاج واوز واشيع انه توجه من هناك
الى نحو البحيرة متصيد فتوجه اليه الامير جانم الحمزاوي ونقيب الجيش الجمالي يوسف
والقاضي شرف الدين بن عوض ويوسف بن ابي الفرج المفتش وابن ابي اصبع وغير ذلك
من الاعيان وارباب الوظايف **وفيه** توفي القاضي بدر الدين محمد بن عجاج الموقع وكان
من الاعيان وخدم عدة امرا مقدمين الوف **وفي شهر ربيع الاول** كان مستهله
يوم الاربعا وكان ملك الامرا غايبا فلم تطلع القضاه الى القلعة ولم يهنوا بالشهر فلما
كان يوم الثلاثا سابعه حضر ملك الامرا من تلك السرحة فكانت مدة غيبته في هذه
السرحة خمسة عشر يوما فتنزه هناك وانشرح الى الغاية وتصيد عدة من الكراكي والغزلان
ودخل عليه جملة تقادم حفلة من مشايخ العربان التي بالغربية والشرقية فلما دخل من
البحيرة لم يتوجه الى الاسكندرية ولم يدخلها في هذه المرة وقصد العود الى القاهرة
فلما وصل الى قرية قليوب تسامعت به الناس فخرجوا اليه فاضافه هناك شيخ العرب
ابن ابي الشوارب وبات بقليوب **فلما** اصبح رحل من هناك وتوجه الى تربة العادل
التي بالريدانية فمد له هناك مدة حفلة فتغدى هناك ودخل فخرجت اليه قضاة
القضاه لتقابله فلم يجتمعوا به ولم يكن معه غير قاضي القضاه يحيى بن الدميري
فقط ثم اصطفت له الناس على الدكاكين لاجل الفرجة فلم يشق من القاهرة في ذلك
اليوم وطلع الى القلعة من باب السر فلم يشعر به احد **وفي يوم** السبت حادي عشر
هذا الشهر عمل ملك الامرا المولد النبوي فاجتمعت القرا والوعاظ بالدهيشة وارسل
يقول لقضاه القضاه لا تكلفوا خواطركم ولا تطلعوا القلعة فان ملك الامرا حصل
له توعك فلم يحضر المولد ثم ارسل خلف قاضي القضاه المالكي على انفراده وقال له
اطلع واحضر المولد وكان قاضي القضاه المالكي من اخصا ملك الامرا وكان عنده من
المقربين ثم ان ملك الامرا ارسل يقول للامرا الجراكسة والامرا العثمانية لا تكلفوا
خواطركم ولا تطلعوا الى القلعة بسبب المولد فان ملك الامرا محتجب في ذلك اليوم
في الاشرفية التي بجوار الدهيشة ولم يجلس عند المقربين ولا حضر السماط في
ذلك اليوم بل قعد على راس السماط قاضي القضاه المالكي والامير برسباي [illegible]
واخرون من الامرا العثمانية وانقضى ذلك اليوم **وفيه** انعم ملك الامرا على القاضي ابو
السعود بن الشحنة واستقر امير جكار عوضا عن الناصري محمد بن احمد بن اسنبغا
الطيبرسي بحكم عزله عنها **وفيه** تغير خاطر ملك الامرا على الطواشي مسك ورسم بتوسيطه

ثم شفع

ثم شفع فيه الامرا العثمانية ورسم بنفيه الى المدينة الشريفة على صاحبها افضل الصلاة
والسلام فخرج من يومه وسافر في البحر المالح وكان سبب ذلك ان مسك هذا لما ملك
السلطان سليم شاه ابن عثمان الديار المصرية لم يقابله مسك هذا واختفى حتى رحل
ابن عثمان عن مصر واستقر الامير جان بردي الغزالي في نيابة الشام وسافر اليها فخرج
مسك صحبته في الخفية واقام عنده بالشام فلما جرى للغزالي ما جرى وقتل حضر مسك
الى القاهرة وقابل ملك الامرا وصار عنده من المقربين وكان مسك هذا لطيف الذات
يشتمل على جملة محاسن منها الخط الجيد والقراءة الحسنة وغير ذلك من المحاسن فاتفق
ان الطواشي الذي حضر من اسطنبول ذكر ان مسك هذا كان بكرة السلطان سليم ولما
دخل الى مصر هرب وتوجه الى عند جان بردي الغزالي فلما حضر الى مصر تغير خاطر
ملك الامرا عليه ورسم بتوسيطه ثم شفع فيه من التوسيط ورسم بنفيه وكان مسك
هذا من اعيان خدام الاشرف قايتباي **وفي يوم** الجمعة سابع عشره خرجت الملكة خاتون
عمة السلطان سليمان وقد تقدم القول على انها اتت الى مصر لتحج فلما حجت قصدت
العود الى بلادها وعين معها ملك الامرا جماعة من الكملية ومن الاسباهية يحفظونها
في الطريق اذا سافرت فاشيع بعد سفرها بايام ان العربان خرجت عليها في الريش
ونهبت اطراف بركها من جمال وقماش وغير ذلك **ومن النوادر** الغريبة ما وقع
يوم الخميس ثالث عشرينه وذلك انه قد اشيع في القاهرة بين الناس ان الشهابي
احمد بن الجيعان قد شنق نفسه فاضطربت القاهرة في ذلك اليوم اشد الاضطراب
ولم يشك احد من الناس في ذلك لان المقر الشهابي احمد بن الجيعان حصل له في تلك
الايام غاية الشدايد والمحن وصار ممقوتا عند ملك الامرا وقد تقدم القول على سبب
ذلك فلما تواترت الاشاعات بذلك كان الشهابي احمد بالقلعة فقال الامير جانم
الحمزاوي قم وانزل وشق من القاهرة فلما راته الناس فرحوا به وهنوه بالسلامة ثم
خمدت تلك الاشاعات الباطلة التي ليس لها صحة **وفي شهر ربيع الاخر**
كان مستهله يوم الجمعة فطلع القضاه الاربعة وهنوا ملك الامرا بالشهر فلما تكامل
المجلس حصل في ذلك اليوم تشاجر بين قاضي القضاه الحنفي الطرابلسي وبين مستنيبه
محب الدين سبط الشيخ بدر الدين محمد بن الدهاني وقد نقضه قاضي القضاه الحنفي
في القول وقال له حكمك لا يجوز وقد وليت بالرشوة واسمعه من هذه الالفاظ
النكدة اشيا كثيرة بحضرة ملك الامرا وبحضرة قضاه القضاه ومشايخ العلم
فقال قاضي القضاه الشافعي لمحب الدين حكمك الذي حكمته باطل فقال له محب الدين
ما هو صحيح منك واستمر المجلس بينهم يتزايد في اللفظ بين الفريقين بحضرة ملك
الامرا وكان قاضي القضاه الحنفي اهوج وهاج وعنده صمصمة وجنون وبادرة
حدة مع قلة دربة فلما راى ملك الامرا المجلس قد انفض على غير طائل اصلح بينهم

قاضي القضاة الحنفي وبين مستنيبه محب الدين سبط بن الدهان فاصطلحا صلحا على
فساد وانفض ذلك المجلس ثم ان ملك الامرا قال لقاضي القضاة الحنفي لا تبقي تنادي
محب الدين في احكامه فنزل محب الدين وهو منتقص على قاضي القضاة وقد بهدله
في ذلك اليوم غاية البهدلة **وفيه** قدمت الاخبار من اسطنبول بانه قد وقع بها زلزلة
عظيمة تهدمت منها عدة بيوت سقطت على اهلها وادمت الاعمدة التي تحت الاماكن
والعتب وكانت من الامور المهولة وذكروا ان وقع مثل هذه الزلزلة في ايام الخنكار
ابا يزيد جد السلطان سليمان فجرى عقيب ذلك ما جرى مع السلطان قايتباي وكسر
مرتين وقتل من عسكره ما لا يحصى عدده **وفي يوم** الخميس سابعه اشيع ان شخصا منجما
قال انه في يوم الجمعه يثور على الناس رياح عاصفة وتقع زلزلة عظيمة حتى تسقط
منها البيوت وتنخسف بالناس وهم في صلاة الجمعة فانتشرت هذه الاشاعة سائر
القاهرة وانطلقت السن الناس بذلك قاطبة فاضطربت القاهرة لهذه الاشاعة
وصار الناس يودع بعضهم بعضا وباتوا تلك الليلة على وجل فلما اصبحوا وجاء وقت
صلاة الجمعة ودخلوا الناس الى الجوامع فصلوا وعلى رؤوسهم طيره **فلما** قضيت
الصلاة وخرجوا من الجوامع صاروا فرحين وهم يهنون بعضهم بعضا بالسلامه ويصالحون
بعضهم بعضا وحدث هذه الاشاعة التي لا اصل لها وقد اتفق مثل هذه الواقعة
في اوايل سلطنة الاشرف قايتباي واشيع مثل ذلك ان الناس اذا صلوا الصلاه ينخسف بهم
وهم في صلاة الجمعة فلما ان دخلت الناس الى الجوامع صاروا على رؤوسهم طيره فاتفق ان
خطيبا كان في الجامع الذي عند ميدان القمح وكان يعتريه خلط مسرع **فلما** صعد المنبر
عرض له ذلك الخلط المسرع وهو على المنبر فاضطرب وسقط من على المنبر فلما عاينوا
الناس ذلك اضطربوا وهربوا من الجامع ولم يصلوا وظنوا ان الذي اشيع حقا
واهل مصر ليس لهم معقول يصدقون بالمحالات الباطله التي ليس لها صحة **وفي يوم**
الاثنين ثاني عشره نزل ملك الامرا من القلعة وتوجه الى بولاق وكشف على المراكب
الاغربه التي عمرها هناك فسيروا قدامه في البحر ذهابا وايابا وهو ينظر اليها وانشرح
خاطره ثم عاد الى القلعة **وفي يوم** السبت سادس عشره سقطت القبة العظيمة التي
كانت على الايوان سقطت بكرة النهار وهذه القبة من انشا الناصر محمد بن قلاوون
فلما سقطت تفاءل الناس بزوال ملك الامرا عن قريب وهذه القبة لها نحو مايتي
سنة من حين عمرت وكانت من خشب وفوقها رصاص وكانت مغلفة بنقيشا في
اخضر ولم يعمر في مصر اكبر منها وكانت من نوادر الزمان **وفي يوم** الاثنين ثامن عشره
توجه الى الامير سنج الى اسطنبول وارسل صحبته تقدمة حفلة الى السلطان سليمان
ابن عثمان وارسل يشاور السلطان عن امور كثيرة في احوال المملكة وينتظر الجواب عن ذلك
واشيع ان السلطان سليمان ارسل يطلب من ملك الامرا نخيل بلح ليزرعها في اسطنبول

فرغ

فرغ ملك الامرا في تجهيز ذلك فقيل انه ارسل اليه خمسماية نخلة بلح من البلح الحياني
وهي نخيل صغار تطرح بلح حياني احمر في غاية الحلاوة فارسل تلك النخيل في صناديق
خشب وهي في طينها فارسلها في مراكب الى البحر المالح وتتوجه من هناك الى اسطنبول
وارسل صحبتها خوله تزرعها هناك **وفيه** جهز ملك الامرا الاغربة وبها مقاتلين
من المغاربة وغيرها وقد بلغه ان جماعة من الافرنج تتعبث في السواحل وتشوش على المسافرين
في البحر **وفيه** سافر بعض التجار من الاروام في البحر وقصد يطلع من الاسكندرية ويتوجه
من هناك الى اسطنبول فاوسق معه عدة مراكب بضايع واصناف كثيرة وقماش وغير ذلك
بنحو مايتي الف دينار وكان في ذلك المركب رجالا ونسا وصغار وتجار من الاروام وعبيد
وجوار فلما سافروا من ساحل بولاق واللموا ذلك اليوم ثار عليهم ارياح عاصفة
وفيه وصلت المراكب الى شبرا دارت في البحر وغرقت هناك بكل ما فيها من الخلايق
والبضايع وكان فيها تجار مغاربة وبحارة وكانوا قبل سفرهم صاروا يشوشوا على الناس
ويمسكوهم من الطرقات غصبا بسبب المراكب ويدعوهم وينزلوهم في المراكب فكان
الناس يدعون عليهم فحصل لاهل مصر غاية الضرر وكثر عليهم الدعا من الناس بظلمهم
فلما سافرت المراكب غرقت اكبرها في يوم حلوا من بولاق وذلك بدعا الناس عليهم
وفيه وقعت نادرة غريبة وهو ان المعلم ابراهيم اليهودي معلم دار الضرب كان له
جاريتان احدها حبشية والاخرى سودا فوطئ الجارية الحبشية فحبلت منه
ووضعت بنتا فعاشت تلك البنت سبعة اشهر ثم ان الجارية الحبشية اظهرت
انها تدخل الى الحمام فلما وصلت الى الحمام هربت وتوجهت الى بيت قاضي القضاه محيي
الدين بن الدميري قالت له يا سيدي القاضي انا مسلمة وابدت الشهاده بين يديه
ثم قالت له انا سيدي المعلم ابراهيم اليهودي معلم دار الضرب وقد وطيني
وحملت منه بهذه البنت وانا صرت مسلمة ما بقيت اقعد عنده فحكم قاضي القضاه
باسلامها في الحال وارسل خلف اليهودي معلم دار الضرب بسبب ابنته فانها صارت
مسلمة تابعة لامها فحكم قاضي القضاه باسلام البنت ايضا وامها فقيل ان اليهودي
دفع لقاضي القضاه خمسماية دينار على ان يجعل البنت تبعا لابيها فابى من ذلك واستمر
مصمما على حكمه فطلع ابراهيم اليهودي الى ملك الامرا وكتب قصة بشرح الحال و[illegible]
الى ملك الامرا فقال له قاضي القضاه حكم باسلام البنت ايضا وامها وصارت مسلمة
اعيدها الى دين اليهود فلم يطلع بيد اليهودي شي في هذه الواقعه ونزل من القلعة وهو
مخزي وعتقت الجارية وابنتها على رغم انفه **وفيه** قدمت الاخبار من المزبه ان
عربان غزاله قد نزلوا على البساط بالزرب من تروجه وصاروا ينهبون الجرون ويرعون
الزروع فحاربهم شيخ العرب اسماعيل بن اخو الجويلي وكسرهم واحتوى على جمالهم واغنامهم
وخيولهم وغير ذلك ولم تترك لهم شيا وهربوا ومضوا حيث شاءوا ثم ان اسماعيل

ارسل تلك الغنيمة الى ملك الامرا فشكره على ذلك **وفي شهر جمادى الاولى** كان مستهله
يوم السبت فطلع القضاة وهنوا ملك الامرا بالشهر وعادوا الى منازلهم وفي ذلك اليوم
اخلع ملك الامرا على الامير جانم الحمزاوي السيفي دولات باي الاتابكي كاشف الفيوم
وقرره امير ركب المحمل على عادته وهذه ثالث مرة يسافر امير الحاج في دولة ملك الامرا
خايربك **وفي ذلك** اليوم نادى ملك الامرا في القاهرة بان الدينار السليم شاهي يصرف
باربعين نصفا من الفضة العتيقة والدينار السليماني يصرف بخمسة وستين
نصفا حسابا عن كل نصف نصر من الفضة الجديدة يصرف بنصفين وربع عبارة عن الدينار
السليماني يصرف في البيع والشرا بخمسة وعشرين نصفا فلما نودي في القاهرة بذلك اضطربت
احوال الناس في تلك المعاملة وصارت البضائع تباع بسعرين سعر بالفضة الجديدة
وسعر بالفضة العتيقة فضج الناس من ذلك وغلقت الاسواق والدكاكين وبطل
البيع والشرا ووقف حال التجار والمتسببين وصار النصف العتيق يصرف بستة دراهم
فلوس جدد والفضة الجديدة تصرف بنصفين وربع وقد لعبت ايادي اليهود في
اموال المسلمين من ذهب وفضة وفلوس جدد وتحكم في اخذ ما بايدي الناس من اموالهم
بغير حق والامر الى الله تعالى **وفي يوم** الاربعا خامس الشهر اجتمع الجم الكثير من السوقة
والمتسببين وجماعة من الرازين من منية ابي عبد الله وجماعة من المكاسة وغير ذلك
وحملوا على روسهم مصاحف وربعات واعلام وطلعوا الى القلعة وزعموا ان محيي
الدين بن ابي اصبع قد ظلمهم بسبب مكس الاطرون واخذ منهم على حكم المعاملة
الجديدة كل نصف بنصفين وربع وصار يبيع لهم النصف الفضة من الفضة العتيقة
بستة لنزه **فلما** طلعوا الى القلعة لم يجتمعوا بملك الامرا واحتجب عنهم وارسل اليهم
الامير جانم الحمزاوي والقاضي شرف الدين الصغير كاتب المماليك فقال لهم ملك الامرا
يقول لكم هذا امر السلطان في امر المعاملة فكابروا ووقفوا واشكوا وتعصبوا فخرج
اليهم جماعة من الانكشارية فضربوهم بالعصي على وجوههم فتشتتوا ونزلوا
على اسوء حال وهم في غاية الذل **وفيه** نزل ملك الامرا وتوجه الى بركة الحبش
على سبيل التنزه فجهز اليه القاضي المحتسب هناك مدة حفلة واقام الى اخر النهار
ثم عاد الى القلعة في يومه **وفيه** نودي بالقاهرة بان الصنج والارطال القديمة التي
كانت تتعامل بها الناس من قديم الزمان تبطل جميعها من القاهرة واخرجوا لهم صنج
نحاس وارطال تسمى العثمانية وهي عبارة عن عشرة دراهم تنقص كل مائة درهم
اربع دراهم في ساير الاوزان قاطبة في البضائع حتى في المسك والعود والعنبر
وغير ذلك فتصير كل مائة درهم ستة وستين درهما وعملوا مثل ذلك في القبان
ايضا فتنقص كل رطل اربعة دراهم ونصف وحرجوا على الناس في الاستعمال لتلك الصنج
والارطال واوعدوا السوقة كل من خالف في ذلك يشنق من غير معاودة في ذلك

وقد تقدم

وقد تقدم القول على انهم ابطلوا الذراع الهاشمي حتى قراريط وقصف ثيراط وكبسوا
على التجار وشاكبر لايستعملوا الا الذراع العثماني فقط فشق ذلك على الناس قاطبة
وفي يوم السبت ثامن الشهر رسم ملك الامرا بشنق اربعة منهم يهودي ونصراني قد
ظهر عليهم شي من الزغل في الذهب والفضة وقدم النصراني على اليهودي فكبسوا على
اليهودي في بيته فوجدوا عنده آلة الزغل وشخص اخر منهم درك الازبكية وقد اشيع
ان قتل في دركه شخص من الانكشارية وشخص اخر قيل هو ابن امني التي كان في الازبكية
وعزقوها قبل تاريخه فخوزقوا الاربعة في يوم واحد **واما** اليهودي فخوزقوه عند
باب الصاغة والنصراني خوزقوه بالقرب من المارستان واشيع عند ان لما خوزقوه
اسلم وتلفظ بالشهادتين فلم يلتفتوا الى اسلامه فخوزقوه عند باب الصاغة والنصراني
اقام يوما وليلة وهو في قيد الحياة يتكلم حتى مات بعد ذلك **واما** مقدم الدرك
بالازبكية عند دركه بالقرب من بركة فخوزقوه عند المكان الذي قتل فيه الانكشاري
واما ابن امني المرضعة عزقوها في الازبكية وقيل انها كانت لها جرة في الانكشاري
الذي قتل **ومن الحوادث** الشنيعة في ذلك اليوم ان جماعة من الانكشارية مروا بذلك
النصراني الذي خوزقوه عند باب المارستان فوجدوه يتلفظ بالشهادتين فطلب
شربة ما من الانكشارية الذي حوله وكان ارفع مماليك من مماليك الامير قايتباي الدوادار
واقفين مع الانكشارية فرقوا لذلك النصراني وانزلوه الى الارض وقلعوا الخازوق
من بطنه وسقوه شربة ما وارقدوه على الارض فحصل بين الانكشارية وبين مماليك
الامير قايتباي الدوادار تشاجر بسبب ذلك النصراني فاتسع الشر بينهم فسحب بعض
مماليك الامير قايتباي خنجرا وهاش به على الانكشارية فخرج منهم شخص وسال دمه
وانقطعت جوخته فتكاثرت الانكشارية على مملوك الامير قايتباي فهربوا
منهم وتوجهوا الى بيت الدوادار الذي بين القصرين فتبعوهم الانكشارية وهجموا
عليهم في بيت الدوادار فاغلق الباب في وجوههم فحنقوا منه وقصدوا ان يحرقوا
الباب وصارت فتنة عظيمة كادت ان تعظم النار من مستصغر الشرر فلما بلغ
الوالي ذلك ارسل دواداره اعاد النصراني الى الخازوق ثانيا وفيه الروح فلما
طلع النهار بلغ ملك الامرا اخبار هذه الواقعة فتغير خاطره على الامير قايتباي
الدوادار بسبب مماليكه فارسل يطلب من الدوادار مماليكه الذين فعلوا هذه الفعلة
فطلع اليه الامير جاني بك اخو الدوادار **فلما** راه ملك الامرا طفش فيه بالكلام
وقال له ان لم يحضر هذه المماليك الذين اثاروا الفتنة ما يحصل عليك خير فنزل
من عنده وهو في غاية النكد ثم ان ملك الامرا نادى في القاهرة كل من اخفى عنده مملوكا
من مماليك الدوادار يشنق على باب داره من غير معاودة والذي يحضر مملوكا
منهم له مائة دينار وقفطان يخمل **فلما** كان يوم الاثنين عاشر الشهر نزل ملك الامرا

الى الميدان واحضر وابين يديه مملوكا من مماليك الامير قايتباى الدوادار ممن فعل
هذه الفعله وقد قبض عليه الوالى ورسم بتوسيطه فوسطوه على باب الميدان
ووسط معه بواب الدوادار ايضا لكونه اغلق فى وجه الانكشاريه الباب فراح
البواب ظلما وكان عند ملك الامرا الامير قايتباى فعنفه ملك الامرا غاية المقت
فلما رسم ملك الامرا بتوسيط البواب قام الامير خير الدين نايب القلعة والامير
نصوح العثمانى وشفعا فى بواب الدوادار فانه له اولاد وشيخ كبير فلم يلتفت
الى شفاعتهما قتاما وقيل ابدى ملك الامرا ثانى مرة ولا يزداد الا قسوة وحصل
للامير قايتباى فى هذه الحركه غاية البهدلة واختلطت كلمته عند الناس قاطبة
وقيل ان الامير قايتباى الدوادار دفع للانكشارى الذى قالوا انه جرح مايتين دينار
واعطاه جوخة كانت عليه وحنبيا حرير بزرسنجاب فى نظير جوخته الذى فرطت
واعطاه خنجرا عوضا عن خنجره الذى زعم انه سقط منه وارضاه بكل ما يمكن وهذه
من اشنع الحوادث وابشعها ومن هنا نرجع الى اخبار ذلك النصرانى الذى اسلم
لما حوزنوه ثم استمر يتلفظ بالشهادتين حتى مات فشا ودرا عليه قاضى القضاه كمال
الدين الطويل الشافعى ثم امر بان يغسلوه ويكفنوه ويصلوا عليه ويدفنوه فى مقابر
المسلمين ففعلوا به ذلك وصار جماعة من العوام قدام نعشه لما دفنوه بعد الصلاة
فى جامع الحاكم وفى يوم الخميس ثالث عشره سافر القاصد الذى كان حضر وبشر بان الامير
لطف قد تزوج بابنة السلطان سليم شاه وهى اخت السلطان سليمان فانعم عليه ملك
الامرا بمال له صورة وكذلك ساير الامرا العثمانيه وارباب الدولة فدخل عليه نحو من
العشرة الاف دينار ودخل عليه مثل ذلك بالشام وحلب وساير النواب وفى يوم
الجمعة رابع عشره اشيع قدوم شيخ العرب الامير احمد بن قاسم بن بقر ويعرف بابى الشوارب
وكان توجه الى الامير جان بردى الغزالى لما طلب من ملك الامرا الامان واخلع
عليه وصار عنده من المقربين فاقام مدة على ذلك ثم دبر ملك الامرا قتله فارسل
الى جانى بك وهو فى منية ابى الحارث بالدقهلية فهجم عليه وقطع راسه وقطع معه
راس شخصا اخر من مشايخ العربان العايد فلما قتل الامير احمد بن قاسم نهبت داره وسبيت
نساؤه واولاده ولم يعلم احد ما سبب ذلك ثم ان جانى بك الكاشف ارسل راس
الامير احمد بن قاسم وراس شيخ العايد الى ملك الامرا ثم رسم ملك الامرا بدفن الروس
وقد اخذ من ملك الامرا بشارة احمد بن قاسم وكان فى قلبه منه من حين توجه الى
الغزالى نايب الشام فكان كما يقال فى المعنى

قالت ترقب عيون الحى ان لها ۔ عينا عليك اذا ما نمت لم تنم

وفيه توفى الامير بهرام (؟) الشمسى السيفى الامير الاتابكى الذى كان كاشف البحيره
وكان لا باس به وفى يوم الاثنين سابع عشره قبض ملك الامرا على المقر الشهابى ابن الجيعان

بالقاهرة وكان ملك الامرا متحملا عليه فى الباطن غاية التحمل وكان هذه اول كاينة وقعت
له مع ملك الامرا وامره الى الله تعالى فاقام اياما وهو فى الترسيم ثم ان ملك الامرا
اخلع عليه بعدما اورد مالا له صورة من التقسيط الذى كان عليه وقد نفد منه جميع
ما معه من المال ولم يبق على ملكه لا رزقه ولا اقطاع ولا بيت ولا دكاكين وابتاع ساير
قاعاته التى على بركة الرطلى جميعها فاشتراها منه الامير قاسم الشروانى الذى كان
نايبا جدة باتحس الاثمان وجرى عليه شدايد ومحن دون اقاربه الذى مضوا وما
قاسى خيرا فى هذه الدولة وسياق الكلام على ذلك فى موضعه وفى يوم الاثنين رابع
عشرينه كان عيد النصارى وهو اول يوم فى الخماسين فحكى عن يوسف النصرانى مباشر
ملك الامرا انه صنع فى هذا العيد خمسين بطه من الدقيق برسم الكعك والخشكنانك
والناعم وقنطار سيرج وعشر قناطير سكر وعشرين الف بيضه برسم صباغ البيض
الذى تفرق على الناس ودخل عليه تقادم من الناس الاعيان اشيا كثيره من اغنام
واوز ودجاج وغير ذلك وفى يوم السبت ثانى عشرينه قدم امير من امرا السلطان سليمان
وقد طلع من البحر من ثغر الاسكندريه فلما بلغ ملك الامرا قدومه رسم للامير جانم
الحمزاوى وللامير قايتباى الدوادار ان يخرجا الى ملاقاته فخرجا الى وردان ولاقوه
من هناك ومدوا له مدة حفله وصارت الكشاف ومشايخ العربان تمد له المدات
طول الطريق فلما وصل الى بولاق نزل اليه ملك الامرا ولاقاه من هناك وفى يوم
كان يوم الاربعا سادس عشرينه دخل الامير سنان الذى ارسله السلطان سليمان
الى مصر ليقيم بها عوضا عن الامير نصوح ويسافر الامير نصوح الى اسطنبول قيل ان
الامير سنان هذا كان عند السلطان سليم من المقربين وكان عنده بوابا موكلا به يحفظه
ليلا ونهارا لما دخل الى مصر فلما رجع السلطان سليم الى اسطنبول جعله نايبا على بلد
يقال لها انطاكيه فلما تسلطن ولده سليمان ارسله الى مصر ليكون امينا على ملك الامرا
فلما توجه اليه ملك الامرا اركبه فرسا بسرج ذهب وعرقيه وزركش والبسه قفطان
مذهب فركب من بولاق وملك الامرا صحبته فتوجهوا من باب البحر وعلى راسه صنجق
حرير احمر وخلفه طبلين وزمرين وكان معه مايتين مملوك مشاة وانه قيل دخل من
باب البحر استمر فى ذلك الموكب حتى شق من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا
فانزلوه فى بيت الاتابكى قرقماس الذى عند حوض العظام ومدوا له هناك مدة حفلة
ثم اشيع لما دخل الامير سنان ان السلطان سليمان جهز خمسمائة مركبا واشحنها بالسلاح
والمقاتلين وخرج بنفسه الى قتال اهل رودس من الفرنج وقد جمع من العساكر ما لا يحصى
عدده وهو قاصد التوجه اليهم قيل ان الامير سنان لما مر على ضياع الشرقيه التى على
شاطى البحر وقف اليه الجم الكثير من الفلاحين استغاثوا به ودعوا بالنصر للسلطان سليمان
وقالوا الله قد حرتنا من الظلم باخذ وامنا الفسخ العفنه الجديده مضعفين ودعوا وعند

وفي

الحساب يتنمرون علينا بنصف نصفه ما يحل من الله سبحانه وتعالى فاوعدهم بالنظر في احوالهم
فلم يظهر لقوله نتيجه فيما بعد واستمر كل شي على حاله **وفي يوم** الخميس سابع عشرينه فيه
طلعت تقدمة الامير ستان بك الى ملك الامرا فكان من جملتها اربعة مماليك صغار
مرد جراكسه وحمالين قضيبات مابين شربات وطاسات وغير ذلك وحمالين شقق
بصراوي مذهب واثواب مخمل ملون وحمالين عليها فرو صمور ووشق وسنجاب
وحمالين اقواس **وفي يوم** الاحد سلخ الشهر طلع الامير ستان بك الى القلعة وحضر
الامرا العثمانيه ثم انه احضر مرسوم السلطان سليمان الذي حضر على يده **فلما** قرى
عليهم كان من مضمونه الوصية بالرعية والنظر في احوال الناس في امر المعامله وارسل
يقول لملك الامرا انه لا يمكن الانكشاريه من النزول الى المدينه وان لا يدع احد من الناس
يشكي منهم وان ملك الامرا ما يصرف لهم في كل يوم اكثر من درهمين نصفه كما كانوا
في اسطنبول وارسل يقول له اشيا كثيرة من متعلقات المملكة **وفي شهر جمادى الاخرة**
كان مستهله يوم الاحد فطلع القضاه الاربعة وهنوا ملك الامرا بالشهر ثم عادوا الى
منازلهم وقيل لما طلع القضاه الى القلعة وهنوا ملك الامرا بالشهر وعادوا الى منازلهم
نزل ملك الامرا للامام الشافعي وامام الليث ليزورهما فابطى عليهم حتى ضحى النهار
وهم جلوس بجامع القلعة **فلما** عاد جلس بالدهيشه فارسل خلفهم وهنوه بالشهر
ونزلوا **وفي ذلك اليوم** حضر الشريف البرديني من اسطنبول وعلى يده مراسيم من عند
السلطان سليمان متوجه بعلامته بانه استقر به ناظر بالمدرسة الشيخونيه ومشيختها
وكذلك مشيخة مدرسة الامير قاني بك قرا باي الجركسي التي في الرميلة والنظر على
جهات السادة الاشراف قاطبة فلم يلتفت الى ما في مراسيمه وعوق ذلك عليه قائم
اخذ من انظار غير ذلك ونزع ايدي المتحدثين عليها ومما وقع في ذلك اليوم ان
شخصا وقف الى ملك الامرا بقصة واشتكى فيها المقر الشهابي احمد بن الجيعان شكوى
بالغة وكان ملك الامرا متغيظا عليه فلما اشتكاه ذلك الرجل قبض عليه ملك الامرا
وسجنه في مخزن عند بواب الحوش ودسر ان لا يدخل عليه احد من جماعته ولا يفرش
تحته شيا ولا حصير ثم قبض على دواداره وضربه بين يديه وسجنه بالعرقانه
وقرر عليه الف دينار يوردها على الجامكيه **وفي يوم** السبت خامسه دخل العسكر الذي
ارسلهم السلطان الى مصر يقيمون بها والذين كانوا بها يتوجهون الى اسطنبول فلما
وصل العسكر الى الريدانيه نزل ملك الامرا الى تربة العادل ولاقا العسكر كله الذي حضر
من اسطنبول وكان باشهم يسمى الامير خضر وكان ذلك العسكر كله من الاسباهيه
قيل انهم فوق الف انسان وزياده ثم دخل ملك الامرا من باب النصر وشق من القاهرة الشـ
في موكب حفل **فلما** دخلت الاسباهية الى مصر طفشوا في المدينه بسبب البيوت
الذي ينزلون بها فصاروا يتشوشوا على الناس ويخرجوهم من بيوتهم غصبا بالضرب

ويهكـ

اول حضور شخص من الديار الرومية يقال له القسام

ويهتكون بها **فراشهم** انه حضر صحبة العسكر شخص من العثمانيه يزعم انه قاضيا من قضاه
ابن عثمان وعلى يده مراسيم من عند السلطان سليمان بان يستقر في وظيفه يقال لها القسام وموضوع
هذه الوظيفه ان يكون متحدثا على جميع التركة قاطبة الاهليه وغير الاهليه ولا يعارضه
احد من الناس في ذلك ويأخذ مما يتحصل من كل تركه العشر لبيت المال الاهليه وغير الاهليه
تحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل وغير ذلك وانه لا احد من المماليك الجراكسه واولاد
الناس واولاد الاتراك قاطبة وارباب الدولة والاسباهية والانكشاريه لا يعقدوا
عقدا على بكر ولا على ثيب الا عند ذلك القسام ويأخذ على عقد البكر ستين نصفا
والثيب ثلاثين نصفا فاخذ مراسيم قضاه القضاه بذلك فاضطربت احوال الناس
لذلك ولم يتعصب احد من قضاه القضاه لمنع ذلك عن المسلمين وتدخافوا على مناصبهم
من العزل وتغافلوا عن ذلك حتى ضعفت شوكة الاسلام في ايامهم واستطالت قضاه
الروم عليهم وقد ترادفت الحوادث المنكره والبدع الشنيعه المخالفة للشريعة في هذه
الايام وسياق الكلام على ذلك في موضعه وصار يوسف ابن ابي الفرج مفتش الرزق
والاقطاعات وفخر الدين بن عوض مفتش الرزق الاحباسيه التي بالصعيد والامير
علي العثماني مفتش الاوقاف قاطبة والقسام الذي حضر قسام الترك وملك الامرا
يعينهم على ذلك فابن الهرب كما قيل في المعنى

رعاة الشاه تحمي الذيب عنها ... فكيف اذا الرعاة هي الذياب

وفي يوم الاحد خامس عشره خرج الامير علي العثماني باش العسكر الاسباهية وتوجه
الى خيامه بالريدانيه **ثم في يوم** الخميس تاسع عشره خرج الامير نصوح العثماني وصحبته
ناس من الاسباهية فلما سافروا سكن الامير ستان في بيت الامير ازدمر الدوادار
عوضا عن الامير نصوح وسكن الامير خضر في بيت الامير طراباي عوضا عن الامير
علي الذي توجه الى اسطنبول **وفي يوم** الجمعة حادي عشرينه حضر القاضي بركات بن
موسى المحتسب وكان مسافرا نحو المنزله فاقام بها مدة ثم رجع **فلما** طلع الى القلعة
وقابل ملك الامرا اخلع عليه ونزل من القلعة وهو في موكب حفل ففي ذلك اليوم اشهر
المناداه في القاهرة بان الفلوس الجدد كل فلسين بدرهم تحصل للسوقه غاية الضرر بسبب
ذلك ثم ان القاضي بركات بن موسى المحتسب ضمن القاضي الشهابي احمد بن الجيعان واخرج
عنه من الترسيم ونزل الى منزله وكان له مدة وهو في الترسيم كما تقدم **وفيه** عزم الامير
ستان على ملك الامرا فنزل اليه ملك الامرا فمد له مدة حفلة وحضر ايضا الامير خضر
فاقام ملك الامرا عنده الى قريب الظهر وركب من عنده وطلع الى القلعة **وفيه** رسم ملك
الامرا بشنق ثلاثة انفس وكان ذنبهم انهم سرقوا شيئا كبيرا من الخام الشنابر فشنقوا بسبب
ذلك وراحوا ظلما **وفي يوم** الاثنين ثالث عشرينه نفق ملك الامرا على العسكر جامكية ثلاثة
اشهر لانهم كان لهم ستة اشهر مكسورة لم تنفق **وفي ذلك اليوم** قطع ملك الامرا

بجوامك كثيرة من المماليك الجراكسة واولاد الناس واخرف لهم بحكم النصف فجعل لكل
واحد الف درهم ويصير طرخانا فشق ذلك على المماليك الجراكسة وكان فيهم من هو كتبوا
للاسفار والتجاريد وفيهم من هو شاب بطل وكذلك اولاد الناس **وفي اواخر هذا الشهر**
حضر اولاق من اسطنبول في البحر المالح الى الاسكندرية ثم قدم الى مصر وطلع الى ملك الامرا
وعلى يديه مرسوم من عند السلطان سليمان بن عثمان فكان من مضمونه ان الواصل الى الديار
المصرية الذي يسمى سيدي چلبي وهو اعظم قضاة السلطان سليمان واكبرهم وان السلطان
سليمان رسم بابطال القضاة الاربعة الذين بمصر ويصير قاضي العسكر الذي واصل
يتصرف في الاحكام الشرعية على المذاهب الثلاثة وان ساير النواب والشهود تبطل قاطبة
وينحصر الامر على اربعة نواب من كل مذهب نايب لا غير وكل نايب لينحصر على اثنين من
الشهود لا غير وان النواب الاربعة يكونوا في الصالحية لا غير وان لا احد يعقد
عقدا ولا يوثق وقفا ولا يكتب وصية ولا عتقا ولا اجارة ولا حجة ولا غير ذلك
من الامور الشرعية حتى تعرض على قاضي العسكر بالمدرسة الصالحية دايما **فلما** وقف
وقف ملك الامرا على مرسوم السلطان سليمان ابن عثمان ارسل يقول للقضاة الاربعة
اصرفوا الرسل عن ابوابكم والنواب قاطبة والوكلا فاضطربت احوال القضاة والزموا
بيوتكم الى ان يحضر قاضي العسكر فهذا حسبما رسم به السلطان سليمان بن عثمان فامتثلوا
ذلك واصرفوا من كان على ابوابهم من الرسل والوكلا فاضطربت احوال النواب والقضاة
والشهود قاطبة وضاق الامر على الناس اجمعين **وفي يوم** الجمعة سابع عشرينه وقعت
حادثة مهولة وهو ان ملك الامرا ارسل خلف الشهابي احمد بن الجيعان جاويشا **فلما**
حضر بين يديه بطحه على الارض وضربه ضربا مبرحا حتى قيل انه نزل عليه خمسة وعشرين
نوبة يضربون بالعصي ثم انه طلب القاضي شرف الدين كاتب المماليك وكان مريضا
ملازم الفراش وعينه موجوعة **فلما** ارسل خلفه اعتذر بانه قد شرب دوا وهو مريض
فحنق منه ملك الامرا فارسل اليه اربع جاويشية فحملوه من فراشه واركبوه غصبا
فلما طلع الى القلعة ووقف بين يدي ملك الامرا بطحه الى الارض وضربه ضربا مبرحا
حتى قيل نزل عليه خمسة وعشرون نوبة ويقول للمماليك الجراكسة الذي يضربونه اضربوه
نوبة هذا عدوكم الاكبر فضربوه حتى كاد ان يموت ويهلك ثم طلب القاضي شرف
الدين بن عوض **فلما** حضر بطحه على الارض وضربه ضربا مبرحا دون ضرب الشهابي
احمد بن الجيعان ثم طلب محيي الدين بن ابي اصبع وهم بضربه فشهد الامير برسباي الخازندار
على ما عليه من التسقيط فاقامه ولم يضربه في ذلك اليوم ثم رسم ملك الامرا بسجن الجميع
في الرقانة فسجنوا بها وقد خرب بيت اولاد الجيعان عن اخره وقد خرب بيت اولاد
الجيعان عن اخره وقد اشتد غضب ملك الامرا على المباشرين في ذلك اليوم وكان يوما
مشهودا بالنكد عليهم قاطبة وقيل لم يسجن بالرقانة سوى القاضي شرف الدين الصغير

ويجي

ويجي الشهابي احمد بن الجيعان وابن عوض عند بواب الحوش الى ان يكون من امرهما ما يكون
اقول ان اولاد الجيعان قد خدموا سبعة عشر سلطانا وباشروا ديوان الجيش وكتابة
الخزانة في اوايل دولة الاشرف برسباي وكان اول اشتهارهم وظهورهم في دولة الملك
المؤيد شيخ وذلك نحو مائة وعشرين سنة فما اهينوا في ايامها قط ولا ضربوا ولا صودروا
ولا جرى عليهم قط تشويش وهم في كل دولة معظمين مكرمين وما اتفق لهم قط وما جرى
عليهم ما جرى على الشهابي احمد هذا وكانت السلاطين تعظمهم غاية التعظيم الى غاية دولة
الاشرف الغوري **وفيه** وقعت حادثة غريبة وهو ان شخصا من تجار الروم الذي
بخان الخليلي يقال له الخواجا محمود العجمي التبريزي وهو في سعة من المال وكان يقرض اعيان
المباشرين المال بالفوايد الجزيلة وياخذ الربا من الناس على القرض ولاسيما المحتاج لذلك
فاتفق انه سكر يوما واتى الى منزله فوجد جواريه تقاتلوا مع بعضهم فقام اليهم وهو لا يحقق
منهم فضرب جارية حبشية على صدغها فجاءت الضربة صايبة فماتت الجارية من
وقتها وكان معه منها اولاد وكادت الاشلة تقوم عليه من الناس من اهل الحارة لاجل
ذلك فطلع الى ملك الامرا وقص عليه القصة بامر هلاك الجارية واعترف بقتلها
فغضب عليه ملك الامرا ورسم عليه ثم ارسله عند الوالي فركب الوالي وتوجه الى بيت
الخواجا محمود ليكشف عن امر تلك الجارية كيف قتلت فوجد الخواجا محمود كان
ظالما عليها وقد قتلها بغير ذنب وقد شهدت اهل الحارة انه يسكر كل ليلة ويعربد في
الجوار فطلع الوالي الى ملك الامرا واخبره بسيرته القبيحة وانه ماشيا على غير طريق
والحق جراحاته عند ملك الامرا فرسم بسجن الخواجا محمود في الرقانة **وقيل** انه سال
ملك الامرا بان يدفع اليه الف دينار فابى من ذلك ولو ان الخواجا محمود ارضى الوالي
بمائة دينار وستر هذه الكاينة ما كان وصل الى ذلك الامر ولكن اشتهرت هذه الواقعة
الى الغاية واشيع ان ملك الامرا طلب منه عشرة الاف دينار وهذا كله اثر الربا
الذي كان ياخذ من الناس فانه كان يقرض الالف دينار بالف وخمسماية دينار والذي
جنت لا يجرح الا نكدا فختم ملك الامرا على حواصله ثم شفع فيه بعض الامرا العثمانية
فاخذ منه ثلاثة الاف دينار ثم ان ملك الامرا تتبع اصحابه الذين كانوا يسكروا
معه فاخذ منهم كل واحد الف دينار وكانت هذه السكرة سكرة الشوم عليه وعلى
اصحابه **وفي يوم** الاحد تاسع عشرينه عرض ملك الامرا القاضي شرف الدين
الصغير والشهابي احمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض وتغضب لهم ثانيا ثم وضعهم
في الحديد ورسم للوالي ان يشنق الثلاثة على ابوابهم واحتاطوا بهم مقدمين الوالي بنصبهم
القاضي بركات ابن موسى المحتسب الى بكرة النهار حتى يبيعوا في اسباب ما كان تاخر
عليهم من البقايا بسبب المناخرة في البلاد فاخذ الشهابي احمد بن الجيعان في اسباب
بيع بيوت ورزق ثم شرع ايضا في بيع املاكه التي كانت على بركة الرطلي التي اشتراها

الامير قاسم الشرواني بانجس الاثمان فلم يبقى بيد الشهابي احمد لاملاك ولا رزقه ولا بيت ولا ادم ولا دكاكين ولا شي قل ولا جل ثم ان اخته باعت جميع ما تملكه من مصاغ وحلى حتى باعت البسط من تحتها والطوارح والصحن والمخدات واثاث البيت وفعلوا مثل ذلك بسراديه وجواره المرصعات وغير ذلك من طاشيته وعبيدا وعمائر ثم ان القاضي عبد الجواد اخو القاضي شرف الدين الصغير اخذ في اسباب ما يوخذ على جنبه من التشبيط فاترضى وتداين وقد اشرف على التعليق وكذلك القاضي شرف الدين بن عوض **وفي يوم** الاثنين سلخ هذا الشهر اشيع ان ملك الامرا يقصد ان يعرض العسكر فطلع العسكر الى القلعة قاطبة فلم يخرج ملك الامرا في ذلك اليوم وارسل يقول للعسكر العرض يوم السبت فانفضوا ونزلوا من القلعة ولم يعرضوا في ذلك اليوم شيا **وفيه** جات الاخبار بوفاة الشريف على بن هجار امير الينبع توفي هو وزيرو احد بن زحام في جمعة واحدة وكان هجار من ولي امرية الينبع **وفي ذلك** اليوم نودى في القاهرة بان الغريب لا اهله وان لا يبيتوا بمصر غريبا وكان سبب ذلك انه اشيع انهم قبضوا على شخصين من الاعجام زعموا انهما جواسيس من عند اسماعيل شاه الصوفي **وفي شهر رجب** كان مستهله يوم الثلاثا فاهل هذا الشهر والناس في امر مريب بسبب ما وقع من الحوادث من عزل القضاة الاربعة وساير نوابهم والشهود قاطبة وما وقع للمباشرين من هذه الكاينة العظما ومنها امر المعاملة التي حصل للناس منها غاية الضرر ولاسيما الفلاحين يقبضون الخراج منهم على حكم الفضة الجديدة النصف بنصفين وربع ويقبضونه عند الحساب بنصف واحد وقد تزايد الاضطراب في هذه الايام جدا من وجوه كثيرة **وفي يوم** الاربعا ثانيه اشيع هروب بيج العرب بيبرس بن بقر وانه توجه الى نحو الطور فصار اخوه عبد الدايم بالبرج في القلعة وهو مقيد وله نحو ثلاث سنين بالبرج لم يفرج عنه وصار ابوهم الامير احمد ابن بقر هو المتكلم في الشرقية قاطبة **وفي هذا الشهر** قدم الزيني عبد القادر بن المكي الذي كان توجه الى اسطنبول مع من توجه من الاشراف افرج عنه السلطان سليمان بن عثمان مع من افرج عنه فحضر من اسطنبول في هذا الشهر **وفيه** نزل ملك الامرا الى قصر ابن العيني الذي بالمنشية على سبيل التنزه فاقام هناك الى بعد العصر فارسل اليه القاضي بركات بن موسى المحتسب هناك مدة حفلة على حكم ما تقدم له قبل ذلك **وفي يوم** الخميس ثالثه طلب ملك الامرا الشهابي احمد بن الجيعان وشرف الدين ابن عوض فلما مثلا بين يديه رسم بضربهما ضربا مبرحا فضربا حتى اشرفا على الموت وكانا في غاية الالم مما نالهما من شدة الضرب الاول وجا هذا الضرب الثاني زيادة على ذلك وامرهما الى الله تعالى **وفي يوم** السبت خامسه نزل ملك الامرا الى الميدان وجلس به وعرض العسكر قاطبة وعين منهم جماعة كثيرة من المماليك الجراكسه نحو

الى

الى وخمسمائة مملوكا وقال كونوا على يرق ان طلبكم السلطان من البحر تتوجهوا اليه **وفي ذلك** اليوم طلع ملك الامرا وقطع جوامك جماعة كثيرة من العسكر واصرف لهم بحكم النصف من الجامكية **وفي يوم** الاحد سادسه نودى في القاهرة بان كرى بيوت الاوقاف التي تحت نظر القضاة وغيرها لا يقبضوها الا بحكم المعاملة الجديدة كل نصف بنصفين وربع وان الاشرفي الذهب يصرف بجميع عشر نصف من الفضة الجديدة فشق ذلك على الناس قاطبة وحصل لهم غاية الضرر ان اجرة الكرى من الاوقاف المتكلم عنه الى ان يقبض القاضي حمزة العثماني **وفي يوم** الاثنين سابعه عرض ملك الامرا جماعة من امرا الجراكسه ما بين امرا طبلخاناة وعشراوات فقطع دوابتهم التي كانت تصرف لهم ثم رسم لهم بان يصرف لهم بحكم النصف من ذلك كما فعل بالمماليك الجراكسه فحصل لهم في ذلك اليوم كسر خاطر عظيم وكان فيهم شيوخ من الزرادخاناه الاغوات **وفي يوم** الخميس عاشر الشهر فيه قدم قاضي العسكر الموعود به المسمى سيدي جلبي واستمر بعجينه الى الى ان انزله في بيت الامير جانم بالمصبغة الذي خلف المدرسة الغوريه وارسل اليه مدة حفلة **فلما** استقر هناك اتى اليه قاضي القضاه الشافعي كمال الدين الطويل وقاضي القضاه المالكي محيي الدين الدميري وقاضي القضاه شهاب الدين الفتوحي الحنبلي وقاضي القضاه الحنفي كان مريضا فلم يحضر اليه فقيل لما دخلوا عليه لم يقم ولم يعظمهم وكان صفته انه شيخ هرم ابيض اللحية طويل القامة وعلى عينه اليمنى نضا فلم ينظر سوى بعين واحدة وهو فصيح اللسان باللغة العربية وحسن المحاضرة ولكن كما قال القايل في المعنى

لا تشكرن المرء حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريبي
فشكر المرء ما لم تختبره خطا وذمك المرء بعد الشكر تكذيبي

وفي يوم السبت ثاني عشره نودى في القاهرة بابطال الفضة العتيقة قاطبة وانها تدخل الى دار الضرب **وفي ذلك اليوم** نزل ملك الامرا الى الميدان وجلس به واحضر الامرا العثمانيه والامير قايتباى الدوادار ثم حضر قاضي العسكر واحضر مرسوم السلطان سليمان الواصل على يده فكان الناطق باللغة التركية فاحضروا من قرا ذلك فكان من مضمونه الوصية بالرعية قاطبة وانصاف المظلوم من ظالمه واصلاح المعاملة في الذهب والفضة بين الناس وقد تعاظم عليهم قاضي العسكر فلم يجلس بينهم ولما حضر قراة المرسوم السلطاني ومن جملة الناطقة نعت قاضي العسكر فكان من نعته او صاف جميله مختص به وان يكون له التكلم في الاحكام الشرعية على المذاهب الاربعة ويحكم في المدرسة الصالحية بين الناس ثم ان قاضي العسكر جعل شخصا من العثمانيه يقال له صالح افندى وكان حنفيا نايبا عنه في المدرسة الصالحية يحكم عنه ثم ان قاضي العسكر جعل شخصا يقال له فخر الله وكان من العثمانيه وكان شافعي المذهب ثم ان قاضي القضاه جعل تحت يد كل قاض من الاربع قاض من نواب مصر قضاته فجعل القاضي شهاب الدين بن شبرين الحنفي نايبا عن القاضي

ابتدا حضور قاضي عسكر من الديار الرومية في رجب ٩٢٨

صلاح الدين العثمانى وجعل القاضى شمس الدين محمد الحلبى الشافعى نايبا عن القاضى
فتح الله العثمانى وجعل القاضى ابو الفتح الوفاى احد نواب المالكية يحكم بين الناس
على قاعدة مذهبه والمرجع فى الاحكام الشرعيه الى قاضى العسكر ثم رسم لكل نايب من
النواب الاربعة يقتصر على شاهدين لا غير وساير النواب والشهود تبطل قاطبة
ثم رسم قاضى العسكر للرسل والوكلا الذى فى المدرسة الصالحية من الرسل فوق الستين
رسولا وصار على هذه الهيئة ثم ان قاضى العسكر اقام شخصا من الاروام وسماه قسام
الترك فجعل على كل تركة الخمس لبيت المال مع وجود الورثة من الاولاد الذكور والاناث
فحصل للناس بسبب ذلك الضرر الشامل وفى يوم الاحد ثالث عشره نودى فى القاهرة
عن لسان قاضى العسكر بان الشهود قاطبة لا يعقد منهم احد عقدا ولا يكتب وصية
ولا اجارة ولا مبايعة ولا شيا من الامور الا فى المدرسة الصالحية عند القاضى صالح
نايب قاضى العسكر فحصل للناس بسبب التزويج فى هذه الايام غاية المشقة واختار
كل من الناس العزوبية على التزويج فكان الامر كما قال القايل فى المعنى

اذا نكحوا الرجال بنات قوم ﴾ وصار المهر فى يد المعزنى
عمدت الى يدى فنكحت بكرا ﴾ واما مهرها عندى فربقى

وفيه نزل ملك الامرا الى عند قاضى العسكر وسلم عليه وقد بلغه انه توعك فى جسده
فنزل اليه وعاده ثم طلع الى القلعة وفى يوم الثلاثا خامس عشره نفق ملك الامرا
على المماليك الجراكسه جوامكهم وكان لهم سبعة اشهر منكسرة فنفق لهم فى ذلك اليوم
اربعة اشهر حتى على الغلمان والبياطرين والقيما والمتربيين ومن له عادة وفيه منع
قاضى العسكر شمس الدين الحلبى من التكلم فى المدرسة الصالحية ثم عوضه القاضى
شجاع العثمانى وجعله قاضى العسكر متحدثا على اوقاف الجوامع والمدارس ومعالم
الانظار فطلب الجباه وقال لهم ارفعوا الى حساب الاوقاف وقدر معاليم النظار
وما قدرها فى كل شهر فشرعوا فى اسباب ذلك فى عمل الحساب ثم ان قاضى العسكر
رسم باخذ الخلاوى التى فى الترب والاشرفيه والغوريه وغير ذلك من المدارس
وانزل فيها جماعة من الاروام الافاقيه ثم ان القاضى صالح نايب قاضى العسكر
عرض الرسل الذى فى المدرسة الصالحية ورسم لهم ان لا ياخذ الرسول فى الشغل
الذى يتوجه فيه اكثر من نصف فضه من الفضة الجديدة بنصفين وربع وجعل على
كل من يتزوج بكرا ثلاثا وادعون نصفا ويكلف الشهود والعاقد هذا ما تقرر
على العوام واما الروسا فشيا غير ذلك وقرر على كل شهادة تقع فى المدرسة الصالحية
قدرا معلوما يجيب كل شغل يتقبل كان او خفيف ثم اشيع عن قاضى العسكر انه قال
قصدى امشى قضاة مصر على قاعدة قضاة اسطنبول مع ازواجهن فان عادتنا اذا دخل
الرجل على زوجته فنطيه نصف المهر الذى اعطاه لها وان الرجل لا يقوم لزوجته

كسوة

كسوة ولا نفقة فى صداقها بل يكسوها فى كل سنة جوخة وقميصين ويطعمها فى كل يوم
على ما يختار من قليل ومن كثير وتغزل وتكسى زوجها فلما سمعوا بذلك ثم جاوا دعوا
لقاضى العسكر بسبب هذه الواقعه واغتموا النسا بذلك وظنوا ان ذلك السنى وا ثم
وان قاضى العسكر ابطل كسوتهن ونفقتهن فشق ذلك عليهن ومن الحوادث ان شخصا
يهوديا وقف الى القاضى صالح نايب قاضى العسكر وكتب قصة واشتكى فيها الامير تنم
احد الامرا الطبلخاناة ناظر الدشيشه فارسل طلبه القاضى صالح رسولا وانكشاريا
فلما حضر الى المدرسة الصالحية ادعى اليهودى على الامير تنم واستمر الامير تنم فى الترسيم
حتى ارضى اليهودى ثم فى عقيب ذلك ان الامير جانى بك اخو الامير قايتباى الدوادار
اشتكته زوجته من عند القاضى صالح فطلبه الى المدرسة الصالحية وتركه فى الترسيم حتى
ارضى زوجته فيما ادعته ولم يلتفت الى اخيه قايتباى وفى يوم الخميس سابع عشره نودى
فى القاهرة عن لسان ملك الامرا وقاضى العسكر بان لا امراة تخرج الى الاسواق الا العجايز
وكل من خالف من بعد ذلك من النسا تضرب وتربط من شعرها بذنب اكديش ويطاف بها فى
القاهرة فحصل للناس بسبب ذلك غاية الضرر ثم من بعد ذلك بايام اتفق ان قاضى العسكر
طلع الى القلعة فوجد نسوة يتحدثن مع جماعة من الاسباهية فى وسط السوق فعز
ذلك عليه فلما طلع الى القلعة قال لملك الامرا ان نسا اهل مصر افسدت عسكر الخنكار
ولا بقوا ينفعوا للقتال قط وقص عليه قصة النسا مع الاسباهيه فتغير خاطر ملك الامرا
على النسا قاطبة ورسم للوالى بان لا امراة تخرج من بيتها مطلقا ولا تركب على حمار مكارى
مطلقا وكل مكارى ركب امراة شنق من غير معاودة فى ذلك ثم فى عقيب ذلك اليوم
راى امراة راكبة على مكارى فى طريق الصحرا فانزلوها من على الحمار وهرب فضربوها وقطعوا
ازارها فما خلصت الا بعد جهد كبير وعزمت يخوزقوهن فلما استمر على ذلك باعت
المكارية حميرها قاطبة واشتروا عوضها اكاديش وشدوها بنصف رحل وصارت
النسا يركبن عليها بسجادة والمكارى قابض بلجام الاكديش واستمروا على ذلك وبطل
امر الحمير المكارية من القاهرة وركبت الخوندات والستات على الاكاديش على طريقة
اهل اسطنبول ومنهم من ركب على بغل ويقرب من هذه الواقعه ما وقع فى ايام الاشرف
برسباى انه منع النسا من الخروج الى الاسواق مطلقا وكان الطعن بمصر عمالا وكانت
الغاسلة اذا خرجت الى ميتة لتغسلها تاخذ من المحتسب ورقة وتغرزها فى ازارها
حتى يعلم انها غاسلة واستمروا على ذلك مدة يسيرة ثم فى عقيب ذلك اليوم مرض الاشرف
برسباى ومات بعد ذلك واعيد كل شى على ما كان عليه وفيه نزل القاضى بركات ابن
موسى المحتسب من القلعة بعد العصر ونادى بان الاشرفى الذهب السليمانى يصرف من الفضة
الجديدة بخمسة وعشرين نصفا والاشرفى الذهب السليمى شاهى والغورى يصرف من الفضة
الجديدة بخمسة عشر نصفا وان الفلوس الجدد كل دبتر جدد بدرهم ثم ان المحتسب

سعر سائر البضائع على ما كانت عليه في أيام يشبك الجمالي المحتسب فلما نودي بذلك ارتجت القاهرة بسبب أمر المعاملة في الذهب والفضة وحصل للناس غاية الضرر وخزنوا أموالهم ولا سيما التجار فغلقت أسواق البلد والدكاكين قاطبة وتعطلت الناس من البيع والشرا لأجل إبطال المعاملة وصرف النصف الفضة بفلسين وربع **وفي يوم** الأحد عاشره نودي في القاهرة كل شي على حكمه كما كان أولا في صرف الذهب والفضة والفلوس الجدد كل أشرفي بذهب على ما كانوا عليه أولا فسكن الاضطراب قليلا **وفي يوم** الأربعا ثالث عشره نزل ملك الأمرا وتوجه إلى نحو قصر العيني الذي في المنشية وكشف على المراكب التي أنشاها هناك واستعجل الصناع في سرعة العمل **وفي يوم** الجمعة خامس عشره طلع ابن الرداد ببشارة النيل وأخذ القاعدة فجاءت سبعة أذرع وعشرة أصابع وذلك أرجح من العام الماضي **وفي أواخر هذا الشهر** قدم قاصد في البحر من عند السلطان سليمان بن عثمان وعلى يده مرسوم شريف فكان من مضمونه بأنه أرسل إلى ملك الأمرا خاير بك يطلب منه عسكرا من الأمرا الجراكسة فعين الأمير قايتباي الدوادار بأن يكون باش العسكر ثم رسم له بأن يطلب الأمرا الجراكسة إلى بيته ويعين منهم من يختاره فعرضهم عنده وكتب منهم جماعة نحو ثلاثمائة وأربعين أميرا منهم أمرا طبلخاناة وأمرا عشراوات بسبب غزاة رودس وأن السلطان سليمان قد جهز إلى رودس ستمائة مركبا وشحنها بالسلاح والمقاتلين وخرج إلى الغزاة بنفسه وصحبته الجم الكثير من العساكر الرومية في البحر المالح ما لا يحصى **وفي يوم** الاثنين سادس عشره نزل ملك الأمرا إلى الميدان وجلس به وعرض جماعة من الحلقة وكتب منهم أربعمائة إنسان وعرض طائفة الإنكشارية وكتب منهم مائة إنسان **وفي يوم** الأحد سابع عشره نزل ملك الأمرا إلى الميدان وجلس به وعرض المماليك الجراكسة وكتب منهم خمسمائة مملوكا وقيل ثمانمائة وكان الأمير قايتباي الدوادار باش العسكر هو الذي يعين ويكتب منهم من يختاره فلما تكامل عرض المماليك الجراكسة والاسباهية والجملية والإنكشارية فكان مجموع ذلك ألف وخمسمائة إنسان **ثم في يوم** الاثنين ثامن عشره نفق ملك الأمرا على الجراكسة جامكية أربعة أشهر كانت لهم منكسرة في الديوان ولم يعطهم على ذلك زيادة غير الجامكية المنكسرة عليه ثم إن ملك الأمرا عين الأمير قايتباي الدوادار باشا على الأمرا والمماليك الجراكسة فقط وجهز صحبته الأمير جانم الحمزاوي بسماط وجبن حالوم وبصل وعسل أسود يحضر ذلك في المراكب برسم العسكر تفرق عليهم بطول الطريق وقيل أرسل صحبته أربعين ألف دينار جوامك العسكر **ومن الحوادث** الشنيعة ما وقع في أواخر هذا الشهر وذلك أن ملك الأمرا رسم للوالي بأن يقبض على جماعة من الغلمان والفلاحين والمغاربة لأجل المراكب حتى يقذفون فيها بالعسكر فنزل الوالي وأطلق في الناس النار وشرع يقبض على كل من راه في الرميلة وفي الطريق من الغلمان والفلاحين وكل من قبض عليه وضعه في الحديد وأرسله إلى السجن إلى أن يخرج العسكر وصار يقبض على جماعة

من السودن

من السودان والعبيد السود ثم تزايد أعوان الوالي حتى صاروا يقبضوا على جماعة من التجار والمتزينين وغير ذلك فصاروا يشترون أنفسهم من أعوان الوالي بمبلغ له صورة حتى يحصل مع الجلبة مال له صورة من الناس ويخلصوا من أيديهم ثم صار الوالي يركب ويكبس على ساحل بولاق ومصر العتيقة ويقبض على النواتية والفلاحين فهرب الناس قاطبة من السواحل ثم رسم ملك الأمرا لكاشف الجيزة والقليوبية بأن يقبضوا على جماعة من فلاحين قلقشندة وقليوب ومن سبك الثلاث ومن شبرا والمنية وغير ذلك من الضياع فصارت الفلاحين يختفوا في المطامير وكادت مصر أن تخرب عن آخرها في هذه الحركة فقيل الذي قبض عليهم نحو ألفين إنسانا وقيل أكثر من ذلك وحصل للناس غاية الضرر **وقيل** مات في سجن الديلم جماعة كثيرة ممن قبض عليه الوالي إلى أن خرج العسكر فماتوا من الجوع وشدة الحر والوخم ونزل على أهل مصر نازلة عظيمة بسبب ذلك التي لم يسمع بمثلها قط انتهى ما أوردناه من أخبار حوادث شهر رجب وكان كثير وقوع الحوادث ووقع فيه أمور غريبة ووقائع عجيبة والأمر لله تعالى **وفي شهر شعبان** أهل يوم الأربعا فلم يطلع أحد من القضاة الأربعة للتهنئة بالشهر فإنهم استمروا في العزل المقدم ذكره وصار قاضي العسكر هو المتكلم على المذاهب الأربعة **وفيه** وقع في هذا الشهر من الحوادث أن الأخبار وردت من الصعيد بأن القاضي فخر الدين بن عوض لما توجه ليجبي جهات الصعيد أدخل سائر الرزق الأحباسية قاطبة في المساحة التي بالمكاتيب الشرعية والمربعات والمناشير وقال لأصحابها من أراد الإفراج عن رزقته يتوجه إلى ملك الأمرا ويحضر مرسومه بالإفراج عن رزقته ثم أنه منع الفلاحين من إعطا خراج الرزق حتى يحضروا بالإفراجات من عند ملك الأمرا فاضطربت أحوال الناس وتنكدوا غاية النكد وصاروا كل من وقف إلى ملك الأمرا بسبب رزقته يأخذ منه المكتوب أو المربعة ويقول له امض إلى حال سبيلك الرزق قاطبة دخلوا الذخيرة فيرجع وهو في غاية القهر **أقول** إن الرزق الأحباسية قط ما تعرض لها أحد من السلاطين مصر ولا أخرج منها شيئا من أصحابها ولا ضيقوا عليهم بسبب ذلك **وقيل** إن الإمام الليث بن سعد رضي الله تعالى عنه هو الذي دون ديوان الأحباس في أيامه وأفرد للرزق الأحباسية ديوانا يختص بها دون ديوان الجيش فاستمر ذلك باقيا من أيام الإمام الليث إلى الآن حتى جا فخر الدين بن عوض فنقض ذلك الأمر الذي كان على جهات البر والصدقات وأبطل أمر الرزق الأحباسية وأدخلها الذخيرة وأبطل ما كان صنعه الإمام الليث بن سعد رضي الله تعالى عنه **وفي يوم** الاثنين سادس الشهر خرج فيه الأمير قايتباي الدوادار وتوجه إلى الثغر بسبب غزاة رودس فخرج صحبته الأمرا والعسكر قاطبة والأمير جانم الحمزاوي مشير المملكة وخرج الريس حامد القبطان ريس المركب وصحبته العسكر العثماني الذي من الإنكشارية والاسباهية والجملية **فلما** طلع إلى القلعة اطلع عليه ملك الأمرا فتطاول واطلع على الريس

جانم الغيطاني قنطان ايضا فخرج ملك الامرا من الميدان صحبة الامير قايتباي ليودعه
وخرج صحبته قاضي العسكر والامرا العثمانية قاطبة فشق من القاهرة في موكب حفل
وليس ثيابه جنآيا وخلفه طبلين وزمرين عثمانية فنزل وشق من القاهرة الى بولاق
وكان يوما مشهودا ثم عاد ملك الامرا الى القلعة وحصل لاهل مصر بسبب خروج التجريدة
غاية الضرر وفي يوم الثلاثا سابع الشهر ارسل ملك الامرا يستعجل الامير قايتباي الدوادار
في سرعة التوجه الى رودس والنزول في المراكب ثم نودي في القاهرة بان العسكر المعين الى
السفر يخرج في ذلك اليوم وكل من تاخر عن الخروج في بقية هذا اليوم شنق من غير معاودة
فخرجوا المماليك المعينين للسفر ومن الحوادث ان شخصا من نواب الحنفية يقال له
شمس الدين محمد المناوي الحنفي شهد شهادة حقا بين شخصين في تداعي بينهما بسبب
دين فلما بلغ قاضي العسكر ارسل خلف محمد المناوي الانكشارية فلما حضر بهدله وهم
بضربه وقال له انا ما منعتكم ان لا تشهدوا على احد من الناس الا في المدرسة الصالحية
ثم ارسله الى السجن فشق ذلك على القضاه والنواب فاضطربت القاهرة بسببه ثم
شفع فيه عند قاضي العسكر القاضي شمس الدين بن شبرين الحنفي فاطلقه من السجن
في يومه هو والجماعة وقد حصل لاهل مصر من قاضي العسكر غاية الضرر للرجال
والنسا ووقع منه امور شنيعه ما تقع من الجهال ولا من المجانين فتزايد حكمه بالجور
بين الناس وقد ضيق عليهم غاية الضيق ثم تكلم الناس مع قاضي العسكر في امر النسا
ان لا يمنعوا من طلوع الترب ودخول الحمام وزيارة الاقارب فاذن لهن في ذلك
وان المراة لا تخرج الطريق الا مع زوجها وان لا يدخل الاسواق غير العجايز فقط ثم
نهى قاضي العسكر وان الناس لا يركبون الا البغال والخيول دايما فاستمروا على ذلك
وقد فتك قاضي العسكر بالناس في هذه الايام فتكا ذريعا وقد جمع بين قبح الشكل
والفعل فانه كان اعورا بزرق عينين بلحية بيضا وقد طعن في السن وكان قليل الرسمال
في العلم اجهل من حمار لا يدري شيا من الاحكام الشرعيه وقد رفعت اليه عدة فتاوي
فلم يجب عنها بشي وقد هجته الناس هجوا فاحشا في مدة اقامته بمصر فقالوا فيه عدة
مقاطيع فمن جملة ذلك بعض كلام الشهود وهو قوله

رايا شيخا اعورا قبل موتنا ، اتى من بلاد الروم يقطع رزقنا
يقدم قانونا على شرع احمد ، فنسال رب العرش يكشف كربنا

وقلت انا
رايتك لا ترى الا بعين ، وعينك لا ترى الا قليلا
فان تك قد اصبت بزرق عين ، فخذ من عينك الاخرى كفيلا
قد ايقنت انك عن قريب ، اذى ما لكف تلتمس السبيلا

وفي يوم الجمعة عاشر الشهر فيه قدم الامير شيخ الذي كان توجه الى اسطنبول في بعض
اشغال ملك الامرا فلما حضر اخبر بان السلطان سليمان جهز عدة مراكب مشحونة بالسلاح

والقاضيان

والقاضيان وجهز عساكر كثيرة بسبب غزاة رودس وخرج بنفسه وقابلت في تاسع عشر
رجب ما اشيع بين الناس وارسل على يد الامير مراسيم شريفة تتضمن ان السلطان سليمان قد
فوض امر مملكته في مصر الى ملك الامرا خاير بك يعزل من يختار ويولي من يختار والرجوع في
ذلك اليه فيما يراه من المصلحة وفي يوم السبت حادي عشره نودي في القاهرة بان الامير
والي الحلي العثماني الذي حضر من اسطنبول قد استقر ناظرا على ساير الاوقاف قاطبة
ولا يعصى عليه احد من الناس فتجددت على الناس مظلمة اخرى وفي يوم الثلاثا رابع عشره
كانت ليلة النصف من شعبان فنزل ملك الامرا من القلعة وتوجه الى القرافة وقرا هناك
ختمة وعمل هناك مدة حفلة وصير قراة ختمات بالجامع الازهر وبمقام الامام الشافعي
والامام الليث رضي الله عنهما وغير ذلك في اماكن متفرقة وفي يوم الخميس سادس عشره طلع
ملك الامرا على القاضي بركات بن موسى المحتسب فقلده نظر مذهب وقرره في التحدث
على جهات الذخيرة قاطبة من المطرية الى رباط وقرر اللزوم في كل سنة بمبلغ الف دينار
يقوم بذلك على غاية النشاط فنزل من القلعة في موكب حفل ومشا عليه قدامه تنادي
ان القاضي بركات ابن موسى ناظر الذخيرة الشريفة متحدث على الذخيرة قاطبة فلا يعصى
عليه احد من الناس ولا يشتكي احد من الذخيرة الا من بابه فتزايد عظمة القاضي بركات
ابن موسى الى الغاية وفي يوم الاحد سادس عشرينه خرج قاضي العسكر قاصد التوجه
الى مكة المشرفة من البحر المالح فلما خرج نزل ملك الامرا وركب صحبته وكذلك خاير بك الميت
نايب القلعة وجماعة من الامرا العثمانية فودعوه من عند تربة العادل ورجعوا ولما خرج
قاضي العسكر من مصر اراح الله تعالى المسلمين منه فانه حصل لاهل مصر خير به فتعطلت
القضاه الاربعة بسببه واخرج منهم الانظار ومنع الشهود من الجلوس في المجالس قاطبة
واستمروا دكاكينهم مغلوقة ومنع نواب القضاه الاربعة من الاحكام الشرعيه وقد وقع منه امور
غير ما تقدم ذكره وضيق على الناس في امر عقود الانكحة وقرر عليهم ما تقدم ذكره من
المبلغ وصار لا يعقد عقدا الا في المدرسة الصالحية وضيق على النسا فيما تقدم ذكره من
الخروج الى الاسواق وعن ركوب الحمير فلما خرج من مصر صنعت النسا الافراح وقالوا
في مواليدها تخت وتنكر قد خرج عنا قاضي العسكر وضيق على اهل مصر في امور كثيرة يطول
شرحها ولما خرج قاضي العسكر توجه الى نحو الطور فقيل ان ملك الامرا انعم عليه
بنحو الاف دينار غير العمل الذي ارسله له لما قدم من اسطنبول ولما توجه الى الحجاز
اشيع ان السلطان سليمان ارسل له اربعين الف دينار على يد شخص من العثمانية بسبب
عمارة العين التي بمكة المشرفة لما انقطعت والتي بالحرم وعمارة المنار الذي بالحرم النبوي
ولما خرج قاضي العسكر خرج صحبته جماعة كثيرة من الاسباهية ومن اهل مصر وخرج
صحبته زوجة الامير سنان في محفة فلما سافر جعل القاضي صالح العثماني الحنفي
نايبا عنه يحكم في المدرسة الصالحية الى ان يحضر من الحجاز وكان قاضي العسكر قبل

ان يباشر ولى ستة وعشرين نايبا من نواب القضاه الاربعة و جعل منهم من هو في بولاق وفى مصر العتيقه وفى جامع طولون وفى الحسينية وغير ذلك من الاماكن وجعل فى كل مجلس قاضى من القضاه الاربعة اربعة نواب يفصلوا بين الناس بالحق وجعل على كل مجلس من المجالس شيا معلوما وعليهم جاوشينا من العثمانيه يضبط ما يتحصل فى كل يوم من اجرة اشغال الناس فيقسم للقاضى من ذلك المتحصل شيا وللشهود شيا وله شيا ثم ياخذ الباقى ويجمعه فى صندوق برسم السلطان سليمان يودع ببيت المال **ومن الحوادث** الشنيعه ما وقع لقاضى القضاه الحنفى على ابن ياسين الطرابلسى بسبب وقف الخواجا شهاب الدين احمد بن صالح السكندرى فطلع قاضى القضاه الحنفى الى ملك الامرا فلما راه مقبلا من بعيد قال ايش طلع هذا الثقيل يعمل فلما جلس واخرج مكتوب الوقف الذى زوره وثبت عليه فانتقد له جماعة من القضاه وحضر ابو الفتح الوفاى المالكى الذى حكم لابن الخواجا شهاب الدين السكندرى وحضر ذلك المجلس القاضى صالح العثمانى نايب قاضى العسكر **فلما** اخرج قاضى القضاه الحنفى المكتوب الذى صنعوه دفعه ملك الامرا الى القاضى صالح العثمانى وقال له انظر فى هذا المكتوب فلما قراه قال هذا الحكم الذى حكمه قاضى القضاه الحنفى باطل لا يجوز قط ثم تحصل لقاضى القضاه فى ذلك المجلس غاية البهدله واسمعته الترك الكلام المنكى وانضف عليه ابو الفتح فى ذلك الحكم الذى حكمه فقام قاضى القضاه من ذلك المجلس وهو يتعثر فى اذياله مما قاسى من البهدلة من ملك الامرا ومن القاضى صالح وغيره وكان قاضى القضاه الحنفى غير محبب للناس وكان عنده صعصعة وخفة وسوء تدبير ويبس طباع وخفة زايدة مع عبوسة وجه وشناعة زايدة وقد قلت فيه

رب قاض قد اعتراه جنون ۞ شائن الوجه ما لديه سكون
لم يزنه علمه اذا احتل شيا ۞ زهو فينا معلم مجنون
وقولى ايضا
كم ضاع للنعمان من مذهب ۞ فى عصرنا لما تولى فلان
تبا له من قاضى اهوج ۞ احكامه مشهورة بالجنان

وفى يوم الاربعا سلخ شهر شعبان كانت روية هلال رمضان فلم يحضر من قضاه القضاه احد الى المدرسة الصالحية على جارى العادة فانهم كانوا منفصلين عن القضا فحضر بعض نواب القضاة منهم شمس الدين المجولى وشهاب الدين احمد بن شلبى الحنفى وفتح الدين الوفاى المالكى ونظام الدين الحلبى الحنبلى وحضر القاضى بركات بن موسى المحتسب فلما روى الهلال ركب من هناك القاضى بركات المحتسب وشق من بين القصرين فى موكب حفل وقدامه القوانيس والمشاعل على جارى العادة فى كل سنة فلما كانت ليلة الخميس اول شهر رمضان فلم يطلع من قضاه القضاه احد للتهنيه بالشهر وكا

الناس فى غاية الاضطراب بسبب المعامله فان الدينار السليمانى يصرف بخمسة وارب[عين] نصفا من الفضة الجديده حسابا عن كل نصف بنصفين وربع من الفضه القديمه توقف الحال بسبب ذلك ولاسيما حال الفلاحين فى البلاد فان العمال يحاسبوهم فى الدينار عند القبض بنصفين وربع ويقيمون عليهم وقت الحساب بنصف واحد فخرب غالب البلاد بسبب حل المعامله وغير ذلك وكانت احوال الناس فى غاية الاضطراب بسبب الوزن الاجاسيه التى ادخلها فخر الدين بن عوض فى ديوان السلطان وصار ملك الامرا كل من طلع له بمكتوبه او مربعته ياخذها منه ويقول له هذا دخل ديوان السلطان فحصل للناس غاية الضرر من كل وجه **ومن الحوادث** ان ملك الامرا طلب التجار قاطبة وكتب عليهم قسايم ان لا يتعاملوا الا بالذراع العثمانى فى البيع والشرا وابطل الذراع القديم الهاشمى وكتب القسايم على التجار بذلك وهو يزيد على الذراع القديم بنحو ربع ذراع واهل رمضان وقضاه القضاه منفصلين عن القضا وبالمراسيم بالقلعة من حين جرى عليهم ما جرى **وفى يوم** الخميس ليلة الجمعة ثامنه راوا الناس كوكبا عظيما جا من نحو الغرب وخلفه شرار كمثل عمود النار فاستمر ماشيا فى السما الى نحو الشرق فاختفى وقد شاع خبره بين الناس لما طلع النهار **وفى يوم** الاربعا رابع عشره وثالث عشر مسرى اوفى النيل المبارك وفتح السد يوم الخميس خامس عشر رمضان الموافق لرابع عشر مسرى فاوفى الله تعالى السنة عشر ذراعا وزاد ثلاث اصابع من الذراع السابع عشر فلما اوفى نزل ملك الامرا الى القلعة وتوجه الى المقياس وخلق العامود ونزل فى الحراقة وصحبته الامرا العثمانيه ففتح السد الذى عند راس الخليج ثم ركب من هناك وتوجه الوالى الى فتح السد الثانى وكان ذلك اخر فتح ملك الامرا السد ومات بعد ذلك بشهرين وفى ذلك يقول الشاعر محمد بن قانصوه

خليج السد يوم الكسر جابر ۞ بما العيون يرى به بهيجا
وهذا اليوم يوم الخبر فاسرع ۞ بنا لنرى هذا الخليجا

وفيه قدم اولاق من البحر المالح واخبر عن السلطان سليمان انه فى المحاصرة مع الفرنج وكثر القال والقيل بين الناس بسبب ذلك **وفيه** جات الاخبار بان ابن سوار قد قتل وسبب ذلك انه قد بلغ السلطان ابن عثمان بان ابن سوار قد التف على شاه اسماعيل الصوفى وصار يكاتبه فى الدس فندب اليه الامير قرجات الذى كان توجه الى جان بردى الغزالى نايب الشام فتوجه الى ابن سوار واظهر انه قصده التوجه الى ديار بكر بسبب عسكر الصوفى فاطمان ابن سوار وركن اليه **فلما** جلس هو واياه على مجلس الشراب فى ترتيب من اصحابه وثب على ابن سوار جماعة من العثمانيه من حاشية الامير قرجات فقتلوا ابن سوار وهو على سفرة الشراب على حين غفلة ولم يشعر به احد من عسكره **فلما** اشيع قتله اضطربت احوال السوادية بقتله

وقيل ان فرحات قتل بعد ذلك ثلاثة من اولاد بن سوار وقتل جماعة من امرائه ثم مضى عنهم
وقد تمت حيلته على ابن سوار حتى قتله وفي الحوادث ان حضر الى القاهرة شخص
قيل ان اصله من النوف وقيل كان بمكة واقام بها مدة فلما حضر ادعى انه المهدي فلما طلع الى
ملك الامرا قال له انا المهدي وكان حاضرا في ذلك المجلس القاضي شهاب الدين احمد بن
شبرين فسأله عن مسائل في العلم فلم يجبه ولم يكن فيه من علامات المهدي شي فلما
اغلظ على ملك الامرا في الكلام رسم بالقبض عليه ويتوجهوا به الى المارستان وان يضعوه
في الحديد ويسجنوه عند المجانين فقبضوا عليه وتوجهوا به الى نحو المارستان فكشفوا
راسه واوضعوه في الحديد فلما بلغ الشيخ ابراهيم الذي في الجامع المؤيدي والشيخ
حسن العثماني طلعا الى ملك الامرا وشفعا فيه فرسم ملك الامرا باطلاقه من المارستان
فاتى الشيخ حسن العثماني وحمله على الاكتاف واخرجه من المارستان وكان هذا الرجل معظما عند
العثمانيه وقد خدمته جماعة كثيرة من الاعجام نحو خمسين انسانا فلما خرج من المارستان
ازدحمت عليه الناس ليروا المهدي وكان ذلك اليوم مشهودا بسبب الزحمة عليه
لما شق من القاهرة فاستمر على اكتاف الشيخ حتى مضى توجه به الى المؤيدية ثم بدا لملك
الامرا ان يرسله الى بيت الوالي فقبضوا عليه وتوجهوا به الى بيت الوالي فاستمر فيه
مدة ثم شفع فيه وفي يوم الاربعا حادي عشرينه قبض ملك الامرا على يوسف ابن ابي الفرج
ابن الحاكية وسلمه الى القاضي بركات بن موسى ليتم حسابه مما دخل عليه من المال
بسبب الرزق فلما نزل الى بيت المحتسب هم ان يعذبه ويعزره بالمقارع وقال له قم
حاسبك من حين توليت في هذه الوظيفه فقيل انه ورد سبعمائة دينار فقال له المحتسب
جلبت الدعا على ملك الامرا لاجل هذا القدر الهين لا جزاك الله خيرا وفي يوم الجمعة
ثالث عشرين رمضان نزل ملك الامرا وتوجه الى نحو الجامع الازهر ليصلي هناك صلاة
الجمعة وكان صحبته الامرا العثمانيه الذي بمصر وجماعة من الامرا الجراكسة منهم الامير
اردمك الناشف فلما انقضى امر صلاة الجمعة وقصد ان يركب وقف اليه رضي
الدين بن الدهان وجماعة من الفقها وقالوا يا ملك الامرا انظر في احوال الوظائف فقال
لهم نركب بسرعة وخرج من باب الجامع وتوجه الى القلعة وقيل ان ملك الامرا تصدق
في ذلك اليوم على مجاوري الجامع الازهر بخمسمائة دينار وكان الذي تولى امر الصدقة
في ذلك اليوم شهاب الدين المحلي امام ايراخور كبير ثم ما قاسا في ذلك اليوم خيرا
بسبب تفرقة الصدقة وحصل له غاية البهدلة من الناس وفي يوم السبت رابع عشرينه
نودي في القاهرة عن لسان ملك الامرا بان جميع القضاة والشهود يحضروا ويدفعوا نوبهم
الى المدرسة الصالحية ويسلموا ذلك الى القاضي صالح نايب قاضي العسكر فلم يوافق
احد من الناس على ذلك وابطلوا هذا الامر وفيه اشيع ان الريان قطعوا يعني
الحلفاء بسبب نقص البحر في تلك الليلة ثمان اصابع وكان في قوة الزيادة فاضطربت احوال

الناس ثم في يوم الخميس زاد الله تعالى في النيل المبارك اصبعين من النقص فسكن بعض ذلك
الاضطراب واستمرت الزيادة على حاله الى عاليه وفي شهر شوال كان مستهله يوم
السبت وهو عيد الفطر فكان اكثر العساكر مسافرين في تجريدة رودس وكذلك الامير قايتباي
الدوادار وجماعة من الامرا فلما صلى ملك الامرا صلاة العيد مد الاسمطة [illegible] وكانت
الاسباهية والانكشارية تخاطفتها وكانت هذه العيد ضاحكة وفي يوم الاحد تاسعه حضر
اولاق من البحر وعلى يده كتاب من عند الامير جانم الحمزاوي الى ملك الامرا فقرئ بحضرة
القاضي شهاب الدين الصديقي بن شبرين فكان من مضمونه ان الامير قايتباي الدوادار
ومن معه من العساكر والكرا والمماليك الجراكسة قد وصلوا الى رودس في ثالث عشر رمضان
فوجدوا السلطان سليمان في جزيرة تجاه رودس فلما اقاموا ثلاثة ايام لم يجتمعوا بالسلطان
ثم في اليوم الثالث اركب السلطان سليمان وجلس مجلسا عاما في ذلك اليوم فلما
نظر للامير قايتباي الدوادار عظمه واكرمه وكذلك الكرا الذين صحبته وكذلك المماليك
الجراكسة قدامه فشكرهم واثنى عليهم وقيل ان السلطان استقل عسكره الروم سليم شاه الذي
قتل المماليك الجراكسة وقال مثل هذه المماليك كانت تقتل وقيل ان اكثر العسكر المصري
في طائفة عند الوزير الاعظم واخبر الامير جانم في كتابه ان الى الان لم يتم بين السلطان
وبين اهل رودس من قتال وانه مقيما بجزيرة تجاه رودس الى الميعاد بعد العيد وفي يوم
الاثنين ثالث الشهر قدم الخواجا ابن عبد الله من اسطنبول فنزل اليه ملك الامرا
ولاقاه من عند تربة العادل واخلع عليه قفطانا حريرا فلما حضر ابن عبد الله اشيع
ان السلطان قرره ناظر الاوقاف قاطبة الذي بمصر والشام وانه يكشف على سائر الاوقاف
والجوامع والمدارس قاطبة بجزءها من قبلنا ويبقى من بعدنا واشيع انه يخرج الوظائف
من المستحقين ولا يبقى بيد فقيه [illegible] في المتصوفة وان يخرج الوظائف لجماعة
افاقيه من الاروام فلما بلغ ملك الامرا ذلك اضطربت احوال الفقها بمصر وفيه
قدمت الاخبار من دمشق بان الامير فرحات نائب الشام قبض على جماعة من التجار
اتوا من بلاد اسماعيل الصوفي وزعموا انهم جواسيس من عند الصوفي فلما قبض عليهم
اخذ جميع ما معهم من الاموال والبضائع والاصناف التي اتوا بها ثم ضرب اعناقهم
اجمعين وربما يتولد من هذه الواقعة فتنة عظيمة بين العثمانية وبين الصوفي
بسبب ذلك فانه مشدود بفتنة وفي الحوادث الشنيعة ان جماعة من النصارى
كانوا يسكرون في بيت عند جامع الفشي على الخليج فلما قوي عليهم السكر تزايد عليهم
التهجم والتجاهر بالسكر وكان في جوارهم المتسبب ابن الشيخ محمد بن عنان مقيما به
فنزل عليه امرهم فارسل اليهم من ينهاهم عن ذلك فما غلظ عليهم في القول وقال [illegible]
[illegible] ابن الشيخ بن عنان [illegible] الشيخ ابن عنان [illegible] فطلع الشيخ الى ملك الامرا
وشكى له من النصارى فارسل ملك الامرا بالقبض على النصارى [illegible] فقبضوا

فقبضوا على واحد منهم ووسطوه ملك الامرا بحضرته **فلما** راى النصرانى ان الجند اسلم خوفا
من الحرق فالبسوه عمامة بيضا فلما جرى ذلك خاف بقية النصارى على انفسهم واختفوا
عند يونس النصرانى حتى تخمد هذه الواقعة عنهم **وفى يوم** الجمعة قدم قاصد من عند
الامير جانم الحمزاوى واخبر ان العسكر برز للقتال مع عسكر الفرنج الذى برودس واشيع
عنهم انهم اشرفوا على اخذ السور الاول من مدينة رودس ولكن قتل فى هذه المعركة من العساكر
ما لا يحصى عددها **وفى يوم** الجمعة المقدم ذكره كان يوم النوروز وهو اول توت
من الشهور القبطية واول سنة ثمانية وعشرين وتسعماية وكان النيل يوميذ فى عشرين
اصبعا من ثمانية عشر ذراعا وكان سائر المغل جميعه فى غاية الرخص بعد ما كان السعر
قد اشتط لما توقف النيل عن الزيادة كما تقدم **وفى الحوادث** ان والى القاهرة شنق
فى يوم واحد اربعة عشر انسانا وحوزق منهم جماعة وعلقهم فى اماكن متفرقة وكان كلهم
حرامية وزغلية ومن عليه دم فاخره الوالى فى السجن الى اخر شهر رمضان فاتلفهم
وفى ليلة السبت خامس عشره خسف جرم القمر خسوفا كاملا حتى اظلم الجو وصار
القمر كالفحمة السودا فاقام فى ذلك الخسوف نحو خمسين درجة وكان ذلك نصف الليل
وفى يوم الثلاثا ثامن عشره خرج المحمل الشريف من القاهرة فى تجمل عظيم وكان يوما
مشهودا وكان امير ركب المحمل الامير جانم السيفى دولات باى الاتابكى وهذه
ثالث سفرة الى الحجاز ساقها الامير جانم كاشف الفيوم فشق من القاهرة فى موكب
حفل وطلب طلبا كما طلاب الامرا المقدمين الالوف وكان فى موكبه ست عجلات وفى
كل عجلة مكحلة نحاس فان درب الحجاز كان فى غاية الاضطراب بسبب فساد العربان
ولم يركب قدام المحمل من القضاة الاربعة غير قاضى المحمل شمس الدين محمد بن النقيب
واشيع ان كسوة الكعبة الشريفة ارسلها ملك الامرا من البحر المالح وسلبها لاجل
فساد العربان وكذلك المال الذى ارسله السلطان سليمان بن عثمان الى مكة والمدينة
النبوية لاجل الصدقة على مجاورى الحرمين الشريفين صحبة قاضى العسكر لما توجه
من البحر المالح خوفا من العربان واضطراب درب الحجاز فى هذه الايام المشطة **وفى يوم**
الاثنين رابع عشرينه حضر قاصد من البحر المالح واخبر ان السلطان سليمان بن عثمان
فى المحاصرة مع الفرنج برودس واحضر كتابا من عند الامير جانم الحمزاوى يذكر فيه ان
العسكر فى انشحات زايد من الغلا بسبب القمح والدقيق وقد عزت الاقوات هناك
فلما بلغ ملك الامرا ذلك نزل الى الشون الذى بمصر العتيقة واخرج ثلاثين الف
اردب يطحنوها دقيق فاستمر ينزل الى الشون بسبب ذلك اربعة ايام متواليه
حتى جهز فى المراكب ثلاثين الف اردب قمح وخمسماية حمل دقيق وخمسماية اردب
ارز وقيل مثلها حمص وبسله وقيل ارسل مع ذلك اشيا كثيره من البصل والجبن
وغير ذلك مما يستحسنه فجهز ذلك بسرعة وارسله من البحر الى السلطان

والعسكر

والعسكر الذى هناك **وفى شهر ذى القعدة كان مستهله** يوم الاحد وقيل يوم الاثنين
وكانت القضاة الاربعة منفصلين عن القضا كما تقدم فلم يطلع منهم احد للتهنية بالشهر
وفى يوم الثلاثا ثالثه عزل الامير جان بك من كشف الشرقية واستقر به الامير اينال
السيفى طراباى **وفى يوم** الاثنين ثامنه توفيت اصيل الغلعيه وكانت من اعيان مغانى
البلد وكان لها انشاد لطيف وكانت بارعة فى غنا الحنفائف التى هى خرج الزمان ورات
من الاعيان وارباب الدولة غاية الحظ والاحسان لها **وفيه** نودى بالقاهرة بابطال
الفضة المتنينة من المعاملة والفلوس الجدد كما توا كل اثنين بدرهم فقادوا عليهم كل واحد
بدرهم فازداد الحال وقوفا ثانيا وان الفضة الجديد تصرف كل نصف بنصفين وربع
فازداد الحال على الناس وقوفا ثالثا بابطال الفضة العتيقه قاطبة **وفيه** اشيع ان ملك
الامرا خايربك تمرض ولزم الفراش وتزايد به المرض من يومه وانقطع عن المحاكمات
فلما قوى عليه المرض صار يتصدق على الاطفال الذى بالمكاتب بالقاهرة قاطبة
لكل صغير نصف فضة كبير بنصفين وربع وصار احد الخازندارية وابن الظريف
المزين يدفع لكل صغير النصف فى يده ويعطى الفقيه خمسة انصاف كبار والعريف
ثلاثة انصاف كبار ويقولون لهم اقروا الفاتحة وادعوا بالشفا لملك الامرا والعافيه
وقد تكاثرت الاقوال بان به ثلاثة امراض منها فوخ جمر طلعت له فى مشعره
ومنها انحدار نصفه له فى جميع اعضائه وهو من انواع الفالج ومنها كثرة البول
فصارت الحكما نبات عنده فى كل يوم وقد اعيا امره فى هذه العارض الذى به
وقيل انه مشغول من حين نزل الى الشونه **وفى ذلك** الشهر ثبت النيل المبارك
على احد وعشرين اصبعا من تسعة عشر ذراعا وكان نيلا متوسطا وكان فى العام الماضى
عشرون ذراعا الا اصبعا واحدا **وفى يوم** الثلاثا تاسعه افرج ملك الامرا على
القاضى شرف الدين الصغير كاتب المماليك وافرج عن القاضى شرف الدين بن عوض والبسهما
قفطانين حرير بذهب واركبهما فرسين من الاسطبل السلطانى ونزلا من القلعة
فى موكب حفل لما شقوا من القاهرة وكان ذلك اليوم مشهودا فخلعت عياهما
بالزعفران فانهما خلصا من فم موت وقد قاسوا شدايد ومحن وضرب وبهدلة
وسجن فى الرقانة وقد قاموا فى هذه الشدة نحو اربعة اشهر وقسى قلب ملك الامرا
عليهما وقد قال فى ذلك الناصرى محمد بن قانصوه فى المعنى

بالشرف المعتر اضحى ۔ ديوانا ذا الملك فى انضباط
لازال فيه الى المعالى ۔ بالسعد يرقى بلا انهباط

فلما نزل القاضى شرف الدين الصغير الى بيته لم يقم به الا ساعة يسيرة ثم ركب
وتوجه الى تربة الامام الشافعى رضى الله عنه ثم طلع الى القلعة ثانيا هو والقاضى
بركات ابن موسى المحتسب واجتمعوا على ملك الامرا وتكلموا معه بحلى الشهابى

احمد بن الجيعان فان ملك الامرا توقف على الافراج عنه وقد عول على شنقه على باب
زويله فنجاه الله تعالى من كيده ولولا اشتغل ملك الامرا بنفسه لكان شنق الشهابي
احمد بن الجيعان لا محالة فلما تكلم القاضي شرف الدين الصغير والقاضي بركات
المحتسب وقيل ساعدها خير الدين نايب القلعة في امر الشهابي احمد بن الجيعان فرسم
ملك الامرا بالافراج عنه بعد جهد كبير وكان ملك الامرا على حطة وبان عليه لوايح
الموت فلما افرج عنه البسه قفطانا احمر واركبه على فرس من الاسطبل السلطاني
ونزل من القلعة وشق من القاهرة فرجت له وانطلقت له النسا من الطيقان بالزغاريت
وارتفعت له الاصوات من الناس بالدعا له فان الشهابي احمد كان محببا للناس
وشق من القاهرة بعد العصر وكان له موكب حفل فتوجه الى منزله بعد ما قاسى
شدايد ومحن واوعد بالشنق من ملك الامرا فنجاه الله تعالى من شره وفيه يقول
الاديب تاج الدين محمد بن قانصوه

الحمد لله بكم عيننا قرت ، وقوت نوحه في سرور
لما خلصتم وسرتم الى ، منازل العز وزال الشرور

وفي يوم الخميس حادي عشره اشيع بين الناس ان ملك الامرا بطلت شقته وعجز عن
القيام وتزايد به امر الزحمة الحمرا واشتد عليه حصر البول والغايط من الورم من
تلك الجمرة وهذا العارض بعينه قد وقع للخنكار سليم شاه بن عثمان ومات به ثم
ان قضاة القضاة الاربعة ركبوا وطلعوا الى ملك الامرا وعادوه وسلموا عليه فلم
يرد عليهم ولم يلتفت اليهم فقرا له الفاتحة وتولوا الى منازلهم فلما تزايد الامر
بملك الامرا عتق جميع جواره وعبيده ومماليكه ثم دفع للقاضي بركات بن موسى المحتسب
الف دينار نقدا ورسم بعشرة الاف اردب قمح من الشونة ورسم للمحتسب بان
يفرق ذلك كله على مجاوري الجامع الازهر والمزارات والزوايا التي بالقرافتين
قاطبة ومجاوري مقام الامام الشافعي وامام الليث رضي الله عنهما ويفرق باقي
ذلك على الفقرا والمساكين ومن عليه دين ففرق ذلك كما رسم له ملك الامرا
ثم انه رسم باخراج مراسيم للقاضي شرف الدين بن عوض بان يفرج عن اصحاب الرزق
الاحباسيه التي كان ادخلها الى الديوان السلطاني وكان قدرها نحو الف وثمانماية
رزقة فافرج عنها لاصحابها واعاد مكاتيب الرزق الحلبسية التي كان اخرجها المفتش
يوسف بن الحاكيه واعادها الى اصحابها ثم صار يقول للمباشرين الذي شوش عليهم
حاللوني وابرواذمتي فما اخذوه غصبا وفي يوم الجمعة ثاني عشره رسم باطلاق
المحابيس من رجال ونسا فتوجه القاضي شرف الدين والقاضي المحتسب الى بيت الوالي
وعرضوا من في سجن الديلم والرحبة فطلعوا بالمحابيس في زناجير مشاة فتوجهوا
بهم الى بيت الوالي فلما عرضهم هناك صار القاضي شرف الدين الصغير والقاضي

المحتسب

يصالحوا اصحاب الديون الذي عليه من اربعين اشرفي ونازل فيقولون لاصحاب الديون
اتركوا لاجل ملك الامرا الباقي فصالحوا ارباب الديون بقدر يسير ففعلوا مثل
ذلك بجماعة كثيرة من اصحاب وفيهم جماعة من اعيان الناس واطلقوا جماعة كثيرة
من الضمان وجماعة من الفلاحين فقيل اطلقوا من سجن الرحبة اربعين انسانا واطلقوا
من سجن الديلم دون ذلك ولم يتركوا بالسجنين غير الحرامية ومن عليه دم ولم
يرو الناس في ايام ملك الامرا خاير بك احسن من هذه الايام فانه جاد مع الناس
الفقرا والمساكين ولم يعرف الله الا وهو تحت الحمل فلم يغرم من ذلك شيا وما يجي
الله الا ما اراد ويقرب من هذه الواقعة ما وقع للاشرف الغوري لما حصل له عارض في
عينيه جاد مع الناس الى الغاية وافرج عمن بالسجون وعن جماعة من المباشرين ممن كان
في الترسيم بمال له صورة وكانت تلك الايام خيار دولته على الاطلاق ويقرب
من ذلك ما وقع للاشرف قايتباي لما وقع من على الفرس وانكسر فخذه واقام منقطع
في القاعة التي بجوار الدهيشة وجلس على سرير مغور وصارت الناس تدخل عليه
وتسلم عليه فجاد مع الناس وافرج عن جماعة كثيرة من المباشرين كانوا في السجن وتصدق
بمال له صورة على الفقرا والمساكين وفعل اشيا كثيرة من انواع البر والصدقات
وكانت تلك الايام خيار دولته وغالب هذه الملوك ما يعرف الله الا وهو تحت
الحمل اذا جرى عليهم مصيبة يجودوا في حق الناس ويفعلون الخير وفي يوم السبت
ثالث عشره اشيع ان ملك الامرا قد دخل في النزع وانه ارسل خلف الامير ستان
بك العثماني فلما طلع اليه وجده في حالة التلف فدفع اليه خاتم الملك الذي
كان السلطان سليم شاه اعطاه له ثم انه قال له على قدر المال الذي في الخزاين
وقال الاموال ستماية الف دينار ذهب عين هذا خارج عما كان في بيت المال من
المال وخلف من الخيول والجمال والبغال ما لا ينحصر ومن الغلال والاغنام والابقار
اشيا كثيرة ووجدوا هذه الاموال التي تركها كان يكسر جوامك المماليك الجراكسة
ستة اشهر لم يعطهم شيا ويتشكى ان بيت المال مشحونا من المال اقول
وكان اصل ملك الامرا مملوكا من مماليك الاشرف قايتباي وهو جركسي الجنس اباظا
وكان اباه اسمه ملباي الجركسي ولهذا كان يدعى خاير بك ملباي الى الاشرف
قايتباي ومات ايضا اخاه خضر بك واما اخوه جان بلاط فانه بقي مقدم الف
ومات في دولة الملك الناصر محمد بن قايتباي مات بالطاعون واما اخوه قانصوه
فانه كان يعرف بقانصوه المحمدي البرج قاذلقي حتى ولي نيابة الشام ومات في
دولة الاشرف الغوري واما خاير بك فانه اقام بالطبقة وصار من جملة المماليك
السلطانية فاخرج له السلطان خيلا وقماشا وصار من جملة المماليك الجمدارية ثم
بقي خاصكي دوادار سكين ثم بقي امير عشرة في سنة احدى وتسعماية في دولة

الناصر محمد بن قايتباي وارسله قاصدا الى الخنكار ابي يزيد بن عثمان ملك الروم في
سنة ثلاث وتسعماية ثم بقي مقدم الف في دولة الاشرف جان بلاط وخرج صحبة
العسكر الى الشام فلما حضر العادل الى مصر ارسل بالافراج عنه فلما حضر انعم عليه
بتقدمة الف كما كان فلما تسلطن الاشرف الغوري جعله حاجب الحجاب واستمر على
ذلك حتى توفي اخوه قانصوه المحمدي نايب الشام فنقل السلطان الامير يرسباي
من نيابة حلب الى الشام عوضا عن قانصوه برج واخلع على الامير خاير بك وقرره
في نيابة حلب عوضا عن يرسباي وذلك في سنة عشرة وتسعماية واستمر على ذلك
حتى تحرك الخنكار سليم شاه العثماني على السلطان الغوري وانكسر وكان خاير بك
سببا لكسرة الغوري فلما ملك سليم شاه الديار المصرية وجرى منه ما جرى فلما
اراد التوجه الى بلاده اخلع على يونس باشاه وقرره نايبا على مصر ثم بدا له ان يقرر
خاير بك نايب حلب على نيابة مصر عوضا عن يونس باشاه واخلع عليه في يوم الثلاث
ثالث عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين وتسعماية ودفع اليه خاتم الملك على نيابة
مصر الى ان مات في يوم الاحد رابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعماية
فكانت مدة نيابته بمصر خمس سنين وثلاثة اشهر وسبعة عشر يوما بما فيه مدة
انقطاعه عن المحاكمات ونوعك جسده انتهى ذلك **واما ما عد من مساويه**
انه كان جبارا عنيدا سفاكا للدما قتل في مدة ولايته ما لا يحصى من الخلايق وشنق
رجلا على عود خيار شنبر اخذه من جنينته وشنق من الناس ووسط وحوزق جماعة
كثيرة واقلع عيونهم واتشفى في عذابهم فكان يحوزقهم من صلاعهم ويسميه شك الباذنجان
فقتل بمصر وحلب نحو من العشرة الالف رجلا وغالبهم راح ظلما **ومنها** انه اتلف
معاملة الديار المصرية من الذهب والفضة والفلوس الجدد وسلط ابراهيم اليهودي
معلم دار الضرب على اخذ اموال المسلمين **ومنها** انه قرب شخصا من النصارى يقال
له المعلم يونس وجعله متحدثا على الدواوين وصارت المسلمين تقف في خدمته
ويخضعون اليه **ومنها** انه كان يكره الفقها وطلبة العلم والعلما وعزل القضاة
الاربعة ونوابهم قاطبة ومنع الشهود ان لا يجلسون في الحوانيت ويتعاطون اشغال
الناس **ومنها** انه كان يكره المماليك الجراكسة ويعوق جوامكهم ستة اشهر لم يصرف
لهم شهرين بالف جهد **ومنها** انه شوش على جماعة من اعيان المباشرين وضربهم وهددهم
وعوقهم في الترسيم نحو خمسة اشهر ولاسيما ما جرى على الشهابي احمد بن الجيعان
فانه اسلب نعمته واخذ منه نحو السبعين الف دينار حتى باع جميع املاكه وقماشه
ورزقه وبقي على الارض **ومنها** انه ندب يوسف بن ابي الفرج وقرره في وظيفة لينال
لها مفتش الرزق الحابسية فحصل للناس منه غاية الضرر الشامل **ومنها** انه ارسل
فخر الدين بن عوض الى بلاد الصعيد ومسح الرزق الاحباسية واد خلها في الديوان ولم

يفرح عنها وحصل للناس بسبب ذلك غاية الضرر فقيل انه اخرج الف وثمانماية رزقة
منها ما كان على الزوايا والمساجد والترب وغير ذلك وانه كان سببا لخراب الديار
المصرية ودخول سليم شاه الى مصر وحسن له عمارة باخذ مصر وضمن له اخذها
من غير مانع وعوقه كيف يصنع حتى ملكها وجرى منه ما جرى وقتل الاكراد والمماليك
الجراكسة وشنق السلطان طومان باي على باب زويله وكل ذلك بتدبيره وولايته
وكان كثير الحيل والخداع والمكر وكان من دهاة العالم لا يعلم له حال ولو ذكرت مساويه
كلها لطال الشرح في ذلك وقد قلت فيه هذه الابيات عن لسانه

اصبحت بخاع حفرة مرتهنا ... لا املك من دنياي الاكفنا
يا من وسعت عباده رحمته ... من بعض عبادك المسيئين انا

فلما تحقق الناس موت ملك الامرا ارتجت المدينة واشيع ان الترك يريدون الاسواق
فاشتغل سكان الجسر من بركة الرطلي على لجة البحر ووزع الناس امتعتهم في الحواصل
ثم طلع الامير سنان بك نايب القلعة والامير خضر بك والكواخي امرا الانكشارية
فلما اجتمعوا ضربوا مشورة في امر المملكة وما يكون من امر جماعة العثمانية فالتزم خير
الدين نايب القلعة والكواخي بامر الانكشارية والتزم الامير سنان بك والامير
خضر بك بامر الاسباهية وغير ذلك من الطلبة ثم حضر الامير ازدمر الناشف
فالزموه بامر المماليك الجراكسة وما يحصل منهم ثم ختم نايب القلعة والامير
سنان على الحواصل التي بالقلعة ثم ان الوالي والقاضي بركات المحتسب نزلا من القلعة
ونادوا في القاهرة بالامان والاطمان والبيع والشرا وان لا احد يغلق له بابا ولا
دكانا وان الدعا للسلطان سليمان بالنصر فارتفعت له الاصوات بالدعا قاطبة
فكرروا هذه المناداه يوم الاحد ويوم الاثنين وكان عند العثمانية عادة اذا مات
صاحب المدينة تنهب المدينة عن اخرها فمنعوهم الامرا العثمانية من ذلك وقالوا لهم
متى نهبتم المدينة فتتكلم العوام ويحصل بينكم وبينهم فتنة عظيمة وتخرب مصر
عن اخرها فسكن الاضطراب قليلا **ثم في يوم الاثنين لما دفن خاير بك** تحول الامير
سنان والامير خضر وطلع الى القلعة من يومه وسكن بها فوقع بين الامير سنان
والامير خضر تشاجر بسبب النيابة فاظهر الامير سنان مرسوما وعليه علامة السلطان
سليمان بانه اذا توفي ملك الامرا خاير بك يكون عوضا عنه في نيابة مصر فوقع الاتفاق
بينهما بان يستقر بالقلعة ويكاتب السلطان بموت خاير بك وينتظر الجواب فيما
تقتضيه الاراء الشريفة في ذلك ثم ان الامير سنان عرض ما في بيت المال من المال
فوجد خاير بك خلف من المال على ما قيل ستماية الف دينار خارجا عما كان في بيت المال
ثم ان الامير سنان اخلع على القاضي شرف الدين الصغير واستقر به متحدثا على جهات
الغربية واخلع على الشهابي احمد بن الجيعان وشرف الدين بن عوض وجعلهما متحدثان

سنان بك نايب مصر بعد خاير بك

الشرقيه فامتنع الشهابي احمد بن الجيعان كل الامتناع من لبس القفطان وقال انا اصبحت
رجلا فقيرا لا املك من الدنيا شيا وما بقيت اباشر شيا فارسلوني الى اسطنبول
او الى مكة المشرفة ورد على الامير سنان ذلك القفطان واخلع على القاضي بركات
المحتسب وجعله متحدثا على جميع جهات الشرقيه من المطرية الى دمياط على عادته واخلع
على محيي الدين بن ابي اصبع وجعله متحدثا على ديوان الوزارة وديوان الخاص على عادته
كما كان وفي ذلك اليوم نزل جوبر خايربك من القلعة على وجوههم وهم في غاية الذل
وفي يوم الاربعا سابع عشره رسم الامير سنان بتوسيط شخص من الاسباهيه توسطه
في الرميله وسبب ذلك انه خطف خرج جوخ ثمنها مائة وعشرون دينارا فطلع
صاحب الجوخ الى الامير سنان وشكى له ذلك الاسباهي فساله عن ذلك فانكر فقال
له الامير سنان لك عليه بينة بانه خطف منه الجوخ فقال له نعم واحضر له من
شهد عليه بذلك فارسل خلف الاسباهي وساله عن ذلك فاعترف واحضر الجوخ
واعادها الى صاحبها ومضى ثم انه رسم بتوسيط الاسباهي توسطوه في الرميله عند
باب الميدان وهذا اول حكم الامير سنان في القتل ثم ان الامير سنان رسم بان يعين
جماعة من الانكشاريه في بيت المحتسب يضبطون ما يتحصل من اموال الحسبة في كل
يوم وجعل مثل ذلك في بيت الوالي وبيت محيي الدين بن ابي اصبع كونه متحدث
في ديوان الوزاره والخاص وجعل مثل ذلك على المكاسة الذي في بولاق ومصر العتيقة
وغير ذلك من القياص وفي يوم الخميس سابع عشره سافر الامير اينال السيفي طراباي
الذي ولي كشف الشرقيه الى محل ولايته بها وفي يوم الجمعة تاسع عشره حضر شخص
من مماليك الامير قايتباي الدوادار في بعض اشغال استاذه وعلى يده كتب من
مضمونها ان السلطان سليمان نازل على رودس ويحاصرها اشد المحاصرة وقد
قتل من العسكر العثماني ما لا يحصى من البندق الرصاص ومن المدافع التي نازلة في
كل يوم من قلعة رودس وكل ما هدم من سورها شيا فتبنيه الافرنج تحت الليل
بالجبس النقي وقد اعياهم امر الافرنج وقوة باسهم وقد كثر موت من مات من الاسرا
الجراكسه والمماليك وفي يوم السبت عشرينه رسم الامير سنان لمماليك ملك الامرا
خايربك ان ينزلوا من الطباق الذي بالقلعة فشق ذلك عليهم فلما نزلوا من الطباق
طلع اليها جماعة من الاسباهية ممن هو من جماعة الامير سنان والانكشارية من عصبة
خير الدين نايب القلعة ثم اشيع ان وقع بين الامير سنان والامير خضر العثماني
تشاجر بسبب النيابة ثم تم الاتفاق على ما يرد من جواب السلطان على ذلك وفيه
اشيع ان الامير اينال الذي استقر كاشف الشرقيه تحول عنها الى كشف الغربية
واعيد الامير جانبك الى كشف الشرقيه كما كان اولا وفي شهر ذي الحجة كان مستهله
يوم الثلاثا فكان المتحدث على الديار المصرية يومئذ الامير سنان بك العثماني عوضا

عن خاير بك

عن خايربك بحكم وفاته وكان قضاه القضاه الاربعة منفصلين عن القضا كما تقدم فلم يطلع
الى التهنيه بالشهر احد وفي يوم السبت الخامس من الشهر توفي الشيخ امين الدين بن
النجار الخطيب بجامع الغمري وكان دينا خيرا من اهل العلم والدين من اعيان الشافعيه
وفي عقيب موته توفي القاضي جلال الدين بن محمد بن بدر الدين محمد بن كميل احد نواب
الشافعيه وفي يوم الخميس عاشره كان عيد النحر صنع الامير سنان مدة حفلة بالقلعة
فتناهبوا ابناء المدة على لمح البصر وقد ذاق الامير سنان طعم المملكة ودخل حلاوتها
في اسنانه وفي يوم الخميس سابع عشره نادى الامير سنان بعد العصر في القاهرة
بان السلطان سليمان استقر بالوزير الاعظم مصطفى باشاه بان يكون نايبا على مصر
عوضا عن خايربك بحكم وفاته وقد وصل الى اسكندريه ثم نادى للناس في ذلك
اليوم بالامان والاطمان والبيع والشرا وان لا احد يتكلم كلاما فيما لا يعنيه فلما
تحقق الناس خرج المباشرون واعيان الناس الى ملاقاة ذلك النايب واشيع انه
الامير جانم الحمزاوي قادما صحبة النايب وانه قد وصل الى قليوب فخرج غالب
العسكر العثماني الى ملاقاته فلما كان يوم الاربعا ثالث عشرين ذي الحجة وصل الوزير
الاعظم مصطفى الى ساحل بولاق فاحضروا له فرسا من الخيول الخاص والبس خلعة
السلطان وهي تماسيح على احمر واحضروا لجماعته نحو اربعماية فرس ونزل الامير
سنان من القلعة والامير خير الدين والامير خضر العثماني والكواخي اغوات
الانكشارية والامير ازدمر الناشف اغاة المماليك الجراكسه وتابع الاسباهيه
والانكشاريه والكملية قاطبة وتوجهوا الى بولاق لاجل ملاقاة النايب مصطفى
فركب من هناك وجماعته ومشت الانكشاريه قدامه والكملية قاطبة يرمون بالنفوط
وركب جميع الاسباهيه وامرايها وجميع الامرا الجراكسه واتباعها واعيان الناس قاطبة
ودخل من باب البحر واستمر الى باب القنطرة فشق من سوق مرجوش ثم شق من القاهرة
في موكب حفل مثل مواكب ملك الامرا خايربك وكان الامير سنان عن يمينه والامير جانم
الحمزاوي عن يساره وعليه خلعة تماسيح ذهب والامير خير الدين نايب القلعة والامير
خضر قدامه وعلى راسه صنجق بغم نقده ومن وراه طبلين وزمر بن عثماني وخلفه
جماعة بطراطير حمر بعصايب ذهب فلما شق من القاهرة ارتفعت له الاصوات
بالدعا وانطلقت له النسا بالزغاريت من الطيقان وكان ذلك اليوم مشهودا وكان مصطفى
انه ابيض اللون عربي الوجه حليق اللحية ليس له غير شاربين صغير معتدل القامة
وعليه حشمة ووقار وقيل هذا اعظم وزرا ابن عثمان حتى اطلق عليه انه وزير الوزرا
واستمر في الموكب الحفل حتى شق من الرميله ودخل الى الميدان ثم صعد الى القلعة
وفيه يقول الناصري محمد بن قانصوه من صادق

لا تحزني مصر على ... موت الامير خيربك

ولاية الوزير مصطفى نيابة مصر من السلطان سليمان على ورود في ١٥ الحجة سنة ٩٢٨

بل اوحى بمصطفى ستنظر به خيربكا

فلما قدم النايب مصطفى باشاه الى مصر اشيع ان الاخبار وردت على السلطان سليمان
بوفاة ملك الامرا خايربك وهو على رودس في يوم الخميس ثالث ذى الحجة فلما تحقق
موته انعم على وزيره الاعظم مصطفى باشاه وقرره في نيابة مصر عوضا عن خايربك
بحكم وفاته فاستقر في النيابة يوم السبت خامس ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعماية
وكانت ولايته في يوم الخامس وهو يوم نحس مستمر وكان السلطان على رودس
فكانت مدة ولايته من حين ولى برودس الى ان دخل الى ثغر الاسكندرية خمسة عشر
يوما وكانت مدة سفره في البحر اربعة ايام ودخل الى شاطى بولاق يوم الاربعا
ثالث عشرين ذى الحجة فيكون مدة ولايته من حين ولى برودس الى ان دخل الى الديار
المصرية ثلاثة وعشرين يوما فلما طلع النايب مصطفى باشاه الى القلعة في يوم الاربعا
مد له الامير سنان هناك مدة حفلة ثم مد له بساط الانس واسلمه مفاتح بيت المال
ودفع له خاتم الملك الذى كان السلطان سليم اعطاه لخايربك ثم تحول الامير
سنان ونزل الى منزله بدرب الباب فكانت مدة نيابته بالقاهرة الى ان حضر مصطفى
باشاه ثمانية وثلاثين يوما كانها اضغاث احلام وفي يوم الخميس رابع عشرينه نزل
النايب مصطفى باشاه الى الميدان وحضر الامير سنان والامير خضر والامير خير
الدين نايب القلعة وحضر الاغوات المتعلقة بالانكشارية وقرى عليهم مرسوم السلطان
الذى حضر على يد مصطفى باشاه فكان براعة استهلال ذلك المرسوم الحمد لله الذي
انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ثم نعت النايب مصطفى باشاه بانعات
عظيمة بانه وزير الوزرا وامير الامرا وما اشبه ذلك من الانعات الحسنة ثم رسم
له بان يعطى في كل سنة من خراج اراضى مصر مائة الف دينار له ولمماليكه وحاشيته
ومن مضمون ذلك المرسوم بان لا يصرف لطايفة الانكشارية والاسباهية اكثر من
اربعة انصاف في كل يوم فشق ذلك عليهم وكان خايربك رتب لجماعة من الاسباهية
اشرفيين في كل يوم ومنهم اشرفى كل يوم وكانت طايفة الانكشارية فيهم من كان له في
كل يوم عشرين نصفا ومنهم عشرة انصاف ومنهم ثمانية فبطل ذلك جميعه واستقرت
على اربعة انصاف كل يوم ومن مضمون المرسوم الوصية بالرعية والمسلمين بما فيه من
اصلاحهم وكان من مضمونه اشيا كثيرة يطول شرحها وفي ذلك اليوم طلعت
القضاة الاربعة ليسلمون عليه فوجدوه بالاشرفية التى بالقلعة فلم يمكنوهم من
الدخول اليه حتى شاوروا الوزير فاذن لهم فدخلوا عليه فوجدوه ملقى على ظهره
فلم يلتفت اليهم ولا قام لهم ولم يجدهم من البشر ثم قال لهم على لسان الترجمان النايب
يقول لكم لولا انه ضعيف لقام لكم فنزلوا الناحية وانصرفوا وفي يوم الجمعة خامس
عشرينه نزل النايب مصطفى باشاه الى الميدان وجلس به وعرض موجود ملك الامرا

خايربك

خايربك من الجمال والخيول والبغال فوجدوا له من ذلك اشيا كثيرة لا تنحصر ثم
تحول وطلع الى الحوش السلطانى وعرض مماليك خايربك ثم عرض الحواصل التى فيها
الموجود من قماش ونحاس وصينى وغير ذلك فوجدوا من ذلك اشيا كثيرة لا تنحصر
اعظم من موجود الاشرف قايتباى ووجدوا له من الذهب العين ما قيل ستماية الف
دينار وقد حاز هذا الموجود العظيم في هذه المدة اليسيرة وفي يوم السبت سادس
عشرينه نزل مصطفى باشاه الى الميدان وجلس به وحوله الامير سنان والامير خضر
والامير خير الدين نايب القلعة والامير ازدمر الكاشف وجماعة اخرين من الامرا
فاظهر التعاظم في ذلك اليوم ومشى على طريقة الخنكار سليم شاه وصار كواحد منهم
وكان النايب مصطفى هذا متزوجا بابنة الخنكار سليم شاه وهى اخت السلطان
سليمان فوقف الوالى قدامه بالعصاة وكذلك نقيب الجيش ايضا واصطفت
قدامه الانكشارية والاسباهية والجملية وبايديهم العصى ثم تزايدت عليه القصص
بحوايج الناس فلم يفهم منها شيا وصار الترجمان يقول له معنى ما في القصص بالتركى
وهو كالخشبة ثم رسم بالمناداة في القاهرة بالامان والاطمان والبيع والشرا
وان كل من ظلم من ملك الامرا فعليه بالابواب العالية ثم اشيع انه نادى ان العمال
يقبضوا الخراج من الفلاحين النصف الفضة بنصفين وقيام لهم عند الحساب
بنصفين وربع ففرح الفلاحون بذلك ثم من بعد ذلك تبين ان هذه الاشاعة
ليس لها صحة وكل شى على حكمه في المعاملة ثم ان النايب قام وطلع الى القلعة
وهذا اول ديوان في ايامه واول محاكمة بين الناس واول جلوسه للناس عامة
وفي يوم الاحد سابع عشرينه اشيع في القاهرة ان القاضى بركات ابن موسى
قد انفصل عن الحسبة واستقر بها شخص من العثمانية من اقارب النايب مصطفى
يقال له قاسم باشاه فاضطربت القاهرة بسبب ذلك وشق على الناس عزله
وفي ذلك اليوم اشيع ان النايب قد اخذ مفاتح الحواصل كلها جميعا الذى
في القلعة من البوابين وسلمها لجماعة من الاتراك من حاشيته وطردوا البوابين
والغلمان والركابدارية حتى ابطل الطباخين من المطبخ واقام جماعة من الاروام
عوضهم وابطل المزيين الذين كانوا يجزون بالقلعة قاطبة حتى ابطل من كان بالقلعة
من المؤذنين وجعل لجامع الحوش مؤذنا واحدا وابطل نظام جميع نظام القلعة التى
كانت عليه قديما ومشى على القانون العثمانى وهو ايش قانون ثم انه شرع في بيع
موجود ملك الامرا خايربك فطلب التجار قاطبة فطلعوا الى القلعة بسبب المبيع
وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه طلع اعيان المباشرين الى القلعة وتوجهوا الى بيت الدفتردار
واجتمعوا هناك وشرعوا في امر تقسيط البلاد واشيع انهم قد قرروا للنايب مصطفى
باشاه في كل شهر ثمانية الاف دينار له ولمماليكه خاصة ولجميع جماعته وحاشيته

وسطينه وانفا مانة وغير ذلك وما حكم به الزمان الخبيث على الناس ثم ان المعلم
الحلوانى العجمى الذى كان دكانه تجاه المدرسة الناصرية التى بين القصرين قد صار
من خواص النايب مصطفى باشاه وصار من المقربين عنده وتقاضى حوايجه وحوايج
الناس عنده واجتمعت فيه الكلمة وصار هو المرجع اليه فى الامور فى تلك الايام
حتى بقى كمنزلة الدوادار الكبير فكان كما قيل فى المعنى

ماكنت احسب ان يمتد بى زمنى ۔ حتى ارى دولة الاوغاد والسفل

وفى يوم الثلاثا تاسع عشرينه قدم مبشر الحاج واخبر بالامن والسلامه وان الغلا
وموت الجمال موجودا مع الحاج ولم يكن من امر الفتن التى وقعت بمكة صحة ولله
الحمد والشكر على ذلك وفى ذلك اليوم اخلع مصطفى باشاه على القاضى شرف الدين
الصغير واقره على ما كان عليه من التحدث على جهات الغربيه واخلع على القاضى فخر
الدين بن عوض واقره على ما كان عليه من التحدث على جهات الصعيد واخلع
على القاضى بركات بن موسى المحتسب والقاضى شرف الدين بن عوض واستقرّ بهما
فى التحدث على جهات الشرقيه كما كانا فى الاول فنزلوا من القلعة وشقوا
من القاهرة فى موكب حفل ثم اشيع ان القاضى بركات بن موسى لم يعاد الى
الحسبة فتشوش الناس لذلك وفى يوم الاربعا سلخ الشهر ترجح امر القاضى بركات
ابن موسى المحتسب فى عوده الى الحسبة وقيل انه رتب لذلك الشخص العثمانى الشرفيين
كل يوم فنادى فى القاهرة بعد العصر حسبما رسم الزينى بركات بن موسى بان كل شى
على حاله وان السوقة والمتسببين يحضروا باكر النهار الى بيت القاضى بركات بن موسى
ناظر الحسبة الشريفه وناظر الذخيرة الشريفه فهو على حاله فى الحسبة ففرح غالب
الناس بذلك انتهى ما اوردناه من الاخبار العجيبه والوقايع الغريبه وقد وقع
لى من المحاسن ما لم يقع لغيرى من المورخين فيما اورده من تواريخه القديمه وقد اعان الله
الله تعالى على انتهايه على خير ولله الحمد والمنه على ذلك وفيه اقول

اعتذر لمنشيه واعف ۔ عن ما جنى بالسهو محا
احسنت لى فى ابتدا ۔ يارب فاحسن فى ختامى

وقولى ايضا

نادمنا بهجة المجالس ۔ يطرب من لفظه المجالس
سماعه للورى سرور ۔ يشرح صدر الكل عابس

وغيره ايضا

الفته نعم المجالس ۔ اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفى ۔ ابدا ويقنع بالنظر
وان تجد عيبا فسد الخللا ۔ جل من لا عيب فيه وعلا

وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب
يوم الاحد المبارك ثامن شهر شعبان المعظم قدره
من شهور سنة اربع وتسعين والف
من الهجرة النبويه على صاحبها
افضل الصلاة
والسلام
تم

وقف السلطان احمد خان بن محمد خان الغازى

عدد ٤٦٧ و - ع

ط ٢١

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ

Kısmı	Yeni Cami
Yeni Kayıt No.	
Eski Kayıt No.	822
Tasnif No.	9 (53.02)